



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عيد ميلاد
عمر الکرمان

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir

١-٥

العقائد الإسلامية

مؤلفه: د. محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب

هذا الكتاب من أهم الكتب التي تناولت العقائد الإسلامية، وقد تناول فيها المؤلف العقائد الأساسية التي هي أساس الدين الإسلامي، وهي: التوحيد، النبوة، الآخرة، والقيامة.

دار الفکر للطباعة والنشر والتوزيع

ويشمل على مسائل: التوحيد، النبوة، الآخرة، والقيامة.

الطبعة الأولى: ١٤١٩

دار الفکر للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان
www.daralfoqr.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العقائد الاسلاميه: عرض مقارنة لاهم موضوعاتها من مصادر السنه و الشيعة

كاتب:

آيت الله سيد علي حسيني سيستاني

نشرت في الطباعة:

مركز المصطفى للدراسات الاسلاميه

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٤٤	العقائد الاسلاميه: عرض مقارن لاهم موضوعاتها من مصادر السنه والشيعة
٤٤	اشارة
٤٤	المجلد ١
٤٤	فهرست مطالب كتاب: العقائد الإسلامية (المجلد ١)
٤٨	الفطرة
٤٨	آيات فطرة السماوات والكون
٤٩	انفطار الكون عند القيامة
٤٩	تكاد السماوات تتفطر من عظمة الله
٤٩	تكاد السماوات تتفطر من الافتراء على الله
٤٩	فطرة الله التي فطر الناس عليه
٥٠	الفطرة الأولى والفطرة الثانية
٥٠	فطرة الناس على معرفة الله تعالى و توحيده
٥١	الفطرة حالة استعداد لا تعنى الاجبار و سلب الإختيار
٥٤	الفطرة والميثاق و عالم الذر
٥٤	عالم الذر
٥٦	تذكير الأنبياء بميثاق الفطرة
٥٧	كل مولود يولد على الفطرة
٥٩	و كل الحيوانات فطرت على معرفة الله تعالى
٥٩	التوجه الفطرى إلى الله تعالى
٦٠	رأى صاحب تفسير الميزان فى عالم الذر والمعرفة والميثاق
٧١	عوالم وجود الإنسان
٧٢	من روايات عالم الأشباح (ظلال النور).

- ٧٤ من روايات عالم الاظلة
- ٧٨ من روايات عالم طينة الخلق
- ٨٠ من آيات و روايات عالم الملكوت
- ٨٢ من آيات و روايات عالم الخزائن
- ٨٤ الفطرة بمعنى الولادة في الإسلام
- ٨٤ قولهم من ولد على الإسلام فهو من أهل الجنة
- ٨٥ القول بأن من ولد في الإسلام فهو من أهل الجنة
- ٨٥ الفطرة والنبوة والشرائع الإلهية
- ٨٧ معنى الفطرة والصبغة
- ٩٠ دور الفطرة في المعرفة والثقافة والحضارة
- ٩١ بحث في دور الفطرة والنبوة في الحياة الإنسانية
- ٩٤ امور ورد أنها من الفطرة
- ٩٥ امور ورد أنها تضر بالفطرة
- ٩٥ تقوية الفطرة و تضعيفها و إساءة استعمالها
- ٩٦ قابلية الفطرة للتقوية والتخريب
- ٩٨ قدوات البشرية في فطرتهم المستقيمة
- ٩٨ آدم فطرة الله تعالى
- ٩٩ ابراهيم إمام الإستقامة على الفطرة
- ١٠١ نبينا رائد العارفين و رائد سعادتن
- ١٠٣ خط الفطرة لم ينقطع من ذرية إبراهيم
- ١٠٤ عمار علم الثابتين على الفطرة بعد النبي
- ١٠٦ على إمام الثابتين على الفطرة
- ١٠٩ ولاية على علامة على صحة الفطرة و طيب المولد
- ١١١ وجوب المعرفة والنظر

- ١١١ وجوب معرفة الله تعالى و منشؤها
- ١١١ وجوب معرفة الله تعالى و أنها أساس الدين
- ١١٢ معرفة الله تعالى و توحيدده نصف الدين
- ١١٢ لا تتحقق العبادة إلا بالمعرفة
- ١١٣ فضل معرفة الله تعالى
- ١١٣ الحث على مجالسة أهل المعرفة
- ١١٣ فضل من مات على المعرفة
- ١١٣ نعمة معرفة حمد الله و شكره
- ١١٤ نعمة معرفة كرم الله و آلائه
- ١١٤ معرفة الله لا تكون إلا بالله و من الله
- ١١٤ لا يفوز الإنسان بالمعرفة إلا بإذن الله تعالى
- ١١٥ الهداية والإضلال من الله تعالى لكن الإضلال باستحقاق العبد
- ١١٦ دعاء طلب المعرفة من الله تعالى
- ١١٦ وسائل معرفة الله
- ١١٦ اداة معرفة الله تعالى: العقل
- ١١٨ لا يحاسب الله الناس إلا على قدر معرفتهم، و ما بين لهم، و ما آتاهم
- ١١٩ من أسباب المعرفة و آثارها
- ١١٩ ما يورث المعرفة
- ١٢٠ ما تورثه المعرفة
- ١٢٠ ما يفسد المعرفة و يطفى نوره
- ١٢٠ خطر ضلال الأمم بعد المعرفة
- ١٢٠ كان نبينا يخاف على أمته الضلال بعد المعرفة
- ١٢٠ وضع المعرفة فى بنى اسرائيل بعد موسى
- ١٢١ اتهامهم نبيهم موسى بأنه لم يعرف الله تعالى

- ١٢١ بولس يصف فساد الناس فى عصره و بعدهم عن المعرفة
- ١٢٢ المعرفة التى دعا إليها بولس الذى نصر النصارى
- ١٢٢ متى اخترع المسيحيون التثليث بعد التوحيد
- ١٢٣ متى تجب المعرفة على الإنسان
- ١٢٣ فى أى سن يجب التفكير والمعرفة
- ١٢٥ حكم الإنسان فى مرحلة التفكير والبحث
- ١٢٦ تجب المعرفة بالتفكير و لا يصح فيها التقليد
- ١٣١ المعرفة والعمل
- ١٣١ اشتراط كل من المعرفة والعمل بالآخر
- ١٣٥ افضل الأعمال بعد معرفة العقائد
- ١٣٥ اقل ما يجب، و أقصى ما يمكن، من المعرفة
- ١٤٣ المعرفة لا تتوقف على علم الكلام
- ١٤٤ و يكفى الدليل الاجمالى فى المعرفة
- ١٤٧ العجز عن معرفة ذات الله تعالى
- ١٤٨ النهى عن الفضولية فى معرفة الله تعالى
- ١٤٩ انواع من المعرفة والعارفين
- ١٤٩ المعرفة الحقيقية والمعرفة الشكلية
- ١٤٩ تحير المتصوفة فى دور العقل فى المعرفة
- ١٥٠ تحيرهم فى الفرق بين العلم والمعرفة
- ١٥٠ تصوراتهم عن العارف بالله تعالى
- ١٥١ المؤلفه قلوبهم بالمال لكى يعرفوا
- ١٥٢ دعوة العدو فى الجهاد إلى معرفة الله تعالى
- ١٥٢ معرفة أهل الآخرة بديهية لا كسبية
- ١٥٣ بحث للشيوخ الطوسى فى تعريف الإيمان والكفر

- ١٥٤ بحث للشهيد الثاني في تعريف الإيمان والكفر
- ١٥٩ هل يمكن أن يصير المؤمن كافراً
- ١٦٠ هل تزول المعرفة والإيمان بإنكار الضرورى؟
- ١٦١ هل أن الكافر يعرف الله تعالى؟
- ١٦٣ بحث في معرفة الله تعالى عن طريق معرفة النفس
- ١٧٢ الموقف الفقهي من الدعوة إلى معرفة الله تعالى عن طريق معرفة النفس
- ١٧٣ معرفة النبي والأئمة
- ١٧٤ يجب على كل الناس معرفة النبي
- ١٧٥ يعرف النبي بالمعجزة والإمام بالنص والمعجزة
- ١٧٥ و تجب معرفة الأئمة لأن الله تعالى فرض طاعتهم
- ١٧٨ و تجب معرفتهم لأن الله تعالى فرض مودتهم
- ١٨٠ و تجب معرفتهم لأن الله تعالى فرض الصلاة عليهم
- ١٨٥ و تجب معرفتهم لانهم أهل الذكر الذين أمرنا الله بسؤالهم
- ١٨٧ و تجب معرفتهم لأن الأعمال لا تقبل إلا بولايتهم
- ١٨٩ و تجب معرفتهم لأنهم محال معرفة الله تعالى
- ١٩٠ و تجب معرفتهم لأنها طريق معرفة الله تعالى
- ١٩٠ و تجب معرفتهم لحديث: من مات و لم يعرف إمام زمانه
- ١٩١ صيغ الحديث في مصادر مذهب أهل البيت
- ١٩١ في وجوب معرفة الإمام من أهل البيت
- ١٩٣ في أن معرفتهم و ولايتهم من دعائم الإسلام
- ١٩٣ في أن الإمام من أهل البيت قد يغيب
- ١٩٤ تفسير الحديث في مذهب أهل البيت
- ١٩٨ تفسير الشيعة الزيدية للحديث
- ١٩٨ الفرق بين صيغ الحديث في مصادرنا و مصادر إخواننا

- ١٩٩ روايات إخواننا التي وردت فيها لفظة إمام
- ٢٠٠ رواياتهم التي فيها لفظ طاعة
- ٢٠١ رواياتهم التي توجب طاعة الحاكم الجائر
- ٢٠١ مدرسة البخارى في تفسير هذا الحديث
- ٢٠٢ عبدالله بن عمر يطبق تفسير إخواننا للحديث
- ٢٠٣ وامتنع عبدالله بن عمر عن بيعه على، ثم ندم
- ٢٠٤ ثم كانت علاقاته حسنة مع بنى أمية و مع الثائرين عليهم
- ٢٠٤ وروت مصادر الشيعة احتياطا غريبا له في تطبيق الحديث
- ٢٠٤ و لم يزد أحد على ابن عمر في تطبيق الحديث إلا أبو سعيد الخدرى
- ٢٠٥ تحرير إخواننا السنة في هذا الحديث قديما وحديثا
- ٢٠٦ معرفة الإمام هي الحكمة
- ٢٠٦ لا يمكن للناس معرفة الإمام المعصوم ليختاروه
- ٢٠٦ معنى: إعرف الإمام ثم اعمل ما شئت
- ٢٠٧ بعلى عرف المؤمنون بعد النبى
- ٢٠٧ معرفة الآخرة والمعاد والحساب
- ٢٠٨ المجلد ٢
- ٢٠٨ فهرست مطالب كتاب: العقائد الإسلامية (المجلد ٢)
- ٢١٥ جذور مسألة الرؤية والتشبيه والتجسيم
- ٢١٥ اعتقاد السنيين أن الله تعالى يرى بالعين
- ٢١٥ متى ظهرت أحاديث الرؤية والتشبيه
- ٢١٦ عائشة تكذب أحاديث الرؤية والتشبيه
- ٢١٦ موج الفرية جاء من الشام
- ٢١٨ و ابن عباس يحكم بشرك من يشبه الله تعالى بغيره
- ٢١٩ و أبوهريرة يوافق عائشة و ابن عباس و ابن مسعود

- ٢١٩ و كان الجمهور يرون رأى عائشة و يكذبون أحاديث الرؤية بالعين
- ٢٢٠ على يوضح ما لم توضحه عائشة
- ٢٢٠ و اصل روايات الرؤية بالعين لا تتجاوز العشرة
- ٢٢١ و غلبت موجة كعب و دخلت الرؤية والتشبيه في عقائد المسلمين
- ٢٢٢ و ايدوا قول كعب بحديث العماء و ادعوا قدم الفضا مع الله تعالى
- ٢٢٣ و هاجموا أهمهم عائشة و أساؤوا معها الأدب
- ٢٢٣ ثم رووا الرؤية بالعين حتى عن ابن عباس و عائشة
- ٢٢٤ ثم أفتوا بكفر و ضلال من خالفهم و شملت فتواهم أهمهم عائشة
- ٢٢٤ و كبر كعب الأحبار لأنه انتصر على المسلمين
- ٢٢٤ و اشتغل الموضوعون و كثرت أحاديث الرؤية والتشبيه والتجسيم
- ٢٢٤ و انكر مالك أحاديث التشبيه و اعتذر عنه الذهبي بأنه جاهل
- ٢٢٧ نماذج من الأحاديث الموضوعة لتأييد مذهب كعب
- ٢٣٠ و فتحوا الطريق لنقد أحاديث الرؤية بتنازلهم عن عصمة البخارى
- ٢٣٣ اهل البيت ينفون أحاديث الرؤية والتشبيه
- ٢٣٥ الامام الكاظم و الإمام الرضا يكشفان تحريف حديث النزول
- ٢٣٥ مذاهب السنيين فى الألوهية والتوحيد
- ٢٣٥ كيف نشأت هذه المذاهب؟
- ٢٣٦ المذهب الرابع: مذهب المتنقلين بين المذاهب والمذبذبين والمتحيرين
- ٢٣٨ و صار الترمذى متأولا ذات يوم فكفره المجسمة
- ٢٣٩ و دافع رشيد رضا عن أكثر الحنابلة و جعلهم متأولة
- ٢٣٩ ثم تبنى رشيد رضا رأى الغزالى مع أنه كاد أن يكفر الحنابلة
- ٢٤٠ و كل علماء السنة حتى المجسمة يصيرون متأولة عند الحاجة
- ٢٤٥ بازار الأحاديث فى الرؤية والتشبيه والتجسيم
- ٢٤٥ قالوا إن الله تعالى على صورة بشر

- ٢٤٤ وقالوا له سمع و بصر كسمع الإنسان و بصره
- ٢٤٤ وقالوا له عينان مثل الإنسان و هما سالمتان
- ٢٤٤ وقالوا له أيدى و أعين و رجلان
- ٢٤٤ وقالوا قد يكون له أذن و قد يكون بلا أذن
- ٢٤٧ وقالوا له جنب و حقو
- ٢٤٧ وقالوا إنه يمشى و قد يركض و يهرول
- ٢٤٧ وقالوا إنه تعالى يرى بالعين فى الدنى
- ٢٤٧ وقالوا إنه يلبس قباء و جبة و يركب على جمل
- ٢٤٨ وقالوا إنه فتى أمرد جعد الشعر
- ٢٤٨ وقالوا إنه يضحك فى الدنيا و الآخرة
- ٢٤٩ وقالوا إنه يضحك لمن يستلقى على دابته
- ٢٤٩ وقالوا مادام الله يضحك فأملنا فيه كبير
- ٢٤٩ وقالوا إنه يضحك.. و يظل يضحك
- ٢٥٠ وقالوا إنه ضحك لطلحة و سعد
- ٢٥٠ وقالوا إنه يظهر لعباده ضاحكا
- ٢٥٠ وقالوا منطقته كالرعد، و ضحكه كالبرق
- ٢٥٠ وقالوا يظهر متجسدا لابى بكر وحده بدون ضحك
- ٢٥١ و قال عمر يجلس على العرش و لعرشه أطيط و صرير من ثقله
- ٢٥١ معنى الاطيط
- ٢٥٢ وقالوا العرش مطوق بحية تحميه
- ٢٥٢ وقالوا الشمس تذهب كل يوم إلى تحت العرش
- ٢٥٢ وقالوا حملة العرش ملائكة صوفية
- ٢٥٢ وقالوا حملة العرش يتكلمون بالفارسية
- ٢٥٢ وقالوا جبل لبنان من حملة العرش

- ٢٥٢ و قالوا حملة العرش حيوانات كما فى التوراة
- ٢٥٣ و قالوا جالس على كرسيه و غائب عن العالم
- ٢٥٣ و قالوا جالس على العرش و حوله الأنبياء على كراسى
- ٢٥٤ هشام بن عمار صاحب حديث الكراسى حول العرش
- ٢٥٤ و قالوا جنه عدن مسكن الله تعالى و عرشه فيه
- ٢٥٤ و رونا ورووا أن الفردوس مسكن إبراهيم و آله و محمد و آله
- ٢٥٧ و قالوا أرواح الشهداء فى حواصل طيور فى قناديل معلقة بالعرش
- ٢٥٧ ورد أهل البيت حديث القناديل و حواصل الطيور
- ٢٥٨ واختلفت رواياتهم فيما هو مكتوب على العرش
- ٢٦٠ و قالوا إنه تعالى أثقل من الحديد
- ٢٦٠ و قالوا يرى بالعين فى الآخرة و يناقش رجلا و يضحك عليه
- ٢٦١ و قالوا يكشف عن ساقه بل عن ساقيه و يعفو عن المنافقين
- ٢٦٥ و حاول الصنعانى والنووى تخلص الله تعالى من كشف ساقه
- ٢٦٦ و قالوا إنه يجلس على الجسر و يضع رجله على الأخرى
- ٢٦٦ الامام الصادق يقول إنها رواية يهودية
- ٢٦٦ و قالوا لا تمتلى النار حتى يضع رجله فيه
- ٢٦٧ وادعوا أن رؤيته بالعين من أكبر اللذات
- ٢٦٨ لكن اختلفوا هل تراه النساء فى الجنة
- ٢٦٨ بازار أحاديث النزولات
- ٢٦٨ قالوا: إن الله تعالى جسم ينزل إلى الأرض كل ليلة
- ٢٦٩ و قالوا لو دلى رجل حبلا لهبط على الله
- ٢٧٠ و قالوا إنه تعالى ينزل ليلة النصف من شعبان
- ٢٧٠ و قالوا إنه تعالى ينزل يوم عرفة
- ٢٧٠ الامام الرضا يلعن الذين حرفوا حديث النزول

- ٢٧١ و احاديث إخواننا تؤيد ما قاله الإمام الرضا
- ٢٧١ و تؤيده أحاديث فيها اطلع الله بدل ينزل
- ٢٧٢ و احاديث خالية من ينزل و يصعد
- ٢٧٢ وادعوا أن رؤية الله تعالى في المنام تدل على الإيمان
- ٢٧٥ اما درجة ابن عربي و أمثاله فهي أكبر من الرؤية في المنام
- ٢٧٥ لكن الإمام الصادق تشاءم من صاحب هذه الرؤية
- ٢٧٥ خلاصة اعتقادنا في التنزيه و نفي التشبيه
- ٢٧٥ العقل والآيات والأحاديث تنفي إمكان رؤية الله تعالى بالعين
- ٢٧٦ الرسول يعلم الأمة التوحيد
- ٢٧٧ و يعلمنا أن أقصى ما يمكن أن يراه الإنسان نور عظمة الله
- ٢٧٧ على يثبت مشاهدة القلوب و ينفي مشاهدة العيان
- ٢٧٧ لم يحلل في الأشياء... ولم ينأ عنه
- ٢٧٨ لا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك
- ٢٧٩ لا تدركه الشواهد و لا تحويه المشاهد
- ٢٨٠ اول الدين معرفته... و كمال الاخلاص له نفي الصفات عنه
- ٢٨١ كان المسلمون يعرفون قيمة الجواهر فيكتبونه
- ٢٨٢ امير المؤمنين يرد على تجسيم اليهود
- ٢٨٣ و يوجه المسلمين إلى التفكير في عظمة المخلوقات فيصف الطاووس
- ٢٨٤ و يصف النملة والجرادة
- ٢٨٤ على مؤسس علم التوحيد
- ٢٨٥ الامام زين العابدين ينظم زبور آل محمد
- ٢٨٦ الامام محمد الباقر يجيب على سؤال متى وجد الله
- ٢٨٧ و يركز في المسلمين قاعدة: لا تشبيه و لا تعطيل
- ٢٨٧ الامام الصادق: لا نفي و لا تشبيه و لا جبر و لا تفويض

- ٢٨٨ المؤمنون يرون الله بعقولهم و قلوبهم فى الدنيا والآخرة
- ٢٨٨ الامام الصادق يرد على الحلول والثنائىة بين الذات والصفات
- ٢٨٩ الامام الكاظم يرد على تجسيد النصارى
- ٢٨٩ و يبين أن الله تعالى غنى عن النزول والحركة
- ٢٩٠ الامام الرضا يعلم تلاميذه الدفاع عن التوحيد
- ٢٩٠ و يكشف حقيقة جديدة فى الإسراء والمعراج
- ٢٩٢ الامام الرضا يعلم بنى العباس التوحيد
- ٢٩٤ نماذج من كلمات علماء مذهب أهل البيت
- ٢٩٧ من أين نشأت المشكلة عند إخواننا السنة
- ٢٩٧ ميل العوام إلى التشبيه والتجسيم
- ٢٩٩ الخوف من أن يؤدى التنزيه إلى التعطيل
- ٣٠٠ مضاهاة بعض المسلمين لليهود
- ٣٠١ اعتقاد اليهود والنصارى بتشبيه الله تعالى و رؤيته بالعين
- ٣٠٦ محاولة بعض اليهود أن يتبرؤوا من التشبيه والتجسيم
- ٣٠٧ لكن البابا فى عصرنا يصر على التجسيم و ينتقد التوحيد عند المسلمين
- ٣١٠ اول قنوات التشبيه والتجسيم والرؤية من اليهودية إلى الإسلام
- ٣١٢ من أفكار كعب الأحبار فى الرؤية والتشبيه والتجسيم
- ٣١٣ كعب يدعى أن جنه عدن مسكن الله والأنبياء والخلفاء
- ٣١٥ نموذج من علم كعب بالله تعالى
- ٣١٥ و قال كعب وعمر: يفضل من ربه أو من عرشه أربع أصابع
- ٣١٦ و قالوا: نبى الله داود يمسك بقدم الله تعالى و هو أعبد من جميع الأنبياء
- ٣١٦ و قالوا: عمر أفضل من داود لأنه يصفح الله و يعانقه
- ٣١٦ عبدالله بن عمر يؤكد أحاديث أبيه
- ٣١٧ من روايات أبى موسى الأشعري وابنه

- ٣١٨ وقال الجرجاني وغيره: أطيح العرش فكرة يهودية
- ٣١٨ التجسيم في مصادر إخواننا من روايات الحاخامات
- ٣٢١ الكوثري يصعد درجات و لا يصل إلى لب الحقيقة
- ٣٢٢ السفينان والحمدان
- ٣٢٢ حماد بن سلمة
- ٣٢٣ بعض روايات ابن سلمة في التشبيه والتجسيم
- ٣٢٤ حماد يروي أن النبي لا يحفظ القرآن
- ٣٢٤ اخذ حماد القول بالجبر من شيخه وهب
- ٣٢٥ ربيبه عبدالكريم بن أبي العوجاء
- ٣٢٥ عشرات الألوف من الأحاديث و مئات التلاميذ
- ٣٢٦ كان مفتي البصرة و له مسجد و يلزم تلاميذه بالكتابة عنه
- ٣٢٧ و مع هذا وثقه إخواننا وغالوا فيه
- ٣٢٨ و احترامه البخاري و روى عنه و لم يكتفوا بذلك
- ٣٢٩ نعيم بن حماد
- ٣٢٩ بعض مناكيره و رواياته في التجسيم
- ٣٣١ و مع ذلك وثقوا نعيما لأنه صلب في السنة
- ٣٣٢ مكانة المشبهين والمجسمين في مصادر السنيين
- ٣٣٢ المشبهون سادة في التاريخ و مصادر السنة
- ٣٣٢ وهب بن منبه: فارسي، يهودي، مجسم محترم و شيخ للمحدثين
- ٣٣٥ مقاتل بن سليمان البلخي، مجسم و شيخ ابن حماد و أستاذ للمفسرين
- ٣٣٦ يزيد بن هارون من شيوخ الإمام أحمد
- ٣٣٧ السمناني المجسم رئيس الأشعرية
- ٣٣٧ الامام الدارمي المجسم
- ٣٣٨ ابوالعباس السراج و إسحاق الحنظلي إمامان مجسمان

- ٣٣٨ و صار ابن عقيل شيخ الحنابلة
- ٣٣٩ من عقائد الدولة: إطاعة الحاكم الجائر والتجسيم والرؤية
- ٣٣٩ هجمة الحنابلة على الطبرى
- ٣٤٠ هجمة الحنابلة على ابن حبان
- ٣٤١ من تكفيرات المجسمين لمن خالفهم
- ٣٤٢ ملحد (سنى) يحبه المجسمة لأنه يلعن من خالفهم
- ٣٤٢ من الفتن التى حدثت بسبب التجسيم
- ٣٤٢ و واجه بعض الخلفاء تطرف المجسمين
- ٣٤٣ و قتل خلفاء شرعيون إماما مجسما طمع بالحكم
- ٣٤٤ و كان التجسيم منتشرا فى عصر ابن الجوزى والسبكى
- ٣٤٤ وانتقل التجسيم من بغداد إلى مصر
- ٣٤٥ الامام العبدرى المغربى المجسم
- ٣٤٥ التجسيم ينتشر فى المغرب فيقاومه المهدي بن تومرت
- ٣٤٦ و كثر الحشوية والمخلطون فى العالم الإسلامى
- ٣٤٦ كل الناس مبرؤون... والشيعه متهمون
- ٣٤٦ منطق السلطه و أتباعه
- ٣٤٧ محاولات الدولة والمشبهين إصاق التشبيه بالنبي وآله
- ٣٤٧ بغض أهل البيت و شيعتهم إرث غير شرعى
- ٣٤٨ و تواصلت علينا الإفتراءات عبر العصور
- ٣٥٠ و تضاعفت التهم فى عصرنا عصر العلم و حرية الفكر
- ٣٥١ تفسير مقارن للآيات المتعلقة بالموضوع
- ٣٥١ الآيات المحكمه النافية لإمكان الرؤية
- ٣٥١ الآيات المتشابهة التى استدلوا بها على الرؤية
- ٣٥٢ آيات: استوى على العرش

- ٣٥٢ تفسير آية: لا تدركه الابصار
- ٣٥٢ النبي و آله يقولون: لا تدركه الابصار و لا.. الاوهام
- ٣٦٠ اميرالمؤمنين يدفع الشبهات
- ٣٦٣ تفسيرهم الموافق لمذهبنا
- ٣٦٤ محاولاتهم تأويل الآية و إبطال معناه
- ٣٦٦ تفسير آية: ما كذب الفؤاد ما رأى
- ٣٦٦ قال أهل البيت: رأى ربه بفؤاده و رأى آياته بعينه
- ٣٦٩ رأى الشيعة الزيدية فى نفى الرؤية
- ٣٦٩ تفسيرهم الموافق لمذهبنا
- ٣٧١ و نفى قدماء المتصوفة الرؤية بالعين فى الدنى
- ٣٧٢ تفسيرهم الذى فيه تجسيم
- ٣٧٦ و جهل بعضهم فنسب الدنو والتدلى إلى الله تعالى
- ٣٧٦ و وصفوا عرشه بأنه تحمله حيوانات كما وصفه اليهود
- ٣٧٧ و قالوا رأى ربه واقفا على أرض خضرة خلف ستر شفاف
- ٣٧٧ و حاول بعضهم أن يخفف القصة و يجعلها رؤيا فى المنام
- ٣٧٧ تفسير آية: وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة
- ٣٧٧ تفسير أهل البيت و فقهاء مذهبهم
- ٣٧٩ رؤية العارفين بقلوبهم أرقى من الرؤية البصرية
- ٣٨١ تفسيرهم الموافق لمذهبنا
- ٣٨١ تفسيرهم الذى فيه تجسيم
- ٣٨٤ تفسير آيات التجلى لموسى
- ٣٨٤ قال أهل البيت: تجلى بنوره الذى خلقه، لا بذاته
- ٣٨٤ الامام الرضا يدفع التهم عن الأنبياء
- ٣٩٠ انواع التجلى الإلهى

- ٣٩١ تفسير عرفاني لعدم إمكان رؤية الله تعالى
- ٣٩١ الله تعالى يتجلى بخلقه
- ٣٩٤ من هو قيس بن ثابت راوى حديث خنصر الله تعالى
- ٣٩٥ تفسير قوله تعالى: يوم يكشف عن ساق
- ٣٩٥ فسرهما أهل البيت بكشف حجاب الآخرة و أهواله
- ٣٩٨ تفسير آيات الإستواء على العرش
- ٣٩٩ تفسير أهل البيت
- ٣٩٩ الاستواء على العرش: استواء نسبة الله إلى العالم
- ٤٠٣ معنى العرش والكرسى عند أهل البيت
- ٤٠٧ قالوا إن الله جالس على كرسيه كما قال اليهود
- ٤٠٨ و تناقضت رواياتهم فى العرش والكرسى
- ٤٠٩ و قالوا عرش الله كرسى متحرك
- ٤٠٩ و قالوا العرش غير الكرسى، و قالوا العرش هو الكرسى
- ٤١٠ تفسير قوله تعالى: عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا
- ٤١٠ و قالوا يجلس الله على عرشه و يجلس النبي إلى جانبه
- ٤١١ و نفى الفكرة بعض علماء السنة
- ٤١١ و قال المستشرقون إنها فكرة مسيحية
- ٤١٢ و اعترفوا بأن بعض هذه الأحاديث موضوع
- ٤١٢ و قالوا يجلس صاحب أحمد بن حنبل على سجاد العرش
- ٤١٢ و قالوا يجلس أبابكر على كرسى عند العرش
- ٤١٢ تفسير قوله تعالى: فلما أسفونا انتقمنا منهم
- ٤١٢ قال أهل البيت: إن الله لا بأسف كأسفن
- ٤١٦ تفسير آيات أخرى تتعلق بالموضوع
- ٤١٧ باب معنى الحجزة

- ٤١٧ باب معنى العين والاذن واللسان
- ٤١٩ المجلد ٣
- ٤١٩ فهرست مطالب كتاب: العقائد الإسلامية (المجلد ٣)
- ٤٢٥ مقدمة
- ٤٢٥ تعريف الشفاعة و تاريخها
- ٤٢٥ موقع الشفاعة من الرحمة الإلهية
- ٤٢٥ شبهة حول أصل الشفاعة
- ٤٢٥ مثال لتقريب فهم عقيدة الشفاعة
- ٤٢٦ محاولات المستشرقين التشكيك في الشفاعة
- ٤٢٧ تهافت منطق الوهابيين في الشفاعة والاستشفاع
- ٤٣٠ تعريف الشفاعة في اللغة
- ٤٣١ تعريف الشفاعة عند المتكلمين
- ٤٣٣ تحريف اليهود والنصارى للشفاعة
- ٤٣٣ مقولاتهم في الشفاعة من مصادرهم
- ٤٣٣ عراقه عقيدة الشفاعة
- ٤٣٤ شفاعة ابراهيم للمؤمنين و لاسماعيل و لوط
- ٤٣٤ شفاعة زكريا لبنى إسرائيل
- ٤٣٤ البشارة بالشفيع الذي سيأتي (البراقليطس)
- ٤٣٤ توسيع بولس للشفاعة و حصرها بالمسيح
- ٤٣٧ مقولاتهم في الشفاعة من مصادر
- ٤٤١ الشفاعة عند عرب الجاهلية
- ٤٤١ عبد العرب الأصنام أملا بشفاعتهم
- ٤٤٣ مكانة اللات والعزى عند مشركى العرب
- ٤٤٤ اليمين الرسمي المقدس عند قريش باللات والعزى

- ٤٤٤ بعض الصحابة كانوا يقسمون باللات والعزى
- ٤٤٥ اعتقاد قريش بنفع اللات والعزى و ضرهم
- ٤٤٦ مصادرنا تروى بغض النبي لأصنام قريش
- ٤٤٦ و تمسك سدنة اللات والعزى بهما إلى آخر نفس
- ٤٤٦ و حطم النبي كل الأصنام
- ٤٤٧ و اخترعت قريش قصة الغرائيق انتصارا لللات والعزى
- ٤٤٩ البخارى و مسلم روبا فرية الغرائيق
- ٤٥١ نماذج من ردود علماء مذهب أهل البيت على فرية الغرائيق
- ٤٥٤ تنبؤ عميق للنبي حول اللات والعزى
- ٤٥٤ كليات الشفاعة في القرآن
- ٤٥٤ آيات الشفاعة و عناوينها
- ٤٥٤ الشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة في الدنى
- ٤٥٤ الشفعاء يوم القيامة يشفعون بعهد من الله تعالى
- ٤٥٥ الاولياء المكرمون ينفعون مواليهم بفاعتهم
- ٤٥٥ الشهداء بالحق شفعاء
- ٤٥٥ الملائكة يشفعون للناس بإذن الله تعالى
- ٤٥٥ الشفيع الأكبر
- ٤٥٥ لا شفاعة من دون الله تعالى
- ٤٥٥ لا شفاعة إلا بإذنه و من بعد إذنه
- ٤٥٦ الشفعاء المزعمون لا شفاعة لهم
- ٤٥٦ لا شفاعة في يوم القيامة كشفاعة الدنى
- ٤٥٦ الكفار يبحثون بحثا حثيثا عن الشفعاء
- ٤٥٦ لا شفاعة للظالمين
- ٤٥٦ شفاعة نبينا

- ٤٥٦ تفسير (المقام المحمود) لنبينا
- ٤٦٣ تفسير إخواننا السنيين القريب من تفسيرنا
- ٤٦٥ تفسيرهم الذى فيه تجسيم
- ٤٦٦ القعود على العرش فكرة يهودية مسيحية
- ٤٦٧ انتقاد بعض علماء السنة التفسير بالقعود على العرش
- ٤٦٨ تفسير قوله تعالى (و لسوف يعطيك ربك فترضى)
- ٤٦٨ تفسير الآية بالعتاء الالهى الاعم من الشفاعة
- ٤٦٩ تفسيرها بالشفاعة لامته أو بالشفاعة مطلقا
- ٤٧١ تفسيرها بشفاعة النبى لأهل بيته خاصة
- ٤٧٢ تفسيرها بشفاعة النبى لجميع أمته
- ٤٧٣ ملاحظتان
- ٤٧٤ حدود الشفاعة
- ٤٧٥ المذاهب فى حدود الشفاعة (من ارتضى)
- ٤٧٥ حدود الشفاعة عند أهل البيت
- ٤٧٥ ما دل على استثناء المشرك والظالم من الشفاعة
- ٤٧٨ اصناف من الناس موعودون بالشفاعة
- ٤٧٨ من قضى لأخيه المؤمن حاجة
- ٤٧٩ من سعى فى حوائج ذرية النبى
- ٤٧٩ من زار قبر النبى
- ٤٧٩ من زار أخاه المؤمن لوجه الله تعالى
- ٤٨٠ من يدعو للمؤمنين
- ٤٨٠ شفاعة الملائكة لأهل مجلس الدعاء
- ٤٨٠ من شيع جنازة مسلم
- ٤٨٠ من حفظ على أمتى أربعين حديثا

- ٤٨١ من عاهد أخاه المؤمن على الشفاعة
- ٤٨١ مجموعة أعمال و صفات توجب الشفاعة
- ٤٨٢ اصناف لا تنالهم الشفاعة
- ٤٨٢ السلطان الظالم الغشوم
- ٤٨٢ المنان والبخيل والنامام
- ٤٨٣ الذين يخرجون من النار بالشفاعة يكونون أدنى درجة
- ٤٨٣ رأى السنيين القريب من رأى أهل البيت
- ٤٩٠ شرط الشفاعة فى المظالم الشخصية
- ٤٩١ نتيجة
- ٤٩١ توسيعات الشفاعة عند الخليفة عمر و أتباعه
- ٤٩٢ ان الشفاعة تشمل كل من شهد الشهادتين حتى الطلقاء والمنافقين
- ٤٩٦ ان الشفاعة تشمل كل من شهد بتوحيد الله تعالى
- ٥٠٠ ملاحظات على روايات هذا الرأى
- ٥٠٣ احاديث أن الله تعالى يشفع عند نفسه
- ٥٠٤ ان الشفاعة تشمل جميع الخلق
- ٥٠٦ ان العقاب فى الآخرة ينتهى كلياً و أن جهنم تفنى و ينقل أهلها إلى الجنة
- ٥٠٦ آراء المسلمين فى آيات الخلود و أحاديثه
- ٥٠٦ اجمع المسلمون على خلود الكفار فى جهنم
- ٥٠٧ الروايات التى توافق هذا الرأى عند إخواننا السنيين
- ٥٠٩ سبب خلود أهل النار فيه
- ٥١٠ آيات الخلود فى الجنة والنار
- ٥١١ عدم خلود الموحدين فى النار فى مصادر
- ٥١٢ عدم خلود الموحدين فى النار فى مصادر السنيين
- ٥١٤ روايات فى الصحاح تقول بخلود الموحدين فى النار

- ٥١٥ ما دل من مصادرنا لى أن الدار الآخرة لا موت فيه
- ٥١٦ ما دل من مصادر السنيين على أن الدار الآخرة لا موت فيه
- ٥١٧ عودة إلى رأى عمر بفناء النار
- ٥٢٠ الجهمية أخذت من الخليفة عمر
- ٥٢٠ والمرجئة أخذوا من عمر
- ٥٢٠ و ابن العاص أخذ من عمر
- ٥٢١ و رووا عن ابن مسعود أنه وافق عمر
- ٥٢١ و الشعبي أخذ من عمر
- ٥٢١ و المعتزلة أخذت من عمر
- ٥٢١ و الجاحظ أخذ من عمر
- ٥٢١ و ابن عربى والجيلى أخذوا من عمر
- ٥٢١ اما عمر فقد أخذ من كعب الأحبار واليهود
- ٥٢٢ عمر ينظر إلى كعب كأنه نبى و يتلقى منه
- ٥٢٥ شفاعات و حرمانات غير معقولة روتها مصادر السنيين
- ٥٢٥ شفاعة اثنين لصاحب الجنارة
- ٥٢٩ رأى أهل البيت فى الشهادة للجنارة
- ٥٣٠ شفاعة النبى للظالمين من الأمة
- ٥٣١ قال كعب الأحبار هم جميع المسلمين و هم فى الجنة
- ٥٣١ و قال الخولانى إنه قرأ ذلك فى كتب اليهود
- ٥٣١ عائشة و عثمان يوافقان كعبا على تفسيره
- ٥٣٢ الحسن البصرى يرد تفسير كعب الأحبار
- ٥٣٢ الخليفة عمر يميل إلى تفسير كعب
- ٥٣٤ قال أهل البيت لا يمكن أن تشمل الآية كل الأمة
- ٥٣٧ نظرية فداء المسلمين باليهود والنصارى

- ٥٣٨ اسقاط المحرمات عن أهل بدر
- ٥٤٢ حرمان من سب الصحابة من الشفاعة
- ٥٤٣ الدخول إلى جهنم
- ٥٤٥ حرمان من الشفاعة بسبب صيغ الشعر
- ٥٤٧ ماذا يصنع رواة الخلافة القرشيه بهذه الأحاديث
- ٥٤٧ رأى أهل البيت
- ٥٤٨ خلاصة المسألة
- ٥٤٩ مرسوم بحرمان الزوجة التي تطلب الطلاق
- ٥٥٠ محاولة القرشيين حرمان بنى هاشم من شفاعة النبي
- ٥٥١ حساسية قريش من أسرة النبي
- ٥٥٢ حادثه خطيرة، عتمتها الصحاح
- ٥٥٦ براءة البخارى فى تضييع القضية
- ٥٥٧ ماذا قال كبار الشراح؟
- ٥٥٩ الحادثه فى بعض روايات أهل البيت
- ٥٦٢ وسعوا شفاعة النبي لليهود والنصارى و لم يسمحوا أن تشمل أسرته
- ٥٦٣ روايات أخرى غير منطقية أيضا
- ٥٦٨ اغرب شفاعة اخترعها القرشيون لرئيس بنى هاشم
- ٥٧٠ بماذا يفسرون قول النبي سألها ببلاله
- ٥٧١ ضحضاح النور لا ضحضاح النار
- ٥٧٢ محاولتهم التخلص من الوعد النبوى لبنى هاشم
- ٥٧٣ عمل المعروف ينجى الكفار من النار إلا أبا طالب
- ٥٧٤ احاديث نجت من الرقابة القرشيه
- ٥٧٦ بخلهم على أبى طالب و خديجة و سخاؤهم على غيرهم
- ٥٧٨ اهم الأدلة على إيمان أبى طالب

- ٥٨٣ ولادة المذاهب المنحرفة من أفكار توسيع الشفاعة
- ٥٨٣ عمل اليهود على إسقاط المحرمات من الأديان
- ٥٨٣ اخبار النبي بظهور المرجئة والقدرية و تحذيره منهم
- ٥٨٤ تعريف المرجئة و مذهبهم
- ٥٨٥ المرجئة ولدوا من عهد الخليفة عمر
- ٥٨٦ اول من تصدى لمذهب المرجئة على
- ٥٨٩ كان المرجئة خداما لبنى أمية و مريرين لجرائمهم
- ٥٨٩ تورط أصحاب المذاهب الأربعة فى الإرجاء
- ٥٩٠ تورط أصحاب الصحاح الستة فى الارجاء
- ٥٩٢ حب المستشرقين للمرجئة و حزنهم عليهم
- ٥٩٣ المرجئة والجبرية شقيقان لاب و أم
- ٥٩٤ القدرية المفوضة (الذين ينفون القدر)
- ٥٩٥ القدرية الجبرية (الذين يثبتون القدر)
- ٥٩٦ القدر عند أهل البيت: لا جبر و لا تفويض
- ٥٩٧ ردة فعل الخوارج على توسيع الدولة للشفاعة
- ٦٠١ تبادل المواقع بين الخوارج والمرجئة
- ٦٠١ المعتزلة مثقفون متوسطون بين الدولة والخوارج
- ٦٠١ الصغائر تغفر والكبائر لا تغفر إلا بالتوبة
- ٦٠٢ و صاحب الكبيرة فى النار و لا تشمله الشفاعة
- ٦٠٣ المزيد من تأثير الإسرائيليات على أحاديث الشفاعة
- ٦٠٣ اتفق الجميع نظريا على أن الشفاعة من مختصات نبينا
- ٦٠٥ نبينا أول شافع يوم القيامة
- ٦٠٧ الاحاديث الموافقة لمذهبنا فى مصادر السنيين
- ٦٠٨ الاحاديث المتأثرة بالاسرائيليات فى مصادر السنيين

- ٦٠٩ البخارى يفضل أنبياء بنى إسرائيل على نبينا
- ٦١٢ احسن تصور فى مصادر السنين عن شفاعت نبينا
- ٦١٤ مسألتا: الذبيح و أول من يكسى كسوة الجنة يوم القيامة
- ٦١٨ رأى أهل البيت
- ٦١٩ بحث فى إيمان عبدالمطلب و رواية أنا ابن الذبيحين
- ٦٢٥ عبدالمطلب عليه سيماء الأنبياء و بهاء الملوك
- ٦٢٦ آراء شيعية مخالفة للمشهور فى الذبيحين
- ٦٢٦ رأى الشيخ الصدوق بأن إسحاق ذبيح أيضا
- ٦٢٧ محاولة أحد المعاصرين تفسير الذبيحين بإسماعيل و إسحاق
- ٦٣٣ اول من يكسى كسوة الجنة
- ٦٣٦ شفاعت الملائكة والأنبياء والعلماء والشهداء
- ٦٣٦ من مصادرنا
- ٦٣٧ من مصادر السنين
- ٦٤٠ ما يوجب أمل المسلم بشفاعة إخوانه المؤمنين له
- ٦٤٠ من مصادر السنين
- ٦٤١ شفاعت القرآن، والكعبة، والحجاج، والزوار
- ٦٤١ و اصناف أخرى من الناس...
- ٦٤٢ شفاعت القرآن
- ٦٤٤ شفاعت سور القرآن و آياته
- ٦٤٦ شفاعت القرآن لمن يتعلمه و يعلمه
- ٦٤٦ شفاعت الكعبة لمن زاره
- ٦٤٧ شفاعت حجاج بيت الله الحرام
- ٦٤٩ شفاعت النبى الخاصة لزوار قبره
- ٦٥٠ المجلد ٤

- ٦٥٠ فهرست مطالب كتاب: العقائد الإسلامية (المجلد ٤)
- ٦٥٤ شفاعة أحد شيعة أهل البيت
- ٦٥٤ اويس القرني أحد كبار الشفعاء شفيع تشتاق اليه الجنة
- ٦٥٥ اويس خير التابعين
- ٦٥٦ خير التابعين صارت: من خير التابعين
- ٦٥٦ هل أن كلمة (من) إضافة أموية
- ٦٥٧ كان أويس أسمر اللون جسيما مهيبا
- ٦٥٨ صورة من تراحم المسلمين على أويس
- ٦٥٨ شعاره الصدق والجد في أمر الله تعالى
- ٦٥٨ و هو صاحب مدرسة في شكر نعم الله تعالى
- ٦٥٨ زاهد يضرب بزهد المثل
- ٦٥٩ زاهد يحمل هم الفقراء و يتصدق عليهم حتى بطعامه و ثيابه
- ٦٦٠ و قد ربي أويس تلاميذ على سيرته
- ٦٦٠ رأيه في الحكام غير على
- ٦٦١ اضطهاد مخابرات الخلافة لاويس
- ٦٦٢ اويس من شيعه على
- ٦٦٣ صاحب البصيرة الزاهد، شجاع مجاهد
- ٦٦٤ نسب أويس القرني و نسبه
- ٦٦٥ عشيرة الأويسات أو اللويسات السوريه
- ٦٦٥ روايات لقائه بعمر و استغفاره له
- ٦٦٨ روايات توجب الشك في استغفاره لعمر
- ٦٧١ من هم الذين خاطبهم النبي في البشارة بأويس؟
- ٦٧١ آراء شاذة و أخرى مشبوّهة الهدف في أويس
- ٦٧٣ فقد صرح متعصبوا الحنابلة بتفضيل بعض أصحابهم على أويس القرني

- ٦٧٨ و زعم بعضهم أن قبر أويس طار من الأرض
- ٦٧٩ آراء مضادة مغالية في أويس القرني
- ٦٨٢ صورة عن أويس القرني من مصادرنا روائح الجنة تفوح من قرن!
- ٦٨٢ خير التابعين و نفس الرحمن
- ٦٨٣ كان راعى إبل فصار الشفيح الموعود
- ٦٨٣ اويس من أركان التشيع لعلى
- ٦٨٤ اويس ختام المسك الموعود فى حرب الجمل
- ٦٨٥ اويس ختام المسك الموعود فى حرب صفين
- ٦٨٦ متفرقات عن أويس
- ٦٨٧ من الأدعية المروية عن أويس
- ٦٨٩ شفاعه أويس القرني لمئات الألوف أو الملايين
- ٦٩١ نتيجة
- ٦٩٢ النواصب مطرودون من الشفاعه والجنة
- ٦٩٢ حكم النواصب فى الفقه الإسلامى
- ٦٩٢ على ميزان الإسلام والكفر والإيمان والنفاق
- ٦٩٦ محاولة ابن حجر تجريد على من هذه الفضيلة
- ٦٩٨ قصة بريدة وحدها حجة بالغة
- ٧٠٥ من دلالات قصة بريدة
- ٧٠٦ لمحة عن بريدة و أحاديثه فى مصادرنا
- ٧١٠ والزهراء والحسنان جزء من المقياس النبوى أفض
- ٧١١ و كل (أهل البيت) جزء من المقياس النبوى
- ٧١٣ و ويل لمبغضهم
- ٧١٤ و ويل للمكذبين بفضلهم
- ٧١٤ واللعنة على ظالمهم و قاتليهم

- ٧١٥ و لا يقبل عمل المسلم إلا بحبهم
- ٧١٥ و الأمة مسؤولة عنهم يوم القيامة
- ٧١٦ و هذه الأحكام مختصة بهم و لا يقاس بهم أحد
- ٧١٦ و محبو أهل البيت و شيعتهم جزء من المقياس النبوى
- ٧١٧ كيف طبقت الخلافة القرشية سنة النبى فيهم
- ٧١٧ و أجبرت المسلمين على أن يكونوا نواصب
- ٧١٧ مرسوم آخر لخليفة المسلمين معاوية
- ٧١٨ مرسوم ثالث لخليفة المسلمين معاوية
- ٧١٨ مرسوم رابع لخليفة المسلمين معاوية
- ٧١٩ بعض ما ورد عن المقياس النبوى فى مصادرنا
- ٧٢٢ بعض ما ورد فى مصادرنا فى عدم شمول الشفاعة للنواصب
- ٧٢٢ بعض ما ورد فى مصادرنا فى أحكام التعامل مع النواصب
- ٧٢٣ النصب يجر إلى التجسيم
- ٧٢٤ فضل العلماء الذين يدفعون شبهات النواصب
- ٧٢٤ شفاعت النبى يوم القيامة بيد أهل بيته
- ٧٢٥ على صاحب لواء النبى يوم القيامة
- ٧٢٥ ماذا روت الصحاح عن رئاسة المحشر و لواء الحمد؟
- ٧٢٧ على أمر السقابة على حوض النبى يوم القيامة
- ٧٢٨ محاولات الأمويين التكذيب بأحاديث الحوض
- ٧٢٩ ندم أئمة المذاهب على تدوين أحاديث الحوض
- ٧٣٠ و النتيجة للمتأمل فى أحاديث حوض الكوثر
- ٧٣٠ نماذج من أحاديث الحوض والصحابة المطرودين
- ٧٣٢ اسس تدوين أحاديث القيامة عند علماء الخلافة
- ٧٣٤ نتيجة كلية

- ٧٣٤ احاديث أن عليا هو الساقى على الحوض والذائد عنه
- ٧٣٧ من أحاديث الحوض فى مصادرنا
- ٧٣٩ اهل البيت و شيعتهم على الحوض
- ٧٤٠ شعر حوض الكوثر فى مصادر الحديث والأدب
- ٧٤٧ على قسيم الله بين الجنة والنار
- ٧٥٣ حديث قسيم الجنة والنار فى الشعر
- ٧٥٤ على أول الواردين على النبى عند حوض الكوثر
- ٧٥٤ لا يعبر إنسان الصراط إلا بجواز من على
- ٧٥٥ عنوان صحيفة المؤمن يوم القيامة حب على
- ٧٥٥ من هو المخاطب بقوله تعالى: ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد
- ٧٥٩ شفاعه على و الأئمة من ذريته
- ٧٦٠ احاديث فى شفاعه الأئمة من أهل بيت النبى
- ٧٦٣ احاديث فى شفاعه فاطمة الزهراء
- ٧٦٧ يا فاطمة لا تبكى، على و شيعته غدا هم الفائزون فى الجنة
- ٧٦٨ نماذج من أحاديث شفاعه النبى و آله لزوار مشاهدهم المشرفة
- ٧٦٩ الشفاعه لمن زار قبر أمير المؤمنين
- ٧٧٠ الشفاعه لمن زار قبر الإمام الحسين
- ٧٧٠ الشفاعه لمن زار قبر الإمام الرضا
- ٧٧١ ختام فى بعض قواعد الشفاعه و أحكامه
- ٧٧١ النهى عن الإتكال على الشفاعه
- ٧٧٣ امل العاصين بشفاعة النبى وآله
- ٧٧٤ الاولى بشفاعة النبى وآله
- ٧٧٥ الدعاء للنبى باعطائه الشفاعه
- ٧٧٦ الدعاء بطلب الشفاعه لوالديه و أقاربه

- ٧٧٤ مسائل حول التوسل
- ٧٧٤ مفردات التوسل
- ٧٧٧ الدعاء والنداء
- ٧٧٨ التوسل فى الأديان السابقة
- ٧٧٨ الفرق بين التوسل و أنواع الشرك
- ٧٨٤ الرسول داعى الله
- ٧٨٥ المؤمنون يدعون الله تعالى وحده
- ٧٨٤ الاولياء الشياطين
- ٧٨٧ انكشاف عدم فائدة الأولياء من دون الله فى الآخرة
- ٧٨٨ لا وجود حقيقيا لولى من دون الله
- ٧٨٨ شبهة على أصل التوسل
- ٧٨٩ مسألة التوسل دقيقة و حساسة
- ٧٩١ تأكيد الأئمة على المحافظة على التوحيد فى التوسل
- ٧٩١ من هم المتوسل بهم عند المسلمين
- ٧٩٢ التوسل بغير المعصومين عند السنيين
- ٧٩٤ التوسل الواسع فى صلاة الإستسقاء
- ٧٩٤ التوسل العملى بالأعمال الصالحة
- ٧٩٥ التوسل إلى الله فى مصادر السنيين
- ٧٩٥ تعليم النبى التوسل به إلى الله تعالى
- ٧٩٤ توسل عمر بن الخطاب بالعباس عم النبى
- ٧٩٤ توسل الناس فى المحشر واستشفاعهم بالنبى
- ٧٩٤ ما ورد عندهم من الدعاء للنبى بالوسيلة
- ٧٩٨ ما هى الوسيلة التى ورد الدعاء بها للنبى؟
- ٧٩٨ احاديث تفسر الوسيلة فى مصادرنا

- ٧٩٩ خطبة الوسيلة من كتاب الكافي
- ٨٠٤ التوسل إلى الله في مصادرنا
- ٨٠٤ التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة
- ٨٠٤ التوسل إلى الله بذاته و صفاته عزوجل
- ٨٠٥ الاستشفاع إلى الله تعالى بحبه و معرفته
- ٨٠٥ افتتاح الصلاة بالتوجه إلى الله بالنبي و آله
- ٨٠٧ دلالة استحباب التوسل عند الأذان و افتتاح الصلاة
- ٨٠٧ التوجه بالنبي و آله لدفع شر السلطان
- ٨٠٧ التوجه إلى الله بالنبي و آله عند الحاجة و الشدة
- ٨١٠ الاستشفاع بالنبي و الأئمة عند زيارة قبورهم الشريفة
- ٨١١ تفسير الآيات الثلاث في التوسل
- ٨١١ عمل المفسرين السنيين لإبعاد الوسيلة عن النبي
- ٨١٥ جاؤوك، تشمل المجئ إلى قبر النبي و المجئ إلى وصيه
- ٨١٦ تفسيرنا للآيتين الكريمتين
- ٨١٨ تفسير السنيين للآيتين الكريمتين
- ٨٢٠ مناقشة تفسيرهم للآيات
- ٨٢١ على أقرب الخلق وسيلة إلى الله
- ٨٢٣ الترابط بين الوسيلة و الوصية
- ٨٢٣ الشيعة وسيلة إلى الله يوم القيامة
- ٨٢٣ ما ورد في مصادرهم من تشويش على الأحاديث المتقدمة
- ٨٢٥ آيات مؤيدة لآيات التوسل
- ٨٢٥ شذوذ الوهابيين عن اجماع المسلمين في التوسل و الإستشفاع
- ٨٢٧ تلبس ابن تيمية لتحريم التوسل و الإستشفاع
- ٨٢٨ غرض ابن تيمية من نقل التوسل من فروع الفقه إلى أصول العقائد

- ٨٢٨ هل تراجع ابن تيمية أمام القاضي أو فى سجنه عن تحريم التوسل
- ٨٣٠ علماء المذاهب الإسلامية يردون على شذوذ ابن تيمية
- ٨٣٠ نماذج من ردهم على مذهب ابن تيمية
- ٨٣١ مقتطفات من أهم كتب علماء المذاهب فى الرد على ابن تيمية
- ٨٣٧ كتاب (التوسل بالنبي و جهلة الوهابيين)
- ٨٤٢ كتاب (شفاء السقام) للإمام السبكي
- ٨٤٣ حديث توسل آدم بالنبي
- ٨٤٤ توسل عيسى بالنبي
- ٨٤٤ توسل نوح و ابراهيم و سائر الأنبياء بنبيا
- ٨٤٦ التوسل بالنبي (بعد موته)
- ٨٤٩ كتاب رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة
- ٨٥٦ كتاب (حقيقة التوسل والوسيلة فى الكتاب والسنة)
- ٨٦٠ المجلد ٥
- ٨٦٠ فهرست مطالب كتاب: العقائد الإسلامية (المجلد ٥)
- ٨٦٧ مقدمة
- ٨٦٩ عقيدة اليهود نفى الحكمة عن الله تعالى و نفى العصمة أنبيائه
- ٨٦٩ لماذا يحسد اليهود الشعوب التى عندها مقدسات
- ٨٦٩ لم يكن اليهود موحدين حتى فى عصور أنبيائهم
- ٨٧٠ الالحاد الصريح فى اليهود الماضين والمعاصرين
- ٨٧١ افتراء اليهود على الله تعالى و نفىهم عنه العلم والعدل
- ٨٧١ وصفوا الله تعالى بأنه لا يعلم ما خلق
- ٨٧١ و وصفوه بالطيش والغضب والظلم
- ٨٧٢ و افتروا على الله تعالى بأنه ينسى عهده ثم يتذكره
- ٨٧٢ و زعموا أن يعقوب صارع الله تعالى فعجز الله أن يغلبه

- ٨٧٢ و وصفوا معبودهم بأنه موجود مادي يسكن في السماء
- ٨٧٢ و وصفوه بأن له سبعة أرواح كالقطط
- ٨٧٢ من إهانات اليهود لأنبيائهم و افتراءاتهم عليهم
- ٨٧٢ افتروا على إبراهيم بأنه كان قبل نبوته يعبد الأوثان
- ٨٧٢ و اتهموا إبراهيم بأنه تزوج سارة و هي أخته
- ٨٧٣ و اتهموه بأنه كذب على الحاكم القبطي بأن سارة أخته
- ٨٧٥ و اتهموا نبي الله إسحاق بنفس التهمة
- ٨٧٥ و اتهموا إبراهيم و بقية الأنبياء بأنهم كانوا يشربون الخمر
- ٨٧٥ و زعموا أن لوطا سكن في سدوم اختلافة مع إبراهيم
- ٨٧٥ و نسبوا إلى سارة رضى الله عنها الظلم والقسوة
- ٨٧٦ و اتهموا إبراهيم بأنه أطاع سارة و طرد هاجر و ابنها إسماعيل
- ٨٧٧ اما مصادرنا فتبرئ إبراهيم و عترته من الظلم والمعصية
- ٨٧٨ و اتهموا نبي الله هارون و موسى بالشرك والمعاصي
- ٨٧٩ و اتهموا أنبياء الله بالحيل والدجل والبلاهة
- ٨٨٠ و اتهموا يوشع بأنه ختن اليهود بسكاكين من حجر الصوان
- ٨٨٠ و افتروا على سليمان أنه أشرك بالله تعالى
- ٨٨٠ النتائج الخطيرة لتخريب اليهود لعقيدة العدل والعصمة
- ٨٨١ امتياز الشيعة عن اليهود والسنة بعقيدة العصمة التامة
- ٨٨١ نؤمن بالعدالة المطلقة لله تعالى والعصمة التامة للأنبياء والأئمة
- ٨٨٣ من أحاديث الشيعة في عصمة الأنبياء والأئمة عصمة تامة
- ٨٨٣ من شرائع ديننا عصمة الأنبياء والأوصياء
- ٨٨٤ وجوب طاعة الأنبياء والأوصياء تستوجب عصمتهم
- ٨٨٥ ضرورة بعثة الأنبياء تستوجب عصمتهم
- ٨٨٥ العصمة من أول صفات الإمام

- ٨٨٥ احاديث نصت على إمامة الأئمة الإثني عشر و عصمتهم
- ٨٨٧ كتاب كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الإثني عشر
- ٨٩٣ العصمة التامة هي الوسطية بين الغلو والتقصير
- ٨٩٤ من كلمات علماء الشيعة في عصمة الأنبياء والأئمة
- ٨٩٤ الانبياء معصومون مطهرون كاملون
- ٨٩٥ العصمة عن الذنوب، والغلط، والرذائل، وما ينفر
- ٨٩٥ جليلنا
- ٨٩٥ اصل الأدلة عندنا على العصمة التامة: الدليل العقلي
- ٩٠١ العصمة لاتعني الإجبار، و لا تنافي الإختيار
- ٩٠٥ دفاع أهل البيت و شيعتهم عن عصمة الأنبياء
- ٩٠٥ الامام الصادق يتألم لظلم الناس للأنبياء والأوصياء
- ٩٠٥ اشاره
- ٩١٠ ملاحظة
- ٩١١ استغفار الأنبياء والأوصياء وابتلاؤهم لم يكن بسبب الذنوب
- ٩١١ اشاره
- ٩١٢ ملاحظة
- ٩١٢ هشام بن الحكم يدافع عن عصمة الأنبياء والأئمة تحت سيف هارون الرشيد
- ٩١٥ مرجع الشيعة الشيخ المفيد رحمه الله يدافع عن عصمة نبينا
- ٩١٥ مرجع الشيعة السيد المرتضى قدس سره يؤلف كتابا في تنزيه الأنبياء
- ٩١٦ مقتطفات من كتاب تنزيه الأنبياء
- ٩١٦ بيان الخلاف في نزاهة الأنبياء عن الذنوب
- ٩١٧ تنزيه آدم عن الغواية
- ٩١٨ تنزيه نوح عما لا يليق به
- ٩١٨ تنزيه إبراهيم عن الكفر والعصيان

- ٩١٩ تنزيه إبراهيم عن الشك في الله تعالى
- ٩١٩ تنزيه إبراهيم عن الإستغفار للكفار
- ٩١٩ تنزيه يعقوب عن إيقاع التحاسد بين بنيه
- ٩١٩ تنزيه يعقوب عن الحزن المكروه
- ٩١٩ تنزيه يوسف عن الصبر على الإستعباد
- ٩١٩ تنزيه يوسف عن الهم بالمعصية
- ٩١٩ في أن أيوب ابتلى امتحانا لا عقابا
- ٩٢٠ تنزيه موسى عن العصيان بالقتل
- ٩٢٠ تنزيه يونس عن الظلم والمعصية بمغاضبته قومه
- ٩٢٣ معركة تنزيه الأنبياء بين الشيعة و مخالفهم
- ٩٢٣ موقف علماء الشيعة الثابت: تأويل الآيات التي يبدو منها...
- ٩٢٤ لا عصمة للأنبياء عند السنين لكن الصحابة عندهم معصومون
- ٩٣٠ نماذج من آراء علمائهم في عصمة الأنبياء
- ٩٣٠ رأى الغزالي
- ٩٣١ رأى الأمدى
- ٩٣٢ رأى القاضى عياض
- ٩٣٣ رأى الفخر الرازى
- ٩٣٥ ملاحظات على كتاب عصمة الأنبياء للفخر الرازى
- ٩٣٥ الملاحظة ٠١
- ٩٣٥ الملاحظة ٠٢
- ٩٣٧ رأى ابن تيمية و مشبهة الحنابلة في عصمة الأنبياء
- ٩٣٧ ابن تيمية يهاجم الشيعة لقولهم بعصمة الأنبياء
- ٩٣٧ السبب الغريب لهجوم ابن تيمية على العصمة
- ٩٣٩ دفاع ابن تيمية عن اليهود و عن أسطورة الغرائق

- ٩٤٠ ابن تيمية يجوز أن يكون النبي كافرا فاسقا شريرا
- ٩٤٠ البخارى ينقض عصمة الأنبياء و يفترى عليهم
- ٩٤٠ صحيح البخارى مشحون بالإسرائيليات التى تطعن فى الأنبياء و أسوأ منها القرشيات التى تطعن فى نبينا
- ٩٤٠ نبى الله إبراهيم يكذب
- ٩٤١ نبى الله موسى غضوب بطاش
- ٩٤١ نبى الله موسى يركض عاريا وراء ثيابه
- ٩٤١ نبى الله سليمان مفرط فى الجنس، معرض عن ذكر الله
- ٩٤٢ البخارى يروى تفضيل نبينا على الرسل والبشر
- ٩٤٢ ثم يتراجع البخارى و يفضل نبى الله موسى على نبينا لكنه يفضل قريشا على اليهود
- ٩٤٣ و يفضل عيسى على نبينا
- ٩٤٣ و يروى النهى عن تفضيل الأنبياء على بعضهم
- ٩٤٤ الانبياء عند البخارى عصبون كما فى التوراة
- ٩٤٤ قرشيات البخارى فى الطعن بنبينا أسوأ من إسرائيلياته
- ٩٤٥ روايات البخارى المشينة فى سلوك نبينا
- ٩٤٥ البخارى يفتتح صحيحه بالطعن فى نبوة نبينا
- ٩٤٦ غرائيق قريش و محاولات التغطية على البخارى
- ٩٤٧ البخارى يروى فريفة الغرائيق فى ست مواضع
- ٩٥٠ تناقض الفخر الرازى فى حديث الغرائيق
- ٩٥٣ القاضى عياض أكثر علماء السنة اعتدالا فى عصمة نبينا
- ٩٥٥ غرائيق قريش يتصيدا بروكلمان و مونتغمرى
- ٩٥٦ ملاحظات على قصة الغرائيق
- ٩٦٠ عمر عندهم معصوم و أفضل من جميع الأنبياء
- ٩٦٠ النبى معصوم نظريا، و أبوبكر و عمر معصومان عمليا
- ٩٦٠ مقولة عدالة الصحابة سياج لعصمة أبى بكر و عمر

- ٩٤١ اضطرارهم لتضييق سياج الصحابة بأهل بدر و بيعه الرضوان
- ٩٤٢ عصمة عمر عندهم أعلى من عصمة جميع الأنبياء
- ٩٤٤ النبي عندهم أضعف من عمر أمام شيطانه
- ٩٤٦ و زعموا أن الله تعالى يتكلم بلسان عمر
- ٩٤٦ و زعموا أن الملائكة تحدث عمر
- ٩٤٧ و الفوا مؤلفات في الأخطاء النبوية والتصحيحات العمرية
- ٩٤٨ و اخترع الذهبي قاعدة خاصة لعصمة عمر و أبي بكر
- ٩٤٩ و غيروا إسم العصمة لإثباتها لعمر و أبي بكر
- ٩٤٩ و من لعبهم بالألفاظ و ادعائهم الأدب مع النبي
- ٩٧٠ و منهم أخذ الصوفيون عصمة الأقطاب و حفظ الأولياء
- ٩٧٠ رأى التفتازاني: في عصمة أبي بكر و عمر و عدالة باقي الصحابة
- ٩٧١ نقد منطق التفتازاني في العصمة في مسائل
- ٩٧١ المسألة ٠١
- ٩٧٢ المسألة ٠٢
- ٩٧٣ المسألة ٠٣
- ٩٧٣ المسألة ٠٤
- ٩٧٤ ابوبكر و عمر معصومان عند الغزالي، لكن لا يجب تقليدهما
- ٩٧٥ هل تشيع الغزالي في آخر عمره؟
- ٩٧٧ النقد الذاتي قليل نادر في علمائهم
- ٩٧٨ السلطة القرشية تتبع اليهود حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل
- ٩٧٨ تقليد اليهود.. من مصادرة الخلافة الي.. ترك الصلاة
- ٩٨٢ اعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر و أبي بكر
- ٩٨٢ بدأ نشاطهم بعد النبي واستمر إلى يومنا هذا
- ٩٨٢ حملوا آيات مدح الصحابة أكثر مما تحتمل

- ٩٨٥ غيبوا الآيات الصريحة في نقد الصحابة و ذمهم
- ٩٨٦ لايد من ميزان لتقييم الصحابة
- ٩٨٧ وضعوا أحاديث في مدح الصحابة و عصمتهم
- ٩٨٧ ليقابلوا بها أحاديث عصمة العترة
- ٩٨٨ نقد حديث: خير القرون قرنى
- ٩٨٩ و معناه أن التاريخ الإسلامى يسير إلى الإنحدار، والأمة إلى الزوال
- ٩٨٩ الخط البيانى للأمة.. نزول ثم صعود
- ٩٩٠ تخبط الشراح في حديث خير القرون قرنى
- ٩٩٢ ردهم شهادات النبى في انحراف الصحابة بعده
- ٩٩٣ الامام مالك يعض يديه ندما لروايته أحاديث الحوض
- ٩٩٤ قرنوا الصحابة بالنبى في الصلاة عليه من أجل عمر
- ٩٩٤ من الذى حذف الصلاة على آل النبى؟! ومن أين جاء قولهم، أو عليه وآله صحبه و سلم؟
- ٩٩٥ من الذى وضع الصلاة على الصحابة بدل الآل أو معها؟
- ٩٩٨ عصموا البخارى من أجل عصمة عمر
- ٩٩٩ مات البخارى قبل أن يكمل كتابه، فأكملة جماعة المتوكل
- ٩٩٩ السر في تبنيهم كتاب البخارى
- ٩٩٩ هل أن تبني البخارى عمل علمى أم ضد العلم؟
- ١٠٠٠ نظرية إجماع العوام بيد السلطة و رجال الدين
- ١٠٠٠ الجام العوام عن قبول شهادة الصحابة بحق أنفسهم
- ١٠٠٠ الجام العوام عن قبول إقرار بعض الصحابة بالمعصية
- ١٠٠٠ الجام العوام عن قبول شهادة النبى لقاتل عمار بالنار
- ١٠٠١ ابن حنبل يقول: صحابى في النار
- ١٠٠٢ الجام العوام عن قبول شهادة ثقة و أمين أسراره
- ١٠٠٣ الجام العوام لتغطية مؤامرة خير القرون لقتل النبى

- ١٠٠٣----- الجام العوام لتغطية اضطهاد خير القرون لأهل بيت نبينهم
- ١٠٠٤----- الجام العوام عن تصديق القرآن بأن أكثرية خير القرون لن يؤمنوا
- ١٠٠٤----- من أساليبيهم فى إلام العوام
- ١٠٠٤----- تمبيع الحقائق و حلف الإيمان
- ١٠٠٥----- تعليم العوام إنكار الحقائق نهارا جهارا
- ١٠٠٥----- الجام أطفال المسلمين بتربيتهم على عصمة عمر
- ١٠٠٨----- الجام العوام باستخدام وسائل الإعلام
- ١٠٠٨----- العصمة والمعصومون فى القرآن
- ١٠٠٨----- المعصومون ثمرة الوجود البشرى
- ١٠٠٩----- آيات العصمة فى القرآن
- ١٠٠٩----- آيات الإستخلاف
- ١٠٠٩----- لا يكون خليفة الله فى الأرض إلا معصوما
- ١٠١٠----- تكريم بنى آدم لا يعنى استخلافهم لأنه تكريم تكوينى واقتضائى
- ١٠١١----- خلفاء الله فى الأرض ليس بالضرورة أن يكونوا حكاما
- ١٠١٢----- تعليم آدم الأسماء دليل على عصمة خلفاء الله تعالى
- ١٠١٣----- آيات الإصطفاء الإلهى
- ١٠١٥----- آيات الإصطفاء الإلهى
- ١٠١٦----- معنى الإصطفاء و أنواعه
- ١٠١٦----- تفسير آية: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفين
- ١٠١٧----- الآية من متشابهات القرآن
- ١٠١٧----- القرطبى يرفض التفسير الرسمى
- ١٠١٨----- تفسير أهل البيت
- ١٠٢٠----- اختصاص أهل البيت بعلم الكتاب لا يلغى حجيتة
- ١٠٢٠----- ابناء فاطمة و أتباع أهل البيت ورثة مجازيون للكتاب

- ١٠٢٠ الظالم لنفسه درجات متفاوتة
- ١٠٢١ رأى علماء الشيعة
- ١٠٢١ بعض مفسرى الشيعة وافق على تفسير عمر و كعب
- ١٠٢٢ اهم الإشكالات على التفسير الحكومى
- ١٠٢٧ التوريث الإلهى للكتاب مقام عظيم
- ١٠٢٨ آيات الإستخلاص والإجتباء الإلهى
- ١٠٢٨ اخلاص الدين لله تعالى
- ١٠٢٨ دعاء الله بانقطاع و إخلاص
- ١٠٢٨ المخلصون المستخلصون
- ١٠٢٩ المخلصون ناجون من الضلال والهلاك
- ١٠٢٩ المخلصون مقربون من الله و ليسوا أبناءه
- ١٠٢٩ المخلصون ناجون من العذاب مكرمون فى الجنة
- ١٠٢٩ يتمنى غير المخلصين أن يكونوا منهم
- ١٠٢٩ معنى الإخلاص والمخلص
- ١٠٣٠ دلالة الإستخلاص الإلهى على العصمة
- ١٠٣٢ آيات الإجتباء تشبه آيات الإستخلاص
- ١٠٣٤ آيات نفى سلطان الشيطان على المخلصين
- ١٠٣٤ وجه دلالتها على العصمة
- ١٠٣٨ الحكمة من نزول آيات متشابهة فى عصمة الأنبياء
- ١٠٤٠ معجزة الجغرافية القرآنية
- ١٠٤١ العصمة و قاعدة اللطف
- ١٠٤١ معنى العصمة فى القرآن واللغة والحديث
- ١٠٤٣ من تعريفات المتكلمين للعصمة
- ١٠٤٣ قاعدة اللطف الإلهى التى استدل بها علماؤنا على العصمة

- ١٠٤٣ ----- قاعدة اللطف عقلية و شرعية
- ١٠٤٥ ----- اللطف الإلهي في القرآن
- ١٠٤٦ ----- اللطف في أحاديث النبي و آله
- ١٠٤٧ ----- من كلمات علمائنا في قاعدة اللطف
- ١٠٤٩ ----- رد الفقهاء للإستدلال بقاعدة اللطف في الفقه
- ١٠٥٠ ----- ضرر الإغراق في التأصيل بقاعدة اللطف
- ١٠٥١ ----- كيف يلطف الله تعالى بالمعصوم
- ١٠٥٥ ----- درجات العصمة واللطف بالمعصومين
- ١٠٥٨ ----- عصمة نبينا و آله أرقى أنواع العصمة
- ١٠٥٩ ----- النبي و عترته المعصومون منظومة خاصة لا يقاس بهم أحد
- ١٠٦٠ ----- درجة شيعه النبي و آله في أحاديث الطرفين
- ١٠٦٢ ----- زيادة رزين العبدري عن أبي داود
- ١٠٦٣ ----- تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

العقائد الإسلامية: عرض مقارنة لأهم موضوعاتها من مصادر السنة والشيعه

إشارة

عنوان و نام پديد آور: العقائد الإسلامية: عرض مقارنة لأهم موضوعاتها من مصادر السنة والشيعه/ قام باعداده مركز المصطفى للدراسات الإسلامية؛ برعايه على السيد السيستاني.

مشخصات نشر: قم: مركز المصطفى للدراسات الإسلامية، ١٤١٩ق = ١٣٧٧.

مشخصات ظاهري: ٥ ج.

شابك: دوره ٦-١١٧-٣١٩-٩٦٤؛ ٧٠٠٠ ريال: ج. ٤١-١١٨-٣١٩-٩٦٤؛ ٧٠٠٠ ريال: ج. ٢٢-١١٩-٣١٩-٩٦٤؛ ٧٠٠٠ ريال: ج.

٤٤-١٢١-٣١٩-٩٦٤:

يادداشت: عربي.

يادداشت: ج. ٢ (چاپ اول: ١٤١٩ق = ١٣٧٧).

يادداشت: ج. ٤ (چاپ اول: ١٤٢٠ق = ١٣٧٨).

يادداشت: كتابنامه.

مندرجات: ج. ١. الفطره والمعرفه. - ج. ٣. الشفاعه. - ج. ٤. يشتمل على مسائل: شفاعه اهل البيت عليهم السلام والاستشفاع والتوسل

موضوع: اسلام -- عقايد

شناسه افزوده: سيستاني، على، ١٣٠٩، -، مصحح

شناسه افزوده: مركز المصطفى للدراسات الإسلامية

رده بندي كنگره: ١٣٧٧٧٤/BP٢٠٣

رده بندي ديويي: ٢٩٧/٤١

شماره كتابشناسي ملي: م٧٧-١٤٤٨٦

المجلد ١

فهرست مطالب كتاب: العقائد الإسلامية (المجلد ١)

العقائد الإسلامية (المجلد ١)

الفطره

آيات فطره السماوات والكون

انفطار الكون عند القيامة

تكاد السماوات تتفطر من عظمة الله

تكاد السماوات تتفطر من الافتراء على الله

فطره الله التي فطر الناس عليه

الفطره الأولى والفطره الثانية

فطره الناس على معرفة الله تعالى و توحيد

الفطرة حالة استعداد لا تعنى الاجبار و سلب الاختيار

الفطرة والميثاق و عالم الدر

عالم الدر

تذكير الأنبياء بميثاق الفطرة

كل مولود يولد على الفطرة

و كل الحيوانات فطرت على معرفة الله تعالى

التوجه الفطرى إلى الله تعالى

رأى صاحب تفسير الميزان فى عالم الدر والمعرفة والميثاق

عوامل وجود الإنسان

من روايات عالم الأشباح (ظلال النور)

من روايات عالم الاظلة

من روايات عالم طينة الخلق

من آيات و روايات عالم الملكوت

من آيات و روايات عالم الخزائن

الفطرة بمعنى الولادة فى الإسلام

قولهم من ولد على الإسلام فهو من أهل الجنة

القول بأن من ولد فى الإسلام فهو من أهل الجنة

الفطرة والنبوة والشرايع الإلهية

معنى الفطرة والصبغة

دور الفطرة فى المعرفة والثقافة والحضارة

بحث فى دور الفطرة والنبوة فى الحياة الإنسانية

امور ورد أنها من الفطرة

امور ورد أنها تضر بالفطرة

تقوية الفطرة و تضعيفها و إساءة استعمالها

قابلية الفطرة للتقوية والتخريب

قدوات البشرية فى فطرتهم المستقيمة

آدم فطرة الله تعالى

ابراهيم إمام الإستقامة على الفطرة

نبينا رائد العارفين و رائد سعادتن

خط الفطرة لم ينقطع من ذرية إبراهيم

عمار علم الثابتين على الفطرة بعد النبى

على إمام الثابتين على الفطرة

ولاية على علامة على صحة الفطرة و طيب المولد

وجوب المعرفة والنظر

وجوب معرفة الله تعالى و منشؤها

وجوب معرفة الله تعالى و أنها أساس الدين

معرفة الله تعالى و توحيده نصف الدين

لا تتحقق العبادة إلا بالمعرفة

فضل معرفة الله تعالى

الحث على مجالسة أهل المعرفة

فضل من مات على المعرفة

نعمة معرفة حمد الله و شكره

نعمة معرفة كرم الله و آلائه

معرفة الله لا تكون إلا بالله و من الله

لا يفوز الإنسان بالمعرفة إلا بإذن الله تعالى

الهداية والإضلال من الله تعالى لكن الإضلال باستحقاق العبد

دعاء طلب المعرفة من الله تعالى

وسائل معرفة الله

اداء معرفة الله تعالى: العقل

لا يحاسب الله الناس إلا على قدر معرفتهم، و ما بين لهم، و ما آتاهم

من أسباب المعرفة و آثارها

ما يورث المعرفة

ما تورثه المعرفة

ما يفسد المعرفة و يطفى نوره

خطر ضلال الأمم بعد المعرفة

كان نبينا يخاف على أمته الضلال بعد المعرفة

وضع المعرفة فى بنى اسرائيل بعد موسى

اتهمهم نبيهم موسى بأنه لم يعرف الله تعالى

بولس يصف فساد الناس فى عصره و بعدهم عن المعرفة

المعرفة التى دعا إليها بولس الذى نصر النصارى

متى اخترع المسيحيون التثليث بعد التوحيد

متى تجب المعرفة على الإنسان

فى أى سن يجب التفكير والمعرفة

حكم الإنسان فى مرحلة التفكير والبحث

تجب المعرفة بالتفكير و لا يصح فيها التقليد

المعرفة والعمل

اشتراط كل من المعرفة والعمل بالآخر
 افضل الأعمال بعد معرفة العقائد
 اقل ما يجب، و أقصى ما يمكن، من المعرفة
 المعرفة لا تتوقف على علم الكلام
 و يكفى الدليل الاجمالي فى المعرفة
 العجز عن معرفة ذات الله تعالى
 النهى عن الفضولية فى معرفة الله تعالى
 انواع من المعرفة والعارفين
 المعرفة الحقيقية والمعرفة الشكلية
 تحير المتصوفة فى دور العقل فى المعرفة
 تحيرهم فى الفرق بين العلم والمعرفة
 تصوراتهم عن العارف بالله تعالى
 المؤلفه قلوبهم بالمال لكى يعرفوا
 دعوة العدو فى الجهاد إلى معرفة الله تعالى
 معرفة أهل الآخرة بديهية لا كسبية
 بحث للشيخ الطوسى فى تعريف الإيمان والكفر
 بحث للشهيد الثانى فى تعريف الإيمان والكفر
 هل يمكن أن يصير المؤمن كافرا
 هل تزول المعرفة والإيمان بإنكار الضرورى؟
 هل أن الكافر يعرف الله تعالى؟
 بحث فى معرفة الله تعالى عن طريق معرفة النفس
 الموقف الفقهي من الدعوة إلى معرفة الله تعالى عن طريق معرفة النفس
 معرفة النبى والأئمة
 يجب على كل الناس معرفة النبى
 يعرف النبى بالمعجزة والإمام بالنص والمعجزة
 و تجب معرفة الأئمة لأن الله تعالى فرض طاعتهم
 و تجب معرفتهم لأن الله تعالى فرض مودتهم
 و تجب معرفتهم لأن الله تعالى فرض الصلاة عليهم
 و تجب معرفتهم لانهم أهل الذكر الذين أمرنا الله بسؤالهم
 و تجب معرفتهم لأن الأعمال لا تقبل إلا بولايتهم
 و تجب معرفتهم لأنهم محال معرفة الله تعالى
 و تجب معرفتهم لأنها طريق معرفة الله تعالى
 و تجب معرفتهم لحديث: من مات و لم يعرف إمام زمانه

قَالَ يٰٓرَبُّكُمْ رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ الَّذِى فَطَرَهُنَّ وَاَنَا عَلٰى ذٰلِكُمْ مِنَ الشّٰهِدِيْنَ. وَتَالِىهِ لِاَكِيْدَنَّ اَصِيْنَامَكُمْ بَعِيْدَ اَنْ تُوَلُّوْا مُدْبِرِيْنَ.

الأنبياء: ٥٦ - ٥٧

يٰٓاَقُوْمَ لَا- اَسْءَلُكُمْ عَلَيْهِ اَجْرًا اِنْ اَجْرِيْ اِلَّا- عَلٰى الَّذِى فَطَرَنِيْ اَفَلَا تَعْقِلُوْنَ. وَيٰٓاَقُوْمَ اَسِيْتَعْفِرُوْا رَبُّكُمْ ثُمَّ تُوْبُوْا اِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمٰوٰتِ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدُّكُمْ قُوَّةً اِلٰى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِيْنَ. هود: ٥١ - ٥٢

فَاطِرُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ اَنْفُسِكُمْ اَزْوَاجًا وَمِنَ الْاَنْعَامِ اَزْوَاجًا يَذُرُّوْكُمْ فِيْهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيْعُ الْبَصِيْرُ. الشورى:

١١

الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوٰتٍ طِبَاقًا مَا تَرٰى فِيْ خَلْقِ الرَّحْمٰنِ مِنْ تَفٰوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرٰى مِنْ فُطُوْرٍ. الملك: ٣
الْحَمْدُ لِلّٰهِ فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ جَاعِلِ الْمَلٰٓئِكَةَ رُسُلًا اُولٰٓى اُجْنِحَةٍ مِّثْنٰى وَثَلٰثَ وَرُبَاعًا يَزِيْدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَآءُ اِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ. فاطر: ١

قُلِ اللّٰهُمَّ فَاطِرَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ اَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيْ مَا كَانُوْا فِيْهِ يَخْتَلِفُوْنَ. الزمر: ٤٦
قُلْ اَغْيَرِ اللّٰهُ اَنْحِدُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ اِنِّيْ اُمِرْتُ اَنْ اَكُوْنَ اَوَّلَ مَنْ اَسْلَمَ وَلَا تَكُوْنَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ.

الأنعام: ١٤

اِنِّيْ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ حَنِيفًا وَمَا اَنَا مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ. الأنعام: ٧٩
رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِيْ مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِيْ مِنْ تَاْوِيْلِ الْاَحَادِيْثِ فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ اَنْتَ وَاِنِّيْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفِّيْ مُسْلِمًا وَالْحَقِيْقِيْ
بِالصّٰلِحِيْنَ. يوسف: ١٠١

انفطار الكون عند القيامة

اِذَا السَّمٰوٰتُ اَنْفَطَرَتْ. وَاِذَا الْكَوٰكِبُ اُنْتَثَرَتْ. وَاِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ. وَاِذَا الْقُبُوْرُ بُعْثِرَتْ. عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَاَخَّرَتْ. الانفطار: ١ - ٥
فَكَيْفَ تَتَّقُوْنَ اِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا. السَّمٰوٰتُ مُنْفَطِرٌ بِهٖ كَانَ وَعِيْدُهُ مَفْعُوْلًا. اِنْ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَآءَ اتَّخَذْ اِلٰى رَبِّهِ سَبِيْلًا.
المزمل: ١٧ - ١٩

تكاد السماوات تنفطر من عظمة الله

تَكَادُ السَّمٰوٰتُ يَتَفَطَّرُوْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُوْنَ بِحَمْدِ رَبِّهِنَّ وَيَسْتَغْفِرُوْنَ لِمَنْ فِي الْاَرْضِ اِلَّا اِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْعَفُوْرُ الرَّحِيْمُ الشورى: ٥،
وقال فى بحار الأنوار: ٧٠/٣٤٦: تَكَادُ السَّمٰوٰتُ يَتَفَطَّرُوْنَ، اى يتشققن من عظمة الله، وروى على بن ابراهيم عن الباقر عليه السلام: اى
يتصدعن من فوقهن. انتهى. وروى نحوه السيوطى فى الدر المنثور: ٦/٣

تكاد السماوات تنفطر من الافتراء على الله

تَكَادُ السَّمٰوٰتُ يَتَفَطَّرُوْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْاَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَيْدًا. اَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَدًا. وَمَا يَنْبَغِيْ لِلرَّحْمٰنِ اَنْ يَّتَّخِذَ وَلَدًا. اِنْ كُلُّ مَنْ فِي
السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ اِلَّا اَتٰى الرَّحْمٰنِ عَبْدًا. لَقَدْ اَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا. مريم: ٩٠ - ٩٣

فطرة الله التي فطر الناس عليه

وَقَالُوْا كُوْنُوْا هُوْدًا اَوْ نَصٰرٰى تَهْتَدُوْا قُلْ بَلْ مِلَّةٌ اِبْرٰهِيْمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ. قُوْلُوْا اٰمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا اُنزِلَ اِلَيْنَا وَمَا اُنزِلَ اِلٰى اِبْرٰهِيْمَ
وَاسِيْمَاعِيْلَ وَاِسْحٰقَ وَيَعْقُوْبَ وَالْاَسْبٰطِ وَمَا اُوْتِيَ مُوسٰى وَعِيسٰى وَمَا اُوْتِيَ النَّبِيُّوْنَ مِنْ رَبِّهٖمْ لَا نَفَرَّقُ بَيْنَ اَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُوْنَ.

فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. صَبَّغَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صَبَّغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ. قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ. البقرة: ١٣٥ - ١٣٩

إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ. هود: ٥١

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ. إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ. وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ. الزخرف: ٢٦ - ٢٨

وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ. اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ. وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونَ. يس: ٢٠ - ٢٣.

قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى. قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأَصِدِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّيْنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى. قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. طه: ٧٠ - ٧٢

الفطرة الأولى والفطرة الثانية

وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا. قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدًا. أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكُمْ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا. يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا. الإسراء: ٤٩ - ٥٢

فطرة الناس على معرفة الله تعالى وتوحيده

نهج البلاغة: ١/٢١٥: (١١٠ - ومن خطبة له عليه السلام: إن أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله سبحانه وتعالى الإيمان به وبرسوله، والجهاد في سبيله فإنه ذروة الإسلام، وكلمة الاخلاص فإنها الفطرة، وإقام الصلاة فإنها الملة). ورواه في الفقيه: ١/٢٠٥

الكافي: ٢/١٢: (على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت: فطرة الله التي فطر الناس عليها؟ قال: التوحيد).

على بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: فطرة الله التي فطر الناس عليها، ما تلك الفطرة؟ قال: هي الإسلام، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد، قال: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ وفيهم المؤمن والكافر.

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ؟ قال: الحنيفية من الفطرة التي فطر الله الناس عليها. لا تبدل لخلق الله؟ قال: فطرهم على المعرفة به.

المحاسن للبرقي: ١/٢٤١: (عنه، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن عمر بن أذينة قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ، ما الحنيفية؟ قال: هي الفطرة التي فطر الناس عليها، فطر الله الخلق على معرفته.

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن علي بن رثاب، عن زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: فطرة الله التي فطر الناس عليها؟ قال: فطرهم جميعاً على التوحيد.

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن فضال، عن ابن أبي عمير، عن محمد الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: فطرة الله التي فطر الناس عليها؟ قال: فطرهم على التوحيد.

عنه، عن الحسن بن علي بن فضال، عن ابن بكير، عن زرارة قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَيْنِ أَدَمَ

مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ. قال: ثبتت المعرفة في قلوبهم ونسوا الموقف وسيدكرونه يوماً ما، ولو لا ذلك لم يدر أحد من خالقه ولا من رازقه.

ورواه في علل الشرائع: ١/١١٧، ورواه في تفسير القمي، وفيه: فمنهم من أقر بلسانه في الذر ولم يؤمن بقلبه فقال الله: فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل.

التوحيد للصدوق/٣٢٨-٣٣٠: (روى الصدوق عشر روايات تحت عنوان (باب فطرة الله عز وجل الخلق على التوحيد) وقد تقدم أكثرها، وجاء في السابعة منها (التوحيد ومحمد رسول الله وعلى أمير المؤمنين).

معاني الأخبار للصدوق/٣٥٠: (محمد بن أبي عمير، عن عمر بن أذينة، عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ، وقلت: ما الحنيفة؟ قال: هي الفطرة. انتهى. ورواه في بحار الأنوار: ٣/٢٧٦، وروى عدداً وافراً من هذه الأحاديث: ٣/٢٧٦ وج ٥/١٩٦ وص ٢٢٣، والحلي في مختصر بصائر الدرجات/١٥٨-١٦٠، والحويزي في تفسير نور الثقلين: ٢/٩٦ وج ٤/١٨٦.... وغيرهم.

الفطرة حالة استعداد لا تعنى الاجبار و سلب الإختيار

نهج البلاغة: ١/١٢٠: (اللهم داخى المدحوات وداعم المسموكات، وجابل القلوب على فطرتها، شقيها وسعيدها، إجعل شرائف صلواتك ونوامى بركاتك على محمد عبدك ورسولك، الخاتم لما سبق، والفتاح لما استقبل).

علل الشرائع: ١/١٢١: (أبي، قال حدثنا سعد بن عبدالله، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن أبيه، عن غير واحد، عن الحسين بن نعيم الصحاف قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أيكون الرجل مؤمناً قد ثبت له الإيمان ينقله الله بعد الإيمان إلى الكفر؟ قال: إن الله هو العدل، وإنما بعث الرسل ليدعو الناس إلى الإيمان بالله، ولا يدعو أحداً إلى الكفر. قلت فيكون الرجل كافراً قد ثبت له الكفر عند الله فينقله الله بعد ذلك من الكفر إلى الإيمان؟ قال: إن الله عز وجل خلق الناس على الفطرة التي فطرهم الله عليها لا يعرفون إيماناً بشريعته ولا كفراً ببحود، ثم ابتعث الله الرسل إليهم يدعونهم إلى الإيمان بالله، حجةً لله عليهم، فمنهم من هداه الله، ومنهم من لم يهده. انتهى. ورواه في الكافي: ٢/٤١٦، وجاء في هامشه:

قال المجلسي رحمه الله: الظاهر أن كلام السائل استفهام، وحاصل الجواب: أن الله خلق العباد على فطرة قابلة للإيمان، وأتم على جميعهم الحجة بإرسال الرسل وإقامة الحجج، فليس لأحد منهم حجة على الله في القيامة، ولم يكن أحد منهم مجبوراً على الكفر لا بحسب الخلقة ولا من تقصير في الهداية وإقامة الحجة، لكن بعضهم استحق الهدايات الخاصة منه تعالى فصارت مؤيدة لإيمانهم، وبعضهم لم يستحق ذلك لسوء اختياره، فمنعهم تلك الألفاظ فكفروا، ومع ذلك لم يكونوا مجبورين ولا مجبولين بعد ذلك من الإيمان إلى الكفر.

تفسير العياشي: ١/١٠٤:

عن مسعدة عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ.

فقال: كان ذلك قبل نوح. قيل: فعلى هدى كانوا؟ قال: بل كانوا ضلالاً، وذلك أنه لما انقضى آدم وصالح ذريته بقي شيث وصيه لا يقدر على إظهار دين الله الذي كان عليه آدم وصالح ذريته، وذلك أن قابيل تواعده بالقتل كما قتل أخاه هابيل، فسار فيهم بالثنية والكتمان، فازدادوا كل يوم ضلالاً حتى لم يبق على الأرض معهم إلا من هو سلف، ولحق الوصي بجزيرة في البحر يعبد الله، فبدأ الله تبارك وتعالى أن يبعث الرسل، ولو سئل هؤلاء الجهال لقالوا: قد فرغ من الأمر وكذبوا إنما هي (هو) أمر يحكم به الله في كل عام، ثم قرأ: فيها يفرق كل أمر حكيم، فيحكم الله تبارك وتعالى ما يكون في تلك السنة من شدة أو رخاء أو مطر أو غير ذلك.

قلت: أفضللاً كانوا قبل النبيين أم على هدى؟

قال: لم يكونوا على هدى، كانوا على فطرة الله التي فطرهم عليها لا تبديل لخلق الله، ولم يكونوا ليهدوا حتى يهديهم الله، أما تسمع يقول إبراهيم: لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ، أى ناسياً للميثاق. انتهى. ورواه فى تفسير نور الثقلين: ١/٧٣٦

تفسير التبيان: ٢/١٩٥: (فإن قيل: كيف يكون الكل كفاراً مع قوله: فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا؟ قلنا: لا يمتنع أن يكونوا كلهم كانوا كفاراً، فلما بعث الله إليهم الأنبياء مبشرين ومنذرين اختلفوا، فآمن قوم ولم يؤمن آخرون.

وروى عن أبى جعفر عليه السلام أنه قال: كانوا قبل نوح أمه واحدة على فطرة الله، لا مهتدين ولا ضلالاً، فبعث الله النبيين.... بحار الأنوار: ٦٥/٢٤٦: (وقال النيسابورى: أعلم أن جمهور الحكماء زعموا أن الإنسان فى مبدأ فطرته خال عن المعارف والعلوم، إلا أنه تعالى خلق السمع والبصر والفؤاد وسائر القوى المدركة حتى ارتسم فى خياله بسبب كثرة ورود المحسوسات عليه حقائق تلك الماهيات وحضرت صورها فى ذهنه. ثم إن مجرد حضور تلك الحقائق إن كان كافياً فى جزم الذهن بثبوت بعضها لبعض أو انتفاء بعضها عن بعض فتلك الأحكام علوم بديهية، وإن لم يكن كذلك بل كانت متوقفة على علوم سابقة عليها - ولا محالة تنتهى إلى البدييات قطعاً للدور أو التسلسل - فهى علوم كسبية. فظهر أن السبب الأول لحدوث هذه المعارف فى النفوس الإنسانية هو أنه تعالى أعطى الحواس والقوى الداركة للصور الجزئية. وعندى أن النفس قبل البدن موجودة عالمة بعلوم جمهه هى التى ينبغى أن تسمى بالبدييات، وإنما لا يظهر آثارها عليها، حتى إذا قوى وترقى ظهرت آثارها شيئاً فشيئاً. وقد برهنا على هذه المعانى فى كتبنا الحكيمه فالمراد بقوله: لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً، أنه لا يظهر أثر العلم عليهم، ثم إنه بتوسط الحواس الظاهرة والباطنة يكتسب سائر العلوم. ومعنى: لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، إن تصرفوا كل آله فى ما خلقت لاجله، وليس الواو للترتيب حتى يلزم من عطف (جعل) على (أخرج) أن يكون جعل السمع والبصر والأفئدة متأخراً عن الاخراج من البطن.

بحار الأنوار: ١/٩٣: (مص: قال الصادق عليه السلام: الجهل صورة ركب فى بنى آدم، إقبالها ظلمة، وإدبارها نور، والعبد متقلب معها كتقلب الظل مع الشمس، ألا- ترى إلى الإنسان تارة تجده جاهلاً بخصال نفسه حامداً لها عارفاً بعيها فى غيره ساخطاً، وتارة تجده عالماً بطباعه ساخطاً لها حامداً لها فى غيره، فهو متقلب بين العصمة والخذلان، فإن قابلته العصمة أصاب، وإن قابله الخذلان أخطأ، ومفتاح الجهل الرضا والاعتقاد به، ومفتاح العلم الاستبدال مع إصابه موافقة التوفيق، وأدنى صفة الجاهل دعواه العلم بلا إستحقاق، وأوسطه جهله بالجهل، وأقصاه جحوده العلم، وليس شئ إثباته حقيقة نفيه إلا الجهل والدنيا والحرص، فالكل منهم كواحد، والواحد منهم كالكل.

وقال فى هامشه: وقوله عليه السلام: الجهل صورة ركب.. إلخ. لأن طبيعه الإنسان فى أصل فطرتها خالية عن الكمالات الفعلية والعلوم الثابتة، فكأن الجهل عجن فى طبيعتها وركب مع طبيعتها، ولكن فى أصل فطرته له قوة كسب الكمالات بالعلوم والتتور والمعارف. قوله عليه السلام: فالكل كواحد، لعل معناه أن هذه الخصال كخصلة واحدة لتشابه مبادئها، وانبعث بعضها عن بعض، وتقوى بعضها ببعض، كما لا يخفى.

بحار الأنوار: ١١/١٠:

... عن الباقر عليه السلام أنه قال: إنهم كانوا قبل نوح أمه واحدة على فطرة الله لا مهتدين ولا ضلالاً، فبعث الله النبيين. انتهى.

قال المجلسى رحمه الله: وعلى هذا فالمعنى أنهم كانوا متعبدين بما فى عقولهم غير مهتدين إلى نبوة ولا شريعة.

الاقتصاد للشيخ الطوسى/ ١٠٠: (فإن قيل: لو كانت المعرفة لطفاً لما عصى أحد.

قلنا: اللطف لا يوجب الفعل، وإنما يدعو إليه ويقوى الداعى إليه ويسهله، وربما وقع عنده الفعل، وربما يكون معه أقرب وإن لم يقع. شرح الأسماء الحسنى: ٢/٨٤: (كما سئل عليه السلام: أنحن فى أمر فرغ أم فى أمر مستأنف؟ فقال: فى أمر فرغ وفى أمر مستأنف، فالموضوعان السعيد والشقى الاخرويان كما قال تعالى: يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ.

إن قلت: هذا فيما سوى هذا الوجه ينافى قوله صلى الله عليه وآله: كل مولود يولد على فطرة الإسلام، إلا أن أبواه يهودانه وينصرانه

ويمجسانه؟

قلت: كل مولود يولد على الفطرة روحاً وصورةً بالجهة النورانية، والسعيد سعيد في بطن أمه وكذا الشقى جسداً ومادة، وإذا جعلنا بطن الأم النشأة العلمية فكل مولود يولد على الفطرة وجوداً، والسعيد سعيد ماهيةً ومفهوماً، وكذا الشقى شقى ماهيةً ومفهوماً، كل منهما بالحمل الأولي، ليس فاقداً لنفسه، وليس مفهوم أحدهما هو المفهوم من الآخر، فإن المفاهيم من أية نشأة كانت فطرتها وذاتها الإختلاف، والوجود أية مرتبة منه ذاته وجبلته الوحدة والإتفاق، ما به الإمتياز فيه عين ما به الإشتراك، به استمساك الماهيات التي هي مثار الكثرة والمخالفة، فهو جهة ارتباطها ونظمها وبه لا انفصام لها.

وبالجمله قد ظهر لك أن إختلاف الوجودات مرتبة في العين، وإختلاف قبول الماهيات لمراتب الوجود المقول بالتشكيك فيه، على طبق إختلاف الماهيات بحسب المفهوم في العلم. وهذا معنى إختلاف الطينة في الأزل كما هو عن الأئمة^ع مأثور... وهو مقتضى العدل.

ويمكن التوفيق بين هذا القول التحقيقي البرهاني والذوقي الوجداني، وبين القول بالتسوية في الطينة باعتبار الوجود والماهية، ولا سيما في مقام الجمع.

شرح الأسماء الحسنى: ١/٥٤: (قال صدر المتألهين: إن الله عز وجل لا يولى أحداً إلا ما تولاه طبعاً وإرادة، وهذا عدل منه ورحمة. وقد ورد أن الله تعالى خلق الخلق كلهم في ظلمة ثم قال: ليختر كل منكم لنفسه صورة أخلقه عليها، وهو قوله: خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ، فمنهم من قال رب اخلقني خلقاً قبيحاً أبعد ما يكون في التناسب وأوغله في التنافر، حتى لا يكون مثلي في القبح والبعد عن الاعتدال أحد، ومنهم من قال خلاف ذلك، وكل منهما أحب لنفسه التفرد فإن حب الفردانية فطرة الله السارية في كل الأمم التي تقوم بها وجود كل شيء، فخلق الله كلاً على ما اختاره لنفسه، فتحت كل منكر معروف وقبل كل لعنة رحمة وهي الرحمة التي وسعت كل شيء، فإن الله يولى كلاً ما تولى، وهو قوله تعالى: وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَ نُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا، فإن شك في ذلك شاك فليأمل قوله تعالى: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا.. الآية، ليعلم أن الله تعالى لا يحمل أحداً شيئاً قهراً وقسراً، بل يعرضه أولاً فإن تولاه ولاه وإلا فلا. وهذا من رحمة الله وعدله.

لا يقال: ليس تولى الشيء ما تولاه عدلاً حيث لا يكون ذلك التولى عن رشد وبصيرة فإن السفية قد يختار لنفسه ما هو شر بالنسبة إليه وضر لجهله وسفاهته، فالعدل والشفقة عليه منعه إياه، لأننا نقول: هذا التولى والتوجيه الذي كلامنا فيه أمر ذاتي لا يحكم عليه بالخير والشر بل هو قبلهما، لأن ما يختاره السفية إنما يعد شراً بالقياس إليه لأنه مناف لذاته بعد وجوده، فلذاته اقتضاء أول متعلق بنقيض هذه السفاهة، فذلك هو الذي أوجب أن يسمى ذلك شراً بالقياس إليه.

وأما الاقتضاء الأول الذي كلامنا فيه فلا- يمكن وصفه بالشر، لأنه لم يكن قبله اقتضاء يكون هذا بخلافه فيوصف بأنه شر، بل هو الإقتضاء الذي جعل الخير خيراً، لأن الخير لشيء ليس إلا ما يقتضيه ذاته. والتولى الذي كلامنا فيه هو الإستدعاء الذاتي الأزلي والسؤال الوجودي الفطري الذي يسأله الذات المطيعة السامعة لقول كن، وقوله ليس أمر قسر وقهر، لأن الله عز وجل غنى عن العالمين، فكأنه قال لربه إنذن لي أن أدخل في عدلك وهو الوجود، فقال الله تعالى كن.

تفسير الميزان: ٢/٣٤٦: (لكن يمكن أن يقال إن الإنسان بحسب خلقته على نور الفطرة هو نور إجمالي يقبل التفصيل، وأما بالنسبة إلى المعارف الحقة والأعمال الصالحة تفصيلاً فهو في ظلمة بعد لعدم تبين أمره. والنور والظلمة بهذا المعنى لا- يتنايان ولا- يتمتع اجتماعهما، والمؤمن بإيمانه يخرج من هذه الظلمة إلى نور المعارف والطاعات تفصيلاً، والكافر بكفره يخرج من نور الفطرة إلى ظلمات الكفر والمعاصي التفصيلية.

والإتيان بالنور مفرداً وبالظلمات جمعاً في قوله تعالى: يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وقوله تعالى: يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ، للإشارة إلى أن الحق واحد لا إختلاف فيه كما أن الباطل متشتت مختلف لا وحدة فيه، قال تعالى: وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا

فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ... الانعام: ١٥٣

مجموعة الرسائل للشيخ الصافي ٢٤٣: (للشيخ المفيد في بحث الاعتقاد بالفطرة رأى آخر غير ما ذهب إليه الشيخ الصدوق، ولتوضيح ذلك نقول: توجد في باب الاعتقاد بالفطرة وآيات الفطرة وأحاديثها كالحديث (فطرهم على التوحيد) أو (كل مولود يولد على الفطرة) ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن المراد من ذلك هو أن الله جعل فطرة الإنسان نقيته مقتضية للتوحيد والعقائد الحقّة، وحب الحق والخير والتصديق بحسن العدل وقبح الظلم والنفور عن الباطل والشر، بحيث لو لم يحجب هذه الفطرة الأمور المخالفة من قبيل التريّة للإنسان بنفسه سيهتدى إلى الله ويقر بوجود الصانع، كما يتقبل العقائد الحقّة عندما تعرض عليه.

والصدوق فسر الفطرة بهذا المعنى وقد بحثنا بتفصيل في (رسالتنا) في تفسير آية الفطرة حول هذا الوجه وكونه موافقاً لاصول العقائد الإسلامية في الفطرة والأحاديث الشريفة التي تدل على هذا المعنى.

الوجه الثاني: أن معنى (فطر الله الخلق على التوحيد) فطرهم للتوحيد، أى خلق الناس للاعتقاد بالتوحيد، وإلى هذا المعنى ذهب الشيخ الاعظم الشيخ المفيد، واختاره.

الوجه الثالث: هو أنه عبر عن إرادة التوحيد منهم بالإرادة التكوينية، والظاهر أن المفيد استظهر من كلام الصدوق هذا الوجه، فأجاب عن ذلك بقوله: لو كان الأمر كذلك لكان الجميع موحدين.

وبديهى أنه لو كان الأمر دائراً بين الوجه الثانى والثالث، فالقول الصحيح والمعتبر هو قول المفيد (الوجه الثانى).

لكن بما أننا قلنا بأن الوجه المعتبر المستفاد من الآيه والروايات هو القول الأول وهو ما اختاره الصدوق ظاهراً، وفيه رجحان على القول الثانى ظاهراً

الفطرة والميثاق و عالم الذر

عالم الذر

تفسير نور الثقلين: ١/٥٥: (فى كتاب علل الشرايع بإسناده إلى حبيب قال: حدثنى الثقة عن أبى عبد الله عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق العباد وهم أظله قبل الميلاد، فما تعارف من الأرواح ائتلف، وما تناكر منها اختلف.

وبإسناده إلى حبيب، عمن رواه، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: ما تقول فى الأرواح إنها جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف؟ قال فقلت إنا نقول ذلك، قال: فإنه كذلك، إن الله عز وجل أخذ من العباد ميثاقهم وهم أظله قبل الميلاد وهو قوله عز وجل: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ، إلى آخر الآيه، قال: فمن أقر به يومئذ جاءت أفته هاهنا، ومن أنكره يومئذ جاء خلافه هاهنا.

فى كتاب التوحيد، بإسناده إلى أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أخبرنى عن الله عز وجل هل يراه المؤمن يوم القيمة؟ قال: نعم وقد رآه قبل يوم القيمة، فقلت متى؟ قال: حين قال لهم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ، ثم سكت ساعة ثم قال: وإن المؤمنين ليرونه فى الدنيا قبل يوم القيمة، ألسنت تراه فى وقتك هذا؟ قال أبو بصير فقلت له: جعلت فداك فأحدث بهذا عنك؟ فقال: لا، فإنك إذا حدثت به فأنكره منكر جاهل بمعنى ما تقول ثم قدر أن ذلك تشبيه كفر. وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين، تعالى الله عما يصفه المشبهون والملحدون.

فى الكافى، محمد بن يحيى، عن محمد بن موسى، عن العباس بن معروف، عن ابن أبى نجران، عن عبد الله بن سنان، عن ابن أبى يعفور، عن أبى حمزة عن أبى جعفر عليه السلام قال: قال له رجل: كيف سميت الجمعة جمعة؟ قال: إن الله عز وجل جمع فيها خلقه

لولاية محمد صلى الله عليه وآله ووصيه في الميثاق، فسماه يوم الجمعة لجمعه فيه خلقه.

في غوالي اللثالي، وقال عليه السلام: أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان، يعني عرفه، فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فترهم بين يديه كالذر ثم كلمهم، وتلا: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى.

في الكافي، أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان، عن أبي عميرة، عن عبد الرحمان الحذاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان علي بن الحسين (عليهما السلام) لا يرى بالعزل بأساً، أنقرأ هذه الآية: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى، فكل شئ أخذ الله منه الميثاق فهو خارج وإن كان على صخرة صماء. عن ابن مسكان، عن بعض أصحابه، عن أبي جعفر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن أمتي عرضت علي في الميثاق، فكان أول من آمن بي علي عليه السلام، وهو أول من صدقني حين بعثت، وهو الصديق الأكبر، والفاروق يفرق بين الحق والباطل.

عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى، قالوا بألسنتهم؟ قال: نعم وقالوا بقلوبهم، فقلت: وأى شئ كانوا يومئذ؟ قال: صنع منهم ما اكتفى به.

عن الأصمغ بن نباتة، عن علي عليه السلام قال: أتاه ابن الكوا فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الله تبارك وتعالى هل كلم أحداً من ولد آدم قبل موسى؟ فقال علي عليه السلام: قد كلم الله جميع خلقه برهم وفاجرهم وردوا عليه الجواب، فنقل ذلك علي ابن الكوا ولم يعرفه، فقال له: كيف كان ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال له: أو ما تقرأ كتاب الله إذ يقول لنيبه: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى، فقد أسمعهم كلامه وردوا عليه الجواب، كما تسمع ف قول الله يابن الكوا وقالوا بلى، فقال لهم: إني أنا الله لا إله إلا أنا، وأنا الرحمان، فأقروا له بالطاعة والربوبية، وميز الرسل والأنبياء والأوصياء، وأمر الخلق بطاعتهم فأقروا بذلك في الميثاق، فقال الملائكة عند إقرارهم: شهدنا عليكم يا بني آدم أن تقولوا يوم القيمة إنا كنا عن هذا غافلين.

في الكافي، محمد بن يحيى وغيره، عن أحمد عن موسى بن عمر، عن ابن سنان عن سعيد القمطاط، عن بكير بن أعين قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: لأى علة وضع الله الحجر في الركن الذي هو فيه ولم يضع في غيره؟ ولأى علة يُقْبَل؟ ولأى علة أخرج من الجنة، ولأى علة وضع ميثاق العباد فيه والعهد فيه ولم يوضع في غيره، وكيف السبب ذلك؟ تخبرني جعلني الله فداك فإن تفكرى فيه لعجب! قال فقال: سألت وأعضلت في المسألة واستقصيت، فافهم الجواب وفرغ قلبك وأصغ سمعك، أخبرك إن شاء الله، إن الله تبارك وتعالى وضع الحجر الأسود وهي جوهره أخرجت من الجنة إلى آدم عليه السلام فوضعت في ذلك الركن لعله الميثاق، وذلك أنه لما أخذ من بني آدم من ظهورهم ذريتهم حين أخذ الله عليهم الميثاق في ذلك المكان وفي ذلك المكان ترائي لهم، وفي ذلك المكان يهبط الطير على القائم عليه السلام فأول من يبایعه ذلك الطير، وهو والله جبرئيل عليه السلام وإلى ذلك المقام يسند القائم ظهره وهو الحجة والدليل على القائم، وهو الشاهد لمن وافى في ذلك المكان، والشاهد على من أدى إليه الميثاق والعهد الذي أخذ الله عز وجل على العباد.

فأما علة ما أخرجه الله من الجنة، فهل تدرى ما كان الحجر؟ قلت: لا، قال: كان ملكاً من عظماء الملائكة عند الله فلما أخذ الله من الملائكة الميثاق كان أول من آمن به وأقر ذلك الملك، فاتخذته الله أميناً على جميع خلقه، فألقمه الميثاق وأودعه عنده، واستبعد الخلق أن يجددوا عنده في كل سنة الإقرار بالميثاق والعهد الذي أخذ الله عز وجل عليهم، ثم جعله الله مع آدم في الجنة يذكره الميثاق ويجدد عنده الإقرار في كل سنة، فلما عصى آدم أخرج من الجنة أنساه الله العهد والميثاق الذي أخذ الله عليه وعلى ولده لمحمد صلى الله عليه وآله ولو وصيه عليه السلام وجعله تائهاً حيراناً، فلما تاب الله على آدم حول ذلك الملك في صورة بيضاء، فرماه من الجنة إلى آدم وهو بأرض الهند، فلما نظر إليه أنس إليه وهو لا يعرفه بأكثر من أنه جوهره، وأنطقه الله عز وجل، فقال له: يا آدم أتعرفني؟ قال لا،

قال: أجل استحوذ عليك الشيطان فأنساك ذكر ربك، ثم تحول إلى صورته التي كان مع آدم عليه السلام في الجنة، فقال لادم: أين العهد والميثاق، فوثب إليه آدم عليه السلام وذكر الميثاق وبكى وخضع وقبله، وجدد الإقرار بالعهد والميثاق، ثم حوله الله عز وجل إلى جوهرة درة بيضاء صافية تضيء، فحملة آدم على عاتقه إجلالاً له وتعظيماً، فكان إذا أعيأ حملة عنه جبرئيل عليه السلام حتى وافى به مكة فما زال يأنس به بمكة ويجدد الإقرار له كل يوم وليلاً، ثم إن الله عز وجل لما بنى الكعبة وضع الحجر في ذلك المكان، لأنه تبارك وتعالى حين أخذ الميثاق من ولد آدم أخذه في ذلك المكان، وفي ذلك المكان ألقى الله الملك الميثاق، ولذلك وضع في ذلك الركن وتنحى آدم من مكان البيت إلى الصفا وحوالى المروة، ووضع الحجر في ذلك الركن، فلما نظر آدم من الصفا وقد وضع الحجر في الركن كبر الله وهلله ومجده، فلذلك جرت السنة بالتكبير واستقبال الركن الذى فيه الحجر من الصفا، فإن الله أودعه الميثاق والعهد دون غيره من الملائكة...

بحار الأنوار: ٣/٢٧٦:

سن البرزنى، عن رفاعه، عن أبى عبد الله عليه السلام فى قول الله: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ. قال: نعم لله الحجة على جميع خلقه أخذهم يوم أخذ الميثاق هكذا وقبض يده. نعم لله الحجة على جميع خلقه أخذهم يوم أخذ الميثاق، هكذا وقبض يده.

بحار الأنوار: ٥/٢٤٤:

عن أبى جعفر عليه السلام قال: إن الله عز وجل خلق الخلق فخلق من أحب مما أحب، وكان ما أحب أن خلقه من طينة الجنة، وخلق من أبغض مما أبغض وكان ما أبغض أن خلقه من طينة النار، ثم بعثهم فى الظلال: فقلت وأى شئ الظلال؟ فقال: ألم تر إلى ظلك فى الشمس شئ وليس بشئ؟ ثم بعث منهم النبیین فدعوهم إلى الإقرار بالله وهو قوله عز وجل: وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ، ثم دعوهم إلى الإقرار بالنبیین فأنكر بعض وأقر بعض، ثم دعوهم إلى ولايتنا فأقر بها والله من أحب، وأنكرها من أبغض، وهو قوله عز وجل: فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ، ثم قال أبو جعفر عليه السلام: كان التكذيب ثم توضيح: قوله عليه السلام: فى الظلال، أى عالم الأرواح بناء على أنها أجسام لطيفة، ويحتمل أن يكون التشبيه للتجرد أيضاً تقريباً إلى الافهام، أو عالم المثال على القول به قبل الانتقال إلى الابدان.

تذكير الأنبياء بميثاق الفطرة

سمى الله عز وجل القرآن الكريم: الذِّكْرُ، ووصف عمل النبى صلى الله عليه وآله بأنه تذكير، واستعمل مادة التذكير فى القرآن للتذكير بالله تعالى، والتذكير باليوم الآخر، والتذكير بالفطرة والميثاق.

ووصف أمير المؤمنين على عليه السلام عمل الأنبياء عليهم السلام بأنه مطالبه للناس بالانسجام مع ميثاق الفطرة، قال عليه السلام فى خطبة طويلة فى نهج البلاغة: ١/٢٣، يذكر فيها خلق آدم عليه السلام وصفته:

«فأهبته إلى دار البلية، وتناسل الذرية، اصطفى سبحانه من ولده أنبياء، أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم، لما بدل أكثر خلقه عهد الله إليهم فجهلوا حقه واتخذوا الانداد معه، واجتالتهم الشياطين عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته، فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسى نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويشيروا لهم دفائن العقول، ويروهم آيات المقدره من سقف فوقهم مرفوع.... إلى آخر الخطبة».

وقال الشيخ محمد عبده فى شرح قوله عليه السلام «ليستأدوهم ميثاق فطرته»: كأن الله تعالى بما أودع فى الإنسان من الغرائز والقوى، وبما أقام له من الشواهد وأدلة الهدى قد أخذ عليه ميثاقاً بأن يصرف ما أوتى من ذلك فيما خلق له، وقد كان يعمل على ذلك الميثاق ولا- ينقضه لولا- ما اعترضه من وساوس الشهوات، فبعث إليه النبیین ليطالبوا من الناس أداء ذلك الميثاق، أى ليطالبوهم بما

تقتضيه فطرتهم وما ينبغي أن تسوقهم إليه غرائزهم.

دقائق العقول: أنوار العرفان التي تكشف للإنسان أسرار الكائنات، وترتفع به إلى الايقان بصانع الموجودات، وقد يحجب هذه الأنوار غيوم من الأوهام وحجب من الخيال، فيأتي النبيون لإثارة تلك المعارف الكامنة وإبراز تلك الأسرار الباطنة.

وقال الراغب الأصفهاني في المفردات/١٧٩:

الذِّكْرُ: تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ إلا أن الحفظ يقال اعتباراً بإحرازه، والذكر يقال اعتباراً باستحضاره، وتارة يقال لحضور الشيء القلب أو القول، ولذلك قيل الذكر ذكران: ذكر بالقلب وذكر باللسان، وكل واحد منهما ضربان، ذكر عن نسيان وذكر لا عن نسيان بل عن إدامة الحفظ. وكل قول يقال له ذكر.

فمن الذكر باللسان قوله تعالى: لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ، وقوله تعالى: وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ، وقوله: هَذَا ذِكْرٌ مَن مَعِيَ وَذِكْرٌ مَن قَبْلِي، وقوله: أَمْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا، أى القرآن، وقوله تعالى: وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ... ومن الذكر عن النسيان قوله: فَأَنِّي نَسِيتُ الْخُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ.

ومن الذكر بالقلب واللسان معاً قوله تعالى: فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا، وقوله: فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ...

والذكرى: كثرة الذكر، وهو أبلغ من الذكر، قال تعالى: رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ، وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين....

وقال الراغب أيضاً: الوعظ زجر مقترن بتخويف. قال الخليل: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب. والعظة والموعظة الاسم، قال تعالى: يَعْظُمُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ. ذَلِكَمُ تُوَعِّظُونَ بِهِ. قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ....

وقال أبو هلال العسكري في الفروق اللغوية/١٢١:

الفرق بين التذكير والتنبيه: أن قولك ذكر الشيء، يقتضى أنه كان عالمًا به ثم نسيه فرده إلى ذكره ببعض الأسباب، وذلك أن الذكر هو العلم الحادث بعد النسيان على ما ذكرنا. ويجوز أن ينه الرجل على الشيء لم يعرفه قط، ألا ترى أن الله ينه على معرفته بالزلازل والصواعق وفيهم من لم يعرفه البتة فيكون ذلك تنبيهاً له كما يكون تنبيهاً لغيره، ولا يجوز أن يذكره ما لم يعلمه قط. انتهى.

وفيما ذكره اللغويون فوائد ومحال للنظر، وحاصل المسألة: أنه يصح القول إن تسمية القرآن والدين بالذكر لأنه يدل على ما أودعه الله تعالى في عمق فكر الإنسان ومشاعره من الفطرة على التوحيد ومعرفة الله، ولكن السبب الأهم أنه يثير ما بقي في ذهنه ووجدانه من نشأته الأولى وحنينه إلى عالم الغيب والآخرة، وإحساسه بالميثاق الذي أخذ عليه في تلك النشأة.

وقد لاحظت أن الروايات صريحة في أخذ الميثاق على الناس قبل خلقهم في هذه الدنيا، وهي متواترة في مصادر المسلمين، ولذا فإن تفسير تذكير الأنبياء لا يصح حصره بتذكير الإنسان بفطرته لكي ينسجم معها، والتغافل عن التذكير الحقيقي بالميثاق الذي صرحت به الأحاديث الشريفة.

كل مولود يولد على الفطرة

الكافي: ٢/١٢:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كل مولود يولد على الفطرة، يعنى المعرفة بأن الله عز وجل خالقه، كذلك قوله: وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ.

علل الشرائع: ٢/٣٧٦:

أبى رحمه الله قال: حدثنا محمد بن يحيى، عن محمد بن أحمد، عن سهل بن زياد، عن على بن الحكم، عن فضيل بن عثمان الأعور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما من مولود ولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، وإنما أعطى رسول الله

صلى الله عليه وآله الذمة وقبل الجزية عن رؤوس أولئك بأعيانهم على أن لا يهودوا ولا ينصروا ولا يمجسوا. فأما الأولاد وأهل الذمة اليوم فلا ذمة لهم! انتهى. ورواه الصدوق في الفقيه: ٢/٤٩، وفي التوحيد/٣٣٠، وروى المجلسي عدداً من هذه الأحاديث في بحار الأنوار: ١٠٠/٦٥، والعاملى فى وسائل الشيعة: ١١/٩٦ من لا يحضره الفقيه: ٢ هامش/٥٠:

وقال الفاضل التفرشى: قوله: إلا على الفطرة، أى على فطرة الإسلام وخلقته، أى المولود خلق فى نفسه على الخلقة الصحيحة التى لو خلى وطبعه كان مسلماً صحيح الاعتقاد والأفعال، وإنما يعرض له الفساد من خارج، فصيرورته يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً إنما هى من قبل أبويه غالباً لأنهما أشد الناس اختلاطاً وتربية له، ولعل وجه انتفاء ذمتهم أن ذمة رسول الله صلى الله عليه وآله لم تشملهم، بل أعطاهم الذمة بسبب أن لا يفسدوا اعتقاد أولادهم ليحتاجوا إلى الذمة. ولم يعطوا الذمة من قبل الأوصياء عليهم السلام لعدم تمكنهم فى تصرفات الإمامة، وإنما يعطوها من قبل من ليس له تلك الولاية، فإذا ظهر الحق وقام القائم عليه السلام لم يقرروا على ذلك ولا يقبل منهم إلا الإسلام. وأخذ الجزية منهم هذا الزمان من قبيل أخذ الخراج من الأرض، والمنع عن التعرض لهم باعتبار الأمان. وأما قوله فى حديث زرارة الآتى: ذلك إلى الإمام، فمعناه أنه إذا كان متمكناً ويرى المصلحة فى أخذ الجزية منهم كما وقع فى زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وهو لا ينافى انتفاء الذمة عنهم اليوم. انتهى.

تفسير التبيان: ٨/٢٤٧: (قال مجاهد: فطرة الله الإسلام، وقيل فطر الناس عليها ولها وبها معنى واحد، كما يقول القائل لرسوله: بعثتك على هذا ولهذا وبهذا بمعنى واحد. ونصب فطرة الله على المصدر، وقيل تقديره: اتبع فطرة الله التى فطر الناس عليها، لأن الله تعالى خلق الخلق للإيمان، ومنه قوله صلى الله عليه وآله: كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه. ومعنى الفطر الشق ابتداءً، يقولون: أنا فطرت هذا الشئ أى أنا ابتدأته، والمعنى خلق الله الخلق للتوحيد والإسلام. بحار الأنوار: ٣/٢٢: (غوالى: قال النبى صلى الله عليه وآله: كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه. بيان: قال السيد المرتضى رحمه الله فى كتاب الغرر والدرر بعد نقل بعض التأويلات عن المخالفين فى هذا الخبر: والصحيح فى تأويله أن قوله يولد على الفطرة، يحتمل أمرين:

أحدهما: أن تكون الفطرة هاهنا الدين، ويكون على بمعنى اللام، فكأنه قال: كل مولود يولد للدين ومن أجل الدين، لأن الله تعالى لم يخلق من يبلغه مبلغ المكلفين إلا ليعبده فينتفع بعبادته، يشهد بذلك قوله تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ. والدليل على أن على تقوم مقام اللام ما حكاه يعقوب بن السكيت عن أبى يزيد، عن العرب أنهم يقولون: صف على كذا وكذا حتى أعرفه، بمعنى صف لى، ويقولون: ما أغبطك على يريدون ما أغبطك لى، والعرب تقيم بعض الصفات مقام بعض، وإنما ساغ أن يريد بالفطرة التى هى الخلقة فى اللغة الدين من حيث كان هو المقصود بها، وقد يجرى على الشئ اسم ماله به هذا الضرب من التعلق والاختصاص، وعلى هذا يتأول قوله تعالى: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، أراد دين الله الذى خلق الخلق له. وقوله تعالى: لَا تَبْدِيلَ لِحُكْمِ اللَّهِ، أراد به أن ما خلق الله العباد له من العباد والطاعة ليس مما يتغير ويختلف حتى يخلق قوماً للطاعة وآخرين للمعصية. ويجوز أن يريد بذلك الأمر، وإن كان ظاهره ظاهر الخبر فكأنه قال: لا تبدلوا ما خلقكم الله له من الدين والطاعة بأن تعصوا وتخالفوا.

والوجه الآخر فى تأويل قوله عليه السلام على الفطرة: أن يكون المراد به الخلقة، وتكون لفظه (على) على ظاهرها لم يرد بها غيره، ويكون المعنى: كل مولود يولد على الخلقة الدالة على وحدانية الله تعالى وعبادته والإيمان به، لأنه عز وجل قد صور الخلق وخلقهم على وجه يقتضى النظر فيه معرفته والإيمان به وإن لم ينظروا ويعرفوا، فكأنه عليه السلام قال: كل مخلوق ومولود فهو يدل بخلقته وصورته على عبادة الله تعالى وإن عدل بعضهم فصار يهودياً أو نصرانياً. وهذا الوجه أيضاً يحتمله قوله تعالى: فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا.

وإذا ثبت ما ذكرناه في معنى الفطرة فقله عليه الصلاة والسلام: حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه، يحتمل وجهين: أحدهما: أن من كان يهودياً أو نصرانياً ممن خلقته لعبادتي ودينى فإنما جعله أبواه كذلك، أو من جرى مجراهما ممن أوقع له الشبهة وقلده الضلال عن الدين، وإنما خص الابوين لأن الأولاد فى الاكثر ينشئون على مذاهب آباؤهم ويألفون أديانهم ونحلهم، ويكون الغرض بالكلام تنزيه الله تعالى عن ضلال العباد وكفرهم، وأنه إنما خلقهم للإيمان فصددهم عنه آباؤهم، أو من جرى مجراهم. والوجه الآخر: أن يكون معنى يهودانه وينصرانه أى يلحقانه بأحكامهما، لأن أطفال أهل الذمة قد ألحق بالشرع أحكامهم بأحكامهم، فكأنه عليه السلام قال: لا- تتوهموا من حيث لحقت أحكام اليهود والنصارى أطفالهم أنهم خلقوا لدينهم، بل لم يخلقوا إلا للإيمان والدين الصحيح، لكن آباءهم هم الذين أدخلوهم فى أحكامهم، وعبر عن إدخالهم فى أحكامهم بقوله: يهودانه وينصرانه. وقال البخارى فى صحيحه: ٢/٩٧: (أن أبا هريرة (رض) قال: قال رسول الله (ص): ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة، هل تحسون فيها من جدعاء، ثم يقول أبو هريرة (رض): فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم.

وقال فى: ٢/١٠٤: (عن أبى هريرة (رض) قال قال رسول الله (ص): كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدعاء. انتهى. وروى نحوه فى: ٦/٢٠ وفى: ٧/٢١١ ورواه أحمد فى مسنده: ٢/٢٣٣ كما فى رواية البخارى الأولى. ورواه فى: ٢/٢٧٥ وزاد (ثم يقول واقروا إن شئتم: فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله). وروى أحمد فى: ٢/٢٨٢: (عن طاوس عن أبى هريرة أن النبى (ص) قال: كل مولود ولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه، مثل الأنعام تنتج صحاحاً فتكوى آذانها. انتهى. وروى نحوه فى: ٢/٣٤٦ وج ٣/٣٥٣، وروى نحوه مسلم فى: ٨/٥٢ وأبو داود فى: ٢/٤١٦، والترمذى ٣/٣٠٣، والحاكم: ٢/٣٢٣، وكنز العمال: ١/٢٦٦، والسيوطى فى الدر المنثور: ٢/٢٢٤ وج ٥/١٥٥، والبيهقى فى سننه: ٦/٢٠٢ و: ٩/١٣٠ وفى شعب الإيمان: ١/٩٧: عن أبى هريرة، وروى عنه أيضاً أن رسول الله (ص) قال: كل إنسان تلده أمه على الفطرة يلكره الشيطان فى حضنيه، إلا مريم وابنها. انتهى. وهو غريب يشبه مقولات النصارى.

و كل الحيوانات فطرت على معرفة الله تعالى

الكافى: ٦/٥٣٩: (أبو على الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن الحجال، وابن فضال، عن ثعلبة، عن يعقوب بن سالم، عن رجل، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: مهما أبهم على البهائم من شئ فلا يبهم عليها أربعة خصال: معرفة أن لها خالقاً، ومعرفة طلب الرزق ومعرفة الذكر من الأنثى، ومخافة الموت. انتهى.

ورواه فى من لا يحضره الفقيه: ٢/٢٨٨ وقال: (وأما الخبر الذى روى عن الصادق عليه السلام أنه قال: لو عرفت البهائم من الموت ما تعرفون ما أكلتم منها سميماً قط، فليس بخلاف هذا الخبر، لأنها تعرف الموت لكنها لا تعرف منه ما تعرفون. انتهى، ورواه فى وسائل الشيعة: ٨/٣٥٢.

ومحل هذا الموضوع فى المعرفة، لكن أوردناه هنا ليتضح أن الإنسان والحيوان مفطوران على معرفة الله تعالى، بل والجماد أيضاً كما قال تعالى (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ).

التوجه الفطرى إلى الله تعالى

شرح الأسماء الحسنى: ١/٦٧: (يا ملجئى عند اضطرارى: فإن الإنسان إذا انقطعت جميع وسائله وانبتت تمام حباته التجأ إليه تعالى بالفطرة وتشبث به بالجبل، ولذا استدل الأئمة المعصومون كثيراً على منكرى الصانع بالحالات المشاهدة، والوقوع فى مظان التهلكة. شرح الأسماء الحسنى: ١/١٦٤: (يا أحب من كل حبيب: أما أنه أحب من كل حبيب لأهله فواضح، وقد مر، وأما أنه أحب لكل كما

هو مقتضى الإطلاق فلأن كل كمال وإفضال لما كان عكس كماله وإفضاله ومحبوبيتها باعتبار وجهها إلى الله، رجع محبوبيتها إلى محبوبيته، فإنه يرجع عواقب الثناء كما ورد عن المعصوم، ولكن لا يستشعر بذلك إلا الخواص.

والتفاضل والإيمان والكفر بذلك الاستشعار، أو لأنه أحب لهم إجمالاً أو فطرةً، كما أن الجاهل يعلم أن العالم خير منه، والغضبان يصدق بأن الحليم أشرف منه، والبخيل بأن الجواد أفضل منه، فهم يحبون الصفات الحميدة فطرةً وإن أحبوا تلك الرذائل بالغيرية الثانية.

شرح الأسماء الحسنى: ٢/٤: (تنبيهاً على أنه تعالى هو المعروف بتلك الصلات والصفات عند الفطرة الأولى التي فطر الناس عليها، فلا تذهب العقول إلى غيره تعالى حتى عقول الكفار، كما قال تعالى: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ، وحين قال الخليل عليه السلام: إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب، لم ينكره نمرود بل بهت، لأن فطرته حاكمه بأن القادر على ذلك ليس إلا هو.

رأى صاحب تفسير الميزان في عالم الذر والمعرفة والميثاق

تفسير الميزان للطباطبائي: ٨/٣٠٥: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا

أخذ الشيء من الشيء يوجب انفصال المأخوذ من المأخوذ منه واستقلاله دونه بنحو من الأنحاء، وهو يختلف باختلاف العناية المتعلقة بها والإعتبارات المأخوذة فيها كأخذ اللقمة من الطعام وأخذ الجرعة من ماء القدح، وهو نوع من الأخذ، وأخذ المال والأثاث من زيد الغاصب، أو الجواد أو البائع أو المعير، وهو نوع آخر، أو أنواع مختلفة أخرى، وكأخذ العلم من العالم وأخذ الأبهة من المجلس وأخذ الحظ من لقاء الصديق، وهو نوع، وأخذ الولد من والده للتربية، وهو نوع.. إلى غير ذلك.

فمجرد ذكر الأخذ من الشيء لا يوضح نوعه إلا ببيان زائد، ولذلك أضاف الله سبحانه إلى قوله وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ، الدال على تفريقهم وتفصيل بعضهم من بعض: قوله مِنْ ظُهُورِهِمْ، ليدل على نوع الفصل والأخذ، وهو أخذ بعض المادة منها بحيث لا تنقص المادة المأخوذ منها بحسب صورتها ولا- تنقلب عن تمامها واستقلالها، ثم تكميل الجزء المأخوذ شيئاً تاماً مستقلاً من نوع المأخوذ منه، فيؤخذ الولد من ظهر من يولده ويولده وقد كان جزء، ثم يجعل بعد الأخذ والفصل إنساناً تاماً مستقلاً من والديه بعد ما كان جزء منهما، ثم يؤخذ من ظهر هذا المأخوذ مأخوذ آخر وعلى هذه الوتيرة حتى يتم الأخذ وينفصل كل جزء عما كان جزء منه ويتفرق الأناسى ويتنشر الأفراد وقد استقل كل منهم عن سواه، ويكون لكل واحد منهم نفس مستقلة لها ما لها وعليها ما عليها.

فهذا مفاد قوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ، ولو قال أخذ ربك من بني آدم ذريتهم أو نشرهم ونحو ذلك، بقي المعنى على إبهامه.

وقوله: وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ، ينبى عن فعل آخر إلهى تعلق بهم بعد ما أخذ بعضهم من بعض، وفصل بين كل واحد منهم وغيره، وهو إشهداهم على أنفسهم، والإشهاد على الشيء هو إحضار الشاهد عنده وإراءته حقيقته ليتحملة علماً تحملاً شهودياً، فأشهداهم على أنفسهم هو إراءتهم حقيقة أنفسهم ليتحملوا ما أريد تحملمهم من أمرها، ثم يؤدوا ما تحملموه إذا سئلوا.

وللنفس فى كل ذى نفس جهات من التعلق والإرتباط بغيرها يمكن أن يستشهد الإنسان على بعضها دون بعض، غير أن قوله: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ، يوضح ما أشهدوا لأجله وأريد شهادتهم عليه، وهو أن يشهدوا ربوبيته سبحانه لهم فيؤدوها عند المسألة. فالإنسان وإن بلغ من الكبر والخيلاء ما بلغ وغرته مساعدة الأسباب ما غرته واستهوته، لا يسعه أن ينكر أنه لا يملك وجود نفسه ولا يستقل بتدبير أمره، ولو ملك نفسه لوقاها مما يكرهه من الموت وسائر آلام الحياة ومصائبها، ولو استقل بتدبير أمره لم يفتقر إلى الخضوع قبال الأسباب الكونية والوسائل التى يرى لنفسه أنه يسودها ويحكم فيها، ثم هى كالإنسان فى الحاجة إلى ما وراءها والإنقياد إلى حاكم غائب عنها

يحكم فيها لها أو عليها، وليس إلى الإنسان أن يسد خلتها ويرفع حاجتها.

فالحاجة إلى رب مالك مدبر حقيقة الإنسان، والفقر مكتوب على نفسه، والضعف مطبوع على ناصيته، لا يخفى ذلك على إنسان له أدنى الشعور الإنساني والعالم والجاهل والصغير والكبير والشريف والوضيع في ذلك سواء. فالإنسان في أي منزل من منازل الإنسانية نزل، يشاهد من نفسه أن له رباً يملكه ويدبر أمره، وكيف لا- يشاهد ربه وهو يشاهد حاجته الذاتية، وكيف يتصور وقوع الشعور بالحاجة من غير شعور بالذى يحتاج إليه.

فقوله: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ بيان ما أشهد عليه، وقوله: قَالُوا بَلَى شَهَدْنَا، اعتراف منهم بوقوع الشهادة وما شهدوه.

ولذا قيل إن الآية تشير إلى ما يشاهده الإنسان في حياته الدنيا أنه محتاج في جميع جهات حياته من وجوده وما يتعلق به وجوده من اللوازم والأحكام، ومعنى الآية إنا خلقنا بني آدم في الأرض وفرقناهم وميزنا بعضهم من بعض بالتناسل والتوالد وأوقفناهم على احتياجاتهم ومربوبيتهم لنا، فاعترفوا بذلك قائلين: بلى شهدنا أنك ربنا. وعلى هذا يكون قولهم بلى شهدنا من قبيل القول بلسان الحال أو إسناداً للآزم القول إلى القائل بالملزوم، حيث اعترفوا بحاجاتهم ولزمهم الاعتراف بمن يحتاجون إليه.

والفرق بين لسان الحال والقول بلازم القول، أن الأول انكشاف المعنى عن الشيء لدلالة صفة من صفاته وحال من أحواله عليه، سواء شعر به أم لا، كما تفصح آثار الديار الخربة عن حال ساكنيها وكيف لعب الدهر بهم وعدت عادية الأيام عليهم فأسكنت أجراسهم وأخمدت أنفاسهم، وكما يتكلم سيماء البائس المسكين عن فقره ومسكته وسوء حاله. والثاني انكشاف المعنى عن القائل لقوله بما يستلزمه أو تكلمه بما يدل عليه بالالتزام.

فعلى أحد هذين النوعين من القول أعنى القول بلسان الحال والقول بالإستلزام يحمل اعترافهم المحكى بقوله تعالى: قَالُوا بَلَى شَهَدْنَا، والأول أقرب وأنسب فإنه لا- يكفي في مقام الشهادة إلا بالصريح منها المدلول عليه بالمطابقة دون الإلتزام. ومن المعلوم أن هذه الشهادة على أي نحو تحققت فهي من سنخ الإستشهاد المذكور في قوله: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ، فالظاهر أنه قد استوفى الجواب بعين اللسان الذي سألهم به، ولذلك كان هناك نحو ثالث يمكن أن تحمل عليه هذه المسألة والمجاوبة، فإن الكلام الإلهي يكشف به عن المقاصد الإلهية بالفعل والإيجاد، كلام حقيقي، وإن كان بنحو التحليل كما تقدم مراراً في مباحثنا السابقة فليكن هنا قوله: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ، وقولهم: بَلَى شَهَدْنَا، من ذاك القبيل، وسيجئ للكلام تمة.

وكيف كان، فقوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ... الآية، يدل على تفصيل بني آدم بعضهم من بعض وإشهاد كل واحد منهم على نفسه، وأخذ الاعتراف على الربوبية منه، ويدل ذيل الآية وما يتلوه - أعنى قوله: أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون - على الغرض من هذا الأخذ والإشهاد. وهو على ما يفيد السياق إبطال حجتي للعباد على الله، وبيان أنه لولا هذا الأخذ والإشهاد وأخذ الميثاق على انحصار الربوبية كان للعباد أن يتمسكوا يوم القيامة بإحدى حجتي يدفعون بها تمام الحجة عليهم في شركهم بالله والقضاء بالنار على ذلك من الله سبحانه.

والتدبر في الآيتين وقد عطف إحدى الحجتي على الأخرى بأو الترديدية، وبنيت الحجتان جميعاً على العلم اللازم للإشهاد، ونقلنا جميعاً عن بني آدم المأخوذتين المفرقين، يعطى أن الحجتي كل واحدة منهما مبنيه على تقدير من تقديري عدم الأشهاد كذلك. والمراد إنا أخذنا ذريتهم من ظهورهم وأشهادناهم على أنفسهم فاعترفوا بربوبيتنا فتمت لنا الحجة عليهم يوم القيامة، ولو لم نفعل هذا ولم نشهد كل فرد منهم على نفسه بعد أخذه، فإن كنا أهملنا الأشهاد من رأس، فلم يشهد أحد نفسه وأن الله ربه ولم يعلم به، لأقاموا جميعاً الحجة علينا يوم القيامة بأنهم كانوا غافلين في الدنيا عن ربوبيتنا، ولا تكليف على غافل ولا مؤاخذه، وهو قوله تعالى: أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ.

وإن كنا لم نهمل أمر الأشهاد من رأس وأشهدنا بعضهم على أنفسهم دون بعض، بأن أشهدنا الإباء على هذا الأمر الهام العظيم دون ذرياتهم ثم أشرك الجميع كان شرك الإباء شركاً عن علم بأن الله هو الرب لا رب غيره، فكانت معصية منهم، وأما الذرية فإنما كان

شركهم بمجرد التقليد فيما لا سبيل لهم إلى العلم به لا إجمالاً ولا تفصيلاً، ومتابعة عملية محضة لآبائهم، فكان آباؤهم هم المشركون بالله العاصون في شركهم لعلمهم بحقيقة الأمر، وقد قادوا ذريتهم الضعاف في سبيل شركهم بتربيتهم عليه وتلقينهم ذلك، ولا سبيل لهم إلى العلم بحقيقة الأمر وإدراك ضلال آبائهم وإضلالهم إياهم، فكانت الحجّة لهؤلاء الذرية على الله يوم القيامة لأن الذين أشركوا وعصوا بذلك وأبطلوا الحق هم الآباء، فهم المستحقون للمؤاخذه والفعل فعلهم، وأما الذرية فلم يعرفوا حقاً حتى يؤمروا به فيعصوا بمخالفته فهم لم يعصوا شيئاً ولم يبطلوا حقاً، وحينئذ لم تتم حجّة على الذرية فلم تتم الحجّة على جميع بنى آدم. وهذا معنى قوله تعالى: **أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ**

فإن قلت: هنا بعض تقادير آخر لا- يفى بها البيان السابق، كما لو فرض إسهاد الذرية على أنفسهم دون الآباء مثلاً، أو إسهاد بعض الذرية مثلاً، كما أن تكامل النوع الإنساني في العلم والحضارة على هذه الوتيرة يرث كل جيل ما تركه الجيل السابق ويزيد عليه بأشياء، فيحصل للأحق ما لم يحصل للسابق.

قلت: على أحد التقديرين المذكورين تتم الحجّة على الذرية أو على بعضهم الذين أشهدوا، وأما الآباء الذين لم يشهدوا فليس عندهم إلا الغفلة المحضة عن أمر الربوبية، فلا يستقلون بشرك إذ لم يشهدوا، ولا يسع لهم التقليد إذ لم يسبق عليهم فيه سابق، كما في صورة العكس فيدخلون تحت المحتجين بالحجّة الأولى (إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ).

وأما حديث تكامل الإنسان في العلم والحضارة تدريجاً فإنما هو في العلوم النظرية الإكتسابية التي هي نتائج وفروع تحصل للإنسان شيئاً فشيئاً، وأما شهود الإنسان نفسه وأنه محتاج إلى رب يربه فهو من مواد العلم التي إنما تحصل قبل النتائج، وهو من العلوم الفطرية التي تنطبع في النفس انطباعاً أولياً ثم يتفرع عليها الفروع. وما هذا شأنه لا يتأخر عن غيره حصولاً، وكيف لا نوع الإنسان إنما يتدرج إلى معارفه وعلومه عن الحس الباطني بالحاجّة، كما قرر في محله.

فالمحصل من الآيتين أن الله سبحانه فصل بين بنى آدم بأخذ بعضهم من بعض، ثم أشهدهم جميعاً على أنفسهم وأخذ منهم الميثاق بربوبيته، فهم ليسوا بغافلين عن هذا المشهد وما أخذ منهم من الميثاق، حتى يحتج كلهم بأنهم كانوا غافلين عن ذلك لعدم معرفتهم بالربوبية، أو يحتج بعضهم بأنه إنما أشرك وعصى آباؤهم وهم برآء.

ولذلك ذكر عدة من المفسرين أن المراد بهذا الظرف المشار إليه بقوله: **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ،** هو الدنيا، والآيتان تشيران إلى سنه الخلقه الإلهية الجارية على الإنسان في الدنيا، فإن الله سبحانه يخرج الذرية الإنسانية من أصلاب آبائهم إلى أرحام أمهاتهم ومنها إلى الدنيا، ويشهدهم في خلال حياتهم على أنفسهم ويريهم آثار صنعه وآيات وحدانيته ووجوه احتياجاتهم المستغرقة لهم من كل جهة، الدالة على وجوده ووحدانيته، فكأنه يقول لهم عند ذلك **أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ،** وهم يجيبونه بلسان حالهم **بَلَى شَهِدْنَا بِذَلِكَ وَأَنْتَ رَبَّنَا لَا رَبَّ غَيْرِكَ،** وإنما فعل الله سبحانه ذلك لئلا يحتجوا على الله يوم القيامة بأنهم كانوا غافلين عن المعرفة، أو يحتج الذرية بأن آباءهم هم الذين أشركوا، وأما الذرية فلم يكونوا عارفين بها وإنما هم ذرية من بعدهم نشأوا على شركهم من غير ذنب.

وقد طرح القوم عدة من الروايات تدل على أن الآيتين تدلان على عالم الذر، وأن الله أخرج ذرية آدم من ظهره فخرجوا كالذر فأشهدهم على أنفسهم وعرفهم نفسه، وأخذ منهم الميثاق على ربوبيته، فتمت بذلك الحجّة عليهم يوم القيامة. وقد ذكروا وجوهاً في إبطال دلالة الآيتين عليه وطرح الروايات بمخالفتها لظاهر الكتاب، وهي:

١- أنه لا يخلو إما أنه جعل الله هذه الذرية المستخرجة من صلب آدم عقلاء أو لم يجعلهم كذلك، فإن لم يجعلهم عقلاء فلا يصح أن يعرفوا التوحيد وأن يفهموا خطاب الله تعالى، وإن جعلهم عقلاء وأخذ منهم الميثاق وبنى صحه التكليف على ذلك وجب أن يذكروا ذلك ولا ينسوه، لأن أخذ الميثاق إنما تتم الحجّة به على المأخوذ منه إذا كان على ذكر منه من غير نسيان، كما ينص عليه قوله تعالى: **أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ.** ونحن لا نذكر وراء ما نحن عليه من الخلقه الدنيوية الحاضرة شيئاً، فليس المراد بالآية إلا موقف الإنسان في الدنيا وما يشاهده فيه من حاجته إلى رب يملكه ويدبر أمره وهو رب كل شيء.

٢- أنه لا يجوز أن ينسى الجمع الكثير والجسم الغفير من العقلاء أمراً قد كانوا عرفوه وميزوه حتى لا يذكره ولا واحد منهم، وليس العهد به بأطول من عهد أهل الجنة بحوادث مضت عليهم في الدنيا وهم يذكرون ما وقع عليهم في الدنيا كما يحكيه تعالى في مواضع من كلامه كقوله: **قَالَ قَاتِلْ مِنْهُمْ إِنِّي كَأَنَّ لِي قَرِينٌ... إلى آخر الآيات، الصافات: ٥١.** وقد حكى نظير ذلك عن أهل النار كقوله: **وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ.ص: ٦٢...** إلى غير ذلك من الآيات.

ولو جاز النسيان على هؤلاء الجماعة مع هذه الكثرة لجاز أن يكون الله سبحانه قد كلف خلقه فيما مضى من الزمن ثم أعادهم ليثيبهم أو ليعاقبهم جزاء لأعمالهم في الخلق الأول وقد نسوا ذلك، ولازم ذلك صحة قول التناسخية أن المعاد إنما هو خروج النفس عن بدنها ثم دخولها في بدن آخر لتجد في الثاني جزاء الأعمال التي عملتها في الأول.

٣- ما أورد على الأخبار الناطقة بأن الله سبحانه أخذ من صلب آدم ذريته وأخذ منهم الميثاق بأن الله سبحانه قال: **أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ وَلَمْ يَقُلْ مِنْ آدَمَ، وَقَالَ مِنْ ظُهُورِهِمْ وَلَمْ يَقُلْ مِنْ ظَهْرِهِ، وَقَالَ ذُرِّيَّتَهُمْ وَلَمْ يَقُلْ ذُرِّيَّتَهُ،** ثم أخبر بأنه إنما فعل بهم ذلك لثلاثا يقولوا **يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ** أو يقولوا **إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ... الآية.** وهذا يقتضى أن يكون لهم آباء مشركون فلا يتناول ظاهر الآية أولاد آدم لصلبه.

ومن هنا قال بعضهم إن الآية خاصة ببعض بنى آدم غير عامة لجميعهم، فإنها لا تشمل آدم وولده لصلبه وجميع المؤمنين، ومن المشركين من ليس له آباء مشركون، بل تختص بالمشركين الذين لهم سلف مشرك.

٤- إن تفسير الآية بعالم الذر ينافى قولهم كما في الآية: **إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا** لدلالته على وجود آباء لهم مشركين، وهو ينافى وجود الجميع هناك بوجود واحد جمعى.

٥- ما ذكره بعضهم أن الروايات مقبولة مسلمة غير أنها ليست بتأويل للآية، والذي تقصه من حديث عالم الذر إنما هو أمر فعله الله سبحانه بنى آدم قبل وجودهم في هذه النشأة ليجروا بذلك على الأعراف الكريمة في معرفة ربوبيته، كما روى أنهم ولدوا على الفطرة، وكما قيل إن نعيم الأطفال في الجنة ثواب إيمانهم بالله في عالم الذر. وأما الآية فليست تشير إلى ما تشير إليه الروايات، فإن الآية تذكر أنه إنما فعل بهم ذلك لتقطع به حجته يوم القيامة: **إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**، ولو كان المراد به ما فعل بهم في عالم الذر لكان لهم أن يحتجوا على الله فيقولوا ربنا إنك أشهدتنا على أنفسنا يوم أخرجتنا من صلب آدم فكنا على يقين بأنك ربنا، كما أنا اليوم وهو يوم القيامة على يقين من ذلك لكنك أنسيتنا موقف الإشهاد في الدنيا التي هي موطن التكليف والعمل ووكلتنا إلى عقولنا، فعرف ربوبيتك من عرفها بعقله وأنكرها من أنكرها بعقله، كل ذلك بالإستدلال، فما ذنبنا في ذلك وقد نزع منا عين المشاهدة وجهزتنا بجهاز شأنه الإستدلال وهو يخطئ ويصيب.

٦- أن الآية لا صراحة لها فيما تدل عليه الروايات لإمكان حملها على التمثيل، وأما الروايات فهي إما مرفوعة أو موقوفة ولا حجية فيها. هذه جملة ما أوردوه على دلالة الآية وحجية الروايات، وقد زيفها المثبتون لنشأة الذر وهم عامة أهل الحديث وجمع من غيرهم من المفسرين بأجوبة:

فالجواب عن الأول، أن نسيان الموقف وخصوصياته لا يضر بتمام الحجة، وإنما المضر نسيان أصل الميثاق وزوال معرفة وحدانية الرب تعالى وهو غير منسى ولا زائل عن النفس، وذلك يكفي في تمام الحجة، ألا ترى أنك إذا أردت أن تأخذ ميثاقاً من زيد فدعوته إليك وأدخلته بيتك وأجلسته مجلس الكرامة ثم بشرته وأنذرتة ما استطعت ولم تزل به حتى أرضيته فأعطاك العهد وأخذت منه الميثاق، فهو مأخوذ بميثاقه مادام ذاكراً لأصله وإن نسي حضوره عندك ودخوله بيتك وجميع ما جرى بينك وبينه وقت أخذ الميثاق، غير أصل العهد.

والجواب عن الثاني، أن الإمتناع من تجويز نسيان الجمع الكثير لذلك مجرد استبعاد من غير دليل على الإمتناع، مضافاً إلى أن أصل المعرفة بالربوبية المذكور غير منسى كما ذكرنا وهو يكفي في تمام الحجة، وأما حديث التناسخية فليس الدليل على امتناع التناسخ

منحصرأ في استحالة نسيان الجماعة الكثيرة ما مضى عليهم في الخلق الأول، حتى لو لم يستحل ذلك صح القول بالتناسخ، بل لا بطل القول به دليل آخر كما يعلم بالرجوع إلى محله، وبالجملة لا دليل على استحالة نسيان بعض العوالم في بعض آخر. والجواب عن الثالث، أن الآية غير ساكتة عن إخراج ولد آدم لصلبه من صلبه، فإن قوله تعالى: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ، كاف وحده في الدلالة عليه، فإن فرض بنى آدم فرض إخراجهم من صلب آدم من غير حاجة إلى مؤونة زائدة، ثم إخراج ذريتهم من ظهورهم بإخراج أولاد الأولاد من صلب الأولاد وهكذا، ويتحصل منه أن الله أخرج أولاد آدم لصلبه من صلبه ثم أولادهم من أصلابهم ثم أولاد أولادهم من أصلاب أولادهم حتى ينتهي إلى آخرهم، نظير ما يجرى عليه الأمر في هذه النشأة الدنيوية التي هي نشأة التوالد والتناسل.

وقد أجاب الرازي عنه في تفسيره بأن الدلالة على إخراج أولاده لصلبه من صلبه من ناحية الخبر، كما أن الدلالة على إخراج أولاد أولاده من أصلاب آبائهم من ناحية الآية، فبمجموع الآية والخبر تتم الدلالة على المجموع، وهو كما ترى. وأما الأخبار المشتملة على ذكر إخراج ذرية آدم من صلبه وأخذ الميثاق منهم، فهي في مقام شرح القصة لا في مقام تفسير ألفاظ الآية حتى يورد عليها بعدم موافقه الكتاب أو مخالفته. وأما عدم شمول الآية لأولاد آدم من صلبه لعدم وجود آباء مشركين لهم وكذا بعض من عداهم فلا يضر شيئاً، لأن مراد الآية أن الله سبحانه إنما فعل ذلك لثلاثي يقول المشركون يوم القيامة إنما أشرك آباؤنا، ولا أن يقول كل واحد منهم إنما أشرك آبائي، فهذا مما لم يتعلق به الغرض ألبتة، فالقول قول المجموع من حيث المجموع لا قول كل واحد، فيؤول المعنى إلى أنا لو لم نفعل ذلك لكان كل من أردنا إهلاكه يوم القيامة يقول لم أشرك أنا وإنما أشرك من كان قبلي ولم أكن إلا ذرياً وتابعاً لا متبوعاً.

والجواب عن الرابع، يظهر من الجواب عن سابقه، قد دلت الآية والرواية على أن الله فصل هناك بين الآباء والأبناء ثم ردهم إلى حال الجمع.

والجواب عن الخامس، أنه خلاف ظاهر بعض الروايات وخلاف صريح بعض آخر منها، وما في ذيله من عدم تمام الحجّة من جهة عروض النسيان، ظهر الجواب عنه من الجواب عن الإشكال الأول.

والجواب عن السادس، أن استقرار الظهور في الكلام كاف في حجته، ولا يتوقف ذلك على صفة الصراحة، وإمكان الحمل على التمثيل لا يوجب الحمل عليه ما لم يتحقق هناك مانع عن حمله على ظاهره، وقد تبين أن لا مانع من ذلك.

وإما أن الروايات ضعيفة لا معول عليها فليس كذلك، فإن فيها ما هو الصحيح، وفيها ما يوثق بصدوره كما سيحجى إن شاء الله تعالى في البحث الروائي التالي.

هذا ملخص ما جرى بينهم من البحث فيما استفيد من الآية من حديث عالم الذر إثباتاً ونفيّاً، واعتراضاً وجواباً. واستيفاء التدبر في الآية والروايات، والتأمل فيما يرومه المثبتون بإثباتهم ويدفعه المنكرون بإنكارهم، يوجب توجيه البحث إلى جهة أخرى غير ما تشاجر فيه الفريقان بإثباتهم ونفيهم.

فالذى فهمه المثبتون من الرواية ثم حملوه على الآية وانتفضوا لإثباته محصله: أن الله سبحانه بعدما خلق آدم إنساناً تاماً سوياً أخرج نطفه التي تكونت في صلبه ثم صارت هي بعينها أولاده الصليبين إلى الخارج من صلبه، ثم أخرج من هذه النطف نطفها التي ستكون أولاداً له صليبين ففصل بين أجزائها والأجزاء الأصلية التي اشتقت منها، ثم من أجزاء هذه النطف أجزاء أخرى هي نطفها ثم من أجزاء الأجزاء أجزاءها، ولم يزل حتى أتى آخر جزء مشتق من الأجزاء المتعاقبة في التجزى.

وبعبارة أخرى: أخرج نطفة آدم التي هي مادة البشر ووزعها بفصل بعض أجزائه من بعض إلى ما لا يحصى من عدد بنى آدم بحذاء كل فرد ما هو نصيبه من أجزاء نطفة آدم، وهي ذرات منبئة غير محصورة، ثم جعل الله سبحانه هذه الذرات المنبئة عند ذلك أو كان قد جعلها قبل ذلك كل ذرة منها إنساناً تاماً في إنسانيته هو بعينه الإنسان الدنيوى الذى هو جزء المقدم له، فالجزء الذى لزيد هناك

هو زيد هذا بعينه والذي لعمرو هو عمرو هذا بعينه، فجعلهم ذوى حياة وعقل وجعل لهم ما يسمعون به وما يتكلمون به وما يضمرون به معانى فيظهورونها أو يكتمونها، وعند ذلك عرفهم نفسه فخطبهم فأجابوه وأعطوه الإقرار بالربوبية، إما بموافقة ما فى ضميرهم لما فى لسانهم أو بمخالفة ذلك.

ثم إن الله سبحانه ردهم بعد أخذ الميثاق إلى مواطنهم من الأصلاب حتى اجتمعوا فى صلب آدم وهى على حياتها ومعرفتها بالربوبية وإن نسوا ما وراء ذلك مما شاهدوه عند الإشهاد وأخذ الميثاق، وهم بأعيانهم موجودون فى الأصلاب حتى يؤذن لهم فى الخروج إلى الدنيا فيخرجون، وعندهم ما حصلوه فى الخلق الأول من معرفة الربوبية، وهى حكمهم بوجود رب لهم من مشاهدة أنفسهم محتاجة إلى من يملكهم ويدبر أمرهم.

هذا ما يفهمه القوم من الخير والآية ويرومون إثباته، وهو مما تدفعه الضرورة وينفيه القرآن والحديث بلا ريب، وكيف الطريق إلى اثبات أن ذرة من ذرات بدن زيد وهو الجزء الذرى الذى انتقل من صلب آدم من طريق نطفته إلى ابنه ثم إلى ابن ابنه حتى انتهى إلى زيد هو زيد بعينه وله إدراك زيد وعقله وضميره وسمعه وبصره، وهو الذى يتوجه إليه التكليف وتتم له الحجة ويحمل عليه العهود والمواثيق ويقع عليه الثواب والعقاب، وقد صح بالحجة القاطعة من طريق العقل والنقل أن إنسانية الإنسان بنفسه التى هى أمر وراء المادة حادث بحدوث هذا البدن الدنيوى، وقد تقدم شطر من البحث فيها.

على أنه قد ثبت بالبحث القطعى أن هذه العلوم التصديقية البديهية والنظرية، ومنها التصديق بأن له رباً يملكه ويدبر أمره، تحصل للإنسان بعد حصول التطورات، والجميع تنتهى إلى الإحساسات الظاهرة والباطنة، وهى تتوقف على وجود التركيب الدنيوى المادى، فهو حال العلوم الحصولية التى منها التصديق بأن له رباً هو القائم برفع حاجته.

على أن هذه الحجة إن كانت متوقفة فى تمامها على العقل والمعرفة معاً فالعقل مسلوب عن الذرة حين أرجعت إلى موطنها الصلبى حتى تظهر ثانياً فى الدنيا، وإن قيل إنه لم يسلب عنها ما تجرى فى الأصلاب والأرحام فهو مسلوب عن الإنسان ما بين ولادته وبلوغه أعنى أيام الطفولية، ويختل بذلك أمر الحجة على الإنسان وإن كانت غير متوقفة عليه، بل يكفى فى تمامها مجرد حصول المعرفة، فأى حجة إلى الإشهاد وأخذ الميثاق، وظاهر الآية أن الإشهاد وأخذ الميثاق إنما هما لأجل إتمام الحجة، فلا محالة يرجع معنى الآية إلى حصول المعرفة فيؤول المعنى إلى ما فسرها به المنكرون.

وبتقرير آخر إن كانت الحجة إنما تتم بمجموع الإشهاد والتعريف وأخذ الميثاق سقطت بنسيان البعض وقد نسى الإشهاد والتكليم وأخذ الميثاق، وإن كان الإشهاد وأخذ الميثاق جميعاً مقدمة لثبوت المعرفة ثم زالت المقدمة ولزمت المعرفة وبها تمام الحجة، تمت الحجة على كل إنسان حتى الجنين والطفل والمعته والجاهل، ولا يساعد عليه عقل ولا نقل، وإن كانت المعرفة فى تمام الحجة بها متوقفة على حصول العقل والبلوغ ونحو ذلك وقد كانت حصلت فى عالم الذر فتمت الحجة ثم زالت وبقيت المعرفة حجة ناقصة ثم كملت ثانياً لبعضهم فى الدنيا فتمت الحجة ثانياً بالنسبة إليهم، فكما أن لحصول العقل فى الدنيا أسباباً تكوينية يحصل بها وهى الحوادث المتكررة من الخير والشر، وحصول الملكة المميزة بينهما من التجارب حصولاً تدريجياً ينتهى من جانب إلى حد من الكمال ومن جانب إلى حد من الضعف لا يعأ به، كذلك المعرفة لها أسباب إعدادية تهى الإنسان إلى التلبس بها وليست تحصل قبل ذلك، وإذا كانت تحصل فى ظرفنا هذا بأسبابها المعدة لها كالعقل، فأى حجة إلى تكوينه تكويناً آخر فى سالف من الزمان لاتمام الحجة والحجة تامه دونه وماذا يعنى ذلك.

على أن هذا العقل الذى لا تتم حجة ولا ينفع إشهاد ولا يصح أخذ ميثاق بدونه حتى فى عالم الذر، المفروض هو العقل العملى الذى لا يحصل للإنسان إلا فى هذا الظرف الذى يعيش فيه عيشة اجتماعية، فتتكرر عليه حوادث الخير والشر وتهيج عواطفه وإحساساته الباطنية نحو جلب النفع ودفع الضرر، فتعاقب عليه الأعمال عن علم وإرادة فيخطئ ويصيب، حتى يتدرب فى تمييز الصواب من الخطأ والخير من الشر والنفع من الضرر.

والظرف الذى يثبتونه أعنى ما يصفونه من عالم الذر ليس بموطن العقل العملى، إذ ليس فيه شرائط حصوله وأسبابه، ولو فرضوه موطناً له وفيه أسبابه وشرائطه كما يظهر مما يصفونه تعويلاً على ما فى ظواهر الروايات أن الله دعاهم هناك إلى التوحيد فأجابه بعضهم بلسان يوافق قلبه وأجابه آخرون وقد أضمرُوا الكفر وبعث إليهم الأنبياء والأوصياء فصدقهم بعض وكذبهم آخرون، ولا يجرى ما هاهنا إلا على ما جرى به ما هنالك، إلى غير ذلك مما ذكره، كان ذلك إثباتاً لنشأة طبيعية قبل هذه النشأة الطبيعية فى الدنيا نظير ما يثبتهُ القائلون بالأدوار والأكوار، واحتاج إلى تقديم كينونة ذرية أخرى تتم بها الحجّة على من هنالك من الإنسان، لأن عالم الذر على هذه الصفة لا يفارق هذا العالم الحيوى الذى نحن فيه الآن، فلو احتاج هذا الكون الدينوى إلى تقديم إسهاد وتعريف حتى تحصل المعرفة وتتم الحجّة لاحتاج إليه الكون الذرى من غير فرق فارق ألبتة.

على أن الإنسان لو احتاج فى تحقق المعرفة فى هذه النشأة الدينوية إلى تقدم وجود ذرى يقع فيه الإسهاد ويوجد فيه الميثاق حتى تثبت بذلك المعرفة الربوبية، لم يكن فى ذلك فرق بين إنسان وإنسان، فما بال آدم وحواء استثنيا من هذه الكلية، فإن لم يحتاجا إلى ذلك لفضل فيهما أو لكرامة لهما ففى ذريتهما من هو أفضل منهما وأكرم، وإن كان لتمام خلقتهما يومئذ فأثبتت فيهما المعرفة من غير حاجة إلى إحضار الوجود الذرى، فلكل من ذريتهما أيضاً خلقة تامة فى ظرفه الخاص به، فلم لم يؤخر إثبات المعرفة فيهم ولهم إلى تمام خلقتهم بالولادة حتى تتم عند ذلك الحجّة، وأى حاجة إلى التقديم.

فهذه جهات من الإشكال فى تحقق الوجود الذرى للإنسان على ما فهموه من الروايات لا طريق إلى حلها بالأبحاث العلمية، ولا حمل الآية عليه معها حتى بناء على عادة القوم فى تحمیل المعنى على الآية إذا دلت عليه الرواية وإن لم يساعد عليه لفظ الآية، لأن الرواية القطعية الصدور كالأية مصنونة عن أن تنطق بالمحال.

وأما الحشوية وبعض المحدثين ممن يبطل حجّة العقل الضرورية قبال الرواية ويتمسك بالآحاد فى المعارف اليقينية، فلا بحث لنا معهم.

هذا ما على المثبتين. بقى الكلام فيما ذكره النافون أن الآية تشير إلى ما عليه حال الإنسان فى هذه الحياة الدنيا، وهو أن الله سبحانه أخرج كلا من آحاد الإنسان من الأصلاب والأرحام إلى مرحلة الانفصال والتفرق، وركب فيهم ما يعرفون به ربوبيته واحتياجهم إليه، كأنه قال لهم إذا وجه وجوههم نحو أنفسهم المستغرقة فى الحاجة: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ، وكأنهم لما سمعوا هذا الخطاب من لسان الحال قالوا: بلى أنت ربنا شهدنا بذلك، وإنما فعل الله ذلك لتتم عليهم حجته بالمعرفة وتنقطع حجته عليه بعدم المعرفة، وهذا ميثاق مأخوذ منهم طول الدنيا جار ما جرى الدهر والإنسان يجرى معه.

والآية بسياقها لا تساعد عليه، فإنه تعالى افتتح الآية بقوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ... الآية فعبر عن ظرف هذه القضية بإذ، وهو يدل على الزمن الماضى أو على أى ظرف محقق الوقوع نحوه، كما فى قوله: وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ آنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ، إلى أن قال: قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ. المائدة: ١١٩، فعبر بإذ عن ظرف مستقبل لتحقيق وقوعه.

وقوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ خطاب للنبي (ص) وأوله ولغيره كما يدل عليه قوله: أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ... الآية، إن كان الخطاب متوجهاً إلينا معاشر السامعين للآيات المخاطبين بها والخطاب خطاب دينوى لنا معاشر أهل الدنيا، والظرف الذى يتكى عليه هو زمن حياتنا فى الدنيا أو زمن حياة النوع الإنسانى فيها وعمره الذى هو طول إقامته الأرض، والقصة التى يذكرها فى الآية ظرفها عين ظرف وجود النوع فى الدنيا فلا مصحح للتعبير عن ظرفها بلفظة إذ الدالة على تقدم ظرف القصة على ظرف الخطاب، ولا عناية أخرى فى المقام تصحح هذا التعبير من قبيل تحقق الوقوع ونحوه وهو ظاهر.

فقوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ، فى عين أنه يدل على قصة خلقه تعالى النوع الإنسانى بنحو التوليد، وأخذ الفرد من الفرد وبث الكثير من القليل، كما هو المشهود فى نحو تكون الآحاد من الإنسان وحفظهم وجود النوع بوجود البعض من البعض على التعاقب، يدل على أن للقصة وهى تنطبق على الحال المشهود نوعاً من التقدم على هذا المشهود من جريان الخلقة

وسيرها.

وقد تقدمت استحالة ما افترضوا لهذا التقدم من تقدم هذه الخلقه بنحو تقدماً زمانياً بأن يأخذ الله أول فرد من هذا النوع فيأخذ منه مادة النطفة التي منها نسل هذا النوع فيجزؤها أجزاء ذرية بعدد أفراد النوع إلى يوم القيامة، ثم يلبس وجود كل فرد بعينه بحياته وعقله وسمعه وبصره وضميره وظهره وبطنه ويكسيه وجوده التي هي له قبل أن يسير مسيره الطبيعي فيشاهده نفسه ويأخذ منه الميثاق، ثم ينزعه منها ويردها إلى مكانها الصلب، حتى يسير سيره الطبيعي وينتهي إلى موطنها الذي لها من الدنيا، فقد تقدم بطلان ذلك وأن الآية أجنبية عنه.

لكن الذي أحال هذا المعنى هو استلزامه وجود الإنسان بماله من الشخصية الدنيوية مرتين في الدنيا واحدة بعد أخرى، المستلزم لكون الشيء غير نفسه بتعدد شخصيته، فهو الأصل الذي تنتهي إليه جميع المشكلات السابقة.

وأما وجود الإنسان أو غيره في امتداد مسيره إلى الله ورجوعه إليه في عوالم مختلفة النظام متفاوتة الحكم فليس بمحال، وهو مما يثبتته القرآن الكريم ولو كره ذلك الكافرون الذين يقولون إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر فقد أثبت الله الحياة الآخرة للإنسان وغيره يوم البعث وفيه هذا الإنسان بعينه، وقد وصفه بنظام وأحكام غير هذه النشأة الدنيوية نظاماً وأحكاماً. وقد أثبت حياة برزخية لهذا الإنسان بعينه وهي غير الحياة الدنيوية نظاماً وحكماً. وأثبت بقوله: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ. الحجر: ٢١، أن لكل شيء عنده وجوداً وسيعاً غير مقدر في خزائنه وإنما يلحقه الأقدار إذا نزله إلى الدنيا مثلاً، فللعالم الإنساني على سعته سابق وجود عنده تعالى في خزائنه، أنزله إلى هذه النشأة.

وأثبت بقوله: إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون. فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِيهِ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ. يس: ٨٣، وقوله: وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ. القمر: ٥٠، وما يشابههما من الآيات.

أن هذا الوجود التدريجي الذي للأشياء ومنها الإنسان هو أمر من الله يفيضه على الشيء ويلقيه إليه بكلمة كن، إفاضة دفعية وإلقاء غير تدريجي.

فلوجود هذه الأشياء وجهان: وجه إلى الدنيا وحكمه أن يحصل بالخروج من القوة إلى الفعل تدريجاً ومن العدم إلى الوجود شيئاً فشيئاً، ويظهر ناقصاً ثم لا يزال يتكامل حتى يفنى ويرجع إلى ربه.

ووجه إلى الله سبحانه وهي بحسب هذا الوجه أمور تدريجية، وكل ما لها فهو لها في أول وجودها من غير أن تحتل قوة تسوقها إلى الفعل.

وهذا الوجه غير الوجه السابق وإن كانا وجهين لشيء واحد، وحكمه غير حكمه وإن كان تصويره التام يحتاج إلى لطف قريحه، وقد شرحناه في الأبحاث السابقة بعض الشرح، وسيجي إن شاء الله استيفاء الكلام في شرحه.

ومقتضى هذه الآيات أن للعالم الإنساني على ما له من السعة وجوداً جميعاً عند الله سبحانه، وهو الذي يلي جهته تعالى ويفيضة على أفراده لا- يغيب فيها بعضهم عن بعض ولا- يغيبون فيه عن ربهم ولا- هو يغيب عنهم، وكيف يغيب فعل عن فاعله أو ينقطع صنع عن صانعه، وهذا هو الذي يسميه الله سبحانه بالملكوت، ويقول: وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ. الانعام: ٧٥ ويشير إليه بقوله: كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ. لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ. ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ. التكاثر: ٧.

وأما هذا الوجه الدنيوي الذي نشاهده نحن من العالم الإنساني، وهو الذي يفرق بين الآحاد ويشتت الأحوال والأعمال بتوزيعها على قطعات الزمان وتطبيقها على مر الليالي والأيام ويحجب الإنسان عن ربه بصرف وجهه إلى التمتع المادية الأرضية واللذائذ الحسية، فهو متفرع على الوجه السابق متأخر عنه. وموقع تلك النشأة وهذه النشأة في تفرعها عليها موقعاً كن ويكون في قوله تعالى: أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. يس: ٨٢.

ويتبين بذلك أن هذه النشأة الإنسانية الدنيوية مسبوقه بنشأة أخرى إنسانية هي بعينها غير أن الآحاد موجودون فيها غير محجوبين

عن ربهم، يشاهدون فيها وحدانيته تعالى في الربوبية بمشاهدته أنفسهم، لا من طريق الاستدلال، بل لأنهم لا ينقطعون عنه ولا يفقدونه ويعترفون به وبكل حق من قبله. وأما قذارة الشرك وألوات المعاصي فهو من أحكام هذه النشأة الدنيوية دون تلك النشأة التي ليس فيها إلا فعله تعالى القائم به، فافهم ذلك.

وأنت إذا تدبرت هذه الآيات ثم راجعت قوله تعالى: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ... الآية، وأجدت التدبر فيها وجدتها تشير إلى تفصيل أمر تشير هذه الآيات إلى إجماله، فهي تشير إلى نشأة إنسانية سابقة فرق الله فيها بين أفراد هذا النوع وميز بينهم وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا.

ولا يرد عليه ما أورد على قول المثبتين في تفسير الآية على ما فهموه من معنى عالم الذر من الروايات على ما تقدم، فإن هذا المعنى المستفاد من سائر الآيات والنشأة السابقة التي تثبت لا تفارق هذه النشأة الإنسانية الدنيوية زماناً، بل هي معها محيطه بها لكنها سابقة عليها سبق الذي في قوله تعالى: كُنْ فَيَكُونُ، ولا يرد عليه شيء من المحاذير المذكورة.

ولا يرد عليه ما أوردناه على قول المنكرين في تفسيرهم الآية بحال وجود النوع الإنساني في هذه النشأة الدنيوية من مخالفته لقوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ، ثم التجوز في الإشهاد بإرادة التعريف منه وفي الخطاب بقوله: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ بإرادة دلالة الحال، وكذا في قوله: قَالُوا بَلَى، وقوله: شَهِدْنَا، بل الظرف ظرف سابق على الدنيا وهو غيرها، والإشهاد على حقيقته والخطاب على حقيقته.

ولا يرد عليه أنه من قبيل تحميل الآية معنى لا تدل عليه، فإن الآية لا تأبى عنه، وسائر الآيات تشير إليه بضم بعضها إلى بعض. وأما الروايات فسيأتي أن بعضها يدل على أصل تحقق هذه النشأة الإنسانية كالأية، وبعضها يذكر أن الله كشف لادم عليه السلام عن هذه النشأة الإنسانية وأراه هذا العالم الذي هو ملكوت العالم الإنساني وما وقع فيه من الاشهاد وأخذ الميثاق، كما أرى إبراهيم عليه السلام ملكوت السماوات والأرض.

رجعنا إلى الآية، قوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ، أى واذكر لأهل الكتاب في تميم البيان السابق، أو واذكر للناس في بيان ما نزلت السورة ٢٠: لاجل بيانه، وهو أن الله عهداً على الإنسان وهو سائله عنه وأن أكثر الناس لا يفون به وقد تمت عليهم الحجة، أذكر لهم موطناً قبل الدنيا أخذ فيه ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم فما من أحد منهم إلا استقل من غيره وتميز منه فاجتمعوا هناك جميعاً وهم فرادى فأراهم ذواتهم المتعلقة بربهم وأشهدهم على أنفسهم فلم يحتجوا عنه وعانوا أنه ربهم، كما أن كل شيء بفطرته يجد ربه من نفسه من غير أن يحتج عنه، وهو ظاهر الآيات القرآنية كقوله: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ. الاسراء: ٤٤.

أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ، وهو خطاب حقيقى لهم لا- بيان حال، وتكليم إلهى لهم فإنهم يفهمون مما يشاهدون أن الله سبحانه يريد به منهم الإعراف وإعطاء الموثق، ولا نعى بالكلام إلا ما يلقي للدلالة به على معنى مراد، وكذا الكلام في قوله: قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا. وقوله: أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، الخطاب للمخاطبين بقوله: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ القائلين بلى شَهِدْنَا، فهم هناك يعاينون الاشهاد والتكليم من الله والتكلم بالإعتراف من أنفسهم، وإن كانوا في نشأة الدنيا على غفلة مما عدا المعرفة بالاستدلال، ثم إذا كان يوم البعث وانطوى بساط الدنيا وانمحت هذه الشواغل والحجب عادوا إلى مشاهدتهم ومعاينتهم، وذكروا ما جرى بينهم وبين ربهم. ويحتمل أن يكون الخطاب راجعاً إلينا معاشر المخاطبين بالآيات، أى إنما فعلنا بنى آدم ذلك حذر أن تقولوا أيها الناس يوم القيامة كذا وكذا، والأول أقرب ويؤيده قراءة أن يقولوا بلفظ الغيبة.

وقوله: أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ، هذه حجة الناس إن فرض الإشهاد وأخذ الميثاق من الآباء خاصة دون الذرية، كما أن قوله أن تقولوا الخ، حجة للناس إن ترك الجميع فلم يقع إشهاد ولا أخذ ميثاق من أحد منهم.

ومن المعلوم أن لو فرض ترك الإشهاد وأخذ الميثاق في تلك النشأة كان لازمه عدم تحقق المعرفة بالربوبية في هذه النشأة إذ لا حجاب بينهم وبين ربهم في تلك النشأة، فلو فرض هناك علم منهم كان ذلك إشهاداً وأخذ ميثاق، وأما هذه النشأة فالعلم فيها من

وراء الحجاب وهو المعرفة من طريق الإستدلال، فلو لم يقع هناك بالنسبة إلى الذرية إسهاد وأخذ ميثاق كان لازمه في هذه النشأة أن لا يكون لهم سبيل إلى معرفة الربوبية فيها أصلاً، وحينئذ لم يقع منهم معصية شرك بل كان ذلك فعل آبائهم وليس لهم إلا التبعية العملية لآبائهم والنشوء على شركهم من غير علم، فصح لهم أن يقولوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ.

قوله تعالى: وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ، تفصيل الآيات تفريق بعضها وتمييزه من بعض ليتبين بذلك مدلول كل منها ولا تختلط وجوه دلالتها، وقوله: وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ، عطف على مقدر والتقدير لغايات عالية كذا وكذا ولعلهم يرجعون من الباطل إلى الحق. (ثم أورد صاحب الميزان رحمه الله رواية ابن الكوا المتقدمة، وقال):

أقول والرواية كما تقدم وبعض ما يأتي من الروايات يذكر مطلق أخذ الميثاق من بنى آدم من غير ذكر إخراجهم من صلب آدم وإراءتهم إياه. وكان تشبيههم بالذر كما في كثير من الروايات تمثيل لكثرتهم كالذر لا لصغرهم جسماً أو غير ذلك، ولكثرة ورود هذا التعبير في الروايات سميت هذه النشأة بعالم الذر.

وفي الرواية دلالة ظاهرة على أن هذا التكليم كان تكليماً حقيقياً لا مجرد دلالة الحال على المعنى. وفيها دلالة على أن الميثاق لم يؤخذ على الربوبية فحسب، بل على النبوة وغير ذلك. وفي كل ذلك تأييد لما قدمناه.

وفي تفسير العياشي عن رفاعه قال: سألت أبا عبد الله عن قول الله: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ، قال نعم لله الحجة على جميع خلقه أخذهم يوم أخذ الميثاق هكذا، وقبض يده.

أقول: وظاهر الرواية أنها تفسر الأخذ في الآية بمعنى الإحاطة والملك.

وفي تفسير القمي عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن مسكان، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى، قلت: معانيه كان هذا؟ قال: نعم... (إلى آخر الرواية المتقدمة)..

أقول: والرواية ترد على منكرى دلالة الآية على أخذ الميثاق في الذر تفسيرهم قوله: وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ، أن المراد به أنه عرفهم آياته الدالة على ربوبيته، والرواية صحيحة ومثلها في الصراحة والصحة ما سيأتي من رواية زرارة وغيره.

وفي الكافي عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن زرارة: أن رجلاً سأل أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ.. إلى آخر الآية، فقال وأبوه يسمع: حدثني أبي أن الله عز وجل قبض قبضه من تراب التربة التي خلق منها آدم فصب عليها الماء العذب الفرات، ثم تركها أربعين صباحاً، ثم صب عليها الماء المالح الاجاج، فتركها أربعين صباحاً، فلما اختمرت الطينة أخذها فعركها عركاً شديداً، فخرجوا كالذر من يمينه وشماله، وأمرهم جميعاً أن يقفوا في النار، فدخلها أصحاب اليمين فصارت عليهم برداً وسلاماً، وأبى أصحاب الشمال أن يدخلوها.

أقول: وفي هذا المعنى روايات أخرى، وكان الأمر بدخول النار كناية عن الدخول حظيرة العبودية والإنقياد للطاعة.

وفيه بإسناده عن عبد الله بن محمد الحنفى وعقبه جميعاً عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله عز وجل خلق الخلق، فخلق من أحب مما أحب، فكان ما أحب أن خلقه من طينه الجنة، وخلق من أبغض مما أبغض، وكان ما أبغض أن خلقه من طينه النار، ثم بعثهم في الظلال، فقيل: وأي شئ الظلال قال: ألم تر إلى ظلك في الشمس شئ وليس بشئ، ثم بعث معهم النبيين فدعواهم إلى الإقرار بالله، وهو قوله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله، ثم دعواهم إلى الإقرار فأقر بعضهم وأنكر بعض، ثم دعواهم إلى ولايتنا، فأقر بها والله من أحب وأنكرها من أبغض، وهو قوله: وما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل، ثم قال أبو جعفر عليه السلام كان التكذيب ثم.

أقول: والرواية وإن لم تكن مما وردت في تفسير آية الذر، غير أنا أوردناها لاشتمالها على قصة أخذ الميثاق وفيها ذكر الظلال، وقد تكرر ذكر الظلال في لسان أئمة أهل البيت عليهم السلام والمراد به كما هو ظاهر الرواية وصف هذا العالم الذي هو بوجه عين العالم الدنيوى وبوجه غيره، وله أحكام غير أحكام الدنيا بوجه وعينها بوجه، فينطبق على ما وصفناه في البيان المتقدم.

وفى الكافي وتفسير العياشى عن أبى بصير قال: قلت لاجىء عبد الله عليه السلام كيف أجابوا وهم ذر؟ قال: جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه، وزاد العياشى يعنى فى الميثاق.

أقول: وما زاده العياشى من كلام الراوى، وليس المراد بقوله جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه دلالة حالهم على ذلك، بل لما فهم الراوى من الجواب ما هو من نوع الجوابات الدنيوية استبعد صدوره عن الذر، فسأل عن ذلك فأجابه عليه السلام بأن الأمر هناك بحيث إذا نزلوا فى الدنيا كان ذلك منهم جواباً دنيوياً باللسان والكلام اللفظى، ويؤيده قوله عليه السلام ما إذا سألهم ولم يقل ما لو تكلموا ونحو ذلك.

وفى تفسير العياشى أيضاً عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السلام: فى قول الله: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ، قالوا بألستهم؟ قال نعم وقالوا بقلوبهم، فقلت وأين كانوا يومئذ؟ قال صنع منهم ما اكتفى به..

أقول: جوابه عليه السلام إنهم قالوا بلى بألستهم وقلوبهم مبنى على كون وجودهم يومئذ بحيث لو انتقلوا إلى الدنيا كان ذلك جواباً بلسان على النحو المعهود فى الدنيا، لكن اللسان والقلب هناك واحد، ولذلك قال عليه السلام نعم وقلوبهم فصدق اللسان وأضاف إليه القلب. ثم لما كان فى ذهن الراوى أنه أمر واقع فى الدنيا ونشأة الطبيعة وقد ورد فى بعض الروايات التى تذكر قصة إخراج الذرية من ظهر آدم تعيين المكان له وقد روى بعضها هذا الراوى أعنى أبى بصير، سأله عليه السلام عن مكانهم بقوله وأين كانوا يومئذ؟ فأجابه عليه السلام بقوله: صنع منهم ما اكتفى به، فلم يجبه بتعيين المكان بل بأن الله سبحانه خلقهم خلقاً يصح معه السؤال والجواب، وكل ذلك يؤيد ما قدمناه فى وصف هذا العالم.

والرواية كغيرها مع ذلك كالصریح فى أن التكليم والتكلم فى الآية على الحقيقة دون المجاز، بل هى صريحة فيه.

وفى الدر المنثور أخرج عبد بن حميد والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول، وأبو الشيخ فى العظمة، وابن مردويه، عن أبى إمامة أن رسول الله (ص) قال: خلق الله الخلق وقضى القضية، وأخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء، فأخذ أهل اليمين بيمينه، وأخذ أهل الشمال بيده الأخرى، وكلتا يدي الرحمن يمين، فقال: يا أصحاب اليمين، فاستجابوا له، فقالوا: لبيك ربنا وسعديك، قال: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى. قال: يا أصحاب الشمال، فاستجابوا له، فقالوا: لبيك ربنا وسعديك، قال: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قالوا: بلى. فخلط بعضهم ببعض فقال قائل منهم: رب لم خلطت بيننا، قال وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ، أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، ثم ردهم فى صلب آدم، فأهل الجنة أهلها وأهل النار أهلها. فقال قائل يا رسول الله فما الأعمال؟ قال: يعمل كل قوم لمنازلهم، فقال عمر بن الخطاب: إذا نجتهد.

أقول: قوله (ص): وعرشه على الماء، كناية عن تقدم أخذ الميثاق وليس المراد به تقدم خلق الأرواح على الأجساد زماناً، فإن عليه من الإشكال ما على عالم الذر بالمعنى الذى فهمه جمهور المثبتين، وقد تقدم.

وقوله (ص) يعمل كل قوم لمنازلهم، أى أن كل واحد من المنزلين يحتاج إلى أعمال تناسبه فى الدنيا، فإن كان العامل من أهل الجنة عمل الخير لا محالة وإن كان من أهل النار عمل الشر لا محالة، والدعوة إلى الجنة وعمل الخير، لأن عمل الخير يعين منزله فى الجنة وإن عمل الشر يعين منزله فى النار لا محالة، كما قال تعالى: وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مَوْلِيهَا فَأَسْتَبِقُوا الْحَيْرَاتِ. البقرة: ١٤٨ فلم يمنع تعيين الوجهة عن الدعوة إلى استباق الخيرات، ولا منافاة بين تعيين السعادة والشقاوة بالنظر إلى العلة التامة، وبين عدم تعيينها بالنظر إلى اختيار الإنسان فى تعيين عمله، فإنه جزء العلة وجزء علة الشئ لا يتعين معه وجود الشئ ولا عدمه بخلاف تمام العلة، وقد تقدم استيفاء هذا البحث فى موارد من هذا الكتاب، وآخرها فى تفسير قوله تعالى: كَمَا يَدَّأَأُكُمْ تَعُدُّونَ. فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ الاعراف: ٣٠، وأخبار الطينة المتقدمة من أخبار هذا الباب بوجه.

وفيه، أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس: فى قوله وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ الْآيَةَ، قال: خلق الله آدم وأخذ ميثاقه أنه ربه، وكتب أجله ورزقه ومصيبته، ثم أخرج ولده من ظهره كهيشة الذر، فأخذ موثيقهم أنه

ربهم، وكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم.

أقول: وقد روى هذا المعنى عن ابن عباس بطرق كثيرة في ألفاظ مختلفة، لكن الجميع تشترك في أصل المعنى وهو إخراج ذرية آدم من ظهره وأخذ الميثاق منهم.

وفيه، أخرج ابن عبد البر في التمهيد من طريق السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود وناس من الصحابة: في قوله تعالى: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ، قالوا: لما أخرج الله آدم من الجنة، قبل تهيطه من السماء مسح صفحه ظهره اليمنى، فأخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ كهيئته الذر، فقال لهم أدخلوا الجنة برحمتي، ومسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئته الذر فقال ادخلوا النار ولا أبالي، فذلك قوله أصحاب اليمين وأصحاب الشمال. ثم أخذ منهم الميثاق، فقال أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى، فأعطاه طائفة طائعين، وطائفة كارهين على وجه التقيء، فقال هو والملائكة: شهدنا أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، أو يقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل، قالوا فليس أحد من ولد آدم إلا وهو يعرف الله أنه ربه وذلك قوله عز وجل: وَلَوْ أَسْلَمْنَا مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا، وذلك قوله: فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ، يعني يوم أخذ الميثاق.

أقول: وقد روى حديث الذر كما في الرواية موقوفة وموصولة عن عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، كعلي عليه السلام، وابن عباس، وعمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمر، وسلمان، وأبي هريرة، وأبي أمامة، وأبي سعيد الخدري، وعبد الله بن مسعود، وعبدالرحمان بن قتادة، وأبي الدرداء وأنس ومعاوية وأبي موسى الأشعري. كما روى من طرق الشيعة عن علي وعلي بن الحسين، (ومحمد بن علي)، وجعفر بن محمد، والحسن بن علي العسكري عليهم السلام.

ومن طرق أهل السنة أيضاً عن علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد بطرق كثيرة، فليس من البعيد أن يدعى تواتره المعنوي.

واعلم أن الروايات في الذر كثيرة جداً، وقد تركنا إيراد أكثرها لوفاء ما أوردنا من ذلك بمعناها. وهنا روايات أخر في أخذ الميثاق عن النبي صلى الله عليه وآله وسائر الأنبياء عليهم السلام سنوردها في محلها إن شاء الله تعالى. انتهى.

عوالم وجود الإنسان

تحصل من بحث صاحب الميزان رحمه الله أنه جعل الاقوال في عالم الذر ثلاثة:

الأول: نفى وجود عالم الذر، والقول بأن ما ورد في الآية من إشهاد الناس وإقرارهم بالربوبية، إنما هو تعبير مجازي عن تكوينهم الذي يهديهم إلى ربهم تعالى. وهو قول عدد من المتأثرين بالفلسفة اليونانية من القدماء، وبالثقافة الغربية من المتأخرين.

الثاني: أن عالم الذر بمعنى أن الله تعالى استخرج نطف أبناء آدم عليه السلام من ظهره، ثم من ظهور أبنائه إلى آخر أب، ثم كونهم بشكل معين وأشهادهم فأقروا، ثم أعادهم إلى حالتهم الأولى في ظهر آدم عليه السلام. وقد ذهب إليه بعض المفسرين من السنة والشيعة.

الثالث: أن عالم الذر هو عالم الملكوت والخزائن، وهو الوجه الذي اختاره صاحب الميزان رحمه الله وأطال في الكلام حوله واختصر في الاستدلال عليه.

ولكن يرد عليه إشكالات متعددة، أهمها:

أولاً: أن عالم الملكوت اسم عام لكل عوالم ملك الله تعالى، وتفسير عالم الذر به لا يحل المشكلة، لأنه يبقى السؤال وارداً: في أي عالم من ملكوت الله تعالى تم خلق الناس وأخذ الميثاق منهم؟

ثانياً: أن تفسير عالم الذر بعالم الملكوت تفسير استحساني لا دليل عليه، وطريقنا إلى معرفة عوالم خلق الله وأفعاله سبحانه وتعالى،

محصور بما أخبرنا به النبي وآله صلى الله عليهم، وما دل العقل عليه بدلالة قطعية، لا ظنية أو احتمالية. ثالثاً: أن عوالم وجود النبي وآله صلى الله عليه وآله ووجود الناس قبل هذا العالم، وردت فيها أحاديث كثيرة لا يمكن إغفالها في البحث، كما فعل بعضهم، ولا نفيها بجره قلم كما فعل بعضهم، كما لا يمكن دمجها في عالم واحد كعالم الملكوت أو الخزائن كما فعل صاحب الميزان رحمه الله بل هي عوالم متعددة قد تصل إلى عشرة عوالم، نذكر منها: عالم الأنوار الأولى: أو عالم الأشباح، وهو أول ظلال أو في خلقه الله تعالى من نور عظمته، وهو نور نبينا وآله صلى الله عليه وعليهم. عالم الأظلة: الذي تم فيه خلق جميع الناس وتعارفهم. عالم الذر، الذي أخذ فيه الميثاق على الناس، وتدلل الأحاديث على أنه نفس عالم الأظلة أو مرتبط به بنحو من الارتباط. عالم الطينة، التي خلق منها الناس.

وذكرت أحاديث أخرى أن خلق الأرواح تم قبل خلق الاجساد.. الخ. كما ذكرت الآيات والأحاديث عوالم أخرى مثل قوله تعالى: هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا. أى كان في ذلك الحين شيئاً، ولكنه غير مذكور، كما ورد في الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام. وهذه العوالم كلها من عالم الملكوت ومن خزائن ملكه تعالى، ولكنها ليست نفس عالم الملكوت ولا الخزائن. وقد تقدم عدد من روايات العوالم الأربعة الأولى، ونورد فيما يلي عدداً آخر، وبعضها نص على أن عالم الذر هو عالم الأظلة.

من روايات عالم الأشباح (ظلال النور).

الأصول الستة عشر/١٥: (عباد عن عمرو، عن أبي حمزة قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: إن الله خلق محمداً وعلياً وأحد عشر من ولده من نور عظمته، فأقامهم أشباحاً في ضياء نوره يعبدونه قبل خلق الخلق، يسبحون الله ويقدمونه، وهم الأئمة من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله.

ورواه الكليني في الكافي: ١/٥٣٠، عن محمد بن يحيى، عن محمد بن أحمد، عن محمد بن الحسين، عن أبي سعيد العصفوري، عن عمرو بن ثابت، عن أبي حمزة... كما في الأصول الستة عشر.

الكافي: ١/٤٤٢: (الحسين (عن محمد) بن عبد الله، بن محمد بن سنان، عن المفضل، عن جابر بن يزيد قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا جابر إن الله أول ما خلق خلقاً محمداً صلى الله عليه وآله وعترته الهداة المهتدين، فكانوا أشباح نور بين يدي الله، قلت: وما الأشباح؟ قال: ظل النور، أبدان نورانية بلا أرواح، وكان مؤيداً بروح واحدة وهي روح القدس، فبه كان يعبد الله وعترته، ولذلك خلقهم علماء بررة أصفياء، يعبدون الله بالصلاة والصوم والسيح والتهليل، ويصلون الصلوات ويحجون ويصومون. انتهى. ورواه البحراني في حلية الأبرار: ١/١٩

علل الشرائع: ١/٢٠٨: (حدثنا إبراهيم بن هارون الهاشمي قال: حدثنا محمد بن أحمد بن أبي الثلج قال: حدثنا عيسى بن مهران قال: حدثنا منذر الشراك قال: حدثنا إسماعيل بن علي قال: أخبرني أسلم بن ميسرة العجلي، عن أنس بن مالك، عن معاذ بن جبل: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن الله عز وجل خلقني وعلياً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام. قلت: فأين كنتم يا رسول الله؟ قال: قدام العرش نسبح الله تعالى ونحمده ونقدسه ونمجده. قلت: على أي مثال؟ قال: أشباح نور، حتى إذا أراد الله عز وجل أن يخلق صورنا صيرنا عمود نور، ثم قذفنا في صلب آدم، ثم أخرجنا إلى أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، ولا يصيبنا نجس الشرك ولا سفاح الكفر، يسعد بنا قوم ويشقى بنا آخرون، فلما صيرنا إلى صلب عبد المطلب أخرج ذلك النور فشقه نصفين فجعل نصفه في عبد الله ونصفه في أبي طالب، ثم أخرج النصف الذي لي إلى آمنة والنصف إلى فاطمة بنت أسد فأخرجتني آمنة وأخرجت فاطمة علياً، ثم أعاد عز وجل العمود إلى فخرت مني فاطمة، ثم أعاد عز وجل العمود إلى علي فخرج منه الحسن والحسين

- يعنى من النصفين جميعاً - فما كان من نور على فصار فى ولد الحسن، وما كان من نورى صار فى ولد الحسين، فهو ينتقل فى الأئمة من ولده إلى يوم القيامة.

شرح الأخبار: ٣/٦: (صفوان الجمال قال: دخلت على أبى عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام وهو يقرأ هذه الآية: فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. ثم التفت إلى فقال: يا صفوان إن الله تعالى ألهم آدم عليه السلام أن يرمى بطرفه نحو العرش، فإذا هو بخمسة أشباح من نور يسبحون الله ويقدمونه، فقال آدم: يا رب من هؤلاء؟ قال: يا آدم صفوتى من خلقى، لولاهم ما خلقت الجنة ولا النار، خلقت الجنة لهم ولمن والاهم، والنار لمن عاداهم. لو أن عبداً من عبادى أتى بذنوب كالجبال الرواسى ثم توسل إلىى بحق هؤلاء لعفوت له.

فلما أن وقع آدم فى الخطيئة قال: يا رب بحق هؤلاء الأشباح اغفر لى، فأوحى الله عز وجل إليه: إنك توسلت إلى بصفوتى وقد عفوت لك. قال آدم: يا رب بالمغفرة التى غفرت إلا أخبرتنى من هم؟ فأوحى الله إليه: يا آدم هؤلاء خمسة من ولدك، لعظيم حقهم عندى اشتقت لهم خمسة أسماء من أسمائى، فأنا المحمود وهذا محمد، وأنا الأعلى وهذا على، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا المحسن وهذا الحسن، وأنا الإحسان وهذا الحسين.

شرح الأخبار: ٣/٥١٤: (عن عبد القادر بن أبى صالح، عن هبة الله بن موسى، عن هناد بن إبراهيم، عن الحسن بن محمد، عن محمد بن فرحان، عن محمد بن يزيد، عن الليث بن سعد، عن العلاء بن عبد الرحمان، عن أبيه، عن أبى هريرة، عن النبى (عليهما السلام): أنه لما خلق الله تعالى آدم أبا البشر ونفخ فيه من روحه التفت آدم يمينه العرش فإذا فى النور خمسة أشباح... الحديث.

شرح الأخبار: ٢/٥٠٠: (أحمد بن محمد بن عيسى المصرى، بإسناده عن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله (عليهما السلام) يقول: لما خلق الله عز وجل آدم (عليه السلام) ونفخ فيه من روحه، نظر آدم (عليه السلام) يمينه العرش، فإذا من النور خمسة أشباح على صورته ركعاً سجداً فقال: يا رب هل خلقت أحداً من البشر قبلى؟ قال: لا. قال: فمن هؤلاء الذين أراهم على هيتى وعلى صورتى؟ قال: هؤلاء خمسة من ولدك، لولاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنة ولا النار ولا العرش ولا الكرسي ولا السماء ولا الأرض ولا الملائكة ولا الإنس ولا الجن، هؤلاء خمسة اشتقت لهم أسماء من أسمائى، فأنا المحمود وهذا محمد وأنا الأعلى وهذا على، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا الإحسان وهذا حسن، وأنا المحسن وهذا الحسين....

تحف العقول/١٦٣:

... بل اشتقاق الحقيقة والمعنى من اسمه تعالى كما جاء فى حديث المعراج: إن الله تعالى قال لى: يا محمد اشتقت لك إسماً من أسمائى فأنا المحمود وأنت محمد، واشتقت لعلى إسماً من أسمائى فأنا الأعلى وهو على، وهكذا فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فكلهم أشباح نور من نوره تعالى جل اسمه.

كفاية الاثر/٧٠: (قال هارون: حدثنا حيدر بن محمد بن نعيم السمرقندى، قال حدثنى أبو النصر محمد بن مسعود العياشى، عن يوسف بن المشحت البصرى، قال حدثنا إسحق بن الحارث، قال حدثنا محمد بن البشار، عن محمد بن جعفر قال حدثنا شعبه، عن هشام بن يزيد، عن أنس بن مالك قال: كنت أنا وأبوذر وسلمان وزيد بن ثابت وزيد بن أرقم عند النبى صلى الله عليه وآله ودخل الحسن والحسين (عليهما السلام) فقبلهما رسول الله صلى الله عليه وآله وقام أبوذر فانكب عليهما وقبل أيديهما، ثم رجع فقعدهما معنا، فقلنا له سراً: رأيت رجلاً شيخاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يقوم إلى صبيين من بنى هاشم فينكب عليهما ويقبل أيديهما؟ فقال: نعم، لو سمعتم ما سمعت فيهما من رسول الله صلى الله عليه وآله لفعلتم بهما أكثر مما فعلت. قلنا: وماذا سمعت يا أباذر؟ قال: سمعته يقول لعلى ولهما: يا على والله لو أن رجلاً صلى وصام حتى يصير كالشن البالى إذا ما نفعه صلاته وصومه إلا بحبكم، يا على من توسل إلى الله بحبكم فحق على الله أن لا يرد، يا على من أحبكم وتمسك بكم فقد تمسك بالعروة الوثقى. قال: ثم قام أبوذر وخرج، وتقدمنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلنا: يا رسول الله أخبرنا أبوذر عنك بكيت وكيت.

قال: صدق أبوذر، صدق والله، ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذى لهجة أصدق من أبي ذر. ثم قال: خلقني الله تبارك وتعالى وأهل بيتي من نور واحد قبل أن يخلق آدم بسبعة آلاف عام، ثم نقلنا إلى صلب آدم، ثم نقلنا من صلبه في أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات، فقلت: يا رسول الله فأين كنتم وعلى أى مثال كنتم؟ قال: كنا أشباحاً من نور تحت العرش نسبح الله تعالى ونمجده، ثم قال: لما عرج بي إلى السماء وبلغت سدره المنتهى ودعنى جبرئيل عليه السلام فقلت: حيبي جبرئيل أفى هذا المقام تفارقنى؟ فقال: يا محمد إنى لا أجوز هذا الموضع فتحترق أجنحتى.

ثم زج بي فى النور ما شاء الله، فأوحى الله إلى: يا محمد إنى اطلعت إلى الأرض اطلاعةً فاخترتك منها فجعلتك نبياً، ثم اطلعت ثانياً فاخترت منها علياً فجعلته وصيك ووارث علمك والإمام بعدك، وأخرج من أصلابكما الذرية الطاهرة والأئمة المعصومين خزان علمى، فلولاكم ما خلقت الدنيا ولا الآخرة ولا الجنة ولا النار. يا محمد أتحب أن تراهم قلت: نعم يا رب، فنوديت: يا محمد إرفع رأسك، فرفعت رأسى فإذا أنا بأنوار على والحسن والحسين وعلى بن الحسين ومحمد بن على وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلى بن موسى ومحمد بن على وعلى بن محمد والحسن بن على، والحجة يتلألأ من بينهم كأنه كوكب درى، فقلت: يا رب من هؤلاء، ومن هذا؟ قال: يا محمد هم الأئمة بعدك المطهرون من صلبك، وهو الحجة الذى يملا الأرض قسطاً وعدلاً ويشفى صدور قوم مؤمنين.

قلنا: بآبائنا وأمهاتنا أنت يا رسول الله لقد قلت عجباً. فقال عليه السلام: وأعجب من هذا أن قوماً يسمعون منى هذا ثم يرجعون على أعقابهم بعد إذ هداهم الله، ويؤذونى فيهم، لا أنالهم الله شفاعتى.

بصائر الدرجات/٨٣: (أحمد بن محمد ويعقوب بن يزيد، عن الحسن بن على بن فضال، عن أبى جميله، عن محمد بن الحلبي، عن أبى عبدالله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله مثل لى أمتى فى الطين وعلمنى أسماءهم كلها، كما علم آدم الأسماء كلها، فمر بى أصحاب الرايات فاستغفرت لعلى وشيعته، إن ربي وعدنى فى شيعه على خصله، قيل يا رسول الله وما هى؟ قال المغفرة منهم لمن آمن واتقى، لا يغادر منهم صغيرة ولا كبيرة، ولهم تبدل السيئات حسنات.

الحسن بن محبوب عن صالح بن سهل عن أبى عبد الله عليه السلام: أن بعض قريش قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: بأى شئ سبقت الأنبياء وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ قال: إنى كنت أول من أقر برى وأول من أجاب، حيث أخذ الله ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بلى، وكنت أنا أول نبي قال بلى، فسبقتهم بالإقرار بالله.

حدثنا أحمد بن محمد، عن الحسن بن على بن النعمى، عن ابن مسكان، عن عبدالرحيم القصير، عن أبى جعفر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن أمتى عرضت على عند الميثاق، وكان أول من آمن وصدقنى على، وكان أول من آمن بى وصدقنى حيث بعثت فهو الصديق الأكبر.

حدثنا العباس بن معروف، عن حماد بن عيسى، عن أبى الجارود، عن أبى بصير، عن أبى جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم وعنده جماعة من أصحابه: اللهم لى إخوانى مرتين، فقال من حوله من أصحابه: أما نحن إخوانك يا رسول؟ فقال: لا إنكم أصحابى، وإخوانى قوم من آخر الزمان آمنوا بى ولم يرونى، لقد عرفنيهم الله بأسمائهم وأسماء آبائهم من قبل أن يخرجهم من أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم، لأحدهم أشد بقاءً على دينه من خرط القتاد فى الليلة الظلماء، أو كالقابض على جمر الغضا. أولئك مصايح الدجى، ينجيهم الله من كل فتنة غبراء مظلمة. انتهى. وروايات البصائر هذه ليس فيها تصريح بعالم الأظلة أو الأشباح، لكن يصح حملها عليه بالقرائن.

من روايات عالم الاظلة

الإعتقادات للصدوق/٢٦: (وقال النبى صلى الله عليه وآله: الأرواح جنود مجنده، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف. وقال

الصادق عليه السلام: إن الله آخى بين الأرواح فى الأظلة قبل أن يخلق الأبدان بألفى عام، فلو قد قام قائمنا أهل البيت لورث الأخ الذى آخا بينهما فى الأظلة، ولم يورث الأخ من الولادة. انتهى. ورواه فى الفقيه: ٤/٣٥٢، ورواه فى بحار الأنوار: ٦/٢٤٩، ورواه الصدوق فى الخصال/١٦٩، قال: حدثنا على بن أحمد بن موسى (رض) قال: حدثنا حمزة بن القاسم العلوى قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن عمران البرقى قال: حدثنا محمد بن على الهمداني، عن على بن أبى حمزة، عن أبى عبد الله وأبى الحسن (عليهما السلام) قال: لو قد قام القائم لحكم بثلاث لم يحكم بها أحد قبله: يقتل الشيخ الزانى، ويقتل مانع الزكاه، ويورث الأخ أخاه فى الأظلة.

الكافى: ١/٤٤١: (على بن محمد، عن سهل بن زياد، عن محمد بن على بن إبراهيم، عن على بن حماد، عن المفضل قال: قلت لآبى عبد الله عليه السلام: كيف كنتم حيث كنتم فى الأظلة؟ فقال: يا مفضل كنا عند ربنا ليس عنده أحد غيرنا، فى ظلة خضراء نسبحه ونقدسها ونهلله ونمجده، وما من ملك مقرب ولا ذى روح غيرنا، حتى بدا له فى خلق الأشياء، فخلق ما شاء كيف شاء من الملائكة وغيرهم، ثم أنهى علم ذلك إلينا. انتهى. والمقصود بقوله عليه السلام: ثم أنهى علم ذلك إلينا، شبيه قوله تعالى: وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا.

الكافى: ١/٤٣٦: (محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن صالح بن عقبه، عن عبد الله بن محمد الجعفرى، عن أبى جعفر عليه السلام وعن عقبه، عن أبى جعفر عليه السلام قال: إن الله خلق، فخلق ما أحب مما أحب، وكان ما أحب أن خلقه من طينة الجنة، وخلق ما أبغض مما أبغض، وكان ما أبغض أن خلقه من طينة النار، ثم بعثهم فى الظلال. فقلت: وأى شئ الظلال؟ قال: ألم تر إلى ظلك فى الشمس شئ وليس بشئ، ثم بعث الله فيهم النبيين يدعونهم إلى الإقرار بالله وهو قوله: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ. ثم دعاهم إلى الإقرار بالنبيين، فأقر بعضهم وأنكر بعضهم، ثم دعاهم إلى ولايتنا فأقر بها والله من أحب وأنكرها من أبغض، وهو قوله: فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ. ثم قال أبو جعفر عليه السلام: كان التكذيب ثم انتهى.

ورواه فى الكافى: ٢/١٠: عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبه، عن عبد الله بن محمد الجعفرى وعقبه، جميعاً عن أبى جعفر عليه السلام قال... ورواه فى علل الشرائع: ١/١١٨، رواه فى بصائر الدرجات /٨٠، وفيه (كان التكذيب ثم).

الكافى: ٨/٢: (حدثنى على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن فضال، عن حفص المؤذن، عن أبى عبد الله عليه السلام، وعن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن محمد بن سنان، عن إسماعيل بن جابر، عن أبى عبد الله عليه السلام أنه كتب بهذه الرسالة إلى أصحابه وأمرهم بمدارسها والنظر فيها وتعاهدها والعمل بها، فكانوا يضعونها فى مساجد بيوتهم، فإذا فرغوا من الصلاة نظروا فيها.

قال: وحدثنى الحسن بن محمد، عن جعفر بن محمد بن مالك الكوفى، عن القاسم بن الربيع الصحاف، عن إسماعيل بن مخلد السراج، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: خرجت هذه الرسالة من أبى عبد الله عليه السلام إلى أصحابه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، فاسألوا ربكم العافية، وعليكم بالدعة والوقار والسكينة، وعليكم بالحياء والتنزه عما تنزه عنه الصالحون قبلكم، وعليكم بمعاملة أهل الباطل....

وإياكم وما نهاكم الله عنه أن تركوه، وعليكم بالصمت إلا فيما ينفعكم الله به من أمر آخركم ويأجركم عليه.. وعليكم بالدعاء، فإن المسلمين لم يدرخوا نجاح الحوائج عند ربهم بأفضل من الدعاء والرغبة إليه....

فاتقوا الله أيتها العصابة الناجية أن أتم الله لكم ما أعطاكم، فإنه لا يتم الأمر حتى يدخل عليكم مثل الذى دخل على الصالحين قبلكم....

واعلموا أنه ليس من علم الله ولا من أمره أن يأخذ أحد من خلق الله فى دينه بهوى ولا رأى ولا مقائيس، قد أنزل الله القرآن وجعل فيه تبيان كل شئ، وجعل للقرآن ولتعلم القرآن أهلاً.. لا يسع أهل علم القرآن الذين آتاهم الله علمه أن يأخذوا فيه بهوى لا رأى ولا

مقائيس، أغناهم الله عن ذلك بما آتاهم من علمه وخصهم به ووضعهم عندهم، كرامة من الله أكرمهم بها، وهم أهل الذكر الذين أمر الله هذه الأمة بسؤالهم، وهم الذين من سألهم - وقد سبق في علم الله أن يصدقهم ويتبع أثرهم - أرشده وأعطوه من علم القرآن ما يهتدى به إلى الله بإذنه، وإلى جميع سبل الحق، وهم الذين لا- يرغب عنهم وعن مسألتهم وعن علمهم الذي أكرمهم الله به وجعله عندهم إلا من سبق عليه في علم الله الشقاء في أصل الخلق تحت الأظلة، فأولئك الذين يرغبون عن سؤال أهل الذكر والذين آتاهم الله علم القرآن ووضعهم عندهم وأمر بسؤالهم، وأولئك الذين يأخذون بأهوائهم وآرائهم ومقائيسهم حتى دخلهم الشيطان....

الأصول الستة عشر/٦٣: (جابر قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن تفسير هذه الآية، عن قول الله عز وجل: وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا، يعني لو أنهم استقاموا على الولاية في الأصل تحت الأظلة، حين أخذ الله ميثاق ذرية آدم، لاسقيناهم ماء غدقاً: يعني لأسقينا أظلتهم الماء العذب الفرات.

تفسير القمي: ٢/٣٩١: (أخبرنا أحمد بن إدريس قال: حدثنا أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن القاسم بن سليمان، عن جابر قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في هذه الآية: وأن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقاً: يعني من جرى فيه شيء من شرك الشيطان. على الطريقة: يعني على الولاية في الأصل عند الأظلة، حين أخذ الله ميثاق ذرية آدم. انتهى. ونحوه في تفسير نور الثقلين: ٥/٤٣٨

بصائر الدرجات/٧٣: (حدثنا أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن أبي بكر الحضرمي، عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما تكاملت النبوة لنبي في الأظلة حتى عرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي، ومثلوا له، فأقروا بطاعتهم وولايتهم.

تفسير العياشي: ٢/١٢٦: (عن زرارة وحمران، عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام) قالان: إن الله خلق الخلق وهي أظلة، فأرسل رسوله محمداً صلى الله عليه وآله فمنهم من آمن به ومنهم من كذبه، ثم بعثه في الخلق الآخر فآمن به من كان آمن في الأظلة، وجحد من جحد به يومئذ، فقال: ما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل.

تفسير فرات الكوفي/١٤٧:

(فرات قال: حدثني عثمان بن محمد معنعناً: عن أبي خديجة قال: قال محمد بن علي (عليهما السلام): لو علم الناس متى سمي على أمير المؤمنين ما اختلف فيه اثنان.

قال: قلت: متى؟ قال فقال لي: في الأظلة حين أخذ الله من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا: بلى. محمد نبيكم، على أمير المؤمنين وليكم.)

الايضاح لابن شاذان/١٠٦: ((... فوالله ما الحق إلا- واضح بين منير، وما الباطل إلا مظلم كدر، وقد عرفتم موضعه ومستقره، إلا أن الميثاق قد تقدم في الاظلة بالسعادة والشقاوة، وقد بين الله جل ذكره لنا ذلك بقوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا.

شرح الأسماء الحسنی: ١/١٦٦: (قد عرف النور بأنه الظاهر بذاته المظهر لغيره وهو القدر المشترك بين جميع مراتبه من الضوء وضوء الضوء والظل وظل الظل، في كل بحسبه وهذا المعنى حق حقيقة الوجود، إذ كما أنها الموجودة بذاتها وبها توجد المهيئات المعدومة بذواتها بل لا موجودة ولا معدومة، كذلك تلك الحقيقة ظاهرة بذاتها مظهره لغيرها من الأعيان، والمهيئات المظلمة بذواتها بل لا مظلمة ولا نورية، فمراتب الوجود من الحقايق والرقايق والأرواح والأشباح والأشعة والأظلة كلها أنوار لتتحقق هذا المعنى فيها، حتى في الأشباح المادية وأظلال الأظلال. انتهى.

ويدل النص التالي على أن حديث عالم الظلال كان معروفاً في حياة النبي صلى الله عليه وآله ثم غاب من بعده كما غابت أحاديث كثيرة في فضائله صلى الله عليه وآله والسبب في ذلك أن هذه الأحاديث فيها ذكر فضل بني هاشم وبني عبد المطلب وفضل علي

وفاطمة والأئمة الإثني عشر الموعودين في هذه الأمة! وقد عتموا عليها ما استطاعوا! وما روه منها من فضائل النبي صلى الله عليه وآله جردوه من فضائل أهل بيته وعترته إلا ما أفلت منها، وما رواه أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم!

قال في كنز العمال: ١٢/٤٢٧: (عن ابن عباس قال: سألت رسول الله (ص) فقلت: فداك أبي وأمي أين كنت وآدم في الجنة؟ فتبسم حتى بدت نواجذه ثم قال: كنت في صلبه وركب بي السفينة في صلب أبي نوح، وقذف بي في صلب أبي إبراهيم، لم يلتق أبواي قط على سفاح، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الحسنة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً، لا تشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما، قد أخذ الله بالنبوة ميثاقى وبالإسلام عهدى، ونشر في التوراة والإنجيل ذكرى، وبين كل نبى صفتى، تشرق الأرض بنورى والغمام لوجهى، وعلمنى كتابه، ورقى بي في سمائه وشق لى اسماً من أسمائه، فذو العرش محمود وأنا محمد، ووعدنى أن يجوبنى بالحوض والكوتر، وأن يجعلنى أول مشفع، ثم أخرجنى من خير قرن لأمتى وهم الحمادون، يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر.

قال ابن عباس: فقال حسان بن ثابت في النبى (ص):

من قبلها طبت فى الظلال وفى مستودع حيث يُخَصَفُ الورقُ

ثم سكنت البلاد لا بشر أنت ولا نطفة ولا علق

مطهر تركب السفين وقد ألجم أهل الضلالة الغرق

تُنقل من صلب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبق

فقال النبى (ص): يرحم الله حساناً! فقال على بن أبى طالب: وجبت الجنة لحسان ورب الكعبة. كرى، وقال: هذا حديث غريب جداً، والمحفوظ أن هذه الأبيات للعباس. انتهى. ولكن نسبة هذه الأبيات إلى حسان أولى، فهى تشبه شعره إلى حد كبير، ولم يعهد فى التاريخ شعر للعباس عم النبى، كما عهد لعنه أبى طالب صلى الله عليه وآله. ورواه فى مجمع الزوائد للعباس فى: ٨/٢١٧، وقال: رواه الطبرانى وفيهم من لم أعرفهم، قال:

وعن خريم بن أوس بن جارية بن لأم قال: كنا عند النبى (ص) فقال له العباس بن عبدالمطلب: يا رسول الله إنى أريد أن أمدحك، فقال له (ص): هات لا يفضض الله فاك، فأنشأ يقول:

قبلها طبت فى الظلال وفى مستودع حيث يخصف الورق

ثم هبطت البلاد لا بشر أنت ولا مضغة ولا علق

بل نطفة تركب السفين وقد ألجم نسرأ وأهله الغرق

تنقل من صالب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبق

حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق

وأنت لما ولدت أشرق الأرض وضاءت بنورك الأفق

فنحن فى ذلك الضياء وفى النور سبل الرشاد نخترق

وروى نحوه فى مناقب آل ابى طالب: ١/٢٧

وفى مناقب آل ابى طالب: ٢/١٧:

أشباحكم كن فى بدو الظلال له دون البرية خداماً وحجاب

وأنتم الكلمات اللاي لقنها جيريل آدم عند الذنب إذ تاب

وأنتم قبله الدين التى جعلت للقاصدين إلى الرحمن محراب

وقد روى إخواننا السنة أحاديث كثيرة وصححوها عدداً منها تنص على أن خلق النبى ونبوته صلى الله عليه وآله قد تما قبل خلق آدم عليه السلام ولكنها مجردة عن فضل أهل بيته، وفى مسند أحمد: ٤/١٢٧: (الكلبى عن عبد الله بن هلال السلمى، عن عرباض بن سارية

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني عبد الله لخاتم النبيين وإن آدم عليه السلام لمنجدل في طينته، وسأبئكم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بي، ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات النبيين يَرَيْنَ. انتهى. ورواه في مستدرک الحاكم: ٢/٤١٨ وص ٦٠٠ في ٦٠٨/ زاد فيه: (وإن أم رسول الله صلى الله عليه وآله رأت حين وضعته له نورا أضاءت لها قصور الشام، ثم تلا: يا أيها النبي يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ورواه في مجمع الزوائد: ٨/٢٢٣ تحت عنوان: باب قدم نبوته صلى الله عليه وآله كما في الحاكم وقال (رواه أحمد بأسانيد، والبخاري، والطبراني بنحوه، وقال: سأحدثكم بتأويل ذلك: دعوة إبراهيم دعا، وبعث فيهم رسولاً منهم، وبشارة عيسى بن مريم قوله، ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد، ورؤيا أمي التي رأت في منامها أنها وضعت نوراً أضاءت منه قصور الشام. وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد وقد وثقه ابن حبان.

وعن ميسرة العجر قال قلت يا رسول الله متى كتبت نبياً؟ قال: وآدم بين الروح والجسد. رواه أحمد والطبراني ورجالهم رجال الصحيح. وعن عبد الله بن شقيق عن رجل قال قلت يا رسول الله متى جعلت نبياً؟ قال: وآدم بين الروح والجسد. رواه أحمد ورجالهم رجال الصحيح.

وعن ابن عباس قال: قيل يا رسول الله متى كتبت نبياً؟ قال وآدم بين الروح والجسد. رواه الطبراني في الأوسط والبخاري، وفيه جابر بن يزيد الجعفي وهو ضعيف.

وعن أبي مريم قال أقبل أعرابي حتى أتى النبي (ص) وعنده خلق من الناس فقال: ألا تعطيني شيئاً أتعلمه وأحمله وينفعني ولا يضرني، فقال الناس مه أجلس، فقال النبي (ص) دعوه فإنما يسأل الرجل ليعلم، فأفرجوا له حتى جلس، فقال: أي شيء كان أول نبوتك؟ قال: أخذ الميثاق كما أخذ من النبيين، ثم تلا: وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا، وبشرى المسيح عيسى بن مريم، ورأت أم رسول الله (ص) في منامها أنه خرج من بين رجليها سراج أضاءت له قصور الشام.

فقال الأعرابي هاه وأدنى منه رأسه وكان في سمعه شيء، فقال النبي (ص) ووراء ذلك. رواه الطبراني ورجالهم وثقوا. وروى أحاديثه في كنز العمال: ١١/٤٠٩ وقال في مصادرها: (ابن سعد، حل - عن ميسرة الفجر، ابن سعد - عن ابن أبي الجدعاء، طب - عن ابن عباس). وقال في هامشه: أخرجه الترمذي كتاب المناقب باب فضل النبي (ص) رقم (٣٦٠٩) وقال: حسن صحيح غريب. وفي: ١١/٤١٨ وص ٤٤٩ وص ٤٥٠، وقال في مصادره (حم، طب، ك، حل، هب - عن عرباض بن سارية). (حم وابن سعد، طب، ك، حل هب - عن عرباض بن سارية) (ابن سعد - عن مطرف بن عبد الله بن الشخير) (ابن سعد - عن عبد الله بن شقيق عن أبيه أبي الجدعاء، ابن قانع - عن عبد الله بن شقيق عن أبيه، طب - عن ابن عباس، ابن سعد - عن ميسرة الفجر) (ابن عساكر - عن أبي هريرة) ورواها السيوطي عن المصادر المتقدمة وغيرها في الدر المنثور: ١/١٣٩ وج ٥/١٨٤ وص ٢٠٧ وج ٦/٢١٣. وروى إخواننا كذلك أحاديث متعددة عن اختيار الله تعالى لبني هاشم تؤيد هذه الأحاديث، وليس هذا مقام الكلام فيها.

من روايات عالم طينة الخلق

مجمع الزوائد: ٩/١٢٨: (وعن بريدة قال: بعث رسول الله (ص) علياً أميراً على اليمن، وبعث خالد بن الوليد على الجبل، فقال: إن اجتمعنا فعلى على الناس، فالتقوا وأصابوا من الغنائم ما لم يصيبوا مثله، وأخذ عليٌّ جاريةً من الخمس، فدعا خالد ابن الوليد بريدة فقال: إغتنمها فأخبر النبي (ص) ما صنع!

فقدت المدينة ودخلت المسجد ورسول الله (ص) في منزله، وناس من أصحابه على بابه، فقالوا: ما الخبر يا بريدة؟ فقلت: خيراً فتح الله على المسلمين. فقالوا: ما أقدمك؟ قلت: جارية أخذها علي من الخمس! فجئت لآخبر النبي (ص).

فقالوا: فأخبر النبي (ص) فإنه يسقط من عين النبي (ص)! ورسول الله (ص) يسمع الكلام، فخرج مغضباً فقال: ما بال أقوام ينتقصون علياً! من تنقص علياً فقد تنقصني، ومن فارق علياً فقد فارقني. إن علياً منى وأنا منه، خلق من طينتي وخلقت من طينة إبراهيم، وأنا أفضل من إبراهيم ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم. يا بريده أما علمت أن لعلى أكثر من الجارية التي أخذ، وأنه وليكم بعدى! فقلت: يا رسول الله بالصحة إلا بسطت يدك فبايعتني على الإسلام جديداً! قال: فما فارقته حتى بايعته على الإسلام. رواه الطبراني في الأوسط، وفيه جماعة لم أعرفهم وحسين الأشقر ضعفه الجمهور، ووثقه ابن حبان.

مجمع الزوائد: ٥/٢٠٨: (وعن جابر - قال: لما قدم جعفر من أرض الحبشة تلقاه رسول الله، فلما نظر إلى رسول الله حجلاً عظيماً لرسول الله (ص) فقبل رسول الله بين عينيه، وقال له: يا حبيبي أنت أشبه الناس بخلقى وخلقى، وخلقت من الطينة التي خلقت منها، يا حبيبي حدثني عن بعض عجائب أهل الحبشة. قال: نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله، بينا أنا قائم في بعض طرقها إذ أنا بعجوز على رأسها مكيل، وأقبل شاب يركض على فرس فرحمها وألقى المكيل عن رأسها، واستوت قائمة وأبعته البصر وهي تقول: الويل لك غداً إذا جلس الملك على كرسيه فاقتص للمظلوم من الظالم! قال جابر: فنظر إلى رسول الله (ص) وهو يقول: لا قدس الله أمه لا تأخذ للمظلوم حقه من الظالم غير متعتع. رواه الطبراني في الأوسط وفيه مكى بن عبد الله الرعيني وهو ضعيف. انتهى. ورواه في مجمع الزوائد: ٩/٢٧٢، وروى أيضاً:

وعن أسامة بن زيد أن النبي (ص) قال لجعفر: خلقك كخلقى وأشبه خلقى خلفك فأنت منى، وأنت يا على فمنى وأبو ولدى. رواه الطبراني عن شيخه أحمد بن عبد الرحمن بن عفال وهو ضعيف.

كنز العمال: ١١/٦٦٢: (خلق الناس من أشجار شتى، وخلقت أنا وجعفر من طينة واحدة. ابن عساكر عن وهب بن جعفر بن محمد عن أبيه رسلاً، ووهب كان يضع الحديث.

مسند جابر بن عبد الله، عن مكى بن عبد الله الرعيني، ثنا سفيان بن عيينة، عن ابن الزبير، عن جابر قال: لما قدم جعفر من أرض الحبشة تلقاه رسول الله، فلما نظر جعفر إلى رسول الله حجلاً عظيماً منه لرسول الله (ص)، فقبل رسول الله بين عينيه وقال: يا حبيبي! أنت أشبه الناس بخلقى وخلقى وخلقت من الطينة التي خلقت منها يا حبيبي. عق، وأبو نعيم، قال عق غير محفوظ، وقال في الميزان: مكى له مناكير، وقال في المغني: تفرد عن ابن عيينة بحديث عب. انتهى. ورواه في كنز العمال: ١١/٦٦٢، بعدة روايات في بعضها من طينتي وفي بعضها من شجرتي.

الكافي: ٢/٢: (على بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن ربيع بن عبد الله عن رجل، عن علي بن الحسين (عليهما السلام) قال: إن الله عز وجل خلق النبيين من طينة عليلين: قلوبهم وأبدانهم، وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة و (جعل) خلق أبدان المؤمنين من دون ذلك وخلق الكفار من طينة سجين، قلوبهم وأبدانهم، فخلط بين الطينتين، فمن هذا يلد المؤمن الكافر ويلد الكافر المؤمن، ومن هاهنا يصيب المؤمن السيئة، ومن هاهنا يصيب الكافر الحسنه. فقلوب المؤمنين تحن إلى ما خلقوا منه وقلوب الكافرين تحن إلى ما خلقوا منه. انتهى. ورواه في علل الشرائع: ١/٨٢ وروى في ١١٦: محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسن، عن النضر بن شعيب، عن عبد الغفار الجازي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله عز وجل خلق المؤمن من طينة الجنة وخلق الكافر من طينة النار. وقال: إذا أراد الله عز وجل بعبد خيراً طيب روحه وجسده فلا يسمع شيئاً من الخير إلا عرفه ولا يسمع شيئاً من المنكر إلا أنكره.

قال وسمعتة يقول: الطينات ثلاث: طينة الأنبياء والمؤمن من تلك الطينة إلا أن الأنبياء هم من صفوتها، هم الأصل ولهم فضلهم، والمؤمنون الفرع من طين لانزب، كذلك لا يفرق الله عز وجل بينهم وبين شيعتهم. وقال: طينة الناصب من حمأ مسنون، وأما المستضعفون فمن تراب، لا يتحول مؤمن عن إيمانه ولا ناصب عن نصبه، والله المشيئة فيهم.

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن صالح بن سهل قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك من أى شئ خلق الله عز وجل طينة المؤمن؟ فقال: من طينة الأنبياء، فلم تنجس أبداً.

محمد بن يحيى وغيره، عن أحمد بن محمد وغيره، عن محمد بن خلف، عن أبي نهشل قال: حدثني محمد بن إسماعيل، عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن الله عز وجل خلقنا من أعلى عليين، وخلق قلوب شيعتنا مما خلقنا منه، وخلق أبدانهم من دون ذلك، وقلوبهم تهوى إلينا لأنها خلقت مما خلقنا منه، ثم تلا هذه الآية: كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيٍّ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ. كتاب مرقوم يشهده المقربون. وخلق عدونا من سجين، وخلق قلوب شيعتهم مما خلقهم منه وأبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوى إليهم، لأنها خلقت مما خلقوا منه، ثم تلا هذه الآية: كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِّينٍ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِّينٌ كِتَابٌ مَرْقُومٌ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ. انتهى. ورواه في علل الشرائع: ١/١١٦

الكافي: ١/٣٨٩: (أحمد بن محمد، عن محمد بن الحسن، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن محمد بن شعيب، عن عمران بن إسحاق الزعفراني، عن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إن الله خلقنا من نور عظمته، ثم صور خلقنا من طينه مخزونة مكنونه من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكننا نحن خلقاً وبشراً نورانيين لم يجعل لاحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً، وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا وأبدانهم من طينه مخزونة مكنونه أسفل من تلك الطينه... الحديث.

الكافي: ١/٤٠٢: (أحمد بن محمد، عن محمد بن الحسين، عن منصور بن العباس، عن صفوان بن يحيى، عن عبد الله بن مسكان، عن محمد بن عبد الخالق وأبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا محمد... وإن عندنا سرّاً من سر الله وعلماً من علم الله أمرنا الله بتبليغه، فبلغنا عن الله عز وجل ما أمرنا بتبليغه، فلم نجد له موضعاً ولا أهلاً ولا حمالةً يحتملونه حتى خلق الله لذلك أقواماً، خلقوا من طينه خلق منها محمد وآله وذريته عليهم السلام ومن نور خلق الله منه محمداً وذريته، وصنعهم بفضل صنع رحمته التي صنع منها محمداً وذريته، فبلغنا عن الله ما أمرنا بتبليغه فقبلوه واحتملوا ذلك، وبلغهم ذكرنا فمالت قلوبهم إلى معرفتنا وحديثنا، فلولا أنهم خلقوا من هذا لما كانوا كذلك، لا والله ما احتملوه... الحديث.

من آيات وروايات عالم الملكوت

قال تعالى: أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ. الاعراف ١٨٤-١٨٥

وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ. فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ. فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ. الأنعام: ٧٥ - ٧٧

قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ. المؤمنون: ٨٨ - ٨٩

فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. يس: ٨٣

نهج البلاغة: ١/١٦٢: (... هو القادر الذي إذا ارتمت الأوهام لتدرك منقطع قدرته، وحاول الفكر المبرأ من خطرات الوسواس أن يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته، وتولعت القلوب إليه لتجري في كيفية صفاته، وغمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه....

نهج البلاغة: ١/١٦٣: (وأرانا من ملكوت قدرته، وعجائب ما نطقت به آثار حكمته، واعتراف الحاجة من الخلق إلى أن يقيمها بمسالك قدرته، ما دلنا باضطرار قيام الحجة....

نهج البلاغة: ١/١٦٨: (ثم خلق سبحانه لاسكان سماواته، وعمارة الصفيح الأعلى من ملكوته، خلقاً بديعاً من ملائكته ملا بهم فروج فجاجها، وحشى بهم فتوق أجوائها. وبين فجوات تلك الفروج زجل المسبحين منهم في حظائر القدس وسترات الحجب وسرادقات المعجد. ووراء ذلك الرجيج الذي تستك منه الأسماع....

نهج البلاغة: ٢/٤٥: (الحمد لله الذي انحسرت الأوصاف عن كنه معرفته، وردعت عظمته العقول فلم تجد مساعاً إلى بلوغ غايه ملكوته....

مستدرك الوسائل: ١١/١٨٥: (الآمدى فى الغرر، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: التفكر فى ملكوت السموات والأرض عبادة المخلصين.

الكافى: ١/٣٥: (عن حفص بن غياث قال: قال لى أبو عبدالله عليه السلام: من تعلم العلم وعمل به وعلم الله، دعى فى ملكوت السموات عظيماً، فقيل: تعلم الله واعمل لله وعلم الله. انتهى.

وروى نحوه فى كثر العمال: ١٠/١٦٤ وفى سنن الترمذى: ٤/١٥٥، وروى فى مجمع الزوائد: ١٠/٢٤٨: (البراء بن عازب قال قال رسول الله (ص): من قضى نهمته فى الدنيا حيل بينه وبين شهوته فى الآخرة، ومن مد عينيه إلى زينة المترفين، كان مهيناً فى ملكوت السموات. ومن صبر على القوت الشديد صبراً جميلاً أسكنه الله من الفردوس حيث شاء.

وسائل الشيعة: ١١/٢٧٨: (ثم قال: وذلك إذا انتهكت المحارم، واكتسب المآثم، وتسلبت الأشرار على الاختيار، ويفشو الكذب، وتظهر الحاجة، وتفشو الفاقة، ويتباهون فى الناس، ويستحسنون الكوبة والمعازف، وينكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. إلى أن قال: فأولئك يدعون فى ملكوت السماء: الأرجاس الأنجاس.... الحديث.

الكافى: ١/٩٣: (محمد بن أبى عبدالله رفعه قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: يا ابن آدم لو أكل قلبك طائر لم يشبعه، وبصرك لو وضع عليه خرق أبرة لغطاه، تريد أن تعرف بهما ملكوت السموات والأرض، إن كنت صادقاً فهذه الشمس خلق من خلق الله فإن قدرت أن تملأ عينيك منها فهو كما تقول.

الكافى: ١/٢٧٣: (على بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن ابن مسكان، عن أبى بصير قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي، قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة، وهو من الملكوت.

الكافى: ٢/٢٤٣: (على بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلى، عن السكونى، عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قال النبى صلى الله عليه وآله: طوبى للمساكين بالصبر، وهم الذين يرون ملكوت السموات والأرض.

تفسير الإمام العسكرى: ٥١٣/:

وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ، قوى الله بصره لما رفعه دون السماء حتى أبصر الأرض ومن عليها ظاهرين ومستترين، فرأى رجلاً وامرأة على فاحشة فدعا عليهما بالهلاك فهلكا، ثم رأى آخرين فدعا عليهما بالهلاك فهلكا، ثم رأى آخرين فهم بالدعاء عليهما، فأوحى الله تعالى إليه: يا إبراهيم أكفف دعوتك من عبادى وإمائى... الحديث. انتهى. وروى نحوه فى الكافى: ٨/٣٠٥ وفى كثر العمال: ٤/٢٤٩.

علل الشرائع: ١/١٣١: (قالوا حدثنا محمد بن أبى عبدالله الكوفى الأسدى، عن موسى بن عمران النخعى، عن عمه الحسين بن يزيد النوفلى، عن على بن سالم عن أبيه، عن ثابت بن دينار قال سألت زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام عن الله جل جلاله: هل يوصف بمكان؟ فقال: تعالى عن ذلك. قلت: فلم أسرى بنبيه محمد صلى الله عليه وآله إلى السماء؟ قال: ليريه ملكوت السموات، وما فيها من عجائب صنعه وبدائع خلقه....

علل الشرائع: ١/١٥: (حدثنا على بن أحمد، عن محمد بن أبى عبدالله، عن محمد بن إسماعيل البرمكى قال: حدثنا جعفر بن سليمان بن أيوب الخزاز قال: حدثنا عبدالله بن الفضل الهاشمى قال: قلت لآبى عبدالله عليه السلام: لأى علة جعل الله عز وجل الأرواح فى الأبدان بعد كونها فى ملكوته الأعلى فى أرفع محل؟ فقال عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى علم أن الأرواح فى شرفها وعلوها متى ما تركت على حالها نزع أكثرها إلى دعوى الربوبية دونه عز وجل، فجعلها بقدرته فى الأبدان التى قدر لها فى ابتداء التقدير نظراً لها ورحمة بها، وأحوج بعضها إلى بعض وعلق بعضها على بعض ورفع بعضها على بعض فى الدنيا، ورفع بعضها فوق بعض درجات فى الآخرة، وكفى بعضها ببعض.

قلت: فقول الله عز وجل: ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى.؟ قال: ذاك

رسول الله صلى الله عليه وآله دنا من حجب النور فرأى ملكوت السموات، ثم تدلى صلى الله عليه وآله فنظر من تحته إلى ملكوت الأرض حتى ظن أنه في القرب من الأرض، كقاب قوسين أو أدنى.

وقد روت مصادر إخواننا السنة عدداً من الروايات عن عالم الملكوت، كالتى رواها أحمد فى مسنده: ٢/٣٦٣، من حديث المعراج... فلما نزلت وانتهيت إلى سماء الدنيا فإذا أنا برهج ودخان وأصوات فقلت من هؤلاء؟ قال: الشياطين يحرفون على عين بنى آدم أن لا يتفكروا فى ملكوت السموات والأرض، ولولا ذلك لرأت العجائب.

وروى الهيثمى فى مجمع الزوائد: ٩/١٧٨: (وعن رقبه بن مصقلة قال لما حصر الحسين بن على رضى الله عنهما قال: أخرجونى إلى الصحراء لعلى أتفكر أنظر فى ملكوت السموات يعنى الآيات، فلما أخرج به قال: اللهم إنى أحتسب نفسى عندك فإنها أعز الأنفس على، وكان مما صنع الله له أنه أحتسب نفسه. رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح، إلا أن رقبه لم يسمع من الحسن فيما أعلم، وقد سمع من أنس فيما قيل.

من آيات وروايات عالم الخزائن

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا هَا وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَثْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ. وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسِيْتُمْ لَهُ بَرَازِقِينَ. وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ. الحجر: ١٩ - ٢١

الصحيفة السجادية: ١/٧١: (اللهم يا منتهى مطلب الحاجات، ويا من عنده نيل الطلبات، ويا من لا يبيع نعمه بالأثمان، ويا من لا يكدر عطايه بالامتنان، ويا من يستغنى به ولا يستغنى عنه، ويا من يرغب إليه ولا يرغب عنه، ويا من لا تغنى خزائنه المسائل، ويا من لا تبدل حكمته الوسائل، ويا من لا تنقطع عنه حوائج المحتاجين، ويا من لا يعنيه دعاء الداعين....

مصباح المتهجد/٤٦٧: (سبحان الحى القيوم، سبحان الدائم الباقي الذى لا يزول، سبحان الذى لا تنقص خزائنه، سبحان من لا ينفد ما عنده، سبحان من لا تبيد معالمه، سبحان من لا يشاور فى أمره أحداً، سبحان من لا إله غيره.

مصباح المتهجد/٥٧٨: (الحمد لله الفاشى فى الخلق أمره وحمده، الظاهر بالكرم مجده، الباسط بالجود يده، الذى لا تنقص خزائنه، ولا تزيده كثرة العطاء إلا كرمًا وجوداً، إنه هو العزيز الوهاب.

مستدرک الحاكم: ١/٥٢٥: (عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه كان يدعو: اللهم احفظنى بالإسلام قائماً، واحفظنى بالإسلام قاعداً، واحفظنى بالإسلام راقداً، ولا تشمت بى عدواً حاسداً. اللهم إنى أسألك من كل خير خزائنه بيدك، وأعوذ بك من كل شر خزائنه بيدك. هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه.

هذا ما تيسر لنا تتبعه من الأحاديث الدالة على وجود الإنسان فى عوالم قبل الدنيا. وفيها بحوث شريفة فى عدد هذه العوالم وترتيبها وصفاتها، قلما تعرض المتكلمون والمفسرون لبحثها.

وفيها بحوث أخرى فى امتحان الإنسان فيها واختياره الكفر أو الإيمان قبل وصوله إلى عالم الأرض. وقد بحثها المفسرون والمتكلمون فى باب الجبر والاختيار، والقضاء والقدر.

قال المجلسى رحمه الله فى بحار الأنوار: ٥/٢٦٠: (بيان: أعلم أن أخبار هذا الباب من متشابهات الأخبار ومعضلات الآثار، ولاصحابنا رضى الله عنهم فيها مسالك:

منها، ما ذهب إليه الأخباريون، وهو أننا نؤمن بها مجملًا، ونعترف بالجهل عن حقيقة معناها، وعن أنها من أى جهة صدرت، ونرد علمها إلى الأئمة عليهم السلام.

ومنها، أنها محمولة على التقيّة لموافقته لروايات العامة، ولما ذهبت إليه الأشاعرة وهم جلهم، ولمخالفتها ظاهراً لما مر من أخبار

الإختيار والإستطاعة.

ومنها، أنها كناية عن علمه تعالى بما هم إليه صائرون، فإنه تعالى لما خلقهم مع علمه بأحوالهم فكأنه خلقهم من طينات مختلفة. ومنها، أنها كناية عن اختلاف استعداداتهم وقابلياتهم، وهذا أمر بين لا يمكن إنكاره، فإنه لا شبهة في أن النبي صلى الله عليه وآله وأبا جهل ليسا في درجة واحدة من الإستعداد والقابلية، وهذا لا يستلزم سقوط التكليف، فإن الله تعالى كلف النبي صلى الله عليه وآله حسب ما أعطاه من الاستعداد لتحصيل الكمالات، وكلف أبا جهل حسب ما أعطاه من ذلك، ولم يكلفه ما ليس في وسعه، ولم يجبره على شيء من الشر والفساد.

ومنها، أنه لما كلف الله تعالى الأرواح أولاً في الذر وأخذ ميثاقهم فاختاروا الخير والشر باختيارهم في ذلك الوقت، وتفرع اختلاف الطينة على ما اختاروه باختيارهم كما دل عليه بعض الأخبار السابقة، فلا فساد في ذلك. ولا يخفى ما فيه وفي كثير من الوجوه السابقة، وترك الخوض في أمثال تلك المسائل الغامضة التي تعجز عقولنا عن الاحاطة بكنهها أولى، لا سيما في تلك المسألة التي نهى أئمتنا عن الخوض فيها. (مسألة القضا والقدر). ولنذكر بعض ما ذكره في ذلك علماؤنا رضوان الله عليهم ومخالفيهم.

فمنها: ما ذكره الشيخ المفيد قدس الله روحه في جواب المسائل السروية حيث سئل: ما قوله - أدام الله تأييده - في معنى الأخبار المروية عن الأئمة الهادية عليهم السلام في الأشباح وخلق الله تعالى الأرواح قبل خلق آدم عليه السلام بألفى عام، وإخراج الذرية من صلبه على صور الذر، ومعنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: الأرواح جنود مجنده فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف. الجواب: وبالله التوفيق، إن الأخبار بذكر الأشباح تختلف ألفاظها، وتتباين معانيها، وقد بنت الغلاة عليها أباطيل كثيرة، وصنفوا فيها كتباً لغوا فيها، وهزئوا فيما أثبتوه منه في معانيها، وأضافوا ما حوته الكتب إلى جماعة من شيوخ أهل الحق وتخروصوا الباطل بإضافتها إليهم، من جملتها كتاب سموه كتاب (الأشباح والأظلة) نسبوه في تأليفه إلى محمد بن سنان، ولسنا نعلم صحة ما ذكره في هذا الباب عنه. وإن كان صحيحاً فإن ابن سنان قد طعن عليه وهو متهم بالغلو، فإن صدقوا في إضافته هذا الكتاب إليه فهو ضلال لصال عن الحق، وإن كذبوا فقد تحملوا أوزار ذلك.

والصحيح من حديث الأشباح الرواية التي جاءت عن الثقة بأن آدم عليه السلام رأى على العرش أشباحاً يلمع نورها فسأل الله تعالى عنها، فأوحى إليه أنها أشباح رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والحسن والحسين وفاطمة صلوات الله عليهم، وأعلمه أنه لولا الأشباح التي رآها ما خلقه ولا خلق سماء ولا أرضاً. والوجه فيما أظهره الله تعالى من الأشباح والصور لادم أن دله على تعظيمهم وتبجيلهم، وجعل ذلك إجلالاً لهم ومقدمة لما يفترضه من طاعتهم، ودليلاً على أن مصالح الدين والدنيا لا تتم إلا بهم، ولم يكونوا في تلك الحال صوراً مجيئة، ولا أرواحاً ناطقة، لكنها كانت على مثل صورهم في البشرية، يدل على ما يكونوا عليه في المستقبل في الهيئة، والنور الذي جعله عليهم يدل على نور الدين بهم وضيء الحق بحججهم. وقد روى أن أسماءهم كانت مكتوبة إذ ذاك على العرش، وأن آدم عليه السلام لما تاب إلى الله عز وجل وناجاه بقبول توبته سأله بحقهم عليه ومحلهم عنده فأجابته، وهذا غير منكر في العقول ولا- مصاد للشرع المنقول، وقد رواه الصالحون الثقة المأمونون، وسلم لروايته طائفة الحق، ولا طريق إلى إنكاره، والله ولى التوفيق. انتهى.

ويدل كلام المفيد قدس سره أن الغلاة في عصره كانوا استغلوا أحاديث الأشباح والظلال وبنوا عليها أباطيل تخالف مذهب أهل البيت عليهم السلام، فشنع بسببها الخصوم على المذهب، فنفي المفيد دعوى الخصوم، وفي نفس الوقت أثبت أحاديث الأشباح والظلال، ثم فسرها بتفسير يفهمه العوام ولا يثير الخصوم.

وقال في هامش الكافي: ٢/٣: (الأخبار مستفيضة في أن الله تعالى خلق السعداء من طينة عليين (من الجنة) وخلق الأشقياء من طينة سجين (من النار) وكل يرجع إلى حكم طينته من السعادة والشقاء، وقد أورد عليها: أولاً: بمخالفة الكتاب. وثانياً: باستلزام الجبر الباطل.

أما البحث الأول، فقد قال الله تعالى: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ، وقال: وبدأ خلق الإنسان من طين، فأفاد أن الإنسان مخلوق من طين، ثم قال تعالى: وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيُّهَا.. الآية. وقال: مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا.. الآية. فأفاد أن للإنسان غاية ونهاية من السعادة والشقاء، وهو متوجه إليها سائر نحوها. وقال تعالى: كَمَا يَدَّأكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ.. الآية. فأفاد أن ما ينتهي إليه أمر الإنسان من السعادة والشقاء هو ما كان عليه في بدء خلقه وقد كان في بدء خلقه طيناً، فهذه الطينة طينة سعادة وطينة شقاء، وآخر السعيد إلى الجنة وآخر الشقي إلى النار، فهما أولهما لكون الآخر هو الأول، وحينئذ صح أن السعداء خلقوا من طينة الجنة والأشقياء خلقوا من طينة النار. وقال تعالى: كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمَقْرَبُونَ، كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِّينٍ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِّينٌ كِتَابٌ مَرْقُومٌ وَيْلٌ لِمَكْدِيحِينَ.. الآيات. وهي تشعر بأن عليين وسجين هما ما ينتهي إليه أمر الأبرار والفقار من النعمة والعذاب، فافهم.

وأما البحث الثاني، وهو أن أخبار الطينة تستلزم أن تكون السعادة والشقاء لازمين حتميين للإنسان، ومعه لا يكون أحدهما اختيارياً كسبياً للإنسان وهو الجبر الباطل. والجواب عنه، أن اقتضاء الطينة للسعادة أو الشقاء ليس من قبل نفسها بل من قبل حكمه تعالى وقضائه ما قضى من سعادة وشقاء، فيرجع الإشكال إلى سبق قضاء السعادة والشقاء في حق الإنسان قبل أن يخلق، وإن ذلك يستلزم الجبر. وقد ذكرنا هذا الإشكال مع جوابه في باب المشيئة والإرادة في المجلد الأول من الكتاب/١٥٠، وحاصل الجواب: أن القضاء متعلق بصدور الفعل عن اختيار العبد فهو فعل اختياري في عين أنه حتمي الوقوع، ولم يتعلق بالفعل سواء اختاره العبد أو لم يختره، حتى يلزم منه بطلان الإختيار. وأما شرح ما تشمل عليه هذه الأخبار تفصيلاً فأمر خارج عن مجال هذا البيان المختصر، فليرجع فيه إلى مطولات الشروح والتعليق والله الهادي.(الطباطبائي) انتهى.

ونختم بالقول: إن مسألة وجود الإنسان في عوالم قبل عالم الأرض، أوسع مما بحثه المتكلمون والفلاسفة، وهي تحتاج إلى تتبع كامل وبحث دقيق في أحاديثها الشريفة، للتوصل إلى عدد تلك العوالم وصفاتها، ولا يبعد أنها تحل كثيراً من المشكلات، ومنها مشكلة الجبر والاختيار، وقد تبين من مجموعها أن أخذ الميثاق تم من الذر المأخوذ من طين آدم كما في بعضها، وفي عالم الظلال كما في بعضها، ومن المحتمل أنه حصل في أكثر من عالم.

كما لا يصح استبعاد أن تكون الذرة إنساناً كاملاً عاقلاً بعد ما سمعنا عن عالم الذرة والجينات.

ولا يصح القول بأن عالم الذر هو عالم الملكوت وإن كان جزء من عالم الملكوت إلا من باب تسمية الجزء باسم الكل. والملكوت كما رأيت في آياته وأحاديثه شامل لعوالم الشهادة والغيب، والبعد عن الله تعالى والحضور، وعالم الذر أو الظلال واحد من عوالم الحضور.

الفطرة بمعنى الولادة في الإسلام

قولهم من ولد على الإسلام فهو من أهل الجنة

الكافي: ٨/٣٤٠.

قال علي بن الحسين: ولم يولد لرسول الله صلى الله عليه وآله من خديجة على فطرة الإسلام إلا فاطمة عليها السلام وقد كانت خديجة عليها السلام ماتت قبل الهجرة بسنة، ومات أبو طالب بعد موت خديجة بسنة، فلما فقدما رسول الله صلى الله عليه وآله سئم المقام بمكة ودخله حزن شديد وأشفق على نفسه من كفار قريش، فشكا إلى جبرئيل عليه السلام ذلك، فأوحى الله عز وجل إليه: أخرج من القرية الظالم أهلها وهاجر إلى المدينة فليس لك اليوم بمكة ناصر، وانصب للمشركين حرباً. فعند ذلك توجه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة. انتهى. ورواه في بحار الأنوار: ١٩/١١٧.

مستدرک الوسائل: ١١/٥٨:

وعن إسماعيل بن موسى، بإسناده عن أبي البختری قال: لما انتهى على عليه السلام إلى البصرة خرج أهلها... إلى أن قال: فقاتلوهم وظهروا عليهم وولوا منهزمين، فأمر على منادياً ينادى: لا- تطعنوا في غير مقبل، ولا تطلبوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، وما كان بالعسكر فهو لكم مغنم، وما كان في الدور فهو ميراث يقسم بينهم على فرائض الله عز وجل، فقام إليه قوم من أصحابه فقالوا: يا أمير المؤمنين من أين أحللت لنا دماءهم وأموالهم وحرمت علينا نساءهم؟ فقال: لأن القوم على الفطرة، وكان لهم ولاء قبل الفرقة، وكان نكاحهم لرشدة. فلم يرضهم ذلك من كلامه. فقال لهم: هذه السيرة في أهل القبلة فأنكرتموها، فانظروا أيكم يأخذ عائشة في سهمه؟! فرضوا بما قال، فاعترفوا صوابه وسلموا لامره. انتهى. ورواه المغربي في شرح الأخبار: ١/٣٩٥، وروته أيضاً مصادر التاريخ.

القول بأن من ولد في الإسلام فهو من أهل الجنة

الدر المنثور: ٢/١١٥:

وأخرج البيهقي عن ابن عابد قال: خرج رسول الله (ص) في جنازة رجل فلما وضع قال عمر بن الخطاب: لا تصل عليه يا رسول الله فإنه رجل فاجر، فالتفت رسول الله (ص) إلى الناس قال: هل رآه أحد منكم على الإسلام؟ فقال رجل: نعم يا رسول الله حرس ليلة في سبيل الله، فصلى عليه رسول الله (ص) وحتى عليه التراب وقال: أصحابك يظنون أنك من أهل النار، وأنا أشهد أنك من أهل الجنة. وقال: يا عمر إنك لا تسأل عن أعمال الناس ولكن تسأل عن الفطرة.

صحيح مسلم: ٢/٤:

... فسمع رجلاً يقول الله اكبر، الله اكبر، فقال رسول الله (ص): على الفطرة ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله، فقال رسول الله (ص): خرجت من النار، فنظروا فإذا هو راعي معزى.

كنز العمال: ٨/٣٦٦:

كنا مع رسول الله (ص) في سرية فسمعنا منادياً ينادى: الله اكبر، الله اكبر، فقال النبي (ص): على الفطرة فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: خرج من النار، فابتدرناه فإذا هو شاب حبشي يرضع غنماً له في واد، فأدرك صلاة المغرب فأذن لنفسه - أبو الشيخ.

سنن الترمذي: ٣/٨٧:

... واستمع ذات يوم فسمع رجلاً يقول: الله اكبر، الله اكبر، فقال: على الفطرة، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال خرجت من النار.

مسند أحمد: ٣/٢٤١:

... نحن مع رسول الله (ص) في سفر إذ سمع رجلاً يقول الله اكبر، الله اكبر، فقال النبي (ص): على الفطرة، قال أشهد ان لا- إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فقال النبي (ص): خرج هذا من النار. انتهى.

وقد صحت الروايات عند اخواننا أن الخليفة عمر قد وسع دائرة شفاعته النبي صلى الله عليه وآله حتى تشمل المنافقين بل والكفار، بل صحت رواياتهم بأن مذهب الخليفة عمر أن جهنم تنتهي بعد مدة وينقل أهلها إلى الجنة.. إلخ. وسيأتي ذلك في بحث الشفاعة إن شاء الله تعالى.

الفطرة والنبوة والشرائع الإلهية

الكافي: ٨/٤٢٤:

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبان بن عثمان، عن إسماعيل الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام

قال: كانت شريعته نوح عليه السلام أن يعبد الله بالتوحيد والإخلاص وخلع الأنداد، وهي الفطرة التي فطر الناس عليها، وأخذ الله ميثاقه على نوح وعلى النبيين أن يعبدوا الله تبارك وتعالى ولا يشركوا به شيئاً، وأمر بالصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحلال والحرام، ولم يفرض عليه أحكام حدود ولا فرض مواريث فهذه شريعته، فلبث فيهم نوح ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم سرّاً وعلائية، فلما أبوا وعتوا قال: رب إنني مغلوب فانتصر. فأوحى الله عز وجل إليه أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ. فلذلك قال نوح عليه السلام: وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاَجْرًا كَفَّارًا. فأوحى الله عز وجل إليه: أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ. انتهى. ورواه العياشي في تفسيره: ٢/١٤٤، ورواه في بحار الأنوار: ١١/٣٣١

الكافي: ٢/١٧

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي نصر، وعدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد، عن إبراهيم بن محمد الثقفي، عن محمد بن مروان، جميعاً عن أبان بن عثمان، عن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى أعطى محمداً صلى الله عليه وآله شرايع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام: التوحيد والإخلاص وخلع الأنداد والفطرة الحنيفة السمحة لا رهبانية ولا سياحة، أحل فيها الطيبات وحرم فيها الخبائث، ووضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، ثم افترض عليه الصلاة والزكاة والصيام والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحلال والحرام والموارث والحدود والفرائض والجهاد في سبيل الله، وزاده الوضوء، وفضله بفاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة والمفصل، وأحل له المغنم والفي، ونصره بالرعب، وجعل له الأرض مسجداً وطهوراً، وأرسله كافه إلى الأبيض والأسود والجن والانس، وأعطاه الجزية وأسر المشركين وفداهم، ثم كلفه ما لم يكلف أحداً من الأنبياء، أنزل عليه سيف من السماء في غير غمد وقيل له: قاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك. ورواه في بحار الأنوار: ٧٢/٣١٧ وقال:

تبيين: قوله عليه السلام (شرايع نوح) يحتمل أن يكون المراد بالشرايع أصول الدين، ويكون التوحيد والإخلاص وخلع الأنداد بياناً لها، والفطرة الحنيفة معطوفة على الشرايع، وإنما خص عليه السلام ما به الاشتراك بهذه الثلاثة، مع اشتراكه عليه السلام معهم في كثير من العبادات لاختلاف الكيفيات فيها دون هذه الثلاثة، ولعله عليه السلام لم يرد حصر المشتركات فيما ذكر لعدم ذكر السائل أصول الدين كالعدل والمعاد، مع أنه يمكن إدخالها بعض ما ذكر، لا سيما الإخلاص بتكلف.

ويمكن أن يكون المراد منها الأصول وأصول الفروع المشتركة وإن اختلفت في الخصوصيات والكيفيات، وحينئذ يكون جميع تلك الفقرات إلى قوله عليه السلام (وزاده) بياناً للشرايع، ويشكل حينئذ ذكر الرهبانية والسياحة، إذ المشهور أن عدمهما من خصائص نبينا صلى الله عليه وآله، إلا أن يقال المراد عدم الوجوب وهو مشترك، أو يقال إنهما لم يكونا في شريعته عيسى عليه السلام أيضاً. وإن استشكل بالجهاد وأنه لم يجاهد عيسى عليه السلام فالجواب أنه يمكن أن يكون واجباً عليه لكن لم يتحقق شرائطه، ولذا لم يجاهد.

ولعل قوله عليه السلام (زاده وفضله) بهذا الوجه أوفق.

وكان المراد بالتوحيد نفى الشريك في الخلق، وبالإخلاص نفى الشريك في العبادة، وخلق الأنداد تأكيد لهما، أو المراد به ترك أتباع خلفاء الجور وأئمة الضلالة أو نفى الشرك الخفي، أو المراد بالإخلاص نفى الشرك الخفي، وبخلق الأنداد نفى الشريك في استحقاق العبادة.

والأنداد: جمع ند، وهو مثل الشيء الذي يضاده في أموره، ويناده أي يخالفه.

والفطرة: ملة الإسلام التي فطر الله الناس عليها، كما مر.

والحنيفية: المائلة من الباطل إلى الحق، أو الموافقة لملة إبراهيم عليه السلام قال في النهاية: الحنيف عند العرب من كان على دين إبراهيم، وأصل الحنف الميل، ومنه الحديث بعثت بالحنيفية السمحة السهلة، وفي القاموس: السمحة الملة التي ما فيها ضيق.

بحار الأنوار: ٧٦/٦٨:

مكا: عن الصادق عليه السلام قال: كان بين نوح وإبراهيم (عليهما السلام) ألف سنة، وكانت شريعة إبراهيم بالتوحيد والاخلاص وخلع الانداد، وهي الفطرة التي فطر الناس عليها وهي الحنيفية. وأخذ عليه ميثاقه وأن لا يعبد إلا الله، ولا يشرك به شيئاً، قال: وأمره بالصلاة والأمر والنهي، ولم يحكم له أحكام فرض المواريث، وزاده في الحنيفية: الختان وقص الشارب وشفط الأظفار وحلق العانة، وأمره ببناء البيت والحج والمناسك، فهذه كلها شريعته عليه السلام.

معنى الفطرة والصبغة

تفسير التبيان: ١/٤٨٥:

قوله تعالى: صِبْغَةَ اللَّهِ: معناه فطرة الله في قول الحسن وقتادة وأبي العالیه ومجاهد وعطية وابن زيد والسدي. وقال الفراء والبلخي: إنه شريعة الله في الختان الذي هو التطهير.

وقوله صبغة الله، مأخوذ من الصبغ، لأن بعض النصارى كانوا إذا ولد لهم مولود جعلوه في ماء طهور يجعلون ذلك تطهيراً له ويسمونه العمودية، فليل صبغة الله أي تطهير الله، تطهير كم بتلك الصبغة وهو قول الفراء. وقال قتادة: اليهود تصبغ أبناءها يهوداً والنصارى تصبغ أبناءها نصارى، فهذا غير المعنى الأول، وإنما معناه أنهم يلقبون أولادهم اليهودية والنصرانية، فيصبغونهم بذلك لما يشربون قلوبهم منه، فليل صبغة الله التي أمر بها ورضيها يعنى الشريعة، لا صبغتكم. وقال الجبائي: سمى الدين صبغة لأنه هيئة تظهر بالمشاهدة من أثر الطهارة والصلاة وغير ذلك من الآثار الجميلة التي هي كالصبغة، وقال أمية:

في صبغة الله كان إذ نسي الدهد وخلي الصواب إذ عزم

تفسير التبيان: ٣/٣٣٤:

وقوله: وَلَا مَرْئُهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ: اختلفوا في معناه فقال ابن عباس، والربيع بن أنس، عن أنس: إنه الأخصاء، وكرهوا الأخصاء في البهائم، وبه قال سفيان، وشهر بن حوشب، وعكرمة، وأبو صالح. وفي رواية أخرى عن ابن عباس: فليغيرن دين الله، وبه قال إبراهيم ومجاهد، وروى ذلك عن أبي جعفر وأبي عبدالله (عليهما السلام). قال مجاهد: كذب العبد يعنى عكرمة في قوله إنه الأخصاء، وإنما هو تغيير دين الله الذي فطر الناس عليه في قوله: فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ. وهو قول قتادة والحسن والسدي والضحاك وابن زيد.

وقال الكفعمي في المصباح/ ٣٤٠

الفاطر: أي المبتدع لأنه فطر الخلق أي ابتدعهم، وخلقهم من الفطر وهو الشق، ومنه: إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، أي انشقت، وقوله: تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ، أي يتشققن كأنه سبحانه شق العدم بإخراجنا منه، وقوله تعالى: فَاطِرِ السَّمَوَاتِ، أي مبدئ خلقها.

بحار الأنوار: ٣/٢٧٦-٢٨١: (سن: المحسن بن أحمد، عن أبان الأحمر، عن أبي جعفر الأحول، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: عروء الله الوثقى التوحيد، والصبغة الإسلام.

بيان: قال البيضاوي في قوله تعالى: صِبْغَةَ اللَّهِ: أي صبغنا الله صبغته وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها، فإنها حلية الإنسان، كما أن الصبغة حلية المصبوغ، أو هدايا هدايته وأرشدنا حجته، أو طهر قلوبنا بالإيمان تطهيره. وسماه صبغة لأنه ظهر أثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ، وتداخل قلوبهم تداخل الصبغ الثوب، أو للمشاكله فإن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه العمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحقق نصرانيتهم.

مع: أبي، عن سعد، عن أحمد بن محمد، عن أبيه، عن فضالة، عن أبان، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل: صِبْغَةَ اللَّهِ وَ

مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً، قال: هي الإسلام.

شف: من كتاب القاضي القرويني، عن هارون بن موسى التلعكبري، عن محمد بن سهل، عن الحميري، عن ابن يزيد، عن علي بن حسان، عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله الله عز وجل: فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، قال: هي التوحيد، وأن محمداً رسول الله، وأن علياً أمير المؤمنين.

شى: عن زرارة، عن أبي جعفر وحرمان، عن أبي عبد الله (عليهما السلام) قال: الصبغة الإسلام.

شى: عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة: قال: الصبغة معرفة أمير المؤمنين عليه السلام بالولاية في الميثاق.

بحار الأنوار: ١/٢٠٩: (ل: ماجيلويه، عن محمد العطار، عن الأشعري، عن أحمد بن محمد، عن ابن معروف، عن ابن مهزيار، عن حكم بن بهلول، عن ابن همام، عن ابن أذينة، عن أبان بن أبي عياش، عن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت علياً عليه السلام يقول لأبي الطفيل عامر بن واثلة الكناني: يا أبا الطفيل العلم علمان: علم لا يسع الناس إلا النظر فيه وهو صبغة الإسلام، وعلم يسع الناس ترك النظر فيه وهو قدرة الله عز وجل.

بيان: قال الفيروز آبادي: الصبغة بالكسر: الدين والملء، وصبغة الله: فطرة الله، أو التي أمر الله بها محمداً صلى الله عليه وآله وهي الختانة. انتهى.

أقول: المراد بالصبغة هنا الملء أو كل ما يصبغ الإنسان بلون الإسلام من العقائد الحقة، والأعمال الحسنة، والأحكام الشرعية. وقدرة الله تعالى: لعل المراد بها هنا تقدير الأعمال، وتعلق قدرة الله بخلقها، أي علم القضاء والقدر والجبر والإختيار، فإنه قد نهى عن التفكير فيها.

وفي نهج البلاغة: أنه قال أمير المؤمنين عليه السلام وقد سئل عن القدر فقال: طريق مظلم فلا تسلكوه. انتهى.

بحار الأنوار: ٦٧/١٣٠:

البقرة-١٣٨: صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ الروم-٣٠:

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

كا: عن علي، عن أبيه ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد جميعاً، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً، قال: الإسلام.

بيان: قيل على هذه الأخبار يحتمل أن تكون (صبغة) منصوبة على المصدر من مسلمون في قوله تعالى قبل ذلك: لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ. ثم يحتمل أن يكون معناها وموردها مختصاً بالخواص والخلص المخاطبين بقولوا) في صدر الآيات حيث قال: قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا، دون سائر أفراد بني آدم بل يتعين هذا المعنى إن فسر الإسلام بالخضوع والانقياد للأوامر والنواهي كما فعلوه، وإن فسر بالمعنى العرفي فتوجيه التعميم فيه كتوجيه التعميم في فطرة الله....

وقيل: صبغة الله إبداع الممكنات وإخراجها من العدم إلى الوجود وإعطاء كل ما يليق به من الصفات والغايات وغيرهما....

وقيل: معناه كل مولود يولد على معرفة الله والإقرار به، فلا تجد أحداً إلا وهو يقر بأن الله صانعه، وإن سماه بغير اسمه أو عبد معه غيره، ومنه حديث حذيفة (على غير فطرة محمد) أراد دين الإسلام الذي هو منسوب إليه. انتهى.

وقال بعضهم: المراد بالفطرة كونه خلقاً قابلاً للهداية وتهيئتها لها، لما أوجد فيه من القوة القابلة لها، لأن فطرة الإسلام وصوابها موضوع في العقول، وإنما يدفع العقول عن إدراكها تغيير الابوين، أو غيرهما.

وأجيب عنه بأن حمل الفطرة على الإسلام لا- ياباه العقل، وظاهر الروايات يدل عليه. وحملها على الظاهر لا وجه له من غير مستند.

... لا تبديل لخلق الله: أى بأن يكونوا كلهم أو بعضهم عند الخلق مشركين، بل كان كلهم مسلمين مقرين به أو قابلين للمعرفة، وأراهم نفسه: أى بالرؤية العقلية الشبيهة بالرؤية العينية فى الظهور ليرسخ فيهم معرفته، ويعرفوه فى دار التكليف، ولولا تلك المعرفة الميثاقية لم يحصل لهم تلك القابلية، وفسر عليه السلام الفطرة فى الحديث بالمجبولية على معرفة الصانع والإذغان به. كذلك قوله فى هذه الآية أيضاً محموله على هذا المعنى: ولئن سألتهم، أى كفار مكة كما ذكره المفسرون أو الاعم كما هو الاظهر من الخبر، ليقولن الله، لفطرتهن على المعرفة. وقال البيضاوى: لوضوح الدليل المانع من إسناد الخلق إلى غيره، بحيث اضطروا إلى إذعانه.

والمشهور أنه مبنى على أن كفار قريش لم يكونوا ينكرون أن الصانع هو الله، بل كانوا يعبدون الأصنام لزعمهم أنها شفعاء عند الله، وظاهر الخبر أن كل كافر لو خلى وطبعه وترك العصبيّة ومتابعة الأهواء وتقليد الاسلاف والاباء، لاقر بذلك كما ورد ذلك الأخبار الكثيرة.

قال بعض المحققين: الدليل على ذلك ما ترى أن الناس يتوكلون بحسب الجبله على الله ويتوجهون توجهاً غريباً إلى مسبب الأسباب ومسهل الأمور الصعاب، وإن لم يتفطنوا لذلك، ويشهد لهذا قول الله عز وجل قال: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيَّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ.

وفى تفسير مولانا العسكرى عليه السلام أنه سئل مولانا الصادق عن الله فقال للسائل: يا عبدالله هل ركبت سفينة قط؟ قال: بلى، قال: فهل كسر بك حيث لا- سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك؟ قال بلى، قال: فهل تعلق قلبك هناك أن شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك؟ قال: بلى، قال الصادق: فذلك الشئ هو الله القادر على الأنجاء حين لا منجى، وعلى الإغاثة حين لا مغيث.

ولهذا جعلت الناس معذورين فى تركهم اكتساب المعرفة بالله عزوجل متروكين على ما فطروا عليه، مرضياً عنهم بمجرد الإقرار بالقول، ولم يكلفوا الإستدلالات العلمية فى ذلك، وإنما التعمق لزيادة البصيرة ولطائفه مخصوصه. وأما الإستدلال فلرد على أهل الضلال.

ثم إن أفهام الناس وعقولهم متفاوتة فى قبول مراتب العرفان، وتحصيل الإطمينان كما وكيفاً، شدة وضعفاً، سرعة وبطئاً، حالاً وعلماً، وكشفاً وعياناً، وإن كان أصل المعرفة فطرياً، إما ضرورى أو يهتدى إليه بأدنى تنبيه، فلكل طريقة هداه الله عز وجل إليها إن كان من أهل الهداية، والطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق، وهم درجات عند الله، يرفع الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات.

قال بعض المنسويين إلى العلم: أعلم أن أظهر الموجودات وأجلاها هو الله عز وجل، فكأن هذا يقتضى أن يكون معرفته أول المعارف، وأسبقها إلى الأفهام وأسهلها على العقول، ونرى الأمر بالضد من ذلك، فلا بد من بيان السبب فيه.

وإنما قلنا إن أظهر الموجودات وأجلاها هو الله فمعنى لا- تفهمه إلا بمثال، هو: أنا إذا رأينا إنساناً يكتب أو يخطط مثلاً، فإن كونه حياً من أظهر الموجودات فحياته وعلمه وقدرته للخياطة أجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة، إذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه، وكل ذلك لا نعرفه، وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها، وبعضها نشك فيه، كمقدار طولها، واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته. أما حياته وقدرته وإرادته وعلمه وكونه حيواناً فإنه جلى عندنا من غير أن يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وإرادته، فإن هذه الصفات لا تحس بشئ من الحواس الخمس، ثم لا يمكن أن يعرف حياته وقدرته وإرادته إلا بخياطته وحركته، فلو نظرنا إلى كل ما فى العالم سواء لم نعرف به صفاته، فما عليه إلا دليل واحد، وهو مع ذلك جلى واضح.

وجود الله وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده وندرکه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر، ونبات وشجر، وحيوان وسماء، وأرض وكوكب، وبر وبحر، ونار وهواء، وجوهر وعرض، بل أول شاهد عليه أنفسنا، وأجسامنا وأصنافنا، وتقلب أحوالنا، وتغير قلوبنا، وجميع أطوارنا، فى حركاتنا وسكناتنا.

وأظهر الأشياء فى علمنا أنفسنا، ثم محسوساتنا بالحواس الخمس، ثم مدركاتنا بالبصيرة والعقل، وكل واحد من هذه المدركات له مدرک واحد، وشاهد ودليل واحد، وجميع ما فى العالم شواهد ناطقة، وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها، ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته. والموجودات المدركة لا حصر لها.

فإن كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد له إلا شاهد واحد، وهو ما أحسنا من حركة يده، فكيف لا يتصور في الوجود داخل نفوسنا وخارجها إلا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله، إذ كل ذرة فإنها تنادي بلسان حالها أنه ليس وجودها بنفسها، ولا حركتها بذاتها وإنما يحتاج إلى موجد ومحرك لها، يشهد بذلك أولاً تركيب أعضائنا واتتلاف عظامنا، ولحومنا وأعصابنا ونبات شعورنا، وتشكل أطرافنا، وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة، فإننا نعلم أنها لم تأتلف بنفسها، كما نعلم أن يد الكاتب لم تتحرك بنفسها. ولكن لما لم يبق في الوجود مدرك، ومحسوس ومعقول، وحاضر وغائب إلا - وهو شاهد ومعرف عظم ظهوره، فانبهرت العقول، ودهشت عن إدراكه.

فإذن ما يقصر عن فهمه عقولنا له سببان: أحدهما خفاؤه في نفسه وغموضه، وذلك لا يخفى مثاله، والآخر ما يتناهى وضوحه. وهذا كما أن الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار، لا لخفاء النهار واستتاره، ولكن لشدة ظهوره، فإن بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس إذا أشرق، فيكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سبباً لامتناع أبصاره فلا يرى شيئاً إلا إذا امتزج الظلام بالضوء، وضعف ظهوره. وكذلك عقولنا ضعيفة، وجمال الحضرة الإلهية في نهاية الأشرار والإستنارة وفي غاية الإستغراق والشمول، حتى لا يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السماوات والأرض، فصار ظهوره سبب خفائه، فسبحان من احتجب بإشراق نوره، واختفى عن البصائر والأبصار بظهوره. ولا تتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور، فإن الأشياء تُستبان بأضدادها وما عم وجوده حتى لا ضد له عسر إدراكه، فلو اختلفت الأشياء فدل بعضها دون البعض أدركت التفرقة على قرب، ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد أشكل الأمر. ومثاله نور الشمس المشرق على الأرض، فإننا نعلم أنه عرض من الأعراض يحدث في الأرض، ويزول عند غيبة الشمس....

الدر المنثور: 5/155:

فَمَأْقَمٌ وَجْهَكَ... الآية. أخرج الفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد (رض) قوله: فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، قال: الدين الإسلام، لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ، قال لدين الله.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله: لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ، قال: دين الله. ذلك الدين القيم، قال: القضاء القيم.

دور الفطرة في المعرفة والثقافة والحضارة

تفسير نور الثقلين: 4/175:

في توحيد المفضل بن عمر المنقول عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في الرد على الدهرية:

تأمل يا مفضل ما أنعم الله تقدرت أسماؤه به على الإنسان من هذا النطق الذي يعبر به عما في ضميره وما يخطر بقلبه ونتيجة فكره، به يفهم غيره ما في نفسه، ولولا ذلك كان بمنزلة البهائم الممثلة التي لا تخبر عن نفسها بشيء، ولا تفهم عن مخبر شيئاً، وكذلك الكتابة التي بها تقيّد أخبار الماضين للباقيين وأخبار الباقيين للآتين وبها تجلد الكتب في العلوم والآداب وغيرها، وبها يحفظ الإنسان ذكر ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات والحساب، ولولاها لا تقطع أخبار بعض الأزمنة عن بعض وأخبار الغائبين عن أوطانهم، ودرست العلوم وضاعت الآداب، وعظم ما يدخل على الناس من الخلل في أمورهم ومعاملاتهم، وما يحتاجون إلى النظر فيه من أمر دينهم وما روى لهم مما لا يسعهم جهله.

ولعلك تظن أنها مما يخلص إليه بالحيلة والفتنة، وليست مما أعطيه الإنسان من خلقه وطباعه. وكذلك الكلام إنما هو شيء يصطلح عليه الناس فيجرب بينهم، ولهذا صار يختلف في الأمم المختلفة بألسن مختلفة، وكذلك الكتابة ككتابة العربي والسرياني والعبراني والرومي وغيرها من ساير الكتابة التي هي متفرقة في الأمم، إنما اصطالحوا عليها كما اصطالحوا على الكلام.

فيقال لمن ادعى ذلك إن الإنسان وإن كان له في الأمرين جميعاً فعل أو حيلة، فإن الشيء الذي يبلغ به ذلك الفعل والحيلة عطية وهبة من الله عز وجل في خلقه، فإنه لو لم يكن له لسان مهياً للكلام وذهن يهتدى به للأمر، لم يكن ليتكلم أبداً، ولو لم يكن له كف مهياً

وأصابع للكتابة لم يكن ليكتب أبداً، واعتبر ذلك من البهائم التي لا كلام لها ولا كتابة. فأصل ذلك فطرة البارى عز وجل، وما تفضل به على خلقه، فمن شكر أثيب، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين.

بحث في دور الفطرة والنبوة في الحياة الإنسانية

تفسير الميزان: ١٠/١٢٨:

قوله تعالى: وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ.

قد مر أن المراد به الإختلاف الواقع فى نفس الدين من حملته، وحيث كان الدين من الفطرة كما يدل عليه قوله تعالى:

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا... الروم: ٣٠

على أن الفطرة لا تنافى الغفلة والشبهة ولكن تنافى التعمد والبغى، ولذلك خص البغى بالعلماء ومن استبانته له الآيات الإلهية، قال تعالى: وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. البقرة: ٣٩، والآيات فى هذا المعنى كثيرة، وقد قيد الكفر فى جميعها بتكذيب آيات الله ثم أوقع عليه الوعيد. وبالجملة فالمراد بالآية أن هذا الإختلاف ينتهى إلى بغى حملة الكتاب من بعد علم...

وقد تبين من الآية:

أولاً: حد الدين ومعرفته وهو أنه نحو سلوك فى الحياة الدنيا يتضمن صلاح الدنيا بما يوافق الكمال الأخرى والحياة الدائمة الحقيقية عند الله سبحانه، فلا بد فى الشريعة من قوانين تتعرض لحال المعاش على قدر الإحتياج.

وثانياً: أن الدين أول ما ظهر ظهر رافعاً للإختلاف الناشئ عن الفطرة، ثم استكمل رافعاً للإختلاف الفطرى وغير الفطرى معاً.

وثالثاً: أن الدين لا يزال يستكمل حتى تستوعب قوانينه جهات الإحتياج فى الحياة فإذا استوعبها ختم ختماً فلا دين بعده، وبالعكس إذا كان دين من الأديان خاتماً كان مستوعباً لرفع جميع جهات الإحتياج، قال تعالى: مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ. الأحزاب: ٤٠، وقال تعالى: وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَالْحُلُمَ: ٨٩، وقال تعالى: إِنَّهُ لِكِتَابٌ عَزِيزٌ. لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ. حم السجدة: ٤٢.

ورابعاً: أن كل شريعة لاحقة أكمل من سابقتها.

وخامساً: السبب فى بعث الأنبياء وإنزال الكتب، وبعبارة أخرى العلة فى الدعوة الدينية هو أن الإنسان بحسب طبعه وفطرته سائر نحو الإختلاف، كما أنه سالك نحو الإجماع المدنى، وإذا كانت الفطرة هى الهادية إلى الإختلاف لم تتمكن من رفع الإختلاف، وكيف يدفع شئ ما يجذب به إليه نفسه، فرفع الله سبحانه هذا الإختلاف بالنبوة والتشريع بهداية النوع إلى كماله اللاتق بحالهم المصلح لشأنهم.

وهذا الكمال كمال حقيقى داخل فى الصنع والإيجاد، فما هو مقدمته كذلك، وقد قال تعالى: الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى.

طه: ٥٠، فبين أن من شأنه وأمره تعالى أن يهدى كل شئ إلى ما يتم به خلقه، ومن تمام خلقه الإنسان أن يهتدى إلى كمال وجوده فى

الدنيا والآخرة، وقد قال تعالى أيضاً: كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا. الإسراء: ٢٠، وهذه الآية

تفيد أن شأنه تعالى هو الإمداد بالعتاء يمد كل من يحتاج إلى إمداده فى طريق حياته ووجوده ويعطيه ما يستحقه، وأن عطاءه غير

محظور ولا ممنوع من قبله تعالى إلا أن يمتنع ممتنع بسوء حظ نفسه من قبل نفسه لا من قبله تعالى.

ومن المعلوم أن الإنسان غير متمكن من تميم هذه النقيصة من قبل نفسه، فإن فطرته هى المؤدية إلى هذه النقيصة، فكيف يقدر على

تتميمها وتسوية طريق السعادة والكمال فى حياته الإجتماعية.

وإذا كانت الطبيعة الإنسانية هى المؤدية إلى هذا الإختلاف العائق للإنسان عن الوصول إلى كماله الحرى به، وهى قاصرة عن تدارك

ما أدت إليه وإصلاح ما أفسدته فالأصلاح لو كان يجب أن يكون من جهة غير جهة الطبيعة وهى الجهة الإلهية التى هى النبوة

بالوحي، ولذا عبر تعالى عن قيام الأنبياء بهذا الإصلاح ورفع الاختلاف بالبعث، ولم ينسبه في القرآن كله إلا إلى نفسه، مع أن قيام الأنبياء كسائر الأمور له ارتباطات بالمادة بالروابط الزمانية والمكانية.

فالنبوة حالة إلهية، وإن شئت قل غيبية، نسبتها إلى هذه الحالة العمومية من الإدراك والفعل نسبة اليقظة إلى النوم، بها يدرك الإنسان المعارف التي بها يرتفع الاختلاف والتناقض في حياة الإنسان، وهذا الإدراك والتلقى من الغيب هو المسمى في لسان القرآن بالوحي، والحالة التي يتخذها الإنسان منه لنفسه بالنبوة.

ومن هنا يظهر أن هذا - أعنى تأدية الفطرة إلى الاجتماع المدني من جهة وإلى الاختلاف من جهة أخرى وعنايته تعالى بالهداية إلى تمام الخلقة - مبدأ حجة على وجود النبوة، وبعبارة أخرى دليل النبوة العامة.

تقريره: أن نوع الإنسان مستخدم بالطبع وهذا الاستخدام الفطري يؤديه إلى الاجتماع المدني وإلى الاختلاف والفساد في جميع شؤون حياته الذي يقضى التكوين والإيجاد برفعه، ولا يرتفع إلا بقوانين تصلح الحياة الاجتماعية برفع الاختلاف عنها. وهداية الإنسان إلى كماله وسعادته بأحد أمرين، إما بفطرته وإما بأمر ورائه، لكن الفطرة غير كافية فإنها هي المؤدية إلى الاختلاف فكيف ترفعه، فوجب أن يكون بهداية من غير طريق الفطرة والطبيعة وهو التفهيم الإلهي غير الطبيعي المسمى بالنبوة والوحي، وهذه الحجة مؤلفة من مقدمات مصرح بها في كتاب الله تعالى كما عرفت فيما تقدم، وكل واحدة من هذه المقدمات تجريبية بيتها التجربة للإنسان تاريخ حياته واجتماعاته المتنوعة التي ظهرت وانقرضت في طي القرون المتراكمة الماضية إلى أقدم أعصار الحياة الإنسانية التي يذكرها التاريخ. فلا الإنسان انصرف في حين من أحيان حياته عن حكم الاستخدام، ولا استخدامه لم يؤد إلى الاجتماع وقضى بحياة فردية، ولا اجتماعه المكون خلا عن الاختلاف، ولا الاختلاف ارتفع بغير قوانين اجتماعية، ولا أن فطرته وعقله الذي يعده عقلاً سليماً قدرت على وضع قوانين تقطع منابت الاختلاف وتقلع مادة الفساد.

وناهيك في ذلك ما تشاهده من جريان الحوادث الاجتماعية وما هو نصب عينيك من انحطاط الأخلاق وفساد عالم الإنسانية والحروب المهلكة للحرث والنسل والمقاتل المبيدة للملايين بعد الملايين من الناس، وسلطان التحكم ونفوذ الاستعباد في نفوس البشر وأعراضهم وأموالهم في هذا القرن الذي يسمى عصر المدنية والرقى والثقافة والعلم، فما ظنك بالقرون الخالية أعصار الجهل والظلمة. وأما أن الصنع والإيجاد يسوق كل موجود إلى كماله اللائق به فأمر جار في كل موجود بحسب التجربة والبحث، وكذا كون الخلقة والتكوين إذا اقتضى أثراً لم يقتض خلافه بعينه أمر مسلم تثبته التجربة والبحث، وأما أن التعليم والتربية الدينين الصادرين من مصدر النبوة والوحي يقدران على دفع هذا الاختلاف والفساد، فأمر يصدق البحث والتجربة معاً، أما البحث فلان الدين يدعو إلى حقائق المعارف وفواضل الأخلاق ومحاسن الأفعال، فصالح العالم الإنساني مفروض فيه، وأما التجربة فالإسلام أثبت ذلك في السير من الزمان الذي كان الحاكم فيه على الاجتماع بين المسلمين هو الدين، وأثبت ذلك بتربية أفراد من الإنسان صلحت نفوسهم وأصلحوا نفوس غيرهم من الناس على أن جهات الكمال والعروق النابضة في هيكل الاجتماع المدني اليوم التي تضمن حياة الحضارة والرقى مرهونة للتقدم الإسلامي وسريانه في العالم الديوى على ما تعطيه التجزية والتحليل من غير شك. انتهى.

وأنت تلاحظ أن صاحب الميزان رحمه الله فسر الفطرة بالغرائز الخيرة والشريرة معاً، ولكن والذي يظهر من الأحاديث الشريفة اختصاصها ببعض الغرائز الخيرة.

تفسير الميزان: ١١/١٥١:

فلو كان في الدنيا خير مرجو وسعادة لوجب أن ينسب إلى الدين وتربيته. ويشهد بذلك ما نشاهده من أمر الأمم التي بنت اجتماعها على كمال الطبيعة وأهملت أمر الدين والأخلاق فإنهم لم يلبثوا دون أن افتقدوا الصلاح والرحمة والمحبة وصفاء القلب وسائر الفضائل الخلقية والفطرية، مع وجود أصل الفطرة فيهم، ولو كانت أصل الفطرة كافية ولم تكن هذه الصفات بين البشر من البقايا الموروثة من الدين، لما افتقدوا شيئاً من ذلك.

على أن التاريخ أصدق شاهد على الإقتباسات التي عملتها الأمم المسيحية بعد الحروب الصليبية فاقتبسوا مهمات النكات من القوانين العامة الإسلامية فتقلدوها وتقدموا بها، والحال أن المسلمين اتخذوها وراءهم ظهرياً فتأخر هؤلاء وتقدم أولئك.. والكلام طويل الذيل. وبالجملة الأصول المذكوران - أعنى السراية والوراثه وهما التقليد الغريزي في الإنسان والتحفظ على السيرة المألوفة - يوجبان نفوذ الروح الديني في الإجتماعات كما يوجبان في غيره ذلك، وهو تأثير فعلى.

فإن قلت: فعلى هذه فائدة الفطرة فإنها لا تغني طائلاً، وإنما أمر السعادة بيد النبوة، وما فائدة بناء التشريع على أساس الفطرة على ما تدعيه النبوة.

قلت: ما قدمناه في بيان ما للفطرة من الإرتباط بسعادة الإنسان وكماله يكفي في حل هذه الشبهة، فإن السعادة والكمال الذي تجلبه النبوة إلى الإنسان ليس أمراً خارجاً عن هذا النوع ولا غريباً عن الفطرة، فإن الفطرة هي التي تهتدى إليه لكن هذا الإهتداء لا يتم لها بالفعل وحدها من غير معين يعينها على ذلك، وهذا المعين الذي يعينها على ذلك وهو حقيقة النبوة ليس أيضاً أمراً خارجاً عن الإنسانية وكمالها منضمماً إلى الإنسان كالحجر الموضوع في جنب الإنسان مثلاً وإلا- كان ما يعود منه إلى الإنسان أمراً غير كماله وسعاده كالثقل الذي يضيفه الحجر إلى ثقل الإنسان في وزنه، بل هو أيضاً كمال فطري للإنسان مذخور في هذا النوع وهو شعور خاص وإدراك مخصوص مكمون في حقيقته لا- يهتدى إليه بالفعل إلا- آحاد من النوع أخذتهم العناية الإلهية، كما أن للبالغ من الإنسان شعوراً خاصاً بلذة النكاح لا تهتدى إليه بالفعل بقية الأفراد غير البالغين بالفعل، وإن كان الجميع من البالغ وغير البالغ مشتركين في الفطرة الإنسانية والشعور شعور مرتبط بالفطرة. وبالجملة لاحقيقة النبوة أمر زائد على إنسانية الإنسان الذي يسمى نبياً وخارج عن فطرته، ولا السعادة التي تهتدى سائر الأمة إليها أمر خارج عن إنسانيتهم وفطرتهم غريب عما يستأنسه وجودهم الإنساني، وإلا لم تكن كمالاً وسعادة بالنسبة إليهم.

فإن قلت: فيعود الإشكال على هذا التقرير إلى النبوة فإن الفطرة على هذا كافية وحدها والنبوة غير خارجة عن الفطرة. فإن المتحصل من هذا الكلام هو أن النوع الإنساني المتمدن بفطرته والمختلف في اجتماعه يتميز من بين أفراده آحاد من الصلحاء فطرتهم مستقيمة وعقولهم سليمة عن الأوهام والتهوسات ورتائل الصفات، فيهدون بإستقامه فطرتهم وسلامه عقولهم إلى ما فيه صلاح الإجتماع وسعادة الإنسان فيضعون قوانين فيها مصلحة الناس وعمران الدنيا والآخرة، فإن النبي هو الإنسان الصالح الذي له نبوغ اجتماعي.

قلت: كلا وإنما هو تفسير لا ينطبق على حقيقة النبوة ولا ما تستتبعه.

أما أولاً، فلان ذلك فرض افترضه بعض علماء الإجتماع ممن لا قدم له في البحث الديني والفحص عن حقائق المبدأ والمعاد. فذكر أن النبوة نبوغ خاص اجتماعي استتبعته استقامه الفطرة وسلامة العقل، وهذا النبوغ يدعوا إلى الفكر في حال الإجتماع وما يصلح به هذا الإجتماع المختل وما يسعد به الإنسان الاجتماعي فهذا النابغة الاجتماعي هو النبي والفكر الصالح المترشح من قواه الفكرية هو الوحي، والقوانين التي يجعلها لصلاح الإجتماع هو الدين، وروحه الطاهر الذي يفيض هذه الأفكار إلى قواه الفكرية ولا يخون العالم الإنساني بإتباع الهوى هو الروح الأمين وهو جبرائيل، والموحي الحقيقي هو الله سبحانه والكتاب الذي يتضمن أفكاره العالية الطاهرة هو الكتاب السماوي، والملائكة هي القوى الطبيعية أو الجهات الداعية إلى الخير، والشيطان هي النفس الإمارة بالسوء أو القوى أو الجهات الداعية إلى الشر والفساد، وعلى هذا القياس. وهذا فرض فاسد وقد مر في البحث عن الإعجاز، وأن النبوة بهذا المعنى لأن تسمى لعبة سياسية أولى بها من أن تسمى نبوة إلهية.

وقد تقدم أن هذا الفكر الذي يسمى هؤلاء الباحثون نبوغه الخاص نبوة، من خواص العقل العملي الذي يميز بين خير الأفعال وشرها بالمصلحة والمفسدة، وهو أمر مشترك بين العقلاء من أفراد الإنسان ومن هداية الفطرة المشتركة، وتقدم أيضاً إن هذا العقل بعينه هو الداعي إلى الإختلاف، وإذا كان هذا شأنه لم يقدر من حيث هو كذلك على رفع الإختلاف واحتاج فيه إلى متمم أمره، وقد عرفت أنه يجب أن يكون هذا المتمم نوعاً خاصاً من الشعور يختص به بحسب الفعلية بعض الآحاد من الإنسان، وتهتدى به الفطرة إلى

سعادة الإنسان الحقيقية في معاشه ومعاده.

ومن هنا يظهر أن هذا الشعور من غير سنخ الشعور الفكري، بمعنى أن ما يجده الإنسان من النتائج الفكرية من طريق مقدماتها العقلية، غير ما يجده من طريق الشعور النبوي والطريق غير الطريق.

ولا- يشك الباحثون في خواص النفس في أن في الإنسان شعوراً نفسياً باطنياً، ربما يظهر في بعض الآحاد من أفرادها يفتح له باباً إلى عالم وراء هذا العالم، ويعطيه عجائب من المعارف والمعلومات وراء ما يتاله العقل والفكر، صرح به جميع علماء النفس من قدمائنا وجمع من علماء النفس من أوروبا مثل جمز الإنجليزي وغيره. فقد تحصل أن باب الوحي النبوي غير باب الفكر العقلي، وأن النبوة وكذا الشريعة والدين والكتاب والملك والشيطان لا ينطبق عليها ما اختلقوه من المعاني.

أمور ورد أنها من الفطرة

من لا يحضره الفقيه: ١/١٣٠:

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن المجوس جزوا لحاهم ووفروا شواربهم، وإنا نجز الشوارب ونعفى اللحي، وهي الفطرة. انتهى. ورواه في وسائل الشيعة: ١/٤٢٣ الخصال: ٣١٠/:

حدثنا أبو أحمد محمد بن جعفر البندار، قال حدثنا جعفر بن محمد بن نوح، قال حدثنا أبو محمد عبدالله بن أحمد بن حماد من أهل قومس، قال حدثنا أبو محمد الحسن بن علي الحلواني، قال حدثنا بشر بن عمر، قال حدثنا مالك بن أنس، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خمس من الفطرة: تقليم الأظفار: وقص الشارب، ونتف الأبط، وحلق العانة، والإختتان. انتهى. ورواه في وسائل الشيعة: ١/٤٣٤ مستدرک الوسائل: ٢/١٢٠:

دعائم الإسلام: عن أمير المؤمنين أنه قال: من الفطرة أن يستقبل بالعليل القبلة إذا احتضر. انتهى. ورواه في بحار الأنوار: ٨٥/٢٤٣ وروى نحوه الحاكم في المستدرک: ١/٣٥٣ والبيهقي في سننه: ٣/٣٨٤ الكافي: ٥/٤٩٦:

عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمد بن الحسن بن شمون، عن عبدالله بن عبدالرحمن، عن مسمع أبي سيار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أحب أن يكون على فطرتي فليستن بسنتي وإن من سنتي النكاح. بحار الأنوار: ٢٢/٢٤٣:

كا: العدة، عن سهل، عن جعفر بن محمد الأشعري، عن ابن القداح عن أبي عبدالله عليه السلام قال: جاءت امرأة عثمان بن مظعون إلى النبي صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله إن عثمان يصوم النهار ويقوم الليل، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله مغضباً يحمل نعليه حتى جاء إلى عثمان فوجده يصلي، فانصرف عثمان حين رأى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: يا عثمان لم يرسلني الله بالرهبانية، ولكن بعثني بالحنيفية السهلة السمحة، أصوم وأصلي وأمس أهلي، فمن أحب فطرتي فليستن بسنتي ومن سنتي النكاح. بحار الأنوار: ١٠٣/٢٢٠:

جع: قال صلى الله عليه وآله: النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني. وقال: تناكحوا تكثرُوا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة ولو بالسقط. وروى البخاري في صحيحه: ٧/٥٦:

... عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي (ص) قال: من الفطرة قص الشارب... عن أبي هريرة رواية الفطرة خمس أو خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد، ونتف الابط، وتقليم الأظفار، وقص الشارب.

... عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله (ص) قال: من الفطرة حلق العانة، وتقليم الأظفار، وقص الشارب.

... عن أبي هريرة (رض) سمعت النبي (ص) يقول: الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الاباط.

... عن ابن عمر عن النبي (ص) قال: خالفوا المشركين، ووفروا اللحى واحفوا الشوارب. انتهى. وروى نحوه فى: ٧/١٤٣ ورواه النسائي: ١/١٤

وروى مسلم فى: ١/١٥٣:

عن عائشة... قالت: قال رسول الله (ص): عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الابط، وحلق العانة، وانتقاص الماء. قال زكريا: قال مصعب: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة، زاد قتيبة قال وكيع: انتقاص الماء، يعنى الإستنجاء. انتهى. ورواه النسائي: ٨/١٢٦ ونحوه فى سنن ابن ماجه: ١/١٠٧ والبيهقى فى سننه: ١/٣. وروى فى كتر العمال: ٩/٥٢٠: عن مجاهد قال: غسل الدبر من الفطرة.

امور ورد أنها تضر بالفطرة

الكافى: ٢/٤٠٠:

عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن عثمان بن عيسى، عن رجل عن عبدالله عليه السلام قال: من شك فى الله بعد مولده على الفطرة لم يفتى إلى خير أبداً.

شرح الأسماء الحسنى: ٢/٤٣:

اللهم إن الطاعة تسرك والمعصية لا تضرك، فهب لى ما يسرك، واغفر لى ما لا يضرك، يا أرحم الراحمين.

أى: لو خليتنى يا إلهى ونفسى الخائنة الجانية وأوهامى المؤلمة المرجية، فمن يزيل آثار زلاتى الجمّة الكثيرة، كما هو مقتضى الجمع المضاف المفيد للعموم، لأن إمهال العظيم الصبور مديد موفور، فإذا استحكمت الملكات الرذيلة وتجوهرت العادات السيئة صارت طبيعة ثانية مخالفة للفطرة الأولى الإسلامية (المحكمة الراسخة كيفاً) والذاتى لا يتبدل، والنفس موضوع بسيط ولا ضد له.

تهذيب الأحكام: ٣/٢٦٩:

... عن زرارة ومحمد بن مسلم قالوا: قال أبو جعفر عليه السلام: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: من قرأ خلف إمام يأتى به فمات بعث على غير الفطرة.

كتر العمال: ٨/٢٨٦:

عن على قال: من قرأ خلف الإمام فقد أخطأ الفطرة. ليس من الفطرة القراءة مع الإمام.

كتر العمال: ٣/٦٢:

لن تزال أمتى على الفطرة ما لم يتخذوا الأمانة مغنماً، والزكاة مغرماً، عن ثوبان.

صحيح البخارى: ١/١٩٢:

شعبة عن سليمان، قال سمعت زيد بن وهب قال رأى حذيفة رجلاً لا يتم الركوع والسجود قال: ما صليت، ولو مت مت على غير الفطرة التى فطر الله محمداً (ص). انتهى. ونحوه فى سنن البيهقى: ٢/٣٨٦، وكتر العمال: ٨/٢٠٠، ومسنند أحمد: ٥/٣٨٤.

تقوية الفطرة و تضعيفها و إساءة استعمالها

قابلية الفطرة للتقوية والتخريب

بحار الأنوار: ٧٣/٢٦٩:

... ثم الناس في هذه القوة على درجات ثلاث في أول الفطرة وبحسب ما يطرأ عليها من الأمور الخارجة من التفريط والإفراط والإعتدال، أما التفريط فيفقد هذه القوة أو يضعفها بأن لا يستعملها فيما هو محمود عقلاً وشرعاً مثل دفع الضرر عن نفسه على وجه سائغ، والجهاد مع أعدائه والبطش عليهم، وإقامة الحدود على الوجه المعبر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فتحصل فيه ملكة الجبن بل ينتهي إلى عدم الغيرة على حرمه وأشباه ذلك. انتهى. أقول: ويدل عليه أيضاً قوله صلى الله عليه وآله (ولكن أبواه يهودانه أو ينصرانه).

بحار الأنوار: ٦٠/٣٧٢:

الإقبال: عن الحسين بن علي (عليهما السلام) في دعاء يوم عرفة:

... ابتدأتني بنعمتك قبل أن أكون شيئاً مذكوراً وخلقنتني من التراب، ثم أسكنتني الأصلاب، آمناً لريب المنون واختلاف الدهور، فلم أزل ظاعناً من صلب إلى رحم في تقادم الأيام الماضية والقرون الخالية، لم تخرجني لرأفتك بي ولطفك لي وإحسانك إلي في دولة أئمة الكفرة الذين نقضوا عهدك، وكذبوا رسلك، لكنك أخرجتني رافئاً منك وتحنناً علي للذي سبق لي من الهدى الذين يسرتني وفيه أنشأتني، ومن قبل ذلك رؤفت بي بجميل صنعك، وسواغ نعمتك، فابتدعت خلقي، من منى يمى، ثم أسكنتني في ظلمات ثلاث بين لحم وجلد ودم، لم تشهرني بخلقي، ولم تجعل إلي شيئاً من أمرى، ثم أخرجتني إلى الدنيا تاماً سوياً، وحفظتني في المهد طفلاً صيباً، ورزقتني من الغذاء لبناً مرياً، وعظفت على قلوب الحواضن، وكفلتني الأمهات الرحائم، وكلا-تني من طوارق الجان، وسلمتني من الزيادة والنقصان، فتعاليت يا رحيم يا رحمان.

حتى إذا استهللت ناطقاً بالكلام، أتممت على سواغ الانعام، فريبتني زائداً في كل عام حتى إذا كملت فطرتي، واعتدلت سريرتي، أوجبت عليّ حجتك بأن ألهمتني معرفتك، وروعتني بعجائب فطرتك، وأنطقتني لما ذرأت لي في سمائك وأرضك من بدائع خلقك، ونهتني لذكرك وشكرك، وواجب طاعتك وعبادتك، وفهمتني ما جاءت به رسلك.. إلخ. انتهى.

قال المجلسي رحمه الله الفطرة إشارة إلى قوة الأعضاء والقوى الظاهرة، واعتدال السريرة إلى كمال القوى الباطنة... ألقيت في روعي أي قلبي عجائب الفطرة، لكنه بعيد عن الشائع في إطلاق هذا اللفظ بحسب اللغة. انتهى.

أقول: الظاهر أن معناه: جعلتني أدرك روائع وعجائب ما فطرته من مخلوقاتك.

تفسير الميزان: ١٦/١٧٨:

الفطرة بناء نوع من الفطر بمعنى الإيجاد والإبداع، وفطرة الله منصوب على الأغراء أي إلزم الفطرة، ففيه إشارة إلى أن هذا الدين الذي يجب إقامة الوجه له، هو الذي تهتف به الخلق وتهدى إليه الفطرة الإلهية التي لا تبديل لها.

وذلك أنه ليس الدين إلا سنة الحياة والسبيل التي يجب على الإنسان أن يسلكها حتى يسعد في حياته، فلا غاية للإنسان يتبعها إلا السعادة، وقد هدى كل نوع من أنواع الخلق إلى سعادته التي هي بغيته حياته بفطرته ونوع خلقته، وجهازه في وجوده بما يناسب غايته من التجهيز، قال تعالى: رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى. طه: ٥٠، وقال: الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى. الأعلى: ٣.

فالإنسان كسائر الأنواع المخلوقة مفطور بفطرة تهديه إلى تميم نواقصه ورفع حوائجه وتهتف له بما ينفعه وما يضره في حياته، قال تعالى: وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا الشَّمْسِ: ٨، وهو مع ذلك مجهز بما يتم له به ما يجب له أن يقصده من العمل، قال تعالى: ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ. عبس: ٢٠.

فلاإنسان فطرة خاصة تهديه إلى سنة خاصة في الحياة وسبيل معينة ذات غاية مشخصة ليس له إلا أن يسلكها خاصة، وهو قوله: فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، وليس الإنسان العائش في هذه النشأة إلا- نوعاً واحداً لا يختلف ما ينفعه وما يضره بالنظر إلى هذه البنية

المؤلفة من روح وبدن، فما للإنسان من جهة أنه إنسان إلا سعادة واحدة وشقاء واحد، فمن الضروري حينئذ أن يكون تجاه عمله سنة واحدة ثابتة يهديه إليها هاد واحد ثابت، وليكن ذاك الهادي هو الفطرة ونوع الخلقة، ولذلك عقب قوله: فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، بقوله: لا- تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ، فلو اختلفت سعادة الإنسان باختلاف أفراده لم ينعقد مجتمع واحد صالح يضمن سعادة الأفراد المجتمعين، ولو اختلفت السعادة باختلاف الأقطار التي تعيش فيها الأمم المختلفة بمعنى أن يكون الأساس الوحيد للسنة الاجتماعية، أعنى الدين هو ما يقتضيه حكم المنطق، كان الإنسان أنواعاً مختلفة باختلاف الأقطار، ولو اختلفت السعادة باختلاف الأزمنة، بمعنى أن تكون الأعصار والقرون هي الأساس الوحيد للسنة الدينية، اختلفت نوعيه كل قرن وجيل مع من ورثوا من آبائهم أو أخلفوا من أبائهم، ولم يسر الاجتماع الإنساني سير التكامل، ولم تكن الإنسانية متوجهة من النقص إلى الكمال، إذ لا يتحقق النقص والكمال إلا مع أمر مشترك ثابت محفوظ بينهما.

وليس المراد بهذا إنكار أن يكون لاختلاف الأفراد أو الأمكنة أو الأزمنة بعض التأثير في انتظام السنة الدينية في الجملة، بل إثبات أن الأساس للسنة الدينية هو البنية الإنسانية التي هي حقيقة واحدة ثابتة مشتركة بين الأفراد، فللإنسانية سنة واحدة ثابتة بنيت أساسها الذي هو الإنسان، وهي التي تدير رحى الإنسانية مع ما يلحق بها من السنن الجزئية المختلفة باختلاف الأفراد أو الأمكنة أو الأزمنة. وهذا هو الذي يشير إلى قوله بعد ذلك: الَّذِينَ الْقِيَمُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ....

وللقوم في مفردات الآيه ومعناها أقوال أخر متفرقة، منها: أن المراد بإقامة الوجه تسديد العمل، فإن الوجه هو ما يتوجه إليه وهو العمل وإقامته تسديده. وفيه أن وجه العمل هو غايته المقصودة منه وهي غير العمل، والذي في الآيه هو: فَأَقِمَّ وَجْهَكَ، ولم يقل فأقم وجه عملك....

ومنها، أن لا- في قوله: لا- تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ، تفيد النهي أي لا- تبدلوا خلق الله أي دينه الذي أمرتم بالتمسك به، أو لا تبدلوا خلق الله بإنكار دلالاته على التوحيد، ومنه من نسب إلى ابن عباس أن المراد به النهي عن الخصاء. وفيه، أن لا دليل على أخذ الخلق بمعنى الدين ولا موجب لتسمية الأعراض عن دلالة الخلقة أو إنكارها تبديلاً لخلق الله، وأما ما نسب إلى ابن عباس ففساده ظاهر.

ومنها، ما ذكره الرازي في التفسير الكبير قال: ويحتمل أن يقال خلق الله الخلق لعبادته وهم كلهم عبيده لا تبديل لخلق الله، أي ليس كونهم عبيداً مثل كون المملوك عبداً للإنسان فإنه ينتقل عنه إلى غيره ويخرج عن ملكه بالعتق، بل لا- خروج للخلق عن العبادة والعبودية. وهذا لبيان فساد قول من يقول العبادة لتحصيل الكمال والعبد يكمل بالعبادة فلا يبقى عليه تكليف، وقول المشركين إن الناقص لا يصلح لعبادة الله، وإنما الإنسان عبد الكواكب والكواكب عبيد الله، وقول النصارى إن عيسى كان يحل الله فيه وصار إليها، فقال: لا تبديل لخلق الله بل كلهم عبيد لا خروج لهم عن ذلك. إنتهى.

وفيه، أنه مغالطة بين الملك والعبادة التكوينية والملك والعبادة التشريعية، فإن ملكه تعالى الذي لا يقبل الانتقال والبطلان ملك تكويني بمعنى قيام وجود الأشياء به تعالى، والعبادة التي بإزائه عبادة تكوينية وهو خضوع ذوات الأشياء له تعالى، ولا تقبل التبديل والترك كما في قوله: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ إِسْرَاءَ: ٤٤.

وأما العبادة الدينية التي تقبل التبديل والترك فهي عبادة تشريعية بإزاء الملك التشريعي المعتبر له تعالى، فأفهمه. ولو دل قوله لا تبديل لخلق الله على عدم تبديل الملك والعبادة والعبودية لدل على التكويني منهما، والذي يبده القائلون بارتفاع التكليف عن الإنسان الكامل أو بعبادة الكواكب أو المسيح، فإنما يعنون به التشريعي منهما.

تفسير الميزان: ٥/٣١٢:

البيانات القرآنية تجرى في بث المعارف الدينية وتعليم الناس العلم النافع هذا المجرى، وتراعى الطرق المتقدمة التي عينتها للحصول على المعلومات، فما كان من الجزئيات التي لها خواص تقبل الاحساس فإنها تصریح فيها إلى الحواس كآيات المشتملة على قوله:

ألم تر، أفلا يرون، أفرايتهم، أفلا تبصرون، وغير ذلك.

وما كان من الكليات العقلية مما يتعلق بالأمر الكليّة المادية، أو التي هي وراء عالم الشهادة، فإنها تعتبر فيها العقل اعتباراً جازماً وإن كانت غائبة عن الحس خارجة عن محيط المادة والماديات كغالب الآيات الراجعة إلى المبدأ والمعاد المشتملة على أمثال قوله: لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ، لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ، لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ، يَفْقَهُونَ، وغيرها.

وما كان من القضايا العملية التي لها مساس بالخير والشر والنافع والضار في العمل والتقوى والفجور، فإنها تستند فيها إلى الإلهام الإلهي بذكر ما تذكره يشعر الإنسان بإلهامه الباطني كآيات المشتملة على مثل قوله: ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ، فَإِنَّهُ آثَمُ قَلْبُهُ، وَالْإِثْمُ وَالْبَغْيُ بِغَيْرِ الْحَقِّ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي، وغيرها، وعليك بالتدبر فيها.

ومن هنا يظهر أولاً أن القرآن الكريم يُخَطِّئ طريق الحسين وهم المعتمدون على الحس والتجربة النافون للأحكام العقلية الصرفة في الابحاث العلمية، وذلك أن أول ما يهتم القرآن به في بيانه هو أمر توحيد الله عز اسمه، ثم يرجع إليه ويبني عليه جميع المعارف الحقيقية التي بينها ويدعو إليها.

ومن المعلوم أن التوحيد أشد المسائل ابتعاداً من الحس وبينونه للمادة وارتباطاً بالأحكام العقلية الصرفة. والقرآن يبين أن هذه المعارف الحقيقية من الفطرة، قال: فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ. الروم: ٣٠، أى أن الخلقة الإنسانية نوع من الابداع يستتبع هذه العلوم والإدراكات، ولا معنى لتبديل خلق إلا أن يكون نفس التبديل أيضاً من الخلق والإيجاد، وأما تبديل الإيجاد المطلق أى إبطال حكم الواقع فلا يتصور له معنى، فلن يستطيع الإنسان وحاشا ذلك أن يبطل علومه الفطرية ويسلك في الحياة سبيلاً آخر غير سبيلها البتة.

وأما الانحراف المشهود عن أحكام الفطرة فليس إبطالاً لحكمها، بل استعمالاً لها غير ما ينبغي من نحو الإستعمال، نظير ما ربما يتفق أن الرامي لا- يصيب الهدف في رميته، فإن آلة الرمي وسائر شرائطه موضوعه بالطبع للإصابة، إلا أن الإستعمال يوقعها في الغلط، والسكاكين والمناشير والمثاقب والإبر وأمثالها إذا عبئت في الماكينات تعبئة معوجة تعمل عملها الذي فطرت عليه بعينه من قطع أو نشر أو ثقب وغير ذلك، لكن لا على الوجه المقصود، وأما الانحراف عن العمل الفطري كأن يخاطب بنشر المنشار بأن يعوض المنشار فعل الإبرة من فعل نفسه فيضع الخياطة موضع النشر، فمن المحال ذلك.

وهذا ظاهر لمن تأمل عامة ما استدل به القوم على صحة طريقهم، كقولهم إن الأبحاث العقلية المحضة والقياسات المؤلفة من مقدمات بعيدة من الحس يكثر وقوع الخطأ فيها، كما يدل عليه كثرة الاختلافات في المسائل العقلية المحضة، فلا ينبغي الإعتماد عليها لعدم إطمئنان النفس إليها. وقولهم في الإستدلال على صحة طريق الحس والتجربة إن الحس آلة لنيل خواص الأشياء بالضرورة وإذا أحس بأثر في موضوع من الموضوعات على شرائط مخصوصة ثم تكرر مشاهدة الأثر معه مع حفظ تلك الشرائط بعينها من غير تخلف واختلاف، كشف ذلك عن أن هذا الأثر خاصة الموضوع من غير اتفاق، لأن الاتفاق (الصدفة) لا يدوم البتة.

والدليلان كما ترى سيقاً لإثبات وجوب الإعتماد على الحس والتجربة ورفض السلوك العقلي المحض، مع كون المقدمات المأخوذة فيهما جميعاً مقدمات عقلية خارجة عن الحس والتجربة، ثم أريد بالأخذ بهذه المقدمات العقلية إبطال الأخذ بها، وهذا هو الذي تقدم أن الفطرة لن تبطل البتة، وإنما يغلط الإنسان في كيفية استعمالها.

قدوات البشرية في فطرتهم المستقيمة

آدم فطرة الله تعالى

الصحيفة السجادية: ٢/٣٩:

فى الصلاة على آدم عليه السلام: اللهم وأدم بديع فطرتك، وأول معترف من الطين بربوبيتك، وبكر حجتك على عبادك وبريتك. بحار الأنوار: ١٠١/٢٣٠:

(زيارة أخرى) رواها الكفعمى فى البلد الأمين عن الصادق عليه السلام قال: إذا وصلت إلى الفرات فاغتسل وألبس أنظف ثوب تقدر عليه، ثم صر إلى القبر حافياً وعليك السكينة والوقار، وقف بالباب وكبر أربعاً وثلاثين تكبيراً وقل: السلام عليك يا وارث آدم فطرة الله، السلام عليك يا وارث نوح صفوة الله.

إبراهيم إمام الإستقامة على الفطرة

الصحيفة السجادية: ٢/٢٥٦:

... يا موضع كل شكوى، ويا شاهد كل نجوى، ويا عالم كل خفية، ويا دافع كل بلية، يا كريم العفو، يا حسن التجاوز، توفنى على ملة إبراهيم وفطرته، وعلى دين محمد وسنته، وعلى خير الوفادة فتوفنى، موالياً لأوليائك ومعادياً لأعدائك. اللهم إني أسألك التوفيق لكل عمل أو قول أو فعل يقربنى إليك زلفى، يا أرحم الراحمين. الكافي: ٨/٣٦٦:

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبان بن عثمان عن حجر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خالف إبراهيم عليه السلام قومه وعاب آلهم حتى أدخل على نمرود فخاصمه، فقال إبراهيم عليه السلام: ربي الذي يحيى ويميت قال: أنا أحيى وأميت. قال إبراهيم: فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب، فبهت الذي كفر والله لا يهدى القوم الظالمين. وقال أبو جعفر عليه السلام: عاب آلهم فنظر نظرة فى النجوم فقال إني سقيم، قال أبو جعفر عليه السلام: والله ما كان سقيماً وما كذب، فلما تولوا عنه مدبرين إلى عيد لهم دخل إبراهيم عليه السلام إلى آلهم بقدم فكسرها إلا كبيراً لهم ووضع القدم فى عنقه، فرجعوا إلى آلهم فنظروا إلى ما صنع بها فقالوا: لا والله ما اجترأ عليها ولا كسرها إلا الفتى الذى كان يعيبها ويبرأ منها، فلم يجدوا له قتلة أعظم من النار، فجمعوا له الحطب واستجادوه، حتى إذا كان اليوم الذى يحرق فيه برز له نمرود وجنوده وقد بنى له بناء لينظر إليه كيف تأخذه النار، ووضع إبراهيم عليه السلام فى منجنيق، وقالت الأرض: يا رب ليس على ظهري أحد يعبدك غيره يحرق بالنار؟ قال الرب: إن دعانى كفيته.

فذكر أبان عن محمد بن مروان، عن مروان، عن أبي جعفر عليه السلام أن دعاء إبراهيم عليه السلام يومئذ كان (يا أحد يا أحد، يا صمد يا صمد، يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. ثم قال: توكلت على الله) فقال الرب تبارك وتعالى: كفيته، فقال للنار: كوني بزدًا. قال فاضطربت أسنان إبراهيم عليه السلام من البرد حتى قال الله عز وجل: وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ. وانحط جبرئيل عليه السلام وإذا هو جالس مع إبراهيم عليه السلام يحدثه فى النار، قال نمرود: من اتخذ إلهاً فليتخذ مثل إله إبراهيم! قال: فقال عظيم من عظمائهم: إني عزمت على النار أن لا تحرقه، قال فأخذ عنق من النار نحوه حتى أحرقه! قال: فأمن له لوط، وخرج مهاجراً إلى الشام هو وسارة ولوط.

- على بن إبراهيم، عن أبيه، وعدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد جميعاً، عن الحسن بن محبوب، عن إبراهيم بن أبي زياد الكرخي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ان إبراهيم عليه السلام كان مولده بكوثى رباً، وكان أبوه من أهلها وكانت أم إبراهيم وأم لوط سارة ورقة وفى نسخة رقية أختين، وهما ابنتان للاحج، وكان لاحج نبياً منذراً ولم يكن رسولاً، وكان إبراهيم عليه السلام فى شببته على الفطرة التى فطر الله عز وجل الخلق عليها، حتى هداه الله تبارك وتعالى إلى دينه واجتباها، وإنه تزوج سارة ابنة لاحج وهى ابنة خالته، وكانت سارة صاحبة ماشية كثيرة وأرض واسعة وحال حسنة، وكانت قد ملكت إبراهيم عليه السلام جميع ما كانت تملكه، فقام فيه وأصلحه وكثرت الماشية والزرع، حتى لم يكن بأرض كوثى ربا رجل أحسن حالاً منه.

وإن إبراهيم عليه السلام لما كسر أصنام نمرود أمر به نمرود فأوثق، وعمل له حيراً وجمع له فيه الحطب وألهب فيه النار، ثم قذف إبراهيم عليه السلام في النار لتحرقة، ثم اعتزلوها حتى خمدت النار، ثم أشرفوا على الحير فإذا هم بإبراهيم عليه السلام سليماً مطلقاً من وثاقه فأخبر نمرود خبره، فأمرهم أن ينفوا إبراهيم عليه السلام من بلاده وأن يمنعوه من الخروج بماشيته وماله، فحاجهم إبراهيم عليه السلام عند ذلك فقال: إن أخذتم ماشيتي ومالي فإن حقي عليكم أن تردوا عليّ ما ذهب من عمري في بلادكم، واختصموا إلى قاضي نمرود فقضى على إبراهيم عليه السلام أن يسلم إليهم جميع ما أصاب في بلادهم، وقضى على أصحاب نمرود أن يردوا على إبراهيم عليه السلام ما ذهب من عمره في بلادهم!

فأخبر بذلك نمرود فأمرهم أن يخلوا سبيله وسبيل ماشيته وما له وأن يخرجوه، وقال: إنه إن بقي في بلادكم أفسد دينكم وأضر بآلهتكم، فأخرجوا إبراهيم ولوطاً معه صلى الله عليهما من بلادهم إلى الشام، فخرج إبراهيم ومعه لوط لا يفارقه وساره، وقال لهم: إني ذاهب إلى ربي سيهدين، يعني بيت المقدس.

فتحمل إبراهيم عليه السلام بماشيته وماله وعمل تابوتاً وجعل فيه ساره وشدها بالأغلاق غيراً منه عليها، ومضى حتى خرج من سلطان نمرود وصار إلى سلطان رجل من القبط يقال له عرارة، فمر بعاشر له فاعترضه العاشر ليعشر ما معه، فلما انتهى إلى العاشر ومعه التابوت.

قال العاشر لابراهيم عليه السلام: إفتح هذا التابوت حتى نعشر ما فيه.

فقال له إبراهيم عليه السلام: قل ما شئت فيه من ذهب أو فضة حتى نعطي عشره ولا نفتحه.

قال فأبى العاشر إلا فتحه، قال وغضب إبراهيم عليه السلام على فتحه، فلما بدت له ساره وكانت موصوفة بالحسن والجمال، قال له العاشر: ما هذه المرأة منك؟

قال إبراهيم عليه السلام: هي حرمتي وابنة خالتي.

فقال له العاشر: فما دعاك إلى أن خبيتها في هذا التابوت؟

فقال إبراهيم عليه السلام: الغيرة عليها أن يراها أحد.

فقال له العاشر: لست أدعك تبرح حتى أعلم الملك حالها وحالك، قال: فبعث رسولاً إلى الملك فأعلمه فبعث الملك رسولاً من قبله ليأتوه بالتابوت فأتوا ليذهبوا به. فقال لهم إبراهيم عليه السلام: إني لست أفارق التابوت حتى تفارق روعي جسدي، فأخبروا الملك بذلك فأرسل الملك أن أحملوه والتابوت معه، فحملوا إبراهيم عليه السلام والتابوت وجميع ما كان معه حتى أدخل على الملك فقال له الملك: إفتح التابوت.

فقال إبراهيم عليه السلام: أيها الملك إن فيه حرمتي وابنة خالتي وأنا مفتد فتحه بجميع ما معي. قال: فغضب الملك وأجبر إبراهيم عليه السلام على فتحه، فلما رأى ساره لم يملك حلمه سفهه أن مد يده إليها فأعرض إبراهيم عليه السلام بوجهه عنها وعنه غيراً منه وقال: اللهم احبس يده عن حرمتي وابنة خالتي، فلم تصل يده إليها ولم ترجع إليه!

فقال له الملك: إن إلهك الذي فعل بي هذا؟

فقال له: نعم، إن إلهي غيور يكره الحرام وهو الذي حال بينك وبين ما أردت من الحرام.

فقال له الملك: فادع إلهك يرد عليّ يدي فإن أجابك فلم أعرض لها.

فقال إبراهيم عليه السلام: إلهي رد عليه يده ليكف عن حرمتي.

قال: فرد الله عز وجل عليه يده فأقبل الملك نحوها ببصره، ثم أعاد بيده نحوها فأعرض إبراهيم عليه السلام عنه بوجهه غيراً منه وقال: اللهم احبس يده عنها، قال فبيست يده ولم تصل إليها!

فقال الملك لابراهيم عليه السلام: ان إلهك لغيور وإنك لغيور فادع إلهك يرد على يدي فإنه إن فعل لم أعد.

فقال له إبراهيم عليه السلام: أسأله ذلك على أنك إن عدت لم تسألني أن أسأله.

فقال الملك: نعم.

فقال إبراهيم عليه السلام: اللهم إن كان صادقاً فرد عليه يده، فرجعت إليه يده!

فلما رأى ذلك الملك من الغيرة ما رأى ورأى الآية في يده، عظم إبراهيم عليه السلام وهابه وأكرمه واتقاه، وقال له: قد أمنت من أن أعرض لها أو لشيء مما معك، فانطلق حيث شئت ولكن لي إليك حاجة.

فقال إبراهيم عليه السلام: ما هي؟

فقال له: أحب ان تأذن لي أن أخدمها قبطية عندى جميلة عاقلة تكون لها خادماً.

قال: فأذن له إبراهيم عليه السلام فدعا بها فوهبها لسارة وهى هاجر أم إسماعيل عليه السلام.

فسار إبراهيم عليه السلام بجميع ما معه وخرج الملك معه يمشى خلف إبراهيم عليه السلام إعظاماً لإبراهيم عليه السلام وهيبته له، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى إبراهيم أن قف ولا تمش قدام الجبار المتسلط ويمشى هو خلفك، ولكن اجعله أمامك وامش خلفه وعظمه وهبه، فإنه مسلط ولا بد من إمرة في الأرض بره أو فاجرة، فوقف إبراهيم عليه السلام وقال للملك: إمض فإن إلهي أوحى إليّ الساعة أن أعظمك وأهابك وأن أقدمك أمامي وأمشى خلفك إجلالاً لك.

فقال له الملك: أوحى إليك بهذا؟ فقال له إبراهيم عليه السلام: نعم.

فقال له الملك: أشهد أن إلهك لرفيق حلیم كريم، وإنك ترغبنى في دينك.

قال: وودعه الملك فسار إبراهيم عليه السلام حتى نزل بأعلى الشامات، وخلف لوطاً عليه السلام في أدنى الشامات.

ثم إن إبراهيم عليه السلام لما أبطأ عليه الولد قال لسارة: لو شئت لبعنتى هاجر لعل الله أن يرزقنا منها ولدأ فيكون لنا خلفاً، فابتاع إبراهيم عليه السلام هاجر من سارة فوقع عليها فولدت إسماعيل. انتهى. ورواه في تفسير نور الثقلين: ٤/٤١٦ ورواه المجلسي في بحار الأنوار: ١٢/٤٨.

وفي هذا الحديث من الحقائق والاضواء على حياة سيدنا إبراهيم صلى الله عليه وآله ما يرد كثيراً من الشبه الواردة في الإسرائيليات، والتهم التي اتهمه بها اليهود، وقلدهم بعض المسلمين!!

نبينا رائد العارفين ورائد سعادتن

نهج البلاغة: ٣/٤٤:

... والرسول قد عرف عن الله وأخبرنا، فهو رائد سعادتنا.

مروج الذهب للمسعودي: ١/٣٢:

فهذا ما روى عن أبي عبد الله جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

إن الله حين شاء تقدير الخليقة وذراً البرية وإبداع المبدعات، نصب الخلق في صور كالهباء قبل دحو الأرض ورفع السماء، وهو في انفراد ملكوته وتوحد جبروته فأتاح (فأساح) نوراً من نوره فلمع، و[نزع] أقسأ من ضيائه فسطع، ثم اجتمع النور في وسط تلك الصور الخفية فوافق ذلك صورة نبينا محمد(ص)، فقال الله عز من قائل: أنت المختار المنتخب، وعندك مستودع نوري وكنوز هدايتي، من أجلك أسطح البطحاء، وأمرج الماء، وأرفع السماء، وأجعل الثواب والعقاب والجنة والنار، وأنصب أهل بيتك للهداية، وأوتيتهم من مكنون علمي ما لا يشكل عليهم دقيق ولا يعيهم خفي، وأجعلهم حجتى على بريتي، والمنبهين على قدرتي ووحدانيتي، ثم أخذ الله الشهادة عليهم بالربوبية والإخلاص بالوحدانية. فبعد أخذ ما أخذ من ذلك شاب ببصائر الخلق انتخاب محمد وآله (فقبل أخذ ما أخذ

جل شأنه ببصائر الخلق انتخب محمد وآله) وأراهم أن الهداية معه والنور له والإمامة في آله، تقديماً لسنة العدل، وليكون الأعداء متقدماً.

ثم أخفى الله الخليفة في غيبه، وغيبها في مكنون علمه، ثم نصب العوامل وبسط الزمان، ومرج الماء، وأثار الزبد، وأهاج الدخان، فطفأ عرشه على الماء، فسطح الأرض على ظهر الماء [وأخرج من الماء دخاناً فجعله السماء] ثم استجلبهما إلى الطاعة فأذعنا بالإستجابة. ثم أنشأ الله الملائكة من أنوار أبداعها، وأرواح اختراعها، وقرن بتوحيده نبوة محمد (ص)، فشهرت في السماء قبل بعثته في الأرض، فلما خلق آدم أبان فضله للملائكة، وأراهم ما خصه به من سابق العلم من حيث عرفه عند استنبائه إياه أسماء الأشياء، فجعل الله آدم محرراً وكعبة وباباً وقبلة أسجد إليها الأبرار والروحانيين الأنوار، ثم نبه آدم على مستودعه، وكشف له [عن] خطر ما ائتمنه عليه، بعد ما سماه إماماً عند الملائكة، فكان حظ آدم من الخير ما أراه من مستودع نورنا، ولم يزل الله تعالى يخبيئ النور تحت الزمان إلى أن فضل محمداً (ص) في ظاهر الفترات، فدعا الناس ظاهراً وباطناً، وندبهم سراً وإعلاناً، واستدعى عليه السلام التنبيه على العهد الذي قدمه إلى الذر قبل النسل، فمن وافقه وقبس من مصباح النور المقدم اهتدى إلى سره، واستبان واضح أمره، ومن أبلسته الغفلة استحق السخط. ثم انتقل النور إلى غرائزنا، ولمع في أئمتنا، فنحن أنوار السماء وأنوار الأرض، فبنا النجاء، ومنا مكنون العلم، والينا مصير الأمور، وبمهدنا تنقطع الحجج، خاتمة الأئمة، ومنقذ الأئمة، وغاية النور، ومصدر الأمور، فنحن أفضل المخلوقين، وأشرف الموحدين، وحجج رب العالمين، فليهنأ بالنعمة من تمسك بولايتنا، وقبض على عروتنا. انتهى. وروى شبيهاً به ابن الجوزي في تذكرة الخواص ص 128-130

علل الشرائع: 1/5:

حدثنا الحسن بن محمد سعيد الهاشمي قال: حدثنا فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي قال: حدثنا محمد بن أحمد بن علي الهمداني، قال حدثني أبو الفضل العباس بن عبد الله البخاري، قال حدثنا محمد بن القاسم بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن محمد بن أبي بكر، قال حدثنا عبد السلام بن صالح الهروي، عن علي بن موسى الرضا، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب غلبيهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما خلق الله خلقاً أفضل مني ولا أكرم عليه مني، قال علي عليه السلام فقلت يا رسول الله فأنتم أفضل أم جبرئيل؟ فقال: يا علي إن الله تبارك وتعالى فضل أنبياء المرسلين على ملائكته المقربين وفضلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدى لك يا علي وللأئمة من بعدك، وإن الملائكة لخدامنا وخدام محبيننا. يا علي الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا، يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الأرض، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة، وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسيحه وتهليله وتقديسه، لأن أول ما خلق الله عز وجل خلق أرواحنا فأنطقنا بتوحيده وتحميده، ثم خلق الملائكة فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمرنا، فسبحنا لتعلم الملائكة إنا خلق مخلوقون، وإنه منزه عن صفاتنا، فسبحت الملائكة بتسييحنا ونزهته عن صفاتنا، فلما شاهدوا عظم شأننا هللنا لتعلم الملائكة أن لا إله إلا الله وأنا عبيد ولسنا بألهة يجب أن نعبد معه أو دونه، فقالوا: لا إله إلا الله، فلما شاهدوا كبر محلنا كبرنا لتعلم الملائكة أن الله أكبر من أن ينال عظم المحل إلا- به، فلما شاهدوا ما جعله الله لنا من العز والقوة قلنا لا- حول ولا قوة إلا- بالله لتعلم الملائكة أن لا حول لنا ولا قوة إلا بالله، فلما شاهدوا ما أنعم الله به علينا وأوجبه لنا من فرض الطاعة قلنا الحمد لله لتعلم الملائكة ما يحق الله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمته، فقالت الملائكة الحمد لله.

فبنا اهتدى إلى معرفة توحيد الله وتسيحه وتهليله وتحميده وتمجيده، ثم أن الله تبارك وتعالى خلق آدم، فأودعنا صلبه وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً.

علل الشرائع: 1/117:

- حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل قال: حدثنا عبدالله بن جعفر الحميري عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن عبدالرحمان بن كثير، عن داود الرقي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لما أراد الله عز وجل أن يخلق الخلق خلقهم ونشرهم بين يديه، ثم قال لهم: من ربكم؟ فأول من نطق رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والأئمة صلوات عليهم أجمعين، فقالوا: أنت ربنا، فحملهم العلم والدين، ثم قال للملائكة: هؤلاء حملة ديني وعلمي وأمنائي في خلقي وهم المسؤولون، ثم قيل لبنى آدم أقرأوا الله بالربوبية ولهؤلاء النفر بالطاعة والولاية، فقالوا نعم ربنا أقرنا، فقال الله جل جلاله للملائكة: إشهدوا، فقالت الملائكة شهدنا... على أن لا يقولوا غداً إنا كنا عن هذا غافلين، أو يقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون، يا داود الأنبياء مؤكدة عليهم في الميثاق.

الإعتقادات للصدوق/٦٧:

... وأن محمداً صلى الله عليه وآله سيدهم وأفضلهم، وأنه جاء بالحق وصدق المرسلين، وأن الذين كذبوه لذائقوا العذاب الأليم. وأن الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون الفائزون. ويجب أن يعتقد أن الله عز وجل لم يخلق خلقاً أفضل من محمد صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، وأنهم أحب الخلق إلى الله وأكرمهم، وأولهم إقراراً به لما أخذ الله ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى. وأن الله بعث نبيه محمد صلى الله عليه وآله للأنبياء في الذر. وأن الله عز وجل أعطى ما أعطى كل نبي على قدر معرفته، ومعرفة نبينا محمد صلى الله عليه وآله، وسبقه إلى الإقرار به. ونعتقد: أن الله تبارك وتعالى خلق جميع الخلق له ولاهل بيته عليهم السلام، وأنه لولاهم ما خلق الله سبحانه السماء والأرض ولا الجنة ولا النار ولا آدم ولا حواء ولا الملائكة، ولا شيئاً مما خلق، صلوات الله عليهم أجمعين. انتهى.

وقد أوردنا في فصل الفطرة تحت عنوان: عوالم وجود الإنسان، عدداً من أحاديث خلق نور النبي وآله صلى الله عليه وعليهم قبل الخلق.

خط الفطرة لم ينقطع من ذرية إبراهيم

بحار الأنوار: ١١٧/١٥:

بيان: اتفقت الإمامية رضوان الله عليهم على أن والدى الرسول وكل أجداده إلى آدم عليه السلام كانوا مسلمين، بل كانوا من الصديقين: إما أنبياء مرسلين، أو أوصياء معصومين، ولعل بعضهم لم يظهر الإسلام لتقية أو لمصلحة دينية... ورووا عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: لم يزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات، حتى أخرجني في عالمكم هذا، لم يدنسني بدنس الجاهلية. ولو كان من آبائه عليه السلام كافر لم يصف جميعهم بالطهارة، مع قوله سبحانه: إنما المشركون نجس...

وهذا المسلك ذهب إليه طائفة، منهم الإمام فخر الدين الرازي، فقال في كتابه أسرار التنزيل ما نصه: قيل: إن آزر لم يكن والد إبراهيم بل كان عمه واحتجوا عليه بوجوه:

منها: أن آباء الأنبياء ما كانوا كفاراً، ويدل عليه وجوه: منها قوله تعالى: **الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ. وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ....**

الثانية: أن الأحاديث والآثار دلت على أنه لم تخل الأرض من عهد نوح عليه السلام إلى بعثه النبي صلى الله عليه وآله إلى أن تقوم الساعة من ناس على الفطرة يعبدون الله ويوحدهونه ويصلون له، وبهم تحفظ الأرض، ولولاهم لهلكت الأرض ومن عليها....

وأما المخالفون: فذهب أكثرهم إلى كفر والدى الرسول صلى الله عليه وآله وكثير من أجداده كعبد المطلب وهاشم وعبد مناف صلوات الله عليهم أجمعين، وإجماعنا وأخبارنا متظاهرة... وقال في هامشه:

وذهب بعضهم إلى إيمان والديه صلى الله عليه وآله وأجداده، واستدلوا عليه بالكتاب والسنة، منهم السيوطي، قال في كتاب مسالك

الحنفاء: المسلك الثاني أنهما أي عبد الله وآمنه لم يثبت عنهما شرك، بل كانا على الحنيفية دين جدتهما إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام....

ثم قال (السيوطي): وعندي في نصره هذا المسلك وما ذهب إليه الإمام فخر الدين أمور: أحدها دليل استنبطه مركب من مقدمتين. الأولى: أن الأحاديث الصحيحة دلت على أن كل أصل من أصول النبي صلى الله عليه وآله من آدم عليه السلام إلى أبيه عبدالله، فهو خير أهل قرنه وأفضلهم، ولا أحد في قرنه ذلك خير منه ولا أفضل.

الثانية: إن الأحاديث والآثار دلت على أنه لم تخل الأرض من عهد نوح عليه السلام أو آدم عليه السلام إلى بعثه النبي صلى الله عليه وآله إلى أن تقوم الساعة من ناس على الفطرة يعبدون الله ويوحّدونه ويصلون له، وبهم تحفظ الأرض ولولا هم لهلكت الأرض ومن عليها، وإذا قرنت بين هاتين المقدمتين أنتج منهما قطعاً أن آباء النبي صلى الله عليه وآله لم يكن فيهم مشرك، لأنه ثبت في كل منهم أنه خير قرنه... (ثم ذكر عن السيوطي آيات وأحاديث لإثبات ذلك منها): ما ورد في تفسير قوله تعالى: وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ، تدل على أن التوحيد كان باقياً في ذرية إبراهيم عليه السلام ولم يزل ناس من ذريته على الفطرة يعبدون الله تعالى حتى تقوم الساعة.... فحصل مما أوردناه أن آباء النبي صلى الله عليه وآله من عهد إبراهيم إلى كعب بن لؤي كانوا كلهم على دين إبراهيم عليه السلام.... الدر المنثور: ٣/٣٤١:

وأخرج أبو الشيخ عن زيد بن علي (رض) قال: قالت سارة رضي الله عنها لما بشرتها الملائكة غلبهم السلام: يا ويلتا أألد وأنا عجزوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب، فقالت الملائكة ترد على سارة: أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد، قال فهو كقوله: وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ، بمحمد (ص) من عقب إبراهيم. الدر المنثور: ٤/٨٧:

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج (رض) في قوله: رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي، قال فلن يزال من ذرية إبراهيم عليه السلام ناس على الفطرة يعبدون الله تعالى حتى تقوم الساعة. الدر المنثور: ٦/١٦:

وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة: وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ، قال: في الإسلام أوصى بها ولده. وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد: وجعلها كلمة باقية في عقبه... الآية، قال: الإخلاص والتوحيد لا يزال في ذريته من يقولها من بعده.

وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس: وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ... الآية، قال: لا إله إلا الله، في عقبه: قال عقب إبراهيم ولده.

عمار علم الثابتين على الفطرة بعد النبي

بحار الأنوار: ٢٢/٣٢٠:

لى: بهذا الاسناد عن إبراهيم بن الحكم، عن عبيدالله بن موسى، عن سعد بن أوس، عن بلال بن يحيى العبسي قال: لما قتل عمار (كذا والصحيح عثمان) أتوا حذيفة فقالوا: يا عبدالله قتل هذا الرجل وقد اختلف الناس، فما تقول؟ قال إذا أتيتم فأجلسوني، قال: فأسندوه إلى صدر رجل منهم فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أبو اليقظان على الفطرة ثلاث مرات، لن يدعها حتى يموت. انتهى. ورواه في بحار الأنوار: ٣٣/٩.

شرح الأخبار: ١/٤١٢:

أبو أحمد ياسناده عن حذيفة بن اليمان، أنه لما احتضر قيل له أوصنا، فقال: أما إذا قلت ذلك فأسندوني، فأسندوه، فقال: سمعت رسول الله صلوات الله عليه وآله يقول: أبو اليقظان على الفطرة لا يدعها ثلاث مرات، لا يدعها حتى يموت.

روضه الواعظين للنيسابوري/٢٨٦:

... وقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أبو اليقظان على الفطرة ثلاث مرات لن يدعها حتى يموت، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما خير عمار بين أمرين إلا اختار أشدهما.

مستدرک الحاكم: ٣/٣٩٣:

... عن عائشة أنها قالت: أنظروا عمار بن ياسر فإنه يموت على الفطرة، إلا أن تدركه هفوة من كبر. صحيح الإسناد.

... عن قيس بن أبي حازم قال قال عبدالله: ما أعلم أحداً خرج في الفتنة يريد به وجه الله تعالى والدار الآخرة إلا عمار بن ياسر. صحيح الإسناد.

مجمع الزوائد: ٩/٢٩٥:

وعن بلال بن يحيى قال: لما قتل عثمان (رض) أتى حذيفة فقيل له يا أبا عبدالله قتل هذا الرجل، وقد اختلف الناس، فما تقول؟ قال أسندوني فأسندوه إلى ظهر رجل، فقال: سمعت رسول الله (ص) يقول: أبو اليقظان على الفطرة لا يدعها حتى يموت أو يمسه الهرم. رواه البزار والطبراني في الأوسط باختصار، ورجالهما ثقات.

كنز العمال: ١١/٧٢٣:

أبو اليقظان على الفطرة، أبو اليقظان على الفطرة، لا يدعها حتى يموت أو يمسه الهرم. ن، وابن سعد، عد وضعفه، عن حذيفة.

كنز العمال: ١٣/٥٣٢ و ٥٣٧:

عن حذيفة قال: إن عماراً لا تصيبه الفتنة حتى يخرف، سمعت رسول الله (ص) يقول: أبو اليقظان على الفطرة لم يدعها حتى يموت، أو ينسبه الهرم. كر. انتهى.

ملاحظة: من واضحات تاريخنا الإسلامي أن عمار بن ياسر (رض) وقف بعد النبي صلى الله عليه وآله مع على عليه السلام في مواجهته ببيعة السقيفة، ثم في عهد أبي بكر وعمر، وأحداث خلافة عثمان، وكان عمار من قادة جيش على عليه السلام في حرب الجمل، وله فيها مواقف سجلها التاريخ، ومنها مواقف مع عائشة، ثم ختم الله له بالشهادة تحت راية على في صفين، وقتلته فته معاوية الباغية كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وآله.. ولذلك لا يشك الإنسان بأن جعل النبي عماراً علماً على خط الفطرة من بعده، يعنى جعله علماً عليه السلام علماً للأمة، وتأكيده بأن خط على من بعده هو خط الفطرة.

ومن الطبيعي أن تكون مواقف عمار إلى جانب على ثقيلاً على عائشة وعلى قريش، وأن لا يرووا في حقه مثل هذه الشهادة النبوية التي تدينهم، ولكنها كانت شهادة معروفة بين المسلمين، ومن هنا أدخل خصوم على عليه السلام في روايتها غمغمة واستثناءات وشروطاً لغرض إحباط مفعولها!

ويدل على بطلان هذه الإضافات أن الشهادة النبوية وردت في حق عمار مطلقاً بنصوص صحيحة عندنا وعند إخواننا وليس فيها تلك الاستثناءات. مضافاً إلى أن طبيعة مثل هذه الشهادة لا تقبل الاستثناء، لأنه يؤدي إلى نسبة التناقض إلى النبي صلى الله عليه وآله حيث يشهد لشخص بأنه على الفطرة حتى يموت، ويجعله علماً لأمة من بعده ويأمرهم بأن يكونوا في خطه، ثم يستثنى من ذلك ويشترط شرطاً مبهماً يبطل كلامه الأول، ويوقع الأمة في الشك والريب!!

وقد روى الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/٢٤٣ حديثاً يدل على مدى تأثير هذه الشهادة النبوية ومدى حسد قريش لعلى عليه السلام قال: وعن سيار أبي الحكم قال: قالت بنو عبس لحذيفة: إن أمير المؤمنين عثمان قد قتل فما تأمرنا؟ قال أمركم أن تلتزموا عماراً. قالوا إن عماراً لا يفارق علماً! قال إن الحسد هو أهلك الجسد، وإنما ينفركم من عمار قربه من على؟! فوالله لعلى أفضل من عمار أبعد ما بين التراب والسحاب، وإن عماراً لمن الاحباب. وهو يعلم أنهم إن لزموا عماراً كانوا مع على. رواه الطبراني ورجالها ثقات، إلا- أنى لم

أعرف الرجل المبهم. انتهى. ولا يبعد أن يكون إسم بنى عبس وضع فى هذه الرواية بدل قريش لأن حسده بنى هاشم الذين عناهم حذيفة والذين تحدث عنهم القرآن هم قبائل قريش، وليسوا بنى عبس أو تميم.

على إمام التائبين على الفطرة

نهج البلاغة: ١/١٠٥:

ومن كلام له عليه السلام لأصحابه: أما إنه سيظهر عليكم بعدى رجل رحب البلعوم مندحق البطن يأكل ما يجد ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه ولن تقتلوه، ألا وإنه سيأمركم بسبى والبراءة منى، فأما السب فسبونى فإنه لى زكاة ولكم نجاه، وأما البراءة فلا تتبرؤوا منى فإنى ولدت على الفطرة وسبقت إلى الإيمان والهجرة.

شرح الأخبار: ١/١٥٩:

عن الشعبي أنه كان يقول: سمعت رشيد الهجرى والحارث الأعور الهمداني وصعصعة بن صوحان العبدى وسالم بن دينار الأزدى، كلهم يذكرون أنهم سمعوا على بن أبى طالب عليه السلام على منبر الكوفة يقول فى خطبته: يا معشر أهل الكوفة، والله لتصبرن على قتال عدوكم أو ليسلطن الله عليكم أقواماً أنتم أولى بالحق منهم، فيعذبكم الله بهم ثم يعذبهم بما شاء من عنده، أو من قتله بالسيف تفرون إلى الموت على الفراش. فإنى أشهد إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن معالجة ملك الموت لأشد من ضربته ألف سيف، أخبرنى جبرئيل يا على إنه يصيبكم بعدى أثره وزلزال، فعليكم بالصبر الجميل.

وقال لى أيضاً: قضاء مقضى على لسان النبى الأسمى: إنه لا يبغضك يا على مؤمن ولا يجبك كافر، وقد خاب من حمل ظلماً وافترى. ثم جعل يقول لنفسه: يا على إنك ميت مقتول، بل مقتول إن شاء الله، فما ينتظر أشقاها أن يخضب هذه من هذا، ثم أمر يده اليمنى على لحيته، ثم وضعها على رأسه، ثم قال: أما لقد رأيت فى منامى أنه يهلك فى اثنان ولا ذنب لى: محب غال، ومبغض قال. ثم قال: إلا أنكم ستعرضون على البراءة منى فلا تتبرأوا منى، فإن صاحبكم والله على فطرة الله التى فطر الناس عليها. ثم نزل عن المنبر.

شرح الأخبار: ١/١٦٩:

... ثم قال: سيظهر عليكم بعدى رجل وإنه سيعرضكم على سبى والبراءة منى، فإن خفتموه فسبونى فإنما هى زكاة ونجاه، وإن سألكم البراءة منى فلا تبرؤوا منى فإنى على الفطرة.

مناقب أمير المؤمنين: ٢/٦٤:

ثم قال: يكون بعدى أئمة يأمرونكم بسبى والبراءة منى، أما السب فسبونى، ولا- تتبرؤوا منى فإنى ولدت على الفطرة وأموت على الفطرة إن شاء الله.

بحار الأنوار: ٣٦/٣٥٠:

عن سعيد بن المسيب قال: سمعت رجلاً يسأل ابن عباس عن على بن أبى طالب فقال له ابن عباس: إن على بن أبى طالب صلى القبليتين وبايع البيعتين، ولم يعبد صنماً ولا وثناً، ولم يضرب على رأسه بزلم ولا قدح، ولد على الفطرة ولم يشرك بالله طرفه عين. فقال الرجل: إنى لم أسألك عن هذا إنما أسألك عن حمله سيفه على عاتقه يختال به حتى أتى البصرة فقتل بها أربعين ألفاً، ثم سار إلى الشام فلقى حواجب العرب فضرب بعضهم ببعض حتى قتلهم، ثم أتى النهروان وهم مسلمون فقتلهم عن آخرهم!

فقال له ابن عباس: أعلئى أعلم عندك أم أنا؟ فقال: لو كان على أعلم عندى منك ما سألتك!

قال: فغضب ابن عباس حتى اشتد غضبه ثم قال: ثكلتك أمك علئى علمنى، وكان علمه من رسول الله صلى الله عليه وآله، ورسول الله علمه الله من فوق عرشه، فعلم النبى من علم الله، وعلم على من علم النبى، وعلمى من علم على، وعلم أصحاب محمد كلهم فى علم

على كالقطرة الواحدة فى سبعة أبحر!!

بحار الأنوار: ٤٣/٣١٦:

ما: بإسناد أخى دعبل عن الرضا عن آبائه عليهم السلام عن على بن أبى طالب عليه السلام أنه قال: إلا أنكم ستعرضون على سبى، فإن خفتكم على أنفسكم فسبونى، إلا وأنكم ستعرضون على البراءة منى فلا تفعلوا فإنى على الفطرة...
فإن قيل: كيف علل نهيهم لهم من البراءة منه بقوله: فإنى ولدت على الفطرة، فإن هذا التعليل لا يختص به لأن كل ولد يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه؟

والجواب: أنه علل نهيهم لهم عن البراءة منه بمجموع أمور وهو كونه ولد على الفطرة وسبق إلى الإيمان والهجرة، ولم يعلل بآحاد هذا المجموع. ومراده هنا بالولادة على الفطرة أنه لم يولد فى الجاهلية لأنه ولد لثلاثين عاماً مضت من عام الفيل، والنبى أرسل لاربعين مضت من عام الفيل، وقد جاء فى الأخبار الصحيحة أنه مكث قبل الرسالة سنين عشرًا يسمع الصوت ويرى الضوء ولا يخاطبه أحد، وكان ذلك إرهاباً لرسالته فحكم تلك السنين العشر حكم أيام رسالته صلى الله عليه وآله، فالمولود فيها إذا كان فى حجره وهو المتولى لتربيته مولود فى أيام كأيام النبوة، وليس بمولود فى جاهلية محضة، ففارقت حاله حال من يدعى له من الصحابة مماثلته فى الفضل.

وقد روى أن السنة التى ولد فيها هذه السنة التى بدى فيها رسول الله صلى الله عليه وآله، فأسمع الهتاف من الأحجار والأشجار وكشف عن بصره، فشهد أنواراً وأشخاصاً ولم يخاطب منها بشىء، وهذه السنة هى السنة التى ابتدأ فيها بالتبتل والإنقطاع والعزلة فى جبل حراء، فلم يزل به حتى كوشف بالرسالة وأنزل عليه الوحى، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يتيمن بتلك السنة وبولادة على عليه السلام فيها، ويسمىها سنة الخير وسنة البركة، وقال لأهله ليلة ولادته، وفيها شاهد ما شاهد من الكرامات والقدرة الإلهية ولم يكن من قبلها شاهد من ذلك شيئاً: لقد ولد لنا مولود يفتح الله علينا به أبواباً كثيرة من النعمة والرحمة. وكان كما قال صلوات الله عليه، فإنه كان ناصره والمحامى عنه وكاشف الغم عن وجهه، وبسيفه ثبت دين الإسلام ورست دعائمه وتمهدت قواعده.

وفى المسألة تفصيل آخر، وهو أن يعنى بقوله: فإنى ولدت على الفطرة التى لم تتغير ولم تحل، وذلك أن معنى قول النبى صلى الله عليه وآله: كل مولود يولد على الفطرة، أن كل مولود فإن الله تعالى قد هياه بالعقل الذى خلقه فيه وبصحة الحواس والمشاعر لأن يتعلم التوحيد والعدل، ولم يجعل فيه مانعاً يمنع من ذلك، ولكن التربية والعقيدة فى الوالدين والألف لاعتقادهما وحسن الظن فيها يصد عنه فطرته، وأمير المؤمنين عليه السلام دون غيره ولد على الفطرة التى لم تحل، ولم يصد عن مقتضاها مانع، لا من جانب الأبوين ولا من جهة غيرهما.

وغيره ولد على الفطرة ولكنه حال عن مقتضاها وزال عن موجبها.

ويمكن أن يفسر أنه أراد بالفطرة العصمة، وأنه منذ ولد لم يواقع قبيحاً، ولا كان كافراً طرفه عين، ولا مخطئاً ولا غاطاً فى شىء من الأشياء المتعلقة بالدين، وهذا تفسير الإمامية. انتهى.

أقول: التفسيران الأخيران اللذان ذكرهما المجلسى رحمه الله متحداً، لأن قصد أمير المؤمنين عليه السلام والله أعلم، إنى ولدت على فطرة الله الصافية ولم أذنسها بعبادة وثن ولا بارتكاب ذنب، وسبقت إلى الإيمان بالنبى صلى الله عليه وآله والوقوف معه والهجرة معه.. ولا شك أن فطرة الله تعالى التى خلق عليها وليه ووزير رسوله صلى الله عليه وآله من الفطرة العادية التى يولد عليها كل مولود، فالنبى وآله خيرة الله تعالى وفطرتهم خيرة الفطر، وقد ورد فى الدعاء: يا دائم الفضل على البرية، يا باسط اليدين بالعطية، يا صاحب المواهب السنية، صل على محمد وآله خير الورى سجية، واغفر لنا يا ذا العلى فى هذه العشيّة.

وتوجد هنا مسألتان فى هذا الحديث يناسب التعرض لهما، وإن كان محلها باب الإمامة.

المسألة الأولى: أن الفرق بين السب والبراءة من وجهين:

أولهما، أن البعد السياسى فى السب أقوى وأظهر منه فى البراءة، والبعد العقائدى فى البراءة أقوى وأظهر. فالخطر العقائدى على

المسلمين في البراءة أكثر، بينما سب السلطنة له عليه السلام وإجبارها المسلمين على ذلك لاتصل خطورته إلى خطورة البراءة، وإن كان فيه خطر كبير على أجيال المسلمين.

ولعل هذا هو مقصود الفقهاء الذين اعتبروا أن البراءة شهادة بالكفر بعكس السب واللعن، قال السيد الكلبايگانی رحمه الله في الدر النضيد: ٢/٢٥٣: ولعل الفرق بين السب والبراءة حيث أمر بالأول ونهى عن الثاني، أن السب صادر بالنسبة إلى المسلم أيضاً، بخلاف البراءة فإنها تكون عن المشركين والكافرين، كما قال الله تعالى: بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. وكان من كان يأمر بالبراءة عن الإمام عليه السلام يريد أن يجعل الإمام في عداد المشركين والخارجين عن الدين، ومن كان يتبرأ منه صلوات الله عليه يعده من الكفار، وبهذه المناسبة علل الإمام عليه السلام نهي عن البراءة بقوله: فَإِنِّي وَلَدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهَجْرَةِ وَعَلَى هَذَا فَلَوْ أَكْرَهَ عَلَى السَّبِّ فَسَبَّ فَلَاشَى عَلَيْهِ، بل وربما كان محموداً على فعله كما يشهد بذلك حكاية عمار ونزول الآية الكريمة: مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ. انتهى.

والفرق الثاني، أن الحق الشخصي في السب أقوى منه في البراءة، فالحق العام في السب وإن كان عظيماً بسبب أنه ظلم وعدوان على وصي النبي صلى الله عليه وآله الذي يمثل دين الله تعالى، ولكن فيه حقاً شخصياً أيضاً لأنه ظلم وعدوان على شخص على عليه السلام وباعتبار هذا الحق الشخصي كان له عليه السلام أن يجعل المؤمنين في حل عند الضرورة بخلاف البراءة منه. فكأنه عليه السلام قال: بما أن السب مركب من حقين، فأنتم في حل من حقي، ويبقى حق الله تعالى فهو حكم شرعي بينكم وبينه، وهو تعالى يجيزه عند الضرورة. أما البراءة فحقها الالهي غالب، لأن البراءة مني براءة من الفطرة النقية التي أنا عليها، وبراءة من إيماني بالله ورسوله وجهادي وهجرتي فلا أستطيع أن أجعلكم في حل منها، بل يجري عليها الحكم الشرعي.

والمسألة الثانية: أن فقهاءنا رضوان الله عليهم أفتوا بجواز البراءة عند الضرورة المهمة كالخوف من القتل، ولم يفت أحد منهم بوجوب تحمل القتل للتخلص من البراءة، إلا ما يظهر من المفيد كما سيأتي، وذلك لأنه لم يثبت عندهم النص الذي تضمن النهي عن البراءة، بل رووا تكذيب حديث علي عليه السلام، فقد روى الحميري في قرب الإسناد/١٢:

- عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمد، قال قيل له: إن الناس يروون أن علياً عليه السلام قال على منبر الكوفة: أيها الناس إنكم ستدعون إلى سبي فسبوني، ثم استدعون إلى البراءة مني، وإني لعلي دين محمد. ولم يقل وتبرؤوا مني، فقال له السائل: رأيت إن اختار القتل دون البراءة منه؟

فقال: والله ما ذلك عليه، وما له إلا ما مضى عليه عمار بن ياسر حيث أكرهه أهل مكة وقلبه مطمئن بالإيمان، فأنزل الله تبارك وتعالى فيه: إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله عندها: يا عمار إن عادوا فعد، فقد أنزل الله عز وجل عذرك في الكتاب وأمرك أن تعود إن عادوا. انتهى. وقد أفتى بهذا الحديث ابن إدريس في السرائر: ٣/٦٢٤ وأكثر فقهائنا.

لكن اختلفوا في أن أيهما أرجح، ولعل الذين ثبت عندهم النهي عن البراءة حملوه على كراهة البراءة وترجيح تحمل القتل عليها، ويشهد له ما رواه في وسائل الشيعة: ١١/٤٧٥ عن الكشي في رجاله عن جبرئيل بن أحمد، عن محمد بن عبد الله بن مهران، عن محمد بن علي الصيرفي، عن علي بن محمد عن يوسف بن عمران الميثمي قال: سمعت ميثم النهرواني يقول: دعاني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقال: كيف أنت يا ميثم إذا دعاك دعى بنى أمية عبيد الله بن زياد إلى البراءة مني؟

فقلت: يا أمير المؤمنين أنا والله لا أبرأ منك؟

قال: إذاً والله يقتلك ويصلبك.

قلت: أصبر فذاك في الله قليل!

فقال: يا ميثم إذا تكون معي في درجتي.. الحديث. انتهى. وقال في الوسائل: رواه الراوندي في الخرائج والجرائح عن عمران عن أبيه ميثم.

وفى المقابل توجد روايات يفهم منها ترجيح التقيّة والبراءة، ففي الوسائل: ١١ ص ٤٧٥: ... عن عبد الله بن عطاء قال: قلت لابي جعفر عليه السلام: رجلا من أهل الكوفة أخذوا فليلهما إبراهيم من أمير المؤمنين عليه السلام فبرئ واحد منهما وأبى الآخر، فحلى سبيل الذى برئ وقتل الآخر، فقال: أما الذى برئ فرجل فقيه فى دينه، وأما الذى لم يبرأ فرجل تعجل إلى الجنة.

ولعل تعارض روايات الترجيح جعل السيد الخوئى رحمه الله يفتى بتخيير المكلف وعدم ترجيح أى من التقيّة أو الشهادة، قال فى مستند العروة (التنقيح): ٤/٢٦٤: وقد يقال إن ترك التقيّة أرجح من التقيّة بإظهار التبرى منه عليه السلام، وعليه فيكون المقام من موارد التقيّة المكروهة والمرجوحه، وإذا قلنا بعكس ذلك وإن التقيّة بإظهار التبرى أرجح من تركها فيكون المقام مثلاً للتقيّة المستحبه لا محالة. والصحيح أن الأمرين متساويان ولا دلالة لشيء من الروايات على أرجحية أحدهما عن الآخر، أما رواية عبد الله بن عطاء فلأنها إنما دلت على أن من ترك التقيّة فقتل فقد تعجل إلى الجنة، ولا دلالة لذلك على أن ترك التقيّة باختيار القتل أرجح من فعلها، وذلك لأن العامل بالتقيّة أيضاً من أهل الجنة وإنما لم يتعجل بل تأجل، فلا يستفاد منه إلا تساويهما. انتهى.

لكن يبدو من المفيد رحمه الله أنه يفتى بحرمة البراءة ووجوب تحمل القتل، فقد عبر عن حديث نهج البلاغ بأنه مستفيض، وفيه نهى مشدد عن البراءة، قال فى الإرشاد: ١/٣٢٢:

ومن ذلك ما استفاض عنه عليه السلام من قوله: إنكم ستعرضون من بعدى على سبى فسونى، فإن عرض عليكم البراءة منى فلا تبرؤوا منى فإنى ولدت على الإسلام، فمن عرض عليه البراءة منى فليمدد عنقه، فمن تبرأ منى فلا دنيا له ولا آخرة، وكان الأمر ذلك كما قال عليه السلام. انتهى.

وقد رد الشيخ الأنصارى على القول بوجوب تحمل القتل، فقال فى المكاسب/ ٣٢٥: بل عن المفيد فى الإرشاد أنه قد استفاض عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ستعرضون من بعدى على سبى فسونى، ومن عرض عليه البراءة فليمدد عنقه، فإن برأ منى فلا دنيا له ولا آخرة. وظاهرها حرمة التقيّة فيها كالدعاء، ويمكن حملها على أن المراد الإستمالة والترغيب إلى الرجوع حقيقته عن التشيع إلى النصب، مضافاً إلى أن المروى فى بعض الروايات أن النهى من التبرى مكذوب على أمير المؤمنين عليه السلام وأنه لم ينه عنه. انتهى. وذكر السيد الكلبيگانى: أنه قد يجب العمل بالتقيّة أحياناً فلا بد من ملاحظة المصالح والمفاسد، قال رحمه الله فى الدر النضيد: ٤/٢٥٣:

قلت: بل وربما يستفاد منه (حديث مسعدة) ومن غيره أن الأفضل له ذلك وإن كان لو لم يجبهم إلى ذلك ولم يسب وقتل لذلك لم يكن آثماً ومؤخداً عليه، بل هو مأجور وقد تعجل إلى جنات النعيم وإلى جوار الله رب العالمين، على حسب ما ورد فى بعض الروايات، إلا أن التقيّة أفضل. ومع ذلك كله لا بد من ملاحظة المصالح والمفاسد والعمل على وفقها، وربما يترتب على ترك التقيّة وعلى قتله مثلاً مفاسد عظيمة، فهنا لا بد له من التقيّة. انتهى.

ولا يبعد أن يكون أصل الحكم فى المسألة جواز الأمرين للمكلف، وأنه قد يطرأ عنوان من المصلحة أو المفسدة الملزمة فيوجب اختيار التقيّة أو اختيار تحمل الشهادة. ويكون تشخيص ذلك راجعاً إلى المكلف نفسه، أو إلى أهل الخبرة.

ولاية على علامة على صحة الفطرة و طيب المولد

شرح الأخبار: ٣/٤٤٩:

-... عمران بن ميثم قال: دخلت على حبابة الوالبيّة فسمعتها تقول: والله ما أحد على الفطرة إلا نحن وشيعتنا، والناس براء. وهذا صحيح لأن من لم يكن من شيعة محمد وآل محمد فهو من عدوهم، وقال الله تعالى: هَذَا مِنْ شَيْعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ، ومن كان عدواً لمحمد وآله لم يكن على فطرة الإسلام. انتهى. وروى نحوه فى: ٣/٥٧٣.

وسائل الشيعة: ٢٠/١٦٠:

أقول: وفي الكشي، عن محمد بن مسعود بإسناده عن عمران بن ميثم قال: دخلت أنا وعباية الأسدي على امرأة من بنى أسد يقال لها حبابة الوالبيّة، فقال لها عباية: تدرين من هذا الشاب الذي هو معي؟ قالت: لا، قال: مه ابن أخيك ميثم. قالت: إي والله إي والله، ثم قالت: ألا أحدثكم بحديث سمعته من أبي عبد الله الحسين بن علي غليهم السلام؟ قلنا بلى، قالت: سمعت الحسين بن علي عليه السلام يقول: نحن وشيعتنا على الفطرة التي بعث الله عليها محمداً صلى الله عليه وآله وسائر الناس منها براء.

مناقب أمير المؤمنين: 1/226:

... سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يا علي أنت وشيعتك على الفطرة، وسائر الناس منهم براء.

بحار الأنوار: 67/23:

... يخرجونهم من النور إلى الظلمات، قيل من نور الفطرة إلى فساد الاستعداد، وفي الكافي عن الصادق عليه السلام: النور آل محمد، والظلمات عدوهم.

تهذيب الأحكام: 4/145:

... عن الحرث بن المغيرة النصرى قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فجلست عنده، فإذا نجية قد استأذن عليه فأذن له، فدخل فجثى على ركبتيه ثم قال: جعلت فداك إني أريد أن أسألك عن مسألة والله ما أريد بها إلا فكاك رقبتي من النار، فكأنه رق له فاستوى جالساً فقال له... وقال: يا نجية ما على فطرة إبراهيم غليهم السلام غيرنا وغير شيعتنا. انتهى. وروى نحوه في الاختصاص / 107

عن الإمام زين العابدين عليه السلام.

بحار الأنوار: 3/276:

فس: الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن محمد بن جمهور، عن جعفر بن بشير، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا، قال: الولاية.

كنز: محمد بن العباس، عن أحمد بن الحسين بن سعيد، عن جعفر بن بشير، عن علي بن حمزة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، قال: هي الولاية. انتهى. ورواه أيضاً في: 23/365.

تفسير القمي: 2/154 و 155:

حدثنا الهيثم بن عبد الله الرماني، قال حدثنا علي بن موسى الرضا عليه السلام، عن أبيه، عن جده محمد بن علي بن الحسين غليهم السلام في قوله: فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، قال: هو لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي أمير المؤمنين ولي الله، إلى هاهنا التوحيد.

التوحيد للصدوق: 328:

حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن علي بن حسان الواسطي، عن الحسن بن يونس، عن عبد الرحمن بن كثير مولى جعفر، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، قال: التوحيد، ومحمد رسول الله، وعلي أمير المؤمنين. انتهى. ورواه فوات الكوفي في تفسيره/ 322، والمجلسي في بحار الأنوار: 3/276

وج 26/277 والحويزي في نور الثقلين: 4/182.

وفي بصائر الدرجات/ 78:

أحمد بن موسى، عن الحسين بن موسى الخشاب، عن علي بن حسان، عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، قال: فقال: علي التوحيد، ومحمد رسول الله، وعلي أمير المؤمنين.

وفي بحار الأنوار: 3/276:

شي: عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً، قال: الصبغة معرفة أمير

المؤمنين عليه السلام بالولاية في الميثاق.

وفي المحاسن: ١/١٣٨:

عن أبي عبدالله المدائني قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إذا برد على قلب أحدكم حبنا فليحمد الله على أولى النعم، قلت: على فطرة الإسلام؟ قال: لا، ولكن على طيب المولد، إنه لا يحبنا إلا من طابت ولادته، ولا يبغضنا إلا الملقق الذي تأتي به أمه من رجل آخر فتلقه زوجها، فيطلع على عوراتهم ويرثهم أموالهم فلا- يحبنا ذلك أبداً، ولا- يبغضنا إلا- من كان صفوة، من أي الجبل كان. انتهى، والجبل هي الجبال، جمع جبل. انتهى. ورواه في بحار الأنوار: ٢٧/١٥٢.

مناقب آل أبي طالب: ٣/١١:

وقال آخر:

أحب النبي وآل النبي لاني ولدت على الفطرة

إذا شك في ولد والد فأيته البغض للعترة

ثواب الأعمال/ ١٧٤:

أبي رحمه الله قال حدثني سعد بن عبدالله، قال حدثني الحسن بن موسى الخشاب، عن عقيل بن المتوكل المكي، يرفعه عن جعفر بن محمد، عن أبيه عن جده عليهم السلام، قال: من صاغ خاتماً عقيقاً فنقش فيه (محمد نبي الله وعلى ولي الله) وقاه الله ميتة السوء ولم يمت إلا على الفطرة. ورواه في وسائل الشيعة: ٣/٤٠٣.

وجوب المعرفة والنظر

وجوب معرفة الله تعالى و منشؤها

وجوب معرفة الله تعالى و أنها أساس الدين

نهج البلاغة: ١/١٤:

أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفى الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة...

الهداية للصدوق/ ١:

يجب أن يعتقد أن الله تعالى واحد ليس كمثلته شيء لا يحد ولا يحس ولا يجس، ولا يدرك بالأوهام والأبصار، ولا تأخذه سنة ولا نوم، شاهد كل نجوى، ومحيط بكل شيء، لا يوصف بجسم ولا صورة ولا جوهر ولا عرض ولا سكون ولا حركة ولا صعود ولا هبوط ولا قيام ولا قعود ولا ثقل ولا خفة ولا جيئة ولا ذهاب ولا مكان ولا زمان ولا طول ولا عرض ولا عمق ولا فوق ولا أسفل ولا يمين ولا شمال ولا وراء ولا أمام، وأنه لم يزل ولا يزال سميعاً بصيراً حكيماً عليماً حياً قيوماً قدوساً عزيزاً أحداً فرداً صمداً لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأنه شيء ليس كمثلته شيء وخارج من الحدين حد الأبطال وحد التشبيه، خالق كل شيء، لا إله إلا هو، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير.

وقال عليه السلام: من زعم أن الله تعالى من شيء أو في شيء أو على شيء فقد أشرك، ثم قال عليه السلام: من زعم أن الله تعالى من شيء فقد جعله محدثاً، ومن زعم أنه في شيء فقد زعم أنه محصور ومن زعم أنه على شيء فقد جعله محمولاً.

وقال في هامشه:

قال الصدوق في رسالته الاعتقادات بعد أن ذكر نحواً مما ذكر ما نصه: من قال بالتشبيه فهو مشرك، ومن نسب إلى الإمامية غير ما

لكي أعرف....

فانظر إلى جعلهم غاية العمل هي المعرفة والشهود، ولذا فسر المفسرون ليعبدون بقولهم ليعرفون.

شرح الأسماء الحسنی: ١/١٨٩

... ولا يجوز للمؤمن إنكار ذلك الشهود لأن انكاره إنكار الكتب السماوية والسنن النبوية والآثار الولوية، بل هو غاية إرسال المرسلين وإرشاد الأئمة الهادين وسير السائرين وسلوك السالكين، ولولاه لم يكن سماء ولا أرض ولا بسيط ولا مركب، كما قال تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ أَي ليعرفون. وفي الحديث القدسي فخلقت الخلق لأعرف....

الرواشح السماوية/٢١

... لأن المعرفة غاية وجودهم وغرض خلقهم كما في قوله تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، أي ليعرفون، ومعرفتهم بالله وباليوم الآخر لا- تحصل إلا- من طريق النبوة والرسالة لأن عقولهم غير كافية فيها، سيما ما يتعلق منها بأحوال المعاد وحشر العباد فيحتاجون إلى معلم بشري...

فضل معرفة الله تعالى

الكافي: ٨/٢٤٧: (محمد بن سالم بن أبي سلمة، عن أحمد بن الريان، عن أبيه، عن جميل بن دراج، عن عبد الله عليه السلام قال: لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله عز وجل ما مدوا أعينهم إلى ما متع الله به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا ونعيمها، وكانت دنياهم أقل عندهم مما يطوونه بأرجلهم، ولنعموا بمعرفة الله عز وجل وتلذذوا بها تلذذ من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله.

إن معرفة الله عز وجل أنس من كل وحشة، وصاحب من كل وحدة، ونور من كل ظلمة، وقوة من كل ضعف، وشفاء من كل سقم. ثم قال عليه السلام: وقد كان قبلكم قوم يقتلون ويحرقون وينشرون بالمناشير وتضيق عليهم الأرض برحبها، فما يردهم عما هم عليه شئ مما هم فيه، من غير ترة وتروا من فعل ذلك بهم ولا- أذى، بل ما نعموا منهم إلا- أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد، فاسألوا ربكم درجاتهم واصبروا على نوائب دهركم تدركو سعيهم.

مستدرک الوسائل: ١١/٢٣٦ (وقال عليه السلام: أكثر الناس معرفة أخوفهم لربه.

الحث على مجالسة أهل المعرفة

مستدرک الوسائل: ٨/٣٢٨

الكشي في الرجال: روى علي بن جعفر عن أبيه، عن جده، عن علي بن الحسين عليهم السلام أنه كان يقول لبيته: جالسوا أهل الدين والمعرفة، فإن لم تقدر عليهم فالوحدة أنس وأسلم، فإن أبيتم مجالسة الناس، فجالسوا أهل المرات، فإنهم لا يرفثون في مجالسهم. انتهى. ورواه في مسائل علي بن جعفر/٣٣٨

فضل من مات على المعرفة

نهج البلاغة: ٢/١٣٣

... ولا- تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم. فإنه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حق ربه وحق رسوله وأهل بيته، مات شهيداً ووقع أجره على الله، واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله. وقامت النية مقام إصلاته لسيفه. وإن لكل شئ مدة وأجلاً.

نعمة معرفة حمد الله و شكره

الصحيفة السجادية: ١/٢٢

والحمد لله الذى لو حبس عن عباده معرفة حمده على ما أبلاهم من مننه المتتابعة، وأسبغ عليهم من نعمه المتظاهرة، لتصرفوا فى مننه فلم يحمدوه، وتوسعوا فى رزقه فلم يشكروه، ولو كانوا كذلك لخرجوا من حدود الإنسانية إلى حد البهيمه، فكانوا كما وصف فى محكم كتابه: إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً. والحمد لله على ما عرفنا من نفسه.

الكافي: ٨/٣٩٤

على بن محمد، عن بعض أصحابه رفعه قال: كان على بن الحسين عليه السلام إذا قرأ هذه الآية: وَإِنْ تَعِدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُخْصَوْهَا، يقول: سبحان من لم يجعل فى أحد من معرفه نعمه إلا المعرفة بالتقصير عن معرفتها، كما لم يجعل فى أحد من معرفة إدراكه أكثر من العلم أنه لا يدركه، فشكر عز وجل معرفة العارفين بالتقصير عن معرفة شكره، فجعل معرفتهم بالتقصير شكراً، كما جعل علم العالمين أنهم لا يدركونه إيماناً. علماً منه أنه قدر وسع العباد فلا يجاوزون ذلك.

نعمة معرفة كرم الله وآلته

الصحيفة السجادية: ٢/٤٠٧

وإن أنامتى الغفلة عن الاستعداد للقائك، فقد نبهتنى المعرفة بكرمك وآلائك، وإن أوحش ما بينى وبينك فرط العصيان والطغيان، فقد آنسنى بشرى الغفران والرضوان.

الصحيفة السجادية: ٢/٢٢٥

فو عزتك لو انتهرتنى ما برحت عن بابك، ولا- كفتت عن تملكك، لما ألهم قلبى من المعرفة بكرمك، وسعة رحمتك، إلى من يذهب العبد إلا إلى مولاه، وإلى من يلتجى المخلوق إلا إلى خالقه.

معرفة الله لا تكون إلا بالله و من الله

مصباح المتهجد/ ٥٨٢

روى أبو حمزة الثمالى قال: كان على بن الحسين سيد العابدين صلوات الله عليهما يصلى عامة الليل فى شهر رمضان، فإذا كان السحر دعا بهذا الدعاء: إلهى لا تؤدبني بعقوبتك ولا تمكر بي فى حيلتك، من أين لى الخير يا رب ولا يوجد إلا من عندك، ومن أين لى النجاة ولا- تستطيع إلا- بك، لا- الذى أحسن استغنى عن عونك ورحمتك، ولا الذى أساء واجترأ عليك ولم يرضك خرج عن قدرتك، يا رب يا رب يا رب، بك عرفتك وأنت دللتنى عليك ودعوتنى إليك، ولولا أنت لم أدر ما أنت... إلخ.

الكافي: ١/٨٥١

على بن محمد، عن ذكره، عن أحمد بن عيسى، عن محمد حرمان، عن الفضل بن السكن، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إعرفوا الله بالله، والرسول بالرسالة، وأولى الأمر بالمعروف والعدل والاحسان. ومعنى قوله عليه السلام: إعرفوا الله بالله، يعنى أن الله خلق الأشخاص والأنوار والجواهر والأعيان، فالأعيان الأبدان، والجواهر الأرواح، وهو عز وجل لا- يشبه جسمًا ولا- روحاً، وليس لأحد فى خلق الروح الحساس الدراك أمر ولا- سبب، هو المتفرد بخلق الأرواح والأجسام فإذا نفى عنه الشبهين: شبه الأبدان وشبه الأرواح فقد عرف الله بالله، وإذا شبهه بالروح أو البدن أو النور، فلم يعرف الله بالله.

لا يفوز الإنسان بالمعرفة إلا بإذن الله تعالى

أمالى المرتضى: ١/٣٠

إن قال قائل: ما تأويل قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ) يونس: 10. ... فأما ظن السائل دخول الإرادة في محتمل اللفظ فباطل، لأن الأذن لا يحتمل الإرادة في اللغة، ولو احتملها أيضاً لم يجب ما توهمه لأنه إذا قال إن الإيمان لا يقع إلا وأنا مرید له لم ينف أن يكون مریداً لما لم يقع، وليس في صريح الكلام ولا دلالة شيء من ذلك. وأما قوله تعالى: وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ، فلم يعن بذلك الناقصى العقول، وإنما أراد الذين لم يعقلوا ولم يعلموا ما وجب عليهم علمه من معرفة الله خالقهم، والإعتراف بنبوة رسله والإنقياد إلى طاعتهم. ووصفهم تعالى بأنهم لا يعقلون تشبيهاً، كما قال تعالى صُمْ بُكُمْ عُمَى، وكما يصف أحدنا من لم يفتن لبعض الأمور أو لم يعلم ما هو مأمور بعمله بالجنون وفقد العقل.

الهداية والإضلال من الله تعالى لكن الإضلال باستحقاق العبد

الكافي: 1/163

محمد بن يحيى وغيره، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن أبي عمير، عن محمد بن حكيم قال: قلت لابي عبدالله عليه السلام: المعرفة من صنع من هي؟ قال: من صنع الله، ليس للعباد فيها صنع.

محمد بن أبي عبدالله، عن سهل بن زياد، عن علي بن إسباط، عن الحسين بن زيد، عن درست بن أبي منصور، عن حدثه، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سته أشياء ليس للعباد فيها صنع: المعرفة والجهل والرضا والغضب والنوم واليقظة.

الكافي: 1/165

باب الهداية أنها من الله عز وجل: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن إسماعيل، عن إسماعيل السراج، عن ابن مسكان، عن ثابت بن سعيد قال: قال أبو عبدالله: يا ثابت ما لكم وللناس، كفوا عن الناس ولا تدعوا أحداً إلى أمركم، فوالله لو أن أهل السماوات وأهل الأرضين اجتمعوا على أن يهدوا عبداً يريد الله ضلّته ما استطاعوا أن يهدوه، ولو أن أهل السماوات وأهل الأرضين اجتمعوا على أن يضلوا عبداً يريد الله هدايته ما استطاعوا أن يضلوه، كفوا عن الناس ولا يقول أحد: عمى وأخى وابن عمى وجارى، فإن الله إذا أراد بعبد خيراً طيب روحه فلا يسمع معروفاً إلا عرفه ولا منكراً إلا أنكره، ثم يقذف الله في قلبه كلمة يجمع بها أمره.

علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن محمد بن حمران، عن سليمان بن خالد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال: إن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيراً نكت في قلبه نكتة من نور وفتح مسامع قلبه ووكل به ملكاً يسدده، وإذا أراد بعبد سوءاً نكت في قلبه نكتة سوداء وسد مسامع قلبه ووكل به شيطاناً يضلّه، ثم تلا هذه الآية: فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ.

دعائم الإسلام: 1/13

وروينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه أنه سئل ما الإيمان وما الإسلام؟ فقال: الإسلام الإقرار والإيمان الإقرار والمعرفة فمن عرفه الله نفسه ونبيه وإمامه ثم أقر بذلك فهو مؤمن.

قيل له: فالمعرفة من الله والإقرار من العبد؟

قال: المعرفة من الله حجة ومنه ونعمة والإقرار من يمن الله به على من يشاء، والمعرفة صنع الله في القلب، والإقرار فعل القلب بمن من الله وعصمه ورحمه، فمن لم يجعله الله عارفاً فلا- حجة عليه، وعليه أن يقف ويكف عما لا يعلم، ولا يعذبه الله على جهله ويشبهه على عمله بالطاعة ويعذبه على عمله بالمعصية، ولا- يكون شيء من ذلك إلا- بقضاء الله وقدره وبعلمه وبكتابه بغير جبر، لأنهم لو كانوا مجبورين لكانوا معذورين وغير محمودين، ومن جهل فعليه أن يرد إلينا ما أشكل عليه، قال الله عز وجل: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ. انتهى.

وقد عقد البخارى باباً فى: ١/١٠ تحت عنوان (باب قول النبى (ص) أنا أعلمكم بالله وإن المعرفة فعل القلب لقول الله تعالى ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) ولكنه لم يرو حديثاً على أن المعرفة فعل القلب، ومثل هذه الظاهرة متكررة فى البخارى، حيث تجد عنواناً ولا معنون له.

دعاء طلب المعرفة من الله تعالى

مصباح المتهدج/٤١١

وما روى عن أبى عمرو بن سعيد العمري (رض) قال: أخبرنا جماعة، عن محمد هرون بن موسى التلعكبرى أن أباً على محمد بن همام أخبره بهذا الدعاء، وذكر أن الشيخ أباً عمرو العمري قدس الله روحه أملاه عليه وأمره أن يدعو به، وهو الدعاء فى غيبة القائم من آل محمد عليه وعليهم السلام:

اللهم عرفنى نفسك، فإنك إن لم تعرفنى نفسك لم أعرف رسولك.

اللهم عرفنى رسولك، فإنك إن لم تعرفنى رسولك لم أعرف حجتك.

اللهم عرفنى حجتك، فإنك إن لم تعرفنى حجتك ضللت عن دينى.

الكافى: ١/٣٣٧

على بن إبراهيم، عن الحسن بن موسى الخشاب، عن عبدالله بن موسى عن عبدالله بن بكير، عن زرارة قال: سمعت أباً عبدالله عليه السلام يقول: إن للغلام غيبة قبل أن يقوم، قال: قلت ولم؟ قال: يخاف - وأوماً بيده إلى بطنه - ثم قال: يا زرارة وهو المنتظر، وهو الذى يشك فى ولادته، منهم من يقول مات أبوه بلا-خلف، ومنهم من يقول حمل، ومنهم من يقول إنه ولد قبل موت أبيه بسنتين، وهو المنتظر غير أن الله عز وجل يحب أن يمتحن الشيعة، فعند ذلك يرتاب المبطلون يا زرارة.

قال قلت: جعلت فداك إن أدركت ذلك الزمان أى شئ أعمل؟ قال: يا زرارة إذا أدركت هذا الزمان فادع بهذا الدعاء:

اللهم عرفنى نفسك، فإنك إن لم تعرفنى نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرفنى رسولك، فإنك إن لم تعرفنى رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرفنى حجتك، فإنك إن لم تعرفنى حجتك ضللت عن دينى.

ثم قال: يا زرارة لا بد من قتل غلام بالمدينة، قلت: جعلت فداك أليس يقتله جيش السفيناني؟ قال: لا ولكن يقتله جيش آل بنى فلان، يجرى حتى يدخل المدينة فيأخذ الغلام فيقتله، فإذا قتله بغياً وعدواناً وظلماً لا يمهلون، فعند ذلك توقع الفرج إن شاء الله.

وسائل معرفة الله

أداة معرفة الله تعالى: العقل

الكافى: ١/٤٨

عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن نوح بن شعيب النيسابورى، عن عبيد الله بن عبدالله الدهقان، عن درست بن أبى منصور، عن عروة بن أخى شعيب العرقوفى عن شعيب، عن أبى بصير قال: سمعت أباً عبدالله عليه السلام يقول: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: يا طالب العلم إن العلم ذو فضائل كثيرة: فأرأسه التواضع، وعينه البراءة من الحسد، وأذنه الفهم، ولسانه الصدق، وحفظه الفحص، وقلبه حسن النية وعقله معرفة الأشياء والأمور، ويده الرحمة، ورجله زيارة العلماء.

الكافى: ١/١٣

أبو عبدالله الأشعري، عن بعض أصحابنا، رفعه عن هشام بن الحكم قال: قال لى أبو الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام): يا هشام إن

الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه فقال: فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَ أُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ.

يا هشام، إن الله تبارك وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول، ونصر النبيين بالبيان، ودلهم على ربوبيته بالأدلة فقال: «وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ».

يا هشام، قد جعل الله ذلك دليلاً على معرفته بأن لهم مديراً فقال: «وَسَيَخْرُجُ لَكُمْ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مَسِيخَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ». وقال: «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَى مِنْ قَبْلِ وَ لَتَبْلُغُوا أَجْلاً مُسَمًّى وَ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ». وقال: «وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ». وقال: «يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ».

وقال: «وَجَنَاتٍ مِنْ أَغْنَابٍ وَزُرْعٍ وَنَخِيلٍ صَبْوَانٍ وَغَيْرِ صَنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَّضُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ».

وقال: «وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبُرُوقَ حَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ». وقال: «قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَزَرُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ». وقال: «هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ».

يا هشام، ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلا ليعقلوا عن الله، فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفته، وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً، وأكملهم عقلاً أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة.

يا هشام، إن الله على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأما الباطنة فالعقول. يا هشام، إن العاقل الذي لا يشغل الحلال شكره، ولا يغلب الحرام صبره.

يا هشام، الصبر على الوحدة علامة قوة العقل، فمن عقل عن الله اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها، ورجب فيما عند الله، وكان الله أنسه في الوحشة، وصاحبه في الوحدة، وغناه في العيلة، ومعه من غير عشيرة.

يا هشام، إن الله حكى عن قوم صالحين أنهم قالوا: رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ، حين علموا أن القلوب تزيج وتعود إلى عماها ورداها. إنه لم يخف الله من لم يعقل عن الله، ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه، ولا يكون أحد كذلك إلا من كان قوله لفعله مصدقاً، وسره لعلانيته موافقاً، لأن الله تبارك اسمه لم يدل على الباطن الخفي من العقل إلا بظاهر منه وناطق عنه.

رسائل الشريف المرتضى: ١/١٢٧

المسألة التاسعة قد سئل رحمه الله عن الطريق إلى معرفة الله بمجرد العقل أو من طريق السمع.

الجواب: إن الطريق إلى معرفة الله تعالى هو العقل، ولا يجوز أن يكون السمع، لأن السمع لا يكون دليلاً على الشيء إلا بعد معرفة الله وحكمته، وإنه لا يفعل القبيح ولا يصدق الكذابين، فكيف يدل السمع على المعرفة. ووجه دلالة مبنى على حصول المعارف بالله حتى يصح أن يوجب عليه النظر. ورددنا على من يذهب من أصحابنا إلى أن معرفة الله تستفاد من قول الإمام، لأن معرفة كون الإمام إماماً

مبنية على المعرفة بالله تعالى....

وبينا أن العاقل إذا نشأ بين الناس، وسمع اختلافهم في الديانات، وقول كثير منهم أن للعالم صانعاً خلق العقلاء ليعرفوه، ويستحقوا الثواب على طاعتهم، وأن من فرط في المعرفة استحق العقاب: لا بد من كونه خائفاً من ترك النظر وإهماله، لأن خوف الضرر وجهه على وجوب كل نظر في دين أو دنيا، وأنه متى خاف الضرر وجب عليه النظر وقبح منه إهماله والاحلال به.

الرسالة السعدية للعلامة الحلبي/٥٤

وخامسها: أن معرفة الله تعالى واجبة، وليس مدرك الوجوب السمع، لأن معرفة الإيمان يتوقف على معرفة الموجب، فيستحيل معرفة الإيجاب قبل معرفة الموجب، فلو أسندت معرفة الموجب به، دار.

نهج الحق للعلامة الحلبي/٥١

الحق أن وجوب معرفة الله تعالى مستفاد من العقل وإن كان السمع قد دل عليه بقوله: فاعلم أنه لا إله إلا الله، لأن شكر المنعم واجب بالضرورة وآثار النعمة علينا ظاهرة، فيجب أن نشكر فاعلها، وإنما يحصل بمعرفته، ولأن معرفة الله تعالى واقعة للخوف الحاصل من الاختلاف، ودفع الخوف واجب بالضرورة.

وقالت الأشعرية: إن معرفة الله تعالى واجبة بالسمع لا بالعقل فلزمهم ارتكاب الدور المعلوم بالضرورة بطلانه، لأن معرفة الإيجاب تتوقف على معرفة الموجب فإن من لا- نعرفه بشئ من الإعتبارات البتة نعلم بالضرورة أننا لا نعرف أنه أوجب، فلو استفيدت معرفة الموجب من معرفة الإيجاب لزم الدور المحال!

وأيضاً لو كانت المعرفة إنما تجب بالأمر لكان الأمر بها إما أن يتوجه إلى العارف بالله تعالى أو إلى غير العارف والقسمان باطلان، فتعليل الإيجاب بالأمر محال، أما بطلان الأول فلأنه يلزم منه تحصيل الحاصل وهو محال، وأما بطلان الثاني: فلأن غير العارف بالله تعالى يستحيل أن يعرف أن الله قد أمره وأن امتثال أمره واجب، وإذا استحال أن يعرف أن الله تعالى قد أمره وأن امتثال أمره واجب استحال أمره وإلا لزم تكليف ما لا يطاق. وسيأتي بطلانه إن شاء الله تعالى.

لا يحاسب الله الناس إلا على قدر معرفتهم، و ما بين لهم، و ما آتاهم

الكافي: ١/١٦٣-١٦٤

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله لم ينعم على عبد نعمة إلا وقد ألزمه فيها الحجة من الله، فمن من الله عليه فجعله قوياً فحجته عليه القيام بما كلفه، واحتمال من هو دونه ممن هو أضعف منه، فمن من الله عليه فجعله موسعاً عليه فحجته عليه ماله، ثم تعاوده الفقراء بعد بنوافله، ومن من الله عليه فجعله شريفاً في بيته، جميلاً في صورته، فحجته عليه أن يحمد الله تعالى على ذلك وأن لا يتناول على غيره، فيمنع حقوق الضعفاء لحال شرفه وجماله.

عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحجال، عن ثعلبة بن ميمون، عن عبد الأعلى بن أعين قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام من لم يعرف شيئاً هل عليه شيء؟ قال: لا.

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن فضال، عن داود بن فرقد عن أبي الحسن زكريا بن يحيى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما حجب الله عن العباد فهو موضوع عنهم.

محمد بن يحيى وغيره، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد عن ابن أبي عمير، عن جميل بن دراج، عن ابن الطيار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله احتج على الناس بما آتاهم وعرفهم.

وبهذا الإسناد، عن يونس، عن حماد، عن عبد الأعلى قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام: أصلحك الله هل جعل في الناس أداة ينالون بها المعرفة؟ قال: فقال: لا، قلت: فهل كلفوا المعرفة؟ قال: لا، على الله البيان: لا يُكَلَّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا، لا يُكَلَّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا

آتَاهَا، قَالَ: وَسَأَلْتَهُ عَنْ قَوْلِهِ: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ»، قَالَ: حَتَّى يَعْرِفَهُمْ مَا يَرْضِيهِ وَمَا يَسْخِطُهُ. عَدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ ابْنِ فَضَالٍ، عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ حَمْزَةَ بْنِ مُحَمَّدِ الطَّيَّارِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ». قَالَ: «حَتَّى يَعْرِفَهُمْ مَا يَرْضِيهِ وَمَا يَسْخِطُهُ». وَقَالَ: «فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا»، قَالَ: بَيْنَ لَهَا مَا تَأْتِي وَمَا تَتْرِكُ، وَقَالَ: «إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا»، قَالَ: عَرَفْنَاهُ، إِمَّا أَخَذَ وَإِمَّا تَارَكَ. وَعَنْ قَوْلِهِ: «وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى»، قَالَ: عَرَفْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى وَهُمْ يَعْرِفُونَ؟ وَفِي رِوَايَةٍ: بَيْنَا لَهُمْ.

عَدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ أَبَانَ الْأَحْمَرِ عَنْ حَمْزَةَ بْنِ الطَّيَّارِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: أَكْتُبُ فَأَمْلِي عَلَى: إِنْ مِنْ قَوْلِنَا أَنَّ اللَّهَ يَحْتَجُّ عَلَى الْعِبَادِ بِمَا آتَاهُمْ وَعَرَفَهُمْ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ فَأَمْرٌ فِيهِ وَنَهْيٌ، أَمْرٌ فِيهِ بِالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ فَتَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنِ الصَّلَاةِ فَقَالَ: أَنَا أُنِيمُكَ وَأَنَا أَوْقِظُكَ فَإِذَا قَمَتِ فَصَلَّ لِيَعْلَمُوا إِذَا أَصَابَهُمْ ذَلِكَ كَيْفَ يَصْنَعُونَ، لَيْسَ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا نَامَ عَنْهَا هَلَكُوكَ، وَكَذَلِكَ الصِّيَامِ أَنَا أَمْرُضُكَ وَأَنَا أَصْحَكَ، فَإِذَا شَفَيْتَكَ فَأَقْضِهِ.

ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَكَذَلِكَ إِذَا نَظَرْتَ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ لَمْ تَجِدْ أَحَدًا فِي ضَيْقٍ، وَلَمْ تَجِدْ أَحَدًا إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ الْحِجَّةُ وَاللَّهُ فِيهِ الْمَشِيئَةُ، وَلَا أَقُولُ: إِنَّهُمْ مَا شَاؤُوا صَنَعُوا، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَهْدِي وَيُضِلُّ، وَقَالَ: وَمَا أَمَرُوا إِلَّا بِدُونِ سَعْتِهِمْ، وَكُلُّ شَيْءٍ أَمْرُ النَّاسِ بِهِ فَهُمْ يَسْعُونَ لَهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ لَا يَسْعُونَ لَهُ فَهُوَ مَوْضِعٌ عَنْهُمْ، وَلَكِنَّ النَّاسَ لَا خَيْرَ فِيهِمْ، ثُمَّ تَلَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ» - فَوْضِعَ عَنْهُمْ - مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ - قَالَ: فَوْضِعَ عَنْهُمْ لِأَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ.

الإعتقادات للصدوق/ ١٦٨

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو جَعْفَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِعْتَقَدْنَا فِي ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَطَرَ جَمِيعَ الْخَلْقِ عَلَى التَّوْحِيدِ وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «فَطَرَهُ اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهِ». وَقَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ». وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: حَتَّى يَعْرِفَهُمْ مَا يَرْضِيهِ وَمَا يَسْخِطُهُ.

وَقَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا»، قَالَ: بَيْنَ لَهَا مَا تَأْتِي وَمَا تَتْرِكُ مِنَ الْمَعَاصِي.

وَقَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا»، قَالَ: عَرَفْنَاهُ إِمَّا أَخَذًا وَإِمَّا تَارِكًا.

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى»، قَالَ: وَهُمْ يَعْرِفُونَ.

وَسُئِلَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ»، قَالَ: نَجْدَ الْخَيْرِ وَنَجْدَ الشَّرِّ.

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا حَجَبَ اللَّهُ عِلْمَهُ عَنِ الْعِبَادِ فَهُوَ مَوْضِعٌ عَنْهُمْ.

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنْ اللَّهُ تَعَالَى احْتَجَّ عَلَى النَّاسِ بِمَا آتَاهُمْ وَعَرَفَهُمْ.

من أسباب المعرفة وآثارها

ما يورث المعرفة

مستدرک الوسائل: ٧/٥٠٠

الحسن بن أبي الحسن الديلمي في إرشاد القلوب: عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال في ليلة المعراج: يا رب ما أول العبادة؟ قال: أول العبادة الصمت والصوم، قال: يا رب وما ميراث الصوم؟ قال: يورث الحكمة، والحكمة تورث المعرفة،

والمعرفة تورث اليقين، فإذا استيقن العبد لا يبالي كيف أصبح بعسر أم يسر.

ما تورثه المعرفة

مستدرك الوسائل: ١١/١٨٥

... قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فكر ساعة خير من عبادة سنة، ولا ينال منزلة التفكر إلا من خصه الله بنور المعرفة والتوحيد.

ما يفسد المعرفة و يطفى نوره

مستدرك الوسائل: ١٦/٢١٨

الحسن بن فضل الطبرسي في مكارم الاخلاق: عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: لا تشبعوا فيطفاً نور المعرفة من قلوبكم.

مستدرك الوسائل: ١٦/٢١٣

القطب الراوندي في لب اللباب: عن جعفر بن محمد (عليهما السلام) أنه قال: فساد الجسد في كثرة الطعام، وفساد الزرع في كسب الأثام، وفساد المعرفة في ترك الصلاة على خير الأنام.

خطر ضلال الأمم بعد المعرفة

كان نبينا يخاف على أمته الضلال بعد المعرفة

الكافي: ٢/٧٩

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثلاث أخافهن على أمتي من بعدى: الضلالة بعد المعرفة، ومضلات الفتن، وشهوة البطن والفرج.

انتهى. ورواه في وسائل الشيعة: ١١/١٩٨ وفي مستدرك الوسائل: ١١/٢٧٦ وفي مسند الإمام زيد: ٤٩٤

أمالى المفيد: ١١١

قال: أخبرني أبو حفص عمر بن محمد الصيرفي قال: حدثنا علي بن مهرويه القزويني قال: حدثنا داود بن سليمان الغاري قال: حدثنا الرضا على بن موسى قال: حدثني موسى بن جعفر قال: حدثني أبي جعفر بن محمد قال: حدثني أبي محمد بن علي قال: حدثني علي بن الحسين قال: حدثني أبي الحسين بن علي قال: حدثني أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثلاثة أخافهن على أمتي: الضلالة بعد المعرفة، ومضلات الفتن، وشهوة البطن والفرج.

وقد روت هذا المعنى مصادر إخواننا السنة، ففي مسند أحمد: ٤/٤٢٠:

عن أبي برزة الأسلمي، قال أبو الأشهب لا أعلمه إلا عن النبي (ص) قال: «إن مما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الفتن». وفي رواية ومضلات الهوى. انتهى. ورواه في مجمع الزوائد: ٧/٣٠٥ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. ورواه في كنز العمال: ١٦/٤٥.

وضع المعرفة في بني اسرائيل بعد موسى

العهد القديم: ٢/٢٨٢

الإصحاح الرابع ١ إسمعوا قول الرب يا بني اسرائيل. إن للرب محاكمة مع سكان الأرض لأنه لا أمانة ولا إحسان ولا معرفة الله في الأرض. ٢ لعنّ وكذبٌ وقتل وسرقة وفسق. يعتنفون ودماء تلحق دماء....

قد هلك شعبي من عدم المعرفة. لأنك أنت رفضت المعرفة أرفضك أنا حتى لا تكهن لي. ولأنك نسيت شريعة إلهك أنسى أنا أيضاً بنيك.

العهد القديم/٢٥٤

الإصحاح الخامس والعشرون ١ وأقام إسرائيل في شطيم وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب. ٢ فدعون الشعب إلى ذبائح آلهتهم فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهم. ٣ وتعلق إسرائيل ببعل فغور. فحمى غضب الرب على إسرائيل.

العهد القديم/٢٩٦

الإصحاح الحادي عشر ١ فأحب الرب إلهك واحفظ حقوقه وفرائضه وأحكامه ووصاياهم كل الأيام. ٢ واعلموا اليوم أني لست أريد بنيكم الذين لم يعرفوا ولا رأوا تأديب الرب إلهكم عظمتهم ويده الشديدة وذراعه الرفيعة. ٣ وآياته وصناعاته التي عملها في مصر بفرعون ملك مصر وبكل أرضه. ٤ والتي عملها بجيش مصر بخيلهم ومراكبهم حيث أطاف مياه بحر سوف على وجوههم حين سعوا وراءكم فأبادهم الرب إلى هذا اليوم. ٥ والتي عملها لكم في البرية حتى جئتم إلى هذا المكان. ٦ والتي عملها بداثان وأبيرام ابني الياب ابن راوبين اللذين فتحت الأرض فاها وابتلعتهما مع بيوتهما وخيامهما وكل الموجودات التابعة لهما في وسط كل إسرائيل.... ٢٧ البركة إذا سمعتم لوصايا الرب إلهكم التي أنا أوصيكم بها اليوم. ٢٨ واللعنة إذا لم تسمعوا لوصايا الرب إلهكم وزغتم عن الطريق التي أنا أوصيكم بها اليوم، لتذهبوا وراء آلهة أخرى لم تعرفوها.

العهد القديم/٣٠٠

الإصحاح الثالث عشر ١ إذا قام في وسطك نبي أو حالم حلماً وأعطاك آية أو أعجوبة ٢ ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كلمك عنها قائلاً لتذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها ونعبدها ٣ فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك اللحم، لأن الرب إلهكم يمتحنكم لكي يعلم هل تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم....

وإذا أغواك سراً أخوك ابن أمك أو ابنك أو ابنتك أو امرأة حزنك أو صاحبك الذي مثل نفسك قائلاً: نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك ٧ من آلهة الشعوب الذين حولك القريبين منك أو البعيدين عنك من أقصاء الأرض إلى أقصائها ٨ فلا ترض منه ولا تسمع لا ولا تشفق عينك عليه ولا ترق له ولا تستره....

قد خرج أناس بنو لثيم من وسطك وطوحوا سكان مدينتهم قائلين: نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفوها.

العهد القديم/١٩٦

وقال الرب من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق وغامزات بعيونهن وخاطرات في مشيهن ويخشخن بأرجلهن. ١٧ يصلع السيد هامة بنات صهيون ويعرى الرب عورتهم. ١٨ ينزع السيد في ذلك اليوم زينة الخلاخيل والصفائر والاهلة. ١٩ والحلق والاساور والبراقع. ٢٠ والعصائب والسلاسل والمناطق وحناجر الشامات والاحراز. ٢١ والخواتم وخزائم الأنف. ٢٢ والثياب المزخرفة والعطف والأردية والأكياس. ٢٣ والمراشي والقمصان والعمائم والازر. ٢٤ فيكون عوض الطيب عفونة، وعوض المنطقة جبل، وعوض الجداول قرعة، وعوض الديباج زنار مسح، وعوض الجمال كى.

اتهمهم نبيهم موسى بأنه لم يعرف الله تعالى

العهد القديم ١٤٢

وقال موسى للرب أنظر، أنت قائل لي أصعد هذا الشعب، وأنت لم تعرفني من ترسل معي، وأنت قد قلت عرفتك باسمك، ووجدت أيضاً نعمة في عيني، ١٣ فالان إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فعلمي طريقك حتى أعرفك لكي أجد نعمة في عينيك.

بولس يصف فساد الناس في عصره وبعدهم عن المعرفة

العهد الجديد/٢٤٦

الإصحاح الأول ٢١ لانهم لما عرفوا الله لم يمجده أو يشكروه كإله بل حقوا في أفكارهم وأظلم قلبهم الغبي. ٢٢ وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء. ٢٣ وأبدلوا مجد الله الذي لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذي يفنى والطيور والدواب والزحافات.... وكذلك الذكور أيضاً تاركين استعمال الأنثى الطبيعي اشتعلوا بشهوتهم لبعض فاعلين الفحشاء ذكوراً بذكور ونائلين في أنفسهم جزاء ضلالهم المحق. ٢٨ وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق. ٢٩ مملوئين من كل إثم وزناً وشر وطمع وخبث، مشحونين حسداً وقتلاً وخصاماً ومكراً وسوءاً. ٣٠ نماين مفترين مبغضين لله، تالين متعظمين مدعين مبتدعين شروراً، غير طائعين للوالدين. ٣١ بلا فهم ولا عهد ولا حنو ولا رضى ولا رحمة. ٣٢ الذين إذ عرفوا حكم الله أن الذين يعملون مثل هذه يستوجبون الموت لا يفعلونها فقط، بل أيضاً يسرون بالذين يعملون.

المعرفة التي دعا إليها بولس الذي نصر النصارى

العهد الجديد/٣٨١

رسالة بطرس الرسول الثانية الإصحاح الأول. ١ سمعان بطرس عبد يسوع المسيح ورسوله إلى الذين نالوا معنا إيماناً ثميناً مساوياً لنا ببر إلهنا والمخلص يسوع المسيح. ٢ لتكثر لكم النعمة والسلام بمعرفة الله ويسوع ربنا. ٣ كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى بمعرفة الذى دعانا بالمجد والفضيلة. ٤ اللذين بهما قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينه، لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية هاربين من الفساد الذى فى العالم بالشهوة... لأن هذه إذا كانت فيكم وكثرت تُصَيِّرُكم لا متكاسلين ولا غير مثمريين لمعرفة ربنا يسوع المسيح....

العهد الجديد/٣٨٩

الإصحاح الرابع ١ أيها الأحياء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هى من الله لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم. ٢ بهذا تعرفون روح الله. كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فهو من الله. ٣ وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فليس من الله... نحن من الله فمن يعرف الله يسمع لنا ومن ليس من الله لا يسمع لنا. من هذا نعرف روح الحق وروح الضلال.

ونحن قد عرفنا وصدقنا المحبة التي لله فينا. الله محبة ومن يثبت فى المحبة يثبت فى الله والله فيه.

العهد الجديد/٣٩٠

الإصحاح الخامس ١ كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله، وكل من يحب الوالد يحب المولود منه أيضاً. ٢ بهذا نعرف إننا نحب أولاد الله إذا أحببنا الله وحفظنا وصاياه... ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق، ونحن فى الحق فى ابنه يسوع المسيح، هذا هو الاله الحق والحياة الابدية. ٢١ أيها الأولاد إحتفظوا أنفسكم من الأصنام.

متى اخترع المسيحيون التثليث بعد التوحيد

قاموس الكتاب المقدس/٢٣٢

الثالوث الأقدس (تثليث) عرف قانون الإيمان هذه العقيدة بالقول (نؤمن بإله واحد الأب والابن والروح القدس إله واحد جوهر واحد متساوون فى القدرة والمجد). فى طبيعة هذا الإله الواحد تظهر ثلاثة خواص أزلية، يعلنها الكتاب فى صورة شخصيات (أقانيم) متساوية. ومعرفتنا بهذه الشخصية المثلثة الأقانيم ليست إلا حقاً سماوياً أعلنه لنا الكتاب فى العهد القديم بصورة غير واضحة المعالم،

لكنه قدمه في العهد الجديد واضحاً، ويمكن أن نلخص العقيدة في هذه النقاط الست التالية:

١- الكتاب المقدس يقدم لنا ثلاث شخصيات يعتبرهم شخص الله.

٢- هؤلاء الثلاثة يصفهم الكتاب بطريقة تجعلهم شخصيات متميزة الواحدة عن الأخرى.

٣- هذا التثليث في طبيعة الله ليس مؤقتاً أو ظاهرياً بل أبدي وحقيقي.

٤- هذا التثليث لا يعني ثلاثة آلهة بل إن هذه الشخصيات الثلاث جوهر واحد.

٥- الشخصيات الثلاث الأب والابن والروح القدس متساوون.

٦- ولا يوجد تناقض في هذه العقيدة، بل بالاحرى أنها تقدم لنا المفتاح لفهم باقى العقائد المسيحية. ولقد كانت هذه الحقيقة متضمنة في تعليم المسيح (يو: ٩-١٤: ١ و ١٤: ٢٦ و ١٥: ٢٦).

وقد تمسكت الكنيسة بما جاء واضحاً في مت ٢٨: ١٩، وتحديث الرسل مقدمين هذه الحقيقة في ٢ كو ١٣: ١٤ و ١ بط ١: ٢ و ١ يو ٥: ٧.

ولا نستطيع أن نغفل منظر معمودية المسيح وفيه يسمع صوت الأب واضحاً موجهاً إلى المسيح، ويستقر الروح القدس على رأس المسيح الابن في شكل حمامة (مت ٣: ١٦ و ١٧ ومر ١: ١٠ و ١١ ولو ٣: ٢١ و ٢٢ و يو ١: ٣٢ و ٣٣).

ولقد كان يقين الكنيسة وإيمانها بلاهوت المسيح هو الدافع الحتمى لها لتصوغ حقيقة التثليث في قالب يجعلها المحور الذى تدور حوله كل معرفة المسيحيين بالله في تلك البيئة اليهودية أو الوثنية وتقوم عليه.

والكلمة نفسها (التثليث أو الثالوث) لم ترد في الكتاب المقدس، ويظن أن أول من صاغها واخترعها واستعملها هو ترتليان في القرن الثانى للميلاد. ثم ظهر سيبليوس بدعته في منتصف القرن الثالث وحاول أن يفسر العقيدة بالقول: إن التثليث ليس أمراً حقيقياً لله لكنه مجرد إعلان خارجى، فهو حادث موقت وليس أبدياً. ثم ظهرت بدعة إريوس الذى نادى بأن الابن وحده هو الأزلى بينما الابن والروح القدس مخلوقان متميزان عن سائر الخليفة.

وأخيراً ظهر إثناسيوس داحضاً هذه النظريات وواضعاً أساس العقيدة السليمة التى قبلها واعتمدها مجمع نيقية فى عام ٣٢٥ ميلادية.

ولقد تبلور قانون الإيمان الاثناسيوسى على يد اغسطينوس فى القرن الخامس، وصار القانون عقيدة الكنيسة الفعلية من ذلك التاريخ إلى يومنا هذا.

متى تجب المعرفة على الإنسان

فى أى سن يجب التفكير والمعرفة

رسائل الشهيد الثانى: ٢/١٣٥

إعلم أن المتكلمين حددوا وقت التكليف بالمعرفة بالتمكن من العلم بالمسائل الأصولية، حيث قالوا فى باب التكليف أن المكلف يشترط كونه قادراً على ما كلف به مميّزاً بينه وبين غيره مما لم يكلف به متمكناً من العلم بما كلف به، إذ التكليف بدون ذلك محال. وظاهر أن هذا لا يتوقف على تحقق البلوغ الشرعى بإحدى العلامات المذكورة فى كتب الفروع، بل قد يكون قبل ذلك بسنتين أو بعده كذلك، بحسب مراتب الإدراك قوة وضعفاً. وذكر بعض فقهاءنا أن وقت التكليف بالمعارف الإلهية هو وقت التكليف بالأعمال الشرعية، إلا أنه يجب أولاً بعد تحقق البلوغ والعقل المسارعة إلى تحصيل المعارف قبل الإتيان بالأعمال.

أقول: هذا غير جيد، لأنه يلزم منه أن يكون الاناث أكمل من الذكور، لأن الأنثى تخاطب بالعبادات عند كمال التسع إذا كانت عاقلة، فتخاطب بالمعرفة أيضاً عند ذلك، والصبى لا يبلغ عند كمال التسع بالإحتلام ولا بالانبات على ما جرت به العادة، فلا يخاطب بالمعرفة

وإن كان مميزاً عاقلاً لعدم خطابه بالعبادات، فتكون أكمل منه استعداداً للمعارف، وهو بعيد عن مدارك العقل والنقل. ومن ثم ذهب بعض العلماء إلى وجوب المعرفة على من بلغ عشرين عاقلاً، ونسب ذلك إلى الشيخ أبي جعفر الطوسي قدس سره وأيضاً هذا لا يوافق ما هو الحق من أن معرفة الله تعالى واجبة عقلاً لا سمعاً، لأننا لو قلنا إن المعرفة لا تجب إلا بعد تحقق البلوغ الشرعي الذي هو مناط وجوب العبادات الشرعية، لكننا قد أوجبنا المعرفة بالشرع لا بالعقل، لأن البلوغ المذكور إنما علم من الشرع، وليس في العقل ما يدل على أن وجوب المعرفة إنما يكون عند البلوغ المذكور، فلو وجبت عنده لكان الوجوب معلوماً من الشرع، لا من العقل.

لا يقال: العقل إنما دل على وجوب المعرفة في الجملة دون تحديد وقته، والشرع إنما دل على تحديد وقت الوجوب وهو غير الوجوب، فلا يلزم كون الوجوب شرعياً.

لأننا نقول: لا نسلم أن في الشرع ما يدل على تحديد وقت وجوب المعرفة أيضاً، بل إنما دل على تحديد وقت العبادات فقط، نعم دل الشرع على تقدم المعرفة على العبادات في الجملة، وهو أعم من تعيين وقت التقدم، فلا يدل عليه.

وأيضاً لا معنى لكون العقل يدل على وجوب المعرفة في الجملة من دون اطلاعه على وقت الوجوب، إذ لا ريب أنه يلزم من الحكم بوجوبها كونها واجبة في وقت الحكم.

والحاصل: أنه لا يمكن العلم بوجوبها إلا بعد العلم بوقت وجوبها، فالوقت كما أنه ظرف لها فهو ظرف للوجوب أيضاً.

وتوضيحه: أن العبد متى لاحظ هذه النعم عليه وعلم أن هناك منعماً أنعم بها عليه، أوجب على نفسه شكره عليها في ذلك الوقت، خوفاً من أن يسلبه إياها لو لم يشكره، وحيث أنه لم يعرفه بعد يوجب على نفسه النظر في معرفته في ذلك الوقت ليمكنه شكره، فقد علم أنه يلزم من وجوب المعرفة بالعقل معرفة وقتها أيضاً.

نعم ما ذكروه إنما يتم على مذهب الأشاعرة، حيث أن وجوب المعرفة عندهم سمعي.

فإن قلت: قوله صلى الله عليه وآله: رفع القلم عن الصبي حتى يبلغ، فيه دلالة على تحديد وقت وجوب المعرفة بالبلوغ الشرعي، لأن رفع القلم كناية عن رفع التكليف وعدم جريانه عليه إلى الغاية المذكورة، فقبلها لا يكون مكلفاً بشيء، سواء كان قد عقل أم لا.

قلت: لا نسلم دلالة على ذلك، بل إن دل فإنما يدل على أن البلوغ الشرعي غاية لرفع التكليف مطلقاً. وإن كان عقلياً، فيبقى الدليل الدال على كون التكليف بالمعرفة عقلياً سالماً عن المعارض، فإنه يستلزم تحديد وقت وجوب المعرفة بكمال العقل، كما تقدمت الإشارة إليه.

والحاصل: أن عموم رفع القلم مخصص بالدليل العقلي، وقد عرف العقل الذي هو مناط التكليف الشرعية بأنه قوة للنفس بها تستعد للعلوم والإدراكات، وهو المعنى بقولهم غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات، وهذا التفسير اختاره المحقق الطوسي رحمه الله وجماعته.

مجمع الفائدة والبرهان: ١٠/٤٠٩

المراهق إذا أسلم حكم بإسلامه، فإن ارتد بعد ذلك يحكم بارتداده وإن لم يتب قتل...

وقال أبو حنيفة: يصح إسلامه وهو مكلف بالإسلام، وإليه ذهب بعض أصحابنا، لأنه يمكنه معرفة التوحيد بالنظر والاستدلال، فصح منه كالبالغ، ونقل الشيخ عن أصحابه أنهم حكموا بإسلام على عليه السلام وهو غير بالغ وحكم بإسلامه بالإجماع. والاستدلال بالرواية مشكل، لعدم ظهور الصحة والدلالة على هذا المطلب، وما نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام مما لا يقاس عليه غيره، فإن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام ليسوا من قبيل سائر الناس، ولهذا حكموا بكون الحجّة صلوات الله وسلامه عليه إماماً مع كونه ابن خمس سنين.

نعم الحكم بإسلام المراهق غير بعيد لعموم من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله فهو مسلم، وقاتلوهم حتى يقولوا لا إله إلا الله، وأمثاله كثيرة. ولأنهم إذا قدروا على الاستدلال وفهموا أدلة وجود الواجب والتوحيد وما يتوقف عليه، ووجوب المعرفة

والنظر في المعرفة، يمكن أن يجب عليهم ذلك، لأن دليل وجوب المعرفة عقلي، فكل من يعرف ذلك يدخل تحته، ولا خصوصية له بالبالغ، ولا استثناء في الأدلة العقلية، فلا يبعد تكليفهم، بل يمكن أن يجب ذلك، فإذا أوجب عليهم يجب أن يصح منهم، بل يلزم من الحكم بالصحة وجوبه أيضاً، ويترتب عليه الأحكام... وقد أجمعوا على عدم وجوب الفروع عليهم وعدم تكليفهم بها، ولهذا صرح بعض العلماء بأن الواجبات الأصولية العقلية تجب على الصغير قبل بلوغه دون الفرعية. والظاهر أن ضابطة القدرة على الفهم والأخذ والإستدلال على وجه مقنع، ففي كل من وجب فيه ذلك يصح ويمكن أن يجب عليه ذلك المقدار، ومن لم يوجد فيه ذلك لم يجب. وقال في الدروس، وهو لما قاله الشيخ قريب ولا شك أنه أحوط، وما استدل به الشيخ مؤيد فقوله قريب. قال في التذكرة: غير المميز والمجنون لا يصح إسلامهما مباشرة إجماعاً ولا يحكم بإسلامهما إلا بالتبعية لغيره. فيريد بهما من لا قدرة له على الإستدلال، ولا يفهم وجوب المعرفة ونحوه، وجنون المجنون أخرجه عن الفهم والقدرة على الإستفهام والإستدلال مثل غير المميز، وأما إذا كان لهم فهم مستقل لا يبعد اعتباره حينئذ وإجراء الأحكام في حقه عليه، فتأمل.

حكم الإنسان في مرحلة التفكير والبحث

رسائل الشهيد الثاني: ٢/١٣٣

المبحث الثالث في أن الإنسان في زمان مهلة النظر... هل هو كافر أو مؤمن؟ جزم السيد الشريف المرتضى (رض) بكفره، واستشكل بعضهم. والظاهر أن محل النزاع في من لم يسبق منه اعتقاد ما يوجب الكفر، فإنه في زمان طلب الحق بالنظر فيه مع بقاء ذلك الإعتقاد لا- ريب في كفره. بل النزاع في من هو في أول مراتب التكليف إذا وجه نفسه للنظر في تحقيق الحق ليعتقده ولم يكن معتقداً لما يوجب الكفر بل هو متردد حتى يرجح عنده شئ فيعتقده. وكذا من سبق له اعتقاد ما يوجب الكفر رجع عنه إلى الشك بسبب نظره في تحقيق الحق ولما يترجح عنده الحق، فهذان هل هما كافران في مدة النظر أم لا؟

أقول: ما تقدم من تعريف الكفر بأنه عدم الإيمان مما شأنه أن يكون مؤمناً يقتضى الحكم بكفرهما حالة النظر، لصدق عدم الإيمان عليهما في تلك الحالة، وهذا مشكل جداً، لأنه يقتضى الحكم بكفر كل أحد أول كمال عقله الذي هو أول وقت التكليف بالمعرفة، لأنه أول وقت إمكان النظر، إذ النظر قبله لا عبرة به، ويقتضى أن يكون من أدركه الموت في تلك الحالة مخلداً في جهنم. ولا يخفى بعد ذلك عن حكمة الله تعالى وعدله، ولزوم: إما تكليف ما لا يطاق إن عذبه على ترك الإيمان، حيث لم يمض له وقت يمكن تحصيله فيه قبل الموت كما هو المفروض، أو الظلم الصرف إن لم يقدر على ذلك، تعالى الله عن ذلك، إذ لم يسبق له إعتقاد ما يوجب الكفر كما هو المفروض أيضاً، ليكون التعذيب عليه.

ويلزم من ذلك القدح في صحة تعريف الكفر بذلك. اللهم إلا أن يقال: إن مثل هذا النوع من الكفر لا يعذب صاحبه، لكن لا يلزم منه القدح في الإجماع على أن كل كافر مخلد في النار، وليس بعيداً التزام ذلك، وأن يكون المراد من الكافر المخلد من كان كفره عن اعتقاد، فيكون الإجماع مخصوصاً بمن عدا الأول.

إن قلت: إن لم يكن هذا الشخص من أهل النار، يلزم أن يكون من أهل الجنة، إذ لا واسطة بينهما في الآخرة على المذهب الحق، فيلزم أن يخلد في الجنة من لا- إيمان له أصلاً كما هو المفروض، وهو مخالف لما انعقد عليه الإجماع من أن غير المؤمن لا يدخل الجنة.

قلت: يجوز أن يكون إدخاله الجنة تفضلاً من الله تعالى كالأطفال، ويكون الإجماع مخصوصاً بمن كلف الإيمان ومضت عليه مدة كان يمكنه تحصيله فيها فقصر.

وأقول أيضاً: الذي يقتضيه النظر إن هذا الشخص لا- يحكم عليه بكفر ولا- بإيمان في زمان النظر حقيقة بل تبعاً كالأطفال، فإنه لم يتحقق له التكليف التام ليخرج عن حكم الأطفال، فهو باق على ذلك إلى أن يمضى عليه زمان يمكن فيه النظر الموصل إلى الإيمان،

لكن هذا لا يتم في من لم يسبق له كفر، كمن هو في أول بلوغه. أما من سبق له اعتقاد الكفر ثم رجع عنه إلى الشك، فبمقتضى فيه.

تجب المعرفة بالتفكير ولا يصح فيها التقليد

الاقتصاد للشيخ الطوسي ٩/

الطريق إلى معرفة الأشياء أربعة لا خامس لها:

أولها، أن يعلم الشيء ضرورة لكونه مركزاً في العقول، كالعلم بأن الإثنين أكثر من واحد، وأن الجسم الواحد لا يكون في مكانين في حالة واحدة، وأن الجسمين لا يكونان مكان واحد في حالة واحدة، والشيء لا يخلو من أن يكون ثابتاً أو منفيّاً، وغير ذلك مما هو مركز في العقول.

والثاني، أن يعلم من جهة الإدراك إذا أدرك وارتفع اللبس، كالعلم بالمشاهدات والمدركات بسائر الحواس.
والثالث، أن يعلم بالأخبار كالعلم بالبلدان والوقائع وأخبار الملوك وغير ذلك.
والرابع، أن يعلم بالنظر والاستدلال.

والعلم بالله تعالى ليس بحاصل من الوجه الأول، لأن ما يعلم ضرورة لا يختلف العقلاء فيه بل يتفقون عليه، ولذلك لا يختلفون في أن الواحد لا يكون أكثر من اثنين، وأن الشبر لا يطابق الذراع. والعلم بالله فيه خلاف بين العقلاء فكيف يجوز أن يكون ضرورياً. وليس الإدراك أيضاً طريق العلم بمعرفة الله تعالى، لأنه تعالى ليس بمدرك بشيء من الحواس على ما سنبينه فيما بعد، ولو كان مدركاً محسوساً لأدركناه مع صحة حواسنا وارتفاع الموانع المعقولة.

والخبر أيضاً لا يمكن أن يكون طريقاً إلى معرفته، لأن الخبر الذي يوجب العلم هو ما كان مستنداً إلى مشاهدة وإدراك، كالبلدان والوقائع وغير ذلك، وقد بينا أنه ليس بمدرك، والخبر الذي لا يستند إلى الإدراك لا يوجب العلم. ألا ترى أن جميع المسلمين يخبرون من خالفهم بصدق محمد صلى الله عليه وآله فلا يحصل لمخالفهم العلم به لأن ذلك طريقه الدليل، وكذلك جميع الموحدين يخبرون الملحده بحدوث العالم فلا يحصل لهم العلم به لأن ذلك طريقه الدليل. فإذا بطل أن يكون طريق معرفته الضرورة أو المشاهدة أو الخبر، لم يبق إلا أن يكون طريقه النظر.

فإن قيل: أين أنتم عن تقليد المتقدمين؟

قلنا: التقليد إن أريد به قبول قول الغير من غير حجة وهو حقيقة التقليد فذلك قبيح في العقول، لأن فيه إقداماً على ما لا يأمن كونه ما يعتقد عند التقليد جهلاً لتعريه من الدليل، والأقدام على ذلك قبيح في العقول، ولأنه ليس في العقول أن تقليد الموحد أولى من تقليد الملحد إذا رفعنا النظر والبحث عن أوامنا ولا يجوز أن يتساوى الحق والباطل.

فإن قيل: نقلد المحق دون المبطل.

قلنا: العلم بكونه محقاً لا يمكن حصوله إلا بالنظر، لانا إن علمناه بتقليد آخر أدى إلى التسلسل، وإن علمناه بدليل فالدليل الدال على وجوب القبول منه يخرج عن باب التقليد، ولذلك لم يكن أحدنا مقلداً للنبي أو المعصوم فيما نقله منه لقيام الدليل على صحة ما يقوله.

وليس يمكن أن يقال: نقلد الأكثر ونرجع إليهم، وذلك لأن الأكثر قد يكونون على ضلال بل ذلك هو المعتاد المعروف، ألا ترى أن الفرق المبطله بالإضافة إلى الفرق المحقّه جزء من كل وقليل من كثير.

ولا يمكن أن يعتبر أيضاً بالزهد والورع، لأن مثل ذلك يتفق في المبطلين، فلذلك ترى رهبان النصارى على غاية العبادة ورفض الدنيا مع أنهم على باطل فعلم بذلك أجمع فساد التقليد.

فإن قيل: هذا القول يؤدي إلى تضليل أكثر الخلق وتكفيرهم، لأن أكثر من تعنون من العقلاء لا يعرفون ما يقولونه، من الفقهاء والأدباء

والرؤساء والتجار وجمهور العوام، ولا يهتدون إلى ما يقولونه، وإنما يختص بذلك طائفة يسيرة من المتكلمين، وجميع من خلفهم يبدعهم في ذلك، ويؤدي إلى تكفير الصحابة والتابعين وأهل الأمصار، لأنه معلوم أن أحداً من الصحابة والتابعين لم يتكلم فيما تكلم فيه المتكلمون ولا سمع منه حرف واحد ولا نقل عنهم شيء منه، فكيف يقال بمذهب يؤدي إلى تكفير أكثر الأمة وتضليلها، وهذا باب ينبغي أن يزهد فيه ويرغب عنه.

قيل: هذا غلط فاحش وظن بعيد، وسوء ظن بمن أوجب النظر المؤدى إلى معرفة الله، ولسنا نريد بالنظر المناظرة والمحاجة والمخاصمة والمحاورة التي يتداولها المتكلمون ويجرى بينهم، فإن جميع ذلك صناعة فيها فضيلة وإن لم تكن واجبة، وإنما أوجبنا النظر الذي هو الفكر في الأدلة الموصلة إلى توحيد الله تعالى وعدله ومعرفة نبيه وصحة ما جاء به، وكيف يكون ذلك منهياً عنه أو غير واجب والنبى عليه السلام لم يوجب القبول منه على أحد إلا بعد إظهار الإعلام والمعجزة من القرآن وغيره، ولم يقل لأحد إنه يجب عليك القبول من غير آية ولا دلالة. وكذلك تضمن القرآن من أوله إلى آخره التنبية على الأدلة ووجوب النظر، قال الله تعالى: **أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَقَالَ: أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ.** وقال: **وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ.** وقال: **قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ.** من أي شيء خلقه. من نطفة خلقه. الآية. وقال: **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ.** إلى قوله: **إِنَّكَ لَا تَخْلُقُ الْمِيعَادَ.** وقال: **فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَا صَبَّ بَيْنَنَا الْمَاءَ صَبًّا، ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا، إِلَى قَوْلِهِ: مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ.** وقال: **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ.** إلى قوله **فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ.** وقال: **إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ،** ولأولى الأبواب، ولمن كان له قلب، يعنى عقل. وغير ذلك من الآيات التي تعدادها يطول.

وكيف يحث تعالى على النظر وينبه على الأدلة وينصّبها ويدعو إلى النظر فيها، ومع ذلك يحرمها. إن هذا لا يتصوره إلا غبي جاهل. فأما من أومى إليه من الصحابة والتابعين وأهل الأعصار من الفقهاء والفضلاء والتجار والعوام، فأول ما فيه أنه غير مسلم، بل كلام الصحابة والتابعين مملؤ من ذلك.

... وروى عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال: **أعرفكم بنفسه أعرّفكم بربه.** وقال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته المعروفة: أول عبادة الله معرفته، وأصل معرفته توحيده، ونظام توحيده نفي الصفات عنه، لشهادة العقول إن من حلت الصفات فهو مخلوق، وشهادتها أنه خالق ليس بمخلوق ثم قال: **بصنع الله يستدل عليه، وبالعقول يعتقد معرفته، وبالنظر يثبت حجته، معلوم بالدلالات، مشهور بالبينات، إلى آخر الخطبة.** وخطبه في هذا المعنى أكثر من أن تحصى.

وقال الحسن عليه السلام: **والله ما يعبد الله إلا من عرفه، فأما من لم يعرفه فإنما يعبدّه هكذا ضلالاً، وأشار بيده.**

وقال الصادق عليه السلام: **وجدت علم الناس في أربع: أولها أن تعرف ربك، والثاني أن تعرف ما صنع بك، والثالث أن تعرف ما أراد منك، والرابع أن تعرف ما يخرجك من دينك....**

فإن قالوا: أكثر من أوماتم إليه إذا سألته عن ذلك لا يحسن الجواب عنه.

قلنا: وذلك أيضاً لا يلزم، لأنه لا يمتنع أن يكون عارفاً على الجملة وإن تعذرت عليه العبارة عما يعتقد، فتعذر العبارة عما في النفس لا يدل على بطلان ذلك ولا ارتفاعه.

الرسالة السعدية للعلامة الحلبي ٣/٩

وقد حرم الله تعالى على جميع العبيد سلوك طريق التقليد، بل أوجب البحث في أصول العقائد اليقينية وتحصيلها باستعمال البراهين القطعية... المقدمة الثانية في تحريم التقليد. طلب الله تعالى من المكلف اعتقاداً جازماً يقينياً مأخوذاً من الحجج والأدلة، وذلك في المسائل الأصولية، واعتقاداً مستفاداً إما من الحجّة، أو من التقليد في المسائل الفرعية.

رسائل المحقق الكرّكي: ١/٥٩

يجب على كل مكلف حرّ وعبد ذكر وأنتى أن يعرف الأصول الخمسة التي هي أركان الإيمان، وهي: التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة، والمعاد، بالدليل لا بالتقليد. ومن جهل شيئاً من ذلك لم ينتظم في سلك المؤمنين، واستحق العقاب الدائم مع الكافرين.

رسائل المحقق الكركي: ١/٨٠ وج ٣/١٧٣

ويجب أمام فعلها معرفة الله تعالى، وصفاته الثبوتية والسلبية، وعدله وحكمته، ونبوة نبينا محمد صلوات الله عليه وآله، وإمامة الأئمة عليهم السلام والإقرار بكل ما جاء به النبي صلوات الله عليه وآله من أحوال المعاد، بالدليل لا بالتقليد.

قوله: بالدليل لا بالتقليد، الدليل هو ما يلزم من العلم به العلم بشئ آخر إثباتاً أو نفيًا. والتقليد هو الأخذ بقول الغير من غير حجة ملزمة، مأخوذ من تقليده بالقلادة وجعلها عنقه كأن المقلد يجعل ما يعتقده من قول الغير من حق أو باطل قلادة في عنق من قلده.

رسائل الشهيد الثاني: ٢/٥٦

إعلم أن العلماء أطبقوا على وجوب معرفة الله تعالى بالنظر وأنها لا تحصل بالتقليد، إلا من شذ منهم كعبدالله بن الحسن العنبري والحشوية والتعليمية، حيث ذهبوا إلى جواز التقليد في العقائد الأصولية، كوجود الصانع وما يجب له ويمتنع، والنبوة، والعدل وغيرها، بل ذهب إلى وجوبه.

لكن اختلف القائلون بوجوب المعرفة في أنه عقلي أو سمعي، فالإمامية والمعتزلة على الأول والأشعرية على الثاني، ولا غرض لنا هنا ببيان ذلك، بل ببيان أصل الوجوب المتفق عليه.

من ذلك: أن الله تعالى على عبده نعماً ظاهرة وباطنة لا تحصى، يعلم ذلك كل عاقل، ويعلم أنها ليست منه ولا من مخلوق مثله. ويعلم أيضاً أنه إذا لم يعترف بإنعام ذلك المنعم ولم يدعن بكونه هو المنعم لا غيره ولم يسع في تحصيل مرضاته، ذمه العقلاء، ورأوا سلب تلك النعم عنه حسناً، وحينئذ فتحكم ضرورة العقل بوجوب شكر ذلك المنعم. ومن المعلوم أن شكره على وجه يليق بكمال ذاته يتوقف على معرفته، وهي لا تحصل بالظنيات كالتقليد وغيره، لاحتمال كذب المخبر وخطأ الإمارة، فلا بد من النظر المفيد للعلم. وهذا الدليل إنما يستقيم على قاعدة الحسن والقبح، والأشاعة ينكرون ذلك، لكنه كما يدل على وجوب المعرفة بالدليل، يدل أيضاً على كون الوجوب عقلياً.

واعترض أيضاً بأنه مبنى على وجوب ما لا يتم الواجب المطلق الابيه، وفيه أيضاً منع للأشاعة. ومن ذلك أن الأمة اجتمعت على وجوب المعرفة، والتقليد وما في حكمه لا يوجب العلم، إذ لو أوجه لزم اجتماع الضدين في مثل تقليد من يعتقد حدوث العالم ويعتقد قدمه.

وقد اعترض على هذا بمنع الإجماع، كيف والمخالف معروف، بل عورض بوقوع الإجماع على خلافه، وذلك لتقرير النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه العوام على إيمانهم وهم الأكثرون في كل عصر، مع عدم الإستفسار عن الدلائل الدالة على الصانع وصفاته، مع أنهم كانوا لا يعلمونها، وإنما كانوا مقرين باللسان ومقلدين في المعارف، ولو كانت المعرفة واجبة لما جاز تقريرهم على ذلك مع الحكم بإيمانهم.

وأجيب عن هذا: بأنهم كانوا يعلمون الأدلة إجمالاً، كدليل الاعرابي حيث قال: البعرة تدل على البعير، وأثر الاقدام على المسير، أفسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج لا تدلان على اللطيف الخبير؟! فلذا أقرروا ولم يسألوا عن اعتقاداتهم، أو أنهم كان يقبل منهم ذلك للتمرين، ثم يبين لهم ما يجب عليهم من المعارف بعد حين.

ومن ذلك: الإجماع أنه لا يجوز تقليد غير المحق، وإنما يعلم المحق من غيره بالنظر في أن ما يقوله حق أم لا، وحينئذ فلا يجوز له التقليد إلا بعد النظر والإستدلال، وإذا صار مستدلاً امتنع كونه مقلداً، فامتنع التقليد في المعارف الإلهية.

ونقض ذلك بلزوم مثله في الشرعيات، فإنه لا يجوز تقليد المفتي إلا إذا كانت فتياه عن دليل شرعي، فإن اكتفى في الإطلاع على ذلك بالظن وإن كان مخطئاً في نفس الأمر لحظ ذلك عنه، فليجز مثله في مسائل الأصول.

وأجيب بالفرق بأن الخطأ في مسائل الأصول يقتضى الكفر بخلافه في الفروع، فساغ في الثانية ما لم يسغ في الأولى. إحتج من أوجب التقليد في مسائل الأصول بأن العلم بأمر الله غير ممكن، لأن المكلف به إن لم يكن عالماً به تعالى إمتنع أن يكون عالماً بأمره، وحال امتناع كونه عالماً بأمره يمتنع كونه مأموراً من قبله، وإلا لزم تكليف ما لا يطاق، وإن كان عالماً به استحال أيضاً أمره بالعلم به لاستحالة تحصيل الحاصل.

والجواب عن ذلك على قواعد الإمامية والمعتزلة ظاهر، فإن وجوب النظر والمعرفة عندهم عقلي لا سمعي. نعم يلزم ذلك على قواعد الأشاعرة، إذ الوجوب عندهم سمعي.

أقول: ويجاب أيضاً معارضةً، بأن هذا الدليل كما يدل على امتناع العلم بالمعارف الأصولية، يدل على امتناع التقليد فيها أيضاً، فينسد باب المعرفة بالله تعالى، وكل من يرجع إليه في التقليد لابد وأن يكون عالماً بالمسائل الأصولية ليصح تقليده، ثم جرى الدليل فيه فيقال: علم هذا الشخص بالله تعالى غير ممكن، لأنه حين كلف به إن لم يكن عالماً به تعالى استحال أن يكون عالماً بأمره بالمقدمات، وكل ما أجابوا به فهو جوابنا، ولا- مخلص لهم إلا- أن يعترفوا بأن وجوب المعرفة عقلي، فيبطل ما ادعوه من أن العلم بالله تعالى غير ممكن، أو سمعي فكذلك.

فإن قيل: ربما حصل العلم لبعض الناس بتصفية النفس أو إلهام إلى غير ذلك فيقلده الباقون.

قلنا: هذا أيضاً يبطل قولكم أن العلم بالله تعالى غير ممكن، نعم ما ذكروه يصلح أن يكون دليلاً على امتناع المعرفة بالسمع، فيكون حجة على الأشاعرة، لا دليلاً على وجوب التقليد.

واحتجوا أيضاً بأن النهي عن النظر قد ورد في قوله تعالى: مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا. والنظر يفتح باب الجدل فيحرم. ولأنه صلى الله عليه وآله رأى الصحابة يتكلمون في مسألة القدر، فنهى عن الكلام فيها وقال: إنما هلك من كان قبلكم بخوضهم هذا، ولقوله عليه السلام: عليكم بدين العجائز، والمراد ترك النظر، فلو كان واجباً لم يكن منهيّاً عنه.

وأجيب عن الأول: إن المراد الجدل بالباطل، كما في قوله تعالى: وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ، لا الجدل بالحق لقوله تعالى: وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، والأمر بذلك يدل على أن الجدل مطلقاً ليس منهيّاً عنه.

وعن الثاني: بأن نهيه عن الكلام في مسألة القدر على تقدير تسليمه لا يدل على النهي عن مطلق النظر، بل عنه في مسألة القدر، كيف وقد ورد الإنكار على تارك النظر في قوله تعالى: أُولَئِكَ يَتَفَكَّرُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ، وقد أثنى على فاعله في قوله تعالى: وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.

على أن نهيه عن الخوض في القدر لعله لكونه أمراً غيبياً وبحراً عميقاً، كما أشار إليه على عليه السلام بقوله: بحر عميق فلا تلجه. بل كان مراد النبي تفويض مثل ذلك إلى الله تعالى، لأن ذلك ليس من الأصول التي يجب اعتقادها، والبحث عنها مفصلة.

وها هنا جواب آخر عنهما معاً، وهو أن النهي في الآية والحديث مع قطع النظر عما ذكرناه إنما يدل على النهي عن الجدل الذي لا يكون إلا عن متعدد، بخلاف النظر فإنه يكون من واحد، فهو نصب الدليل على غير المدعى.

وعن الثالث: بالمنع من صحه نسبه إلى النبي صلى الله عليه وآله فإن بعضهم ذكر أنه من مصنوعات سفيان الثوري، فإنه روى أن عمر بن عبد الله المعتزلي قال: إن بين الكفر والإيمان منزلة بين منزلتين، فقالت عجوز، قال الله تعالى: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ، فلم يجعل من عباده إلا الكافر والمؤمن، فسمع سفيان كلامها، فقال: عليكم بدين العجائز.

على أنه لو سلم فالمراد به التفويض إلى الله تعالى في قضائه وحكمه والإنقياد له في أمره ونهيه.

واحتج من جوز التقليد: بأنه لو وجب النظر في المعارف الإلهية لوجد من الصحابة، إذ هم أولى به من غيرهم، ولم يوجد، وإلا لنقل كما نقل عنهم النظر والمناظرة في المسائل الفقهية، فحيث لم ينقل لم يقع، فلم يجب.

وأجيب: بالتزام كونهم أولى به لكنهم نظروا، وإلا لزم نسبتهم إلى الجهل بمعرفة الله تعالى، وكون الواحد منا أفضل منهم، وهو باطل

إجماعاً، وإذا كانوا عالمين وليس بالضرورة فهو بالنظر والإستدلال. وأما إنه لم ينقل النظر والمناظرة فلاتفاهم على العقائد الحقّة، لوضوح الأمر عندهم، حيث كانوا ينقلون عقائدهم عنمن لا ينطق عن الهوى، فلم يحتاجوا إلى كثرة البحث والنظر، بخلاف الأخلاف بعدهم فإنهم لما كثرت شبه الضالين، واختلفت أنظار طالبي اليقين لتفاوت أذهانهم في إصابة الحق، احتاجوا إلى النظر والمناظرة، ليدفعوا بذلك شبه المضلين ويقفوا على اليقين.

أما المسائل الفروع، فإنها لما كانت أموراً ظنيّة اجتهادية خفية، لكثرة تعارض الإمارات فيها، وقع بينهم الخلاف فيها والمناظرة والتخطئة لبعضهم من بعض، فلذا نقل.

واحتجوا أيضاً: بأن النظر مظنة الوقوع في الشبهات والتورط في الضلالات بخلاف التقليد فإنه أبعد عن ذلك وأقرب إلى السلامة فيكون أولى، ولأن الأصول أغمض أدلة من الفروع وأخفى، فإذا جاز التقليد في الأسهل جاز في الأصعب بطريق أولى، ولأنهما سواء في التكليف بهما، فإذا جاز في الفروع فليجز في الأصول.

وأجيب عن الأول: بأن اعتقاد المعتقد إن كان عن تقليد، لزم إما التسلسل، أو الإنتهاء إلى من يعتقد عن نظر لإنتفاء الضرورة، فيلزم ما ذكرتم من المحذور مع زيادة وهي احتمال كذب المخبر، بخلاف الناظر مع نفسه، فإنه لا يكابر نفسه فيما أدى إليه نظره.

على أنه لو اتفق الإنتهاء إلى من اتفق له العلم بغير النظر كتصفيه الباطن كما ذهب إليه بعضهم، أو بالإلهام، أو بخلق العلم فيه ضرورة، فهو إنما يكون لأفراد نادرة، لأنه على خلاف العادة، فلا يتيسر لكل أحد الوصول إليه مشافهة بل بالوسائط، فيكثر احتمال الكذب، بخلاف الناظر فإنه لا يكابر نفسه، ولأنه أقرب إلى الوقوع في الصواب.

إن قلت: ما ذكرت من الجواب إنما يدل على كون النظر أولى من التقليد، ولا يدل على عدم جوازه، فجواز التقليد باق لم يندفع، على أن ما ذكرته من احتمال الكذب جار في الفروع، فلو منع من التقليد فيها لمنع في الأصول.

قلت: متى سلمت الأولوية وجب العمل بها، وإلا- لزم العمل بالمرجوح مع تيسر العمل بالراجح، وهو باطل بالإجماع، لا سيما في الإعتقادات.

وأما الجواب عن العلاوة، فإنه لما كان الطريق إلى العمل بالفروع إنما هو النقل ساغ لنا التقليد فيها، ولم يقدح احتمال كذب المخبر، وإلا لانسد باب العمل فيها، بخلاف الإعتقادات فإن الطريق إليها بالنظر ميسر، فاعتبر قدح الإحتمال في التقليد فيها.

وأما احتمال الخطأ في النظر، فإنه وإن أمكن إلا- أنه نادر جداً بالقياس إلى الخطأ في النقل، فكان النظر أرجح، وقد بينا أن العمل بالأرجح واجب.

وأجيب عن الثاني: أولاً بالمنع من كونها أغمض أدلة، بل الأمر بالعكس لتوقف الشرعيات على العقلية عملاً وعلماً.

وثانياً بالمنع من الملازمة، فإن كونها أغمض أدلة لا يستلزم جواز التقليد فيها فضلاً عن كونه أولى، لأن المطلوب فيها اليقين، بخلاف الشرعيات فإن المطلوب فيها الظن اتفاقاً. ومن هذا ظهر الجواب عن الثالث.

واحتجوا أيضاً: بأن هذه العلوم إنما تحصل بعد الممارسة الكثيرة والبحث الطويل، وأكثر الصحابة لم يمارسوا شيئاً منها، فكان اعتقادهم عن تقليد.

وأجيب: بأنهم لمشاهدتهم المعجزات وقوة معارفهم بكثرة البيئات من صاحب الوحي عليه السلام لم يحتاجوا في تيقن تلك المعارف إلى بحث كثير في طلب الأدلة عليها.

أقول: ومما يبطل به مذهب القائلين بالتقليد أنه إما أن يفيد العلم أولاً، فإن أفاده لزم اجتماع الضدين فيما لو قلد واحداً في قدم العالم وآخر في حدوثة، وهو ظاهر. وإن لم يفده وجب ترجيح النظر عليه، إذ من المعلوم ضرورة أن النظر الصحيح يفيد العلم، فإذا ترجح النظر عليه وجب اعتباره وترك المرجوح اجماًعاً.

وأقول: مما يدل على اعتبار اليقين في الإيمان أن الأمة فيه على قولين: قول باعتبار اليقين فيما يتحقق به الإيمان. وقول بالإكتفاء

بالتقليد أو ما في حكمه فإذا انتفى الثاني بما ذكرناه من الأدلة ثبت الأول.

وأقول أيضاً مما يصلح شاهداً على ذلك قوله تعالى: قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ، فنفي ما زعموه إيماناً، وهو التصديق القولي، بل ماسوى التصديق الجازم، حيث لم يثبت لهم من الإيمان إلا ما دخل القلب. ولا-ريب أن ما دخل القلب يحصل به الإطمئنان، ولا إطمئنان في الظن وشبهه لتجوز النقيض معه، فيكون الثبات والجزم معتبراً في الإيمان.

فإن قلت: قوله تعالى حكاية عن إبراهيم: أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ؟ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيُطْمِئِنَّ قَلْبِي، يدل على أن الجزم والثبات غير معتبر في الإيمان، وإلا لما أخبر عليه السلام عن نفسه بالإيمان، بقوله بلى مع أن قوله (وَلَكِنَّ لِيُطْمِئِنَّ قَلْبِي) يدل على أنه لم يكن مطمئناً فلم يكن جازماً. قلت: يمكن الجواب بأنه عليه السلام طلب العلم بطريق المشاهدة، ليكون العلم بإحياء الموتى حاصلاً له من طريق الأبصار والمشاهدة، ويكون المراد من اطمئنان قلبه عليه السلام استقراره وعدم طلبه لشيء آخر بعد المشاهدة، مع كونه موقناً بإحياء الموتى قبل المشاهدة. أيضاً وليس المراد أنه لم يكن متيقناً قبل الارائه، فلم يكن مطمئناً ليلزم تحقق الإيمان مع الظن فقط.

وأيضاً إنما طلب عليه السلام كيفية الأحياء، فخوطب بالإستفهام التقريري على الإيمان بالكيف الذى هو نفس الأحياء، لأن التصديق به مقدم على التصديق بالكيفية فأجاب عليه السلام بلى آمنت بقدره الله تعالى على الأحياء، لكنى أريد الإطلاع على كيفية الأحياء، ليطمئن قلبى بمعرفة تلك الكيفية الغريبة، البديعة، ولا ريب أن الجهل بمعرفة تلك الكيفية لا يضر بالإيمان، ولا يتوقف على معرفتها. وأما سؤال الله سبحانه عن ذلك مع كونه عالماً بالسرائر، فهو من قبيل خطاب المحب لحبيبه.

إن قلت: فما الجواب أيضاً عن قوله تعالى: وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا- وَهُمْ مُشْرِكُونَ، فإنه يفهم من الآية الكريمة وصف الكافر المشرك بالإيمان حال شركه، إذ الجملة الإسمية حالية، فضلاً عن الإكتفاء بالظن وما في حكمه في الإيمان، وهو ينافى اعتبار اليقين. قلت: لا، فإن الآية الكريمة إنما دلت على إخباره تعالى عنهم بالإيمان بالصانع والتصديق بوجوده، لكنهم لم يوحده في حالة تصديقهم به، بل اعتقدوا له شريكاً تعالى الله عما يشركون. وحينئذ فيجوز كونهم جازمين بوجود الصانع تعالى مع كونهم غير موحدين، فإن التوحيد مطلب آخر، فكفرهم كان كذلك، فلم يتحقق لهم الإيمان الشرعى بل الإيمان جزء منه، وهو غير كاف. على أنه يجوز أن يكون المراد من الإيمان المنسوب إليهم في الآية الكريمة التصديق اللغوى، وقد بينا سابقاً أنه أعم من الشرعى، وليس النزاع فيه بل في الشرعى. ويكون المعنى والله أعلم: وما يؤمن أكثرهم بلسانه إلا وهو مشرك بقلبه، أى حال إشرائه بقلبه، نعوذ بالله من الضلالة. ونسأله حسن الهداية. هذا ما تيسر لنا من المقال فى هذا المقام.

شرح المقاصد للتفتازانى: ١/٢٦٦

... الثالث: أنا لا نسلم أن المعرفة الكاملة لا تحصل إلا بالنظر، بل قد تحصل بالتعليم على ما يراه الملاحدة.. أو بقول المعصوم على ما يراه الشيعة...

المعرفة والعمل

اشتراط كل من المعرفة والعمل بالآخر

نهج البلاغة: ٤/٥٠

وسئل عليه السلام عن الإيمان فقال: الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان.

نهج البلاغة: ٢/٣٢

... وأنه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعظم، فإن رفعة الذين يعلمون ما عظمته أن يتواضعوا له، وسلامة الذين يعلمون ما قدرته أن

يستسلموا له.

الكافي: ١/٤٤

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن سنان، عن ابن مسكان، عن حسين الصيقل قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لا يقبل الله عملاً إلا بمعرفة ولا معرفة إلا بعمل، فمن عرف دلته المعرفة على العمل، ومن لم يعمل فلا معرفة له. ألا إن الإيمان بعضه من بعض.

الكافي: ٣٣-٢-٣٧

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن القاسم بن بريد قال: حدثنا أبو عمرو الزبيرى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أيها العالم أخبرني أي الأعمال أفضل عند الله؟ قال: ما لا يقبل الله شيئاً إلا به، قلت: وما هو؟ قال: الإيمان بالله الذي لا إله إلا هو، أعلى الأعمال درجة وأشرفها منزلة وأسانها حظاً، قال: قلت ألا تخبرني عن الإيمان أقول هو وعمل أم قول بلا عمل؟ فقال: الإيمان عمل كله والقول بعض ذلك العمل، بفرض من الله، بين في كتابه، واضح نوره، ثابتة حجته، يشهد له به الكتاب ويدعوه إليه. قال: قلت: صفة لي جعلت فداك حتى أفهمه.

قال: الإيمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل، فمنه التام المنتهى تمامه ومنه الناقص البين نقصانه ومنه الراجح الزائد رجحانه.

قلت: إن الإيمان ل يتم وينقص ويزيد؟

قال: نعم.

قلت: كيف ذلك؟

قال: لأن الله تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح ابن آدم وقسمه عليها وفرقه فيها، فليس من جوارحه جارحة إلا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها، فمنها قلبه الذي به يعقل ويفقه ويفهم وهو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح ولا تصدر إلا عن رأيه وأمره، ومنها عيناه اللتان يبصر بهما، وأذناه اللتان يسمع بهما، ويداه اللتان يبطش بهما، ورجلاه اللتان يمشى بهما، وفرجه الذي الباه من قبله، ولسانه الذي ينطق به، ورأسه الذي فيه وجهه. فليس من هذه جارحة إلا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها بفرض من الله تبارك اسمه، ينطق به الكتاب لها ويشهد به عليها.

ففرض على القلب غير ما فرض على السمع، وفرض على السمع غير ما فرض على العينين، وفرض على العينين غير ما فرض على اللسان، وفرض على اللسان غير ما فرض على اليدين، وفرض على اليدين غير ما فرض على الرجلين، وفرض على الرجلين غير ما فرض على الفرج، وفرض على الفرج غير ما فرض على الوجه.

فأما ما فرض على القلب من الإيمان فالإقرار والمعرفة والعقد والرضا والتسليم بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً، لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله صلوات الله عليه وآله، والإقرار بما جاء من عند الله من نبي أو كتاب، فذلك ما فرض الله على القلب من الإقرار والمعرفة وهو عمله، وهو قول الله عز وجل: «إِلَّا- مَنْ أْكْرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا».

وقال: «أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ».

وقال: «الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم».

وقال: «وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ».. فذلك ما فرض الله عز وجل على القلب من الإقرار والمعرفة وهو عمله وهو رأس الإيمان.

وفرض الله على اللسان القول التعبير عن القلب بما عقد عليه وأقر به، قال الله تبارك وتعالى: وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسِينًا، وقال: قُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ. فهذا ما فرض الله على اللسان، وهو عمله.

وفرض على السمع أن يتنزه عن الاستماع إلى ما حرم الله وأن يعرض عما لا يحل له مما نهى الله عز وجل عنه والأصغاء إلى ما أسخط الله عز وجل، فقال في ذلك: «وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيَسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ»، ثم استثنى الله عز وجل موضع النسيان فقال: «أَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ». وقال: فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ».

وقال عز وجل: «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ». وقال: «وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ».

وقال: «وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا». فهذا ما فرض الله على السمع من الإيمان أن لا- يصغى إلى ما لا- يحل له، وهو عمله وهو من الإيمان.

وفرض على البصر أن لا- ينظر إلى ما حرم الله عليه، وأن يعرض عما نهى الله عنه مما لا- يحل له، وهو عمله وهو من الإيمان، فقال تبارك وتعالى: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ، فَنهاهم أن ينظروا إلى عوراتهم وأن ينظر المرء إلى فرج أخيه ويحفظ فرجه أن ينظر إليه. وقال: وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ، من أن تنظر إحداهن إلى فرج أختها وتحفظ فرجها من أن ينظر إليها.

وقال: كل شئ في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزنا، إلا هذه الآية فإنها من النظر. ثم نظم ما فرض على القلب واللسان والسمع والبصر في آية أخرى فقال: «وَمَا كُنْتُمْ تَسْمِعُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ»، يعنى بالجلود: الفروج والافخاذ.

وقال: «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا». فهذا ما فرض الله على العينين من غض البصر عما حرم الله عز وجل، وهو عملهما وهو من الإيمان.

وفرض الله على اليدين أن لا- يبطش بهما إلى ما حرم الله، وأن يبطش بهما إلى ما أمر الله عز وجل، وفرض عليهما من الصدقة وصله الرحم والجهاد في سبيل الله والطهور للصلاة، فقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ». وقال: «فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثَخْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَمَا مَنَّا بَعْدَ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا». فهذا ما فرض الله على اليدين لأن الضرب من علاجهما.

وفرض على الرجلين أن لا يمشى بهما إلى شئ من معاصي الله، وفرض عليهما المشى إلى ما يرضى الله عز وجل فقال: «وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا»، وقال: «وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ»، وقال فيما شهدت الأيدي والأرجل على أنفسهما وعلى أربابهما من تضييعهما لما أمر الله عز وجل به وفرضه عليهما: «الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ».

فهذا أيضاً مما فرض الله على اليدين وعلى الرجلين وهو عملهما وهو من الإيمان.

وفرض على الوجه السجود له بالليل والنهار في مواقيت الصلاة فقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ». فهذه فريضة جامعة على الوجه واليدين والرجلين، وقال في موضع آخر: «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا».

وقال فيما فرض على الجوارح من الطهور والصلاة بها وذلك أن الله عز وجل لما صرف نبيه صلى الله عليه وآله إلى الكعبة عن البيت المقدس فأنزل الله عز وجل: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ»، فسمى الصلاة إيماناً فمن لقي الله عز وجل حافظاً لجوارحه موفياً كل جارحة من جوارحه ما فرض الله عز وجل عليها لقي الله عز وجل مستكماً لإيمانه، وهو من أهل الجنة. ومن خان في شئ منها أو تعدى ما أمر الله عز وجل فيها لقي الله عز وجل ناقص الإيمان.

قلت: قد فهمت نقصان الإيمان وتمامه، فمن أين جاءت زيادته.

فقال: قول الله عز وجل: «وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هِدْيَةٌ إِيْمَانًا فَآمَنَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ». وقال: «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاَهُمْ هُدًى»، ولو كان كله واحداً لا زيادة فيه ولا نقصان لم يكن لاحد منهم فضل على الآخر، ولا استوت النعم فيه ولا استوى الناس وبطل التفضيل. ولكن بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنة وبالزيادة في الإيمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله، وبالنقصان دخل المفرطون النار.

الكافي: ٢/٥٥٣

عنه، عن أبي إبراهيم عليه السلام دعاء في الرزق: يا الله يا الله يا الله، أسألك بحق من حقه عليك عظيم أن تصلى على محمد وآل محمد، وأن ترزقني العمل بما علمتني من معرفة حقك، وأن تبسط علي ما حظرت من رزقك.

دعائم الإسلام: ١/٥٢

... ثم قال أبو عبد الله جعفر بن محمد صلى الله عليه... وإنما يقبل الله عز وجل العمل من العباد بالفرائض التي افترضها عليهم بعد معرفة من جاء بها من عنده ودعاهم إليه، فأول ذلك معرفة من دعا إليه، وهو الله الذي لا إله إلا هو وحده، والإقرار بربوبيته، ومعرفة الرسول الذي بلغ عنه، وقبول ما جاء به، ثم معرفة الوصى ثم معرفة الأئمة بعد الرسل الذين افترض الله طاعتهم في كل عصر وزمان على أهله، والإيمان والتصديق بأول الرسل والأئمة وآخرهم. ثم العمل بما افترض الله عز وجل على العباد من الطاعات ظاهراً وباطناً، واجتناب ما حرم الله عز وجل عليهم ظاهره وباطنه، وإنما حرم الظاهر بالباطن، والباطن بالظاهر معاً جميعاً، والأصل والفرع، فباطن الحرام حرام كظاهره، ولا يسع تحليل أحدهما، ولا يجوز ولا يحل إباحة شيء منه، وكذلك الطاعات مفروض على العباد إقامتها، ظاهرها وباطنها، لا يجزى إقامة ظاهر منها دون باطن ولا باطن دون ظاهر، ولا تجوز صلاة الظاهر مع ترك صلاة الباطن، ولا صلاة الباطن مع ترك صلاة الظاهر. وكذلك الزكاة، والصوم والحج والعمرة، وجميع فرائض الله افترضها على عباده، وحرمانه وشعائره.

وسائل الشيعة: ١١/٢٦٠

وفي عيون الأخبار بأسانيده عن الفضل بن شاذان، عن الرضا عليه السلام في كتابه إلى المأمون قال: الإيمان هو أداء الأمانة، واجتناب جميع الكبائر، وهو معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان. إلى أن قال: واجتناب الكبائر وهي: قتل النفس التي حرم الله تعالى، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم ظلماً، وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به من غير ضرورة، وأكل الربا بعد البيئة، والسحت، والميسر وهو القمار، والبخس في المكيال والميزان، وقذف المحصنات، والزنا، واللواط، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، ومعونة الظالمين، والركون إليهم، واليمين الغموس، وحبس الحقوق من غير عسر، والكذب والكبر، والاسراف والتبذير، والخيانة، والإستخفاف بالحج، والمحاربة لأولياء الله، والإشتغال بالملاهي، والإصرار على الذنوب. ورواه ابن شعبة في (تحف العقول) مرسلًا نحوه.

وروت مصادر إخواننا السنة اقتران المعرفة والعمل عن علي عليه السلام، ففي كنز العمال: ١/٢٧٣، عن علي قال: سألت النبي صلى الله عليه وآله عن الإيمان ما هو؟ قال: معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان - أبو عمرو بن حمدان في فوائده.

وفي سنن ابن ماجه: ١/٢٥

حدثنا سهل بن أبي سهل ومحمد بن إسماعيل قالوا ثنا عبد السلام بن صالح أبو الصلت الهروي، ثنا علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله (ص): الإيمان معرفة بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأركان. قال أبو الصلت:

لوقرى هذا الإسناد على مجنون لبراً. انتهى ورواه البيهقي في شعب الإيمان: ١/٤٧ ورواه في كنز العمال: ١/٢٧٣، بعده روايات عن علي عليه السلام. ونحوه الجزري في أسنى المطالب: ١/١٢٥.

وفى مروج الذهب للمسعودي: ٤/١٧١

قال علي بن محمد بن علي بن موسى عن أبيه عن أجداده عن علي (رض) قال: قال رسول الله (ص): أكتب يا علي، قلت وما أكتب؟ قال لي: أكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. الإيمان ما قرته القلوب، وصدقته الأعمال، والإسلام ما جرى به اللسان، به المناكحة.

وفى إرشاد الساري: ١/٨٦-٨٧

الإيمان قول وفعل.. وهو موافق لقول السلف، اعتقاد بالقلب ونطق اللسان. وقال المتأخرون منهم الأشعري، ووافقهم ابن الراوندي من المعتزلة: هو تصديق الرسول (ص) بما علم مجيئه به....

إذا تقرر هذا فاعلم أن الإيمان (يزيد) بالطاعة (وينقص) بالمعصية كما عند المؤلف وغيره وأخرجه أبو نعيم... بل قال به من الصحابة عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب... ومن التابعين كعب الأحبار... وعمر بن عبدالعزيز... أما توقف مالك رحمه الله عن القول بنقصانه فخشيته أن يتأول عليه موافقة الخوارج.

افضل الأعمال بعد معرفة العقائد

الكافي: ٢/١٣٠ و ٣١٧: محمد بن مسلم بن عبيد الله قال سئل علي بن الحسين (عليهما السلام) أي الأعمال أفضل عند الله؟ قال: ما من عمل بعد معرفة الله عز وجل ومعرفة رسوله صلى الله عليه وآله أفضل من بغض الدنيا فإن لذلك لشعباً كثيرة، وللمعاصي شعب فأول ما عصى الله به الكبر، معصية إبليس حين أبى واستكبر وكان من الكافرين، ثم الحرص وهي معصية آدم وحواء (عليهما السلام) حين قال الله عز وجل لهما: فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ. فأخذوا ما لا حاجة بهما إليه، فدخل ذلك علي ذريتهما إلى يوم القيامة، وذلك أن أكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به إليه، ثم الحسد وهي معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله، فتشعب من ذلك حب النساء وحب الدنيا وحب الرئاسة وحب الراحة وحب الكلام وحب العلو والثروة، فصرن سبع خصال فاجتمعن كلهن في حب الدنيا، فقال الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك: حب الدنيا رأس كل خطيئة، والدنيا دنيا آن: دنيا بلاغ، ودنيا ملعونة. انتهى. ورواه في وسائل الشيعة: ١١/٣٠٨.

الكافي: ٣/٢٦٤

- حدثني محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن معاوية بن وهب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى ربهم وأحب ذلك إلى الله عز وجل ما هو؟ فقال: ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة، ألا ترى أن العبد الصالح عيسى ابن مريم عليه السلام قال: «وأوصاني بالصلاة والزكوة ما دمت حياً». انتهى. ورواه في وسائل الشيعة: ١/١٧ و ١١/٣٠٨.

اقل ما يجب، و أقصى ما يمكن، من المعرفة

الكافي: ١/٩١

محمد بن أبي عبد الله رفعه، عن عبد العزيز بن المهدي قال: سألت الرضا عليه السلام عن التوحيد، فقال: كل من قرأ قل هو الله احد وآمن بها فقد عرف التوحيد، قلت: كيف يقرؤها؟ قال: كما يقرؤها الناس وزاد فيه كذلك الله ربي، كذلك الله ربي.

الكافي: ١/٩١

أحمد بن ادريس، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، عن أبي أيوب، عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن اليهود سألو رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: أنسب لنا ربك، فلبث ثلاثاً لا يجيبهم ثم نزل: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، إلى آخرها.

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، ومحمد بن الحسين، عن ابن محبوب، عن حماد بن عمرو النصيبى، عن أبي عبد الله

عليه السلام قال: سألت أبا عبد الله عن قل هو الله أحد، فقال: نسبة الله إلى خلقه أحداً صمداً أزلياً صمدياً لا ظل له يمسكه وهو يمسك الأشياء بأظلتها، عارف بالمجهول، معروف عند كل جاهل، فردانياً، لا خلقه فيه ولا هو خلقه، غير محسوس ولا محسوس، لا تدركه الأبصار، علا فقرب ودنا فبعد، وعصى فغفر وأطيع فشكر، لا تحويه أرضه ولا تقفه سماواته، حامل الأشياء بقدرته، ديمومي أزلي، لا ينسى ولا- يلهو ولا- يغلط ولا يلعب، ولا لإرادته فصل وفصله جزاء وأمره واقع، لم يلد فيورث ولم يولد فيشارك، ولم يكن له كفواً أحد.

دعائم الإسلام: ١/١٣

وعنه صلوات الله عليه أنه قيل له: يا أمير المؤمنين ما أدنى ما يكون به العبد مؤمناً، وما أدنى ما يكون به كافراً، وما أدنى ما يكون به ضالاً؟

قال: أدنى ما يكون به مؤمناً أن يعرفه الله نفسه فيقر له بالطاعة، وأن يعرفه الله نبيه صلى الله عليه وآله فيقر له بالطاعة، وأن يعرفه الله حجته في أرضه وشاهده على خلقه فيعتقد إمامته فيقر له بالطاعة.

قيل: وإن جهل غير ذلك؟ قال: نعم ولكن إذا أمر أطاع وإذا نهى انتهى.

وأدنى ما يصير به مشركاً أن يتدين بشئ مما نهى الله عنه فيزعم أن الله أمر به، ثم ينصبه ديناً ويزعم أنه يعبد الذي أمر به وهو غير الله عزوجل. وأدنى ما يكون به ضالاً أن لا يعرف حجة الله في أرضه وشاهده على خلقه فيأتم به.

الرسائل للشيخ الأنصاري: ١/٢٧٥

وقد ذكر العلامة في الباب الحادي عشر فيما يجب معرفته على كل مكلف، من تفاصيل التوحيد والنبوة والإمامة والمعاد، أموراً لا دليل على وجوبها كذلك، مدعيّاً أن الجاهل بها عن نظر وإستدلال خارج عن ربة الإيمان مستحق للعذاب الدائم. وهو في غاية الإشكال. نعم يمكن أن يقال: إن مقتضى عموم وجوب المعرفة، مثل قوله تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، أى ليعرفون. وقوله (صلى الله عليه وآله): وما أعلم بعد المعرفة أفضل من هذه الصلوات الخمس، بناء على أن الأفضلية من الواجب، خصوصاً مثل الصلاة، تستلزم الوجوب.

وكذا عمومات وجوب التفقه في الدين الشامل للمعارف بقرينة استشهاد الإمام عليه السلام بها، لوجوب النفر لمعرفة الإمام بعد موت الإمام السابق عليه السلام وعمومات طلب العلم هو وجوب معرفة الله جل ذكره ومعرفة النبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام ومعرفة ما جاء به النبي (صلى الله عليه وآله) على كل قادر يتمكن من تحصيل العلم، فيجب الفحص حتى يحصل اليأس، فإن حصل العلم بشئ من هذه التفاصيل إعتقد وتدين به، وإلا توقف ولم يتدين بالظن لو حصل له.

ومن هنا قد يقال: إن الإشتغال بالعلم المتكفل لمعرفة الله ومعرفة أوليائه صلوات الله عليهم أهم من الإشتغال بعلم المسائل العلمية بل هو المتعين، لأن العمل يصح عن تقليد، فلا يكون الإشتغال بعلمه إلا كفايياً بخلاف المعرفة.

هذا، ولكن الإنصاف ممن جانب الاعتساف يقتضى الإذعان بعدم التمكن من ذلك إلا للأوحدى من الناس، لأن المعرفة المذكورة لا تحصل إلا بعد تحصيل قوة استنباط المطالب من الأخبار وقوة نظرية أخرى لثلا يأخذ بالأخبار المخالفة للبراهين العقلية، ومثل هذا الشخص مجتهد فى الفروع قطعاً، فيحرم عليه التقليد. ودعوى جوازه له للضرورة ليس بأولى من دعوى جواز ترك الإشتغال بالمعرفة التى لا تحصل غالباً بالأعمال المبتنية على التقليد.

هذا إذا لم يتعين عليه الإفتاء والمرافعة لأجل قلة المجتهدين. وأما فى مثل زماننا فالأمر واضح.

فلا تغتر حينئذ بمن قصر استعداده أو همته عن تحصيل مقدمات استنباط المطالب الإعتقادية الأصولية والعلمية عن الأدلة العقلية والنقلية، فتركها مبغضاً لها لأن الناس أعداء ما جهلوا، ويشغل بمعرفة صفات الرب جل ذكره وأوصاف حججه صلوات الله عليهم بنظر فى الأخبار لا يعرف به من ألفاظها الفاعل من المفعول، فضلاً عن معرفة الخاص من العام. وبنظر فى المطالب العقلية لا يعرف به

البديهيات منها، ويشغل في خلال ذلك بالتشنيع على حملة الشريعة العملية واستهزائهم بقصور الفهم وسوء النية، فيسأتهم أبناء ما كانوا به يستهزئون. هذا كله حال وجوب المعرفة مستقلاً.

وأما اعتبار ذلك في الإسلام أو الإيمان فلا دليل عليه، بل يدل على خلافه الأخبار الكثيرة المفسرة لمعنى الإسلام والإيمان. ففي رواية محمد بن سالم عن أبي جعفر عليه السلام المروية في الكافي: إن الله عز وجل بعث محمداً (صلى الله عليه وآله) وهو بمكة عشر سنين، ولم يمت بمكة في تلك العشر سنين أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، إلا أدخله الله الجنة بإقراره وهو إيمان التصديق.

فإن الظاهر أن حقيقة الإيمان التي يخرج الإنسان بها عن حد الكفر الموجب للخلود في النار لم تتغير بعد انتشار الشريعة. نعم ظهر في الشريعة أمور صارت ضرورية الثبوت من النبي (ص)، فيعتبر في الإسلام عدم إنكارها.

لكن هذا لا يوجب التغيير، فإن المقصود أنه لم يعتبر في الإيمان أزيد من التوحيد والتصديق بالنبي (صلى الله عليه وآله) وبكونه رسولاً صادقاً فيما يبلغ. وليس المراد معرفة تفاصيل ذلك، وإلا لم يكن من آمن بمكة من أهل الجنة أو كان حقيقة الإيمان بعد انتشار الشريعة غيرها في صدر الإسلام.

وفي رواية سليم بن قيس عن أمير المؤمنين عليه السلام: إن أدنى ما يكون به العبد مؤمناً أن يعرفه الله تبارك وتعالى إياه فيقر له بالطاعة، ويعرفه نبيه فيقر له بالطاعة، ويعرفه إمامه وحجته في أرضه وشاهده على خلقه فيقر له بالطاعة. فقلت له: يا أمير المؤمنين! وإن جهل جميع الأشياء إلا ما وصفت قال: نعم. وهي صريحة في المدعى.

وفي رواية أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جعلت فداك، أخبرني عن الدين الذي افترضه الله تعالى على العباد ما لا يسعهم جهله ولا يقبل منهم غيره، ما هو؟ فقال: أعده على، فأعاد عليه، فقال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً، وصوم شهر رمضان، ثم سكت قليلاً، ثم قال: والولاية والولاية، مرتين ثم قال: هذا الذي فرض الله عز وجل على العباد، لا يسأل الرب العباد يوم القيامة، فيقول: ألا زدتنى على ما افترضت عليك، ولكن من زاد زاده الله. إن رسول الله صلى الله عليه وآله سن سنة حسنة ينبغي للناس الأخذ بها.

ونحوها رواية عيسى بن السري، قلت لابي عبد الله عليه السلام: حدثني عما بنيت عليه دعائم الإسلام التي إذا أخذت بها زكى عملي....

وفي رواية أبي اليسع قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام: أخبرني عن دعائم الإسلام التي لا يسع أحداً التقصير عن معرفة شئ منها... (وقد أوردنا الروايتين في بحث معرفة الإمام)

وفي رواية إسماعيل: قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الدين الذي لا يسع العباد جهله فقال: الدين واسع، وإن الخوارج ضيقوا على أنفسهم بجهلهم.

فقلت: جعلت فداك أما أحدثك بديني الذي أنا عليه. فقال: بلى. قلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، والإقرار بما جاء به من عند الله، وأتولاكم وأبرأ من عدوكم ومن ركب رقابكم وتأمركم عليكم وظلمكم حركم. فقال: ما جهلت شيئاً. فقال: هو والله الذي نحن عليه. فقلت: فهل يسلم أحد لا يعرف هذا الأمر. قال: لا إلا المستضعفين. قلت: من هم قال: نساؤكم وأولادكم. قال: رأيت أم أيمن! فإني أشهد أنها من أهل الجنة، وما كانت تعرف ما أنتم عليه.

فإن في قوله (ما جهلت شيئاً) دلالة واضحة على عدم اعتبار الزائد في أصل الدين. والمستفاد من الأخبار المصرحة بعدم اعتبار معرفة أزيد مما ذكر فيها في الدين، وهو الظاهر أيضاً من جماعة من علمائنا الأخيار كالشهيدين في الألفية وشرحها، والمحقق الثاني في الجعفرية، وشارحها وغيرهم، وهو أنه يكفي في معرفة الرب التصديق بكونه موجوداً وواجب الوجود لذاته والتصديق بصفاته الثبوتية الراجعة إلى صفتي العلم والقدرة ونفي الصفات الراجعة إلى الحاجة والحدوث، وأنه لا يصدر منه القبيح فعلاً أو تركاً.

والمراد بمعرفة هذه الأمور ركوزها في اعتقاد المكلف، بحيث إذا سألته عن شيء مما ذكر أجب بما هو الحق فيه، وإن لم يعرف التعبير عنه بالعبارات المتعارفة على السنة الخواص.

ويكفي في معرفة النبي (صلى الله عليه وآله) معرفة شخصه بالنسب المعروف المختص به، والتصديق بنبوته وصدقه، فلا- يعتبر في ذلك الإعتقاد بعصمته، أعني كونه معصوماً بالملكه من أول عمر إلى آخره. قال في المقاصد العلية: ويمكن اعتبار ذلك، لأن الغرض المقصود من الرسالة لا يتم إلا به، فينتفي بالفائدة التي باعتبارها وجب إرسال الرسل. وهو ظاهر بعض كتب العقائد المصدرة بأن من جهل ما ذكره فيها فليس مؤمناً مع ذكرهم ذلك، والأول غير بعيد عن الصواب. انتهى.

أقول: والظاهر أن مراده ببعض كتب العقائد هو الباب الحادي عشر للعلامة قدس سره حيث ذكر تلك العبارة، بل ظاهره دعوى إجماع العلماء عليه.

نعم يمكن أن يقال: إن معرفة ما عدا النبوة واجبة بالاستقلال على من هو متمكن منه بحسب الاستعداد وعدم الموانع، لما ذكرنا من عمومات وجوب التفقه وكون المعرفة أفضل من الصلوات الواجبة، وأن الجهل بمراتب سفراء الله جل ذكره مع تيسر العلم بها تقصير في حقهم وتفريط في حبههم ونقص يجب بحكم العقل رفعه، بل من أعظم النقائص.

وقد أوما النبي (صلى الله عليه وآله) إلى ذلك حيث قال مشيراً إلى بعض العلوم الخارجة من العلوم الشرعية: إن ذلك علم لا يضر جهله. ثم قال: إنما العلوم ثلاثة، آية محكمة وفريضة عادلة وسنة قائمة، وما سواهن فهو فضل.

وقد أشار إلى ذلك رئيس المحدثين في ديباجة الكافي، حيث قسم الناس إلى أهل الصحة والسلامة وأهل المرض والزمانة، وذكر وضع التكليف عن الفرقة الأخيرة.

ويكفي في معرفة الأئمة صلوات الله عليهم، معرفتهم بنسبهم المعروف والتصديق بأنهم أئمة يهدون بالحق ويجب الإنقياد إليهم والأخذ منهم. وفي وجوب الزائد على ما ذكر من عصمتهم الوجهان. وقد ورد في بعض الأخبار تفسير معرفة حق الإمام بمعرفة كونه إماماً مفترض الطاعة.

ويكفي في التصديق بما جاء به النبي (صلى الله عليه وآله) التصديق بما علم مجيؤه به متواتراً من أحوال المبدأ والمعاد، كالتكليف بالعبادات والسؤال في القبر وعذابه والمعاد الجسماني والحساب والصراط والميزان والجنة والنار إجمالاً، مع تأمل في اعتبار معرفة ما عدا المعاد الجسماني من تلك الأمور في الإيمان المقابل للكفر الموجب للخلود في النار، للأخبار المتقدمة المستفيضة والسيرة المستمرة، فإننا نعلم بالوجدان جهل كثير من الناس بها من أول البعث إلى يومنا هذا. ويمكن أن يقال: إن المعتبر هو عدم إنكار هذه الأمور وغيرها من الضروريات، لا وجوب الإعتقاد بها، على ما يظهر من بعض الأخبار، من أن الشاك إذا لم يكن جاحداً فليس بكافر. ففي رواية زرارة عن أبي عبدالله عليه السلام: لو أن العباد إذا جهلوا وقفوا ولم يجحدوا لم يكفروا. ونحوها غيرها. ويؤيدها ما عن كتاب الغيبة للشيخ قدس سره بإسناده عن الصادق عليه السلام: إن جماعة يقال لهم الحقيّة، وهم الذين يقسمون بحق على ولا يعرفون حقه وفضله، وهم يدخلون الجنة.

وبالجملة، فالقول بأنه يكفي في الإيمان الإعتقاد بوجود الواجب الجامع للكلمات المنزهة عن النقائص ونبوة محمد (صلى الله عليه وآله) وإمامة الأئمة عليهم السلام والبراءة من أعدائهم، والإعتقاد بالمعاد الجسماني الذي لا ينفك غالباً عن الإعتقادات السابقة غير بعيد، بالنظر إلى الأخبار والسيرة المستمرة.

وأما التدين بسائر الضروريات ففي اشتراطه، أو كفاية عدم إنكارها، أو عدم اشتراطه أيضاً، فلا يضر إنكارها إلا مع العلم بكونها من الدين وجوه، أقواها الأخير ثم الأوسط. وما استقر بناه في ما يعتبر في الإيمان وجدته بعد ذلك في كلام محكي عن المحقق الورع الأردبيلي في شرح الإرشاد.

نعم يجب تحصيل العلم في بعض الإعتقادات لو أمكن، من باب وجوب المعرفة لنفسها كمعرفة الواجب تعالى وصفاته، أداء لشكر بعض نعمائه، ومعرفة أنبيائه فإنهم وسائط نعمه وآلائه، بل وكذا معرفة الإمام عليه السلام على وجه صحيح، فالعقل يستقل بوجود معرفة النبي ووصيه لذلك، وإلحتمال الضرر في تركه.

ولا يجب عقلاً معرفة غير ما ذكر، إلا ما وجب شرعاً معرفته كمعرفة الإمام عليه السلام على وجه آخر غير صحيح، أو أمر آخر مما دل الشرع على وجوب معرفته، وما لا- دلالة على وجوب معرفته بالخصوص، لا- من العقل ولا من النقل، كان أصله البراءة من وجوب معرفته محكمة. ولا دلالة لمثل قوله تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ.. الآية، ولا لقوله صلى الله عليه وآله: وما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلوات الخمس. ولا- لما دل على وجوب التفقه وطلب العلم من الآيات والروايات على وجوب معرفته بالعموم، ضرورة أن المراد من (ليعبدون) هو خصوص عبادة الله ومعرفته، والنسب إنما هو بصدد بيان فضيلة الصلوات لا بيان حكم المعرفة، فلا إطلاق فيه أصلاً. ومثل آية النفر، إنما هو بصدد بيان الطريق المتوسل به إلى التفقه الواجب، لا بيان ما يجب فقعه ومعرفته، كما لا يخفى. وكذا ما دل على وجوب طلب العلم إنما هو بصدد الحث على طلبه لا بصدد بيان ما يجب العلم به.

ثم إنه لا- يجوز الإكتفاء بالظن فيما يجب معرفته عقلاً أو شرعاً حيث أنه ليس بمعرفة قطعاً، فلا بد من تحصيل العلم لو أمكن، ومع العجز عنه كان معذوراً إن كان عن قصور لغفلة أو لغموضه المطلب مع قلة الإستعداد، كما هو المشاهد في كثير من النساء بل الرجال، بخلاف ما إذا كان عن تقصير في الإجتهد، ولو لأجل حب طريقة الآباء والأجداد واتباع سيرة السلف، فإنه كالجلبى للخلف، وقلما عنه تخلف. ولا يصغى إلى ما ربما قيل: بعدم وجود القاصر فيها، لكنه إنما يكون معذوراً غير معاقب على عدم معرفة الحق، إذا لم يكن يعانده بل كان ينقاد له على إجماله لو احتمله.

حاشية السيد البروجردى على كفاية الأصول: ٢/١٩٣

فصل. إنما الثابت بمقدمات دليل الإنسداد في الأحكام هو حجية الظن فيها، لا حجيتها في تطبيق المأثى به في الخارج معها، فيتبع مثلاً في وجوب صلاة الجمعة يومها، لا في إتيانها، بل لا بد من علم أو علمى بإتيانها، كما لا يخفى. نعم ربما يجرى نظير مقدمة الإنسداد في الأحكام في بعض الموضوعات الخارجية، من إنسداد باب العلم به غالباً، وإهتمام الشارع به بحيث علم بعدم الرضا بمخالفة الواقع بإجراء الأصول فيه مهما أمكن، وعدم وجوب الإحتياط شرعاً أو عدم إمكانه عقلاً، كما في موارد الضرر المردد أمره بين الوجوب والحرمة مثلاً، فلا محيص عن اتباع الظن حينئذ أيضاً، فافهم.

خاتمة: يذكر فيها أمران استطراداً:

الأول: هل الظن كما يتبع عند الإنسداد عقلاً- في الفروع العملية، المطلوب فيها أولاً- العمل بالجوارح، يتبع في الأصول الإعتقادية المطلوب فيها عمل الجوانح من الإعتقاد به وعقد القلب عليه وتحمله والإنقياد له، أو لا. الظاهر لا، فإن الأمر الإعتقادي وإن أنسد باب القطع به، إلا أن باب الإعتقاد إجمالاً- بما هو واقعه والإنقياد له وتحمله- غير منسد، بخلاف العمل بالجوارح فإنه لا يكاد يعلم مطابقتها مع ما هو واقعه إلا بالإحتياط، والمفروض عدم وجوبه شرعاً، أو عدم جوازه عقلاً، ولا أقرب من العمل على وفق الظن. وبالجملة: لا موجب مع إنسداد باب العلم في الإعتقادات لترتيب الأعمال الجوانحية على الظن فيها، مع إمكان ترتيبها على ما هو الواقع فيها، فلا يتحمل إلا لما هو الواقع، ولا ينقاد إلا له، لا لما هو مضمونه، وهذا بخلاف العلميات، فإنه لا محيص عن العمل بالظن فيها مع مقدمات الإنسداد.

نعم يجب تحصيل العلم في بعض الإعتقادات لو أمكن، من باب وجوب المعرفة لنفسها، كمعرفة الواجب تعالى وصفاته أداء لشكر بعض نعمائه، ومعرفة أنبيائه، فإنهم وسائط نعمه وآلائه، بل وكذا معرفة الإمام عليه السلام على وجه صحيح، فالعقل يستقل بوجود معرفة النبي ووصيه لذلك، وإلحتمال الضرر في تركه، ولا يجب عقلاً معرفة غير ما ذكر، إلا ما وجب شرعاً معرفته، كمعرفة الإمام عليه السلام على وجه آخر غير صحيح، أو أمر آخر مما دل الشرع على وجوب معرفته، وما لا دلالة على وجوب معرفته بالخصوص، لا

من العقل ولا من النقل، كان أصالة البراءة من وجوب معرفته محكمة.

ولا دلالة لمثل قوله تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ.. الآية، ولا لقوله صلى الله عليه وآله: وما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلوات الخمس، ولا لما دل على وجوب التفقه وطلب العلم من الآيات والروايات على وجوب معرفته بالعموم، ضرورة أن المراد من (ليعبدون) هو خصوص عبادة الله ومعرفته، والنبوي إنما هو بصدد بيان فضيلة الصلوات لا بيان حكم المعرفة، فلا إطلاق فيه أصلاً، ومثل آية النفر إنما هو بصدد بيان الطريق المتوسل به إلى التفقه الواجب، لا بيان ما يجب فقهه ومعرفته كما لا يخفى، وكذا ما دل على وجوب طلب العلم إنما هو بصدد الحث على طلبه، لا بصدد بيان ما يجب العلم به.

ثم إنه لا يجوز الإكتفاء بالظن فيما يجب معرفته عقلاً أو شرعاً، حيث أنه ليس بمعرفة قطعاً، فلا بد من تحصيل العلم لو أمكن، ومع العجز عنه كان معذوراً إن كان عن قصور لغفلة أو لغموضه المطلب مع قلة الإستعداد، كما هو المشاهد في كثير من النساء بل الرجال، بخلاف ما إذا كان عن تقصير في الإجتهد، ولو لاجل حب طريقة الآباء والأجداد واتباع سيرة السلف، فإنه كالجبلي، وقلما عنه تخلف.

والمراد من المجاهدة في قوله تعالى: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا، بتخليتها عن الرذائل وتحليتها بالفضائل، وهي التي كانت أكبر من الجهاد، لا النظر والإجتهد، وإلا لأدى إلى الهداية، مع أنه يؤدي إلى الجهالة والضلالة، إلا إذا كانت هناك منه تعالى عناية، فإنه غالباً بصدد إثبات أن ما وجد آباءه عليه هو الحق، لا بصدد الحق، فيكون مقصراً مع اجتهاده ومؤاخذاً إذا أخطأ على قطعه واعتقاده.

ثم لا إستقلال للعقل بوجوب تحصيل الظن مع اليأس عن تحصيل العلم، فيما يجب تحصيله عقلاً لو أمكن، لو لم نقل باستقلاله بعدم وجوبه بل بعدم جوازه، لما أشرنا إليه من أن الأمور الإعتقادية مع عدم القطع بها أمكن الإعتقاد بما هو واقعها والإنقياد لها، فلا إلجاء فيها أصلاً إلى التزل إلى الظن فيما انسد فيه باب العلم، بخلاف الفروع العملية كما لا يخفى.

وكذلك لا دلالة من النقل على وجوبه فيما يجب معرفته مع الامكان شرعاً، بل الأدلة الدالة على النهي عن اتباع الظن، دليل على عدم جوازه أيضاً.

وقد انقدح من مطاوى ما ذكرنا أن القاصر يكون في الإعتقادات للغفلة، أو عدم الإستعداد للإجتهد فيها، لعدم وضوح الأمر فيها بمثابة لا يكون الجهل بها إلا عن نقص كما لا يخفى، فيكون معذوراً عقلاً.

ولا يصغى إلى ما ربما قيل بعدم وجود القاصر فيها، لكنه إنما يكون معذوراً غير معاقب على عدم معرفة الحق، إذا لم يكن يعانده، بل كان ينقاد له على إجماله لو احتمله.

حقائق الأصول: ٢/٢١١

قوله: فإن الأمر الإعتقادي، يعني أن العمل على الظن في الأصول الإعتقادية يتوقف على تميم مقدمات الإسداد فيها وهو غير ممكن إذ منها عدم إمكان الإحتياط الموجب للدوران بين الأخذ بالطرف المظنون والموهوم، وبقاعدة قبح ترجيح المرجوح يتعين الأول، وفي المقام لا مجال للدوران المذكور لإمكان الإعتقاد بها إجمالاً على ما هي عليه واقعاً، إلا أن يدعى وجوب الإعتقاد بها تفصيلاً حتى في حال الجهل، فإنه حيث لا يمكن العلم بها لا بد من سلوك الظن لأنه أقرب إلى الواقع، لكن لا بد من الإلتزام بالكشف إذ لو لم تكشف المقدمات عن كون الظن حجة شرعاً كان الإعتقاد المطابق له تشريعاً محرماً عقلاً، فتأمل جيداً.

إلا أن دعوى وجوب الإعتقاد تفصيلاً مطلقاً لا دليل عليها من عقل أو شرع فلاحظ.

قوله: كمعرفة الواجب تعالى، لا ريب ظاهراً في وجوب هذه المعارف وإنما الخلاف في وجوبها عقلاً أو شرعاً، فالمحكي عن العدالة الأول، وعن الأشاعرة الثاني، والخلاف في ذلك منهم مبنى على الخلاف في ثبوت قاعدة التحسين والتقبيح العقليين، فعلى القول بها - كما هو مذهب الأولين - تكون واجبة عقلاً لأن شكر المنعم ودفع الخوف عن النفس واجبان وهما يتوقفان على المعرفة وما يتوقف

عليه الواجب واجب، وظاهر تقرير هذا الدليل كون وجوب المعرفة غيرى، والمصنف رحمه الله جعل وجوبها نفسياً بناءً منه على كون المعرفة بنفسها شكراً، فإذا كان الشكر واجباً عقلاً لكونه حسناً بنفسه كانت المعرفة بنفسها واجبةً لا أنها مقدمة لواجب، ولذا قال فى تعليل وجوبها: أداء لشكر بعض... الخ.

نعم لو كان الشكر واجباً من باب وجوب دفع الضرر كان وجوبه غيرياً فيكون وجوب المعرفة حينئذ غيرياً، بل لو قلنا حينئذ بأن وجوب دفع الضرر ليس عقلياً بل فطرياً كان وجوبها فطرياً غيرياً لا عقلياً لا نفسياً ولا غيرياً.

والإنصاف يقتضى التأمل فى وجوب الشكر لنفسه وإن كان حسناً لأن حسنه لا يلزم وجوبه، نعم هو واجب من باب وجوب دفع الضرر المحتمل، فيكون وجوب المعرفة غيرياً لا نفسياً. وأما كونه عقلياً أو فطرياً فقد عرفت فيما سبق تحقيقه. فلاحظ.

ثم إنه قد يتوهم كون وجوب المعرفة غيرياً من جهة توقف الاعتقاد عليها، لكنه إنما يتم لو كان الاعتقاد واجباً تفصيلاً مطلقاً غير مشروط بالمعرفة مع توقفه على المعرفة، وقد عرفت الإشكال فى الأول، كما يمكن منع الثانى لإمكان تحقق الاعتقاد بلا معرفة غاية الأمر أنه تشريع محرم عقلاً لكن تحريمه كذلك لا يقتضى وجوب المعرفة. نعم لو كان الواجب عقلاً هو الاعتقاد عن معرفة كانت واجبةً لغيرها لكنه أول الكلام.

قوله: فإنهم وسائط، يعنى فتكون معرفتهم أداء للشكر الواجب، وكذا معرفة الإمام عليه السلام على وجه صحيح (هامش: وهو كون الإمامة كالنبوة منصباً إلهياً يحتاج إلى تعيينه تعالى ونصبه لا أنها من الفروع المتعلقة بأفعال المكلفين وهو الوجه الآخر منه (قدس سره)، فالعقل يستقل بوجوب معرفة النبي ووصيه لذلك ولا احتمال الضرر فى تركه، ولا يجب عقلاً معرفة غير ما ذكر إلا ما وجب شرعاً معرفته - كمعرفة الإمام عليه السلام - على وجه آخر غير صحيح أو أمر آخر مما دل الشرع على وجوب معرفته، وما لا دلالة على وجوب معرفته بالخصوص لا من العقل ولا من النقل كان أصالة البراءة من وجوب معرفته محكمة، ولا دلالة لمثل قوله تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ، الآية ولا لقوله (صلى الله عليه وآله): وما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلوات الخمس، ولا لما دل على وجوب التفقه وطلب العلم من الآيات والروايات على وجوب معرفته بالعموم أن المراد من: ليعبدون، هو خصوص عبادة الله ومعرفته والنبوى إنما هو بصدد بيان فضيلة الصلوات لا بيان حكم المعرفة فتجب.

قوله: وكذا معرفة الإمام عليه السلام، يعنى واجبةً لنفسها لأن الإمامة كالنبوة من المناصب الإلهية فيكون الإمام عليه السلام من وسائط النعم فتجب معرفته كمعرفة النبي (صلى الله عليه وآله) وهذا هو الوجه الصحيح....

نهاية الافكار: ٢/١٨٨

أما المقام الأول، فلا ينبغى الإشكال فى وجوب تحصيل معرفة الواجب تعالى ومعرفة ما يرجع إليه من صفات الجمال والجلال، ككونه واحداً قادراً عالماً مريداً حياً غنياً لم يكن له نظير ولا شبيه، ولم يكن بجسم ولا مرئى ولا له حيز ونحو ذلك.. كما لا إشكال أيضاً فى كون الوجوب المزبور نفسياً، لأن المعرفة بالمبدأ سبحانه هى الغاية القصوى والغرض الأصلى من خلق العباد وبعث الرسل كما ينبى عنه قوله سبحانه: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، حيث أن حقيقة العبودية هى المعرفة ولا ينافى ذلك مقدميتها لواجب آخر عقلى أو شرعى كالتدين والإنقياد ونحوه. ثم إن عمدة الدليل على وجوب المعرفة إنما هو حكم العقل الفطرى واستقلاله بوجوب تحصيل المعرفة بالمبدأ تعالى على كل مكلف بمناط شكر المنعم باعتبار كونها من مراتب أداء شكره فيجب بحكم العقل تحصيل المعرفة به سبحانه، وبما يرجع إليه من صفات الجمال والجلال، بل ويجب أيضاً معرفة أنبيائه ورسله وحججه الذين هم وسائط نعمه وفيضه.

وإلا فمع الأغماض عن هذا الحكم العقلى الفطرى لا تجدى الأدلة السمعية كتاباً وسنة من نحو قوله سبحانه: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، لعدم تمامية مثل هذه الاستدلالات للجاهل بهما لا إزاماً ولا إقناعاً، لأن دليليهما فرع الاعتقاد بهما وبكلامهما، وحينئذ فالعمدة فى الدليل على الوجوب هو حكم العقل الفطرى.

نعم بعد تحصيل المعرفة بالمبدأ ووسائط نعمه بحكم العقل، لا بأس بالإستدلال بالكتاب والسنة لإثبات وجوب المعرفة لما عداها في فرض تامة إطلاع تلك الأدلة من حيث متعلق المعرفة، وإلا فبناء على عدم إطلاقها من هذه الجهة فلا مجال للتمسك بها أيضاً. ثم إنه مما ذكرنا ظهر الحال في المقام الثاني، حيث أنه بعد ما وجب تحصيل المعرفة بالواجب تعالى ووسائط نعمه يجب بحكم العقل الإعتقاد وعقد القلب والانقياد له سبحانه، لكون مثله أيضاً من مراتب أداء شكره الواجب عليه. بل الظاهر أن وجوب ذلك أيضاً كوجوب أصل المعرفة مطلق غير مشروط بحصول العلم من الخارج، فيجب عليه حينئذ تحصيل العلم مقدمة للإنقياد الواجب. هذا كله بالنسبة إلى أصل وجوب المعرفة، وأما المقدار الواجب منها فإنما هو المعرفة بالمبدأ جل شأنه وبوحدانيته وبما يرجع إليه من صفات الجمال والجلال، وكذا معرفة أنبيائه ورسله وحججه الذين هم وسائط نعمه وفيضه، وكذلك الحشر والنشر ولو بنحو الاجمال. وأما ما عدا ذلك كتفاصيل التوحيد وكيفية علمه وإرادته سبحانه، وتفصيل المحشر وخصوصياته، وأن الميزان والصرط بأي كيفية، ونحو ذلك فلا يجب تحصيل العلم ولا الإعتقاد بها بتلك الخصوصيات.

نعم في فرض حصول العلم بها من الخارج يجب الإعتقاد وعقد القلب بها. فوجوب الإعتقاد بخصوصيات الأمور المزبورة إنما كان مشروطاً بحصول العلم بها من باب الإنفاق، لا- أن وجوبها مطلق حتى يجب تحصيل العلم بها من باب المقدمة. نعم الواجب على المكلف هو الإعتقاد الإجمالي بما هو الواقع ونفس الأمر فيعتقد وينقاد بتلك الأمور على ما هي عليها في الواقع ونفس الأمر. ومن هذا البيان ظهر الحال في المقام الثالث أيضاً، فإن مقتضى الأصل فيما عدا المقدار المزبور هو عدم وجوب تحصيل المعرفة زائداً على المقدار الذي يستقل العقل بوجوب تحصيله، إلا ما ثبت من الخارج وجوب الإعتقاد به من ضرورة ونحوه كالمعاد الجسماني. وأما الإستدلال على وجوب المعرفة بتفاصيل الأمور المزبورة بما ورد من الأدلة النقلية كتاباً وسنة كقوله سبحانه: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، وعموم آية النفر، وقوله عليه السلام: لا أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من الصلوات الخمس، وقوله: طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، فيدفعه مضافاً إلى قضاء العادة بامتناع حصول المعرفة بما ذكر إلا للأوحدى من الناس، أنه لا إطلاق لها من حيث متعلق المعرفة لأنها بين ما كان في مقام بيان فضيلة الصلاة والحث والترغيب إليها لا في مقام بيان حكم المعرفة، وبين ما كان بصدد إثبات أصل وجوب المعرفة بالمبدأ ورسله وحججه لا في مقام وجوبها على الإطلاق، حتى بالنسبة إلى التفاصيل المزبورة. وعليه فعند الشك لا بد من الرجوع إلى الأصل المقتضى لعدم وجوبها.

نعم حيث قلنا بعدم وجوب تحصيل المعرفة في الزائد عن المقدار المعلوم فليس له إنكاره والحجد به، إذ لا يستلزم عدم وجوب المعرفة بشئ جواز إنكاره، بل ربما يكون إنكاره حراماً عليه، بل موجباً لكفره إذا كان من الضروريات، لما يظهر منهم من التسالم على كفر منكر ضروري الدين كالمعراج والمعاد الجسماني ونحوهما. فلا بد لمثل هذا الشخص حينئذ من الإعتقاد إجمالاً بما هو الواقع.

شرح المواقف للجرجاني: ٨/١٠٥

... والجواب منع التكليف بكمال معرفته إذ هو أى التكليف بقدر وسعنا فنحن مكلفون بأن نعرف من صفاته ما يتوقف تصديق النبي عليه السلام على العلم به لا- بمعرفة صفات أخرى. أو بأن نقول سلمنا تكليفنا بكمال معرفته لكن لا يلزم من التكليف به حصوله من جميع المكلفين بل ربما يعرفه معرفة كاملة بعض منهم كالأنبياء والكاملين من أتباعهم....
فإن قلت: مرادهم أنا مكلفون بكمال معرفة ممكنة، وقد لا يسلمون كون معرفته تعالى بالكنه ممكنة.

قلت: لو سلم فعله تعالى صفة لا يمكن لنا معرفتها أيضاً فلا يتجه لهم بما ذكره نفى صفة غير السمع بالكلية، فتأمل.
قوله: فنحن مكلفون إلى آخره.. هذا مترتب على منه التكليف بكمال المعرفة، ثم الترتب باعتبار الأخبار نظيره الفاء في قوله تعالى: وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ، أى إذا كان التكليف بكمال المعرفة ممنوعاً فأخبركم أنا مكلفون بكذا لا بكذا، وحينئذ لا يرد أن مثل السمع والبصر والكلام داخل تحت الوسع، فيقتضى قوله إذ هو بقدر وسعنا أن نكون مكلفين بمعرفته أيضاً مع أن التفرغ يقتضى عدم التكليف بها، إذ لا يتوقف تصديق النبي عليه السلام على شئ منها، فتدبر.

المعرفة لا تتوقف على علم الكلام

مستدرک الوسائل: ١/١٦١

فقه الرضا عليه السلام: إياك والخصومة فإنها تورث الشك وتحبط العمل، وتردى صاحبها، وعسى أن يتكلم بشئ لا يغفر له. ونروى: إنه كان فيما مضى قوم انتهى بهم الكلام إلى الله عز وجل فتحيروا، فإن كان الرجل ليدعى من بين يديه فيجيب من خلفه. وأروى: تكلموا فيما دون العرش، فإن قوماً تكلموا في الله عز وجل فتأهوا. وأروى عن العالم: وسألته عن شئ من الصفات فقال: لا تتجاوز ما في القرآن. وأروى: إنه قرى بين يدي العالم عليه السلام قوله: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ، فقال: إنما عنى أبصار القلوب وهي الأوهام، فقال: لا تدرك الأوهام كيفيته، وهو يدرك كل وهم، وأما عيون البشر فلا تلحقه، لأنه لا يحل فلا يوصف. هذا ما نحن عليه كلنا.

رسائل الشهيد الثاني: ٢/١٧٤

التوحيد على ثلاثة أقسام:

الأول: توحيد الذات ونفى الشريك في واجب الوجود.

الثاني: بحسب الصفات هو نفى الصفة الموجودة القائمة بذاته تعالى.

الثالث: توحيدته تعالى بحسب العبودية وتخصيص العبادة له جل جلاله.

والعمدة في الاستدلال على الأول قوله تعالى: لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا. والدليل على الثاني والثالث قوله تعالى: وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا، وقول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: إن أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيدته، وكمال توحيدته الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفى الصفات عنه، بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله. صدق ولي الله عليه السلام. وروى محمد بن أبي عمير عن الكاظم عليه السلام حين سأله عن التوحيد؟ فقال: يا أبا أحمد لا تجاوز في التوحيد عما ذكره الله تعالى في كتابه فتهلك.

وسائر صفاته الثبوتية المذكورة في القرآن، مصرحة بواجب الوجود، وهو دليل على نفى الصفات السلبية، لإستلزامها الامكان المضاد للوجوب. وباقي الأصول من النبوة والإمامة والمعاد الجسماني مستفاد من الكتاب العزيز والسنة النبوية والإمامية، بحيث لا مزيد عليها. فظهر أن تحصيل الإيمان لا يتوقف على تعلم علم الكلام ولا المنطق، ولا غيرها من العلوم المدونة، بل يكفي مجرد الفطرة الإنسانية على اختلاف مراتبها، والتنبيهات الشرعية من الكتاب والسنة المتواترة أو الشائعة المشهورة، بحيث يحصل من العلم بها العلم بالمسائل المذكورة. وكل ممكن برهان، وكل آية حجة، وكل حديث دليل، وفهم المقصود استدلال، وكل عاقل مستدل، وإن لم يعلم الصغرى ولا الكبرى ولا التالي ولا المقدم، بهذه العبارات والقانونات والإصطلاحات.

رسائل الشهيد الثاني: ٢/١٧٤

الباب السادس، في الكلام على تعلم علم الكلام، واعلم أنه علم إسلامي وضعه المتكلمون لمعرفة الصانع وصفاته العليا، وزعموا أن الطريق منحصر فيه وهو أقرب الطرق. والحق أنه أبعد وأصعب وأكثرها خوفاً وخطراً، ولذلك نهى النبي صلى الله عليه وآله عن الغور فيه، حيث روى أنه مر على شخصين متباحثين على مسألة، كالقضاء والقدر، فغضب صلى الله عليه وآله حتى احمرت وجنتاه. وروى هارون بن موسى التلعكبري أستاذ شيخنا المفيد قدس سرهما، عن عبدالله ابن سنان قال: أردت الدخول على أبي عبدالله عليه السلام، فقال لي مؤمن الطاق، استأذن لي على أبي عبدالله عليه السلام، فقلت: نعم، فدخلت عليه فاعلمته مكانه، فقال عليه السلام: يا ابن سنان لا تأذن له على، فإن الكلام والخصومات يفسدان النية وتمحق الدين.

وعن عاصم بن حميد الحنات عن أبي عبيدة الحذاء قال: قال لى أبو جعفر عليه السلام وأنا عنده: إياك وأصحاب الكلام والخصومات ومجالستهم، فإنهم تركوا ما أمروا بعلمه وتكلفوا ما لم يؤمروا بعلمه حين تكلفوا أهل أبناء السماء. يا أبا عبيدة خالط الناس بأخلاقهم وزائلهم فى أعمالهم، يا أبا عبيدة إنا لا نعد الرجل فقيهاً عالمًا حتى يعرف لحن القول، وهو قوله تعالى: وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ. وعن جميل بن دراج قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: متكلموا هذه الأمة من شرار أمتى ومن هم منهم. وعنه عليه السلام: يهلك أهل الكلام وينجو المسلمون.

وورد فى موضع آخر: إن شر هذه الأمة المتكلمون. وروى أن يونس قال للصادق عليه السلام: جعلت فداك إنى سمعت أنك تنهى عن الكلام تقول: ويل لأصحاب الكلام. فقال عليه السلام: إنما قلت ويل لهم إن تركوا ما أقول وذهبوا إلى ما يقولون.

أقول: يمكن أن يكون هذا إشارة إلى أنهم تركوا التشبيهاً كما عرفت الواردة فى القرآن والآثار النبوية والإمامية صلوات الله عليهم، وعدلوا عنها إلى خيالاتهم الفاسدة وحكاياتهم الباردة، المذكورة فى الكتب الكلامية.

قال سيد المحققين رضى الدين على بن طاووس قدس سره: مثل مشائخ المعتزلة فى تعليمهم معرفة الصانع، كمثل شخص أراد أن يعرف غيره النار، فقال: يا هذا معرفتها تحتاج إلى أسباب: أحدها الحجر ولا يوجد إلا طريق مكة. والثانى الحديد وصفته كذا وكذا. والثالث حراق على هذه الصفة. والرابع مكان خال عن شدة الهواء، فأخذ المسكين فى تحصيل هذه الأسباب.

ولو قال له فى أول الحال: إن هذه الجسم المضى الذى تشاهده هو النار التى تطلبها لأراح واستراح. فمثل هذا العالم حقيق أن يقال إنه قد أضل، ولا يقال إنه قد هدى، أو عدل بالخلاتق (فى معرفة الخالق) إلى تلك الطرائق الضيقة البعيدة، وضيق عليهم سبيل الحقيقة، كما عدل من أراد تعريف النار المعلومة بالإضطرار إلى استخراجها من الأخبار.

أقول: هذا حال الكلام الذى كان فى أول الإسلام، ولا شك أنه ما كان بهذه المثابة من البحث والخصومة، فما ظنك بهذه المباحثات والخصومات الشائعة فى زماننا. وليت شعرى أن هؤلاء الجماعة هل لهم دليل عقلى ونقل على وجوبه واستحبابه؟ أو مجرد تقليد آباءهم وأسلافهم، وأنهم على آثارهم لمقتدون. وأنهم هل يقرون بإيمان السابقين أو ينكرونه؟ وهل يعترفون بإيمان العوام الغافلين عنه أو لا- يعترفون؟ فإن أقرروا واعترفوا فما فائدته؟ وإلا فكيف يعاشرونهم بالرطوبات؟ مع اعتقادهم بأن عدم المعرفة بالأصول كفر والكافر نجس. وكيف يجوز الإشتغال بالواجب مع استلزامه ترك ما هو أوجب؟ فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى كانوا يوعدون.

و يكفى الدليل الاجمالى فى المعرفة

الاقتصاد للشيخ الطوسى ١٥/

فإن قيل: قد ذكرتم أنه يخرج الإنسان عن حد التقليد بعلم الجملة، ما حد ذلك بينوه لنقف عليه؟ قلنا: أحوال الناس تختلف فى ذلك: فمنهم من يكفيه الشئ اليسير، ومنهم من يحتاج إلى أكثر منه بحسب ذكائه وفطنته وخاطره، حتى يزيد بعضهم على بعض إلى أن يبلغ إلى حد لا يجوز له الإقتصار على علم الجملة بل يلزمه على التفصيل لكثرة خواطره وتواتر شبهاته. وليس يمكن حصر ذلك لشئ لا يمكن الزيادة عليه ولا النقصان عنه.

فإن قيل: فعلى كل حال بينوا لذلك مثلاً على وجه التقريب. قلنا: أما على وجه التقريب فإننا نقول: من فكر فى نفسه فعلم أنه لم يكن موجوداً ثم وجد نطفه ثم صار علقه ثم مضغه ثم عظماً ثم جنيناً فى بطن أمه ميتاً ثم صار حياً فبقى مدة ثم ولد صغيراً، فتقلب به الأحوال من صغر إلى كبر ومن طفولة إلى رجلة ومن عدم عقل إلى عقل كامل ثم إلى الشيخوخة وإلى الهرم ثم الموت، وغير ذلك من أحواله، عِلِمَ أن هنا من يصرفه هذا التصريف ويفعل به هذا

الفعل، لأنه يعجز عن فعل ذلك بنفسه، وحال غيره من أمثاله حاله من العجز عن مثل ذلك. فعلم بذلك أنه لا بد من أن يكون هناك من هو قادر على ذلك مخالف له، لأنه لو كان مثله لكان حكمه حكمه. ويعلم أنه لا بد أن يكون عالماً من حيث أن ذلك في غاية الحكمة والإتساق، مع علمه الحاصل بأن بعض ذلك لا يصدر ممن ليس بعالم، وبهذا القدر يكون عالماً بالله تعالى على الجملة. وهكذا إذا نظر في بذر يبذر فينبت منه أنواع الزرع والغرس ويصعد إلى منتهاه، فمنه ما يصير شجراً عظيماً يخرج منه أنواع الفواكه والملاذ، ومنه ما يصير زرعاً يخرج منه أنواع الأقوات، ومنه ما يخرج منه أنواع المشومات الطيبة الروائح، ومنه ما يكون خشبه في غاية الطيب كالعود الرطب وغير ذلك، وكالمسك الذي يخرج من بعض الظباء والعنبر الذي يخرج من البحر، فيعلم بذلك أن مصرف ذلك وصانعه قادر عالم لتأتى ذلك وإتساقه، ولعجزه وعجز أمثاله عن ذلك، فيعلم بذلك أنه مخالف لجميع أمثاله، فيكون عارفاً بالله على الجملة.

وكذلك إذا نظر إلى السماء صاحبة فتهب الرياح وينشأ السحاب ويصعد ولا يزال يتكاثف ويظهر فيه الرعد والبرق والصواعق، ثم ينزل منه من المياه والبحار العظيمة التي تجرى منها الأنهار العظيمة والأودية الوسيعة، وربما كان فيه من البرد مثل الجبال، كل ذلك في ساعة واحدة ثم تنقش السماء وتبدو الكواكب وتطلع الشمس أو القمر كأن ما كان لم يكن من غير تراخ ولا زمان بعيد، فيعلم ببديهة أنه لا بد أن يكون من صح ذلك منه قادراً عليه ممكن منه، وأنه مخالف له ولأمثاله، فيكون عند ذلك عارفاً بالله. وأمثال ذلك كثيرة لا تطول بذكره.

فمتى عرف الإنسان هذه الجملة وفكر فيها هذا الفكر واعتقد هذا الاعتقاد، فإن مضى على ذلك ولم يشعته خاطر ولا طرقته شبهة فهو ناج متخلص.

وأكثر من أشرت إليه يجوز أن يكون هذه صفته، وإن بحث عن ذلك وعن علل ذلك فطرقته شبهات وخطرت له خطرات وأدخل عليه قوم ملحدون ما حيره وبلبله فحينئذ يلزمه التفتيش ولا تكفيه هذه الجملة، ويجب عليه أن يتكلف البحث والنظر على ما سنبينه ليسلم من ذلك ويحصل له العلم على التفصيل.

ونحن نبين ذلك في الفصل الذي يلي هذا الفصل على ما وعدنا به إنشاء الله.

فإن قيل: أصحاب الجمل (بضم الجيم أى أصحاب المعرفة الإجمالية) على ما ذكرتم لا يمكنهم أن يعرفوا صفات الله تعالى وما يجوز عليه وما لا- يجوز عليه منها على طريق الجملة، وإذا لم يمكنهم ذلك لم يمكنهم أن يعلموا أن أفعاله كلها حكمه ولا حسن التكليف ولا النبوات ولا الشرعيات، لأن معرفة هذه الأشياء لا يمكن إلا بعد معرفة الله تعالى على طريق التفصيل.

قلنا: يمكن معرفة جميع ذلك على وجه الجملة، لأنه إذا علم بما قدمناه من الأفعال ووجوب كونه قادراً عالماً، وعلم أنه لا يجوز أن يكون قادراً بقدره محدثة لأنها كانت تجب أن تكون من فعله، وقد تقرر أن المحدث لا بد له من محدث، وفاعلها يجب أن يكون قادراً أولاً، فلولا تقدم كونه قادراً قبل ذلك لما صح منه تعالى فعل القدرة، فيعلم أنه لم يكن قادراً بقدره محدثة، ولأجله علم أنه كذلك لا أمر لا- اختصاص له بمقدور دون مقدور، فيعلم أنه يجب أن يكون قادراً على جميع الأجناس ومن كل جنس على ما لا يتناهى لفقد التخصيص.

وكذلك إذا علم بالمحكم من أفعاله كونه عالماً علم أن ما لاجله علم ما علمه لا اختصاص له بمعلوم دون معلوم، إذ المخصص هو العلم المحدث والعلم لا- يقع إلا- من عالم، فلا بد أن يتقدم كونه عالماً لا بعلم محدث، وما لأجله علم لا اختصاص له بمعلوم دون معلوم، فيعلم أنه عالم بما لا يتناهى وبكل ما يصح أن يكون معلوماً لفقد الاختصاص. فيعلم أنه لا يشبه الأشياء، لأنه لو أشبهها لكان مثلها في كونها محدثة، لأن المثليين لا يكون أحدهما قديماً والآخر محدثاً. ويعلم أنه غير محتاج، لأن الحاجة من صفات الاجسام، لأنها تكون إلى جلب المنافع ودفع المضار وهما من صفات الأجسام، فيعلم عند ذلك أنه غنى. ويعلم أنه لا- تجوز عليه الرؤية والإدراكات، لأنه لا يصح أن يدرك إلا ما يكون هو أو محله في جهة، وذلك يقتضى كونه جسماً أو حالاً في جسم، وهكذا يقتضى

حدوثه وقد علم أنه قديم. وإذا علم أنه عالم بجميع المعلومات، وعلم كونه غنياً، علم أن جميع أفعاله حكمةً وصواب ولها وجه حسن وأن لم يعلمه مفصلاً، لأن القبيح لا يفعله إلا من هو جاهل بقبحه أو محتاج إليه وكلاهما منتفیان عنه، فيقطع عند ذلك على حسن جميع أفعاله من خلق الخلق والتكليف وفعل الآلام وخلق المؤذيات من الهوام والسباع وغير ذلك.

ويعلم أيضاً عند ذلك صحة النبوات، لأن النبي إذا ادعى النبوة وظهر على يده علم معجز يعجز عن فعله جميع المحدثين علم أنه من فعل الله، ولو لا صدقه لما فعله، لأن تصديق الكذاب لا يحسن، وقد أمن ذلك بكونه عالماً غنياً. فإذا علم صدق الأنبياء بذلك علم صحة ما أتوا به من الشرعيات والعبادات، لكونهم صادقين على الله، وأنه لا يتعبد الخلق إلا بما فيه مصلحتهم.

وإذا ثبت له هذه العلوم فتشاغل بالعبادة أو بالمعيشة ولم تخطر له شبهة ولا أورد عليه ما يقدر فيما علمه، ولا فكر هو في فروع ذلك، لم يلزمه أكثر من ذلك. ومتى أورد عليه شبهة فإن تصورهما قاذحةً فيما علمه يلزمه حينئذ النظر فيها حتى يحلها ليسلم له ما علمه، وإن لم يتصورهما قاذحةً ولا اعتقد أنها تؤثر فيما علمه لم يلزمه النظر فيها ولا التشاغل بها.

وهذه أحوال أكثر العوام وأصحاب المعاش والمترفين، فإنهم ليس يكادون يلتفتون إلى شبهة تورد عليهم ولا يقبلونها ولا يتصورونها قاذحةً فيما اعتقدوه، بل ربما عرضوا عنها واستغنوا عن سماعها وإيرادها وقالوا: لا تفسدوا علينا ما علمناه. وقد شاهدت جماعة هذه صورتهم. فبان بهذه الجملة ما أشرنا إليه من أحوال أصحاب الجمل.

رسائل الشهيد الثاني: ٢/١٤٢

الثاني في بيان معنى الدليل الذي يكفي في حصول المعرفة المحققة للإيمان عند من لا يكتفي بالتقليد في المعرفة.

إعلم أن الدليل بمعنى الدال، وهو لغة المرشد، وهو الناصب للدليل كالصانع، فإنه نصب العالم دليلاً عليه، والذاكر له كالعالم، فإنه دال بمعنى أنه يذكر العالم دليلاً على الصانع، ويقال لما به الإرشاد كالعالم، لأنه بالنظر فيه يحصل الإرشاد، أي الإطلاع على الصانع تعالى.

واصطلاحاً: هو ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري، وهذا يشمل الإمارة، لأنها توصل بالنظر فيها إلى الظن بمطلوب خبري، كالنظر إلى الغيم الرطب في فصل الشتاء، فإن التأمل فيه يوجب الظن بنزول المطر فيه. وقيل: إنه ما يمكن التوصل به إلى العلم بمطلوب خبري، فلا يشمل الإمارة. وهذان التعريفان للأصوليين. وقوله: ما يمكن، يشمل ما نظر فيه بالفعل وأوجب المطلوب وما لم ينظر فيه بعد، فالعالم قبل النظر فيه دليل على وجود الصانع عند الأصوليين دون المنطقيين حيث عرفوه بأنه قولان فصاعداً يكون عنهما قول آخر، وهذا يشمل الإمارة، وقيل: قولان فصاعداً يلزم عنه لذاته قول آخر، وهذا لا يشمل الإمارة. فالدليل عندهم إنما يصدق على القضايا المصدق بها حالة النظر فيها أي ترتيبها، لأنها الحالة التي تكون فيه أو يلزم منها قول آخر.

ويمكن أن يقال: على اعتبار اللزوم لا يصدق الدليل على المقدمات حال ترتيبها، لأن اللزوم لا يحصل عنده بل بعده. اللهم إلا أن يراد باللزوم اللغوي، أي الاستتباع.

ثم إن الذي يكفي إعتباره في تحقق الإيمان من هذه التعاريف هو التعريف الثاني للأصوليين لكن بعد النظر فيما يمكن التوصل به، لا الأول، لأن ما يفيد الظن بالمعارف الأصولية غير كاف في تحقق الإيمان على المذهب الحق.

ولا يعتبر في تحققه شيء من تعريف المنطقيين، لأن العلم بترتيب المقدمات وتفصيلها على الوجه المعتبر عندهم غير لازم في حصول الإيمان، بل اللازم من الدليل فيه ما تطمئن به النفس بحسب استعدادها ويسكن إليه القلب، بحيث يكون ذلك ثابتاً مانعاً من تطرق الشك والشبهة إلى عقيدة المكلف، وهذا يتفق كثيراً بملاحظة الدليل إجمالاً، كما هو الواقع لأكثر الناس.

أقول: يمكن أن يقال أن حصول العلم عن الدليل لا يكون إلا بعد ترتيب المقدمات على الوجه التفصيلي المعتبر في شرائط الاستدلال، وحصوله في النفس وإن لم يحصل الشعور بذلك الترتيب، إذ ليس كل ما اتصفت به النفس تشعر به، إذ العلم بالعلم غير لازم.

والحاصل أن الترتيب المذكور طبيعي لكل نفس ناطقةً مركزاً فيها. وهذا معنى ما قالوه من أن الشكل الأول بديهى الإنتاج لقربه من الطبع، فدل على أن فى الطبيعة ترتيباً مطبوعاً متى أشرفت عليه النفس حصل به العلم، وحينئذ فالمعتبر فى حصول العلم بالدليل ليس إلا- ما ذكره المنطقيون. والخلاف بينهم وبين الأصوليين ليس إلا- فى التسمية، لانهم يطلقون الدليل على نفس المحسوس كالعالم، وأهل المعقول لا يطلقونه إلا على نفس المعقول كالقضايا المرتبة، مع أن حصول العلم بالفعل على الإصطلاحين يتوقف على ترتيب القضايا المعقولة، وما نحن فيه من هذا القبيل، فإن حصول الإيمان بالفعل أعنى التصديق بالمعارف الإلهية إنما يكون بعد الترتيب المذكور.

فقولهم إن الدليل الإجمالى كاف فى الإيمان لا- يخلو عن مسامحة، لما بينا من أن الترتيب لا بد منه فى النظريات، وكأنهم أرادوا بالإجمال عدم الشعور بذلك الترتيب وعدم العلم بشرائط الاستدلال، لا عدم حصول ذلك فى النفس، والثانى هو المعتبر فى حصول العلم دون الأول. نعم الأول إنما يعتبر فى المناظرات ودفع المغالطات ورد الشبهة وإلزام الخصوم. ويؤيد ما ذكرناه أنك لا تجد فى مباحث الدليل وتعريفه إشارة إلى أنه قد يكون تفصيلاً وقد يكون إجمالاً، وما يوجد فى مباحث الإيمان من أنه يكفى فيه الدليل الجملى، فقد بينا المراد منه.

العجز عن معرفة ذات الله تعالى

الكافى: ١/٩٢

باب النهى عن الكلام فى الكيفية:

محمد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن الحسن بن محبوب، عن على بن رثاب، عن أبى بصير قال: قال أبو جعفر عليه السلام: تكلموا فى خلق الله ولا- تتكلموا فى الله فإن الكلام فى الله لا- يزداد صاحبه إلا- تحيراً. وفى رواية أخرى عن حريز: تكلموا فى كل شئ ولا تتكلموا فى ذات الله.

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن أبى عمير، عن عبدالرحمن بن الحجاج، عن سليمان بن خالد قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إن الله عز وجل يقول: وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى، فإذا انتهى الكلام إلى الله فأمسكوا.

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبى عمير عن أبى أيوب، عن محمد بن مسلم قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: يا محمد إن الناس لا يزال بهم المنطق حتى يتكلموا فى الله، فإذا سمعتم ذلك فقولوا: لا إله إلا الله الواحد الذى ليس كمثل شئ.

عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن بعض أصحابه، عن الحسين بن المياح، عن أبيه قال سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: من نظر فى الله كيف هو؟ هللك.

عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن محمد بن عبدالحميد، عن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم، عن أبى جعفر عليه السلام قال: إياكم والتفكر فى الله، ولكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمتها فانظروا إلى عظيم خلقه.

محمد بن أبى عبدالله رفعه قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: يا ابن آدم لو أكل قلبك طائر لم يشبعه، وبصرك لو وضع عليه خرق إبرة لغطاه، تريد أن تعرف بهما ملكوت السماوات والأرض، إن كنت صادقاً فهذه الشمس خلق من خلق الله، فإن قدرت تملأ عينيك منها فهو كما تقول.

نهج البلاغة: ٢/٤٧

... فمن هداك لإجتار الغداء من ثدى أمك، وعرفك عند الحاجة مواضع طلبك وإرادتك. هيهات، إن من يعجز عن صفات ذى الهيئة والأدوات فهو عن صفات خالقه أعجز. ومن تناوله بحدود المخلوقين أبعد.

نهج البلاغة: ٢/١١٩

ومن خطبة له عليه السلام في التوحيد وتجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لا تجمعه خطبة: ما وحده من كيفه، ولا حقيقته أصاب من مثله، ولا إياه عنى من شَبَّهه، ولا صمده من أشار إليه وتوهمه.

كل معروف بنفسه مصنوع، وكل قائم في سواه معلول.

فاعلٌ لا باضطراب آله، مقدر لا بجول فكره، غنى لا بإستفاده، لا تصحبه الأوقات، ولا ترفده الأدوات، سبق الأوقات كونه، والعدم وجوده، والإبتداء أزله.

بتشعيره المشاعر عُرِفَ أن لا مُشعِرَ له، وبمضاداته بين الأمور عرف أن لا ضد له، وبمقارنته بين الأشياء عُرِفَ أن لا قرين له، ضاد النور بالظلمة، والوضوح بالبهمة والجمود بالبلبل....

نهج البلاغة: ١/١٥٨

ومن خطبة له عليه السلام: الحمد لله المعروف من غير رؤية، والخالق من غير رويّة، الذي لم يزل قائماً دائماً إذ لا سماء ذات أبراج، ولا حجب ذات أرتاج، ولا ليل داج، ولا بحر ساج، ولا جبل ذو فجاج....

نهج البلاغة: ١/١٦٤

... وأشهد أن من شبهك بتباين أعضاء خلقك، وتلاحم حقاك مفاصلهم المحتجبة لتدبير حكمتك، لم يعقد غيب ضميره على معرفتك، ولم يباشر قلبه اليقين بأنه لا ند لك وكأنه لم يسمع تبرأ التابعين من المتبوعين، إذ يقولون: تَأَلَّهَ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَيِّوْكُمْ بَرَبِّ الْعَالَمِينَ. كذب العادلون بك، إذ شهبوك بأصنامهم، ونحلوك حليّة المخلوقين بأوهامهم، وجزؤوك تجزئة المجسمات بخواطرهم، وقدروك على الخلقة المختلفة القوى بقرائح عقولهم....

الكافي: ١/١٣٧

على بن محمد، عن صالح بن أبي حماد، عن الحسين بن يزيد، عن الحسن بن علي ابن أبي حمزة، عن إبراهيم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن الله تبارك اسمه، وتعالى ذكره، وجل ثناؤه، سبحانه وتقدس، وتفرد وتوحد، ولم يزل ولا يزال، وهو الأول والآخر والظاهر والباطن فلا أول لأوليته، رفيع في أعلى علوه، شامخ الأركان، رفيع البنيان عظيم السلطان، منيف الآلاء، سنى العلياء، الذي عجز الواصفون عن كنه صفته، ولا يطيقون حمل معرفة إلهيته، ولا يحدون حدوده، لأنه بالكيفية لا يتناهى إليه.

على بن إبراهيم، عن المختار بن محمد بن المختار ومحمد بن الحسن، عن عبدالله ابن الحسن العلوي جميعاً، عن الفتح بن يزيد الجرجاني قال: ضمنى وأبا الحسن عليه السلام الطريق في منصرفي من مكة إلى خراسان وهو سائر إلى العراق، فسمعتة يقول: من اتقى الله يتقى، ومن أطاع الله يطاع، فتلطف الوصول إليه، فوصلت فسلمت عليه، فرد على السلام ثم قال: يا فتح من أَرْضَى الخالق لم يبال بسخط المخلوق، ومن أسخط الخالق فقم أن يسلط الله عليه سخط المخلوق، وإن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، وأنى يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحده، والأبصار عن الإحاطة به، جل عما وصفه الواصفون، وتعالى عما ينعتة الناعتون، نأى في قربه، وقرب في نأيه، فهو في نأيه قريب، وفي قربه بعيد، كيف الكيف فلا يقال: كيف؟ وأين الاين فلا يقال: أين؟ إذ هو منقطع الكيفوية والايونية.

النهى عن الفضولية في معرفة الله تعالى

مستدرک الوسائل: ١٢/٤٧

محمد بن مسعود العياشى في تفسيره: عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه (عليهما السلام): إن رجلاً قال لامير المؤمنين عليه السلام: هل تصف ربنا نزداد له حباً وبه معرفة؟ فغضب وخطب الناس، فقال فيما قال:

عليك يا عبدالله بما ذلك عليه القرآن من صفته، وتقدمك فيه الرسول من معرفته، فائم به، واستضى بنور هدايته، فإنما هي نعمة

وحكمه أوتيتها، فخذ ما أوتيت وكن من الشاكرين، وما كلفك الشيطان علمه مما ليس عليك في الكتاب فرضه، ولا في سنة الرسول وأئمة الهدى أثره، فكل علمه إلى الله، ولا تقدر عظمة الله عليه قدر عقلك، فتكون من الهالكين، وأعلم يا عبدالله أن الراسخين في العلم، هم الذين أغناهم الله عن الاقتحام على السدد المضروبة دون الغيوب، إقراراً بجهل ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فقالوا: آمنا به كل من عند ربنا، وقد مدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً، وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً.

انواع من المعرفة والعارفين

المعرفة الحقيقية والمعرفة الشكلية

الصحيفة السجادية: ٢/١٠٨

... عن ثابت البناني قال: كنت حاجاً وجماعة عباد البصرة مثل أيوب السجستاني، وصالح المري، وعتبة الغلام، وحبيب الفارسي، ومالك بن دينار، فلما أن دخلنا مكة رأينا الماء ضيقاً، وقد اشتد بالناس العطش لقلّة الغيث، ففزع إلينا أهل مكة والحجاج يسألوننا أن نستسقى لهم، فأتينا الكعبة وطفنا بها، ثم سألنا الله خاضعين متضرعين بها، فمنعنا الإجابة. فبينما نحن كذلك إذا نحن بفتى قد أقبل وقد أكرتبه أحزانه وأقلقته أشجانته، فطاف بالكعبة أشواطاً، ثم أقبل علينا، فقال: يا مالك بن دينار ويا ثابت البناني ويا صالح المري ويا عتبة الغلام ويا حبيب الفارسي ويا سعد ويا عمر ويا صالح الأعمى ويا رابعة ويا سعدانة ويا جعفر بن سليمان، فقلنا: لبيك وسعديك يا فتى. فقال: أما فيكم أحد يحبه الرحمن؟ فقلنا: يا فتى علينا الدعاء وعليه الإجابة، فقال: أبعادوا عن الكعبة فلو كان فيكم أحد يحبه الرحمن لأجابه!

ثم أتى الكعبة فخر ساجداً، فسمعتة يقول في سجوده: سيدي بحبك لى إلا سقيتهم الغيث. قال: فما استتم الكلام حتى أتاهم الغيث كأفواه القرب. فقلت: يا فتى من أين علمت أنه يحبك؟ قال: لو لم يحبني لم يسترني، فلما استتراني علمت أنه يحبني، فسألته بحبه لى فأجابني. ثم ولى عنا وأنشأ يقول:

من عرف الرب فلم تُغنيه معرفة الرب فذاك الشقى

ما ضر ذو الطاعة ما ناله فى طاعة الله وما ذا لقي

ما يصنع العبد بغير التقى والعز كل العز للمتقى

فقلت يا أهل مكة من هذا الفتى؟ قالوا: على بن الحسين بن على بن أبى طالب. ورواه فى مستدرک الوسائل: ٦/٢٠٩

تجريد المتصوفة فى دور العقل فى المعرفة

التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاذى/٦٣-٦٧ (تحقيق د. عبد الحليم محمود طبع عيسى الحلبي مصر ١٩٦٠)

قولهم فى معرفة الله تعالى:

أجمعوا على أن الدليل على الله هو الله وحده، وسبيل العقل عندهم سبيل العاقل فى حاجته إلى الدليل لأنه محدث، والمحدث لا يدل إلا على مثله. وقال رجل للنورى: ما الدليل على الله؟ قال: الله. قال فما العقل؟ قال العقل عاجز، والعاجز لا يدل إلا على عاجز مثله!

وقال ابن عطاء: العقل آله للعبودية لا للأشراف على الربوبية. وقال غيره: العقل يجول حول الكون، فإذا نظر إلى المكون ذاب. وقال أبوبكر القحطبي: من لحقته العقول فهوت مقهورة إلا- من جهة الإثبات، ولولا أنه تعرف إليها بالأطاف لما أدركته من جهة الإثبات. وأنشدونا لبعض الكبار:

من رامه بالعقل مسترشداً سرحه في حيرة يلهو
وشاب بالتلبيس أسراره يقول من حيرته هل هو
وقال بعض الكبار من المشايخ: البادى من المكونات معروف بنفسه لهجوم العقل عليه، والحق أعز من أن تهجم العقول عليه وإنه
عرفنا نفسه أنه ربنا فقال: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ ولم يقل: من أنا؟ فتهجم العقول عليه حين بدأ معرفاً، فلذلك انفرد عن العقول، وتتره عن
التحصل غير الإثبات.

وأجمعوا أنه لا يعرفه إلا ذو عقل، لأن العقل آله للعبد يعرف به ما عرف، وهو بنفسه لا يعرف الله تعالى.
وقال أبو بكر السباك: لما خلق الله العقل قال له: من أنا؟ فسكت فكله بنور الوجدانية ففتح عينيه فقال: أنت الله لا إله إلا أنت. فلم
يكن للعقل أن يعرف الله إلا الله.

تحريرهم في الفرق بين العلم والمعرفة

ثم اختلفوا في المعرفة نفسها: ما هي؟ والفرق بينها وبين العلم.
فقال الجنيد: المعرفة وجود جهلك عند قيام علمه. قيل له زدنا، قال: هو العارف وهو المعروف. معناه: إنك جاهل به من حيث أنت،
وإنما عرفته من حيث هو، وهو كما قال سهل: المعرفة هي المعرفة بالجهل.
وقال سهل: العلم يثبت بالمعرفة، والعقل يثبت بالعلم، وأما المعرفة فإنها تثبت بذاتها. معناه: إن الله إذا عرف عبداً نفسه فعرف الله تعالى
بتعرفه إليه، أحدث له بعد ذلك علماً، فأدرك العلم بالمعرفة وقام العقل فيه بالعلم الذي أحدثه فيه.
وقال غيره: تبين الأشياء على الظاهر علم، وتبينها على استكشاف بواطنها معرفة. وقال غيره: أباح العلم للعامه وخص أولياءه بالمعرفة.
وقال أبو بكر الوراق: المعرفة معرفة الأشياء بصورها وسماتها، والعلم علم الأشياء بحقائقها.
وقال أبو سعيد الخراز: المعرفة بالله هي علم الطلب لله من قبل الوجود له، والعلم بالله هو بعد الوجود، فالعلم بالله أخفى وأدق من
المعرفة بالله.

وقال فارس: المعرفة هي المستوفية في كنه المعروف.
وقال غيره: المعرفة هي حقر الأقدار إلا قدر الله، وأن لا يشهد مع قدر الله قدراً.
وقيل لذي النون: بم عرف ربك؟ قال: ما هممت بمعصية فذكرت جلال الله إلا استحييت منه. جعل معرفته بقرب الله منه دلالة المعرفة
له.

وقيل لعليان: كيف حالك مع المولى؟ قال: ما جفوته منذ عرفته. قيل له: متى عرفته؟ قال: منذ سموني مجنوناً. جعل دلالة معرفة له
تعظيم قدره عنده.

قال سهل: سبحان من لم يدرك العباد من معرفته إلا عجزاً عن معرفته.

تصوراتهم عن العارف بالله تعالى

التعرف لمذهب أهل التصوف للكلا باذى/ ١٣٦-١٣٨
سئل الحسن بن علي بن يزيدانيار: متى يكون العارف بمشهد الحق؟ قال: إذا بدا الشاهد، وفنى الشاهد، وذهب الحواس، واضمحل
الإخلاص.

معنى بدا الشاهد: يعنى شاهد الحق، وهو أفعاله بك مما سبق منه إليك من بره لك، وإكرامه إياك بمعرفته، وتوحيده، والإيمان به،
تفنى رؤية ذلك منك رؤية أفعالك وبرك وطاعتك، فترى كثير ما منك مستغرماً في قليل ما منه، وإن كان ما منه ليس بقليل، وما

منك ليس بكثير.

وفناء الشواهد: بسقوط رؤية الخلق عنك، بمعنى الضر والنفع والدم والمدح.

وذهاب الحواس هو معنى قوله: فبي ينطق وبى يبصر، الحديث.

ومعنى اضمحل الإخلاص: أن لا- يراك مخلصاً، وما خلص من أفعالك خلص، ولن يخلص أبداً إذا رأيت صفتك، فإن أوصافك معلولة مثلك.

سئل ذوالنون، عن نهاية العارف، فقال: إذا كان كما كان حيث كان قبل أن يكون، معناه: أن يشاهد الله وأفعاله دون شاهده وأفعاله.

قال بعضهم: أعرف الخلق بالله أشدهم تحيراً فيه.

قيل لذي النون: ما أول درجة يرقاها العارف؟

فقال: التحير، ثم الافتقار، ثم الإتصال، ثم التحير.

الحيرة الأولى في أفعاله به ونعمه عنده، فلا يرى شكره يوازي نعمه، وهو يعلم أنه مطالب بشكرها، وإن شكر كان شكره نعمه يجب عليه شكرها، ولا يرى أفعاله أهلاً أن يقابله بها استحقاقاً لها، ويرأها واجبةً عليه، لا يجوز له التخلف عنها.

وقيل قام الشبلي يوماً يصلي فبقى طويلاً ثم صلى، فلما انفتل عن صلاته قال: يا ويلاه إن صليت جحدت، وإن لم أصل كفرت.

أي جحدت عظم النعمة وكمال الفضل حيث قابلت ذلك بفعل شكرياً له مع حقارتته. ثم أنشد:

الحمد لله على أننى كضفدع يسكن فى اليم

إن هى فاهت ملات فمها أو سكتت ماتت من الغم

والحيرة الأخيرة: أن يتحير فى متاهات التوحيد، فيضل فهمه ويخس عقله فى عظم قدرة الله تعالى وهيبته وجلاله. وقد قيل: دون التوحيد متاهات تضل فيها الأفكار.

سأل أبو السوداء بعض الكبار فقال: هل للعارف وقت؟ قال: لا. فقال: لم؟ قال: لأن الوقت فرجة تنفس عن الكرب، والمعرفة أمواج تغط، وترفع وتحتط، فالعارف وقته أسود مظلم. ثم قال:

شرط المعارف محو الكل منك إذا بدا المرید بلحظ غير مطلع

قال فارس العارف: من كان علمه حاله، وكانت حركاته غلبةً عليه.

سئل الجنيد عن العارف فقال: لون الماء لون الإناء. يعنى أنه يكون فى كل حال بما هو أولى فتختلف أحواله، ولذلك قيل: هو ابن وقته.

سئل ذو النون عن العارف، فقال: كان هاهنا فذهب. يعنى أنك لا تراه فى وقتين بحالة واحدة، لأن مصرفه غيره. وأنشدونا لابن عطاء:

ولو نطق فى السن الدهر خبرت بأنى فى ثوب الصباية أرفل

وما أن لها علم بقدرى وموضعى وما ذاك موهوم لانى أنقل

وقال سهل بن عبد الله: أول مقام فى المعرفة أن يعطى العبد يقيناً فى سره تسكن به جوارحه، وتوكلأ فى جوارحه يسلم به فى دنياه، وحياء فى قلبه يفوز بها فى عقباه.

قلنا: العارف هو الذى بذل مجهوده فيما لله، وتحقق معرفته بما من الله، وصح رجوعه من الأشياء إلى الله. قال الله تعالى: ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق.

المؤلفه قلوبهم بالمال لكى يعرفوا

اجتهد الخليفة عمر بن الخطاب فى آية المؤلفة قلوبهم فأسقط سهمهم رغم نص الآية عليه، وقد خالفه فى ذلك على والأئمة من أهل

البيت عليهم السلام وعدد من الصحابة لأن الآية نصت على ذلك ولا يجوز نسخها بالإجتهااد!

الكافي: ٢/٤١٢

عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن علي بن حسان، عن موسى بن بكر، عن رجل قال: قال أبو جعفر عليه السلام: ما كانت المؤلفه قلوبهم قط أكثر منهم اليوم، وهم قوم وحدوا الله وخرجوا من الشرك ولم تدخل معرفه محمد رسول الله صلى الله عليه وآله قلوبهم وما جاء به، فتألفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وتألفهم المؤمنون بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لكي ما يعرفوا.

مجمع الفائدة والبرهان: ٤/١٥٨

الرابع: المؤلفه قلوبهم، قال المصنف في المنتهى: أجمع علمائنا على أن من المشركين قوم مؤلفه يستمالون بالزكاة لمعاونة المسلمين، ونقل في التهذيب من تفسير علي بن إبراهيم، عن العالم عليه السلام أنه قال: والمؤلفه قلوبهم قال: هم قوم وحدوا الله وخلعوا عبادة من دون الله ولم تدخل المعرفة قلوبهم أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يتألفهم يعلمهم ويعرفهم كيما يعرفوا، فجعل لهم نصيباً في الصدقات لكي يعرفوا ويرغبوا.

راجع أيضاً: الحدائق الناضرة: ١٢/١٧٥، وذخيرة المعاد/٤٥٤، ومستند الشيعة: ٢/٤٦، وجواهر الكلام: ١٥/٣٣٩، وفقه السيد الخوئي: ٢٣/٢٤٧، ومصباح الفقيه: ٣/٩٥، وغيرها من مصادر الحديث والفقه والتفسير.

دعوة العدو في الجهاد إلى معرفة الله تعالى

الكافي: ٥/٣٦

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن المنقري، عن سفيان بن عيينه، عن الزهري قال: دخل رجال من قريش على علي بن الحسين صلوات الله عليهما، فسأله كيف الدعوة إلى الدين؟ قال: تقول: بسم الله الرحمن الرحيم أدعوكم إلى الله عز وجل وإلى دينه، وجماعه أمران: أحدهما معرفة الله عز وجل، والآخر العمل برضوانه، وأن معرفة الله عز وجل أن يعرف بالوحدانية والرافة والرحمة والعزة والعلم والقدرة والعلو على كل شيء وأنه النافع الضار، القاهر لكل شيء، الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير وأن محمداً عبده ورسوله، وأن ما جاء به هو الحق من عند الله عز وجل، وما سواه هو الباطل، فإذا أجابوا ذلك فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين.

عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمد بن الحسن بن شمون، عن عبدالله بن عبدالرحمن، عن مسمع بن عبدالملك، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لما وجهني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن قال: يا علي لا تقاتل أحداً حتى تدعوه إلى الإسلام، وأيم الله لأن يهدي الله عز وجل على يديك رجلاً خيراً لك مما طلعت عليه الشمس وغربت، ولك ولاؤه. انتهى. وروى نحو الحديث الأول في تهذيب الأحكام: ٦/١٤١

معرفة أهل الآخرة بديهة لا كسبية

رسائل الشريف المرتضى: ٢/١٣٣

قال المرتضى (رض): سألت بيان أحكام أهل الآخرة في معارفهم وأحوالهم، وأنا ذاكر من ذلك جملةً وجيزة: أعلم أن لأهل الآخرة ثلاث أحوال: حال ثواب، وحال عقاب، وحال أخرى للمحاسبة. ويعمهم في هذه الأحوال الثلاث سقوط التكليف عنهم، وأن معارفهم ضرورية، وأنهم ملجؤون إلى الإمتناع من القبيح وإن كانوا مختارين لأفعالهم مؤثرين لها، وهذا هو الصحيح دون ما ذهب إليه من خالف هذه الجملة....

وأما الذي يدل على أن أهل الآخرة لا بد أن يكونوا عارفين بالله تعالى وأحواله، فهو أن المثاب متى لم يعرفه تعالى، لم يصح منه معرفة

كون الثواب ثواباً وواصلًا إليه على الوجه الذي يستحقه، وأنه دائم غير منقطع، وإذا كانت هذه المعارف واجبةً فما لا يتم هذه المعرفة إلا به - من معرفة الله تعالى وإكمال العقل وغيرهما - لا بد من حصوله.

بحث للشيخ الطوسي في تعريف الإيمان والكفر

الاقتصاد/١٤٠

الإيمان هو التصديق بالقلب، ولا- إعتبار بما يجرى على اللسان، وكل من كان عارفاً بالله وبنبيه وبكل ما أوجب الله عليه معرفته مقرأً بذلك مصداقاً به فهو مؤمن. والكفر نقيض ذلك، وهو الجحود بالقلب دون اللسان مما أوجب الله تعالى عليه المعرفة به، ويعلم بدليل شرعي أنه يستحق العقاب الدائم الكثير.

وفي المرجئة من قال: الإيمان هو التصديق باللسان خاصةً وكذلك الكفر هو الجحود باللسان، والفسق هو كل ما خرج به عن طاعة الله تعالى إلى معصيته، سواء كان صغيراً أو كبيراً. وفيهم من ذهب إلى أن الإيمان هو التصديق بالقلب واللسان معاً، والكفر هو الجحود بهما.

وفي أصحابنا من قال: الإيمان هو التصديق بالقلب واللسان والعمل بالجوارح، وعليه دلت كثير من الأخبار المروية عن الائمة عليهم السلام.

وقالت المعتزلة: الإيمان إسم للطاعات، ومنهم من جعل النوافل والفرائض من الإيمان، ومنهم من قال النوافل خارجة عن الإيمان. والإسلام والدين عندهم شئ واحد، والفسق عندهم عبارة عن كل معصية يستحق بها العقاب، والصغائر التي تقع عندهم مكفرة لا تسمى فسقاً. والكفر عندهم هو ما يستحق به عقاب عظيم، وأجريت على فاعله أحكام مخصوصة، فمتركب الكبيرة عندهم ليس بمؤمن ولا كافر بل هو فاسق.

وقالت الخوارج قريباً من قول المعتزلة إلا أنهم لا يسمون الكبائر كلها كفراً، وفيهم من يسميها شركاً.

والفضيلية منهم تسمى كل معصية كفراً صغيرة كانت أو كبيرة.

والزيدية من كان منهم على مذهب الناصر يسمون الكبائر كفر نعمة، والباقون يذهبون مذهب المعتزلة.

والذي يدل على ما قلناه: أولاً، هو أن الإيمان في اللغة هو التصديق، ولا يسمون أفعال الجوارح إيماناً، ولا خلاف بينهم فيه.

ويدل عليه أيضاً قولهم: فلان يؤمن بكذا وكذا وفلان لا يؤمن بكذا. وقال تعالى: يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ. وقال: وما أنت بمؤمن لنا، أى بمصدق، وإذا كان فائدة هذه اللفظة في اللغة ما قلناه وجب إطلاق ذلك عليها إلا أن يمنع مانع، ومن ادعى الانتقال فعليه الدلالة، وقد قال الله تعالى: بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ. وقال: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ. وقال: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا. وكل ذلك يقتضى حمل هذه اللفظة على مقتضى اللغة. وليس إذا كان هاهنا ألفاظ منتقلة وجب أن يحكم في جميع الألفاظ بذلك، وإنما ينتقل عما ينتقل بدليل يوجب ذلك. وإن كان في المرجئة من قال ليس هاهنا لفظ منتقل ولا يحتاج إلى ذلك.

ولا- يلزمنا أن نسمى كل مصدق مؤمناً لأننا إنما نطلق ذلك على من صدق بجميع ما أوجه الله عليه. والإجماع مانع من تسمية من صدق بالجبوت والطاغوت مؤمناً، فمنعنا ذلك بدليل وخصصنا موجب اللغة، وجرى ذلك مجرى تخصيص العرف لفظ الدابة بهيمة مخصوصة، وإن كان موجب اللغة يقتضى تسمية كل ما دب دابة، ويكون ذلك تخصيصاً لا نقلاً. فعلى موجب هذا، يلزم من ادعى انتقال هذه اللفظة إلى أفعال الجوارح أن يدل عليه.

وليس لأحد أن يقول: إن العرف لا يعرف التصديق فيه إلا بالقول، فكيف حملتموه على ما يختص القلب؟

قلنا: العرف يعرف بالتصديق باللسان والقلب، لأنهم يصفون الاخرس بأنه مؤمن وكذلك الساكت، ويقولون: فلان يصدق بكذا وكذا وفلان لا يصدق، ويريدون ما يرجع إلى القلب، فلم يخرج بما قلناه عن موجب اللغة.

وإنما معنا إطلاقه في المصدق باللسان لأنه لو جاز ذلك لوجب تسميته بالإيمان وإن علم جحوده بالقلب، والإجماع مانع من ذلك. ... وأما الكفر فقد قلنا إنه عند المرجئة من أفعال القلوب، وهو جحد ما أوجب الله تعالى معرفته مما عليه دليل قاطع كالتوحيد والعدل والنبوة وغير ذلك، وأما في اللغة فهو الستر والجحود، وفي الشرع عبارة عما يستحق به العقاب الدائم الكثير، ويلحق بفاعله أحكام شرعية كمنع التوارث والتناكح.

والعلم بكون المعصية كفراً طريقه السمع لا مجال للعقل فيه، لأن مقادير العقاب لا تعلم عقلاً، وقد أجمعت الأمة على أن الإخلال بمعرفة الله تعالى وتوحيده وعدله وجحد نبوة رسله كفر، لا يخالف فيه إلا أصحاب المعارف الذين بينا فساد قولهم. ولا فرق بين أن يكون شاكاً في هذه الأشياء أو يكون معتقداً لما يقدر في حصولها، لأن الإخلال بالواجب يعم الكل. فعلى هذا، المجبرة والمشبهة كفار، وكذلك من قال بالصفات القديمة لأن اعتقادهم الفاسد في هذه الأشياء ينفي الاعتقاد الصحيح من المعرفة بالله تعالى وعدله وحكمته.

بحث للشهيد الثاني في تعريف الإيمان والكفر

رسائل الشهيد الثاني: ٢/٥٠

في تعريف الإيمان لغةً وشرعاً، فاعلم أن الإيمان لغةً: التصديق، كما نص عليه أهلها، وهو إفعال من الأمن، بمعنى سكون النفس واطمئنانها لعدم ما يوجب الخوف لها، وحينئذ فكان حقيقة آمن به سكنت نفسه واطمأنت بسبب قبول قوله وامتنان أمره، فتكون الباء للسببية. ويحتمل أن يكون بمعنى آمنه التكذيب والمخالفة، كما ذكره بعضهم فتكون الباء فيه زائدة، والأول أولى كما لا يخفى وأوفق لمعنى التصديق، وهو يتعدى باللام كقوله تعالى: وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا، فَأَمَنْ لَه لُوطٌ. وبالباء كقوله تعالى: آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ. وأما التصديق: فقد قيل أنه القبول والإذعان بالقلب، كما ذكره أهل الميزان.

ويمكن أن يقال: معناه قبول الخبر أعم من أن يكون بالجنان أو باللسان، ويدل عليه قوله تعالى: قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا. فأخبروا عن أنفسهم بالإيمان وهم من أهل اللسان، مع أن الواقع منهم هو الإقرار باللسان دون الجنان، لفيه عنهم بقوله تعالى: قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا. وإثبات الإقرار بقوله تعالى: وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا، الدال على كونه إقراراً بالشهادتين، وقد سموه إيماناً بحسب عرفهم، والذي نفاه الله عنهم إنما هو الإيمان في عرف الشرع.

إن قلت: يحتمل أن يكون ما ادعوه من الإيمان هو الشرعي، حيث سمعوا الشارع كلفهم بالإيمان، فيكون المنفى عنهم هو ما ادعوا ثبوته لهم، فلم يبق في الآية دلالة على أنهم أرادوا اللغوي.

قلت: الظاهر أنه في ذلك الوقت لم تكن الحقائق الشرعية متقررة عندهم، لبعدهم عن مدارك الشرعيات، فلا يكون المخبر عنه إلا ما يسمونه إيماناً عندهم.

وقوله تعالى: آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ، وقوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ. وجه الدلالة في هذه الآيات أن الإيمان في اللغة التصديق، وقد وقع في الأخبار عنهم أنهم آمنوا بألسنتهم دون قلوبهم، فيلزم صحة إطلاق التصديق على الإقرار باللسان وإن لم يوافق الجنان. وعلى هذا فيكون المنفى هو الإيمان الشرعي أعنى القلبى، جمعاً بين صحة النفي والإثبات في هذه الآيات.

لا يقال: هذا الإطلاق مجاز، وإلا لزم الإشراك، والمجاز خير منه.

لانا نقول: هو من قبيل المشترك المعنوي لا اللفظي، ومعناه قبول الخبر أعم من أن يكون باللسان أو بالجنان، واستعمال اللفظ الكلي في أحد أفراد معناه باعتبار تحقق الكلي في ضمنه حقيقة لا مجازاً، كما هو المقرر في بحث الالفاظ.

فإن قلت: إن المتبادر من معنى الإيمان هو التصديق القلبى عند الإطلاق، وأيضاً يصح سلب الإيمان عن من أنكر بقلبه وإن أقر بلسانه،

والأول علامة الحقيقة والثاني علامة المجاز.

قلت: الجواب عن الأول أن التبادر لا يدل على أكثر من كون المتبادر هو الحقيقي لا المجازي، لكن لا يدل على كون الحقيقة لغوية أو عرفية، وحينئذ فلا يتعين أن اللغوي هو التصديق القلبي، فلعلة العرفي الشرعي.
إن قلت: الأصل عدم النقل، فيتعين اللغوي.

قلت: لا-ريب أن المعنى اللغوي الذي هو مطلق التصديق لم يبق على إطلاقه بل أخرج عنه إما بالتخصيص عند بعض أو النقل عند آخرين. ومما يدل على ذلك أن الإيمان الشرعي هو التصديق بالله وحده وصفاته وعدله، وبنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وبما علم بالضرورة مجيئه به لا ما وقع فيه الخلاف وعلى هذا أكثر المسلمين. وزاد الإمامية التصديق بإمامة إمام الزمان، لأنه من ضروريات مذهبهم أيضاً أنه مما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وقد عرفت أن الإيمان في اللغة التصديق مطلقاً، وهذا أخص منه.

ويؤيد ذلك قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. أخبر عنهم تعالى بالإيمان، ثم أمرهم بإنشائه فلا بد أن يكون الثاني غير الأول، وإلا لكان أمراً بتحصيل الحاصل. وإذا حصلت المغايرة كان الثاني الأمور به هو الشرعي، حيث لم يكن حاصلًا لهم، إذ لا محتمل غيره إلا التأكيد، والتأسيس خير منه. وعن الثاني بالمنع من كون ما صح سلبه هو الإيمان اللغوي بل الشرعي، وليس النزاع فيه.
إن قلت: ما ذكرته معارض بما ذكره أهل الميزان في تقسيم العلم إلى التصور والتصديق، من أن المراد بالتصديق الإذعان القلبي، فيكون في اللغة كذلك لأن الأصل عدم النقل.

قلت: قد بينا سابقاً أن الخروج عن هذا الأصل ولو سلم فلا دلالة في ذلك على حصر معنى التصديق مطلقاً في الإذعان القلبي، بل التصديق الذي هو قسم من العلم وليس محل النزاع.

على أنا نقول: لو سلمنا صحة الإطلاق مجازاً ثبت مطلوبنا أيضاً، لانا لم ندع إلا- أن معناه قبول الخبر مطلقاً، ولا ريب أن الألفاظ المستعملة لغة في معنى من المعاني حقيقة أو مجازاً تعد من اللغة، وهذا ظاهر.

واما الإيمان الشرعي: فقد اختلفت في بيان حقيقته العبارات بحسب اختلاف الإعتبارات. وبيان ذلك: إن الإيمان شرعاً: إما أن يكون من أفعال القلوب فقط، أو من أفعال الجوارح فقط، أو منهما معاً. فإن كان الأول فهو التصديق بالقلب فقط، وهو مذهب الأشاعرة وجمع من متقدمي الإمامية ومتأخريهم، ومنهم المحقق الطوسي رحمه الله في فصوله، لكن اختلفوا في معنى التصديق فقال أصحابنا: هو العلم. وقال الأشعرية: هو التصديق النفساني، وعنوا به أنه عبارة عن ربط القلب على ما علم من أخبار المخبر، فهو أمر كسبي يثبت باختيار المصدق، ولذا يثاب عليه بخلاف العلم والمعرفة، فإنها ربما تحصل بلا كسب، كما في الضروريات.

وقد ذكر حاصل ذلك بعض المحققين، فقال: التصديق هو أن تنسب باختيارك الصدق للمخبر حتى لو وقع ذلك في القلب من غير اختيار لم يكن تصديقاً وإن كان معرفة، وسنين إن شاء الله تعالى [قصور] ذلك.

وإن كان الثاني، فإما أن يكون عبارة عن التلطف بالشهادتين فقط، وهو مذهب الكرامية. أو عن جميع أفعال الجوارح من الطاعات بأسرها فرضاً ونفلاً، وهو مذهب الخوارج وقدماء المعتزلة والغلاة والقاضي عبد الجبار. أو عن جميعها من الواجبات وترك المحظورات دون النوافل، وهو مذهب أبي علي الجبائي وابنه هاشم وأكثر معتزلة البصرة.

وإن كان الثالث، فهو إما أن يكون عبارة عن أفعال القلوب مع جميع أفعال الجوارح من الطاعات، وهو قول المحدثين وجمع من السلف كابن مجاهد وغيره، فإنهم قالوا: إن الإيمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان.

وإما أن يكون عبارة عن التصديق مع كلمتي الشهادة، ونسب إلى طائفة، منهم أبو حنيفة.

أو يكون عبارة عن التصديق بالقلب مع الإقرار باللسان، وهو مذهب المحقق نصير الدين الطوسي رحمه الله في تجريدته، فهذه سبعة مذاهب ذكرت في الشرح الجديد للتجريد وغيره.

واعلم أن مفهوم الإيمان على المذهب الأول يكون تخصيصاً للمعنى اللغوي، وأما على المذاهب الباقية فهو منقول، والتخصيص خير

من النقل.

وهنا بحث وهو أن القائلين بأن الإيمان عبارة عن فعل الطاعات، كقدماء المعتزلة والعلاف والخوارج، لا ريب أنهم يوجبون اعتقاد مسائل الأصول، وحينئذ فما الفرق بينهم وبين القائلين بأنه عبارة عن أفعال القلوب والجوارح؟ ويمكن الجواب، بأن اعتقاد المعارف شرط عند الأولين وشرط عند الآخرين...

إعلم أن المحقق الطوسي رحمه الله ذكر في قواعد العقائد أن أصول الإيمان عند الشيعة ثلاثة: التصديق بوحداية الله تعالى في ذاته تعالى، والعدل في أفعاله، والتصديق بنبوة الأنبياء عليهم السلام والتصديق بإمامة الأئمة المعصومين من بعد الأنبياء عليهم السلام. وقال أهل السنة: إن الإيمان هو التصديق بالله تعالى، وبكون النبي صلى الله عليه وآله صادقاً، والتصديق بالأحكام التي يعلم يقيناً أنه صلى الله عليه وآله حكم بها دون ما فيه اختلاف واشتباه.

والكفر يقابل الإيمان، والذنوب يقابل العمل الصالح، وينقسم إلى كبائر وصغائر. ويستحق المؤمن بالإجماع الخلود في الجنة، ويستحق الكافر الخلود في العقاب. انتهى. وذكر في الشرح الجديد للتجريد أن الإيمان في الشرع عند الأشاعرة هو التصديق للرسول فيما علم مجيئه به ضرورة، فتفصيلاً فيما علم تفصيلاً، وإجمالاً فيما علم إجمالاً، فهو في الشرع تصديق خاص. انتهى.

فهؤلاء اتفقوا على أن حقيقة الإيمان هي التصديق فقط، وإن اختلفوا في المقدار المصدق به. والكلام هاهنا في مقامين:

الأول: في أن التصديق الذي هو الإيمان المراد به اليقين الجازم الثابت، كما يظهر من كلام من حكينا عنه.

الثاني: في أن الأعمال ليست جزء من حقيقة الإيمان الحقيقي، بل هي جزء من الإيمان الكمال. أما الدليل على الأول فآيات بينات:

منها قوله تعالى: إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا. والإيمان حق للنص والإجماع، فلا يكفي في حصوله وتحققه الظن.

ومنها: إن يتبعون إلا الظن، إن هم إلا يظنون، إن بعض الظن إثم. فهذه قد اشتركت في التوبيخ على اتباع الظن، والإيمان لا يوبخ من حصل له بالإجماع، فلا يكون ظناً.

ومنها قوله: إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا. فنفي عنهم الريب، فيكون الثابت هو اليقين.

إن قلت: هذه الآية الكريمة لا تدل على المدعى بل على خلافه، وهو عدم اعتبار اليقين في الإيمان، وذلك أنها إنما دلت على حصر الإيمان فيما عدا الشك، فيصدق الإيمان على الظن.

قلت: الظن في معرض الريب، لأن النقيض مجوز فيه ويقوى بأدنى تشكيك، فصاحبه لا يخلو من ريب حيث أنه دائماً يجوز النقيض، على أن الريب قد يطلق على ما هو أعم من الشك، يقال: لا أرتاب في كذا. ويريد أنه منه على يقين، وهذا شائع ذائع.

ومن السنة المطهرة قوله عليه السلام: يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلبي على دينك، فلو لم يكن ثبات القلب شرطاً في الإيمان لما طلبه عليه السلام، والثبات هو الجزم والمطابفة، والظن لإثبات فيه، إذ يجوز ارتفاعه.

وفيه، منع كون الثبات شرطاً في تحقيق الإيمان، ويجوز أن يكون عليه السلام طلبه لكونه الفرد الأكمل، وهو لا نزاع فيه.

ومن جملة الدلائل على ذلك أيضاً الإجماع، حيث ادعى بعضهم أنه يجب معرفة الله تعالى التي لا يتحقق الإيمان بها إلا بالدليل إجماعاً من العلماء كافة، والدليل ما أفاد العلم، والظن لا يفيد.

وفي صحة دعوى الإجماع بحث، لوقوع الخلاف في جواز التقليد في المعارف الأصولية، كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

واعلم أن جميع ما ذكرناه من الأدلة لا يفيد شيء منه العلم بأن الجزم والثبات معتبر في التصديق الذي هو الإيمان إنما يفيد الظن باعتبارهما، لأن الآيات قابلة للتأويل وغيرها كذلك، مع كونها من الأحاد.

ومن الآيات أيضاً قوله تعالى: فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. واعترض على هذا الدليل بأنه أخص من المدعى، فإنه إنما يدل على اعتبار اليقين في بعض المعارف، وهو التوحيد دون غيره، والمدعى اعتبار اليقين في كل ما التصديق به شرط في تحقق الإيمان، كالعدل والنبوة

والمعاد وغيرها.

وأجيب بأنه لا قائل بالفرق، فإن كل من اعتبر اليقين اعتبره في الجميع، ومن لم يعتبره لم يعتبره في شئ منها. واعلم أن ما ذكرناه على ما تقدم وارد هاهنا أيضاً.

واعترض أيضاً بأن الآية الكريمة خطاب للرسول صلى الله عليه وآله، فهي إنما تدل على وجوب العلم عليه وحده دون غيره.

وأجيب بأن ذلك ليس من خصوصياته صلى الله عليه وآله بالإجماع، وقد دل دليل وجوب التأسى به على وجوب اتباعه، فيجب على باقي المكلفين تحصيل العلم بالعقائد الأصولية.

وأيضاً أورد أنه إنما يفيد الوجوب لو ثبت أن الأمر للوجوب، وفيه منع لاحتماله غيره، وكذا يتوقف على كون المراد هاهنا القطعي، وهو غير معلوم، إذ يحتمل أن يراد به الظن الغالب، وهو يحصل بالتقليد. وبالجملة فهو دليل ظني.

وأما المقالة الثانية وهو أن الأعمال ليست جزء من الإيمان ولا نفسه فالدليل عليه من الكتاب العزيز، والسنة المطهرة، والإجماع.

أما الكتاب، فمنه قوله تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**، فإن العطف يقتضى المغايرة، وعدم دخول المعطوف في المعطوف عليه، فلو كان عمل الصالحات جزء من الإيمان أو نفسه لزم خلو العطف عن الفائدة لكونه تكراراً.

ورُدَّ ذلك بأن الصالحات جمع معرف يشمل الفرض والنفل، والقائل بكون الطاعات جزء من الإيمان يريد بها فعل الواجبات واجتناب المحرمات، وحينئذ فيصح العطف لحصول المغايرة المفيدة لعموم المعطوف، فلم يدخل كله في المعطوف عليه، نعم ذلك يصلح دليلاً على إبطال مذهب القائلين بكون المندوب داخلاً في حقيقة الإيمان كالخوارج.

ومنه قوله تعالى: **وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**، أى حاله إيمانه، فإن عمل الصالحات فى حالة الإيمان يقتضى المغايرة لما أضيف إلى تلك الحالة وقارنه فيها، وإلا لصار المعنى: ومن يعمل بعض الإيمان حال حصول ذلك البعض، أو ومن يعمل من الإيمان حال حصوله، وحينئذ فيلزم تقدم الشئ على نفسه وتحصيل الحاصل.

إن قلت: الآية الكريمة إنما تدل على المغايرة فى الجملة، لكن لا يلزم من ذلك أن لا تكون الأعمال جزءاً، فإن المعنى والله أعلم: ومن يعمل من الصالحات حال إيمانه، أى تصديقه بالمعارف الإلهية، وحينئذ فيجوز أن يكون الإيمان الشرعى بمجموع الجزئين، أى عمل الصالحات والتصديق المذكور، فالمغايرة إنما هى بين جزئى الإيمان ولا محذور فيه، بل لا بد منه وإلا لما تحقق الكل، بل لا بد لنفى ذلك من دليل.

قلت: من المعلوم أن الإيمان قد غير عن معناه لغه، فأما التصديق بالمعارف فقط فيكون تخصيصاً، أو مع الأعمال فيكون نقلاً، لكن الأول أولى، لأن التخصيص خير من النقل.

ووجه الاستدلال بالآية أيضاً بأن ظاهرها كون الإيمان الشرعى شرطاً لصحة الأعمال، حيث جعل سعيه مقبولاً إذا وقع حال الإيمان، فلا بد أن يكون الإيمان غير الأعمال، وإلا لزم اشتراط الشئ بنفسه.

ويرد على هذا ما ورد على الأول بعينه، نعم اللازم هنا أن يكون أحد جزئى المركب شرطاً لصحة الآخر ولا محذور فيه. والجواب عن هذا هو الجواب عن ذلك فتأمل.

ومنه قوله تعالى: **وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا...** فإنه أثبت الإيمان لمن ارتكب بعض المعاصى، فلو كان ترك المنهيات جزء من الإيمان لزم تحقق الإيمان وعدم تحققه فى موضع واحد فى حالة واحدة وهو محال.

ولهم أن يجيبوا عن ذلك بمنع تحقق الإيمان حالة ارتكاب المنهى، وكون تسميتهم بالمؤمنين باعتبار ما كانوا عليه وخصوصاً على مذهب المعتزلة، فإنهم لا يشترطون فى صدق المشتق على حقيقة بقاء المعنى المشتق منه.

ويمكن دفعه بأن الشارع قد منع من جواز إطلاق المؤمن على من تحقق كفره وعكسه، والكلام فى خطاب الشارع، فلا نسلم لهم الجواب.

ومنه قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ، فإن أمرهم بالتقوى التي لا تحصل إلا بفعل الطاعات والإنزجار عن المنهيات مع وصفهم بالإيمان، يدل على عدم حصول التقوى لهم، وإلا- لما أمروا بها مع حصول الإيمان لو وصفهم به، فلا تكون الأعمال نفس الإيمان ولا جزء منه، وإلا لكان أمراً بتحصيل الحاصل.

ويرد عليه، جواز أن يراد من الإيمان الذى وصفوا به اللغوى، ويكون المأمور به هو الشرعى وهو الطاعات، أو جزؤه عند من يقول بالجزئية. ويجاب عنه بنحو ما أوجب عما أورد على الدليل الثانى، فليتأمل.

ومنه أيضاً الآيات الدالة على كون القلب محلاً للإيمان من دون ضميمه شئ آخر، كقوله تعالى: أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ. أى جمعه وأثبتته فيها والله أعلم.

ولو كان الإقرار غيره من الأعمال نفس الإيمان أو جزءه، لما كان القلب محل جمعه، بل هو مع اللسان وحده، أو مع بقية الجوارح على اختلاف الآراء.

وقوله تعالى: وَلَمَّا رَدَّخِلَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ. ولو كان غير القلب من أعمال الجوارح نفس الإيمان أو جزءه، لما جعل كله محل القلب، كما هو ظاهر الآية الكريمة.

وقوله تعالى: وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ. فإن إطمئنانه بالإيمان يقتضى تعلقه كله به، وإلا لكان مطمئناً ببعضه لا كله.

أقول: يرد على الأخير أنه لا- يلزم من اطمئنانه بالإيمان كونه محلاً له، إذ من الجائز كونه عبارة عن الطاعات وحدها، أو مع شئ آخر واطمئنان القلب لإطلاعه على حصول ذلك، فإن القلب يطلع على الأعمال.

ويرد على الأولين أن الإيمان المكتوب والداخل فى القلب إنما هو العقائد الأصولية، ولا يدل على حصر الإيمان فى ذلك، ونحن لا نمنع ذلك بل نقول باعتبار ذلك فى الإيمان إما على طريق الشرطية لصحته، أو الجزئية له، إذ من يزعم أنه الطاعات فقط لا بد من حصول ذلك التصديق عنده أيضاً لتصح تلك الأعمال، غاية الأمر أنه شرط للإيمان أو جزؤه لا نفسه، كما تقدمت الإشارة إليه.

نعم هما يدلان على بطلان مذهب الكرامية، حيث يكتفون فى تحققه بلفظ الشهادتين من غير شئ آخر أصلاً لا شرطاً ولا جزءاً. قيل: وكذا آيات الطبع والختم تشعر بأن محل الإيمان القلب، كقوله تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ... فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ... وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ. وفيه ما تقدم.

وأما السنة المطهرة، فكقوله عليه السلام: يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبى على دينك، وجه الدلالة فيه أن المراد من الدين هنا الإيمان، لأن طلب تثبيت القلب عليه يدل على أنه متعلق بالإعتقاد، وليس هناك شئ آخر غير الإيمان من الإعتقاد يصلح لثبات القلب عليه بحيث يسمى ديناً، فتعين أن يكون هو الإيمان، وحيث لم يطلب غيره فى حصول الإيمان علم أن الإيمان يتعلق بالقلب لا بغيره.

وكذا ما روى أن جبرئيل عليه السلام أتى النبى صلى الله عليه وآله فسأله عن الإيمان؟ فقال: أن تؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر. ومعنى ذلك: أن تصدق بالله ورسوله واليوم الآخر، فلو كان فعل الجوارح أو غيره من الإيمان لذكره له، حيث سأله الرسول صلى الله عليه وآله عما هو الإيمان المطلوب للشارع.

وإن قيل: ظاهر الحديث فيه مناقشة، وذلك أن الرسول عليه السلام سأله عن حقيقة الإيمان، فكان من حق الجواب فى شرح معناه أن يقال: أن تصدق بالله لا أن تؤمن، لأن أن مع الفعل فى تأويل المصدر، فيصير حاصله الإيمان هو الإيمان بالله، فيلزم منه تعريف الشئ بنفسه فى الجملة، وذلك لا يليق بنفس الأمر.

والجواب أن المراد من قوله: أن تؤمن بالله، أن تصدق، وقد كان التصديق معلوماً له عليه السلام لغه، فلم يكن تعريف الشئ بنفسه، فهذا إنما يكون بالقياس إلى غيرهما (عليهما السلام)، وإلا فالسائل والمسؤول غنيان عن معرفة المعانى من الألفاظ.

وأما الإجماع، فهو أن الأمة أجمعت على أن الإيمان شرط لسائر العبادات، والشئ لا- يكون شرطاً لنفسه، فلا- يكون الإيمان هو العبادات.

أقول: على تقدير تسليم دعوى الإجماع، فللخصوم أن يقولوا: نحن نقول بكون التصديق بمسائل الأصول شرطاً لصحة العبادات التي هي الإيمان، ولا يلزمنا بذلك أن يكون تلك المسائل هي الإيمان، فإن سميتوها إيماناً بالمعنى اللغوي فلا مشاحة في ذلك، وإن قلت بل هي الإيمان الشرعي، فهو محل النزاع ودليلكم لا يدل عليه. وأجمعت أيضاً على أن فساد العبادات لا يوجب فساد الإيمان، وذلك يقتضى كون الإيمان غير أعمال الجوارح. أقول: إن صح نقل الإجماع، فلا ريب في دلالة على المدعى، وسلامته عن المطاعن المتقدمة.

هل يمكن أن يصير المؤمن كافراً

... المؤمن هل يجوز أن يكفر بعد إيمانه أم لا؟ ذهب إلى الأول جماعة من العلماء، وظاهر القرآن العزيز يدل عليه في آيات كثيرة، كقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا... إلى غير ذلك من الآيات، ولو كان التصديق بالمعارف الأصولية يعتبر فيه الجزم والثبات لما صح ذلك، إذ اليقين لا يزول بالأضعف، ولا ريب أن موجب الكفر أضعف مما يوجب الإيمان. قلت: لا- ريب أن الإيمان من الكيفيات النفسانية، إذ هو نوع من العلم على ما هو الحق، فهو عرض، وقبوله للزوال بعروض ضده أو مثله، عند من يقول الأعراض لا- تبقى زمانين كالأشاعر ظاهراً. وكذا على القول بأن الباقي محتاج إلى المؤثر في بقائه أو غير محتاج مع قطع النظر عن بقاء الأعراض زمانين، لأن الفاعل مختار، فيصح منه الإيجاد والإعدام في كل وقت. غاية الأمر أن تبديل الإيمان بالكفر لا يجوز أن يكون من فعل الله تعالى على ما تقتضيه قواعد العدالة، من أن العبد له فعل، وأن اللطف واجب على الله تعالى، ولو كان التبديل منه تعالى لنافى اللطف. على أنا نقول: قد يستند الكفر إلى الفعل دون الاعتقاد، فيجامع الجزم اليقين في المعارف الأصولية، كما في السجود للصنم وإلقاء المصاحف في القاذورات مع كونه مصدقاً بالمعارف. إن قلت: فعلى هذا يلزم جواز اجتماع الإيمان والكفر في محل واحد وزمان واحد، وهو محال، لأن الكفر عدم الإيمان عما من شأنه أن يكون مؤمناً.

قلت: الإيمان هو التصديق بالأصول المذكورة بشرط عدم السجود وغيره مما يوجب فعله الكفر بدلالة الشارع عليه، وانتفاء الشرط يستلزم انتفاء المشروط.

ثانيها يلزم أن يكون الظان ولو في أحد من الأصول الخمسة كافراً وإن كان عالماً بالباقي، لأن الظن من أضداد اليقين فلا يجمعه. فيلزم (القول) بكفر مستضعفى المسلمين بل كثير من عوامهم، لعدم التصديق في الأول والثبات في الثاني، كما نشاهد من تشككهم عند التشكيك، مع أن الشارع حكم بإسلامهم وأجرى عليهم أحكامهم. ومن هاهنا اكتفى بعض العلماء في الإيمان بالتقليد، كما تقدمت الإشارة إليه.

ويمكن الجواب عن ذلك: بأن من يشترط اليقين يلتزم الحكم بكفرهم لو علم كون اعتقادهم بالمعارف عن ظن، لكن هذا الإلتزام في المستضعف في غاية البعد والضعف. وأما إجراء الأحكام الشرعية فإنما هو للاكتفاء بالظاهر إذ هو المدار في إجراء الأحكام الشرعية فهو لا ينافى كون المجرى عليه كذلك كافراً في نفس الأمر. وبالجملة، فالكلام إنما هو في بيان ما يتحقق به كون المكلف مؤمناً عند الله سبحانه، وأما عندنا فيكفى ما يفيد الظن حصول ذلك له، كإقراره بالمعارف الأصولية مختاراً غير مستهزى، لتعذر العلم علينا غالباً بحصول ذلك له.

ثالثها: أنه إذا كان الإيمان هو التصديق الجازم الثابت، فلا يمكن الحكم بإيمان أحد حتى نعلم يقيناً أن تصديقه بما ذكر يقينى، وأنى لنا بذلك، ولا يطلع على الضمائر إلا خالق السرائر.

والجواب عن هذا هو الجواب عن الثاني.

رابعها: انتقاض حد الإيمان والكفر جمعاً ومنعاً بحالة النوم والغفلة وكذا بالصبي لأنه إن كان مصدقاً فهو مؤمن وإلا فكافر، لعدم

الواسطة، مع أن الشارع لم يحكم عليه بشئ منهما حقيقة بل تبعاً.

وأجيب عن الأولين بأن التصديق باق لم يزل، والذهول والغفلة إنما هو عن حصوله واتصاف النفس به، إذ العلم بالعلم وبصفات النفس غير لازم، ولا عدمه ينافي حصولهما.

على أن الشارع جعل الأمر المحقق الذي لم يطرأ عليه ما يصاده ويزيله في حكم الباقي، فسمى من اتصف بالإيمان مؤمناً، سواء كان مستشعراً بإيمان نفسه، أو غافلاً عن ذلك مع اتصاف نفسه به.

وعن الثالث بأن الكلام في الإيمان الشرعي فهو من أفراد التكليف، فلا يوصف الصبي بشئ منها حقيقة، لعدم دخوله في المكلف، نعم يوصف تبعاً.

هل تزول المعرفة والإيمان بإنكار الضروري؟

نهاية الافكار: ٢/١٩٠

وحيث انجر الكلام إلى هنا ينبغي عطف الكلام إلى بيان أن كفر منكر الضروري هل هو لمحض إنكاره أو أنه من جهة استتباعه لتكذيب النبي صلى الله عليه وآله، وتظهر الثمرة فيما لو كان منشأ الإنكار الاعتقاد بعدم صدور ما أنكره عن النبي صلى الله عليه وآله، أو اشتباه الأمر عليه، فإنه على الأول

يحكم عليه بالكفر ويرتب عليه آثاره بمحض إنكاره، بخلاف الثاني حيث لا يحكم عليه بالكفر في الفرض المزبور.

فنقول: إن ظاهر إطلاق كلماتهم في كفر منكر الضروري وإن كان يقتضى الوجه الأول، ولكن النظر الدقيق فيها يقتضى خلافه، وذلك لما هو المعلوم من انصراف إطلاق كلماتهم إلى المنكر المنتحل للإسلام المعاصر للمسلمين. ومن الواضح ظهور إنكار مثل هذا الشخص في تكذيبه للنبي صلى الله عليه وآله ومع هذا الانصراف لا مجال للأخذ بإطلاق كلامهم في الحكم بكفر منكر الضروري حتى مع العلم بعدم رجوع إنكاره إلى تكذيب النبي صلى الله عليه وآله، وبعد عدم دليل في البين على ثبوت الكفر بمحض الإنكار أمكن الإلتزام بعدم الكفر فيمن يحتمل في حقه الشبهة وخفاء الأمر عليه بحسب ظهور حاله كما فيمن هو قريب عهد بالإسلام عاش في البوادي ولم يختلط بالمسلمين، حيث أن إنكار مثله لا يكون له ظهور في تكذيب النبي صلى الله عليه وآله، وبذلك يندفع ما قد يتوهم من اقتضاء البيان المزبور عدم الحكم بالكفر حتى في من نشأ في الإسلام وعاشر المسلمين مع احتمال الشبهة في حقه خصوصاً مع دعواه عدم اعتقاده بصدور ما أنكره عن النبي صلى الله عليه وآله وأنه من الموضوعات. إذ نقول إنه كذلك لولا ظهور حال مثله في تكذيب النبي صلى الله عليه وآله وعدم خفاء شئ عليه من أساس الدين وضرورياته، حيث أن العادة قاضية بأن من عاشر المسلمين مدة مديدة من عمره لا يخفى عليه شئ من أساس الدين وضرورياته فضلاً عما كان مسلماً وكان نشوؤه من صغره بين المسلمين، فإنكار مثل هذا الشخص يكشف لا محالة بمقتضى ظهور حاله عن تكذيب النبي بحيث لو ادعى جهله بذلك أو اعتقاده بعدم صدور ما أنكره عن النبي لا يسمع منه بل يحكم بكفره.

وهذا بخلاف غيره ممن كان نشوه في البوادي أو البلاد التي لا يوجد فيها المسلم فإن ظهور حاله ربما يكون على العكس، ومن ذلك لا نحكم بكفره بمجرد إنكاره لشئ من ضروريات الدين خصوصاً مع دعواه عدم علمه بكون ما أنكره صادراً عن النبي صلى الله عليه وآله.

بل ولعل في جعل مدار الكفر على إنكار الضروري دلالة على ما ذكرنا من طريقتي الإنكار للتكذيب بلحاظ بُعد خفاء ما هو أساس الدين وضرورياته على المنتحل للإسلام المعاصر مع المسلمين، بخلاف غير الضروري حيث لا بُعد في خفائه، وإلا فلا فرق في استلزام الإنكار للتكذيب بين الضروري وغيره، وحينئذ فيمكن الجمع بين إطلاق كلامهم في كفر منكر الضروري وبين ما هو الظاهر من طريقتي الإنكار للتكذيب بحمل الإطلاقات على المنكر المنتحل للإسلام المعاصر مع المسلمين برهه من عمره.

وقد يستدل على استتباع مجرد الإنكار للكفر بما رواه زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام من قوله: لو أن العباد إذا جهلوا وقفوا ولم يجحدوا لم يكفروا، ولكن يدفعه ظهور الرواية في الإنكار الناشئ عن العناد إذ الجحد ليس إلا عبارة عن ذلك ومن المعلوم عدم صلاحية مثله للدلالة على ثبوت الكفر بمحض الإنكار، ومجرد كون الإنكار العنادي موجباً للكفر لا يقتضى تسريته الحكم إلى مطلق الإنكار، ومن ذلك نقول أن الإنكار العنادي موجب للكفر مطلقاً ولو في غير الضروري.

هذا كله في صورة التمكّن من تحصيل العلم والإعتقاد الجزمى، ولقد عرفت وجوبه عليه فيما يرجع إلى الله جل شأنه وما يرجع إلى أنبيائه ورسله وحججه وأنه مع الإخلال به يكون معاقباً لا محالة.

نعم يبقى الكلام حينئذ في كفره وترتيب آثاره عليه من النجاسة وغيرها مع الإخلال بتحصيل المعرفة، فنقول:

أما مع عدم إظهاره للشهادتين فلا إشكال في كفره وترتيب آثاره عليه من النجاسة وعدم الارث والمناكحة. وأما مع إظهار الشهادتين ففيه إشكال ينشأ من كفاية مجرد إظهار الشهادتين مع عدم الإنكار في الحكم بالإسلام، ومن عدم كفايته ولزوم الإعتقاد في الباطن أيضاً.

ولكنه لا ينبغي التأمل في عدم كفايته، فإن حقيقة الإسلام عبارة عن الإعتقاد بالواجب تعالى والتصديق بالنبي عليه السلام بكونه رسولاً من عند الله سبحانه، وأن الإكتفاء بإظهار الشهادتين من جهة كونه أماراً على الإعتقاد في الباطن كما يظهر ذلك أيضاً من النصوص الكثيرة.

ولا ينافي ذلك ما يترائي في صدر الإسلام من معاملته النبي صلى الله عليه وآله مع المنافقين معاملته الإسلام بمجرد إظهارهم الشهادتين مع علمه صلى الله عليه وآله بعدم كونهم مؤمنين بالله ولا مصدقين برسوله واقعاً، وأن إظهارهم الشهادتين كان لمحض الصورة، إما لاجل خوفهم من القتل، وإما لبعض المصالح المنظورة لهم كالوصول إلى مقام الرياسة والامال الدنيوية لما سمعوا وعلموا من الكهنة بارتقاء الإسلام وتفوقه على سائر المذاهب والأديان، مع أنهم لم يؤمنوا بالله طرفه عين كما نطقت به الأخبار والآثار المروية عن الأئمة الأطهار.

إذ نقول إن في معاملته النبي صلى الله عليه وآله والوصى مع هؤلاء المنافقين في الصدر الأول معاملته الإسلام بمحض إظهارهم الشهادتين وجوها ومصالح شتى:

منها: تكثير جمعيّة المسلمين وازديادهم في قبال الكفار وعبدة الأوثان الموجب لازدياد صولة المسلمين في أنظار المشركين.

ومنها: حفظ من في أصلابهم من المؤمنين الذين يوجدون بعد ذلك.

ومنها: تعليم الأمة في الأخذ بما يقتضيه ظاهر القول بالشهادتين في الكشف عن الإعتقاد في الباطن، فإنه لو فتح مثل هذا الباب في الصدر الأول لقتل كل أحد صاحبه لاجل ما كان بينهم من العداوة في الجاهلية بدعوى أن اعتقاده على خلاف ما يظهره باللسان وأن إظهار الشهادتين كان لأجل الخوف من القتل أو الطمع في الشركة في أخذ الغنيمه، ومثله لا يزيد المسلمين وشوكتهم إلا ضعفاً كما يشهد لذلك الآية الشريفة: وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا، وقضية أسامة بن زيد في ذلك معروفة.

ومنها: غير ذلك من المصالح التي لاحظها النبي صلى الله عليه وآله مع علمه بكونهم حقيقة غير مؤمنين على ما نطق به الكتاب المبين في مواضع عديدة في قوله سبحانه: يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ، وقوله: وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ... الخ. وغير ذلك من الآيات الكثيرة.

وأيّن ذلك وزماننا هذا الذي قد كثر فيه المسلمون كثرة عظيمة، وحينئذ فلا يمكن الإلتزام بترتيب آثار الإسلام على مجرد إظهار الشهادتين مع العلم بعدم كون إظهارها إلا- صورياً محضاً خصوصاً مع ظهور اعتبار القول في كونه لأجل الحكاية والطريقة عن الإعتقاد في الباطن، بل لابد من ترتيب آثار الكفر عليه في الفرض المزبور.

مسالك الافهام: ٢/٧٥

النية معتبرة في الكفارة لأنها عبادة تقع على وجوه مختلفة فلا يتميز المقصد منها بالنية لقوله صلى الله عليه وآله: إنما الأعمال بالنيات ويعتبر فيها نية القربة لقوله تعالى: وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيُعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ. وهذا هو القدر المتفق عليه منها....

إذا تقرر ذلك فقد فرع المصنف على اعتبار نية القربة به أنه لا يصح من الكافر كتابياً كان أم غيره، محتجاً بتعذر نية القربة في حقه، وفيه نظر، لأنه إن أراد بنية القربة المتعذرة منه نية إيقاع الفعل طلباً للتقرب إلى الله بواسطة نيل الثواب أو ما جرى مجرى ذلك سواء حصل له ما نواه أم لا، منعنا من تعذر نية القربة من مطلق الكافر، لأن من اعترف منهم بالله تعالى وكان كفره بجحد نبوة النبي صلى الله عليه وآله أو غيره من الأنبياء أو بعض شرايع الإسلام يمكن منه هذا النوع من التقرب، وإنما يمتنع من الكافر المعطل الذي لا يعترف بوجود الله تعالى كالدهرى وبعض عبدة الأصنام، وإن أراد بها إيقاعه على وجه التقرب إلى الله تعالى بحيث يستحق بها الثواب طالبناه بدليل على اشتراط مثل ذلك وعارضناه بعبارة المخالف من المسلمين وعقته فإنه لا يستتبع الثواب عنده مع صحة عقته، وفي صحة عبادات غيره بحث فرد في محله.

وبالجمله فكلامهم في هذا الباب مختلف غير منقح، لانهم تارة يحكمون بطلان عبادة الكافر مطلقاً استناداً إلى تعذر نية القربة منه، ومقتضى ذلك إرادة المعنى الثانى لأن ذلك هو المتعذر منه لا-الأول، وتارة يجوزون منه بعض العبادات كالتقوى وسيأتى تجويز جماعة من الأصحاب له منه، مع اشتراط القربة فيه نظراً إلى ما ذكرناه من الوجه فى الأول.

وقد وقع الخلاف بينهم فى وقفه وصدقته وعقته المتبرع به ونحو ذلك من التصرفات المالىة المعتبر فيها القربة، واتفقوا على عدم صحة العبادات البدنية منه نظراً إلى أن المال يراعى فيه جانب المدفوع إليه ولو بفك الرقبة من الرق فيرجح فيه جانب القربات بخلاف العبادات البدنية، ومن ثم ذهب بعض العامة إلى عدم اشتراط النية فى العتق والإطعام واعتبرها فى الصيام، إلا أن هذا الإعتبار غير منضبط عند الأصحاب كما أشرنا إليه، وسيأتى له فى العتق زيادة بحث.

ثم عد إلى العبارة واعلم أن قوله ذمياً كان الكافر أو حربياً أو مرتداً لا يظهر للتسوية بين هذه الفرق مزية، لأن الكافر المقر بالله تعالى لا يفرق فيه بين الذمى والحربى، وإن افرقا فى الإقرار بالجزية فإن ذلك أمر خارج عن هذا المطلق، وإنما حق التسوية بين أصناف الكفار أن يقول سواء كان مقراً بالله كالكتابى أم جاحداً له كالوثنى، لأن ذلك هو موضع الإشكال ومحل الخلاف.

وأما ما قاله بعضهم من أن الكافر مطلقاً لا يعرف الله تعالى على الوجه المعتبر ولو عرفه لأقر بجميع رسله ودين الإسلام فهو كلام بعيد عن التحقيق جداً، ولا ملازمة بين الأمرين كما لا ملازمة بين معرفة المسلم لله تعالى ومعرفة دين الحق من فرق الإسلام، وكل حزب بما لديهم فرحون.

مسالك الافهام: ٢/١٥٣

قوله: ويصح اليمين من الكافر.. إلخ. إذا حلف الكافر بالله تعالى على شئ سواء كان مقراً بالله كاليهودى والنصرانى، أو من كفر بجحد فريضة من المسلمين، أو غير مقر به كالوثنى، ففى انعقاد يمينه أقوال أشهرها الأول، وهو الذى اختاره المصنف والشيخ فى المبسوط وأتباعه وأكثر المتأخرين لوجود المقتضى وهو حلفه بالله تعالى مع باقى الشرايط وانتفاء المانع، إذ ليس هناك إلا كفره وهو غير مانع لتناول الأدلة الدالة على انعقاد اليمين له من الآيات والأخبار، ولأن الكفار مخاطبون بفروع الشرايع فيدخلون تحت عموم قوله تعالى: وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ، وغيره.

وقال الشيخ فى الخلاف وابن إدريس: لا ينعقد مطلقاً لأن شرط صحتها الحلف بالله والكافر لا يعرف الله، وفى إطلاق القولين معاً منع ظاهر.

وفصل العلامة جيداً فى المختلف فقال: إن كان كفره باعتبار جهله بالله وعدم علمه به لم ينعقد يمينه لأنه يحلف بغير الله، ولو عبر به

فعبارة لغو لعدم اعتقاده ما يقتضى تعظيمه بالحلف به، وإن كان جرده باعتبار جحد نبوة أو فريضة انعقدت يمينه، لوجود المقتضى وهو الحلف بالله تعالى من عارف به إلى آخر ما اعتبر. وتوقف فعل المحلوف عليه لو كان طاعة، والتكفير على تقدير الحنث على الإسلام لا يمنع أصل الإنعقاد، لأنه مشروط بشرط زايد على أصل اليمين فلا ملازمة بينهما.

وفائدة الصحة تظهر في بقاء اليمين لو أسلم في المطلقة أو قبل خروج وقت الموقتة، وفي العقاب على متعلقها لو مات على كفره ولما يفعله لا في تدارك الكفارة ولو سبق الحنث للإسلام، لأنها تسقط به عنه.

قوله: وفي صحة التكفير.. إلخ. إذا قلنا بصحة يمين الكافر على بعض الوجوه وحنث في يمينه وجبت عليه الكفارة مطلقاً، ومذهب الأصحاب عدم صحتها منه حال الكفر لأنها من العبادات المشروطة بنية القربة، وهي متعذرة في حقه سواء عرف الله أم لا، لأن المراد من القربة ما يترتب عليه الثواب وهو منتف في حقه.

والمصنف رحمه الله تردد في ذلك، ووجه التردد ما ذكر ومن احتمال أن يراد بالقربة قصد التقرب إلى الله تعالى سواء حصل له القرب والثواب أم لا كما سبق تحقيقه في عتق الكافر، ومن حيث أن بعض خصال الكفارة قد يشك في اعتبار نية القربة فيها كالإطعام والكسوة كما يقوله العامة فإنهم لا يعتبرون النية إلا في الصوم من خصالها ويجوزون الإطعام ونحوه بدونها، ولكن مذهب الأصحاب اعتبار نية القربة في جميع خصالها، وظاهرهم اختيار المعنى الأول من معاني القربة، ومن ثم أبطلوا عبادات الكافر، ومن اختار منهم صحة يمينه منع من صحة التكفير منه مادام على كفره، فما تردد المصنف رحمه الله فيه لا يظهر فيه خلاف معتد به.

بحث في معرفة الله تعالى عن طريق معرفة النفس

تفسير الميزان للطباطبائي: ٦/١٦٩ وما بعده

في الغرر والدرر للآمدى عن علي عليه السلام قال: من عرف نفسه عرف ربه.

أقول ورواه الفريقان عن النبي أيضاً وهو حديث مشهور، وقد ذكر بعض العلماء أنه من تعليق المحال، ومفاده استحالة معرفة النفس لإستحالة الاحاطة العلمية بالله سبحانه. ورد أولاً، بقوله صلى الله عليه وآله في رواية أخرى: أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه. وثانياً، بأن الحديث في معنى عكس النقيض، لقوله تعالى: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ. وفيه عنه عليه السلام: قال الكيس من عرف نفسه وأخلص أعماله.

أقول: تقدم في البيان السابق معنى ارتباط الإخلاص وتفرعه على الإشتغال بمعرفة النفس.

وفيه عنه عليه السلام: قال المعرفة بالنفس أنفع المعرفتين.

أقول: الظاهر أن المراد بالمعرفتين المعرفة بالآيات الأنفسية والمعرفة بالآيات الآفاقية، قال تعالى: سَيُنزِّلُهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ. حم السجدة: ٥٣، وقال تعالى: وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ. الذاريات: ٢١.

وكون السير الأنفسى أنفع من السير الآفاقي لعله لكون المعرفة النفسانية لا تنفك عادةً من إصلاح أوصافها وأعمالها بخلاف المعرفة الآفاقية، وذلك أن كون معرفة الآيات نافعاً إنما هو لأن معرفة الآيات بما هي آيات موصلة إلى معرفة الله سبحانه وأسمائه وصفاته وأفعاله، ككونه تعالى حياً لا يعرضه موت، وقادراً لا يشوبه، عجزاً وعالماً لا يخالطه جهل، وأنه تعالى هو الخالق لكل شئ، والمالك لكل شئ، والرب القائم على كل نفس بما كسبت، خلق الخلق لا لحاجة منه إليهم بل لينعم عليهم بما استحقوه، ثم يجمعهم ليوم الجمع لا ريب فيه، ليجزى الذين أسأؤوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى.

وهذه وأمثالها معارف حقة، إذا تناولها الإنسان وأتقنها مثلت له حقيقته حياته وأنها حياة مؤبدة ذات سعادة دائمة أو شقوة لازمة، وليست بتلك المتهوسة المنقطعة اللاهية اللاغية.

وهذا موقف علمي يهدى الإنسان إلى تكاليف ووظائف بالنسبة إلى ربه وبالنسبة إلى أبناء نوعه في الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وهي التي نسميها بالدين، فإن السنة التي يلتزمها الإنسان في حياته ولا يخلو عنها حتى البدوى والهمجي، إنما يضعها ويلتزمها أو يأخذها ويلتزمها لنفسه من حيث أنه يقدر لنفسه نوعاً من الحياة أى نوع كان، ثم يعمل بما استحسنته من السنة لاسعاد تلك الحياة، وهذا من الوضوح بمكان.

فالحياة التي يقدرها الإنسان لنفسه تمثل له الحوائج المناسبة لها فيهدى بها إلى الأعمال التي تضمن عادة رفع تلك الحوائج فيطبق الإنسان عمله عليها، وهو السنة أو الدين.

فتلخص مما ذكرنا أن النظر في الآيات الأنفسية والآفاقية ومعرفة الله سبحانه بها يهدى الإنسان إلى التمسك بالدين الحق والشريعة الإلهية، من جهة تمثيل المعرفة المذكورة الحياة الإنسانية المؤبدة له عند ذلك، وتعلقها بالتوحيد والمعاد والنبوة.

وهذه الهداية إلى الإيمان والتقوى يشترك فيها الطريقتان معاً، أعنى طريقي النظر إلى الآفاق والأنفس، فهما نافعان جميعاً، غير أن النظر إلى آيات النفس أنفع، فإنه لا يخلو من العثر على ذات النفس وقواها وأدواتها الروحية والبدنية وما يعرضها من الإعتدال في أمرها أو طغيانها أو خمودها، والملكات الفاضلة أو الرذيلة والأحوال الحسنه أو السيئه التي تقارنها.

واشتغال الإنسان بمعرفة هذه الأمور والإذعان بما يلزمها من أمن أو خطر وسعادة أو شقاوة لا ينفك من أن يعرفه الداء والدواء من موقف قريب، فيشتغل بإصلاح الفاسد منها والملتزم بصحيحها، بخلاف النظر في الآيات الآفاقية، فإنه إن دعا إلى إصلاح النفس وتطهيرها من سفاسف الأخلاق ورذائلها وتحليلتها بالفضائل الروحية، لكنه ينادى لذلك من مكان بعيد، وهو ظاهر.

وللرواية معنى آخر أدق مستخرج من نتائج الأبحاث الحقيقية في علم النفس، وهو أن النظر في الآيات الآفاقية والمعرفة الحاصلة من ذلك نظر فكري وعلم حصولي، بخلاف النظر في النفس وقواها وأطوار وجودها والمعرفة المتجلية منها، فإنه نظر شهودي وعلم حضوري، والتصديق الفكري يحتاج في تحققه إلى نظم الأقيسه واستعمال البرهان وهو باق ما دام الإنسان متوجهاً إلى مقدماته غير ذاهل عنها ولا مشتغل بغيرها، ولذلك يزول العلم بزوال الأشراف على دليله وتكثر فيه الشبهات ويثور فيه الاختلاف.

وهذا بخلاف العلم النفساني بالنفس وقواها وأطوار وجودها فإنه من العيان، فإذا اشتغل الإنسان بالنظر إلى آيات نفسه وشاهد فقرها إلى ربها وحاجتها في جميع أطوار وجودها وجد أمراً عجبياً، وجد نفسه متعلقة بالعظمة والكبرياء متصلة في وجودها وحياتها وعلمها وقدرتها وسمعتها وبصرها وإرادتها وحبها وسائر صفاتها وأفعالها، بما لا يتناهى بهاءً وسناءً وجمالاً وجلالاً وكمالاً من الوجود والحياة والعلم والقدرة وغيرها من كل كمال.

وشاهد ما تقدم بيانه أن النفس الإنسانية لا شأن لها إلا في نفسها، ولا مخرج لها من نفسها، ولا شغل لها إلا السير الإضراري في مسير نفسها، وإنها منقطعة عن كل شيء كانت تظن أنها مجتمعته معه مختلطة به إلا ربها، المحيط بباطنها وظاهرها وكل شيء دونها، فوجدت أنها دائماً في خلا مع ربها وإن كانت في ملا من الناس.

وعند ذلك تنصرف عن كل شيء وتوجه إلى ربها وتنسى كل شيء، وتذكر ربها فلا يحجب عنها حجاب، ولا تستتر عنه بستر، وهو حق المعرفة الذي قدر للإنسان.

وهذه المعرفة الأخرى بها أن تسمى بمعرفة الله بالله....

وأما المعرفة الفكرية التي يفيدها النظر في الآيات الآفاقية سواء حصلت من قياس أو حدس أو غير ذلك، فإنما هي معرفة بصورة ذهنية عن صورة ذهنية، وجل الاله أن يحيط به ذهن أو تساوى ذاته صورة مختلفة اختلقها خلق من خلقه، ولا يحيطون به علما.

وقد روى في الإرشاد والاحتجاج على ما في البحار، عن الشعبي، عن أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له: إن الله أجل من أن يحتجب عن شيء أو يحتجب عنه شيء.

وفي التوحيد، عن موسى بن جعفر عليه السلام في كلام له: ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه، احتجب بغير حجاب محجوب،

واستتر بغير ستر مستور، لا إله إلا هو الكبير المتعال.

وفى التوحيد مسنداً عن عبد الأعلى، عن الصادق عليه السلام فى حديث: ومن زعم أنه يعرف الله بحجاب أو بصورة أو بمثال، فهو مشرك، لأن الحجاب والصورة والمثال غيره، وإنما هو واحد موحد، فكيف يوحد من زعم أنه يوحد بغيره! إنما عرف الله من عرفه بالله، فمن لم يعرفه به فليس يعرفه، إنما يعرف غيره.. الحديث.

والأخبار المأثورة عن أئمة أهل البيت عليه السلام فى معنى ما قدمناه كثيرة جداً لعل الله يوفقنا ليرادها وشرحها فى ماسياتى إن شاء الله العزيز من تفسير سورة الاعراف.

فقد تحصل أن النظر فى آيات الانفس أنفس وأعلى قيمةً، وأنه هو المنتج لحقيقته المعرفة فحسب، وعلى هذا فعده عليه السلام إياها أنفع المعرفتين لا معرفة متعينة إنما هو لأن العامة من الناس قاصرون عن نيلها، وقد أطبق الكتاب والسنة وجرت السيرة الطاهرة النبوية وسيرة أهل بيته الطاهرين على قبول من آمن بالله عن نظر آفاقي وهو النظر الشائع بين المؤمنين. فالطريقان نافعان جميعاً، لكن النفع فى طريق النفس أتم وأغزر.

وفى الدرر والغرر عن على عليه السلام قال: العارف من عرف نفسه فاعتقها ونزهها عن كل ما يبعدها. أقول: أى أعتقها عن إسارة الهوى ورقيته الشهوات.

وفيه، عنه عليه السلام قال: أعظم الجهل جهل الإنسان أمر نفسه.

وفيه، عنه عليه السلام قال: أعظم الحكمة معرفة الإنسان نفسه.

وفيه، عنه عليه السلام قال: أكثر الناس معرفة لنفسه أخوفهم لربه. أقول: وذلك لكونه أعلمهم بربه وأعرفهم به، وقد قال الله سبحانه: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ.

وفيه، عنه عليه السلام قال: أفضل العقل معرفة المرء بنفسه، فمن عرف نفسه عقل، ومن جهلها ضل.

وفيه، عنه عليه السلام قال: عجبت لمن ينشد ضالته وقد أضل نفسه فلا يطلبها.

وفيه، عنه عليه السلام قال: عجبت لمن يجهل نفسه كيف يعرف ربه.

وفيه، عنه عليه السلام قال: غايه المعرفة أن يعرف المرء نفسه. أقول: وقد تقدم وجه كونها غايه المعرفة فإنها المعرفة حقيقة.

وفيه، عنه عليه السلام قال: كيف يعرف غيره من يجهل نفسه.

وفيه، عنه عليه السلام قال: كفى بالمرء معرفة أن يعرف نفسه، وكفى بالمرء جهلاً أن يجهل نفسه.

وفيه، عنه عليه السلام قال: من عرف نفسه تجرد. أقول: أى تجرد عن علائق الدنيا، أو تجرد عن الناس بالإعتزال عنهم، أو تجرد عن كل شئ بالإخلاص لله.

وفيه، عنه عليه السلام قال: من عرف نفسه جاهدها، ومن جهل نفسه أهملها.

وفيه، عنه عليه السلام قال: من عرف نفسه جل أمره.

وفيه، عنه عليه السلام قال: من عرف نفسه كان لغيره أعرف، ومن جهل نفسه كان بغيره أجهل.

وفيه، عنه عليه السلام قال: من عرف نفسه فقد انتهى إلى غايه كل معرفة وعلم.

وفيه، عنه عليه السلام قال: من لم يعرف نفسه بعد عن سبيل النجاء، وخبط فى الضلال والجهالات.

وفيه، عنه عليه السلام قال: معرفة النفس أنفع المعارف.

وفيه، عنه عليه السلام قال: نال الفوز الأكبر من ظفر بمعرفة النفس.

وفيه، عنه عليه السلام قال: لا تجهل نفسك فإن الجاهل معرفة نفسه جاهل بكل شئ.

وفى تحف العقول، عن الصادق عليه السلام فى حديث: من زعم أنه يعرف الله بتوهم القلوب فهو مشرك، ومن زعم أنه يعرف الله

بالإسم دون المعنى فقد أقر بالطعن لأن الإسم محدث، ومن زعم أنه يعبد الإسم والمعنى فقد جعل مع الله شريكاً، ومن زعم أنه يعبد بالصفة لا بالإدراك فقد أحال على غائب، ومن زعم أنه يضيف الموصوف إلى الصفة فقد صغر بالكبير، وما قدروا الله حق قدره. قيل له: فكيف سبيل التوحيد؟ قال: باب البحث ممكن وطلب المخرج موجود، إن معرفة عين الشاهد قبل صفته، ومعرفة صفة الغائب قبل عينه. قيل وكيف يعرف عين الشاهد قبل صفته؟ قال: تعرفه وتعلم علمه، وتعرف نفسك به ولا تعرف نفسك من نفسك، وتعلم أن ما فيه له وبه، كما قالوا ليوست إنك لانت يوسف، قال أنا يوسف وهذا أخي، فعرفوه به ولم يعرفوه بغيره ولا أثبتوه من أنفسهم بتوهم القلوب... الحديث.

أقول: قد أوضحنا في ذيل قوله عليه السلام: المعرفة بالنفس أنفع المعرفتين، الرواية الثانية من الباب أن الإنسان إذا اشتغل بآية نفسه وخلا بها عن غيرها انقطع إلى ربه من كل شيء، وعقب ذلك معرفة ربه معرفة بلا توسط وسط وعلماً بلا تسبب سبب، إذ الإنقطاع يرفع كل حجاب مضروب، وعند ذلك يذهل الإنسان بمشاهدة ساحة العظمة والكبرياء عن نفسه. وأخرى بهذه المعرفة أن تسمى معرفة الله بالله... وانكشف له عند ذلك من حقيقته نفسه أنها الفقيرة إلى الله سبحانه المملوكة له ملكاً لا تستقل بشيء دونه، وهذا هو المراد بقوله عليه السلام: تعرف نفسك به، ولا تعرف نفسك بنفسك من نفسك، وتعلم أن ما فيه له وبه.

وفى هذا المعنى ما رواه المسعودي في إثبات الوصية عن أمير المؤمنين عليه السلام قال في خطبه له: فسبحانك ملات كل شيء وباينت كل شيء، فأنت لا يفقدك شيء وأنت الفعال لما تشاء... إلى أن قال: سبحانك أي عين تقوم نصب بهاء نورك وترقى إلى نور ضياء قدرتك، وأي فهم يفهم ما دون ذلك إلا أبصار كشفت عنها الأغطية وهتكت عنها الحجب العمية فرقت أرواحها على أطراف أجنحة الأرواح، فناجوك في أركانك وولجوا بين أنوار بهائك، ونظروا من مرتقى التربة إلى مستوى كبريائك، فسامهم أهل الملكوت زواراً، ودعاهم أهل الجبروت عماراً.

وفى البحار عن إرشاد الديلمي وذكر بعد ذلك سندين لهذا الحديث وفيه: فمن عمل برضائي ألزمه ثلاث خصال: أعرفه شكراً لا يخالطه الجهل، وذكر لا يخالطه النسيان، ومحبة لا يؤثر على محبتي محبة المخلوقين. فإذا أحببته وأفتح عين قلبه إلى جلالى ولا- أخفى عليه خاصة خلقى وأناجيه فى ظلم الليل ونور النهار، حتى ينقطع حديثه مع المخلوقين ومجالسته معهم، واسمعه كلامى وكلام ملائكتى وأعرفه السر الذى سترته عن خلقى، وألبسه الحياء حتى يستحى منه الخلق كلهم، ويمشئ على الأرض مغفوراً له، واجعل قلبه واعياً وبصيراً، ولا أخفى عليه شيئاً من جنه ولا نار، وأعرفه ما يمر على الناس فى القيامة من الهول والشدة، وما أحاسب به الأغنياء والفقراء والجهال والعلماء، وأنومه فى قبره وأنزل عليه منكرًا ونكيرًا حتى يسألاه، ولا يرى غم الموت وظلمة القبر واللحد وهول المطلع، ثم أنصب له ميزانه وأنشر ديوانه، ثم أضع كتابه فى يمينه فيقرؤه منشوراً، ثم لا- أجعل بينى وبينه ترجماناً. فهذه صفات المحبين.

يا أحمد إجعل همك همًا واحدًا، واجعل لسانك لسانًا واحدًا، واجعل بدنك حيًا لا يغفل أبدًا، من يغفل عنى لا أبالى بأى واد هلك. والروايات الثلاثة الأخيرة وإن لم تكن من أخبار هذا البحث المعقود على الإستقامة، إلا أنا أوردناها ليقضى الناقد البصير بما قدمناه من أن المعرفة الحقيقية لا تستوفى بالعلم الفكرى حق استيفائها، فإن الروايات تذكر أموراً من المواهب الإلهية المخصوصة بأوليائه لا- ينتجها السير الفكرى البتة. وهى أخبار مستقيمة صحيحة يشهد على صحتها الكتاب الإلهى على ما سنبين ذلك فيما سيوافيك من تفسير سورة الأعراف إن شاء الله العزيز....

وأما سائر الفرق المذهبية من الهنود، كالجوكية أصحاب الأنفاس والأوهام، وكأصحاب الروحانيات، وأصحاب الحكمة، وغيرهم، فلكل طائفة منهم رياضات شاقة عملية لا تخلو عن العزلة وتحريم اللذائذ الشهوانية على النفس.

وأما البوذية فبناء مذهبهم على تهذيب النفس ومخالفة هواها وتحريم لذائذها عليها للحصول على حقيقة المعرفة، وقد كان هذا هو الطريقة التى سلكها بوذا نفسه فى حياته فالمنقول أنه كان من أبناء الملوكة أو الرؤساء فرفض زخارف الحياة وهجر أريكه العرش إلى

غابئة موحشة لزمها في ريعان شبابه واعتزل الناس وترك التمتع بمزايا الحياة وأقبل على رياضة نفسه والتفكر في أسرار الخلق، حتى قذفت المعرفة في قلبه وسنه إذ ذاك ستة وثلاثون، وعند ذاك خرج إلى الناس فدعاهم إلى ترويض النفس وتحصيل المعرفة، ولم يزل على ذلك قريباً من أربع وأربعين سنة على ما في التواريخ.

وأما الصابئون، ونعنى بهم أصحاب الروحانيات فهم وإن أنكروا أمر النبوة غير أن لهم في طريق الوصول إلى كمال المعرفة النفسانية طرقاً لا تختلف كثيراً عن طرق البراهمة والبوذيين، قالوا على ما في الملل والنحل: أن الواجب علينا أن نطهر نفوسنا عن دنس الشهوات الطبيعية، ونهذب أخلاقنا عن علائق القوى الشهوانية والغضبية، حتى يحصل مناسبة ما بيننا وبين الروحانيات، فنسأل حاجتنا منهم ونعرض أحوالنا عليهم ونصبوا في جميع أمورنا إليهم، فيشفعون لنا إلى خالقنا وخالقهم ورازقنا ورازقهم.

وهذا التطهير ليس يحصل إلا باكتسابنا ورياضتنا، وفطامنا أنفسنا عن دنيات الشهوات، استمداداً من جهة الروحانيات، والإستمداد هو التضرع والإبتهال بالدعوات وإقامة الصلوات، وبذل الزكوات، والصيام عن المطعومات والمشروبات، وتقريب القرابين والذبائح، وتبخير البخورات وتعزيم العزائم، فيحصل لنفوسنا استعداد واستمداد من غير واسطة. انتهى.

وهؤلاء وإن اختلفوا فيما بين أنفسهم بعض الإختلاف في العقائد العامة الراجعة إلى الخلق والايجاد لكنهم متفقوا الرأي في وجوب ترويض النفس للحصول على كمال المعرفة وسعادة النشأة.

وأما المانوية من الثنوية، فاستقرار مذهبهم على كون النفس من عالم النور العلوى وهبوطها إلى هذه الشبكات المادية المظلمة المسماة بالأبدان، وأن سعادتها وكمالها التخلص من دار الظلمة إلى ساحة النور، إما اختياراً بالترويض النفساني، وإما اضطراراً بالموت الطبيعي المعروف.

وأما أهل الكتاب ونعنى بهم اليهود والنصارى والمجوس، فكتبهم المقدسة وهي العهد العتيق والعهد الجديد وأوستا، مشحونة بالدعوة إلى إصلاح النفس وتهذيبها ومخالفة هواها. ولا تزال كتب العهدين تذكر الزهد في الدنيا والإشتغال بتطهير السر، ولا يزال يتربى بينهم جم غفير من الزهاد وتاركى الدنيا، جيلاً بعد جيل وخاصة النصارى فإن من سننهم المتبعة الرهبانية. وقد ذكر أمر رهبانيتهم في القرآن الشريف قال تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيْسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ. المائدة: ٨٢، وقال تعالى: وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا، الحديد: ٢٧. كما ذكر المتعبدون من اليهود في قوله: لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَانِئَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْتَجِدُّونَ، يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ. آل عمران: ١١٤.

وأما الفرق المختلفة من أصحاب الإرتياضات والأعمال النفسية كأصحاب السحر والسيما، وأصحاب الطلسمات وتسخير الأرواح والجن وروحانيات الحروف والكواكب وغيرها، وأصحاب الإحضار وتسخير النفوس، فلكل منهم ارتياضات نفسية خاصة تنتج نوعاً من السلطة على أمر النفس.

وجملة الأمر على ما يتحصل من جميع ما مر: أن الوجهة الأخيرة لجميع أرباب الأديان والمذاهب والأعمال هو تهذيب النفس بترك هواها والإشتغال بتطهيرها من شوب الأخلاق والأحوال غير المناسبة للمطلوب.

لعلك ترجع وتقول إن الذي ثبت من سنن أرباب المذاهب والطرق وسيرهم هو الزهد في الدنيا وهو غير مسألة معرفة النفس أو الإشتغال بأمر النفس بالمعنى الذي تقدم البحث عنه. وبلطف أوضح: الذي يندب إليه الأديان والمذاهب التي تدعو إلى العبودية بنحو أن يتزهد الإنسان نوع تزهد في الدنيا بإتيان الأعمال الصالحة وترك الهوى والاثام ورتائل الأخلاق ليتيهاً بذلك لأحسن الجزاء، إما في الآخرة كما تصرح به الأديان النبوية كاليهودية والنصرانية والإسلام، أو في الدنيا كما استقر عليه دين الوثنية ومذهب التناسخ وغيرهما، فالمتعبد على حسب الدستور الديني يأتي بما ندب إليه من نوع التزهد من غير أن يخطر بباله أن هناك نفساً مجردة وأن لها نوعاً من المعرفة فيه سعادتها وكمال وجودها.

وكذلك الواحد من أصحاب الرياضات على اختلاف طرقها وسننها إنما يرتاض بما يرتاض من مشاق الأعمال ولا هم له في ذلك إلا حيازه المقام الموعد فيها والتسلط على نتيجة العمل كنفوذ الإرادة مثلاً، وهو في غفلة من أمر النفس المذكور من حين يأخذ في عمله إلى حين يختمه. على أن في هؤلاء من لا يرى في النفس إلا- أنها أمر مادي طبيعي كالدّم أو الروح البخار أو الأجزاء الأصلية، ومن يرى أن النفس جسم لطيف مشاكل للبدن العنصرى حال فيه وهو الحامل للحياة، فكيف يسوغ القول بكون الجميع يرومون بذلك أمر معرفة النفس.

لكنه ينبغي لك أن تتذكر ما تقدم ذكره أن الإنسان في جميع هذه المواقف التي يأتي فيها بأعمال تصرف النفس عن الإشتغال بالأمر الخارجية والتمتع المتفتنة المادية إلى نفسها، للحصول على خواص وآثار لا توصل إليها الأسباب المادية والعوامل الطبيعية العادية، لا يريد إلا الانفصال عن العلل والأسباب الخارجية والإستقلال بنفسه للحصول على نتائج خاصة لا سبيل للعوامل المادية العادية إليها. فالمتدين المتزهد في دينه يرى أن من الواجب الإنسانى أن يختار لنفسه سعادته الحقيقية، وهى الحياه الطيبة الأخروية عند المنتحلين بالمعاد، والحياة السعيدة الدنيوية التي تجمع له الخير وتدفع عنه الشر عند المنكرين له كالوثنية وأصحاب التناسخ، ثم يرى أن الإسترسال في التمتع الحيوانية لا تحوز له سعادته ولا تسلك به إلى غرضه، فلا محيص له عن رفض الهوى وترك الإنطلاق إلى كل ما تهوسه نفسه بأسبابها العادية في الجملة، والإنجذاب إلى سبب أو أسباب فوق الأسباب المادية العادية بالتقرب إليه والإتصال به، وأن هذا التقرب والإتصال إنما يتأتى بالخضوع له والتسليم لامره، وذلك أمر روحى نفسانى لا ينحفظ إلا بأعمال وتروك بدينية، وهذه هى العبادة الدينية من صلاة ونسك أو ما يرجع إلى ذلك.

فالأعمال والمجاهدات والإرتياضات الدينية ترجع جميعاً إلى نوع من الإشتغال بأمر النفس، والإنسان يرى بالفطرة أنه لا يأخذ شيئاً ولا يترك شيئاً إلا لنفع نفسه، وقد تقدم أن الإنسان لا يخلو ولا لحظة من لحظات وجوده من مشاهدة نفسه وحضور ذاته، وأنه لا يخطئ في شعوره هذا البتة، وإن أخطأ فإنما يخطئ في تفسيره بحسب الرأى النظرى والبحث الفكرى.

فظهر بهذا البيان أن الأديان والمذاهب على اختلاف سننها وطرقها تروم الإشتغال بأمر النفس في الجملة، سواء علم بذلك المنتحلون بها أم لم يعلموا. وكذلك الواحد من أصحاب الرياضات والمجاهدات وإن لم يكن منتحلاً بديلاً ولا مؤمناً بأمر حقيقة النفس، لا يقصد بنوع رياضته التي يرتاض بها إلا الحصول على نتائجها الموعودة له، وليست النتيجة الموعودة مرتبطة بالأعمال والتروك التي يأتي بها ارتباطاً طبيعياً نظير الإرتباط الواقع بين الأسباب الطبيعية ومسبباتها، بل هو ارتباط إرادى غير مادي متعلق بشعور المرتاض وإرادته المحفوظين بنوع العمل الذى يأتي به، دائر بين نفس المرتاض وبين النتيجة الموعودة.

فحقيقة الرياضة المذكورة هى تأييد النفس وتكميلها فى شعورها وإرادتها للنتيجة المطلوبة. وإن شئت قلت: أثر الرياضة أن تحصل للنفس حالة العلم بأن المطلوب مقدور لها، فإذا صحت الرياضة وتمت صارت بحيث لو أرادت المطلوب مطلقاً أو أرادته على شرائط خاصة، كإحضار الروح للصبي غير المراهق فى المرأة، حصل المطلوب.

وإلى هذا الباب يرجع معنى ما روى: أنه ذكر عند النبي صلى الله عليه وآله أن بعض أصحاب عيسى عليه السلام كان يمشى على الماء فقال صلى الله عليه وآله: لو كان يقينه أشد من ذلك لمشى على الهواء، فالحديث كما ترى يومئ إلى أن الأمر يدور مدار اليقين بالله سبحانه وإمحاء الأسباب الكونية عن الإستقلال فى التأثير.

فإلى أى مبلغ بلغ ركون الإنسان إلى القدرة المطلقة الإلهية انقادت له الأشياء على قدره، فافهم ذلك.

ومن أجمع القول فى هذا الشأن قول الصادق عليه السلام: ما ضعف بدن عما قويت عليه النية. وقال صلى الله عليه وآله فى الحديث المتواتر: إنما الأعمال بالنيات.

فقد تبين أن الآثار الدينية للأعمال والعبادات وكذلك آثار الرياضات والمجاهدات إنما تستقر الرابطة بينها وبين النفس الإنسانية بشؤونها الباطنية، فالإشتغال بشئ منها اشتغال بأمر النفس....

إياك أن يشتهه عليك الأمر فتستنتج من الأبحاث السابقة أن الدين هو العرفان والتصوف، أعنى معرفة النفس كما توهمه بعض الباحثين من الماديين، فقسم المسلك الحيوى الدائر بين الناس إلى قسمين المادية والعرفان وهو الدين. وذلك أن الذى يعقد عليه الدين أن للانسان سعادة حقيقية ليس ينالها إلا بالخضوع لما فوق الطبيعة، ورفض الإقتصار على التمتع المادية.

وقد أنتجت الابحاث السابقة أن الأديان أيما كانت من حق أو باطل تستعمل تربية الناس وسوقهم إلى السعادة التى تعدهم إياها، وتدعوهم إليها إصلاح لنفس وتهذيبها إصلاحاً وتهذيباً يناسب المطلوب. وأين هذا من كون عرفان النفس هو الدين.

فالدين يدعو إلى عبادة الاله سبحانه من غير واسطة، أو بواسطة الشفعاء والشركاء، لأن فيها السعادة الإنسانية والحياة الطيبة التى لا بغية للانسان دونها، ولا ينالها الإنسان ولن ينالها إلا بنفس طاهرة مطهرة من ألوات التعلق بالماديات والتمتع المرسلة الحيوانية، فمست الحاجة إلى أن يدرج فى أجزاء دعوته إصلاح النفس وتطهيرها ليستعد المنتحل به المترى فى حجره للتلبس بالخير والسعادة ولا يكون كمن يتناول الشئ بإحدى يديه ويدفعه بالأخرى.

فالدين أمر وعرفان النفس أمر آخر وراءه وإن استلزم الدين العرفان نوعاً من الإستلزام.

وبنظير البيان يتبين أن طرق الرياضة والمجاهدة السلوكية لمقاصد متنوعة غريبة عن العادة أيضاً غير عرفان النفس وإن ارتبط البعض ببعض نحواً من الإرتباط.

نعم لنا أن نقضى بأمر وهو: إن عرفان النفس بأى طريق من الطرق فرض السلوك إليه إنما هو أمر مأخوذ من الدين، كما أن البحث البالغ الحر يعطى أن الأديان على اختلافها وتشتهتها إنما انشعبت هذه الانشعابات من دين واحد عريق تدعو إليه الفطرة الإنسانية وهو دين التوحيد.

فإننا إذا راجعنا فطرتنا الساذجة بالأغماض عن التعصب الطائفة علينا بالورثة من أسلافنا أو بالسراية من أمثالنا لم نرتب فى أن العالم على وحدته فى كثرته وارتباط أجزاءه فى عين تشتهتها، ينتهى إلى سبب واحد فوق الأسباب وهو الحق الذى يجب الخضوع لجانبه، وترتيب السلوك الحيوى على حسب تديره وتربيته، وهو الدين المبنى على التوحيد.

والتأمل العميق فى جميع الأديان والنحل يعطى أنها مشتملة نوع اشتمال على هذا الروح الحى حتى الوثنية والثوية، وإنما وقع الإختلاف فى تطبيق السنة الدينية على هذا الأصل والإصابة والخطأ فيه، فمن قائل مثلاً أنه أقرب إلينا من جبل الوريد وهو معنا أينما كنا ليس لنا من دونه من ولى ولا- شفيح، فمن الواجب عبادته وحده من غير إشراك، ومن قائل أن تسفل الإنسان الأرضى وخسة جوهره لا- يدع له مخلصاً إلى الإتصال بذاك الجناب، وأين التراب ورب الأرباب فمن الواجب أن نتقرب إلى بعض عباده المكرمين المتجردين عن جلباب المادة، الطاهرين المطهرين من ألوات الطبيعة، وهم روحانيات الكواكب، أو أرباب الأنواع، أو المقربون من الإنسان، وما نعبدهم إلا- ليقربونا إلى الله زلفى. وإذ كانوا غائبين عن حواسنا متعالين عن جهاتنا كان من الواجب أن نجسدهم بالأنصاب والأصنام حتى يتم بذلك أمر التقرب العبادى. وعلى هذا القياس فى سائر الأديان والملل، فلا نجد فى متونها إلا ما هو بحسب الحقيقة نحو توجيه لتوحيد الاله عز اسمه.

ومن المعلوم أن السنن الدائرة بين الناس وإن انشعبت أى انشعبت أى اختلفت أى اختلفت شديداً، فإنها تميل إلى التوحيد إذا رجعنا إلى سابق عهدها القهقرى، وتنتهى بالآخرة إلى دين الفطرة الساذجة الإنسانية وهو التوحيد.

فدين التوحيد أبو الأديان وهى أبناء له صالحه أو طالحه.

ثم إن الدين الفطرى إنما يعتبر أمر عرفان النفس ليتوصل به إلى السعادة الإنسانية التى يدعو إليها، وهى معرفة الإله التى هى المطلوب الأخير عنده. وبعبارة أخرى: الدين إنما يدعو إلى عرفان النفس دعوةً طريقية لا غائية، فإن الذوق الدينى لا يرتضى الإشتغال بأمر إلا فى سبيل العبودية، وإن الدين عند الله الإسلام ولا يرضى لعباده الكفر، فكيف يرضى بعرفان النفس إذا استقل بالمطلوب.

ومن هنا يظهر أن العرفان ينتهى إلى أصل الدين الفطرى إذ ليس هو بنفسه أمراً مستقلاً تدعو إليه الفطرة الإنسانية، حتى تنتهى فروعه

وأغصانه إلى أصل واحد هو العرفان الفطرى.

ويمكن أن يستأنس فى ذلك بأمر آخر وهو: أن الإنسانية وإن اندفعت بالفطرة إلى الإجتماع والمدنية لاسعاد الحياة، وأثبت النقل والبحث أن رجالاً أو أقواماً اجتماعيين دعوا إلى طرائق قومية أو وضعوا سنناً اجتماعية وأجروها بين أممهم، كسنى القبائل، والسنى الملوكية، والديمقراطية، ونحوها، ولم يثبت بنقل أو بحث أن يدعو إلى عرفان النفس وتهذيب أخلاقها أحد من غير أهل الدين فى طول التاريخ البشرى.

نعم من الممكن أن يكون بعض أصحاب هذه الطرق غير الدينية، كأصحاب السحر والأرواح ونحوهما إنما تنبه إلى هذا النوع من عرفان النفس من غير طريق الدين، لكن لا- من جهة الفطرة، إذ الفطرة لا حكم لها فى ذلك كما عرفت، بل من جهة مشاهدة بعض الآثار النفسانية الغريبة على سبيل الإتفاق، فتتوق نفسه إلى الظفر بمنزلة نفسانية يملك بها أعمالاً عجيبة وتصرفات فى الكون نادرة تستغربها النفوس، فيدفعه هذا التوقان إلى البحث عنه والسلوك إليه، ثم السلوك بعد السلوك يمهّد السبيل إلى المطلوب ويسهل الوعر منه.

يحكى عن كثير من صلحائنا من أهل الدين أنهم نالوا فى خلال مجاهداتهم الدينية كرامات خارقة للعادة، وحوادث غريبة اختصوا بها من بين أمثالهم كتمثل أمور لأبصارهم غائبة عن أبصار غيرهم، ومشاهدة أشخاص أو وقائع لا يشاهدها حواس من دونهم من الناس، واستجابة للدعوة وشفاء المريض الذى لا مطمع لنجاح المداواة فيه، والنجاة من المخاطر والمهلك من غير طريق العادة. وقد يتفق نظائر ذلك لغير أهل الصلاح إذا كان ذاتية صادقة ونفس منقطعة، فهؤلاء يرون ما يرون وهم على غفلة من سببه القريب، وإنما يسندون ذلك إلى الله سبحانه من غير توسيط وسط.

وإستناد الأمور إليه تعالى وإن كان حقاً لا محيص عن الإعتراف به، لكن نفى الأسباب المتوسطة مما لا مطمع فيه.

وربما أحضر الروحى روح أحد من الناس فى مرآة أو ماء ونحوه بالتصرف فى نفس صبي على ما هو المتعارف، وهو كغيره يرى أن الصبي إنما يبصره بالبصر الحسى، وأن بين أبصار سائر الناظرين وبين الروح المحض حجاباً مضروباً، لو كشف عنه لكانوا مثل الصبي فى الظفر بمشاهدته.

وربما وجدوا الأرواح المحضرة أنها تكذب فى أخبارها فيكون عجباً لأن عالم الأرواح عالم الطهارة والصفاء لا سبيل للكذب والفرية والزور إليه.

وربما أحضروا روح إنسان حى فيستنطقونه بأسراره وضمائره وصاحب الروح فى حالة اليقظة مشغول بأشغاله وحوادثه اليومية لا خبر عنده من أن روحه محض مستنطق بيث من القول ما لا يرضى هو بيثه.

وربما نوم الإنسان تنوياً مغناطيسياً، ثم لقن بعمل حتى ينعم بقبوله، فإذا أوقظ ومضى لشأنه أتى بالعمل الذى لقنه على الشريطة التى أريد بها وهو غافل عما لقنوه، وعن إنعامه بقبوله.

وبعض الروحيين لما شاهدوا صوراً روحية تماثل الصور الإنسانية أو صور بعض الحيوان ظنوا أن هذه الصور فى عالم المادة وظرف الطبيعة المتغيرة، وخاصة بعض من لا- يرى لغير الأمر المادى وجوداً، حتى حاول بعض هؤلاء أن يخترع أدوات صناعية يصطاد بها الأرواح! كل ذلك استناداً منهم إلى فرضية افترضوها فى النفس أنها مبدأ مادى أو خاصة لمبدأ مادى، يفعل بالشعور والإرادة، مع أنهم لم يحلوا مشكلة الحياة والشعور حتى اليوم.

ونظير هذه الفرضية فرضية من يرى أن الروح جسم لطيف مشاكل للبدن العنصرى فى هيئته وأشكاله، لما وجدوا أن الإنسان يرى نفسه فى المنام وهو على هيئته فى اليقظة، وربما يمثل لأرباب المجاهدات صور أنفسهم قبلاً خارج أبدانهم وهى مشكلة للصورة البدنية مشاكلة تامة، فحكموا أن الروح جسم لطيف حال البدن العنصرى مادام الإنسان حياً فإذا فارق البدن كان هو الموت.

وقد فاتهم أن هذه صورة إدراكية قائمة بشعور الإنسان نظيره صورته التى يدر كها من بدنه، ونظيره صور سائر الأشياء الخارجة

المنفصلة عن بدنه، وربما تظهر هذه الصورة المنفصلة لبعض أرباب المجاهدة أكثر من واحدة، أو في هيئة غير هيئة نفسه، وربما يرى نفسه عين نفس غيره من أفراد الناس، فإذا لم يحكموا في هذه الصور المذكور أنها هي صورة الروح، فجدير بهم أن لا يحكموا في الصورة الواحدة المشاكلة التي تتراءى لأرباب المجاهدات أنها صورة الروح.

وحقيقة الأمر أن هؤلاء نالوا شيئاً من معارف النفس وفاتهم معرفة حقيقتها، فأخطوا في تفسير ما نالوه، وصلوا في توجيه أمره. والحق الذي يهدى إليه البرهان والتجربة أن حقيقة النفس التي هي هذا الشعور المتعقل المحكى عنه بقولنا (أنا) أمر مغاير في جوهره لهذه الأمور المادية كما تقدم، وأن أقسام شعوره وأنواع إدراكاته من حس أو خيال أو تعقل من جهة كونها مدركات إنما هي متقررة في عالمه وظرفه غير الخواص الطبيعية الحاصلة في أعضاء الحس والإدراك من البدن، فإنها أفعال وانفعالات مادية فاقدة في نفسها للحياة والشعور، فهذه الأمور المشهودة الخاصة بالصلحاء وأرباب المجاهدات والرياضات غير خارجة عن حيطه نفوسهم، وإنما الشأن في أن هذه المعلومات والمعارف كيف استقرت في النفس وأين محلها منها، وأن للنفس سمة عليه لجميع الحوادث والأمر المرتبطة بها ارتباطاً ما. فجميع هذه الأمور الغريبة المطاوعة لأهل الرياضة والمجاهدة، إنما ترتضع من إرادتهم ومشيتهم، والإرادة ناشئة من الشعور، فللشعور الإنساني دخل في جميع الحوادث المرتبطة به والأمر المماسه له.

فمن الحرى أن نقسم المشتغلين بعرفان النفس في الجملة إلى طائفتين، إحداهما: المشتغلون بالإشتغال بإحراز شئ من آثار النفس الغريبة الخارجة عن حومة المتعارف من الأسباب والمسببات المادية كأصحاب السحر والطلسمات وأصحاب تسخير روحانيات الكواكب والموكلين على الأمور والجن وأرواح الآدميين وأصحاب الدعوات والعزائم ونحو ذلك.

والثانية: المشتغلون بمعرفة النفس بالانصراف عن الأمور الخارجة عنها والانجذاب نحوها، للغور فيها ومشاهدة جوهرها وشؤونها كالمتصوفة على اختلاف طبقاتهم ومسالكهم.

وليس التصوف مما أبدعه المسلمون من عند أنفسهم لما (ثبت) أنه يوجد بين الأمم التي تتقدمهم في النشوء كالنصارى وغيرهم، حتى الوثنية من البرهمانية والبوذية، ففيهم من يسلك الطريقة حتى اليوم، بل هي طريقة موروثه ورثوها من أسلافهم. لكن لا بمعنى الأخذ والتقليد العادي كورثة الناس ألوان المدنية بعضهم من بعض، وأمه منهم متأخرة من أمه منهم متقدمة، كما جرى على ذلك عده من الباحثين الأديان والمذاهب وذلك لما عرفت في الفصول السابقة من أن دين الفطرة يهدى إلى الزهد، والزهد يرشد إلى عرفان النفس.

فاستقرار الدين بين أمه وتمكنه من قلوبهم يعدهم ويهيئهم لأن تنشأ بينهم طريقة عرفان النفس لا محالة، يأخذ بها بعض من تمت في حقه العوامل المقتضية لذلك. فمكث الحياة الدينية في أمه من الأمم برهه معتداً بها ينشئ بينهم هذه الطريقة لا محالة صحيحة أو فاسدة، وإن انقطعوا عن غيرهم من الأمم الدينية كل الإنقطاع. وما هذا شأنه لا ينبغي أن يعد من السنن الموروثة التي يأخذها جيل عن جيل.

ثم ينبغي أن نقسم أصحاب القسم الثاني من القسمين المتقدمين وهم أهل العرفان حقيقة إلى طائفتين: فطائفة، منهم يسلكون الطريقة لنفسها فيرزقون شيئاً من معارفها من غير أن يتم لهم تمام المعرفة لها، لأنهم لما كانوا لا يريدون غير النفس فهم في غفلة عن أمر صانعها وهو الله عز اسمه الذي هو السبب الحق الأخذ بناصية النفس في وجودها وآثار وجودها. وكيف يسع الإنسان تمام معرفة شئ مع الذهول عن معرفة أسباب وجوده وخاصة السبب الذي هو سبب كل سبب، وهل هو إلا كمن يدعى معرفة السرير على جهل منه بالنجار وقدمه ومنشاره، وغرضه في صنعه، إلى غير ذلك من علل وجود السرير.

ومن الحرى بهذا النوع من معرفة النفس أن يسمى كهانه بما في ذيله من الحصول على شئ من علوم النفس وآثارها. وطائفة منهم يقصدون طريقة معرفة النفس لتكون ذريعة لهم إلى معرفة الرب تعالى، وطريقتهم هذه هي التي يرتضيها الدين في الجملة وهي أن يشتغل الإنسان بمعرفة نفسه بما أنها آية من آيات ربه وأقرب آية، وتكون النفس طريقاً مسلوفاً والله سبحانه هو الغاية

التي يسلك إليها، وأن إلى ربك المنتهى.

وهؤلاء طوائف مختلفة ذوا مذاهب متشتتة في الأعم والنحل، وليس لنا كثير خبرة بمذاهب غير المسلمين منهم وطرائقهم التي يسلكونها. وأما المسلمون فطرقهم فيها كثيرة ربما انهدت بحسب الأصول إلى خمس وعشرين سلسلة، تنشعب من كل سلسلة منها سلاسل جزئية أخرى، وقد استندوا فيها إلا واحدة، إلى على عليه أفضل السلام.

وهناك رجال منهم لا- ينتمون إلى واحدة من هذه السلاسل ويسمون الأويسية نسبة إلى أويس القرنى، وهناك آخرون منهم لا يتسمون بإسم ولا يتظاهرون بشعار.

ولهم كتب ورسائل مسفورة ترجموا فيها عن سلاسلهم وطرقهم والنواميس والآداب التي لهم عن رجالهم، وضبطوا فيها المنقول من مكاشفاتهم، وأعربوا فيها عن حججهم ومقاصدهم التي بنوها عليها، من أراد الوقوف عليها فليراجعها.

وأما البحث عن تفصيل الطرق والمسالك وتصحيح الصحيح ونقد الفاسد، فله مقام آخر، وقد تقدم في الجزء الخامس من هذا الكتاب بحث لا يخلو عن نفع في هذا الباب، فهذه خلاصه ما أردنا إيراده من البحث المتعلق بمعنى معرفة النفس.

واعلم أن عرفان النفس بغية عملية لا يحصل تمام المعرفة بها إلا من طريق السلوك العملى دون النظرى.

وأما علم النفس الذى دونه أرباب النظر من القدماء فليس يغنى من ذلك شيئاً، وكذلك فن النفس العملى الذى دونه المتأخرون حديثاً، فإنما هو شعبة من فن الاخلاق على ما دونه القدماء، والله الهادى. انتهى.

الموقف الفقهي من الدعوة إلى معرفة الله تعالى عن طريق معرفة النفس

ما ذكره صاحب الميزان رحمه الله من الطريقتين لمعرفة الله تعالى: طريق النظر فى الآفاق وطريق النظر فى الأنفس، مطلب شائع بين العرفانيين والمتصوفة، والظاهر أنهم أخذوه من قوله تعالى (سَيُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) ولا بد هنا من تسجيل الملاحظات التالية:

أولاً: وردت أحاديث شريفة فى تفسير الآية المذكورة بأنها من علامات ظهور الإمام المهدي عليه السلام أو من الاحداث التي تظهر على يده، وأن المقصود بالآفاق آفاق الأرض حيث (تنتقض الأطراف عليهم) أى على الجبارين قرب ظهوره عليه السلام. ويؤيد ذلك سين الاستقبال فى الآية، التي تخبر عن حدث فى المستقبل، وإلا لقال (ولقد أريناهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم) مثلاً. أو قال (أو لم ينظروا فى الآفاق) كما قال تعالى (أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ).

ثانياً: لا- شك أن النظر فى ملكوت السماوات والأرض، أى فيما يمكن للإنسان معرفته وفهمه وأخذ العبرة منه، أمر محبوب شرعاً وموصل إلى معرفة الله تعالى وزيادة الإيمان به. قال تعالى: (أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعِيدَةٍ يُؤْمِنُونَ الاعراف: ١٨٥)، ولكن نفس الإنسان جزء من هذا الملكوت وواحدة من هذه الآفاق، وليست طريقاً فى مقابل بقیة الآفاق.

ثالثاً: لم أجد سنداً للحديث الذى ذكره (المعرفة بالنفس أنفع المعرفتين) ومن البعيد أن يكون حديثاً شريفاً، وعلى فرض صحته لا يصح تفسيره بما ذكره رحمه الله فإن المقابل لمعرفة الله بالنفس معرفة الله بالله تعالى، أو معرفة الله بأنبيائه وأوليائه، أو معرفة الله بآياته غير النفس.. فمن أين جعل رحمه الله المعرفة التي تقابل معرفة النفس، معرفة الآفاق وحصره المقابلة بها. ثم إذا كانت المعرفة بالسير الآفاقي تشمل معرفة الله بالله تعالى وبأوليائه صلوات الله عليهم، فكيف يصح تفضيل معرفته عن طريق النفس على هذه المعرفة؟! رابعاً: تقدم بحث الحد الأدنى الواجب من معرفة الله تعالى، ولم يتعرض الفقهاء والمتكلمون إلى طرقه، ولم يفضلوا بعضها على بعض.

كما تقدم أن معرفة الله هى من صنعه تعالى فى نفس الإنسان وألطافه به، ولا صنع للإنسان فيها.

خامساً: لا شك فى صحة ما ذكره رحمه الله من أن تزكية النفس وتهذيبها من الرذائل والشهوات والتعلق بحطام الدنيا ومتاعها، مقدمة

لازمة لتحقيق هدف الدين الذي هو عبادة الله تعالى. قال تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) وقال تعالى (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ) ولكن الوارد في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة هو تزكية النفس وجهاد النفس ومخالفة النفس، وهي أمور عملية غير ما يطرحه المتصوفة والعرفاء من معرفة النفس، وإن كانت تزكية النفس تتوقف على قدر من معرفتها.

سادساً: لو سلمنا أن تزكية النفس ومخالفتها وجهادها هي نفس معرفة النفس التي طرحها المتصوفة والعرفاء، ولكن الدعوة إلى معرفة الله تعالى وطاعته عن طريق معرفة النفس على إجمالها وإهمالها تتضمن مخاطر عديدة لا يمكن قبولها، لأنها تتسع للضد والنقيض في الأساليب والأهداف والقنوات.. جميعاً.

فبعض الدعوات إلى معرفة الله تعالى عن طريق معرفة النفس تتبنى العزلة والرهبانية، وبعضها يتبنى إصلاح النفس والمجتمع والحكم. وبعضها يدعو إلى التقيد بأحكام الشريعة المقررة في هذا المذهب أو ذاك... وبعضها يدعو إلى تقليد الأستاذ شيخ الطريقة أو أستاذ الأخلاق وما شابه، دون الحاجة إلى أخذ أي مفهوم أو حكم شرعي من غيره! وبعضها يدعى أنه يتصل بالله تعالى عن طريق المعرفة فيلهم العقائد والأحكام الشرعية، ولا يحتاج عند ذلك إلى شريعة! بل ولا إلى نبوة!!

وبعض الدعوات تجعل قدوتها في المعرفة بعض الصحابة أو الأولياء الذين لم يجعلهم الله تعالى ولا رسوله قدوة. بل قد يتخذ بعضهم قدوة من العرفاء والمتصوفة غير المسلمين.. إلى آخر ما هنالك من تعدد الأساليب والأهداف والقنوات.

ولهذا، فإن من المشكل جداً أن ندعو الناس إلى معرفة الله تعالى عن طريق معرفة النفس، ونقول لهم اقتدوا بأستاذكم حتى يصل أحدكم إلى الله تعالى فيصير أستاذاً مجتهداً! فما أيسر أن يجلس الشيطان في هذا الطريق وينحرف بالإنسان! سابعاً: بما أن حب الذات أقوى غرائز الإنسان على الإطلاق، فإن دعوة العوام بل وأكثر المتعلمين إلى سلوك طريق العرفان والتصوف بدون تحديد الوسائل والأهداف والقدوة، يجعلهم في معرض الوقوع في عبادة الذات وتعظيمها، فيتخيل أحدهم أنه وصل إلى الله تعالى، وحصل على ارتباط به، وصار صاحب أسرار إلهية، ويزين له الشيطان العيش في عالم من نسيج الخيال وحب الذات، وقد تظهر منه ادعاءات باطلة واتجاهات منحرفة، أعادنا الله وجميع المؤمنين.

لذلك فإن الإهتمام في المعرفة وتعيين وسائلها وهدفها من أول ضرورياتها، فالواجب التركيز على القدوة في معرفة النفس والسلوك، قبل الدعوة إلى سلوك طريق لا إمام له.

ثامناً: ما دامت معرفة النفس عند المتصوفة طريقاً إلى معرفة الله تعالى، ومعرفة الله تعالى طريقاً إلى عبادته، فالهدف المتفق عليه عند الجميع هو عبادة الله سبحانه. وهذه العبادة التي هي غاية الخلق وطريق التكامل الإنساني الوحيد، إنما تحصل بإطاعته سبحانه، وإطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وإطاعة أهل بيته عليهم السلام أولى الأمر الذين أمرنا الله ورسوله بإطاعتهم والافتداء بهم..

ولذلك فلا بد في الدعوة إلى المعرفة والعرفان وتزكية النفس وتطهيرها وجهادها وغرس الفضائل فيها.. أن تتقيد بإطاعة الأحكام الشرعية كاملة، وتتخذ من النبي وآله صلى الله عليه وآله وعليهم قدوة وأئمة في المسلك والسلوك.. حتى تكون طريقاً صحيحاً في الحياة، موصلة إلى رضوان الله تعالى. ولذلك أجاب أحد الفقهاء شخصاً سأله ما هو العرفان، وكيف يكون الإنسان عارفاً، فقال له: هذه الأحكام الشرعية التي تطبقها يوماً فتصلى وتقوم بالواجبات وتترك المحرمات هي العرفان، وأنت بسلوكك هذا تمارس المعرفة. ومن الطبيعي أن يكون ذلك السلوك على درجات ومراتب ومقامات، ولكنها تتحقق من هذا الطريق الذي سلكه النبي وآله وتلامذتهم، لا من غيره.

يجب على كل الناس معرفة النبي

الكافي: ١/١٦٨

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن العباس بن عمر الفقيمي، عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال للزندقي الذي سأله من أين أثبتت الأنبياء والرسول؟ قال: أنه لما أثبتنا أن لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجز أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه، فيباشروهم ويباشروه ويحاجهم ويحاجوه، ثبت أن له سفراء في خلقه، يعبرون عنه إلى خلقه وعباده، ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم، فثبت الأمر والنهوض عن الحكيم العليم في خلقه والمعبرون عنه عز وجل، وهم الأنبياء عليهم السلام وصفوته من خلقه، حكماء مؤدبين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للناس - على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب - في شئ من أحوالهم، مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمة، ثم ثبت ذلك في كل دهر وزمان مما أتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين، لكيلا تخلو أرض الله من حجة، يكون معه علم يدل على صدق مقالته وجواز عدالته.

دعائم الإسلام: ١/٥

فأما ما فرض على القلب من الإيمان بالإقرار والمعرفة والعقد والرضا والتسليم بأن الله تبارك وتعالى هو الواحد، لا إله إلا هو وحده لا شريك له إلهاً واحداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله والإقرار بما كان من عند الله من نبي أو كتاب، وذلك ما فرض على القلب من الإقرار والمعرفة.

الهداية للصدوق/ ٥

يجب أن يعتقد أن النبوة حق كما اعتقدنا أن التوحيد حق، والأنبياء الذين بعثهم الله مئة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي، جاؤوا بالحق من عند الحق وأن قولهم قول الله وأمرهم أمر الله وطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله، فإنهم لم ينطقوا إلا عن الله تبارك وتعالى وعن وحيه. وأن سادة الأنبياء خمسة الذين عليهم دارت الرحي، وهم أصحاب الشرايع وهم أولوا العزم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله عليهم، وأن محمداً صلى الله عليه وآله سيدهم وأفضلهم، وأنه جاء بالحق وصدق المرسلين، وأن الذين كذبوه لذائقوا العذاب الأليم، وأن الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون.

ويجب أن يعتقد أن الله تعالى لم يخلق خلقاً أفضل من محمد صلى الله عليه وآله ومن بعده الأئمة صلوات الله عليهم، وأنهم أحب الخلق إلى الله عز وجل وأكرمهم عليه، وأولهم إقراراً به لما أخذ الله ميثاق النبيين من الدر، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى، وأن الله بعث نبيه صلى الله عليه وآله في الدر، وأن الله أعطى ما أعطى كل نبي على قدر معرفته، ونبينا صلى الله عليه وآله سبقهم إلى الإقرار به.

ويعتقد أن الله تبارك وتعالى خلق جميع ما خلق له ولاهل بيته صلى الله عليه وآله وأنه لولاهم ما خلق السماء والأرض، ولا الجنة والنار، ولا آدم ولا حواء ولا الملائكة، ولا شيئاً مما خلق، صلوات الله عليهم أجمعين...

رسائل الشهيد الثاني: ٢/١٤٤

الثالث، في بيان المعارف التي يحصل بها الإيمان، وهي خمسة أصول: الأصل الأول، معرفة الله تعالى وتقدس. المراد بها التصديق الجازم الثابت بأنه تعالى موجود أزلاً وأبداً، واجب الوجود لذاته....

الأصل الثاني، التصديق بعدله، أي بأنه عادل. والتصديق بحكمته....

الأصل الثالث، التصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وبجميع ما جاء به، تفصيلاً فيما علم تفصيلاً، وإجمالاً فيما علم إجمالاً. وليس بعيداً أن يكون التصديق الإجمالي بجميع ما جاء به عليه السلام كافياً في تحقق الإيمان، وإن كان المكلف قادراً على العلم بذلك تفصيلاً يجب العلم بتفاصيل ما جاء به من الشرائع للعمل به.

وأما تفصيل ما أخبر به من أحوال المبدأ والمعاد، كالتكليف بالعبادات، والسؤال في القبر وعذابه، والمعاد الجسماني، والحساب والصراف، والجنة، والنار، والميزان، وتطير الكتب، مما ثبت مجيؤه به تواتراً، فهل التصديق بتفاصيله معتبرة في تحقق الإيمان؟ صرح باعتباره جمع من العلماء. والظاهر أن التصديق به إجمالاً كاف، بمعنى أن المكلف لو اعتقد حقيقة كل ما أخبر به عليه السلام بحيث كلما ثبت عنده جزئي منها صدق به تفصيلاً كان مؤمناً وإن لم يطلع على تفاصيل تلك الجزئيات بعد، ويؤيد ذلك أن أكثر الناس في الصدر الأول لم يكونوا عالمين بهذه التفاصيل في الأول، بل كانوا يطلعون عليها وقتاً فوقتاً، مع الحكم بإيمانهم في كل وقت من حين التصديق بالوحدانية والرسالة، بل هذا حال أكثر الناس في جميع الأعصار كما هو المشاهد، فلو اعتبرناه لزم خروج أهل الإيمان عنه، وهو بعيد عن حكمة العزيز الحكيم. نعم العلم بذلك لا ريب أنه من مكملات الإيمان.... كشف الغطاء/٤

... ثم لا تجب على الأمم اللاحقة معرفة الأنبياء السابقين، نعم ربما وجب معرفة أن الله أنبياء قد سبقت دعوتهم وانقرضت ملتهم على الاجمال. ويجب معرفة عصمته بالدليل، ويكفي فيه أنه لو جاز عليه الخطأ والخطيئة لم يبق وثوق بإخباره ولا- اعتماد على وعده ووعيده، فتنفى فائدة البعثة.

يعرف النبي بالمعجزة والإمام بالنص والمعجزة

رسائل الشريف المرتضى: ٣/١٨

باب ما يجب اعتقاده في النبوة. متى علم الله سبحانه أن لنا في بعض الأفعال مصالح وأطافاً، أو فيها ما هو مفسدة في الدين، والعقل لا يدل عليها، وجب بعثة الرسول لتعريفه، ولا- سبيل إلى تصديقه إلا بالمعجز. وصفة المعجز أن يكون خارقاً للعادة، ومطابقاً لدعوى الرسول ومتعلقاً بها، وأن يكون متعذراً في جنسه أو صفته المخصوصة على الخلق، ويكون من فعله تعالى أو جارياً مجرى فعله تعالى، وإذا وقع موقع التصديق فلا بد من دلالة على المصدق وإلا كان قبيحاً.

... باب ما يجب اعتقاده في الإمامة وما يتصل به أوجب في الإمام عصمته، لأنه لو لم يكن كذلك لكانت الحاجة إليه فيه، وهذا يتناهى من الرؤساء والإنهاء إلى رئيس معصوم. وواجب أن يكون أفضل من رعيته وأعلم، لقبح تقديم المفضول على الفاضل فيما كان أفضل منه فيه في العقول. فإذا وجبت عصمته وجب النص من الله تعالى عليه وبطل إختيار الإمامة، لأن العصمة لا طريق للأمام إلى العلم بمن هو عليها.

الاقتصاد للشيخ الطوسي/١٥١

ولا- طريق إلى معرفة النبي إلا- بالمعجز، والمعجز في اللغة عبارة عن جعل غيره عاجزاً، مثل المقدور الذي يجعل غيره قادراً إلا أنه صار بالعرف عبارة عما يدل على صدق من ظهر على يده واختص به، والمعتمد على ما في العرف دون مجرد اللغة.

والمعجز يدل على ما قلناه بشروط: أولها أن يكون خارقاً للعادة، والثاني يكون من فعل الله أو جارياً مجرى فعله، والثالث أن يتعذر على الخلق جنسه أو صفته المخصوصة، والرابع أن يتعلق بالمدعى على وجه التصديق لدعواه.

... فعلى هذا لا يلزم أن يظهر الله على يد كل إمام معجزاً، لأنه يجوز أن يعلم إمامته بنص أو طريق آخر، ومتى فرضنا أنه لا طريق إلى معرفة إمامته إلا- المعجز وجب إظهار ذلك عليه وجرى مجرى النبي سواء، لأنه لا بد لنا من معرفته كما لا بد لنا من معرفة النبي المتحمل لمصالحنا. ولو فرضنا في نبي علمنا نبوته بالمعجز أنه نص على نبي آخر لاغنى ذلك عن ظهور المعجز على يد النبي الثاني، بأن نقول: النبي الأول أعلمنا أنه نبي، كما يعلم بنص إمام على إمامته ولا يحتاج إلى معجز.

وتجب معرفة الأئمة لأن الله تعالى فرض طاعتهم

رسائل الشهيد الثاني: ٢/١٤٥

الأصل الرابع: التصديق بإمامة الإثني عشر صلوات الله عليهم أجمعين، وهذا الأصل اعتبرته في تحقق الإيمان الطائفة المحقة الإمامية، حتى أنه من ضروريات مذهبهم، دون غيرهم من المخالفين، فإنه عندهم من الفروع....

الكافي: ١/١٨٠

عده من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد عن أبيه، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنكم لا تكونون صالحين حتى تعرفوا ولا تعرفوا حتى تصدقوا ولا تصدقوا حتى تسلموا، أبواباً أربعة لا يصلح أولها إلا بآخرها... إنما يتقبل الله من المتقين، فمن اتقى الله فيما أمره لقي الله مؤمناً بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله هيهات هيهات فات قوم وماتوا قبل أن يهتدوا وظنوا أنهم آمنوا، وأشركوا من حيث لا يعلمون. إنه من أتى البيوت من أبوابها اهتدى، ومن أخذ في غيرها سلك طريق الردى، وصل الله طاعةً ولى أمره بطاعة رسول الله، وطاعة رسول الله بطاعته، فمن ترك طاعة ولاة الأمر لم يطع الله ولا رسوله، وهو الإقرار بما أنزل من عند الله عز وجل، خذوا زينتكم عند كل مسجد والتمسوا البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فإنه أخبركم أنهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار.

إن الله قد استخلص الرسل لأمره، ثم استخلصهم مصدقين بذلك في نذره فقال: وإن من أمة إلا خلا فيها نذير، تاه من جهل، واهتدى من أبصر وعقل. إن الله عز وجل يقول: فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ، وكيف يهتدى من لا يبصر؟ وكيف يبصر من لم يتدبر؟ إتبعوا رسول الله وأهل بيته وأقروا بما نزل من عند الله واتبعوا آثار الهدى، فإنهم علامات الإمامة والتقى، واعلموا أنه لو أنكر رجل عيسى ابن مريم عليه السلام وأقر بمن سواه من الرسل لم يؤمن. اقتصوا الطريق بالتماس المنار والتمسوا من وراء الحجب الآثار، تستكملوا أمر دينكم وتؤمنوا بالله ربكم...

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن تبارك وتعالى: الطاعة للإمام بعد معرفته، ثم قال: إن الله تبارك وتعالى يقول: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا.

الحسين بن محمد الأشعري، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي الوشاء عن أبان بن عثمان، عن أبي الصباح قال: أشهد أني سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أشهد أن علياً إمام فرض الله طاعته، وأن الحسن إمام فرض الله طاعته، الحسين إمام فرض الله طاعته، وأن علي بن الحسين إمام فرض الله طاعته، وأن محمد بن علي إمام فرض الله طاعته.

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسى عن الحسين بن المختار، عن بعض أصحابنا، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا. قال: الطاعة المفروضة.

أحمد بن محمد، عن محمد بن أبي عمير، عن سيف بن عميرة، عن أبي الصباح الكناني قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: نحن قوم فرض الله عز وجل طاعتنا، ولنا صفوا المال، ونحن الراسخون في العلم، ونحن المحسودون الذين قال الله: أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ.

أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن الحسين بن أبي العلاء قال: ذكرت لابي عبد الله عليه السلام قولنا في الاوصياء أن طاعتهم مفترضة قال فقال: نعم، هم الذين قال الله تعالى: أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ. وهم الذين قال الله عز وجل: إِنَّمَا وَدَّعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا.

وبهذا الإسناد، عن أحمد بن محمد، عن معمر بن خلاد قال: سألت رجل فارسي الحسن عليه السلام فقال: طاعتك مفترضة؟ فقال نعم، قال: مثل طاعة علي ابن أبي طالب عليه السلام؟ فقال: نعم.

وبهذا الإسناد، عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم، عن علي بن أبي حمزة عن بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال سألته عن الأئمة هل يجرون في الأمر والطاعة مجرى واحداً؟ قال: نعم.

على، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن محمد بن الفضيل قال: سألته عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى الله عز وجل، قال: أفضل ما يتقرب به العباد إلى الله عز وجل طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة أولى الأمر، قال أبو جعفر عليه السلام: حينا إيمان وبغضنا كفر. محمد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن محمد بن عيسى، عن فضالة بن أيوب، عن أبان، عن عبد الله بن سنان، عن إسماعيل بن جابر، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أعرض عليك ديني الذي أدين الله عز وجل به؟ قال: فقال هات، قال فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله والإقرار بما جاء به من عند الله، وأن علياً كان إماماً فرض الله طاعته، ثم كان بعده الحسن إماماً فرض الله طاعته، ثم كان بعده الحسين إماماً فرض الله طاعته، ثم كان بعده علي بن الحسين إماماً فرض الله طاعته حتى انتهى الأمر إليه، ثم قلت: أنت يرحمك الله؟ قال: فقال: هذا دين الله ودين ملائكته.

دعائم الإسلام: ١/٥٢

... ثم قال أبو عبد الله جعفر بن محمد صلى الله عليه... وإنما يقبل الله عز وجل العمل من العباد بالفرائض التي افترضها عليهم بعد معرفة من جاء بها من عنده، ودعاهم إليه، فأول ذلك معرفة من دعا إليه، وهو الله الذي لا إله إلا هو وحده والإقرار بربوبيته، ومعرفة الرسول الذي بلغ عنه، وقبول ما جاء به، ثم معرفة الوصي، ثم معرفة الأئمة بعد الرسل الذين افترض الله طاعتهم في كل عصر وزمان على أهله، والإيمان والتصديق بأول الرسل والأئمة وآخرهم. ثم العمل بما افترض الله عز وجل على العباد من الطاعات ظاهراً وباطناً، واجتناب ما حرم الله عز وجل عليهم ظاهره وباطنه....

الهداية للصدوق/ ٦

باب الإمامة. يجب أن يعتقد أن الإمامة حق، كما اعتقد أن النبوة حق، ويعتقد أن الله عز وجل الذي جعل النبي صلى الله عليه وآله نبياً هو الذي جعل الإمام إماماً، وأن نصب الإمام واختياره إلى الله عز وجل، وأن فضله منه. ويجب أن يعتقد أنه يلزمنا من طاعة الإمام ما يلزمنا من طاعة النبي صلى الله عليه وآله وكل فضل آتاه الله عز وجل نبيه فقد آتاه الإمام إلا النبوة....

باب معرفة الأئمة الذين هم حجج الله على خلقه بعد نبيه صلوات الله عليهم بأسمائهم.

يجب أن يعتقد أن حجج الله عز وجل على خلقه بعد نبيه محمد صلى الله عليه وآله الأئمة الإثنا عشر: أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي، ثم جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم الرضا علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم الحجة القائم صاحب الزمان خليفة الله في أرضه، صلوات الله عليهم أجمعين.

ويجب أن يعتقد أنهم أولوا الأمر الذين أمر الله بطاعتهم، وأنهم الشهداء على الناس، وأنهم أبواب الله والسبيل إليه والأدلاء عليه، وأنهم عيبة علمه وتراجمه وحبه وأركان توحيده، وأنهم معصومون من الخطأ والزلل، وأنهم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأن لهم المعجزات والدلائل، وأنهم أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماوات، ومثلهم في هذه الأمة كمثل سفينة نوح وباب حطة الله، وأنهم عباد الله المكرمون الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون. ويجب أن يعتقد أن حبه إيمان وبغضهم كفر، وأن أمرهم أمر الله ونهيهم نهى الله، وطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله، ووليهم ولي الله وعدوهم عدو الله.

ويجب أن يعتقد أن حجة الله في أرضه وخليفته على عبادته في زماننا هذا هو القائم المنتظر ابن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وأنه هو الذي أخبر النبي صلى الله عليه وآله به عن الله عز وجل بإسمه ونسبه، وأنه هو الذي يملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وأنه هو الذي يظهر الله عز وجل به دينه صلى الله عليه وآله على الدين كله ولو كره المشركون، وأنه هو الذي يفتح الله عز وجل على يده مشارق الأرض ومغاربها، حتى لا يبقى مكان إلا ينادى فيه بالأذان ويكون الدين كله لله، وأنه هو المهدي الذي إذا خرج نزل عيسى بن مريم عليه السلام فصلى خلفه،

ويكون إذا صلى خلفه مصلياً خلف الرسول صلى الله عليه وآله لأنه خليفته.

ويجب أن يعتقد أنه لا يجوز أن يكون القائم غيره، بقى في غيبته ما بقى، ولو بقى في غيبته عمر الدنيا لم يكن القائم غيره، لأن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام عرفوا باسمه ونسبه ونصوا به وبشروا.

ويجب أن يتبرأ إلى الله عز وجل من الأوثان الأربعة: يغوث ويعوق ونسر وهبل، ومن الأنداد الأربع اللات والعزى ومناة والشعري، وممن عبدوهم ومن جميع أشياعهم وأتباعهم، ويعتقد فيهم أنهم أعداء الله وأعداء رسوله وأنهم شر خلق الله، ولا يتم الإقرار بجميع ما ذكرناه إلا بالتبري منهم.

المقنعة/٣٢

ويجب على كل مكلف أن يعرف إمام زمانه، ويعتقد إمامته وفرض طاعته، وأنه أفضل أهل عصره وسيد قومه، وأنهم في العصمة والكمال كالأنبياء عليهم السلام يعتقد أن كل رسول لله تعالى فهو نبي إمام، وليس كل إمام نبياً ولا رسولاً، وأن الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله حجج الله تعالى وأوليائه وخاصة أصفياء الله، أولهم وسيدهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، عليه أفضل السلام، وبعده الحسن والحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي بن الحسين، ثم جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي بن موسى، ثم علي بن محمد بن علي، ثم الحسن بن علي بن محمد، ثم الحجة القائم بالحق ابن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى عليهم السلام، لإمامة لآل الله بعد النبي صلى الله عليه وآله وغيرهم، ولا يستحقها سواهم، وأنهم الحجة على كافة الأنام كالأنبياء عليهم السلام وأنهم أفضل خلق الله بعد نبيه عليه وآله السلام، والشهداء على رعاياهم يوم القيامة، كما أن الأنبياء عليهم السلام شهداء الله على أممهم، وأنه بمعرفتهم وولايتهم تقبل الأعمال، وبعادوتهم والجهل بهم يستحق النار.

رسائل الكركي: ٢/٢٩٨

مسألة: معرفة تعدد الأئمة عليهم السلام شرط في صحة عقد النكاح، أم يكفي معرفتهم وإعتقاد إمامتهم إجمالاً من الزوجين من غير معرفة التعداد على الترتيب أو من غير تعداد مطلقاً؟

الجواب: إن كانت الزوجة عارفة فلا بد من معرفة الزوج.

العروة الوثقى: ٢/٣١٨

مسألة: استشكل بعض العلماء في جواز إعطاء الزكاة لعوام المؤمنين الذين لا يعرفون الله إلا بهذا اللفظ، أو النبي أو الأئمة كلاً أو بعضاً، شيئاً من المعارف، الخمس واستقرب عدم الأجزاء، بل ذكر بعض آخر أنه لا يكفي معرفة الأئمة بأسمائهم بل لابد في كل واحد أن يعرف أنه من هو وابن من، فيشترط تعيينه وتمييزه عن غيره، وأن يعرف الترتيب في خلافتهم، ولو لم يعلم أنه هل يعرف ما يلزم معرفته أم لا- يعتبر الفحص عن حاله، ولا- يكفي الإقرار الإجمالي بأني مسلم مؤمن واثني عشري. وما ذكروه مشكل جداً، بل الاقوى كفاية الإقرار الإجمالي وإن لم يعرف أسماؤهم أيضاً فضلاً عن أسماء آبائهم والترتيب في خلافتهم.

وتجب معرفتهم لأن الله تعالى فرض مودتهم

الغدیر للامینی: ٢/٣٢٤

أخرج القاضي عياض في الشفاء عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: معرفة آل محمد براءة من النار، وحب آل محمد جواز على الصراط، والولاية لآل محمد أمان من العذاب. ويوجد في الصواعق/١٣٩، والإتحاف/١٥، ورشفة الصادي/٤٥٩.

الغدیر: ٢/٣٠٧

أخرج الحافظ أبو عبد الله الملا في سيرته أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن الله جعل أجري عليكم المودة في أهل بيتي، وإنني

سائلكم غداً عنهم. ورواه محب الدين الطبري في الذخائر/٢٥ وابن حجر في الصواعق/١٠٢ و ١٣٦ والسمهودى فى جواهر العقدين.
قال جابر بن عبدالله: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله وقال: يا محمد أعرض على الإسلام.
فقال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله.
قال: تسألني عليه أجراً قال: لا، إلا المودة في القربى.
قال: قرابتي أو قرابتك!
قال: قرابتي.

قال: هات أبايعك، فعلى من لا يحبك ولا يحب قرابتك لعنة الله.
فقال النبي صلى الله عليه وآله: آمين.

أخرجه الحافظ الكنجي في الكفاية/٣١ من طريق الحافظ أبي نعيم، عن محمد بن أحمد بن مخلد، عن الحافظ ابن أبي شيبة بإسناده.
وأخرج الحافظ الطبري، وابن عساكر، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، بعدة طرق عن أبي أمامة الباهلي، قال
قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله خلق الأنبياء من أشجار شتى، وخلقني من شجرة واحدة، فأنا أصلها وعلى فرعها وفاطمة
لقاحها والحسن والحسين ثمها، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا، ومن زاغ عنها هوى، ولو أن عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألف
عام ثم ألف عام ثم ألف عام، ثم لم يدرك محبتنا، أكبه الله على منخريه في النار. ثم تلا: قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في
القربى.

الغدیر: ١/٢٤٢

شمس الدين أبوالمظفر سبط ابن الجوزي الحنفي المتوفى ٦٥٤هـ، رواه فى تذكرة/١٩ قال: ذكر أبو إسحاق الثعلبي فى تفسيره بإسناده
أن النبي (ص) لما قال ذلك (يعنى حديث الولاية) طار فى الأقطار وشاع فى البلاد والأمصار فبلغ ذلك الحرث بن النعمان الفهرى فأتاه
على ناقه له فأنأخها على باب المسجد، ثم عقلها وجاء فدخل فى المسجد فجثا بين يدي رسول الله (ص) فقال: يا محمد إنك أمرتنا أن
نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلنا منك ذلك، وإنك أمرتنا أن نصلى خمس صلوات فى اليوم والليله ونصوم رمضان
ونحج البيت ونزكى أموالنا فقبلنا منك ذلك، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك وفضلته على الناس وقلت: من كنت
مولاه فعلى مولاه. فهذا شئ منك أو من الله!؟

فقال رسول الله (ص) وقد احمرت عيناه: والله الذى لا إله إلا هو ما هو إلا من الله.

فولى الحرث وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأرسل من السماء علينا حجارة أو ائتنا بعذاب أليم! قال: فوالله ما بلغ ناقته
حتى رماه الله من السماء بحجر فوق على هامته فخرج من دبره و مات، وأنزل الله تعالى: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. الآيات....
شمس الدين الشرييني القاهري الشافعي المتوفى ٩٧٧ (المترجم/١٣٥) قال: فى تفسيره السراج المنير ٤/٣٦٤: اختلف فى هذا الداعى
فقال ابن عباس: هو النصر بن الحرث، وقيل: هو الحرث بن النعمان... انتهى.

ملاحظة: لا ينافى هذا الحديث نزول الآية فى مكة، لأن ما وقع فى المدينة يكون تأويلها، فيكون المعنى أن الحرث الفهرى هو السائل
بالعذاب الذى أخبر عنه الله تعالى قبل ذلك، أو يكون مصداقاً للسائلين بالعذاب.

على أنه لا مانع من القول بنزول جبرئيل مرة أخرى بالآية مؤكداً حادثه تأويلها، بل لا مانع من نزول الآية مرتين.

الشفة للقاضى عياض جزء ٢/٤٧

فصل. ومن توقيره (ص) وبره بر آله وذريته وأمهات المؤمنين أزواجه كما حض عليه (ص) وسلكه السلف الصالح رضى الله عنهم، قال
الله تعالى: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ، والآية. وقال تعالى: وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ.

أخبرنا الشيخ أبو محمد بن أحمد العدل من كتابه وكتب من أصله، حدثنا أبو الحسن المقرئ الفرغانى، حدثتني أم القاسم بنت الشيخ

أبي بكر الخفاف، قالت حدثني أبي حدثنا خاتم هو ابن عقيل، حدثنا يحيى هو ابن اسماعيل، حدثنا يحيى هو الحماني، حدثنا وكيع، عن أبيه، عن سعيد بن مسروق، عن يزيد بن حيان، عن زيد بن أرقم (رض) قال قال رسول الله (ص): أنشدكم الله أهل بيتي، ثلاثاً. قلنا لزيد: من أهل بيته؟ قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس.

وقال (ص): إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

وقال (ص): معرفة آل محمد (ص) براءة من النار، وحب آل محمد جواز على الصراط، والولاية لآل محمد أمان من العذاب.

قال بعض العلماء: معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي (ص) وإذا عرفهم بذلك، عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه. انتهى.

ونلاحظ أن القاضي عياضاً قد بتر حديث الغدير الذي يرويه مسلم وغيره، فلم يرو إلا جزءاً من آخره، ثم فسر معرفة آل محمد بأنها معرفة نسبهم من النبي صلى الله عليه وآله أو معرفة معزته لهم، مدعيًا أن الإنسان يستحق براءة من النار!! وهذا من عجائب الفتاوى التي تجعل الجنة مشروطة بمعرفة نسب آل النبي صلى الله عليه وآله وعليهم! أما أتباعهم وإطاعتهم، وموالاة من وليهم ومعاداة عدوهم فلا يجب منه شيء..!

وقد تعرض السيد شرف الدين لهذا الحديث في المراجعات/٨٢ وقال في هامشه:

أورده القاضي عياض في الفصل الذي عقده لبيان أن من توقيره وبره صلى الله عليه وآله بر آله وذريته، من كتاب الشفا في أول/٤٠ من قسمه الثاني طبع الاستانة سنة ١٣٢٨، وأنت تعلم أن ليس المراد من معرفتهم هنا مجرد معرفة أسمائهم وأشخاصهم وكونهم أرحام رسول الله صلى الله عليه وآله فإن أبا جهل وأبا لهب ليعرفان ذلك كله، وإنما المراد معرفة أنهم أولوا الأمر بعد رسول الله على حد قوله صلى الله عليه وآله: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية. انتهى.

ومن الطريف أن القاضي عياضاً روى بعد هذا الحديث أحاديث أخرى تفسر معرفة أهل البيت عليهم السلام بخلاف ما فسرها، قال:

وعن عمر بن أبي سلمة لما نزلت: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ، الآية - وذلك في بيت أم سلمة - دعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعلى خلف ظهره ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

وعن سعد بن أبي وقاص: لما نزلت آية المباهلة دعا النبي (ص) علياً وحسناً وحسيناً وفاطمة وقال: اللهم هؤلاء أهلي.

وقال النبي (ص) في علي: من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. وقال فيه: لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق... وقال أبو بكر (رض): إرقبوا محمداً في أهل بيته. انتهى!

و تجب معرفتهم لأن الله تعالى فرض الصلاة عليهم

رسائل الشريف المرتضى: ٢/٢٤٩

الرسالة الباهرة في العترة الطاهرة. بسم الله الرحمن الرحيم. قال (رض): مما يدل أيضاً على تقديمهم عليهم السلام وتعظيمهم على البشر أن الله تعالى دلنا على أن المعرفة بهم كالمعرفة به تعالى في أنها إيمان وإسلام، وإن الجهل والشك فيهم كالجهل به والشك فيه في أنه كفر وخروج من الإيمان، وهذه منزلة ليس لاحد من البشر إلا لنبينا صلى الله عليه وآله وبعده لأمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من ولده على جماعتهم السلام. لأن المعرفة بنبوة الأنبياء المتقدمين من آدم إلى عيسى عليهم السلام أجمعين غير واجبة علينا ولا تعلق لها بشيء من تكاليفنا، ولولا أن القرآن ورد بنبوة من سمي فيه من الأنبياء المتقدمين فعرّفناهم تصديقاً للقرآن وإلا فلا وجه لوجوب معرفتهم علينا، ولا تعلق لها بشيء من أحوال تكاليفنا.

وبقى علينا أن ندل على أن الأمر على ما ادعينا.

والذي يدل على أن المعرفة بإمامة من ذكرناه عليهم السلام من جملة الإيمان وأن الإخلال بها كفر ورجوع عن الإيمان، إجماع الشيعة الإمامية على ذلك فإنهم لا يختلفون فيه، وإجماعهم حجة بدلالة أن قول الحجة المعصوم الذي قد دلت العقول على وجوده في كل

زمان في جملتهم وفي زميرهم، وقد دللنا على هذه الطريقة في مواضع كثيرة من كتبنا واستوفيناها في جواب التباينات خاصة، وفي كتاب نصره ما انفردت به الشيعة الإمامية من المسائل الفقهية، فإن هذا الكتاب مبني على صحة هذا الأصل.

ويمكن أن يستدل على وجوب المعرفة بهم عليهم السلام بإجماع الأمة، مضافاً إلى ما بيناه من إجماع الإمامية وذلك أن جميع أصحاب الشافعي يذهبون إلى أن الصلاة على نبينا صلى الله عليه وآله في التشهد الأخير فرض واجب وركن من أركان الصلاة من أجل به فلا صلاة له، وأكثرهم يقول: إن الصلاة في هذا التشهد على آل النبي عليهم الصلوات في الوجوب واللزوم ووقوف أجزاء الصلاة عليها كالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله والباقيون منهم يذهبون إلى أن الصلاة على الال مستحبة وليست بواجبة.

فعلى القول الأول لا بد لكل من وجبت عليه الصلاة من معرفتهم من حيث كان واجباً عليه الصلاة عليهم، فإن الصلاة عليهم فرع على المعرفة بهم، ومن ذهب إلى أن ذلك مستحب فهو من جملة العبادة وإن كان مسنوناً مستحباً والتعبد به يقتضى التعبد بما لا يتم إلا به من المعرفة. ومن عدا أصحاب الشافعي لا ينكرون أن الصلاة على النبي وآله في التشهد مستحبة، وأى شبهة تبقى مع هذا في أنهم عليهم السلام أفضل الناس وإجلالهم وذكرهم واجب في الصلاة.

وعند أكثر الأمة من الشيعة الإمامية وجمهور أصحاب الشافعي أن الصلاة تبطل بتركه وهل مثل هذه الفضيلة لمخلوق سواهم أو تتعداهم؟

ومما يمكن الاستدلال به على ذلك أن الله تعالى قد ألهم جميع القلوب، وغرس في كل النفوس تعظيم شأنهم وإجلال قدرهم على تباين مذاهبهم واختلاف دياناتهم ونحلهم، وما اجتمع هؤلاء المختلفون المتباينون مع تشتت الأهواء وتشعب الآراء على شئ كإجماعهم على تعظيم من ذكرناه وإكبارهم، إنهم يزورون قبورهم ويقصدون من شاطئ البلاد وشاطئها مشاهدهم ومدافنهم والمواضع التي وسمت بصلاتهم فيها وحلولهم بها، وينفقون في ذلك الأموال ويستنفدون الأحوال، فقد أخبرني من لا أحصيه كثرة أن أهل نيسابور ومن والاها من تلك البلدان يخرجون في كل سنة إلى طوس لزيارة الإمام أبي الحسن على بن موسى الرضا صلوات الله عليهما بالجمال الكثيرة والاهبة التي لا توجد مثلها إلا للحج إلى بيت الله. وهذا مع المعروف من انحراف أهل خراسان عن هذه الجهة وازورارهم عن هذا الشعب.

وما تسخير هذه القلوب القاسية وعطف هذه الأمم البائنة إلا- كالخارق للعادات والخارج عن الأمور المألوفات، وإلا فما الحامل للمخالفين لهذه النحلة المنحازين عن هذه الجملة على أن يراوحوها هذه المشاهد ويغادوها ويستنزولوا عندها من الله تعالى الأرزاق ويستفتحوا الإغلال ويطلبوا ببركات الحاجات ويستدفعوا البليات، والأحوال الظاهرة كلها لا توجب ذلك ولا تقتضيه ولا تستدعيه وإلا فعلوا ذلك فيمن يعتقدونهم، وأكثرهم يعتقدون إمامته وفرض طاعته، وأنه في الديانة موافق لهم غير مخالف ومساعد غير معاند.

ومن المحال أن يكونوا فعلوا ذلك لداع من دواعي الدنيا، فإن الدنيا عند غير هذه الطائفة موجودة وعندها هي مفقودة، ولا لتقية واستصلاح، فإن التقية هي فيهم لا- منهم ولا خوف من جهتهم ولا سلطان لهم، وكل خوف إنما هو عليهم فلم يبق إلا داعي الدين، وذلك هو الأمر الغريب العجيب الذي لا ينفذ في مثله إلا مشيئة الله وقدره القهار التي تذلل الصعاب، وتقود بأزمتهما الرقاب.

وليس لمن جهل هذه المزية أو تجاهلها وتعامى عنها وهو يبصرها أن يقول: إن العلة في تعظيم غير فرق الشيعة لهؤلاء القوم ليست ما عظمتوه وفخمتوه وادعيتهم خرقه للعادة وخروجه من الطبيعة، بل هي لأن هؤلاء القوم من عتره النبي صلى الله عليه وآله وكل من عظم النبي صلى الله عليه وآله فلا بد من أن يكون لعترته وأهل بيته معظماً مكرماً، وإذا انضاف إلى القرابة الزهد وهجر الدنيا والعفة والعلم زاد الإجلال والإكرام لزيادة أسبابهما.

والجواب عن هذه الشبهة الضعيفة: أنه شارك أئمتنا عليهم السلام في حبسهم ونسبهم وقراباتهم من النبي صلى الله عليه وآله غيرهم، وكانت لكثير منهم عبادات ظاهرة وزهادة في الدنيا بادية، وسمات جميلة وصفات حسنة، من ولد أبيهم عليه وآله السلام، ومن ولد العباس رضوان الله عليه، فما رأينا من الإجماع على تعظيمهم وزيارة مدافنهم والاستشفاع بهم في الأغراض، والاستدفاع بمكانهم

للأعراض والأمراض، وما وجدنا مشاهداً معانياً في هذا الشراك، وإلا فمن ذا الذي أجمع على فرط إعظامه وإجلاله من سائر صنوف العترة في هذه الحالة يجرى مجرى الباقر والصادق والكاظم والرضا صلوات الله عليهم أجمعين، لأن من عدا من ذكرناه من صلحاء العترة وزهادها ممن يعظمه فريق من الأمة ويعرض عنه فريق، ومن عظمه منهم وقدمه لا- ينتهي في الاجلال والاعظام إلى الغاية التي ينتهي إليها من ذكرناه.

ولو لا أن تفصيل هذه الجملة ملحوظ معلوم لفصلناها على طول ذلك ولاسمينا من كنيها عنه ونظرنا بين كل معظم مقدم من العترة ليعلم أن الذي ذكرناه هو الحق الواضح، وما عداه هو الباطل الموضح.

وبعد فمعلوم ضرورة أن الباقر والصادق ومن وليهما من الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين كانوا في الديانة والإعتقاد وما يفتون من حلال وحرام على خلاف ما يذهب إليه مخالفوا الإمامية، وإن ظهر شك في ذلك كله فلا شك ولا شبهة على منصف في أنهم لم يكونوا على مذهب الفرقة المختلفة المجتمعة على تعظيمهم والتقرب إلى الله تعالى بهم.

وكيف يعترض ريب فيما ذكرناه، ومعلوم ضرورة أن شيوخ الإمامية وسلفهم في تلك الازمان كانوا بطائفة للصادق والكاظم والباقر عليهم السلام وملازمين لهم وتمسكين بهم، ومظهرين أن كل شيء يعتقدونه ويتحلونه ويصححونه أو يبطنونه فعنهم تلقوه ومنهم أخذوه، فلو لم يكونوا عنهم بذلك راضين وعليه مقرين لابوا عليهم نسبة تلك المذاهب إليهم وهم منها بريئون خليون، ولنفوا ما بينهم من مواصلة ومجالسة وملازمة وموالاتة ومصافاة ومدح وإطراء وثناء، ولا بدلوه بالذم واللوم والبراءة والعداوة، فلو لم يكونوا عليهم السلام لهذه المذاهب معتقدين وبها راضين لبان لنا واتضح، ولو لم يكن إلا هذه الدلالة لكفت وأغنت. وكيف يطيب قلب عاقل أو يسوغ في الدين لأحد أن يعظم في الدين من هو على خلاف ما يعتقد أنه الحق وما سواه باطل، ثم ينتهي في التعظيمات والكرامات إلى أبعد الغايات وأقصى النهايات، وهل جرت بمثل هذا عادة أو مضت عليه سنة؟

أولاً- يرون أن الإمامية لا- تلتفت إلى من خالفها من العترة وحاد عن جادتها في الديانة ومحجتها في الولاية، ولا تسمح له بشيء من المدح والتعظيم فضلاً عن غايته وأقصى نهايته، بل تتبرأ منه وتعاديه وتجريه في جميع الأحكام معجى من لا نسب له ولا حسب له ولا قرابة ولا علقه. وهذا يوقظ على أن الله خرق في هذه العصاة العادات وقلب الجبال، ليبين من عظيم منزلتهم وشريف مرتبتهم. وهذه فضيلة تزيد على الفضائل وتربى على جميع الخصائص والمناقب، وكفى بها برهاناً لاثماً وميزاناً راجحاً، والحمد لله رب العالمين. انتهى.

ملاحظة: نعرف قوة استدلال الشريف الرضى قدس الله نفسه عندما نلاحظ أن نيشابور كانت مركزاً للعلماء والمذاهب المخالفة لأهل البيت عليهم السلام فمنها أئمة الحديث وأساتيد أصحاب الصحاح والشخصيات العلمية السنية. بل كانت إلى القرن السادس العاصمة العلمية للسنة، ومع ذلك كانت تخرج كلها لزيارة قبر الإمام الرضا عليهم السلام في طوس، كل سنة بقوافل كقوافل الحج!! ولا يتسع المقام للتفصيل.

الغدیر للامینی: ٢/٣٠٣

في المقام أخبار كثيرة وكلمات ضافية توجد في طيات كتب الفقه والتفسير والحديث. ذكر ابن حجر في الصواعق/٨٧ قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا. وروى جملة من الأخبار الصحيحة الواردة فيها وأن النبي صلى الله عليه وآله قرن الصلاة على آله بالصلاة عليه لما سئل عن كيفية الصلاة والسلام عليه، ثم قال: وهذا دليل ظاهر على أن الأمر بالصلاة على أهل بيته وبقية آله مراد من هذه الآية، وإلا لم يسألوا عن الصلاة على أهل بيته وآله عقب نزولها، ولم يجابوا بما ذكر، فلما أجيبوا به دل على أن الصلاة عليهم من جملة الأمور به، وأنه صلى الله عليه وآله أقامهم في ذلك مقام نفسه، لأن القصد من الصلاة عليه مزيد تعظيمه ومنه تعظيمهم، ومن ثم لما دخل من مرفى الكساء قال: اللهم إنهم منى وأنا منهم فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك عليّ وعليهم. وقضية استجابة هذا الدعاء: أن الله صلى الله عليه وآله معهم، فحينئذ طلب من المؤمنين صلاتهم

عليهم معه.

ويروى: لا تصلوا على الصلاة البتراء، فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال: تقولون اللهم صل على محمد وتمسكون، بل قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد. ثم نقل للامام الشافعي قوله:

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له

فقال: فيحتمل لا صلاة له صحيحه، فيكون موافقاً لقوله بوجوب الصلاة على الآل، ويحتمل لا صلاة كاملة فيوافق أظهر قوله.

وقال في هامش الغدير: نسبهما إلى الإمام الشافعي الزرقاني في شرح المواهب: ٧/٧ وجمع آخرون.

وقال ابن حجر في ١٣٩/ من الصواعق: أخرج الدار قطنى والبيهقى حديث: من صلى صلاة ولم يصل فيها عليّ وعلى أهل بيتي لم تقبل منه. وكان هذا الحديث هو مستند قول الشافعي (رض): إن الصلاة على الآل من واجبات الصلاة كالصلاة عليه صلى الله عليه وآله لكنه

ضعيف، فمستنده الأمر في الحديث المتفق عليه: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، والأمر للوجوب حقيقة على الأصح.

وقال الرازى في تفسيره: ٧/٣٩١: إن الدعاء لآل منصب عظيم، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة، وقوله: اللهم صل على محمد وآل محمد وارحم محمد وآل محمد، وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل، فكل ذلك يدل على أن حب آل محمد

واجب.

وقال: أهل بيته صلى الله عليه وآله ساووه في خمسة أشياء: في الصلاة عليه وعليهم في التشهد. وفي السلام. والظهاره. وفي تحريم الصدقة. وفي المحبة.

وقال النيسابورى في تفسيره عند قوله تعالى: قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى، كفى شرفاً لآل رسول الله صلى الله عليه وآله وفخراً ختم التشهد بذكرهم والصلاة عليهم في كل صلاة.

وروى محب الدين الطبرى في الذخاير/ ١٩ عن جابر (رض) أنه كان يقول: لو صليت صلاة لم أصل فيها على محمد وعلى آل محمد، ما رأيت أنها تقبل.

وأخرج القاضى عياض فى الشفا عن ابن مسعود مرفوعاً: من صلى صلاة لم يصل عليّ فيها وعلى أهل بيتي، لم تقبل منه.

وللقاضى الخفاجى الحنفى فى شرح الشفا ٣/٥٠٠-٥٠٥ فوائد جمه حول المسألة وذكر مختصر ما صنفه الإمام الخيصرى فى المسألة سماه: زهر الرياض فى رد ما شنعه القاضى عياض.

وصور الصلوات المأثورة على النبى وآله مذكورة فى (شفاء السقام) لتقى الدين السبكى ١٨١-١٨٧، وأورد جملة منها الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد: ١٠/١٦٣ وأول لفظ ذكره عن بريده قال: قلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلى عليك؟ قال

قولوا: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وآل محمد، كما جعلتها على آل إبراهيم إنك حميد مجيد. انتهى.

وقد روت مصادر إخواننا السنة هذا الحديث وصحته، ولكنهم لا يعملون به إلا فى صلاتهم، فتراهم غالباً يصلون على النبى وحده فى غير صلاتهم، حتى فى أدعتهم، مع أنهم روى أن الدعاء لا يقبل ولا يصعد إلى الله تعالى إذا لم يصل معه على النبى صلى الله عليه وآله ورووا أن النبى علمهم كيفية الصلاة عليه، فكان استجابة أدعتهم ليست مهمة عندهم!

ولا يسع المجال لايراد الأحاديث الكثيرة فى فضل الصلاة على النبى وآله صلى الله عليه وآله وأحكامها وكيفيةها التى يسمونها الصلاة

الإبراهيمية، وهى جديرة ببحث مفصل، وقد ألف فيها عدد من القدماء رسائل مستقلة.

وقد روى أحاديث الصلاة الإبراهيمية الإمام مالك فى كتاب الموطأ: ١/١٦٥، وكتاب المسند/ ٣٤٩، وكتاب الام: ١/١٤٠، والبخارى فى صحيحه: ٤/١١٨ - ١٩ وج ٦/٢٧ وج ٧/١٥٦-١٥٧، ومسلم: ٢/١٦-١٧، وابن ماجه: ١/٢٩٣، وأبو داود: ١/٢٢١-٢٢٢، والترمذى: ٥/٣٨، والنسائى: ٣/٤٥-٥٠، وأحمد: ٤/١١٨-١١٩ وص ٢٤٤ وج ٥/٣٥٣ وص ٤٢٤، والدارمى: ١/١٦٥ وص ٣٠٩، والحاكم: ١/٢٦٨-٢٧٠،

والبيهقي في سننه: ٢/١٤٦-١٥٣ وص ٣٧٨-٣٧٩، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٢/١٤٤-١٤٥، والهندي في كنز العمال: ٢/٢٦٦-٢٨٣ وج ٥، وأورد السيوطي عدداً كبيراً من أحاديثها في الدر المنثور: ٥/٢١٥-٢٢٠، وغيره من المفسرين، والفقهاء كالنووي في المجموع: ٣/٤٦٦، وابن قدامة في المغني: ١/٥٨٠، وابن حزم في المحلى: ٣/٢٧٢.... ولا نطيل بذكر كلماتهم.

الشفاء للقاضي عياض جزء ٢/٦٤

...في الحديث: لا- صلاة لمن لم يصل على، قال ابن القصار معناه كامله أو لمن لم يصل على مرة في عمره. وضعف أهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث.

وفي حديث أبي جعفر عن ابن مسعود عن النبي (ص): من صلى صلاة لم يصل فيها على وعلى أهل بيته لم تقبل منه. قال الدارقطني: الصواب أنه من قول أبي جعفر محمد بن الحسين: لو صليت صلاة لم أصل فيها على النبي (ص) ولا على أهل بيته لرأيت أنها لا تتم.... فقال النبي (ص): عجل هذا، ثم دعاه فقال له ولغيره: إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه، ثم ليصل على النبي (ص)، ثم ليدع بعد بما شاء، ويروى من غير هذا السيد بتمجيد الله وهو أصح.

وعن عمر بن الخطاب (رض) قال: الدعاء والصلاة معلق بين السماء والأرض فلا يصعد إلى الله منه شيء حتى يصلى على النبي (ص). وقال الأردبيلي في زبدة البيان/ ٨٤

التاسعة: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا...

قال في الكشف: الصلاة عليه واجبة، وقد اختلفوا في حال وجوبها، فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره، وفي الحديث: من ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فأبعده الله... ومنهم من قال: تجب في كل مجلس مرة، وإن تكرر ذكره، كما قيل في آية السجدة، وتسميت العاطس وكذلك في كل دعاء في أوله وآخره، ومنهم من أوجبها في العمر مرة وكذا قال في إظهار الشهادتين مرة، والذي يقتضيه الإحتياط الصلاة عليه عند كل ذكر، لما ورد من الأخبار. انتهى.

والأخبار من طرفنا أيضاً مثل الأول موجودة مع صحة بعضها، ولا شك أن احتياط الكشف أحوط، واختار في كنز العرفان الوجوب كلما ذكر وقال إنه اختيار الكشف... ثم قال في الكشف: فإن قلت: فما تقول في الصلاة على غيره صلى الله عليه وآله.

قلت: القياس يقتضى جواز الصلاة على كل مؤمن، لقوله تعالى: هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ، وقوله: وصل عليهم إن صلوتك سكن لهم، وقوله صلى الله عليه وآله: اللهم صل على آل أبي أوفى، ولكن للعلماء تفصيلاً في ذلك، وهو أنها إن كان على سبيل التبع كقولك صلى الله على النبي وآله، فلا- كلام فيها، وأما إذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة كما يفرد هو، فمكروه لأن ذلك صار شعاراً لذكر رسول الله صلى الله عليه وآله ولأنه يؤدي إلى الاتهام بالرفض! (راجع تفسير الكشف: ٢/٥٤٩)

ولا- يخفى ما فيه فإن ما ذكره برهان لا- قياس، وإن البرهان من العقل والنقل كتاباً وسنة كما نقله، ومثله قوله تعالى: وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ، فإنها تدل على أن صلوات الله على من يقول هذا بعد المصيبة، ولا شك في صدوره كذلك عن أهل البيت بل غيرهم أيضاً. فإذا ثبت لهم الصلاة من الله فيجوز القول بذلك لهم، وهو ظاهر اقتضى جوازه مطلقاً، بل الإنفراد بخصوصه فلا مجال للتفصيل.... وإنما صار ذلك شعار الرافضة لأنهم فعلوا ذلك، وتركه غيرهم بغير وجه، وإلا- فهو مقتضى البرهان، ومع ذلك لا- يستلزم كونه شعاراً لهم، ومتداولاً بينهم تركه، وإلا- يلزم ترك العبادات كذلك فإنها شعارهم.

وبالجملة لا ينبغي منع ما يقتضى العقل والنقل جوازه بل استحبابه وكونه عبادة، بسبب أن جماعة من المسلمين يفعلون هذه السنة والعبادة، فإن ذلك تعصب وعناد محض، وليس فيه تقرب إلى الله تعالى وطلب لمرضاته وعمل لله تعالى وهو ظاهر، ولا يناسب من العلماء العمل إلا لله.

ولهم أمثال ذلك كثيرة، مثل ما ورد في تسنيم القبور أن المستحب هو التسطیح، ولكن هو شعار للرفضة فالتسنيم خير منه، وكذلك

فى التختم باليمين وغير ذلك، ومنه ذكر (على) بعد قوله صلى الله عليه وعلى آله، وترك الآل معه (ص) مع أنه مرغوب بغير نزاع، وإنما النزاع كان فى الأفراد، فإنهم يتركون الآل معه ويقولون صلى الله عليه!

والعجب أنهم يتركون الآل وفى حديث كعب حيث يقولون سأله عن كيفية الصلاة عليه، فقال صلى الله عليه وآله قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم.. إلخ. فتأمل.

وقال ابن أبى جمهور الإحسانى عن الصلاة البتراء فى كتابه غوالى اللثالى: ٢/٤٠: وبمعناه ما رواه الإمام السخاوى الشافعى فى القول البديع فى الصلاة على الحبيب الشفيح فى الباب الأول، فى الأمر بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله ولفظ الحديث: ويروى عنه (ص) مما لم أقف على إسناده: لا تصلوا على الصلاة البتراء، قالوا وما الصلاة البتراء يا رسول الله؟ قال: تقولوا: اللهم صل على محمد وتمسكون، بل قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد. أخرجه أبو سعد فى شرف المصطفى. انتهى.

ملاحظة: كان أكثر علماء السنة فى القرون الماضية يصلون على النبى فى كتبهم بصيغة (عليهما السلام) ونلاحظ ذلك بوضوح فى مخطوطات كتبهم التى وصلت إلينا سالمه ولم تمسها يد المحرفين والنواصب. ويظهر أن حذف الصلاة على آل النبى صلى الله عليه وآله انتشر مع موجة التعصب العثمانى الأخيرة ضد الشيعة. وقد ورث هذه الموجة وأفرط فيها الوهابيون و (المحققون) والناشرون الذين أطمعهم من سحت أموالهم، فمدوا أيديهم إلى كتب التراث وخانوا مؤلفيها فحذفوا منها وحرفوا كثيراً من المواضع، ومن ذلك عبارة صلى الله عليه وآله ووضعوا بدلها (ص).

والحمد لله أنه بقى فى المحققين والناشرين أفراد أمناء وأصحاب ضمائر مستقيمة أثبتوا الصلاة على آل النبى كما وردت فى مخطوطات المؤلفين مثل مستدرك الحاكم. كما بقيت النسخ المخطوطة ومصورتها وستبقى شاهدة على نواصب التحقيق والنشر. كما ينبغى الإشارة إلى أن المسلمين الأوائل فهموا معنى التسليم فى قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا، بأنه التسليم لأمر النبى وليس السلام عليه صلى الله عليه وآله لأنه لم يقل وسلموا سلاماً. ولذا نجد أن الصلاة عليه استعملت مجردة فى القرون الأولى بدون (وسلم) وإن كان الدعاء بتسليم الله عليه من نوع الدعاء بالصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً، ولكنى أظن أنهم بعد أن حذفوا كلمة (وآله) التى كانت سائدة عند الجميع قروناً طويلة وجدوا خلافاً فملأوه بكلمة (وسلم). وهذا موضوع مهم، يحتاج إلى بحث واسع موثق.

و تجب معرفتهم لانهم أهل الذكر الذين أمرنا الله بسؤالهم

بصائر الدرجات/ ٣٧-٤١

حدثنا العباس بن معروف، عن حماد بن عيسى، عن عمرو بن يزيد، قال قال أبو جعفر عليه السلام: وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون، قال: رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته أهل الذكر وهم المسؤولون.

حدثنا يعقوب بن يزيد، عن ابن أبى عمير، عن ابن أذينة، عن بريد، عن معاوية قال أبو جعفر عليه السلام فى قول الله تبارك وتعالى: وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ، قال: إنما عنانا بها، نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون....

حدثنا أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن صفوان، عن أبى عثمان، عن المعلى بن خنيس، عن أبى عبد الله عليه السلام فى قول الله تعالى: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ، قال هم آل محمد، فذكرنا له حديث الكلبي أنه قال: هى فى أهل الكتاب، قال فلعله وكذبه.

حدثنا السندى بن محمد، عن علاء بن محمد بن مسلم، عن أبى جعفر عليه السلام قال قلت له إن من عندنا يزعمون أن قول الله تعالى: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ، أنهم اليهود والنصارى، قال: إذا يدعونهم إلى دينهم، ثم أشار بيده إلى صدره فقال: نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون.

حدثنا عبد الله بن جعفر، عن محمد بن عيسى، عن محمد بن سنان، عن إسماعيل بن جابر وعبد الكريم، عن عبد الحميد بن أبي الديلم، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ، قال: كتاب الله الذكر، وأهله آل محمد الذين أمر الله بسؤالهم ولم يؤمروا بسؤال الجاهل. وسمى الله القرآن ذكراً فقال: وأزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلمهم يتفكرون.

روضه الواعظين/ ٢٠٣

وقال الباقر عليه السلام في قوله تعالى: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ، قال نحن أهل الذكر. قال أبو زرعة: صدق محمد بن علي، ولعمري إن أبا جعفر لمن أكبر العلماء.

العمدة/ ٣٠٣

ومنها قوله تعالى: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ. وهذا أيضاً غاية في الأمر باتباعه، لموضع الأمر بسؤاله، وبجعله تعالى أهل الذكر، والذكر هو القرآن، وهو أهله بنص كتاب الله تعالى، فوجب اتباعه واتباع ذريته، لموضع الأمر بسؤالهم.

نهج الحق/ ٢١٠

الثالثه والثمانون: روى الحافظ، محمد بن موسى الشيرازي من علماء الجمهور، واستخرجه من التفاسير الإثني عشر، عن ابن عباس في قوله تعالى: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ، قال: هم محمد، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين. هم أهل الذكر، والعلم، والعقل، والبيان، وهم أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، والله ما سمي المؤمن مؤمناً إلا كرامة لأمير المؤمنين. ورواه سفيان الثوري عن السدي عن الحارث.

أمان الأمة/ ١٩٦

وأخرج الثعلبي في تفسيره الكبير في تفسيره قوله تعالى: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ، عن جابر قال: قال علي بن أبي طالب: نحن أهل الذكر. وأخرجه الطبري في تفسيره. وأخرج الحسكاني في ذلك روايات غيرها.

الخطط السياسية لتوحيد الأمة/ ٩٧

وما يؤكد أنهم أولو الأمر وأهل الذكر: أن الهداية لا تدرك بعد النبي إلا بالقرآن وبهم معاً، وأن الضلالة لا يمكن تجنبها إلا بالقرآن وبهم معاً، فهم أحد الثقلين بالنص، وإن كنت في شك من ذلك فارجع مشكوراً إلى صحيح الترمذي: ٥/٣٢٨ حديث ٣٨٧٤، وجامع الأصول لابن الأثير: ١/١٨٧ حديث ٦٥، والمعجم الكبير للطبراني/ ١٣٧، ومشكاة المصابيح: ٢/٢٥٨، وإحياء الميت للسيوطي بهامش الاتحاف / ١١٤، والفتح الكبير للنبهاني: ١/٥٠٣ وج ٣/٣٨٥ والصواعق المحرقة لابن حجر/ ١٤٧ و ٢٢٦، والمعجم الصغير للطبراني: ١/١٣٥، ومقتل الحسين للخوارزمي: ١/١٠٤، والطبقات الكبرى لابن سعد: ٢/١٩٤، وخصائص النسائي/ ٢١، ومجمع الزوائد للهيثمي: ٥/١٩٥. ولولا الرغبة بالاختصار لذكرت لك ١٩٢ مرجعاً.

الخطط السياسية لتوحيد الأمة/ ٢٦٦

فإذا ذكر ذاكر أن الله تعالى قد أذهب الرجس عن أهل البيت وطهرهم تطهيراً، جاءك الجواب سريعاً، إن أهل البيت هم نساء النبي وحدهن، ومنهم من يتبرع بالمباهلة إذا كان أهل البيت غير نساء النبي!

وإذا قيل إن النبي لا يسأل أجراً إلا المودة في القربى، قيل: كل قرين قرابة النبي، بل كل العالم أقارب النبي، وهو جد التقى ولو كان عبداً حبشياً!

وإذا قيل: هم أهل الذكر. قيل لك: إن العلماء هم أهل الذكر، وهم ورثة الأنبياء!

وباختصار فلا- تجد نصاً في القرآن الكريم يتعلق بأهل البيت الكرام أو بنبي هاشم، إلا وقد حضرت له البطون ومن والاه عشرين التفسيرات والتأويلات لإخراجه عن معناه الخاص بأهل البيت الكرام! ولا تجد فضلاً اختص به أهل البيت الكرام إلا وقد أوجدت

بطون قريش لرجالاتها فضلاً يعادله عن طريق التفسير والتأويل! ومع سيطرة البطون وإشرافها على وسائل الإعلام، وهيمنتها على الدولة الإسلامية خلطت كافة الأوراق، حتى إذا أخرجت يدك لم تكذب تراها.

معالم الفتن لسعيد أيوب: ١/١٢٣

والخلاصة: إن الروايات التي فسرت الآية بينت أن الذكر رسول الله وأن عترته أهله. وروى في قوله عز وجل: وَأُمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا، إن الآية مكية وعلى هذا فالمراد بقوله: أهلك، بحسب وقت النزول خديجة زوج النبي (ص) وعلى بن أبي طالب، وكان من أهله وفي بيته أو هما وبعض بنات النبي (ص). وعلى هذا فإن القول بأن أهله جميع متبعية من أمته غير سديد... وروى أن النبي صلى الله عليه وآله ظل يأمر أهله بالصلاة في مكة والمدينة حتى فارق الدنيا.

وفي الدر المنثور أخرج الطبراني في الأوسط وأبونعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان بسند صحيح عن عبدالله بن سلام قال: كان النبي (ص) إذا نزلت بأهله شدة أو ضيق أمرهم بالصلاة وتلا: وأمر أهلك بالصلاة، وروى أنه صلى الله عليه وآله كان يجي إلى باب علي وفاطمة ثمانية أشهر، وفي رواية تسعة أشهر ويقول: الصلاة رحمكم الله. إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيراً....

و تجب معرفتهم لأن الأعمال لا تقبل إلا بولايتهم

الكافي: ١/١٨٣

محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن صفوان بن يحيى، عن العلاء بن رزين عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: كل من دان الله عز وجل بعبادة يجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله فسعيه غير مقبول، وهو ضال متحير والله شأنى لأعماله، ومثله كمثل شاء ضلت عن راعيها وقطيعها، فهجمت ذاهبةً وجائيةً يومها، فلما جنها الليل بصرت بقطيع غنم مع راعيها، فحنت إليها واغترت بها، فباتت معها في مربضها فلما أن ساق الراعي قطيعه أنكرت راعيها وقطيعها، فهجمت متحيرة تطلب راعيها وقطيعها فبصرت بغنم مع راعيها فحنت إليها واغترت بها فصاح بها الراعي: الحقى براعيك، وقطيعك فأنت تائهة متحيرة عن راعيك وقطيعك، فهجمت ذعرة متحيرة تائهة لا راعي لها يرشدها إلى مرعاها أو يردها، فبينما هي كذلك إذا اغتتم الذئب ضيعتها فأكلها، وكذلك والله يا محمد من أصبح من هذه الأمة لا إمام له من الله عز وجل. انتهى. ونحوه في المحاسن/٩٢، وتفسير العياشي: ٢/٢٥٢.

علل الشرائع: ١/٢٥٠

حدثنا محمد بن علي ماجيلويه رحمه الله، عن عمه محمد بن أبي القاسم، عن يحيى بن علي الكوفي، عن محمد بن سنان، عن صباح المدائني، عن المفضل بن عمر، أن أبا عبد الله عليه السلام كتب إليه كتاباً فيه: إن الله تعالى لم يبعث نبياً قط يدعو إلى معرفة الله ليس معها طاعة في أمر ولا نهى، وإنما يقبل الله من العباد العمل بالفرائض التي فرضها الله على حدودها، مع معرفة من دعا إليه. ومن أطاع وحرّم الحرام ظاهره وباطنه وصلى وصام وحج واعتمر وعظم حرمات الله كلها ولم يدع منها شيئاً، وعمل بالبر كله ومكارم الاخلاق كلها وتجنب سيئها.

ومن زعم أنه يحل الحلال ويحرم الحرام بغير معرفة النبي صلى الله عليه وآله لم يحل الله حلالاً - ولم يحرم له حراماً، وإن من صلى وزكى وحج واعتمر وفعل (البر) كله بغير معرفة من افترض الله عليه طاعته، فلم يفعل شيئاً من ذلك، لم يصل ولم يصم ولم يزك ولم يحج ولم يعتمر ولم يغتسل من الجنابة ولم يتطهر ولم يحرم الله، وليس له صلاة وإن ركع وإن سجد، ولا له زكاة ولا حج، وإنما ذلك كله يكون بمعرفة رجل من الله تعالى على خلقته بطاعته وأمر بالأخذ عنه، فمن عرفه وأخذ عنه أطاع الله.

ومن زعم أن ذلك إنما هي المعرفة وأنه إذا عرف اكتفى بغير طاعة فقد كذب وأشرك، وإنما قيل إعرف واعمل ما شئت من الخير فإنه لا يقبل منك ذلك بغير معرفة، فإذا عرفت فاعمل لنفسك ما شئت من الطاعة قل أو كثر، فإنه مقبول منك. انتهى. ورواه في

وسائل الشيعة: ١/٩٥.

وسائل الشيعة: ١/٩٠.

وعن علي بن إبراهيم، عن أبيه وعن عبدالله بن الصلت جميعاً، عن حماد بن عيسى، عن حريز بن عبدالله، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام (في حديث) قال: ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمان الطاعة للإمام بعد معرفته، أما لو أن رجلاً قام ليله وصام نهاره، وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره، ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه وتكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله حق في ثوابه ولا كان من أهل الإيمان. ورواه البرقي في المحاسن عن عبدالله بن الصلت بالإسناد.

وعن محمد بن الحسن، عن الصفار، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن علي بن عقبه، عن أبيه عقبه بن خالد، عن ميسر، عن أبي جعفر عليه السلام (في حديث) قال: إن أفضل البقاع ما بين الركن والمقام، وباب الكعبة وذاك حطيم إسماعيل، ووالله لو أن عبداً صف قدميه في ذلك المكان، وقام الليل مصلياً حتى يجيئه النهار، وصام النهار حتى يجيئه الليل، ولم يعرف حقنا وحرمتنا أهل البيت لم يقبل الله منه شيئاً أبداً.

علي بن إبراهيم في تفسيره، عن أحمد بن علي، عن الحسين بن عبيد الله، عن السندي بن محمد، عن أبان، عن الحارث، عن عمرو، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى، قال: ألا ترى كيف اشترط ولم تنفعه التوبة والإيمان والعمل الصالح حتى اهتدى؟ والله لو جهد أن يعمل ما قبل منه حتى يهتدى، قال: قلت: إلى من جعلني الله فداك؟ قال: إلينا. أقول: والأحاديث في ذلك كثيرة جداً.

مستدرک الوسائل: ١/١٤٩-١٥٥

وعن سلام بن سعيد المخزومي عن يونس بن حباب عن علي بن الحسين عليه السلام قال قام رسول الله صلى الله عليه وآله فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما بال أقوام إذا ذكر عندهم آل إبراهيم وآل عمران فرحوا واستبشروا، وإذا ذكر عندهم آل محمد اشمأزت قلوبهم! والذي نفس محمد بيده لو أن عبداً جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبياً ما قبل الله ذلك منه حتى يلقي الله بولايتي وولايته أهل بيتي!

ورواه ابن الشيخ الطوسي في أماليه، عن أبيه، عن المفيد، عن علي بن خالد المراغي، عن الحسن بن علي الكوفي، عن إسماعيل بن محمد المزني، عن سلام بن أبي عمرة، عن سعد بن سعيد، مثله.

(وقال في هامشه: كتاب سلام بن أبي عمرة/١١٧، أمالي الطوسي: ١/١٤٠ باختلاف يسير وعنه في بحار الأنوار: ٢٧/١٧٢ ح ١٥).

أحمد بن محمد بن خالد البرقي في المحاسن، عن خلاد المقرئ، عن قيس بن الربيع، عن ليث بن سليمان، عن ابن أبي ليلى، عن الحسين بن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إلموا مودتنا أهل البيت فإنه من لقي الله وهو يودنا أهل البيت دخل الجنة بشفاعتنا. والذي نفسى بيده لا ينتفع عبد بعلمه إلا بمعرفة حقنا.

(وقال في هامشه: المحاسن/٦١ ح ١٠٥، أمالي المفيد/٤٣ ح ٢ باختلاف يسير. أمالي المفيد/١٣ ح ١، عنه في بحار الأنوار: ٧٥/١٠١ ح

(٧)

وعن أبيه، عن أبي منصور السكري، عن جده علي بن عمر عن العباس بن يوسف الشكلى، عن عبيد الله بن هشام، عن محمد بن مصعب، عن الهيثم بن حماد عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك، قال رجعتنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله قافلين من تبوك، فقال لي في بعض الطريق ألقوا لي الأحلاس والأقتاب ففعلوا، فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال معاشر: الناس ما لي إذا ذكر آل إبراهيم تهلت وجوهكم، وإذا ذكر آل محمد كأنما يفتأ في وجوهكم حب الرمان، فوالذي بعثني بالحق نبياً لو جاء أحدكم يوم القيامة بأعمال كأمثال الجبال ولم يجي بولاية علي بن أبي طالب أكبه الله عز وجل في النار.

(وقال في هامشه: أمالي الطوسي: ١/٣١٤ باختلاف يسير، عنه في بحار الأنوار: ٢٧/١٧١ ح ١٢. الاحلاس: واحده جلس بكسر فسكون

كحمل وأحمال: كساء يوضع على ظهر البعير تحت القتب-لسان العرب: ٦/٥٤، مجمع البحرين: ٤/٦٣، والأقتاب: جمع قتب وهو بالتحريك: رحل البعير - لسان العرب: ١/٦٦٠، مجمع البحرين: ٢/١٣٩ قتب).

الغدیر للامینی: ٢/٣٠١

عن ابن عباس في حديث عن النبي صلى الله عليه وآله: لو أن رجلاً صفن بين الركن والمقام فصلى وصام ثم لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمد، دخل النار. أخرجه الحاكم في المستدرک ٣/١٤٩ وصححه، والذهبي في تلخيصه.

وأخرج الطبراني في الأوسط من طريق أبي ليلى، عن الإمام السبط الشهيد، عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال: إلزموا مودتنا أهل البيت فإنه من لقي الله عز وجل وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسى بيده لا ينفع عبداً عمله إلا بمعرفة حقنا. وذكره الهيثمي في المجمع ٩/١٧٢، وابن حجر في الصواعق، ومحمد سليمان محفوظ في أعجب ما رأيت ١/٨ والنبهاني في الشرف المؤبد/٩٦ والحضرمي في رشفة الصادي/٤٣.

وأخرج الحافظ السمان في أماليه بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله: لو أن عبداً عبد الله سبعة آلاف سنة (هو) عمر الدنيا ثم أتى الله عز وجل يبغض علي بن أبي طالب جاحداً لحقه ناكثاً لولايته، لا تعس الله خيره وجدع أنفه. وذكره القرشي في شمس الأخبار/٤٠.

وأخرج الخوارزمي في المناقب/٣٩ عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لعلی: يا علي لو أن عبداً عبد الله عز وجل مثل ما قام نوح في قومه وكان له مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله، ومد في عمره حتى حج ألف عام على قدميه، ثم قتل بين الصفا والمروة مظلوماً، ثم لم يوالك يا علي، لم يشم رائحة الجنة ولم يدخلها.

عن أم سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: يا أم سلمة أتعرفينه؟ قلت: نعم هذا علي بن أبي طالب. قال: صدقت، سجيته سجيته ودمه دمي وهو عيبة علمي، فاسمعي واشهدي لو أن عبداً من عباد الله عز وجل عبد الله ألف عام بين الركن والمقام ثم لقي الله عز وجل مبغضاً لعلی بن أبي طالب وعترتي، أكبه الله تعالى على منخره يوم القيامة في نار جهنم.

أخرجه الحافظ الكنجي بإسناده من طريق الحافظ أبي الفضل السلامي ثم قال: هذا حديث سنده مشهور عند أهل النقل.

وأخرج ابن عساكر في تاريخه مسنداً عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث: يا علي لو أن أمتي صاموا حتى يكونوا كالحنايا، وصلوا حتى يكونوا كالإوتار، ثم أبغضوك لأكبهم الله في النار.

وذكره الكنجي في الكفاية/١٧٩، وأخرجه الفقيه ابن المغازلي في المناقب، ونقله عنه القرشي في شمس الأخبار/٣٣ ورواه شيخ الإسلام الحموي في الفرائد في الباب الأول. وهناك أخبار كثيرة تضاهاى هذه في ولاء أمير المؤمنين وعترته لا يسعنا ذكرها....

- قال الشيخ أبو بكر بن شهاب السقاف، وهو شيخ محمد بن عقيل الحضرمي صاحب النصائح الكافية:

حب آل البيت قربه وهو أسمى الحب رتبة

ذنب من والأهم يغسله مزن المحبة

والذي يبغضهم لا يسكن الإيمان قلبه

علمه والنسك رجس عسل في ضرع كلبه

لعن الله عدو الآل إبليس وحزبه

و تجب معرفتهم لأنهم محال معرفة الله تعالى

الكافية: ٤/٥٧٨

محمد بن يحيى، عن محمد بن أحمد، عن هارون بن مسلم، عن علي بن حسان، عن الرضا عليه السلام قال: سئل أبي، عن إتيان قبر

الحسين عليه السلام فقال: صلوا في المساجد حوله ويجزى في المواضع كلها أن تقول: السلام على أولياء الله وأصفيائه، السلام على أمناء الله وأحبابه، السلام على أنصار الله وخلفائه، السلام على محال معرفة الله، السلام على مساكن ذكر الله، السلام على مظهرى أمر الله ونهيه، السلام على الدعاء إلى الله، السلام على المستقرين فى مرضات الله، السلام على الممحصين فى طاعة الله، السلام على الأدلاء على الله، السلام على الذين من والأهم فقد وال الله ومن عاداهم فقد عادى الله ومن عرفهم فقد عرف الله ومن جهلهم فقد جهل الله ومن اعتصم بهم فقد اعتصم بالله ومن تخلى منهم فقد تخلى من الله. انتهى. ورواه فى من لا يحضره الفقيه: ٢/٦٠٨

من لا يحضره الفقيه: ٢/٦٠٩

... السلام على أئمة الهدى، ومصايح الدجى وأعلام التقى، وذوى النهى، وأولى الحجى، وكهف الورى، وورثة الأنبياء، والمثل الأعلى، والدعوة الحسنى، وحجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأولى، ورحمة الله وبركاته، السلام على محال معرفة الله، ومساكن بركة الله، ومعادن حكمه الله وحفظه سر الله، وحمله كتاب الله، وأوصياء نبي الله، وذرية رسول الله صلى الله عليه وآله ورحمة الله وبركاته....

المزار/١٧٦

باب زيارة جامعه لسائر الأئمة عليهم السلام وتجزؤك فى جميع المشاهد على ساكنها السلام أن تقول: السلام على أولياء الله وأصفيائه، السلام على أمناء الله وأحبابه، السلام على أنصار الله وخلفائه، السلام على محال معرفة الله، السلام على معادن حكمه الله، السلام على مساكن ذكر الله، السلام على عباد الله المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول، وهم بأمره يعملون....

و تجب معرفتهم لأنها طريق معرفة الله تعالى

الكافى: ١/١٨٠

الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن على الوشاء قال: حدثنا محمد بن الفضيل، عن أبى حمزة قال قال لى أبو جعفر عليه السلام: إنما يعبد الله من يعرف الله، فأما من لا يعرف الله فإنما يعبده هكذا ضلالاً. قلت: جعلت فداك فما معرفة الله؟ قال: تصديق الله عز وجل وتصديق رسوله صلى الله عليه وآله وموالاه على عليه السلام والإلتزام به وبأئمة الهدى عليهم السلام والبراءة إلى الله عز وجل من عدوهم، وهكذا يعرف الله عز وجل.

علل الشرائع: ١/٩

حدثنا أبى (رض) قال: حدثنا أحمد بن إدريس، عن الحسين بن عبيد الله، عن الحسن بن على بن أبى عثمان، عن عبدالكريم بن عبد الله، عن سلمة ابن عطا، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: خرج الحسين بن على (عليهما السلام) على أصحابه فقال أيها الناس: إن الله جل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه فإذا عبدوا استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه.

فقال له رجل: يا بن رسول الله أبى أنت وأمى فما معرفة الله؟ قال معرفة أهل كل زمان إمامهم الذى يجب عليهم طاعته؟

قال مصنف هذا الكتاب يعنى ذلك: أن يعلم أهل كل زمان أن الله هو الذى لا يخليهم فى كل زمان عن إمام معصوم، فمن عبد رباً لم يقم لهم الحجة فإنما عبد غير الله عز وجل.

و تجب معرفتهم لتحديث: من مات و لم يعرف إمام زمانه

هذا الحديث بصيغته المتعددة متواتر فى مصادرنا ومصادر إخواننا السنة، ولكن المهم معرفة صيغته الأصلية وظروفه التى قاله فيها النبى صلى الله عليه وآله لأنه نص على الوصية بنظام الإمامة من بعده صلى الله عليه وآله.

لذلك نورد صيغته وتطبيقاته على مذهب أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله ثم على مذاهب إخواننا السنة، لكى نستكشف منها أصل

الحديث. وقد أوردنا عدداً من صيغته ومصادره في (معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام) ونضيف إليها هنا ما عثرنا عليه مجدداً.

صيغ الحديث في مصادر مذهب أهل البيت

في وجوب معرفة الإمام من أهل البيت

روى البرقي في المحاسن: ١/١٥٣:

عنه (أحمد بن أبي عبدالله البرقي) عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن بشير الدهان قال قال أبو عبد الله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات وهو لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية، ثم قال: فعليكم بالطاعة، قد رأيتم أصحاب علي، وأنتم تأتمون بمن لا يعذر الناس بجهالته، لنا كرائم القرآن، ونحن أقوام افترض الله طاعتنا، ولنا الانفال ولنا صفو المال.

وروى في ١٥٤: عنه (أحمد بن عبدالله البرقي) عن أبيه، عن النضر، عن يحيى الحلبي، عن حسين بن أبي العلاء قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات ليس له إمام مات ميتة جاهلية، فقال: نعم، لو أن الناس تبعوا علي بن الحسين (عليهما السلام) وتركوا عبدالملك بن مروان اهتدوا، فقلنا من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية ميتة كفر؟ فقال: لا، ميتة ضلال.

وفي تفسير العياشي: ٢/٣٠٣، عن عمار السباطي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لا تترك الأرض بغير إمام يحل حلال الله ويحرم حرامه، وهو قول الله: يوم ندعو كل أناس بإمامهم، ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية. فمدوا أعناقهم، وفتحوا أعينهم، فقال أبو عبد الله عليه السلام: ليست الجاهلية الجهلاء.

وروى الكليني في الكافي: ١/٣٧٦

الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي الوشاء، عن أحمد بن عائذ، عن أبي أذينة، عن الفضيل بن يسار قال: إبتدأنا أبو عبدالله عليه السلام يوماً وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات وليس عليه إمام فميتته ميتة جاهلية. فقلت: قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: إي والله قد قال. قلت: فكل من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية؟ قال: نعم.

وفيها: الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الوشاء قال: حدثني عبدالكريم بن عمرو، عن ابن أبي يعفور قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية، قال قلت ميتة كفر؟ قال: ميتة ضلال، قلت: فمن مات اليوم وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية؟ فقال: نعم.

وفي ٣٧٧: أحمد بن إدريس، عن محمد بن عبدالجبار، عن صفوان، عن الفضيل، عن الحارث بن المغيرة قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات لا يعرف إمامه، مات ميتة جاهلية؟ قال: نعم، قلت: جاهلية جهلاء جاهلية لا يعرف امامه؟ قال: جاهلية كفر ونفاق وضلال.

وفي ٣٧٨: علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبدالرحمن، قال: حدثنا حماد، عن عبدالاعلى قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول العامة رسول الله صلى الله عليه وآله قال فقال: الحق والله... الحديث - كما في روايته الثانية بتفاوت.

وفي ١/٣٧١: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن علي بن النعمان، عن محمد بن مروان، عن فضيل بن يسار قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية، ومن مات وهو عارف لامامه لم يضره تقدم هذا أو تأخر. ومن مات وهو عارف لامامه كان كمن هو مع القائم في فسطاطه.

وفي ١/٣٩٠: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن سنان، عن ابن مسكان عن سدير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إني تركت مواليك مختلفين يتبرأ بعضهم من بعض قال: فقال: وما أنت وذاك، إنما كلف الناس ثلاثة: معرفة الأئمة، والتسليم

لهم فيما ورد عليهم، والرد إليهم فيما اختلفوا فيه.

وفى: ٨/١٤٦: يحيى الحلبي، عن بشير الكناسي قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: وصلتكم وقطع الناس، وأحببتهم وأبغض الناس، وعرفتم وأنكر الناس، وهو الحق، إن الله اتخذ محمداً صلى الله عليه وآله عبداً قبل أن يتخذ نبياً وإن علياً عليه السلام كان عبداً ناصحاً لله عز وجل فنصحه وأحب الله عز وجل فأحبه، إن حقنا في كتاب الله بين، لنا صفو الأموال ولنا الأنفال وإنا قوم فرض الله عز وجل طاعتنا وإنكم تأتمون بمن لا يعذر الناس بجهالته، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية، عليكم بالطاعة فقد رأيتم أصحاب علي عليه السلام.

الغيبة للنعماني/١٢٧-١٣٠: كما في المحاسن، بسند آخر، عن معاوية بن وهب....

رجال الكشي/٤٢٤: قريباً من رواية الكافي الخامسة.

كمال الدين: ٢/٤١٣: عن سليم بن قيس الهلالي أنه سمع من سلمان ومن أبي ذر ومن المقداد حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: من مات.. وليس له إمام مات ميتة جاهلية، ثم عرضه على جابر وابن عباس فقالا: صدقوا وبروا، وقد شهدنا ذلك وسمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وإن سلمان قال: يا رسول الله إنك قلت من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية، من هذا الإمام؟ قال: من أوصيائي يا سلمان، فمن مات من أمتي وليس له إمام منهم يعرفه فهي ميتة جاهلية، فإن جهله وعاداه فهو مشرك، وإن جهله ولم يعاده ولم يوال له عدواً فهو جاهل وليس بمشرك. انتهى. ومثله في الإمامة والتبصرة/٣٣

ثواب الأعمال/٢٠٥: قريباً من رواية الكافي الخامسة.

عيون أخبار الرضا: ٢/٥٨: عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات وليس له إمام من ولدي مات ميتة جاهلية، ويؤخذ بما عمل في الجاهلية والإسلام.

الإختصاص/٢٤٨: عن عمر بن يزيد، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال سمعته يقول: من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية، إمام حي يعرفه، فقلت: لم أسمع أباك يذكر هذا يعني إماماً حياً فقال: قد والله قال ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات وليس له إمام يسمع له ويطيع مات ميتة جاهلية.

رسائل المفيد/٣٨٤: كما في المحاسن، عن النبي صلى الله عليه وآله وقال: خير صحيح يشهد به إجماع أهل الآثار ويقوى منار صريح القرآن حيث يقول جل اسمه: يوم ندعو كل أناس بإمامهم، فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم ولا يظلمون فتيلاً.

دعائم الإسلام: ١/٢٧: وعنه (الإمام الصادق عليه السلام) أنه قال في قول رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات لا يعرف إمام دهره مات ميتة جاهلية، فقال: إماماً حياً. قيل له: لم نسمع حياً، قال: قد قال والله ذلك، يعني رسول الله.

وعنه عليه السلام أنه قال في قول الله عز وجل يوم ندعو كل أناس بإمامهم، فقال: بمن كانوا يأتون به في الدنيا، يدعى عليّ بالقرن الذي كان فيه، والحسن بالقرن الذي كان فيه، والحسين بالقرن الذي كان فيه، وعدد الأئمة، ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات لا يعرف إمام دهره مات ميتة جاهلية. انتهى. ورواه في مناقب آل أبي طالب: ١/٢١٢ وج ٢/٢٤٦ و ٣/١٨ وص ٤١٣، بعدة روايات. ورواه الحر العاملي في وسائل الشيعة: ١٣/٣٥٢.

وروى نحوه في: ١٨/٥٦٥ وفي: ١١/٤٩١ وقال: ورواه علي بن عيسى في كشف الغمّة نقلاً عن الطبرسي في إعلام الوري. وفي كنز الفوائد/١٥١: بسند آخر، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: - كما في رواية العيون. وفي تلخيص الشافي:

٤/١٣٢: كما في رسائل المفيد، مرسلًا. وفي إثبات الهداة: ١/٨٧: عن روايات الكافي. وفي غايه المرام/٢٦٦ - عن رواية الكافي الخامسة بتفاوت يسير. وفي ٢٧٣ - عن رواية العياشي الثانية. وفي تفسير البرهان: ١/٣٨٢ - عن رواية الكافي الخامسة. وفي ٣٨٦ - عن

رواية العياشي الأولى. وفي: ٢/٤٣٠ - عن رواية العياشي الثانية. وفي تفسير نور الثقلين: ١/٥٠٣ - عن روايتي الكافي السادسة والخامسة. وفي بحار الأنوار: ٨/١٢ - عن رواية العياشي الثانية. وفي: ٢٣/٧٦ - عن رواية المحاسن الأولى. وفي ٨١ - عن رواية العيون. وفي ٩٢ -

عن كثر الكراجكي بتفاوت يسير. وفي/٧٨ - عن النعماني. وفي/٨٥ - عن ثواب الأعمال. وفي/٨٨ - عن كمال الدين. وفي/٨٩ - عن رجال الكشي. وفي/٩٢ - عن الاختصاص. وفي: ٦٨/٣٣٧ - عن رواية الكافي السادسة. وفي/٣٨٧ - عن رواية العياشي الأولى، وفيه (عيسى بن السري، بدل يحيى بن السري).

في أن معرفتهم و ولايتهم من دعائم الإسلام

روى الكليني في الكافي: ٢/١٩

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن صفوان بن يحيى، عن عيسى بن السري اليسع قال: قلت لابي عبدالله عليه السلام: أخبرني بدعائم الإسلام التي لا يسع أحد التقصير عن معرفة شيء منها، الذي من قصر عن معرفة شيء منها فسد دينه ولم يقبل الله منه عمله، ومن عرفها وعمل بها صلح له دينه وقيل منه عمله، ولم يضق به مما هو فيه لجهل شيء من الأمور جهله؟

فقال: شهادة أن لا إله إلا الله، والإيمان بأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله والإقرار بما جاء به من عند الله، وحق في الأموال الزكاة، والولاية التي أمر الله عز وجل بها ولاية آل محمد صلى الله عليه وآله. قال: فقلت له: هل في الولاية فضل يعرف لمن أخذ به؟ قال: نعم قال الله عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وكان علياً عليه السلام وقال الآخرون: كان معاوية، ثم كان الحسن عليه السلام ثم كان الحسين عليه السلام وقال الآخرون: يزيد بن معاوية وحسين بن علي، ولا سواء ولا سواء.

قال: ثم سكت ثم قال: أزيدك؟ فقال له حكم الأعور: نعم جعلت فداك قال: ثم كان علي بن الحسين ثم كان محمد بن علي أبو جعفر وكانت الشيعة قبل أن يكون أبو جعفر وهم لا يعرفون مناسك حجهم وحلالهم وحرامهم حتى كان أبو جعفر ففتح لهم وبين لهم مناسك حجهم وحلالهم وحرامهم حتى صار الناس يحتاجون إليهم من بعد ما كانوا يحتاجون إلى الناس، وهكذا يكون الأمر، والأرض لا تكون إلا - بإمام، ومن مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية، وأحوج ما تكون إلى ما أنت عليه إذا بلغت نفسك هذه، وأهوى بيده إلى حلقه، وانقطعت عنك الدنيا تقول: لقد كنت على أمر حسن. انتهى. ومثله في تفسير العياشي: ١/٢٥٢.

وفي الكافي: ٢/٢١١ علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن حماد بن عثمان، عن عيسى بن السري قال قلت لابي عبدالله عليه السلام... كما في رواية العياشي الأولى، وزاد فيه: وأحوج ما يكون أحدكم إلى معرفته إذا بلغت نفسه هاهنا قال وأهوى بيده إلى صدره، يقول حينئذ: لقد كنت على أمر حسن. انتهى. ونحوه في المحاسن/٩٢ ونحوه في وسائل الشيعة: ٢٠/٢٨٧ عن النجاشي ٢٠٩ وخلاصة الرجال/٦٠ والشيخ/٢٥٧ والفهرست/١٤٣ وجامع الرواة: ص ٦٥١ والكشي/١. ٣٦.

وفي رجال الكشي/٤٢٤: جعفر بن أحمد، عن صفوان، عن أبي اليسع قال قلت لابي عبدالله عليه السلام حدثني عن دعائم الإسلام التي بنى عليها ولا يسع أحداً من الناس تقصير عن شيء منها... كما في رواية الكافي الثانية بتفاوت. وفي ثواب الأعمال/٢٠٥ - كما في رواية الكافي الأخيرة. وفي تفسير الصافي: ١/٤٦٣ - عن رواية الكافي الثانية. وفي تفسير البرهان: ١/٣٨٣ - عن رواية الكافي الثانية، بتفاوت يسير. وفي بحار الأنوار: ٢٣/٢٨٩ ب ٤ ح ٣٥ - عن رواية الكافي الثانية. وفي تفسير نور الثقلين: ١/٥٠٣ - عن رواية الكافي الثانية. وفي تنقيح المقال/٣٦٠ - عن الكشي.

في أن الإمام من أهل البيت قد يغيب

روى الصدوق في كمال الدين: ٢/٤٠٩

حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق (رض) قال: حدثني أبو علي بن همام قال: سمعت محمد بن عثمان العمري قدس الله روحه يقول: سمعت أبي يقول سئل أبو محمد الحسن بن علي (عليهما السلام) وأنا عنده عن الخبر الذي روى عن آبائه عليهم السلام: إن الأرض لا

تخلو من حجة الله على خلقه إلى يوم القيامة، وإن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، فقال: إن هذا حق كما أن النهار حق، فقيل له: يا ابن رسول الله فمن الحجّة والإمام بعدك؟ فقال: إبنى محمد هو الإمام والحجّة بعدى، من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية، أما إن له غيبة يحار فيها الجاهلون، ويهلك فيها المبطلون، ويكذب فيها الوقاتون، ثم يخرج فكأنى أنظر إلى الاعلام البيض تخفق فوق رأسه بنجف الكوفة.

وفى كفاية الاثر/٢٩٢: أخبرنا أبوالمفضل رحمه الله قال: حدثنى أبو همام قال: سمعت محمد بن عثمان العمري قدس الله روحه يقول: - كما فى كمال الدين.

وفى إعلام الورى/٤١٥ و٤٤٢ - كما فى كمال الدين بتفاوت يسير عن الإمام الباقر. وفى كشف الغمة: ٣/٣١٨ - عن إعلام الورى، بتفاوت يسير. وفى إثبات الهداة: ٣/٤٨٢ - عن كمال الدين، وقال: ورواه على بن محمد الخزاز فى كتاب الكفاية. وفى وسائل الشيعة: ١١/٤٩١ - أوله، عن إعلام الورى. وفى حلية الابرار: ٢/٥٥٢ - كما فى كمال الدين، عن ابن بابويه. وفى بحار الأنوار: ٥٨/١٦٠ - عن كمال الدين، وأشار إلى مثله عن كفاية الأثر. وفى منتخب الاثر/٢٢٦ - عن كفاية الأثر. كما توجد فى مصادرنا أحاديث أخرى عديدة، يمكن أن تصل إلى مجموعات أخرى كالذى رواه فى الكافي: ١/٣٩٧

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن منصور، عن فضل الاعور، عن أبي عبيدة الحذاء قال: كنا زمان أبي جعفر عليه السلام حين قبض نتردد كالغنم لا- راعى لها، فلقينا سالم بن أبي حفصة فقال لى: يا أبا عبيدة من إمامك؟ فقلت أئمتى آل محمد فقال: هلكت وأهلكت أما سمعت أنا وأنت أبا جعفر عليه السلام يقول: من مات وليس عليه إمام مات ميتة جاهلية؟ فقلت: بلى لعمرى، ولقد كان قبل ذلك بثلاث أو نحوها دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فرزق الله المعرفة فقلت لأبى عبدالله عليه السلام: إن سالمًا قال لى كذا وكذا، قال فقال: يا أبا عبيدة أنه لا يموت منا ميت حتى يخلف من بعده من يعمل بمثل عمله ويسير بسيرته ويدعو إلى ما دعا إليه، يا أبا عبيدة إنه لم يمنع ما أعطى داود أن أعطى سليمان، ثم قال: يا أبا عبيدة إذا قام قائم آل محمد عليه السلام حكم بحكم داود وسليمان لا يسأل بينة. انتهى. وروى مثله فى بصائر الدجات/٢٥٩، ونحوه فى/٥٠٩ وص ٥١٠ والذى رواه فى أعلام الدين/٤٥٩

وسأله أبو بصير عن قول الله تعالى: وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا، ما عنى بذلك؟ فقال: معرفة الإمام واجتناب الكبائر، ومن مات وليس فى رقبته بiece لإمام مات ميتة جاهلية، ولا يعذر الناس حتى يعرفوا إمامهم، فمن مات وهو عارف بالإمامة لم يضره تقدم هذا الأمر أو تأخر، فكان كمن هو مع القائم فى فسطاطه. قال: ثم مكث هنيهة ثم قال: لا بل كمن قاتل معه، ثم قال: لا بل والله كمن استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله. انتهى. ورواه فى بحار الأنوار: ٢٧/١٢٦ - عن أعلام الدين.

تفسير الحديث فى مذهب أهل البيت

فى هذا الحديث الشريف عناصر ومفاهيم عديدة، نذكر أهمها:

المفهوم الأول: أن النبى صلى الله عليه وآله بلغ الأمة نظام الإمامة من بعده، وأنه الطريق الوحيد لضمان عدم الوقوع فى الجاهلية. وأن الله تعالى جعل الإمام ركناً عملياً من أركان الإسلام مثل الصلاة والزكاة والحج، وجعل طاعته فريضة على كل مسلم.

روى فى الإمامة والتبصرة/٦٣

سعد، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن حماد بن عيسى، عن إسماعيل بن جعفر: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: جاء رجل إلى أبي عبدالله عليه السلام فسأله عن الأئمة عليهم السلام فسماهم حتى انتهى إلى ابنه، ثم قال: والأمر هكذا يكون، والأرض لا تصلح إلا بإمام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات لا يعرف إمامه، مات ميتة جاهلية. ثلاث مرات.

المفهوم الثاني: أن الأئمة الذين قصدهم النبي صلى الله عليه وآله هم الأئمة من ذريته عليهم السلام فقد أخبره الله تعالى أنهم سيكونون في الأمة في كل عصر مع القرآن لا يفترقان حتى يردا عليه الحوض، كما ورد في حديث الثقلين الذي صح عند الجميع. بل روت مصادرنا أن النبي صلى الله عليه وآله قد نص في هذا الحديث على أن الأئمة من ذريته ففي مستدرک الوسائل: ١٨/١٧٦ قال: أبو الفتح الكراجكي في كنز الفوائد، عن محمد بن أحمد بن شاذان القمي عن أحمد بن محمد بن عبيد الله بن عياش، عن محمد بن عمر، عن الحسن بن عبد الله بن محمد بن العباس الرازي، عن أبيه، عن علي بن موسى الرضا، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات وليس له إمام من ولدي مات ميتة جاهلية، يؤخذ بما عمل في الجاهلية والإسلام. انتهى. ورواه في تفسير نور الثقلين: ١/٥٠٣ وص ٥٤٠ وج ٢/٢٨٢ وج ٣/١٩٤ وج ٤/٢٤٠ وتفسير كنز الدقائق: ٢/٥٩٥، وغيرها. وقد روى جميع المسلمين شهادات النبي صلى الله عليه وآله في حق علي والحسن والحسين عليهم السلام وروى الشيعة شهادته وشهادات علي والحسين في حق بقية الأئمة عليهم السلام ومن ذلك:

ما رواه البرقي في المحاسن/١٥٥: عن ابن فضال، عن ثعلبة بن ميمون، عن بشير العطار، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يوم ندعو كل أناس بإمامهم، ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وعني إمامكم، وكم من إمام يجي يوم القيامة يلعن أصحابه ويلعنونه، نحن ذرية محمد صلى الله عليه وآله وأمنة فاطمة عليها السلام وما أتى الله أحداً من المرسلين شيئاً إلا وقد آتاه محمداً صلى الله عليه وآله كما أتى المرسلين من قبله، ثم تلا: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً. وروى الطبرسي في أعلام الدين/٤٥٩: عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام في قول الله تعالى: وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا، ما عني بذلك؟ فقال: معرفة الإمام واجتناب الكبائر، ومن مات وليس في رقبته بيعه لإمام مات ميتة جاهلية، ولا يعذر الناس حتى يعرفوا إمامهم.

المفهوم الثالث: أن هذا الحديث الثابت المتواتر، يؤيد نفى أهل البيت وشيعتهم للروايات القائلة بأن النبي صلى الله عليه وآله لم يوص بشيء في أمر الخلافة، لأنه يدل على أنه صلى الله عليه وآله قد أرسى نظام الإمامة وعين أشخاصه من ذريته، كما أمره الله تعالى، وهو في هذا الحديث يوجه الأمة إلى ضرورة معرفة الإمام في كل عصر، فإن تعبير (لا يعرف إمام زمانه) يدل على أن مشكلة وجود الإمام في كل زمان محلولة في الإسلام بتكفل الله تعالى ببقاء ذرية نبيه إلى يوم القيامة واختياره إماماً منهم في كل عصر، وإنما هي مشكلة المسلمين في أن يعرفوا إمام زمانهم وبياعوه!

والمأمل في الحديث الشريف يرى أن اختيار الله تعالى محمداً صلى الله عليه وآله للنسب واختيار آل من بعده للإمامة، منسجم مع سنة الله تعالى في الأنبياء السابقين وذرياتهم، وبالتالي فالحديث بعيد كل البعد عن عالم اختيار الناس لانفسهم بعد النبي صلى الله عليه وآله وببعد عن منطق تقسيم الأمر بين بنى هاشم الذين كانت لهم النبوة، وبين قبائل قريش الذين ينبغي أن تكون لهم الخلافة مناوبة أو مغالبة كما قالوا.... إلى آخر المنطق القرشي القبلي الذي ظهر في مرض النبي ويوم وفاته، وانتصر في السقيفة في فترة انشغال أهل البيت بجزاة النبي صلى الله عليه وآله! وسيطر على الحكم في تاريخنا الإسلامي إلى أن انتهى على يد العثمانيين بأسوأ نهاية!

المفهوم الرابع: أن المسلم في كل عصر لا يتم إسلامه حتى يبايع الإمام من ذرية النبي صلى الله عليه وآله بأن يعتقد به ويعترف بما له من حق الطاعة بأمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وآله. فالذي لا يعرف الإمام يكون فيه نوع من الجهل والجاهلية، وإن مات على ذلك مات على نوع من الجاهلية.

المفهوم الخامس: أن أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وعليهم هم امتحان الأمة بعد نبيها، فهم ميزان الإسلام والجاهلية، وهم ميزان الإيمان والنفاق، وهم ميزان الوفاء للنبي صلى الله عليه وآله وإطاعته بعد رحيله أو عصيانه. وقد وردت أحاديث كثيرة في مصادر الطرفين تنص على هذه المفاهيم الإسلامية وتؤكددها وتؤيدها.

من ذلك ما روته مصادر الطرفين وصححه علماء الحديث، من أن بغض علي عليه السلام علامة على النفاق وعدم الإيمان بالنبي صلى

الله عليه وآله.

فقد روى أحمد في مسنده: ١/٩٥ وص ١٢٨ وص ٢٩٢ عن زر بن حبیش عن علي (رض) قال: عهد إلي النبي (ص) أنه لا- يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق. ورواه الترمذی في سننه: ٥/٣٠٦، وقال الترمذی في سننه: ٥/٢٩٨:

حدثنا قتيبة أخبرنا جعفر بن سليمان، عن أبي هارون العبدی، عن أبي سعيد الخدری قال: إن كنا لنعرف المنافقين نحن معشر الأنصار يبغضهم علي بن أبي طالب. هذا حديث غريب. وقد تكلم شعبه في أبي هارون العبدی، وقد روى هذا عن الأعمش عن أبي صالح عن سعيد.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٩/١٣٢

وعن جابر بن عبد الله قال: والله ما كنا نعرف منافقينا على عهد رسول الله (ص) إلا يبغضهم علياً. رواه الطبراني في الأوسط والبخاري بنحوه، إلا أنه قال ما كنا نعرف منافقينا معشر الأنصار، بأسانيد كلها ضعيفة (...).

وعن ابن عباس قال: نظر رسول الله (ص) إلى علي فقال: لا- يحبك إلا- مؤمن ولا- يبغضك إلا- منافق، من أحبك فقد أحبني ومن أبغضك فقد أبغضني، وحببي حبيب الله وبغضني بغض الله، ويل لمن أبغضك بعدى. رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات إلا أن في ترجمه أبي الأزهر أحمد بن الأزهر النيسابوري أن معمرًا كان له ابن أخ رافضى فأدخل هذا الحديث في كتبه، وكان معمر مهيباً لا يراجع وسمعه عبدالرزاق. وعن عمران بن الحصين أن رسول الله (ص) قال لعلي: لا- يحبك إلا- مؤمن ولا- يبغضك إلا منافق. رواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن كثير الكوفي حرق أحمد حديثه وضعفه الجمهور ووثقه ابن معين، وعثمان بن هشام لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات (...).

وروى في كنز العمال: ١٣/١٠٦

عن أبي ذر قال: ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله (ص) إلا بثلاث: بتكذيبهم الله ورسوله، والتخلف عن الصلاة وبيغضهم علي بن أبي طالب. خط، في المتفق.

وروى الحاكم في المستدرک: ٣/١٢٨

... عن ابن عباس رضي الله عنهما قال نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى علي فقال: يا علي أنت سيد في الدنيا، سيد في الآخرة، حبيبي وحببي حبيب الله، وعدوك عدوى وعدوى عدو الله، والويل لمن أبغضك بعدى. صحيح على شرط الشيخين، وأبو الأزهر بإجماعهم ثقة، وإذا تفرد الثقة بحديث فهو على أصلهم صحيح.

وروى الحاكم في: ٣/١٣٥

... سمعت عمار بن ياسر (رض) يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي: يا علي طوبى لمن أحبك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب فيك. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وروى الحاكم في: ٣/١٤٢، أن النبي صلى الله عليه وآله قد أخبر علياً بأن الأمة ستغدر به من بعده! فقال: عن حيان الأسدي سمعت علياً يقول قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الأمة ستغدر بك بعدى، وأنت تعيش على ملتي وتقتل على سنتي. من أحبك أحبني ومن أبغضك أبغضني، وإن هذه ستخضب من هذا يعني لحيته من رأسه. صحيح. انتهى.

بل روى الشيعة والسنة إخبار النبي صلى الله عليه وآله بأن مبغض علي عليه السلام (يموت ميتة جاهلية) فقد روى الصدوق في علل الشرائع: ١/١٥٧:

حدثني الحسين بن يحيى بن ضريس، عن معاوية بن صالح بن ضريس البجلي قال: حدثنا أبو عوانة قال: حدثنا محمد بن يزيد وهشام الزراعي قال: حدثني عبد الله بن ميمون الطهوي قال: حدثنا ليث، عن مجاهد، عن ابن عمر قال بينا أنا مع النبي صلى الله عليه وآله في نخيل المدينة وهو يطلب علياً عليه السلام إذا انتهى إلى حائط فاطلع فيه فنظر إلى علي وهو يعمل في الأرض وقد اغتاراً، فقال: ما ألوم

الناس أن يكونك أبا تراب، فلقد رأيت علياً تمرر وجهه وتغير لونه واشتد ذلك عليه، فقال النبي صلى الله عليه وآله ألا أرضيكم يا علي؟ قال: نعم يا رسول الله، فأخذ بيده فقال: أنت أخي ووزيرى وخليفتى فى أهلى تقضى دينى وتبرى ذمتى، من أحببك فى حياة منى فقد قضى له بالجنة، ومن أحببك فى حياة منك بعدى ختم الله له بالأمن والإيمان، ومن أحببك بعدك ولم يرك ختم الله له بالأمن والإيمان وآمنه يوم الفزع الأكبر، ومن مات وهو يبغضك يا علي مات ميتة جاهلية يحاسبه الله عز وجل بما عمل فى الإسلام. وروى نحوه فى ص ١٤٤، وروى نحوه المغربى فى شرح الأخبار: ١/١١٣، وقال فى ١٥٧: وبآخر عن على صلوات الله عليه، أنه قال: قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله أمرنى أن أدنيك فلا أقصيك، وأن أعلمك فلا أجفوك، وحق على أطيع ربه عز وجل، وحق عليك أن تعى. يا على من مات وهو يحبك كتب الله له بالأمن والأمان ما طلعت شمس وما غربت، ومن مات وهو يبغضك مات ميتة الجاهلية وحوسب بعمله فى الإسلام. انتهى. وروى فى: ٢/٤٧٧. يا على إنه من أبغضك فى حياتى وبعد موتى مات ميتة جاهلية، وحوسب بعمله فى الإسلام. يا على أنت معى فى الجنة. انتهى. وروى نحوه فى مستدرک الوسائل: ١٨/١٨١ وص ١٨٧ وص ١٨٢ وفيه (من مات لا يعرف إمام دهره..)

وروى محمد بن سليمان فى مناقب أمير المؤمنين: ١/٣٢٠، وروى نحوه فى: ٢/٤٨٦ فقال: محمد بن منصور عن أبى هشام الرفاعى محمد بن يزيد، عن عبدالله بن ميمون الطهوى، عن ليث عن مجاهد: عن ابن عمر قال: بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فى نخل بالمدينة وهو يطلب علياً إذ انتهى إلى حائط فاطلع فيه فنظر إلى على وهو يعمل فى الأرض وقد أعبار فقال له: ما ألوم الناس أن يكونك بأبى تراب. قال ابن عمر: فلقد رأيت علياً تمرر وجهه وتغير لونه واشتد ذلك عليه فقال له النبي صلى الله عليه وآله: ألا أرضيكم يا علي؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: أنت أخي ووزيرى وخليفتى فى أهلى، تقضى دينى وتبرى ذمتى. من أحببك فى حياة منى فقد قضى نجه، ومن أحببك فى حياة منك بعدى فقد ختم الله له بالأمن والإيمان، ومن أحببك بعدك ولم يرك ختم الله له بالأمن والإيمان وآمنه يوم الفزع الأكبر. ومن مات وهو يبغضك يا على مات ميتة جاهلية يهودياً أو نصرانياً، ويحاسبه الله بما عمل فى الإسلام. ثم قال ابن عمر: لقد سماه الله فى أكثر من ثلاثين آية سماه فيها كلها مؤمناً.

وقال فى هامشه: هذا الحديث - أو قريب منه سند ومتناً - رواه الحافظ الطبرانى فى الحديث: ١٠٠ أو ما حوله من مسند عبدالله بن عمر من كتاب المعجم الكبير: ٣ من المخطوطة الورق ٢٠/ب.

ورواه الهيثمى فى مجمع الزوائد: ٩/١٢١، وتوقف فى صحته، قال: رواه الطبرانى وفيه من لم أعرفه. وقال عن رواية أخرى له: رواه أبو يعلى وفيه زكريا الأصبهاني وهو ضعيف. وقال عن رواية ثالثة له فى: ٩/١١١: رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط وفيه حامد بن آدم المروزى وهو كذاب. وقال عن رواية رابعة له: رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه أشعث ابن عم الحسن بن صالح وهو ضعيف ولم أعرفه. انتهى. وقد رأيت تضعيفه للأحاديث المتقدمة التى صححها الحاكم على شرط الشيخين وعلى شرطه!

ولكن الهندي رواه ووثقه، قال فى كنز العمال: ١١/٦١٠ و: ١٣/١٥٩:

عن على قال: طلبنى رسول الله (ص) فوجدنى فى جدول نائماً فقال: قم ما ألوم الناس يسمونك أبا تراب، قال فرآنى كأنى وجدت فى نفسى من ذلك: قم والله لأرضينك! أنت أخي وأبو ولدى، تقاتل عن سنتى وتبرى ذمتى، من مات فى عهدى فهو كثر الله، ومن مات فى عهدك فقد قضى نجه، ومن مات بحبك بعد موتك ختم الله له بالأمن والإيمان ما طلعت شمس أو غربت، ومن مات يبغضك مات ميتة جاهلية وحوسب بما عمل فى الإسلام. ع، قال البوصيرى: رواه ثقات. انتهى.

المفهوم السادس: أن معنى (مات ميتة جاهلية) يتفاوت حسب حالة الشخص فقد روى فى الكافي: ١/٣٧٧... عن الحارث بن المغيرة قال: قلت لأبى عبدالله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية؟ قال: نعم، قلت جاهلية جهلاء أو جاهلية لا يعرف إمامه؟ قال جاهلية كفر ونفاق وضلال. ونحوه فى المحاسن/ ١٥٥ ونحوه فى الإمامة والتبصرة ٨٢ عن الإمام الباقر عليه السلام وفى رواية منها (مات ميتة جاهلية كفر وشرك وضلال).

وروى الصدوق في كمال الدين: ٢/٤١٣: عن سليم بن قيس الهلالي... عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية... وإن سلمان قال: يا رسول الله إنك قلت من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية، من هذا الإمام؟ قال: من أوصيائي يا سلمان، فمن مات من أمتي وليس له إمام منهم يعرفه فهي ميتة جاهلية، فإن جهله وعاداه فهو مشرك، وإن جهله ولم يعاده ولم يوال له عدواً فهو جاهل وليس بمشرك. انتهى. ونحوه في ٦٦٨.

وهذا الحكم النبوي غير عجيب، وإن بدا شديداً، لأن الجميع رويوا عنه صلى الله عليه وآله من أبغض أهل البيت عليهم السلام أو نصب لهم العداوة فهو كافر. ولا يتسع المجال لاستعراض حكم الناصبي والنواصب في مصادر فقه الطرفين. ولذلك فإن قوله صلى الله عليه وآله: مات ميتة جاهلية، وقوله في هذا الحديث: فإن جهله وعاداه فهو مشرك، منسجم مع آية المودة في القربى، وما رواه الجميع في تفسيرها. أما إذا كان موقف المسلم الجاهل بأهل البيت عليهم السلام بدون موقف عدائي منهم.. فلا يكون ناصبياً. وفي الحديث الذي وثقه البوصيري دلالة مهمة على أن محب على عليه السلام يموت على الإسلام ولا يحاسب بما عمل في الإسلام، وأن مبغضه يموت على جاهلية ويحاسب بما عمل في الجاهلية وفي الإسلام!! فيكون على عليه السلام ميزاناً لجميع الأمة مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

تفسير الشيعة الزيدية للحديث

مسند زيد بن علي/ ٣٦١

حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي (ع م) قال: من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية إذا كان الإمام عدلاً برأ تقياً.

الأحكام في الحلال والحرام: ٢/٤٦٦

تقريب القول فيما روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية.

قال يحيى بن الحسين صلوات الله عليه: إذا كان في عصر هذا الإنسان إمام قائم زكي، تقى، علم، نقى، فلم يعرفه ولم ينصره وتركه وخذله ومات على ذلك مات ميتة جاهلية، فإذا لم يكن إمام ظاهر معروف باسمه مفهوم بقيامه، فالإمام الرسول والقرآن وأمير المؤمنين، وممن كان على سيرته وفي صفته من ولده.

فتجب معرفة ما ذكرنا على جميع الانام إذا لم يعلم في الأرض في ذلك العصر إمام، ويجب عليهم أن يعلموا أن هذا الأمر في ولد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم خاصاً دون غيرهم، وأنه لا يعدم في كل عصر حجة لله يظهر منهم إمام يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فإذا علم كلما ذكرنا وكان الأمر عنده على ما شرحنا ثم مات فقد نجا من الميتة الجاهلية ومات على الميتة المليئة، ومن جهل ذلك ولم يقل به ولم يعتقده فقد خرج من الميتة المليئة ومات على الميتة الجاهلية. هذا تفسير الحديث ومعناه.

الفرق بين صيغ الحديث في مصادرنا ومصادر إخواننا

روت مصادر إخواننا السنة هذا الحديث بشكل واسع وصيغ متعددة، وفي بعضها لفظة: إمام كما في مصادرنا، وفي أكثر صيغه حلت محلها لفظة: أمير. وقد حلت صيغه عندهم تقريباً من مادة معرفة الإمام وحلت محلها بيعة الإمام أو الأمير. ونلاحظ وجود عناصر جديدة في رواياتهم، منها أن يكون ذلك الإمام إمام جماعة، والمقصود به الذي يستطيع أن يسيطر على أكثرية الناس في منطقته، مهما كان أسلوبه في السيطرة، فهو في مصطلح إخواننا إمام جماعة، ومن يعارضه إمام فرقة. ومنها، حرمة نكث بيعته والخروج عليه.

ومنها، أنه لا يشترط فيه أي شروط إلا أن يكون من قبائل قريش، ويسيطر على أكثرية الناس في بلده، أو أكثرية الأمة..

ومنها، أنه لا يجوز لغير قريش أن تتصدى لحكم المسلمين أو تطمع فيه، كما أن الصراع القبلي بين قبائل قريش على الخلافة حرام... إلى آخر الإضافات التي تعكس الخلاف الدموي على الخلافة ومحاولة فرقائه بإسناد مواقفهم بتطوير هذا الحديث وغيره! كما روت

مصادر إخواننا تطبيقات الصحابة والتابعين لهذا الحديث، خاصةً عبدالله بن عمر، وأبى سعيد الخدرى. والسبب فى سعة روايته عندهم أن أصل الحديث كان مشهوراً، وكانت السلطة تحتاج إليه - بشرط تحريفه ومصادره- ليكون شعاراً لإثبات شرعيتها ثم لتحريم الخروج عليها، ولذلك كثر توظيفه لمصلحة الحاكم حتى لو كان فى أول أمره خارجاً على الشرعية وتسلط على المسلمين بالقهر والغلبة، فقد استشهد بهذا الحديث معاوية بن أبى سفيان، قال الهيثمى فى مجمع الزوائد: ٥/٢١٨: عن معاوية قال: قال رسول الله (ص): من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية. وفى رواية من مات وليس من عنقه بيعه مات ميتة جاهلية. انتهى. ولكن مهما كانت الفروقات فى صيغ الحديث، ففيه عنصران ثابتان عند الطرفين، وهما أن النبى صلى الله عليه وآله تحدث عن نظام الحكم من بعده. وأنه تحدث عن الإمام ونظام الإمامة ولم يتحدث عن نظام الخلافة. وهذه الحقيقة رأس خيط فى الاعتقاد بأن الله تعالى قد اختار نوع نظام الحكم للامة بعد نبينا صلى الله عليه وآله ووضع له آليته، وأن هذا الحديث إحدى مفردات هذه الآلية التى وصلت إلينا باتفاق جميع الأطراف! ومن السهل أن نتعقل معنى الحديث أو صيغته الحكم الإسلامى على مذهب أهل البيت عليهم السلام وأن الله تعالى اختار ذرية نبيه للإمامة من بعده، وضمن بقدرته استمرار وجود إمام منهم فى كل عصر، وكلف الأمة بمعرفته وبيعته، وجعل خاتمهم الإمام المهدي الموعود عليه السلام الذى يظهر سبحانه على يده دينه على الدين كله، ويملا به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، على حد تعبير جده المصطفى صلى الله عليه وآله. وأما على مذهب إخواننا السنة فمن المشكل أن يتعقل الإنسان أن مشروع الله تعالى لخاتم الأديان هو نظام الخلافة الذى بدأ يوم وفاة النبى صلى الله عليه وآله فى السقيفة، وامتد فى تاريخ الأمة صراعات متصلة على الخلافة وأمواجاً من الإنقسامات والدماء، حتى انتهى بسقوط الخلافة العثمانية، واستسلام الأمة استسلاماً ذليلاً لأعدائها الغربيين!!

روايات إخواننا التى وردت فيها لفظة إمام

روى أحمد فى مسنده: ٤/٩٦

عن عاصم عن أبى صالح، عن معاوية، قال قال رسول الله (ص): من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية.

وروى الطيالسى فى مسنده/ ١٢٥٩

حدثنا أبو داود قال: حدثنا خارجة بن مصعب، عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية، ومن نزع يداً من طاعة جاء يوم القيامة لا حجة له.

وروى ابن حبان فى صحيحه: ٧/٤٩

عن معاوية، قال: قال رسول الله (ص): من مات وليس له مات ميتة جاهلية. وقال ابن حبان: قوله (ص): مات ميتة الجاهلية معناه: من مات ولم يعتقد أن له إماماً يدعو الناس إلى طاعة الله حتى يكون قوام الإسلام به عند الحوادث والنوازل، مقتنعاً فى الإنقياد على من ليس نعتة ما وصفنا، مات ميتة جاهلية.

وروى الطبرانى فى معجمه الكبير: ١٠/٣٥٠

حدثنا الحسن بن جرير الصورى، ثنا أبو الجماهر، ثنا خليل بن دعلج، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): من فارق جماعة المسلمين قيد شبر فقد خلع ربة الإسلام من عنقه، ومن مات ليس عليه إمام فميتته جاهلية، ومن مات تحت راية عمية يدعو إلى عصبه أو ينصر عصبه فقتلته جاهلية.

وروى الحاكم فى المستدرک: ١/١١٧

.. من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربة الإسلام من عنقه حتى يراجعه. وقال: من مات وليس عليه إمام جماعة فإن موته موتة

جاهلية.

وروى الهيثمي في مجمع الزوائد: ٢١٨/٥-٢١٩

عن معاوية قال: قال رسول الله (ص) من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية. وفي رواية من مات وليس في عنقه بيعه مات ميتة جاهلية. رواه الطبراني وإسنادهما ضعيف. انتهى. ولكنه مال إلى تصحيحه في: ٥/٢٢٥

وعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله (ص): ألا- إن الجنة لا- تحل لعاص، ومن لقي الله ناكثاً بيعته لقيه وهو أجذم، ومن خرج من الجماعة قيد شبر متعمداً فقد خلع ربة الإسلام من عنقه، ومن مات ليس لإمام جماعة عليه طاعة مات ميتة جاهلية. رواه الطبراني وفيه عمرو بن واقد وهو متروك.

وعن أبي الدرداء قال قام فينا رسول الله (ص) فقال: ألا- إن الجنة لا- تحل لعاص، من لقي الله وهو ناكث بيعته يوم القيامة لقيه وهو أجذم، ومن خرج من الطاعة شبراً فقد خلع ربة الإسلام من عنقه، ومن أصبح ليس لأمر جماعة عليه طاعة بعثه الله يوم القيامة من ميتة جاهلية، ولو أعذر عبد أسنه الناس يوم القيامة. رواه الطبراني وعمر بن ربيعة وهو متروك.

وروى النووي في المجموع: ١٩/١٩٠

حديث مسلم الآتي وقال: وأخرجه عن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر بمعنى حديث نافع، وأخرجه الحاكم عن ابن عمر بلفظ: من خرج من الجماعة فقد خلع ربة الإسلام من عنقه حتى يراجعه، ومن مات وليس عليه إمام جماعة فإن ميتته ميتة جاهلية. وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ: من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فميتته جاهلية. انتهى. ورواه البيهقي في سننه: ٨/١٥٦.

وروى في كنز العمال: ١/١٠٣: من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية. حم، طب، عن معاوية.

وروى في كنز العمال: ١/٢٠٧-٢٠٨

من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربة الإسلام من عنقه حتى يراجعه. ومن مات وليس عليه إمام جماعة فإن موته موتة جاهلية. ك، عن ابن عمر.

من فارق المسلمين قيد شبر فقد خلع ربة الإسلام من عنقه، ومن مات ليس عليه إمام فميتته ميتة الجاهلية، ومن مات تحت راية عمية يدعو إلى عصبية أو ينصر عصبية فقتلته جاهلية. طب.

من فارق جماعة المسلمين شبراً أخرج من عنقه ربة الإسلام، والمخالفين بألويتهم يتناولونها يوم القيامة من وراء ظهورهم، ومن مات من غير إمام جماعة مات ميتة جاهلية. ك، عن ابن عمر.

وفي كنز العمال أيضاً: ٦/٦٥

من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية، ومن نزع يداً من طاعة جاء يوم القيامة لا حجة له. ط، حل، عن ابن عمر.

رواياتهم التي فيها لفظ طاعة

روى ابن أبي شيبة في مصنفه: ١٥/٣٨

حدثنا علي بن حفص، عن شريك، عن عاصم، عن عبدالله بن عامر، عن أبيه قال: قال رسول الله (ص): من مات ولا طاعة عليه مات ميتة جاهلية، ومن خلعه بعد عقده إياها فلا حجة له.

وروى أحمد في مسنده: ٣/٤٤٦

عن عبدالله بن عامر، يعني ابن ربيعة عن أبيه قال: قال رسول الله (ص): من مات وليست عليه طاعة مات ميتة جاهلية، فإن خلعه من بعد عقدها في عنقه لقي الله تبارك وتعالى وليست له حجة. وقال قال الحسن: بعد عقده إياها في عنقه.

وروى البخاري في تاريخه: ٦/٤٤٥، أوله، كما في ابن أبي شيبة.

ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٥/٢٢٣ وقال: رواه أحمد، وأبو يعلى، والبخاري، والطبراني. وروى نحوه في: ٢/٢٥٢.. وغيرهم... وغيرهم.

رواياتهم التي توجب طاعة الحاكم الجائر

وهي كثيرة جداً في مصادر إخواننا، وقد وصل فيها التحذير إلى حد اعتبار الثائر على الحاكم الجائر خارجاً عن الإسلام، باغياً، واجب القتل، مهدور الدم، يموت موته جاهلياً وأنه كافر مخلد في النار، لكنه إذا انتصر صار حاكماً شرعياً واجب الطاعة، وصار الخارج عليه ملعوناً كما كان هو ملعوناً قبل ساعة.. وهكذا تصنع السياسة ومخالفة الرسول!!

روى مسلم في صحيحه: ٦/٢١

عن أبي هريرة عن النبي (ص) أنه قال: من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية.

وروى مسلم في: ٦/٢٢

عن الحسن بن الربيع، عن حماد قال: من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبراً فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية... انتهى. وروى نحوه ابن ماجه: ٢/١٣٠٢

وروى الحاكم في المستدرک: ١/١١٨

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من فارق الجماعة فمات، مات موتة جاهلية. انتهى. وروى نحوه أحمد في

مسنده: ٢/٩٣ وص ١٢٣ وص ١٥٤ وص ٢٩٦ وص ٣٠٦ وص ٤٨٨ وج ٣/٤٤٥ و ٤٤٦

وروى الهيثمي في مجمع الزوائد: ٥/٢١٨

وعن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال: سيليكم بعدى ولاة، فيليكم البر بیره والفاجر بفجوره، فاسمعوا لهم. انتهى. والنسائي: ٧/١٢٣،

والدارمي: ٢/٢٤١، والبيهقي في سننه: ٨/١٥٧، والهيثمي في مجمع الزوائد: ١/٣٢٤ وج ٦/٢٨٦، وكتر العمال: ٣/٥٠٩ وج ٦/٥٢، وابن حزم

في المحلى: ٩/٣٥٩.. وغيرهم.. وغيرهم..

مدرسة البخاري في تفسير هذا الحديث

لعل أكثر هذا الروايات صراحة في التأكيد على حرمة الخروج على الحاكم، تلك التي تحذر المسلمين من موته الجاهلية إذا هم لم

يطيعوه ويتحملوا منه مهما كانت أعماله مكروهة، وقد اقتصر البخاري في صحيحه على هذه الروايات فلم يرو شيئاً في التحذير من ميتة

الجاهلية غيرها! ولأن إطاعة الحاكم عنده ولو كان جائراً هي الضمان الوحيد لعدم رجوع المسلم إلى الجاهلية، قال في صحيحه: ٨/٨٧:

... عن أبي رجاء عن ابن عباس عن النبي صلى الله وسلم قال: من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة

جاهلية. ورواه أيضاً في نفس الصفحة بعدة روايات. ورواه أيضاً في: ٨/١٠٥، ورواه مسلم في صحيحه: ٦/٢١، والبيهقي في سننه: ٨/١٥٦

- ١٥٧ وج ١٠/٢٣٤، وأحمد في مسنده: ١/٢٩٧ وص ٣١٠، ونحوه في: ٢/٧٠ وص ٩٣ وص ١٢٣ وص ٤٤٥ وفي: ٣/٤٤٦.

وروى الهيثمي في مجمع الزوائد: ٥/٢١٩ اعلاناً من الله ورسوله ببراءة ذمة المسلمين عند الله تعالى في طاعتهم لحكام الجور، قال:

عن المقدم بن معدى كرب أن رسول الله (ص) قال: أطيعوا أمراءكم مهما كان، فإن أمرؤكم بشئ مما جئتمكم به فإنهم يؤجرون عليه

وتؤجرون بطاعتهم، وأن أمرؤكم بشئ مما لم آتكم به فإنه عليهم وأنتم منه براء، ذلكم بأنكم إذا لقيتم الله قلتم ربنا لا ظلم فيقول لا

ظلم، فتقولون ربنا أرسلت إلينا رسلاً فأطعناهم بإذنك واستخلفت علينا خلفاء فأطعناهم بإذنك، وأمرت علينا أمراء فأطعناهم بإذنك،

فيقول صدقهم هو عليهم وأنتم منه براء. رواه الطبراني وفيه إسحق بن إبراهيم بن زبريق وثقه أبو حاتم وضعفه النسائي، وبقية رجاله

ثقات. انتهى.

والفرية الكبرى في هذا الحديث أن الحاكم الجائر قد استخلفه الله تعالى على عباده وأمرهم بطاعته مهما عصى الله تعالى (واستخلفت

علينا خلفاء فأطعنناهم بإذنتك) بل ادعى واضح الحديث أن ذلك يشمل عمال الحاكم وموظفيه أيضاً (وأمرت علينا أمراء فأطعنناهم بإذنتك)!

ومن العجيب أن مخالفي أهل البيت عليهم السلام يستكثرون أن يكون الله عزوجل اختار لهذه الأمة اثني عشر إماماً بعد نبيها من ذريته، وقد صحت رواياته عند الطرفين، ولا يستكثرون مافي مصادرهم وعقائدهم من الإفتراء على الله تعالى بأنه اختار كل الحكام والطغاة والمفسدين في الأرض بل والكفار المستعمرين أئمةً وحكاماً وأمر المسلمين بطاعتهم!!

عبدالله بن عمر يطبق تفسير إخواننا للحديث

من أبرز من روى عنه حديث الميته الجاهلية عبدالله بن عمر، وقد اقترنت روايته بقصة عبد الله مع الحديث وتطبيقاته له في حياته التي امتدت إلى زمن الحجاج الثقفي وخلافه عبد الملك بن مروان، وقد ذكرت مصادر الحديث والتاريخ والفقهاء أن عبدالله بن عمر كان يعارض كل تحرك ضد الحاكم مهما فسق وطغى بحجة هذا الحديث، لأن المهم برأيه أن يكون في عنق المسلم بيعه لأحد، أي أحد، وأن لا ينام على فراشه ليلة إلا والبيعة في عنقه، حتى لا يموت موتة جاهلية!!

روى مسلم صحيحه: ٦/٢٢

عن زيد بن محمد عن نافع قال: جاء عبدالله بن عمر إلى عبدالله بن مطيع حين كان من أمر الحرّة ما كان زمن يزيد بن معاوية فقال: إطرحوا لأبي عبدالرحمن وسادة، فقال: إني لم آتكم لأجلس، أتيتك لأحدثك حديثاً سمعت رسول الله (ص) يقول، سمعت رسول الله (ص) يقول: من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعه مات ميتة جاهلية.

وروى ابن سعد في الطبقات: ٥/١٤٤

عن أمية بن محمد بن عبدالله بن مطيع، أن عبدالله بن مطيع أراد أن يفر من المدينة ليالي فتنه يزيد بن معاوية، فسمع بذلك عبدالله بن عمر فخرج إليه حتى جاءه قال: أين تريد يابن عم؟ فقال: لا أعطيهم طاعة أبداً، فقال: يابن عم، لا تفعل فإنني أشهد أنني سمعت رسول الله (ص) يقول: من مات ولا يبيعه عليه مات ميتة جاهلية. انتهى. وروى نحوه أحمد في مسنده: ٣/١٤٧٨ - ١٤٧٩: عن عبد الله بن عمر. وروى نحوه الحاكم في المستدرک: ١/٧٧ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. وقد حدث به الحجاج بن محمد أيضاً عن الليث ولم يخرجاه. ورواه الطبراني الأوسط: ١/١٧٥ - كما في ابن سعد.. ورواه غيرهم..

وعبد الله بن مطيع الذي ذهب إليه عبدالله بن عمر لينصحه بالتسليم هو الذي اختاره أهل المدينة أميراً عليهم عندما ثاروا على ظلم بني أمية وطردهم من المدينة، فأرسل يزيد جيشاً من الشام لغزو مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وجرت بين أهلها بقيادة ابن مطيع وبين جيش يزيد معركة الحرّة المشهورة التي استشهد فيها مئات ممن بقى من الأنصار والمهاجرين، واستباح على أثرها جيش يزيد المدينة، وعات فيها فساداً وتعدياً على الحرمات والأعراض، وأخذوا البيعة من أهلها وختموهم في أعناقهم على أنهم عبيد أقنان ليزيد! قال الذهبي في تاريخ الإسلام: ٦/٣١٤: وعن إسحاق بن يزيد قال: رأيت أنساً (رض) مختوماً في عنقه، ختمه الحجاج، أراد أن يذله بذلك... وقال عمر بن عبد العزيز: لو تخابثت الأمم وجئنا بالحجاج لغلبناهم... وقال عاصم بن أبي النجود: ما بقيت لله حرمة إلا وقد انتهكها الحجاج! انتهى.

ولا بد أن يكون هذا الختم في زمن الحجاج ختماً آخر ختمه بنو أمية في أعناق أهل المدينة!!

وقال الذهبي في: ٥/٢٧٤

جمع ابن عمر بنيه وأهله، وقال: أما بعد فإننا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله وإني سمعت رسول الله (ص) يقول: إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان... فلا يخلعن منكم أحد يزيد.

وقال الشاطبي في الاعتصام: ٢/١٢٨ - ٢٩

عن نافع قال: لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشده وولده وقال: إني سمعت رسول الله يقول: لينصب لكل غادر لواء يوم القيامة. وإنا قد بايعنا هذا الرجل وإني لا أعلم أحداً منكم خلعه ولا تابع في هذا الأمر، إلا كانت الفيصل بيني وبينه. قال ابن العربي: وقد قال ابن الخياط إن بيعه عبد الله ليزيد كانت كرهاً، وأين يزيد من ابن عمر؟ ولكن رأى بدينه وعلمه التسليم لامر الله والفرار عن التعرض لفتنته فيها من ذهاب الأموال والأنفس ما لا يخفى.

وقال النووي في شرح مسلم: ٦/٢٢

... ومن مات وليس في عنقه بيعه مات ميتة جاهلية... في هذا دليل على مذهب عبد الله بن عمر كمذهب الأكثرين في منع القيام على الإمام وخلعه إذا حدث فسقه.

وقال الشاطبي في الاعتصام: ٢/١٢٨

قيل ليحيى بن يحيى: البيعة مكروهة؟ قال لا، قيل له: فإن كانوا أئمة جور؟ فقال: قد بايع ابن عمر لعبد الملك بن مروان، وبالسيف أخذ الملك!

وقال ابن حزم في المحلى: ١/٤٥-٤٦

مسألة... ومن بات ليلة وليس في عنقه بيعه مات ميتة جاهلية... عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله (ص): من خلع يداً من طاعته لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعه مات ميتة جاهلية.

وقال ابن باز في فتاويه: ٤/٣٠٣

في صحيح البخاري: أن عبد الله بن عمر كان يصلى خلف الحجاج بن يوسف الثقفي وكذا أنس بن مالك، وكان الحجاج فاسقاً ظالماً. انتهى.

- ولكن النووي ادعى أن بيعه ابن عمر لعبد الملك كانت أيضاً خوفاً وتقيةً من بني أمية، قال في شرح مسلم ٨ جزء ١٦/٩٨:

... قوله رأيت عبد الله بن الزبير على عقبه المدينة فجعلت قريش تمر عليه والناس حتى مر عليه عبد الله بن عمر فوقف عليه فقال: السلام عليك أبا حبيب. فيه استحباب السلام على الميت في قبره وغيره وتكرير السلام ثلاثاً. وفيه منقبة لابن عمر لقوله الحق في الملاء وعدم اكترائه بالحجاج، لأنه يعلم أنه يبلغه مقامه عليه وقوله وثناؤه عليه، فلم يمنعه ذلك أن يقول الحق ويشهد لابن الزبير بما يعلمه فيه من الخير وبطلان ما أشاع عنه الحجاج من قوله إنه عدو الله وظالم.. ومذهب أهل الحق أن ابن الزبير كان مظلوماً وأن الحجاج ورفقته كانوا خوارج عليه.

وامتنع عبدالله بن عمر عن بيعه علي، ثم ندم

قال المسعودي في مروج الذهب: ٢/٣٦١

وقعد عن بيعه علي جماعة عثمانية لم يروا إلا الخروج عن الأمر، منهم سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، وبايع (عبد الله بن عمر) يزيد بعد ذلك، والحجاج لعبد الملك بن مروان.

وقال ابن الاثير في أسد الغابة: ٢/٢٢٩-٢٢٨

ولم يقاتل في شئ من الفتن ولم يشهد مع علي شيئاً من حروبه حين أشكلت عليه، ثم كان بعد ذلك يندم على ترك القتال معه. أخبرنا القاضي أبو غانم محمد بن هبة الله ابن محمد بن أبي جرادة... حدثنا عبدالله بن حبيب أخبرني أبي قال قال ابن عمر حين حضره الموت: ما أجد في نفسي من الدنيا إلا أني لم أقاتل الفئة الباغية، أخرج أبو عمر، وزاد فيه مع علي.

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: ١/٧٧

وصح عن عبدالله بن عمر من وجوه أنه قال: ما آسى على شئ كما آسى أني لم أقاتل الفئة الباغية مع علي (رض). ونحوه في: ٣/٩٥٣

وروا أن ندمه على عدم إطاعة على كان شديداً إلى حد أنه كاد أن يثور في وجه معاوية. فقد روى البخارى في صحيحه: ٣ جزء ٥/٤٨: قال خطب معاوية فقال: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه، فلنحن أحق به منه ومن أبيه! قال حبيب بن مسلمة: فهلا- أجبته؟ قال عبد الله: هممت أن أقول: أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام، فخشيت أقول كلمة تفرق بين الجمع! وجاء في تاريخ الإسلام للذهبي: ٣/٥٥٣ و ٥/٤٦٣: قال ابن عمر: فحللت جبوتي وهممت أن أقول: أحق به من قاتلك وأباك على الإسلام!

ثم كانت علاقاته حسنة مع بنى أمية و مع التأثيرين عليهم

روى البخارى فى الادب المفرد/٢٩٩
عن عبد الله بن دينار أن عبد الله بن عمر كتب إلى عبد الملك ابن مروان يبايعه فكتب إليه.. فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، وأقر لك بالسمع والطاعة.
وقال الذهبي فى تاريخ الإسلام: ٨/١٩٥
عن عمير بن هانى قال: وجهنى عبد الملك بكتاب إلى الحجاج وهو محاصر ابن الزبير، وقد نصب المنجنيق يرمى على البيت، فرأيت ابن عمر إذا أقيمت الصلاة صلى مع الحجاج، وإذا حضر ابن الزبير المسجد صلى معه.
وقال ابن أبى شيبه فى المصنف: ٤/٣٤٠
عن مغيرة عن رجل أنه رأى ابن عمر صلى خلف ابن الزبير بمنى ركعتين، قال: ورأيتته صلى خلف الحجاج أربعاً!
وقال الذهبي فى تاريخ الإسلام: ٥/٦٠
وكان المختار محسناً إلى ابن عمر يبعث إليه بالجوائز والعطايا لأنه كان زوج أخت المختار.. وكان (المختار) غلاماً يعرف بالانقطاع إلى بنى هاشم ثم خرج فى آخر خلافة معاوية إلى البصرة فأقام بها يظهر ذكر الحسين، فأخبر بذلك عبيد الله بن زياد فأخذه وجلده مائة وبعث به إلى الطائف... ثم أن عبد الله بن عمر كتب فيه إلى يزيد لما بكت صفيه أخت المختار على زوجها ابن عمر... فكتب يزيد إلى عبيد الله فأخرجه... فأتى الحجاز واجتمع بابن الزبير فحضره على أن يبايع الناس.
وقال الذهبي فى تاريخ الإسلام: ٥/٤٦٢: إن المختار بن أبى عبيدة كان يرسل إلى ابن عمر المال فيقبله.

وروت مصادر الشيعة احتياطا غريبا له فى تطبيق الحديث

قال الطبرى الشيعى فى كتابه المسترشد/١٦
عبد الله بن عمر الذى قعد عن بيعه على عليه السلام ثم مضى إلى الحجاج فطرقة ليلاً فقال: هات يدك لأبايعك لأمر المؤمنين عبد الملك فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من مات وليس عليه إمام فميتته جاهلية، حتى أنكرها عليه الحجاج مع كفره وعته.
وروى ذلك المحدث القمى فى الكنى والألقاب، وفيه: فأخرج الحجاج رجله وقال: خذ رجلى فإن يدي مشغولة، فقال ابن عمر: أتستهزى منى؟! قال الحجاج: يا أحمق بنى عدى ما بايعت علياً وتقول اليوم: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية! أو ما كان عليّ إمام زمانك؟! والله ما جئت إلى لقول النبى صلى الله عليه وآله بل جئت مخافة تلك الشجرة التى صلب عليها ابن الزبير. انتهى.

و لم يزد أحد على ابن عمر فى تطبيق الحديث إلا أبو سعيد الخدرى

مجمع الزوائد: ٥/٢١٩

وعن بشر بن حرب أن ابن عمر أتى أبا سعيد فقال: يا أبا سعيد ألم أخبر أنك بايعت أميرين قبل أن تجتمع الناس على أمير واحد؟ قال نعم بايعت ابن الزبير، فجاء أهل الشام فساقوني إلى حبيش بن دلجة فبايعته! فقال ابن عمر: إياها كنت أخاف؟! قال أبو سعيد: يا أبا عبد الرحمن ألم تسمع أن رسول الله (ص) قال: من استطاع أن لا ينام يوماً ولا يصبح صباحاً ولا يمسي مساءً إلا وعليه أمير؟ قال نعم، ولكني أكره أن أباع أميرين من قبل أن يجتمع الناس على أمير واحد. انتهى. وقال الهيثمي: رواه أحمد، وبشر بن حرب ضعيف.

تحرير إخواننا السنة في هذا الحديث قديماً وحديثاً

لا مشكلة عندنا نحن الشيعة بسبب هذا الحديث بل هو منسجم مع مذهبننا، وهو من أدلتنا على نظام الإمامة في الإسلام وأن النبي صلى الله عليه وآله قد بلغه إلى الأمة، وقد ثبت عندنا بأدلة قاطعة أن الله تعالى جعل إمامة هذه الأمة في ذرية نبيها، وكفاها مؤونة اختيار الحاكم وأخطار الصراع على الحكم، لو أنها أطاعت. أما إذا عرضت الأمة عنهم ومشت خلف آخرين فالمشكلة مشكلتها، ولا يتغير من أمر الله تعالى شيء، ولا تبطل إمامة الأئمة الذين اختارهم الله تعالى.

أما طريق معرفة الإمام فهي النص عليه من النبي صلى الله عليه وآله أو من الإمام السابق، كما أنه يعرف بما يجريه الله تعالى على يده من المعجزات والدلالات لإثبات إمامته، وسيأتي ذلك في بحث الإمامة إن شاء الله تعالى.

ولكن هذا الحديث، سبب مشكلة لا تنحل عند إخواننا السنة، مهما تكن صيغته التي رووه بها، لأنه يوجب عليهم معرفة الإمام في كل عصر أو بيعته، وإلا فإنهم يموتون موة جاهلية على غير الإسلام!

فلا مخرج للسني من الموة الجاهلية، إلا بأحد أمور أربعة: بأن يصير شيعياً، أو يبايع إماماً قرشياً جامع الشروط، أو يلتزم بأن الإمام الشرعي في الإسلام كل من تسلط على المسلمين ولو بالحديد والنار، فتجب بيعته وطاعته مهما عصى الله تعالى، أو يكون على مذهب حركة التكفير والهجرة! ومن لم يفعل ذلك ومات، فموته جاهلية!!

قال الشهيد الثاني في رسائله: ٢/١٥٠

واعلم أن من مشاهير الأحاديث بين العامة والخاصة وقد أوردها العامة في كتب أصولهم وفروعهم أن: من مات ولم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة جاهلية، فنحن والحمد لله نعرف إمام زماننا في كل وقت، ولم يمت أحد من الإمامية ميتة جاهلية، بخلاف غيرنا من أهل الخلاف فإنهم لو سئلوا عن إمام زمانهم لسكتوا ولم يجدوا إلى الجواب سبيلاً، وتشتت كلمتهم في ذلك، فقاتل بأن إمامهم القرآن العزيز، وهؤلاء يحتج عليهم بأن القرآن العزيز قد نطق بأن الإمام والمطاع غيره، حيث قال الله تعالى: أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ.

على أنه لو سلم لهم ذلك لزمهم اجتماع إمامين في زمان واحد، وهو باطل بالإجماع منا ومنهم، كما صرحوا به في كتب أصولهم، وذلك لأن القرآن العزيز منذ رحلة النبي صلى الله عليه وآله من الدنيا، وقد حكموا بإمامة الأربعة الخلفاء في وقت وجود القرآن العزيز، فيلزم ما ذكرناه.

وقائل إن الأمويين والعباسيين كانوا أئمة بعد الخلفاء الأربعة الماضين، ثم استشكل هذا القائل الأمر بعد هؤلاء المذكورين، فهو أيضاً ممن لا يعرف إمام زمانه.

فإن قالوا: إن الآية الكريمة دلت على أن كل ذي أمر تجب طاعته، وأولوا الأمر من الملوك موجودون في كل زمان، فيكون الإمام أو من يقوم مقامه متحققاً.

قلنا لهم، أولاً: إنكم أجمعتم على عدم جواز تعدد الإمام في عصر واحد، فمن يكون منهم إماماً؟ ولا يمكنهم الجواب باختيار واحد

لأننا نجد الأمة مختلفة باختلافهم، فإن أهل كل مملكة يطيعون مليكهم مع اختلاف أولئك الملوك، فيلزم اجتماع الأمة على الخطأ، وهو عدم نصب إمام مطاع في الكل وهو باطل، لأن الأمة معصومة بالإجماع منهم، ومنا بدخول المعصوم عندنا. ولا يرد مثل ذلك علينا، لأن الإمامة عندنا بنص الله تعالى ورسوله، وقد وقعا، لا ينصب (أهل) الشريعة، والإمام عندنا موجود في كل زمان، وإنما غاب عنا خوفاً أو لحكمة مخفية، وبركاته وآثاره لم تنقطع عن شيعته في وقت من الأوقات وإن لم يشاهده أكثرهم، فإن الغرض من الإمامة الأول لا الثاني.

وثانياً، بأن ما ذكرتم من الملوك ظلمة جائرون لا يقومون بصلاح الشريعة في الدنيا فضلاً عن الدين، وقد قال تعالى عز من قائل: لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ، أى لا تنال الظالمين ولايتي، والإمامة من أعظم الولايات. انتهى.

معرفة الإمام هي الحكمة

الكافي: ١/١٨٢

على بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن أيوب بن الحر، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا، فقال: طاعة الله ومعرفة الإمام.

الكافي: ٢/٢٨٤

يونس، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول: ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً. قال: معرفة الإمام، واجتناب الكبائر التي أوجب الله عليها النار. انتهى. ورواه في مستدرک الوسائل: ١١/٣٥٤.

لا يمكن للناس معرفة الإمام المعصوم ليختاروه

الكافي: ١/٢٠١

(عن الإمام الرضا عليه السلام من حديث طويل): الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل، ولا له مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه له ولا إكتساب، بل اختصاص من المفضل الوهاب. فمن ذا الذى يبلغ معرفة الإمام أو يمكنه اختياره، هيهات هيهات ضلت العقول وتاهت الحلوم، وحارت الأبواب وخستت العيون، وتصاغرت العظام، وتحيرت الحكماء، وتقاصرت الحلماء، وحصرت الخطباء، وجهلت الالباء، وكلت الشعراء، وعجزت الأدباء، وعييت البلغاء، عن وصف شأن من شأنه، أو فضيلة من فضائله، وأقرت بالعجز والتقصير.

وكيف يوصف بكله، أو ينعت بكنهه، أو يفهم شئ من أمره، أو يوجد من يقوم مقامه ويغنى عنه، لا كيف وأنى؟ وهو بحيث النجم من يد المتناولين ووصف الواصفين، فأين الاختيار من هذا؟ وأين العقول عن هذا؟ وأين يوجد مثل هذا؟! أتظنون أن ذلك يوجد في غير آل الرسول محمد صلى الله عليه وآله، كذبتهم والله أنفسهم....

معنى: إعرف الإمام ثم اعمل ما شئت

وسائل الشيعة: ١/٨٨

محمد بن علي بن الحسين، في معاني الأخبار عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى، عن أبيه، عن علي بن النعمان، عن فضيل بن عثمان، قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عما روى عن أبيه: إذا عرفت فاعمل ما شئت، وأنهم يستحلون بعد ذلك كل محرم، فقال: ما لهم لعنهم الله؟ إنما قال أبي عليه السلام: إذا عرفت الحق فاعمل ما شئت من خير يقبل منك.

دعائم الإسلام: ١/٥٢

وعن أبي عبد الله جعفر بن محمد صلى الله عليه وآله أن رجلاً من أصحابه ذكر له عن بعض من مرق من شيعته واستحل المحارم ممن كان يعد من شيعته، وقال: إنهم يقولون الدين المعرفة، فإذا عرفت الإمام فاعمل ما شئت، فقال أبو عبد الله جعفر بن محمد: إنا لله وإنا إليه راجعون، تأمل الكفرة ما لا يعلمون، وإنما قيل إعرف الإمام واعمل ما شئت من الطاعة فإنها مقبولة منك، لأنه لا يقبل الله عز وجل عملاً بغير معرفة. ولو أن الرجل عمل أعمال البر كلها وصام دهره وقام ليله، وأنفق ماله في سبيل الله، وعمل بجميع طاعات الله عمره كله، ولم يعرف نبيه الذي جاء بتلك الفرائض ثم معرفة وصيه والأئمة من بعده.

مستدرک الوسائل: ١/١٧٤

وعنه عليه السلام أن رجلاً من أصحابه ذكر له عن بعض من مرق من شيعته واستحل المحارم وأنهم يقولون إنما الدين المعرفة فإذا عرفت الإمام فاعمل ما شئت! فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنا لله وإنا إليه راجعون، تأول الكفرة ما لا يعلمون، وإنما قيل إعرف واعمل ما شئت من الطاعة فإنه مقبول منك، لأنه لا يقبل الله عملاً من عامل بغير معرفة. لو أن رجلاً عمل أعمال البر كلها وصام دهره وقام ليله وأنفق ماله في سبيل الله وعمل بجميع طاعة الله عمره كله ولم يعرف نبيه الذي جاء بتلك الفرائض فيؤمن به ويصدقه، وإمام عصره الذي افترض الله طاعته فيطيعه، لم ينفعه الله بشيء من عمله، قال الله عز وجل في مثل هؤلاء: وقد منا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً.

بعلی عرف المؤمنون بعد النبي

أمالی المفید/ ٢١٣

حدثنا أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين قال: حدثني أبي قال: حدثني محمد بن يحيى العطار قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن هشام بن سالم، عن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: يا علي أنت مني وأنا منك: وليك وليي ووليي ولي الله، وعدوك عدوي وعدوي عدو الله.

يا علي أنا حرب لمن حاربك، وسلم لمن سالمك.

يا علي لك كثر في الجنة وأنت ذو قرينها.

يا علي أنت قسيم الجنة والنار، لا يدخل الجنة إلا من عرفك وعرفته، ولا يدخل النار إلا من أنكرك وأنكرته.

يا علي أنت والأئمة من ولدك على الأراف يوم القيامة تعرف المجرمين بسماهم، والمؤمنين بعلاماتهم.

يا علي لولاك لم يعرف المؤمنون بعدى. انتهى. وقد تقدم أن المؤمنين والمنافقين كانوا يُعرفون حتى في زمان النبي صلى الله عليه وآله بموقفهم النفسى من على عليه السلام.

معرفة الآخرة والمعاد والحساب

رسائل الشهيد الثاني/ ١٤٥

الأصل الخامس، المعاد الجسماني. اتفق المسلمون قاطبة على إثباته، وذهب الفلاسفة إلى نفيه وقالوا بالروحاني. والمراد من الأول إعادة البدن بعد فناءه ما كان عليه قبله... لنفع دائم أو ضرر دائم، أو منقطع يتعلقان به، وذهب جمع من الأشاعرة إلى أن المراد منه هو إعادة مثل البدن لا هو نفسه، وهو ضعيف لما سيأتى. واعلم أن العقل لا يستقل بإثبات المعاد البدني كاستقلاله بإثبات الصانع تعالى ووحدته، بل إنما ثبت على وجه يقطع العقل بوقوعه بمعونة السمع.

كشف الغطاء/ ٥

والمقدار الواجب بعد معرفة أصل المعاد، معرفة الحساب وترتب الثواب والعقاب. ولا يجب المعرفة على التحقيق التي لا يصلها إلا صاحب النظر الدقيق كالعلم بأن الأبدان هل تعود بذواتها أو إنما يعود ما يماثلها بهيئاتها، وإن الأرواح هل تعدم كالأجساد أو تبقى مستمرة حتى تتصل بالأبدان عند المعاد، وأن المعاد هل يختص بالإنسان أو يجرى على كافة ضروب الحيوان، وأن عودها بحكم الله دفعي أو تدريجي.

وحيث لزمه معرفة الجنان وتصور النيران، لا يلزم معرفة وجودهما الآن ولا العلم بأنهما في السماء أو في الأرض أو يختلفان. وكذا حيث يجب معرفة الميزان، لا يجب عليه معرفة أنها ميزان معنوية أو لها كفتان، ولا يلزم معرفة أن الصراط جسم دقيق أو هو عبارة عن الإستقامة المعنوية على خلاف التحقيق.

والغرض أنه لا يشترط في تحقق الإسلام معرفة أنهما من الاجسام وإن كانت الجسمية هي الاوفق بالإعتبار، وربما وجب القول بها عملاً بظاهر الأخبار.

ولا تجب معرفة أن الأعمال هل تعود إلى الاجرام وهل ترجع بعد المعنوية إلى صور الأجسام، ولا يلزم معرفة عدد الجنان والنيران وإدراك كنه حقيقة الحور والولدان.

وحيث لزم العلم بشفاعه خاتم الأنبياء لا يلزم معرفة مقدار تأثيرها في حق الأشقياء.

وحيث يلزم معرفة الحوض لا يجب عليه توصيفه ولا تحديده وتعريفه، ولا يلزم معرفة ضروب العذاب وكيفية ما يلقاه العصاة من أنواع النكال والعقاب. انتهى. ونكتفي هنا بهذه السطور عن معرفة الآخرة والمعاد، وستأتي مسائله في محالها إن شاء الله تعالى.

تم المجلد الأول من كتاب العقائد الإسلامية

ويليه المجلد الثاني إن شاء الله تعالى، وأوله بحث الرؤية.

المجلد ٢

فهرست مطالب كتاب: العقائد الإسلامية (المجلد ٢)

العقائد الإسلامية (المجلد ٢)

جذور مسألة الرؤية والتشبيه والتجسيم

اعتقاد السنيين أن الله تعالى يرى بالعين

متى ظهرت أحاديث الرؤية والتشبيه

عائشة تكذب أحاديث الرؤية والتشبيه

موج الفرية جاء من الشام

و ابن عباس يحكم بشرك من يشبه الله تعالى بغيره

و أبوهريرة يوافق عائشة و ابن عباس و ابن مسعود

و كان الجمهور يرون رأى عائشة و يكذبون أحاديث الرؤية بالعين

على يوضح ما لم توضحه عائشة

و اصل روايات الرؤية بالعين لا تتجاوز العشرة

و غلبت موجه كعب و دخلت الرؤية والتشبيه في عقائد المسلمين

و ايدوا قول كعب بحديث العماء و ادعوا قدم الفضاء مع الله تعالى

و هاجموا أهمهم عائشة وأسأؤوا معها الأدب
ثم رووا الرؤية بالعين حتى عن ابن عباس وعائشة
ثم أفتوا بكفر و ضلال من خالفهم و شملت فتواهم أهمهم عائشة
و كبر كعب الأخبار لأنه انتصر على المسلمين
واشغل الوضاعون و كثرت أحاديث الرؤية والتشبيه والتجسيم
و انكر مالک أحاديث التشبيه و اعتذر عنه الذهبي بأنه جاهل
نماذج من الأحاديث الموضوعه لتأييد مذهب كعب
و فتحوا الطريق لنقد أحاديث الرؤية بتنازلهم عن عصمة البخارى
اهل البيت ينفون أحاديث الرؤية والتشبيه
الامام الكاظم والامام الرضا يكشفان تحريف حديث النزول
مذاهب السنيين فى الألوهية والتوحيد
كيف نشأت هذه المذاهب؟

المذهب الرابع: مذهب المتنقلين بين المذاهب والمذنبين والمتحيرين
و صار الترمذى متأولا ذات يوم فكفره المجسمه
و دافع رشيد رضا عن أكثر الحنابلة و جعلهم متأولة
ثم تبنى رشيد رضا رأى الغزالي مع أنه كاد أن يكفر الحنابلة
و كل علماء السنة حتى المجسمه يصيرون متأولة عند الحاجة
بازار الأحاديث فى الرؤية والتشبيه والتجسيم
قالوا إن الله تعالى على صورة بشر
و قالوا له سمع و بصر كسمع الإنسان و بصره
و قالوا له عينان مثل الإنسان و هما سالمتان
و قالوا له أيدي و أعين و رجلان
و قالوا قد يكون له أذن و قد يكون بلا أذن
و قالوا له جنب و حقو
و قالوا إنه يمشى و قد يركض و يهرول
و قالوا إنه تعالى يرى بالعين فى الدنيا
و قالوا إنه يلبس قباء و جبة و يركب على جمل
و قالوا إنه فتى أمرد جعد الشعر
و قالوا إنه يضحك فى الدنيا والآخرة
و قالوا إنه يضحك لمن يستلقى على دابته
و قالوا مادام الله يضحك فأملنا فيه كبير
و قالوا إنه يضحك.. و يظل يضحك
و قالوا إنه ضحك لطلحة و سعد

و قالوا إنه يظهر لعباده ضاحكا
و قالوا منطقته كالرعد، و ضحكته كالبرق
و قالوا يظهر متجسدا لابي بكر وحده بدون ضحك
و قال عمر يجلس على العرش و لعرشه أطيط و صرير من ثقله
معنى الاطيط
و قالوا العرش مطوق بحية تحميه
و قالوا الشمس تذهب كل يوم إلى تحت العرش
و قالوا حملة العرش ملائكة صوفية
و قالوا حملة العرش يتكلمون بالفارسية
و قالوا جبل لبنان من حملة العرش
و قالوا حملة العرش حيوانات كما فى التوراة
و قالوا جالس على كرسيه و غائب عن العالم
و قالوا جالس على العرش و حوله الأنبياء على كراسى
هشام بن عمار صاحب حديث الكراسى حول العرش
و قالوا جنه عدن مسكن الله تعالى و عرشه فيه
و روينا ورووا أن الفردوس مسكن إبراهيم و آله و محمد و آله
و قالوا أرواح الشهداء فى حواصل طيور فى قناديل معلقة بالعرش
ورد أهل البيت حديث القناديل و حواصل الطيور
واختلفت رواياتهم فيما هو مكتوب على العرش
و قالوا إنه تعالى أثقل من الحديد
و قالوا يرى بالعين فى الآخرة و يناقش رجلا و يضحك عليه
و قالوا يكشف عن ساقه بل عن ساقيه و يعفو عن المنافقين
و حاول الصنعانى والنوى تخليص الله تعالى من كشف ساقه
و قالوا إنه يجلس على الجسر و يضع رجله على الاخرى
الامام الصادق يقول إنها رواية يهودية
و قالوا لا تمتلى النار حتى يضع رجله فيه
وادعوا أن رؤيته بالعين من أكبر اللذات
لكن اختلفوا هل تراه النساء فى الجنة
بازار أحاديث النزولات
قالوا: إن الله تعالى جسم ينزل إلى الأرض كل ليلة
و قالوا لو دلى رجل حبلا لهبط على الله
و قالوا إنه تعالى ينزل ليلة النصف من شعبان
و قالوا إنه تعالى ينزل يوم عرفة

الامام الرضا يلعن الذين حرفوا حديث النزول
و احاديث إخواننا تؤيد ما قاله الإمام الرضا
و تؤيده أحاديث فيها اطلع الله بدل ينزل
و احاديث خالية من ينزل و يصعد
وادعوا أن رؤية الله تعالى فى المنام تدل على الإيمان
اما درجة ابن عربى و أمثاله فهى أكبر من الرؤية فى المنام
لكن الإمام الصادق تشاءم من صاحب هذه الرؤية
خلاصة اعتقادنا فى التنزيه و نفى التشبيه
العقل والآيات والأحاديث تنفى إمكان رؤية الله تعالى بالعين
الرسول يعلم الأمة التوحيد
و يعلمنا أن أقصى ما يمكن أن يراه الإنسان نور عظمة الله
على يثبت مشاهدة القلوب و ينفى مشاهدة العيان
لم يحلل فى الأشياء... ولم ينأ عنه
لا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك
لا تدركه الشواهد و لا تحويه المشاهد
اول الدين معرفته... و كمال الاخلاص له نفى الصفات عنه
كان المسلمون يعرفون قيمة الجواهر فيكتبونه
امير المؤمنين يرد على تجسيم اليهود
و يوجه المسلمين إلى التفكير فى عظمة المخلوقات فيصف الطاوس
و يصف النملة والجرادة
على مؤسس علم التوحيد
الامام زين العابدين ينظم زبور آل محمد
الامام محمد الباقر يجيب على سؤال متى وجد الله
و يركز فى المسلمين قاعدة: لا تشبيه و لا تعطيل
الامام الصادق: لا نفى و لا تشبيه و لا جبر و لا تفويض
المؤمنون يرون الله بعقولهم و قلوبهم فى الدنيا والآخرة
الامام الصادق يرد على الحلول والتنايه بين الذات والصفات
الامام الكاظم يرد على تجسيد النصارى
و يبين أن الله تعالى غنى عن النزول والحركة
الامام الرضا يعلم تلاميذه الدفاع عن التوحيد
و يكشف حقيقة جديدة فى الإسراء والمعراج
الامام الرضا يعلم بنى العباس التوحيد
نماذج من كلمات علماء مذهب أهل البيت

من أين نشأت المشكلة عند إخواننا السنة
ميل العوام إلى التشبيه والتجسيم
الخوف من أن يؤدي التنزيه إلى التعطيل
مضاهاة بعض المسلمين لليهود
اعتقاد اليهود والنصارى بتشبيه الله تعالى و رؤيته بالعين
محاولة بعض اليهود أن يتبرؤوا من التشبيه والتجسيم
لكن البابا في عصرنا يصر على التجسيم و ينتقد التوحيد عند المسلمين
اول قنوات التشبيه والتجسيم والرؤية من اليهودية إلى الإسلام
من أفكار كعب الأحبار في الرؤية والتشبيه والتجسيم
كعب يدعى أن جنه عدن مسكن الله والأنبياء والخلفاء
نموذج من علم كعب بالله تعالى
وقال كعب وعمر: يفضل من ربه أو من عرشه أربع أصابع
وقالوا: نبي الله داود يمسك بقدم الله تعالى و هو أعبد من جميع الأنبياء
وقالوا: عمر أفضل من داود لأنه يصفح الله و يعانقه
عبدالله بن عمر يؤكد أحاديث أبيه
من روايات أبي موسى الأشعري وابنه
وقال الجرجاني وغيره: أطيح العرش فكرة يهودية
التجسيم في مصادر إخواننا من روايات الحاخامات
الكوثري يصعد درجات و لا يصل إلى لب الحقيقة
السفيانان والحمدان
حماد بن سلمة
بعض روايات ابن سلمة في التشبيه والتجسيم
حماد يروي أن النبي لا يحفظ القرآن
أخذ حماد القول بالجبر من شيخ شيخه وهب
ربيه عبدالكريم بن أبي العوجاء
عشرات الألوف من الأحاديث و مئات التلاميذ
كان مفتى البصرة و له مسجد و يلزم تلاميذه بالكتابة عنه
و مع هذا وثقه إخواننا وغالوا فيه
و احترمه البخارى و روى عنه و لم يكتفوا بذلك
نعيم بن حماد
بعض مناكيره و رواياته في التجسيم
و مع ذلك وثقوا نعيما لأنه صلب في السنة
مكانة المشبهين والمجسمين في مصادر السنين

المشبهون سادة في التاريخ و مصادر السنة
وهب بن منبه: فارسي، يهودي، مجسم محترم و شيخ للمحدثين
مقاتل بن سليمان البلخي، مجسم و شيخ ابن حماد و أستاذ للمفسرين
يزيد بن هارون من شيوخ الإمام أحمد
السمناني المجسم رئيس الأشعرية
الإمام الدارمي المجسم
أبو العباس السراج و إسحاق الحنظلي إمامان مجسمان
و صار ابن عقيل شيخ الحنابلة
من عقائد الدولة: إطاعة الحاكم الجائر والتجسيم والرؤية
هجمة الحنابلة على الطبري
هجمة الحنابلة على ابن حبان
من تكفيرات المجسمين لمن خالفهم
ملحد (سني) يحبه المجسم لأنه يلعن من خالفهم
من الفتن التي حدثت بسبب التجسيم
و واجه بعض الخلفاء تطرف المجسمين
و قتل خلفاء شرعيون إماما مجسما طمع بالحكم
و كان التجسيم منتشرا في عصر ابن الجوزي والسبكي
وانتقل التجسيم من بغداد إلى مصر
الإمام العبدري المغربي المجسم
التجسيم ينتشر في المغرب فيقاومه المهدي بن تومرت
و كثر الحشوية والمخلطون في العالم الإسلامي
كل الناس مبرؤون... والشيعه متهمون
منطق السلطة و أتباعه
محاولات الدولة والمشبهين إصااق التشبيه بالنبي وآله
بغض أهل البيت و شيعتهم إرث غير شرعي
و تواصلت علينا الإفتراءات عبر العصور
و تضاعفت التهم في عصرنا عصر العلم و حرية الفكر
تفسير مقارنة للآيات المتعلقة بالموضوع
الآيات المحكمه النافية لإمكان الرؤية
الآيات المتشابهة التي استدلووا بها على الرؤية
آيات: استوى على العرش
تفسير آية: لا تدركه الابصار
النبي و آله يقولون: لا تدركه الابصار و لا.. الاوهام

امير المؤمنين يدفع الشبهات
تفسيرهم الموافق لمذهبنا
محاولاتهم تأويل الآيه و إبطال معناه
تفسير آيه: ما كذب الفؤاد ما رأى
قال أهل البيت: رأى ربه بفؤاده و رأى آياته بعينه
رأى الشيعة الزيدية فى نفي الرؤية
تفسيرهم الموافق لمذهبنا
و نفي قدماء المتصوفة الرؤية بالعين فى الدنى
تفسيرهم الذى فيه تجسيم
و جهل بعضهم فنسب الدنو والتدلى إلى الله تعالى
و وصفوا عرشه بأنه تحمله حيوانات كما وصفه اليهود
و قالوا رأى ربه واقفا على أرض خضرة خلف ستر شفاف
و حاول بعضهم أن يخفف القصة و يجعلها رؤيا فى المنام
تفسير آيه: وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة
تفسير أهل البيت و فقهاء مذهبهم
رؤية العارفين بقلوبهم أرقى من الرؤية البصريه
تفسيرهم الموافق لمذهبنا
تفسيرهم الذى فيه تجسيم
تفسير آيات التجلى لموسى
قال أهل البيت: تجلى بنوره الذى خلقه، لا بذاته
الامام الرضا يدفع التهم عن الأنبياء
انواع التجلى الإلهى
تفسير عرفانى لعدم إمكان رؤية الله تعالى
الله تعالى يتجلى بخلقه
من هو قيس بن ثابت راوى حديث خنصر الله تعالى
تفسير قوله تعالى: يوم يكشف عن ساق
فسرها أهل البيت بكشف حجاب الآخرة و أهواله
تفسير آيات الإستواء على العرش
تفسير أهل البيت
الاستواء على العرش: استواء نسبة الله إلى العالم
معنى العرش والكرسى عند أهل البيت
قالوا إن الله جالس على كرسية كما قال اليهود
و تناقضت رواياتهم فى العرش والكرسى

و قالوا عرش الله كرسى متحرك
و قالوا العرش غير الكرسى، و قالوا العرش هو الكرسى
تفسير قوله تعالى: عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا
و قالوا يجلس الله على عرشه و يجلس النبي إلى جانبه
و نفى الفكرة بعض علماء السنة
و قال المستشرقون إنها فكرة مسيحية
و اعترفوا بأن بعض هذه الأحاديث موضوع
و قالوا يجلس صاحب أحمد بن حنبل على سجاد العرش
و قالوا يجلس أبابكر على كرسى عند العرش
تفسير قوله تعالى: فلما آسفونا انتقمنا منهم
قال أهل البيت: إن الله لا يأسف كأسفن
تفسير آيات أخرى تتعلق بالموضوع
باب معنى الحجزة
باب معنى العين والاذن واللسان

جدور مسألة الرؤية والتشبيه والتجسيم

اعتقاد السنيين أن الله تعالى يرى بالعين

المقصود بمسألة الرؤية: إمكان أن يرى الإنسان الله تعالى بحاسة العين في الدنيا أو في الآخرة.

١ - والمقصود بالتشبيه والتجسيم: تشبيه ذات الله تعالى بشئ من مخلوقاته.

وقد نفى كل ذلك نفيًا مطلقاً أهل البيت عليهم السلام وأم المؤمنين عائشة وجمهور الصحابة، وبه قال الفلاسفة والمعتزلة وغيرهم، واستدلوا على ذلك بالقرآن بمثل قوله تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) وقوله تعالى (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ) الخ. واستدلوا أيضاً بالعقل فقالوا إن القول بإمكان رؤيته سبحانه بالعين يستلزم تشبيهه وتجسيمه لا محالة، لأن ما يرى بالعين لا يكون إلا وجوداً مادياً يشبه غيره بأنه محدود بالمكان والزمان.

بينما تبني الحنابلة وأتباع المذاهب الأشعرية وهم أكثر الحنفية والمالكية والشافعية، القول برؤية الله تعالى بالعين في الدنيا أو في الآخرة بسبب روايات رووها، وبعض الآيات المتشابهة التي يبدو منها ذلك، وحاولوا أن يؤولوا الآيات المحكمه والأحاديث الصحيحة النافية لإمكان الرؤية بالعين.

وبسبب الإرتباط بين مسائل الرؤية والتشبيه والتجسيم والإشتراك في بحوثها ونصوصها جعلناها تحت عنوان واحد.

متى ظهرت أحاديث الرؤية والتشبيه

تدل نصوص الحديث والتاريخ على أن الجو الذي كان سائداً في صحابة النبي في عهده صلى الله عليه وآله وعهد الخليفة أبي بكر هو الإنسجام مع آيات القرآن النافية لإمكان الرؤية، وأن الله تعالى ليس من نوع الأشياء التي ترى بالعين أو تحس بالحواس الخمس.. لأنه وجود أعلى من الأشياء المادية، فهو يدرك بالعقل ويحس بالقلب والبصيرة لا بالبصر.

ويبدو أن أفكار التشبيه والرؤية ظهرت بين المسلمين في عهد الخليفة عمر وما بعده، فنهض أهل البيت عليهم السلام وبعض الصحابة لردّها وتكذيبها.

وتدلّ أحاديث التكذيب التي رويت عن أم المؤمنين عائشة أنها كغيرها فوجئت وصدمت بهذه المقولات الغريبة عن عقائد الإسلام، المناقضة لما بلغه النبي صلى الله عليه وآله عن ربه تعالى، سواء في آيات القرآن أو في أحاديثه الشريفة! ولذلك أعلنت أم المؤمنين أن هذه الأحاديث مكذوبة، بل هي فريئة عظيمة على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله ومن واجب المسلمين ردها وتكذيبها!!

عائشة تكذب أحاديث الرؤية والتشبيه

صحيح البخارى: ٦/٥٠:

... عن عامر عن مسروق قال قلت لعائشة رضى الله عنها: يا أمّته هل رأى محمد (ص) ربه؟ فقالت لقد قفّ شعري مما قلت! أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب: من حدثك أن محمداً (ص) رأى ربه فقد كذب ثم قرأت: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ، وَمَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت: وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً، ومن حدثك أنه كتم فقد كذب ثم قرأت: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْآيَةَ، ولكنه رأى جبرئيل عليه السلام في صورته مرتين.

صحيح البخارى: ٨/١٦٦:

... عن الشعبي عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت: من حدثك أن محمداً (ص) رأى ربه فقد كذب، وهو يقول: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب، وهو يقول: لا- يعلم الغيب إلا الله. انتهى. وروى نحوه في: ٢ جزء ٤/٨٣ وج ٣ جزء ٦/٥٠ وج ٤/٨٣ وقد استوفينا بقية مصادره في كتاب (الوهابية والتوحيد).

موج الفرية جاء من الشام

مع أن الخليفة عمر أخذ من ثقافته كعب الأخبار وجماعته وأجاز لهم رسمياً أن يحدثوا المسلمين في مساجدهم، وأن يكتب المسلمون عنهم، ولكن روايات الرؤية واجهت سداً من الصحابة فبقي انتشارها محدوداً في زمن الخليفة عمر، ولكن الدولة الأموية بنت نشرها بقوة فارتفعت موجتها من الشام، ووصلت إلى المدينة فاستنكرها أهل البيت وعائشة والصحابة!

تدل الرواية التالية على أن الشام كانت مركز القول بالتشبيه والتجسيم، وسبب ذلك أن كعب الأخبار وجماعته اتخذوا الشام قاعدة لهم وكانوا مقربين من معاوية، وقد أطلق يدهم ليملوا أفكارهم وثقافتهم على المسلمين، ويظهر أن أول من تأثر بهم وتبعهم أهل الشام حتى تأصلت أفكارهم فيهم.

ومن الظواهر الملفتة أن الشام في تاريخنا الإسلامى كانت موطناً للتشبيه والتجسيم أكثر من أى قطر إسلامى آخر! فلا توجد في العالم الإسلامى منطقة يعتبر فيها تأويل صفات الله تعالى التي يتوهم منها التشبيه والتجسيم جريمةً وخروجاً عن الدين إلا الشام، فقد صارت كلمة (متأولة) تساوى كلمة كفار أو أسوأ منها، وكم من مسلم قتل في بلاد الشام بجرم أنه (متوالى) أى متأول! وما زالت هذه الكلمة إرثاً عند العوام ينزون بها شيعه أهل البيت عليهم السلام وهى فى فهم عوامهم أسوأ من الكفر أو مساوقه له!

قال الصدوق فى التوحيد/١٧٩:

حدثنا أبو طالب المظفر بن جعفر بن المظفر العلوى السمرقندى (رض) قال: حدثنا جعفر بن محمد بن مسعود، عن أبيه محمد بن مسعود العياشى قال: حدثنا الحسين بن أشكيب قال: أخبرنى هارون بن عقبه الخزاعى، عن أسد بن سعيد النخعى قال: أخبرنى عمرو بن شمر، عن جابر بن يزيد الجعفى قال: قال محمد بن على الباقر (عليهما السلام): يا جابر ما أعظم فريئة أهل الشام على الله عز وجل،

يزعمون أن الله تبارك وتعالى حيث صعد إلى السماء وضع قدمه على صخرة بيت المقدس، ولقد وضع عبد من عباد الله قدمه على حجر فأمرنا الله تبارك وتعالى أن نتخذه مصلى، يا جابر إن الله تبارك وتعالى لا نظير له ولا شبيهه، تعالى عن صفه الواصفين، وجلّ عن أوهام المتوهمين، واحتجب عن أعين الناظرين، لا يزول مع الزائلين، ولا يأفل مع الأفلين، ليس كمثلته شئ وهو السميع العليم.

ورواه العياشي في تفسيره: ١/٥٩، ورواه المجلسي في بحار الأنوار: ١٠٢/٢٧٠ وقال: بيان: الظاهر أن المراد بالعبد النبي صلى الله عليه وآله حيث وضع قدمه الشريف عليه ليلة المعراج وعرج منه كما هو المشهور ويحتمل غيره من الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وعلى أى حال يدل على استحباب الصلاة عليه. انتهى. ولكن الصحيح ما قاله الرباني في هامش بحار الأنوار:

بل الظاهر من الحجر أن المراد به مقام إبراهيم وبه أثر قدمه الشريف، وقد أمرنا الله عز وجل بقوله: **وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى**، أن نتخذه مصلى. انتهى.

ولا- يبعد أن يكون مقصود الإمام الباقر عليه السلام بتعبيره (أهل الشام) بنى أمية، وهو تعبير يستعمله عنهم أهل البيت عليهم السلام وهذا يدعوننا إلى القول بأن سبب عدم نجاح أفكار كعب في المدينة المنورة أو في الكوفة أو محدودية نجاحها في القرن الأول، الخليفة عمر رغم أنه أعطى كعباً مكانة عظيمة في دولة الخلافة وكان يقبل أفكاره، ولكن كان يوجد في عهده صحابة كثيرون يجابهون كعباً ويردون إسرائيلياته كما شاهدنا في موقف عائشة، وكما نرى في الموقف التالي لعلى عليه السلام حيث غضب من كلام كعب ونهض ليخرج من مجلس الخليفة عمر محتجاً على أفكاره التجسيمية اليهودية!

فقد روى المجلسي في بحار الأنوار: ٤٤/١٩٤:

عن ابن عباس أنه حضر مجلس عمر بن الخطاب يوماً وعنده كعب الحجر إذ قال: يا كعب أحافظ أنت للتوراة.

قال كعب: إني لأحفظ منها كثيراً.

فقال رجل من جنبه المجلس: يا أمير المؤمنين سله أين كان الله جل ثناؤه قبل أن يخلق عرشه، ومم خلق الماء الذي جعل عليه عرشه.

فقال عمر: يا كعب هل عندك من هذا علم؟

فقال كعب: نعم يا أمير المؤمنين نجد في الأصل الحكيم أن الله تبارك وتعالى كان قديماً قبل خلق العرش وكان على صخرة بيت المقدس في الهواء، فلما أراد أن يخلق عرشه تفل تفلت كانت منها البحار الغامرة واللجج الدائرة، فهناك خلق عرشه من بعض الصخرة التي كانت تحته، وآخر ما بقي منها لمسجد قدسه!

قال ابن عباس: وكان على بن أبي طالب عليه السلام حاضراً فعظم على ربه وقام على قدميه ونفض ثيابه فأقسم عليه عمر لما عاد إلى مجلسه ففعله.

قال عمر: غص عليها يا غواص، ما تقول يا أبا الحسن فما علمتك إلا مفرجاً للغم. فالتفت على عليه السلام إلى كعب فقال: غلط أصحابك وحرّفوا كتب الله وفتحوا الفرية عليه! يا كعب ويحك إن الصخرة التي زعمت لا تحوى جلاله ولا تسع عظمته، والهواء الذي ذكرت لا يحوز أقطاره، ولو كانت الصخرة والهواء قديمين معه لكان لهما قدمته، وعز الله وجل أن يقال له مكان يومى إليه، والله ليس كما يقول الملحدون ولا كما يظن الجاهلون، ولكن كان ولا مكان بحيث لا تبلغه الأذهان، وقولى (كان) عجز عن كونه وهو مما علم من البيان يقول الله عز وجل (خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) فقولى له (كان) ما علمنى من البيان لأنطق بحججه وعظمته، وكان ولم يزل ربنا مقتدرًا على ما يشاء محيطًا بكل الأشياء، ثم كَوّن ما أراد بلا فكرة حادثه له أصاب، ولا شبهة دخلت عليه فيما أراد، وإنه عز وجل خلق نوراً ابتدعه من غير شئ، ثم خلق منه ظلمة، وكان قديراً أن يخلق الظلمة لا من شئ كما خلق النور من غير شئ، ثم خلق من الظلمة نوراً وخلق من النور ياقوته غلظها كغلظ سبع سماوات وسبع أرضين، ثم زجر الياقوته فماعت لهيبته فصارت ماء مرتعداً ولا يزال مرتعداً إلى يوم القيامة، ثم خلق عرشه من نوره وجعله على الماء، وللعرش عشرة آلاف لسان يسبح الله كل لسان منها بعشرة آلاف لغة ليس فيها لغة تشبه الأخرى، وكان العرش على الماء من دونه حجب الضباب، وذلك قوله: وكان عرشه على الماء ليبلوكم.

يا كعب ويحك، إن من كانت البحار تغلته على قولك، كان أعظم من أن تحويه صخرة بيت المقدس أو يحويه الهواء الذي أشرت إليه أنه حل فيه، فضحكك عمر بن الخطاب وقال: هذا هو الأمر وهكذا يكون العلم لا كعلمك يا كعب، لأعشت إلى زمان لا أرى فيه أبا حسن. انتهى.

وفي هذه الرواية مادة غنية للبحث نكتفى منها بأن كعب الأخبار طرح التجسيم رسمياً في دار الخلافة ومجلس الخليفة ولم يرد إلا على عليه السلام وقد قبل الخليفة تنزيهه على الله تعالى ووبخ كعب الأخبار في ذلك المجلس، ولكن يظهر أنه قبل منه التجسيم بعد ذلك كما سيأتي في أحاديث الخليفة عن تجسيم الله تعالى، وأنه يجلس على عرشه ويطلق العرش من ثقله.. إلخ.

و ابن عباس يحكم بشرک من يشبه الله تعالى بغيره

قال الديلمي في فردوس الأخبار: ٤/٢٠٦:

ابن عباس: من شبه الله عز وجل بشيء أو ظن أن الله عز وجل يشبهه شيء، فهو من المشركين.
وروى الطبري في تفسيره: ٩/٣٨:

عن ابن عباس قوله تعالى: سُبْحَانَكَ تَبَّتْ إِلَيْكَ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ يقول: أنا أول من يؤمن أنه لا يراك شيء من خلقك.
وقال النويري في نهاية الإرب: ٧ جزء ١٣/٢١١:

قال وهب: واختلف العلماء في معنى التجلي، قال ابن عباس: ظهر نوره للجبل.

وقال ابن قيم الجوزية في زاد المعاد: ٣/٢٩-٣٠:

واختلف الصحابة رضي الله عنهم هل رأى ربه تلك الليلة أم لا؟ فصح عن ابن عباس أنه رأى ربه، وصح عنه أنه قال: رآه بفؤاده.
انتهى.

وقال ناشر الكتاب الشيخ عبد القادر عرفان في هامشه:

لم أقف على هذه الرواية في الصحيح بل الذي صح عن ابن عباس (رض) ما جاء عند مسلم في الإيمان ١٧٦/٢٨٥ في قوله تعالى: مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، وقوله تعالى: وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى، قال: رآه بفؤاده مرتين. وأخرجه الترمذي في التفسير. (٣٢٨٠).

ثم قال ابن قيم الجوزية: وصح عن عائشة وابن مسعود إنكار ذلك وقالوا: إن قوله ولقد رآه نزلة أخرى عند سدره المنتهى إنما هو جبريل. وصح عن أبي ذر أنه سأله هل رأيت ربك؟ فقال (ص): نور، أنى أراه! أى: حال بينى وبين رؤيته النور، كما قال في لفظ آخر: رأيت نوراً. وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي اتفاق الصحابة على أنه لم يره.

ثم قال ابن قيم الجوزية: قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: وليس قول ابن عباس: إنه رآه مناقضاً لهذا ولا قوله رآه بفؤاده وقد صح عنه أنه قال: رأيت ربي تبارك وتعالى ولكن لم يكن هذا في الإسراء ولكن كان في المدينة لما احتبس عنهم في صلاة الصبح ثم أخبرهم عن رؤيته ربه تبارك وتعالى تلك الليلة في منامه، وعلى هذا بنى الإمام أحمد قدس سره وقال: نعم رآه حقاً فإن رؤيا الأنبياء حق ولا بد، ولكن لم يقل أحمد قدس سره أنه رآه بعيني رأسه يقظة، ومن حكى عنه ذلك فقد وهم عليه، ولكن قال مرة رآه، ومرة قال رآه بفؤاده، فحكيت عنه روايتان، وحكيت عنه الثالثة من تصرف بعض أصحابه أنه رآه بعيني رأسه، وهذه نصوص أحمد موجودة ليس فيها ذلك. انتهى.

وقد كفانا ناشر الكتاب الجواب على كلام ابن تيمية أيضاً حيث قال في هامشه: (٦) جزء من حديث ضعيف أخرجه أحمد في مسنده ٣٤٨٤/١ من طريق أبي قلابه عن ابن عباس (رض). وأبو قلابه - واسمه عبدالله بن زيد الجرهمي - لم يسمع من ابن عباس - التهذيب ٥ - ١٩٧ ومن طريقه أخرجه الترمذي ٣٢٣٣ وقال: وقد ذكر بين أبي قلابه وبين ابن عباس في هذا الحديث رجلاً. وقد رواه قتادة عن أبي قلابه عن خالد بن اللجلاج عن ابن عباس اهـ أقول: لم يسمع قتادة من أبي قلابه. تهذيب الكمال ٣٢٦٦/١٠ ط. دار الفكر وأخرجه

ابن الجوزى فى العلل المتناهية رقم ١٢ و ١٣ و ١٤ و تعقبه بقوله: أصل هذا الحديث وطرقه مضطربة، قال الدار قطنى: كل أسانيد مضطربة ليس فيها صحيح... وقال أبو بكر البيهقى: قد روى من أوجه كلها ضعاف... وقال أبو زرعة فيما نقله عنه المزى فى تحفة الأشراف ٤/٣٨٣ عن أحمد بن حنبل: حديث قتادة هنا ليس بشىء... وأخرجه ابن خزيمة فى كتاب التوحيد/٣١٩ - ٣٢٠ والاجرى فى الشريعة ٤٩٦/ والترمذى بنحوه ٣٢٣٤ وابن أبى عاصم فى السنة ٤٦٩ وأبو يعلى ٢٦٠٨ من طرق عن ابن عباس. وتعقبه الحافظ ابن حجر فى (النكت الطراف ٤/٣٨٢ نقلاً عن محمد بن نصر فى تعظيم قدر الصلاة قوله: هذا حديث اضطرب الرواء فى إسناده وليس يثبت عند أهل المعرفة. وفى الباب عن جابر بن سمرة (رض) عند ابن أبى عاصم فى السنة ٤٦٥ وعن أبى أمامة (رض) فى المصدر المذكور ٤٦٦ وعن ثوبان (رض) أيضاً برقم ٤٧٠ وعند البزار ٢١٢٨ وعن أم الطفيل عن ابن أبى عاصم ٤٧١ وعن أبى رافع عند الطبرانى فى الكبير ٩٣٨ وعن ابن عمر عند البزار ٢١٢٩ من طرق ضعيفة أو واهية لا يعتد بها ولا تصح للاحتجاج بها، والله تعالى أعلم. وقد تقدم القول فى هذا الحديث فى أول الكتاب. راجع الفهرس أخى الكريم رحمك الله تعالى. انتهى.

وروى المجلسى فى بحار الأنوار: ٣/٣٦:

٢٥- لى يد: ابن المتوكل عن السعد آبادى، عن البرقى، عن أبيه، عن أحمد بن النضر، عن محمد بن مروان، عن محمد بن السائب، عن أبى صالح، عن عبد الله بن عباس فى قوله عز وجل: فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ، قال يقول: سبحانك تبت إليك من أن أسألك رؤية، وأنا أول المؤمنين بأنك لا ترى. انتهى.

والظاهر أن قصد ابن عباس من إنكار التشبيه والرؤية هو ما ادعوه فى زمانه وردت عليه عائشة وأكدت أنه إفتراء. وهذه الرواية وغيرها تعارض ما رووه عن ابن عباس من القول بأن الله تعالى يرى بالعين أو أن النبى صلى الله عليه وآله رأى ربه بعينه.

و أبوهريرة يوافق عائشة و ابن عباس و ابن مسعود

يظهر أن أبا هريرة كان يوافق عائشة وابن عباس ويروى أحاديث نفى التشبيه والرؤية.. إلى أن غلب الجو القائل بالرؤية فرويت عنه أحاديثها! قال ابن ماجه فى سننه: ٢/١٤٢٦: ... عن سعيد بن يسار عن أبى هريرة عن النبى (ص) قال: إن الميت يصير إلى القبر فيجلس الرجل الصالح فى قبره غير فزع ولا مشعوف، ثم يقال له فيم كنت؟ فيقول: كنت فى الإسلام فيقال له: ما هذا الرجل فيقول: محمد رسول الله (ص) جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه فيقال له: هل رأيت الله فيقول: ما ينبغي لأحد أن يرى الله، فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً فيقال له: أنظر إلى ما وقاك الله، ثم يفرج له قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له: هذا مقعدك، ويقال له: على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله.

و كان الجمهور يرون رأى عائشة و يكذبون أحاديث الرؤية بالعين

قال الثعالبي فى الجواهر الحسان: ٣/٢٥٣:

ولقد رآه... فقالت عائشة والجمهور هو عائد على جبرئيل.

وقال الشاطبى فى الاعتصام: ٢/١٧٦:

الأولون ردوا كثيراً من الأحاديث الصحيحة بعقولهم وأسأوا الظن (...). بما صح عن النبى (ص) حتى ردوا كثيراً من الأمور الاخرى... وأنكروا رؤية البارى.

وقال فى الاعتصام: ٢/١٩٧:

بعض علماء الكلام.. عدوا من البدعة قول من يصف البارى تعالى بالعلو وبأنه على عرشه... وهذا هو عين السنة المأثوره عن الصحابه.

وقال فى الإعتصام: ٢/٣٣٤:

وذهب جماعة من العلماء إلى أن المراد بالرأى المذموم في هذه الأخبار البدع المحدثه كراى أبى جهنم وغيره.. فقالوا لا يجوز أن يرى الله فى الآخرة لأنه تعالى يقول: لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ..

وقال الذهبى فى تاريخ الإسلام: ٢٠/١٥٣:

محمد بن أحمد بن حفص بن الزبرقان: أبو عبد الله البخارى عالم أهل بخارى وشيخهم وكان فقيها ورعاً زاهداً، ويكفر من قال بخلق القرآن ويثبت أحاديث الرؤية والنزول، ويحرم المسكر توفى سنة ٢٦٤ هـ فى رمضان. انتهى. ومدحه للبخارى بأنه يثبت أحاديث الرؤية والنزول يدل على أنه يوجد كثيرون ينفونها.

وقال الطوسى فى تفسير التبيان: ٤/٢٢٦:

روى مسروق عن عائشة أنها قالت: من حدثك أن رسول الله رأى ربه فقد كذب: لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ وَمَا كَانَ لِيُشِيرَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَلَكِنْ رَأَى جِبْرَائِيلَ فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ. وفى روايه أخرى أن مسروقاً لما قال لها: هل رأى محمد ربه قالت: سبحان الله لقد قف شعري مما قلت! ثم قرأت الآية. وقال الشعبى: قالت عائشة: من قال إن أحداً رأى ربه فقد أعظم الفريئة على الله، وقرأت الآية، وهو قول السدى وجماعة أهل العدل من المفسرين كالحسن والبلخى والجائى والرماني وغيرهم. وقال أهل الحشو والمجبرة بجواز الرؤية على الله تعالى فى الآخرة، وتأولوا الآية على الإحاطة، وقد بينا فساد ذلك.

على يوضح ما لم توضحه عائشة

نهج البلاغة: ١/١٤:

الحمد لله الذى لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصى نعمه العادون، ولا يؤدى حقه المجتهدون.

الذى لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، الذى ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود. فطر الخلاق بقدرته، ونشر الرياح برحمته، ووتد بالصخور ميدان أرضه.

أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفى الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عدده، ومن قال فيم فقد ضمنه، ومن قال علام فقد أخلى منه. كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شئ لا بمقارننه، وغير كل شئ لا بمزايله، فاعل لا بمعنى الحركات والآله، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه، متوحد إذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده. انتهى.

وسياتى فى الفصل الرابع المزيد من جواهر النبى وآله فى التوحيد ونفيهم المطلق للرؤية والتشبيه والتجسيم عن الله تبارك وتعالى.

و اصل روايات الرؤية بالعين لا تتجاوز العشرة

قال الذهبى فى سيره: ١٠/٤٥٥:

قال أحمد بن حنبل: أخبرنى رجل من أصحاب الحديث أن يحيى بن صالح قال: لو ترك أصحاب الحديث عشرة أحاديث يعنى هذه التى فى الرؤية، ثم قال أحمد: كأنه نزع إلى رأى جهنم... قلت: والمعتزلة تقول لو أن المحدثين تركوا ألف حديث فى الصفات والأسماء والرؤية والنزول لأصابوا. والقدرية تقول أنهم تركوا سبعين حديثاً فى إثبات القدر. والرافضة تقول لو أن الجمهور تركوا من الأحاديث التى يدعون صحتها ألف حديث لأصابوا، وكثير من ذوى الرأى يردون أحاديث شافه بها الحافظ المفتى المجتهد أبو هريرة رسول الله (ص)، ويزعمون أنه ما كان فقيهاً ويأتوننا بأحاديث ساقطة أو لا يعرف لها إسناد أصلاً محتجين بها.

قلنا: وللكل موقف بين يدى الله تعالى، يا سبحان الله أحاديث رؤية الله فى الآخرة متواترة والقرآن مصدق لها، فأين الإنصاف. انتهى.

نقول: الإنصاف أن في القرآن آيات تنفي الرؤية بالعين بشكل قاطع فهي محكمة، وفيه آيات يفهم من ظاهرها الرؤية بالعين فيجب تأويلها لأنها متشابهة يحمل على المحكم، أما أحاديث الرؤية بالعين فهي مهما كثرت مخالفة للقرآن، مضافاً إلى أن بعضها كذبه الصحابة، وجميعها كذبها أهل بيت النبي الذين أمر النبي أمته أن تأخذ معالم دينها منهم صلوات الله عليه وعليهم، وكذبها عائشة وغيرها من الصحابة. فهذا هو الإنصاف! جعلنا الله جميعاً من المنصفين في الأمور العلمية والعملية.

الأحاديث القدسية من الصحاح: ١/١٤٧:

اختلف العلماء في الحديث أعلاه لأنه حديث من أحاديث الصفات، قال الإمام أبو بكر بن فورك: إنها غير ثابتة عند أهل النقل ولكن قد رواها مسلم وغيره فهي صحيحة.. وقول أهل السلف إنه حق ولا يتكلم في تأويلها. انتهى.

ولا بد أن المقصود بقوله أهل النقل الذين لم تثبت عندهم: علماء الجرح والتعديل وأئمة الحديث النقاد، بينما هي ثابتة عند المتساهلين، وعند الذين يميلون إلى ما تريده الدولة. كما أن شهادة ابن فورك بأن مسلماً روى في صحيحه ما لم يثبت عند أهل النقل يجب أن تفتح الباب لإعادة تقييم روايات مسلم.

و غلبت موجة كعب و دخلت الرؤية والتشبيه في عقائد المسلمين

كانت موجة التشبيه التي ساندتها الدولة أقوى من مواجهه الرايين فقد استطاع الخليفة عمر ومن سار على خطه أن يحدثوا موجة من القول بالرؤية كما ستعرف، وقد غلبت هذه الموجة رأى عائشة وكل الصحابة ورجحت عليهم، وصارت الرؤية بالعين جزءاً من عقيدة جمهور المسلمين إلى يومنا هذا، وتبرع علماء إخواننا السنة بتأويل كلام عائشة رغم صراحتها، بل تجرؤوا على رد كلامها رغم ثقتهم بها ومكانتها في عقائدهم، وقالوا إنها قالت ذلك باجتهادها!! مع أن الطبري وغيره روى أنها لم تنف الرؤية من اجتهادها بل روت ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله.

قال الدميري في حياة الحيوان: ٢/٧٢:

واختلف العلماء من السلف والخلف في أنه هل رأى نبينا محمد(ص) ربه تعالى أم لا، فأنكرته عائشة وأبو هريرة وابن مسعود وجماعة من السلف، وبه قال جماعة من المتكلمين والمحدثين، وأجازه جماعة من السلف وأنه(ص) رأى ربه ليلة الإسراء بعيني رأسه، وهو قول ابن عباس وأبي ذر وكعب الأحمدي والحسن البصري والشافعي وأحمد بن حنبل، وحكى أيضاً عن ابن مسعود وأبي هريرة، والمشهور عنهما الأول، وبهذا القول الثاني قال أبو الحسن وجماعة من أصحابه، وهو الأصح، وهو مذهب المحققين من السادة الصوفية... قلت: رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة جائزة بالأدلة العقلية والنقلية... وأما استدلال عائشة رضي الله عنها على عدم الرؤية بقوله تعالى: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ، ففيه بُعْدٌ، إذ يقال بين الإدراك والأبصار فرق، فيكون معنى لا تدركه الأبصار أي لا تحيط به مع أنها تبصره، قاله سعيد بن المسيب وغيره. وقد نفى الإدراك مع وجود الرؤية في قوله تعالى: فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ قَالَ كَلَّا، أَي لَا يَدْرِكُونَكُمْ. وأيضاً فإن الأبصار عموم وهو قابل للتخصيص فيختص المنع بالكافرين كما قال تعالى عنهم: كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ، ويكرم المؤمنين أو من شاء الله منهم بالرؤية كما قال تعالى: وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ. وبالجملة فالآية ليست نصاً ولا من الظواهر الجلية في عدم جواز الرؤية، فلا حجة فيها والله أعلم. انتهى.

وقد لاحظت كيف صاغ صاحب حياة الحيوان الموضوع، وجعله مسألة ذات وجهين وكثير القائلين بالرؤية من السلف والخلف، ثم خلط الإدراك بمعنى اللقوق بالإدراك بمعنى الرؤية، وجعل إمكان تخصيص الله تعالى لعموم آية تخصيصاً بالفعل، ثم كابر في إنكار الظاهر.. ثم جعل رواية عائشة استدلالاً من زميلة له.. كل ذلك لأنه يريد مذهب كعب الأحمدي في الرؤية بالعين بأي ثمن!!

وقال في عارضة الأحوذى: ٦ جزء ١١ هامش/ ١٨٨:

عن ابن عربي إن الله لم ينزل هذه الآية لنفي الرؤية لله ولا جاءت بها عائشة، فإنه سبحانه وتعالى يرى في الدنيا والآخرة جوازاً ووقوعاً!!

وقال النووي في شرح مسلم: ٢ جزء ٣/٤-٥:

قال القاضي عياض: اختلف السلف والخلف هل رأى نبينا (ص) ربه ليلة الإسراء فأنكرته عائشة.. وجاء مثله عن أبي هريرة..
... الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله (ص) رأى ربه بعيني رأسه ليلة الإسراء... عائشة لم تنف الرؤية وإنما اعتمدت الإستنباط من الآيات... أما احتجاج عائشة بقول الله: لا تدركه الأبصار فإن الإدراك هو الإحاطة!

وقال النووي في شرح مسلم: ٢/٩٤ - هامش السارى:

عن عبدالله بن مسعود (رض) في قوله تعالى مَيَّا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى قَالَ: رأى جبريل له ستمائة جناح وهو مذهبه في هذه الآية..
وذهب الجمهور من المفسرين إلى أن المراد أنه رأى ربه سبحانه وتعالى! انتهى.

وقال الطبري في تفسيره: ٧/٢٠١ - ٢٠٢:

إلا- أنه جائز أن يكون معنى الآية: لا- تدركه أبصار الظالمين في الدنيا والآخرة وتدركه أبصار المؤمنين وأولياء الله! قالوا وجائز أن يكون معناها لا تدركه الأبصار بالنهاية والإحاطة وأما الرؤية فبلى. وقال آخرون الآية على العموم ولن يدرك الله بصر أحد في الدنيا والآخرة، ولكن الله يحدث لأولياته يوم القيامة حاسة سادسة سوى حواسهم الخمس فيرونه بها! انتهى.
ولكن دعوى الحاسة السادسة تعنى التنازل عن أحاديث الرؤية التي تصرح بالرؤية بالعين البشرية المعهودة، كما سيأتى.

و ايدوا قول كعب بحديث العماء وادعوا قدم الفضاء مع الله تعالى

مسند أحمد: ٤/١١:

ابن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن حذس عن عمه أبي رزين قال قلت يا رسول الله أين كان ربنا عز وجل قبل أن يخلق خلقه؟
قال: كان في عماء. ما تحته هواء وما فوقه هواء. ثم خلق عرشه على الماء.

سنن الترمذى: ٤/٣٥١:

قال: كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء وخلق عرشه على الماء. قال أحمد قال يزيد: العماء أى ليس معه شى. هكذا يقول حماد بن سلمة. هذا حديث حسن. انتهى ورواه ابن ماجه فى سننه: ١/٦٤٤ ورواه البيهقى فى المحاسن والمساوى: ١/٤٧.

وقال السيوطى فى الدر المنثور: ٣/٣٢٢:

وأخرج الطيالسى وأحمد والترمذى وحسنه وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ فى العظمة وابن مردويه والبيهقى فى الأسماء والصفات عن أبي رزين (رض)... قال: كان فى عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء وخلق عرشه على الماء. قال الترمذى (رض): العماء أى ليس معه شى. انتهى. ورواه فى كتر العمال: ١/٢٣٦ وفى: ١٠/٣٧٠ وقال فى مصادره (حم وابن جرير، طب وأبو الشيخ فى العظمة. عن أبي رزين) وقال فى هامشه: العماء بالفتح والمد: السحاب. قال أبو عبيد: لا يدري كيف كان ذلك العماء. وفى روايه كان فى عما بالقصر، ومعناه ليس معه شى. النهاية ٣-٣٠٤. انتهى.

ملاحظة: مقصود الراوى بالعماء الفضاء الخالى، وبعض روايات الحديث نصت على ذلك، فىكون الفضاء حسب تصويره إلهاً مع الله تعالى، أو قبله! ويكون وجوده تعالى مادياً محتاجاً لأن يكون فى فضاء! وقد كان الترمذى محتاطاً فابتعد عن مسؤوليه تفسيره بأنه ليس معه أحد، وجعل ذلك على عهد يزيد وحماد بن سلمة!

ويؤيد ما ذكرنا، أن كلمة العماء تستعمل عند عوام العرب لمكان الخراب فى مقابل العمران، شبيهاً بالأرض البائرة والمزروعة، فيقولون كانت هذه المنطقه عماء لا- عمران فيها أو لا- إنسان فيها. فىكون معنى أن الله تعالى كان فى عماء أن الراوى تصور أن الكون كان فضاء وهواء وكان الله تعالى فى ذلك الفضاء العماء، ثم أعمره بالخلق.

وقد يقال فى توجيه الحديث إنه تفسير لقوله تعالى (وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) ولكن السؤال فيه عما قبل العرش وقبل كل الخلق، أى

عما هو قبل القبل، فكيف يصح جعل العماء والهواء قديماً أو واجب الوجود قبل القبل! وقد يقال إن المقصود بالخلق في السؤال الملائكة والناس. ولكن إطلاق السؤال عما قبل الخلق يأبى تخصيصه بذوى الأرواح أو ببعض المخلوقات.

وكذلك لا يصح تفسير العماء بالعدم المطلق، لأن تعبير (ما تحته هواء وما فوقه هواء) يجعل تفسيره بالعدم المطلق تعامياً!

و هاجموا أمهم عائشة وأسأوا معها الأدب

كتاب التوحيد لابن خزيمة/٢٢٥-٢٣٠:

قال أبو بكر: هذه لفظه أحسب عائشة تكلمت بها في وقت غضب، ولو كانت لفظه أحسن منها يكون فيها درك لبغيتها كان أجمل بها، ليس يحسن في اللفظ أن يقول قائل أو قائله: قد أعظم ابن عباس الفرية وأبوذر وأنس بن مالك وجماعات من الناس الفرية على ربهم! ولكن قد يتكلم المرء عند الغضب باللفظة التي يكون غيرها أحسن وأجمل منها... إلى آخر هجوم ابن خزيمة المجسم وغيره على أمهم عائشة. راجع الفصل الأول من كتاب الوهابية والتوحيد.

ثم رووا الرؤية بالعين حتى عن ابن عباس وعائشة

مستدرک الحاكم: ٢/٣١٦:

أخبرنا أبو زكريا يحيى بن محمد العنبري، ثنا محمد بن عبد السلام، ثنا إسحاق بن إبراهيم، أنبأ إبراهيم بن الحكم بن أبان، حدثني أبي، عن عكرمة، عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل هل رأى محمد ربه؟ قال: نعم رأى كأن قدميه على خضرة دونه ستر من لؤلؤ! فقلت يا ابن عباس أليس يقول الله: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ؟ قال: يا لا أم لك، ذلك نوره وهو نوره، إذا تجلى بنوره لا يدركه شئ. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وقال في هامش تهذيب التهذيب: ٤/١١٣:

في تهذيب الكمال عن عكرمة عن ابن عباس قال: رأى محمد (ص) ربه تعالى، فقلت لابن عباس: أليس الله يقول: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ؟ قال: أسكت لا أم لك، إنما ذلك إذا تجلى بنوره لم يرقم لنوره شئ. اه.

مجمع الزوائد: ٧/١١٤:

وعن ابن عباس قال: إن محمد (ص) رأى ربه، قال عكرمة: يا أبا عباس أليس يقول الله: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ؟ فقال ابن عباس لا أم لك، إنما ذلك إذا تجلى بكيفية لم يرقم له بصر.

قلت: له حديث رواه الترمذى غير هذا رواه الطبرانى وفيه إبراهيم بن الحكم بن أبان وهو متروك. انتهى.

مجمع الزوائد: ١/٧٨:

وعن ابن عباس أنه كان يقول: إن محمد (ص) رأى ربه مرتين مرة يبصره ومرة بفؤاده. رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله رجال الصحيح، خلا جهور بن منصور الكوفى، وجهور بن منصور ذكره ابن حبان فى الثقات.

كتاب التوحيد لابن خزيمة/١٩٨:

... عن عبدالله بن أبى سلمة أن عبدالله بن عمر بن الخطاب بعث إلى عبدالله بن العباس يسأله هل رأى محمد (ص) ربه؟ فأرسل إليه عبد الله بن العباس أن نعم، فرد عليه عبدالله بن عمر رسوله أن كيف رآه؟ قال فأرسل أنه رآه فى روضة خضراء دونه فراش من ذهب على كرسي من ذهب يحمله أربعة من الملائكة، ملك فى صورة رجل، وملك فى صورة ثور، وملك فى صورة نسر، وملك فى صورة أسد. انتهى.

هذه هي الرواية التي شهرها ابن خزيمة سيفاً على مذهب أمه عائشة، لأنها خالفت فيه مذهب الخليفة عمر، وهي رواية إسرائيلية مع الاسف! وقد علق عليها الشيخ محمد الهراس بقوله (لعل ابن عباس أخذ رأيه هذا من كعب الأحبار فقد كان كعب يقول إن الله قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد).

ثم قال ابن خزيمة في ١٩٩/:

عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن الله اصطفى إبراهيم بالخلعة، واصطفى موسى بالكلام، واصطفى محمداً بالرؤية... عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: رأى محمد (ص) ربه... عن شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك قال: رأى محمد ربه. انتهى. وعلق عليه الهراس بقوله (هذا رأى لا دليل عليه، وهذا مخالف لقوله عليه السلام في حديث أبي ذر (نور) أنى أراه).

وقد روى ابن خزيمة نفسه حديث أبي ذر في نفي النبي رؤيته ربه بعينه! قال في ٢٠٦/... محمد بن بشار حدثنا بهذا الخبر، قال ثنا معاذ بن هشام، قال حدثني أبي، عن قتادة، عن عبد الله بن شقيق، قال قلت لأبي ذر: لو رأيت رسول الله (ص) لسألته، فقال عن أي شيء كنت تسأله؟ فقال كنت أسأله هل رأيت ربك؟ فقال أبو ذر: قد سأله فقال رأيت نوراً. انتهى.

ويلاحظ أن ابن خزيمة لم يرو تعجب النبي صلى الله عليه وآله من سؤال أبي ذر (أنى أراه!) فقد علق عليه الهراس بقوله (قوله رأيت نوراً: يفيد أنه لم يرد بذلك نور ذاته عز وجل، وإلا- لقال للسائل نعم رأيت، فهو أراد أن يفهم السائل أن الذي رآه هو النور، ولعله نور الحجاب كما ورد في حديث أبي موسى (حجابه النور) وهو الذي حال دون رؤيته له سبحانه). انتهى. ولم يترك ابن خزيمة شيئاً إلا- وتشبث به لاثبات الرؤية بالعين فقد روى أن الحسن البصري كان يحلف بالإيمان على الرؤية بالعين!! قال في ١٩٩/... ابن سليمان عن المبارك بن فضالة قال: كان الحسن يحلف بالله لقد رأى محمد ربه. انتهى.

وعلق عليه الهراس بقوله: كيف يحلف الحسن سامحه الله على أمر لم يتبين صدقه، وهو محل خلاف بين الصحابة وجمهورهم على نفيه! انتهى.

ثم أفتوا بكفر و ضلال من خالفهم و شملت فتواهم أهمهم عائشة

قال النووي في شرح مسلم ٢ جزء ٣/١٥:

باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم.. إن مذهب أهل السنة أن رؤية الله ممكنة.. وزعمت طائفة من أهل البدع المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه، وأن رؤيته مستحيلة عقلاً.

قال الشاطبي في الاعتصام: ١/٢٣١:

ومنها ردهم أهل البدع للاحاديث التي غير موافقه لاغراضهم ومذاهبهم.. كالمكرر لعذاب القبر والصراط المستقيم والميزان، ورؤية الله في الآخرة، وكذلك حديث الذباب وقتله، وأن في أحد جناحيه داء والآخرة دواء!

وقال الذهبي في سيره: ١٤/٣٩٦:

أخبرنا إسماعيل بن إسماعيل في كتابه: أخبرنا أحمد بن تميم اللبلي ببعلك، أخبرنا أبو روح بهراء، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليجي، أخبرنا أحمد بن محمد الخفاف، حدثنا أبو العباس السراج إملاء قال: من لم يقر بأن الله تعالى يعجب ويضحك وينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول من يسألني فأعطيه، فهو زنديق كافر، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه، ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين.

قلت: لا يكفر إلا إن علم أن الرسول (ص) قاله، فإن جحد بعد ذلك فهذا معاند، نسأل الله الهدى، وإن اعترف أن هذا حق ولكن قال أخوض في معانيه فقد أحسن، وإن آمن وأول ذلك كله أو تأول بعضه، فهو طريقة معروفة.

وقال الذهبي في سيره: ٧/٣٨١:

قال حفص بن عبد الله: سمعت إبراهيم بن طهمان يقول: والله الذي لا إله إلا هو لقد رأى محمد ربه.

وقال أبو حاتم: شيخان بخراسان مرجئان: أبو حمزة السكري وإبراهيم بن طهمان وهما ثقتان. وقال أبو زرعة: كنت عند أحمد بن حنبل فذكر إبراهيم بن طهمان وكان متكئاً من علة فجلس وقال: لا ينبغي أن يذكر الصالحون فيتكأ. وقال أحمد: كان مرجئاً شديداً على الجهمية.

وقال الدميري في حياة الحيوان: ٢/٧٢:

واختلف في جواز الرؤية فأكثر المبتدعة على إنكار جوازها في الدنيا والآخرة وأكثر أهل السنة والسلف على جوازها فيهما ووقعها في الآخرة.

وقال الذهبي في تذكرة الحفاظ: ٢/٤٣٥:

وقال أحمد بن سلمة: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: جمعني وهذا المبتدع ابن أبي صالح مجلس الأمير عبد الله بن طاهر فسألني الأمير عن أخبار النزول فسردتها، فقال ابن أبي صالح: كفرت برب ينزل من سماء إلى سماء! فقلت: آمنت برب يفعل ما يشاء. هذه حكاية صحيحة رواها البيهقي في الأسماء والصفات. قال البخاري: مات ليلة نصف شعبان سنة ثمان وثلاثين ومائتين وله سبع وسبعون سنة.

وقال السبحاني في بحوث في الملل والنحل: ٢/٣٧٣:

... وقفنا على فتوى لعبد العزيز بن عبد الله بن باز مؤرخه ٨/٣/١٤٠٧ مرقمه ١٧١٧/٢ جواباً على سؤال عبد الله عبد الرحمن في جواز الإقتداء والالتزام بمن لا يعتقد بمسألة الرؤية يوم القيامة فأفتى: من ينكر رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة لا يصلى خلفه وهو كافر عند أهل السنة والجماعة. واستدل لذلك بما ذكره ابن القيم في كتابه (حادي الأرواح) ذكر الطبري وغيره أنه قيل لمالك: إن قوماً يزعمون أن الله لا يرى يوم القيامة فقال مالك رحمه الله: السيف السيف.

وقال أبو حاتم الرازي: قال أبو صالح كاتب الليث: أملى عليّ عبد العزيز بن سلمة الماجشون رساله عما جحدت الجهميه فقال: لم يزل يملئ لهم الشيطان حتى جحدوا قول الله تعالى: **وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ**.

... عن أحمد بن حنبل وقيل له في رجل يحدث بحديث عن رجل عن أبي العوطف إن الله لا يرى في الآخرة فقال: لعن الله من يحدث بهذا الحديث اليوم ثم قال: أخزى الله هذا.

وقال أبو بكر المروزي: من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر. وقال: من لم يؤمن بالرؤية فهو جهمي والجهمي كافر.

وقال إبراهيم بن زياد الصائغ: سمعت أحمد بن حنبل يقول: الرؤية من كذب بها فهو زنديق، وقال: من زعم أن الله لا يرى فقد كفر بالله وكذب بالقرآن ورد على الله أمره، يستتاب فإن تاب وإلا قتل.. (إلخ) انتهى.

ويشمل حكم الشيخ ابن باز هذا أم المؤمنين عائشة لأنها كذبت من زعم أن النبي صلى الله عليه وآله رأى الله تعالى واستدلت على نفى إمكانية رؤية الله تعالى مطلقاً في الدنيا والآخرة بقوله تعالى: **لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**. ولا طريق أمام ابن باز إلا أن يقول بكفر عائشة، أو يكذب روايات البخاري ومسلم عنها!!

وقد كان الألباني أرحم من أستاذه ابن باز فقد رفع حكم التكفير عن أمه عائشة وعن عدة فئات من المسلمين فقال في فتاويه/ ١٢٣:

علماء السلف كفروا الجهمية وأعلنوا كفرهم. وأفتوا بقتل رأسهم لكنهم لا يكفرون الأباضية الذين ينكرون رؤية الله في الآخرة كذلك المعتزلة.. لكنهم يكتفون بتضليلهم دون كفرهم.. وقال في/ ٢٩٢ قال ابن تيمية:... كان أبو حنيفة والشافعي وغيرهما يقبلون شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية ويصححون الصلاة خلفهم.. أئمة الدين لا يكفرون ولا يفسقون ولا يؤثمون أحداً من المجتهدين المخطئين لا في مسائل علمية ولا عملية... كتنازع الصحابة هل رأى محمد ربه.

.. وأهل السنة لا يبتدعون قولاً ولا يكفرون من اجتهد فأخطأ، كما لم تكفر الصحابة الخوارج مع تكفيرهم لعثمان وعلى ومن والاهما.

وفى مقابل حملة التكفير هذه، فإن الذين نفوا رؤية الله تعالى بالعين لم يكفروا أصحاب الرؤية بل أفتوا بأنهم: لا يفهمون ما يقولون! قال الشاطبي فى الاعتصام: ١/٢٣٦: حكى أبو بكر بن العربى عن بعض من لقى بالمشرق من المنكرين للرؤية أنه قيل له: هل يكفر من يقول بإثبات الرؤية؟ فقال لا، لأنه قال بما لا يعقل.. قال ابن العربى: فهذه منزلتنا عندهم!

و كبر كعب الأحبار لأنه انتصر على المسلمين

روى الذهبى فى سيره: ١٤/٤٥ عن عكرمة حديث ابن عباس، وقال الناشر فى هامشه: أخرجه ابن خزيمة فى التوحيد/١٩٩ من طريق عبد الوهاب بن الحكم الوراق، حدثنا هاشم بن القاسم، عن قيس بن الربيع، عن عاصم الاحول، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: إن الله.. الخ. وأخرجه أيضاً/١٩٧ من طريق محمد بن بشار، ومحمد بن المثنى قالوا: حدثنا معاذ بن هشام، حدثنى أبى، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس... وهذا رأى لا دليل عليه، وهو مخالف للأدلة الكثيرة الوفيرة فى أنه (ص) لم ير ربه فى تلك الليلة. وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمى اتفاق الصحابة على ذلك. أنظر التفصيل فى زاد المعاد: ٣/٣٦-٣٧. انتهى.

هذا، ولكن المعروف عن ابن عباس أنه كان ينفى التشبيه والرؤية كما تقدم، فلا يبعد أن يكون الحديث مكذوباً عليه من عكرمة غلامه، فقد كان عكرمة معروفاً بالكذب على ابن عباس فى حياته وبعد وفاته، حتى ضربه ابن عباس وولده وحسوه لهذا السبب فى المرحاض، كما هو معروف فى كتب الجرح والتعديل. وكان عكرمة يروى الاسرائيليات عن وهب وكعب وغيرهما من اليهود. ويؤيد ذلك أن السهيلي روى هذا الحديث فى الروض الأنف: ٢/١٥٦ عن كعب وليس عن ابن عباس. وغرض كعب من هذه الرواية أن يثبت تجسم الله تعالى ورؤيته بالعين، فقد كان ذلك مطلباً مهماً يسعى إليه، فقد روى ابن خزيمة فى كتاب التوحيد/٢٢٥-٢٣٠... عن الشعبى عن عبدالله بن الحرث قال: اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس: إنا بنو هاشم نزعم أو نقول: إن محمداً رأى ربه مرتين، قال فكبر كعب حتى جاوبته الجبال! فقال: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى صلى الله عليهما وسلم! انتهى. ومن الواضح أن تكبير كعب الأحبار (حتى جاوبته الجبال!) يدل على أن إثبات رؤية النبى صلى الله عليه وآله كان مطلباً مهماً عند كعب وأنه كان يبحث عن موافقه عليه ولا يجد، فلما وافقه ابن عباس كما تدعى الرواية صرخ بصوت عال من فرحه، لأن ذلك يوافق مصادره اليهودية فى تجسيد الله تعالى وجلسه على عرشه ونزوله إلى الأرض ومصارعته ليعقوب.. إلى آخر افتراءات اليهود على الله تعالى!

واشغل الموضوعون و كثر أحاديث الرؤية والتشبيه والتجسيم

تقدم عن عائشة وغيرها تكذيب أحاديث الرؤية عموماً، وقد طفق كيل هذه الأحاديث من كل لون، لأن الدول كانت تشجعه، ولأن الموضوع قابل للأسطورة.. حتى اعترفت مصادر الجرح والتعديل عند إخواننا بوضع عدد كبير منها! هل روى حماد أحاديث الرؤية والتشبيه أم دسوها فى لحيته؟ قال ابن حجر فى تهذيب التهذيب: ٣/١٥:

حدثنى إبراهيم بن عبدالرحمن بن مهدى قال: كان حماد بن سلمة لا يعترف بهذه الأحاديث أى فى الصفات، حتى أخرج مرة إلى عبادان فجاء وهو يرويها، فسمعت عباد بن صهيب يقول: إن حماداً كان لا يحفظ، وكانوا يقولون إنها دست فى لحيته. وقد قيل إن ابن أبى العوجاء كان ربيبه فكان يدس فى كتبه..

و انكر مالك أحاديث التشبيه واعتذر عنه الذهبى بأنه جاهل

قال الذهبى فى سيره: ٨/١٠٣:

أبو أحمد بن عدى: حدثنا أحمد بن علي المدائني، حدثنا إسحاق ابن إبراهيم بن جابر، حدثنا أبو زيد بن أبي الغمر، قال قال ابن القاسم: سألت مالكا عن حدث بالحديث الذين قالوا: إن الله خلق آدم على صورته. والحديث الذي جاء: إن الله يكشف عن ساقه، وأنه يدخل يده في جهنم حتى يخرج من أراد. فأنكر مالك ذلك إنكاراً شديداً ونهى أن يحدث بها أحداً فقيل له: أن ناساً من أهل العلم يتحدثون به فقال: من هو؟ قيل ابن عجلان عن أبي الزناد. قال: لم يكن ابن عجلان يعرف هذه الأشياء، ولم يكن عالماً. وذكر أبا الزناد فقال: لم يزل عاملاً لهؤلاء حتى مات. رواها مقدم الرعيني عن ابن أبي الغمر والحارث بن مسكين قالوا: حدثنا ابن القاسم. قلت: أنكر الإمام ذلك لأنه لم يثبت عنده ولا- اتصل به فهو معذور، كما أن صاحبى الصحيحين معذوران في إخراج ذلك أعنى الحديث الأول والثاني لثبوت سندهما، وأما الحديث الثالث فلا أعرفه! انتهى.

وهذا النص يدل بوضوح على أن الأمويين كانوا يتبنون أحاديث الرؤية والتجسيم، وأن الإمام مالك ذم الراوى بأنه كان عاملاً مطيعاً لهم حتى مات. وأن أجواء هذه الإعتقادات كانت محدودة بالدولة بخلاف الجو العام للمسلمين الذي يعيش فيه الإمام مالك. وقد بينا في كتاب الوهابية والتوحيد عدم صحة ما نسبته الوهابيون إلى الإمام مالك من تفسير الصفات بالظاهر.

نماذج من الأحاديث الموضوععة لتأييد مذهب كعب

قال في كتابه الموضوععات: ١/١٢٤ - ١٢٥:

حديث آخر في ذكر النزول يوم عرفة، إذ لو رواه الثقات كان مردوداً والرسول منزه أن يحكى عن الله عز وجل ما يستحيل عليه، وأكثر رجاله مجاهيل وفيهم ضعفاء. أنبأنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد العرار (القرزاز) قال أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، قال أنبأنا الحسن بن أبي بكر، قال أنبأنا محمد بن عبد الله الشافعي، قال حدثنا محمد بن إسماعيل الترمذي، قال حدثنا نعيم بن حماد، قال حدثنا ابن وهب، قال حدثنا عمرو بن الحرث، عن سعيد بن أبي هلال، عن مروان بن عثمان، عن عمارة بن عامر، عن أم الطفيل امرأة أبي أنها سمعت رسول الله (ص) يذكر أنه رأى ربه تعالى في المنام في أحسن صورة شاباً موفوراً رجلاه في مخصر عليه نعلان من ذهب في وجهه مراس من ذهب.

أما نعيم فقد وثقه قوم وقال ابن عدى: كان يضع الحديث، وكان يحيى بن معين يهجنه في روايته حديث أم الطفيل وكان يقول: ما كان ينبغي له أن يحدث بمثل هذا وليس نعيم بشيء في الحديث.

وأما مروان فقال أبو عبد الرحمن النسائي: ومن مروان حتى يصدق على الله عز وجل، قال مهني: سألت أحمد عن هذا الحديث فحول وجهه عنى وقال: هذا حديث منكر هذا رجل مجهول عنى مروان. قال: ولا يعرف أيضاً عمارة.

وقال الذهبي في ميزان الاعتدال: ٤/٢٦٩:

نعيم بن حماد، حدثنا ابن وهب، حدثنا عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال، عن مروان بن عثمان عن عمارة بن عامر، عن أم الطفيل - أنها سمعت النبي (ص) يقول: رأيت ربي في أحسن صورة شاباً موفوراً رجلاه في مخصر عليه نعلان من ذهب. قال أبو عبد الرحمن النسائي: ومن مروان حتى يصدق على الله تعالى.

وقال في سيره: ١٠/٦٠٢:

قال عبد الخالق بن منصور: رأيت يحيى بن معين كأنه يهجن نعيم بن حماد في خبر أم الطفيل في الرؤية ويقول: ما كان ينبغي له أن يحدث بمثل هذا. وقال أبو زرعة النصري: عرضت على دحيم ما حدثناه نعيم بن حماد، عن الوليد بن مسلم، عن ابن جابر، عن ابن أبي زكريا، عن رجاء بن حيوة، عن النواس: إذا تكلم الله بالوحي. الحديث فقال لا- أصل له. فأما خبر أم الطفيل فرواه محمد بن إسماعيل الترمذي وغيره حدثنا نعيم، حدثنا ابن وهب، أخبرنا عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال أن مروان بن عثمان حدثه عن عمارة بن عامر، عن أم الطفيل امرأة أبي بن كعب: سمعت رسول الله (ص) يذكر أنه رأى ربه في صورة كذا. فهذا خبر منكر جداً.

وقال في هامش سير أعلام النبلاء: ١٨/٤٩:

(٤) أخرجه الخطيب في تاريخه ١٣ - ٣١١ من طريق نعيم بن حماد، حدثنا ابن وهب، حدثنا عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال، عن مروان بن عثمان، عن عماره بن عامر، عن أم الطفيل امرأة أبي أنها سمعت النبي (ص) يذكر أنه رأى ربه تعالى في المنام في أحسن صورة شاباً موقراً رجلاً في خضرة له نعلان من ذهب على وجهه مراس من ذهب، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال: موضوع، نعيم وثقه قوم وقال ابن عدى: يضع، وصفه ابن عدى بسبب هذا الحديث، ومروان كذاب، وعماره مجهول، وسئل أحمد عن هذا الحديث فقال: منكر. وفي الميزان ٤ - ٩٢: مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلى الزرقى: ضعفه أبو حاتم، وقال أبو بكر محمد بن أحمد الحداد الفقيه: سمعت النسائي يقول: ومن مروان بن عثمان حتى يصدق على الله! قاله في حديث أم الطفيل. وأورده في الميزان ٤ - ٢٢٩ في ترجمة نعيم بن حماد في جملة الأحاديث التي أنكرت عليه. وقال الحافظ في الإصابة ٤ - ٤٧٠ في ترجمة أم الطفيل بعد أن أورده عن الدار قطنى من طريق مروان بن عثمان... ومروان متروك، قال ابن معين: ومن مروان حتى يصدق.

وقال ابن الجوزي في الموضوعات: ١/٢٩٠:

عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله (ص): إن الله أعطى موسى الكلام وأعطاني الرؤية وفضلني بالمقام المحمود والحوض المورود. هذا حديث موضوع على رسول الله (ص)، والمتهم به محمد بن يونس وهو الكديمي، وكان وضاعاً للحديث. قال ابن حبان لعله قد وضع أكثر من ألف حديث!

وقال في الموضوعات: ٣/٢٥٩:

عن أنس بن مالك عن النبي (ص) قال: إذا أسكن الله عز وجل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار. قال: فيهبط تبارك وتعالى إلى الجنة في كل جمعة في كل سبعة آلاف يعنى سنة مرة. قال وفي وحيه: وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون فيهبط عز وجل إلى مرج الجنة فيمد بينه وبين الجنة حجاباً من نور فيبعث جبريل إلى أهل الجنة فيأمر فليزوروه، فيخرج رجل من موكب عظيم حوله صفق أجنحة الملائكة ودوى تسيحهم والنور بين أيديهم أمثال الجبال فيمد أهل الجنة أعناقهم فيقولون: من هذا قد أذن له على الله عز وجل فتقول الملائكة: هذا المجبول بيده والمنفوخ فيه من روحه والمعلم الأسماء والمسجود له من الملائكة الذي أبيض له الجنة، هذا آدم.

وذكر نحو هذا في إبراهيم ومحمد وقال: ثم يخرج كل نبي وأمته فيخرج الصديقون والشهداء على قدر منازلهم حتى يحفوا حول العرش فيقول لهم عز وجل بلذاذة صوته وحلاوة نغمته: مرحباً بعبادي. وذكر حديثاً طويلاً لا فائدة في ذكره. وهو حديث موضوع لا نشك فيه والله عز وجل متزه عن أن يوصف بلذة الصوت وحلاوة النغمه فكافأ الله من وضع هذا. وفي إسناده يزيد الرقاشي وهو متروك الحديث وضرار بن عمرو قال يحيى: ليس بشئ ولا يكتب حديثه، وقال الدار قطنى: ذاهب متروك. ويحيى بن عبد الله قال ابن حبان: يأتي عن الثقة بأشياء معضلات.

وقال في الموضوعات: ٣/٢٦٠:

عن أنس بن مالك: أن النبي (ص) قرأ هذه الآية: **وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ**، قال: والله ما نسخها منذ أنزلها يزورون ربهم فيطعمون ويسقون ويطيون ويحلون وترفع الحجب بينه وبينهم وينظرون إليه وينظر إليهم، وذلك قوله تعالى: **وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا**. هذا حديث لا يصح وفيه ميمون بن شياه قال ابن حبان: يتفرد بالمناكير عن المشاهير، لا يحتج به إذا انفرد. وفيه صالح المري، قال النسائي: متروك الحديث.

... قال سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله (ص) يقول: إن الله تعالى يتجلى لأهل الجنة في مقدار كل يوم على كتيب كافور أبيض. هذا حديث لا أصل له وجعفر وجدّه وعاصم مجهولون.

... عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله (ص): بينما أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فنظروا فإذا الرب قد أشرف عليهم من

فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله: سلام قولاً من رب رحيم، قال فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يزالون كذلك حتى يحتجب فيبقى نوره وبركته عليهم وفي دارهم.

طريق ثان... طريق ثالث...

هذا حديث موضوع على رسول الله (ص) ومدار طريقه كلها على الفضل بن عيسى الرقاشي، قال يحيى: كان رجل سوء. ثم في طريقه الأول والثاني عبد الله بن عبيد، قال العقيلي: لا يعرف إلا به ولا يتابع عليه. وفي طريقة الثالث محمد بن يونس الكديمي وقد ذكرنا أنه كذاب، وقال ابن حبان: كان يضع الحديث.

وقال الشاطبي في الاعتصام: ١ هامش/٣٩:

ولا يغترون أحد بترغيب الخطباء الجاهلين ولا بالحديث الذي يذكرونه على منابرهم وهو إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فإن الله ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا فيقول ألا من مستغفر فأغفر له ألا مسترزق فأرزقه ألا مبتلى فأعافيه ألا كذا إلا كذا حتى يطلع الفجر. فإن هذا حديث واه أو موضوع رواه ابن ماجه وعبدالرزاق عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، وقد قال فيه ابن معين والإمام أحمد أنه يضع الحديث. نقل ذلك محشي سنن ابن ماجه عن الزوائد. وواقفه الذهبي في الميزان في الإمام أحمد، وذكر عن ابن معين أنه قال فيه: ليس حديثه بشيء، وقال الناس: متروك.

وقال ابن خزيمة في كتاب التوحيد/٢١٤:

وقد روى الوليد بن مسلم خبراً يتوهم كثير من طلاب العلم ممن لا يفهم علم الأخبار أنه خبر صحيح من وجه النقل وليس كذلك هو عند علماء أهل الحديث، وأنا مبين علله إن وفق الله لذكر ذلك حتى لا- يغتر بعض طلاب الحديث به فيلتبس الصحيح بغير الثابت من الأخبار، وقد أعلمت ما لا أحصى من مرة أني لا أستحل أن أموه على طلاب العلم بالاحتجاج بالخبر الواهي وإني خائف من خالقي جل وعلا- إذا موهت على طلاب العلم بالاحتجاج بالأخبار الواهية وإن كانت الأخبار حجة لمذهبي. روى الوليد قال حدثني عبدالرحمن بن يزيد بن جابر، قال ثنا خالد بن اللجلاج، قال حدثني عبدالرحمن بن عائش الحضرمي، قال سمعت رسول الله (ص): رأيت ربي في أحسن صورة فقال فيم يختصم الملاء الأعلى.. إلخ. انتهى.

وقال ابن الأثير في أسد الغابة: ٣/٣٠٤:

اللجلاج وأبو سلام الحبشي لا تصح صحبته لأن حديثه مضطرب، أخبرنا أبو منصور ابن مكارم بن أحمد بن سعد المؤدب بإسناده عن المعافى بن عمران، عن الأوزاعي، عن عبدالرحمن بن زيد أنه سمع خالد بن اللجلاج يحدث مكحولاً، عن عبدالرحمن بن عائش الحضرمي، أن النبي (ص) قال: رأيت ربي في أحسن صورة فذكر أشياء...

وقال المزى في تهذيب الكمال: ١٧/٢٠٢:

عبدالرحمان بن عائش الحضرمي ويقال: السكسكي الشامي مختلف في صحبته وفي إسناده حديثه، روى عنه عن النبي (ص): رأيت ربي في أحسن صورة وقيل: عنه عن رجل من أصحاب النبي (ص) عن النبي (ص) وقيل: عنه عن مالك بن يخامر، عن معاذ بن جبل، عن النبي (ص) وقيل: غير ذلك.

وقال أبو زرعة الدمشقي: سألت عبدالرحمن بن إبراهيم قلت له: لعبد الرحمان بن عائش حديث سوى: رأيت ربي في أحسن صورة؟ فقال لي عبدالرحمن بن إبراهيم: حدثنا الوليد بن مسلم، عن الوليد بن سليمان بن أبي السائب، عن ربيعة بن يزيد، عن عبدالرحمان بن عائش قال: الفجر فجران... فذكر الحديث. وقال أبو زرعة الدمشقي أيضاً: قلت لأحمد بن حنبل إن ابن جابر يحدث عن خالد بن اللجلاج عن عبدالرحمان بن عائش عن النبي (ص): رأيت ربي في أحسن صورة، ويحدث به قتادة عن أبي قلابه عن خالد بن اللجلاج عن عبدالله بن عباس فأيهما أحب إليك قال: حديث قتادة هذا ليس بشيء والقول ما قال ابن جابر.

وقال أبو حاتم الرازي: هو تابعي وأخطأ من قال له صحبة.

وقال أبو زرعة: الرازي ليس بمعروف. روى له الترمذى وقد وقع لنا حديثه بعلو.

وقال ابن ناصر فى توضيح المشتبه: ١/٥٨٨:

محمد بن شجاع الثلجى الفقيه صاحب التصانيف مشهور مبتدع.. قلت:.. وبدعته كونه من أصحاب بشر الميرسى يقول بقوله فى القرآن، ومع ذلك روى بالوضع والكذب، ومن افترائه أنه تكلم فى الشافعى وأحمد.. كان يضع أحاديث التشبيه وينسبها إلى أصحاب الحديث ليثلبهم بذلك..

وقال السقاف فى شرح العقيدة الطحاوية/ ٤٤٠ - ٤٤١:

فصل: فى بيان أربعة أحاديث باطله تتعلق بالكرسى:

الحديث الأول: روى عن سيدنا ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: سئل النبى (ص) عن قول الله تعالى: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قال: كرسية موضع قدميه والعرش لا يقدر قدره.

وهذا باطل مرفوعاً وموقوفاً! وما هو إلا هراء يجلب مقام سيدنا رسول الله (ص) أو ابن عباس رضى الله عنهما أن يفوها به، إلا إن حكياء عن اليهود فى مقام ذم عقائدهم الباطلة وذكر فساد ما يقولون! وقد رواه مرفوعاً الخطيب البغدادي فى تاريخه ٩-٢٥١، وابن الجوزى فى العلل المتناهية ١- ٢٢، ورواه موقوفاً الطبرانى فى الكبير ١٢- ٣٩، والحاكم ٢- ٢٨٢، والمجسم الكذاب محمد بن عثمان بن أبى شيبه فى كتاب (العرش)، قال ابن كثير فى تفسيره ١- ٣١٧ كذا أورد هذا الحديث الحافظ أبو بكر بن مردويه من طريق شجاع بن مخلد الفلاس فذكره وهو غلط، ثم قال بعد ذلك بقليل وقد رواه ابن مردويه من طريق الحاكم بن ظهير الفزارى الكوفى وهو متروك، عن السدى عن أبيه عن أبى هريرة مرفوعاً ولا يصح أيضاً.

قلت: الصحيح عندنا فى هذا الحديث أنه إسرائيلى مأخوذ من كعب الأحبار لأن أبى هريرة وابن عباس رضوان الله عليهما رويهما عن كعب الأحبار كما فى تهذيب الكمال للحافظ المزى ٢٤- ١٩٠ فإذا علمت ذلك فستعرف خطأ الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد ٦- ٣٢٣ حيث اكتفى بالتصريح بأن رجاله رجال الصحيح، وكذا الإمام الحاكم فى المستدرک صحح الموقوف أيضاً على شرط الشيخين، وأقره الذهبى (رحمهم الله) فلا تغفل عن هذا، لأن هؤلاء (رحمهم الله) كثيراً ما يصححون فيرد تصحيحهم.

وقد روى نحو هذا الحديث عن أبى موسى الأشعري موقوفاً كما فى الأسماء والصفات/ ٤٠٤ للحافظ البيهقى رحمه الله وقد تأول هذا النص البيهقى هناك بقوله: ذكرنا أن معناه فيما نرى أنه - أى الكرسى - موضوع من العرش موضع القدمين من السرير، وليس فيه إثبات المكان لله سبحانه.

وفى أثر أبى موسى هذا ذكر للاطيط! وقد صرح الحفاظ بأنه لا يصح حديث فى الاطيط وقد اعترف الشيخ المتناقض (يقصد الالبانى) بذلك فى ضعيفته ٢- ٢٥٧ و ٣٠٧!

و فتحوا الطريق لنقد أحاديث الروية بتنازلهم عن عصمة البخارى

فتاوى الألبانى/ ٥٢٤-٥٣٥:

السؤال هو: هل سبق للشيخ أن ضعف أحاديث فى البخارى وضعفها فى كتاب ما؟ وإن حصل ذلك فهل سبقك إلى ذلك العلماء؟ نرجو الجواب مع الإشارة جزاك الله خيراً.

جواب: حدد لى ذلك.. إلى ماذا.. لأن سؤالك يتضمن شيئين.. هل سبق لك أن ضعف شيئاً من أحاديث البخارى وهل جمعت ذلك فى كتاب.. فلما ذكرت هل سبقك إلى ذلك.. ماذا تعنى: إلى تضعيف أو إلى تأليف.

سؤال: إلى الاثنتين.

جواب: أما أنه سبق لى أن ضعف أحاديث البخارى فهذه الحقيقة يجب الإقرار بها ولا يجوز إنكارها. ذلك لأسباب كثيرة جداً

أولها: المسلمون كافة لا فرق بين عالم أو متعلم أو جاهل مسلم.. كلهم (...). يجمعون على أنه لا عصمة لاحد بعد رسول الله (ص).. وعلى هذا، من النتائج البديهية أيضاً أن أى كتاب يخطر فى بال المسلم أو يسمع باسمه قبل أن يقف على رسمه، لابد أن يرسخ فى ذهنه أنه لا بد أن يكون فيه شئ من الخطأ، لأن العقيدة السابقة أن العصمة من البشر لم يحظ بها أحد إلا رسول الله (ص).

من هنا يروى عن الإمام الشافعى (رض) أنه قال: أبى الله أن يتم إلا كتابه. فهذه حقيقة لا تقبل المناقشة.

هذا أولاً.. هذا كأصل.. أما كتفرع، فنحن من فضل الله علينا وعلى الناس لكن أكثر الناس لا يعلمون ولكن أكثر الناس لا يشكرون. قد مكنتى الله عز وجل من دراسته علم الحديث أصولاً وفروعاً وتعليلاً وتجريحاً، حتى تمكنت إلى حد كبير بفضل الله ورحمته أيضاً أن أعرف الحديث الصحيح من الضعيف من الموضوع، من دراستى لهذا العلم.

على ذلك طبقت هذه الدراسة على بعض الأحاديث التى جاءت فى صحيح البخارى فوجدت نتيجة هذه الدراسة أن هناك بعض الأحاديث التى تعتبر بمرتبة الحسن فضلاً عن مرتبة الصحة فى صحيح البخارى، فضلاً عن صحيح مسلم.

هذا جوابى عما يتعلق بى أنا.. أما عما يتعلق بغيرى مما جاء فى سؤالك وهو هل سبقك أحد، فأقول والحمد لله سبقت من ناس كثيرين هم أقعد منى وأعرف منى بهذا العلم الشريف وقدامى جداً بنحو ألف سنة.

فالإمام الدارقطنى وغيره قد انتقدوا الصحيحين فى عشرات الأحاديث.. أما أنا فلم يبلغ بى الأمر أن أنتقد عشرة أحاديث. ذلك لأننى وجدت فى عصر لا يمكننى من أن أتفرغ لنقد أحاديث البخارى ثم أحاديث مسلم.. ذلك لاننا نحن بحاجة أكبر إلى تتبع الأحاديث التى وجدت فى السنن الأربعة فضلاً عن المسانيد والمعاجم ونحو ذلك لئيبين صحتها من ضعفها. بينما الإمام البخارى والإمام مسلم قد قاما بواجب تنقية هذه الأحاديث التى أو دعوها فى الصحيحين من مئات الالوف من الأحاديث.

هذا جهد عظيم جداً.. ولذلك فليس من العلم وليس من الحكمة فى شئ أن أتوجه أنا إلى نقد الصحيحين (...). وأدع الأحاديث الموجودة فى السنن الأربعة وغيرها، غير معروف صحيحها من ضعيفها.

لكن فى أثناء البحث العلمى تمر معى بعض الأحاديث فى الصحيحين أو فى أحدهما، فينكشف لى أن هناك بعض الأحاديث الضعيفة. لكن من كان فى ريب من ما أحكم أنا على بعض الأحاديث فليعد إلى فتح البارى فسيجد هناك أشياء كثيرة وكثيرة جداً ينتقدها الحافظ أحمد ابن حجر العسقلانى الذى يسمى بحق أمير المؤمنين فى الحديث، والذى أعتقد أنا وأظن أن كل من كان مشاركاً فى هذا العلم يوافقنى على أنه لم تلد النساء بعده مثله.

هذا الإمام أحمد ابن حجر العسقلانى يبين فى أثناء شرحه أخطاء كثيرة فى أحاديث البخارى، بوجه ما كان ليس فى أحاديث مسلم فقط بل وما جاء فى بعض السنن وفى بعض المسانيد.

ثم نقدى الموجود فى أحاديث صحيح البخارى تارة يكون للحديث كله.. أى يقال هذا حديث ضعيف وتارة يكون نقداً لجزء من حديث، أصل الحديث صحيح، لكن يكون جزء منه غير صحيح.

من النوع الأول مثلاً حديث ابن عباس قال: تزوج أو نكح رسول الله (ص) ميمونه وهو محرم.

هذا حديث ليس من الأحاديث التى تفرد بها البخارى دون صاحبه مسلم، بل اشتركا واتفقا على رواية الحديث فى صحيحيهما.

والسبب فى ذلك أن السند إلى راوى هذا الحديث وهو عبدالله بن عباس لا غبار عليه فهو إسناد صحيح لا مجال لنقد أحد رواته، بينما هناك أحاديث أخرى هناك مجال لنقدها من فرد من أفراد رواته.

مثلاً من رجال البخارى اسمه: فليح بن سليمان، هذا يصفه ابن حجر فى كتابه التقریب أنه صدوق سى الحفظ. فهذا إذا روى حديثاً فى صحيح البخارى وتفرد به ولم يكن له متابع أو لم يكن لحديثه شاهد، يبقى حديثه فى مرتبة الضعيف الذى يقبل التقوية بمتابع أو مشاهد. فحديث ابن عباس أن رسول الله (ص) تزوجها وهو محرم لا مجال لنقد إسناده من حيث فرد من رواته كفليح بن سليمان مثلاً..

لا.. كلهم ثقات. لذلك لم يجد الناقدون لهذا الحديث من العلماء الذين سبقونا بقرون لم يجدوا مجالاً لنقد هذا الحديث إلا فى رواية

الأول وهو صحابي جليل فقالوا إن الوهم جاء من ابن عباس، ذلك لأنه كان صغير السن من جهة، ومن جهة أخرى أنه خالف في روايته لصاحبه القصة أي زوجة النبي (ص) التي هي ميمونة، فقد صح عنها أنه عليه السلام تزوجها وهما محلان.

إذاً هذا حديث وهم فيه راويه الأول وهو ابن عباس فكان الحديث ضعيفاً، وهو كما ترون كلمات محدودات (تزوج ميمونة وهو محرم) أربع كلمات.. مثل هذا الحديث وقد يكون أطول منه له أمثلة أخرى في صحيح البخارى.

النوع الثاني، يكون الحديث أصله صحيحاً لكن أحد رواته أخطأ من حيث أنه أدرج في متنه جملة ليست من حديث النبي (ص).. من ذلك الحديث المعروف في صحيح البخارى أن النبي (ص) قال: إن أمتي يأتون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء. إلى هنا الحديث صحيح وله شواهد كثيرة زاد أحد الرواة في صحيح البخارى: فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل. قال الحافظ ابن حجر العسقلاني، وقال ابن قيم الجوزية، وقال شيخه ابن تيمية، وقال الحافظ المنذرى وعلماء آخرون: هذه الزيادة مدرجة ليست من كلام الرسول عليه السلام... وإنما هو من كلام أبي هريرة.

إذاً الجواب تم حتى الآن عن الشرط الأول.. أى انتقدت بعض الأحاديث وسبقت من أئمة كثيرين.

أما أنتى ألفت أو ألف غيرى فأنا ما ألفت، أما غيرى فقد ألفوا لكن لا نعرف اليوم كتاباً بهذا الصدد. هذا جواب ما سألت...

الآن ندخل بتصحيح البخارى وندع تضعيف مسلم، وقد تكون المسألة بالعكس حديث ضعفه البخارى وصححه مسلم وهذا يقع كثيراً.. الذى ليس عنده مرجح آخر لا شك أنه يطمئن لقول البخارى، سواء كان صحيحاً أو تضعيفاً أو كان توثيقاً أو كان تجريحاً فيقدم قوله على قول من دونه كمسلم مثلاً على شهرته بعلمه، فضلاً عما إذا خالف البخارى بعض المتأخرين كالدارقطنى أو ابن حبان أو غيرهما. هذا من المرجحات بلا شك. الآن نأتى إلى مثال عرف في العصر الحاضر قيمته وهو: التخصص فى العلم...

تعرفون اليوم مثلاً- العلم علم الطب وأنواعه وأقسامه، هناك مثلاً طب عام وهناك طب خاص. رجل يشكو من ألم فى فمه أو فى عينه أو فى أذنه لا يذهب إلى الطبيب العام بل إلى المختص. وهذا مثال واضح جداً. رجل يريد أن يعرف الحكم هل هو حلال أو حرام ما يسأل اللغوى ولا يسأل الطبيب ولا عدداً الامثلة كلها. وإنما يسأل عالماً بالشرع. وأنا أعنى التعميم الآن يسأل عالماً بالشرع، لكن العلماء بالشرع ينقسمون إلى أقسام: علماء بما يسمى اليوم بالفقه المقارن فيقول لك قال فلان كذا وقال فلان كذا وقال فلان كذا فيجعلك فى حيرة، على كل حال سؤالك إياه أقرب من المنطق بنسبة لا حدود لها من أن تسأل من كان عالماً أو متخصصاً باللغوة العربية. لكن إذا كنت تعلم أن هناك رجلاً آخر عالماً بالشرع لكنه يفتى على الراجح من أقوال العلماء بناء على الدليل من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة السلف، لا شك أنك تطمئن لهذا أكثر من الأول. وهكذا.

الآن ندخل فى ما نحن بصدد. الآن كما قلت اختلفت الأقوال وبعضهم يرد على بعض. الشئ الذى ينبغى أن يلاحظه طالب العلم هو هذا التسلسل المنطقى، وأنا لا أريد لنفسى وإن كان هذا يتعلق بى تماماً، لكن هذا مثل للقاعدة العلمية التى ينبغى للعالم - عفواً لطالب العلم - أن ينطلق منها.

عندنا مثلاً الآن مشكلة تتعلق بالعقيدة.. عندنا الشيخ عبدالعزيز بن باز حفظه الله، وعندنا هذا الرجل الذى ابتلى الشعب الأردنى بجهله وبقلة أدبه مع علماء السلف فضلاً عن الخلف، يقول مثلاً عن الشيخ ابن باز بأنه: لا علم عنده بالتوحيد.

أنا أتعجب من هؤلاء الشباب الذين التفوا حوله متى عرف هذا الرجل بالعلم حتى يعتمد عليه والشيخ ابن باز يملا- علمه العالم الإسلامى.

إذاً هنا أحد شيئين إما الجهل أو اتباع الهوى. فهؤلاء الذين يلتفون حول هذا الرجل. هذا الرجل ابن اليوم فى العلم، ما أحد عرفه ولا أحد شهد له لا من العلماء المهتدين، ولا من العلماء الضالين، ما أحد شهد له بأنه رجل عالم. فلماذا يلتف حوله هؤلاء الشباب أحد شيئين: إما أنهم لا- يعلمون هذا التدقيق الذى نحن نتسلسل فيه من الصحابة إلى اليوم.. صحبايان مختلفا، رجل من الأولين السابقين وآخرون اتبعهم بإحسان بالفتح وغيره ممن تأخروا بالإسلام، هؤلاء أهل علم وهؤلاء أهل علم.. لكن هؤلاء من السابقين الأولين. فهنا

نفس القضية تمشى تماماً.. رجلا ن أحدهما بلغ من السن ما شاء الله وهو عالم وينشر العلم ويعترف بعلمه وفضله.. وآخر لا قيمة له ولا يعترف بعلمه وليس له منزلة علمية إطلاقاً فى بلده فضلاً عن بلاد أخرى.

إذاً من هنا يأخذ الإنسان منهج ممن يتلقى العلم، أمن هذا الحدث أو من ذاك الرجل الفاضل الذى ملا بعلمه الدنيا. نأتى الان إلى صلب سؤالك.. والله اختلفت الأقوال الآن بعضهم يرد على بعض.. وأنا أقول إخواننا طلبه العلم مع الأسف الشديد ينطبق عليهم ما ينطبق على هؤلاء المغشوشين مثل السقاف.. تركوا العلماء قديماً وحديثاً والتفوا حوله وهو ابن اليوم لا أقول فى العلم.. فى طلب العلم، وربما لا يصدق عليه ذلك!!

اهل البيت ينفون أحاديث الرؤية والتشبه

روى المجلسى فى بحار الأنوار: ٤/٣٨:

١٥ - يد: أبى عن محمد العطار عن ابن عيسى عن الزنطى عن الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما أسرى بى إلى السماء بلغ بى جبرئيل عليه السلام مكاناً لم يطأه جبرئيل قط، فكشف لى فأرانى الله عز وجل من نور عظمتة ما أحب. وروى الكلينى فى الكافى: ١/٩٥ باب فى إبطال الرؤية:

١ - محمد بن أبى عبد الله عن على بن أبى القاسم عن يعقوب بن إسحاق قال: كتبت إلى أبى محمد عليه السلام أسأله: كيف يعبد العبد ربه وهو لا- يراه؟ فوقع عليه السلام: يا أبا يوسف جل سيدى ومولاي والمنعم على وعلى آبائى أن يرى. قال وسألته: هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه؟ فوقع عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى أرى رسوله بقلبه من نور عظمتة ما أحب. انتهى. ورواه المجلسى فى بحار الأنوار: ٤/٤٣ وروى الكلينى فى الكافى: ١/٩٥:

٢ - أحمد بن إدريس عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان بن يحيى قال: سألتى أبو قره المحدث أن أدخله على أبى الحسن الرضا عليه السلام فاستأذنته فى ذلك فأذن لى، فدخل عليه فسأله عن الحلال والحرام والأحكام حتى بلغ سؤاله إلى التوحيد، فقال أبو قره: إنا روينا أن الله قسم الرؤية والكلام بين نبيين فقسم الكلام لموسى ولمحمد الرؤية. فقال أبو الحسن عليه السلام: فمن المبلغ عن الله إلى الثقلين من الجن والإنس: لا تدركه الأبصار ولا يحيطون به علماً وليس كمثل شئ أليس محمد! قال: بلى. قال: كيف يجرى رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنه جاء من عند الله وأنه يدعوهم إلى الله بأمر الله فيقول: لا تدركه الأبصار، ولا يحيطون به علماً، وليس كمثل شئ، ثم يقول أنا رأيت به عيني وأحطت به علماً وهو على صورة البشر! أما تستحيون! ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون يأتى من عند الله بشئ ثم يأتى بخلافه من وجه آخر! قال أبو قره: فإنه يقول: ولقد رآه نزلة أخرى.

فقال أبو الحسن عليه السلام: إن بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى حيث قال: ما كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، يقول: ما كذب فؤاد محمد ما رأت عيناه، ثم أخبر بما رأى فقال: لقد رأى من آيات ربه الكبرى، فأيات الله غير الله، وقد قال الله: ولا يحيطون به علماً، فإذا رآته الابصار فقد أحاطت به العلم ووقعت المعرفة!

فقال أبو قره: فتكذب بالروايات!

فقال أبو الحسن عليه السلام: إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبتها. وما أجمع المسلمون عليه أنه لا يحاط به علماً، ولا تدركه الأبصار، وليس كمثل شئ. انتهى.

وقال فى هامشه: أعلم أن الأمة اختلفوا فى رؤية الله سبحانه وتعالى عن ذلك على أقوال: فذهب المشبهه والكرامية إلى جواز رؤيته تعالى فى الدارين فى الجهه والمكان لكونه تعالى عندهم جسماً! وذهب الأشاعرة إلى جواز رؤيته تعالى فى الآخرة منزهاً عن المقابلة

والجهة والمكان. وذهب المعتزلة والإمامية إلى امتناعها في الدنيا والآخرة، وقد دلت الآيات الكريمة والبراهين العقلية والأخبار المتواترة عن أهل بيت الرسول صلوات الله عليهم على امتناعها مطلقاً كما ستعرف، وقد أفرد العلامة المجاهد السيد عبدالحسين شرف الدين العاملي قدس سره كتاباً أسماه: كلمة حول الرؤية فجاء - شكر الله سعيه - وافياً كما يهواه الحق ويرتضيه الإنصاف ونحن نذكر منه بعض الأدلة العقلية:

منها: أن كل من استضاء بنور العقل يعلم أن الرؤية البصرية لا يمكن وقوعها ولا تصورهما إلا أن يكون المرئي في جهة ومكان ومسافة خاصة بينه وبين رائيه، ولا بد أن يكون مقابلاً لعين الرائي، وكل ذلك ممتنع على الله تعالى مستحيل بإجماع أهل التنزيه من الأشاعرة وغيرهم.

ومنها: أن الرؤية التي يقول الأشاعرة بإمكانها ووقوعها، إما أن تقع على الله كله فيكون مركباً محدوداً متناهيًا محصوراً يشغل فراغ الناحية المرئي فيها فتخلو منه بقية النواحي، وإما أن تقع على بعضه فيكون مبعوضاً مركباً متحيزاً، وكل ذلك مما يمنعه ويبرأ منه أهل التنزيه من الأشاعرة وغيرهم.

ومنها: أن كل مرئي بجارحة العين مشار إليه بحدقتها، وأهل التنزيه من الأشاعرة وغيرهم ينزهون الله تعالى عن أن يشار إليه بحدقه، كما ينزهونه عن الإشارة إليه بإصبع أو غيرها.

ومنها: أن الرؤية بالعين الباصرة لا تكون في حيز الممكنات ما لم تتصل أشعة البصر بالمرئي، ومنزهوا الله تعالى من الأشاعرة وغيرهم مجمعون على امتناع اتصال شيء ما بذاته جل وعلا.

ومنها: أن الإستقراء يشهد أن كل متصور لابد أن يكون إما محسوساً أو متخيلاً، من أشياء محسوسة أو قائماً في نفس المتصور بفطرته التي فطر عليها، فالأول كالأجرام وألوانها المحسوسة بالبصر وكالحلاوة والمرارة ونحوهما من المحسوسة بالذائقة، والثاني كقول القائل: أعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد، ونحوه مما تدركه المخيلة مركباً من عدة أشياء أدركه البصر. والثالث: كالالم واللذة والراحة والعناء والسرور والحزن ونحوها مما يدركه الإنسان من نفسه بفطرته، وحيث أن الله سبحانه متعال عن هذا كله لم يكن تصوره ممكناً. انتهى. وروى النيسابوري في روضة الواعظين ٣٣/ حديث أبي قره المتقدم. ورواه المجلسي في بحار الأنوار: ٤/٣٦ وقال في ٣٧/ قوله تعالى: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، يحتمل كون ضمير الفاعل في رأى راجعاً إلى النبي صلى الله عليه وآله وإلى الفؤاد.

قال البيضاوي: ما كذب الفؤاد ما رأى ببصره من صورة جبرئيل، أو ما كذب الفؤاد ببصره بما حكاه له، فإن الأمور القدسية تدرك أولاً بالقلب ثم تنتقل منه إلى البصر، أو ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك، ولو قال ذلك كان كاذباً لأنه عرفه بقلبه كما رآه ببصره، أو ما رآه بقلبه. والمعنى لم يكن تخيلاً كاذباً، ويدل عليه أنه سئل عليه السلام هل رأيت ربك فقال: رأيت به فؤادي، وقرأ: ما كذب أى صدقه ولم يشك فيه. أفتمارونه على ما يرى أفتجادلونه عليه، من المرء وهو المجادلة. انتهى.

قوله تعالى: وَلَقَدْ رَأَهُ نَزَلَةً أُخْرَى، قال الرازي: يحتمل الكلام وجوهاً ثلاثة: الأول الرب تعالى والثاني جبرئيل عليه السلام والثالث الآيات العجيبة الإلهية. انتهى. أى ولقد رآه نازلاً نزلت أخرى فيحتمل نزوله صلى الله عليه وآله ونزول مرثية. فإذا عرفت احتمالات تلك الآيات عرفت سخافة استدلالهم بها على جواز الرؤية ووقوعها بوجوه:

الأول: أنه يحتمل أن يكون المرئي جبرئيل، إذ المرئي غير مذكور في اللفظ، وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذا الوجه في الخبر السابق. وروى مسلم في صحيحه بإسناده عن زرعة عن عبد الله: ما كذب الفؤاد ما رأى قال: رأى جبرئيل عليه السلام له ستمائة جناح. وروى أيضاً بإسناده عن أبي هريرة: ولقد رآه نزلت أخرى قال: رأى جبرئيل عليه السلام بصورته التي له في الخلقه الأصلية. الثاني: ما ذكره عليه السلام في هذا الخبر، وهو قريب من الأول لكنه أعم منه.

الثالث: أن يكون ضمير الرؤية راجعاً إلى الفؤاد، فعلى تقدير إرجاع الضمير إلى الله تعالى أيضاً لافساد فيه.

الرابع: أن يكون على تقدير إرجاع الضمير إليه عليه السلام وكون المرئي هو الله تعالى والمراد بالرؤية غاية مرتبة المعرفة ونهاية

الانكشاف.

وأما استدلاله عليه السلام بقوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، فهو إما لأن الرؤية تستلزم الجهة والمكان وكونه جسماً أو جسمانياً، أو لأن الصورة التي تحصل منه في المدركة تشبهه.

قوله عليه السلام: حيث قال، أى أولاً قبل هذه الآية، وإنما ذكر عليه السلام ذلك لبيان أن المرئى قبل هذه الآية غير مفسر أيضاً، بل إنما يفسره ما سيأتى بعدها.

قوله عليه السلام: وما أجمع المسلمون عليه، أى اتفق المسلمون على حقيقته مدلول ما فى الكتاب مجملاً. والحاصل أن الكتاب قطعى السند متفق عليه بين جميع الفرق فلا تعارضه الأخبار المختلفة المتخالفه التى تفردت بروايتها.

ثم اعلم أنه عليه السلام أشار فى هذا الخبر إلى دقيقته غفل عنها الأكثر وهى أن الأشاعرة وافقونا فى أن كنهه تعالى يستحيل أن يتمثل فى قوة عقلية، حتى أن المحقق الدوانى نسبه إلى الأشاعرة موهماً اتفاقهم عليه وجوزوا ارتسامه وتمثله فى قوة جسمانية، وتجويز إدراك القوة الجسمانية لها دون العقلية بعيد عن العقل مستغرب، فأشار عليه السلام إلى أن كل ما ينفى العلم بكنهه تعالى من السمع ينفى الرؤية أيضاً، فإن الكلام ليس فى رؤية عرض من أعراضه تعالى، بل فى رؤية ذاته وهو نوع من العلم بكنهه تعالى.

الامام الكاظم والإمام الرضا يكشفان تحريف حديث النزول

قال الصدوق فى كتابه التوحيد/١٨٣:

١٨ - حدثنا على بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق قدس سره قال: حدثنا محمد بن أبى عبدالله الكوفى قال: حدثنا محمد بن إسماعيل البرمكى، عن على بن العباس عن الحسن بن راشد، عن يعقوب بن جعفر الجعفرى، عن أبى إبراهيم موسى بن جعفر (عليهما السلام) قال: ذكر عنده قوم يزعمون أن الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا فقال: إن الله تبارك وتعالى لا ينزل ولا يحتاج إلى أن ينزل، إنما منظره فى القرب والبعد سواء، لم يبعد منه قريب ولم يقرب منه بعيد، ولم يحتج بل يحتاج إليه، وهو ذو الطول لا إله إلا هو العزيز الحكيم. أما قول الواصفين: إنه تبارك وتعالى ينزل وإنما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أو زيادة، وكل متحرك محتاج إلى من يحركه أو يتحرك به، فظن بالله الظنون فهلك، فاحذروا فى صفاته من أن تقفوا له على حد فتحده بنقص أو زيادة أو تحرك أو زوال أو نهوض أو قعود، فإن الله جل عن صفة الواصفين ونعت الناعتين وتوهم المتوهمين.

وقال الصدوق فى كتابه التوحيد/١٧٦:

٧ - حدثنا على بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق (رض) قال: حدثنا محمد بن هارون الصوفى قال: حدثنا عبيد الله بن موسى أبو تراب الرويانى، عن عبدالعظيم بن عبد الله الحسنى، عن إبراهيم بن أبى محمود قال قلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله ما تقول فى الحديث الذى يرويه الناس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: إن الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا؟ فقال عليه السلام: لعن الله المحرفين الكلم عن مواضعه، والله ما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) كذلك، إنما قال صلى الله عليه وآله: إن الله تبارك وتعالى يُنزل ملكاً إلى السماء الدنيا كل ليلة فى الثلث الاخير وليلة الجمعة فى أول الليل فيأمره فينادى: هل من سائل فأعطيه، هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له، يا طالب الخير أقبل، يا طالب الشر أقصر، فلا يزال ينادى بهذا حتى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر عاد إلى محله من ملكوت السماء. حدثنى بذلك أبى عن جدى عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

مذاهب السنيين فى الألوهية والتوحيد

كيف نشأت هذه المذاهب؟

عندما قبل إخواننا السنة أحاديث الرؤية والتشبيه، تورطوا فيها، وانقسموا في تفسيرها منذ القرن الأول إلى أربعة مذاهب وأكثر، وقد ولدت هذه المذاهب العقائدية قبل أن تتكون مذاهبهم الفقهية بمدّة طويلة، بقيت حاكمة على أئمة المذاهب الأربعة وأتباعهم إلى يومنا هذا!

المذهب الأول: مذهب المتأولين الذين يوافقون مذهب أهل البيت عليهم السلام تقريباً، ويدافعون عن تنزيه الله تعالى ويجعلون الأساس الآيات المحكمة في التوحيد مثل قوله تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) و (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) ويقولون بتأويل كل نص يظهر منه التشبيه أو الرؤية بالعين، لينسجم مع حكم العقل وبقية الآيات والأحاديث.

المذهب الثاني: مذهب التفويض وتحريم التأويل، ومعناه تجميد تفسير آيات الصفات وأحاديثها، وتفويضها إلى الله تعالى، وتحريم الكلام في معانيها مطلقاً. وهو مذهب عدد من قدامى رواة الأحاديث، وقليل من المتأخرين.

المذهب الثالث: مذهب تحريم التأويل ووجوب تفسير آيات الصفات وأحاديثها بمعناها الظاهري الحسي، والقول بأن الله تعالى يداً ووجهاً ورجلاً وجنباً بالمعنى اللغوي المعروف، غاية الأمر أنهم لا يقولون إن شكل ذلك مثل جوارح الإنسان، وهو مذهب اليهود وكعب الأحرار ومن وافقهم من الصحابة، وهو المجسمة من الحنابلة، الذي تعصب له ابن تيمية والذهبي والوهابيون، وادعوا أنه مذهب السلف وأهل السنة.

المذهب الرابع: مذهب المنتقلين بين المذاهب، والمذبذبين، والمتحيرين، وهم أنواع ثلاثة.

والظاهر أن لقب (المتأولة) الذي يطلقه السنة على الشيعة في بلاد الشام وفلسطين ومصر، جاء من هؤلاء المجسمة الذين كانوا يكفرون الشيعة وغيرهم، لانهم يقولون بتأويل أحاديث الصفات.. ومع أن التأويل موجود عند إخواننا السنة بل أكثرهم (متأولة) إلا أن نبز هذا اللقب وَسَبَّتَهُ بقيت من نصيب شيعة أهل البيت المظلومين، وبقيت كلمة (مِثْوَالِي) بكسر الميم في ذهن كثير من عوام السنة أسوأ من كلمة كافر!

ونكتفي هنا بالاشارة إلى هذه المذاهب، وبما كتبناه في (الوهابية والتوحيد)

نعم لا بد من ذكر شيء عن أصحاب المذهب الرابع:

المذهب الرابع: مذهب المنتقلين بين المذاهب والمذبذبين والمتحيرين

الانتقال من مذهب فقهي إلى مذهب آخر أمر طبيعي يكثر حدوثه في المسلمين، وكذا الانتقال من مذهب عقائدي إلى مذهب آخر. ونلاحظ في مسألتنا أن المنتقلين من مذهب عقائدي إلى مذهب آخر كثيرون. كما نلاحظ ظاهرة ثانية عند بعضهم هي الجمع بين التأويل والتفويض فترى أحدهم متأولاً- تارة مفوضاً أخرى. والظاهر أن ذلك كان أمراً شائعاً ومقبولاً عند القدماء، لأنهم يجوزون الأمرين.

ولكن تبقى ظاهرة التناقض بين التأويل والتفويض والحمل على الظاهر عند أصحاب الظاهر، أمراً لا يقبل الحل، لأنهم حرموا التأويل والتفويض وهاجموا الآخرين بسببه بل كفروهم، ثم ارتكبوا ما حرموه. وفيما يلي نماذج من التهافت عند أهل هذه المذاهب، فبدؤها بما ذكره ابن تيمية عن تهافت آراء ابن فورك، في حين نسي هو تهافت آرائه، قال ابن تيمية في تفسيره: ٦/١٠٨:

فصل. أقوال الفرق في صفات الله تعالى... هذا مع أن ابن فورك هو ممن يثبت الصفات الخبرية كالوجه واليدين وكذلك المجى والإتيان موافقة لأبي الحسن فإن هذا قوله وقول متقدمي أصحابه، فقال ابن فورك فيما صنف في أصول الدين: فإن سألت الجهمية عن الدلالة على أن القديم سميع بصير؟ قيل لهم: قد اتفقنا على أنه من تستحيل عليه الآفات والحي إذا لم يكن مأوفاً بآفات تمنعه من إدراك المسموعات والمبصرات كان سمياً بصيراً.

وإن سألت فقلت: أين هو؟ فجوأبنا إنه في السماء كما أخبر في التنزيل عن نفسه بذلك، فقال عز من قائل: أأمنتم من في السماء،

وإشارة المسلمين بأيديهم عند الدعاء في رفعها إليه، وإنك لو سألت صغيرهم وكبيرهم فقلت: أين الله؟ لقالوا إنه في السماء، ولم ينكروا بلفظ السؤال بـ (أين) لأن النبي (ص) سأل الجارية التي عرضت للعتق فقال: أين الله؟ فقالت في السماء مشيرةً بها. فقال النبي (ص): إعتقها فإنها مؤمنة، ولو كان ذلك قولاً منكراً لم يحكم بإيمانها ولا نكره عليها، ومعنى ذلك أنه فوق السماء لأن (في) بمعنى (فوق) قال الله تعالى: فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَي فَوْقَهَا.

قال ابن فورك: وإن سألت كيف هو؟ قلنا له: كيف سؤال عن صفته وهو ذو الصفات العلى، هو العالم الذى له العلم، والقادر الذى له القدرة، والحي الذى له الحياة، الذى لم يزل منفرداً بهذه الصفات، لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شئ.

(قلت) فهذا الكلام هو موافق لما ذكره الأشعري في كتاب الإبانة ولما ذكره ابن كلاب لما حكاه عنه ابن فورك، لكن ابن كلاب يقول إن العلو والمباينة من الصفات العقلية، وأما هؤلاء فيقولون: كونه في السماء صفة خبرية كالمجى والإتيان، ويطلقون القول بأنه بذاته فوق العرش وذلك صفة ذاتية عندهم. والأشعري يبطل تأويل من تأول الإستواء بمعنى الإستيلاء والقهر بأنه لم يزل مستولياً على العرش وعلى كل شئ، والاستواء مختص بالعرش، فلو كان بمعنى الاستيلاء لجاز أن يقال (هو مستولياً كذا) على كل شئ وعلى الأرض وغيرها) كما يقال إنه مستول عليها، ولما اتفق المسلمون على أن الإستواء مختص بالعرش، فهذا الإستواء الخاص ليس بمعنى الإستيلاء العام، وأين للسلطان جعل الاستواء بمعنى الغلبة والقهر وهو الإستيلاء فيشبهه والله أعلم أن يكون اجتهاده مختلفاً في هذه المسائل كما اختلف اجتهاد غيره، فأبو المعالي كان يقول بالتأويل ثم حرمه، وحكى إجماع السلف على تحريمه، وابن عقيل له أقوال مختلفة، وكذلك لأبي حامد والرازي وغيرهم.

ومما بين اختلاف كلام ابن فورك أنه في مصنف آخر قال: فإن قال قائل: أين هو فقال: ليس بذى كيفية فنخبر عنها إلا أن يقول: كيف صنعه؟ فمن صنعه أنه يعز من يشاء ويذل من يشاء وهو الصانع للأشياء كلها.

فهنا أبطل السؤال عن الكيفية، وهناك جوزه وقال: الكيفية هي الصفة وهو ذو الصفات، وكذلك السؤال عن الماهية. قال في ذلك المصنف: وإن سألت الجهمية فقلت ما هو يقال لهم (ما) يكون استفهاماً عن جنس أو صفة في ذات المستفهم، فإن أردت بذلك سؤالاً عن صفته فهو العلم والقدرة والكلام والعزة والعظمة.

سير أعلام النبلاء: ١٠/٦١٠:

أخبرنا محمد بن إسماعيل الترمذى، سمعت نعيم بن حماد يقول: من شبه الله بخلقه، فقد كفر، ومن أنكر ما وصف به نفسه، فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه.

قلت: هذا الكلام حق، نعوذ بالله من التشبيه ومن إنكار أحاديث الصفات، فما ينكر الثابت منها من فقه، وإنما بعد الإيمان بها هنا مقامان مذمومان: تأويلها وصرفها عن موضوع الخطاب، فما أولها السلف ولا حرفوا ألفاظها عن مواضعها، بل آمنوا بها، وأمروها كما جاءت.

المقام الثانى: المبالغة في إثباتها، وتصورها من جنس صفات البشر، وتشكلها في الذهن، فهذا جهل وضلال، وإنما الصفة تابعة للموصوف، فإذا كان الموصوف عز وجل لم نره، ولا أخبرنا أحد أنه عاينه مع قوله لنا في تنزيله: ليس كمثل شئ، فكيف بقى لأذهاننا مجال في إثبات كيفية البارى تعالى الله عن ذلك، فكذلك صفاته المقدسة، نقر بها ونعتقد أنها حق، ولا نمثلها أصلاً ولا نتشكلها.

وقال الذهبى في سيره: ٢٠/٨٠ - ٨٦:

التميمي الإمام العلامة الحافظ شيخ الإسلام أبو القاسم إسماعيل بن محمد... حدث عنه: أبوسعدي السمعاني وأبو العلاء الهمداني وأبو طاهر السلفي وأبو القاسم بن عساكر... قال أبو موسى المديني: أبو القاسم إسماعيل الحافظ إمام أئمة وقته وأستاذ علماء عصره وقدوة أهل السنة في زمانه، حدثنا عنه جماعة في حال حياته... قال أبو موسى: ولا أعلم أحداً عاب عليه قولاً ولا فعلاً ولا عانده أحد إلا ونصره الله... وقال السلفي: وسمعت أبا الحسين بن الطيوري غير مرة يقول: ما قدم علينا من خراسان مثل إسماعيل بن محمد.

... وقد سئل أبو القاسم التيمي قدس سره: هل يجوز أن يقال لله حد أو لا، وهل جرى هذا الخلاف في السلف؟ فأجاب: هذه مسألة أستعفى من الجواب عنها لغموضها وقله وقوفى على غرض السائل منها، لكنى أشير إلى بعض ما بلغنى: تكلم أهل الحقائق في تفسير الحد بعبارات مختلفة محصولها أن حد كل شئ موضع بينوته عن غيره، فإن كان غرض القائل: ليس لله حد لا يحيط علم الحقائق به فهو مصيب، وإن كان غرضه بذلك لا يحيط علمه تعالى بنفسه فهو ضال، أو كان غرضه أن الله بذاته في كل مكان فهو أيضاً ضال. قلت: الصواب الكف عن إطلاق ذلك إذ لم يأت فيه نص، ولو فرضنا أن المعنى صحيح فليس لنا أن نتفوه بشئ لم يأذن به الله خوفاً من أن يدخل القلب شئ من البدعة اللهم إحفظ علينا إيماننا.

وقال في هامش سير أعلام النبلاء: ١٩/٤٤٣:

وقد بين شيخ الإسلام في درء تعارض العقل والنقل ٨ - ٦٠ - ٦١ نوع الخطأ الذي وقع فيه (ابن عقيل) فقال: ولابن عقيل أنواع من الكلام، فإنه كان من أذكاء العالم كثير الفكر والنظر في كلام الناس، فتارة يسلك مسلك نفاة الصفات الخبرية وينكر على من يسميها صفات ويقول: إنما هي إضافات موافقة للمعتزلة كما فعله في كتابه ذم التشبيه وإثبات التنزيه، وغيره من كتبه، واتبعه على ذلك أبو الفرج ابن الجوزي في كف التشبيه بكف التنزيه، وفي كتابه منهاج الوصول. وتارة يثبت الصفات الخبرية ويرد على النفاة والمعتزلة بأنواع من الأدلة الواضحات، وتارة يوجب التأويل كما فعله في كتابه الواضح وغيره. وتارة يحرم التأويل ويذمه وينهى عنه كما فعله في كتابه الإلتصار لأصحاب الحديث، فيوجد في كلامه من الكلام الحسن البليغ ما هو معظم مشكور، ومن الكلام المخالف للسنة والحق ما هو مذموم ومدحور... ولابن عقيل من الكلام في ذم من خرج عن الشريعة من أهل الكلام والتصوف ما هو معروف كما قال في الفنون، ومن خطه نقلت ثم ذكر فصلاً مطولاً استوعب سبع صفحات من الكتاب فراجع.

و صار الترمذى متأولاً ذات يوم فكفره المجسمه

قال السقاف في شرح العقيدة الطحاوية/١٧٠-١٧١:

... فهذا ابن القيم يقول في كتابه الصواعق المرسله - أنظر مختصر الصواعق ٢ - ٢٧٥: وأما تأويل الترمذى وغيره له بالعلم فقال شيخنا: [١] وهو ظاهر الفساد من جنس تأويلات الجهميه... وهذا الخلال يقول في سنته/٢٣٢ ناقلاً: لا أعلم أحداً من أهل العلم ممن تقدم ولا في عصرنا هذا إلا وهو منكر لما أحدث الترمذى [٢] من رد حديث محمد بن فضيل عن ليث عن مجاهد في قوله: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً قال يقعه على العرش [٣] فهو عندنا جهمي يهجر ونحذر عنه.

أقول: ومن العجيب الغريب أن الالباني ينكر هذا ويقول بعدم صحته وأنه لم يثبت كما سيأتى، وكذلك محقق الكتاب وهو متمسلف معاصر ينكر ذلك أيضاً، ويحكم على هذا الاثر بالضعف حيث يقول في هامش تلك الصحيفة تعليق رقم ١٩: إسناده ضعيف! فهل هؤلاء جهميّة! وما هذا الخلاف الواقع بين هؤلاء في أصول اعتقادهم!

ومن الغريب العجيب أيضاً أنهم اعتبروا أن نفى قعود سيدنا محمد(ص) بجنب الله نافياً ودافعاً لفضيلة من فضائل النبي(ص)، والدليل على ما قلناه قول الخلال هناك/٢٣٧:

(وقال أبو علي إسماعيل بن إبراهيم الهاشمي (وهو مجهول بنظر المحقق): إن هذا المعروف بالترمذى عندنا مبتدع جهمي، ومن رد حديث مجاهد فقد دفع فضل رسول الله(ص)، ومن رد فضيلة الرسول(ص) فهو عندنا كافر مرتد عن الإسلام)!

وقال/٢٣٤ ناقلاً (وأنا أشهد على هذا الترمذى أنه جهمي خبيث)!!

[١] يعنى بشيخه: ابن تيمية كما لا ينتطح في ذلك كبشان.

[٢] مع أن التأويل والتفويض لم يحدثه ولم يخترعه الترمذى قدس سره. ومن الغريب العجيب أيضاً أن محقق سنة الخلال عطية

الزهراني - حاول أن ينفي أن كون الترمذى المراد هنا هو الإمام المعروف صاحب السنن فقال/٢٢٤ في الهامش تعليق رقم ٤ هو جهم بن صفوان ثم تراجع عن ذلك/٢٣٢ فقال في الهامش التعليق رقم ٨ (كنت أظنه جهم ولكن اتضح من الروايات أن يقصد رجلاً آخر لم أتوصل إلى معرفته) فيا للعجب!!.

[٣] وهذا القعود الذي يتحدثون عنه هو قعود سيدنا محمد(ص) بجنب الله تعالى على العرش! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً والدليل عليه قول الخلال هناك/٢٤٤: حدثنا أبو معمر ثنا أبو الهذيل عن محمد بن فضيل عن ليث عن مجاهد: قال: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، قال: يجلسه معه على العرش، قال عبد الله: سمعت هذا الحديث من جماعة وما رأيت أحداً من المحدثين ينكره، وكان عندنا في وقت ما سمعناه من المشائخ أن هذا الحديث إنما تنكره الجهمية.

و دافع رشيد رضا عن أكثر الحنابلة وجعلهم متأولة

قال في تفسير المنار: ١٩٨/٣-١٩٩:

... الصفات التي هي في الحوادث انفعالات نفسية كالمحبة والرحمة والرضا والغضب والكراهة، فالسلف يقرونها على ظاهرها مع تنزيه الله تعالى عن انفعالات المخلوقين، فيقولون إن الله تعالى محبة تليق بشأنه ليست انفعالاتاً نفسياً كمحبة الناس. والخلف يؤولون ما ورد من النصوص في ذلك فيرجعونه إلى القدرة أو إلى الإرادة فيقولون الرحمة هي الإحسان بالفعل أو إرادة الإحسان. ومنهم من لا يسمى هذا تأويلاً بل يقولون إن الرحمة تدل على الإنفعال الذي هو رقة القلب المخصوصة على الفعل الذي يترتب على ذلك الإنفعال، وقالوا إن هذه الألفاظ إذا أطلقت على البارئ تعالى يراد بها غايتها التي هي أفعال دون مبادئها التي هي انفعالات. وإنما يردون هذه الصفات إلى القدرة والإرادة بناء على أن إطلاق لفظ القدرة والإرادة وكذا العلم على صفات الله إطلاق حقيقي لا مجازي.

والحق أن جميع ما أطلق على الله تعالى فهو منقول مما أطلق على البشر، ولما كان العقل والنقل متفقين على تنزيه الله تعالى عن مشابهة البشر، تعين أن نجمع بين النصوص فنقول إن الله تعالى قدرة حقيقية ولكنها ليست كقدرة البشر، وإن له رحمة ليست كرحمة البشر، وهكذا نقول في جميع ما أطلق عليه تعالى جمعاً بين النصوص، ولا ندعى أن إطلاق بعضها حقيقي وإطلاق البعض الآخر مجازي، فكما أن القدرة شأن من شؤونه لا يعرف كنهه ولا يجهل أثره كذلك الرحمة شأن من شؤونه لا يعرف كنهه ولا يخفى أثره، وهذا هو مذهب السلف فهم لا يقولون إن هذه الألفاظ لا يفهم لها معنى بالمره، ولا يقولون إنها على ظاهرها بمعنى أن رحمة الله كرحمة الإنسان ويده كيده وإن ظن ذلك في الحنابلة بعض الجاهلين.

ومحققوا الصوفية لا يفرقون بين صفات الله تعالى ولا يجعلون بعضها محكماً لإطلاق اللفظ عليه حقيقي، وبعضها متشابهاً لإطلاقه عليه مجازي، بل كل ما أطلق عليه تعالى فهو مجاز.

ثم تبنى رشيد رضا رأي الغزالي مع أنه كاد أن يكفر الحنابلة

للغزالي رسالة إسمها (إلجام العوام عن علم الكلام) حرم فيها على العوام حتى السؤال عن معنى أحاديث الرؤية والتجسيم، وقد تبنها الشيخ رشيد رضا ونقلها كلها في تفسيره قال في: ٢٠٧/٣-٢٠٨:

وللإمام الغزالي تفصيل في كيفية الإستعمال وتحقيق في هذا البحث قاله بعد الرجوع إلى مذهب السلف (!) فنقله هنا من كتابه (إلجام العوام عن علم الكلام) وهو: الباب الأول في شرح اعتقاد السلف في هذه الأخبار:

إعلم أن الحق الصريح الذي لأمرأ فيه عند أهل البصائر هو مذهب السلف أعنى مذهب الصحابة والتابعين، وما أنا أورد بيانه وبيان برهانه فأقول: حقيقة مذهب السلف - وهو الحق عندنا - أن كل من بلغه حديث من هذه الأحاديث من عوام الخلق يجب عليه فيه سبعة

أمور: التقديس، ثم التصديق، ثم الإعتراف بالعجز، ثم السكوت، ثم الإمساك، ثم الكف، ثم التسليم لأهل المعرفة. أما التقديس فأعنى به تنزيه الرب تعالى عن الجسمية وتوابعها.

وأما التصديق فهو الإيمان بما قاله (ص)، وأن ما ذكره حق وهو فيما قاله صادق، وأنه حق على الوجه الذى قاله وأراده.

وأما الإعتراف بالعجز، فهو أن يقر بأن معرفه مراده ليست على قدر طاقته، وأن ذلك ليس من شأنه وحرفته.

وأما السكوت فأن لا يسأل عن معناه ولا يخوض فيه ويعلم أن سؤاله عنه بدعه، وأنه فى خوضه فيه مخاطر دينه، وأنه يوشك أن يكفر لو خاض فيه من حيث لا يشعر.

وأما الإمساك فأن لا نتصرف فى تلك الالفاظ بالتصريف والتبديل بلغة أخرى والزيادة فيه والنقصان منها والجمع والتفريق، بل لا ينطق إلا بذلك اللفظ وعلى ذلك الوجه من الإيراد والإعراب والتصريف والصيغ.

وأما الكف فأن يكف باطنه عن البحث عنه والتفكر فيه.

وأما التسليم لأهله فأن لا- يعتقد أن ذلك إن خفى عليه لعجزه فقد خفى على رسول الله (ص) أو على الأنبياء أو على الصديقين والأولياء.

فهذه سبع وظائف اعتقد كافة السلف وجوبها على كل العوام، لا ينبغي أن يظن بالسلف الخلاف فى شئ منها، فلنشرحها وظيفه وظيفه إن شاء الله تعالى... انتهى.

ومع أن الغزالي أنزل بالعوام هذه الفتاوى الشديدة منعاً لهم من تكذيب روايات السلف وأشاد بالسلف مدعياً أن ما يقوله هو مذهبهم، لكنه قدم تأويلاً لها مخالفاً للحنابلة والسلف وهاجم اتجاههم فى تحريم التأويل والميل إلى التشبيه حتى جعل منهم عبدة أصنام! قال فى ٢٠٩:

الوظيفة الأولى التقديس ومعناه: أنه إذا سمع اليد والأصبع وقوله (ص): إن الله خمر طينه آدم بيده وإن قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن فينبغى أن يعلم أن اليد تطلق لمعنيين: أحدهما هو الوضع الأصلي وهو عضو مركب من لحم وعظم وعصب، واللحم والعظم والعصب جسم مخصوص وصفات مخصوصة، أعنى بالجسم عبارة عن مقدار له طول وعرض وعمق يمنع غيره من أن يوجد بحيث هو إلا- بأن يتنحى عن ذلك المكان. وقد يستعار هذا اللفظ أعنى اليد لمعنى آخر ليس ذلك المعنى بجسم أصلاً كما يقال البلدة فى يد الأمير فإن ذلك مفهوم وإن كان الأمير مقطوع اليد مثلاً.

فعلى العامى وغير العامى أن يتحقق قطعاً وبقيناً أن الرسول عليه السلام لم يرد بذلك جسماً هو عضو مركب من لحم ودم وعظم وأن ذلك فى حق الله تعالى محال وهو عنه مقدس، فإن خطر بباله أن الله جسم مركب من أعضاء فهو عابد صنم! فإن كل جسم فهو مخلوق وعبادة المخلوق كفر وعبادة الصنم كان كفراً لأنه مخلوق وكان مخلوقاً لأنه جسم، فمن عبد جسماً فهو كافر بإجماع الأئمة، السلف منهم والخلف، سواء كان ذلك الجسم كثيفاً كالجبال الصم الصلاب أو لطيفاً كالهواء والماء، وسواء كان مظلماً كالأرض أو مشرقاً كالشمس والقمر والكواكب، أو مشفراً لالون له كالهواء، أو عظيماً كالعرش والكرسى والسماء، أو صغيراً كالذرة والهباء، أو جماداً كالحجارة، أو حيواناً كالإنسان. فالجسم صنم، فبأن يقدر حسنه وجماله أو عظمه أو صغره أو صلابته وبقاؤه لا يخرج عن كونه صنماً.

ومن نفى الجسمية عنه وعن يده وإصبعه، فقد نفى العضوية واللحم والعصب وقدس الرب جل جلاله عما يوجب الحدوث ليعتقد بعده أنه عبارة عن معنى من المعانى ليس بجسم ولا- عرض فى جسم يليق ذلك المعنى بالله تعالى، فإن كان لا يدري ذلك المعنى ولا يفهم كنه حقيقته فليس عليه فى ذلك تكليف أصلاً، فمعرفة تأويله ومعناه ليس بواجب عليه، بل واجب عليه أن لا يخوض فيه. انتهى. وبذلك وافق الغزالي ورشيد رضا مذهبنا ومذهب المتأولين، وخالف المفوضة وأهل الظاهر!

كل المجسمه من الأشاعرة والحنابلة والوهابيين الذين حرّموا التأويل، وأنكروا وجود المجاز في القرآن، وأوجبوا حمل ألفاظه وألفاظ أحاديث الصفات على معانيها الظاهرة الحقيقية، بل حتى أولئك الذين حكموا بأن المتأولة أهل ضلالة وبدعة وكفر وحذروا منهم.. كلهم يصيرون متأولة من الدرجة الأولى عندما يقعون في مأزق الآيات والأحاديث التي تخالف مذهبهم وتنفي إمكان الرؤية بالعين والتشبيه والتجسيم كقوله تعالى: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ... لا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا... لَنْ تَرَانِي.. إلخ. وهكذا نجد أن إخواننا الذين نبزونا بألفاظ (متأولة، متوالى، بنى متوال) يقومون هم بتأويل جميع الآيات والأحاديث المخالفة لمذهبهم جهاراً نهاراً وجوباً قربة إلى الله تعالى، من أجل الدفاع عن أحاديث الرؤية بالعين وظاهر الآيات المتشابهة فيها!

وهكذا يسقط منهجهم العلمى بتحريمهم التأويل فى بعض الآيات والأحاديث وتحليله فى بعضها! وكان الأولى بهم أن لا يلقوا أنفسهم فى هذا المأزق ويتأولوا الآيات التى يوهم ظاهرها الرؤية من أول الأمر من أجل الجمع المنطقى بينها وبين الآيات النافية للرؤية. وإذا سألتهم: لماذا أوجبتم الأخذ بظاهر هذه المجموعة من الآيات والأحاديث وحرمت تأويلها، وأوجبتم تأويل تلك المجموعة وحرمت الأخذ بظاهرها! فليس عندهم جواب، إلا أنهم أرادوا المحافظة على ظواهر آيات الرؤية بالعين وأحاديث الاحاد، مهما كلفهم ذلك من تناقض فى المنهج العلمى، فالمهم عندهم أن لا تتخدش روايات الرؤية بالعين عن كعب الأخبار ومن قلده من الخلفاء! قال السقاف فى شرح العقيدة الطحاوية/١٤٨:

ومن ذلك قول الحافظ ابن حجر فى الفتح ١٣-٤٣٢: فمن أجرى الكلام على ظاهره أفضى به الأمر إلى التجسيم، ومن لم يتضح له وعلم أن الله منزّه عن الذى يقتضيه ظاهرها إما أن يكذب نقلتها وإما أن يؤولها. انتهى.

وقد تبنى ابن تيمية والوهابيون هذا الحل (الشرعى) فحكموا بوجوب تصديق هذه الروايات وتحريم تأويلها حتى لو أدت إلى التجسيم، ثم هجموا على روايات التنزيه ونفى التجسيم بمعول التأويل! وقال السقاف فى شرح العقيدة الطحاوية/١٥٦-١٥٩:

وقد نقل الحافظ ابن جرير فى تفسيره ٢٧ - ٧ تأويل لفظه (أيد) الواردة فى قوله تعالى: وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ، بالقوة أيضاً عن جماعة من أئمة السلف منهم: مجاهد وقتادة ومنصور وابن زيد وسفيان... ومما يجدر التنبيه عليه هنا ولا يجوز إغفاله أن هؤلاء القوم الذين يحاربون التأويل ويزعمون أنه ضلال وبدعة وتحريف للقرآن والسنة هم أنفسهم يؤولون ما لا يوافق آراءهم من نصوص الكتاب والسنة فى مسائل الصفات! فتراهم يؤولون مثل قوله تعالى: وهو معكم وقوله تعالى: وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ، وقوله تعالى: مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ، وقوله تعالى: إِنِّى مَعَكُمْ أَسْمِعُ وَأَرَى، وقوله تعالى: وَهُوَ مَعَكُمْ، إلى غير ذلك من نصوص واضحة!

فإذا كان هذا قرآن وذاك قرآن فما الذى أوجب اعتقاد ظاهر هذا دون ظاهر ذاك وكله قرآن؟! ولماذا جوزوا تأويل ظاهر هذا دون ذلك؟!!

... روى الخلال بسنده عن حنبل عن عمه الإمام أحمد بن حنبل أنه سمعه يقول: احتجوا على يوم المناظرة فقالوا: تجئ يوم القيامة سورة البقرة... الحديث قال فقلت لهم: إنما هو الثواب. اهـ فتأمل فى هذا التأويل الصريح... نقل الحافظ البيهقى فى الأسماء والصفات/٤٧٠ عن البخارى أنه قال: معنى الضحك: الرحمة اهـ وقال الحافظ البيهقى/٢٩٨: روى الفربرى عن محمد بن إسماعيل البخارى أنه قال: معنى الضحك فيه - أى الحديث - الرحمة اهفتأمل. وقد نقل هذا التأويل أيضاً الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ٦-٤٠.

وقال التلمسانى فى نفع الطيب: ٨/٣٤:

حكاية أبى بكر بن الطيب مع رؤساء بعض المعتزلة. وذلك أنه اجتمع معه فى مجلس الخليفة فناظره فى مسألة رؤية البارى فقال

رئيسهم: ما الدليل أيها القاضي على جواز رؤية الله تعالى قال قوله تعالى: لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ، فنظر بعض المعتزلة إلى بعض وقالوا: جن القاضي! وذلك أن هذه الآية هي معظم ما احتجوا على مذهبهم وهو ساكت ثم قال لهم: أتقولون إن من لسان العرب قولك الحائط لا يبصر قالوا: لا... قال فلا يصح إذا نفى الصفة عما من شأنه صحة إثباتها له؟ قالوا: نعم، قال فكذلك قوله تعالى: لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ، لو لا جواز إدراك الابصار له لم يصح نفيه عنه! انتهى.

وهكذا نرى أن الذين حرموا التأويل وكفروا المسلمين بسببه، أفرطوا في ارتكابه ووصلوا به إلى حد السفسطة، فأولوا النفي الصريح بالاثبات، ولم يبق عليهم إلا أن يؤلوا (لا إله إلا الله) بوجود عدة آلهة مع الله سبحانه وتعالى عما يصفون. وسوف ترى مزيداً من فنونهم في تأويل آيات نفى الرؤية والتنزيه، عند استعراض تفسيرها، إن شاء الله تعالى.

ونختم بما قاله الشيخ محمد رضا جعفرى فى بحث الكلام عند الإمامية/١٥١ من مجلة تراثنا عدد ٣٠:

قال أبو الفرج ابن الجوزى: «واعلم أن عموم المحدثين حملوا ظاهر ما تعلق من صفات الباري سبحانه على مقتضى الحس فشبهاوا، لانهم لم يخاطبوا الفقهاء فيعرفوا حمل المتشابه على مقتضى الحكم...» [١].

وقال أيضاً: «واعلم أن الناس فى أخبار الصفات على ثلاث مراتب: إحداها، إمرارها على ما جاءت من غير تفسير ولا تأويل، إلا أن تقع ضرورة كقوله تعالى (وَجَاءَ رَبُّكَ) [٢] أى: جاء أمره، وهذا مذهب السلف.

والمرتبة الثانية، التأويل، وهو مقام خطر.

والمرتبة الثالثة، القول فيها بمقتضى الحس، وقد عمَّ جهلة الناقلين [٣]، إذ ليس لهم حظ من علوم المعقولات التى يعرف بها ما يجوز على الله تعالى وما يستحيل، فإن علم المعقولات يصرف ظواهر المنقولات عن التشبيه، فإذا عدموا تصرفوا فى النقل بمقتضى الحس» [٤].

وقال تقى الدين ابن تيمية، راداً على من قال: إن أكثر الحنابلة مجسمة ومشبهة: «المشبهة والمجسمة فى غير أصحاب الإمام أحمد أكثر منهم فيهم، فهؤلاء أصناف الأكراد، كلهم شافعية، وفيهم من التشبيه والتجسيم ما لا يوجد فى صنف آخر، وأهل جيلان فيهم شافعية وحنبلية، وأما الحنبلية المحضة فليس فيهم من ذلك ما فى غيرهم، والكرامية كلهم حنفيه». [٥] ولست أقر ابن تيمية على دفاعه عن أهل مذهبه ولكنى أسكت عنه.

٤- نماذج مختارة: وكنموذج لما أشار إليه ابن الجوزى فى كلامه عن المحدثين أختار ثلاثة لم يكونوا من الحنابلة الصرحاء، وأقدم لكل منهم بعض الترجمة كى لا يتهمنى متهم بأنى عثرت على مغمورين خاملين لم يكونوا ذوى شأن عند المحدثين:

١- إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم، أبو يعقوب الحنظلى المروزي، ابن راهويه النيسابورى (١٦١/٧٧٨ ت ٢٣٨/٨٥٣).

قال الخطيب: كان أحد أئمة المسلمين، وعلماً من أعلام الدين، اجتمع له الحديث والفقہ، والحفظ والصدق، والورع والزهد، ورحل إلى العراق، والحجاز، واليمن، والشام... وورد بغداد وجالس حفاظ أهلها، وذاكرهم، وعاد إلى خراسان فاستوطن نيسابور إلى أن توفى بها، وانتشر علمه عند الخراسانيين. وهكذا قال المزى والسبكي. وهو شيخ البخارى، ومسلم، والترمذى، وأبوداود، والنسائى، وبقية بن الوليد، ويحيى بن آدم - وهما من شيوخه - وأحمد بن حنبل، وإسحاق الكوسج، ومحمد بن رافع، ويحيى بن معين - هؤلاء من أقرانه - وجماعة.

قال نعيم بن حماد: إذا رأيت العراقى يتكلم فى أحمد بن حنبل فاتهمه فى دينه، وإذا رأيت الخراسانى يتكلم فى إسحاق بن راهويه فاتهمه فى دينه.

وقال النسائى: أحد الأئمة، ثقة مأمون. وقال أحمد بن حنبل: إذا حدثك أبو يعقوب أمير المؤمنين فتمسك به. وقال أبو حاتم: إمام من أئمة المسلمين. وقال ابن حبان: وكان إسحاق من سادات زمانه فقهاً، وعلماً، وحفظاً، ونظراً، ممن صنف الكتب، وفرع السنن، وذب عنها، وقمع من خالفها، وقبره مشهور بزار. وقال أبو عبدالله الحاكم: إمام عصره فى الحفظ والفتوى. وقال أبو نعيم الأصبهاني: كان

إسحاق قرين أحمد [بن حنبل] وكان للآثار مثيراً، ولأهل الزيغ مبيراً.

وقال الذهبي: الإمام الكبير، شيخ المشرق، سيد الحفاظ، قد كان مع حفظه إماماً في التفسير، رأساً في الفقه، من أئمة الاجتهاد. [٦].
أبو عيسى الترمذى - بعد أن أخرج الروايات التي تقول: إن الله يقبل الصدقة ويأخذها يمينه... الحديث - قال: وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبهه هذا من الروايات من الصفات، ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، قالوا: قد ثبتت الروايات في هذا ويؤمن بها ولا يتوهم، ولا يقال: كيف؟

هكذا روى عن مالك، وسفيان بن عيينة، وعبدالله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمروها بلا كيف. وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة. وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات، وقالوا: هذا تشبيه. وقد ذكر الله عزوجل في غير موضع من كتابه: اليد، والسمع، والبصر، فتأولت الجهمية هذه الآيات ففسروها على غير ما فسر أهل العلم، وقالوا: إن الله لم يخلق آدم بيده، وقالوا: إن معنى اليد هنا هنا القوة.

وقال إسحاق بن إبراهيم [٧]: إنما يكون التشبيه إذا قال: يد كيد، أو مثل يد، أو سمع كسمع، أو مثل سمع، فإذا قال: سمع كسمع أو مثل سمع، فهذا التشبيه. وأما إذا قال - كما قال الله تعالى: يد، وسمع، وبصر، ولا يقول: كيف، ولا يقول مثل سمع، ولا كسمع، فهذا لا يكون تشبيهاً، وهو كما قال الله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ). [٨].

٢ - أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمى النيسابورى (٢٢٣/٨٣٨ - ٣١١/٩٢٤) قالوا عنه: إنه كان إمام نيسابور في عصره، فقيهاً، مجتهداً، بحراً من بحور العلم، اتفق أهل عصره على تقدمه في العلم، ولقبه الصفدى، والياعى، والذهبي، والسبكي، وابن الجزرى، والسيوطى، وابن عبدالحى بإمام الأئمة. وقال الدار قطنى: كان إماماً معدوم النظر. وقال ابن كثير: هو من المجتهدين في دين الإسلام. وذكروا له الكرامات. وقال السمعانى: وجماعة [من المحدثين] ينسبون إليه، يقال لكل واحد منهم خزيمى [فهو إمام مدرسه حديثه]. وهذا بعض ما قيل فيه: [٩].

أثبت ابن خزيمة الوجه لله سبحانه، وقال: (ليس معناه أن يشبه وجهه وجه الآدميين، وإلا لكان كل قائل إن لبنى آدم وجهاً، وللخنازير، والقردة، والكلاب... - إلى آخر ما عدد من الحيوانات - وجوهاً، قد شبه وجوه بنى آدم بوجوه الخنازير والقردة والكلاب...). [١٠].
وذكر مثل هذا في العين، واليد، والكف، واليمين، وقال: إن عيني الله لا تشبهان أى عين لغيره، وأضاف: نحن نقول: لربنا الخالق عينان يبصر بهما ما تحت الثرى وتحت الأرض السابعة السفلى وما فى السماوات العلى وما بينهما ونزيد شرحاً وبياناً ونقول: عين الله عزوجل قديمة لم تزل باقية، ولا يزال محكوم لها بالبقاء منفي عنها الهلاك والفناء، وعيون بنى آدم محدثة، كانت عدماً غير مكونة فكونها الله وخلقها بكلامه الذى هو صفة من صفات ذاته... [١١].

وقال: إن لله يدين ويده قديمتان لم تزل باقيتين، وأيدى المخلوقين محدثة فأى تشبيه!... [١٢] ونفى التأويل عن كل هذا، خاصة تأويل اليد بالنعمة أو القوة. [١٣].

وذكر «أن كلام ربنا عزوجل لا يشبه كلام المخلوقين، لأن كلام الله كلام متواصل لا سكت بينه ولا سمت، لا ككلام الآدميين الذى يكون بين كلامه سكت وسمت لانقطاع النفس، أو التذاكر، أو العى...» [١٤].

٣ - عثمان بن سعيد، أبو سعيد الدارمى، التميمى، السجستانى (ح ١٩٩/٨١٥ - ٢٨٠/٨٩٤) الإمام العلامة الحافظ، الناقد الحجى، وكان جذعاً وقذئى فى أعين المبتدعة، قائماً بالسنة، ثقة، حجة، ثبتاً. وقيل فيه: كان إماماً يقتدى به فى حياته وبعد مماته. ذكره الشافعية فى طبقاتهم، وعده الحنابلة من أصحاب ابن حنبل [١٥].

قال الدارمى بأن لله مكاناً حده، وهو العرش [١٦] و (هو بائن من خلقه فوق عرشه بفرجة بينه فى هواء الآخرة، حيث لا خلق معه هناك غيره، ولا فوقه سماء) [١٧] وقال (قد عينا له مكاناً واحداً، أعلى مكان، وأطهر مكان، وأشرف مكان: عرشه العظيم فوق السماء السابعة العليا، حيث ليس معه هناك إنس ولا جان، ولا بجنه حش، ولا مرحاض، ولا شيطان. وزعمت أنت [١٨] والمضلون من زعمائك أنه

في كل مكان، وكل حش ومرحاض، ويجنب كل إنسان وجان! أفأنتم تشبهونه إذ قلمت بالحلول في الأماكن أم نحن؟! [١٩].
وقال (ولو لم يكن لله يدان بهما خلق آدم ومسه مسيساً كما ادعيت، لم يجز أن يقال (الله): بيدك الخير...) [٢٠] وأحال في ذلك كل معنى أو تأويل من نعمة أو قوة إلا اليمين [٢١] (بما لهما من المعنى، وهو العضو الخاص المحسوس)، (وأن لله إصبعين، من غير تأويل بمعنى آخر) [٢٢] (والقدمان قدمان من غير تأويل) [٢٣] (غير أنا نقول، كما قال الله (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ) [٢٤] إنه عنى به الوجه الذى هو الوجه عند المؤمنين، لا الأعمال الصالحة، ولا القبلة...) [٢٥] وإن نفى التشبيه إنما هو بأن يكون لله كل هذا، ولكن لا يشبه شئ منه شيئاً مما فى المخلوقين) [٢٦].

[١] تليس ابليس: ط ادارة الطباعة المنيرية، القاهرة: ١٣٦٨/١١٦.

[٢] الفجر ٨٩: ٢٢.

[٣] ويقصد بهم المحذنين.

[٤] دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، المكتبة التوفيقية، القاهرة: ١٩٧٦/٧٣-٧٤.

[٥] المناظرة فى العقيدة الواسطية، مجموعة الرسائل الكبرى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان، ط ١٩٧٢/١٣٩٢: ٢، ١/٤١٨.

[٦] التاريخ الكبير ١-٣٧٩-٣٨٠ = ١٢٠٩، التاريخ الصغير ٢/٣٦٨، الجرح والتعديل ١-١ (٢) ٢٠٩-٢١٠ = ٧١٤، ابن حبان، الثقات ١١٦-٨/١١٥، طبقات الحنابلة ١/١٠٩ = ١٢٢، المنهج الاحمد ١/١٠٨-١٠٩ = ٤٣، تاريخ بغداد ٦/٣٤٥-٣٣٥ = ٣٣٨١، حلية الأولياء ٩/٢٣٤-٢٣٨ ابن خلكان ١/١٩٩-٢٠١، الانساب ٦/٥٦-٥٧، السبكي، طبقات الشافعية ٢/٨٣-٩٣، ميزان الاعتدال ١/١٨٢-١٨٣ = ٧٣٣، سير أعلام النبلاء ١١/٣٥٨-٣٨٢، تذكرة الحفاظ ٢/٤٣٣-٤٣٥، العبر ١/٤٢٦، الوافى بالوفيات ٨/٣٨٦-٣٨٨ = ٣٨٢٥، طبقات الحفاظ ١٨٨-١٨٩ = ٤١٩، ابن كثير ١٠/٣١٧، تهذيب التهذيب ١/٢١٦-٢١٩ = ٤٠٨، تهذيب الكمال ٢/٣٧٣-٣٨٨ = ٣٣٢، طبقات المفسرين ١/١٠٢-١٠٣، شذرات الذهب ٢/٨٩.

[٧] هو إسحاق بن راهويه-عارضه الأحمدي: ٣/٣٣٢.

[٨] الجامع الصحيح، الزكاة (ما جاء فى فضل الصدقة) ٣/٥٠-٥١ أى ٦٦٢.

[٩] الذهبى سير أعلام النبلاء: ١٤/٣٦٥-٣٨٢، تذكرة الحفاظ: ٢/٧٢٠-٧٣١، العبر: ٢/١٤٩، السمعاني، الانساب: ٥/١٢٤، ابن الاثير، اللباب: ١/٤٤٢، ابن الجوزى، المنتظم: ٦/١٨٤-١٨٦، ابن كثير، البداية والنهاية، ١١/١٤٩، السبكي، طبقات الشافعية: ٣/١٠٩-١١٩، الصفدى، الوافى بالوفيات: ٢/١٩٦، اليافعى، مرآة الجنان: ٢/٢٦٤، ابن عبد الحى، شذرات الذهب: ٢/٢٦٢-٢٦٣، السيوطى، طبقات الحفاظ: ٣١٠-٣١١، ابن الجزرى، طبقات القراء: ٢/٩٧-٩٨.

[١٠] التوحيد واثبات صفات الرب، راجعه وعلق عليه محمد خليل هراس، المدرس بكلية أصول الدين (بالأزهر)، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة: ١٣٨٧/١٩٦٨، ٢٣/.

[١١] المصدر/ ٥٠-٥٢.

[١٢] المصدر/ ٨٢-٨٥.

[١٣] المصدر/ ٨٥-٨٧.

[١٤] المصدر/ ١٤٥.

[١٥] سير أعلام النبلاء: ١٣/٣١٩-٣٢٦، تذكرة الحفاظ: ٢/٦٢١-٦٢٢، العبر: ٢/٦٤، مرآة الجنان: ٢/١٩٣، ابن كثير ١١/٦٩، طبقات الشافعية: ٢/٣٠٢-٣٠٦، طبقات الحفاظ: ٢/٧٤، طبقات الحنابلة: ١/٢٢١، شذرات الذهب: ٢/١٧٦.

[١٦] الرد على بشر المريسي، عقائد السلف، نشر: دكتور على سامى النشار، عمار جمعى الطالبى، منشأة المعارف الاسكندرية، مصر: ١٩٧١/٣٨٢.

[١٧] المصدر/٤٣٩.

[١٨] يخاطب به بشر المريسي، الذي يرد عليه الدارمي، وهو بشر بن غياث المريسي، البغدادي، الحنفي (ح ١٣٨/٧٥٥-٢١٨/٨٣٣) من أعلام الحنفية، وممن نادى بخلق القرآن ودافع عنه، وعن كثير من آراء المعترضة.

[١٩] المصدر/٤٥٤.

[٢٠] المصدر/٣٨٧.

[٢١] (بما لهما من المعنى، وهو العضو الخاص المحسوس) المصدر/٣٩٨.

[٢٢] المصدر/٤٢٠.

[٢٣] المصدر/٤٢٣-٤٢٤، ٤٢٧-٤٢٨.

[٢٤] الرحمن/٢٧/٥٥.

[٢٥] المصدر/٥١٦.

[٢٦] المصدر/٤٣٢-٤٣٣، ٥٠٨.. انتهى.

بازار الأحاديث في الرؤية والتشبيه والتجسيم

قالوا إن الله تعالى على صورة بشر

صحيح مسلم: ٨/٣٢.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص) إذا قاتل أحدكم أخاه فليجنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته..
فردوس الأخبار للديلمي: ٢/٢٩٩.

أبو هريرة: خلق الله عز وجل آدم على صورته وطوله ستون ذراعاً... فكل من يدخل الجنة على صورة آدم ستون ذراعاً فلم تزل تنقص بعده حتى الآن. انتهى. ونحوه في: ٥/١٦٥ ونحوه في مصابيح: ٣/٢٦٦.

مختصر تاريخ دمشق: ٣ جزء ٥/١٢٥.

عن أبي هريرة، عن النبي (ص) قال: خلق الله آدم على صورته طوله سبعون ذراعاً... إلى آخره. وقد تقدم تكذيب الإمام مالك لهذا الحديث وغيره من أحاديث رؤية الله تعالى بالعين، من سير أعلام النبلاء: ٨/١٠٣.

وروى ابن حجر في لسان الميزان: ٣/٢٩٩: صيغة معقولة لهذا الحديث قال... العلاء بن مسلمة، حدثنا عبد الله بن سيف، ثنا إسماعيل بن رافع، عن المقبري، عن أبي هريرة (رض) مرفوعاً: لا يضربن أحدكم وجه خادمه ولا يقول لعن الله من أشبه وجهك، فإن الله خلق آدم على صورة وجهه. انتهى. فهل يقبلها اخواننا ويخلصون أنفسهم من ورطة التجسيم.

لجنة الافتاء الوهابية: ٣/٣٦٨ فتوى رقم ٢٣٣١.

س ١: عن أبي هريرة (رض) عن النبي (ص) أنه قال: خلق الله آدم على صورته ستون ذراعاً، فهل هذا الحديث صحيح؟

ج: نص الحديث: خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً ثم قال: إذهب فسلم على أولئك النفر، وهم نفر من الملائكة جلوس، فاستمع فما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فذهب فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله فراوده ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعاً، فلم يزل الخلق تنقص بعده إلى الآن. رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم.

وهو حديث صحيح ولا غرابة في متنه فإن له معنيان:

الأول: أن الله لم يخلف آدم صغيراً قصيراً كالأطفال من ذريته ثم نما وطال حتى بلغ ستين ذراعاً، بل جعله يوم خلقه طويلاً على صورة نفسه النهائية طوله ستون ذراعاً.

والثاني: أن الضمير في قوله (على صورته) يعود على الله بدليل ما جاء في رواية أخرى صحيحة: على صورة الرحمن وهو ظاهر السياق ولا يلزم على ذلك التشبيه، فإن الله سمي نفسه بأسماء سمي بها خلقه، ووصف نفسه بصفات وصف بها خلقه، ولم يلزم من ذلك التشبيه وكذا الصورة، ولا يلزم من إتيانها لله تشبيهه بخلقها لأن الاشتراك في الاسم وفي المعنى الكلي لا يلزم منه التشبيه فيما يخص كلا منهما، لقوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.

و قالوا له سمع وبصر كسمع الإنسان وبصره

سنن أبي داود: ٢/٤١٩:

... مولى أبي هريرة قال سمعت أبا هريرة يقرأ هذه الآية: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا.. إلى قوله تعالى سمياً بصيراً، قال: رأيت رسول الله (ص) يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه، قال أبو هريرة: رأيت رسول الله (ص) يقرأها ويضع إصبعيه، قال ابن يونس قال المقرئ: يعني أن الله سميع بصير، يعني أن الله سمياً وبصراً، قال أبو داود: وهذا رد على الجهمية. انتهى. ورواه في: ٢/٢٣٣، وكان قصد أبي داود أن الجهمية أفرطوا في التنزيه، فيجب أن نرد عليهم بالتجسيم!

و قالوا له عينان مثل الإنسان وهما سالمتان

صحيح البخارى: ٢ جزء ٤/١٤١:

قال عبدالله (يعنى ابن عمر) ذكر النبى (ص) يوماً بين ظهري الناس المسيح الدجال فقال: إن الله ليس بأعور، إلا أن المسيح الدجال أعور العين. انتهى. وقد فسرها الوهابيون وأسلافهم، بأن الله تعالى له عينان سالمتان! ورواه البغوى فى مصابيح: ٣/٤٩٧، ٥٠٧ عن ابن عمر أنه قال: قام رسول الله (ص) ثم ذكر الدجال: تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور. عن عباده ابن الصامت عن رسول الله (ص): إن المسيح الدجال رجلٌ قصير أفجح جعد أعور، وإن ربكم ليس بأعور.

و قالوا له أيدي وأعين ورجلان

قال ابن حزم فى المحلى: ١/٣٣:

مسألة: وإن لله عز وجل عزاً وعزّةً وجلالاً وإكراماً، ويداً ويدين وأيدياً (كذا) ووجهاً وعيناً وأعيناً، وكبرياء، وكل ذلك حق لا يرجع منه ولا- من علمه تعالى وقدره وقوته إلا إلى الله تعالى لا إلى شئ غير الله عز وجل أصلاً، نقر من ذلك مما فى القرآن وما صح عن رسول الله (ص)، ولا يحل أن يزداد فى ذلك ما لم يأت به نص من قرآن أو سنة صحيحة. قال عز وجل: ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ وقال تعالى: يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ، لما خلقت يدي، ومما عملت أيدينا أنعاماً، إنما نطعمكم لوجه الله، ولتصنع على عيني، إنك بأعيننا. ولا يحل أن يقال عينين لأنه لم يأت بذلك نص، ولا أن يقال سمع وبصر ولا حياة، لأنه لم يأت بذلك نص لكنه تعالى سميع بصير حتى قيوم. انتهى.

ولعل ابن حزم لم يطلع على نص العينين وحديث السمع والبصر وغيرها، وإلا لقال بها!

و قالوا قد يكون له أذن وقد يكون بلا أذن

فتاوى الالبانى ٣٤٤:

سؤال السائل: صفة الاذن لله، موقف أهل السنة والجماعة منها؟

جواب: لا يشبتون ولا ينفون بالرأى، أما ما أثبتته النص فهم يشبتونه بدون تكيف... السلفيون مستريحون من هذه الكيفية يعنى استراحوا

من التشبيه عملاً بالتنزيه... وأن العين: صفة من صفاته تليق بعظمته وجلاله.

و قالوا له جنب و حقو

تفسير الطبري: ٢٦/٣٦.

عن أبي هريرة عن رسول الله (ص) أنه قال خلق الله الخلق فلما فرغ منهم تعلقتم الرحم بحق الرحمن فقال مه! فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة... ورواه البغوي في مصابيح: ٣/٣٥٠.

وقال الشاطبي في الاعتصام: ٢/٣٠٣.

قول من زعم: أن الله سبحانه وتعالى جنباً مستدلاً بقوله: أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت من جنب الله.

و قالوا إنه يمشی و قد يركض و يهرول

فتاوى الألباني/ ٥٠٦:

سؤال: حول الهرولة، وهل أنكم تثبتون صفة الهرولة لله تعالى؟

جواب: الهرولة كالمجئ والنزول صفات ليس يوجد عندنا ما ينفياها.

فتاوى ابن باز: ٥/٣٧٤:

... ومن ذلك الحديث القدسي وهو قول الله سبحانه: من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة... أما التأويل للصفات وصرافها عن ظاهرها فهو مذهب أهل البدع من الجهمية والمعتزلة... انتهى.

و قالوا إنه تعالى يرى بالعين في الدنى

الفرق بين الفرق للبغدادي/ ٢٩٤:

وأجمع أهل السنة على أن الله تعالى يكون مرئياً للمؤمنين في الآخرة، وقالوا بجواز رؤيته في كل حال ولكل حي من طريق العقل ووجوب رؤيته للمؤمنين خاصة في الآخرة، من طريق الخبر..

مسند أحمد: ٤/٦٦:

... عن خالد بن اللجلاج عن عبدالرحمن بن عائش عن بعض أصحاب النبي (ص) أن رسول الله (ص) خرج عليهم ذات غداة وهو طيب النفس مسفر الوجه أو مشرق الوجه فقلنا: يا رسول الله إنا نراك طيب النفس مسفر الوجه أو مشرق الوجه، فقال: وما يمنعني وأتاني ربي عز وجل الليلة في أحسن صورة، قال يا محمد، قلت لبيك ربي وسعديك، قال: فيم يختصم المملأ الأعلى؟ قلت لا أدري أي رب! قال ذلك مرتين أو ثلاثاً، قال فوضع كفيه بين كتفي فوجدت بردها بين تديبي حتى تجلي لي ما في السموات وما في الأرض، ثم تلا هذه الآية: وَكَذَلِكَ نُرى إِبراهيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ. انتهى. ورواه في: ٥/٣٧٨، وستأتي بقيه رواياته في تفسير قوله تعالى (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى).

و قالوا إنه يلبس قباء وجبة و يركب على جمل

لسان الميزان: ٢/٢٣٨:

ومما في الصفات له (حدثنا) أبو حفص بن سلمون ثنا عمرو بن عثمان ثنا أحمد بن محمد بن يوسف الأصبهاني ثنا شعيب بن بيان الصفار ثنا عمران القطان عن قتادة عن أنس (رض) مرفوعاً: إذا كان يوم الجمعة ينزل الله بين الأذان والإقامة عليه رداء مكتوب عليه

إننى أنا الله لا إله إلا أنا، يقف في قبلة كل مؤمن مقبلاً عليه، فإذا سلم الإمام صعد إلى السماء. وروى عن ابن سلمون بإسناد له: رأيت ربي بعرفات على جمل أحمر عليه إزار! انتهى. ورواه في ميزان الاعتدال: ١/٥١٢

و قالوا إنه فتى أمرد جعد الشعر

ميزان الاعتدال: ١/٥٩٣:

... عن ثابت عن أنس أن النبي (ص) قرأ: فلما تجلى ربه للجبل، قال: أخرج طرف خنصره وضرب على إبهامه فساخ الجبل، فقال حميد الطويل لثابت: تحدث بمثل هذا! قال فضرب في صدر حميد وقال: يقوله أنس ويقوله رسول الله (ص) وأكتمه أنا! رواه جماعة عن حماد وصححه الترمذى. إبراهيم بن أبي سويد وأسود بن عامر، حدثنا حماد، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعاً: رأيت ربي جعداً أمرد، عليه حلة خضراء.

وقال ابن عدى: حدثنا عبدالله بن عبد الحميد الواسطي، حدثنا النضر بن سلمة شاذان، حدثنا الأسود بن عامر، عن حماد، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس أن محمداً رأى ربه في صورة شاب أمرد دونه ستر من لؤلؤ قدميه أو رجله في خضرة. ... قال المرودى: قلت لأحمد: يقولون لم يسمع قتادة عن عكرمة فغضب وأخرج كتابه بسماع قتادة عن عكرمة في ستة أحاديث. ورواه الحكم بن أبان عن زيرك عن عكرمة. وهو غريب جداً.

و قالوا إنه يضحك في الدنيا والآخرة

صحيح البخارى: ٢ جزء ٣/٢١٠:

عن أبي هريرة (رض) أن رسول الله (ص) قال: يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد.

صحيح البخارى: ٤/٢٢٦:

... فباتا طاويين، فلما أصبح غد إلى رسول الله (ص) فقال: ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما، فأنزل الله: ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون.

سنن النسائى: ٦/٣٨:

... عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال: إن الله عز وجل يعجب من رجلين يقتل أحدهما صاحبه، وقال مرة أخرى: ليضحك من رجلين يقتل أحدهما صاحبه ثم يدخلان الجنة. تفسير ذلك أخبرنا محمد بن سلمة... عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيقتل فيستشهد. انتهى. ورواه ابن ماجه في: ١/٦٨.

وروى أحمد في مسنده: ١/٣٩٢:

عبدالله بن مسعود عن النبي (ص) قال: إن آخر من يدخل الجنة رجل يمشى على الصراط فينكب مرة ويمشى مرة وتسفعه النار مرة، فإذا جاوز الصراط التفت إليها فقال: تبارك الذى نجاني منك لقد أعطاني الله ما لم يعط أحداً من الأولين والآخرين، قال فترفع له شجرة فينظر إليها فيقول: يا رب أدنى من هذه الشجرة فأستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقول: أى عبدى فلعلى إن أدنيتك منها سألتنى غيرها، فيقول: لا يا رب، ويعاهد الله أن لا يسأله غيرها والرب عز وجل يعلم أنه سيسأله لأنه يرى ما لا صبر له يعنى عليه، فيدنيه منها ثم ترفع له شجرة وهى أحسن منها فيقول: يا رب أدنى من هذه الشجرة فأستظل بظلها وأشرب من مائها فيقول: أى عبدى ألم تعاهدنى أنك لا تسألنى غيرها، فيقول: يا رب هذه لا أسألك غيرها ويعاهده والرب يعلم أنه سيسأله غيرها فيدنيه منها، فترفع له شجرة عند باب

الجنة هي أحسن منها فيقول: رب أدنى من هذه الشجرة أستظل بظلها وأشرب من مائها فيقول: أي عبدى ألم تعاهدنى أن لا تسألنى غيرها، فيقول: يا رب هذه الشجرة لا.. أسألك غيرها ويعاهده والرب يعلم أنه سيسأله غيرها لأنه يرى ما لا صبر له عليها فيدنيه منها فيسمع أصوات أهل الجنة فيقول: يا رب الجنة الجنة، فيقول: عبدى ألم تعاهدنى أنك لا تسألنى غيرها، فيقول: يا رب أدخلنى الجنة. قال فيقول عز وجل: ما يصرينى منك أي عبدى أيرضيك أن أعطيك من الجنة الدنيا ومثلها معها؟ قال فيقول: أتتهزؤ بى وأنت رب العزة! قال فضحك عبدالله حتى بدت نواجذه ثم قال: ألا تسألونى لم ضحكت؟ قالوا له لم ضحكت؟ قال: لضحك رسول الله (ص). ثم قال لنا رسول الله (ص): ألا تسألونى لم ضحكت؟ قالوا: لم ضحكت يا رسول الله؟ قال: لضحك الرب حين قال أتتهزأ بى وأنت رب العزة!! انتهى. ورواه فى: ١/٤١١ وج ٢/٣١٨ وص ٤٦٤ وص ٥١١ وروى نحوه فى: ٢/٢٧٦ وص ٢٩٤ وص ٥٣٤ وج ٣/٨٠ وابن ماجه فى سننه: ١/٦٤ والديلمى فى فردوس الأخبار: ٣/٩ ح ٣٧٠٣ والبغوى فى مصابيح: ١/٤٣٣ وص ٥٤٤ وج ٣/٥٤٦ والبيهقى فى شعب الإيمان: ١/٢٤٩ وفى دلائل النبوة: ٦/١٤٣ والهيثمى فى مجمع الزوائد: ١٠/٦١٥ والشوكانى فى نيل الأوطار: ٣/٥٧ وغيرهم.. وغيرهم.. وسيأتى عدد آخر من روايات ضحك الله المزعوم على هذا الرجل فى روايات رؤيته بالعين فى الآخرة.

وقال ابن تيمية فى الإيمان/٤٢٤:

وفى الصحيحين فى حديث الشفاعة يقول كل من الرسل إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله... وكذلك ضحكك إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة وضحكك إلى الذى يدخل الجنة آخر الناس ويقول: أتسخر بى وأنت رب العالمين! وكل هذا فى الصحيح.

و قالوا إنه يضحك لمن يستلقى على دابته

وروى أحمد فى: ١/٣٣٠ رواية غريبة نسب فيها تصرفاً غير معقول للنبي صلى الله عليه وآله، ونسب فيها إلى الله تعالى أنه يضحك لمن يذكره على دابته ثم يستلقى! قال الإمام أحمد:

عن عبدالله بن عباس أن رسول الله (ص) أردفه على دابته فلما استوى عليها كبر رسول الله (ص) ثلاثاً، وحمد الله ثلاثاً، وسبح الله ثلاثاً، وهلل الله واحدة ثم استلقى عليه فضحك، ثم أقبل على فقال: ما من إمرئ يركب دابته فيصنع كما صنعت إلا أقبل الله تبارك وتعالى فضحك إليه كما ضحكت إليك!

و قالوا مادام الله يضحك فأملنا فيه كبير

روى أحمد فى مسنده: ٤/١١ وص ١٢ وص ١٣ رواية تعطى الناس الأمل بالله تعالى لأنه يضحك! قال:... عن وكيع بن حدىس عن عمه أبى رزين قال قال رسول الله (ص): ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره، قال قلت: يا رسول الله أو يضحك الرب عز وجل! قال نعم، قال: لن نعدم من رب يضحك خيراً!

وروى الديلمى فى فردوس الأخبار: ٣/١٠:

أبوذر الغفارى: ضحك الله ربنا عز وجل من قنوط عباده وقرب غيره ولن نعدم من رب يضحك خيراً. وستأتى روايته عن النويرى وغيره.

و قالوا إنه يضحك.. و يظل يضحك

قال ابن قيم الجوزية فى زاد المعاد: ٣/٥٦٦-٥٦٧:

قوله (ص): فيضل يضحك، هو من صفات أفعاله سبحانه وتعالى التى لا يشبهه فيها شئ من مخلوقاته كصفات ذاته.. وكذلك: فأصبح

ربك يطوف في الأرض، هو من صفات فعله كقوله تعالى: وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ، ويتزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا، ويدنو عشية عرفة فيباهي بأهل الموقف الملائكة. والكلام في الجميع صراط واحد مستقيم إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تحريف ولا تعطيل.

وقال النووي في نهاية الأرب: ٧ جزء ١٤/٢٩٢:

عن لقيط بن عامر العقيلي قال... أتينا رسول الله (ص) حين انصرف من صلاة الغداة فقام خطيباً فقال أيها الناس... يشرف عليكم أزليين فيظل يضحك، قد علم أن غوثكم قريب. قال لقيط له: لن نعدم من رب يضحك خيراً.. انتهى. وروى نحوه المنذرى في الترغيب والترهيب: ١/٤٣٤ وص ٤٣٦ وج ٤/٥٠٣.

و قالوا إنه ضحك لطلحة و سعد

أسد الغابة: ٣/٨٣: روى أنه (طلحة بن البراء) توفي ليلاً فقال أذفوني.. ولا- تدعوا رسول الله (ص) فإنني أخاف عليه (ص) يصاب في سببي، فأخبر رسول الله حين أصبح فجاء (ص) حتى وقف على قبره وقال: اللهم إلقِ طلحة وأنت تضحك إليه وهو يضحك إليك.. مسند أحمد: ٦/٤٥٦:

... أسماء بنت يزيد بن سكن قالت: لما توفي سعد بن معاذ صاحت أمه، فقال النبي (ص): ألا يرفأ دمعك ويذهب حزنك فإن ابنك أول من ضحك الله له واهتز له العرش.

و قالوا إنه يظهر لعباده ضاحكا

فردوس الأخبار: ٥/٣٦٨:

أبو موسى: يتجلى ربنا ضاحكاً يوم القيامة، حتى ينظروا إلى وجهه فيخرون له سجداً فيقول: ارفعوا رؤوسكم فليس هذا يوم عبادة.

و قالوا منطقته كالرعد، و ضحكه كالبرق

فردوس الأخبار للديلمى: ٥/٣٦٦:

أبو هريرة: ينشئ الله عز وجل السحاب ثم ينزل فيه، لا شئ أحسن من ضحكه ولا شئ أحسن من منطقته، منطقته الرعد ومضحكه البرق!

أسد الغابة: ٣/٨٣ وج ٦/٣٩٩:

عن رجل من بني غفار.. قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: إن الله عز وجل ينشئ السحاب فيضحك أحسن الضحك وينطق أحسن النطق!

و قالوا يظهر متجسداً لابي بكر وحده بدون ضحك

قال السيوطى فى الدر المنثور: ٦/٢٩٢:

وأخرج أحمد وعبد بن حميد والدارقطنى عن جابر عن النبي (ص): إن الله ليتجلى للناس عامة ويتجلى لأبى بكر خاصة.

وأخرج الدارقطنى عن جابر قال قال النبي (ص): إن الله ليتجلى للناس عامة ويتجلى لأبى بكر الصديق خاصة.

وقال الديلمى فى فردوس الأخبار: ٥/٤٠٠:

أنس بن مالك: يا أبا بكر لأبشرك أن الله عز وجل يتجلى لك يوم القيامة خاصة وللناس عامة.

وقال ابن حبان فى المجروحين: ١/١٤٣:

أحمد بن محمد بن عمر بن يونس اليمامي... والصحيح من حديثه موقوف على أبي هريرة وروى عن أبيه... عن أبي هريرة قال لما قدم رسول الله (ص) من الغار يريد المدينة أخذ أبو بكر بغيره فقال.. ألا أبشرك يا أبا بكر؟ قال: بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله، قال: إن الله عز وجل يتجلى للخلائق يوم القيامة عامة، ويتجلى لك خاصة.
وقال في المجروحين: ٢/١١٥:

على بن عبد بن قتيبة... كان يسرق الحديث ولا يحل الاحتجاج به.. عن جابر قال رسول الله (ص) إن الله يتجلى للمؤمنين عامة ولأبي بكر خاصة.

وقال عمر يجلس على العرش وعرشه أطيط و صرير من ثقله

ذكرنا عدداً من روايات أطيط العرش عن الخليفة عمر من فردوس الأخبار وكنز العمال ومجمع الزوائد وقد وثقها الهيثمي، ونضيف إليها هنا من سنن أبي داود: ٢/٤١٨:

... إن عرشه على سمواته لهكذا وقال بأصابه مثل القبة عليه، وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب. قال ابن بشار في حديثه: إن الله فوق عرشه وعرشه فوق سمواته وساق الحديث.. وقال عبد الأعلى وابن المثنى وابن بشار عن يعقوب بن عتبة وجبير بن محمد بن جبير عن أبيه عن جده والحديث بإسناد أحمد بن سعيد هو الصحيح وافقه عليه جماعة منهم يحيى بن معين وعلي بن المديني ورواه جماعة عن ابن إسحاق كما قال أحمد أيضاً وكان سماع عبد الأعلى وابن المثنى وابن بشار من نسخة واحدة فيما بلغني.
فردوس الأخبار للديلمى: ١/٢٢٠:

جبير بن معطم: إن الله عز وجل فوق عرشه وعرشه فوق سمائه وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب!

الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠/٣٩٨:

وعن أبي أمامة عن النبي (ص) قال: سلوا الله الفردوس فإنها سررة الجنة وإن أهل الفردوس ليسمعون أطيط العرش. رواه الطبراني وفيه جعفر بن الزبير وهو متروك. انتهى. ورواه في كنز العمال: ٢/٧٣
وفي كنز العمال: ١/٢٢٤:

ويحك إنه لا- يستشفع بالله على أحد إن شاء والله أعظم من ذلك. ويحك أتدرى ما الله؟ إن الله فوق عرشه وعرشه على سمواته، وأرضه مثل القبة، وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب. د عن جبير بن مطعم. ورواه في: ١٠/٣٤٣ وروى في ٣٤٧
إن كرسية وسع السماوات والأرض، وإن له أطيطاً كأطيط الرحل الجديد إذا ركب من شقه بز. انتهى. أي من مسافة بعيدة!
وفي كنز العمال: ١٤/٤٦٩:

إن أهل الفردوس يسمعون أطيط العرش. ابن مردويه عن أبي أمامة.

تاريخ بغداد: ٤/٣٩:

... عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده. قال: جاء أعرابي إلى النبي (ص) فقال: يا رسول الله جهدت الأنفس وجاع العيال وهلكت الأموال فاستسق لنا ربك فإننا نستشفع بالله عليك وبك على الله. فقال النبي (ص): سبحان الله سبحان الله فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال له: ويحك ما تدرى ما الله، إن شأنه أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع به على أحد، إنه لفوق سمواته على عرشه، وإنه عليه هكذا وأشار بيده مثل القبة، وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب.

معنى الاطيط

هامش سنن أبي داود: ٢/٤١٨: أط الرحل: صوت أي أصدر صوتاً هو كصوت الطقطقة.

وقال ابن الاثير فى النهاية: ١/٥٤ فى معنى أطلت السماء: الأظيط: صوت الأقتاب، وأظيط الإبل: أصواتها وحينها... وإنما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله تعالى... إذ كان معلوماً أن أظيط الرحل بالراكب إنما يكون لقوة ما فوقه وعجزه عن احتماله.

و قالوا العرش مطوق بحية تحميه

العقد الفريد لابن عبد ربه: ٦/٢٠٨:

ومن حديث عبد الله بن عمر قال: العرش مطوق بحية، والوحى ينزل فى السلاسل.

و قالوا الشمس تذهب كل يوم إلى تحت العرش

صحيح البخارى: ٣ جزء ٦/٣٠:

عن أبى ذر... قال كنت مع النبى (ص) فى المسجد عند غروب الشمس فقال: يا أبا ذر أتدرى أين تغرب الشمس... قال فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش. انتهى. ورواه الشوكانى فى فتح القدير: ٤/٤٩٤.

صحيح البخارى: ٤ جزء ٨/١٧٨:

عن إبراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذر قال: سألت النبى (ص) عن قوله والشمس تجرى لمستقر لها... قال مستقرها تحت العرش... ونحوه فى فردوس الأخبار للديلمى: ٥/١٣٣.

وفى صحيح مسلم: ١/٩٦:

عن أبى ذر أن النبى (ص) قال يوماً أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال: إن هذه تجرى حتى تنتهى إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة... فقال لها ارتفعى أضحى طالعة من مغربك..

و قالوا حملة العرش ملائكة صوفية

فردوس الأخبار للديلمى: ٥/٢٦:

ابن مسعود: نزل جبريل فى بعض الليل فقعده فمسحت يدي على ظهره فأصبت الشعر فقلت: يا جبريل ما هذا الشعر؟ قال الصوف، قلت: سبحان الله، الملائكة يلبسون الصوف؟ قال: نعم يا محمد، والله للباس حملة العرش الصوف.

و قالوا حملة العرش يتكلمون بالفارسية

المصنف لابن أبى شيبة: ٧/١٦٠:

عن أبى أمامة قال: إن الملائكة الذين يحملون العرش يتكلمون بالفارسية.

و قالوا جبل لبنان من حملة العرش

مختصر تاريخ دمشق: ١ جزء ١/٢٨٨: عن أبى الزاهرية قال: أنبئنا: جبل لبنان أحد حملة العرش الثمانية يوم القيامة.

و قالوا حملة العرش حيوانات كما فى التوراة

سنن ابن ماجه: ١/٦٩:

حدثنا محمد بن يحيى ثنا محمد بن الصباح ثنا الوليد بن أبى ثور الهمدانى، عن سماك، عن عبد الله بن عميرة، عن الأحنف بن قيس،

عن العباس بن عبد المطلب، قال: كنت بالبطحاء في عصابة وفيهم رسول الله (ص)، فمرت به سحابة فنظر إليها فقال: ما تسمون هذه؟ قالوا السحاب، قال والمزن، قالوا والمزن، قال والعنان، قال أبو بكر قالوا والعنان، قال كم ترون بينكم وبين السماء؟ قالوا لا ندري، قال فإن بينكم وبينها إما واحداً أو اثنين أو ثلاثاً وسبعين سنة، والسماء فوقها كذلك، حتى عد سبع سموات، ثم فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن كما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهن العرش بين أعلاه وأسفله كما بين سماء إلى سماء، ثم الله فوق ذلك تبارك وتعالى!

فردوس الأخبار للديلمى: ٥/١٣٠:

العباس بن عبد المطلب: ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية: ثمانية أملاك في صورة الأوعال، ما بين ظلف أحدهم وركبته مسيرة خمسمائة عام. انتهى.

حياة الحيوان للدلمى: ٢/٤٢٨:

عن عروة بن الزبير (رض) قال: حملت العرش أحدهم على صورة إنسان، والثاني على صورة ثور، والثالث على صورة نسر، والرابع على صورة أسد.

تفسير الطبرى: ١/١١٨:

عن شعيب الجبائي قال: في كتاب الله (يقصد التوراة) الملائكة حملة العرش لكل ملك منهم وجه إنسان وثور وأسد، فإذا حركوا أجنحتهم فهو البراق..

كتاب الحيوان للجاحظ: ٦/٢٢١ - ٢٢٢:

روى تصديق النبي (ص) لأمية بن أبي الصلت حين أنشده:

رجل وثور تحت رجل يمينه والنسر للآخرى وليث مرصد

وقال في هامش: ١/٢٢٢ وفي الإصابة ٥٤٩ عن ابن عباس أن النبي (ص) أنشد هذا البيت فقال: صدق. هكذا صفة حملة العرش..

و قالوا جالس على كرسيه وغائب عن العالم

مجمع الزوائد: ١/٨٦:

وعن ابن مسعود (رض) أنه قال: ما بين سماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، وما بين كل سماءين خمسمائة عام، وما بين السماء السابعة والكرسى مسيرة خمسمائة عام، وما بين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش على الماء والله جل ذكره على العرش يعلم ما أنتم عليه. رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

و قالوا جالس على العرش و حوله الأنبياء على كراسي

المصنف لابن أبي شيبة: ٢/٥٨:

عن أنس قال قال رسول الله (ص): أتاني جبريل وفي يده كالمراة البيضاء... قال (جبريل) لأن ربك تبارك وتعالى اتخذ في الجنة وادياً من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسيه تبارك وتعالى ثم حف كرسيه منابر من ذهب مكللة بالجواهر ثم يجي النبيون حتى يجلسوا عليها.

وروى السيوطي حديث المرأة عن الدارقطني في: ٦/٢٩٠ وروى رواية لقيط مفصلة عن زوائد عبد الله بن أحمد بن حنبل...

تهذيب الكمال: ١٦/٤٢٣:

أخبرنا أبو الحسن ابن البخارى... أخبرنا أبو حفص بن طبرزد... عن سعيد بن المسيب: أنه لقي أبا هريرة فقال أبو هريرة: أسأل الله أن

يجمع بينى وبينك فى سوق الجنة. فقال سعيد: أو فيها سوق؟ قال أبو هريرة: نعم، أخبرنى رسول الله (ص): أن أهل الجنة إذا دخلوها فنزلوا فيها بفضل أعمالهم فيؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيرون الله، ويبرز لهم عرشه، ويتبدا لهم فى روضة من رياض الجنة، فيوضع لهم منابر من ذهب ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم وما فيهم دنى على كتابان المسك والكافور، لا يرون أن أصحاب الكراسى أفضل منهم مجلساً.

قال أبو هريرة: وهل نرى ربنا يا رسول الله قال: نعم، هل تمارون فى رؤية الشمس والقمر ليلة البدر قلنا: لا، قال: كذلك لا تمارون فى رؤية ربكم عز وجل. ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله محاضرة، حتى إنه ليقول للرجل منهم: يا فلان بن فلان. أتذكر يوم عملت كذا وكذا، فيذكره بعض غدراته فى الدنيا، فيقول: يا رب، أفلم تغفر لى؟ فيقول: بلى بسعة مغفرتى بلغت منزلتك هذه. قال فيبناهم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط، قال: ثم يقول ربنا عز وجل: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة، فخذوا ما اشتهيتم. قال: فنأتى سوقاً قد حفت به الملائكة، فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله. ولم يخطر على القلوب، قال: فيحمل لنا ما اشتهينا، ليس يباع فيه شئ ولا يشتري، فى ذلك السوق يلقي أهل الجنة بعضهم بعضاً. قال: فيقبل الرجل ذو المنزل الرفيعة فيلقى من هو دونه وما فيهم معنى دنى، فيروعه ما يرى يعنى عليه من اللباس، فما يتقضى آخر حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه، وذلك أنه لا ينبغى لأحد أن يحزن فيها، قال: ثم نصرف إلى منازلنا فنلقى أزواجنا، فيقولون (فيقلن): مرحباً وأهلاً بجنبنا لقد جئت وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقنا عليه، قال: فنقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار عز وجل ويحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا. رواه الترمذى عن محمد بن إسماعيل البخارى، عن هشام بن عمار، عنه، فوقع لنا بدلاً عالياً بدرجتين وليس عنده غيره، وقال: غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار. فوافقناه فيه بعلو. (سنن ابن ماجه: ٢/١٤٥٠)

هشام بن عمار صاحب حديث الكراسى حول العرش

سير أعلام النبلاء: ١١/٤٢٠:

هشام بن عمار، الإمام الحافظ العلامة المقرئ عالم أهل الشام، أبو الوليد السلمى ويقال الظفرى خطيب دمشق، نقل عنه الباغدى قال: ولدت سنة ثلاث وخمسين ومئة، وسمع من مالك وتمت له معه قصة... وحدث عنه بشر كثير وجم غفير... وعدة سواهم مذكورين فى تهذيب الكمال وفى تاريخ دمشق. فلقد كان من أوعية العلم... وروى عنه: أبو عبيد القاسم بن سلام، ومات قبله بنيف وعشرين سنة، ومحمد بن سعد ومات قبله بوضع عشرة سنة، ومؤمل بن الفضل الحرانى كذلك، ويحيى بن معين، كذلك وحدث عنه من كبار شيوخه: الوليد بن مسلم، ومحمد بن شعيب ابن شابور... وحدث عنه من أصحاب الكتب: البخارى، وأبوداود، والنسائى، وابن ماجه، وروى الترمذى عن رجل عنه، ولم يلقه مسلم، ولا ارتحل إلى الشام، ووهم من زعم أنه دخل دمشق.

... وكان خطيباً بدمشق رزق كبير السن وصحة العقل والرأى، فارتحل الناس إليه فى نقل القراءة والحديث.

... فلما توفى ابن ذكوان سنة اثنتين وأربعين، اجتمع الناس على إمامة هشام بن عمار فى القراءة والنقل.

قال صالح بن محمد جزرة: كان هشام بن عمار يأخذ على الحديث، ولا يحدث ما لم يأخذ... كنت شارطت هشاماً أن أقرأ عليه بانتخابى ورقة، فكننت آخذ الكاغد الفرعونى وأكتب مقرمطاً، فكان إذا جاء الليل، أقرأ عليه إلى أن يصلى العتمة، فإذا صلى العتمة، يقعد وأقرأ عليه، فيقول: يا صالح ليس هذه ورقة، هذه شقة!

... قال: وكان يأخذ على كل ورقتين درهما ويشارط ويقول إن كان الخط دقيقاً، فليس بينى وبين الدقيق عمل.

قال أبو بكر المروذى: ذكر أحمد بن حنبل هشام بن عمار، فقال: طياش خفيف.

خيثمة: سمعت محمد بن عوف، يقول: أتينا هشام بن عمار فى مزرعة له، وهو قاعد على مورج له وقد انكشفت سوءته، فقلنا: يا شيخ

غظ عليك. فقال: رأيتموه لن ترمد عينكم أبداً، يعني يمزح.

قال الحافظ محمد بن أبي نصر الحميدى: أخبرني بعض أصحاب الحديث ببغداد أن هشام بن عمار قال: سألت الله تعالى سبع حوائج، فقضى لي منها ستاً، والواحدة ما أدري ما صنع فيها. سألته أن يغفر لي ولوالدي فما أدري، وسألته أن يرزقني الحج ففعل، وسألته أن يعمرني مئة سنة ففعل. قلت: إنما عاش اثنتين وتسعين سنة.

ثم قال: وسألته أن يجعلني مصداقاً على حديث رسول الله (ص)، ففعل.

وسألته أن يجعل الناس يغدون إلي في طلب العلم ففعل.

وسألته أن أخطب على منبر دمشق ففعل.

وسألته أن يرزقني ألف دينار حلالاً ففعل.

قال: فقيل له: كل شيء قد عرفناه، فألف دينار حلال من أين لك؟ فقال: وجه المتوكل بعض ولده ليكتب عني لما خرج إلينا، يعني لما سكن دمشق، وبني له القصر بداريا. قال: ونحن نلبس الأزرق، ولا نلبس السراويلات فجلست فانكشف ذكري، فرآه الغلام فقال: إستتر يا عم. قلت رأيتك قال: نعم. قلت: أما إنه لا ترمد عينك أبداً إن شاء الله!

قال: فلما دخل على المتوكل ضحك، قال فسأله فأخبره بما قلت له، فقال: فأل حسن تفاعل لك به رجل من أهل العلم! احمولوا إليه ألف دينار، فحملت إلي فأتتني من غير مسألة، ولا استشراف نفس. فهذه حكاية منقطعة. ولعلها جرت.

وذكر الذهبي قصته مع مالك في ٤٢٨ فقال:

قال أبو بكر محمد بن سليمان الربعي: حدثنا محمد بن الفيض الغساني، سمعت هشام بن عمار يقول: باع أبي بيتاً له بعشرين ديناراً، وجهزني للحج، فلما صرت إلى المدينة، أتيت مجلس مالك، ومعى مسائل أريد أن أسأله عنها. فأتيتها، وهو جالس في هيئة الملوك وغلمان قيام والناس يسألونه وهو يجيبهم! فلما انقضى المجلس قال لي بعض أصحاب الحديث: سل عن ما معك، فقلت له: يا أبا عبدالله ما تقول في كذا وكذا؟ فقال: حصلنا على الصبيان، يا غلام احملة! فحملني كما يحمل الصبي وأنا يومئذ غلام مدرك، فضربني بدره مثل درة المعلمين سبع عشرة درة، فوقفت أبكى فقال لي: ما يبكيك أوجعتك هذه الدرّة؟ قلت: إن أبي باع منزله ووجه بي أشرف بك وبالسماح منك فضربتني! فقال: أكتب، قال: فحدثني سبعة عشر حديثاً، وسألته عما كان معي من المسائل فأجابني!

قال يعقوب بن إسحاق الهروي، عن صالح بن محمد الحافظ: سمعت هشام بن عمار، يقول: دخلت على مالك فقلت له حدثني، فقال: إقرأ، فقلت: لا بل حدثني، فقال إقرأ، فلما أكثرت عليه، قال: يا غلام تعال اذهب بهذا فاضربه خمسة عشر، فذهب بي فضربني خمس عشرة درة، ثم جاء بي إليه فقال قد ضربته، فقلت له: لم ظلمتني ضربتني خمس عشرة درة بغير جرم، لا أجعلك في حل، فقال مالك فما كفارتك قلت: كفارته أن تحدثني بخمسة عشر حديثاً. قال: فحدثني بخمسة عشر حديثاً. فقلت له: زد من الضرب، وزد في الحديث، فضحك مالك، وقال: اذهب!

قال الخليلي: سمعت علي بن أحمد بن صالح المقرئ، حدثنا الحسن بن علي الطوسي، سمعت محمد بن طرخان، سمعت هشام بن عمار، يقول: قصدت باب مالك، فهجمت عليه بلا إذن فأمر غلاماً له، حتى ضربني سبعة عشر ضرب السلاطين. وأخرجت! فقعدت على بابه أبكى، ولم أبك للضرب بل بكيت حسرة، فحضر جماعة قال فقصصت عليهم، فشفعوا في، فأملى علي سبعة عشر حديثاً... قلت: لم يخرج له الترمذي سوى حديث سوق الجنة ثم قال عبدان: ما كان في الدنيا مثله.

قال ابن حبان البستي: كانت أذناه لاصقتين برأسه، وكان يخضب بالحناء.

وقال في هامشه: أخرجه الترمذي (٢٥٤٩) باب ما جاء في سوق الجنة، من طريق محمد بن إسماعيل، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا عبدالحميد بن حبيب بن أبي العشرين، حدثنا الأوزاعي، حدثنا حسان بن عطية، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، عن رسول الله (ص). وقال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

ونصه بتمامه: إن أهل الجنة إذا دخلوها، نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يؤذن في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزورون ربهم، ويبرز لهم عرشه، ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، فتوضع لهم منابر من نور، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم—وما فيهم من دنى—على كئبان المسك والكافور، وما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلساً. قال أبو هريرة: قلت: يا رسول الله، وهل نرى ربنا؟ قال: نعم، قال: هل تتمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر قلنا: لا. قال: كذلك لا تمارون في رؤية ربكم، ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله محاضرة، حتى يقول للرجل منهم: يا فلان ابن فلان، أتذكر يوم كذا وكذا، فيذكره ببعض غدراته في الدنيا، فيقول: يا رب، أفلم تغفر لي؟ فيقول: بلى، فسعه مغفرتي بلغت بك منزلتك هذه.

فبينما هم على ذلك، غشيتهم سحابة من فوقهم، فأمرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط. ويقول ربنا، تبارك وتعالى: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة، فخذوا ما اشتهيتم. فأتى سوقاً قد حفت به الملائكة، وفيه ما لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الأذان ولم يخطر على القلوب، فيحمل لنا ما اشتهينا، ليس يباع فيها ولا يشتري. وفي ذلك السوق يلقي أهل الجنة بعضهم بعضاً. قال: فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة، فيلقى من هو دونه—وما فيهم دنى—فيروعه ما يرى عليه من اللباس، فما ينقضى آخر حديثه حتى يتخيل إليه ما هو أحسن منه، وذلك أنه ما ينبغي لأحد أن يحزن فيها.

ثم نصرف إلى منازلنا، فيتلقانا أزواجنا، فيقلن: مرحباً وأهلاً، لقد جئت وإن بك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه، فيقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار، ويحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا. وأخرجه ابن ماجه (٤٣٣٦) عن هشام بن عمار به.

و قالوا جنة عدن مسكن الله تعالى و عرشه فيه

وقد تقدمت أحاديثها في الفصل الخامس عن عمر وكعب وأبي موسى الأشعري، ومنها ما رواه السيوطي في الدر المنثور: ٤/٢٥٤. وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله (ص): الفردوس مقصورة الرحمن فيها خيار الأنهار والأثمار. تفسير الطبري: ١٥/٩٤:

عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله (ص): إن الله يفتح الذكر في ثلاث ساعات ييقن من الليل، في الساعة الأولى منهن ينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره، فيمحو ما يشاء ويثبت، ثم ينزل في الساعة الثانية إلى جنة عدن وهو داره التي لم ترها عين.. وهي مسكنه ولا يسكن معه من بني آدم غير ثلاثة: النبيين والصدّيقين والشهداء.. ثم ينزل في الساعة الثالثة إلى السماء الدنيا بروحه وملائكته..

وروى الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠/١٥٤:

وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله (ص): ينزل الله تبارك وتعالى في آخر ثلاث ساعات يقين من الليل فينظر في الساعة الأولى في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره فيمحو ما يشاء ويثبت، وينظر في الساعة الثانية في جنة عدن وهي مسكنه التي لا يكون فيها معه إلا الأنبياء والشهداء والصدّيقون، وفيها ما لم يره أحد ولا خطر على قلب بشر، ثم يهبط آخر ساعة من الليل فيقول ألا مستغفر يستغفرني فأغفر له، ألا سائل يسئلي فأعطيه، ألا داع يدعوني. ولذلك قال الله: وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً، فيشاهده الله والملائكة. رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبخاري بنحوه. وفيه زيادة بن محمد الأنصاري، وهو منكر الحديث.

و روينا ورووا أن الفردوس مسكن إبراهيم و آله و محمد و آله

روى النسائي في سننه: ٤/١٢ عن فاطمة الزهراء عليها السلام أن الفردوس مسكن النبي (صلى الله عليه وآله)، ولم يذكر أنها مسكن الله تعالى. قال: عن أنس أن فاطمة بكت على رسول الله (ص) حين مات فقالت: يا أبتاه من ربه ما أدناه، يا أبتاه إلى جبريل نعا، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه. وروى ذلك غيره أيضاً.

وفي كنز العمال: ٢/٢٧٤:

عن الأصمغ بن نباتة قال: سمعت علياً يقول: ألا إن لكل شئ ذرؤه، وإن ذورتنا جبال الفردوس في بطنان الفردوس قصرًا من لؤلؤة بيضاء وصفراء من عرق واحد، وإن في البيضاء سبعين ألف قصر، منازل إبراهيم وآل إبراهيم، فإذا صليتم على محمد فصلوا على إبراهيم وآل إبراهيم. خط في تلخيص المتشابه.

وقال القسطلاني في إرشاد الساري: ٥/٣٨:

فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة أي أفضلها، قال: وفوقه عرش الرحمن. انتهى.

وروى الديلمي في فردوس الأخبار: ٣/١٦٢ حديثاً غريباً طريفاً لطيفاً، قال: عمر بن الخطاب: فاطمة وعلي والحسن والحسين في حظيرة القدس في قبة بيضاء سققها عرش الرحمن عز وجل.

و قالوا أرواح الشهداء في حواصل طيور في قناديل معلقة بالعرش

صحيح مسلم: ٦/٣٨:

عن مسروق قال سألتنا عبد الله عن هذه الآية: وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، قال: أما إنا قد سألناه عن ذلك فقال: أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوى إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعاً فقال هل تشتهون شيئاً؟ قالوا أي شئ نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة، تركوا.

وروى الدميري في حياة الحيوان: ١/٦٥٧:

أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر ترعى في الجنة وتأوى إلى قناديل معلقة تحت العرش. قال شيخنا: أولئك شهداء السيوف، وأما شهداء الصفوة فأجسادهم أرواح!

وقال الدارمي في سننه: ٢/٢٠٦:

عن مسروق قال سألتنا عبد الله عن أرواح الشهداء ولو لا عبد الله لم يحدثنا أحد، قال: أرواح الشهداء عند الله يوم القيامة في حواصل طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش (ترعى) أي الجنة حيث شاءت، ثم ترجع إلى قناديلها فيشرف عليهم ربهم فيقول: ألكم حاجة تريدون شيئاً، فيقولون لا إلا- أن نرجع إلى الدنيا فنقتل مرة أخرى. انتهى. وروى نحوه ابن ماجه في: ١/٤٦٦ و: ٢/٩٣٦ وأبو داود: ١/٥٦٦ والترمذي في: ٤/٢٩٩ وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأحمد: ١/٢٦٥ وص ٣٨٦ والحاكم ج ٢/٨٨ وص ٢٩٧ وابن منصور في سننه: ٢/٢١٦ والبيهقي في سننه: ٩/١٦٣ والهيثمي في مجمع الزوائد: ٦/٣٢٨ والهيثمي في: ٥/٢٩٨ والهندي في كنز العمال: ٤/٣٠٨ وص ٤٠٣ وص ٤١٣ وص ٤١٤ وج ١٣/٤٨١

ورد أهل البيت حديث القناديل و حواصل الطيور

الكافي: ٣/٢٤٤:

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن أبي ولاد الحناط عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت له: جعلت فداك يروون أن أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش؟ فقال: لا، المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصله طير، ولكن في أبدان كأبدانهم.

الكافي: ٣/٢٤٥:

محمد، عن أحمد، عن الحسين بن سعيد، عن أخيه الحسن، عن زرعة، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنا نتحدث عن أرواح المؤمنين أنها في حواصل طيور خضر ترعى في الجنة وتأوى إلى قناديل تحت العرش، فقال: لا، ما هي في حواصل طير، قلت: فأين هي قال: في روضة كهيئة الأجساد في الجنة. انتهى. وروى نحوه الطوسي في تهذيب الأحكام: ١/٤٦٦

واختلفت رواياتهم فيما هو مكتوب على العرش

تاريخ بغداد: ١١/١٧٣:

عن أنس بن مالك قال قال النبي (ص): لما عرج بي رأيت على ساق العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله، أيده بعلي، نصرته بعلي.

لسان الميزان: ٢/٤٨٤:

وحدثنا محمد بن عثمان ثنا زكريا بن يحيى الكسائي ثنا يحيى بن سالم ثنا أشعث بن عم الحسن بن صالح ثنا مسعر عن عطية العوفى عن جابر (رض) مرفوعاً: مكتوب على باب الجنة لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أيده بعلي. قال أبو نعيم الحافظ حدثنا أبو علي بن الصواف ومحمد بن علي بن سهل وسليمان الطبراني والحسن بن علي بن الخطاب قالوا: ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة فساقه بنحوه، لكن لفظه على باب الجنة لا إله إلا الله محمد رسول الله على أخو رسول الله قبل أن يخلق الله السموات بألفى عام، ساقه الخطيب عن أبي نعيم في ترجمه الحسن هذا، وقد روى الكسائي عن ابن فضيل وجماعة، وقال النسائي والدارقطني متروك. انتهى. وقد تقدم في ترجمه أشعث ابن عم الحسن بن صالح لهذا الرجل ذكر بالتشيع، وسيأتي كلام ابن عدا في ترجمه على بن القاسم. الجواهر الحسان للثعالبي: ١/٦٧:

وقالت طائفة إن آدم رأى مكتوباً على ساق العرش: محمد رسول الله، فتشفع به، فهي الكلمات..

لسان الميزان: ٣/٢٣٧:

ومن أباطيله عن خالد بن أبي عمرو الأزدي عن الكلبى عن أبي صالح عن أبي هريرة (رض) قال: مكتوب على العرش لا إله إلا الله، محمد عبدى ورسولى أيده بعلي.

ميزان الاعتدال: ٣/١٨٢:

عمر بن إسماعيل بن مجالد بن سعيد الهمداني. عن أبيه وغيره. كذبه ابن معين. وقال النسائي والدارقطني: متروك. وقال ابن عدى: يسرق الحديث... وقال ابن جرير الطبرى: حدثنا عمر بن إسماعيل، حدثنا ابن فضيل، عن ابن جريج، عن عطاء، عن أبي الدرداء مرفوعاً: رأيت ليلة الإسراء جريدة خضراء فيها مكتوب بنور: لا إله إلا الله، أبو بكر الصديق، عمر الفاروق. تابعه السرى بن عاصم. فردوس الأخبار للديلمي: ٤/٤١٠:

البراء بن عازب: مكتوب على العرش لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الفاروق، عثمان الشهيد، على الرضا.

فردوس الأخبار للديلمي: ٥/٤٦٨:

تحشر ابنتى فاطمة ومعها ثياب مصبوغة بدم، فتعلق بقائمه من قوائم العرش فتقول: يا عدل، أحكم بينى وبين قاتل ولدى، فيحكى لابنتى ورب الكعبة.

لسان الميزان: ٣/٤٢٣:

عبدالرحمن بن عفان... قال ابن الجنيد سمعت يحيى بن معين وذكر أبا بكر بن عفان ختن مهدى بن حفص فقال: كذاب مكذب رأيت له حديثاً حدث به عن أبي إسحاق الفزاري كذباً.

قلت: وله خبر آخر عن محمد بن محمد بن الصائغ عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده مرفوعاً: لما أسرى بي رأيت على العرش

مكتوباً لا -إله إلا الله محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الفاروق، عثمان ذو النورين، يقتل ظلماً. رواه الختلى في الديداج عنه، والمتهم به صاحب الترجمة.

الموضوعات: ١/٣٢٧:

أبنا عبد الرحمن بن محمد قال أبنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرني أحمد بن عمر بن علي القاضي قال: أبنا أحمد بن علي بن محمد بن الجهم قال: حدثنا محمد بن جرير الطبري قال: حدثني عمر بن إسماعيل بن مجالد قال: حدثنا ابن فضيل عن ابن جريج، عن عطاء، عن أبي الدرداء عن النبي (ص) قال: رأيت ليلة أسرى بي في العرش فرندة خضراء فيها مكتوب بنور أبيض: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الفاروق. هذا حديث لا يصح، والمتهم به عمر بن إسماعيل، قال يحيى: ليس بشئ كذاب دجال سوء خبيث، وقال النسائي والدارقطني: متروك الحديث.

الموضوعات: ١/٣٣٦:

أبنا عبد الرحمن بن محمد القزاز قال: أبنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أبنا القاضي أبو الفرج محمد بن أحمد بن الحسن الشافعي قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن مالك القطيعي قال: حدثنا أحمد ابن محمد القاضي قال: حدثنا الاحتياطي قال: حدثنا علي بن جميل، عن جرير بن عبد الحميد، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): ما في الجنة شجرة إلا مكتوب على ورقة محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الفاروق، عثمان ذو النورين. اسم الإحتياطي الحسن بن عبد الرحمن بن عباد أبو علي.

قال أبو حاتم بن حبان: هذا باطل موضوع، وعلي بن جميل كان يضع الحديث لا تحل الرواية عنه بحال...

أبنا أبو منصور القزاز قال: أبنا أبو بكر أحمد بن علي ابن ثابت قال: أبنا محمد بن عبيد الله الحناني قال: أبنا عثمان بن أحمد الدقاق قال: أبنا إسحاق بن إبراهيم الختلى قال: حدثنا أبو بكر عبد الرحمن بن عنان الصوفي قال: حدثنا محمد بن مجيب الصانع قال: حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال قال رسول الله (ص): ليلة أسرى بي رأيت على العرش مكتوباً لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الفاروق، عثمان ذو النورين يقتل مظلوماً. هذا حديث لا -يصح عن رسول الله (ص). وأبو بكر الصوفي ومحمد بن مجيب كذابان، قاله يحيى بن معين.

لسان الميزان: ٢/٢٩٥:

وقال الهيثم بن خلف حدثنا الحسن بن عبد الرحمن الاحتياطي، ثنا جرير، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس في الجنة شجرة إلا -على كل ورقة منها مكتوب لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الفاروق، عثمان ذو النورين. قلت: هذا باطل والمتهم به الحسين. انتهى. وكذا في ميزان الاعتدال: ١/٥٤٠ ونحوه في لسان الميزان: ٦/٦١ وميزان الاعتدال: ٤/١٤٥ وفي كتاب المجروحين: ١/١١٦ وقال أخبرناه الحسن بن عبد الله بن يزيد القطان بالرقعة قال: حدثنا علي بن جميل. وهذان خبران باطلان موضوعان لا شك فيه، وله مثل هذا أشياء كثيرة يطول الكتاب بذكرها. ومات علي بن جميل بالرقعة سنة تسع وأربعين ومائتين. ونحوه في المجروحين: ١/٣٦٦

نهج الحق للعلامة الحلبي/ ٢٥٢:

وقد ذكرت في كتاب: كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين: أن الفضائل إما قبل ولادته، مثل ما روى أخطب خوارزم، من علماء الجمهور، عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لما خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه عطس آدم، فقال: الحمد لله، فأوحى الله تعالى إليه حمدني عبدى، وعزتى وجلالى لو لا عبدان أريد أن أخلقهما في دار الدنيا ما خلقتك، قال: إلهي فيكونان منى قال: نعم يا آدم، ارفع رأسك، وانظر، فرفع رأسه، فإذا مكتوب على العرش: لا إله إلا الله، محمد نبي الرحمة، وعلي مقيم الحجة، من عرف حق علي زكا وطاب، ومن أنكر حقه لعن وخاب، أقسمت بعزتى وجلالى: أن أدخل الجنة من أطاعه، وإن عصاني، وأقسمت بعزتى: أن أدخل النار من عصاه وإن أطاعنى. والأخبار في ذلك كثيرة.

وقال في هامشه: رواه في المناقب، بسنده عن الاعمش، عن أبي وائل، عن ابن مسعود، كما في ينابيع المودة/١١.

و قالوا إنه تعالى أثقل من الحديد

الدر المنثور: ٦/٣:

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ والحاكم وصححه عن ابن عباس رضى الله عنهما: تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ، قال: من الثقل. انتهى. أى من ثقل الله تعالى! وستأتى بقيه رواياتهم عن أطيط العرش وصريره فى تفسير آيات الإستواء على العرش.

و قالوا يرى بالعين فى الآخرة و يناقش رجلا و يضحك عليه

صحيح البخارى: ١/١٩٥:

(عن أبى هريرة) أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟

قال: هل تمارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحب؟

قالوا: لا يا رسول الله.

قال: فهل تمارون فى الشمس ليس دونها سحب؟

قالوا: لا.

قال: فإنكم ترونه كذلك. يحشر الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبّع، فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، تبقى هذه الأمة فيها مناققوها، فيأتيهم الله عز وجل فيقول أنا ربكم. فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا؟! فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهراى جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأتمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل و كلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم. وفى جهنم كلاليب مثل شوكة السعدان، هل رأيتم شوكة السعدان؟ قالوا: نعم.

قال فإنها مثل شوكة السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو، حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بأثار السجود، وحرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار، فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل!

ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد، ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولا الجنة مقبلاً بوجهه قبل النار، فيقول: يا رب إصرف وجهى عن النار قد قشبنى ريحها وأحرقنى ذكاؤها.

فيقول: هل عسيت إن فعل ذلك بك أن تسأل غير ذلك؟

فيقول: لا وعزتك، فيعطى الله ما يشاء من عهد وميثال فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل به على الجنة رأى بهجتها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم قال: يا رب قدمنى عند باب الجنة.

فيقول الله له: أليس قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذى كنت سألت: فيقول: يا رب لا أكون أشقى خلقك.

فيقول: فما عسيت أن أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره.

فيقول: لا- وعزتك لا أسأل غير ذلك، فيعطى ربه ما شاء من عهد و ميثاق فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا بلغ بابها فرأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت فيقول: يا رب أدخلنى الجنة.

فيقول الله تعالى: ويحك يا ابن آدم ما أغدرتك، أليس قد أعطيت العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت؟ فيقول: يا رب لا تجعلني أشقى خلقك، فيضحك الله عز وجل منه ثم يأذن له في دخول الجنة فيقول له: تمنّ، فيتمنى، حتى إذا انقطع أمنيته قال الله عز وجل: زد من كذا وكذا، وأقبل يذكره ربه عز وجل، حتى إذا انتهت به الأماني، قال الله تعالى: لك ذلك ومثله معه. قال أبو سعيد الخدرى لأبي هريرة رضي الله عنهما: إن رسول الله (ص) قال: قال الله عز وجل لك ذلك وعشرة أمثاله. قال أبو هريرة: لم أحفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قوله لك ذلك ومثله معه. قال أبو سعيد الخدرى: إنى سمعته يقول ذلك لك وعشرة أمثاله. وروى نحوه في: ٧/٢٠٥ وفيه (فلا يزال يدعوا حتى يضحك، فإذا ضحك منه أذن له بالدخول فيها فإذا دخل فيها، قيل تمن من كذا فيتمنى، ثم يقال له تمن من كذا فيتمنى، حتى تنقطع به الأماني فيقول: هذا لك ومثله معه. قال أبو هريرة: وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولاً. قال عطاء وأبو سعيد الخدرى جالس مع أبي هريرة لا يغير عليه شيئاً من حديثه حتى انتهى إلى قوله هذا لك ومثله معه، قال أبو سعيد سمعت رسول الله (ص) يقول: هذا لك وعشرة أمثاله، قال أبو هريرة: حفظت مثله معه). وروى البخارى نحوه أيضاً في عدة مواضع من صحيحه كما في: ١: جزء ١/١٣٨ و ١٤٣ و ١٩٥ و جزء ٢/١١٣-١١٤ و ج ٣ جزء ٦/٤٨، ٥٦ و ٧٢ و ج ٤ جزء ٧/١٩٨، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥ و ٢٠٦ و ج ٤ جزء ٨/١٧٩، ١٨١، ١٨٤، ٢٠٣ و ج ٥/١٧٩ و ج ٦ ص ٤٨ و ج ٨ ص ١٦٧، ١٦٨ و ١٧٩ و ١٨٦!!

و قالوا يكشف عن ساقه بل عن ساقيه و يعفو عن المنافقين

زاد مسلم على البخارى إضافات وتفصيلات عن تجسد الله تعالى وعن شمول شفاعته النبي صلى الله عليه وآله للمنافقين والمشركين حتى لا يكاد يبقى في النار أحداً! فقال في: ١/١١٢: عن أبي سعيد الخدرى أن ناساً في زمن رسول الله (ص) قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله (ص): نعم. قال هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيره صحواً ليس معها سحاب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما. إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ليتبع كل أمه ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والانصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا- من كان يعبد الله من بر وفاجر، وغير أهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيراً بن الله، فيقال كذبتهم ما اتخذ الله من صاحبه ولا ولد، فماذا تبغون؟ قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون، فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار. ثم يدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم كذبتهم ما اتخذ الله من صاحبه ولا ولد، فيقال لهم ماذا تبغون؟ فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا، قال فيشار إليهم ألا تردون، فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار. حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها. قال فما تنتظرون، تتبع كل أمه ما كانت تعبد! قالوا يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم. فيقول أنا ربكم.

فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً، مرتين أو ثلاثاً!

حتى أن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟

فيقولون نعم، فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء، إلا جعل الله ظهره طبقه واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، ثم يرفعون رؤسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فقال: أنا ربكم.

فيقولون أنت ربنا.

ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون اللهم سلم سلم.

قيل يا رسول الله وما الجسر؟ قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلايب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير كأجاويد الخيل والركاب، فجاج مسلم ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم، حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسى بيده ما منكم من أحد بأشد منا شدة الله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين في النار، يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه، ثم يقولون ربنا ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا به، فيقول إرجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا، ثم يقول إرجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجه فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً، ثم يقول إرجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيراً.

وكان أبو سعيد الخدرى يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا إن شئتم: إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَبَةً يَظَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا، فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لن يعملوا خيراً قط، قد عادوا حمماً فيلقبهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض، فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية، قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه، ثم يقول أدخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين، فيقول لكم عندي أفضل من هذا فيقولون يا ربنا أى شئ أفضل من هذا؟ فيقول رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبداً.

وروى مسلم عدداً من أحاديث الرؤية أيضاً في: ٢/١١٣

وروى أبو داود في سننه نحو حديث البخارى المتقدم في: ٢/٤١٩

وروى أحمد في مسنده: ٣/٣٨٣... أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يسأل عن الورود قال: نحن يوم القيامة على كذا وكذا أنظر أى ذلك فوق البأس، قال فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول من تنظرون؟ فيقولون ننتظر ربنا عز وجل، فيقول أنا ربكم، يقولون حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم يضحك، قال سمعت النبي (ص) قال: فينطلق بهم ويتبعونه ويعطى كل إنسان منافق أو مؤمن نوراً، ثم يتبعونه وعلى جسر جهنم كلايب وحسك تأخذ من شاء الله، ثم يطفأ نور المنافق ثم ينجو المؤمنون فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفاً لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضواء أنجم في السماء، ثم كذلك، ثم تحل الشفاعة حتى يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، فيجعلون بفناء أهل الجنة، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتون نبات الشئ في السيل، ثم يسأل حتى يجعل له الدنيا وعشرة أمثالها معها.

ورواه ابن ماجه في سننه: ١/٦٣، ٦٦، ٥٩٠ وج ٢/٧٣١ و ١٤٥٠ وفيه (ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة... ويجلس أدناهم).

وأبو داود في سننه: ٢/٤٢٠ وج ٤/٢٣٣-والترمذى: ٤/٩٠ وج ٤/٩٢، ٩٣، ٩٥-والبغوى في المصابيح: ٣/٥٣٣ وص ٥٤٢ وص ٥٤٩-وروى من أحاديث الرؤية في الآخرة ابن أبي شيبة في المصنف: ٢/٥٨-والهيثمى في مجمع الزوائد: ١٠/٣٤٣-وابن الاثير في أسد الغابة: ١/٣٣٤-والهندي في كنز العمال: ١٤/٤٣٦ و ٤٤٦ و ٤٩٣-والبيهقي في سننه: ١٠/٤١ وفي البعث والنشور: ٢٤٢ وفي شعب الإيمان: ٣/٢٠٢،

وقال في شعب الإيمان: ٣/٩٩: عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله أن الناس يجلسون يوم القيامة من الله على قدر رواحهم إلى الجمعة، الأول ثم الثاني ثم الثالث. انتهى. ورواه الحاكم في المستدرک: ٤/٥٦٠ و ٥٨٢ مع تفاوت في التفاصيل. ورواه الطبري في تفسيره: ٢٥/٩٤ وفي: ٢٩/٢٦ وج ٣٠/١١٩، - وقال في: ٢٩/٢٤:

قال أبو الزهراء عن عبد الله يتمثل الله للخلق يوم القيامة..

وأورد السيوطي في الدر المنثور: ٦/٢٩٠ عدداً وفيراً من أحاديث الرؤية قال: وأخرج عبدالرزاق وأحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والنسائي والدارقطني في الرؤية والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي هريرة قال قال الناس يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون الشمس... الخ.

وأخرج الدارقطني في الرؤية عن أبي هريرة قال: سألت الناس رسول الله (ص) فقالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون... الخ. وفيه تفصيلات لا توجد في غيره.

وأخرج الدارقطني في الرؤية عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص): إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء الرب عز وجل إلى المؤمنين فوقف عليهم والمؤمنون على كرم فيقول هل تعرفون ربكم عز وجل فيقولون إن عرفنا نفسه عرفناه فيقول لهم الثانية هل تعرفون ربكم فيقولون إن عرفنا نفسه عرفناه فيتجلى لهم عز وجل فيضحك في وجوههم فيخرون له سجداً.

وأخرج النسائي والدارقطني وصححه عن أبي هريرة قال قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا... الخ.

وأخرج الدارقطني عن أبي هريرة أن النبي (ص) قال ترون الله عز وجل يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر... الخ.

وأخرج أحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والدارقطني والحاكم والبيهقي عن أبي سعيد الخدري قال قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة... الخ.

وقال البخاري في: ٦/٧٢:

عن أبي سعيد (رض) قال سمعت النبي (ص) يقول: يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعه فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً. انتهى. ورواه في: ٨/١٨١ وهو يشبه ما تقدم عن رؤية الله تعالى وفيه:

(يقال لهم ما يحبسكم وقد ذهب الناس... وإنما نتظر ربنا قال فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رآوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه فيقولون الساق فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعه فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً). وروى نحوه في: ٣ جزء ٦/٧٢ وروى نحوه الدارمي

في سننه: ٢/٣٢٦ والحاكم في المستدرک: ٤/٥٩٠ وج ٤/٥٩٩ وأحمد في: ٣/١٧ والهيثمى في مجمع الزوائد: ١٠/٣٢٩ وج ١٠/٣٤٠ والهندي في كنز العمال: ١٤/٢٩٨ وص ٤٤١ والسيوطي في الدر المنثور: ٦/٢٩٢-وقال الصنعاني في تفسيره: ٢/٢٤٨-عن ابن مسعود في قوله تعالى: يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ قال: يعنى ساقه تبارك وتعالى! وقال المنذرى في الترغيب والترهيب: ٤/٣٩١: عن عبدالله ابن مسعود قال النبي (ص)... أن أمة محمد تبقى يوم القيامة تنتظر خروج ربها فلا يعرفونه إلا بكشف ساقه. انتهى. وقال في: ٥/٣٦٩: ابن مسعود: يكشف ربنا عز وجل عن ساقه يوم القيامة.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠/٣٤٠:

وعن عبدالله بن مسعود عن النبي (ص) قال يجمع الله الأولين الآخرين لميقات يوم معلوم قياماً أربعين سنة شاخصاً أبصارهم ينتظرون

فصل القضاء، قال وينزل الله عز وجل في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي، ثم ينادى مناد أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً أن يولى كل أناس منكم ما كانوا يعبدون في الدنيا، أليس ذلك عدلاً من ربكم؟ قالوا بلى، قال فينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويقولون في الدنيا قال فينطلقون ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون فمنهم من ينطلق إلى الشمس ومنهم من ينطلق إلى القمر والأوثان من الحجارة وأشباه ما كانوا يعبدون، قال ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى ويمثل لمن كان يعبد عزيزاً شيطان عزيز.

ويبقى محمد(ص) وأمته، قال فيتمثل الرب تبارك وتعالى فيأتيهم فيقول: ما لكم لا تنطلقون كانطلاق الناس؟ فيقولون إن لنا لالهاً ما رأيناها، فيقول هل تعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون إن بيننا وبينه علامة إذا رأيناها عرفناها، قال فيقول ما هي؟ فنقول يكشف عن ساقه، قال فعند ذلك يكشف عن ساقه فيخر كل من كان نظره، ويبقى قوم ظهورهم كصياصي البقر يريدون السجود فلا يستطيعون، وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون، ثم يقول ارفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه، ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك، ومنهم من يعطى مثل النخلة بيده، ومنهم من يعطى أصغر من ذلك، حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوره على إبهام قدميه يضيء مرة ويطفأ مرة، فإذا أضاء قدمه وإذا طفىء قام، قال والرب تبارك وتعالى أمامهم حتى يمر في النار فيبقى أثره كحد السيف، قال فيقول مروا فيمرون على قدر نورهم، منهم من يمر كطرف العين، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالسحاب، ومنهم من يمر كانهض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كشدة الفرس، ومنهم من يمر كشدة الرجل، حتى يمر الذي يعطى نوره على ظهر قدميه يجثو على وجهه ويديه ورجليه تحترق يد وتعلق يد، وتخر رجل وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار، فلا يزال كذلك حتى يخلص فإذا خلص وقف عليها فقال الحمد لله فقد أعطاني الله ما لم يعط أحداً إذ نجاني منها بعد إذ رأيتها، قال فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة فيغتسل فيعود إليه ريح أهل الجنة وألوانهم، فيرى ما في الجنة من خلل الباب فيقول رب أدخلني الجنة فيقول الله أتسأل الجنة وقد نجيتك من النار، فيقول رب اجعل بيني وبينها حجاباً لا أسمع حسيسها، قال فيدخل الجنة ويرى أو يرفع له منزل أمام ذلك كأن ما هو فيه إليه حلم، فيقول رب أعطني ذلك المنزل فيقول له لعلك إن أعطيتك تسأل غيره فيقول لا- وعزتك لا أسألك غيره، وأنى منزل أحسن منه، فيعطى فينزله ويرى أمام ذلك منزلاً كأن ما هو فيه إليه حلم، قال رب أعطني ذلك المنزل، فيقول الله تبارك وتعالى له لعلك إن أعطيتك تسأل غيره، فيقول وعزتك يا رب وأنى منزل يكون أحسن منه فيعطاه وينزله ثم يسكت، فيقول الله جل ذكره مالك لا- تسأل، فيقول رب قد سألتك حتى قد استحييتك وأقسمت حتى استحييتك، فيقول الله جل ذكره ألم ترض أن أعطيك مثل الدنيا منذ خلقتها إلى يوم أفيتها وعشرة أضعافه، فيقول أنهزأ بي وأنت رب العزة؟ فيضحك الرب تبارك وتعالى من قوله!

قال فرأيت عبد الله بن مسعود إذا بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحكك، فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن قد سمعتك تحدث هذا الحديث مراراً كلما بلغت هذا المكان ضحكك، قال إنني سمعت رسول الله(ص) يحدث هذا الحديث مراراً كلما بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحكك حتى تبدو أضراسه، قال فيقول الرب جل ذكره لا ولكنني على ذلك قادر، سل فيقول الحقني بالناس، فيقول الحق بالناس، قال فينطلق يرمل في الجنة حتى إذا دنا من الناس رفع له قصر من درة فيخر ساجداً، فيقال له إرفع رأسك مالك، فيقول رأيت ربي أو تراءى لى ربي، فيقال له إنما هو منزل من منازلك، قال ثم يلقي رجلاً فيتها للسنجود له فيقال له مه، فيقول رأيت أنك ملك من الملائكة، فيقول إنما أنا خازن من خزانك وعبد من عبيدك تحت يدي ألف قهرمان على مثل ما أنا عليه، قال فينطلق أمامه حتى يفتح له القصر قال وهو من درة مجوفة سقائفها وأبوابها وأغلقها ومفاتيحها منها تستقبله جوهرة خضراء مبطنة بحمراء فيها سبعون باباً كل باب يفضى إلى جوهرة خضراء مبطنة كل جوهرة تفضى إلى جوهرة على غير لون الأخرى في كل جوهرة سرر وأزواج ووصائف، أدناهن حوراء عيناء عليها سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء حللها، كبدها مرآته وكبده مرآتها، إذا عرض عنها إعراضة ازدادت في عينه سبعين ضعفاً عما كانت قبل ذلك، فيقول لها والله لقد ازدادت في عيني سبعين ضعفاً، وتقول له وأنت

ازددت في عيني سبعين ضعفاً، يقال له أشرف فيشرف فيقال له ملكك مسيرة مائة عام ينفذه بصرك.

قال فقال عمر ألا تسمع ما يحدثنا ابن أم عبد يا كعب عن أدنى أهل الجنة منزلاً فكيف أعلاهم؟ قال يا أمير المؤمنين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، إن الله جل ذكره خلق داراً جعل فيها ما شاء من الأزواج والثمرات والأشربة ثم أطبقها فلم يرها أحد من خلقه لا جبريل ولا غيره من الملائكة، ثم قال كعب: فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرء أعين جزاءً بما كانوا يعملون، قال وخلق دون ذلك جنتين وزينهما بما شاء وأراهما من شاء من خلقه، ثم قال من كان كتابه في عليين نزل في تلك الدار التي لم يرها أحد، حتى أن الرجل من أهل عليين ليخرج فيسير في ملكه فلا تبقى خيمته من خيم الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه، فيستبشرون لريحه فيقولون واهاً لهذا الريح هذا ريح رجل من أهل عليين قد خرج يسير في ملكه.

قال ويحك يا كعب إن هذه القلوب قد استرسلت فاقبضها، فقال كعب إن لجهنم يوم القيامة لزرقة ما من ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خرّ لركبته، حتى أن إبراهيم خليل الله ليقول: رب نفسي نفسي حتى لو كان لك عمل سبعين نبياً إلى عملك لظننت أن لا تنجو... رواه كله الطبراني من طرق ورجال أحدها رجال الصحيح غير أبي خالد الدالاني وهو ثقة. انتهى.

ويدل هذا الحديث الذي وثقه الطبراني على أن دار الخلافة بحضور الخليفة عمر كانت عامرة بمثل هذه الأحاديث، وأن كعب الأخبار كان المرجع الذي يؤخذ برأيه! وتفصيل ذلك في الفصل الخامس.

وقال البغوي في مصابحه: ٣/٥٢٩:

وقال (ص): يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة. انتهى. ورواه الديلمي في فردوس الأخبار: ٥/٣٦٩ ورواه السهمي في تاريخ جرجان/٣٩١

وقال السيوطي في الدر المنثور: ٦/٢٥٤:

قوله تعالى (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) الآية.. أخرج البخاري وابن المنذر وابن مردويه عن أبي سعيد...

وأخرج ابن مندة في الرد على الجهمية عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص): يوم يكشف عن ساق، قال يكشف الله عز وجل عن ساقه.

وأخرج عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مندة عن ابن مسعود في قوله: يوم يكشف عن ساق، قال عن ساقه تبارك وتعالى، قال ابن مندة: لعله في قراءة ابن مسعود يكشف بفتح الياء وكسر الشين.

وأخرج ابن مردويه عن كعب الجبر قال: والذي أنزل التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود والفرقان على محمد أنزلت هذه الآيات في الصلوات المكتوبات حيث ينادى بهن يوم يكشف عن ساق إلى قوله وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون الصلوات الخمس إذا نودي بها.

وأخرج إسحق بن راهويه في مسنده وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا والطبراني والاجري في الشريعة والدارقطني في الرؤية والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث عن عبدالله بن مسعود، عن النبي (ص) قال... الخ. ونحوه في الدر المنثور: ٥/٣٤١.

و حاول الصنعاني والنووي تخلص الله تعالى من كشف ساقه

تفسير الصنعاني: ٢/٢٤٧:

عن إبراهيم في قوله تعالى: يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ قال: عن أمر عظيم وقال: قد قامت الحرب على ساق. وقال إبراهيم... قال ابن عباس: يكشف عن ساق فيسجد كل مؤمن ويقسو ظهر الكافر فيكون عظماً واحداً.

وقال النووي في شرح مسلم: ٢ جزء ٣/٢٧:

قوله (ص) فيكشف عن ساق... أي يكشف عن شدة وأمر مهول... وكشف عن ساقه للإهتمام به. قال القاضي: وقيل المراد بالساق هنا

نور عظيم.. وقيل قد يكون الساق علامةً بينه وبين المؤمنين. انتهى.

وسوف نورد في تفسير آية: **يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**، أن كشفت الحرب عن ساقها، أو كشف الأمر عن ساقه، في اللغة العربية تعبير عن حلول الأمر الشديد، وسنورد عدداً من الأحاديث التي فسرت الآية بذلك.

و قالوا إنه يجلس على الجسر و يضع رجله على الاخرى

روى ابن أبي شيبة في المصنف: ٦/١١٢:

عن الحكم قال: سألت أبا مجلز عن الرجل يجلس ويضع إحدى رجله على الأخرى فقال: لا بأس به إنما هو شيء كرهته اليهود، قالوا إنه خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم استوى يوم السبت فجلس تلك الجلسة.

روى الديلمي في فردوس الأخبار: ٥/٣٦٩:

عن ثوبان مولى النبي (ص): يقبل الجبار عز وجل يوم القيامة فيثني رجله على الجسر!

وروى الذهبي في تاريخ الإسلام: ٩/٥٢٠:

عثمان بن أبي عاتكة... روى عن أبي أمامة عن رسول الله (ص): إن الله يجلس يوم القيامة على القنطرة الوسطى بين الجنة والنار.

الامام الصادق يقول إنها رواية يهودية

تفسير العياشي: ١/١٣٧:

... عن حماد عنه (الإمام جعفر الصادق عليه السلام) قال: رأيت جالساً متوركاً برجله على فخذه فقال له رجل عنده: جعلت فداك هذه جلسة مكروهة، فقال: لا، إن اليهود قالت: إن الرب لما فرغ من خلق السموات والأرض جلس على الكرسي هذه الجلسة ليسترىح، فأنزل الله: **الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم**.

و قالوا لا تمتلي النار حتى يضع رجله فيه

صحيح البخاري: ٣ جزء ٦/٤٧:

... عن أنس (رض) عن النبي (ص) قال يلقى في النار وتقول هل من مزيد حتى يضع قدمه فتقول قط قط.

... عن أبي هريرة... يقال لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد، فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول قط قط.. إلى آخر الرواية وفيها من مناظرة بين الجنة والنار.

... عن أبي هريرة (رض) قال قال النبي (ص) تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة مالي لا يدخلني إلا -ضعفاء الناس وسقطهم، قال الله تبارك وتعالى للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي، وقال للنار إنما أنت عذاب أعذب بك من أشياء من عبادي، ولكل واحدة منهما ملؤها، فأما النار فلا تمتلي حتى يضع رجله فتقول قط قط، فهالك تمتلي ويزوى بعضها إلى بعض.

صحيح البخاري: ٤ جزء ٧/٢٢٤:

عن أنس بن مالك: قال النبي (ص) لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط قط.

صحيح البخاري: ٤ جزء ٨/١٦٦:

وقال أنس قال النبي (ص) تقول جهنم قط قط وعزتك.

صحيح البخاري: ٤ جزء ٨/١٦٧:

عن أنس عن النبي (ص) قال: لا يزال يلقي فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العزة قدمه فينزوي بعضها إلى بعض ثم تقول قد قد بعزتك.

صحيح البخارى: ٤ جزء ٨/١٨٦:

عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال:..وإنه ينشأ للنار من يشاء فيلقون فيها، فتقول هل من مزيد ثلاثاً، حتى يضع قومه فتمتلى ويرد بعضها إلى بعض وتقول قط قط قط.

صحيح مسلم: ٨/١٥١:

فأما النار فلا تمتلى فيضع قدمه عليها فتقول قط قط فهناك تمتلى ويزوى بعضها إلى بعض... فأما النار فلا تمتلى حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله تقول قط قط قط، فهناك تمتلى ويزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله من خلقه أحداً. وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقاً.

صحيح مسلم: ٨/١٥٢:

... جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العزة تبارك وتعالى قدمه فتقول قط قط وعزتك، ويزوى بعضها إلى بعض...

... عن أنس بن مالك عن النبي (ص) أنه قال لا تزال جهنم يلقي فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط بعزتك وكرمك. ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة.

سنن الترمذى: ٤/٩٥:

عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال: يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد ثم يطلع عليهم رب العالمين فيقول: ألا يتبع كل إنسان ما كانوا يعبدون فيمثل لصاحب الصليب صليبه ولصاحب التصاوير تصاويره ولصاحب النار ناره، فيتبعون ما كانوا يعبدون، ويبقى المسلمون فيطلع عليهم رب العالمين فيقول: ألا- تتبعون الناس؟ فيقولون: نعوذ بالله منك نعوذ بالله منك، الله ربنا وهذا مكاننا حتى نرى ربنا، وهو يأمرهم ويشبهم! قالوا: وهل نراه يا رسول الله قال: وهل تضارون في رؤيته القمر ليلة البدر قالوا: لا يا رسول الله قال: فإنكم لا- تضارون في رؤيته تلك الساعة ثم يتوارى، ثم يطلع فيعرفهم نفسه ثم يقول: أنا ربكم فاتبعوني، فيقوم المسلمون ويوضع الصراط فيمر عليه مثل جياذ الخيل والركاب وقولهم عليه سلم سلم، ويبقى أهل النار فيطرح منهم فيها فوج فيقال هل امتلات، فتقول هل من مزيد، ثم يطرح فيها فوج فيقال هل امتلات، فتقول هل من مزيد، حتى إذا أوعبوا فيها وضع الرحمن قدمه فيها وأزوى بعضها إلى بعض، ثم قال: قط. قالت: قط... هذا حديث حسن صحيح.

الطبرى فى تفسيره: ٢٦/١٠٥:

إن الله الملك قد سبقت منه كلمة لأملأن جهنم، لا- يلقي فيها شئ إلا ذهب فيها لا يملؤها شئ حتى إذا لم يبق من أهلها أحد إلا دخلها، وهى لا يملؤها شئ، أتاها الرب فوضع قدمه عليها ثم قال لها: هل امتلات يا جهنم؟ فتقول قط قط قد امتلات، ملاتنى من الجن والإنس، فليس في مزيد! قال ابن عباس ولم يكن يملؤها شئ حتى وجدت مس قدم الله تعالى ذكره. فتضايقت فما فيها موضع إبره!! انتهى. وروى نحوه الدارمى فى سننه: ٢/٣٤١ والبيهقى فى سننه: ص ٤٢ وروى نحوه أحمد فى: ٢/٢٧٦ بأربع قطات وفى: ٣١٤/٣٦٩ وص ٣٦٩ بثلاث قطات.

وفى: ٥٠٧/ وفى: ٣/١٣٤/ وص ١٤١ وص ٢٣٠ وص ٢٣٤ وص ٢٧٩ بقطين، ورواه الصنعانى فى المصنف: ١١/٤٢٢ بثلاث قطات، والديلمى فى فردوس الأخبار: ٥/ ص ٢٣٧ بقطين، والبغوى فى معالم التنزيل: ٤/٢٢٤ بقطين، وفى مصابيح السنة: ٤/١٤/ و١٥/ بدون قط، والبيهقى فى البعث والنشور: ١٣٦/ بقطين، وأبو الشيخ فى طبقات المحدثين بإصبهان: ١/٢٣٨ بقطين، وابن القيم فى زاد المعاد: ١/٣٣٧، ورواه الهندى فى كنز العمال: ١/٢٣٤/ وج ١٤/٤٢٨ وص ٥٢١ وص ٤٣٦ وص ٥٤٤ وج ١٦/٢٠٨ بروايات كثيرة عن مصادر متعددة.

قال القسطلاني في إرشاد الساري: ١٠/٤١٠:

الأشعري في كتابه الإبانة فقال أفضل لذات الجنة رؤية الله تعالى ثم رؤية نبيه (ص) فلذلك لم يحرم الله أنبياءه المرسلين وملائكته المقربين وجماعة المؤمنين (...). النظر إلى وجهه الكريم ووافقه البيهقي وابن القيم والجلال البلقيني.
فتاوى الألباني/١٤٢:

... المعتزلة وغيرهم ينكرون هذه النعمة ويضللون من يؤمن بها وينسبونهم إلى التشبيه والتجسيم... ونحن أهل السنة نؤمن بأن من نعم الله على عباده أن يتجلى لهم يوم القيامة ويرونه كما نرى القمر ليلة البدر. انتهى.
وستأتي بقية الروايات المشابهة لعقائد اليهود في تفسير الآيات المتشابهة.

لكن اختلفوا هل تراه النساء في الجنة

إرشاد الساري: ١٠/٤٠٩:

قوله (ص) قال جنتان من فضة... وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم رداء الكبر) والحاصل أن رؤية الله تعالى واقعه يوم القيامة في الموقف لكل أحد من الرجال والنساء وقال قوم من أهل السنة تقع أيضاً للمنافقين... وأما الرؤية في الجنة فأجمع أهل السنة على أنها حاصلة للأنبياء والرسل والصدّيقين من كل أمة ورجال المؤمنين من البشر، واختلف في نساء هذه الأمة.
السيوطي في الدر المنثور: ٦/٢٩٣:

وأخرج الدار قطنى عن أنس قال قال رسول الله (ص): إذا كان يوم القيامة رأى المؤمنون ربهم عز وجل فأحدثهم عهداً بالنظر إليه في كل جمعة، ويراه المؤمنات يوم الفطر ويوم النحر. انتهى. وكان في الجنة صوم وحج!
زاد المعاد: ١/٣١١:

عن أنس ابن مالك: قال: رسول الله (ص): إذا كان يوم القيامة رأى المؤمنون ربهم فأحدثهم عهداً بالنظر إليه... من بكر في كل جمعة، وتراه المؤمنات يوم الفطر ويوم النحر...
إرشاد الساري: ١٠/٤١٠:

.. الأشعري في كتابه الإبانة فقال: أفضل لذات الجنة رؤية الله تعالى ثم رؤية نبيه (ص) فلذلك لم يحرم الله أنبياءه المرسلين وملائكته المقربين وجماعة المؤمنين (...). النظر إلى وجهه الكريم، ووافقه البيهقي وابن القيم والجلال البلقيني.

بازار أحاديث النزولات

قالوا: إن الله تعالى جسم ينزل إلى الأرض كل ليلة

روى البخارى في صحيحه: ١ جزء ٢/٤٧:

... عن أبي هريرة (رض) أن رسول الله (ص) قال: ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له. انتهى. ونحوه في ج ٤ جزء ٧/١٤٩-١٥٠ وج ٤ جزء ٨/١٩٧ ورواه في الادب المفرد/٢٠٧ ورواه مسلم في صحيحه: ٢/١٧٥ وأبو داود في سننه: ٢ جزء ٣/٣٤ وج ٤/٢٣٤ وابن ماجه في سننه: ١/٤٣٥ ومالك في كليات الموطأ: ١/١٤٢ وأحمد في مسنده: ١/١٢٠ و ٤٠٣ و ٤٤٦ والصنعاني في تفسيره: ١/٢٥٩ وفي مصنفه: ٢/١٦٠ وج ١٠ ص ٤٤٤ ورواه في عارضة الأحوذى ج ١ جزء ١ ص ٢ وص ٢٣٢ والبعوى في معالم التنزيل ج ٣: ١/٤٣١ ص ٢٢ ومصابيح السنة: ١/٤٣١ وابن الاثير في أسد الغابة ج ٢ ص ٢٣١ وج ٦/٩١ والسديلمي في فردوس الأخبار: ١/٣٢١ وج ٥/٣٥٨-٣٦٥ والابشيهي في المستطرف: ٢/٢٥٠

والمندرى فى الترغيب والترهيب: ٢/٤٨٩ والشوكانى فى نيل الاوطار ج ٣/٥٧ والنويرى فى نهاية الارب: ٣ جزء ٥/٢٩٠ وابو الشيخ فى طبقات المحدثين: ٢/٥٤٠ وجامع الأحاديث القدسيه من الصحاح: ١/٧٢ و ٧٥ والثعالبي فى الجواهر الحسان: ١/٢٨٦ والنويرى فى نهاية الارب: ٣ جزء ٥ ص ٢٩٠ والخطيب فى تاريخ بغداد ١٧/٢٤٢ والمزى فى تهذيب الكمال: ٩/٢٠٧ والهيثمى فى مجمع الزوائد: ٨/١٢٥ و ١٠/٢٣٦ و ٦٢١ و ٧٦٠ و ٩.. وروته مصادر كثيرة أخرى.
وروى الطبرى فى تفسيره: ١٣/١١٤:

عن أبى الدرداء قال: قال رسول الله (ص) إن الله ينزل فى ثلاث ساعات ييقين من الليل.. وروى فى: ١٥/٩٤:

عن أبى الدرداء قال قال رسول الله (ص): إن الله يفتح الذكر فى ثلاث ساعات ييقين من الليل، فى الساعة الأولى منهن ينظر فى الكتاب الذى لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت، ثم ينزل فى الساعة الثانية إلى جنه عدن وهو داره التى لم ترها عين.. وهى مسكنه ولا- يسكن معه من بنى آدم غير ثلاثة النبيين والصدقيين والشهداء.. ثم ينزل فى الساعة الثالثة إلى السماء الدنيا بروحه وملائكته..

وقال ابن خزيمة فى كتاب التوحيد/١٢٥:

باب ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي (ص) فى نزول الرب جل وعلا إلى سماء الدنيا كل ليلة. نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما فى هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية، لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا وأعلمنا أنه ينزل والله جل وعلا- لم يترك ولا نبيه عليه السلام بيان ما بالمسلمين إليه الحاجة من أمر دينهم، فنحن قائلون مصدقون بما فى هذه الأخبار من ذاك النزول غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية، إذ النبي (ص) لم يصف لنا كيفية النزول، وفى هذه الأخبار ما بان وثبت وصح أن الله جل وعلا فوق سماء الدنيا الذى أخبرنا نبينا (ص) أنه ينزل إليه، إذ محال فى لغة العرب أن يقول ينزل من أسفل إلى أعلا ومفهوم فى الخطاب أن النزول من أعلا إلى أسفل...
وقال الذهبى فى سيره: ١٧/٦٥٦:

قال أبو نصر السجزي فى كتاب الإبانة: وأئمتنا كسفيان ومالك والحمادين وابن عيينة والفضيل وابن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق، متفقون على أن الله سبحانه فوق العرش، وعلمه بكل مكان، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا وأنه يغضب ويرضى ويتكلم بما شاء.

وقال الديلمى فى فردوس الأخبار: ٥/٣٦١:

ينزل ربنا عز وجل فى ظلل من الغمام والملائكة ويضع عرشه حيث يشاء من الأرض!

نقل ابن بطوطة فى رحلته/٩٠ تمثيل ابن تيمية لنزول الله تعالى، فقال:

وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة تقى الدين بن تيمية كبير الشام يتكلم فى الفنون إلا أن فى عقله شيئاً.. وكنت إذ ذاك بدمشق فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم، فكان من جملة كلامه أن قال: إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كتزولى هذا ونزل ربعة من ربع المنبر، فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء وأنكر ما تكلم به، فقامت العامة إلى هذا الفقيه وضربوه بالأيدي والنعال ضرباً كثيراً حتى سقطت عمامته!

و قالوا لو دلى رجل جبلا لهبط على الله

تفسير الصنعاني: ٢/١٣٩:

عن قتادة قال: بينما النبي (ص) جالس مع أصحابه إذ مر سحاب فقال النبي (ص) أتدرون ما هذه العنان؟ هذه روايا أهل الأرض، يسوقها الله إلى قوم لا يعبدونه. ثم قال: أتدرون ما هذه السماء؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فوق ذلك سماء أخرى... ثم قال: والذى

نفسى بيده لو دلى رجل بحبل حتى يبلغ أسفل الأرض السابعة لهبط على الله، ثم قال: هو الأول والآخِر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم.

تفسير ابن كثير: ٤/٣٢٥:

عن أبي هريرة عن رسول الله (ص) بين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام وعد سبع سماوات، ثم العرش، وبين أرضكم والأرض الأخرى سبعمائة عام فعد سبع أرضين، فإذا أدلتم حبلًا هبط على الله.

و قالوا إنه تعالى ينزل ليلة النصف من شعبان

روى ابن ماجه فى سننه: ١/٤٤٤:

عن عائشة قالت: فقدت النبي (ص) ذات ليلة فخرجت أطلبه فإذا هو بالبقيع رافع رأسه إلى السماء، فقال يا عائشة أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟ قالت قد قلت: وما بى ذلك، ولكنى ظننت أنك أتيت بعض نساءك، فقال: إن الله تعالى ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب. انتهى. وروى هذه الأحاديث أحمد فى مسنده: ١/١٢٠ و ص ٤٠٣ و ٤٤٦ وفى: ٦/٢٣٨ والبيهقى فى شعب الإيمان: ٣/٣٨٠ وفى: ٥ ص ٢٧٢ والبخارى فى الادب المفرد/٢٠٧ وأبو داود فى سننه: ١ جزء ١/٤٤٧ وابن أبى شيبه فى مصنفه: ٧/١٣٩ والديلمى فى فردوس الأخبار: ١/١٨٨ و ص ٣٢١ و ج ٥/٣٥٩ والبغوى فى مصابيح: ١/٤٣١ و ص ٤٤٩ ومعالم التنزيل: ٤/١٤٨ والمنذرى فى الترغيب والترهيب: ٣/٤٦٠ والعسقلانى فى تهذيب التهذيب: ٣/٣١٥ و عارضه الأحوذى شرح الترمذى: ٢ جزء ٣/٢٧٥ و جامع الأحاديث القدسية من الصحاح: ١/٧٧ وأبو الشيخ فى طبقات المحدثين بإصبهان: ١/٢١٨ والهندي فى كنز العمال: ٣/٤٦٦ و ج ١٢/٣١٣ وابن حجر تهذيب التهذيب: ٣/٢٧٢ وفى لسان الميزان: ٤/٦٧ و ص ٢٥٢ والمزى فى تهذيب الكمال: ٩/٣٠٨.

وقال ابن باز فى فتاويه: ١/١٩٥:

وقد اغتر بهذا الحديث (فى صلاة ليلة نصف شعبان) جماعة من الفقهاء كصاحب الاحياء وغيره، وكذا من المفسرين وقد رويت صلاة هذه الليلة أعنى ليلة النصف من شعبان على أنحاء مختلفة كلها باطله موضوعه، ولا ينافى هذا رواية الترمذى من حديث عائشة لذهابها (ص) إلى البقيع ونزول الرب ليلة النصف إلى سماء الدنيا وأنه يغفر لأكثر من عدة شعر غنم كلب، فإن الكلام إنما هو فى هذه الصلاة الموضوعه فى هذه الليلة، على أن حديث عائشة هذا فيه ضعف وانقطاع، كما أن حديث على الذى تقدم ذكره فى قيام ليلا لا ينافى كون هذه الصلاة موضوعه، على ما فيه من الضعف حسبما ذكرناه.

و قالوا إنه تعالى ينزل يوم عرفة

مصابيح السنه للبغوى: ٢/٢٥٤:

عن جابر (رض) أنه قال: قال رسول الله (ص): إذا كان يوم عرفة فإن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيباهى بهم الملائكة..

ورواه المنذرى فى الترغيب والترهيب: ٢/١٨٧ و ص ٢٠٠ و ص ٢٠٤

والديلمى فى فردوس الأخبار: ٥/١٦

الامام الرضا يلعن الذين حرفوا حديث النزول

قال الصدوق فى كتابه التوحيد/١٧٦:

حدثنا على بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق (رض) قال: حدثنا محمد بن هارون الصوفى قال: حدثنا عبيد الله بن موسى أبو تراب

الرويانى، عن عبدالعظيم بن عبدالله الحسنى، عن إبراهيم بن أبى محمود قال: قلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله ما تقول فى الحديث الذى يرويه الناس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: إن الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا؟ فقال عليه السلام: لعن الله المحرفين الكلم عن مواضعه، والله ما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) كذلك، إنما قال صلى الله عليه وآله: إن الله تبارك وتعالى يُنزلُ ملكاً إلى السماء الدنيا كل ليلة فى الثلث الأخير وليلة الجمعة فى أول الليل، فيامره فينادى: هل من سائل فأعطيه، هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له، يا طالب الخير أقبل، يا طالب الشر أقصر، فلا يزال ينادى بهذا حتى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر عاد إلى محله من ملكوت السماء. حدثنى بذلك أبى عن جدى عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

و احاديث إخواننا تؤيد ما قاله الإمام الرضا

قال السقاف فى شرح العقيدة الطحاوية/٣٤٣ - ٣٤٤:

وإنما المعنى الصحيح للحديث والتوجيه السديد أن النازل هو ملك من الملائكة يأمره الله تعالى بأن ينادى فى السماء الدنيا فى وقت السحر فيما يوازى كل جزء من الكرة الأرضية طوال الأربع والعشرين ساعة، ويصح فى اللغة العربية أن ينسب الفعل إلى الأمر به فتقول العرب مثلاً: غزا الملك البلدة الفلانية أى أمر وأرسل قائد جيشه بذلك، مع أنه لم يفارق قصره، والله المثل الأعلى. والذى يثبت هذا المعنى وينفى ما تتوهمه المجسمة وتدعو إليه أنه ورد الحديث أيضاً بروايتين صحيحتين فى الدلالة على ذلك. أما الرواية الأولى: فقد روى الإمام النسائى فى السنن الكبرى ٦ - ١٢٤ بإسناد صحيح وهو فى عمل اليوم والليلة له المطبوع/٣٤٠ برقم ٤٨٢ عن سيدنا أبى سعيد الخدرى وسيدنا أبى هريرة رضى الله عنهما أنهما قالوا: قال رسول الله (ص): إن الله عز وجل يمهل حتى يمضى شطر الليل الأول ثم يأمر منادياً ينادى يقول: هل من داع فيستجاب له، هل من مستغفر يغفر له، هل من سائل يعطى. وأما الرواية الثانية: فعن سيدنا عثمان بن أبى العاص الثقفى قال رسول الله (ص): تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادى مناد: هل من داع فيستجاب له، هل من سائل فيعطى، هل من مكروب فيفرج عنه، فلا يبقى مسلم يدعو بدعوة إلا استجاب الله عز وجل له إلا زانية تسعى بفرجها، أو عشاراً. رواه أحمد ٤ - ٢٢ و ٢١٧ والبزار ٤ - ٤٤ كشف الاستار والطبرانى ٩ - ٥١ وغيرهم بأسانيد صحيحة والعشار: صاحب المكس.

فهذه الأحاديث الواضحة تقرر بلا شك ولا ريب بأن النازل إلى السماء الدنيا هو ملك من الملائكة يأمره الله تعالى أن ينادى بذلك، على أن الحافظ ابن حجر حكى فى الفتح ٣ - ٣٠ فى شرح الحديث الأول الذى فى الصحيحين أن بعض المشايخ ضبط الحديث بضم الياء فى (ينزل) فيكون اللفظ هكذا: ينزل الله تعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، أى: ينزل ملكاً كما تقدم.

و تؤيده أحاديث فيها اطلع الله بدل ينزل

سنن ابن ماجه: ١/٤٤٤:

... عن أبى موسى الأشعري عن رسول الله (ص) قال: إن الله ليطلع فى ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن. مسند أحمد: ٢/١٧٦:

عن عبد الله بن عروة أن رسول الله (ص) قال: يطلع الله عز وجل إلى خلقه ليلة النصف من شعبان، فيغفر لعباده إلا لإثنين: مشاحن وقاتل نفس.

كنز العمال: ٣/٤٦٤:

إن الله تعالى يطلع على عباده فى ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين، ويؤخر أهل الحقد كما هم عليه. هب

عن عائشة. إذا كان ليلة النصف من شعبان إطلع الله إلى خلقه فيغفر للمؤمنين ويملي للكافرين ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه. هب عن أبي ثعلبة الخشني)... تعرض أعمال الناس في كل جمعة مرتين يوم الإثنين ويوم الخميس، فيغفر الله لكل عبد مؤمن، إلا عبد بينه وبين أخيه شحناء فيقال أتركوا هذين حتى يفيتا. حم عن أبي هريرة.
كنز العمال: ٣/٤٦٧:

يطلع الله تعالى إلى خلقه في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن. حب، طب، وابن شاهين في الترغيب، هب، وابن عساكر عن معاذ... يطلع الله تعالى على خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده إلا اثنين: مشاحناً أو قاتل نفس. حم ت عن ابن عمرو.
كنز العمال: ١٢/٣١٣:

إن الله ليطلع في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه، إلا لمشرك أو مشاحن. هعن أبي موسى.

و احاديث خالية من ينزل و يصعد

كنز العمال: ١٢/٣١٤:

إذا كان ليلة النصف من شعبان نادى مناد: هل من مستغفر فأغفر له، هل من سائل فأعطيه، فلا يسأل أحد شيئاً إلا أعطاه، إلا زانية بفرجها أو مشرك. هب عن عثمان بن أبي العاص... إذا كان ليلة النصف من شعبان يغفر الله من الذنوب أكثر من عدد شعر غنم كلب. هب عن عائشة... إن الله تعالى يغفر ليلة النصف من شعبان للمسلمين ويملي للكافرين ويدع أهل الحقد بحقدهم. ابن قانع عن أبي ثعلبة الخشني.

وادعوا أن رؤية الله تعالى في المنام تدل على الإيمان

شرح مسلم للنووي: ٨ جزء ١٥/٢٥:

قال القاضي: واتفق العلماء على جواز رؤية الله تعالى في المنام وصحتها وإن رآه الإنسان على صفة لا تليق بحاله من صفات الأجسام، لأن ذلك المرئي غير ذات الله تعالى، إذ لا يجوز عليه سبحانه وتعالى التجسم، ولا اختلاف الأحوال، بخلاف رؤية النبي (ص). قال ابن الباقلاني: رؤية الله تعالى في المنام خواتر في القلب، وهي دلالات للرأى على أمور مما كان أو يكون كسائر المرئيات.
تهذيب التهذيب لابن حجر: ١١/٣٨٠:

يوسف الحماني عن أبيه عن يوسف بن ميمون عن ابن سيرين قال: من رأى ربه في المنام دخل الجنة!!

تهذيب التهذيب لابن حجر: ٣/٣٩٧:

عن عبد الله بن أحمد: سمعت سريح بن يونس يقول: رأيت رب العزة في المنام فقال لي: يا سريح سل حاجتك، فقلت: رحمان سر بسر. انتهى. يعني رأساً برأس! قال البخاري: مات في ربيع الآخر منه (٢٣٥).

صفة الصفوة لابن الجوزي جزء ١ و ٢/٦١٨:

عن إسحاق بن إبراهيم الجيلي قال: سمعت سريح بن يونس يقول: رأيت فيما يرى النائم كأن الناس وقوف بين يدي الله وأنا في أول صفه في آخره ونحن ننظر إلى رب العزة تعالى.. إذ قال: أي شيء تريدون؟ فسكت الناس.. وجزت الصف الأول... فقال: أي شيء تريد؟ فقلت رحمان سر بسر... قال تعالى قد خلقتكم ولا أعذبكم! ثم غاب في السماء فذهب.

تاريخ الإسلام للذهبي: ١٧/١٦٩:

سريح بن يونس بن إبراهيم... وقال عبد الله بن أحمد: سمعت سريح بن يونس يقول رأيت رب العزة من المنام فقال سل حاجتك... له

حكايات شبه الكرامات رحمه الله. وكان إماماً في السنة.

حياة الحيوان للدميري: ١/٥١:

وروى الإمام أحمد بن حنبل (رض): أنه رأى رب العزة في المنام تسعاً وتسعين مرة فقال: إن رأيتك تمام المائة لاسألته، فأراه تمام المائة فسأله وقال: يا رب بماذا ينجو العباد يوم القيامة؟
وقال في سيره: ١٩/١١٤:

أبوالمظفر السمعاني الإمام العلامة مفتي خراسان شيخ الشافعية أبو المظفر منصور ابن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي السمعاني المروزي الحنفي ثم الشافعي... ولد سنة ست وعشرين وأربع مئة... وسمعت شهر دار بن شيرويه سمعت منصور بن أحمد وسأله أبي فقال: سمعت أبا المظفر السمعاني يقول: كنت حنياً فبدا لي وحججت، فلما بلغت سميراً رأيت رب العزة في المنام فقال لي: عد إلينا يا أبا المظفر فانتبهت وعلمت أنه يريد مذهب الشافعي فرجعت إليه! انتهى. ورواه في تاريخ الإسلام: ٣٣/٣٢١ لكن فيه (عد يا أبا المظفر إلى الشافعية).

شعب الإيمان للبيهقي: ٣/١٦٤:

عن رقبه قال: رأيت رب العزة في المنام فقال: وعزتي لأكرم من مثوى سليمان التيمي.

تاريخ الإسلام للذهبي: ٩/١٥٨:

عن ابن مصقلة: رأيت رب العزة في المنام فقال: وعزتي وجلالي لأكرم من مثوى سليمان التيمي.

تاريخ الإسلام للذهبي: ٢٠/٤١٢:

الفتح بن شخرف أبو نصر الكشي الزاهد نزيل بغداد ومن كبار مشايخ الصوفية قال ابن البرهاري: سمعت الفتح يقول: رأيت رب العزة في المنام فقال لي: يا فتح احذر لا آخذك على غرة، توفي سنة ٢٧٣ هـ وكذا في صفوة الصفوة لابن الجوزي: ص ٦٤٣
تاريخ الإسلام للذهبي: ٢١/١٩٢:

صالح بن يونس... ورد عنه أنه رأى الحق في المنام، وحج على قدميه سبعين حجة... والدعاء عند قبره مستجاب.

تاريخ الإسلام للذهبي: ٢٥/٣٥٠:

عبد الله بن إبراهيم بن واضح.. يقال أنه رأى الحق في النوم مرتين.

تاريخ الإسلام للذهبي: ٢٦/٣١٦:

يعلى بن موسى البربري الصوفي.. رأى رب العزة في المنام...

تاريخ الإسلام للذهبي: ٢٦/٦٥٠:

محمد بن عبد الله بن أحمد بن ربيعة... أبو سليمان بن القاضي بن محمد الربيعي... روى عنه أبو نصر بن الجبان أنه رأى رب العزة في المنام...

تاريخ الإسلام للذهبي: ٢٧/١٣٤:

عن جعفر الابهرى قال سمعت أبا علي القومساني يقول: رأيت رب العزة في المنام... فناولني كوزين شبه القوارير، فشربت منهما وأنا أتلو هذه الآية: (وَسَيَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا). ورأيت رب العزة في أيام القحط فقال: يا أبا علي لا تشغل خاطرک فإنک من عيالي وعيالك عيالي وأضيفك عيالي.

تاريخ الإسلام للذهبي: ٢٩/١٨٥:

أحمد بن محمد بن إبراهيم.. الثعلبي صاحب التفسير... وقد جاء عن أبي القاسم القشيري قال: رأيت رب العزة في المنام وهو يخاطبني وأخاطبه فكان في أثناء ذلك أن قال الرب جل اسمه: أقبل الرجل الصالح، فالتفت فإذا أحمد الثعلبي مقبل. انتهى. ورواه في هامش

معجم الادباء للحموى: ٣ جزء ٥/٣٦، وفيه (الثعالبي).

تاريخ الإسلام للذهبي: ٢٩/٣٨١:

عبد الله بن عبدان بن محمد بن عبدان... شيخ همدان... قال شيرويه رأيت بخط بن عبدان: رأيت رب العزة في المنام فقلت له: أنت خلقت الأرض وخلقت الخلق ثم أهلكتهم، ثم خلقت خلقاً بعدهم؟ وكأني أرى أنه ارتضى كلامي ومدحى له، فقال لي كلاماً يدل على أنه يخاف عليّ الافتخار.. وقبره يزار ويتبرك به..

المستطرف للابشيهي: ١/١٤٧:

وحكى أن بعضهم كان ملاحاً ببحر النيل... فبينما أنا ذات يوم في الزورق إذا بشيخ مشرق الوجه عليه مهابة فقال.. إني أريد أن أحملك أمانة قلت ما هي قال: إذا كان غداً وقت الظهر تجدني عند تلك الشجرة ميتاً وستنسى، فإذا ألهمت فأتني وغسلني وكفني في الكفن الذي تجده تحت رأسى... ثم نمت فرأيت رب العزة جل جلاله في النوم فقال: يا عبدى أثقل عليك أن مننت على عبد عاص بالرجوع.

معجم الادباء للحموى: ٣ جزء ٥/٧٠:

أبا الحسن بن سالم البصرى يقول... قال: سمعت أبا بكر محمد بن مجاهد المقرئ يقول: رأيت رب العزة في المنام فختمت عليه ختمتين فلحنت في موضعين فاغتمت، فقال: يابن مجاهد الكمال لى الكمال لى!

مختصر تاريخ دمشق: ٣ جزء ٥/٢٠٤:

قال أبو عبد الرحمن... رفيق بشر بن الحارث: رأى صاحب لنا رب العزة في النوم قبل موت بشر بقليل فقال: قل لبشر بن الحارث: لو سجدت لى على الجمر ما كنت تكافئنى بما نوهت اسمك فى الناس...

مختصر تاريخ دمشق: ٣ جزء ٦/٣٤٨:

قال إسحاق الحربى: بلغنى أن أبا حسان الزيادى رأى رب العزة تبارك وتعالى فى النوم...

صفوة الصفوة لابن الجوزى جزء ٣ و ٤/٢١٤:

عن رقية قال سليمان بن طرخان: رأيت رب العزة تبارك وتعالى فى النوم.

صفوة الصفوة لابن الجوزى جزء ٣ و ٤/٣٥٥:

قال على بن المثنى سمعت عمى يقول: سمعت أبى يقول سمعت أبا يزيد البسطامى يقول: رأيت رب العزة تبارك وتعالى فى المنام.. الاعتصام للشاطبى: ١/٢٦٠:

عن أبى يزيد السبطينى قال: رأيت ربي فى المنام فقلت: كيف الطريق إليك؟ قال أترك نفسك وتعال. وشأن هذا الكلام من الشرع موجود...

صفوة الصفوة لابن الجوزى جزء ٣ و ٤/٣٥٦:

عن جعفر بن على الترمذى: أن أحمد بن خضرويه قال: رأيت رب العزة فى منامى فقال لى: يا أحمد كل الناس يطلبون منى إلا أبا يزيد البسطامى فإنه يطلبنى.

صفوة الصفوة لابن الجوزى جزء ٣ و ٤/٣٨٨:

قال إبراهيم بن عبد الله: فرأيت الله تعالى فى النوم فوقنى بين يديه.

صفوة الصفوة لابن الجوزى جزء ٣ و ٤/٤٦٨:

يوسف بن موسى القطان يحدث أن أبا عمرو الأوزاعى قال: رأيت رب العزة فى المنام.

المواعظ للمقرئى: ٢/٢٥٥:

عن رجل من صلحاء المصريين يقال له أبو هادون الخرقى قال: رأيت الله عز وجل فى منامى فقلت: يا ربى أنت ترانى وتسمع كلامى قال: نعم... انتهى.

ومما يلاحظ أن أكثر الذين رأوا ربهم فى المنام، من الفرس المشبهة والمجسمة!

اما درجة ابن عربى و أمثاله فهى أكبر من الرؤية فى المنام

مذاهب التفسير الإسلامى لجولد تسيهر/٢٣٩:

وقد عرض ابن عربى تعاليمه.. بأنه استمد علمه لا من فم الرسول الذى ظهر له، ولا من الملائكة فحسب، بل من كلام الله المباشر الذى حظى به تكراراً. فهو يتحدث كثيراً عن لقائه مع الله سبحانه.. إنى رأيت الحق فى النوم مرتين وهو يقول لى: إنصح عبادى!! انتهى. وقد ادعى ابن عربى لنفسه مقامات الأنبياء وأوصيائهم، ودون ذلك فى كتبه!!

كرامات الأولياء للنهاني: ١/٥٨٨:

اسماعيل الأنباى: كان يطلع على اللوح المحفوظ فيقول: يقع كذا، فلا يخطئ!

مقالات الإسلاميين للأشعرى: ١/٢٨٩:

وفيهم (يعنى النساك) من يزعم أن العبادة تبلغ بهم أن يروا الله سبحانه، ويأكلوا من ثمار الجنة، ويعانقوا الحور العين فى الدنيا، مُنَاوَلَةً. ونختم بما جاء فى هامش تاريخ الإسلام للذهبي: ٣٨/١٣٥:

قال أبو محمد العكبرى رأيت رسول الله (ص) فى المنام فقلت يا رسول الله إمسح بيدك عيني فإنها تؤلمنى فقال: إذهب إلى نصر بن العطار يمسخ عينك... هذا نصر قد صافحته يد الحق. انتهى.

لكن الإمام الصادق تشاءم من صاحب هذه الرؤية

بحار الأنوار: ٤/٣٢:

عن إبراهيم الكرخى قال: قلت للصادق جعفر بن محمد (عليهم السلام): إن رجلاً رأى ربه عز وجل فى منامه فما يكون ذلك؟ فقال: ذلك رجل لا دين له، إن الله تبارك وتعالى لا يرى فى اليقظة ولا فى المنام، ولا فى الدنيا ولا فى الآخرة.

بيان: لعل المراد أنه كذب فى تلك الرؤيا، أو أنه لما كان مجسماً تخيل له ذلك، أو أن هذه الرؤيا من الشيطان، وذكرها يدل على كونه معتقداً للتجسيم.

وقال النيشابورى فى روضة الواعظين/٣٣:

وقيل له عليه السلام: إن رجلاً رأى ربه فى منامه فما يكون ذلك فقال: ذلك رجل لا دين له، إن الله تعالى لا يرى فى اليقظة ولا فى المنام، ولا فى الدنيا ولا فى الآخرة.

خلاصة اعتقادنا فى التنزيه و نفى التشبيه

العقل والآيات والأحاديث تنفى إمكان رؤية الله تعالى بالعين

نعتقد نحن الشيعة بأن الله تعالى لا يمكن أن يرى بالعين لا فى الدنيا ولا فى الآخرة، لأنه ليس كمثله شئ، لا تُدرِكُهُ الأبصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبصارَ، ولا يُحيطونَ بِهِ عِلْمًا.. إلى آخر الآيات الصريحة بأنه تعالى لا يمكن أن يرى بالعين، بل يرى بالعقل والقلب وهى أعمق وأصح من رؤية العين.

وقد استدلت أئمتنا عليهم السلام وعلمائنا رضى الله عنهم، على نفى التجسيم والرؤية بالكتاب والسنة والعقل.. واعتبروا أن ذلك من أصول مذهبنا، بل هو كالبديهيات حتى عند عوامنا.

وستعرف أن القول برؤية الله تعالى جاءت من تأثر المسلمين باليهود والنصارى والمجوس، وأن أهل البيت عليهم السلام وجمهور الصحابة وقفوا في وجه ذلك، وكذبوا نسبة الرؤية بالعين إلى الإسلام، وكل ما تستلزمه من التشبيه والتجسيم، ولكن موجة التشبيه والتجسيم غلبت.. لأن دولة الخلافة تبنتها!

والدليل البسيط على نفى إمكان رؤية الله تعالى بالعين أن ما تراه العين لا بد أن يكون موجوداً داخل المكان والزمان، والله تعالى وجود متعال على الزمان والمكان، لأنه خلقهما وبدأ شريطهما من الصفر والعدم، فكيف نفترضه محدوداً بهما خاضعاً لقوانينهما! لقد تعودت أذهاننا أن تعمل داخل الزمان والمكان، حتى ليصعب عليها أن تتصور موجوداً خارج قوانين الزمان والمكان، وحتى أننا نتصور خارج الفضاء والكون بأنه فضاء! وهذه هي طبيعة الإنسان قبل أن يكبر ويطلع، وقد ورد أن النملة تتصور أن لربها قرنين كقرنيها!

لكن مع ذلك فإن عقل الإنسان يدرك أن الوجود لا يجب أن يكون محصوراً بالمكان والزمان، وأن بإمكان الإنسان أن يرتقى في إدراكه الذهني فيدرك ما هو أعلى من الزمان والمكان ويؤمن به، وإن عرف أنه غير قابل للرؤية بالعين. وهذا الإرتقاء الذهني هو المطلوب منا نحن المسلمين بالنسبة إلى وجود الله تعالى، لا أن نجره إلى محيط وجودنا ومألوف أذهاننا، كما فعل اليهود عندما شبهوه بخلقه وادعوا تجسده في عزير عليه السلام وغيره، وكما فعل النصارى فشبهوه بخلقه وادعوا تجسده بالمسيح عليه السلام وغيره!!

الرسول يعلم الأمة التوحيد

قال الصدوق في كتابه التوحيد/١٠٧:

حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رحمه الله قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عن آبائه عليهم السلام قال: مر النبي صلى الله عليه وآله على رجل وهو رافع بصره إلى السماء يدعو، فقال له رسول: غض بصرك، فإنك لن تراه.

وقال: ومر النبي صلى الله عليه وآله على رجل رافع يديه إلى السماء وهو يدعو، فقال رسول الله: أقصر من يديك، فإنك لن تناله.
الكافي: ١/٩٤:

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن علي، عن يعقوبى، عن بعض أصحابنا، عن عبد الأعلى مولى آل سام، عن أبي عبد الله عليه السلام: قال إن يهودياً يقال له سبحت، جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله جئت أسألك عن ربك، فإن أنت أجبتني عما أسألك عنه، وإلا رجعت؟

قال: سل عما شئت.

قال: أين ربك؟

قال: هو في كل مكان، وليس في شيء من المكان المحدود.

قال: وكيف هو؟

قال: وكيف أصف ربي بالكيف والكيف مخلوق، والله لا يوصف بخلقه.

قال: فمن أين يعلم أنك نبي الله؟

قال: فما بقى حوله حجر ولا غير ذلك إلا تكلم بلسان عربى مبين: يا سبحت إنه رسول الله!

فقال سبحت: ما رأيت كاليوم أمراً أبين من هذا!
ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

و يعلمنا أن أقصى ما يمكن أن يراه الإنسان نور عظمة الله

بحار الأنوار: ٤/٣٨:

يد: أبي، عن محمد العطار، عن ابن عيسى، عن البنزطي، عن الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما أسرى بي إلى السماء بلغ بي جبرئيل عليه السلام مكاناً لم يطأه جبرئيل قط، فكشّف لي فأراني الله عز وجل من نور عظمتته ما أحب.

على يثبت مشاهدة القلوب و ينفي مشاهدة العيان

نهج البلاغة: ٢/٩٩:

١٧٩ ومن كلام له عليه السلام وقد سأله ذعلب اليماني فقال: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟

فقال عليه السلام: أفأعبد ما لا أرى!

فقال: وكيف تراه!

فقال: لا تراه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان، قريب من الأشياء غير ملامس، بعيد منها غير مباين، متكلم لا بروية، مريد لا بهمة، صانع لا بجارحة، لطيف لا يوصف بالخفاء، كبير لا يوصف بالجفاء، بصير لا يوصف بالحاسة، رحيم لا يوصف بالرقّة، تنعو الوجوه لعظمتته، وتجب القلوب من مخافته.

ورواه في بحار الأنوار: ٤/٢٧ عن:

يد، لي: القطان والدقاق والسنانى، عن ابن زكريا القطان، عن محمد بن العباس، عن محمد بن أبي السرى، عن أحمد بن عبد الله بن يونس، عن ابن طريف، عن الأصغ في حديث قال: قام إليه رجل يقال له ذعلب فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك؟ فقال: ويلك يا ذعلب لم أكن بالذى أعبد رباً لم أره. قال: فكيف رأيته صفه لنا. قال: ويلك لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان. ويلك يا ذعلب إن ربي لا يوصف بالبعد ولا بالحركة ولا بالسكون، ولا بالقيام قيام انتصاب ولا بجيئة ولا بذهاب، لطيف اللطافة لا يوصف باللطف، عظيم العظمة لا يوصف بالعظم، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ، رؤوف الرحمة لا يوصف بالرقّة، مؤمن لا بعبادة، مدرك لا بمجسة، قائل لا بلفظ، هو فى الأشياء على غير ممازجة، خارج منها على غير مباينة، فوق كل شئ ولا يقال شئ فوقه، أمام كل شئ ولا يقال له أمام، داخل فى الأشياء لا كشئ فى شئ داخل، وخارج منها لا كشئ من شئ خارج.. فخر ذعلب مغشياً عليه... الخبر.

لم يحلل فى الأشياء... ولم ينأ عنه

نهج البلاغة: ١/١١٢:

٦٥ ومن خطبة له عليه السلام: الحمد لله الذى لم يسبق له حال حالاً- فيكون أولاً قبل أن يكون آخراً. ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً. كل مسمى بالوحدة غيره قليل، وكل عزيز غيره ذليل، وكل قوى غيره ضعيف، وكل مالك غيره مملوك، وكل عالم غيره متعلم، وكل قادر غيره يقدر ويعجز، وكل سميع غيره يصم عن لطيف الأصوات ويصمه كبيرها ويذهب عنه ما بعد منها، وكل بصير غيره يعمى عن خفى الألوان ولطيف الأجسام، وكل ظاهر غيره باطن، وكل باطن غيره ظاهر.

لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان، ولا تخوف من عواقب زمان، ولا إستعانة على ندمثاور، ولا شريك مكاثر، ولا ضد منافر، ولكن

خلائق مريبون، وعباد داخرون.

لم يحلل في الأشياء فيقال هو فيها كائن، ولم ينأ عنها فيقال هو منها بائن.

لم يؤده خلق ما ابتداءً، ولا تدبير ما ذراً، ولا وقف به عجز عما خلق، ولا ولجت عليه شبهة فيما قدر، بل قضاء متقن وعلم محكم، وأمر مبرم. المأمول مع النقم، والمرهوب مع النعم....

لا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك

نهج البلاغة: ١/١٦٠:

٩١ ومن خطبة له عليه السلام تعرف بخطبة الاشباح وهي من جلائل خطبه عليه السلام وكان سألها سائل أن يصف الله حتى كأنه يراه عياناً، فغضب عليه السلام لذلك:

الحمد لله الذي لا يَفِرُّهُ المنع والجمود، ولا يكديه الإعطاء والوجود، إذ كل معط منتقص سواه، وكل مانع مذموم ما خلاه، وهو المنان بفوائد النعم، وعوائد المزيد والقسم. عياله الخلق، ضمن أرزاقهم وقدر أقاتهم، ونهج سبيل الراغبين إليه، والطالبين ما لديه، وليس بما سئل بأجود منه بما لم يسأل.

الأول الذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله، والآخر الذي ليس له بعد فيكون شيء بعده، والرادع أناسي الابصار عن أن تناله أو تدركه. ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال، ولا كان في مكان فيجوز عليه الانتقال، ولو وهب ما تنفست عنه معادن الجبال وضحكت عنه أصداف البحار، من فلز اللجين والعقيان، ونثارة الدر وحصيد المرجان، ما أثر ذلك في جوده، ولا أنفد سعة ما عنده، ولكان عنده من ذخائر الأنعام ما لا تنفده مطالب الانام، لأنه الجواد الذي لا يغيضه سؤال السائلين، ولا يبخله إلحاح الملحين.

فانظر أيها السائل فما ذلك القرآن عليه من صفته فائتم به، واستضى بنور هدايته، وما كلفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب عليك فرضه، ولا في سنة النبي صلى الله عليه وآله وأئمة الهدى أثره، فكل علمه إلى الله سبحانه، فإن ذلك منتهى حق الله عليك. واعلم أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب، الإقرار بجملته ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً، وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً. فاقتصر على ذلك، ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين.

هو القادر الذي إذا ارتمت الاوهام لتدرك منقطع قدرته، وحاول الفكر المبرأ من خطرات الوسوس أن يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته، وتولت القلوب إليه لتجرب في كيفية صفاته، وغمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصفات لتناول علم ذاته، دعاها وهي تجوب مهاوى سدف الغيوب متخلصه إليه سبحانه، فرجعت إذ جبهت معترفة بأنه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته، ولا تخطر ببال أولى الرويات خاطرة من تقدير جلال عزته.

الذي ابتدع الخلق على غير مثال امتثله، ولا مقدار احتذى عليه، من خالق معهود كان قبله. وأرانا من ملكوت قدرته، وعجائب ما نطقته به آثار حكمته، واعتراف لحاجة من الخلق إلى أن يقيمها بمسالك قدرته، ما دلنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته، وظهرت في البدائع التي أحدثها آثار صنعته، وأعلام حكمته، فصار كل ما خلق حجة له ودليلاً عليه، وإن كان خلقاً صامتاً فحجته بالتدبير ناطقة، ودلالته على المبدع قائمة.

فأشهد أن من شبهك بتباين أعضاء خلقك، وتلاحم حقائق مفاصلهم المحتجبة لتدبير حكمتك، لم يعقد غيب ضميره على معرفتك، ولم يباشر قلبه اليقين بأنه لا ندلك، وكأنه لم يسمع تبرأ التابعين من المتبوعين إذ يقولون: تالله إن كنا لفي ضلال مبين، إذ نسويكم برب العالمين.

كذب العادلون بك إذ شهوك بأصنامهم، ونحلوك حلية المخلوقين بأوهامهم، وجزأوك تجزئة المجسمات بخواطرهم، وقدروك

على الخلقه المختلفه القوى بقرائح عقولهم. وأشهد أن من ساواك بشئ من خلقك فقد عدل بك، والعدل بك كافر بما تنزلت به محكمات آياتك، ونظقت عنه شواهد حجج بيناتك. وأنت الله الذي لم تتناه في العقول فتكون في مهب فكرها مكيفاً، ولا في روايات خواطرها فتكون محدوداً مصرفاً.

وروى هذه الخطبة الصدوق في التوحيد/٤٨ فقال:

١٣ حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله قال: حدثنا محمد بن أبي عبدالله الكوفي قال: حدثنا محمد بن إسماعيل البرمكي، قال: حدثني علي بن العباس، قال: حدثني إسماعيل بن مهران الكوفي، عن إسماعيل بن إسحاق الجهني، عن فرج بن فروة، عن مسعدة بن صدقة، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: بينما أمير المؤمنين عليه السلام يخطب على المنبر بالكوفة إذ قام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين صف لنا ربك تبارك وتعالى لنزداد له حباً وبه معرفة، فغضب أمير المؤمنين عليه السلام ونادى الصلاة جامعة فاجتمع الناس حتى غص المسجد بأهله، ثم قام متغير اللون فقال... كما في نهج البلاغة بتفاوت في بعض الكلمات.

لا تدركه الشواهد و لا تحويه المشاهد

نهج البلاغة: ٢/١١٥:

١٨٥ ومن خطبة له عليه السلام: الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد، ولا تحويه المشاهد، ولا تراه النواظر، ولا تحجبه السواتر، الدال على قدمه بحدوث خلقه، وبحدوث خلقه على وجوده، وباشتباههم على أن لا شبه له. الذي صدق في ميعاده، وارتفع عن ظلم عباده، وقام بالقسط في خلقه، وعدل عليهم في حكمه. مستشهد بحدوث الأشياء على أزليته، وبما وسمها به من العجز على قدرته، وبما اضطرها إليه من الفناء على دوامه. واحد لا بعدد، ودائم لا بأمد، وقائم لا بعمد. تتلقاه الأذهان لا بمشاعرة، وتشهد له المرائي لا بمحاضرة. لم تحط به الاوهام بل تجلى لها، وبها امتنع منها، وإليها حاكمها.

ليس بذى كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسيماً، ولا بذى عظم تناهت به الغايات فعظمته تجسيداً. بل كبر شأناً، وعظم سلطاناً. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصفي، وأمينه الرضى صلى الله عليه وآله. أرسله بوجوب الحجج، وظهور الفلج، وإيضاح المنهج، فبلغ الرسالة صادعاً بها، وحمل على المحجة دالاً عليها، وأقام أعلام الإهداء ومنار الضياء، وجعل أمراس الإسلام متينة، وعرى الإيمان وثيقة.

نهج البلاغة: ٢/١١٦:

١٨٦ ومن خطبة له عليه السلام في التوحيد، وتجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لا تجمعه خطبة: ما وحده من كيفه، ولا حقيقته أصاب من مثله، ولا إياه عنى من شبهه، ولا صمده من أشار إليه وتوهمه. فاعل لا باضطراب آله، مقدر لا بجول فكرة، غنى لا بإستفادة، لا تصحبه الاوقات، ولا ترفده الادوات، سبق الاوقات كونه، والعدم وجوده، والإبتداء أزله. بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له، وبمضادته بين الأمور عرف أن لا ضد له، وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له. ضاد النور بالظلمة، والوضوح بالبهمة، والجمود بالبلبل، والحرور بالصدرد، مؤلف بين متعادياتها، مقارن بين متبايناتها، مقرب بين متباعداتها، مفرق بين متدانياتها.

لا يشمل بحد، ولا يحسب ببعده، وإنما تحد الادوات أنفسها، وتشير الآله إلى نظائرها، منعها منذ القدمية، وحماتها قد الأزلية، وجنبتها لولا التكملة. بها تجلى صانعها للعقول، وبها امتنع عن نظر العيون.

لا يجرى عليه السكون والحركة، وكيف يجرى عليه ما هو أجراه، ويعود فيه ما هو أبداه، ويحدث فيه ما هو أحدثه، إذن لتفاوتت ذاته، ولتجزأ كنهه، ولا تمتنع من الأزل معناه، ولكان له وراء إذ وجد له أمام، ولا تمتس التمام إذ لزمه النقصان. وإذا لقامت آية المصنوع فيه،

ولتحول دليلاً بعد أن كان مدلولاً عليه، وخرج بسطان الامتناع من أن يؤثر فيه ما يؤثر في غيره.
الذى لا- يحول ولا- يزول، ولا يجوز عليه الافول، ولم يلد فيكون مولوداً، ولم يولد فيصير محدوداً. جل عن اتخاذ الأبناء، وطهر عن ملامسة النساء. لا تناله الاوهام فتقدرة، ولا تتوهمه الفطن فتصوره، ولا تدركه الحواس فتحسه، ولا تلمسه الايدي فتمسه.
لا- يتغير بحال، ولا- يتبدل بالا-حوال، ولا- تبليه الليالي والأيام، ولا يغيره الضياء والظلام. ولا يوصف بشئ من الأجزاء، ولا بالجوارح والأعضاء، ولا بعرض من الأعراض، ولا بالغيرية والأبعاض، ولا يقال له حد ولا نهاية، ولا انقطاع ولا غاية، ولا أن الأشياء تحويه، فتقله أو تهويه، أو أن شيئاً يحمله فيميله أو يعدله.
ليس في الأشياء بوالج، ولا- عنها بخارج، يخبر لا- بلسان ولهوات، ويسمع لا بخروق وأدوات. يقول ولا يلفظ، ويحفظ ولا يتحفظ، ويريد ولا يضم.

يحب ويرضى من غير رقة، ويبغض ويغضب من غير مشقة. يقول لمن أراد كونه كن فيكون. لا بصوت يقرع، ولا بنداء يسمع، وإنما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه، ومثله لم يكن من قبل ذلك كائناً، ولو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً.
لا- يقال كان بعد أن لم يكن، فتجربى عليه الصفات المحدثات، ولا- يكون بينها وبينه فصل، ولا- له عليها فضل، فيستوى الصانع والمصنوع، ويتكافأ لمبتدى والبديع.

خلق الخلائق على غير مثال خلا من غيره، ولم يستعن على خلقها بأحد من خلقه، وأنشأ الأرض فأمسكها من غير اشتغال، وأرساها على غير قرار، وأقامها بغير قوائم، ورفعها بغير دعائم، وحصنها من الأود والإعوجاج، ومنعها من التهافت والإنفراج. أرسى أوتادها، وضرب أسدادها، واستفاض عيونها، وخذ أوديتها، فلم يهن ما بناه، ولا ضعف ما قواه.
هو الظاهر عليها بسلطانه وعظمته، وهو الباطن لها بعلمه ومعرفته، والعالي على كل شئ منها بجلاله وعزته، لا يعجزه شئ منها طلبه، ولا يمتنع عليه فيغلبه، ولا يفوته السريع منها فيسبقه، ولا يحتاج إلى ذى مال فيرزقه.
خضعت الأشياء له، وذلت مستكينه لعظمته، لا تستطيع الهرب من سلطانه إلى غيره فتمتنع من نفعه وضره، ولا كفؤ له فيكافئه، ولا نظير له فيساويه.

هو المفنى لها بعد وجودها، حتى يصير موجودها كمفقودها، وليس فناء الدنيا بعد ابتداعها بأعجب من إنشائها واختراعها.

أول الدين معرفته... وكمال الاخلاص له نفى الصفات عنه

نهج البلاغة: ١/١٤:

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم:
الحمد لله الذى لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصى نعماءه العادون، ولا يؤدى حقه المجتهدون. الذى لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، الذى ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود فطر الخلائق بقدرته، ونشر الرياح برحمته، ووتد بالصخور مَيِّدَانِ أرضه.. أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفى الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عدده، ومن قال فيم فقد ضمنه، ومن قال علام فقد أخلى منه.
كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شئ لا بمقارن، وغير كل شئ لا بمزايله، فاعل لا بمعنى الحركات والآله، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه، متوحد إذ لا سكن يستأنس به، ولا يستوحش لفقده.

أنشأ الخلق إنشاء، وابتدأه ابتداء، بلا رَوِيَّةَ أجالها، ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضطرب فيها، أحال الأشياء

لأوقاتها، ولا عم بين مختلفاتها، وعرز غرائزها، وأزرها أشباحها، عالمها قبل ابتدائها، محيطاً بحدودها وانتهائها، عارفاً بقرائنها وأحائها.

ثم أنشأ سبحانه فتق الـجواء، وشق الأرجاء، وسكائك الهواء، فأجرى فيها ماء متلاطماً تياره، متراكماً زخاره، حمله على متن الرياح العاصفة، والززع القاصفة، فأمرها برده، وسلطها على شده، وقرنها إلى حده، الهواء من تحتها فتيق، والماء من فوقها دقيق.

ثم أنشأ سبحانه ريحاً اعتقم مهبهاً، وأدام مربها، وأعصف مجراها، وأبعد منشأها، فأمرها بتصفيق الماء الزخار، وإثارة موج البحار، فمخضته مخض السقاء، وعصفت به عصفها بالفضاء، ترد أوله إلى آخره، وساجيه إلى مائره، حتى عب عبابها، ورمى بالزبد ركامه، فرفعه في هواء منفتح، وجو منفتح، فسوى منه سبع سموات، جعل سفلاهن موجاً مكفوفاً، وعليهن سقفاً محفوظاً، وسمكاً مرفوعاً، بغير عمد يدعمها، ولا دسار ينظمها.

ثم زينها بزينة الكواكب، وضياء الثواقب، وأجرى فيها سراجاً مستطيراً، وقمرًا منيراً، في فلك دائر، وسقف سائر، ورقيم مائر، ثم فتق ما بين السموات العلاء فملاهن أطواراً من ملائكته، منهم سجود لا- يركعون، وركوع لا- ينتصبون، وصافون لا يتزايون، ومسبحون لا يسأمون، لا- يغشاهم نوم العين، ولا- سهو العقول، ولا- فترة الابدان، ولا- غفلة النسيان. ومنهم أمناء على وحيه، وألسنة إلى رسله، ومختلفون بقضائه وأمره. ومنهم الحفظه لعباده، والسدنة لآبواب جنانه. ومنهم الثابتة في الارضين السفلى أقدامهم، والمارقة من السماء العليا أعناقهم، والخارجة من الاقطار أركانهم والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم، ناكسةً دونه أبطارهم، متلفعون تحته بأجنحتهم، مضروبةً بينهم وبين من دونهم حجب العزة وأستار القدرة، لا- يتوهمون ربهم بالتصوير، ولا- يجرون عليه صفات المصنوعين، ولا يحدونه بالاماكن، ولا يشيرون إليه بالنظائر.

ثم جمع سبحانه من حزن الأرض وسهلها، وعذبها وسبخها، تربة سنّها بالماء حتى خلصت، ولاطها بالبله حتى لزبت، فجل منها صورة ذات أحناء ووصول، وأعضاء وفصول، أجمدها حتى استمسكت، وأصلدها حتى صلصت، لوقت معدود، وأمد معلوم، ثم نفخ فيها من روحه، فمثلت إنساناً ذا أذهان يجليها، وفكر يتصرف بها، وجوارح يستخدمها، وأدوات يقلبها، ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل، والاذواق والمشام، والالوان والاجناس. معجوناً بطينه الالوان المختلفه، والاشباه المؤتلفه، والاضداد المتعادية، والاخلاط المتباينه، من الحر والبرد، والبله والجمود، واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم، وعهد وصيته إليهم، في الازعان بالسجود له، والخشوع لتكرمه....

كان المسلمون يعرفون قيمة الجواهر فيكتبونه

التوحيد للشيخ الصدوق/٣١:

حدثنا أبي (رض) قال: حدثنا سعد بن عبدالله قال: حدثنا أحمد بن أبي عبدالله، عن أبيه محمد بن خالد البرقي، عن أحمد بن النضر وغيره، عن عمرو بن ثابت، عن رجل سماه، عن أبي إسحاق السبيعي، عن الحارث الاعور قال: خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوماً خطبة بعد العصر، فعجب الناس من حسن صفته وما ذكر من تعظيم الله جل جلاله، قال أبو إسحاق فقلت للحارث: أو ما حفظتها قال: قد كتبتها، فأملأها علينا من كتابه:

الحمد لله الذي لا يموت، ولا تنقضى عجائبه، لأنه كل يوم في شأن، من إحداث بديع لم يكن. الذي لم يولد فيكون في العز مشاركاً، ولم يلد فيكون موروثاً هالكاً، ولم تقع عليه الاوهام فتقدره شبحاً ماثلاً، ولم تدركه الابصار فيكون بعد انتقالها حائلاً، الذي ليست له في أوليته نهاية، ولا في آخريته حد ولا غاية، الذي لم يسبقه وقت، ولم يتقدمه زمان، ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان، ولم يوصف بأين ولا بمكان، الذي بطن من خفيات الأمور، وظهر في العقول بما يرى في خلقه من علامات التدبير. الذي سئلت الأنبياء عنه فلم تصفه بحد ولا بنقص، بل وصفته بأفعاله، ودلت عليه بآياته، ولا تستطيع عقول المتفكرين جحده، لأن من كانت السماوات والأرض فطرته

وما فيهن وما بينهن هو الصانع لهن، فلا مدفع لقدرته.

الذى بان من الخلق فلا شئ كمثلته. الذى خلق الخلق لعبادته وأقدرهم على طاعته بما جعل فيهم، وقطع عذرهم بالحجج، فعن بينة هلك من هلك وعن بينة نجا من نجا. والله الفضل مبدئاً ومعيداً...

الحمد لله اللابس الكبرياء بلا تجسد، والمرتدى بالجلال بلا تمثّل، والمستوى على العرش بلا زوال، والمتعالى عن الخلق بلا تباعد منهم، القريب منهم بلا ملامسة منه لهم، ليس له حد ينتهى إلى حده، ولا له مثل فيعرف بمثله، ذل من تجبر غيره، وصغر من تكبر دونه، وتواضعت الأشياء لعظمتها، وانقادت لسلطانه وعزته، وكلت عن إدراكه ظروف العيون، وقصرت دون بلوغ صفتها أو هام الخلاق، الأول قبل كل شئ والآخر بعد كل شئ، ولا يعدله شئ، الظاهر على كل شئ بالقهر له، والمشاهد لجميع الاماكن بلا انتقال إليها، ولا تلمسه لا مسة ولا تحسه حاسة، وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله وهو الحكيم العليم. أتقن ما أراد خلقه من الأشياء كلها بلا مثال سبق إليه، ولا لغوب دخل عليه، فى خلق ما خلق... إلى آخر الخطبة.

امير المؤمنين يرد على تجسيم اليهود

قال الصدوق فى كتابه التوحيد/٧٧:

حدثنا أبو سعيد محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق المذكر المعروف بأبى سعيد المعلم بنيسابور، قال حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، قال حدثنا على بن سلمة الليفى، قال حدثنا إسماعيل بن يحيى بن عبدالله، عن عبدالله بن طلحة بن هجيم، قال حدثنا أبو سنان الشيبانى سعيد بن سنان، عن الضحاك، عن النزال بن سبرة قال: جاء يهودى إلى على بن أبى طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين متى كان ربنا؟ قال فقال له على عليه السلام: إنما يقال: متى كان لشئ لم يكن فكان، وربنا تبارك وتعالى هو كائن بلا كينونة كائن، كان بلا كيف يكون، كائن لم يزل بلا لم يزل، وبلا كيف يكون، كان لم يزل ليس له قبل، هو قبل القبل بلا قبل وبلا غاية ولا منتهى، غاية ولا غاية إليها، غاية انقطعت الغايات عنه، فهو غاية كل غاية.

أخبرنى أبو العباس الفضل بن الفضل بن العباس الكندى فيما أجاز له بهمدان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة قال: حدثنا محمد بن سهل يعنى العطار البغدادي لفظاً من كتابه سنة خمس وثلاثمائة قال: حدثنا عبدالله بن محمد البلوى قال: حدثنى عمارة بن زيد، قال: حدثنى عبد الله بن العلاء قال: حدثنى صالح بن سبيع، عن عمرو بن محمد بن صعصعة بن صوحان قال: حدثنى أبى، عن أبى المعتمر مسلم بن أوس قال: حضرت مجلس على عليه السلام فى جامع الكوفة فقام إليه رجل مصفر اللون كأنه من متهودة اليمن فقال: يا أمير المؤمنين صف لنا خالقك وانعتة لنا كأننا نراه وننظر إليه، فسبح على عليه السلام ربه وعظمه عز وجل وقال:

الحمد لله الذى هو أول بلا- بدء مما، ولا باطن فيما، ولا يزال مهما، ولا ممازج مع ما، ولا خيال وهما، ليس بشيح فىرى، ولا بجسم فيتجزى، ولا بذى غاية فيتناهى، ولا بمحدث فيبصر، ولا بمستتر فيكشف، ولا بذى حجب فيحوى.

كان ولا أماكن تحمله أكتافها، ولا حملة ترفعه بقوتها، ولا كان بعد أن لم يكن، بل حارت الأوهام أن تكيف المكيف للأشياء ومن لم يزل بلا مكان، ولا يزول باختلاف الأزمان، ولا ينقلب شأناً بعد شان.

البعيد من حدس القلوب، المتعالى عن الأشياء والضروب، والوتر علام الغيوب، فمعانى الخلق عنه منفية، وسرائرهم عليه غير خفية، المعروف بغير كيفية، لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، ولا تدركه الأبصار، ولا تحيط به الأفكار، ولا تقدره العقول، ولا تقع عليه الاوهام، فكل ما قدره عقل أو عرف له مثل فهو محدود، وكيف يوصف بالأشباح، وينعت بالألسن الفصاح، من لم يحلل فى الأشياء فيقال هو فيها كائن، ولم ينأ عنها فيقال هو عنها بائن، ولم يخل منها فيقال أين، ولم يقرب منها بالالتراق، ولم يبعد عنها بالإفتراق، بل هو فى الأشياء بلا كيفية، وهو أقرب إلينا من جبل الوريد، وأبعد من الشبه من كل بعيد.

لم يخلق الأشياء من أصول أزلية، ولا- من أوائل كانت قبله بديئة، بل خلق ما خلق، وأتقن خلقه، وصور ما صور، فأحسن صورته،

فسبحان من توحد في علوه، فليس لشيء منه امتناع، ولا له بطاعة أحد من خلقه انتفاع، إجابته للداعين سريعة، والملائكة له في السماوات والأرض مطيعه، كلم موسى تكليماً بلا جوارح وأدوات، ولا شفة ولا لهوات، سبحانه وتعالى عن الصفات، فمن زعم أن إله الخلق محدود، فقد جهل الخالق المعبود... والخطبة طويلة أخذنا منها موضع الحاجة.. انتهى. وقد تقدم في الفصل الأول رده على كعب الأبحار في مجلس الخليفة عمر.

و يوجه المسلمين إلى التفكير في عظمة المخلوقات فيصف الطاووس

نهج البلاغة: ٢/٧٠:

١٦٥ ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها عجب خلقه الطاووس:

ابتدعهم خلقاً عجيباً من حيوان وموات، وساكن وذى حركات، فأقام من شواهد البيئات على لطيف صنعته وعظيم قدرته، ما انقادت له العقول معترفه به ومسلمه له، ونعقت في أسماعنا دلالة على وحدانيته.

وما ذراً من مختلف صور الاطيار، التي أسكنها أحاديث الأرض وخروق فجاجها، ورواسي أعلامها، من ذات أجنحة مختلفة، وهيئات متباينة، مصرفه في زمان التسخير، ومرففه بأجنتها في مخارق الجو المنفسح، والفضاء المنفرج.

كونها بعد أن لم تكن، في عجائب صور ظاهرة، وركبها في حقائق مفاصل محتجبه، ومنع بعضها بعباله خلقه، أن يسمو في السماء خفوقاً، وجعله يدف ديفاً، ونسقتها على اختلافها في الأصابع بلطيف قدرته، ودقيق صنعته فمنها مغموس في قالب لون لا يشوبه غير لون ما غمس فيه، ومنها مغموس في لون صبغ قد طوق بخلاف ما صبغ به، ومن أعجبها خلقاً الطاووس الذي أقامه في أحكم تعديل، ونضد ألوانه في أحسن تنضيد، بجناح أشرح قصبه، وذنب أطل مسحبه.

إذا درج إلى الأنتى نشره من طيه، وسما به مطلاً على رأسه، كأنه قلع داري عَجَجَهُ نُؤْيُهُ، يختال بألوانه، ويميس بزيفانه، يفضي كإفضاء الديكة، وَيُؤرُّ بملاقحه أَرَّ الفحول المغتلمة للضراب الضراب.

أحيلك من ذلك على معانيه، لا كمن يحيل على ضعيف إساده، ولو كان كزعم من يزعم أنه يلحق بدمعة تسفحها مدامعه، فتقف في ضفتي جفونه، وأن أثناه تطعم ذلك، ثم تبيض لا من لقاح فحل، سوى الدمع المنبجس، لما كان ذلك بأعجب من مطاعمه الغراب. تخال قصبه مدارى من فضة، وما أنبت عليها من عجيب داراته، وشموسه خالص العقيان، وفلذ الزبرجد، فإن شبهته بما أنبت الأرض قلت: جنى جنى من زهرة كل ربيع، وإن ضاهيته بالملابس فهو كموشى الحلل، أو مونق عصب اليمن، وإن شاكلته بالحلى فهو كفصوص ذات ألوان قد نطقت باللجين المكمل.

يمشى مشى المرح المختال، ويتصفح ذنبه وجناحيه فيقهقه ضاحكاً لجمال سرباله، وأصابع وشاحه، فإذا رمى بصره إلى قوائمه، زقا معولاً بصوت يكاد يبين عن استغاثته، ويشهد بصادق توجهه، لأن قوائمه حمش كقوائم الديكة الخلاسية، وقد نجمت من ظنوب ساقه صيصية خفية.

وله في موضع العرف قنزعة خضراء موشاة، ومخرج عنقه كالإبريق، ومغرزاها إلى حيث بطنه كصبغ الوسمة اليمانية، أو كحريرة ملبسة مرآة ذات صقال، وكأنه متلفع بمعجر أسحم، إلا أنه يخيل لكثرة مائه وشدة بريقه أن الخضرة الناضرة ممتزجة به، ومع فتق سمعه خط كمستدق القلم في لون الاقحوان، أبيض يقق، فهو بياضه في سواد ما هنالك يأتلق، وقل صبغ إلا وقد أخذ منه بقسط، وعلاه بكثرة صقاله وبريقه، وبصيص ديباجه ورونقه، فهو كالازاهير المبتوثة لم تربها أمطار ربيع، ولا شمس قيط، وقد يتحسر من ريشه، ويعرى من لباسه، فيسقط تترى، وينبت تباعاً، فينحت من قصبه انحطت أوراق الأغصان، ثم يتلاحق نامياً حتى يعود كهيئته قبل سقوطه، لا يخالف سالف ألوانه، ولا يقع لون في غير مكانه.

وإذا تصفحت شعرة من شعرات قصبه أرتك حمرة وردية، وتارة خضرة زبرجدية، وأحياناً صفرة عسجدية.

فكيف تصل إلى صفه هذا عمائق الفطن، أو تبلغه قرائح العقول، أو تستنظم وصفه أقوال الواصفين! وأقل أجزائه قد أعجز الاوهام أن تدركه، والالسنه أن تصفه، فسبحان الذى بهر العقول عن وصف خلق جلاله للعيون، فأدر كته محدوداً مكوناً، ومؤلفاً ملوناً، وأعجز الألسن عن تلخيص صفته، وقعد بها عن تأدية نعته.

وسبحان من أدمج قوائم الذرة والهمجه، إلى ما فوقهما من خلق الحيتان والأفيله، ووأى على نفسه أن لا يضطرب شبح مما أولج فيه الروح، إلا وجعل الحمام موعده، والفناء غايته...

و يصف النملة والجرادة

نهج البلاغه: ٢/١١٥:

١٨٥ ومن خطبة له عليه السلام:... ولو فكروا فى عظيم القدرة وجسيم النعمة، لرجعوا إلى الطريق، وخافوا عذاب الحريق، ولكن القلوب عليله، والبصائر مدخوله.

ألا تنظرون إلى صغير ما خلق كيف أحكم خلقه، وأتقن تركيبه، وخلق له السمع والبصر، وسوى له العظم والبشر. أنظروا إلى النملة فى صغر جثتها، ولطافة هيئتها، لا تكاد تنال بلحظ البصر، ولا بمستدرك الفكر، كيف دبت على أرضها، وصبت على رزقها، تنقل الحبة إلى جحرها، وتعددها فى مستقرها، تجمع فى حرها لبردها، وفى وردها لصدرها، مكفولة برزقها مرزوقه بوقفها، لا يغفلها المنان، ولا يحرمها الديان، ولو فى الصفا اليابس، والحجر الجامس.

ولو فكرت فى مجارى أكلها، فى علوها وسفلها، وما فى الجوف من شراسيف بطنها، وما فى الرأس من عينها وأذنها، لقضيت من خلقها عجباً، ولقيت من وصفها تعبا. فتعالى الذى أقامها على قوائمها، وبنها على دعائمها، لم يشركه فى فطرتها فاطر، ولم يعنه فى خلقها قادر.

ولو ضربت فى مذاهب فكرك لتبلغ غاياته، ما دلتك الدلالة إلا على أن فاطر النملة هو فاطر النخلة، لدقيق تفصيل كل شىء، وغامض اختلاف كل حى، وما الجليل واللطيف، والثقل والخفيف، والقوى والضعيف، فى خلقه إلا سواء، وكذلك السماء والهواء، والرياح والماء. فانظر إلى الشمس والقمر، والنبات والشجر، والماء والحجر، واختلاف هذا الليل والنهار، وتفجر هذه البحار، وكثرة هذه الجبال، وطول هذه القلال، وتفرق هذه اللغات، والألسن المختلفات.

فالويل لمن جحد المقدر وأنكر المدبر. زعموا أنهم كالنبات ما لهم زارع، ولا لاختلاف صورهم صانع، ولم يلجؤوا إلى حجة فيما ادعوا، ولا تحقيق لما أوعوا. وهل يكون بناء من غير بان، أو جناية من غير جان.

وإن شئت قلت فى الجرادة، إذ خلق لها عينين حمراوين، وأسرج لها حدقتين قمرراوين، وجعل لها السمع الخفى، وفتح لها الفم السوى، وجعل لها الحس القوى، ونايين بهما تقرض، ومنجلين بهما تقبض، يرهبا الزراع فى زرعهم، ولا يستطيعون ذبها ولو أجلسوا بجمعهم، حتى ترد الحرث فى نزواتها، وتقضى منه شهواتها، وخلقها كله لا يكون إصبغاً مستدقاً.

فتبارك الله الذى يسجد له من فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً، ويعفر له خدماً ووجهاً، ويلقى إليه بالطاعة سلماً وضعفاً، ويعطى له القيادة رهبةً وخوفاً، فالطير مسخرة لامره، أحصى عدد الريش منها والنفس، وأرسى قوائمها على الندى واليبس، وقدر أقواتها، وأحصى أجناسها، فهذا غراب، وهذا عقاب، وهذا حمام، وهذا نعام. دعا كل طائر باسمه، وكفل له برزقه، وأنشأ السحاب الثقال فأهطل ديمها، وعدد قسمها، قبل الأرض بعد جفوفها، وأخرج نبتها بعد جدوبها.

على مؤسس علم التوحيد

أمالى المرتضى: ١/١٤٨:

إعلم أن أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين على عليه السلام وخطبه، وأنها تتضمن من ذلك ما لا مزيد عليه ولا غاية وراءه، ومن تأمل المأثور في ذلك من كلامه، علم أن جميع ما أسهب المتكلمون من بعد في تصنيفه وجمعه، إنما هو تفصيل لتلك الجمل، وشرح لتلك الأصول.

وروى عن الأئمة من أبناءه عليهم السلام من ذلك ما لا يكاد يحاط به كثرة، ومن أحب الوقوف عليه وطلبه من مظانه أصاب منه الكثير الغزير، الذي في بعضه شفاء للصدور السقيمة، ونتاج للعقول العقيمة، ونحن نقدم على ما نريد ذكره شيئاً مما روى عنهم في هذا الباب. فمن ذلك ما روى عن أمير المؤمنين على عليه السلام وهو يصف الله تعالى:

بمضاداته بين الأشياء علم أن لا ضد له، وبمقارنته بين الأمور علم أن لا قرين له، ضاد النور بالظلمة، والخشونة بالليل، والبيوسة بالبلل، والصدرد بالحرور، مؤلف بين متباعداتها، مفرق بين متدانياتها.

وروى عنه عليه السلام أنه سئل: بم عرفت ربك؟ فقال: بما عرفني به. قيل: وكيف عرفك؟ قال: لا تشبهه صورة، ولا يحس بالحواس، ولا يقاس بقياس الناس.

وقيل له عليه السلام: كيف يحاسب الله الخلق؟ قال: كما يرزقهم. فقيل كيف يحاسبهم ولا يرونه؟ فقال: كما يرزقهم ولا يرونه. وسأله رجل فقال: أين كان ربك قبل أن يخلق السماء والأرض؟ فقال: أين سؤال عن مكان، وكان الله ولا مكان.

الامام زين العابدين ينظم زبور آل محمد

قال عليه السلام في أدعيته المعروفة بالصحيفة السجادية، الدعاء الأول:

الحمد لله الأول بلا- أول كان قبله، والاخر بلا- آخر يكون بعده، الذي قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين، وعجزت عن نعته أوهام الواصفين، ابتدع بقدرته الخلق ابتداءً، واخترعهم على مشيئته اختراعاً، ثم سلك بهم طريق إرادته، وبعثهم في سبيل محبته، لا يملكون تأخيراً عما قدمهم إليه، ولا- يستطيعون تقدماً إلى ما أخرهم عنه، وجعل لكل روح منهم قوتاً معلوماً مقسوماً من رزقه، لا ينقص من زاده ناقص، ولا- يزيد من نقص منهم زائد، ثم ضرب له في الحياة أجلاً- موقوتاً، ونصب له أمداً محدوداً، يتخطى إليه بأيام عمره، ويرهقه بأعوام دهره، حتى إذا بلغ أقصى أثره، واستوعب حساب عمره، قبضه إلى ما ندبه إليه من موفور ثوابه، أو محذور عقابه، ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، عدلاً منه تقدست أسماؤه، وتظاهرت آلاؤه، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون...

الصحيفة السجادية الدعاء الثاني والثلاثون:

وكان من دعائه عليه السلام بعد الفراغ من صلاة الليل: اللهم ياذا الملك المتأبد بالخلود والسلطان، الممتنع بغير جنود ولا أعوان، والعز الباقي على مر الدهور وخوالي الأعوام، ومواضى الأزمان والأيام، عز سلطانك عزاً لا حد له بأوليئه، ولا منتهى له بأخريئه، واستعلى ملكك علواً سقطت الأشياء دون بلوغ أمده، ولا- يبلغ أدنى ما استأثرت به من ذلك أقصى نعت الناعتين، ضلت فيك الصفات، وتفسخت دونك النعوت، وحاترت في كبريائك لطائف الأوهام.

كذلك أنت الله الأول في أوليتك، وعلى ذلك أنت دائم لا تزول.

وأنا العبد الضعيف عملاً، الجسيم أملاً، خرجت من يدي أسباب الوصلات إلا ما وصلته رحمتك، وتقطعت عني عصم الامال إلا ما أنا معتم به من عفوك، قلّ عندى ما أعتد به من طاعتك، وكثر على ما أبوء به من معصيتك، ولن يضيق عليك عفو عن عبدك وإن أساء فاعف عني...

الصحيفة السجادية: ٢/٢١:

دعاؤه عليه السلام في التحميد لله عز وجل: الحمد لله الذي تجلى للقلوب بالعظمة، واحتجت عن الابصار بالعزة، واقتدر على الأشياء

بالقدرة، فلا الأبصار تثبت لرؤيته، ولا الأوهام تبلغ كنه عظمته، تجبر بالعظمة والكبرياء، وتعطف بالعز والبر والجلال، وتقدس بالحسن والجمال، وتجمل بالفخر والبهاء، وتهلل بالمجد والآلاء، واستخلص بالنور والضياء. خالق لا نظير له، وواحد لاند له، وماجد لا ضد له، وصمد لا كفو له، وإله لا ثاني معه، وفاطر لا شريك له، ورازق لا معين له، الأول بلا زوال، والدائم بلا فناء، والقائم بلا عناء، والباقي بلا نهاية، والمبدئ بلا أمد، والصانع بلا ظهير، والرب بلا شريك، والفاطر بلا كلفه، والفاعل بلا عجز. ليس له حد في مكان، ولا- غاية في زمان، لم يزل ولا- يزول ولن يزال، كذلك أبداً هو الاله الحي القيوم، الدائم القديم، القادر الحكيم...

الامام محمد الباقر يجب على سؤال متى وجد الله

الكافي: ٨/١٢٠:

عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن الحسن بن محبوب، عن أبي حمزة ثابت بن دينار الثمالي وأبي منصور، عن أبي الربيع قال: حججنا مع أبي جعفر عليه السلام في السنة التي كان حج فيها هشام بن عبد الملك، وكان معه نافع مولى عمر بن الخطاب، فنظر نافع إلى أبي جعفر عليه السلام في ركن البيت وقد اجتمع عليه الناس فقال نافع: يا أمير المؤمنين من هذا الذي قد تداك عليه الناس؟ فقال: هذا نبي أهل الكوفة، هذا محمد بن علي!

فقال: أشهد لا تينه فلا سأله عن مسائل لا يجيبني فيها إلا نبي أو ابن نبي أو وصي نبي، قال: فاذهب إليه وسله لعلك تخجله. فجاء نافع حتى اتكأ على الناس ثم أشرف على أبي جعفر عليه السلام فقال: يا محمد بن علي إني قرأت التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وقد عرفت حلالها وحرامها، وقد جئت أسألك عن مسائل لا يجيب فيها إلا نبي أو وصي نبي أو ابن نبي، قال فرجع أبو جعفر عليه السلام رأسه فقال: سل عما بدا لك.

فقال: أخبرني كم بين عيسى وبين محمد من سنة.

قال: أخبرك بقولي أو بقولك؟

قال: أخبرني بالقولين جميعاً.

قال: أما في قولي فخمسمائة سنة، وأما في قولك فستمائة سنة.

قال: فأخبرني عن قول الله عز وجل لنبيه: *وَاسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبُدُونَ*. من الذي سأل محمد، وكان بينه وبين عيسى خمسمائة سنة.

فقال: فتلا أبو جعفر عليه السلام هذه الآية: *سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا*. فكان من الآيات التي أراها الله تبارك وتعالى محمداً صلى الله عليه وآله حيث أسرى به إلى بيت المقدس أن حشر الله عز ذكره الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين، ثم أمر جبرئيل عليه السلام فأذن شفعاً وأقام شفعاً وقال في أذانه حي على خير العمل، ثم تقدم محمد صلى الله عليه وآله فصلى بالقوم فلما انصرف قال لهم: على ما تشهدون وما كنتم تعبدون؟ قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنتك رسول الله، أخذ على ذلك عهدنا وموثيقنا.

فقال نافع: صدقت يا أبا جعفر، فأخبرني عن قول الله عز وجل: *أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا*.

قال: إن الله تبارك وتعالى لما أهبط آدم إلى الأرض وكانت السماوات رتقاً لا تمطر شيئاً، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت شيئاً، فلما أن تاب الله عز وجل على آدم عليه السلام أمر السماء فتقطرت بالغمام ثم أمرها فأرخت عزاليها، ثم أمر الأرض فأنبت الأشجار وأثمرت الثمار وتفهمت بالأنهار، فكان ذلك رتقها، وهذا فتقها.

قال نافع: صدقت يا ابن رسول الله، فأخبرني عن قول الله عز وجل: *يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ*، أي أرض تبدل يومئذ.

فقال أبو جعفر عليه السلام: أرض تبقى خبزة يأكلون منها حتى يفرغ الله عز وجل من الحساب.

فقال نافع: إنهم عن الأكل لمشغولون.

فقال أبو جعفر: أهم يومئذ أشغل أم إذ هم في النار؟

فقال نافع: بل إذ هم في النار.

قال: فوالله ما شغلهم إذ دعوا بالطعام فأطعموا الزقوم، ودعوا بالشراب فسقوا الحميم. قال: صدقت يا بن رسول الله، ولقد بقيت مسألة واحدة.

قال: وما هي.

قال: أخبرني عن الله تبارك وتعالى متى كان؟

قال: ويلك متى لم يكن حتى أخبرك متى كان! سبحان من لم يزل ولا يزال، فرداً صمداً لم يتخذ صاحبه ولا ولداً، ثم قال: يا نافع أخبرني عما أسألك عنه.

قال: وما هو.

قال: ما تقول في أصحاب النهروان، فإن قلت إن أمير المؤمنين قتلهم بحق فقد ارتددت، وإن قلت إنه قتلهم باطلاً فقد كفرت.

قال: فولى من عنده وهو يقول: أنت والله أعلم الناس حقاً حقاً، فأتى هشاماً فقال له: ما صنعت؟ قال: دعني من كلامك، هذا والله أعلم الناس حقاً حقاً، وهو ابن رسول الله حقاً، ويحق لأصحابه أن يتخذوه نبياً!! انتهى.

والظاهر أن الإمام الباقر عليه السلام سأل نافعاً عن رأيه في الخوارج، لأن نافعاً كان ناصبياً مؤيداً لرأى الخوارج في تكفير على عليه السلام.

و يركز في المسلمين قاعدة: لا تشبيه و لا تعطيل

التوحيد للصدوق/١٠٤:

أبي رحمه الله قال: حدثنا سعد بن عبد الله الأشعري قال: حدثنا أحمد بن محمد بن خالد، عن محمد بن عيسى عن ذكره قال: سئل أبو جعفر عليه السلام أيجوز أن يقال: إن الله عز وجل شئ قال: نعم، يخرج عن الحدين حد التعطيل وحد التشبيه.

الإمام الصادق: لا نفى و لا تشبيه و لا جبر و لا تفويض

قال الصدوق في كتابه التوحيد/١٠٢:

حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار قال: حدثنا العباس بن معروف قال: حدثنا ابن أبي نجران عن حماد بن عثمان، عن عبد الرحيم القصير قال: كتبت على يدى عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله عليه السلام بمسائل، فيها: أخبرني عن الله عز وجل هل يوصف بالصورة وبالتخطيط فإن رأيت جعلني الله فداك أن تكتب إلي بالمذهب الصحيح من التوحيد، فكتب عليه السلام بيد عبد الملك بن أعين:

سألت رحمك الله عن التوحيد وما ذهب إليه من قبلك، فتعالى الله الذى ليس كمثل شئ وهو السميع البصير، تعالى الله عما يصفه الواصفون المشبهون الله تبارك وتعالى بخلقه، المفترون على الله. واعلم رحمك الله أن المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله عز وجل، فانف عن الله البطلان والتشبيه، فلا- نفى و لا- تشبيه، هو الله الثابت الموجود، تعالى الله عما يصفه الواصفون، ولا تعد القرآن فتضل بعد البيان.

توحيد الصدوق/١٠٣:

حدثني محمد بن موسى بن المتوكل رحمه الله قال: حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن يعقوب السراج قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام: إن بعض أصحابنا يزعم أن الله صورة مثل صورة الإنسان، وقال آخر إنه في صورة أمرد جعد ققط، فخر أبو عبد الله ساجداً، ثم رفع رأسه، فقال: سبحان الله الذي ليس كمثلته شيء، ولا تدركه الابصار، ولا يحيط به علم، لم يلد لأن الولد يشبه أباه، ولم يولد فيشبه من كان قبله، ولم يكن له من خلقه كفواً أحد، تعالى عن صفه من سواه علواً كبيراً.

المؤمنون يرون الله بعقولهم وقلوبهم في الدنيا والآخرة

بحار الأنوار: ٤/٣١:

لى: الطالقاني، عن ابن عقدة، عن المنذر بن محمد، عن علي بن إسماعيل الميثمي، عن إسماعيل بن الفضل قال: سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام) عن الله تبارك وتعالى هل يرى في المعاد فقال: سبحان الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً. يا ابن الفضل، إن الابصار لا تدرك إلا ماله لون وكيفية، والله خالق الألوان والكيفية.

بحار الأنوار: ٤/٤٤:

يد: الدقاق، عن الأسدي، عن النخعي، عن النوفلي، عن البطائني، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت له: أخبرني عن الله عز وجل هل يراه المؤمنون يوم القيامة.

قال: نعم وقد رأوه قبل يوم القيامة.

فقلت: متى؟

قال: حين قال لهم: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى. ثم سكت ساعة ثم قال: وإن المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل يوم القيامة، ألسنت تراه في وقتك هذا؟ قال أبو بصير فقلت له: جعلت فداك فأحدث بهذا عنك؟ فقال لا، فإنك إذا حدثت به فأنكره منكر جاهل بمعنى ما تقوله، ثم قدر أن ذلك تشبيه كُفّر، وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين، تعالى الله عما يصفه المشبهون والملحدون.

ضه: سأل محمد الحلبي الصادق عليه السلام فقال: رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه قال: نعم رآه بقلبه، فأما ربنا جل جلاله فلا تدركه أبصار حدق الناظرين، ولا تحيط به أسمع السامعين.

بحار الأنوار: ٤/٣٣:

ج: عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، قال: إحاطة الوهم، ألا ترى إلى قوله: قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ، ليس يعني بصر العيون. فمن أبصر فلنفسه، ليس يعني من أبصر بعينه، ومن عمى فعليها، ليس يعني عمى العيون، إنما عنى إحاطة الوهم، كما يقال فلان بصير بالشعر، وفلان بصير بالفقه، وفلان بصير بالدرهم، وفلان بصير بالثياب. الله أعظم من أن يرى بالعين.

الامام الصادق يرد على الحلول والتأنيب بين الذات والصفات

الكافي: ١/٨٢:

عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد البرقي، عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن ابن مسكان، عن زرارة بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الله خلو من خلقه وخلقته خلو منه، وكل ما وقع عليه شيء ما خلا الله فهو مخلوق، والله خالق كل شيء، تبارك الذي ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير.

الكافي: ١/٨٣:

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن العباس بن عمرو الفقيمي، عن هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال للزندقي حين سأله: ما هو قال: هو شيء بخلاف الأشياء، أرجع بقولي إلى إثبات معنى وأنه شيء بحقيقة الشئئية، غير أنه لا جسم ولا صورة ولا يحس ولا يجس ولا يدرك بالحواس الخمس، لا تدركه الاوهام ولا تنقصه الدهور، ولا تغيره الازمان، فقال له السائل: فتقول إنه سميع بصير قال: هو سميع بصير: سميع بغير جارحة وبصير بغير آله، بل يسمع بنفسه ويبصر بنفسه، ليس قولي إنه سميع يسمع بنفسه وبصير يبصر بنفسه أنه شيء والنفس شيء آخر، ولكن أردت عبارة عن نفسي إذ كنت مسؤولاً وإفهاماً لك إذ كنت سائلاً، فأقول: إنه سميع بكله لا أن الكل منه له بعض، ولكني أردت إفهامك والتعبير عن نفسي، وليس مرجعي في ذلك إلا إلى أنه السميع.

الكافي: ١/٨٧:

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن هشام بن الحكم أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن أسماء الله واشتقاقها: الله مما هو مشتق؟ قال: فقال لي: يا هشام الله مشتق من أله، والاله يقتضى مألوهاً والاسم غير المسمى، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً، ومن عبد الاسم والمعنى فقد كفر وعبد اثنين، ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد، أفهمت يا هشام؟ قال فقلت: زدني قال: إن لله تسعة وتسعين اسماً فلو كان الاسم هو المسمى لكان كل اسم منها إلهاً، ولكن الله معنى يدل عليه بهذه الأسماء وكلها غيره، يا هشام الخبز اسم للمأكل والماء اسم للمشروب والثوب اسم للملبوس والنار اسم للمحرق، أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتناضل به أعداءنا والمتخذين مع الله عز وجل غيره؟ قلت: نعم. قال فقال: نفعك الله به وثبتك يا هشام، قال هشام فوالله ما قهرني أحد في التوحيد حتى قمت مقامى هذا.

على بن إبراهيم، عن العباس بن معروف، عن عبدالرحمن بن أبي نجران قال: كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام أو قلت له: جعلني الله فداك نعبد الرحمن الرحيم الواحد الاحد الصمد؟ قال: فقال: إن من عبد الاسم دون المسمى بالأسماء أشرك وكفر وجحد ولم يعبد شيئاً بل أعبد الله الواحد الأحد الصمد المسمى بهذه الأسماء دون الأسماء صفات وصف بها نفسه.

الكافي: ١/١٠٣:

على بن محمد، عن سهل بن زياد، وعن غيره، عن محمد بن سليمان، عن على بن إبراهيم، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: إن الله عظيم رفيع لا يقدر العباد على صفته، ولا يبلغون كنه عظمته، لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ، ولا يوصف بكيف ولا أين وحيث، وكيف أصفه بالكيف وهو الذي كيف الكيف حتى صار كيفاً فعرفت الكيف بما كيف لنا من الكيف، أم كيف أصفه بأين وهو الذي أين الاين حتى صار أيناً فعرفت الاين بما أين لنا من الأين، أم كيف أصفه بحيث وهو الذي حيث حيث حتى صار حيثاً فعرفت حيث بما حيث لنا من حيث، فالله تبارك وتعالى داخل في كل مكان وخارج من كل شيء، لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ. لا إله إلا هو العلي العظيم، وهو اللطيف الخبير.

الامام الكاظم يرد على تجسيد النصارى

وقال الصدوق في كتابه التوحيد/٧٥:

حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني (رض) قال: حدثنا على بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن القاسم بن يحيى، عن جده الحسن بن راشد، عن يعقوب بن جعفر قال: سمعت أبا إبراهيم موسى بن جعفر (عليهما السلام) وهو يكلم راهباً من النصارى، فقال له في بعض ما ناظره: إن الله تبارك وتعالى أجل وأعظم من أن يحد بيد أو رجل أو حركة أو سكون، أو يوصف بطول أو قصر، أو تبلغه الأوهام، أو تحيط به صفة العقول. أنزل مواعظه ووعده ووعيدته، أمر بلا شفة ولا لسان، ولكن كما شاء أن يقول له كن، فكان خيراً كما أراد في اللوح.

و يبين أن الله تعالى غنى عن النزول والحركة

قال الصدوق في كتابه التوحيد/١٨٣:

حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله قال: حدثنا محمد بأبي عبد الله الكوفي قال: حدثنا محمد بن إسماعيل البرمكي، عن علي بن العباس، عن الحسن بن راشد، عن يعقوب بن جعفر الجعفرى، عن أبي إبراهيم موسى بن جعفر (عليهما السلام) قال: ذكر عنده قوم يزعمون أن الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا، فقال: إن الله تبارك وتعالى لا ينزل، ولا يحتاج إلى أن ينزل، إنما منظره في القرب والبعد سواء، لم يبعد منه قريب، ولم يقرب منه بعيد، ولم يحتج بل يحتاج إليه، وهو ذو الطول، لا إله إلا هو العزيز الحكيم. أما قول الواصفين: إنه تبارك وتعالى ينزل، وإنما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أو زيادة، وكل متحرك محتاج إلى من يحركه أو يتحرك به، فظن بالله الظنون فهلك، فاحذروا في صفاته من أن تقفوا له على حد، فتحذوه بنقص أو زيادة أو تحرك أو زوال أو نهوض أو قعود، فإن الله جل عن صفة الواصفين ونعت الناعتين وتوهم المتوهمين.

الامام الرضا يعلم تلاميذه الدفاع عن التوحيد

توحيد الصدوق/١٠٧:

حدثنا جعفر بن محمد بن مسرور رحمه الله قال: حدثنا محمد بن جعفر بن بطه قال: حدثني عدة من أصحابنا، عن محمد بن عيسى بن عبيد قال قال لى أبو الحسن عليه السلام: ما تقول إذا قيل لك أخبرني عن الله عز وجل شئ هو أم لا؟ قال فقلت له: قد أثبت الله عز وجل نفسه شيئاً حيث يقول: قل أى شئ أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم، فأقول: إنه شئ لا كالأشياء، إذ فى نفى الشيئ عنه إبطاله ونفيه. قال لى: صدقت وأصبت.

ثم قال لى الرضا عليه السلام: للناس فى التوحيد ثلاثة مذاهب: نفى، وتشبيه، وإثبات بغير تشبيه، فمذهب النفى لا يجوز، ومذهب التشبيه لا يجوز، لأن الله تبارك وتعالى لا يشبهه شئ، والسبيل فى الطريقة الثالثة: إثبات بلا تشبيه.

توحيد الصدوق/٩٨:

حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد (رض) قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن سهل بن زياد، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن محمد بن زيد قال: جئت إلى الرضا عليه السلام أسأله عن التوحيد فأملى على: الحمد لله فاطر الأشياء إنشاء، ومبتدعها ابتداء بقدرته وحكمته، لا من شئ فيبطل الإختراع، ولا لعلة فلا يصح الإبتداع. خلق ما شاء كيف شاء، متوحداً بذلك لاظهار حكمته وحقيقته ربوبيته، لا- تضبطه العقول، ولا- تبلغه الاوهام، ولا- تدركه الابصار، ولا- يحيط به مقدار، عجزت دونه العبارة، وكلت دونه الأبصار، وضل فيه تصاريف الصفات، احتجب بغير حجاب محجوب، واستتر بغير ستر مستور، عرف بغير رؤية، ووصف بغير صورة، ونعت بغير جسم، لا إله إلا الله الكبير المتعال.

ورواه فى علل الشرائع: ١/١٠

و يكشف حقيقة جديدة فى الإسراء والمعراج

التوحيد للصدوق/١١٣:

حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق (رض) قال: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، عن محمد بن إسماعيل البرمكي، عن الحسين بن الحسن، عن بكر بن صالح، عن الحسين بن سعيد، عن إبراهيم بن محمد الخزاز، ومحمد بن الحسين، قالوا: دخلنا على أبي الحسن الرضا عليه السلام فحكينا له ما روى أن محمداً صلى الله عليه وآله رأى ربه فى هيئة الشاب الموفق فى سن أبناء ثلاثين سنة، رجلاه فى خضرة، وقلت: إن هشام بن سالم وصاحب الطاق والميثمى يقولون: إنه أجوف إلى السرة والباقي صمد، فخر ساجداً

ثم قال: سبحانك ما عرفوك ولا وحدوك، فمن أجل ذلك وصفوك، سبحانك لو عرفوك لوصفوك بما وصفت به نفسك، سبحانك كيف طاعتهم أنفسهم أن شبهوك بغيرك. إلهي لا أصفك إلا بما وصفت به نفسك، ولا أشبهك بخلقك، أنت أهل لكل خير، فلا تجعلني من القوم الظالمين.

ثم التفت إلينا فقال: ما توهمتم من شيء فتوهموا الله غيره، ثم قال: نحن آل محمد النمط الأوسط، الذي لا يدركنا الغالي ولا يسبقنا التالي. يا محمد إن رسول الله صلى الله عليه وآله حين نظر إلى عظمه ربه كان في هيئة الشاب الموفق وسن أبناء ثلاثين سنة.. يا محمد عظم ربي وجل أن يكون في صفة المخلوقين.

قال قلت: جعلت فداك من كانت رجلاه في خضرة؟ قال: ذاك محمد صلى الله عليه وآله كان إذا نظر إلى ربه بقلبه جعله في نور مثل نور الحجب حتى يستبين له ما في الحجب! إن نور الله منه أخضر ما أخضر، ومنه أحمر ما أحمر، ومنه أبيض ما أبيض، ومنه غير ذلك. يا محمد ما شهد به الكتاب والسنة فنحن القائلون به.

ورواه المجلسي في بحار الأنوار: ٤/٤١ وقال:

بيان: قوله عليه السلام: النمط الوسطى وفي الكافي الأوسط قال الجزري: في حديث علي: خير هذه الأمة النمط الأوسط، النمط: الطريقة من الطرائق والضروب، يقال: ليس هذا من ذلك النمط أي من ذلك الضرب، والنمط: الجماعة من الناس أمرهم واحد. انتهى. قوله عليه السلام: لا يدركنا الغالي في أكثر النسخ بالغين المعجمة، وفي بعضها بالعين المهملة، وعلى التقديرين المراد به من يتجاوز الحد في الأمور، أي لا يدركنا ولا يلحقنا في سلوكك طريق النجاة من يغلو فينا أوفى كل شيء، والتالي أي التابع لنا لا يصل إلى النجاة إلا بالأخذ عنا، فلا يسبقنا بأن يصل إلى المطلوب لا بالتوصل بنا.

وفي الكافي: إن نور الله منه أخضر، ومنه أحمر، ومنه أبيض، ومنه غير ذلك. وسيأتي في باب العرش في خبر أبي الطفيل إن الله خلق العرش من أنوار مختلفة، فمن ذلك النور نور أخضر اخضرت منه الخضرة، ونور أصفر اصفرت منه الصفرة، ونور أحمر احمرت منه الحمرة، ونور أبيض وهو نور الأنوار ومنه ضوء النهار.

ثم اعلم أنه يمكن إبقاء الحجب والأنوار على ظواهرها بأن يكون المراد بالحجب أجساماً لطيفة مثل العرش والكرسى يسكنها الملائكة الروحانيون، كما يظهر من بعض الدعوات والأخبار، أي أفاض عليه شبيه نور الحجب ليتمكن له رؤية الحجب كنور الشمس بالنسبة إلى عالمنا.

ويحتمل التأويل أيضاً بأن يكون المراد بها الوجوه التي يمكن الوصول إليها في معرفة ذاته تعالى وصفاته إذ لا سبيل لاحد إلى الكنه، وهي تختلف باختلاف درجات العارفين قرباً وبعداً، فالمراد بنور الحجب قابلية تلك المعارف وتسميتها بالحجب، إما لأنها وسائط بين العارف والرب تعالى كالحجاب، أو لأنها موانع عن أن يسند إليه تعالى ما لا يليق به، أو لأنها لما لم تكن موصلة إلى الكنه فكأنها حجب، إذ الناظر خلف الحجاب لا تتبين له حقيقة الشيء كما هي.

وقيل: إن المراد بها العقول فإنها حجب نور الأنوار، ووسائط النفوس الكاملة، والنفوس إذا استكملت ناسبت نوريتها نورية تلك الأنوار، فاستحقت الإتصال بها والاستفادة منها، فالمراد بجعله في نور الحجب جعله في نور العلم والكمال مثل نور الحجب، حتى يناسب جوهر ذاته جوهر ذاتهم فيستبين له ما في ذواتهم، ولا يخفى فساد على أصولنا بوجوه شتى.

وأما تأويل ألوان الأنوار فقد قيل فيه وجوه:

الأول: أنها كناية عن تفاوت مراتب تلك الأنوار بحسب القرب والبعد من نور الأنوار، فالأبيض هو الأقرب، والأخضر هو الأبعد، كأنه ممزوج بضرب من الظلمة، والأحمر هو المتوسط بينهما، ثم ما بين كل اثنين ألوان أخرى كألوان الصبح والشفق المختلفة في الألوان لقربها وبعدها من نور الشمس.

الثاني: أنها كناية عن صفاته المقدسة، فالأخضر قدرته على إيجاد الممكنات وإفاضة الأرواح التي هي عيون الحياة ومنابع الخضرة،

والأحمر غضبه وقهره على الجميع بالإعدام والتعذيب، والأبيض رحمته ولطفه على عباده كما قال تعالى: **وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ.**

الثالث: ما استفدته من الوالد العلامة قدس الله روحه وذكر أنه مما أفيض عليه من أنوار الكشف واليقين، وبيانه يتوقف على تمهيد مقدمة وهي: أن لكل شئ مثلاً في عالم الرؤيا والمكاشفة، وتظهر تلك الصور والأمثال على النفوس مختلفة باختلاف مراتبها في النقص والكمال، فبعضها أقرب إلى ذى الصورة، وبعضها أبعد، وشأن المعبر أن ينتقل منها إلى ذواتها، فإذا عرفت هذا فالنور الأصفر عبارة عن العبادة ونورها كما هو المجرب في الرؤيا، فإنه كثيراً ما يرى الرائي الصفرة في المنام فيتيسر له بعد ذلك عبادة يفرح بها، وكما هو المعين في جباه المتجهدين، وقد ورد في الخبر في شأنهم أنه ألبسهم الله من نوره لما خلوا به. والنور الأبيض العلم لأنه منشأ للظهور، وقد جرب في المنام أيضاً. والنور الأحمر المحبة كما هو المشاهد في وجوه المحبين عند طغيان المحبة، وقد جرب في الاحلام أيضاً. والنور الأخضر المعرفة، كما تشهد به الرؤيا ويناسبه هذا الخبر، لأنه عليه السلام في مقام غاية العرفان كانت رجلاه في خضرة.

ولعلمهم عليهم السلام إنما عبروا عن تلك المعاني على تقدير كونها مرادة بهذه التعبيرات، لقصور أفهامنا عن محض الحقيقة كما تعرض على النفوس الناقصة في الرؤيا هذه الصور، ولأننا في منام طويل من الغفلة عن الحقائق، كما قال عليه السلام: **الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا.**

وهذه التأويلات غاية ما تصل إليه أفهامنا القاصرة، والله أعلم بمراد حججه وأوليائه عليهم السلام. انتهى.

ملاحظة:

إذا شرح لنا عالم الفيزياء مثلاً بعض قوانين الضوء وتحدث عن تغير تركيب الاجسام وطاقتها إذا تحركت بسرعة الضوء أو بأسرع منه، فإننا نتعجب لذلك ونحترم آراءه..

أما النبي والإمام المعصوم فإن حديثهما أولى بالإحترام والثقة من عالم الفيزياء، ومن كل علماء الأرض، لأنهما يتحدثان عن الفيزياء كما أخبرهما عنها خالقها تبارك وتعالى. فحديث الإمام الرضا عليه السلام عن المعراج وعن أصل الأنوار والألوان إنما هو عن جده المصطفى سيد البشر صلى الله عليه وآله الذي أوحى إليه الله تعالى وعرج به مرات متعددة كما في الأحاديث الشريفة، فأراه ملكوت السماوات والأرض. وأحاديث المعراج فيها أحاديث صحيحة ومهمة، وهي تحتاج إلى دراسة من علماء الطبيعة، لعلمهم يكتشفون منها حقائق جديدة عن الكون والطبيعة.

ولا نغنى بذلك رفض التفسيرات العقلية والاشراقية كالتى أوردتها المجلسى رحمه الله، ولكنها تبقى تفسيراً لجانب، أو احتمالات.. ونعم ما ختم به المحدث المجلسى رحمه الله كلامه فقال (وهذه التأويلات غاية ما تصل إليه أفهامنا القاصرة، والله أعلم بمراد حججه وأوليائه عليهم السلام).

الإمام الرضا يعلم بنى العباس التوحيد

توحيد الصدوق/٣٤:

حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد (رض) قال: حدثنا محمد بن عمر والكاتب، عن محمد بن زياد القلزمي، عن محمد بن أبي زياد الجدى صاحب الصلاة بجدة قال: حدثني محمد بن يحيى بن عمر بن على بن أبي طالب عليه السلام قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يتكلم بهذا الكلام عند المأمون فى التوحيد، قال ابن أبي زياد: ورواه لى أيضاً أحمد بن عبدالله العلوى مولى لهم وخلاً لبعضهم، عن القاسم بن أيوب العلوى، أن المأمون لما أراد أن يستعمل الرضا عليه السلام على هذا الأمر جمع بنى هاشم فقال: **إنى أريد أن أستعمل الرضا على هذا الأمر من بعدى، فحسده بنو هاشم وقالوا: أتولى رجلاً جاهلاً ليس له بصر بتدبير الخلافة، فابعث**

إليه رجلاً يأتنا فترى من جهله ما يستدل به عليه، فبعث إليه فأتاه فقال له بنو هاشم: يا أبا الحسن إصعد المنبر وانصب لنا علماً نعبد الله عليه، فصعد عليه السلام المنبر، فقعد ملياً لا يتكلم مطرقاً، ثم انتفض انتفاضةً واستوى قائماً، وحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه وأهل بيته. ثم قال:

أول عبادة الله معرفته، وأصل معرفة الله توحيده، ونظام توحيد الله نفى الصفات عنه، لشهادة العقول أن كل موصوف مخلوق، وشهادة كل مخلوق أن له خالقاً ليس بصفة ولا موصوف، وشهادة كل صفة وموصوف بالاقتران، وشهادة الاقتران بالحدث، وشهادة الحدث بالإمتناع من الأزل الممتنع من الحدث، فليس الله عرف من عرف بالتشبيه ذاته، ولا إياه وحد من اكتننه، ولا حقيقة أصاب من مثله، ولا به صدق من نهاه، ولا صمد صمده من أشار إليه، ولا إياه عنى من شبهه، ولا له تذلل من بعضه، ولا إياه أراد من توهمه.

كل معروف بنفسه مصنوع، وكل قائم في سواه معلول، بصنع الله يستدل عليه، وبالعقول تعتقد معرفته، وبالفطرة تثبت حجته. خلق الله حجاباً بينه وبينهم، ومباينته إياهم مفارقتة إنيتهم، وابتدائه إياهم دليلهم على أن لا ابتداء له، لعجز كل مبتدأ عن ابتداء غيره، وأدوه إياهم دليل على أن لا أداء فيه، لشهادة الأدوات بفاقة المتأدين، وأسماؤه تعبير، وأفعاله تفهيم، وذاته حقيقة، وكنهه تفريق بينه وبين خلقه، وغبوره تحديد لما سواه.

فقد جهل الله من استوصفه، وقد تعداه من اشتمله، وقد أخطأه من اكتننه، ومن قال كيف فقد شبهه، ومن قال لم فقد علله، ومن قال متى فقد وقته، ومن قال فيم فقد ضمنه، ومن قال إلى م فقد نهاه، ومن قال حتى م فقد غياه، ومن غياه فقد غاياه، ومن غاياه فقد جزأه، ومن جزأه فقد وصفه، ومن وصفه فقد أهد فيه، لا يتغير الله بانغيار المخلوق، كما لا يتحدد بتحديد المحدود، أحد لا بتأويل عدد، ظاهر لا بتأويل المباشرة، متجل لا باستهلال رؤية، باطن لا بمزايلة، مبائن لا بمسافة، قريب لا بمداناة، لطيف لا بتجسم، موجود لا بعد عدم، فاعل لا باضطرار، مقدر لا بجول فكرة، مدبر لا بحر كة، مرید لا بهمامة، شاء لا بهمة، مدرك لا بمجسمة، سمیع لا بآله، بصیر لا بأداء.

لا تصحبه الأوقات، ولا تضمنه الأماكن، ولا تأخذه السنوات، ولا تحده الصفات، ولا تقيده الأدوات.

سبق الأوقات كونه، والعدم وجوده، والابتداء أزله.

بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له، وبتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له، وبمضادته بين الأشياء عرف أن لا ضد له، وبمقارنته بين الأمور عرف أن لا قرين له، ضاد النور بالظلمة، والجلالية بالبهم، والجسو بالبلل، والصرد بالحرور، مؤلف بين متعادياتها، مفرق بين متدانياتها، دالة بتفريقها على مفرقتها، وبتأليفها على مؤلفها، ذلك قوله عز وجل: ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تفرقون، ففرق بها بين قبل وبعد ليعلم أن لا قبل له ولا بعد، شاهدة بغرائزها أن لا غريزة لمغرزها، دالة بتفاوتها أن لا تفاوت لمفاوتها، مخبرة بتوقيتها أن لا وقت لموقيتها، حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينه وبينها غيرها، له معنى الربوبية إذ لا مربوب، وحقيقة الإلهية إذ لا مألوه، ومعنى العالم ولا معلوم، ومعنى الخالق ولا مخلوق، وتأويل السمع ولا مسموع.

ليس منذ خلق استحق معنى الخالق، ولا بإحداثه البرايا استفاد معنى البارئية، كيف ولا تغييره مذ، ولا تدنيه قد، ولا تحجبه لعل، ولا توقته متى، ولا تشمله حين، ولا تقارنه مع، إنما تحد الأدوات أنفسها، وتشير الآله إلى نظائرها، وفي الأشياء يوجد فعالها، منعها منذ القدم، وحمتها قد الأزلية، وجبتها لولا التكملة، افترت فدلّت على مفرقتها، وتباينت فأعربت من مبائنها، لما تجلى صانعها للعقول، وبها احتجب عن الرؤية، وإليها تحاكم الاوهام، وفيها أثبت غيره، ومنها أنيط الدليل، وبها عرفها الإقرار.

وبالعقول يعتقد التصديق بالله، وبالإقرار يكمل الإيمان به، ولا ديانة إلا بعد المعرفة، ولا معرفة إلا بالإخلاص، ولا إخلاص مع التشبيه، ولا نفى مع إثبات الصفات للتشبيه، فكل ما في الخلق لا يوجد في خالقه، وكل ما يمكن فيه يمتنع من صانعه، لا تجرى عليه الحركة والسكون، وكيف يجرى عليه ما هو أجراه، أو يعود إليه ما هو ابتداه، إذا لتفاوتت ذاته، ولتجزأ كنهه، ولا تمتنع من الأزل معناه، ولما كان للبارئ معنى غير المبروء.

ولو حد له وراء إذا حد له أمام، ولو التمس له التمام إذا لزمه النقصان، كيف يستحق الأزل من لا يمتنع من الحدث، وكيف ينشئ الأشياء من لا يمتنع من الانشاء، إذا لقامت فيه آية المصنوع، ولتحول دليلاً بعدما كان مدلولاً عليه. ليس في محال القول حجة، ولا- في المسألة عنه جواب، ولا- في معناه له تعظيم، ولا في إباتته عن الخلق ضميم، إلا بامتناع الأزلي أن ينشئ، وما لا بدأ له أن يبدى، لا إله إلا الله العلي العظيم، كذب العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيداً، وخسروا خسراً ميبناً. وصلى الله على محمد النبي وآله الطيبين الطاهرين.

نماذج من كلمات علماء مذهب أهل البيت

الإعتقادات/ ٩٣ للصدوق المتوفى سنة ٣٨١:

إعلم أن اعتقادنا في التوحيد: أن الله تعالى واحد أحد ليس كمثلته شيء، قديم لم يزل ولا يزال، سميعاً بصيراً عليمًا حكيمًا حياً قيومًا عزيزاً قدوساً عالماً قادراً غنياً، لا يوصف بجوهر ولا جسم ولا صورة ولا عرض ولا خط ولا سطح ولا ثقل ولا خفة ولا سكون ولا حركة ولا مكان ولا زمان، وأنه تعالى متعال من جميع صفات خلقه، خارج عن الحدين حد الإبطال وحد التشبيه. وأنه تعالى شيء لا كالأشياء، صمد، لم يلد فيورث ولم يولد فيشارك ولم يكن له كفواً أحد، ولا نِدَّ له ولا ضد ولا شبه، ولا صاحبه ولا مثل ولا نظير ولا شريك له، لا تدركه الابصار وهو يدرك الأبصار ولا الأوهام وهو يدركها، لا تأخذه سنة ولا نوم وهو اللطيف الخبير، خالق كل شيء، لا إله إلا هو، له الخلق والأمر، تبارك الله رب العالمين.

ومن قال بالتشبيه فهو مشرك، ومن نسب إلى الإمامية غير ما وصف في التوحيد فهو كاذب، وكل خبر يخالف ما ذكرت في التوحيد فهو موضوع مخترع، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو باطل، وإن وجد في كتب علمائنا فهو مدلس. والأخبار التي يتوهمها الجهال تشبيهاً لله تعالى بخلقه فمعانيها محمولة على ما في القرآن من نظائرها، لأن ما في القرآن: كل شيء هالك إلا وجهه، ومعنى الوجه الدين، والوجه الذي يؤتى الله منه ويتوجه به إليه.

وفي القرآن: يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود وهم سالمون، والساق وجه الأمر وشدته.

وفي القرآن: أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله، والجنب الطاعة.

وفي القرآن: وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي، وهو روح مخلوقه جعل الله منها في آدم وعيسى، وإنما قال رُوحى كما قال: نبيي وعبدى وجنتى أى: مخلوقى، ونارى وسمائى وأرضى. وفي القرآن: بل يدها مبسوطتان، يعنى نعمة الدنيا ونعمة الآخرة.

وفي القرآن: والسماء بنيناها بأيد، والأيد القوة، ومنه قوله تعالى: وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ، يعنى ذا القوة.

وفي القرآن: يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي، يعنى بقدرتى وقوتى.

وفي القرآن: وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يعنى ملكه ولا يملكها معه أحد.

وفي القرآن: والسموات مطويات بيمينه، يعنى بقدرته.

وفي القرآن: وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا، يعنى وجاء أمر ربك.

وفي القرآن: كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ، يعنى عن ثواب ربهم.

وفي القرآن: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ، أى عذاب الله.

وفي القرآن: وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ، يعنى مشرقة تنظر ثواب ربها.

وفي القرآن: وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ، وغضب الله عقابه، ورضاه ثوابه.

وفي القرآن: تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ، أى تعلم غيبى ولا أعلم غيبك.

وفي القرآن، وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ، يعنى إنتقامه.

وفي القرآن: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ.

وفيه: هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ، والصلاة من الله رحمة ومن الملائكة استغفار وتذكية ومن الناس دعاء.

وفي القرآن: وَمَكْرُوهًا وَمَكْرَهُواً وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ.

وفي القرآن: يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ.

وفيه: اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ.

وفي القرآن: سَخَّرَ اللَّهُ مِنْهُمْ.

وفيه: نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ.

ومعنى ذلك كله أنه عز وجل يجازيهم جزاء المكر وجزاء المخادعة وجزاء الإستهزاء وجزاء النسيان وهو أن ينسيهم أنفسهم كما قال عز وجل: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ، لأنه عز وجل في الحقيقة لا يمكر ولا يخادع ولا يستهزي ولا يسخر ولا ينسى، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وليس يرد في الأخبار التي يشنع بها أهل الخلاف والإلحاد إلا بمثل هذه الألفاظ ومعانيها معاني ألفاظ القرآن.

الكافي ٣٨/، لأبي الصلاح الحلبي المتوفى سنة ٤٤٧:

... وثبوت كونه تعالى قديماً مقتضاً لكونه سبحانه غنياً تستحيل عليه الحاجة، (لأن) الحاجة لا تكون إلا لاجتلاب نفع أو دفع ضرر، من حيث علمنا استحالة الحاجة على من يستحيل عليه الضرر والنفع كالموت والجماد. والنفع والضرر لا يجوزان إلا على من يلد ويألم، لأن الحي إنما ينتفع بما يلد به أو يسر له، ويستضر بما يألم به أو يغتم لأجله، واللذة والألم لا يجوزان إلا على ذي شهوة ونفور، إذ معنى ملتذ أنه أدرك ما يشتهي، ومعنى متألم أنه أدرك ما ينفر عنه، ومعنى مسرور أنه اعتقد أو ظن وصول نفع إليه أو إلى من يجري مجراه واندفاع ضرر، ومعنى مغتم أنه اعتقد أو ظن وصول ضرر إليه أو إلى من يجري مجراه أو فوت نفع، فعاد معنى السرور والغم إلى النفع والضرر.

إذا تقرر هذا وكانت الشهوة والنفار معاني تفتقر إلى محل استحالة تخصيصها. وكونه تعالى لا يشبه شيئاً يحيل إدراكه سبحانه بشيء من الحواس، لاختصاص الإدراك المعقول بالجواهر وأجناس من الأعراض، وليس هو من الجنسين، فاستحال إدراكه تعالى. ولأنه لو كان مما يصح أن يدرك بشيء من الحواس لوجب أن ندركه الآن، لأننا على الصفة التي معها يجب أن يدرك كلما يصح إدراكه بشرط ارتفاع الموانع، وهو سبحانه موجود والموانع مستحيلة عليه، لأنها اللطافة والرقّة وتفاوت البعد والقرب والحجاب والكون في غير جهة المقابلة، وذلك أجمع من صفات المتحيزات، وقد دللنا على كونه سبحانه بخلافها، فلو كان مما يصح أن يدرك لأدركناه الآن، ولو أدركناه لعلمناه ضرورة، من حيث كان العلم بالمدرك من كمال العقل، وفي عدم العلم به سبحانه ضرورة دليل على عدم إدراكه...

وثبوت كونه تعالى لا يشبه شيئاً يحيل عليه التنقل والاختصاص بالحياة والمجاورة، لأن ذلك من أحكام المتحيزات وليس بمتحيز. ويحيل عليه سبحانه الحلول وإيجاب الأحوال والأحكام، لأن ذلك من خواص الأعراض، فتسقط لذلك مذاهب الثنوية والمجوس والصابئين وعباد الأصنام والمنجمين والنصارى والغلاة، لاثبات هؤلاء أجمع إلهية الأجسام، أو كونها مؤثرة ما يستحيل من الجسم تأثيره، على ما سلف بيانه.

كشف المراد للعلامة الحلبي ص ٣٢٠: المتوفى سنة ٧٢٦:

المسألة العشرون: في أنه تعالى ليس بمرئي.

أقول: وجوب الوجود يقتضي نفى الرؤية أيضاً. واعلم أن أكثر العقلاء ذهبوا إلى امتناع رؤيته تعالى، والمجسمة جوزوا رؤيته لاعتقادهم أنه تعالى جسم ولو اعتقدوا تجرده لم يجوزوا رؤيته عندهم. والأشاعر خالفوا العقلاء كافة هنا وزعموا أنه تعالى مع تجرده

يصح رؤيته.

والدليل على امتناع الرؤية أن وجوب الوجود يقتضى تجرده ونفى الجهة والحيز عنه، فتنفى الرؤية عنه بالضرورة، لأن كل مرئى فهو فى جهة يشار إليه بأنه هناك أو هنا، ويكون مقابلاً أو فى حكم المقابل، ولما انتفى هذا المعنى عنه تعالى انتفت الرؤية... أقول: لما استدل على نفي الرؤية شرع فى الجواب عن الاحتجاج، والأشاعرة قد احتجوا بوجه أجاب المصنف رحمه الله عنها.

الأول، إن موسى عليه السلام سئل الرؤية ولو كانت ممتنعاً لم يصح عنه السؤال.

والجواب: أن السؤال كان من موسى عليه السلام لقومه ليبين لهم امتناع الرؤية لقوله تعالى: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الضَّاعِقَةُ، وقوله: أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا....

الوجه الثانى لهم، أنه تعالى حكى عن أهل الجنة النظر اليه فقال: إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ، والنظر المقرون بحرف إلى يفيد الرؤية، لأنه حقيقة فى قلب الحدقة نحو المطلوب التماساً للرؤية، وهذا متعذر فى حقه تعالى لانتفاء الجهة، عنه فيتعين أن يكون المراد منه المجاز، وهى الرؤية التى هى معلولة النظر الحقيقى، واستعمال لفظ السبب فى المسبب من أحسن وجوه المجاز.

والجواب: المنع من إرادة هذا المجاز، فإن النظر وإن اقترن به حرف إلى لا يفيد الرؤية، ولهذا يقال نظرت إلى الهلال فلم أره، وإذا لم يتعين هذا المعنى للإرادة أمكن حمل الآية على غيره، وهو أن يقال إن إلى واحد إلاء ويكون معنى ناظرة أى منتظرة، أو نقول إن المضاف هنا محذوف وتقديره إلى ثواب ربها ناظرة.

لا يقال: الإنتظار سبب الغم والآية سقت لبيان النعم.

لانا نقول: سياق الآية يدل على تقدم حال أهل الثواب والعقاب على استقرارهم فى الجنة والنار بقوله: وجوه يومئذ ناظرة، بدليل قوله تعالى: وَوَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِآسِرَةٍ تَلُوْنَ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ، فإن فى حال استقرار أهل النار فى النار قد فعل بها فاقرة فلا يبقى للظن معنى. وإذا كان كذلك فانتظار النعمة بعد البشارة بها لا يكون سبباً للغم بل سبباً للفرح والسرور ونضارة الوجه كمن يعلم وصول نفع إليه يقيناً فى وقت، فإنه يسر بذلك وإن لم يحضر الوقت، كما أن انتظار العقاب بعد الانذار بوروده يوجب الغم ويقتضى بسارة الوجه. قال: وتعليق الرؤية باستقرار المتحرك لا يدل على الإمكان.

أقول: هذا جواب عن الوجه الثالث للاشعرية وتقرير احتجاجهم أن الله سبحانه وتعالى علق الرؤية فى سؤال موسى عليه السلام على استقرار الجبل، والإستقرار ممكن لأن كل جسم فسكونه ممكن، والمعلق على الممكن ممكن. والجواب: أنه تعالى علق الرؤية على الإستقرار لا مطلقاً بل على استقرار الجبل حال حركته، واستقرار الجبل حال الحركة محال، فلا يدل على إمكان المعلق.

قال: واشتراك المعلولات لا يدل على اشتراك العلل مع منع التعليل والحصر.

أقول: هذا جواب عن شبهة الأشاعرة من طريق العقل استدلوها بها على جواز رؤيته تعالى، وتقريرها أن الجسم والعرض قد اشتركا فى صحة الرؤية، وهذا حكم مشترك يستدعى علته مشتركة، ولا مشترك بينهما إلا الحدوث أو الوجود، والحدوث لا يصلح للعلية لأنه مركب من قيد عدمى فيكون عدمياً، فلم يبق إلا الوجود فكل موجود يصح رؤيته وأنه تعالى موجود. وهذا الدليل ضعيف جداً لوجوه:

الأول: المنع من رؤية الجسم، بل المرئى هو اللون أو الضوء لا غير.

الثانى، لا نسلم اشتراكهما فى صحة الرؤية، فإن رؤية الجوهر مخالفة لرؤية العرض.

الثالث، لا نسلم أن الصحة ثبوتية بل هى أمر عدمى، لأن جنس صحة الرؤية وهو الامكان عدمى، فلا يفتقر إلى العلة.

الرابع، لا نسلم أن المعلول المشترك يستدعى علته مشتركة، فإنه يجوز اشتراك العلل المختلفة فى المعلولات المتساوية.

الخامس، لا نسلم الحصر فى الحدوث والوجود، وعدم العلم لا يدل على العدم، مع أننا نتبرع قسماً آخر وهو الامكان، وجاز التعليل به

وإن كان عديمياً، لأن صحة الرؤية عديمة.

السادس، لا نسلم أن الحدوث لا يصلح للعلية، وقد بينا أن صحة الرؤية عديمة، على أننا نمنع من كون الحدوث عديمياً، لأنه عبارة عن الوجود المسبوق بالغير لا المسبوق بالعدم.

السابع، لم لا يجوز أن تكون العلة هي الوجود بشرط الامكان أو بشرط الحدوث، والشروط يجوز أن تكون عديمة.

الثامن، المنع من كون الوجود مشتركاً، لأن وجود كل شيء نفس حقيقته، ولو سلم كون الوجود الممكن مشتركاً، لكن وجود الله تعالى مخالف لغيره من الوجودات، لأنه نفس حقيقته، ولا يلزم من كون وجود بعض الماهيات علة لشيء كون ما يخالفه علة لذلك الشيء.

التاسع، المنع من وجود الحكم عند وجود المقتضى، فإنه جاز وجود مانع في حقه تعالى، أما ذاته أو صفة من صفاته، أو نقول الحكم يتوقف على شرط كالمقابلة هنا وهي تمتنع في حقه تعالى، فلا يلزم وجود الحكم فيه.

الرسالة السعدية للعلامة الحلبي/٣٩:

والدليل على المذهب الأول: العقل، والنقل.

أما العقل، فإن الضرورة قاضية: بأن كل مرئي، فإنه لا بد وأن يكون مقابلاً للرئي، أو في حكم المقابل كالمرئي في المرايا. وكل مقابل أو في حكمه فهو في جهه، والله تعالى ليس في جهه فلا يكون مرئياً.

ولانه لو كان مرئياً لرأيناه الان، لوجود العلة المقتضية للرؤية وهي حصول الشرايط وانتفاء الموانع وسلامة الحاسة.

وأما النقل، فقوله تعالى: لَنْ تَرَانِي، ولو كانت صحيحة ويراه بعض المؤمنين، لكان موسى عليه السلام أولى بالرؤية.

وقوله تعالى: لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ، تمدح بنفى الرؤية فيكون ثبوتها نقصاً، والنقص على الله تعالى محال.

ولأن الخصم يسلم أن معرفة الله تعالى ليست حاصلة إلا بصفاته وآثاره دون حقيقته، فكيف تصح رؤيته والاحاطة بكنه حقيقته، تعالى الله عن ذلك.

من أين نشأت المشكلة عند إخواننا السنة

ميل العوام إلى التشبيه والتجسيم

للذهن البشرى حالة ابتدائية طفولية يتصور فيها كثيراً من الأمور تصوراً خاطئاً، حتى إذا تعمق في الفكر والتجربة.. تصححت نظرتة! ولعل أكثر الناس يتصورون الله تعالى في طفولتهم بصور من محيطهم، فيتخيله أحدهم كأبيه مثلاً، أو كإنسان صاحب صفات حسنة... وهذا أمر طبيعي، بل قد يكون فطرياً، فقد ورد أن النملة تتصور أن لربها قرنين كقرنيها (نحوه في بحار الأنوار: ٦٩/٢٩٣) ولكن هذه الحالة الطفولية إذا استمرت مع الإنسان ولم تتطور، فإنها تتحول إلى حالة عامية مستعصية، ولذا ترى أصحابها يميلون إلى الاعتقاد بأن الله تعالى جسم، ويرون عنه القصص والخيالات!

وقد كانت هذه (العامية) سائدة في مجتمع اليهود الذي انحرف عن رسالات أنبيائه، وكذا في مجتمع العرب الوثني، وصارت أرضية لتقبل نظريات الرؤية والتشبيه والتجسيم من اليهود، وترويجها بعد النبي صلى الله عليه وآله والتنظير لها! حتى أن بعض الحنابلة والأشعرين كابن عقيل والذهبي ادعيا أن الإسلام دين عوامي يتبنى منهج العوامية!

قال الذهبي في سيره: ١٩/٤٤٨: قال ابن عقيل في الفنون: الأصل لإعتقاد العوام ظواهر الاي، لأنهم يأنسون بالإثبات، فمتى محونا ذلك من قلوبهم زالت الحشمة. قال: فتهافتهم في التشبيه أحب إلينا من إغراقهم في التنزيه، لأن التشبيه يغمسهم في الإثبات فيخافون ويرجون، والتنزيه يرمى بهم إلى النفي، فلا- طمع ولا- مخافة في النفي. ومن تدبر الشريعة رآها غامسة للمكلفين في التشبيه بالالفاظ الظاهرة التي لا يعطى ظاهرها سواه كقول الاعرابي: أو يضحك ربنا؟ قال النبي (ص): نعم، فلم يكفره لقوله وتركه وما وقع له! انتهى.

وقد تبنى الذهبي هذا الاتجاه الخطير وأشاد بأهله! وبلغ به الأمر أنه نقل كلام أبي حاتم بن خاموش الذي كفر فيه كل المسلمين ما عدا الحنابلة ولم يعلق عليه، قال في سيره: ١٨/٥٠٧:

قال ابن طاهر: وسمعت أبا إسماعيل يقول: قصدت أبا الحسن الخرقاني الصوفي، ثم عزمت على الرجوع، فوقع في نفسي أن أقصد أبا حاتم بن خاموش الحافظ بالرى وألقيه، وكان مقدم أهل السنة بالرى، وذلك أن السلطان محمود بن سبكتكين لما دخل الرى، وقتل بها الباطنية منع الكل من الوعظ غير أبي حاتم، وكان من دخل الرى يعرض عليه اعتقاده فإن رضيه أذن له في الكلام على الناس وإلا فمنعه، قال: فلما قربت من الرى كان معي رجل في الطريق من أهلها فسألني عن مذهبي فقلت: حنبلي، فقال: مذهب ما سمعت به وهذه بدعة وأخذ بثوبي، وقال: لا أفارقك إلى الشيخ أبي حاتم، فقلت خيرة، فذهب بي إلى داره، وكان له ذلك اليوم مجلس عظيم، فقال: هذا سألته عن مذهبه، فذكر مذهبا لم أسمع به قط. قال: وما قال؟ فقال قال: أنا حنبلي. فقال: دع، فكل من لم يكن حنبلياً فليس بمسلم. فقلت في نفسي: الرجل كما وصف لي، ولزمته أياماً وانصرفت. انتهى.

وقال الناشر عما وجدته في المخطوطة: (في حاشية الأصل بخط مغاير ما نصه: أخطأ هذا القائل قطعاً والمقول له في تصويبه ذلك وكذلك المادح له، بل لو قيل: إن قائل هذه المقالة يكفر بها لم يبعد، لأنه نفى الإسلام عن عالم عظيم من هذه الأمة ليسوا بحنابلة، بل هم الجمهور الاعظم، ولقد بالغ المصنف في هذا الكتاب في تعظيم رؤوس التجسيم، وسياق مناقبهم، والتغافل عن بدعهم، بل بعدها سنة. ويهضم جانب أهل التنزيه، ويعرض بهم أو يصرح، ويتغافل عن محاسنهم العظيمة وآثارهم في الدين، كما فعل في ترجمة إمام الحرمين والغزالي، والله حسيبه، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم). انتهى.

وقد كان العوام الرعاع في كل جيل يتعصبون للقول بالتشبيه ولمن يقول به، ويؤيدونه ضد خصومه بأساليب خشنة عدوانية! فقد روى ابن بطوطة في رحلته: ١/٩٠ إحدى مشاهداته فقال: (وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة تقي الدين بن تيمية كبير الشام، يتكلم في الفنون إلا أن في عقله شيئاً.. وكنت إذ ذاك بدمشق فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم فكان من جملة كلامه أن قال: إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا، ونزل ربعة من ريع المنبر، فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء وأنكر ما تكلم به، فقامت العامة إلى هذا الفقيه وضربوه بالأيدي والنعال ضرباً كثيراً، حتى سقطت عمامته وظهر على رأسه شاشية حرير) انتهى. وبقى هذا السلوك العوامي لأصحاب الرؤية والتجسيم، إرثاً موروثاً من قرون الإسلام الأولى! بل زاد عليه الأشعريون والمجسمة والدولة في ابتكار أساليب القمع والإرهاب للذين يخالفونهم، كما عرفت في موقفهم من التأويل والمتأول، وكما فعلوا مع الطبري المؤرخ لأنه لم يوافقهم على أن الله تعالى يجلس على عرشه، فيفضل منه أربع أصابع ليجلس عليها الأنبياء إلى جنبه! قال الحموي في معجم الأدباء: ٩ جزء ١٨/٥٧ في ترجمة الطبري: (فلما قدم إلى بغداد من طبرستان بعد رجوعه إليها تعصب عليه أبو عبد الله الجصاص وجعفر بن عرفة والبياضى. وقصده الحنابلة فسألوه عن أحمد بن حنبل في الجامع يوم الجمعة وعن حديث الجلوس على العرش. فقال أبو جعفر: أما أحمد بن حنبل فلا يعد خلافة. فقالوا له: فقد ذكره العلماء في الاختلاف، فقال: ما رأيته روى عنه، ولا رأيته له أصحاباً يعول عليهم. وأما حديث الجلوس على العرش فمحال ثم أنشد:

سبحان من ليس له أنيس ولا له في عرشه جليس

فلما سمع ذلك الحنابلة منه وأصحاب الحديث وثبوا ورموه بمحابرهم، وقيل كانت ألوفاً فقام أبو جعفر بنفسه ودخل داره فرموا داره بالحجارة حتى صار على بابه كالتل العظيم... إلى آخر القصة التي سنذكرها في مكانة المجسمين في مصادر إخواننا....

وقال ابن قيم الجوزية في بدائع الفوائد: ٤/٣٩:

قال القاضي: صنّف المروزي كتاباً في فضيلة النبي (ص) وذكر فيه إقعاده على العرش وهو قول أبي داود وأحمد بن أصرم.... وعبد الله بن الإمام أحمد... إلخ. ثم قال ابن القيم: قلت: وهو قول ابن جرير الطبري وإمام هؤلاء كلهم مجاهد إمام التفسير. انتهى.

ولم يذكر ابن القيم عن أخذ مجاهد، ولا ذكر إهانة الحنابلة للطبري وإجبارهم إياه على القول بذلك!

وقال ابن خلدون في تاريخه: ٤/٤٧٧:

كانت مدينة بغداد قد احتفلت في كثرة العمران بما لم تنته إليه مدينة في العالم منذ مبدأ الخليقة فيما علمناه، واضطربت آخر الدولة العباسية بالفتن وكثر فيها المفسدون والدعار والعيارون من الرها، وأعياء على الحكام أمرهم، وربما أركبوا العساكر لقتالهم ويثخنون فيهم، فلم يحسم ذلك من علمهم شيئاً، وربما حدثت الفتن من أهل المذاهب ومن أهل السنة والشيعه من الخلاف في الإمامة ومذاهبها، وبين الحنابلة والشافعية وغيرهم من تصريح الحنابلة بالثبوت في الذات والصفات ونسبتهم ذلك إلى الإمام أحمد وحاشاه منه، فيقع الجدل والنكير ثم يفضى إلى الفتنة بين العوام، وتكرر ذلك منذ حُجِر الخلفاء، ولم يقدر بنو بويه ولا السلجوقية على حسم ذلك منها، لسكنى أولئك بفارس وهؤلاء بأصبهان وبُعْدِهِم عن بغداد، والشوكة التي تكون بها حسم العلل لاتفاقهم، وإنما تكون ببغداد شحنة (حامية عسكرية) تحسم ما خف من العلل ما لم ينته إلى عموم الفتنة.

... لم يحصل من ملوكهم اهتمام لحسم ذلك لإشتغالهم بما هو أعظم منه في الدولة والنواحي، وعامة بغداد أهون عليهم من أن يصرفوا همتهم عن العظام إليهم، فاستمرت هذه العلة ببغداد ولم تفلح عنها، إلى أن اختلفت جدتها وتلاشى عمرانها، وبقي طراز في رداها لم تذهب الأيام!!

وقال ابن كثير في البداية والنهاية: ١٢/١٤٣:

ثم دخلت سنة سبعين وأربعمائة قال ابن الجوزي... وفي شوال منها وقعت فتنة بين الحنابلة وبين فقهاء النظامية، وحمى لكل من الفريقين طائفة من العوام، وقتل بينهم نحو من عشرين قتيلاً، وجرح آخرون ثم سكنت الفتنة.

وقال الصديق المغربي في فتح الملك العلي/ ٩٥:

وقال ابن قتيبة في اختلاف الحديث: الحديث يدخله الفساد من وجوه ثلاثة: الزنادقة واحتيالهم للإسلام بدس الأحاديث المستبشعة والمستحيلة. والقصاص فإنهم يميلون وجوه العوام إليهم ويستندون ما عندهم بالمناكير وغرائب الأحاديث، ومن شأن العوام ملازمة القصاص ما دام يأتي بالعجائب الخارجة عن نظر العقول.

وقال ابن الجوزي في الموضوعات: معظم البلاء في وضع الحديث إنما يجري من القصاص لأنهم يريدون أحاديث ترقق وتنفق، والصحيح فيها يقل. ويحكى عن أبي عبدالله النهاوندي أنه قال: قلت لغلام خليل: هذه الأحاديث التي تحدث بها في الرقاق قال: وضعناها لنقوى بها قلوب العامة، قال: وكان يتزهّد ويهجر شهوات الدنيا ويتقوت بالبقاء صرفاً، وغلقت الأسواق ببغداد يوم موته!!... وقد نص السلف على أن القصص بدعة، وأن التزهّد والتقشف الخارج عن السنة بدعة أيضاً. انتهى.

لكن ذكرت مصادر إخواننا أن أول من فتح الباب للقصاصين وأعطاهم الشرعية هو الخليفة عمر.. قال أحمد في مسنده: ٣/٤٤٩: عن السائب بن يزيد: أنه لم يكن يقص على عهد رسول الله (ص) ولا أبي بكر، وكان أول من قص تميم الداري، استأذن عمر بن الخطاب أن يقص على الناس قائماً فأذن له عمر!

وقال في كنز العمال: ١٠/٢٨٠: عن ثابت البناني قال: أول من قص عبيد بن عمير على عهد عمر بن الخطاب ابن سعد والعسكري في المواعظ.

الخوف من أن يؤدي التنزيه إلى التعطيل

أفرط بعضهم في التأكيد على الصفات السلبية وتنزيه الله تعالى، فسبب ذلك عند الآخرين الخوف من سلب فاعليته تعالى وتأثيره في الوجود.

ولكن هؤلاء المتخوفين وقعوا في الإفراط من الجهة الأخرى في الصفات الثبوتية، فتصوروا أن فاعلية الله تعالى وتدييره للكون يتوقف على أن يكون وجوداً محدوداً، يتجول في سماواته وينزل إلى أرضه ويتجسد في صورة إنسان.. إلخ. ونلاحظ أن هذين الخطين من

الإفراط والتفريط موجودان عند المتكلمين والفلاسفة من الأمم السابقة كما هما في هذه الأمة! وقد أخذ الأشاعرة موقع الدفاع عن التحييد ومقاومة التعطيل، وأخذ المعتزلة موقع الدفاع عن التنزيه ومقاومة التشبيه. ونفس الكلام يرد أيضاً في أفعال الإنسان، أو الجبر والإختيار، أو القضاء والقدر، فقال الأشاعرة بالجبر للدفاع عن فاعلية الله تعالى في الوجود.. بينما قال المعتزلة بحرية الإنسان ومسؤوليته عن أعماله للدفاع عن عدل الله تعالى وتنزيهه عن الظلم. أما أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم فكان لهم موقف ثالث يمثل أصالة الدين الإلهي من آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وآله في تنزيه الله تعالى وتحميده في آن واحد، فنفوا عنه التشبيه والتجسيم والرؤية، كما نفوا عنه الظلم والإجبار، وأثبتوا فاعليته تعالى وهيمته الشاملة على الوجود، ومسؤولية الإنسان عن عمله، كما سترى إن شاء الله تعالى. وقد اشتبه الأمر على بعض الباحثين فتخلوا أن موقف أهل البيت عليهم السلام حل وسط بين الإتجاهين، بينما هو مذهب ثالث أقدم من مذهبي الأشاعرة والمعتزلة، وهو يختلف عنهما في أساسه وعدد من تفاصيله، وإن أخذ منه الطرفان بعض الأسس والتفاصيل.

مضاهاة بعض المسلمين لليهود

كان الجدل بين المسلمين واليهود كثيراً في عهد النبي صلى الله عليه وآله وفي صدر الإسلام، ومن أبرز مسائله المفاضلة بين نبينا صلى الله عليه وآله وبين النبي موسى عليه السلام. وقد حاول بعض المسلمين مضاهاة اليهود بمعارضه كل فضيلة يذكرونها لموسى عليه السلام بإثبات فضيلة مقابله لنبينا صلى الله عليه وآله، وكأن المسألة مغالبة بين نبينين، وكأن أذهان البشر هي التي تزن فضائل الأنبياء وتعطي أحدهم درجة الأفضلية أو المساواة! وقد عارض هؤلاء فضيلة تكليم الله تعالى لموسى عليه السلام التي نص عليها القرآن، باختراع حديث رؤية النبي صلى الله عليه وآله لربه، لكي يتم بذلك تقسيم الفضائل بين الأنبياء عليهم السلام، ويكون الترحيح لفضائل نبينا صلى الله عليه وآله، ولكن ادعاء هذه الفضيلة المستحيلة بنص القرآن جاء على حساب تنزيه الله تعالى! وفيما يلي عدد من الأحاديث التي رووها في ذلك:

روى النسائي في تفسيره: ٢/٣٤٨:

عن ابن عباس: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد (ص).

وقال النووي في شرح مسلم: ٢ جزء ٣/٥:

... والحجج في هذه المسألة... حديث ابن عباس (رض) أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد (ص)..

وروى الحاكم في المستدرک: ١/٦٥:

... عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وآله. هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه. وله شاهد صحيح عن ابن عباس في الرؤية... قال رأى محمد صلى الله عليه وآله ربه. وله شاهد ثالث صحيح الإسناد... عن ابن عباس قال قد رأى محمد صلى الله عليه وآله ربه... وهذه الأخبار التي ذكرتها صحيحة كلها، والله اعلم. انتهى. ورواه الحاكم أيضاً في: ٢/٢٨٢، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه. وروى نحوه في: ٢/٣١٦ وص ٤٦٩.

وروى الديلمي في فردوس الأخبار: ١/٢١٧:

جابر: إن الله أعطى موسى الكلام فأعطاني الرؤية.. وفضلني بالمقام المحمود والحوض المورود. انتهى. وروى نحوه الدميري في حياة الحيوان: ٢/٧٢.

وروى الهيثمي في مجمع الزوائد: ١/٧٨:

وعن ابن عباس قال: نظر محمد (ص) إلى ربه تبارك وتعالى، قال عكرمة: فقلت لابن عباس نظر محمد إلى ربه! قال نعم، جعل الكلام

لموسى والخلة لإبراهيم والنظر لمحمد(ص). رواه الطبرانى فى الأوسط، وفيه حفص بن عمر العدنى روى ابن أبى حاتم توثيقه عن أبى عبد الله الطهرانى، وقد ضعفه النسائى وغيره.

وروى الذهبى فى سيره: ١٤/٤٥ عن عكرمة حديث ابن عباس، وقال الناشر فى هامشه: أخرجه ابن خزيمة فى التوحيد/١٩٩ من طريق عبد الوهاب بن الحكم الوراق، حدثنا هاشم بن القاسم، عن قيس بن الربيع، عن عاصم الأحول، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: إن الله.. الخ. وأخرجه أيضاً / ١٩٧ من طريق محمد بن بشار، ومحمد بن المثنى قالوا: حدثنا معاذ بن هشام، حدثنى أبى، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس... وهذا رأى لا دليل عليه، وهو مخالف للأدلة الكثيرة الوفيرة فى أنه(ص) لم ير ربه فى تلك الليلة. وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمى اتفاق الصحابة على ذلك. أنظر التفصيل فى زاد المعاد: ٣٦٦-٣٧. انتهى.

هذا، ولكن المعروف عن ابن عباس أنه كان ينفى التشبيه والرؤية كما تقدم، فلا يبعد أن يكون الحديث مكذوباً عليه من عكرمة غلامه، فقد كان عكرمة معروفاً بالكذب على ابن عباس فى حياته وبعد وفاته، حتى ضربه ابن عباس وولده وحسوه لهذا السبب فى المرحاض، كما هو معروف فى كتب الجرح والتعديل.

وكان عكرمة يروى الإسرائيليات عن وهب وكعب وغيرهما من اليهود.

ويؤيد ذلك أن السهلى روى هذا الحديث فى الروض الأنف: ٢/١٥٦ عن كعب وليس عن ابن عباس. وغرض كعب من هذه الرواية أن يثبت تجسم الله تعالى ورؤيته بالعين، فقد كان ذلك مطلباً مهماً يسعى إليه، وكثرت عنه وعن جماعته نسبة ذلك إلى ابن عباس وبنى هاشم! كالذى رواه ابن خزيمة فى كتاب التوحيد/٢٢٥ - ٢٣٠... عن الشعبي عن عبدالله بن الحرث قال: اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس: إنا بنو هاشم نزعم أو نقول: إن محمداً رأى ربه مرتين، قال فكبر كعب حتى جاوبته الجبال! فقال: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى صلى الله عليهما وسلم! انتهى. والمطلع على أحاديث ابن عباس وبنى هاشم يعرف ان رأيهم يخالف كعباً وجماعته، ومن أجل هذا روى كعب المزعم!!

العامل الرابع: تأثير ثقافة اليهود

اعتقاد اليهود والنصارى بتشبيه الله تعالى و رؤيته بالعين

بلغ من تحريف اليهود لدينهم أنهم قالوا بتشبيه الله تعالى بخلقه وأنه محدود بشكل مادى، ثم جعلوا له ولداً فقالوا عزيز ابن الله، بل قالوا إن كل اليهود أبناء الله وأحباؤه وشعبه المختار.. إلى آخر ما حكى الله تعالى عنهم فى القرآن.

وفيما يلى نصوص نقلها من توراتهم الموجودة المطبوعة باسم العهد القديم والجديد، طبعه مجمع الكنائس الشرقية فى بيروت:

جاء فى ٤/٢٧: فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكراً وأنثى خلقهم.

وجاء فى ٦/٨: وسمعا صوت الرب الاله ماشياً فى الجنة عند هبوب ريح النهار. فاختم آدم وامراته من وجه الرب الاله فى وسط شجر الجنة. ٩ فنادى الرب الاله آدم وقال له أين أنت. ١٠ فقال سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاختمت. ١١ فقال من أعلمك أنك عريان. هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها. ١٢ فقال آدم المرأة التى جعلتها معى هى أعطتني من الشجرة فأكلت.

وجاء فى ٢٤/١: ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لأبرام وقال له أنا الله القدير. سر أمانى وكن كاملاً. ٢ فأجعل عهدي بينى وبينك وأكثرك كثيراً جداً. ٣ فسقط أبرام على وجهه وتكلم الله معه قائلاً. ٤ أما أنا فهوذا عهدي معك وتكون أبا الجمهور من الأمم.

وجاء فى ١٦٩/٣: وكلم بنى إسرائيل قائلاً خذوا تيساً من المعز لذبيحة خطية وعجلاً وخروفاً حوليين صحيحين لمحرقه ٤ وثوراً وكبشاً لذبيحة سلامة للذبح أمام الرب وتقدمه ملتوتة بزيت. لأن الرب اليوم يترأى لكم. ٥ فأخذوا ما أمر به موسى إلى قدام خيمة الاجتماع

وتقدم كل الجماعة ووقفوا أمام الرب.

وجاء في/ ١٨٣: ٢ وقال الرب لموسى كلم هرون أخاك أن لا- يدخل كل وقت إلى القدس داخل الحجاب أمام الغطاء الذى على التابوت لئلا يموت لأنى فى السحاب أتراءى على الغطاء.

وجاء فى/ ٣٣٠: فانطلق موسى ويشوع ووقفوا فى خيمة الاجتماع ١٥ فترأى الرب فى الخيمة فى عمود سحاب ووقف عمود السحاب على باب الخيمة. ١٦ وقال الرب لموسى ها أنت ترقد مع آبائك فىقوم هذا الشعب ويفجر وراء آلهة الأنبيين فى الأرض التى هو داخل إليها فى ما بينهم، ويتركنى وينكث عهدى الذى قطعته معه.

وجاء فى/ ٤٠٤: ٢٢ فقال منوح لامرأته نموت موتاً لاننا قد رأينا الله. ٢٣ فقالت له امرأته لو أراد الرب أن يميتنا لما أخذ من يدنا محرقة وتقديمه، ولما أراننا كل هذه ولما كان فى مثل هذا الوقت أسمعنا مثل هذه.

وجاء فى/ ٥٤٩: ٢ إن الرب ترأى لسليمان ثانية كما ترأى له فى جبعون. ٣ وقال له الرب قد سمعت صلاتك وتضرعت الذى تضرعت به أمامى.

وجاء فى/ ٤٣١: ٢١ وعاد الرب يتراءى فى شيلوه، لأن الرب استعلن لصموئيل فى شيلوه بكلمة الرب. ٤ فأرسل الشعب إلى شيلوه وحملوا من هناك تابوت عهد رب الجنود الجالس على الكروبيم...

وجاء فى/ ٤٩١: ٢ وقام داود وذهب هو وجميع الشعب الذى معه من بعله يهوذا ليصعدوا من هناك تابوت الله الذى يدعى عليه بالإسم إسم رب الجنود الجالس على الكروبيم.

وجاء فى/ ٥٣٤: ٥ فى جبعون ترأى الرب لسليمان فى حلم ليلاً، وقال الله إسأل ماذا أعطيك.

وجاء فى/ ٥٥٤: ٩ فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذى ترأى له مرتين ١٠ وأوصاه فى هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظ ما أوصى به الرب. ١١ فقال الرب لسليمان من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدى وفرائضى التى أوصيتك بها فإنى أمزق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعدك.

وجاء فى/ ٥٦٩: ١٥ فقال إيليا حى هو رب الجنود الذى أنا واقف أمامه، إنى اليوم أتراءى له.

وجاء فى/ ٥٧٩: ١٧ فقال رأيت كل إسرائيل مشتتين على الجبال كخراف لا راعى لها. فقال الرب ليس لهؤلاء أصحاب فليرجعوا كل واحد إلى بيته بسلام. ١٨ فقال ملك إسرائيل ليهوشافاط أما قلت لك إنه لا يتنبأ على خيراً بل شراً. ١٩ وقال فاسمع إذأ كلام الرب. قد رأيت الرب جالساً على كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره. ٢٠ فقال الرب من يغوى أخاب فيصعد ويسقط فى راموت جلعاد. فقال هذا هكذا وقال ذاك هكذا.

وجاء فى/ ٥٨٦: ١٤ فقال أليشع حى هو رب الجنود الذى أنا واقف أمامه إنه لولا أنى رافع وجه يهوشافاط ملك يهوذا لما كنت أنظر إليك ولا أراك. ١٥ والآن فأتونى بعود. ولما ضرب العواد بالعود كانت عليه يد الرب ١٦ فقال هكذا قال الرب إجعلوا هذا الوادى جباً جباً.

وجاء فى/ ٦٨٣: ١ وشرع سليمان فى بناء بيت الرب فى أورشليم فى جبل المريا حيث ترأى لداود أبيه حيث هيا داود مكاناً فى بيدر أرنان اليبوسى.

وجاء فى/ ٦٩٠: ١٢ وترأى الرب لسليمان ليلاً وقال له. قد سمعت صلاتك واخترت هذا المكان لى بيت ذبيحة.

وجاء فى/ ٨٤٨: ٨ من هو هذا ملك المجد. الرب القدير الجبار الرب الجبار فى القتال. ٩ إرفعن أيتها الارتاج رؤوسكن وارفعنها أيتها الابواب الدهريات فيدخل ملك المجد. ١٠ من هو هذا ملك المجد رب الجنود هو ملك المجد.

وجاء فى/ ٧٩٩: ١ يا راعى إسرائيل إصغ، يا قائد يوسف كالضأن، يا جالساً على الكروبيم أشرق. ٢ قدام أفرايم وبنيامين ومنسى أيقظ جبروتك وهلم لخلاصنا.

وجاء في ٨٤٠: ٤ الرب في هيكل قدسه، الرب في السماء كرسية، عيناه تنظران، أجفانه تمتحن بنى آدم. ٥ الرب يمتحن الصديق، أما الشرير ومحب الظلم فتبغضه نفسه. ٦ يمطر على الأشرار فخاخاً ناراً وكبريتاً، وريح السموم نصيب كأسهم.

وجاء في ٩٩٨: ١ في سنة وفاة عزيا الملك رأيت السيد جالساً على كرسي عال ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل. ٢ السرافيم واقفون فوقه لكل واحد ستة أجنحة. باثنين يغطي وجهه وباثنين يغطي رجليه وباثنين يطير. ٣ وهذا نادى ذاك وقال قدوس قدوس رب الجنود مجده ملاً- كل الأرض. ٤ فاهترت أساسات العتب من صوت الصارخ وامتلا- البيت دخاناً ٥ فقلت ويل لى إنى هلكت لأنى إنسان نجس الشفتين، وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين، لأن عيني قد رأتا الملك رب الجنود.

وجاء في ١١٨٦: ٨ وكان بينما هم يقتلون وأبقيت أنا أنى خرت على وجهى وصرخت وقلت: آه يا سيد الرب. هل أنت مهلك بقية إسرائيل كلها بصب رجزك على أورشليم ٩ فقال لى: إن إثم بيت إسرائيل ويهوذا عظيم جداً جداً، وقد امتلات الأرض دماء وامتلات المدينة جنفاً. لأنهم يقولون الرب قد ترك الأرض والرب لا يرى.

وجاء في الانجيل ٤٢: ٢٠ فإن من حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه. ٢١ ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالساكن فيه. ٢٢ ومن حلف بالسماء فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليه.

وجاء في ٢٨٠: ٧ فإن الرجل لا ينبغي أن يغطي رأسه لكونه صورة الله ومجده. وأما المرأة فهي مجد الرجل. ٨ لأن الرجل ليس من المرأة بل المرأة من الرجل. ٩ ولأن الرجل لم يخلق من أجل المرأة، بل المرأة من أجل الرجل.

وجاء في ٣٢١: ٥ فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع أيضاً ٦ الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله ٧ لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس.

وجاء في ٣٢٥: ١٤ الذى لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا. ١٥ الذى هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة.

وجاء في ٣٦٦: ٢ ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع الذى من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً، بالخزى، فجلس فى يمين عرش الله.

وجاء في ٣٩٩: ٢١ من يغلب فسأعطيه أن يجلس معى فى عرشى كما غلبت أنا أيضاً وجلست مع أبى فى عرشه. ٢٢ من له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنايس.

وجاء في ٣٩٩ - ٤٠٠: ١ بعد هذا نظرت وإذا باب مفتوح فى السماء والصوت الأول الذى سمعته كبوق يتكلم معى قائلاً إصعد إلى هنا فأريك ما لا بد أن يصير بعد هذا. ٢ وللوقت صرت فى الروح وإذا عرش موضوع فى السماء وعلى العرش جالس. ٣ وكان الجالس فى المنظر شبه حجر اليشب والعقيق وقوس قزح حول العرش فى المنظر شبه الزمرد. ٤ وحول العرش أربعة وعشرون عرشاً. ورأيت على العروش أربعة وعشرين شيخاً جالسين متسربلين بثياب بيض وعلى رؤوسهم أكاليل من ذهب. ٥ ومن العرش يخرج بروق وعود وأصوات. وأمام العرش سبعة مصابيح نار متقدة هى سبعة أرواح الله.

وجاء في ٤٠٠: وشكراً للجالس على العرش الحى إلى أبد الأبدين.

وجاء في ٤٠١: ١١ ونظرت وسمعت صوت ملائكة كثيرين حول العرش والحيوانات والشيخوخ وكان عددهم ربوات ربوات وألوف ألوف... ١٣ وكل خليقة مما فى السماء وعلى الأرض وتحت الأرض وما على البحر كل ما فيها سمعتها قائلة: للجالس على العرش وللخروف البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الأبدين.

وجاء في ٤٠٣: ١٥ من أجل ذلك هم أمام عرش الله ويخدمونه نهائراً وليلاً فى هيكله، والجالس على العرش يحل فوقهم.

وجاء في ٤١٧: ٤ وخر الأربعة والعشرون شيخاً والأربعة الحيوانات وسجدوا لله الجالس على العرش.

وجاء في ٤١٩: ٥ وقال الجالس على العرش: ها أنا أصنع كل شئ جديداً. وقال لى: أكتب فإن هذه الأقوال صادقة وأمينه.

وقال الدكتور أحمد شلبى فى كتابه مقارنه الأديان: ٢/٢٤٣ طبعه مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٣ تحت عنوان (الله عند اليهود):

لم يستطع بنو إسرائيل في أى فترة من فترات تاريخهم أن يستقروا على عبادة الله الواحد الذى دعا له الأنبياء، وكان اتجاههم إلى التجسيم والتعدد والنجاسة والقيصة واضحاً فى جميع مراحل تاريخهم، وعلى الرغم من ارتباط وجودهم بإبراهيم إلا أن البدائية الدينية كانت طابعهم، وكثرة أنبيائهم دليل على تجدد الشرك فيهم، وبالتالي تجدد الحاجة إلى أنبياء يجددون الدعوة إلى التوحيد، وكانت هذه الدعوات قليلة الجدوى على أى حال، فظهروا للتاريخ بدائين يعبدون الأرواح والاحجار، وأحياناً مقلدين يعبدون معبودات الأمم المجاورة التى كانت لها حضارة وفكر قلدهما اليهود... ويقول: إن اليهود كانوا فى مطلع ظهورهم على مسرح التاريخ بدواً رحلاً تسيطر عليهم الأفكار البدائية كالخوف من الشياطين، والإعتقاد فى الأرواح وكانوا يعبدون الحجارة والأغنام والأشجار، ويقول: إن اليهود اتخذوا فى بيوتهم أصناماً صغيرة كانوا يعبدونها وينقلون بها من مكان إلى مكان [١] وقد ظل بنو إسرائيل على هذا الإعتقاد حتى جاء موسى وخرج بهم من مصر.

ولكن بنى إسرائيل كما يقول ول ديورانت [٢] لم يتخلوا قط عن عبادة العجل والكبش والحمل، ولم يستطع موسى أن يمنع قطيعه من عبادة العجل الذهبى. عبادة العجول كانت لا تزال حية فى ذاكرتهم منذ كانوا فى مصر، وظلوا زمناً طويلاً يتخذون هذا الحيوان القوى أكل العشب رمزاً للإلههم. وتقرر التوراة قصة العجل الذى عمله لهم هارون فعبدوه بعد أن تأخر موسى فى العودة إليهم، وكيف خلعوا ملابسهم وأخذوا يرقصون عراة أمام هذا الرب، وقد أعدم موسى ثلاثة آلاف منهم عقاباً لهم على عبادة هذا الوثن [٣] وقد بقيت عبادة العجل تتجدد فى حياة بنى إسرائيل من حين إلى حين، فقد عمل يربعام بن سليمان عجلية ذهب ليعبدهما أتباعه حتى لا يحتاجوا إلى الذهاب إلى الهيكل [٤] وقد عبد أهاب ملك إسرائيل الأبقار بعد سليمان بقرن واحد [٥].

وقال الدكتور شلبى فى: ١/١٧٤:

وبعد موسى وفى عهد القضاة، تأثر بنو إسرائيل بمعبودات الكنعانيين تأثراً كبيراً، ويوضح أن إله الكنعانيين (بعل) أصبح معبوداً لبنى إسرائيل فى كثير من قراهم، وفى أحوال كثيرة أصبح للطائفتين معبد واحد به تمثال يهوه وتمثال بعل، بل أصبح يهوه ينادى بعل، وقد ظل ذلك إلى عهد يوشع. [٦].

وقال الدكتور شلبى فى: ١/١٨٧:

ويوضح الكتاب المقدس أن بنى إسرائيل عبدوا أنواعاً من هذه الإلهة، وقد ندد بها أرميا فى سفره، ومنه نقتبس بعض النصوص: اسمعوا كلمة الرب يا بنات يعقوب وكل عشائر بيت إسرائيل، هكذا قال الرب: ماذا وجد فى آباؤكم من جور حتى ابتعدوا عنى وساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً [٧].

وحين تقولون لماذا صنع الرب إلها كل هذه أقول لكم: كما أنكم تركتمونى وعبدتم آلهة غريبة فى أرضكم. [٨].

يقول الرب أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون كذباً، وتبخرون للبعل وتسيرون وراء آلهة أخرى [٩].

يقول الرب: إن آباءكم قد تركونى وذهبوا وراء آلهة أخرى، وعبدوها وسجدوا لها، وإياى تركوا وشريعتى لم يحفظوها، وأنتم أسأتم فى عملكم أكثر من آباؤكم، وها أنتم ذاهبون كل واحد وراء عناد قلبه الشرير حتى لا تسمعوا لى [١٠].

وعلى هذا فمع وجود الهيكل فى عهد سليمان كانت عبادة آلهة الأجنبيات منتشرة، وينسب العهد القديم لسليمان نفسه أنه أقام مذابح للإلهة الخارجية التى كانت تعبدها زوجاته الأجنبية، فبنى مذبحاً لعشترت رجاسة الصيدونيين، ولكموش رجاسة المؤابيين، ولملكوم إلهة بنى عمون [١١] وعقب موت سليمان انقسم ملكه بين ابنه يربعام ورجعام، وهذا التغيير فى تاريخ العبرانيين صحبه تغير فى عقيدتهم، فإسرائيل فى الشمال كانت دولة غنية حظى سكانها بالاستقرار، وقبلوا عادات الكنعانيين وعبدوا آلهتهم (بعل) أما دولة يهوذا فى الجنوب فكانت دولة فقيرة يشتغل سكانها بالزراعة والرعى وظلوا على تبعيتهم لإلههم يهوه، إله الفقراء، وإلى هذه الفترة ينسب الأنبياء وقد صنع يربعام عجولين من ذهب ووضع أحدهما فى بيت إبل وثنائهما فى دان، وبنى عندهما مذابح وقال لشعبه: هذه آلهتكم التى أصعدتكم من مصر، فاذبحوا وعيدوا عندها ولا تصعدوا إلى أورشليم، فاستجاب له الشعب.

٣٣ - ٣٢ .BERRY: RELIRINS OF THE WERLED PP

إقرأ الصحاح الثالث والعشرين من سفر الملوك الثاني.

وقال الدكتور شلبي في: ١/٢٦٧:

يروى التلمود أن الله ندم لما أنزله باليهود وبالهيكل، ومما يرويه التلمود على لسان الله قوله: تب لى لأنى صرحت بخراب بيتى وإحراق الهيكل ونهب أولادى. وليست العصمة من صفات الله فى رأى التلمود، لأنه غضب مرة على بنى إسرائيل فاستولى عليه الطيش، فحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية، ولكنه ندم على ذلك بعد أن هدأ غضبه، ولم ينفذ قسمه، لأنه عرف أنه فعل فعلاً ضد العدالة. ويقرر التلمود أن الله هو مصدر الشر كما أنه مصدر الخير، وأنه أعطى الإنسان طبيعة رديئة وسن له شريعة لم يستطع بطبيعته الرديئة أن يسير على نهجها، فوقف الإنسان حائراً بين اتجاه الشر فى نفسه، وبين الشريعة المرسومة إليه، وعلى هذا فإن داود الملك لم يرتكب خطيئته بقتله أوريا واتصاله بامرأته، لأن الله هو السبب فى كل ذلك (التلمود شريعة إسرائيل / ١٧ - ١٩).

وقال فى ١٩٢/ تحت عنوان: اليهود والألوهية عموماً:

على أن مسألة الألوهية كلها، سواء اتجهت للوحدانية أو للتعدد، لم تكن عميقة الجذور فى نفوس بنى إسرائيل، فقد كانت المادية والتطلع إلى أسلوب نفعى فى الحياة من أكثر ما يشغلهم، وإذا تخطينا عدة قرون فإننا نجد الفكر اليهودى الحديث يجعل لليهود رباً جديداً نفعياً كذلك، ذلك هو تربة فلسطين وزهر برتقالها، والذى يقرأ رواية (طوبى للخائفين) للكاتب اليهودى يائيل ديان ابنه القائد الصهيونى العسكرى موسى ديان، يجد أحد أبطالها (إيفرى) ينصح ابنه الطفل بأن يتخلى عن الذهاب للكنيسة، وأن يحول اهتمامه لالهه الجديد: تراب فلسطين. ونقتبس فيما يلى سطوراً من هذه الرواية:

... الصبى يحب أن يذهب إلى الكنيس مع أمه، ولكنه عندما عاد مرة من المعبد الذى لا يذهب إليه إلا القليلون، ثار أبوه فى وجهه بحديث له مغزى عميق قال له: أيام زمان حين كنا يهوداً فى روسيا وغيرها كان من الضرورى بالنسبة لنا أن نطيع التعليمات ونحافظ على ديننا، فقد كان الدين اليهودى لنا وسيلتنا لتعاون وتعاطف ونذود عنا الردى، أما الان فقد أصبح لدينا شئ أهم هو الأرض، أنت الان إسرائيلى ولست مجرد يهودى، إنى قد تركت فى روسيا كل شئ، ملابسى ومتاعى وأقاربى وإلهى، وعثرت هنا على رب جديد، هذا الرب الجديد هو خصب الأرض وزهر البرتقال، ألا تحس بذلك؟... وأخذ إيفرى حفنة من تراب الأرض وسكبها فى كف ابنه، وقال له: إمسك هذا التراب، إقبض عليه، تحسس، تذوقه، هذا هو ربك الوحيد، إذا أردت أن تصلى للسماء فلا تصل لها لكى تسكب الفضيلة فى أرواحنا، ولكن قل لها أن تنزل المطر على أرضنا، هذا هو المهم، إياك أن تذهب مرة أخرى إلى المعبد.

وقال ابن حزم فى الفصل فى الملل: ١ جزء ١/١٦٠:

قال فى التوراة: إن الله عز وجل قال لبنى إسرائيل: لقد رأيتونى كلكم من السماء فلا تتخذوا معى آلهة الفضة، ثم قال بعد ذلك ثم صعد موسى وهارون.. ونظروا إلى إله إسرائيل.

وقال فى ١٤١/:

ذكر فى هذا المكان (من التوراة) أن يعقوب صارع الله عز وجل.. حتى قالوا إن الله عز وجل عجز عن أن يصرع يعقوب.. وفيه أن يعقوب قال: رأيت الله مواجهة وسلمت عليه.

وقال فى ٢١٨/:

وفى بعض كتبهم: إن الله تعالى قال لبنى إسرائيل: من تعرض لكم فقد تعرض حدقه عينى.

وقال فى ٢٢٢/:

ونقل فى توراتهم وكتب الأنبياء بأن رجلاً اسمه إسماعيل كان إثر خراب البيت المقدس سمع الله يئن كما تئن الحمامة ويبكى وهو يقول: الويل الويل لمن أخرج بيته... ويلي على ما أخرجت من بيتى ويلي على ما فرقت من بنى، وبناتى.

وقال في ٢٢١:

وفي كتاب لهم يسمى شعر توما من كتاب التلمود.. ففي الكتاب المذكور أن تكسير جبهة خالقهم من أعلاها إلى أنفه خمسة آلاف ذراع.

[١] ١٧٦.

[٢] قصة الحضارة: ٢/٣٣٨.

[٣] خروج ٣٢: ١٨ ٢٦ والقرآن الكريم يقرر أن السامري هو الذي عمل العجل.

[٤] الملوك الأول ١٢: ٢٦ ٢٨.

[٥] ول ديورانت: ٢/٣٣٩.

[٦] CHARLES FOSTER: HISTORY OF THE HEPREW POPEL P.٩٤

[٧] أرميا: ٢: ٥٤.

[٨] أرميا ٥: ١٩ ٢٠.

[٩] أرميا ٧: ٩ ١٠.

[١٠] أرميا: ١٦: ١١ ١٣.

[١١] الملوك الثاني ٣٣: ١٢.

محاولة بعض اليهود أن يتبرؤوا من التشبيه والتجسيم

جاء في هامش المطالب العالية: جزء ٢/٢٥:

في التوراة أن الله إله واحد. وفي التوراة أن الله ليس كمثل شئ. ففي الإصحاح السادس من سفر التثنية: إسمع يا إسرائيل. إن الرب إلهنا رب واحد. فأحب الرب إلهك بكل قلبك وكل نفسك وكل قدرتك. ولتكن هذه الكلمات التي أنا آمرك بها اليوم في قلبك، وكررها على بنيك وكلمهم بها إذا جلست في بيتك وإذا مشيت في الطريق وإذا نمت وإذا قمت، واعقدها علامة على يدك، ولتكن عصائب بين عينيك واكتبها على عضائد أبواب بيتك وعلى أبوابك. تثنية ٤: ٦. ٩ ترجمة اليسوعيين. وفي الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية: لا كفاء لله. وفي ترجمة البروتستانت: ليس مثل الله. تثنية ٣٣: ٢٦.

وقال موسى بن ميمون في دلالة الحائرين: إن ما ورد في التوراة مما يوحى بأن الله شبه إنسان بأعضائه وبصفاته، فذلك مؤول على معنى: أن الله يقرب ذاته إلى عقول الخلق، حديثه عن نفسه كأنه واحد منهم. أما هو فليس مثل إنسان وليس كمثل شئ، وذلك ليفهم الخلق ذات الله على نحو قريب من تصوراتهم. وما جاء عن مشبهة اليهود أن الله يبكي على خراب هيكل سليمان ويلعب مع الحيتان، فهو قول قال به سفهاء من اليهود لا وزن لهم عند الله ولا عند الناس. انتهى.

والمأمل في التوراة يقبل مقولة هذا الباحث اليهودي القديم بأنها تشتمل على عبارات في التوحيد شبيهة بالتوحيد الخالص الذي يقدمه القرآن، ولكن نصوص التشبيه والتجسيم فيها أكثر من نصوص التوحيد. وهذا من الأدلة على وقوع التحريف فيها، وأن أيدي سفهاء اليهود الذين ذكرهم وصلت إلى نصوص التوراة وملؤها من تجسيمهم وتشبيهمهم. وقد وجدنا في نسخة التوراة المذكورة النصوص التالية في التوحيد: جاء في العهد القديم/٩٨: ٩ فقال موسى لفرعون عين لي متى أصلى لأجلك ولاجل عبيدك وشعبك لقطع الضفادع عنك وعن بيوتك، ولكنها تبقى في النهر. ١٠ فقال غداً فقال كقولك لكي تعرف أن ليس مثل الرب إلهنا. ١١ فترفع الضفادع عنك وعن بيوتك وعبيدك وشعبك.

وجاء في ١٠٠: ١٤ لأني هذه المرة أرسل جميع ضرباتي إلى قلبك وعلى عبيدك وشعبك، لكي تعرف أن ليس مثلي في كل

الأرض.

وجاء في /٤٩٣: ٢٢ لذلك قد عظمت أيها الرب الإله، لأنه ليس مثلك وليس إله غيرك حسب كل ما سمعناه بأذاننا....

وجاء في /٥٣٠: ٢٠ يا رب ليس مثلك، ولا إله غيرك، حسب كل ما سمعناه بأذاننا.

وجاء في /٢/٤٣: ٩ أذكروا الأوليات منذ القديم، لأنى أنا الله وليس آخر. الإله وليس مثلى.

وجاء في /٢/٨٤: ٦ لا مثل لك يا رب، عظيم أنت، وعظيم اسمك في الجبروت. ٧ من لا يخافك يملك الشعوب، لأنه بك يليق، لأنه

في جميع حكماء الشعوب وفي كل ممالكهم ليس مثلك.

العهد القديم والجديد: ١/٢٥٣:

الإصحاح الثاني ١ يا ابني إن قبلت كلامي وخبأت وصاياي عندك ٢ حتى تميل أذنك إلى الحكمة وتعطف قلبك على الفهم ٣ إن

دعوت المعرفة ورفعت صوتك إلى الفهم ٤ إن طلبتها كالفضة وبحثت عنها كالكنوز ٥ فحينئذ تفهم مخافة الرب وتجد معرفة الله. ٦

لأن الرب يعطى حكمة من فمه المعرفة والفهم. ٧ يذخر معونة للمستقيمين. هو مجن السالكين بالكمال. ٨ لنصر مسالك الحق وحفظ

طريق أتقيائه. ٩ حينئذ تفهم العدل والحق والإستقامة. كل سبيل صالح ١٠ إذا دخلت الحكمة قلبك ولذت المعرفة لنفسك.

لكن البابا في عصرنا يصر على التجسيم و ينتقد التوحيد عند المسلمين

كتاب العبور إلى الرجاء للبابا يوحنا بولس الثاني:

والعبور إلى الرجاء هو التسجيل الكامل لأول وأشمل حوار مع البابا للصحافي الإيطالي الكبير فيتوري ميسوري، لمناسبة ذكرى مرور

خمس عشرة سنة على اعتلائه السدة البابوية... كان الأول بين (خلفاء القديس بطرس) يظهر أمام آلات التصوير والتسجيل ليحيط على

أسئلة ترك اختيارها لمبادرة حرة من قبل صحافي. وبعد ما حصر البث بالمحطة الأولى ليلة الذكرى، عرضت تلك المقابلة في

كبريات المحطات العالمية.

ويروي فيتوري ميسوري قصة المقابلة التي تمت بعد ما قدم عشرين سؤالاً خطأً تشمل مختلف الموضوعات والقضايا الكبرى، وتلقى

مخطوطة الأجوبة عليها من مكتب البابا في نهاية شهر نيسان ١٩٩٤. كما أن البابا وضع عنوان هذا الكتاب بنفسه... من هذا الحوار

الوثيقة نقتطف هنا جواب الحبر الأعظم على سؤالين، يتصل أولهما بالعلاقة مع الدين الإسلامي، في حين يتصل الثاني بعلاقة

المسيحية بالدين اليهودي، وقد رأينا فيهما أكمل رأى للبابا في هذا المجال خصوصاً وأنه بقلمه مباشرة:

السؤال الأول: ما الفرق بين إله المسلمين وإله المسيحيين؟

الجواب: لاشك في أن القاريه مختلفه عندما يتعلق الأمر بالكنيس والمسجد حيث مجتمع الذين يعبدون الإله الواحد. نعم، صحيح ما

تقوله، فالأمر يختلف في ما يتعلق بهاتين الديانتين التوحيديتين، بدءً بإسلام. ففي الاعلان المجمعى (في عصرنا) الانف الذكر، يمكننا

أن نقرأ ما يأتى (وتنظر الكنيسة أيضاً بتقدير إلى المسلمين الذين يعبدون الله الواحد، الحى القيوم، الرحمن القدير، الذى خلق السماء

والأرض) إن المؤمنين بالتوحيد هم بنوع خاص الأقرب إلينا. أتذكر حدثاً من أحداث شبابى يوم كنا نزور دير القديس مرقس فى

فلورنسا، فقد وقفنا مندهشين معجبين أمام جدرانيات فردا انجليكو.. فى تلك الاثناء انضم إلينا رجل راح يشاظرنا إعجابنا بأعمال

ذلك الراهب والفسان العظيم، غير أنه ما لبث أن أضاف: ولكن ما من شئ هنا يبلغ مدى جمال توحيدنا الإسلامى! لم يمنعنا ذلك

التصريح من أن نكمل زيارتنا برفقه ذلك الرجل، وأن نتابع معه نقاشاً ودياً. لقد تذوقت سلفاً فى تلك المناسبه ما يمكن أن يكون

عليه الحوار بين المسيحيه والإسلام. والذى حاولنا أن نظوره منهجياً منذ المجمع.

من يطالع القرآن، وكان ملماً بالعهدين القديم والجديد يتبين له جلياً ما وقع فيه للوحى الإلهى من اختزال. ومن المستجبل ألا يلحظ

عدم مقاربه ما قاله الله عن ذاته بلسان الأنبياء أولاً فى العهد القديم، ثم وبشكل نهائى بواسطة ابنه فى العهد الجديد. إن الغنى الذى

يتجلى في كشف الله لذاته والذي يشكل تراث العهدين القديم والجديد، كل ذلك قد تغاضى عنه الإسلام بالفعل. (!) إن القرآن يصف الله بأجمل ما عرفه اللسان البشرى من الأسماء الحسنى، ولكنه في النهاية، إله متعال عن العالم، ذو جلال، لا إلهنا معنا) عمانوئيل.

ليس الإسلام دين فداء فلا مجال فيه للصلب! يذكر عيسى، ولكن ليس إلا بوصفه نبياً، يمهد لخاتمة جميع الأنبياء محمد. كذلك ورد ذكر السيدة مريم البتول، ولكن لا ذكر لمأساة الفداء.

لذلك تختلف نظرة الإسلام عن المسيحية، لا على الصعيد اللاهوتي فحسب، بل أيضاً على الصعيد الأنتروبولوجي. بيد أن التدين الإسلامي يستحق كل تقدير، فلا يمكننا مثلاً إلا نعجب بالأمانة على الصلاة. إذ أن الذي يسمى الرب (الله) يجثو على ركبته غير آبه بالزمان أو بالمكان، مستغرقاً في الصلاة مرات عديدة في النهار. هذه الصورة تبقى نموذجاً لمن يعترفون بالله الحق، وبخاصة لأولئك المسيحيين الذين يهجرون كاتدرائياتهم الرائعة ويصلون قليلاً أو لا يصلون مطلقاً... انتهى.

أقول: السبب في تهمة البابا للدين الإسلامي بأنه اختزل التصور الذي قدمته كتب اليهود والنصارى عن الله تعالى، وبيت القصيد عنده وإشكاله الأساسي على الإسلام: أن القرآن يقرر أن الله تعالى ليس كمثله شيء، وأنه غير متجسد في وجود مادي في السماء أو الأرض، وبتعبيره (لكنه في النهاية إله متعال عن العالم، ذو جلال، لا إلهنا معنا عمانوئيل).

ولكن الظاهر أن البابا لم يقرأ الصحاح الستة ليرى أن ما يريده من نزول الله تعالى وصعوده وتجسده موجود فيها، وأن هذا البلاء الذي ابتلى به اليهود والنصارى قد سرى إلى إخواننا السنة وصحاحهم!!

كما أنه لو تأمل في تاريخ المسيحية لتوصل إلى أن دعوة المسيح عليه السلام كانت دعوة إلى التوحيد ولم يكن فيها تجسيم، وأن تجسم الله تعالى في المسيح إنما هو فكرة (بولسية) وليست مسيحية..

قال الدكتور أحمد شلبي في كتابه مقارنة بين الأديان: ٢/٢٤٥ تحت عنوان: الله في التفكير المسيحي:

عندما نصل إلى الحديث عن الله في التفكير المسيحي نحتاج إلى مزيد من الصبر لنرى التحول الخطير الذي أصاب الفكر المسيحي في هذه القضية الهامة: تقرر الأناجيل المسيحية وأعمال الرسل ثلاث قضايا مهمة: أولها: أن الله واحد لا شريك له.

والثانية: أن عيسى رسول الله وليس أكثر من رسول.

والثالثة: أن عيسى رسول لبنى إسرائيل فقط.

وعن القضية الأولى نورد النصوص التالية من هذه الأناجيل:

يروى متى عن عيسى قوله: إن أباكم واحد الذي في السموات (إصحاح ٢٣ الفقرة ٨)

ويروى مرقس قول عيسى: الرب إلهنا إله واحد وليس آخر سواء (١٢: ٣٠: ٣١).

ويروى يوحنا عن عيسى قوله: إني أصمد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم (١٨: ٢٠)

وعن القضية الثانية من الأناجيل النصوص التالية: (جاء في إنجيل متى قوله: هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل (٢١: ١١).

وجاء في لوقا: قد خرج نبي عظيم (٧: ١٦).

ويروى يوحنا: إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم (٤: ١٤ و ٧: ٤٠).

ويروى يوحنا كذلك عن عيسى قوله: وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعته من الله (٨: ٤٠).

ويروى لوقا عن عيسى قوله عندما أحس بقرب نهايته بسبب مؤامرات اليهود عليه: ينبغي أن أسير اليوم وغداً وما يليه، لأنه لا يمكن أن يهلك نبي خارج أورشليم، يا أورشليم، يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين.

وعن القضية الثالثة نورد النصوص التالية:

جاء في متى ما نصه: ثم خرج يسوع من هناك، وانصرف إلى نواحي صور وصيدا، وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت قائلة: إرحمني يا سيد يا ابن داود، ابنتي مجنونة جداً، فلم يجبه بكلمة، فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين: إصرفها لأنها تصيح وراءنا، فأجاب وقال: لم أرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة (متى ١٥: ٢١-٢٤).

وفي متى كذلك أن عيسى عند ما حدد الحوارين الإثني عشر أوصاهم قائلاً: إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بني إسرائيل الضالة (١٠: ٤٥).

وقد خصم اليهود بطرس لأنه دخل على غير اليهود وتكلم معهم (أعمال الرسل ١١ الفقرة الأولى).

وورد في عبارات بطرس قوله لغير اليهود: أنتم تعلمون كيف هو محرم على رجل يهودى أن يلتصق بأحد أجنبي أو يأتي إليه (أعمال الرسل ١٠: ٢٨).

والقرآن الكريم يقرر هذه الاتجاهات الثلاث في المسيحية، قال تعالى:

وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ. المائدة: ٧٢.

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ. المائدة: ٧٣.

مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ. المائدة: ٧٥.

مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا- مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُمْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ المائدة: ١٧.

وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ. المائدة: ٤٨ - ٤٩.

ومن أجل هذا كان نقل المسيحية من الوجدانية إلى التثليث، ونقل عيسى من رسول إلى إله، والقول بأن المسيحية رسالة عامة، والقول بأن عيسى ابن الله نزل ليضحي بنفسه للتكفير عن خطيئة البشر، وأنه عاد مرة أخرى إلى السماء ليجلس على يمين أبيه، كان هذا كله عملاً جديداً على المسيحية التي جاء بها عيسى.

كيف انتقلت المسيحية من حال إلى حال، ومن الذي قام بذلك ومتى؟ هذا ما سنحاول إبرازه فيما يلي:

ترتبط هذه الأمور بشخصية مهمة في المسيحية، هي شخصية شاؤول (بولس) ولذلك يرى الباحثون الغربيون أن المسيحية الحالية بهذه العناصر الجديدة من صنع هذا الرجل، ويقول إن بولس هو في الحقيقة مؤسس المسيحية، ويقول إن كثيراً من الثقافات العصريين يعدونه المؤسس الحقيقي للمسيحية.

وبولس كما يقول عن نفسه (يهودى فريسي ابن فريسي على رجاء قيامه الاموات - أعمال الرسل ٢٣: ٦) وكان عدواً للمسيحيين، وهو في ذلك يقول (سمعتم بسيرتي قبلاً- في الديانة اليهودية، إنى كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها، وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترايى في جنسى، إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائى (غلاطية ١: ١٣-١٤).

ويبدو أنه كان من وسائل بولس لتدمير المسيحية أن يحطم معتقداتها واتجاهاتها المقدسة، ووضع لذلك طريقة تكفل له الوقوف في وجه معارضييه عندما يظهر بأفكاره الجديدة، فادعى شاؤول أن السيد المسيح بعد نهايته على الأرض ظهر له وصاح فيه وهو في طريقه إلى دمشق: لماذا تضطهدنى فخاف شاؤول وصرخ: من أنت يا سيد؟ قال: أنا يسوع الذى تضطهده. قال شاؤول: ماذا تريد أن أفعل؟ قال يسوع: قم وكرز بالمسيحية. ويقول لوقا في ختام هذه القصة جملة ذات بال غيرت وجه التاريخ هي: وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أنه ابن الله (أعمال ٩: ٣-٣٠) انتهى.

وقال أبو رية في أضواء على السنة المحمدية الهامش ١/١٨٩:

يعتقد المسيحيون أن المسيح عليه السلام قد ارتفع بجسمه بعد صلبه وأنه يجلس هناك مع أبيه. وعند الكاثوليكية الرومانية عقيدة جوهرية تقضى بأن أمه مريم العذراء قد ارتفعت هي الأخرى بجسدها إلى السماء وأنها لم تمت. ومنذ سبع عشرة سنة انعقد مجمع

دينى مقدس برياسة البابا بيوس الثانى عشر بميدان القديس بطرس اشترك فيه ٣٥ كـردينالاً ونحو ٥٠٠ بطيريركا من جميع أنحاء العالم واحتشد له مليون مسيحي وقرر هذا المجمع هذه العقيدة الدينيه، وقال إنها لا تقبل الجدل أو المناقشة ومن يناقشها أو يشك فيها يعتبر من وجهة نظر الكنيسة الكاثوليكية ملحداً أو كافراً (يراجع جريدة الوفد المصرى فى ٣١/١٠، و١ و٢ و٣/ ١١/١٩٥٠)

والإقباط المصريون جميعاً يؤمنون بهذه العقيدة وتحفل كل طوائفهم فى يوم ١٦ مسرى من كل سنة، بعيد انتقال السيدة مريم بجسدها إلى السماء، ويطلقون على هذا الإحتفال اسم: عيد العذراء الكبير، وليس لأحد أن يعترض على هذه العقيدة أو يمارى فيها، إذ مادام المسيح عليه السلام قد ارتفع إلى السماء وجلس بجوار أبيه، فإنه لا مانع من أن تصعد إليه أمه من بعده لتقييم وإياه مع الله فى السماء، ويحيون جميعاً حياة طيبة فى هناء وصفاء!

وإليك هذه الكلمة الصغيرة نقلها من كتاب العقيدة والشريعة للمستشرق الكبير جولد تسيهر/٤٢ و٤٣:

وهناك جمل أخذت من العهد القديم والعهد الجديد، وأقوال للربانيين، أو مأخوذة من الأناجيل الموضوعه وتعاليم من الفلسفة اليونانية وأقوال من حكم الفرس والهنود، كل ذلك أخذ فى الإسلام عن طريق (الحديث) حتى لفظ (أبونا) لم يعد مكانه فى الحديث المعترف به، وبهذا أصبحت ملكاً خالصاً للإسلام بطريق مباشر أو غير مباشر! وقد تسرب إلى الإسلام كثر (...). كبير من القصص الدينيه حتى إذا ما نظرنا إلى المواد المعدوده فى الحديث ونظرنا إلى الأدب الدينى اليهودى، فإننا نستطيع أن نعرش على قسم كبير دخل الأدب الدينى الإسلامى من هذه المصادر اليهوديه. ولا نستقصى كل ما دخل الإسلام من المسيحيات. انتهى.

اول قنوات التشبيه والتجسيم والرؤية من اليهودية إلى الإسلام

ينبغى أن نعرف أن نظرة العرب فى الجاهلية والإسلام إلى ثقافة اليهود كانت نظرة إيجابية، وأن الخليفة عمر قد تبنى سياسة الإنفتاح على هذه الثقافة، فسبب ذلك تأثيراً واسعاً على ثقافة الإسلام وعقائده.. لذلك نمهد للموضوع ببعض ما كتبناه فى (تدوين القرآن)/ ٤٠٩ تحت عنوان (احترام عرب الجاهلية للثقافة اليهوديه):

(كان اعتداد العرب بقوميتهم ووثنتهم فى الجاهلية اعتداداً قوياً إلى حد التعصب، ولم يكونوا يحترمون اليهود كأمة ولكنهم كانوا يحترمون علماءهم وثقافتهم، ويرجعون إليهم فى العديد من مسائل التاريخ والتنبؤ بالمستقبل والأمور الروحية. بل كان الكثير من عرب الجاهلية يعيشون حالة الإنهزام أمام الثقافة اليهوديه لأن اليهود أصحاب كتاب سماوى وعلماء وأنبياء، والعرب أميون وثنيون، وإن بقيت عندهم بقايا من دين إبراهيم...

والشواهد على ذلك من مصادر التاريخ والتفسير والحديث والفقه كثيرة، نكتفى منها بالنص التالى الذى يدل على أن تأثيرات الثقافة اليهوديه بقيت حتى بعد بعثه النبى صلى الله عليه وآله وحتى على ذهن زوجته عائشه وأبيها الخليفة أبى بكر! روى مالك فى الموطأ: ٢/٥٠٢ (عن يحيى بن سعيد، عن عمره بنت عبد الرحمن، أن أبى بكر الصديق دخل على عائشه وهى تشتكى، ويهوديه ترقياها! فقال أبو بكر: إرقياها بكتاب الله).

وقال فى كتاب الأم للشافعى: ٧/٢٤١ (باب ما جاء فى الرقيه. سألت الشافعى عن الرقيه؟

فقال: لا بأس أن يرقى الرجل بكتاب الله وما يعرف من ذكر الله.

قلت: أيرقى أهل الكتاب المسلمين؟

فقال: نعم، إذا رقوا بما يعرف من كتاب الله أو ذكر الله.

فقلت: وما الحجج فى ذلك؟

قال: غير حجة، فأما رواية صاحبنا وصاحبك فإن مالكاً أخبرنا عن يحيى بن سعيد عن عمره بنت عبد الرحمن أن أبى بكر دخل على عائشه وهى تشتكى ويهوديه ترقياها فقال أبو بكر إرقياها بكتاب الله.

فقلت للشافعي: فإننا نكره رقية أهل الكتاب.

فقال: ولم وأنتم تروون هذا عن أبي بكر، ولا- أعلمكم تروون عن غيره من أصحاب النبي (ص) خلفه. وقد أحل الله جل ذكره طعام أهل الكتاب ونساءهم، وأحسب الرقية إذا رقوا بكتاب الله مثل هذا، أو أخف). انتهى.

ورواه البيهقي في سننه: ٩/٣٤٧، كما روى أن امرأة عبد الله بن مسعود كانت تذهب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله إلى يهودى لرقية عينها.

وقال النووي في المجموع: ٩/٦٤ (فرع في جواز الرقية بكتاب الله تعالى وبما يعرف من ذكر الله... وروى البيهقي بإسناده الصحيح عن يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة قالت: دخل أبو بكر (رض) عليها وعندها يهودية ترقىها فقال: إرقىها بكتاب الله عز وجل. وبإسناده الصحيح عن الربيع بن سليمان قال سألت الشافعي عن الرقية... انتهى.

يلاحظ على هذه الفتوى المجمع عليها عند إخواننا السنيين، أن الخليفة أبا بكر لم ينه عائشة عن هذا العمل، وإنما طلب من المرأة اليهودية باحترام أن ترقىها ببعض آيات القرآن، باعتبار أن ذلك أفضل من الأدعية التي تقرأها من عندها، أو أراد منها أن تضم إلى أدعيتها آيات من القرآن ليكون ذلك أرجى لشفاؤها ابنته.. هذا إذا كان مقصوده بكتاب الله: القرآن، وإلا فيكون قصده: إرقىها بنص من التوراة، لا بدعاء من عندك!

وبذلك يتضح أن الشرط الذي شرطه الشافعي وغيره لما يجب أن يقرأه اليهودى أو النصراني في رقية المسلم لا أساس له في الرواية. وغاية ما يمكن استفادته منها أن الاحسن للمسلم أن يطلب من الكتابي أن يقرأ على مريضه شيئاً من القرآن.. خاصة أن الذي يكلف أحداً أن يرقى مريضه لا يملى عليه ماذا يقرأ عليه، لانها لا يكلفه بالرقية إلا وهو يعتقد بأنه عبد صالح قريب إلى الله تعالى، فهو أعرف بما يقرأ عليه!

كما يلاحظ استغراب السائل لهذه الرواية والفتوى! فأجابه الشافعي بأن الرواية صحيحة ولم يصل إلينا إنكار أحد من الصحابة لعمل عائشة وإقرار أبي بكر. والقاعدة عند إخواننا أنه إذا فعل الصحابي شيئاً فهو جائز وحجة على غيره، إلا إذا عارضه صحابي آخر، ويشترط أن يكون الصحابي المعارض من الصحابة الذين تؤثر معارضتهم عند الاخوة السنيين.. فبعض الصحابة عندهم لا تضر معارضتهم مثل على المظلوم، وبعضهم تضر!

... إن معرفه هذا الجو في الجزيرة من التأثير العام بثقافة اليهود، تمكنا من تفسير مواقف الخليفة عمر تجاه الثقافة اليهودية.. فقد كان من نشأته في مكة يحترم هذه الثقافة كثيراً قبل بعثه النبي صلى الله عليه وآله وتدل عدة نصوص على أنه استمر على احترامها حتى وهو إلى جانب النبي صلى الله عليه وآله ثم عندما صار خليفة.

وبهذا نفهم سبب احترامه لكعب الأحمق ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام.. وأمثالهم من اليهود الذين أعلنوا دخولهم في الإسلام.. وتميم الداري وأمثاله من النصارى الذين دخلوا في الإسلام.. وكذا ثقته بما عند علماء اليهود والنصارى من كتب وتاريخ وتنبؤات واستنتاجات عن المستقبل!

وينبغي للباحث في هذا الموضوع أن يعرف المقومات الأساسية لشخصية الخليفة عمر.. فهو أولاً، عربي معتر بقوميته إلى حد أنه يرى أن المخاطب بقوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا..) هم العرب خاصة! قال السيوطي في الدر المنثور: ٦/٩٨ (وأخرج ابن مردويه عن عمر بن الخطاب إن هذه الآية في الحجرات. إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، هِيَ مَكِيَّةٌ وَهِيَ لِلْعَرَبِ خَاصَةٌ. الموالى أى قبيلة لهم وأى شعاب؟ وقوله: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ، قال: أتقاكم للشرك).

وعلى تفسير الخليفة فإن الآية لا تساوى بين العرب وغيرهم كما فهم منها المسلمون. ولعله لذلك أفتى بأنه لا ملك على عربى وبأن العرب لهم أن يتزوجوا من الأمم الأخرى ولكن ليس لهم أن يزوجهم، لأن العريية لا كفؤ لها إلا العربى.. إلى آخر فتاواه وقراراته فى هذا المجال.

وهو ثانياً: قرشى يحب قريش ويعتز بها اعتزازاً شديداً.. حتى بالطلاق وقادة الأحزاب بعد انهزامهم وإسلامهم.. فيقول عن معاوية: كسرى العرب، وعن أبي سفيان: سيد العرب! بل يثقل عليه يوم فتح مكة أن يدخل أنصاري براية النبي صلى الله عليه وآله وهو يتحدى قادة الأحزاب من قريش.. فقد روى البيهقي في سننه: ١٠/٢٢٨... عن أنس قال دخل رسول الله (ص) مكة فقام أهلها سماطين ينظرون إلى رسول الله وإلى أصحابه، قال وابن رواحه يمشى بين يدي رسول الله، فقال ابن رواحه:

خلوا بني الكفار عن سبيله فاليوم نضربكم على تنزيله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

يا رب إنى مؤمن بقبيله

فقال عمر (رض): يا ابن رواحه أفى حرم الله وبين يدي رسول الله تقول الشعر!! فقال رسول الله (ص): مه يا عمر فوالذى نفسى بيده لكلامه هذا أشد عليهم من وقع النبل! وروى نحوه الترمذى فى سننه: ٤/٢١٧، وسير أعلام النبلاء: ١/٢٣٥.

وعلى هذا الأساس يجب أن نعرف أن إعجاب الخليفة عمر بالثقافة اليهودية لا يتنافى فى نظره مع عروبه وقرشيته بل يخدمهما.. وقد كان تقريبه لكعب الأحبار وتميم الدارى وغيرهما، مشروطاً بأن يحترموا العرب وخاصة قريش.. فإن شعر منهم انتقاصاً للعرب أو قريش لم يتردد فى اتخاذ الموقف الحاسم منهم.. وقد عنف كعب الأحبار وتميم الدارى أكثر من مرة. إنها نظرة مركبة إلى اليهود من عناصر متعددة فى ذهنية الخليفة، وقد نتجت عنها هذه السياسة المركبة مع اليهود، ومع أن فيها مواقف مضادة لهم، لكنها على العموم كانت ترضيهم.

وقد روت المصادر - المحبة للخليفة - مواقف الدالة على هذه السياسة، وروت أن بعض مواقفه جاء على شكل اندفاع خطير منه لادخال الثقافة اليهودية فى الإسلام، فنهاه النبي صلى الله عليه وآله مرات متعددة عن ذلك.. ثم ذات يوم غضب غضباً شديداً ودعا المسلمين إلى اجتماع طارئ ليحذرهم من خطورة ما يريد عمر وأصحابه... إلى آخر ما ذكرناه هناك.

من أفكار كعب الأحبار فى الرؤية والتشبيه والتجسيم

وروى الطبرى فى تفسيره: ٢٥/٦:

فقال كعب:... سألت أين ربنا، وهو على العرش العظيم متكئ واضع إحدى رجله على الأخرى، ومسافة هذه الأرض التى أنت عليها خمسمائة سنة، ومن الأرض إلى الأرض مسيرة خمسمائة سنة وكثافتها... ثم قال: إقرؤوا إن شئتم: تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ! وروى البغوى فى معالم التنزيل: ٤/٤٦٠: قال كعب الأحبار: عليين هو قائم العرش اليمين.

وقال الصنعانى فى تفسيره: ٢/٣٧: عن قتادة فى قوله: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، قال قال كعب: إن الله لم يخلق بيده إلا ثلاثة: خلق آدم بيده والتوراة بيده وغرس الجنة بيده... الخ.

وقال الطبرى فى تفسيره: ٧/١٠٠: قال محمد لكعب: ما أول شئ ابتداءه الله من خلقه فقال: كتاباً لم يكتبه بقلم ولا مداد..

فتح القدير للشوكانى: ٤/٥٦٠: عن ابن عمر قال: خلق الله أربعاً بيده: العرش وجنة عدن والقلم وآدم...

وقال الطبرى فى تفسيره: ١٨/٢: عن ميسرة قال: لم يخلق الله شيئاً غير أربعة أشياء: خلق آدم بيده، وكتب الألواح بيده، والتوراة بيده، وغرس عدناً بيده.

وقال البغوى فى معالم التنزيل ٤/٢٣٦:... وكتاب مسطور، قال الكلبى: هو ما كتب الله بيده لموسى من التوراة، وموسى يسمع صرير القلم.

وقال السيوطى فى الدر المنثور: ٣/٦: وأخرج ابن جرير عن أبي المخارق زهير بن سالم، قال قال عمر لكعب: ما أول شئ ابتداءه الله من خلقه فقال كعب: كتب الله كتاباً لم يكتبه بقلم ولا مداد، ولكن كتب بإصبعه يتلوها الزبرجد واللؤلؤ والياقوت: أنا الله لا إله إلا أنا

سبقت رحمتي غضبي.

وقال السيوطي في الدر المنثور: ٣/١٢١:

وأخرج الطبراني في السنة عن ابن عمر قال: خلق الله آدم بيده، وخلق جنه عدن بيده، وكتب التوراة بيده، ثم قال لسائر الأشياء كن فكان.

وأخرج أبو الشيخ عن عطاء قال: كتب الله التوراة لموسى بيده، وهو مسند ظهره إلى الصخرة يسمع صريف القلم في ألواح من زمرد، ليس بينه وبينه إلا الحجاب.

وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة قال: إن الله لم يمس شيئاً إلا ثلاثة: خلق آدم بيده، وغرس الجنة بيده، وكتب التوراة بيده.

وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن عكرمة قال: كتبت التوراة بأقلام من ذهب.

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد ابن حميد وابن المنذر عن حكيم بن جابر: قال أخبرت أن الله تبارك وتعالى لم يمس من خلقه بيده شيئاً إلا ثلاثة أشياء: غرس الجنة بيده، وجعل ترابها الورد والزعفران وجبالها المسك، وخلق آدم بيده، وكتب التوراة لموسى بيده.

وأخرج عبد بن حميد عن وردان بن خالد قال: خلق الله آدم بيده، وخلق جبريل بيده، وخلق القلم بيده، وخلق عرشه بيده، وكتب الكتاب الذي عنده لا يطلع عليه غيره بيده، وكتب التوراة بيده.

وأخرج أبو الشيخ عن ابن جريج قال: أخبرت أن الألواح من زبرجد ومن زمرد الجنة، أمر الرب تعالى جبريل فجاء بها من عدن وكتبها بيده، بالقلم الذي كتب به الذكر، واستمد الرب من نهر النور، وكتب به الألواح.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبيرة قال: كانوا يقولون كانت الألواح من ياقوتة، وأنا أقول إنما كانت من زبرجد وكتابتها الذهب، كتبها الله بيده فسمع أهل السموات صريف القلم.

وأخرج ابن المنذر عن مجاهد قال: كانت الألواح من زمرد أخضر، أمر الرب تعالى جبريل فجاء بها من عدن فكتب الرب بيده بالقلم الذي كتب به الذكر، واستمد الرب من نهر النور وكتب به الألواح.

وأخرج عبد بن حميد عن مغيث الشامي قال بلغني أن الله تعالى لم يخلق بيده إلا ثلاثة أشياء: الجنة غرسها بيده، وآدم خلقه بيده، والتوراة كتبها بيده.

كعب يدعى أن جنه عدن مسكن الله والأنبياء والخلفاء

روى السيوطي في الدر المنثور: ٤/٥٧:

عن الحسن البصري أن عمر قال لكعب: ما عدن؟ قال: هو قصر في الجنة لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حاكم عدل.

وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد (رض) قال: قرأ عمر (رض) على المنبر: جنات عدن، فقال: أيها الناس هل تدرون ما جنات عدن؟ قصر في الجنة له عشرة آلاف باب، على كل باب خمسة وعشرون ألفاً من الحور العين، لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد.

وروى في كنز العمال: ١٢/٥٦٠ و ٥٧٣:

عن الحسن قال: قال عمر بن الخطاب: حدثني يا كعب عن جنات عدن. قال: نعم يا أمير المؤمنين، قصور في الجنة لا يسكنها إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حاكم عدل. فقال عمر: أما النبوة فقد مضت لأهلها، وأما الصديقون فقد صدقت الله ورسوله: وأما الحكم العدل فإني أرجو الله أن لا أحكم بشيء إلا لم آل فيه عدلاً، وأما الشهادة فإني لعمر بالشهادة؟ ابن المبارك وأبو ذر الهروي في الجامع.

... عن كعب أن عمر بن الخطاب قال: أنشدك بالله يا كعب، أتجدني خليفة أم ملكاً؟ قال: بل خليفة. فاستحلفه، فقال كعب: خليفة والله، من خير الخلفاء، وزمانك خير زمان.

وروى في الدر المنثور: ٥/٣٤٧:

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة (رض)... في قوله تعالى: وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ، قال: إن عمر بن الخطاب (رض) قال: يا كعب ما عدن؟ قال: قصور من ذهب في الجنة يسكنها النبيون والصديقون وأئمة العدل.

وروى في الدر المنثور: ٦/٢٥٧:

... فقال عمر بن الخطاب عند ذلك: ألا تسمع يا كعب ما يحدثنا به ابن أم عبد عن أدنى أهل الجنة، ماله فكيف بأعلاهم؟! قال: يا أمير المؤمنين مالا- عين رأت ولا- أذن سمعت، إن الله كان فوق العرش والماء فخلق لنفسه داراً بيده فزينها بما شاء، وجعل فيها ما شاء من الثمرات والشراب، ثم أطبقها فلم يرها أحد من خلقه منذ خلقها، جبريل ولا غيره من الملائكة، ثم قرأ كعب: فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ.. الآية، وخلق دون ذلك جنتين فزينهما بما شاء وجعل فيهما ما ذكر من الحرير والسندس والإستبرق، وأراهما من شاء من خلقه من الملائكة، فمن كان كتابه في عليين نزل تلك الدار، فإذا ركب الرجل من أهل عليين في ملكه لم يبق خيمة من خيام الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه حتى أنهم ليستششقون ريحه ويقولون واهاً هذه الريح الطيبة، ويقولون لقد أشرف علينا اليوم رجل من أهل عليين. فقال عمر: ويحك يا كعب إن هذه القلوب قد استرسلت فاقبضها! فقال كعب: يا أمير المؤمنين إن لجهنم زفرة ما من ملك ولا نبي إلا يخبر لركبته، حتى يقول إبراهيم خليل الله: رب نفسي نفسي، وحتى لو كان لك عمل سبعين نبياً إلى عملك لظننت أن لن تنجو منها!

قال في معجم ما استعجم: ٢/٧٤:

(الحثمة) بفتح أوله وإسكان ثانيه: صخرات بأسفل مكة، بها ربيع عمر بن الخطاب، روى عنه مجاهد (أى عن عمر) أنه قرأ على المنبر (جنات عدن) فقال: أيها الناس، أتدرون ما جنات عدن؟ قصر في الجنة له خمسة آلاف باب، على كل باب خمسة وعشرون ألفاً من الحور العين، لا يدخله إلا نبي، وهنياً لصاحب القبر، وأشار إلى النبي (ص)، أو صديق وهنياً لآبى بكر وأشار إلى قبره، أو شهيد، وأنى لعمر بالشهادة؟ وإن الذى أخرجنى من منزلى بالحثمة قادر أن يسوقها إلى. انتهى.

هذا، وقد ضعف الذهبى فى ميزان الاعتدال: ٢/٩٨ زياد بن محمد الأنصارى أحد رواة هذا الحديث ولكن تضعيف هذا السند لا يعنى تضعيفهم للحديث لأنه روى عندهم بطرق أخرى ومضمونه عندهم صحيح. وقد تقدم توثيق الهيثمى لرواية السيوطى الثانية، وفى مشابهاتها صحيح عندهم. وسوف نذكر بقيتها فى تفسير قوله تعالى (عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) إن شاء الله. وقد تقدمت أحاديثهم فى أن الفردوس هو مسكن الله تعالى وبعض الخلفاء...

وروى الطبرى فى تفسيره: ١٥/٩٤:

عن أبى الدرداء، قال قال رسول الله (ص): إن الله يفتح الذكر فى ثلاث ساعات بقين من الليل فى الساعة الأولى منهن ينظر فى الكتاب الذى لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت، ثم ينزل فى الساعة الثانية إلى جنة عدن وهى داره التى لم ترها عين.. وهى مسكنه، ولا يسكن معه من بنى آدم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء.. ثم ينزل فى الساعة الثالثة إلى السماء الدنيا بروحه وملائكته. الخ.

وروى السيوطى فى الدر المنثور: ٤/٢٥٤:

أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه والحكم وصححه عن أبى أمامة، قال قال رسول الله (ص): سلوا الله الفردوس فإنها سره الجنة، وإن أهل الفردوس يسمعون أطيح العرش.

وأخرج البخارى ومسلم وابن أبى حاتم عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص): إذا سألت الله فاسأله الفردوس، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن.

وقال عبد الرزاق فى تفسيره: ٢/٣٧:

عن قتادة فى قوله: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، قال قال كعب: إن الله لم يخلق بيده إلا ثلاثة: خلق آدم بيده والتوراة بيده وغرس الجنة بيده، ثم

قال للجنة تكلمي فقالت: قد أفلح المؤمنون، لما علمت فيها من كرامة الله لاهلها. انتهى. ورواه الطبري في تفسيره: ١٨/٦. وفي مصادر اخواننا روايات كثيرة عن صحابة وتابعين مثل أبي هريرة وأبي الدرداء وقتادة وغيرهم، وأصلها كلها عن كعب ووهب وأمثالهما من اليهود.

نموذج من علم كعب بالله تعالى

الدر المنثور: ٤/٢٩٣:

سأل عمر كعباً عن آيات أول سورة الحديد فقال: معناها إن علمه بالأول كعلمه بالآخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن. انتهى. وهذا يدل على أن فكر كعب الأخبار سطحي وحشوي، لأن الآيات المسؤول عنها هي قوله تعالى (سَيَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) الحديد: ١ - ٣، وقد فسر كعب قوله تعالى (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ...) بأنه يعلم الأول والآخر!

و قال كعب وعمر: يفضل من ربه أو من عرشه أربع أصابع

مجمع الزوائد: ١/٨٣:

عن عمر (رض) أن امرأة أتت النبي (ص) فقالت: أدع الله أن يدخلني الجنة، فعظم الرب تبارك وتعالى وقال: إن كرسيه وسع السموات والأرض، وإن له أطيظاً كأطيظ الرجل الجديد إذا ركب من ثقله. رواه البزار ورجاله رجال الصحيح. وقال في مجمع الزوائد: ١٠/١٥٩: رواه أبو يعلى في الكبير ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن خليفة الهمداني وهو ثقة. ورواه في كنز العمال: ١٠/٣٧٣، وقال: (ع، وابن أبي عاصم، وابن خزيمة قط في الصفات، طب في السنة، وابن مردويه،). ونحوه في كنز العمال: ٢/٤٦٦، وقال: ابن مردويه خط / ونحوه في: ٦ ص ١٥٢ وقال الخطيب من طريق أبي إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الله بن خليفة الهمداني.

وقال السيوطي في الدر المنثور: ١/٣٢٨:

وأخرج عبد بن حميد وابن أبي عاصم في السنة والبزار وأبو يعلى وابن جرير وأبو الشيخ والطبراني وابن مردويه والضياء المقدسي في المختارة عن عمر أن امرأة أتت النبي (ص) فقالت أدع الله أن يدخلني الجنة، فعظم الرب تبارك وتعالى وقال: إن كرسيه وسع السموات والأرض، وإن له أطيظاً كأطيظ الرجل الجديد إذا ركب من ثقله، ما يفضل منه أربع أصابع. وقال الديلمي في فردوس الأخبار: ٣/٨٦:

عمر بن الخطاب: عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، حتى يسمع له أطيظ كأطيظ الرجل.

تاريخ بغداد: ١/٢٩٥:

عن عبد الله بن خليفة عن عمر بن الخطاب عن النبي (ص) في قوله تعالى: عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، قال: حتى يسمع أطيظ كأطيظ الرجل. وقال ابن الاثير في النهاية: ١/٥٤:

الأطيظ: صوت الأقتاب. وأطيظ الإبل: أصواتها وحنينها... أي أنه ليعجز عن حمله وعظمته، إذ كان معلوماً أن أطيظ الرجل بالراكب إنما يكون لقوة ما فوقه وعجزه عن احتماله.

وقال الديلمي في فردوس الأخبار: ١/٢١٩:

ابن عمر: إن الله عز وجل ملا عرشه يفضل منه كما يدور العرش أربعة أصابع بأصابع الرحمن عز وجل. انتهى.

ويلاحظ أنه جعل العرش أكبر من حجم الله تعالى بأربع أصابع مرة، وجعل الله تعالى أكبر من كرسيه بأربع أصابع بأصابع الرحمن مرة

أخرى، وبما أن آدم في رواياتهم مخلوق على صورة الله تعالى وطوله ستون ذراعاً وفي بعضها سبعون ذراعاً، فتكون إصبع الرحمن أكثر من متر! سبحانه وتعالى عما يصفون، ونبرأ إليه وإلى رسوله من هذه المقولات، وقد تقدم أكثر منها في فصل بازار الأحاديث...

و قالوا: نبي الله داود يمسك بقدم الله تعالى و هو أعبد من جميع الأنبياء

كنز العمال: ٢/٤٨٨:

من مسند عمر (رض). عن عمر قال: ذكر النبي (ص): يوم القيامة فعظم شأنه وشدته، قال ويقول الرحمن لداود عليه السلام: مر بين يدي، فيقول داود: يا رب أخاف أن تدحضني خطيئتي، فيقول: مر خلفي، فيقول: يا رب أخاف أن تدحضني خطيئتي، فيقول خذ بقدمي، فيأخذ بقدمه عز وجل فيمر، قال: فتلك الزلفي التي قال الله تعالى: وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ! انتهى. ورواه في كنز العمال: ٢/٤٨٨ ورواه الشوكاني في فتح القدير: ٤/٥٨٣ والسيوطي في الدر المنثور: ٥/٣٠٥ عن ابن مردويه.

الدر المنثور: ٥/٢٩٧:

وأخرج الديلمي عن عمر (رض) قال قال رسول الله (ص): لا ينبغي لأحد أن يقول إني أعبد من داود.

الدر المنثور: ٥/٣٠٥:

وأخرج عبد بن حميد عن السدي بن يحيى قال حدثني أبو حفص رجل قد أدرك عمر بن الخطاب أن الناس يصيهم يوم القيامة عطش وحر شديد، فينادى المنادى داود فيسقى على رؤوس العالمين، فهو الذي ذكر الله: وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ!

و قالوا: عمر أفضل من داود لأنه يصفح الله و يعاقبه

روى ابن ماجه في: ١/٣٨:

... عن سعيد بن المسيب، عن (أبي بن) كعب قال: قال رسول الله (ص): أول من يصفح الحق عمر، وأول من يسلم عليه، وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة! انتهى. ورواه الحاكم في المستدرک: ٣/٨٣.

عبدالله بن عمر يؤكد أحاديث أبيه

سنن ابن ماجه: ١/٦٥: قال ابن عمر: سمعت رسول الله (ص) يقول: يدني المؤمن من ربه يوم القيامة حتى يضع عليه كتفه.

تفسير الطبري: ١٢/١٤: عبد الله بن عمر: قال سمعت نبي الله (ص) يقول يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه كتفه..

تفسير الطبري: ٢٣/١١٩: عن ابن عمر قال: خلق الله أربعة بيده: العرش وعدن والقلم وآدم..

مصابيح البغوي: ٣/٤٩٧: عن ابن عمر أنه قال: قام رسول الله (ص)... ثم ذكر الدجال... تعلمون أنه أعور وأن الله ليس بأعور.

البعث والنشور للبيهقي/ ٢٥١: ... سمعت ابن عمر يحدث رفع الحديث إلى النبي (ص)... وأكرمهم على الله عز وجل من ينظر إلى وجهه غدوةً وعشيئاً.

كنز العمال: ١٤/٤٩٣: إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسريره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوةً وعشيئاً، ثم قرأ: وجوه يومئذ ناضرة ت، طب عن ابن عمر.

العقد الفريد: ٦/٢٠٨: ومن حديث عبد الله بن عمر قال: العرش مطوق بحية والوحى ينزل في السلاسل.

فردوس الأخبار للديلمي: ١/٢١٤: ابن عمر: إن الله عز وجل كلم موسى بمائة ألف وعشرين ألفاً وثلاثمائة وثلاث عشر كلمة، فكان الكلام من الله والاستماع من موسى فقال: أي رب أنت الذي تكلمني أم غيرك؟ قال الله عز وجل: يا موسى أنا أكلمك لا رسول بيني وبينك.

فردوس الأخبار للديلمى: ٣/٨٥: ابن عمر: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، يجلسنى معه على السرير.

فردوس الأخبار للديلمى: ٥/١٦٥: ابن عمر: لا تقبحوا الوجه فإن الله عز وجل خلق آدم على صورته.

فردوس الأخبار للديلمى: ٥/١٢٨: ابن عمر: وَجُودَةٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ، من البهاء والحسن ناظرة في وجه الله تعالى.

وقال المنذرى في الترغيب والترهيب: ٤/٥٠٧: روى عن ابن عمر: أكرم أهل الجنة على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشياً. وروى

نحوه في: ٤/٥٣٩ وص ٥٥١ وص ٥٥٢ وص ٥٥٣ وص ٥٥٦ ورواه الديلمى في فردوس الأخبار: ٥/٨٦ وص ١٢٥ وص ١٢٨.

وقال الديلمى في: ٣/٤٧٣: ابن عمر: لما كان في الليلة التي ولد فيها أبو بكر الصديق أقبل ربكم عز وجل على جنات عدن فقال: وعزتى

وجلالى لا أدخلك إلا من أحب هذا المولود.

من روايات أبي موسى الأشعري وابنه

قال السيوطى في الدر المنثور: ٤/٢٥٤:

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله (ص): الفردوس مقصورة الرحمن، فيها خيار الأنهار والأثمار.

وقال في الدر المنثور: ١/٣٢٧:

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ والبيهقى في الأسماء والصفات عن أبي موسى الأشعري قال: الكرسي موضع القدمين وله

أطيط كأطيط الرحل.

تفسير الطبرى: ٣/٧:

وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ... عن أبي موسى: قال الكرسي موضع القدمين. وعن السدى: والكرسي بين يدي العرش وهو موضع

قدميه.

صحيح البخارى: ٤ جزء ٨/١٨٥

عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه (أبي موسى الأشعري) عن النبي (ص) قال: جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من

ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن. انتهى. ورواه البخارى في: ٣:

جزء ٦/٥٦، وفي: ٤/٨٦، وفي: ٨/١٨٥ ومسلم: ١/١١٢ والدارمى: ٢/٣٣٣ ورواه أحمد: ٤/٤١١ كما في مسلم وكذا ابن ماجه: ١/٦٦

والحاكم: ٢/٣٩٢ والذهبي في سيره: ٨/٣٧٠.

ورواه أحمد في: ٤/٤١٦٢ وفيه (في جنة عدن وهذه الأنهار تشخب من جنة عدن ثم تصدع بعد ذلك أنهاراً).

وروى في: ٤/٤٠٠ وص ٤١١:

عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس الأشعري عن أبيه أن النبي (ص) قال: الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلاً، في كل زاوية

منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون، ورباً قال عفان لكل زاوية. انتهى. يعنى بالرب المسؤول عن أهله في كل زاوية من زوايا الخيمة!

وروى أحمد رواية تدل على أن المقصود كثرة النساء في تلك الدرّة الكروية الهائلة! قال في: ٤/٤١١: عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس

عن أبيه عن رسول الله (ص) أنه قال: في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة، عرضها ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخريين

يطوف عليهم (عليهن) المؤمن.

وروى أحمد روايات أخرى غير معقولة عن أبي موسى الأشعري في تجسيم الله تعالى والتكفير عن المسلمين المستحقين لدخول النار

بغيرهم! قال في: ٤/٤٠٨: عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله (ص): يجمع الله عز وجل الأمم في صعيد يوم

القيامة، فإذا بدا لله عز وجل أن يصدع بين خلقه، مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون، فيتبعونهم حتى يقحمونهم النار، ثم يأتينا ربنا عز وجل

ونحن على مكان رفيع فيقول: من أنتم؟ فنقول: نحن المسلمون. فيقول: ما تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا عز وجل. قال فيقول: وهل

تعرفونه إن رأيتموه؟

فيقولون: نعم. فيقول: كيف تعرفونه ولم تروه؟! فيقولون: نعم إنه لا عدل له.

فيتجلى لنا ضاحكاً فيقول: أبشروا أيها المسلمون فإنه ليس منكم أحد إلا جعلت مكانه في النار يهودياً أو نصرانياً!

وقال في: ٤/٤١٠ وص ٤١١ وص ٤١٨:

عن أبي موسى قال قال رسول الله (ص): إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل مؤمن رجل من أهل الملل، فقال له هذا فداؤك من النار! عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده أبي موسى قال قال رسول الله (ص): إن أمتي أمه مرحومه ليس عليها في الآخرة عذاب! إنما عذابها في الدنيا القتل والبلابل والزلازل! قال أبو النضر بالزلازل والقتل والفتن!

وروى أحمد عن أبي موسى في: ٤/٤١٤:

عن أسيد بن أبي أسيد عن موسى بن أبي موسى الأشعري عن أبيه أن النبي (ص) قال: الميت يعذب ببكاء الحي عليه، إذا قالت النائحة واعضداه واناصره واكاسباه، جبد الميت وقيل له: أنت عضدها أنت ناصرها أنت كاسبها؟ فقلت: سبحان الله يقول الله عز وجل: وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى! فقال: ويحك، أحدثك عن أبي موسى عن رسول الله (ص) وتقول هذا فينا كذب؟! فوالله ما كذبت على أبي موسى، ولا كذب أبو موسى على رسول الله (ص)!

وقال الديلمي في فردوس الأخبار: ٥/٣٦٨:

أبو موسى: يتجلى ربنا ضاحكاً يوم القيامة حتى ينظروا إلى وجهه فيخرون له سجداً فيقول: إرفعوا رؤوسكم فليس هذا يوم عبادة.

البعث والنشور للبيهقي ٢٦٢/:

سمعت أبا موسى الأشعري يخاطب على منبر البصرة يقول: إن الله عز وجل يبعث يوم القيامة ملكاً إلى أهل الجنة فيقول... قد بقي شيء إن الله يقول: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ، قال ألا إن الحسنى الجنة، وزيادة: النظر إلى وجه الله.

و قال الجرجاني وغيره: أطيب العرش فكرة يهودية

شرح المواقف للجرجاني: ٨/١٩:

المقصد الأول، أنه تعالى ليس في جهة من الجهات ولا في مكان من الأماكن، وخالف فيه المشبهة وخصصوه بجهة فوق اتفاقاً، ثم اختلفوا فيما بينهم فذهب أبو عبد الله محمد بن كرام إلى أن كونه في الجهة ككون الأجسام فيها، وهو أن يكون بحيث يشار إليه أنه هاهنا أو هناك، قال: وهو مما سأل للصفحة العليا من العرش ويجوز عليه الحركة والانتقال وتبدل الجهات، وعليه اليهود حتى قالوا العرش يسط من تحته أطيب الرجل الجديد تحت الركب الثقيل، وقالوا إنه يفضل على العرش من كل جهة أربعة أصابع، وزاد بعض المشبهة كمضر وكهمس وأحمد الهجيمي أن المخلصين من المؤمنين يعانقونه في الدنيا والآخرة! ومنهم من قال هو محاذ للعرش غير مما سأل له، فقيل بعده عنه بمسافة متناهية، وقيل بمسافة غير متناهية!!...

التجسيم في مصادر إخواننا من روايات الحاخامات

من أقدم النصوص وأوسعها انتشاراً في مصادر إخواننا قصة الحاخام اليهودي التي رواها أهل الصحاح بروايات عديدة عن عبد الله بن عمر، ومفادها أن هذا الحاخام جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وعرض عليه عقيدة التجسيم، فصدق النبي قوله وضحك له حتى بدت نواجذه صلى الله عليه وآله فقد روى البخاري في صحيحه: ٦/٣٣:

... عن عبد الله (رض) قال جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله (ص) فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر الخلائق على إصبع، فيقول أنا الملك، فضحك

النبي (ص) حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله (ص): وما قدروا الله حق قدره.

وروى في: ٨/١٧٣:

عن عبدالله أن يهودياً جاء إلى النبي (ص) فقال يا محمد إن الله يمسك السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والجبال على إصبع والشجر على إصبع والخلائق على إصبع، ثم يقول أنا الملك، فضحك رسول الله (ص) حتى بدت نواجذه، ثم قرأ: وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ. قال يحيى بن سعيد وزاد فيه فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبدالله فضحك رسول الله (ص) تعجباً وتصديقاً له.

... قال عبدالله جاء رجل إلى النبي (ص) من أهل الكتاب فقال: يا أبا القاسم إن الله يمسك السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر والثرى على إصبع والخلائق على إصبع، ثم يقول أنا الملك، أنا الملك فرأيت النبي (ص) ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قرأ: وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ.

صحيح البخارى: ٨/١٨٧:

... عن عبد الله قال جاء حبر إلى رسول الله (ص) فقال: يا محمد إن الله يضع السماء على إصبع والأرض على إصبع والشجر والأنهار على إصبع وسائر الخلق على إصبع ثم يقول بيده أنا الملك، فضحك رسول الله (ص) وقال: وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ. صحيح البخارى: ٨/٢٠٢:

... عن عبدالله (رض) قال جاء حبر من اليهود فقال: إنه إذا كان يوم القيامة جعل الله السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والماء والثرى على إصبع والخلائق على إصبع ثم يهزهن، ثم يقول أنا الملك أنا الملك، فلقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يضحك حتى بدت نواجذه تعجباً وتصديقاً لقوله، ثم قال النبي (ص): وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، إلى قوله يشركون. ورواه مسلم في: ٨/١٢٥ بعدة روايات منها بلفظ البخارى وفيها عبارة (وقال فلقد رأيت رسول الله (ص) ضحك حتى بدت نواجذه تعجباً لما قال تصديقاً له).

ورواه أحمد في مسنده: ١/٣٧٨ وص ٤٢٩ وص ٤٥٧ وذكر في جميع رواياته أن النبي صلى الله عليه وآله ضحك حتى بدت نواجذه تصديقاً لليهودى! انتهى. ورواه البغوى في معالم التنزيل: ٤/٨٧ وفي مصابيح: ٣/٥٢٣ والمراغى في تفسيره جزء ٢١/٣١ والصنعانى في تفسيره: ٢/٢٥٠ والأحاديث القدسية: ٢/٣٩ وأبو الشيخ في طبقات المحدثين: ١/٢٨٧.. وغيرهم.

ورواه الطبرى في تفسيره: ٢٤/١٨، بصيغته كأنها ابتداء من النبي صلى الله عليه وآله بدون ذكر لليهودى! قال: عن ابن عمر قال سمعت رسول الله (ص) يقول: يأخذ الجبار سمواته وأرضيه يمينه وقبض يده فجعل يقبضها ويبسطها ثم يقول أنا الجبار أنا الملك، أين الجبارون أين المتكبرون! قال ويميل رسول الله (ص) عن يمينه وعن شماله حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شئ منه، حتى أنى لأقول أساقط هو برسول الله (ص)!

نكتفى بهذا القدر من النصوص عن الخليفة عمر وابنه وأبى موسى الأشعرى وابنه، وهى أقدم من جميع نصوص الرؤية والتشبيه والتجسيم!

ومنها يتضح أن الخليفة عمر أول رائد فى هذا المجال، وأن كعب الأخبار هو أول مصدر يهودى بعد يهود المدينة تلقى منه الخليفة ومن أطاع الخليفة من المسلمين بشكل رسمى! وكان من أبرز المتأثرين بالخليفة ولده عبد الله وأبى موسى الأشعرى وولده أبى بكر. ثم جاء الذين من بعدهم فوجدوا طريقاً ممهداً فسلكوه، لأن فتح الخليفة عمر لهذا الباب لم يكن حدثاً عادياً، بل كان وضع أساس من صدر الإسلام لكل من جاء بعده، وفتح (قناة شرعية) بين نهر ثقافة أخبار اليهود ومكتوباتهم لتصب فى نهر الإسلام الصافى!

وقد نشطت قناة الخليفة عمر، وصارت مصدراً أساسياً لثقافة المسلمين فى عهد معاوية، وشرب الرواة وعلماء السلطة من أفكار كعب وجماعته، وشيدوا أبنيتهم بأحجارها! وهذه آثارها شاخصة فى مصادر المسلمين وصحاحهم!

ومن جهة سياسية فقد سببت هذه الأفكار اختلافات في الأمة وانقسامات وصراعات مريرة.. وحاول المؤرخون كعادتهم أن يبرئوا منها السلطة والخليفة ويتهموا بها المعارضة من أهل البيت وشيعتهم، لمجرد أنهم معارضة مكروهون!

ويطول البحث لو أردنا تعداد الذين رووا عن اليهود من رواة القرن الأول والثاني... ومن باب المثال نذكر ما قاله السبكي في طبقات الشافعية: ٩/٧٣ في رده على ابن تيمية: (... ثم أفاد المدعى (ابن تيمية) وأسند أن هذه المقالة مأخوذة من تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين. قال: فإن أول من حفظ عنه هذه المقالة: الجعد بن درهم، وأخذها عنه جهم بن صفوان، وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه، قال والجعد أخذها عن أبان بن سمران، وأخذها أبان من طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت من لبيد اليهودي الذي سحر النبي (ص). قال: وكان الجعد هذا فيما يقال من أهل حران.

فيقال له: أيها المدعى إن هذه المقالة مأخوذة من تلامذة اليهود، قد خالفت الضرورة في ذلك، فإنه ما يخفى على جميع الخواص وكثير من العوام أن اليهود مجسمة مشبهات، فكيف يكون ضد التجسيم والتشبيه مأخوذاً عنهم! انتهى.

ويسهل على الباحث أن يلاحظ أن بعض الأحاديث التي استدلت بها ابن تيمية وغيره من القائلين بالرؤية بالعين والتشبيه، هي نصوص يهودية أو نصرانية موجودة في مصادرهم، وبعضها الآخر يشم منها رائحة يهودية قوية!

ومن ذلك الحديثان اللذان أوردهما السبكي في مناقشته لابن تيمية، قال في طبقات الشافعية: ٩/٥٣: (حديث الرقية: ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك... حديث الأوعال: والعرش فوق ذلك كله والله فوق ذلك كله. فقد فهمه هذا المدعى (يقصد ابن تيمية) أن الله فوق العرش حقيقة. انتهى.

وحديث الأوعال هو الحديث الذي يدعى أن الله تعالى يجلس على عرشه وأن الحيوانات تحمل عرشه، تعالى الله عما يصفون، وستأتي رواياته في تفسير قوله تعالى: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى.

هذا وقد حاول بعض شراح البخاري ومسلم الدفاع عن النبي صلى الله عليه وآله وإثبات أنه لم يصدق الحاخام بل رد عقيدة اليهود في الله تعالى، ولكنهم ثاروا في وجههم!

قال في الأحاديث القدسية من الصحاح: ٢/٤٢:

قال القسطلاني: هذا من شديد الإشتباه وقد حمله بعضهم على أن اليهود مشبهة، وروى الحديث من غير واحد فلم يذكروا قوله (ص) إنه تعجب من قول الحبر تصديقاً لقوله بل ذكروا أنه (ص) تعجب من كذب اليهودي. انتهى. وذكر نحوه في إرشاد الساري: ١٠/٣٨٨ وقال:.... وهذه الأوصاف في حق الله تعالى محال. انتهى.

وقال النووي في شرح مسلم ٩ جزء ١٧/١٣٠:

قوله (ضحك رسول الله (ص) تعجباً مما قال الحبر تصديقاً له، ثم قرأ: وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ.. ظاهر الحديث أن النبي (ص) صدق الحبر في قوله إن الله تعالى يقبض السماوات والأرضين والمخلوقات بالأصابع. قال القاضي: وقال بعض المتكلمين ليس ضحكه (ص) وتعجبه تصديقاً للحبر، بل هو رد لقوله وإنكار تعجب من سوء اعتقاده، فإن مذهب اليهود التجسيم... انتهى. ونحوه في: ٩ جزء ١٧/١٣١ وفي: ٢/٤٦.

ولكن جمهور علماء إخواننا السنة لم يقبلوا هذه النقود العلمية لأنها رد لما صرح به البخاري ومسلم، فعصمه هذين الكتابين واجبة عندهم حتى من اشتباهات الرواة والنساج، وحتى لو استلزم ذلك تهمة النبي بتصديق اليهود في التجسيم! قال في الأحاديث القدسية من الصحاح: ٢/٤٣: قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: ما اتفق عليه الشيخان بمنزلة التواتر، وإن ضحك الرسول ليس إنكاراً... إن ما اتفق عليه الشيخان بمنزلة التواتر فلا ينبغي التجاسر على الطعن في ثقاة الرواة، ورد الأخبار الثابتة! انتهى.

وأمام ذلك التشدد تراجع القسطلاني في كتاب التوحيد: ١٠/٣٨٨ ونقل قول أبي عمر الصلاح وأيده! وقال جامع الأحاديث القدسية من الصحاح: ٢/٤٥: قال ابن فورك... وقد اشتد إنكار ابن خزيمة على من ادعى أن الضحك المذكور على سبيل الإنكار منه (ص)!

وهكذا أخذ أكثر علماء إخواننا السنة بحديث البخارى عن الحاخام، وشهدوا أن النبى أیده وصدقہ، وضحك له ضحكاً كثيراً شديداً من فرحه بهذا العلم العظيم على حد تعبير إمام الوهابية. ولكن عدداً منهم بقى يراوده الشك والتحير كيف يمكن أن يؤيد النبى صلى الله عليه وآله قول يهودى فى التجسيم، مع أن الآية التى قرأها النبى تدل على رده قول اليهودى.

الكوثرى يصعد درجات و لا يصل إلى لب الحقيقة

اقترب الشيخ محمد زاهد الكوثرى من الحقيقة، فاعترف بأن التشبيه والتجسيم انتقل إلى المسلمين من اليهود عن طريق رواة إخواننا السنة من التابعين ومن بعدهم، ولكنه لم ينفذ إلى لب الحقيقة، ولم يجرأ على نسبة ذلك إلى الصحابة الذين أخذوا هذه العقائد من اليهود وأدخلوها فى عقائد المسلمين.

قال فى مقدمته لكتاب الأسماء والصفات للبيهقى:

للمحدثين ورواة الأخبار منزلة عليا عند جمهرة أهل العلم، لكن بينهم من تعدى طوره وألف فيما لا يحسنه، فأصبح مجلبة العار لطائفته بالغ الضرر لمن يسايره ويتقلد رأيه! من هؤلاء غالب من ألف منهم فى صفات الله سبحانه، فدونك مرويات حماد بن سلمة فى الصفات تجدها تحتوى على كثير من الأخبار التالفة يتناقلها الرواة طبقه عن طبقه، مع أنه قد تزوج نحو مائة امرأة من غير أن يولد له ولد منهن، وقد فعل هذا الترواج والتكاح فى الرجل فعله بحيث أصبح فى غير حديث ثابت البنانى لا يميز بين مروياته الأصلية وبين مادسه فى كتبه أمثال ربيبه ابن أبى العوجاء وربيبه الآخر زيد المدعو بابن حماد، بعد أن كان جليل القدر بين الرواة قوياً فى اللغة، فضل بمروياته الباطلة كثير من بسطاء الرواة.

ويجد المطالع الكريم نماذج شتى من أخباره الواهية فى باب التوحيد من كتب الموضوعات المبسوطة، وفى كتب الرجال، وإن حاول أناس الدفاع عنه بدون جدوى، وشرع الله أحق بالدفاع من الدفاع عن شخص، ولا سيما عند تراكم التهم القاطعة لكل عذر.

فعلت مرويات نعيم بن حماد أيضاً مثل ذلك بل تحمسه البالغ أدى به إلى التجسيم كما وقع مثل ذلك لشيخ شيخه مقاتل بن سليمان تجد آثار الضرر الوييل فى مروياتهما فى كتب الرواة الذين كانوا يتقلدونهما من غير معرفة منهم لما هنالك، فدونك كتاب الإستقامة لخشيش بن أصرم، والكتب التى تسمى السنة لعبد الله وللخلال، ولأبى الشيخ، وللعسال، ولأبى بكر بن عاصم، وللطبرانى، والجامع، والسنة والجماعة لحرب بن إسماعيل السيرجاني، والتوحيد لابن خزيمة، ولابن مندة، والصفات للحكم بن معبد الخزاعي، والنقض لعثمان بن سعيد الدارمي، والشريعة للأجرى، والإبانة لابي نصر السجزي، ولابن بطة، ونقض التأويلات لأبى يعلى القاضى، وذم الكلام، والفاروق لصاحب منازل السائرين.. تجد فيها ما ينبذه الشرع والعقل فى آن واحد ولا سيما النقض لعثمان بن سعيد الدارمي السجزي المجسم فإنه أول من اجترأ من المجسمه بالقول إن الله لو شاء لاستقر على ظهر بعوضه فاستقلت به بقدرته، فكيف على عرش عظيم!! وتابعه الشيخ الحرانى (ابن تيمية) فى ذلك كما تجد نص كلامه فى غوث العباد المطبوع سنة ١٣٥١ بمطبعة الحلبي. وكم لهذا السجزي من طامات مثل إثبات الحركة له تعالى وغير ذلك! كم من كتب من هذا القبيل فيها من الأخبار الباطلة والآراء السافله ما الله به عليم، فاتسع الخرق بذلك على الراقع وعظم الخطب إلى أن قام علماء أمناء برأب الصدع نظراً ورواية وكان من هؤلاء العلماء الخطابى، وأبو الحسن الطبرى، وابن فورك، والحليمى، وأبو إسحاق الأسفراينى، والأستاذ عبد القاهر البغدادي، وغيرهم من السادة القادة الذين لا يحصون عدداً... انتهى.

نقول: مع شكرنا لمن تصدى لهذه التحريفات فى عقائد الإسلام.. فإن المشكلة مازالت قائمة فى مصادر إخواننا لكثرة أحاديث الرؤية والتشبيه والتجسيم فيها، وجلها إن لم يكن كلها يرجع مصدره إلى كعب الأحبار وزملائه وتلاميذهم ومن تأثر بهم مثل أبى هريرة وعكرمة ووهب ومقاتل والسفياين والحمادين ونعيم بن حماد.. الخ. فلا بد من فتح باب الاجتهاد فى الجرح والتعديل وقيام الدراسات النقدية الجادة لرواة أخبار الصفات.

وفيما يلي نقدم خلاصة أقوال علماء الجرح والتعديل في اثنين من قدماء الرواة ذكرهما الكوثري في كلامه، وهما: حماد بن سلمة، ونعيم بن حماد.

السفيان والحمادان

السفيانان والحمادان من كبار أئمة الحديث عند إخواننا السنين، بل هم شيوخ أئمة المذاهب سوى مالك، وكلهم من الفرس ماعدا سفيان الثوري الذي نسب إلى تميم طابخة! وقد ولد الثوري سنة ٩٧ ومات سنة ١٦١ ثم سفيان بن عيينة الرازي، أي الطهراني ولد سنة ١٠٧ وتوفي سنة ١٧٨، ثم حماد بن سلمة الفارسي أيضاً الذي توفي سنة ١٦٧ ثم حماد بن زيد الفارسي أيضاً الذي توفي سنة ١٧٩ كما في سير أعلام النبلاء للذهبي.

فالحمادان متعاصران ومتقاربان في السن، بل ذكر الكوثري أن حماد بن زيد هو ربيب حماد بن سلمة.. وقد حكم أهل الجرح بأن عقل ابن زيد أكبر من دينه، وأن دين ابن سلمة أكبر من عقله.

حماد بن سلمة

حماد بن سلمة الربيعي فارسي مولى ربيعة الجوع، أو ربيعة كلب، قال في إكمال الكمال: ٤/١٤٧:
وفي اللباب (ربيعة الجوع وهو ربيعة بن مالك بن زيد مائة، منهم حماد بن سلمة الربيعي مولاهم إمام مشهور) وذكر أيضاً ربيعة كلب (ربيعة بن حصن بن ضمضم بن عدى بن جناب بن هبل....)

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: ٧/٤٥٦:

حماد بن زيد بن درهم، العلامة، الحافظ الثبت، محدث الوقت، قال إبراهيم بن سعيد الجوهري: سمعت أبا أسامة يقول: كنت إذا رأيت حماد بن زيد قلت: أدبه كسرى، وفقهه عمر (رض).

قال الخليلي: سمعت عبد الله بن محمد الحافظ، سمعت أبا عبيد محمد بن محمد بن أخي هلال الرأي، سمعت هشام بن علي يقول: كانوا يقولون كان علم حماد بن سلمة أربعة دوانيق، وعقله دانتين، وعلم حماد بن زيد دانتين، وعقله أربعة دوانيق.
وقال المزني في تهذيب الكمال: ٧/٢٥١ عن حماد بن زيد:

وقال أبو حاتم بن حبان: كان ضريراً يحفظ حديثه كله، وكان درهم جده من سبي سجستان، وما كان يحدث إلا من حفظه، وقد وهم من زعم أن بينهما كما بين الدينار والدرهم، إلا أن يكون القائل أراد فضل ما بينهما مثل الدينار والدرهم في الفضل والدين، لأن حماد بن سلمة كان أفضل وأدين وأورع من حماد بن زيد، ولسنا ممن يطلق الكلام على أحد بالجزاف بل نعطي كل شيخ قسطه، وكل راو حظه، والله الموفق.

تهذيب التهذيب: ٣/١٠:

وقال أحمد بن حنبل: حماد بن زيد أحب إلينا من عبد الوارث. حماد من أئمة المسلمين من أهل الدين والإسلام، وهو أحب إلى من حماد بن سلمة.

ميزان الاعتدال: ٣/١٣٦:

وقال الذهلي: قلت لأحمد في علي بن عاصم فقال: كان حماد بن سلمة يخطئ، وأوماً أحمد بيده كثيراً، ولم نر بالرواية عنه بأساً.

ونحوه في سير أعلام النبلاء: ٩/٢٥٣ وفي تهذيب الكمال: ٢٠/٥١٠

سير أعلام النبلاء: ٥/٢٣٦:

قال أبو داود: سمعت أبا عبد الله أحمد يقول: حماد (بن أبي سليمان) مقارب الحديث، ما روى عنه سفيان وشعبة، ولكن حماد بن سلمة

عنده عنه تخليط.

الانساب: ١/١٢١:

الإمام أبو إسماعيل حماد بن زيد بن درهم الأزدي البصري المعروف بالأزرق...

وروى الذهبي في سير أعلام النبلاء: ٩/١١٤ أن حماد بن سلمة كان لا يحترم علم حماد بن زيد.. قال الذهبي: وروى عفان قال: كنا عند حماد بن سلمة، فأخطأ في حديث، وكان لا يرجع إلى قول أحد، فقيل له: قد خولفت فيه فقال: من؟ قالوا: حماد بن زيد فلم يلتفت، فقيل إن إسماعيل ابن عليه يخالفك، فقام ودخل ثم خرج، فقال: القول ما قال إسماعيل.

بعض روايات ابن سلمة في التشبيه والتجسيم

لسان الميزان: ١/٤٨٥:

أيوب بن عبد السلام، أبو عبد السلام، قال ابن حبان: كانه كان زنديقاً! يروى عن أبي بكره عن ابن مسعود رضى الله عنهما: إن الله إذا غضب انتفخ على العرش حتى يثقل على حملته. رواه حماد بن سلمة وكان كذاباً.
قلت، بس ما فعل حماد بن سلمة بروايه مثل هذا الضلال، فقد قال النبي (ص): كفى بالمرء إثماً إن يحدث بكل ما سمع، بل ولا أعرف له إسناداً عن حماد فيتأمل هذا، فإن ابن حبان صاحب تشنيع وتشغب. انتهى.
وكذا في ميزان الاعتدال: ١/٢٩٠ وفيه: ٥٩٠:

حماد بن سلمة، عن ثابت، عن ابن أبي ليلي، عن صهيب - مرفوعاً: للذين أحسنوا الحسنى وزيادة، قال: هي النظر إلى وجه الله.
حماد، عن ثابت، عن أنس أن النبي (ص) قرأ: فلما تجلى ربه للجبل، قال: أخرج طرف خنصره، وضرب على إبهامه، فساخ الجبل! فقال حميد الطويل لثابت: تحدث بمثل هذا! قال فضرب في صدر حميد وقال: يقوله أنس، ويقوله رسول الله (ص) وأكتمه أنا! رواه جماعة عن حماد (وصححه الترمذى).

إبراهيم بن أبي سويد، وأسود بن عامر، حدثنا حماد، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس - مرفوعاً: رأيت ربي جعداً أمرد عليه حلة خضراء.

وقال ابن عدى: حدثنا عبد الله بن عبد الحميد الواسطي، حدثنا النضر بن سلمة شاذان، حدثنا الأسود بن عامر، عن حماد، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس أن محمداً رأى ربه في صورة شاب أمرد دونه ستر من لؤلؤ قدميه أو رجليه في خضرة. وحدثنا ابن أبي سفيان الموصلي وابن شهريرار قالوا: حدثنا محمد بن رزق الله بن موسى، حدثنا الأسود بنحوه. وقال عفان: حدثنا عبد الصمد بن كيسان، حدثنا حماد، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي (ص)، قال: رأيت ربي. (ومثله في تذكرة الحفاظ: ٢/٥٩٦).

وقال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا الحسن بن يحيى بن كثير، حدثنا أبي، حدثنا حماد بنحوه. فهذا من أنكر ما أتى به حماد بن سلمة، وهذه الرؤية رؤية منام إن صحت... قال المرودي: قلت لأحمد: يقولون لم يسمع قتادة عن عكرمة فغضب وأخرج كتابه بسماع قتادة، عن عكرمة، في ستة أحاديث. ورواه الحكم بن أبان عن زيرك عن عكرمة. وهو غريب جداً....

وقال... في الموضوعات: ١/١٢٢ عن حديث (أخرج خنصره أو طرف خنصره): وهذا حديث لا يثبت. قال ابن عدى الحافظ: كان ابن أبي العوجاء ربيب حماد بن سلمة فكان يدس في كتبه هذه الأحاديث. ومثله في ١٠٠.

سير أعلام النبلاء: ٧/٤٥١:

وروى عبد العزيز بن المغيرة، عن حماد بن سلمة: أنه حدثهم بحديث نزول الرب عز وجل فقال: من رأيتموه ينكر هذا، فاتهموه....

وقال في ميزان الاعتدال: ١/٥٩٠:

الدولابي، حدثنا محمد بن شجاع الثلجي، حدثني إبراهيم بن عبد الرحمن بن مهدي، قال: كان حماد بن سلمة لا يعرف بهذه

الأحاديث يعنى التى فى الصفات حتى خرج مرة إلى عبادان فجاء وهو يرويهما، فلا أحسب إلا شيطاناً خرج إليه من البحر، فألقاها إليه! قال ابن الثلجى: فسمعت عباد بن صهيب يقول: إن حماداً كان لا يحفظ، وكانوا يقولون إنها دُست فى كتبه. وقد قيل: إن ابن أبى العوجاء كان ربيبه فكان يدس فى كتبه. قلت: ابن الثلجى ليس بمصدق على حماد وأمثاله، وقد اتهم. نسأل الله السلامة.

وفى تهذيب التهذيب: ٣/١١:

وقال الدولابى ثنا محمد بن شجاع البلخى حدثنى إبراهيم بن عبدالرحمن بن مهدي قال كان حماد بن سلمة لا يعرف بهذه الأحاديث التى فى الصفات حتى خرج مرة إلى عبادان فجاء وهو يرويهما! فسمعت عباد بن صهيب يقول: إن حماداً كان لا يحفظ وكانوا يقولون إنها دست فى كتبه. وقد قيل إن ابن أبى العوجاء كان ربيبه فكان يدس فى كتبه...

وحكى أبو الوليد الباجى فى رجال البخارى أن النسائى سئل عنه فقال ثقة. قال الحكم بن مسعدة فكلمته فيه فقال: ومن يجترئ يتكلم فيه لم يكن عند القطان هناك. ثم جعل النسائى يذكر الأحاديث التى انفرد بها فى الصفات كأنه خاف أن يقول الناس تكلم فى حماد من طريقها انتهى.

وهو يدل على ما ذكرناه من أن العوام يحبون التجسيم لأن المعبود المادى أسهل على أذهانهم، وقد كان ذلك عاملاً فى رواج سوق روايات التجسيم اليهودية، حتى أن أئمة المحدثين مثل النسائى يخاف أن يقولوا عنه إنه ضعف حماداً الروايات التجسيم!! سير أعلام النبلاء: ٥/٣١:

وروى جعفر بن أبى عثمان الطيالسى، عن يحيى بن معين قال: إذا رأيت إنساناً يقع فى عكرمه، وفى حماد بن سلمة، فاتهمه على الإسلام!

قلت: هذا محمول على الوقوع فيهما بهوى وحيف فى وزنهما، أما من نقل ما قيل فى جرحهما وتعديلهما على الإنصاف فقد أصاب، نعم إنما قال يحيى هذا فى معرض رواية حديث خاص فى رؤية الله تعالى فى المنام، وهو حديث يستنكر. وقد جمع ابن مندة فى جزء سماه: صحة حديث عكرمة.

حماد يروى أن النبى لا يحفظ القرآن

تهذيب الكمال: ٢/٢٦٧:

وقال حماد بن سلمة، عن ثابت، عن الجارود بن أبى سبرة، عن أبى بن كعب: أن رسول الله (ص) صلى بالناس فترك آية! فقال: أيكم أخذ على شيئاً من قراءتى؟ فقال أبى: أنا يا رسول الله، تركت آية كذا وكذا، فقال النبى (ص): قد علمت إن كان أحد أخذها على فإنك أنت هو!

وقال فى تهذيب الكمال: ٢/٢٦٨: رواه البخارى فى كتاب القراءة خلف الإمام عن أبى سلمة موسى بن إسماعيل، عن حماد. فوقع لنا بدلاً عالياً!

أخذ حماد القول بالجبر من شيخه وهب

ميزان الاعتدال: ٤/٣٥٣:

وروى حماد بن سلمة عن أبى سنان: سمعت وهب بن منبه يقول: كنت أقول بالقدر حتى قرأت بضعة وسبعين كتاباً من كتب الأنبياء فى كلها: من جعل لنفسه شيئاً على المشيئة فقد كفر، فتركت قولى انتهى. ومثله فى تهذيب الكمال: ٣١/١٤٧. ويقصد وهب بكتب الأنبياء: كتب بنى إسرائيل المنسوبة إلى الأنبياء.

ويقصد بعبارته التي نقلها من كتب اليهود: أن من يجعل للإنسان شيئاً من الإرادة في أفعاله فقد كفر! بل أفعاله كلها بما فيها المعاصي والجرائم من الله تعالى!! وبذلك رفع اليهود مسؤولية مخالفتهم لأنبيائهم وقتلهم إياهم عن عواتقهم، ونسبها إلى الله تعالى...!! وتبعهم في ذلك بعض المسلمين حذو القذة بالقذة!!

ربيه عبدالكريم بن أبي العوجاء

نذكر فيما يلي شيئاً عن ابن العوجاء ابن زوجة حماد الذي اتهموه بالبدس في أحاديثه، لكي تعرف خطورته.. قال في لسان الميزان: ٤/٥١:

عبد الكريم بن أبي العوجاء خال معن بن زائدة زنديق مغتر، قال أحمد بن عدي: لما أخذ ليضرب عنقه قال: لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرم فيه الحلال وأحلل الحرام!! قتله محمد بن سليمان العباسي الأمير بالبصرة. انتهى.

وذكر أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني عن جرير بن حازم: كان بالبصرة ستة من أصحاب الكلام: واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وبشار بن برد وصالح بن عبد القدوس وعبد الكريم بن أبي العوجاء ورجل من الأزد، فكانوا يجتمعون في منزل الأزد...

وفي تهذيب المقال: ٣/١٠١ ابن أبي العوجاء: هو عبد الكريم بن أبي العوجاء، أحد زنادقة عصر الإمام الصادق عليه السلام. كان من تلامذة الحسن البصري فأنحرف عن التوحيد، فقبل له تركت مذهب صاحبك ودخلت فيما لا أصل له ولا حقيقة! قال: إن صاحبي كان مخطئاً يقول طوراً بالقدر وطوراً بالجبر، فما أعلمه اعتقد مذهباً دام عليه.

قتله أبو جعفر محمد بن سليمان عامل البصرة من جهة المنصور. وكان خال معن بن زائدة. وقد جرى بينه وبين مولانا الصادق عليه السلام احتجاجات كثيرة... انتهى.

وتجد مناظرات الإمام الصادق عليه السلام وتلاميذه مع ابن أبي العوجاء وصاحبيه أبي شاعر الديصاني وعبد الله بن المقفع، وبقية أخباره ونشاطه في نشر الالحاد، في: الكنى والألقاب للقمي: ١/٢٠١، وفي إختيار معرفة الرجال للطوسي: ٢/٤٣٠، جامع الرواة للارديلي: ٢/١٦٠ و ٢٩٦ و ٤٣٨، والإحتجاج للطبرسي.. وغيرها.

عشرات الألوف من الأحاديث و مئات التلاميذ

تهذيب الكمال: ١٩/١٤٧:

وقال أبو حاتم: صدوق ثقة، روى عنه أحمد بن حنبل وكان عنده عن حماد بن سلمة تسعة آلاف حديث...!!

تهذيب الكمال: ٢٢/٨٩:

قال إسحاق بن سيار النصيبي: سمعت عمرو بن عاصم يقول: كتبت عن حماد بن سلمة بضعة عشر ألفاً! وكذا: ٧/٢٦٣ وفي سير أعلام النبلاء: ١٠/٢٥٧ و تهذيب التهذيب: ٨/٥٢.

وفي سير أعلام النبلاء: ٧/٤٤٦:

قال عمرو بن عاصم: كتبت عن حماد بن سلمة بضعة عشر ألفاً.

جعفر الطيالسي: سمعت عفان يقول: كتبت عن حماد بن سلمة بضعة عشر ألفاً.

وفي تهذيب الكمال: ٢٠/١٧٢:

وقال جعفر بن أبي عثمان الطيالسي: سمعت عفان يقول: يكون عند أحدهم حديث فيخرجه بالمقرع، كتبت عن حماد بن سلمة عشرة آلاف حديث ما حدثت منها بألفي حديث.

وقال علي بن سهل بن المغيرة: سمعت يحيى بن معين يقول: لى حانوت بباب الطاق وددت أن عفان قرأ عليّ كتب حماد بن سلمة

فأبيعه وأدفع ثمنه إليه.

سير أعلام النبلاء: ٩/٥٠٠:

قال علي بن المديني: كان عند يحيى بن زكريا عن حماد بن سلمة عشرة آلاف حديث!

تذكرة الحفاظ: ١/٢٠٢:

قال ابن المديني: كان عند يحيى بن زكريا عن حماد عشرة آلاف حديث.

وقال في الجرح والتعديل: ٣/١٤٠:

قال يحيى بن معين... وكان عند يحيى بن زكريا عن حماد بن سلمة عشرة آلاف حديث، وعن الثوري عشرة آلاف أو نحوه....

الجرح والتعديل: ١/٣٣٥:

حدثنا عبد الرحمن قال سمعت أبا زرعة يقول: كتبت عن أبي سلمة التبوذكي عشرة آلاف حديث، أما حديث حماد بن سلمة فعشرة آلاف حديث، وكنا نظن أنه يقرأ كما يقرأ قديماً فاستكتبنا الكثير، ومات فبقى علينا شيء نحو قوصرة فوهبت لقوم بالبصرة. انتهى. أي بقي من أحاديث التبوذكي تلميذ ابن حماد كيس كبير (خيشة)، وسيأتي أن أحمد بن حنبل روى عنه تسعة آلاف حديث! تهذيب التهذيب: ٣/١١:

البخاري في التعاليق ومسلم والاربعة: حماد بن سلمة بن دينار البصري أبو سلمة مولى تميم. ويقال مولى قريش وقيل غير ذلك. روى عن: ثابت البناني وقتادة وخاله حميد الطويل وإسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة وأنس بن سيرين وثمامة بن عبد الله بن أنس ومحمد بن زياد القرشي وأبي الزبير المكي وعبد الملك بن عمير وعبد العزيز بن صهيب وأبي عمران الجوني وعمرو بن دينار وهشام بن زيد بن أنس وهشام بن عروة ويحيى ابن سعيد الأنصاري وأيوب السختياني وخالد الحذاء وداود بن أبي هند وسليمان التيمي وسماك بن حرب وخلق كثير من التابعين فمن بعدهم.

وعنه: ابن جريج والثوري وشعبة وهم أكبر منه وابن المبارك وابن مهدي والقطان وأبوداود وأبو الوليد الطيالسي وأبوسلمة التبوذكي وآدم بن أبي إياس والأشيب وأسود بن عامر شاذان وبشر بن السري وبهز بن أسد وسليمان بن حرب وأبونصر الثمار وهديبة بن خالد وشيبان بن فروخ وعبيد الله العيشي وآخرون... انتهى. وقد أورد الذهبي في سير أعلام النبلاء: ٧/٤٤٤ عدداً أكبر من شيوخه وتلاميذه. تهذيب التهذيب: ١٠/٢٩٤:

دعس (أبي داود والنسائي في مسند علي) مهناً بن عبد الحميد أبوشبل ويقال أبو سهل البصري. روى عن حماد بن سلمة، وعنه أحمد بن حنبل.

كان مفتى البصرة و له مسجد و يلزم تلاميذه بالكتابة عنه

تهذيب التهذيب: ٣/١٤:

وحماد من أجله المسلمين وهو مفتى البصرة، وقد حدث عنه من هو أكبر منه سنّاً. ونحوه في ميزان الاعتدال: ١/٥٩٠.

ميزان الاعتدال: ١/٦٠٨:

حمزة بن واصل البصري... قلت: هو صاحب حديث المرأة البيضاء بطوله، رواه الدارقطني في كتاب الرؤية من طريق محمد بن سعيد القرشي، حدثنا حمزة بن واصل المنقري، وكان يلزم مسجد حماد بن سلمة، وحماد أمرنا أن نكتب عنه.. تذكرة الحفاظ: ١/٢٠٢:

قال أبو داود لم يكن لحماد بن سلمة كتاب إلا كتاب قيس بن سعد... ومثله في سير أعلام النبلاء: ٧/٤٤٤.

الانساب: ٢/٣٥٦:

قلت: وعباد أيضاً ليس بشيء وقد قال أبو داود لم يكن لحمد بن سلمة كتاب غير كتاب قيس بن سعد يعني كان يحفظ علمه.
وقال عبد الله بن أحمد عن أبيه: ضاع كتاب حماد عن قيس بن سعد وكان يحدثهم من حفظه.
سير أعلام النبلاء: ١١/٩٩:

وقال ابن عدى: سمعت أبا يعلى وسئل عن هذب وشيبان أيهما أفضل فقال: هذب أفضلهما وأوثقهما وأكثرهما حديثاً، كان حديث حماد بن سلمة عنده نسختين: واحدة على الشيوخ، وأخرى على التصنيف.

و مع هذا وثقه إخواننا وغالوا فيه

إكمال الكمال: ٢/١٨٥:

وفى المشتبه: فقيه العصر أبو حنيفة الخزاز، وإمام المحدثين حماد بن سلمة...
ميزان الاعتدال: ١/٥٩٠:

حماد بن سلمة بن دينار الإمام العلم، أبو سلمة البصرى... وقال ابن المدينى: من سمعتموه يتكلم فى حماد فاتهموه.
وقال رجل لعفان: أحدثك عن حماد قال: من حماد ويلك! قال: ابن سلمة. قال: ألا تقول أمير المؤمنين....
تهذيب الكمال: ١٩/١٤٧:

قال أبو طالب، عن أحمد بن حنبل: صدوق فى الحديث... روى عنه أحمد بن حنبل وكان عنده عن حماد بن سلمة تسعة آلاف حديث...!
تهذيب الكمال: ٧/٢٦١:

وقال شهاب بن المعمر البلخى: كان حماد بن سلمة يعد من الأبدال، وعلامة الأبدال أن لا يولد لهم! تزوج سبعين امرأة فلم يولد له.
انتهى. وكذا فى أنساب السمعانى: ٢/٣٥٦.

ولم أجد فيما راجعت من كتب الجرح والتعديل أنه تزوج نحو مئة امرأة كما ذكر العلامة الكوثرى، وإن كانت السبعين أكثر من ثلثي المئة!
تذكرة الحفاظ: ١/٢٠٢:

شهاب بن معمر كان حماد بن سلمة يعد من الأبدال.

وقال فى الجرح والتعديل: ٣/١٤٠:

نا سعيد بن أبى سعيد اليربوعى قال سئل أحمد بن حنبل عن حماد بن سلمة فقال: صالح... المدينى: لم يكن فى أصحاب ثابت أثبت من حماد بن سلمة... عن يحيى بن معين قال: حماد بن سلمة ثقة.
سير أعلام النبلاء: ٧/٤٤٤:

حماد بن سلمة بن دينار، الإمام القدوة، شيخ الإسلام، أبو سلمة البصرى، النحوى، السبازى، الخرقى، البطائنى، مولى آل ربيعة بن مالك....

وقال حجاج بن منهال: حدثنا حماد بن سلمة، وكان من أئمة الدين.

قال أبو عبد الله الحاكم: قد قيل فى سوء حفظ حماد بن سلمة، وجمعه بين جماعة فى الإسناد بلفظ واحد، ولم يخرج له مسلم فى الأصول إلا من حديثه عن ثابت، وله فى كتابه أحاديث فى الشواهد عن غير ثابت....

قال أحمد بن حنبل: إذا رأيت من يغمزه، فاتهمه فإنه كان شديداً على أهل البدع، إلا أنه لما طعن فى السن ساء حفظه، فلذلك لم يحتج به البخارى، وأما مسلم فاجتهد فيه وأخرج من حديثه عن ثابت، مما سمع منه قبل تغييره، وما عن غير ثابت فأخرج نحو اثني عشر

حديثاً في الشواهد دون الإحتجاج، فالإحتياط أن لا يحتج به فيما يخالف الثقات....

قال أبو القاسم البغوي: حدثني محمد بن مطهر قال: سألت أحمد بن حنبل فقال: حماد بن سلمة عندنا من الثقات، ما نزداد فيه كل يوم إلا بصيرة.

قال أبو سلمة التبوذكي: مات حماد بن سلمة وقد أتى عليه ست وسبعون سنة.

وقال ابن سعد: أخبرني أبو عبد الله التميمي قال: أخبرني أبو خالد الرازي، عن حماد بن سلمة قال: أخذ إياس بن معاوية بيدي وأنا غلام فقال: لا- تموت حتى تقص، أما إنني قد قلت هذا لخالك يعني حميد الطويل، فما مات حماد حتى قص. قال أبو خالد قلت لحماد: أنت قصصت قال: نعم.

قلت: القاص هو الواعظ.

قال علي بن عبد الله: قلت ليحيى: حملت عن حماد بن سلمة إملاء. قال: نعم، إملاء كلها، إلا شيئاً كنت أسأله عنه في السوق، فأتحفظ. قلت ليحيى: كان يقول: حدثني وحدثنا قال: نعم، كان يجيء بها عفواً، حدثني وحدثنا... انتهى.

أقول: ينبغي للباحث أن يتوقف عند فرائس إياس بن معاوية بأن حماداً قصاص، وأن فراسته قد تحققت في حماد! فالقصاص في القرون الأولى له مواصفات محددة، ومن أولها أن يعرف الإسرائيليات ويقصها على الناس.. ولا بد أن حمادا كان صاحب بضاعة كبيرة من الإسرائيليات، وأين هي... إلا في مروياته!

تذكرة الحفاظ: ١/٢٠٢:

حماد بن سلمة بن دينار الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو سلمة الربيعي مولاهم البصري... وقال وهيب: حماد بن سلمة سيدنا وأعلمنا. وقال أحمد بن حنبل: حماد بن سلمة أعلم الناس بثابت البناني وأثبتهم في حميد... قلت: هو أول من صنف التصانيف... وقيل إن حماد بن سلمة تزوج سبعين امرأة ولم يولد له ولد. وعن حمد بن حنبل قال: إذا رأيت الرجل ينال من حماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام. مناقب حماد يطول شرحها...

و احترامه البخارى و روى عنه و لم يكتفوا بذلك

مع أن البخارى ترجم لحماد في تاريخه الكبير: ٣/٢٢ بكل احترام، وروى عنه في صحيحه، ولكن المتعصبين لحماد هاجموا البخارى لماذا لم يحتج بحماد فيما خالف فيه الثقات! وقد دافع بعضهم عن البخارى!

قال في الموضوعات: ١/٣٤: وإنما اشترط البخارى ومسلم الثقة والاشتهار وقد تركا أشياء كثيرة تركها قريب وأشياء لا وجه لتركها، فمما ترك البخارى الرواية عن حماد بن سلمة مع علمه بثقته لأنه قيل له إنه كان له ريب يدخل في حديثه ما ليس منه.

تهذيب الكمال: ٧/٢٦٦:

يعرض ابن حبان هنا بمحمد بن اسماعيل البخارى صاحب الصحيح، وقد رد ابن حبان على البخارى رداً قوياً في مقدمته صحيحه ١١٤ - ١١٧ بسبب عدم تخريجه له.

الأنساب للسمعاني: ٢/٣٥٦:

ولم ينصف من جانب حديثه واحتج بأبي بكر بن عياش في كتابه وبابن أخى الزهرى وبعبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، فإن كان تركه إياه لما كان يخطئ غيره من أقرانه مثل الثورى وشعبة ودونهما كانوا يخطئون، فإن زعم أن خطأه قد كثر من تغير حفظه فقد كان ذلك في أبي بكر بن عياش موجوداً، وأنى يبلغ أبو بكر حماد بن سلمة، ولم يكن من أقران حماد بالبصرة مثله في الفضل والدين والعلم والنسك والجمع والكتبة والصلابة في السنة والقمع لأهل البدعة، ولم يكن مثله في أيامه معتزلى قدرى جهمى لما كان يظهر من السنن الصحيحة التى ينكرها المعتزلة، وأنى يبلغ أبو بكر بن عياش حماد بن سلمة فى إتقانه أم فى جمعه أم فى ضبطه. هذا كله

كلام أبي حاتم بن حبان البستي.

... واعتذر أبو الفضل بن طاهر عن ذلك لما ذكر أن مسلماً أخرج أحاديث أقوام ترك البخاري حديثهم، قال: وكذلك حماد بن سلمة إمام كبير لمدحه الأئمة وأطبوا لما تكلم بعض منتحلي المعرفة أن بعض الكذبة أدخل في حديثه ما ليس منه. لم يخرج عنه البخاري معتمداً عليه، بل استشهد به في مواضع ليبين أنه ثقة، وأخرج أحاديثه التي يرويها من حديث أقرانه كشعبة وحماد بن زيد وأبي عوانة وغيرهم.

ومسلم اعتمد عليه لأنه رأى جماعة من أصحابه القدماء والمتأخرين لم يختلفوا وشاهد مسلم منهم جماعة وأخذ عنهم. ثم عدالة الرجل في نفسه وإجماع أئمة أهل النقل على ثقته وأمانته!!

نعيم بن حماد

التاريخ الكبير: ٨/١٠٠:

نعيم بن حماد المروزي سكن مصر كنيته أبو عبد الله سمع ابن المبارك وابن عيينة والفضل بن موسى، هو الفارض....
الجرح والتعديل: ٨/٤٤٣:

نعيم بن حماد وكنيته أبو عبد الله المروزي الخزاعي الأعمور المعروف بالفارض سكن مصر روى عن عبد المؤمن بن خالد... مات سنة ثمان وعشرين ومئتين...

بعض مناكيره وروايته في التجسيم

ميزان الاعتدال: ٢/١٠٢:

نعيم بن حماد، حدثنا عبد الرحيم بن زيد العمي، عن أبيه، عن سعيد بن المسيب، عن عمر - مرفوعاً: سألت ربي فيما اختلف فيه أصحابي من بعدى، فأوحى الله إلي: يا محمد إن أصحابك عندي بمنزلة النجوم بعضهم أضوأ من بعض، فمن أخذ بشئ مما هم عليه من اختلافهم فهو عندي على هدى. فهذا باطل، وعبد الرحيم تركوه، ونعيم صاحب مناكير.

ميزان الاعتدال: ٤/٢٤٨:

قال أبو داود: كان عند نعيم بن حماد نحو عشرين حديثاً عن النبي (ص)، ليس لها أصل. وقال النسائي: هو ضعيف.

وقال أبو زرعة الدمشقي: عرضت على دحيم حديثاً حدثناه نعيم بن حماد، عن الوليد بن مسلم، عن ابن جابر، عن ابن أبي زكريا، عن رجاء بن حياء، عن النواس بن سمعان: إذا تكلم الله بالوحي.... فقال دحيم: لا أصل له.

نعيم بن حماد، حدثنا ابن وهب، حدثنا عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال، عن مروان بن عثمان، عن عمارة بن عامر، عن أم الطفيل أنها سمعت النبي (ص) يقول: رأيت ربي في أحسن صورة شاباً موقراً رجلاً في خضرة عليه نعلان من ذهب. قال أبو عبد الرحمن النسائي: ومن مروان حتى يصدق على الله تعالى! وقد سرد ابن عدى في الكامل جملة أحاديث انفرد بها نعيم...

سير أعلام النبلاء: ١٣/٢٩٩:

عن ابن قتيبة: وما أحسن قول نعيم بن حماد، الذي سمعناه بأصح إسناد عن محمد بن إسماعيل الترمذي، أنه سمعه يقول: من شبه الله بخلقه، فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه، فقد كفر، وليس ما وصف به نفسه ولا رسوله تشبيهاً.

قلت: أراد أن الصفات تابعة للموصوف، فإذا كان الموصوف تعالى: صفاته لا مثل لها، إذ لا فرق بين القول في الذات والقول في الصفات، وهذا هو مذهب السلف. انتهى.

وهكذا يدافع الذهبي عن تشبيه ابن حماد وتجسيمه، وقد صحح خبر أم الطفيل كما ستري!

تهذيب التهذيب: ١٠/٤٠٩:

وقال صالح بن محمد الأسدي في حديث شعيب عن الزهري كان محمد بن جبير يحدث عن معاوية في: الأمراء من قريش، والزهري إذا قال كان فلاين يحدث فليس هو سماع. قال: وقد روى هذا الحديث نعيم بن حماد عن ابن المبارك عن معمر عن الزهري عن محمد بن جبير عن معاوية نحوه وليس لهذا الحديث أصل من ابن المبارك! ولا أدري من أين جاء به نعيم! وكان نعيم يحدث من حفظه وعنده مناكير كثيرة لا يتابع عليها. قال: وسمعت يحيى بن معين سئل عنه فقال ليس في الحديث بشيء ولكنه صاحب سنة. وقال الآجري عن أبي داود عند نعيم نحو عشرين حديثاً عن النبي (ص) ليس لها أصل. وقال النسائي نعيم ضعيف، وقال في موضع آخر ليس بثقة... وقال غيره: كان يضع الحديث في تقوية السنة!! وحكايات في ثلب أبي حنيفة كلها كذب.... وقال أبو الفتح الأزدي: قالوا كان يضع الحديث في تقوية السنة!! وحكايات مزورة في ثلب أبي حنيفة كلها كذب... قال النسائي ضعيف...

سير أعلام النبلاء: ١٠/٥٩٥:

قال عبد الخالق بن منصور: رأيت يحيى بن معين كأنه يهجن نعيم بن حماد في خبر أم الطفيل في الرؤية ويقول: ما كان ينبغي له أن يحدث بمثل هذا...

فأما خبر أم الطفيل، فرواه محمد بن إسماعيل الترمذي وغيره، حدثنا نعيم، حدثنا ابن وهب، أخبرنا عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال أن مروان بن عثمان حدثه عن عمارة بن عامر، عن أم الطفيل امرأة أبي بن كعب: سمعت رسول الله (ص) يذكر أنه رأى ربه في صورة كذا. فهذا خبر منكر جداً، أحسن النسائي حيث يقول: ومن مروان بن عثمان حتى يصدق على الله! وهذا لم ينفرد به نعيم، فقد رواه أحمد بن صالح المصري الحافظ، وأحمد بن عيسى التستري، وأحمد بن عبد الرحمن بن وهب، عن ابن وهب. قال أبو زرعة النصري: رجاله معروفون.

قلت: بلا ريب قد حدث به ابن وهب وشيخه وابن أبي هلال وهم معروفون عدول، فأما مروان، وما أدراك ما مروان، فهو حفيد أبي سعيد بن المعلى الأنصاري، وشيخه هو عمارة بن عامر بن عمرو بن حزم الأنصاري. ولئن جوزنا أن النبي (ص) قاله، فهو أدري بما قال!! ولرؤياه في المنام تعبير لم يذكره عليه السلام، ولا نحن نحسن أن نعبره، فأما أن نحمله على ظاهره الحسي، فمعاذ الله أن نعتقد الخوض (!) في ذلك بحيث إن بعض الفضلاء قال: تصحف الحديث، وإنما هو: رأى رثية، بياء مشددة. وقد قال علي (رض): حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون. وقد صح أن أبا هريرة كتم حديثاً كثيراً مما لا يحتاجه المسلم في دينه، وكان يقول: لو بثتته فيكم لقطع هذا البلعوم، وليس هذا من باب كتمان العلم في شيء، فإن العلم الواجب يجب بثه ونشره ويجب على الأمة حفظه، والعلم الذي في فضائل الأعمال مما يصح إسناده يتعين نقله ويتأكد نشره، وينبغي للأمة نقله، والعلم المباح لا يجب بثه ولا ينبغي أن يدخل فيه إلا خواص العلماء!! انتهى.

فقد صحح الذهبي حديث أم الطفيل وفسره بالظاهر الحسي المادي، ثم حيد عدم الخوض فيه! وهذا هو مذهبه ومذهب ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب، كما بينا في كتاب الوهابية والتوحيد.

وقال ابن كثير في تفسيره، في قوله تعالى: ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الْأَعْرَافِ: ٥٤: بل الأمر كما قال الأئمة، منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري: من شبه الله بخلقه فقد كفر. ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر. وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه! قال السبكي الكبير في السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل - ومعه تكملة الرد على نونية ابن القيم للكوثري - مكتبة زهران بمصر. وابن زفيل هو ابن القيم وزفيل اسم أبيه الذي كان قيماً للمدرسة الجوزية وهي مدرسة للحنابلة بدمشق فعرف باسم ابن قيم الجوزية. قال في ٢٠٥:

ومما يزيدك بصيرة في هذا الباب اجترأ الذهبي على حذف لفظ (إن صحت الحكاية عنه) من كلام البيهقي في الأسماء والصفات

(٣٠٣/) عندما نقل كلامه في كتاب العلو (١٢٦/) في صدد نسبة القول بأن الله في السماء إلى أبي حنيفة ليخيل إلى السامع أن سند هذه الرواية لا مغمز فيه!

مع أن نوحاً الجامع ربيب مقاتل بن سليمان المجسم في السند هالك مثل زوج أمه، وكذلك نعيم بن حماد ربيب نوح وقد ذكره كثير من أئمة أصول الدين في عداد المجسمة! فأين التعويل على رواية مجسم فيما يحتج به لمذهبه؟! وليس بقليل ما ذكره الذهبي في حقهما في ميزان الاعتدال..

و مع ذلك وثقوا نعيماً لأنه صلب في السنة

سير أعلام النبلاء: ١٠/٥٩٥:

نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث بن همام بن سلمة بن مالك، الإمام العلامة الحافظ، أبو عبد الله الخزاعي المروزي الفرضي الأعمور... روى عنه: البخاري مقروناً بآخر، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه بواسطة، ويحيى بن معين، والحسن بن علي الحلواني، وأحمد بن يوسف السلمي، ومحمد بن يحيى الذهلي، ومحمد بن عوف، والرمادي، وأبو محمد الدارمي، وسمويه، وأبو الدرداء عبدالعزيز بن منيب، وعبيد بن شريك البزار، وأبو حاتم، ومحمد بن إسماعيل الترمذي، ويعقوب الفسوي، وأبو الأحوص العكبري، وبكر بن سهل الدماطي، وخلق...

تهذيب التهذيب: ١٠/٤٠٩:

روى عنه البخاري مقروناً وروى له الباقون سوى النسائي بواسطة... وقال الميموني عن أحمد: أول من عرفناه يكتب المسند نعيم. وقال الخطيب يقال إنه أول من جمع المسند.

وقال عبد الله بن أحمد عن أبيه: كان نعيم كاتباً لأبي عصمة وهو شديد الرد على الجهمية وأهل الأهواء ومنه تعلم نعيم بن حماد... وقال أيضاً: ثنا الحسن بن سفيان ثنا عبدالعزيز بن سلام حدثني أحمد بن ثابت أبو يحيى سمعت أحمد ويحيى بن معين يقولان: نعيم معروف بالطلب ثم ذمه بأنه يروى عن غير الثقات....

قال ابن عدى وابن حماد متهم فيما يقوله عن نعيم لصلابته في أهل الرأي وأورد له ابن عدى أحاديث مناكير وقال: وليعلم غير ما ذكرت. وقد أثنى عليه قوم وضعفه قوم وكان أحد من يتصلب في السنة.

تهذيب التهذيب: ١٠/٤١١:

قال عبد الغني بن سعيد المصري: كل من حدث به عن عيسى بن يونس غير نعيم بن حماد فإنما أخذه من نعيم. وبهذا الحديث سقط نعيم عند كثير من أهل العلم بالحديث إلا أن يحيى بن معين لم يكن ينسبه إلى الكذب بل كان ينسبه إلى الوهم... وذكره ابن حبان في الثقات وقال ربما أخطأ ووهم... أما نعيم فقد ثبتت عدالته وصدقه ولكن في حديثه أوهام معروفة... قال فيه الدارقطني إمام في السنة كثير الوهم. وقال أبو أحمد الحاكم ربما يخالف في بعض حديثه وقد مضى أن ابن عدى يتبع ما وهم فيه، فهذا فصل القول فيه. هامش سير أعلام النبلاء: ١٩/٥٠٥:

هو نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي نزيل مصر، مشهور من الحفاظ، لقيه البخاري ولكنه لم يخرج عنه في الصحيح سوى موضع أو موضعين، وعلق له أشياء أخرى، وروى له مسلم في المقدمة موضعاً واحداً، وأصحاب السنن إلا النسائي، وكان أحمد يوثقه، وكذا في رواية عن ابن معين، وسئل عنه ابن معين فقال: ليس في الحديث بشيء ولكنه صاحب سنة، وقال الاجري عن أبي داود: عند نعيم نحو عشرين حديثاً عن النبي (ص) ليس لها أصل، وقال النسائي: نعيم ضعيف، وقال في موضع آخر: ليس بثقة، وقال الحافظ أبو علي النيسابوري: سمعت النسائي يذكر فضل نعيم بن حماد وتقدمه في العلم والمعرفة بالسنن، فقيل له في قبول حديثه، فقال: قد كثر تفرده عن الأئمة فصار في حد من لا يحتج به. وقال ابن قاسم: كان صدوقاً وهو كثير الخطأ، وله أحاديث منكراً

(في الملاحم) انفراد بها. وقال الدارقطني: إمام في السنة كثير الوهم.

مكانة المشبهين والمجسمين في مصادر السنين

المشبهون سادة في التاريخ و مصادر السنة

لا نحتاج إلى إثبات احترام مصادر إخواننا السنة لأهل التشبيه والتجسيم، بعد أن كشفنا أن التشبيه والتجسيم دخل إلى المسلمين من كعب الأخبار وجماعته، عن طريق أكبر شخصيات الدولة الإسلامية، وبذلك شقت أحاديثه طريقها إلى مصادرهم، فصارت جزء من عقائد الأمة وتاريخها، وتأثر بها علماء وجماهير! وتحقق قول النبي صلى الله عليه وآله عن تقليد المسلمين لليهود والنصارى: حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل!

إنه بحث مفيد أن يتتبع الباحث مجرى هذه الأحاديث وتأثيرها على حياة الأمة الفكرية والاجتماعية والسياسية، ويؤرخ لقصة التجسيم والمجسمين ابتداء من كعب الأخبار.. إلى.. عصرنا، وما سببته من انقسامات في الأمة وصراعات، وحروب وخسارات.. ونكتفى هنا بلقطات من عصور مختلفة يظهر منها احترام أكثر المصادر وأكثر الحكام للتجسيم والمجسمين.

وهب بن منبه: فارسي، يهودي، مجسم محترم و شيخ للمحدثين

روى عنه الصنعاني في تفسيره كثيراً من أفكار التوراة والتلمود في التجسيم، منها في: ١/٢١٦: عن وهب بن منبه... لما أكل آدم وحواء من الشجرة بدت لهما سواتهما دخل آدم في جوف الشجرة فناداه ربه أين أنت يا آدم؟ قال: ها هنا يا رب.

قال: ألا تخرج؟

قال: أستحي منك يا رب!

فقال: ملعونة الأرض التي خلقت منها!

ورواه الطبري مفصلاً في تاريخه: ١/٧٢، وروى عنه أنواعاً من الإسرائيليات تكفي للتدليل على أن ثقافته وهب يهودية تلمودية، فمما رواه في تاريخه: ١/٣٣٧: عبد الصمد بن معقل عن وهب بن منبه قال: لما سلمت بنو إسرائيل الملك لطالوت أوحى الله إلى نبي بني إسرائيل أن قل لطالوت فليغز أهل مدين فلا يترك فيها حياً إلا قتله، فإني سأظهره عليهم، فخرج بالناس حتى أتى مدين فقتل من كان فيها إلا ملكهم فإنه أسره وساق مواشيهم.

فأوحى الله إلى أشمويل: ألا- تعجب من طالوت إذ أمرته بأمره فأختل فيه فجاء بملكهم أسيراً وساق مواشيهم، فلقه فقل له لأنزعن الملك من بيته ثم لا يعود فيه إلى يوم القيامة، فإني إنما أكرم من أطاعني وأهين من هان عليه أمرى.

فلقيه فقال له: ما صنعت لم جئت بملكهم أسيراً، ولم سقت مواشيهم!

قال: إنما سقت المواشي لأقربها.

قال له أشمويل: إن الله قد نزع من بيتك الملك ثم لا يعود فيه إلى يوم القيامة!

فأوحى الله إلى أشمويل إنطلق إلى إيشى فيعرض عليك بنه فادهن الذي أمرك بدهن القدس يكن ملكاً على بني إسرائيل! فانطلق حتى أتى إيشى فقال: إعرض عليّ بنيك.

فدعا إيشى يأكبر ولده فأقبل رجل جسيم حسن المنظر، فلما نظر إليه أشمويل أعجبه، فقال الحمد لله إن الله بصير بالعباد، فأوحى الله إليه: إن عينيك تبصران ما ظهر، وإنني أطلع على ما في القلوب ليس بهذا.

فقال ليس بهذا، إعرض على غيره فعرض عليه ستة، في كل ذلك يقول ليس بهذا إعرض على غيره، فقال هل لك من ولد غيرهم؟ فقال بلى لى غلام أمغر وهو راع فى الغنم.

قال أرسل إليه، فلما أن جاء داود جاء غلام أمغر فدهنه بدهن القدس، وقال لأبيه: أكتم هذا فإن طالوت لو يطلع عليه قتله! فسار جالوت فى قومه إلى بنى إسرائيل فعسكر، وسار طالوت بنى إسرائيل وعسكر وتهيؤوا للقتال فأرسل جالوت إلى طالوت: لم يقتل قومى وقومك؟ أبرز لى أو أبرز لى من شئت، فإن قتلتك كان الملك لى وإن قتلتنى كان لك، فأرسل طالوت فى عسكره صائحاً من يبرز لجالوت.. ثم ذكر قصة طالوت وجالوت وقتل داود إياه وما كان من طالوت إلى داود. انتهى.

وقد قبل الطبرى هذه الرواية فقال: قال أبو جعفر: وفى هذا الخبر بيان أن داود قد كان الله حول الملك له قبل قتله جالوت وقبل أن يكون من طالوت إليه ما كان من محاولته قتله، وأما سائر من روينا عنه قولاً فى ذلك فإنهم قالوا إنما ملك داود بعد ما قتل طالوت وولده.

وروى الطبرى فى تاريخه عن وهب أيضاً: ١/٣٤٣:

ابن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول: إن داود أراد أن يعلم عدد بنى إسرائيل كم هم، فبعث لذلك عرفاء ونقباء وأمرهم أن يرفعوا إليه ما بلغ عددهم، فعتب الله عليه ذلك وقال:

قد علمت أنى وعدت إبراهيم أن أبارك فيه وفى ذريته حتى أجعلهم كعدد نجوم السماء وأجعلهم لا يحصى عددهم، فأردت أن تعلم عدد ما قلت إنه لا يحصى عددهم، فاختروا بين أن أتليكم بالجوع ثلاث سنين أو أسلط عليكم العدو ثلاثة أشهر أو الموت ثلاثة أيام!

فاستشار داود فى ذلك بنى إسرائيل فقالوا ما لنا بالجوع ثلاث سنين صبر، ولا بالعدو ثلاثة أشهر، فليس لهم بقيه، فإن كان لا بد فالموت بيده لا بيد غيره.

فذكر وهب بن منبه أنه مات منهم فى ساعته من نهار ألوف كبيرة لا يدرى ما عددهم!

فلما رأى ذلك داود شق عليه ما بلغه من كثرة الموت فتبتل إلى الله ودعاه فقال:

يا رب أنا آكل الحماض وبنو إسرائيل يضرسون! أنا طلبت ذلك فأمرت به بنى إسرائيل فما كان من شئ فى واعي عن بنى إسرائيل. فاستجاب الله له ورفع عنهم الموت، فرأى داود الملائكة سالين سيوفهم يغمدها يرتقون فى سلم من ذهب من الصخرة إلى السماء، فقال داود: هذا مكان ينبغى أن يبنى فيه مسجد.

فأراد داود أن يأخذ فى بنائه فأوحى الله إليه أن هذا بيت مقدس وأنتك قد صبغت يدك فى الدماء فلست ببانيه، ولكن ابن لك أملكه بعدك أسميه سليمان أسلمه من الدماء، فلما ملك سليمان بناه وشرفه!

وروى عنه المزى فى تهذيب الكمال: ٢٠/٣٣:

وقال حنظلة بن أبى سفيان، عن عروة بن محمد: لما استعملت على اليمن قال لى أبى: أوليت اليمن قلت: نعم. قال: إذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك وإلى الأرض أسفل منك ثم أعظم خالقهما. وقال سماك بن الفضل: كنت عند عروة بن محمد جالساً وعنده وهب بن منبه فأتى بعامل لعروة فشكى، فأكثروا عليه فقالوا: فعل وفعل وثبتت عليه البيئه. قال: فلم يملك وهب نفسه فضربه على قرنه بعصا فإذا دماؤه تشخب وقال: أفى زمن عمر بن عبد العزيز تصنع مثل هذا! قال: فاشتهاها عروة وكان حليماً واستلقى على قفاه وضحك وقال: يعيب علينا أبو عبد الله الغضب فى حكمته وهو يغضب! فقال وهب: وما لى لا أغضب وقد غضب خالق الاحلام! إن الله تعالى يقول: فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ، يقول: أغضبونا. انتهى.

أقول: حاول وهب أن يستدل على نسبة الغضب إلى الله تعالى بالآية ففسر

(آسفونا) بأن الله تعالى يغضب كغضب البشر، ولكن أصل الغضب الإلهى فى رأس وهب هو الغضب التلمودى الذى قال عنه الدكتور

أحمد شلبي في مقارنة الأديان: ١/٢٦٧:

يروى التلمود أن الله ندم لما أنزله باليهود وبالهيكل، ومما يرويه التلمود على لسان الله قوله: تب لى لانى صرحت بخراب بيتى وإحراق الهيكل ونهب أولادى. وليست العصمة من صفات الله فى رأى التلمود، لأنه غضب مرة على بنى إسرائيل فاستولى عليه الطيش، فحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية، ولكنه ندم على ذلك بعد أن هدأ غضبه، ولم ينفذ قسمه لأنه عرف أنه فعل فعلاً ضد العدالة. وترجم السمعاني لوهب فى الانساب بكل احترام فقال فى: ٣/١١:

وأبو عبد الله وهب بن منبه بن كامل بن سبيح بن سبسان الذمارى من أبناء فارس، كان ينزل دمار، يروى عن جابر بن عبد الله وابن عباس رضى الله عنهم وأخيه همام بن منبه، وكان عابداً فاضلاً، قرأ الكتب ومكث أربعين سنة يصلى الصبح بوضوء العشاء الآخرة، وهم أخوة خمسة: وهب وهمام وغيلان وعقيل ومعقل والد عقيل بن معقل، روى عنه عمرو بن دينار والمغيرة بن حكيم وعوف الأعرابى وسماك بن الفضل والمنذر بن النعمان وبكار وعبد الصمد بن معقل، وسئل أبو زرعة عن وهب بن منبه فقال: يمانى ثقة... الخ.

وترجم له الذهبى فى ميزان الاعتدال كما يترجم لثقة الرواة فقال فى: ٤/٣٥٢:

وهب بن منبه أبو عبد الله اليماني، صاحب القصص، من أخبار علماء التابعين، ولد فى آخر خلافة عثمان، حديثه عن أخيه همام فى الصحيحين. وروى عن ابن عباس، وعبد الله بن عمرو، وروى عنه عمرو بن دينار وعوف الأعرابى وأقاربه. وكان ثقة صادقاً، كثير النقل من كتب الإسرائيليات. قال العجلي: ثقة تابعى، كان على قضاء صنعاء. انتهى. وماذا يقول الباحث أمام حقيقة: حديثه فى الصحيحين... كثير النقل من كتب الإسرائيليات! وترجم له كذلك فى سيره: ٤/١ فقال:

وهب بن منبه بن كامل بن سبيح بن ذى كبار، وهو الأسوار، الإمام العلامة الأخبارى القصصى، أبو عبد الله الأناوى اليماني الذمارى الصنعاني، أخو همام بن منبه، ومعقل بن منبه، وغيلان بن منبه. مولده فى زمن عثمان سنة أربع وثلاثين، ورحل وحج، وأخذ عن ابن عباس، وأبى هريرة إن صح وأبى سعيد، والنعمان بن بشير، وجابر، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص على خلاف فيه وطاووس. حتى إنه ينزل ويروى عن عمرو بن دينار، وأخيه همام، وعمرو بن شعيب وفتح اليماني ولا يدري من فتح. حدث عنه ولده: عبد الله وعبد الرحمن، وعمرو بن دينار، وسماك بن الفضل، وعوف الأعرابى، وعاصم بن رجاء بن حيوة، ويزيد بن يزيد بن جابر، وعبد الله بن عثمان بن خثيم، وإسرائيل أبو موسى، وهمام بن نافع أبو عبد الرزاق، والمغيرة بن حكيم، والمنذر بن النعمان، وابن أخيه عقيل بن معقل، وابن أخيه عبد الصمد بن معقل، وسبطه إدريس بن سنان، وصالح بن عبيد، وعبد الكريم بن حوران، وعبد الملك بن خلع، وداود بن قيس، وعمران بن هريرة أبو الهذيل، وعمران بن خالد الصنعانيون، وخلق سواهم. وروايته للمسند قليلة، وإنما غزارة علمه فى الإسرائيليات، ومن صحائف أهل الكتاب.

قال أحمد: كان من أبناء فارس له شرف، قال: وكل من كان من أهل اليمن له ذى هو شريف، يقال: فلان له ذى، وفلان لا ذى له. قال العجلي: تابعى ثقة، كان على قضاء صنعاء.. وقال أبو زرعة والنسائي: ثقة.

قال أحمد بن محمد بن الأزهر: سمعت سلمة بن همام بن مسلمة بن همام يذكر عن آبائه: أن هماماً ووهبا وعبد الله ومعقلاً ومسلمة بنو منبه أصلهم من خراسان، من هراء، فمنبه من أهل هراء، خرج أيام كسرى، وكسرى أخرجه من هراء، ثم إنه أسلم على عهد النبى (ص) فحسن إسلامه. ومسكنهم باليمن، وكان وهب بن منبه يختلف إلى هراء، ويتفقد أمر هراء.

حسان بن إبراهيم: حدثنا يحيى بن زبان، أنبأنا عبد الله بن راشد، عن مولى لسعيد بن عبد الملك: سمعت خالد بن معدان يحدث عن عبادة بن الصامت، سمع النبى (ص) يقول: سيكون فى أمتى رجلان: أحدهما يقال له وهب، يؤتاه الله الحكم، والآخر يقال له غيلان، هو أشد على أمتى من إبليس. سئل ابن معين عن ابن زبان وشيخه فقال: لا أعرفهما....

وعن عبدالرزاق، عن أبيه، عن وهب قال: يقولون عبدالله بن سلام كان أعلم أهل زمانه، وإن كعباً أعلم أهل زمانه، أفرايت من جمع علمهما، أهو أعلم أم هما، إسنادها مظلم.

وعن كثير، أنه سار مع وهب، فباتوا بصعدة عند رجل، فخرجت بنت الرجل فرأت مصباحاً، فاطلع صاحب المنزل فنظر إليه صافاً قدميه...

وقال ابن كثير كلاماً ناعماً حول إسرائيليات كعب ووهب كما في سير أعلام النبلاء في ترجمة وهب:

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره، فيه (كعب الأخبار) وفي وهب بن منبه: سامحهما الله تعالى فيما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل من الأوابد والغرائب والعجائب، مما كان ومما لم يكن، ومما حرف وبدل ونسخ. انتهى. والدعاء لهما بالمسامحة والمغفرة شيء، ومعالجة آثار عدوانهما من مصادر المسلمين شيء آخر.

مقاتل بن سليمان البلخي، مجسم و شيخ ابن حماد و أستاذ للمفسرين

قال ابن حبان في المجروحين: ٣/١٤:

مقاتل بن سليمان الخراساني مولى الأزدي، أصله من بلخ وانتقل إلى البصرة وبها مات بعد خروج الهاشمية، كنيته أبو الحسن، كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم، وكان شَبْهياً يشبه الرب بالمخلوقين، وكان يكذب مع ذلك في الحديث.

أخبرنا عمرو بن محمد قال: حدثنا محمد بن حبال قال: حدثنا عمر بن عبدالغفار: سمعت سفيان بن عيينة وذكر عنده مقاتل بن سليمان فقال: كنت أتيتُه سرّاً فقلت له: إن الناس يزعمون أنك لم تسمع من الضحاك، فقال: لقد كان يغلق على وعليه باب واحد.

سمعت إبراهيم بن محمد بن يوسف قال: سمعت الخضر بن حيان سمعت يحيى بن نصر بن حاجب: سمعت أبا حنيفة يقول: يا أبا يوسف إحذر صنفين من خراسان: الجهمية والمقاتلية.

سمعت ابن خزيمة يقول سمعت علي بن خشرم يقول سمعت وكيعاً يقول: لقينا مقاتل بن سليمان كان كذاباً....

أخبرنا عمرو بن محمد قال: حدثنا محمد بن عبد بن حميد قال: حدثنا ابن أبي شيبه وهو عثمان قال: حدثنا جرير عن مغيرة بن عبدالرحمن قال: العجب لقوم يكون ذلك فيهم رأساً يعني مقاتل بن سليمان. أخبرناه الحسين بن صالح بن حمويه بهمدان قال: حدثنا عبدالعزيز بن منيب قال: حدثنا أبو معاوية النحوي قال: حدثنا خارجة قال: سمعت الكلبي يقول: ما قتلت مسلماً ولا معاهداً ولو رأيت مقاتل بن سليمان حيث لا يكون بيني وبينه أحد لتقربت بدمه إلى الله عز وجل.

وقال الرازي في الجرح والتعديل: ٨/٣٥٤:

ثنا عبد الرحمن قال ذكره أبي نا محمود بن غيلان قال سئل وكيع عن مقاتل بن سليمان فقال: سمعنا منه والله المستعان.

نا عبد الرحمن نا العباس بن الوليد بن مزيد البيروتي سمعت بعض مشيختنا يقول: جلس مقاتل بن سليمان في مسجد بيروت فقال: لا تسألوني عن شيء ما دون العرش إلا أنأتكم عنه، فقال الأوزاعي لرجل: قم إليه فسله ما ميراثه من جدته، فحار ولم يكن عنده جواب، فما بات فيها إلا ليلة ثم خرج بالغداء.

نا عبدالرحمن نا صالح بن أحمد بن حنبل قال قال أبي: مقاتل بن سليمان صاحب التفسير ما يعجبني أن أروى عنه شيئاً.

نا عبد الرحمن نا محمد بن سعيد المقرئ قال: سئل عبد الرحمن يعني ابن الحكم بن بشير عن مقاتل بن سليمان فقال: كان قاصاً، ترك الناس حديثه.

وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب: ١٠/٢٤٩:

وروى عن الشافعي أن وجوه الناس عيال على مقاتل في التفسير!

وقال نعيم بن حماد: رأيت عند ابن عيينة كتاباً لمقاتل فقلت: يا أبا محمد تروى لمقاتل في التفسير! قال لا، ولكن أستدل به

وأستعين....

وقال مكى بن إبراهيم عن يحيى بن شبل قال لى عباد بن كثير: ما يمنعك من مقاتل؟ قلت: إن أهل بلادنا كرهوه، فقال: لا تكرهه فما بقى أحد أعلم بكتاب الله تعالى منه.

وقال القاسم بن أحمد الصفار: قلت لإبراهيم الحربى ما بال الناس يطعنون على مقاتل؟ قال: حسداً منهم له....

وكان يقص فى الجامع فوقت العصبية بينه وبين جهم فوضع كل واحد منهما كتاباً على الآخر ينقض عليه....

وقال محمد بن سماعه عن أبى يوسف عن أبى حنيفة: أفرط جهم فى النفى حتى قال إنه ليس بشئ، وأفرط مقاتل فى الإثبات حتى جعل الله تعالى مثل خلقه... وقال عبد الله ابن أبى القاضى الخوارزمى سمعت إسحاق بن إبراهيم الحنظلى يقول: أخرجت خراسان ثلاثة لم يكن لهم فى الدنيا نظير يعنى فى البدعة والكذب، جهم ومقاتل وعمر بن صبح.

وقال ابن حجر فى تهذيب التهذيب: ١٠/٢٥١:

وقال أبو إسماعيل الترمذى عن عبد العزيز بن عبد الله الأوسى قال: حدثنا مالك بن أنس أنه بلغه أن مقاتل بن سليمان جاءه إنسان فقال له: إن إنساناً جاءنى فسألنى عن لون كلب أصحاب الكهف فلم أدر ما أقول له، فقال له: ألا قلت أبقع، فلو قلته لم تجد أحداً يرد عليك!!....

وقال أحمد بن سيار المروزى: كان من أهل بلخ وتحول إلى مرو وخرج إلى العراق فمات بها، وهو متهم متروك الحديث مهجور القول، وكان يتكلم فى الصفات بما لا يحل ذكره....

وقال العباس بن الوليد بن مزيد عن أبيه: سألت مقاتل بن سليمان عن أشياء فكان يحدثنى بأحاديث كل واحد ينقض الآخر! فقلت: بأيتها؟ قال: بأيتها شئت!

الذهبي فى ميزان الاعتدال: ٤/١٧٣:

مقاتل بن سليمان البلخى المفسر أبو الحسن. روى عن مجاهد، والضحاك، وابن بريده. وعنه حرمى بن عماره، وعلى بن الجعد، وخلق.

قال ابن المبارك: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة....

وترجم له الذهبى فى سيره باحترام أكثر فقال فى: ٧/٢٠١:

مقاتل كبير المفسرين أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخى. يروى عن مجاهد والضحاك وابن بريده وعطاء وابن سيرين وعمرو بن شعيب وشرحبيل بن سعد والمقبرى والزهرى، وعدة. وعنه: سعد بن الصلت، وبقية، وعبدالرزاق، وحرمى بن عماره، وشبابه، والوليد بن مزيد، وخلق آخرهم على بن الجعد.

قال ابن المبارك وأحسن: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة!... انتهى.

ويبدو للباحث من مراجعة كتب إخواننا فى الجرح والتعديل أن كفة تكذيب مقاتل هى الراجحة عندهم، ولكن جرح الجارحين ليس هو المقياس العملى، بل المقياس هو مصادرهم التفسيرية وغيرها المليئة بأراء مقاتل، والمؤلم أنهم ينقلونها كأنها مسلمات السلف الصالح، بل كأنها أحاديث نبوية شريفة!

يزيد بن هارون من شيوخ الإمام أحمد

سير أعلام النبلاء: ٩/٣٥٨ - ٣٦٢:

يزيد بن هارون بن زاذى، الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو خالد السلمى مولاهم الواسطى الحافظ. مولده فى سنة ثمان عشرة ومئة....

وكان رأساً فى العلم والعمل، ثقة حجة، كبير الشأن.

حدث عنه: بقيه بن الوليد مع تقدمه، وعلى بن المديني، وأحمد بن حنبل....

يقال: إن أصله من بخارى.

قال علي بن المديني: ما رأيت أحفظ من يزيد بن هارون.

وقال زياد بن أيوب: ما رأيت ليزيد كتاباً قط، ولا حدثاً إلا حفظاً.

قال أبو حاتم الرازي: يزيد ثقة إمام، لا يسأل عن مثله.

وقال مؤمل بن يهاب: سمعت يزيد بن هارون يقول: ما دلست حديثاً قط إلا حديثاً واحداً عن عوف الأعرابي، فما بورك لي فيه.

عن عاصم بن علي قال: كنت أنا ويزيد بن هارون عند قيس بن الربيع، فأما يزيد، فكان إذا صلى العتمه، لا يزال قائماً حتى يصلى

الغداة بذلك الوضوء نيفاً وأربعين سنة....

قلت: احتفل محدثو بغداد وأهلها لقدوم يزيد، وازدحموا عليه لجلالته وعلو إسناده... العباس بن عبد العظيم، وأحمد بن سنان، عن شاذ

بن يحيى، سمع يزيد بن هارون يقول: من قال القرآن مخلوق، فهو زنديق... وقد كان يزيد رأساً في السنه معادياً للجهميه، منكرأ

تأويلهم في مسأله الإستواء. انتهى.

ومعناه أنه كان يرفض تفسير الآيه بالاستواء المعنوي، ويفسرها بالقعود الحسي لله تعالى على العرش!!

السمناني المجسم رئيس الأشعريه

قال الذهبي في سيره: ١٧/٦٥١:

السمناني العلامة قاضي الموصل، أبو جعفر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد السمناني الحنفي. حدث عن نصر المرجي وعلي بن

عمر الحربى وأبى الحسن الدارقطنى، وجماعه. ولازم ابن الباقلانى حتى برع فى علم الكلام.

قال الخطيب: كتبت عنه، وكان صدوقاً فاضلاً حنفياً، يعتقد مذهب الأشعري، وله تصانيف.

قلت: كان من أذكيا العالم وقد ذكره ابن حزم فقال: هو أبو جعفر السمناني المكفوف، هو أكبر أصحاب أبى بكر الباقلانى ومقدم

الأشعريه فى وقتنا، ومن مقالته قال: من سمى الله جسماً من أجل أنه حامل لصفاته فى ذاته فقد أصاب المعنى وأخطأ فى التسميه

فقط....

توفى أبو جعفر بالموصل سنه أربع وأربعين وأربع مئه وله ثلاث وثمانون سنه. تخرج به فى العقليات القاضى أبو الوليد الباجى، وغيره.

انتهى.

ومن العجيب أن الأشاعره والمجسمه يتهمون الشيعة بالتجسيم لمجرد أن هشاماً بن الحكم قال للمعتزله تقولون إنه شىء لا كالأشياء

فلماذا لاتقولون إنه جسم لا كالأجسام!

الامام الدارمى المجسم

سير أعلام النبلاء: ١٠/١٩٩:

المريسي المتكلم المناظر البارع أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبى كريمه العدوى مولاهم البغدادي المريسي، من موالى آل زيد

بن الخطاب (رض) كان بشر من كبار الفقهاء، أخذ عن القاضى أبى يوسف، وروى عن حماد بن سلمه وسفيان بن عيينه. ونظر فى

الكلام فغلب عليه وانسلخ من الورع والتقوى، وجرّد القول بخلق القرآن ودعا إليه حتى كان عين الجهميه فى عصره وعالمهم فمقته

أهل العلم، وكفره عدة... ذكره النديم وأظنّب فى تعظيمه وقال: كان دينا ورعاً متكلماً. ثم حكى أن البلخى قال: بلغ من ورعه أنه كان

لا يظأ أهله ليلاً مخافه الشبهه، ولا يتزوج إلا من هى أصغر منه بعشر سنين مخافه أن تكون رضيعته.

وكان جهماً له قدر عند الدولة، وكان يشرب النبيذ... وصنف كتاباً في التوحيد... وكتاب الرد على الرافضة في الإمامة.... قلت: وقع كلامه إلى عثمان بن سعيد الدارمي الحافظ، فصنف مجلداً في الرد عليه... فيه بحوث عجيبة مع المريسي، يبالغ فيها في الإثبات والسكوت عنها، أشبه بمنهج السلف في القديم والحديث. وقال الشيخ محمد حامد الفقى: إنه أتى فيه ببعض ألفاظ دعاه إليها عنف الرد وشدة الحرص على إثبات صفات الله وأسمائه التي كان يبالغ بشر المريسي وشيعته في نفيها، وكان الأولى والأحسن أن لا يأتي بها، وأن يقتصر على الثابت من الكتاب والسنة الصحيحة كمثل الجسم والمكان والحيز، فإننى لا أوافق عليه ولا أستجيز إطلاقها، لأنها لم تأت في كتاب الله ولا في سنة صحيحة.

أبو العباس السراج وإسحاق الحنظلي إمامان مجسمان

قال الذهبي في سيره: ١١/٣٧٦:

قال أبو العباس السراج: سمعت إسحاق الحنظلي يقول: دخلت على طاهر بن عبد الله بن طاهر وعنده منصور بن طلحة، فقال لي منصور: يا أبا يعقوب تقول: إن الله ينزل كل ليلة قلت: تؤمن به، إذا أنت لا تؤمن أن لك في السماء رباً لا تحتاج أن تسألني عن هذا. فقال له طاهر الأمير: ألم أنهك عن هذا الشيخ: قال أبو داود السجستاني: سمعت ابن راهويه يقول: من قال لا أقول مخلوق ولا غير مخلوق، فهو جهمي.

وورد عن إسحاق أن بعض المتكلمين قال له: كفرت برب ينزل من سماء إلى سماء. فقال: آمنت برب يفعل ما يشاء....

وقال في سيره: ١٤/٣٩٦:

أخبرنا إسماعيل بن إسماعيل في كتابه، أخبرنا أحمد بن تميم اللبلي بعلبك أخبرنا أبو روح بهراء، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليجي، أخبرنا أحمد بن محمد الخفاف، حدثنا أبو العباس السراج إملاء قال: من لم يقر بأن الله تعالى يعجب ويضحك وينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول من يسألني فأعطيه، فهو زنديق كافر، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه، ولا يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين....

و صار ابن عقيل شيخ الحنابلة

سير أعلام النبلاء: ١٩/٤٤٣:

ابن عقيل. الإمام العلامة البحر شيخ الحنابلة، أبو الوفاء على بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبد الله البغدادي الظفري الحنبلي المتكلم، صاحب التصانيف، كان يسكن الظفري، ومسجده بها مشهور.

ولد سنة إحدى وثلاثين وأربع مئة وسمع أبا بكر بن بشران، وأبا الفتح بن شيطا، وأبا محمد الجوهري، والحسن بن غالب المقرئ، والقاضي أبا يعلى بن الفراء، وتفقه عليه، وتلا بالعرش على أبي الفتح بن شيطا، وأخذ العريئة عن أبي القاسم بن برهان، وأخذ علم العقليات عن شيخه الاعتزال أبي على بن الوليد، وأبي القاسم بن التبان صاحب أبي الحسين البصري، فانهرف عن السنة.

وكان يتوقد ذكاء، وكان بحر معارف وكثر فضائل، لم يكن له في زمانه نظير على بدعته، وعلق كتاب الفنون، وهو أزيد من أربع مئة مجلد، حشد فيه كل ما كان يجري له مع الفضلاء والتلامذة، وما يسنح له من الدقائق والغوامض، وما يسمعه من العجائب والحوادث....

قال المبارك بن كامل: صلى على شيخنا بجامع القصر فأهمهم ابن شافع، وكان الجمع ما لا يحصى، وحمل إلى جامع المنصور فصلى عليه، وجرت فتنه وتجارحوا، ونال الشيخ تقطيع كفن، ودفن قريباً من الإمام أحمد....

وفى تاريخ ابن الأثير قال: كان قد اشتغل بمذهب المعتزلة في حدائته على بن الوليد، فأراد الحنابلة قتله فاستجار بباب المراتب عدة

سنيين، ثم أظهر التوبة.

وقال ابن عقيل في الفنون: الأصلح لإعتقاد العوام ظواهر الاى لأنهم يأنسون بالإثبات، فمتى محونا ذلك من قلوبهم زالت الحشمة. قال: فتهافتهم في التشبيه أحب إلينا من إغراقهم في التنزيه، لأن التشبيه يغمسهم في الإثبات فيخافون ويرجون، والتنزيه يرمى بهم إلى النفي فلا طمع ولا مخافة في النفي. ومن تدبر الشريعة رآها غامسة للمكلفين في التشبيه بالألفاظ الظاهرة التي لا يعطى ظاهرها سواه، كقول الأعرابي: أو يضحك ربنا قال النبي (ص): نعم. فلم يكفهر لقوله، وتركه وما وقع له....

من عقائد الدولة: إطاعة الحاكم الجائر والتجسيم والرؤية

سير أعلام النبلاء: ١٢/٦٧:

وعن يحيى بن عون: قال: دخلت مع سحنون على ابن القصار وهو مريض فقال: ما هذا القلق؟ قال له: الموت والقدوم على الله. قال له سحنون: أأنت مصدقاً بالرسول والبعث والحساب، والجنة والنار، وأن أفضل هذه الأمة أبو بكر، ثم عمر، والقرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الله يرى يوم القيامة، وأنه على العرش استوى، ولا تخرج على الأئمة بالسيف وإن جاروا؟ قال: إى والله، فقال: مت إذا شئت، مت إذا شئت!!

تاريخ الإسلام للذهبي: ٢٩/٧٣:

محمود السلطان كان صادق النية في إعلاء كلمة الله.. وقبره بغزنة يدعى عنده.. دخل ابن فورك على السلطان محمود فقال: لا يجوز أن يوصف الله بالفوقية لأنه يلزمك أن تصفه بالتحية.. فقال السلطان: هو وصف نفسه!

هجمة الحنابلة على الطبرى

قال الحموى في معجم الادباء: ٩ جزء ١٨/٥٧ في ترجمة الطبرى:

فلما قدم إلى بغداد من طبرستان بعد رجوعه إليها تعصب عليه أبو عبد الله الجصاص وجعفر بن عرفة والبياضى. وقصده الحنابلة فسألوه عن أحمد بن حنبل في الجامع يوم الجمعة، وعن حديث الجلوس على العرش، فقال أبو جعفر: أما أحمد بن حنبل فلا يعد خلافة. فقالوا له: فقد ذكره العلماء في الإختلاف، فقال: ما رأيته روى عنه ولا رأيت له أصحاباً يعول عليهم. وأما حديث الجلوس على العرش فمحال ثم أنشد:

سبحان من ليس له أنيس ولا له فى عرشه جليس

فلما سمع ذلك الحنابلة منه وأصحاب الحديث وثبوا ورموه بمحابرهم وقيل كانت ألوفاً، فقام أبو جعفر بنفسه ودخل داره فرموا داره بالحجارة حتى صار على بابه كالتل العظيم! وركب نازوك صاحب الشرطة فى ألوف من الجند يمنع عنه العامة، ووقف على بابه يوماً إلى الليل وأمر برفع الحجارة عنه. وكان قد كتب على بابه: سبحان من ليس له أنيس ولا- له فى عرشه جليس، فأمر نازوك بمحو ذلك، وكتب مكانه بعض أصحاب الحديث:

لاحمد منزل لا شك عال إذا وافى إلى الرحمن وافد

فيدنيه ويقعه كريماً على رغم لهم فى أنف حاسد

على عرش يغلفه بطيب على الاكباد من باغ وعاند

له هذا المقام الفرد حقاً كذاك رواه ليث عن مجاهد

فخلا فى داره وعمل كتابه المشهور فى الإعتذار إليهم، وذكر مذهبه واعتقاده وجرح من ظن فيه غير ذلك، وقرأ الكتاب عليهم وفضل أحمد بن حنبل، وذكر مذهبه وتصويب اعتقاده ولم يزل فى ذكره إلى أن مات، ولم يخرج كتابه فى الإختلاف حتى مات فوجدوه

مدفوناً في التراب، فأخرجوه ونسخوه أعنى اختلاف الفقهاء، هكذا سمعت من جماعة منهم أبي رحمه الله!

وقال ابن قيم الجوزية في بدائع الفوائد: ٤/٣٩:

قال القاضي: صنف المروزي كتاباً في فضيلة النبي (ص) وذكر فيه إقعاده على العرش، وهو قول أبي داود وأحمد بن أصرم... وعبد الله بن الإمام أحمد... إلخ. ثم قال ابن قيم: قلت وهو قول ابن جرير الطبري، وإمام هؤلاء كلهم مجاهد إمام التفسير. انتهى.
ولم يذكر ابن القيم عن أخذه مجاهد، ولم يذكر تهديد الحنابلة للطبري وإجبارهم إياه على القول بذلك حتى صار لنا هينا مع التجسيم وأهله.

ولكن جولد تسيهر اليهودي قال في مذاهب التفسير الإسلامي/ ١١٨:

وهو (الطبري) يعارض أشد صرامةً وغنفاً فهم التجسيد في عبارات التشبيه المضافة إلى الله والذهاب إلى أن مثل هذه العبارات دالة على صفات الله الحقيقية.. فقد اختلف أهل الجدل.. في تأويل قوله (بل يدها مبسوطتان) فقال بعضهم.. عنى باليد النعمة أو القدرة أو الملك. وقال آخرون: بل يد الله صفة من صفاته، هي يد غير أنها ليست بجارحة.. والطبري يجزم بالرأى الثاني..

هجمة الحنابلة على ابن حبان

المجروحين لابن حبان: ١ مقدمة:

قال أبو اسماعيل عبد الله بن محمد... قال سألت يحيى بن عمار عن ابن حبان، قلت رأيتك؟ قال: وكيف لم أراه ونحن أخرجناه من سجستان، لأنه أنكر الحد لله!

وقال السبكي تعليقاً على ذلك: من أحق بالخراج من يجعل ربه محدوداً، أو من ينزهه عن الجسمية....

وقال ابن حجر في لسان الميزان: ٥/١١٣:

وقد بدت من ابن حبان هفوة فطعنوا فيه بها. قال أبو إسماعيل الأنصاري شيخ الإسلام: سألت يحيى بن عمار عن أبي حاتم بن حبان فقال: رأيتك ونحن أخرجناه من سجستان، كان له علم كثير ولم يكن له كبير دين، قدم علينا فأنكر الحد لله فأخرجناه.
قلت: إنكاره الحد وإثباتكم للحد نوع من فضول الكلام، والسكوت من الطرفين أولى إذ لم يأت نص بنفى ذلك ولا إثباته، والله تعالى ليس كمثل شئ، فمن أثبتته قال له خصمه جعلت لله حداً برأيك ولا نص معك بالحد، والمحدود مخلوق تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وقال هو للنافي ساويت ربك بالشئ المعدوم، إذ المعدوم لا حد له. فمن نزه الله وسكت سلم وتابع السلف.

وقال الذهبي في سيره: ١٦/٩٤:

وقال أبو بكر الخطيب: كان ابن حبان ثقة نبيلاً فهمياً. وقال أبو عمرو بن الصلاح في طبقات الشافعية: غلط ابن حبان الغلط الفاحش في تصرفاته. قال ابن حبان في أثناء كتاب الأنواع: لعنا قد كتبنا عن أكثر من ألفي شيخ.

قلت: كذا فلتكن الهمم، هذا مع ما كان عليه من الفقه والعريية والفضائل الباهرة وكثرة التصانيف....

وقال أبو إسماعيل الأنصاري: سمعت يحيى بن عمار الواعظ، وقد سألته عن ابن حبان، فقال: نحن أخرجناه من سجستان، كان له علم كثير، ولم يكن له كبير دين، قدم علينا، فأنكر الحد لله، فأخرجناه!

قلت: إنكاركم عليه بدعة أيضاً، والخوض في ذلك مما لم يأذن به الله، ولا أتى نص بإثبات ذلك ولا بنفيه. ومن حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه. وتعالى الله أن يحد أو يوصف إلا بما وصف به نفسه، أو علمه رسله بالمعنى الذي أراد بلا مثل ولا كيف: ليس كمثل شئ وهو السميع البصير. انتهى.

وهكذا مدح الذهبي ابن حبان وأظهر إعجابه بعلو همته، ولكنه خطأه في إنكاره الحد لله تعالى وحكم بأنه صاحب بدعة، فهو يستحق الطرد من سجستان، بل قد يستحق الاعدام إن لم يتب!

ومن عجب الزمان أن يكون الجو الحاكم في بعض مناطق المسلمين في أواخر القرن الثالث أن الذي يقول إن الله تعالى غير محدود بمكان ولا زمان يعتبر مبدعاً في الإسلام، وكأن النبي صلى الله عليه وآله قد بلغ الأمة بأن ربكم محدود بالمكان والزمان، ومن أنكر ذلك فقد أبدع!

ولا- تغتر بتخطئه الذهبي للذين طردوا ابن حبان من سجستان، فإنه لم يخطئهم لطرده على بدعته، بل خطأهم لمجادلته حتى أظهر بدعته، ولأنه كان الواجب عليهم أن يسكتوا عن لوازم التجسيم في نزول الله تعالى وجلوسه على العرش، كما هو مذهبه!!

من تكفيرات المجسمين لمن خالفهم

سير أعلام النبلاء: ١١/٧٠:

قال عبدالله بن أحمد: سمعت أبا معمر الهذلي يقول: من زعم أن الله لا يتكلم ولا يسمع ولا يبصر ولا يرضى ولا يغضب، فهو كافر، إن رأيتموه واقفاً على بئر فألقوه فيها، بهذا أدين الله عز وجل!

سير أعلام النبلاء: ١١/٣٠٢:

حدثنا أحمد بن جعفر الإصطخرى قال: قال أبو عبدالله أحمد بن حنبل: هذا مذهب أهل العلم والأثر، فمن خالف شيئاً من ذلك أو عاب قائلها، فهو مبتدع.

وكان قولهم: إن الإيمان قول وعمل ونية وتمسك بالسنة، والإيمان يزيد وينقص، ومن زعم أن الإيمان قول والأعمال شرائع فهو جهمي، ومن لم ير الاستثناء في الإيمان فهو مرجي، والزنى والسرقة وقتل النفس والشرك كلها بقضاء وقدر من غير أن يكون لاحد على الله حجة. إلى أن قال: والجنة والنار خلقتا ثم خلق الخلق لهما لا- تفنيان، ولا يفنى ما فيهما أبداً. إلى أن قال: والله تعالى على العرش، والكرسى موضع قدميه. إلى أن قال: وللعرش حملة. ومن زعم أن ألفاظنا بالقرآن وتلاوتنا له مخلوقة والقرآن كلام الله، فهو جهمي. ومن لم يكفره فهو مثله. وكلم الله موسى تكليماً من فيه! إلى أن ذكر أشياء من هذا الأنموذج المنكر، والأشياء التي والله ما قالها الإمام. فقاتل الله واضعها. ومن أسمح مافيها قوله: ومن زعم أنه لا يرى التقليد ولا يقلد دينه أحداً فهذا قول فاسق عدو لله. فانظر إلى جهل المحدثين كيف يروون هذه الخرافة ويسكتون عنها. انتهى.

ومع أن الذهبي وصف الأنموذج بأنه منكر وخرافة، فهو يتبنى أكثر عقائده!

التحفة اللطيفة للسخاوي: ٢/٢٨٥:

على بن عبد الله.. قال قبل أن يموت بشهرين.. من زعم أن الله لا يرى فهو كافر، ومن زعم أن الله لم يكلم موسى على الحقيقة فهو كافر. انتهى.

وقصدهم أن الله تعالى كلم موسى من فمه، ولم يخلق الصوت في شيء مخلوق، وقد نصت على ذلك أحاديث أهل البيت عليهم السلام وقال به أكثر المسلمين.

تاريخ الإسلام للذهبي: ١٧/٣٨٦:

هارون بن معروف... وقال هارون الجبال: سمعت هارون بن معروف يقول: من زعم أن القرآن مخلوق فكأنما عبد اللات والعزى! وروى عبدالله بن أحمد بن حنبل عن هارون بن معروف قال: من زعم أن الله لا يتكلم فهو يعبد الأصنام! انتهى. وقصده أن الله تعالى يتكلم من فمه! وأن الذي يعتقد بأن الله لافم له فقد جعله صنماً! والذي يقول له فم، فقد نزهه عن الصنمية!!

سير أعلام النبلاء: ١٧/٢٥٥:

قال الإمام تقي الدين ابن الصلاح في فتاويه: وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدى المفسر رحمه الله أنه قال: صنف أبو عبد الرحمن السلمى حقائق التفسير، فإن كان اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر. قلت: واغوثاه! واغربناه!.

سير أعلام النبلاء: ٨/٤٠٣:

حدثنا أحمد بن يونس، سمعت ابن المبارك قرأ شيئاً من القرآن، ثم قال: من زعم أن هذا مخلوق، فقد كفر بالله العظيم.

سير أعلام النبلاء: ١٠/١٨:

الحاكم: سمعت أبا سعيد بن أبي عثمان، سمعت الحسن ابن صاحب الشاشي، سمعت الربيع، سمعت الشافعي وسئل عن القرآن فقال: أف أف، القرآن كلام الله، من قال: مخلوق، فقد كفر. هذا إسناد صحيح.

سير أعلام النبلاء: ١١/٥٨:

ابن مخلد العطار: حدثنا محمد بن عثمان، سمعت علي بن المدني، يقول قبل أن يموت بشهرين: القرآن كلام الله غير مخلوق. ومن قال مخلوق، فهو كافر. وقال عثمان بن سعيد الدارمي، سمعت علي بن المدني يقول: هو كافر، يعني من قال: القرآن مخلوق.

ملحد (سني) يحبه المجسمة لأنه يلعن من خالفهم

مروج الذهب للمسعودي: ٣/٤٣:

كان رجل في أيام هارون الرشيد ببغداد، وإنه كان دهرياً من أهل السنة والجماعة! ويلعن أهل البدع... ويعرف بالسني، تنقاد له العامة فكان يجتمع إليه خلق من الناس، وإذا اجتمعوا وثب قائماً على قدمه فقال: يا معشر المسلمين قلتم لا ضار ولا نافع إلا الله، فلاي شيء مصيركم إليّ تسألوني عن مضاركم ومنافعكم؟ الجؤوا إلى ربكم وتوكلوا على بارئكم..

من الفتن التي حدثت بسبب التجسيم

في القرن الثاني انتق ثقل التشبيه والتجسيم من الشام إلى بغداد، وأرخ المؤرخون لفتن متعددة حدثت في بغداد ذكرنا بعضها في الفصل الخامس، ونشير منها هنا إلى الفتنة التي ذكرها الذهبي في تاريخ الإسلام: ٢٣/٣٨٤ بسبب تفسير آية: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، قالت الحنابلة معناه أن يقعد على عرشه كما فسره مجاهد. وقال غيرهم: بل هي الشفاعة العظمى. وقد تقدم أن ابن خلدون يرى أن الفتن بين الحنابلة ومخالفهم كانت أحد الأسباب في خراب بغداد.

سير أعلام النبلاء: ١٨/٨٩:

القاضي أبو يعلى الإمام العلامة، شيخ الحنابلة، القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد البغدادي، الحنبلي، ابن الفراء، صاحب التعليقة الكبرى، والتصانيف المفيدة في المذهب. ولد في أول سنة ثمانين وثلاث مئة... أفتى ودرس، وتخرج به الأصحاب، وانتهت إليه الإمامة في الفقه، وكان عالم العراق في زمانه، مع معرفة بعلوم القرآن وتفسيره، والنظر والأصول، وكان أبوه من أعيان الحنفية، ومن شهود الحضرة، فمات ولابي يعلى عشرة أعوام، فلقنه مقرئه العبادات من مختصر الخرقى، فلذ له الفقه، وتحول إلى حلقه أبي عبدالله بن حامد، شيخ الحنابلة، فصحبه أعواماً، وبرع في الفقه عنده، وتصدر بأمره للإفادة سنة اثنتين وأربع مئة، وأول سماعه من علي بن معروف في سنة ٣٨٥.

وقد سمع بمكة ودمشق من عبد الرحمن بن أبي نصر، وبحلب، وجمع كتاب «إبطال تأويل الصفات»، فقاموا عليه لما فيه من الواهي والموضوع، فخرج إلى العلماء من القادر بالله المعتقد الذي جمعه، وحمل إلى القادر كتاب «إبطال التأويل» فأعجبه، وجرت أمور وفتن - نسأل الله العافية - ثم أصلح بين الفريقين الوزير علي بن المسلمة، وقال في الملا: القرآن كلام الله، وأخبار الصفات تمر كما جاءت. ثم ولى أبو يعلى القضاء بدار الخلافة والحريم، مع قضاء حران وحلوان..

وواجه بعض الخلفاء تطرف المجسمين

نشوار المحاضرة للتوخي: ٣/١٤٤:

وكانت العامة قد هاجت في أيام وزارته (أى أبو محمد المهلبى) وعظمت الفتنة... وكثر كلام القصاص فى المساجد ورؤساء الصوفية... فاتفق أن بدئ برجل من رؤساء الصوفية يعرف بإسحاق بن ثابت أحد الربانيين عند أصحابه، فقال له: بلغنى أنك تقول فى دعائك: يا واحدى بالتحقيق يا جارى اللصيق، فمن لا يعلم بأن الله لا يجوز أن يوصف أنه لصيق على الحقيقة فهو كافر، لأن الملاصقة من صفات الاجسام. إنكم تهذون وتوهمون الناس على أنكم ربانيين... وكتب إليه أن لا يتكلم على الناس.

تاريخ الإسلام للذهبي: ٣٢/١٧١:

أبو بكر الواعظ البكرى... قدم إلى بغداد وجلس للوعظ وذكر ما يلطخ به الحنابلة من التجسيم... وضر به جماعة من الهاشمين (يقصد العباسيين) بالحصى وهم من أصحاب أحمد، فأخذهم النقيب وعاقبهم.

و قتل خلفاء شرعيون إماما مجسما طمع بالحكم

تهذيب الكمال: ١/٥٠٧:

... حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى قال: وقَّلت أحمد بن نصر بن مالك الخزاعى سنة إحدى وثلاثين ومئتين. قال الحافظ أبو بكر: وكان قتله فى خلافة الواثق لا متاعه عن القول بخلق القرآن. وبه حدثنى القاضى أبو عبد الله الصيمرى، حدثنا محمد بن عمران المرزبانى، أخبرنى محمد بن يحيى الصولى قال: كان أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعى من أهل الحديث، وكان جده من رؤساء نقباء بنى العباس، وكان أحمد وسهل بن سلامة، حين كان المأمون بخراسان، بايعا الناس على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، إلى أن دخل المأمون بغداد، ففرق بسهل حتى لبس السواد، وأخذ الأرزاق ولزم أحمد بيته، ثم إن أمره تحرك ببغداد فى آخر أيام الواثق، واجتمع إليه خلق من الناس، يأمرهم بالمعروف، إلى أن ملكوا بغداد، وتعدى رجالان من أصحابه يقال لأحدهما: طالب فى الجانب الغربى ويقال للآخر أبو هارون فى الجانب الشرقى، وكانا موسرين فبذلا مالا، وعزما على الوثوب ببغداد فى شعبان سنة إحدى وثلاثين ومئتين، فم عليهم قوم إلى إسحاق بن إبراهيم فأخذ جماعة فيهم أحمد بن نصر، وأخذ صاحبيه طالبا وأبا هارون فقيدهما، ووجد فى منزل أحدهما أعلاما، وضرب خادما لأحمد بن نصر فأقر أن هؤلاء كانوا يصيرون إليه ليلا فيعرفونه ما عملوا، فحملهم إسحاق مقيدىن إلى سر من رأى، فجلس لهم الواثق وقال لأحمد بن نصر: دع ما أخذت له، ما تقول فى القرآن قال: كلام الله. قال: أفضىء هو قال: كلام الله. قال: أفترى ربك فى القيامة قال: كذا جاءت الرواية، قال: ويحك، يرى كما يرى المحدود المتجسم ويحويه مكان ويحصره الناظر، أنا أكفر برب هذه صفته، ما تقولون فيه؟ فقال عبدالرحمان بن إسحاق، وكان قاضيا على الجانب الغربى ببغداد فعزل: هو حلال الدم، وقال جماعة من الفقهاء كما قال، فأظهر ابن أبى دؤاد أنه كاره لقتله، فقال للواثق: يا أمير المؤمنين شيخ مختل لعل به عاهة أو تغير عقله يؤخر أمره ويستتاب. فقال الواثق: ما أراه إلا مؤديا لكفره قائما بما يعتقد منه. ودعا الواثق بالصمصامة وقال: إذا قمت إليه فلا يقوم من أحد معى، فإنى أحتسب خطاى إلى هذا الكافر الذى يعبد ربا لا نعبد ولا نعرفه بالصفة التى وصفه بها، ثم أمر بالنطع فأجلس عليه وهو مقيد وأمر بشد رأسه بحبل، وأمرهم أن يمدوه، ومشى إليه حتى ضرب عنقه، وأمر بحمل رأسه إلى بغداد فنصب بالجانب الشرقى أياما، وفى الجانب الغربى أياما، وتبع رؤساء أصحابه فوضعوا فى الجبوس! انتهى. ورواه الذهبى أيضا فى: ١٧/٥٦.

سير أعلام النبلاء: ١١/١٦٥:

قال الحسن بن محمد الحربى: سمعت جعفر بن محمد الصائغ، يقول: رأيت أحمد بن نصر حين قتل قال رأسه: لا إله إلا الله. قال المروذى: سمعت أحمد ذكر أحمد بن نصر فقال رحمه الله: لقد جاد بنفسه. وعلق فى أذن أحمد بن نصر ورقة فيها: هذا رأس أحمد بن نصر، دعاه الإمام هارون إلى القول بخلق القرآن ونفى التشبيه، فأبى إلا المعاندة فعجله الله إلى ناره. وكتب محمد بن عبد الملك.

تاريخ الإسلام للذهبي: ١٧/٥٨:

قال: رأى بعضى أصحابنا أحمد بن نصر فى النوم فقال: ما فعل ربك؟ قال: ما كانت إلا غفوه حتى لقيت الله فضحك لى... وقال غضبت له فأباحنى النظر إلى وجهه!

و كان التجسيم منتشرًا فى عصر ابن الجوزى والسبكي

كشف الظنون: ١/٢١٨:

للشيخ أبى الفرج عبدالرحمن بن على بن الجوزى الحنبلى المتوفى سنة ٥٩٧ سبغ وتسعين وخمسائة، مختصر صنف فى تأييد مذهبه والرد على الحنابلة المجسمة. انتهى.

وله أيضاً كتاب دفع شبهة التشبيه بأكف التنزيه، حققه فى عصرنا ونشره الباحث السيد حسن السقاف، وتجد فى ترجمة ابن الجوزى وكتبه قصة محتته مع الحنابلة المجسمين فى عصره!

كشف الظنون: ١/٨٧٩:

رسالة الغفران من المكث بحران، مختصر لبعض العلماء، أولها الحمد لله على كل حال... الخ. ألفها سنة ٦٢٧ سبغ وعشرين وستمائة رد فيها على حنبلى مجسم منكر، على قواعد علم الكلام.

وقد ذكر السبكي فى طبقات الشافعية وغيره نماذج عديدة للمجسمة العلنيين والسرنيين، قال فى: ٢/١٩: وقد وصل حال بعض المجسمة فى زماننا إلى أن كتب شرح صحيح مسلم للشيخ محى الدين النووى وحذف من كلام النووى ما تكلم به على أحاديث الصفات، فإن النووى أشعرى العقيدة، فلم تحمل قوى هذا الكاتب أن يكتب الكتاب على الوضع الذى صنفه مصنفه! انتهى.

ووصل الحال فى عصرنا إلى أن بعض الوهابيين ينشرون كتب النووى وغيره ويحذفون منها كل ما يخالف مذهبهم حتى أنهم حذفوا فضل زيارة النبى صلى الله عليه وآله من أحد كتبه. وهذا غيظ من فيض فإن دور نشرهم فى عدة بلدان تعمل مناشيرها وسكاكينها فى كتب التراث الإسلامى، ومستأجرهم ينفذون تعليماتهم بحذف كل ما لا يليق لهم!

هذا مضافاً إلى نشرهم كتب المشبهة والمجسمة وتكبير شخصياتهم وإشاعة تعظيمهم وتقديسهم، وتكفير مخالفينهم من سلف الأمة ومعاصريها!

وانتقل التجسيم من بغداد إلى مصر

سير أعلام النبلاء: ١٥/٤٢٩:

أبو إسحاق المروزي الإمام الكبير، شيخ الشافعية وفقهه بغداد، أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المروزي، صاحب أبى العباس بن سريج وأكبر تلامذته، اشتغل ببغداد دهرًا وصنف التصانيف وتخرج به أئمة كأبى زيد المروزي، والقاضى أبى حامد أحمد بن بشر المروزي مفتى البصرة، وعدة.

شرح المذهب ولخصه، وانتهت إليه رئاسة المذهب. ثم إنه فى أواخر عمره تحول إلى مصر فتوفى بها فى رجب فى تاسعه، وقيل فى حادى عشرة سنة أربعين وثلاث مئة، ودفن عند ضريح الإمام الشافعى ولعله قارب سبعين سنة... صنف المروزي كتاباً فى السنة، وقرأه بجامع مصر، وحضره آلاف فجرت فتنه، فطلبه كافر فاختفى، ثم أدخل إلى كافر، فقال: أما أرسلت إليك أن لا تشهر هذا الكتاب فلا تظهره. وكان فيه ذكر الإستواء، فأنكرته المعتزلة. انتهى. يقصد أنه كان فى الكتاب ذكر القعود الحسى لله تعالى على عرشه، فأنكره علماء مصر. ولكن الحاكم كافرًا الأخشيدي كان يميل إلى التجسيم فطلب منه أن لا ينشر كتابه فقط!

الإمام العبدري المغربي المجسم

تذكرة الحفاظ: ٤/١٢٧٢:

العبدري: الإمام الحافظ العلامة أبو عامر محمد بن سعدون بن مرجى القرشي العبدري الميورقي الأندلسي نزيب بغداد، وكان من أعيان الحفاظ ومن فقهاء الظاهرية، سمع أبا عبد الله مالك بن أحمد البانياسي ورزق الله التميمي وأبا الفضل ابن خيرون وطراد بن محمد الزينبي ويحيى بن أحمد السيبي وأبا عبد الله الحميدي وطبقتهم، قال القاضي أبو بكر بن العربي في معجمه: أبو عامر العبدري هو أنبل من لقيته. وقال ابن ناصر: كان فهماً عالماً متعففاً وكان يذهب إلى أن المناولة كالسماع. وقال السلفي في معجمه: كان من أعيان علماء الإسلام بمدينة السلام، متصرفاً في فنون من العلوم أديباً ونحوها ومعرفة بالأنساب، وكان داودي المذهب قرشي النسب، كتب عنى وكتبت عنه، مولده بقرطبة. وقال أحمد بن أبي بكر البندنجي: لما دفنوا أبا عامر العبدري قال ابن ناصر: خلا لك الجو فيبضى واصفري. مات أبو عامر حافظ حديث رسول الله صلى الله عليه وآله من شاء فليقل ما شاء.

قال الحافظ ابن عساكر: كان أبو عامر داودياً وكان أحفظ شيخ لقيته... ذكر أنه دخل دمشق، سمعته يقول جرى ذكر الإمام مالك فقال: جلف جاف ضرب هشام بالدره... بلغنى أنه قال فى: يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ، وضرب على ساقه فقال: ساق كساقى هذه. قلت: هذه حكاية منقطعة، وهذا قول الضلال المجسم، وما أعتقد أن بلغ بالعبدري هذا. ثم قال: وبلغنى أنه قال إن أهل البدع يحتاجون بقوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، أى فى الإلهية أما فى الصورة فهو مثلى ومثلك... قال ثم تلا قوله تعالى: يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ، أى فى الحرمه!!

وترجم له ترجمة مفصلة فى تاريخ الإسلام: ٣٦/١٠٣.

التجسيم ينتشر فى المغرب فيقاومه المهدي بن تومرت

تاريخ ابن خلدون: ٧/٢٢٥:

الخبر عن مبدأ أمر المهدي ودعوته وما كان للموحدين القائمين بها على يدى بنى عبد المؤمن من السلطان والدولة بالعدوتين وإفريقية... وكانت وفاة المهدي لأربعة أشهر بعدها، وكان يسمى أصحابه بالموحدين، تعريضاً بلمتونه فى أخذهم بالعدول عن التأويل وميلهم إلى التجسيم. وكان حضوراً لا يأتى النساء، وكان يلبس العباءة المرقعة، وله قدم فى التقشف والعبادة، ولم تحفظ عنه فلتة فى البدعة، إلا ما كان من وفاقه الإمامية من الشيعة فى القول بالإمام المعصوم، والله تعالى أعلم. انتهى. يستكثر علينا إخواننا السنة أن نقول بعصمة أهل البيت وهم الأئمة الاثنى عشر والصديقة الزهراء عليهم السلام الذين نص عليهم النبى صلى الله عليه وآله فقال إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى ونص الله تعالى على طهارتهم، وأوجب محبتهم وجعل بغضهم نفاقاً، وجعل الصلوة عليهم فى صلاة المسلمين اليومية.. ثم نراهم يقولون بعصمة الخليفة عمر وأبى بكر وعثمان، بل وعصمة كل الصحابة وعدالتهم. فهل يريدون بذلك استثناء أهل البيت فقط من عشرة آلاف صحابى. واذا أجابوا بأننا لا نقول بعصمة الصحابة طالبناهم بأن يذكروا أخطاء الذين يقصدونهم منهم.

تاريخ ابن خلدون: ٧/٢٦٦:

هذا العهد لما دعا المهدي إلى أمره فى قومه من المصامدة بجال درن، وكان أصل دعوته نفى التجسيم الذى آل إليه مذهب أهل المغرب باعتمادهم ترك التأويل فى المتشابه من الشريعة، وصرح بتكفير من أبى ذلك، أخذاً بمذهب التكفير بالمآل، فسمى لذلك دعوته بدعوة التوحيد وأتباعه بالموحدين، نعيماً على الملتمين فإن مذاهبهم إلى اعتقاد الجسمية.

وقال الدكتور حسن إبراهيم فى تاريخ الإسلام: ٤/٣٦٨:

صرف ابن تومرت الناس عن اتباع مذهب السلف الذى قد يجر معتقيه إلى التشبيه والتجسيم. وابن تومرت فى هذا الميدان العلمى

يعتبر من الشخصيات العلمية البارزة في التاريخ الإسلامي.

و كثر الحشوية والمخلطون في العالم الإسلامي

قال العلامة الأرموي في منهاج الكرامة / ٦: وقالت جماعة الحشوية والمشبهة: إن الله تعالى جسم له طول وعرض وعمق، وإنه يجوز عليه المصافحة، وإن الصالحين من المسلمين يعانقونه في الدنيا، وحكى الكعبي عن بعضهم أنه كان يجوز رؤيته في الدنيا وأنه يزورهم ويزورونه، وحكى عن داود الظاهري أنه قال: أعفوني عن الفرج واللحية وأسألوني عما وراء ذلك، وقال: إن معبودهم له جسم ولحم ودم وله جوارح وأعضاء كيد ورجل ولسان وعينين وأذنين، وحكى أنه قال: هو أجوف من أعلاه إلى صدره مصمت ما سوى ذلك، وله شعر ققط. حتى قالوا: اشتكت عيناه فعادته الملائكة، وبكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه، وأنه يفضل من العرش من كل جانب أربع أصابع. وذهب بعضهم إلى أنه تعالى ينزل في كل ليلة جمعة على شكل أمرد حسن الوجه راكباً على حمار، حتى أن بعضهم بيغداد وضع على سطح داره معلماً يضع كل ليلة جمعة فيه شعيراً وتبناً لتجوز أن ينزل الله على حماره على ذلك السطح فيشتغل الحمار بالأكل ويشتغل الرب بالنداء، ويقول: هل من تائب هل من مستغفر، تعالى الله عن مثل ذلك.

... وحكى عن بعض المنقطعين التاركين من شيوخ الحشوية أنه اجتاز عليه في بعض الأيام نفاط ومعه أمرد حسن الوجه ققط الشعر على الصفات التي يصفون ربهم بها، فألح الشيخ بالنظر إليه وكرره وأكثر تصويبه إليه، فتوهم فيه النفاط فجاء إليه ليلاً فقال: أيها الشيخ رأيتك تلح بالنظر إلى هذا الغلام وقد أتيتك به فإن كان لك فيه نية فأنت الحاكم، فحرد الشيخ عليه وقال: إنما كررت النظر إليه لأن مذهبي أن الله تعالى ينزل على صورة هذا الغلام، فتوهمت أنه الله تعالى! فقال له النفاط: ما أنا عليه من النفاط أجود مما أنت عليه من الزهد مع هذه المقالة....

وأضاف الأرموي: أقول: لا يسع المقام أكثر من ذلك وإلا لنقلنا أضعاف ما ذكرنا... وقال الطبراني: حدثنا علي بن سعيد الرازي حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج عن الضحاك عن ابن عباس قال: رأى محمد ربه عز وجل في صورة شاب أمرد وبه قال ابن جريج.. عن صفوان بن سليم عن عائشة قالت: رأى النبي ربه على صورة شاب جالس على كرسى رجله في خضرة من لؤلؤ يتلألا!

كل الناس مبرؤون... والشيعه متهمون

منطق السلطة و أتباعه

المنطق الحاكم في كتب العقائد عند إخواننا، هو منطق الدولة الذي يصدر الأحكام ولا يقبل الاعتراض، وأحكامه هنا تقول: أولاً: السنة هم المسلمون الموحدون، حتى لو كانت مصادرهم تنادى بالتشبيه والتجسيم بأحاديث صحيحة عندهم! والشيعه هم المجسمون والمعتلون، وإن كانت مصادرهم تنادى بالتنزيه ونفى التشبيه بأحاديث صحيحة عندهم! ثانياً: يحرم قراءة أى كلام والخوض فى أى بحث يوجب اتهام السنة بالتجسيم! كما يحرم قراءة كتب الشيعه وأحاديثهم فى العقائد، لأنهم يجسمون الله تعالى ويؤلّهون الأئمة من ذرية النبي صلى الله عليه وآله.

هذا هو حكم أكثر الكتاب والمؤلفين فى العقائد، ودليلهم أن التاريخ عامل الشيعه بهذه الأحكام، فصارت هى الجو العام الذى نشأوا فيه، فكتبوا كما قرؤوا وكما سمعوا.

لقد استطاع كثير من المظلومين فى التاريخ، أن يرفعوا أيديهم أو أصواتهم ويسجلوا (آخهم) من ظالميههم. أما نحن الشيعه فلم نستطع إلى الآن أن نسجل (آخنا) من التاريخ.

يكفيك أن تلقى نظرة على مصادر التاريخ والعقائد وما كتبه عن الفرق والملل والنحل، وما يكتبه خصوم الشيعة وأهل البيت في عصرنا.. لتراها تكرر ادعاء أن الشيعة أخذوا عقائدهم من اليهود والفرس والهندوس، فهم المجسمون الذين يعبدون إلهاً مادياً له طول وعرض وأعضاء، ولذا فهم يعبدون صنماً ولا يعبدون الله تعالى!

أما السنة فهم المسلمون الأصليون الذين أخذوا عقائدهم من منبع الإسلام الصافي، من الكتاب والسنة، عن طريق الصحابة الأبرار بدون أى تأثر باليهود ولا بغيرهم، فهم الموحدون المنزهون لله تعالى عما افتراه عليه اليهود والنصارى والمجوس والشيعة!

إن مشكلتنا نحن شيعة أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله أن الكتب التي اتهمتنا قد كتبت بحبر حكام الجور وأقلام موظفيهم! وأن الذين أنصفونا ومدحونا، كتبوا ذلك وهم على وجل من غضب السلاطين!

ولكن ذلك من مفاخرنا أيضاً!

محاولات الدولة والمشبهين إلقاء التشبيه بالنبي وآله

يدل النص التالي على أن تهمة التشبيه والتجسيم للشيعة كانت موجودة في القرن الثاني، أى منذ أن راج التشبيه والتجسيم وطفح كيله فمجه الناس، فاتهمت به السلطة معارضيها من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وفي نفس الوقت عمد المشبهون والمجسمون إلى نسبة مذهبهم إلى النبي وأهل بيته صلى الله عليه وعليهم، ليثبتوا شرعية فريتهم! وهو أسلوب مزدوج في ترويح التهمة في الناس، بسببها إلى أهل البيت عليهم السلام، ثم رمى أهل البيت وشيعتهم بها!!

روى النيسابوري في روضة الواعظين/٣٣:

قال الحسن بن خالد: قلت للرضا عليه السلام: يابن رسول الله إن الناس ينسبوننا إلى القول بالتشبيه والجبر لما روى في الأخبار في ذلك عن آبائك عليهم السلام!

فقال: يابن خالد أخبرني عن الأخبار التي رويت عن آبائي عليهم السلام في التشبيه أكثر، أم الأخبار التي رويت عن رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك؟

فقلت: بل ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله أكثر.

فقال: فليقولوا إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول بالتشبيه إذن!!

فقلت له: إنهم يقولون إن رسول الله لم يقل من ذلك شيئاً، وإنما روى عليه.

قال: قولوا في آبائي عليهم السلام إنهم لم يقولوا من ذلك شيئاً وإنما روى عليهم.

ثم قال عليه السلام: من قال بالتشبيه والجبر فهو كافر مشرك، ونحن منه براء في الدنيا والآخرة. يابن خالد: إنما وضع الأخبار عنا في التشبيه الغلاة الذين صغروا عظمة الله جل جلاله، فمن أحبهم فقد أبغضنا.. إلى آخر الخبر.

وقال الشيخ الصدوق المتوفى سنة ٣٨١ في مقدمته كتابه التوحيد/١٧:

إن الذي دعاني إلى تأليف كتابي هذا أنى وجدت قوماً من المخالفين لنا ينسبون عصابتنا إلى القول بالتشبيه والجبر، لما وجدوا في كتبهم من الأخبار التي جهلوا تفسيرها ولم يعرفوا معانيها ووضعوها في غير موضعها، ولم يقابلوا بألفاظها ألفاظ القرآن، فقبحوا بذلك عند الجهال صورة مذهبنا، ولبسوا عليهم طريقتنا، وصدوا الناس عن دين الله، وحملوهم على جحود حجج الله، فتقربت إلى الله تعالى ذكره بتصنيف هذا الكتاب في التوحيد ونفى التشبيه والجبر، مستعيناً به ومتوكلاً عليه.

بغض أهل البيت وشيعتهم إرث غير شرعي

إن التهم لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وشيعتهم موروثه إراثاً (غير شرعي) وقد كانت بدايتها يوم فارق النبي صلى الله عليه وآله

الحياة وتركوا جنازته لأهل بيته، وأعلنوا ولادة حكومة السقيفة، فعارضها أهل البيت وجماعة من الأنصار والمهاجرين، واعتصموا في بيت فاطمة الزهراء عليها السلام فكان الهجوم على بيت فاطمة بالحطب والنار!

ولم يهدأ الهجوم علينا بالحطب والنار إلى يومنا هذا!

نحن لا ننتظر من تاريخنا الإسلامى الذى لم يتحمل كلمة معارضة من بنت النبى صلى الله عليه وآله فهاجم بيته وبدأ بإحراقه بمن فيه، أن يتحمل معارضتنا فى بحوث وكتب!

ولا ننتظر من دول اضطهدتنا وطاردتنا وشردتنا وقتلتنا، أن تمدحنا وتمدح عقائدنا، أو تترك تهمة أو سبه تخطر بالبال أو لا تخطر، دون أن ترمينا بها!

لكن يحق لنا أن ننتظر من علماء إخواننا المنصفين بعد قرون وقرون، أن لا يرثوا بغض أهل بيت نبيهم وشيعتهم، وأن يقرؤوا عقائدهم وفقههم من مصادر مذهبهم لا من مصادر الذين اضطهدوهم وأبغضوهم.

قال السيد شرف الدين فى الفصول المهمة/١٨٠:

فهنا مقصدان: المقصد الأول، فى الأمور التى ينفرد بها الشيعة ولا يكاد يمتزج بسببها مع السنة، وأهمها شيان: الأول، ما سمعته فى الفصول السابقة من التكفير والتحجير والشتم والتزوير.

الثانى، إعراض إخواننا أهل السنة عن مذهب الأئمة من أهل البيت، وعدم الإعتراف بأقوالهم فى أصول الدين وفروعه بالمرّة، وعدم الرجوع إليهم فى تفسير القرآن العزيز (وهو شقيقهم) إلا دون ما يرجعون فيه إلى مقاتل بن سليمان المجسم المرجى الدجال، وعدم الإحتجاج بحديثهم إلا دون ما يحتجون بدعاه الخوارج والمشبهة والمرجئة والقدرية! ولو أحصيت جميع ما فى كتبهم من حديث ذرية المصطفى صلى الله عليه وآله ما كان إلا دون ما أخرجه البخارى وحده عن عكرمة البربرى الخارجى المكذب. انتهى.

وإنى لا أعجب من علماء إخواننا السنة القدماء والجدد، الذين بحثوا فى توحيد الله تعالى وصفاته، ورووا حتى عن أقل الصحابة والتابعين، يرههم وفاجرهم، وعن اليهود والنصارى، معتدلهم ومتطرفهم.. كيف لم يطلعوا على الخطب الغنية لعلى أمير المؤمنين عليه السلام وكلمات أهل البيت البليغة فى حقائق التوحيد، التى تشهد بأنهم باب مدينة علم النبى صلى الله عليه وآله وقد كانت هذه الخطب والأحاديث وما تزال فى متناولهم، مودعة فى المصادر المختلفة، ومجموعة فى نهج البلاغة وأمثاله..! فلو أنهم اطلعوا عليها لفتحت لهم أبواباً جديدة، وحلت لهم مشكلات مستعصية ولظهر شئ من آثارها وأنوارها فى مؤلفاتهم!

إن مقتضى قاعدة (إحتمل أحاك المسلم على الأحسن) أن نقول إنهم لم يقرؤوا شيئاً من أحاديث الشيعة ومؤلفاتهم وبحوثهم فى التوحيد والصفات، لأننا إذا اتهمناهم بأنهم قرؤوها وتجاهلوها، فذلك يعنى وجود كارثة فى بحوث العقائد عندهم.

وتعجبنى الأكبر من جرأة بعض إخواننا على تبرئة مصادرهم من التشبيه والتجسيم، وإتهام الشيعة ومذهبهم بذلك!

وواصلت علينا الإقتراءات عبر العصور

قال السمعانى المتوفى ٥٦٢ فى كتابه الأنساب: ٥/٦٤٣:

والهشامية جماعة من غلاة الشيعة، وهم الهشامية الأولى والأخرى. أما الأولى فهم أصحاب هشام بن الحكم الرافضى المفرط فى التشبيه والتجسيم وكان يقول إن معبوده جسم ذو حد ونهاية وإنه طويل عريض عميق وطوله مثل عرضه وعرضه مثل عمقه، وله مقالات فى هذا الفن حكيت عنه.

وأما الهشامية الأخرى فهم أصحاب هشام بن سالم الجوالقى، وكان يزعم أن معبوده جسم، وأنه على صورة الإنسان ولكنه ليس بلحم ولا دم، بل هو نور ساطع يتلألأ بياضاً، وله حواس خمس كحواس الإنسان ويد ورجل وسائر الاعضاء، وأن نصفه الاعلى مجوف، إلا الفرج واللحية. وزعم هشام بن الحكم أنه كسيكة الفضة، وأنه بشبر نفسه سبعة أشبار. وكل واحد منهما يكفر صاحبه، ويكفرهما

غيرهما. انتهى.

وقد وصل الأمر بالسمعاني وأمثاله أن ادعوا أن تجسيم الكرامية جاءهم من تأثرهم بالشيعة وغيرهم، وإلا فشيخهم الكرام عالم متكشف زاهد وإن كان في مذهبه شيء من التشبيه والتجسيم! قال السمعاني في الأنساب: ٥/٤٣: الكرامى: بفتح الكاف وتشديد الراء المهملة. هذه النسبة إلى أبي عبد الله محمد بن كرام النيسابورى... من أهل نيسابور، ثم أزعج عنها وانتقل إلى بيت المقدس وسكنها ومات بها. يروى عن مالك بن سليمان الهروى. روى عنه محمد بن إسماعيل بن إسحاق وحكى عنه من الزهد والتكشف أشياء، وفي المذهب أشياء من التشبيه والتجسيم، وذكر في كتاب له سماه (عذاب القبر) في وصف الرب عز وجل، أنه إحدى الذات إحدى الجواهر، فشارك النصارى في وصفه إياه بالجواهر، وشارك اليهود والهشامية والجوالقية من مشبهة الروافض في وصفه إياه بأنه جسم. وناقض أصحابه في امتناعهم عن وصفهم إياه أنه جوهر، مع إطلاقهم وصفه بأنه جسم، إطلاق الجسم أفحش من إطلاق الجواهر. وذكر في هذا الكتاب أنه معبود في مكان مخصوص، وأنه مماس لعرشه من فوقه، وهكذا حكى عنه. انتهى. ولكن من حكى عنه، ومن أين أخذ ما نقله عنه.. هذا ليس مهماً عند من يريد الإتهام.

وقال المسعودى في مروج الذهب: ٤/١٠٣:

وكان أبو الهذيل محمد بن الهذيل اجتمع مع هشام بن الحكم الكوفى، وكان هشام شيخ المجسمه والرافضة في وقته ممن وافقه على مذهبه، وكان أبو الهذيل يذهب إلى نفي التجسيم ورفض التشبيه.

وقال الأمينى فى الغدير: ٣/١٤٢:

الملل والنحل، هذا الكتاب وإن لم يكن يضاهى (الفصل) فى بداءة المنطق غير أن فى غضونه نسباً مفتعلة وآراء مختلقة وأكاذيب جمه، لا يجد القارى ملتجداً عن تفنيدها، فإليك نماذج منها:

١- قال هشام بن الحكم متكلم الشيعة: إن الله جسم ذو أبعاد فى سبعة أشبار بشر نفسه، فى مكان مخصوص وجهه مخصوصه.

٢- قال فى حق على: إنه إله واجب الطاعة..

٣- وقال هشام بن سالم: إن الله على صورة إنسان أعلاه مجوف وأسفله مصمت، وهو نور ساطع يتلأأ، وله حواس خمس ويد ورجل وأنف وأذن وعين وفم، وله وفره سوداء، وهو نور أسود لكنه ليس بلحم ولا- دم، وإن هشام هذا أجاز المعصية على الأنبياء مع قوله بعصمة الأئمة.

٤- وقال زرارة بن أعين: لم يكن الله قبل خلق الصفات عالماً ولا قادراً ولا حياً ولا بصيراً ولا مريداً ولا متكلماً.

٥- قال أبو جعفر محمد بن النعمان: إن الله نور على صورة إنسان، ويأبى أن يكون جسماً.

٦- وزعم يونس بن عبدالرحمن القمى أن الملائكة تحمل العرش والعرش تحمل الرب، وهو من مشبهة الشيعة، وصنف لهم فى ذلك كتاباً.

وقال الأمينى فى الغدير: ٣/٨٩:

وذكر ابن تيمية فى منهاج السنة هذه النسب والإضافات المفتعلة، وراقه أن يرى المجتمع أنه أفدر فى تنسيق الأكاذيب من سلفه، وأنه أبعد منه عن أدب الصدق والأمانة فزاد عليها:

اليهود لا يخلصون السلام على المؤمنين إنما يقولون السلام عليكم (السام: الموت) وكذلك الرافضة.

اليهود لا يرون المسح على الخفين، وكذلك الرافضة.

اليهود يستحلون أموال الناس كلهم، وكذلك الرافضة.

اليهود تسجد على قرونها فى الصلاة، وكذلك الرافضة.

اليهود لا تسجد حتى تخفق برؤسها مراراً تشبيهاً بالركوع، وكذلك الرافضة.

اليهود يرون غش الناس، وكذلك الرفضية.

وأمثال هذه من الخرافات والسفاسف، وحسبك في تكذيب هذه التقولات المعزوة إلى الشيعة شعورك الحر، وحيطتك بفقهم وكتبهم وعقائدهم وأعمالهم، وما عرف منهم قديماً وحديثاً. فإلى الله المشتكى.
وقال الأميني في الغدير: ٣ هامش/ ٩٠ واصفاً كتاب الانتصار لعبد الرحيم الخياط:

إنك غير مائن لو سميت بمصدر الأكاذيب، ولو عزى إليه على عدد صفحاته ١٧٣ الصفحة لما كذب القائل، ولو جست خلال صحايفه لأوقفك الفحص على العجب العجائب، من كذب شائن وتحكم بارد وتهكم ممض ونسب مفتعلة، وأنا نرجى إيقافك عليها إلى ظفرك بالكتاب نفسه، فإنه مطبوع بمصر منشور، ولا- نسود جهات صحائف كتابنا بنقل هاتيلك الاساطير كلها، وإنما نذكر لك نماذج منها لتعرف مقدار توغله في القذائف وتهالكه دون الطامات، وتغلغل الحقد في ضميره الدافع له إلى تشويه سمعة أمة كبيرة كريمة نزيهة عن كل ما تقوله عليها قال:

- ١- الرفضية تعتقد أن ربها ذو هيئة وصوره يتحرك ويسكن ويزول وينتقل، وأنه كان غير عالم... إلى أن قال: هذا توحيد الرفضية بأسرها إلا نفرأ منهم يسيراً أصحابوا المعتزلة واعتقدوا التوحيد، فنفتهم الرفضية عنهم وتبرأت منهم، فأما جملتهم ومشايخهم مثل هشام بن سالم، وشيطان الطاق، وعلى بن ميثم، وهشام بن الحكم بن منور، والسكاك، فقولهم ما حكيت عنهم.
- ٢- الرفضية تقول وهي معتقدة: إن ربها جسم ذو هيئة وصوره يتحرك ويسكن ويزول وينتقل وأنه كان غير عالم ثم علم.
- ٣- فهل على وجه الأرض رافضى إلا وهو يقول: إن الله صورة ويروى في ذلك الروايات، ويحتج فيه بالأحاديث عن أئمتهم! إلا من صحب المعتزلة منهم قديماً فقال بالتوحيد فنفته الرفضية عنها ولم تقر به!!

وتضاعفت التهم في عصرنا عصر العلم وحرية الفكر

قال الدكتور حسن إبراهيم في تاريخ الإسلام: ١/٤٢٤:

الرفضية قالوا: إن الله له قد وصوره وإنه جسم ذو أعضاء. هشام بن الحكم وهشام بن سالم وشيطان الطاق من معتقدى الرفضية.
وقال في تاريخ الإسلام: ٢/١٥٨:

الشيعة انقسمت حسب اعتقادها إلى ثلاثة أقسام: غالية ورفضية وزيدية، والشيعة الغالية هم الذين غلوا في على وقالوا فيه قولاً عظيماً.. والشيعة الرفضية هم الذين قالوا إن الله قد وصوره وإنه جسم ذو أعضاء!
فتاوى الالباني/ ٤٤١:

إن الإسلام كفكر لا يمكن أن يصور أنه مصفى.. كيف وهناك فرق كثيرة جداً كالمعتزلة... والشيعة والرفضية، كل هؤلاء يدعون الإسلام فلا بد أن يقوم العلماء بواجب تصفية هذا الإسلام وتقديمه للناس.

وقال الدكتور القفاري في كتابه أصول مذهب الشيعة، الذي منحه السعودية درجة دكتوراه برتبة الشرف الأولى، وأوصت بجعله مصدراً (أكاديمياً) في جامعات المملكة، علماً أن نسبة كبيرة من سكان المملكة من الشيعة! قال القفاري في ج ١/٨٧:
المذهب الشيعي مباءة للعقائد الأسويوية القديمة. ويضيف البعض أن مذهب الشيعة كان مباءة ومستقراً للعقائد الأسويوية القديمة كالبودية وغيرها. يقول الأستاذ أحمد أمين: وتحت التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح وتجسيم الله والحلول، ونحو ذلك من الأقوال التي كانت معروفة عند البراهمة والفلاسفة والمجوس قبل الإسلام. ويشير بعض المستشرقين إلى تسرب الكثير من العقائد غير الإسلامية إلى الشيعة ويقول: إن تلك العقائد انتقلت إليها من المجوسية والمانوية والبودية، وغيرها من الديانات التي كانت سائدة في آسيا قبل ظهور الإسلام. انتهى.

وكان هذا (الباحث) لا يعرف أن الفرس المجوس صاروا سنيين أولاً، وألغوا أهم مصادر إخواننا السنة وصحاحهم، ونظروا لعقائدهم

ومذاهبهم بل أسسوا مذاهبهم، وبعد قرون طويلة صار أبناؤهم شيعة! فإن كانوا متأثرين بعقائدهم المجوسية والاسيوية فقد نقلوها معهم إلى التسنن الذي صاروا أئمة مذاهبه ثم أئمة مصادره قرونًا طويلة، وما زالوا، فالعلامة المجلسي الشيعي مثلاً صاحب موسوعة (بحار الأنوار) المتوفى سنة ١١١١ هجرية هو من أولاد الحافظ أبي نعيم الأصفهاني السني المتوفى سنة ٤٣٥ هجرية! وهكذا العشرات بل المئات غيره من الفرس الذين صاروا أئمة المذاهب السنية أولاً، ثم صار أبناؤهم شيعة بعد قرون قد تطول أو تقصر، حتى أنك تجد الكثير من أبنائهم اليوم ما زالوا يحملون أسماء أجدادهم من أئمة السنة!

فمن أولى بتهته التأثر بالعقائد المجوسية والاسيوية، الاجداد السنيون أم الأبناء الشيعيون! على أن الباحث علمياً لا يمكنه أن يرسل أحكامه هكذا جزافاً، ولا بد له أن يفحص الأفكار والعقائد واحدة واحدة، ويرى من أين جاءت ومن تبنها، ومن وقف ضدها.. الخ.

وقد رأيت أن أفكار الرؤية والتشبيه والتجسيم وأحاديثها ولدت في بيوت الدولة، ودرجت في قصورها ومساجدها، وترت على يد كبار شخصياتها، وأن أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم وقفوا ضدها، وأفتوا بأنها دخيلة، وأن آباءها يهوداً!!

تفسير مقارنة للآيات المتعلقة بالموضوع

الآيات المحكمة النافية لإمكان الرؤية

ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ. الأنعام: ١٠٢ - ١٠٣.

فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ. الشورى: ١١.

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا. طه: ١١٠.

الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ. البقرة: ٢٢.

وَلَمَّا حَيَّاهُ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صِعْقًا فَلَمَّا أفاق قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ. الأعراف: ١٤٣.

وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ. البقرة: ٥٥.

يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُبِينًا. النساء: ١٥٣.

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا. الفرقان: ٢١ - ٢٢.

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. الإخلاص: ١ - ٤.

الآيات المتشابهة التي استدلو بها على الرؤية

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ. وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ. وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ. إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ. تَنْظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ. القيامة: ٢٠ -

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ. وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ. ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ. وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ. ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ. فَأُوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أُوْحَىٰ. مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ. أَفَتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ. وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ. عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ. إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ. مَا زَاغَ الْبَصِيرُ وَمَا طَعَىٰ. لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ. النجم: ١ - ١٨.

أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالْعَهْدِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ. سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ. أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ. يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ. خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَ هُمْ سَالِمُونَ. القلم: ٣٩ - ٤٣.

آيات: استوى على العرش

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ. الأعراف: ٥٤.

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ. يونس: ٣.

اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ الرعد: ٢.

طه. مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ. إِلَّا تَذَكْرَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ. تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَىٰ. الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ. لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ. طه: ١ - ٦.

الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا. الفرقان: ٥٩.

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ. السجدة: ٤.

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ. الحديد: ٤ - ٥.

وقد أوردنا عدداً من الأحاديث الشريفة ومن كلمات العلماء في تفسير هذه الآيات، ونورد هنا ما بقي من تفسيرها، وفيها أحاديث وآراء مشتركة بين أكثر من آية، لأنها وردت في موضوع الرؤية ككل.

تفسير آية: لا تدركه الابصار

ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ. لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ. الأنعام: ١٠٢ - ١٠٣.

النبي و آله يقولون: لا تدركه الابصار و لا.. الاوهام

روى الصدوق في التوحيد الهامش ١/٣٩٧:

حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل (رض) قال حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، قال حدثني محمد بن أبي بشير، قال حدثني الحسين بن أبي الهيثم، قال حدثنا سليمان بن داود، عن حفص بن غياث، قال حدثني خير الجعافر جعفر بن محمد، قال حدثني باقر

علوم الأولين والآخرين محمد بن علي، قال حدثني سيد العابدين علي بن الحسين، قال حدثني سيد الشهداء الحسين بن علي، قال حدثني سيد الأوصياء علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم جالساً في مسجده إذ دخل عليه رجل من اليهود فقال: يا محمد إلى ما تدعو؟

قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله.

قال: يا محمد أخبرني عن هذا الرب الذي تدعو إلى وحدانيته وتزعم أنك رسوله، كيف هو؟

قال: يا يهودى إن ربي لا يوصف بالكيف، لأن الكيف مخلوق وهو مكيفه.

قال: فأين هو؟

قال: إن ربي لا يوصف بالالين، لأن الالين مخلوق وهو أينه.

قال: فهل رأيت يا محمد؟

قال: إنه لا يرى بالأبصار ولا يدرك بالأوهام.

قال: فبأى شئ نعلم أنه موجود؟

قال: بآياته وأعلامه.

قال: فهل يحمل العرش أم العرش يحمله؟

فقال: يا يهودى إن ربي ليس بحال ولا محل.

قال: فكيف خروج الأمر منه؟

قال: بإحداث الخطاب فى المحال.

قال: يا محمد أليس الخلق كله له؟

قال: بلى.

قال: فبأى شئ اصطفى منهم قوماً لرسالته؟

قال: بسبقهم إلى الإقرار بربوبيته.

قال: فلم زعمت أنك أفضلهم؟

قال: لاني أسبقهم إلى الإقرار بربى عز وجل؟

قال: فأخبرني عن ربك هل يفعل الظلم؟

قال: لا.

قال: ولم؟

قال: لعلمه بقبحه واستغناؤه عنه.

قال: فهل أنزل عليك فى ذلك قرآناً يتلى؟

قال: نعم إنه يقول عز وجل: وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ، ويقول: إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ، ويقول: وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ، ويقول: وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ.

قال اليهودى: يا محمد فإن زعمت أن ربك لا يظلم فكيف أغرق قوم نوح عليه السلام وفيهم الأطفال؟

فقال: يا يهودى إن الله عز وجل أعقم أرحام نساء قوم نوح أربعين عاماً فأغرقهم حين أغرقهم ولا- طفل فيهم، وما كان الله ليهلك الذرية بذنوب آبائهم، تعالى عن الظلم والجور علواً كبيراً.

قال اليهودى: فإن كان ربك لا يظلم فكيف يخلد فى النار أبد الأبدى من لم يعصه إلا أياماً معدودة؟

قال: يخلده على نيته، فمن علم الله نيته أنه لو بقى فى الدنيا إلى انقضائها كان يعصى الله عز وجل خلده فى نارهِ على نيته، ونيته فى ذلك شر من عمله، وكذلك يخلد من يخلد فى الجنة بأنه ينوى أنه لو بقى فى الدنيا أيامها لاطاع الله أبداً، ونيته خير من عمله، فبالنيات يخلد أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار، والله عز وجل يقول: قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرُبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلٍ

قال اليهودى: يا محمد إني أجد فى التوراة أنه لم يكن لله عز وجل نبي إلا كان له وصى من أمته فمن وصيك؟

قال: يا يهودى وصيى على بن أبى طالب، واسمه فى التوراة إيليا وفى الإنجيل حيدار، وهو أفضل أمتى وأعلمهم بربى، وهو منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى، وإنه لسيد الأوصياء كما أنى سيد الأنبياء.

فقال اليهودى: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وأن على بن أبى طالب وصيك حقاً، والله إني لاجد فى التوراة كل ما ذكرت فى جواب مسائلى، وإني لأجد فيها صفتك وصفة وصيك، وإنه المظلوم ومحتوم له بالشهادة، وإنه أبو سبطيك وولديك شبراً وشبيراً سيدى شباب أهل الجنة.

وروى الكلينى فى الكافى: ١/٩٨:

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن أبى نجران، عن عبد الله بن سنان، عن أبى عبد الله عليه السلام فى قوله: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، قال: إحاطة الوهم، ألا ترى إلى قوله: قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ، ليس يعنى بصر العيون. فمن أبصر فلنفسه، ليس يعنى من البصر بعينه. ومن عمى فعليها، ليس يعنى عمى العيون إنما عنى إحاطة الوهم، كما يقال فلان بصير بالشعر، وفلان بصير بالفقه، وفلان بصير بالدرهم، وفلان بصير بالثياب. الله أعظم من أن يرى بالعين....

محمد بن أبى عبد الله، عن ذكره، عن محمد بن عيسى، عن داود بن القاسم أبى هاشم الجعفرى قال: قلت لآبى جعفر عليه السلام: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ فقال: يا أبا هاشم أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند والبلدان التى لم تدخلها، ولا تدركها ببصرك وأوهام القلوب لا تدركه فكيف أبصار العيون!

يد: ابن الوليد، عن الصفار، عن أحمد بن محمد، عن أبى هاشم الجعفرى، عن أبى الحسن الرضا عليه السلام قال: سألته عن الله عز وجل هل يوصف؟ فقال: أما تقرأ القرآن قلت بلى، قال أما تقرأ قوله عز وجل: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ قلت بلى، قال: فتعرفون الابصار قلت: بلى، قال: وما هى قلت: أبصار العيون فقال: إن أوهام القلوب أكثر من أبصار العيون فهو لا تدركه الأوهام، وهو يدرك الأوهام.

وروى النيسابورى فى روضة الواعظين/٣٣:

عن الإمام الرضا عليه السلام فى قول الله عز وجل: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ قال: لا تدركه أوهام القلوب، فكيف تدركه أبصار العيون.

وسئل الصادق عليه السلام هل يرى الله فى المعاد؟ فقال: سبحانه الله تبارك وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، إن الأبصار لا تدرك إلا ماله لون وكيفية، والله خالق الألوان والكيفية.

وقال محمد بن أبى عمير: دخلت على سيدى موسى بن جعفر (عليهما السلام) فقلت له: يا بن رسول الله علمنى التوحيد فقال: يا أبا أحمد لا تتجاوز فى التوحيد ما ذكره الله تبارك وتعالى فى كتابه فتهلك، واعلم أن الله تعالى واحد أحد صمد لم يلد فيورث ولم يولد فيشارك، ولم يتخذ صاحبة ولا- ولداً ولا شريكاً، وأنه الحى الذى لا يموت، والقادر الذى لا يعجز، والقاهر الذى لا يغلب، والحليم الذى لا يعجل، والدائم الذى لا يبيد، والباقى الذى لا يفنى، والثابت الذى لا يزول، والغنى الذى لا يفتقر، والعزيم الذى لا يذل، والعالم الذى لا يجهل، والعدل الذى لا يجور، والجواد الذى لا يبخل. وأنه لا تقدره العقول، ولا تقع عليه الأوهام، ولا تحيط به الأقطار، ولا يحويه مكان، ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، وليس كمثل شئ وهو السميع البصير، ما يكون

من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم، ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا، وهو الأول الذى لا شئ قبله، والآخر الذى لا شئ بعده، وهو القديم وما سواه محدث، تعالى عن صفات المخلوقين علواً كبيراً. وسئل الصادق عليه السلام هل لله تعالى رضى وسخط؟ فقال: نعم، وليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين، ولكن غضب الله عقابه ورضاه ثوابه.

وقال أيضاً عليه السلام: إن الله تعالى لا- يوصف بزمان ولا- مكان ولا- حركة ولا انتقال ولا سكون، بل هو خالق الزمان والمكان، والحركة والسكون والانتقال، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً. وروى المجلسى فى بحار الأنوار: ٤/٤٦:

نص: الحسين بن على، عن هارون بن موسى، عن محمد بن الحسن، عن الصفار، عن يعقوب بن يزيد، عن ابن أبى عمير، عن هشام قال: كنت عند الصادق جعفر بن محمد عليه السلام إذ دخل عليه معاوية بن وهب و عبد الملك بن أعين، فقال له معاوية بن وهب: يا بن رسول الله ما تقول فى الخبر الذى روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله رأى ربه، على أى صورة رآه، وعن الحديث الذى روه أن المؤمنين يرون ربهم فى الجنة، على أى صورة يرونه؟ فتبسم عليه السلام ثم قال: يا معاوية ما أقبح بالرجل يأتى عليه سبعون سنة أو ثمانون سنة يعيش فى ملك الله ويأكل من نعمه، ثم لا يعرف الله حق معرفته.

ثم قال عليه السلام: يا معاوية إن محمداً صلى الله عليه وآله لم ير الرب تبارك وتعالى بمشاهدة العيان، وإن الرؤية على وجهين: رؤية القلب، ورؤية البصر، فمن عنى برؤية القلب فهو مصيب ومن عنى برؤية البصر فقد كفر بالله وبآياته، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: من شبه الله بخلقه فقد كفر. ولقد حدثنى أبى، عن أبيه، عن الحسين بن على قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام فقيل: يا أخا رسول الله هل رأيت ربك فقال: وكيف أعبد من لم أره لم تره العيون بمشاهدة العيان، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان.

فإذا كان المؤمن يرى ربه بمشاهدة البصر فإن كل من جاز عليه البصر والرؤية فهو مخلوق، ولا بد للمخلوق من الخالق، فقد جعلته إذا محدثاً مخلوقاً، ومن شبهه بخلقه فقد اتخذ مع الله شريكاً، ويلهم أولم يسمعوا يقول الله تعالى: لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير.

وقوله: لئن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً، وإنما طلع من نوره على الجبل كضوء يخرج من سم الخياط فدكدت الأرض وصعقت الجبال فخر موسى صعقاً، أى ميتاً، فلما أفاق ورد عليه روحه، قال سبحانه تبت إليك من قول من زعم أنك ترى، ورجعت إلى معرفتى بك أن الأبصار لا تدركك، وأنا أول المؤمنين، وأول المقرين بأنك ترى ولا ترى، وأنت بالمنظر الاعلى.

ثم قال عليه السلام: إن أفضل الفرائض وأوجبها على الإنسان معرفة الرب والإقرار له بالعبودية، وحد المعرفة أن يعرف أنه لا إله غيره، ولا- شبيه له ولا- نظير، وأن يعرف أنه قديم مثبت موجود غير فقيد، موصوف من غير شبيه ولا- مبطل، ليس كمثل شئ وهو السميع البصير.

وبعد معرفة الرسول والشهادة بالنبوة.

وأدنى معرفة الرسول الإقرار بنبوته، وأن ما أتى به من كتاب أو أمر أو نهى فذلك من الله عز وجل، وبعده معرفة الإمام الذى به تأتم بنعته وصفته واسمه فى حال العسر واليسر....

ثم قال: يا معاوية جعلت لك أصلاً فى هذا فاعمل عليه، فلو كنت تموت على ما كنت عليه لكان حالك أسوأ الاحوال، فلا يغرنك قول من زعم أن الله تعالى يرى بالبصر.

قال: وقد قالوا أعجب من هذا، أو لم ينسبوا آدم عليه السلام إلى المكروه!

أو لم ينسبوا إبراهيم عليه السلام إلى ما نسبوه!

أو لم ينسبوا داود عليه السلام إلى ما نسبوه من حديث الطير!

أو لم ينسبوا يوسف الصديق إلى ما نسبوه من حديث زليخا!

أو لم ينسبوا موسى عليه السلام إلى ما نسبوه من القتل!

أو لم ينسبوا رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ما نسبوه من حديث زيد!

أو لم ينسبوا على بن أبي طالب عليه السلام إلى ما نسبوه من حديث القطيفة!

إنهم أرادوا بذلك تويخ الإسلام ليرجعوا على أعقابهم، أعمى الله أبصارهم كما أعمى قلوبهم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وروى نحوه في بحار الأنوار: ٤/٣٣٣ وص ٣٩ وفيه (إن أوهام القلوب أكثر من أبصار العيون فهي لا تدركه، وهو يدرك الأوهام).

وروى نحوه في بحار الأنوار: ٤/٢٩ وفيه (لا تدركه أوهام القلوب فكيف تدركه أبصار العيون! وقال المجلسي رحمه الله:

بيان: هذه الآية إحدى الدلالات التي استدلت بها النافون للرؤية وقرروها بوجهين:

أحدهما: أن إدراك البصر عبارة شائعة في الإدراك بالبصر إسناداً للفعل إلى الآله، والإدراك بالبصر هو الرؤية بمعنى اتحاد المفهومين أو تلازمهما، والجمع المعرف باللام عند عدم قرينة العهدية والبعضية للعموم والاستغراق بإجماع أهل العربية والأصول وأئمة التفسير، وبشهادة استعمال الفصحاء، وصحة الاستثناء، فالله سبحانه قد أخبر بأنه لا يراه أحد في المستقبل، فلو رآه المؤمنون في الجنة لزم كذبه تعالى وهو محال.

واعترض عليه: بأن اللام في الجمع لو كان للعموم والاستغراق كما ذكرتم كان قوله تدركه الأبصار موجبة كلية، وقد دخل عليها النفي، فرفعها وهو رفع الإيجاب الكلي، ورفع الإيجاب الكلي سلب جزئي. ولو لم يكن للعموم كان قوله لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ سالبه مهملة في قوة الجزئية، فكان المعنى لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ، ونحن نقول بموجبه حيث لا يراه الكافرون، ولو سلم فلا نسلم عمومته في الأحوال والأوقات فيحمل على نفي الرؤية في الدنيا جمعاً بين الأدلة.

والجواب: أنه قد تقرر في موضعه أن الجمع المحلى باللام عام نفيًا وإثباتًا في المنفى والمثبت كقوله تعالى: وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ، مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ، حتى أنه لم يرد في سياق النفي في شيء من الكتاب الكريم إلا بمعنى عموم النفي، ولم يرد لنفي العموم أصلاً، نعم قد اختلف في النفي الداخلة على لفظه كل لكنه في القرآن المجيد أيضاً بالمعنى الذي ذكرنا كقوله تعالى: وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ، إلى غير ذلك، وقد اعترف بما ذكرنا في شرح المقاصد وبالغ فيه.

وأما منع عموم الأحوال والأوقات فلا يخفى فساده، فإن النفي المطلق الغير المقيد لا وجه لتخصيصه ببعض الأوقات إذ لا ترجيح لبعضها على بعض، وهو أحد الأدلة على العموم عند علماء الأصول.

وأيضاً صحة الاستثناء دليل عليه، وهل يمنع أحد صحة قولنا: ما كلمت زيداً إلا يوم الجمعة، ولا أكلمه إلا يوم العيد، وقال تعالى: وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ، إلى قوله: إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ. وقال: لَا تُخْرِجُوهُنَّ، إلى قوله: إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ.

وأيضاً كل نفي ورد في القرآن بالنسبة إلى ذاته تعالى فهو للتأييد وعموم الأوقات لا سيما فيما قبل هذه الآية.

وأيضاً عدم إدراك الأبصار جميعاً لشيء لا يختص بشيء من الموجودات، خصوصاً مع اعتبار شمول الأحوال والأوقات، فلا يختص به تعالى، فتعين أن يكون التمدح بعدم إدراك شيء من الأبصار له في شيء من الأوقات.

وثانيهما: أنه تعالى تمدح بكونه لا يرى فإنه ذكره في أثناء المدائح، وما كان من الصفات عدمه مدحاً كان وجوده نقصاً يجب تنزيه الله تعالى عنه، وإنما قلنا من الصفات احترازاً عن الأفعال كالعفو والإنقاذ فإن الأول تفضل، والثاني عدل، وكلاهما كمال.

الإقتصاد للشيخ الطوسي / ٣٩:

ولا يجوز عليه تعالى الرؤية بالبصر، لأن من شرط صحة الرؤية أن يكون المرئي نفسه أو محله مقابلاً للرائي بحاسة، أو في حكم

المقابل، والمقابلة يستحيل عليه لأنه ليس بجسم، ومقابلة محله أيضاً يستحيل عليه لأنه ليس بعرض على ما بيناه.

ولأنه لو كان مرئياً لرأيناه مع صحة حواسنا وارتفاع الموانع المعقولة ووجوده، لأن المرئى إذا وجد وارتفعت الموانع المعقولة وجب أن نراه، وإنما لا نراه إما لبعد مفرط أو قرب مفرط أو لحائل بيننا وبينه أو للطفافة أو صغر، وكل ذلك لا يجوز عليه تعالى لأنه من صفات الأجسام والجواهر.

وبمثل ذلك بعينه يعلم أنه لا يدرك بشئ من الحواس الباقية، فلا وجه للتطويل بذكره، والحاسة السادسة غير معقولة، ولو كانت معقولة لكان حكمها حكم هذه الحواس مع اختلافها واتفاقها في هذا الحكم.

وأيضاً قوله تعالى: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ، دليل على استحالة رؤيته، لأنه تمدح بنفى الإدراك عن نفسه، وكل تمدح تعلق بنفى إثباته لا يكون إلا نقصاً، كقوله: لا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ، وقوله تعالى: مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ، وقوله تعالى: وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً، وقوله تعالى: لا يَظَلِّمُ النَّاسَ شَيْئًا، وغير ذلك مما تعلق المدح بالنفى، فكان إثباته نقصاً. والآية فيها مدح بلا خلاف وإن اختلفوا في جهة المدح، والادراك في الآية بمعنى الرؤية، لأنه نفى عن نفسه ما أثبتته لنفسه بقوله: وهو يدرك الابصار.

وقوله: وَجُودُهُ يَوْمَ تَدْرِكُهُ نَازِحَةٌ، إلى رَبِّهَا نَازِحَةٌ، لا يعارض هذه الآية، لأن النظر المذكور في الآية معناه الإنتظار، فكأنه قال: لثواب ربها منتظرة.

ومثله قوله: وإني مرسله إليهم بهديء فناظرة، أى منتظرة. وليس النظر بمعنى الرؤية في شئ من كلام العرب، ألا ترى أنهم يقولون: نظرت إلى الهلال فلم أراه، فيثبتون النظر وينفون الرؤية، ولو كان معناه الرؤية لكان ذلك مناقضة، ويقولون: ما زالت أنظر إليه حتى رأيته، ولا يقولون: ما زلت أراه حتى رأيته. ولو سلم أن النظر بمعنى الرؤية لجاز أن يكون معناه: إلى ثواب ربها رائية، وثواب الله يصح رؤيته.

ويحتمل أن تكون إلى في الآية واحد الالاء، لأنه يقال إلى وإلى وإلى وإلى، وإنما لم تنون لمكان الاضافة، فتكون إلى في الآية إسماً لا حرفاً، فتسقط بذلك شبهة المخالف.

وقول موسى عليه السلام: رب أرني أنظر اليك، يحتمل أن يكون سأل الرؤية لقومه على ما حكاه الله عز وجل في قوله: فقد سألو موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة، فسأل الله تعالى ذلك ليرد الجواب من جهته فيكون أبلغ.

ويحتمل أن يكون سأل العلم الضروري الذى تزول معه الخواطر والشبهات، أو إظهار آية من آيات الساعة التى يحصل عندها العلم الذى لا شك فيه، وللأنبياء أن يسألوا تخفيف البلوى فى التكليف، كما سأل إبراهيم عليه السلام فقال: رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالُوا أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبُكَ وَكُلٌّ ذَلِكَ لَا يَنفَى الْآيَةَ الَّتِي ذَكَرْنَا. انتهى. ويؤيد الوجه الأخير الذى ذكره الشيخ الطوسى رحمه الله تركيب الآية: أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ، ولم يقل أنظرك، فهو يريد أن يريه شيئاً يجعله كأنه يشاهد الله تعالى.

تفسير التبيان: ٤/٢٢٣:

قوله تعالى: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ الْأَنْعَامُ: ١٠٣.

فى هذه الآية دلالة واضحة على أنه تعالى لا يرى بالابصار، لأنه تمدح بنفى الإدراك عن نفسه، وكلما كان نفيه مدحاً غير متفضل به فإثباته لا يكون إلا نقصاً، والنقص لا يليق به تعالى. فإذا ثبت أنه لا يجوز إدراكه ولا رؤيته.

وهذه الجملة تحتاج إلى بيان أشياء: أحدها، أنه تعالى تمدح بالآية. والثانى أن الادراك هو الرؤية. والثالث أن كلما كان نفيه مدحاً لا يكون إثباته إلا نقصاً.

والذى يدل على تمدحه شيئان:

أحدهما، إجماع الأمة فإنه لا خلاف بينهم فى أنه تعالى تمدح بهذه الآية، فقولنا تمدح بنفى الادراك عن نفسه لإستحالة عليه، وقال المخالف تمدح لأنه قادر على منع الأبصار من رؤيته. فالإجماع حاصل على أن فيها مدحة.

والثانى، أن جميع الأوصاف التى وصف بها نفسه قبل هذه الآية وبعدها مدحة، فلا يجوز أن يتخلل ذلك ما ليس بمدحة. والذى يدل

على أن الإدراك يفيد الرؤية أن أهل اللغة لا يفرقون بين قولهم: أدركت ببصرى شخصاً، وآنت، وأحسست ببصرى. وأنه يراد بذلك أجمع الرؤية. فلو جاز الخلاف في الادراك لجاز الخلاف فيما عداه من الاقسام.

فأما الإدراك في اللغة، فقد يكون بمعنى اللحوق كقولهم: أدرك قتادة الحسن. ويكون بمعنى النضج، كقولهم أدركت الثمرة، وأدركت القدر، وإدرك الغلام إذا بلغ حال الرجال.

وأيضاً فإن الإدراك إذا أضيف إلى واحد من الحواس أفاد ما تلك الحاسة آله فيه. ألا ترى أنهم يقولون: أدركته بأذني يريدون سمعته، وأدركته بأنفي يريدون شمته، وأدركته بعمي يريدون ذقته. وكذلك إذا قالوا: أدركته ببصرى يريدون رأيته. وأما قولهم أدركت حرارة الميل ببصرى فغير معروف ولا مسموع، ومع هذا ليس بمطلق بل هو مقيد، لأن قولهم حرارة الميل تقييد لأن الحرارة تدرك بكل محل فيه حياة، ولو قال أدركت الميل ببصرى لما استفيد به إلا الرؤية.

وقولهم إن الإدراك هو الاحاطة باطل، لأنه لو كان كذلك لقالوا: أدرك الجراب بالدقيق وأدرك الحب بالماء وأدرك السور بالمدينة لإحاطة جميع ذلك بما فيه، والأمر بخلاف ذلك. وقوله: حتى إذا أدركه الغرق، فليس المراد به الإحاطة بل المعنى حتى إذا لحقه الغرق، كما يقولون أدركت فلاناً إذا لحقته، ومثله: فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون، أى لملحوقون.

والذى يدل على أن المدح إذا كان متعلقاً بنفى فإثباته لا يكون إلا نقصاً، قوله: لا تأخذه سنة ولا نوم، وقوله: ما اتخذ الله من ولدٍ وما كان معه من إله، لما كان مدحاً متعلقاً بنفى فلو ثبت في حال لكان نقصاً.

فإن قيل: كيف يتمدح بنفى الرؤية ومع هذا يشاركه فيها ما ليس بممدوح من المعدومات والضمائر.

قلنا: إنما كان ذلك مدحاً بشرط كونه مدركاً للأبصار، وبذلك تميز من جميع الموجودات، لأنه ليس في الموجودات ما يدرك ولا يدرك.

فإن قيل: ولم إذا كان يدرك ولا يدرك يجب أن يكون ممدوحاً.

قلنا: قد ثبت أن الآية مدحة بما دللنا عليه، ولا بد فيها من وجه مدحة فلا يخلو من أحد وجهين: إما أن يكون وجه المدحة أنه يستحيل رؤيته مع كونه رائيماً، أو ما قالوه من أنه يقدر على منع الابصار من رؤيته بأن لا يفعل فيها الإدراك، وما قالوه باطل لقيام الدلالة على أن الإدراك ليس بمعنى الإحاطة، فإذا بطل ذلك لم يبق إلا ما قلناه، وإلا خرجت الآية من كونها مدحة. وقد قيل: إن وجه المدحة في ذلك أن من حق المرئي أن يكون مقابلاً- أو في حكم المقابل، وذلك يدل على مدحته، وهذا دليل من أصل المسألة لا يمكن أن يكون جواباً في الآية.

فإن قيل: إنه تعالى نفى أن تكون الابصار تدركه فمن أين أن المبصرين لا يدركونه؟

قلنا: الأبصار لا تدرك شيئاً البتة فلا اختصاص لها به دون غيره، وأيضاً فإن العادة أن يضاف الإدراك إلى الأبصار ويراد به ذووا الأبصار، كما يقولون: بطشت يدى وسمعت أذنى وتكلم لسانى، ويراد به أجمع ذووا الجارحة.

فإن قيل: إنه تعالى نفى أن جميع المبصرين لا يدركونه، فمن أين أن البعض لا يدركونه وهم المؤمنون؟

قلنا: إذا كان تمدحه في استحالة الرؤية عليه لما قدمناه، فلا اختصاص لذلك براء دون رائي، ولك أن تستدل بأن تقول: هو تعالى نفى الإدراك عن نفسه نفياً عاماً كما أنه أثبت لنفسه ذلك عاماً، فلو جاز أن يخص ذلك بوقت دون وقت لجاز مثله في كونه مدركاً. وإذا ثبت نفى إدراكه على كل حال، فكل من قال بذلك قال الرؤية مستحيلة عليه. ومن أجاز الرؤية لم ينهها نفياً عاماً فالقول بنفيها عموماً، مع جواز الرؤية عليه قول خارج عن الإجماع.

فإن عورضت هذه الآية بقوله: وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ، فإننا نبين أنه لا تعارض بينهما وأنه ليس في هذه الآية ما يدل على جواز الرؤية إذا انتهينا إليها إنشاء الله.

وقال قوم: إن النظر إذا كان معه إلى لا يحتمل إلا الرؤية. وحملوا قوله: إلى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ على ذلك وقالوا لا يحتمل التأمل. وذلك غلط لأنهم يقولون: إنما أنظر إلى الله ثم إليك بمعنى أتوقع فضل الله ثم فضلك. وقال الطريح بن إسماعيل: وإذا نظرت إليك من ملك والبحر دونك جرتني نعماء وقال جميل بن معمر:

إني إليك لما وعدت لناظر نظر الفقير إلى الغنى الموسر
وقال آخر:

وجوه يوم بدر ناظرات إلى الرحمان تأتي بالفلاح
وأتواب (إلى) على معنى نظر الانتظار.

والصحيح أن النظر لا يفيد الرؤية وإنما حقيقته تحديق الجارحة الصحيحة نحو المرئي طلباً لرؤيته، ولو أفاد الرؤية لما جعل غاية لنفسه، ألا- تراهم يقولون: ما زلت أنظر إليه (حتى رأيت) ولا- يقولون ما زلت أراه حتى رأيت، ولأنهم يثبتون النظر وينفون الرؤية فيقولون: نظرت إليه فلم أراه، ولا يقولون رأيت فلم أراه. تفسير التبيان: ١٠/١٩٧:

ثم قسم تعالى أهل الآخرة فقال (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) أى مشرقة مضيئة، فالنصرة الصورة الحسنه التى تملأ القلب سروراً عند الرؤية، نضر وجهه ينضر نصرة ونضارة فهو ناضر. والنصرة مثل البهجة والطلاقة، وضده العبوس والبسور، فوجه المؤمن المستحقين للثواب بهذه الصفة بما جعل الله عليها من النور علامة للخلق، والملائكة على أنهم مؤمنون مستحقون الثواب. وقوله: إلى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ، معناه منتظرة نعمه ربها وثوابه أن يصل إليهم.

وقيل (نَاضِرَةٌ) أى مشرقة (إلى) ثواب ربها (نَاطِرَةٌ) وليس فى ذلك تنغيص، لأن الانتظار إنما يكون فيه تنغيص إذا كان لا يوثق بوصوله إلى المنتظر أو هو محتاج إليه فى الحال، والمؤمنون بخلاف ذلك، لأنهم فى الحال مستغنون منعمون، وهم أيضاً واثقون أنهم يصلون إلى الثواب المنتظر.

والنظر هو تقيب الحدقة الصحية نحو المرئي طلباً للرؤية، ويكون النظر بمعنى الانتظار، كما قال تعالى (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاطِرَةٌ، أى منتظرة، وقال الشاعر:

وجوه يوم بدر ناظرات إلى الرحمن تأتي بالفلاح
أى منتظرة للرحمة التى تنزل عليهم.

وقد يقول القائل: إنما عيني ممدودة إلى الله وإلى فلان، وأنظر إليه أى أنتظر خيره ونفعه وأؤمل ذلك من جهته، وقوله: وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، معناه لا ينيلهم رحمته.

ويكون النظر بمعنى المقابلة، ومنه المناظرة فى الجدل، ومنه نظر الرحمة أى قابله بالرحمة، ويقال: دور بنى فلان تتناظر أى تتقابل، وهو ينظر إلى فلان أى يؤمله وينتظر خيره، وليس النظر بمعنى الرؤية أصلاً، بدلالة أنهم يقولون: نظرت إلى الهلال فلم أراه، فلو كان بمعنى الرؤية لكان متناقضاً، ولأنهم يجعلون الرؤية غاية للنظر يقولون: ما زلت أنظر إليه حتى رأيت، ولا يجعل الشئ غاية لنفسه لا يقال: بما زلت أراه حتى رأيت، ويعلم الناظر ناظراً ضرورة، ولا يعلم كونه رائياً بل يسأل بعد ذلك هل رأيت أم لا.

ودخول (إلى) فى الآية لا- يدل على أن المراد بالنظر الرؤية، ولا تعليقه بالوجه يدل على ذلك، لانا أنشدنا البيت وفيه تعليق النظر بالوجه وتعديه بحرف (إلى) والمراد به الانتظار، وقال جميل بن معمر:

وإذا نظرت إليك من ملك والبحر دونك جدتني نعم
والمراد به الانتظار والتأمل.

وأيضاً، فإنه في مقابلة قوله في صفة أهل النار: تَنْظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ، فالمؤمنون يؤمنون بتجديد الكرامة وينتظرون الثواب، والكفار يظنون الفاقرة، وكله راجع إلى فعل القلب.

ولو سلمنا أن النظر يعد الرؤية لجاز أن يكون المراد أنها رؤية ثواب ربها، لأن الثواب الذي هو أنواع اللذات من المأكول والمشروب والمنكوح تصح رؤيته.

ويجوز أيضاً أن يكون إلى واحد إلاه وفي واحد لغات (ألا) مثل قفا و (ألى) مثل معى و (ألى) مثل حدى و (أل) مثل حسا، فإذا أضيف إلى غيره سقط التنوين، ولا يكون (إلى) حرفاً في الآية. وكل ذلك يبطل قول من أجاز الرؤية على الله تعالى. وليس لأحد أن يقول: إن الوجه الأخير يخالف الإجماع، أعني إجماع المفسرين، وذلك لأننا لا نسلم لهم ذلك، بل قد قال مجاهد وأبو صالح والحسن وسعيد بن جبير والضحاك: إن المراد نظر الثواب. وروى مثله عن علي عليه السلام.

وقد فرق أهل اللغة بين نظر الغضبان ونظر الراضى، يقولون: نظر غضبان، ونظر راضى، ونظر عداوة ونظر مودة، قال الشاعر:

تخبرنى العينان ما الصدر كاتم ولا حن بالبغضاء والنظر الشزر

والرؤية ليست كذلك فإنهم لا يضيفونها، فدل على أن النظر غير الرؤية، والمرئى هو المدرك، والرؤية هي الإدراك بالبصر، والرئى هو المدرك، ولا تصح الرؤية وهي الإدراك إلا على الأجسام أو الجوهر أو الألوان. ومن شرط المرئى أن يكون هو أو محله مقابلاً أو فى حكم المقابل، وذلك يستحيل عليه تعالى، فكيف تجيز الرؤية عليه تعالى!

امير المؤمنين يدفع الشبهات

كتاب التوحيد للصدوق/ ٢٥٤-٢٦٩:

حدثنا أحمد بن الحسن القطان قال: حدثنا أحمد بن يحيى، عن بكر بن عبدالله بن حبيب قال: حدثني أحمد بن يعقوب بن مطر قال: حدثنا محمد بن الحسن بن عبدالعزيز الأحذب الجند بنيسابور قال: وجدت فى كتاب أبى بخطه: حدثنا طلحة بن يزيد، عن عبيد الله بن عبيد عن أبى معمر السعدانى أن رجلاً أتى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إنى قد شككت فى كتاب الله المنزل، قال له عليه السلام: ثكلتك أمك وكيف شككت فى كتاب الله المنزل؟

قال: لانى وجدت الكتاب يكذب بعضه بعضاً فكيف لا أشك فيه.

فقال على بن أبى طالب عليه السلام: إن كتاب الله ليصدق بعضه بعضاً ولا يكذب بعضه بعضاً، ولكنك لم ترزق عقلاً تنتفع به، فهات ما شككت فيه من كتاب الله عز وجل.

قال له الرجل: إنى وجدت الله يقول: فاليوم نساها كما نسوا لقاء يومهم هذا، وقال أيضاً: نسوا الله فنسيهم، وقال: وما كان ربك نسياً، فمرة يخبر أنه ينسى، ومرة يخبر أنه لا ينسى، فأنى ذلك يا أمير المؤمنين!

قال: هات ما شككت فيه أيضاً.

قال: وأجد الله يقول: يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صِيْفًا لا يَتَكَلَّمُونَ إِلا مَنْ أذنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا، وقال واستنطقوا فقالوا والله ربنا ما كنا مشركين، وقال: يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وقال: إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ، وقال: لا تَخْتَصِمُوا لَدَى وَقد قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ، وقال: نَحْتِمُ عَلَى أَقْوَاهِهِمْ وَتَكَلَّمْنَا أَيْدِيَهُمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فمرة يخبر أنهم يتكلمون ومرة يخبر أنهم لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً، ومرة يخبر أن الخلق لا ينطقون ويقول عن مقاتلتهم: وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ: ومرة يخبر أنهم يختصمون، فأنى ذلك يا أمير المؤمنين، وكيف لا أشك فيما تسمع...

قال: هات ويحك ما شككت فيه.

قال: وأجد الله عز وجل يقول: وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ. ويقول: لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ.

ويقول: وَلَقَدْ رَأَهُ نَزَلَةً أُخْرَى، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، ويقول: يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِمَّا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا، ومن أدركته الأبصار فقد أحاط به العلم، فأنى ذلك يا أمير المؤمنين وكيف لا أشك فيما تسمع؟....

فقال عليه السلام: وأما قوله عز وجل: وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ، وقوله: لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ، وقوله: وَلَقَدْ رَأَهُ نَزَلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وقوله: يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِمَّا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا، فأما قوله: وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ، فإن ذلك في موضع ينتهي فيه أولياء الله عز وجل بعدما يفرغ من الحساب إلى نهر يسمى الحيوان فيغتسلون فيه ويشربون منه فتتضر وجوههم إشراقاً فيذهب عنهم كل قذى ووعث، ثم يؤمرون بدخول الجنة، فمن هذا المقام ينظرون إلى ربهم كيف يثيبهم، ومنه يدخلون الجنة، فذلك قوله عز وجل من تسليم الملائكة عليهم: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ، فعند ذلك أيقنوا بدخول الجنة والنظر إلى ما وعدهم ربهم فذلك قوله: إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ، وإنما (عنى) بالنظر إليه النظر إلى ثوابه يعنى لا تحيط به الأوهام. وهو يدرك الأبصار، يعنى يحيط بها وهو اللطيف الخبير، وذلك مدح امتدح به ربنا نفسه تبارك وتعالى وتقديس علواً كبيراً، وقد سأل موسى عليه السلام وجرى على لسانه من حمد الله عز وجل: رب أرني أنظر إليك، فكانت مسألته تلك أمراً عظيماً، فقال الله تبارك وتعالى: لَنْ تَرَانِي.. أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي، فأبدى الله سبحانه بعض آياته وتجلي ربنا للجبل فتقطع الجبل فصار رميماً وخر موسى صعقاً، يعنى ميتاً، ثم أحياه الله وبعثه وتاب عليه، فقال: سبحانهك تبت إليك وأنا أول المؤمنين، يعنى أول مؤمن آمن بك منهم أنه لن يراك.

وأما قوله: ولقد رآه نزلة أخرى عند سدره المنتهى، يعنى محمداً صلى الله عليه وآله كان عند سدره المنتهى حيث لا يتجاوزها خلق من خلق الله، وقوله فى آخر الآية: مَا زَاغَ الْبَصِيرُ وَمَا طَعَى. لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى. رأى جبرئيل عليه السلام فى صورته مرتين هذه المرة ومرة أخرى، وذلك أن خلق جبرئيل عظيم فهو من الروحانيين الذين لا يدرك خلقهم وصفتهم إلا الله رب العالمين. ورواه الطبرسى فى الاحتجاج: ١/٣٥٨ - ٣٦٢ ورواه المجلسى فى بحار الأنوار: ٤/٣٢.

شرح الأسماء الحسنى: ١/١٨٥:

(يا من يرى ولا يرى)

طال التشاجر بين الأشاعرة والمعتزلة فى مسألة الرؤية فذهب الأشاعرة إلى أن الله تعالى يرى فى الآخرة وينكشف انكشاف البدر المرئى ولكن بلا مقابلة وجهه ومكان، خلافاً للمعتزلة حيث نفوها، وللمشبهه والكراميه فإنهم وإن جوزوا رؤيته تعالى ولكن فى الجهة والمكان وعلى سبيل المقابلة، لإعتقادهم جسميته تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وحرر بعض متأخري الأشاعرة حل النزاع بأنه لا- نزاع للنافين فى جواز الإنكشاف التام العلمى، ولا للمثبتين فى امتناع ارتسام صورة المرئى فى العين، أو اتصال الشعاع الخارج من العين بالمرئى.

وإنما محل النزاع أنا إذا عرفنا الشمس مثلاً بحد أو رسم كان نوعاً من المعرفة، ثم إذا أبصرناها وغمضنا العين كان نوعاً آخر من المعرفة فوق الأول، ثم إذا فتحنا العين حصل نوع آخر من الإدراك فوق الأولين، نسميها الرؤية ولا يتعلق فى الدنيا إلا بما هو فى جهة ومكان، فمثل هذه الحالة الإدراكية هل يصح أن تقع بدون المقابلة والجهة، وأن تتعلق بذات الله تعالى منزها عن الجهة والمكان أم لا. واحتج الأشاعرة بحجة عقلية كلامية لا نطيل الكلام بذكرها، وأدلة نقلية منها قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ....

ومنها، قوله تعالى لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ.

ومنها، هذا الإسم الشريف الذى هو نظير هذه الآية.

وبالجمله كل الآيات والسنن التنزيهية تدل عليه نصاً وظاهراً ومنطوقاً ومفهوماً، والحق أن مراد محققى الأشاعرة من الرؤية هو الشهود

بنوره لنوره والإنكشاف البالغ حد العيان، أيده الأذواق وصدقه قاطع البرهان، بدليل قولهم بلا مقابلةً وجهه ومكان، وكذا قولهم فى تحرير محل النزاع، فمثل تلك الحالة الإدراكية أعدل شاهد على ذلك، إذ ليس مرادهم ما هو ظاهره حتى يقال حصول مثل تلك الحالة وعدم حصول مقابله ولا جهة، ومع هذا تكون رؤية لا تعقلاً، بل مرادهم أنه كما أن تلك الحالة ممتازة عن التعقل والتخيل والإحساس بالحس المشترك ومشاهدة وشهود للبصر، كذلك سيحصل لنا حالة عيانية ممتازة عنها وعلم حضورى بالنسبة إليه تعالى، هو شهود لا على المشاعر الجامع لجميعها بنحو أعلى، خذ الغايات ودع المبادئ أى المبادئ الطبيعية المحدودة، كما ذكرنا فى كونه سميعاً بصيراً أن المشاهدة التى يترتب على قوانا يترتب على ذاته النورية بنحو أنور فإنه سميع بصير بذاته لا بالسمع والبصر، فهذا مرادهم، وإلا فكما لا يليق بالعلماء التكلم فى مسموعيته أو مسموميته مثلاً إذ ليس من سنخ المسموعات أو المشمومات، كذلك لا يليق بهم التكلم فى مبصريته إذ ليس من سنخ المبصرات لأن المبصر بالذات هو الضوء واللون عند التحقيق وإن كانت الجواهر الفردة عند المتكلم مبصرة بالذات.

فإذا عرفت هذا، فاعلم أن أرباب القشور منهم حرفوا الكلم عن مواضعه فلم يتفوهوا بما هو مخ القول، وعموا وضموا عما هو لب الحق، إذ كان المراد هو الشهود، والمعتزلة أيضاً لا ينكرونه، وإنما أنكروا الرؤية الظاهرية التى بالجراحة كما مر فى محل النزاع أنه لانزاع للنافين فى جواز الإنكشاف التام العلمى بأن يكون المراد بالعلمى العلم الحضورى، ولكن لا على سبيل الاكتناه، كما قيل إن العارفين المتألهين يشاهدونه ولكن لا بالكنه بل على سبيل الفناء الذى هو قرّة عين العرفاء والعلماء، بأن يرى كل فعل وصفه ووجود مستهلكه فى فعله وصفته ووجوده تعالى.

ولا يجوز للمؤمن إنكار ذلك الشهود لأن إنكاره إنكار الكتب السماوية والسنن النبوية والآثار الولوية، بل هو غاية إرسال المرسلين وإرشاد الأنمة الهادين وسير السائرين وسلوك السالكين، ولولاه لم يكن سماء ولا أرض ولا بسيط ولا مركب، كما قال تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، أى ليعرفون، وفى الحديث القدسى: فخلقت الخلق لأعرف، فالكتاب المجيد الذى هو تنزيل من حكيم حميد مشحون منه قال تعالى مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ. يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ. ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ. شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ. والشهادة بالوحدانية فرع الشهادة بالوجود وشهوده، وهكذا كل آية مشتملة على ما دل على الشهود حتى لفظ الإيمان باعتبار بعض درجاته العالية....

قال سيد الأولياء عليه السلام: لم أعبد رباً لم أره. ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله فيه أو قبله أو معه.

وقال ابنه سيد الشهداء عليه السلام: عميت عين لا تراك.

وقال أيضاً: تعرفت بكل شىء فما جهلك شىء. تعرفت إلى فى كل شىء فرأيتك ظاهراً فى كل شىء، فأنت الظاهر لكل شىء.

وليكنف هذا اليسير من الكثير لأن كل أشراك مقالاتهم وحبائل تحريراتهم لإصطياد هذا الصيد العديم المثال، فتمام سهام قصودهم واقعة على هذا الغرض الرفيع المنال، وحيث حملنا الرؤية على الشهود فلا تخصيص له بالآخرة، فإن أبناء اليقين لموتهم الإرادى قبل موتهم الطبيعى وفنائهم عن ذواتهم قامت قيامتهم ورأوا ما رأوا، ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى.

روى الشيخ الصدوق رحمه الله عن أبى بصير قال قلت لآبى عبد الله عليه السلام: أخبرنى عن الله تعالى هل يراه المؤمنون يوم القيامة قال: نعم وقد رأوه قبل يوم القيامة، فقلت متى؟ قال: حين قال أأست بربكم قالوا بلى. ثم سكت ساعة ثم قال: وإن المؤمنون يرونه فى الدنيا قبل يوم القيامة. أأست تراه فى وقتك هذا قال أبو بصير فقلت: جعلت فداك فأحدث بهذا عنك؟ فقال: لا فإنك إذا حدثت به فأنكره منكر جاهل بمعنى ماتقول ثم قدر أن هذا تشبيه كفر، وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين تعالى عما يصفه المشبهون والملحدون.

وقال سيد الموقنين ومولى المكاشفين: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً....

وقوله عليه السلام ما ازددت يقيناً، لعل المراد منه نفى الزيادة الكمية لا الكيفية، ومن ثم قال صلى الله عليه وآله: إن العيش عيش

الآخرة. ونعم ما قال العارف عبدالرحمن الجامي قدس سره السامى:

تا بود باقى بقايای وجود كى شود صاف از كدر جام شهود

تا بود پیوند جان وتن بجای كى شود مقصود كل برقع گشای

تا بود قالب غبار چشم جان كى توان دیدن رخ جانان عیان

ثم إن الشهود الحاصل لأهل الله فى الدنيا ليس لهم بما هم بأبدانهم فرشيون دنيويون، بل بما هم بقلوبهم عرشيون أخرويون، فيصدق أن الرؤية والشهود مطلقاً مخصوصة بالآخرة.

ويمكن أيضاً التوفيق بين المذهبين بأن الرؤية وإن كانت بمعنى الشهود لا يمكن فى الدنيا والآخرة بالنسبة إلى كنه ذاته، احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، ويمكن بالنسبة إلى وجهه: فَأَيْنَمَا تَوَلَّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ.

بل هاهنا نظر آخر فيه حصر النظر على وجهه الكريم كما قال المعصوم عليه السلام بنقل القاضى سعيد القمى: لا أرى إلا وجهك ولا أسمع إلا صوتك، يا من يخلق ولا يخلق، يا من يهدى ولا يهدى، يا من يحيى ولا يحيى، يا من يسأل ولا يسأل. هذا الإسم الشريف مأخوذ من الآية الشريفة وهى: لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

وقد تمسك الأشاعرة بها فى كثير من المواضع، منها أنهم قالوا بنفى اللمية الغائية والداعى وجواز الترجيح من غير مرجح، فإذا سئل عنهم ما المخصص لأحداث العالم فى وقت مخصوص دون سائر الأوقات مع تشابهها، وما المرجح للإسماك فى أوقات غير متناهية، كما هو مذهبهم من التعطيل والإفاضة فى وقت؟ مع كونه تعالى علة تامه غير محتاج إلى شرط أو آله أو معاون أو حالة منتظرة، وبالجملة ما به يتم فاعليته؟ قالوا: لا يستل عما يفعل، والتزموا القدرة الخرافية.

ومنها، أنهم حيث قالوا بالتحسين والتقيح الشرعيين دون العقليين قالوا بنفى العلاقة اللزومية بين الأعمال الحسنه ودخول الجنة وبين الأعمال القبيحة ودخول النار، بحيث جوزوا أن يدخل الله السعيد فى النار خالداً والشقى فى الجنة أبداً، فإذا قيل عليهم إن هذا ظلم صريح، قالوا: لا يسأل عما يفعل... إلخ.

واحتج المعتزلة أيضاً بحجج عقلية ونقلية كثيرة، نذكر بعضها ونترك أكثرها لأن من أنس بالقواعد العقلية وحافظ على تنزيه الله من سمات المحدثات وصفات الأجسام قدر على إقامة حجج كثيرة وإبطال ما هو ظاهر الأشاعرة من الرؤية.

فمنها، أنه فيما عندنا من المبصرات يجب الرؤية عند تحقق شروط ثمانية ككون الحاسة سليمة وكون الشئ جازر الرؤية وكون الشئ مقابلاً أو فى حكم المقابل وعدم كون المرئى فى غاية القرب وغاية البعد وغاية اللطافة وغاية الصغر وأن لا يكون بين الرئى والمرئى حجاب، إذ لو لم تجب الرؤية عند حصول الشرائط جاز أن يكون بحضرتنا جبال وأشخاص لا نراها، والستة الاخيرة لا يمكن اعتبارها فى رؤيته تعالى لتزهره عن الجهة والحيز، بقى سلامة الحاسة وجواز الرؤية، وسلامة الحاسة فلو جاز الرؤية وجب أن تراه فى الدنيا والجنة دائماً، والأول منتف بالضرورة والثانى بالإجماع والنصوص القاطعة الدالة على اشتغالهم بغير ذلك من اللذات.

تفسيرهم الموافق لمذهبنا

روى السيوطى فى الدر المنثور: ٣/٣٧ عدداً من الروايات التى توافق مذهبنا ومذهب عائشه، قال:

وأخرج عبد ابن حميد وأبو الشيخ عن قتادة: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، قال هو أجل من ذلك وأعظم من أن تدركه الأبصار.

وأخرج ابن أبى حاتم عن السدى فى قوله: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ، يقول لا يراه شئ وهو يرى الخلائق.

تفسير الطبرى: ٩/٣٨:

معاوية عن على (بن طلحة) عن ابن عباس قوله تعالى: سُبْحَانَكَ تَبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ، يقول أنا أول من يؤمن أنه لا يراك شئ من خلقك. انتهى.

وقد تقدم استدلال عائشة بالآية على عدم إمكان الرؤية، قال الرازي في المطالب العالية: ١ جزء ١/٨٧: إن عائشة (رض) قالت: من حدثكم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية، ثم قرأت: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ.

محاولاتهم تأويل الآية و إبطال معناه

رد النووي على عائشة في شرح مسلم-هامش الساري: ٢/٩٣ فقال: فأما احتجاج عائشة بقول الله تعالى لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ. فجوابه ظاهر فإن الإدراك هو الإحاطة والله تعالى لا يحاط به! وإذا ورد النص بنفى الإحاطة فلما يلزم منه نفى الرؤية بغير إحاطة. انتهى. ولكن المنفى هنا هو إدراك البصر، وهو أعم من الرؤية الجزئية والإحاطة!

وقال الجويني في لمع الأدلة ١٠١/١-١٠٥:

مذهب أهل الحق أن الباري تعالى مرئي، ويجوز أن يراه الراؤون بالأبصار...

والدليل على جواز الرؤية عقلاً: أن الرب سبحانه وتعالى موجود، وكل موجود مرئي. وبيان ذلك: أنا نرى الجواهر والألوان، فإن رئي الجواهر لكونه جوهرًا لزم ألا يرى الجوهر، وإن رثيا لوجودهما لزم أن يرى كل موجود، والباري سبحانه وتعالى: موجود فصح أن يرى.

فإن قالوا: إنما يرى ما يرى لحدوثه والرب تعالى أزلي قديم الذات فلا يرى، فالجواب من وجهين: أحدهما أن نقول كلامكم هذا نقض عليكم لجواز رؤية الطعوم والروائح والعلوم ونحوها فإنها حوادث، وعندكم يستحيل أن ترى.

ثم الجواب الحقيقي أن نقول: الحدوث ينبى عن موجود مسبوق بعدم والعدم السابق لا يصحح الرؤية، فانحصر التصحيح في الوجود، فدل على أن كل موجود صح أن يرى.

ويستدل على جواز الرؤية وأنها ستكون في الجنان وعداً من الله صدقاً وقولاً منه حقاً بقوله تعالى: **وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ**. والنظر إذا عدى بالي اقتضى رؤية البصر. وإن عارضونا بقوله تعالى: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ. قلنا: فمن أصحابنا من قال الرب تعالى يرى ولا يدرك فإن الإدراك ينبى عن الإحاطة ودرك الغاية، والرب مقدس عن الغاية والنهاية. فإن عارضونا بقوله تعالى في جواب موسى عليه السلام: **لَنْ تَرَانِي**، فزعموا أن لن تقتضى النفى على التأييد...

قلنا: هذه الآية من أوضح الأدلة على جواز الرؤية! فإنها لو كانت مستحيلة لكان معتقد جوازها ضالاً أو كافراً، وكيف يعتقد ما لا يجوز على الله تعالى من اصطفاه الله تعالى لرسالته واجتباؤه لنبوته وخصصه بتكريمه وشرفه بتكليمه وجعله أفضل أهل زمانه وأيده ببرهانه، ويجوز على الأنبياء الريب في أمر يتعلق بعلم الغيب، أما ما يتعلق بوصف الباري عز وعلا- فلا- يجوز الريب عليهم، فيجب حمل الآية على أن ما اعتقد موسى عليه السلام جوازه جائز، لكن ظن أن ما اعتقد جوازه ناجزاً فيرجع النفى في الجواب إلى السؤال. وما سأل موسى عليه السلام ربه رؤية ذات الله تعالى، بل طلب أن يريه شيئاً من آياته كأنه ينظر إليه.

وروى السيوطي في الدر المنثور: ٣/٣٧:

وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن إسماعيل بن عليه، في قوله: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، قال: هذا في الدنيا!

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن عكرمة عن ابن عباس قال: إن النبي (ص) رأى ربه، فقال له رجل عند ذلك أليس قال الله: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ! فقال له عكرمة: أأنت ترى السماء؟ قال: بلى، قال فكلها ترى! (يقصد بما أن الله تعالى كبير فإننا نرى جزءاً منه فقط!)

وأخرج الترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه واللالكائي في السنة عن ابن عباس قال: رأى محمد ربه، قال عكرمة فقلت له: أليس الله يقول لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ قال: لا أم لك، ذاك نوره الذي هو

نوره إذا تجلى بنوره لا يدركه شئ، وفي لفظ: إنما ذلك إذا تجلى بكيفيته لم يقم له بصر. انتهى. وهو يقصد أن ذات الله تعالى ترى ولكن نوره لا تدركه الابصار!!

ثم أكد السيوطي رأى عكرمه فنقل في: ٣/٣٧ قول ابن جريح في تفسير الآية أن الابصار لا تدرك الله تعالى كله لكبر حجمه! قال: وأخرج ابن المنذر عن ابن جريح في قوله: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، قال: قالت امرأة استشفع لى يا رسول الله على ربك. قال: هل تدرين على من تستشفعين، إنه ملا كرسية السموات والأرض ثم جلس عليه فما يفضل منه من كل أربع أصابع، ثم قال: إن له أطيماً كأطيظ الرجل الجديد فذلك قوله: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، ينقطع به بصره قبل أن يبلغ أرجاء السماء. زعموا أن أول من يعلم بقيام الساعة الجن تذهب فإذا أرجاؤها قد سقطت لا تجد منفذاً تذهب في المشرق والمغرب واليمن والشام. انتهى.

وأعجب منه روايتهم التي تفسر الأبصار التي لا تدركه بأنها أبصار العقول، ومع ذلك تدركه أبصار العيون!! قال: وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ واللالكائي من طريق عبدالرحمن بن مهدي قال سمعت أبا الحصين يحيى بن الحصين قارى أهل مكة يقول: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ قال أبصار العقول. انتهى.

وقد تقدم في أول الباب عن (إمام الأئمة) ابن خزيمة حملته الشديدة على عائشة وتفسيره للآية بأن جميع الأبصار لا تدركه ولكن البصر الواحد يدركه! قال في كتاب التوحيد/٢٢٦:

لأن قوله: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، قد يحتمل معنيين على مذهب من يثبت رؤية النبي (ص) خالقه عز وجل، قد يحتمل بأن يكون معنى قوله: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، على ما قال ترجمان القرآن لمولاه عكرمه ذاك نوره الذي هو نوره إذا تجلى بنوره لا يدركه شئ. والمعنى الثانى أى لا تدركه الابصار أبصار الناس لأن الأعم والأظهر من لغة العرب أن الأبصار إنما تقع على أبصار جماعة، لا أحسب غريباً يجى من طريق اللغة أن يقال لبصر امرى واحد أبصار وإنما يقال لبصر امرى واحد بصر، لا ولا سمعنا غريباً يقال لعين امرى واحد بصران فكيف أبصار، ولو قلنا: إن الأبصار ترى ربنا فى الدنيا لكننا قد قلنا الباطل والبهتان، فأما من قال إن النبي (ص) قد رأى ربه دون سائر الخلق فلم يقل إن الابصار قد رأت ربها فى الدنيا فكيف يكون - يا ذوى الحجا - من ينفى أن النبي (ص) محمداً قد رأى ربه دون سائر الخلق مثبتاً أن الأبصار قد رأت ربها، ففهموا يا ذوى الحجا هذه النكتة تعلموا أن ابن عباس رضى الله عنهما وأباذر وأنس بن مالك ومن وافقهم لم يعظموا الفرية على الله، لا ولا خالفوا حرفاً من كتاب الله فى هذه المسألة! انتهى.

وقد علق على ذلك محقق كتابه وهو الشيخ محمد الهراس من علماء الأزهر، فقال:

عجباً لإمام الأئمة كيف خان علمه فتوهم أن المنفى هو إدراك الأبصار له إذا اجتمعت فإذا انفرد واحد منها أمكن أن يراه! فهل إذا قال قائل لا آكل الرمان، يكون معنى هذا أنه لا يأكل الحبات منه ولكن يأكل الحبة! يرحم الله ابن خزيمة فلقد كبا ولكل جواد كبوة. وقد كان الطبرى من أعقلهم فى تفسير الآية حيث اعترف بأنه لا مجال للهروب منها ولا بد من الاعتراف بأنها تنفى إمكان الرؤية مطلقاً، وأن الأخبار المروية فى رؤيته تعالى تنافى، ولكن لا بد لنا من قبول الأخبار وطرح الآية! قال فى تفسيره: ٧/٢٠٠-٢٠٣:

قالوا فإن قال لنا قائل: وما أنكرتم أن يكون معنى قوله: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، لا تراه الأبصار؟ قلنا له: أنكرنا ذلك لأن الله جل ثناؤه أخبر فى كتابه أن وجوهاً فى القيامة إليه ناظرة، وأن رسول الله (ص) أخبر أمته أنهم سيرون ربهم يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر.... وقال آخرون.. لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ، إلا أنه جائز أن يكون معنى الآية لا تدركه أبصار الظالمين فى الدنيا والآخرة، وتدركه أبصار المؤمنين وأولياء الله. قالوا وجائز أن يكون معناها لا تدركه الأبصار بالنهاية والإحاطة وأما الرؤية فبلى. وقال آخرون: الآية على العموم ولن يدرك الله بصر أحد فى الدنيا والآخرة، ولكن الله يحدث لاوليائه يوم القيامة حاسة سادسة سوى حواسهم الخمس فيرونه بها... والصواب من القول فى ذلك: عذرنا ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله (ص) أنه قال إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر. انتهى.

ولم يبين الطبرى ولا غيره كيف صار هذا هو الصواب، وهل كلما عارض صريح القرآن خبر أخذنا به وخصصنا به القرآن وقلنا: عذرنا

الأخبار المناقضة للقرآن!

قال القسطلاني في إرشاد الساري: ١٠/٣٦٤:

قوله تعالى في سورة الانعام: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، وأجاب المبتون بأن معنى الآية لا تحيط به الأبصار أو لا تدركه الأبصار، وإنما يدركه المبصرون! أو لا- تدركه في الدنيا لضعف تركيبها في الدنيا، فإذا كان في الآخرة خلق الله تعالى فيهم قوة يقدرون بها على الرؤية. انتهى.

ولكنهم بهذه المواصفات الجديدة للعين ونظام الرؤية، خرجوا عن موضوع البحث، بل هربوا منه، وفي نفس الوقت ردوا أحاديثهم في الرؤية التي ظاهرها رؤيته تعالى في الدنيا والآخرة بالعين المتعارفة المجردة، في أحسن صورة، وكما يرى القمر ليلة البدر على حد زعمهم!

وقال الشوكاني في فتح القدير: ٢/١٨٥:

في قوله: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ... التقدير لا تدركه كل الابصار بل بعضها، وهي أبصار المؤمنين!....

وقال التلمساني في نفح الطيب: ٧/٢٩٦:

سئل النصيب عن الرؤية بمجلس عضد الدولة فأنكرها محتجاً بأن كل شيء يرى بالعين فهو في مقابلتها، فقال له القاضي ابن الطيب: لا يرى بالعين، قال له الملك: فيماذا يرى؟ قال: بالإدراك الذي يحدثه الله في العين.. وهذا الأجر عينه قائمة ولا يرى بها شيئاً! انتهى.

وقال في نفح الطيب: ٨/ص ٣٤:

حكاية أبي بكر بن الطيب مع رؤساء بعض المعتزلة، وذلك أنه اجتمع معه في مجلس الخليفة، فناظره في مسألة رؤية الباري فقال رئيسهم: ما الدليل أيها القاضي على جواز رؤية الله تعالى؟ قال: قوله تعالى: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ! فنظر بعض المعتزلة إلى بعض وقالوا: جنّ القاضي، وذلك أن هذه الآية هي معظم ما احتجوا على مذهبهم، وهو ساكت، ثم قال لهم: أتقولون إن من لسان العرب قولك: الحائط لا يبصر قالوا: لا.. قال: فلا يصح إذن نفى الصفة عما من شأنه صحة إثباتها له؟ قالوا نعم، قال: فكذلك قوله تعالى (لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) لولا جواز إدراك الابصار له لم يصح نفيه عنه. انتهى. ولا بدّ أنهم أجابوه إن الذي يصحح النفي هو توهم جواز الرؤية لا جوازها وإمكانها!

وهكذا يحرم إخواننا التأويل، ولكنهم إذا وصلوا إلى آيات نفى الرؤية وأحاديثها هجموا عليها بمعاول التأويل والمغالطات بلا رحمة ولا ضابطة، حتى يجعلوا من النفي إثباتاً، وقد يجعلون من الكفر إيماناً!

تفسير آية: ما كذب الفؤاد ما رأى

قال الله تعالى: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ. وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ. ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ. وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ. ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ. فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ. مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ. أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ. وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ. عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ. إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ. مَا زَاغَ الْبَصِيرُ وَمَا طَغَىٰ. لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ. النجم: ١ - ١٨.

قال أهل البيت: رأى ربه بفؤاده ورأى آياته بعينه

تقدم في الفصول السابقة عدد من الأحاديث عن النبي وآله صلى الله عليه وآله في تفسير هذه الآية، ونضيف إليها هنا ما يلي:

روى الصدوق في كتاب التوحيد/١٠٨:

أبي رحمه الله قال: حدثنا محمد بن يحيى العطار، عن أحمد بن محمد بن عيسى، قال: حدثنا ابن أبي نصر، عن أبي الحسن الرضا عليه

السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما أسرى بي إلى السماء بلغ بي جبرئيل مكاناً لم يطأه جبرئيل قط، فكشف لي فأراني الله عز وجل من نور عظمته ما أحب.

وفي ١١٦:

حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد (رض) قال: حدثنا إبراهيم بن هاشم، عن ابن أبي عمير، عن مرزم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه عز وجل يعنى بقلبه، وتصديق ذلك: ما حدثنا به محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن محمد بن الفضيل قال: سألت أبا الحسن عليه السلام هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه عز وجل؟ فقال: نعم بقلبه رآه، أما سمعت الله عز وجل يقول: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، أى لم يره بالبصر، لكن رآه بالفؤاد.

وقد عقد الصدوق فى التوحيد باباً بعنوان (ما جاء فى الرؤية) ١٠٧، نورد بعض روايته قال:

حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل، قال: حدثنا على بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن النوفلى، عن السكونى، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: مر النبى صلى الله عليه وآله على رجل وهو رافع بصره إلى السماء يدعو، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: غض بصرك فإنك لن تراه.

وقال: ومر النبى صلى الله عليه وآله على رجل رافع يديه إلى السماء وهو يدعو، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أقصر من يدك فإنك لن تناله.

حدثنا على بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله، قال: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفى، عن على بن أبي القاسم، عن يعقوب بن إسحاق قال: كتبت إلى أبى محمد عليه السلام أسأله كيف يعبد العبد ربه وهو لا يراه؟ فوقع عليه السلام يا أبا يوسف جل سيدى وم ولأى والمنعم على وعلى آبائى أن يرى.

قال: وسألته هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه؟ فوقع عليه السلام إن الله تبارك وتعالى أرى رسوله بقلبه من نور عظمته ما أحب.

حدثنا الحسين بن أحمد بن إدريس رحمه الله، عن أبيه، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، عن عاصم بن حميد، قال: ذكرت أبا عبد الله عليه السلام فيما يروون من الرؤية، فقال: الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي، والكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش، والعرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب، والحجاب جزء من سبعين جزءاً من نور الستر، فإن كانوا صادقين فليملؤوا أعينهم من الشمس ليس دونها سحاب.

وفى علل الشرائع: ١/١٣١:

حدثنا محمد بن أحمد بن السنانى وعلى بن أحمد بن محمد الدقاق والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المؤدب وعلى بن عبد الله الوراق رضى الله عنهم، قالوا حدثنا محمد بن أبى عبد الله الكوفى الأسدى، عن موسى بن عمران النخعى، عن عمه الحسين بن يزيد النوفلى، عن على بن سالم، عن أبيه، عن ثابت بن دينار، قال سألت زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام عن الله جل جلاله هل يوصف بمكان؟ فقال: تعالى عن ذلك. قلت: فلم أسرى بنبيه محمد صلى الله عليه وآله إلى السماء؟ قال: ليريه ملكوت السموات وما فيها من عجائب صنعه وبدائع خلقه. قلت فقول الله عز وجل: ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى؟ قال: ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله دنا من حجب النور فرأى ملكوت السموات، ثم تدلى صلى الله عليه وآله فنظر من تحته إلى ملكوت الأرض حتى ظن أنه فى القرب من الأرض كقاب قوسين أو أدنى.

ورواى النيسابورى فى روضة الواعظين/٣٣:

قال عكرمة: بينما ابن عباس يحدث الناس إذ قام نافع بن الأزرق فقال: يا بن عباس، تفتى فى النملة والقملة، صف لنا إلهك الذى

تعبده. فأطرق ابن عباس إعظاماً لله عز وجل، وكان الحسين بن علي قاعداً في موضع فقال: إلیّ یابن الأزرق، فقال: لست إياك أسأل، فقال ابن عباس: یابن الأزرق إنه من أهل بیت النبوة وهم ورثه العلم، فأقبل نافع بن الأزرق نحو الحسين فقال الحسين عليه السلام: یا نافع، إن من وضع دينه على القياس لم يزل الدهر في التباس، مائلاً على المنهاج ظاعناً في الاعوجاج، ضالاً عن السبيل قائلاً غير الجميل، یابن الأزرق أصف إلهی بما وصف به نفسه وأعرفه بما عرف به نفسه: لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس، فهو قريب غير ملتصق، وبعيد غير منفصل، يوحد ولا يبعض، معروف بالآيات، موصوف بالعلامات، لا إله إلا هو الكبير المتعال.

وقال الطوسي في تفسير التبيان: ٩/٤٢٤:

وقوله: ما كذب الفؤاد ما رأى، قال ابن عباس: رأى ربه بقلبه، وهو معنى قوله علمه، وإنما علم ذلك بالآيات التي رآها.

وقال ابن مسعود وعائشة وقتادة: رأى محمد جبرائيل على صورته.

وقال الحسن: یعنی ما رأى من مقدورات الله تعالى وملكوته.

وقال الحسن: عرج بروح محمد صلى الله عليه وآله إلى السماء وجسده في الأرض.

وقال أكثر المفسرين وهو الظاهر من مذهب أصحابنا والمشهور في أخبارهم: أن الله تعالى صعد بجسده حياً سليماً حتى رأى ملكوت السموات وما ذكره الله بعيني رأسه، ولم يكن ذلك في المنام بل كان في اليقظة... ومعنى: ما كذب الفؤاد، أى ما توهم أنه يرى شيئاً وهو لا يراه من جهة تخيله لمعناه، كالرائي للسراب بتوهمه ماء ويرى الماء من بعيد فيتوهمه سراًباً. ومن شدد أراد لم يكذب فؤاد محمد ما رأت عيناه من الآيات الباهرات فعدها.

وفي تفسير نور الثقلين: ٥/١٥٥:

في تفسير علي بن ابراهيم: حدثني أبي، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال قال لي: يا أحمد ما الخلاف بينكم وبين أصحاب هشام بن الحكم في التوحيد؟ فقلت: جعلت فداك قلنا نحن بالصورة، للحديث الذي روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله رأى ربه في صورة شاب، وقال هشام بن الحكم بالنفي للجسم، فقال: يا أحمد إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أسرى به إلى السماء وبلغ عند سدرة المنتهى، خرق له في الحجب مثل سم الإبرة فرأى من نور العظمة ما شاء الله أن يرى وأردتم أنتم التشبيه، دع هذا يا أحمد لا يفتح عليك منه أمر عظيم.

ورواه في بحار الأنوار: ٣/٣٠٧، وقال: المراد بالحجب المعنوية، وبالرؤية الرؤية القلبية، أو الحجب الصورية، فالمراد بنور العظمة آثار عظمت برؤية عجائب خلقه.

وفي بحار الأنوار: ٤/٣٧:

بيان: أعلم أن المفسرين اختلفوا في تفسير تلك الآيات قوله تعالى: ما كذب الفؤاد ما رأى، يحتمل كون ضمير الفاعل في رأى راجعاً إلى النبي صلى الله عليه وآله، وإلى الفؤاد. قال البيضاوي: ما كذب الفؤاد ما رأى بصره من صورة جبرئيل، أو الله، أى ما كذب الفؤاد بصره بما حكاها له، فإن الأمور القدسية تدرك أولاً بالقلب ثم تنتقل منه إلى البصر، أو ما قال فؤاده لما رآه: لم أعرفك، ولو قال ذلك كان كاذباً، لأنه عرفه بقلبه كما رآه بصره، أو ما رآه بقلبه، والمعنى لم يكن تخيلاً كاذباً. ويدل عليه أنه سئل عليه السلام هل رأيت ربك فقال: رأيت بؤفادى، وقرئ (ما كذب) أى صدقه ولم يشك فيه....

قوله تعالى: وَلَقَدْ رَأَهُ نَزَلَةً أُخْرَى، قال الرازى: يحتمل الكلام وجوهاً ثلاثة: الأول الرب تعالى، والثاني جبرئيل عليه السلام، والثالث الآيات العجيبة الإلهية. انتهى. أى ولقد رآه نازلاً نزلت أخرى فيحتمل نزوله صلى الله عليه وآله ونزول مرثية.

فإذا عرفت محتملات تلك الآيات عرفت سخافة استدلالهم بها على جواز الرؤية ووقوعها بوجوه:

الأول: أنه يحتمل أن يكون المرثى جبرئيل، إذا المرثى غير المذكور في اللفظ، وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذا الوجه في الخبر السابق.

وروى مسلم في صحيحه بإسناده عن زرعة عن عبدالله: ما كذب الفؤاد ما رأى، قال: رأى جبرئيل عليه السلام له ستمائة جناح. وروى أيضاً بإسناده عن أبي هريرة، ولقد رآه نزله أخرى قال: رأى جبرئيل عليه السلام بصورته التي له في الخلقة الأصلية. الثاني: ما ذكره عليه السلام في هذا الخبر وهو قريب من الأول لكنه أعم منه. الثالث: أن يكون ضمير الرؤية راجعاً إلى الفؤاد، فعلى تقدير إرجاع الضمير إلى الله تعالى أيضاً لافساد فيه. الرابع: أن يكون على تقدير إرجاع الضمير إليه صلى الله عليه وآله وكون المرئي هو الله تعالى، المراد بالرؤية غاية مرتبة المعرفة ونهاية الانكشاف. وأما استدلاله عليه السلام بقوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، فهو إما لأن الرؤية تستلزم الجهة والمكان وكونه جسماً أو جسمانياً، أو لأن الصورة التي تحصل منه في المدركة تشبهه.

رأى الشيعة الزيدية في نفى الرؤية

مختصر في العقيدة لللدكتور المرتضى بن زيد المحطوري/١١:

٨- الله سبحانه وتعالى لا يرى بالأبصار. لأنه ليس جسماً ولا عرضاً لا يرى، والدليل على ذلك - عقلاً ونقلاً:

دليل العقل: إن حاسة الرؤية إذا كانت سليمة ولم يمنع مانع من الرؤية من ظلام أو إضاءة زائدة أو بعد أو قرب ملاصق للعين، فعندما توجد شروط الرؤية المذكورة تستطيع العين رؤية الموجودات. والله سبحانه وتعالى موجود ولم نره، ولا يصح لنا أن نراه، لأن المرئي يجب أن يكون جسماً يرى، وله لون، وفي جهة من الجهات، والله سبحانه وتعالى ليس كذلك، فعظمته سبحانه في خفائه بدليل أن أعظم سر نبحت عنه هو الحياة والروح والعقل والتفكير والتميز والفرح والحزن ونحو ذلك مما لا نقدر على وضع اليد عليه مع علمنا بوجوده، فالكائنات الحية معجزة في تكوينها. ولكن الروح التي لا ندركها معجزة أكبر (ويسألونك عن الروح من أمر ربي) فكيف يرى الله والروح بعض أسرارها؟ وكيف يخفى والشمس بعض آياته؟! وكيف يخفى والشمس بعض آياته؟! وكيف يخفى والشمس بعض آياته؟!

نراه سبحانه بعيون التصديق والإيمان في آياته الباهرة وآثاره الظاهرة، نراه بالبصائر لا بالأبصار.

ومن زعم أنه يرى في الآخرة فقد استدل بقوله سبحانه (إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) وهي مؤولة بحذف مضاف والتقدير إلى رحمة ربها ناظرة لأنها مقابلة للآية التي بعدها (تَنْظُرُنَّ أَنْ يَفْعَلَٰ بِهَا فَاقِرَّةً) والمقابلة تقتضي ذلك فوجوه منتظرة لرحمة الله، ووجوه تتوقع غضبه ونقمته. ومن جهة ثانية: فقد ورد ناظر بمعنى منتظر كما في قوله سبحانه (مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً) والصيحة لا تنظر بالعين وإنما تنتظر. وكذلك قوله تعالى - حكاية عن بلقيس - (فَنَظَرَتْ بِمَ يُرْجَعُ الْمُرْسَلُونَ). والدليل إذا طرقة الاحتمال بطل الاستدلال به.

كما أن أهل البيت عليهم السلام مجمعون على عدم تجويز رؤية الله، وإجماعهم حجة، كما قال ابن تيمية وغيره، والأحاديث الواردة في هذا الشأن تعرض على القرآن، والقرآن ينفي عن الله الرؤية لأنها تقتضي التشبيه.

فالحديث الذي يقول (إنكم ترون ربكم كالقمر) يؤدي إلى تشبيه الله بخلقه كالقمر، وإن كان الحديث لا يفيد ذلك، فهو الذي نريد ويكون معناه ترون وعده ووعيده وصدق ما أخبركم به كالقمر عياناً، وإلا توقفنا عن العمل بحديث ظني يؤدي إلى التشبيه والتجسيم تعالى الله عن ذلك، والأخذ بالآية المحكمة أولى من الأخذ بالمتشابه.

تفسيرهم الموافق لمذهبنا

صحيح مسلم: ١/١٠٩:

عن أبي ذر قال سألت رسول الله (ص): هل رأيت ربك قال: نور، أنى أراه!

عن عبدالله بن شقيق قال قلت لأبي ذر: لو رأيت رسول الله (ص) لسألته، فقال عن أى شئ كنت تسأله؟ قال كنت أسأله هل رأيت ربك؟ قال أبو ذر: قد سألته فقال: رأيت نوراً.

حدثنا عباد وهو ابن العوام حدثنا الشيباني قال سألت زر بن حبیش عن قول الله عز وجل: فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، قال أخبرني ابن مسعود أن النبي (ص) رأى جبريل له ستمائة جناح.

عن زر، عن عبدالله قال: ما كذب الفؤاد ما رأى، قال: رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح.

زر بن حبیش، عن عبدالله قال: لقد رأى من آيات ربه الكبرى، قال: رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح.

عن عطاء، عن أبي هريرة: ولقد رآه نزله أخرى، قال: رأى جبريل.

عن عبد الملك عن عطاء، عن ابن عباس قال: رآه بقلبه.

عن أبي العالیه، عن ابن عباس قال: ما كذب الفؤاد ما رأى، ولقد رآه نزله أخرى، قال: رآه بفؤاده مرتين. انتهى.

وروى الترمذی فی: ٥/٧٠، عدة روايات في رؤية النبي لربه في الإسراء بقلبه، وروايتين في رؤيته له بعينه، قال: عن عكرمة، عن ابن عباس قال: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، قال رآه بقلبه. هذا حديث حسن....

عن قتادة، عن عبدالله بن شقيق، قال قلت لابي ذر لو أدركت النبي (ص) لسألته، فقال عما كنت تسأله؟ قلت: أسأله هل رأى محمد ربه؟ فقال: قد سألته فقال: نوراً، أنى أراه! هذا حديث حسن.

عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبدالله: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، قال: رأى رسول الله (ص) جبرائيل في حلة من رفرق قد ملا ما بين السماء والأرض. هذا حديث حسن صحيح.

عن عكرمة عن ابن عباس قال: رأى محمد ربه، قلت أليس الله يقول: لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ، قال ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره وقد رأى محمد ربه مرتين. هذا حديث حسن غريب.

عن ابن عباس في قول الله: وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى. قال ابن عباس: قد رآه النبي (ص). هذا حديث حسن. انتهى.

وروى أحمد في مسنده: ١/٢٢٣:

عن ابن عباس في قوله عز وجل: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، قال: رأى محمد ربه عز وجل بقلبه مرتين.

وقال السيوطي في الدر المنثور: ٦/١٢٣:

وأخرج الفريابي وعبد بن حميد والترمذی وصححه وابن جرير وابن المنذر والطبراني وأبو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه وأبونعيم والبيهقي معاً في الدلائل عن ابن مسعود (رض) قوله مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، قال: رأى (ص) جبريل عليه حلتا رفرق أخضر قد ملا ما بين السماء والأرض.

وأخرج مسلم وأحمد والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس في قوله: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى. وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى، قال: رأى محمد ربه بقلبه مرتين.

وأخرج عبد بن حميد والترمذی وحسنه وابن جرير وابن المنذر والطبراني عن ابن عباس في قوله: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، قال: رآه بقلبه.

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي عن بعض أصحاب النبي (ص) قال قالوا يا رسول الله هل رأيت ربك؟ قال لم أره بعيني، ورأيت بفؤادي مرتين.

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي العالیه قال سئل رسول الله (ص) هل رأيت ربك؟ قال: رأيت نهراً ورأيت وراء النهر حجاباً، ورأيت وراء الحجاب نوراً لم أره غير ذلك.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن أبي العالية في قوله: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، قال: محمد، رآه بفؤاد ولم يره بعينه.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن أبي صالح في قوله: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، قال: رآه مرتين بفؤاده.

وأخرج عبد بن حميد عن سعيد بن جبيرة قال: ما أزعم أنه رآه، وما أزعم أنه لم يره.

وأخرج مسلم والترمذي وابن مردويه عن أبي ذر قال: سألت رسول الله (ص) هل رأيت ربك؟ فقال نور، أنى أراه؟! وأخرج مسلم وابن مردويه عن أبي ذر أنه سأل رسول الله (ص) هل رأيت ربك؟ فقال رأيت نوراً!

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي ذر قال: رآه بقلبه ولم يره بعينه.

وأخرج النسائي عن أبي ذر قال: رأى رسول الله (ص) ربه بقلبه ولم يره ببصره.

وأخرج مسلم والبيهقي في الدلائل عن أبي هريرة في قوله: وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى، قال: رأى جبريل عليه السلام.

وأخرج عبد بن حميد عن إبراهيم قال: رأى جبريل في صورته.

وأخرج عبد بن حميد عن مرة الهمداني قال: لم يأته جبريل في صورته إلا مرتين، فرآه في خضر يتعلق به الدر.

وأخرج عبد بن حميد عن قتادة في قوله: وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى، قال: رأى نوراً عظيماً عند سدره المنتهى.

وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه عن ابن مسعود ولقد رآه نزلةً أخرى، قال: رأى جبريل معلقاً رجله بسدره عليه الدر كأنه قطر المطر على البقل.

وأخرج أبو الشيخ عن ابن مسعود: ولقد رآه نزلةً أخرى عند سدره المنتهى، قال: رأى رسول الله (ص) جبريل في صورته عند السدره له ستمائة جناح، جناح منها سد الأفق يتناثر من أجنحته التهاويل الدر والياقوت ما لا يعلمه إلا الله.

وأخرج آدم بن أبي إياس والبيهقي في الأسماء والصفات عن مجاهد، إذ يغشى السدره ما يغشى، قال: كان أغصان السدره من لؤلؤ وياقوت، وقد رآها محمد بقلبه ورأى ربه.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان أول شأن رسول الله (ص) أنه رأى في منامه جبريل بأجساد ثم خرج لبعض حاجته فصرخ به جبريل يا محمد يا محمد، فنظر يميناً وشمالاً فلم ير شيئاً ثلاثاً، ثم رفع بصره فإذا هو ثان إحدى رجله على الأخرى على أفق السماء، فقال يا محمد جبريل جبريل يسكنه، فهرب النبي (ص) حتى دخل في الناس، فنظر فلم ير شيئاً، ثم خرج من الناس فنظر فرآه، فذلك قول الله: وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَى. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى إِلَى قَوْلِهِ: ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى، يعنى جبريل إلى محمد، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، يقول القاب نصف الأصبع، فأوحى إلى عبده ما أوحى، جبريل إلى عبد ربه.

وروى حديث (في حله من رفر) أحمد في: ١/٣٩٤ و ٤١٨/ والحاكم: ٢ ص ٤٦٨، وكلها عن عبدالله بن عمر، وقال الحاكم (صحيح على شوط الشيخين ولم يخرجاه)

الجواهر الحسان للتعاليبي: ٣ الهامش ١/٢٥٢:

أنكر جمهور العلماء الأشاعرة من أهل السنة حديث مشرك بن أبي خمر الذي يثبت فيه الدنو والتدلي لرب العزة، سبحانه وتعالى عما يصفون... ذهب البيهقي إلى ترجيح ما روى عن عائشة وابن مسعود وأبي هريرة ومن حملهم هذه الآيات (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى..) عن رؤية جبرئيل، ورواية شريك تنقضها رواية أبي ذر الصحيحة، قال يا رسول الله هل رأيت ربك؟ قال: نور، أنى أراه!

مصايح السنة للبخاري: ٤/٣٠:

عن زرارة بن أوفى: أن رسول الله (ص) قال لجبرئيل: هل رأيت ربك؟ فانتفض جبرئيل وقال: يا محمد إن بيني وبينه سبعين حجاباً من نور، لو دنوت من بعضها لاحتقرت.

التعرف لمذهب أهل التصوف للكلا باذى المتوفى سنة ٣٨٠ قال فى /٤٣:

وأجمعوا أنه لا يرى فى الدنيا بالأبصار ولا بالقلوب إلا من جهة الإيقان، لأنه غاية الكرامة وأفضل النعم، ولا يجوز أن يكون ذلك إلا فى أفضل المكان، ولو أعطوا فى الدنيا أفضل النعم لم يكن بين الدنيا الفانية والجنة الباقية فرق، ولما منع الله سبحانه كلمه موسى عليه السلام ذلك فى الدنيا، وكان من هو دونه أخرى. وأخرى أن الدنيا دار فناء، ولا يجوز أن يرى الباقي فى الدار الفانية، ولو رآه فى الدنيا لكان الإيمان به ضرورة.

والجملة أن الله تعالى أخبر أنها تكون فى الآخرة، ولم يخبر أنها تكون فى الدنيا فوجب الانتهاء إلى ما أخبر الله تعالى به.

واختلفوا فى النبى (ص): هل رأى ربه ليلة المسرى، فقال الجمهور منهم والكبار إنه لم يره محمد(ص) ببصره، ولا أحد من الخلائق فى الدنيا، على ما روى عن عائشة أنها قالت: من زعم أن محمداً رأى ربه فقد كذب....

وقال بعضهم: رآه النبى(ص) ليلة المسرى، وإنه خص من بين الخلائق بالرؤية كما خص موسى عليه السلام بالكلام، واحتجوا بخبر ابن عباس وأسماء وأنس، منهم أبو عبدالله القرشى والشبلى وبعض المتأخرين.

وقال بعضهم: رآه بقلبه ولم يره ببصره، واستدل بقوله: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى.

ولا نعلم أحداً من مشايخ هذه العصابة المعروفين منهم والمتحققين به، ولم نر فى كتبهم ولا مصنفاتهم ولا رسائلهم، ولا فى الحكايات الصحيحة عنهم، ولا سمعنا ممن أدركنا منهم من زعم أن الله تعالى يرى فى الدنيا أو رآه أحد من الخلق، إلا طائفة لم يعرفوا بأعيانهم. بل زعم بعض الناس أن قوماً من الصوفية ادعوا لأنفسهم، وقد أطبق المشايخ كلهم على تضليل من قال ذلك وتكذيب من ادعاه، وصنفوا فى ذلك كتباً، منهم أبو سعيد الخراز، وللجنيد فى تكذيب من ادعاه وتضليله رسائل وكلام كثير. وزعموا أن من ادعى ذلك فلم يعرف الله عز وجل، وهذه كتبهم تشهد على ذلك.

تفسيرهم الذى فيه تجسيم

يلاحظ أن روايات إخواننا التى ادعت أن النبى صلى الله عليه وآله رأى ربه تعالى بعينه، ورد قليل منها فى حادثة الإسراء والمعراج، وأكثرها ورد فى حادثة غير مفهومه ادعى راويها أنها وقعت للنبى صلى الله عليه وآله فى المدينة، وبعض رواياتها نصت على أنها منام، أو شك راويها فى أن تكون فى المنام.. الخ.

شرح مسلم للنووى - السارى: ٢/٩٤:

قوله عن عبدالله بن مسعود (رض) فى قوله تعالى: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، قال رأى جبريل له ستمائة جناح، وهو مذهبه فى هذه الآية.. وذهب الجمهور من المفسرين إلى أن المراد أنه رأى ربه سبحانه وتعالى. انتهى.

ويلاحظ أنه نسب القول بالرؤية بالعين إلى جمهور المفسرين، وهم نوعاً مفسروا العهد الأموى من تلامذة كعب الأحبار وجماعته أو من الرواة عنهم! ولكنه عاد ونسبها إلى أكثر العلماء، فقال فى هامش السارى: ٢/٩٢:

الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله (ص) رأى ربه يعنى يعينى رأسه ليلة الإسراء. انتهى. وهذا إن صح فهو يعنى أن أكثرية علماء إخواننا قلدوا المفسرين من تلاميذ كعب وأعرضوا عن الأحاديث الصحيحة المعارضة لها.

رواى أحمد فى مسنده: ٤/٦٦٦ وج ٥/٣٧٨ وفى: ١/٣٦٨:

عن أبى قلابه عن ابن عباس أن النبى(ص) قال: أتانى ربي عز وجل الليلة فى أحسن صورة أحسبه يعنى فى النوم فقال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملاء الأعلى؟ قال قلت لا، قال النبى(ص) فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثديى أو قال نحري، فعلمت ما فى السموات وما فى الأرض، ثم قال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملاء الأعلى؟ قال قلت نعم يختصمون فى الكفارات والدرجات، قال وما الكفارات والدرجات؟ قال المكث فى المساجد والمشى على الأقدام إلى الجمعات وإبلاغ الوضوء فى المكاره،

ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه! وقل: يا محمد إذا أصليت اللهم إني أسألك الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وإذا أردت بعبادك فتنة أن تقبضني إليك غير مفتون، قال والدرجات: قل إذا بذل الطعام وإفشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام.

ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/١٧٦ - ١٧٨ بعدة روايات، وقال عن رواية ابن عايش: رواه أحمد ورجاله ثقات. وقال: عن ربيع بن أنس أن النبي (ص) قال رأيت ربي... قال أحمد بن حنبل: أنا أقول بحديث ابن عباس بعينه، رآه رآه حتى انقطع نفس أحمد. وروى الترمذي في سننه: ٥/٤٤ وقال:

وقد ذكروا بين أبي قلابه وبين ابن عباس في هذا الحديث رجلاً وقد رواه قتادة عن أبي قلابه، عن خالد بن اللجلاج، عن ابن عباس. ورواه في ٢/٤٥ وص ٤٦ بروايتين أيضاً وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، قال: وفي الباب عن معاذ بن جبل وعبدالرحمن بن عائش، عن النبي (ص).

وقال النويري في نهاية الارب: ٨ جزء ١٦/٢٩٥:

عن ربيع بن أنس أن النبي (ص) قال رأيت ربي... ثم ذكر قول أحمد: أنا أقول بحديث ابن عباس بعينه رآه رآه، حتى انقطع نفس أحمد.

وقال السهيلي في الروض الانف: ٢/١٥٦ وقال: سئل ابن حنبل عن الرؤية قال: رآه رآه حتى انقطع صوته.

ورواه أيضاً عن أبي هريرة وابن عباس... وروى: رأى ربه في أحسن صورة ووضع يديه بين كتفيه حتى وجد بردها بين ثديه.

وقال الذهبي في تاريخ الإسلام: ١/٢٥٧:

وأما الروايات عن ابن مسعود فإنما فيها تفسير ما في النجم، وليس في قوله ما يدل على نفى الرؤية لله.

تاريخ الإسلام للذهبي: ١٦/٤٢٩:

عن نعيم عن... أم الطفيل أنها سمعت النبي (ص) يقول رأيت ربي في أحسن صورة، شاباً، موقراً، رجلاه في مخصر، عليه نعلان من ذهب.

وقال السيوطي في الدر المنثور: ٣/٢٤:

وأخرج أحمد وابن جرير وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن عبدالرحمن بن عائش الحضرمي عن بعض أصحاب النبي (ص) قال سمعت رسول الله (ص) يقول: رأيت ربي في أحسن صورة....

وقال الذهبي في ميزان الاعتدال: ١/٥٩٣:

إبراهيم بن أبي سويد، وأسود بن عامر، حدثنا حماد، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعاً: رأيت ربي جعداً أمرد، عليه حلة خضراء.

وقال ابن عدى: حدثنا عبدالله بن عبد الحميد الواسطي، حدثنا النضر بن سلمة شاذان، حدثنا الاسود بن عامر، عن حماد، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس أن محمداً رأى ربه في صورة شاب أمرد، دونه ستر من لؤلؤ، قدميه أو رجليه في خضرة.

وحدثنا ابن أبي سفيان الموصلي وابن شهر يار قالوا: حدثنا محمد بن رزق الله بن موسى، حدثنا الأسود بنحوه. وقال عفان: حدثنا عبدالصمد بن كيسان، حدثنا حماد، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي (ص) قال: رأيت ربي.

وقال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا الحسن بن يحيى بن كثير، حدثنا أبي، حدثنا حماد بنحوه، فهذا من أنكر ما أتى به حماد بن سلمة، وهذه الرؤية رؤية منام إن صحت. قال المرودي قلت لأحمد: يقولون لم يسمع قتادة عن عكرمة! فغضب وأخرج كتابه بسماع قتادة عن

عكرمة في ستة أحاديث. ورواه الحكم بن أبان، عن زيرك، عن عكرمة. وهو غريب جداً. انتهى. وروى نحوه الدارمي في سننه: ٢/١٢٦

والبغوي في مصابيح: ١/٢٩٠ والسهيلي في الروض الانف: ١/٢٦٨ وابن الاثير في أسد الغابة: ٣/٤٦٥ وج ٧/٣٥٦ ورواه الهندي في كنز

العمال: ١٥/٨٩٧ - ٥٩٨ وفي: ١٦/٢٤٥ - ٢٤٧ بروايات متعددة وقال في مصادره (عب، حم وعبد بن حميد، ت عن ابن عباس) (ت، ك عن معاذ) (كر) (ابن مندة، والبغوي، ق، كر). والنويري في نهاية الإرب: ٨ جزء ١٦/٢٩٥ والمنذرى في الترغيب والترهيب: ١/٢٦٢.

وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب: ٦/١٨٥

عبدالرحمن بن عائش الحضرمي، روى عنه حديث: رأيت ربي في أحسن صورة.

الأحاديث القدسية من الصحاح: ١/١٥٨:

حديث: أتاني ربي في أحسن صورة، أخرجه الترمذي عن ابن عباس: إن الله وضع يده على كتف رسول الله (ص) حتى وجد رسول

الله بردها بين ثديه أو قال في خدي. وروى نحوه أيضاً في: ٢/٤٤ والقسطلاني في إرشاد الساري: ٧/٣٢٠ وص ٣٥٩

وقال أبو الشيخ في طبقات المحدثين: ٢/٤٣٢:

عن عبدالله بن عباس أن رسول الله (ص) خرج يوماً على أصحابه مستبشراً.. فقال لهم: إن ربي أتاني الليلة في أحسن صورة... فوضع يده على كتفي فوجدت بردها بين ثديي.. الخ.

وقال في: ١/١٢٩:

عن عبدالرحمن بن المبارك بن فضالة عن أبيه: كان الحسن يحلف بالله أن محمداً (ص) قد رأى ربه تبارك وتعالى.

وقال الطبري في تفسيره: ٧/١٦٢:

خالد الحلاج، قال سمعت عبدالرحمن بن عياش، يقول صلى بنا رسول الله (ص) ذات غداة فقال له قائل: ما رأيت أسعد منك الغداة،

قال: ومالي وقد أتاني ربي في أحسن صورة فقال: فيم يختصم المملأ الأعلى يا محمد؟ قلت أنت أعلم، فوضع يده على كتفي فعلمت ما في السموات والأرض... الخ.

وقال الدميري في حياة الحيوان: ٢/٣٥٩:

من حديث معاذ بن جبل (رض) قال: احتبس عنا رسول الله (ص) ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نترأى عين الشمس، فخرج

سريعاً فثوب بالصلاة فصلى وتجاوز في صلاته... ثم انفتل إلينا فقال: أما إنني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة: إنني قمت من الليل فتوضأت وصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى استثقلت، فإذا أنا بربي تعالى في أحسن صورة! فقال يا محمد... فيم يختصم المملأ الأعلى... الخ.

وقال السيوطي في الدر المنثور: ٥/٣١٩:

أخرج عبدالرزاق وأحمد وعبد ابن حميد والترمذي وحسنه ومحمد بن نصر... الخ.

وأخرج الترمذي وصححه ومحمد بن نصر والطبراني والحاكم وابن مردويه عن معاذ بن جبل (رض)... الخ.

وأخرج الطبراني في السنة وابن مردويه عن جابر بن سمرة (رض)... عن أبي هريرة (رض)...

وأخرج الطبراني في السنة والشيرازي في الألقاب....

وابن مردويه عن أنس (رض)....

وأخرج ابن نصر والطبراني وابن مردويه عن أبي أمامة....

وأخرج الطبراني في السنة والخطيب عن أبي عبيدة بن الجراح (رض)....

وأخرج محمد بن نصر في كتاب الصلاة والطبراني في السنة عن عبدالرحمن بن عابس الحضرمي (رض)....

وقال السيوطي في الدر المنثور: ٦/١٢٤:

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال قال (ص) رأيت ربي في أحسن صورة فقال لي: يا محمد هل تدري فيم يختصم المملأ الأعلى؟

فقلت لا يا رب، فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السماء والأرض، فقلت يا رب في الدرجات والكفارات

ونقل الأقدام إلى الجماعات وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فقلت يا رب إنك اتخذت إبراهيم خليلاً وكلمت موسى تكليماً وفعلت وفعلت فقال: ألم أشرح لك صدرك ألم أضع عنك وزرك ألم أفعل بك ألم أفعل، فأفضى إليّ بأشياء لم يؤذن لي أن أحدثكموها فذلك قوله: ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى. فجعل نور بصري في فؤادي فنظرت إليه بفؤادي. انتهى.

قال الذهبي في سيره: ٢/١٦٦:

ولم يأتنا نص جلي بأن النبي (ص) رأى الله تعالى بعينه. وهذه المسألة مما يسع المرء المسلم في دينه السكوت عنها، فأما رؤيته المنام فجاءت من وجوه متعددة مستفيضة، وأما رؤيته الله عياناً في الآخرة فأمر متيقن تواترت به النصوص. جمع أحاديثها الدارقطني والبيهقي وغيرهما.

وقال السيوطي في الدر المنثور: ٦/١٢٣:

وأخرج عبد بن حميد والترمذي وابن جرير وابن المنذر والحاكم وابن مردويه عن الشعبي قال: لقي ابن عباس كعباً يعرفه، فسأله عن شيء فكبر حتى جاوبته الجبال فقال ابن عباس إنا بنو هاشم نزعم أو نقول إن محمداً قد رأى ربه مرتين، فقال كعب: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد (عليهما السلام) فرأى محمد ربه مرتين وكلم موسى مرتين.

قال مسروق فدخلت على عائشة فقلت هل رأى محمد ربه؟ فقالت لقد تكلمت بشيء قف له شعري، قلت رويداً، ثم قرأت لقد رأى من آيات ربه الكبرى، قالت أين يذهب بك! إنما هو جبريل. من أخبرك أن محمداً رأى ربه أو كتم شيئاً مما أمر به أو يعلم الخمس التي قال الله إن الله عنده علم الساعة الآيه، فقد أعظم الفرية، ولكنه رأى جبريل لم يره في صورته إلا مرتين، مرة عند سدره المنتهى، ومرة عند جواد له ستمائة جناح قد سد الأفق.

وروى الطبري في تفسيره: ٩/٣٤: ما يوهم قرب النبي المادي من الله تعالى في الإسراء، قال: عن عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: وقربناه نجياً، قال: حدثني من لقي أصحاب النبي أنه قرب للرب حتى سمع صريف القلم من الشوق إليه. انتهى. وروى النووي في نهاية الأرب: ٨ جزء ١٦/٢٩٩:

قال جعفر بن محمد... والدنو من الله لا حد له، ومن العباد بالحدود. انتهى. ويقصد بجعفر الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

والملاحظات على هذه الروايات كثيرة: منها تعارض نصوصها، واضطرابها، وأن سؤال الله تعالى لنبيه عن اختصاص الملائكة الأعلى غير مفهوم، بل غير منطقي! وكذا تأخر النبي عن صلاة الصبح، وطريقته تحديته المسلمين بالقصة، ثم شابهة متونها بأحاديث اليهود مثل قوله (فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلت ما في السماء والأرض). هذا مضافاً إلى أن بعضها خلط بين القصة المزعومة وبين روايات المعراج وآياته، والمعراج كان في مكة، وهذه القصة المزعومة في المدينة.

كل ذلك، وغيره، يوجب الشك في هذه الرواية والتريث في الحكم بصحتها، خاصة أن بعضها اشتمل على التناقض كرواية الطبري التي يذكر في أولها أنه رآه في أحسن صورة، وفي آخرها أنه رآه بفؤاده!

وبعضها روى عن صاحبها ما يناقضها كرواية ابن عباس، وقد شهد ابن قيم أن روايتي الرؤية بالعين وضدها كلتاهما صحتا عن ابن عباس، فلا بد أن تكون إحداهما مكذوبة! قال في زاد المعاد: ٣/٢٩ - ٣٠: واختلف الصحابة رضي الله عنهم، هل رأى ربه تلك الليلة أم لا؟ فصح عن ابن عباس أنه رأى ربه وضح عنه أنه قال: رآه بفؤاده. انتهى.

وقد علق على ذلك ناشر الكتاب الشيخ عبد القادر عرفان فقال في هامشه: لم أف على هذه الرواية في الصحيح، بل الذي صح عن ابن عباس (رض) ما جاء عند مسلم في الإيمان ١٧٦ - ٢٨٥ في قوله تعالى: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، وقوله تعالى: وَلَقَدْ رَأَهُ نَزَلَةً أُخْرَى، قال رآه بفؤاده مرتين. وأخرجه الترمذي في التفسير ٣٢٨٠.

ثم قال ابن قيم: وضح عن عائشة وابن مسعود إنكار ذلك وقالوا إن قوله: ولقد رآه نزلت أخرى عند سدره المنتهى، إنما هو جبريل.

وصح عن أبي ذر أنه سأله هل رأيت ربك فقال (ص): نور، أنى أراه! أى: حال بينى وبين رؤيته النور، كما قال فى لفظ آخر: رأيت نوراً. وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمى اتفاق الصحابة على أنه لم يره.

ثم قال ابن قيم: قال شيخ الإسلام ابن تيمية... وقد صح عنه أنه قال: رأيت ربي تبارك وتعالى ولكن لم يكن هذا فى الإسراء، ولكن كان فى المدينة لما احتبس عنهم فى صلاة الصبح، ثم أخبرهم عن رؤيته ربه تبارك وتعالى تلك الليلة فى منامه، وعلى هذا بنى الإمام أحمد رحمه الله وقال: نعم رآه حقاً، فإن رؤيا الأنبياء حق ولا بد، ولكن لم يقل أحمد رحمه الله: إنه رآه بعينى رأسه يقظه، ومن حكى عنه ذلك فقد وهم عليه، ولكن قال مرة رآه، ومرة قال رآه بفؤاده، فحكيت عنه روايتان، وحكيت عنه الثالثة من تصرف بعض أصحابه: أنه رآه بعينى رأسه، وهذه نصوص أحمد موجودة، ليس فيها ذلك. انتهى.

راجع ما تقدم فى أول الباب من أن جمهور الصحابة كانوا يوافقون عائشة على نفي الرؤية بالعين.

و جهل بعضهم فنسب الدنو والتدلى إلى الله تعالى

تاريخ الإسلام للذهبي: ١/٢٦٧:

وقال سليمان بن بلال.. وذكر حديث الاسراء وفيه ثم عرج به محمد (ص) إلى السماء السابعة ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء إلى سدره المنتهى، ودنا الجبار رب العزة فتدلى....

تفسير الطبرى: ١٢/١٤:

عبد الله بن عمر، قال سمعت نبي الله (ص) يقول يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه كتفه!

الدر المنثور: ٦/١٢٣:

وأخرج ابن جرير عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ص) لما عرج به جبريل حتى جاء الجنة فدخلت فأعطيت الكوثر، ثم مضى حتى جاء لسدره المنتهى فدنا ربك فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى!

وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله ثم دنا قال دنا ربه فتدلى.

وأخرج أبو الشيخ وأبو نعيم فى الدلائل عن سريج بن عبيد قال لما صعد النبي (ص) إلى السماء فأوحى الله إلى عبده ما أوحى، قال فلما أحس جبريل بدنو الرب خر ساجداً، فلم يزل يسبحه تسبيحات ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة حتى قضى الله إلى عبده ما قضى، ثم رفع رأسه فرأته فى خلقه الذى خلقه عليه منظوم أجنحته بالزبرجد واللؤلؤ والياقوت فخيلى إلى أن ما بين عينيه قد سد الأفقين وكنت لا- أراه قبل ذلك إلا- على صور مختلفة، وأكثر ما كنت أراه على صورة دحية الكلبي، وكنت أحياناً لا- أراه قبل ذلك إلا كما يرى الرجل صاحبه من وراء الغرابى.

وقال السهيلي فى الروض الانف: ٢/١٥٦:

وروى: لما أحس جبريل دنو الرب خر ساجداً. انتهى.

وقد تقدم ذكر روايات أخرى تنسب التدلى إلى الله تعالى، وتقدم عن أهل البيت عليهم السلام أن النبي صلى الله عليه وآله (دنا من حجب النور فرأى ملكوت السموات، ثم تدلى فنظر من تحته إلى ملكوت الأرض، حتى ظن أنه فى القرب من الأرض كتاب قوسين أو أدنى).

و وصفوا عرشه بأنه تحمله حيوانات كما وصفه اليهود

الدر المنثور: ٦/١٢٣:

وأخرج ابن إسحاق والبيهقى فى الأسماء والصفات وضعفه عن عبدالله بن أبى سلمة أن عبدالله بن عمر بن الخطاب بعث إلى عبدالله

بن عباس يسأله هل رأى محمد ربه؟ فأرسل إليه عبد الله بن عباس: أن نعم، فرد عليه عبد الله بن عمر رسوله أن كيف رآه؟ فأرسل أنه رآه في روضة خضراء دونه فراش من ذهب على كرسى من ذهب يحمله أربعة من الملائكة، ملك في صورة رجل وملك في صورة ثور وملك في صورة نسر وملك في صورة أسد! انتهى.

وسياتى ذكر بقیة الحيوانات التي ادعوا أنها تحمل عرش الله تعالى في بازار الأحاديث، ويأتى بعضها في تفسير: الرحمن على العرش استوى.

و قالوا رأى ربه واقفا على أرض خضراء خلف ستر شفاف

وقال السيوطى فى الدر المنثور: ١٢٤/٦:

وأخرج البيهقي فى الأسماء والصفات وضعفه من طريق عكرمة عن ابن عباس أنه سئل هل رأى محمد ربه؟ قال نعم رآه كأن قدميه على خضراء دونه ستر من لؤلؤ، فقلت يا أبا عباس أليس يقول الله لا تدركه الأبصار! قال لا أم لك ذاك نوره الذى هو نوره، إذا تجلى بنوره لا يدركه شئ! انتهى.

ومضافاً إلى تضعيف البيهقي لهذه الرواية، فإنها تحاول تفسير قوله تعالى: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، أى لا تدرك نوره، أما ذاته تعالى فتدركها الأبصار. وهو مخالف لظهور الآيه، ولم يفسرها به أحد.

و حاول بعضهم أن يخفف القصة و يجعلها رؤيا فى المنام

تقدم فى رواية الترمذى نقل قول الراوى وهو ابن عباس بزعمهم (أحسبه قال فى المنام).

وروى عبد الرزاق فى تفسيره: ١٣٧/٢:

عن ابن عباس: أن النبى (ص) قال: أتانى ربي الليلة فى أحسن صورة أحسبه قال: يعنى فى المنام، فقال: يا محمد هل تدرى فىم يختصم الملائم الأعلی؟ قال النبى (ص) قلت: لا، قال النبى (ص): فوضع يده بين كتفى فوجدت بردها بين ثديي.. فعلمت ما فى السموات والأرض...!!

وروى ابن حبان فى المجروحين: ١٣٥-٣:

عن أنس أن الرسول (ص) قال: أتاه ربه فى المنام فى أحسن صورة، حتى وضع يده بين كتفه فوجد بردها بين ثدييه.

وقال السيوطى فى الدر المنثور: ٣١٩/٥:

وأخرج ابن نصر والطبرانى فى السنن عن ثوبان (رض)... وفى بعض روايات السيوطى أنه رآه بقلبه، وفى بعضها (فعلت فى منامى ذلك ما سألتى عنه من أمر الدنيا والآخرة، فقال: فىم يختصم الملائم الأعلی).

تفسير آیه: وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ. وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ. وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ. وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ. تَنْظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ. القيامة: ٢٠ - ٢٥.

تفسير أهل البيت و فقهاء مذهبهم

تفسير القمى: ٣٩٧/٢:

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ: أى مشرقة. إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ: قال ينظرون إلى وجه الله أى إلى رحمة الله ونعمته. وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ: أى ذليلة.

انتهى. ورواه في الاحتجاج: ٢/١٩١ وفي تفسير نور الثقلين: ٥/٤٦٤ وقال: وفي مجمع البيان، وقال: وروى ذلك عن مجاهد والحسن وسعيد بن جبير والضحاك، وهو المروى عن علي عليه السلام.

أمالى المرتضى: ١/٢٢:

مسألة: أعلم أن أصحابنا قد اعتمدوا في إبطال ما ظنه أصحاب الرؤية في قوله تعالى: **وَجُودٌ يُؤْمِنُ نَاصِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ**، على وجوه معروفة، لأنهم بينوا أن النظر ليس يفيد الرؤية ولا الرؤية من أحد احتمالاته، ودلوا على أن النظر ينقسم إلى أقسام كثيرة، منها تقليب الحدقة الصحيحة في جهة المرئي طلباً لرؤيته، ومنها النظر الذي هو الإنتظار، ومنها النظر الذي هو التعطف والمرحمة، ومنها النظر الذي هو الفكر والتأمل، وقالوا إذا لم يكن قى أقسام النظر الرؤية لم يكن للقوم بظاها تعلق واحتجنا جميعاً إلى طلب تأويل الآية من غير جهة الرؤية.

وتأولها بعضهم على الإنتظار للثواب وإن كان المنتظر في الحقيقة محذوفاً والمنتظر منه مذكوراً، على عادة للعرب معروفة. وسلم بعضهم أن النظر يكون الرؤية بالبصر وحمل الآية على رؤية أهل الجنة لنعم الله تعالى عليهم، على سبيل حذف المرئي في الحقيقة وهذا كلام مشروح في مواضعه، وقد بينا ما يرد عليه وما يجب به عن الشبهة المعترضة في مواضع كثيرة. وهاهنا وجه غريب في الآية حكى عن بعض المتأخرين لا يفتقر معتمده إلى العدول عن الظاهر أو إلى تقدير محذوف ولا يحتاج إلى منازعتهم في أن النظر يحتمل الرؤية أو لا يحتملها، بل يصح الاعتماد عليه سواء كان النظر المذكور في الآية هو الإنتظار بالقلب أم الرؤية بالعين، وهو أن يحمل قوله تعالى إلى ربها إلى أنه أراد نعمه ربها لأن الآلاء النعم وفي واحدتها أربع لغات: ألا مثل قفا، وألى مثل رمى، وألى مثل معى، وألى مثل حتى، قال أعشى بكر بن وائل:

أبيض لا يهرب الهزال ولا يقطع رحماً ولا يخون إلى أراد أنه لا يخون نعمه، وأراد تعالى إلى ربها فأسقط التنوين للإضافة. فإن قيل: فأى فرق بين هذا الوجه وبين تأويل من حمل الآية على أنه أراد به إلى ثواب ربها ناظراً بمعنى رائيه لنعمه وثوابه. قلنا: ذلك الوجه يفتقر إلى محذوف لأنه إذا جعل إلى حرفاً ولم يعلقها بالرب تعالى فلا بد من تقدير محذوف، وفي الجواب الذي ذكرناه لا يفتقر إلى تقدير محذوف، لأن إلى فيه اسم يتعلق به الرؤية ولا يحتاج إلى تقدير غيره، والله أعلم بالصواب. بحار الأنوار: ٤/٢٨:

لى: على بن أحمد بن موسى، عن الصوفى، عن الرويانى، عن عبدالعظيم الحسنى، عن إبراهيم بن أبى محمود قال قال على بن موسى الرضا عليه السلام فى قول الله عز وجل: **وَجُودٌ يُؤْمِنُ نَاصِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ**: يعنى مشرفة تنتظر ثواب ربها.

بيان: أعلم أن للفرقة المحقة فى الجواب عن الإستدلال بتلك الآية على جواز الرؤية وجوها: الأول: ما ذكره عليه السلام فى هذا الخبر من أن المراد بالناظرة المنتظرة كقوله تعالى: **فَنَاطِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسِلُونَ**. روى ذلك عن مجاهد والحسن وسعيد بن جبير والضحاك، وهو المروى عن على عليه السلام، واعترض عليه بأن النظر بمعنى الإنتظار لا يتعدى إلى، وأجيب بأن تعديته بهذا المعنى إلى كثيرة، كما قال الشاعر:

إنى إليك لما وعدت لناظر نظر الفقير إلى الغنى الموسر

وقال آخر:

ويوم بذى قار رأيت وجوههم إلى الموت من وقع السيوف نواظر

والشواهد عليه كثيرة مذكورة فى مظانه، ويحكى عن الخليل أنه قال: يقال: نظرت إلى فلان بمعنى انتظرت، وعن ابن عباس أنه قال: العرب تقول إنما أنظر إلى الله ثم إلى فلان، وهذا يعم الاعمى والبصير، فيقولون: عيني شاخصة إلى فلان وطامحة إليك، ونظري إلى الله وإليك....

الثانى: أن يكون فيه حذف مضاف أى إلى ثواب ربها، أى هى ناظرة إلى نعيم الجنة حالاً بعد حال، فيزداد بذلك سرورها، وذكر

الوجوه والمراد به أصحاب الوجوه، روى ذلك عن جماعة من علماء المفسرين من الصحابة والتابعين وغيرهم.

الثالث: أن تكون إلى بمعنى عند، وهو معنى معروف عند النحاة وله شواهد، كقول الشاعر:

فهل لكم فيما إلى فإننى طيب بما أعيى النطاسى حذيم

أى فيما عندى، وعلى هذا يحتمل تعلق الطرف بناصرة وبنظرة. والأول أظهر.

الرابع: أن يكون النظر إلى الرب كناية عن حصول غاية المعرفة بكشف العلائق الجسمانية، فكأنها نظرة إليه تعالى كقوله صلى الله عليه وآله: أعبد الله كأنك تراه.

وقال السيد شرف الدين فى كتاب أبو هريرة: ١/٦١:

أما رؤية الله عز وجل بالعين الباصرة فقد أجمع الجمهور على إمكانها فى الدنيا والآخرة، وأجمعوا أيضاً على وقوعها فى الآخرة وأن المؤمنين والمؤمنات سيرونها يوم القيامة بأبصارهم، وأن الكافرين والكافرات لا يرونها أبداً. وأكثر هؤلاء على أن الرؤية لا تقع فى الدنيا، وربما قال بعضهم بوقوعها أيضاً.

ثم أن المجسمة يرونها ماثلاً أمامهم فينظرون إليه كما ينظر بعضهم إلى بعض، لا يمارون فيه كما لا يمارون فى الشمس والقمر ليس دونهما سحاب، على ما يقتضيه حديث أبى هريرة. وقد خالف هؤلاء حكم العقل والنقل، وخرقوا إجماع الأمة بأسرها، وخرجوا عليها ومرفقوا من الدين، وخالفوا ما علم منه بحكم الضرورة الإسلامية، فلا كلام لنا معهم.

وأما غيرهم من الجمهور وهم المنزهون من الأشعريه فقد قالوا بأن الرؤية قوة سيجعلها الله تعالى يوم القيامة بأبصار المؤمنين والمؤمنات خاصة، لا تكون بإتصال الأشعة، ولا بمقابلته المرئى ولا بتحيزه ولا بتكيفه، ولا، ولا، فهى على غير الرؤية المعهودة للناس، بل هى رؤية خاصة تقع من أبصار المؤمنين والمؤمنات على الله عز وجل لا كيف فيها ولا جهة من الجهات الست.

وهذا محال لا يعقل، ولا يمكن أن يتصوره متصور إلا إذا اختص الله المؤمنين فى الدار الآخرة ببصر آخر لا تكون فيه خواص الأبصار المعهودة فى الحياة الدنيا على وجه تكون فيه الرؤية البصريه كالرؤية القلبية، وهذا خروج عن محل النزاع فى ظاهر الحال. ولعل النزاع بيننا وبينهم فى الواقع ونفس الأمر لفظى. انتهى.

وقد بيننا فى تفسير لا تُدرِكُهُ الأبْصَارُ، أن محاوله جعل الرؤية بحاسة أخرى كالعين خروج عن الموضوع، وأن روايات إخواننا تأبى ذلك لأنها ظاهرة فى الرؤية بالعين المتعارفة.

رؤية العارفين بقلوبهم أرقى من الرؤية البصرية

روى الصدوق فى التوحيد/١١٧:

حدثنا على بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله قال: حدثنا محمد بن أبى عبد الله الكوفى قال: حدثنا موسى بن عمران النخعى، عن الحسين بن يزيد النوفلى، عن على بن أبى حمزة، عن أبى بصير، عن أبى عبد الله عليه السلام، قال قلت له: أخبرنى عن الله عز وجل هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟ قال: نعم، وقد رأوه قبل يوم القيامة، فقلت متى؟ قال: حين قال لهم: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى، ثم سكت ساعة، ثم قال: وإن المؤمنين ليرونه فى الدنيا قبل يوم القيامة، أَلَسْتُ تراه فى وقتك هذا؟ قال أبو بصير فقلت له: جعلت فداك فأحدث بهذا عنك؟ فقال لا، فإنك إذا حدثت به فأنكر منكر جاهل بمعنى ما تقوله، ثم قدر أن ذلك تشبيه كفر. وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين، تعالى الله عما يصفه المشبهون والملحدون. ورواه المجلسى فى بحار الأنوار: ٤/٤٤.

التحفة السنية/٨٤:

ومن ثمت كان العلم الحاصل من الرؤية ألد من العلم الحاصل من غيرها لازدياد الكشف فيها بسبب حضور نفس المعلوم عند الحس وصورته عند الذهن، فاللذة الزائدة إنما هى باعتبار هذا الإنكشاف الزايد من تصور معشوقه فى خياله، فإنه يلتذ بتصوره لا محالة.

لكن لا نسبة لهذه اللذة إلى اللذة الحاصلة من مشاهدته رأى العين، وحيث أنها أقوى طرق الإنكشاف ربما يعبر عن مطلق الإنكشاف التام بأى طريق حصل بالرؤية والنظر كما فى قوله سبحانه: **إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**، وما ورد من بعض الطرق: أن رسول الله صلى الله عليه وآله رأى ربه ليلة المعراج ونحو ذلك، لتطابق العقل والنقل على امتناع الرؤية الحسية فى حقه تعالى، لاشتراطها بالوضع والجهة وكثافة المرئى وغير ذلك. فالمراد بها أينما أطلقت فى كلمات من يعنى بتصحيح كلامهم: غاية الإنكشاف التام الذى لا يكون ما فوفه مجازاً مقبولاً- لوجود العلاقة البينة، إن ثبت كون اللفظ حقيقة فى خصوص البصرية، وإلا- فمن استعمال المشترك فى معناه الآخر حقيقة اعتماداً على وضوح القرينة وهى اشتراط الحسية بما يمتنع فى حقه سبحانه.

وأحسن ما ينكشف به هذا المطلب ما سبقت روايته عن أمير المؤمنين عليه السلام من قوله: **لم أعبد رباً لم أره، لا- تدركه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقايق الإيمان، حيث أثبت عليه السلام الرؤية أولاً، ثم استدرك ذلك بصرفها من العينية لأنها المتبادر، إلى القلبية.**

شرح الأسماء الحسنى: ١/١٨٥-١٩١:

... ومنها قوله تعالى: **وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**، وجه الاحتجاج: أن النظر فى اللغة جاء بمعنى الإنتظار ويتعدى بنفسه، وبمعنى التفكير ويستعمل بفى، وبمعنى الرأفة ويستعمل باللام، وبمعنى الرؤية ويستعمل بالياء كما فى الآية، فوجب حمله على الرؤية كما قيل. ويظهر من صاحب القاموس أن النظر المتعدى بنفسه يجى بمعنى الرؤية أيضاً، وجعله من باب الحذف والإيصال خلاف الأصل، وأنه جاء بمعنى الحكم ويستعمل بكلمة بين فقال: نظره كضربه وسمعه، وإليه نظراً ومنظراً ونظراً ومنظراً وتظاراً: تأمله بعينه كتظيره، والأرض أرت العين نباتها، ولهم: أعانهم، وبينهم: حكم. انتهى.

واعترض على هذا الدليل أيضاً بأن النظر لا يدل على الرؤية، فإن النظر تقلب الحدقة نحو المرئى. بل ادعى بعضهم أن النظر المستعمل بالياء موضوع لذلك ولتحقيقه بدونها، يقال نظرت إلى الهلال فما رأيته، ولو كان بمعنى الرؤية لكان تناقضاً، ولم أزل أنظر إلى الهلال حتى رأيته، ولو حمل على الرؤية لكان الشى غاية لنفسه.

أقول: يمكن جعله من باب الإكتفاء بالمراد عن الإرادة، كقوله تعالى: **إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ**، وهذا باب واسع كما فى المغنى وغيره، فمعنى قولهم نظرت إلى الهلال فما رأيته أردت رؤية الهلال فما رأيته، وهكذا فى الآخر، بل فى كل موضع يقال إنه لتقلب الحدقة، فالنظر محمول على معناه الحقيقى وهو الرؤية المرادة بتلك الإرادة، بل إذا نظرت المعانى المستعمل فيها النظر وجدت روح جعلها لو لم يكن كلها، الرؤية. وأجيب أيضاً: بأن معنى قولهم نظرت إلى الهلال فما رأيته ونحوه، نظرت إلى مطلع الهلال.

واعترض أيضاً على هذا الدليل بأننا لا نسلم أن لفظه إلى صلة للنظر، بل واحدة الآلاء ومفعول به للنظر بمعنى الإنتظار، أى نعمة ربها منتظرة، ولو سلم فالنظر الموصول بالياء قد جاء للإنتظار قال الشاعر:

وشعث ينظرون إلى هلال كما نظر الظما حب الغمام

والجواب: أما عن الثانى فبمثل ما ذكر عن حديث التقلب وكون النظر المستعمل بالياء بمعنى الإنتظار مما لم يثبت عند البلغاء، وأما عن الأول فبأن انتظار النعمة غم، بل قيل الإنتظار موت أحمر، والآية مسوقة لبيان النعم.

وهذا الجواب زيف، لأن الآية دالة على أن الحالة التى عبر عنها بقوله سبحانه: **وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ**. إلى **رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**، سابقه على حالة استقرار أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار، بقرينة المقابلة لقوله تعالى: **وَوَجُودٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَّةٍ تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ**، أى تظن أن يفعل بها فعل هو فى شدته وفضاعته داهية فاقرة تقصم فقار الظهر، ولم يفعل بها بعد، وحينئذ كان انتظار النعمة بعد البشارة بها سروراً يستتبع نضارة الوجه، كما أن انتظار إكرام الملك لا يكون موجباً للغم إذا تيقن وصوله إليه.

بل الحق فى الجواب أن كون إلى فى الآية بمعنى النعمة لا يخفى بعده وغرابته وإخلاله بالفهم عند تعلق النظر به، ولهذا لم يحمل الآية عليه أحد من أئمة التفسير.

تفسيرهم الموافق لمذهبنا

أورد السيوطي في الدر المنثور: ٦/٢٩٠ - أكثر من ثلاثين رواية وقولاً في تفسير قوله تعالى: إِيَّا رَبِّهَا نَاطِرَةٌ، منها روايتان توافقان مذهبنا وهما:

وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير عن أبي صالح (رض) في قوله وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ، قال: حسنه، إِيَّا رَبِّهَا نَاطِرَةٌ: قال: تنتظر الثواب من ربها... وأخرج ابن جرير عن مجاهد (رض) في قوله: إِيَّا رَبِّهَا نَاطِرَةٌ، قال: تنتظر منه الثواب. انتهى.

وستأتي بقیة رواياته التي فيها تجسيم. وقد تقدم عدد من رواياتهم النافية لامكان الرؤية بالعين في تفسير لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، كرواية أبي سعيد الخدري في الدر المنثور: ٣/٣٧ وغيرها.

قال السقاف في شرح العقيدة الطحاوية/٥٨٣:

وأما في الآخرة فذهب جمهور أهل السنة إلى إثبات رؤية الله تعالى للمؤمنين في الجنة، واحتجوا بقوله تعالى: وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِيَّا رَبِّهَا نَاطِرَةٌ، وبقوله تعالى عن الكافرين: كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ، وبحديث: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا البدر، وفي رواية: كما ترون الشمس في رابعة النهار ليس دونها سحاب، وهو في البخاري ومسلم.

وخالفهم في ذلك جماعة من أهل السنة والجماعة وغيرهم كالسيده عائشه رضي الله عنها ومجاهد وأبي صالح السمان وعكرمة وغيرهم، وكذا المعتزلة والأباضية والزيدية، واحتجوا بقول الله تعالى: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ، وَأُولَئِكَ الَّذِينَ احتج بها جمهور أهل السنة بأن المراد بالآية هو: وجوه ناصرة مسرورة لأنها تنظر ثواب ربها وعطاءه وحننه وإنعامه، كما أنه هناك بالمقابل وجوه يومئذ بأسرة عابسة تظن أن يفعل بها فاقرة أي مصابة بداهية كبيرة، وهذا الكلام هو بيان ما يكون في أرض المحشر، وحال المؤمنين والكافرين يومئذ، والرؤيا إنما تكون في الجنة.

قالوا: فالمقام هنا مقام مقابلة بين وجوه تنتظر الثواب ووجوه تنتظر العقاب، ورؤية الله تعالى غير مرادة هنا وخصوصاً أن الكلام يتعلق بالموقف قبل الدخول للجنة والنار، وأنتم - يا جمهور أهل السنة والجماعة - تقولون بأن الرؤية إنما تتم في الجنة لا في أرض المحشر، وهذا الكلام يتعلق في أرض المحشر.

ورد هؤلاء على من قال من أهل السنة بأن لفظ (ناظرة) لا تأتي عربية بمعنى منتظرة، فقالوا: إن ذلك ليس صحيحاً، بل قد ورد القرآن الكريم بإثبات أن معنى ناظرة منتظرة! من ذلك قوله تعالى عن بلقيس: وَإِنِّي مَرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاطِرَةٌ بِهِمْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ. النمل: ٣٥، أي منتظرة بهم يرجع المرسلون، وهو واضح ظاهر.

كذلك قالوا بأن المراد بقله تعالى: كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ، أي عن ثواب ربهم وإكرامه وإنعامه، والحجاب أيضاً هو عن كلامه لا عن رؤيته، لأن الله تعالى يقول وهو أصدق القائلين: وَلَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ. البقرة: ١٧٤

ثم قال في آخر بحثه/٥٩٠ فتبين من هذا كله أن هذه الآيات لا يصح الاستدلال بها في مسألة إثبات الرؤية، والله تعالى الموفق. انتهى.

ونؤكد هنا على ضرورة ملاحظة قوله تعالى (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ) الذي يدل على أن هذا المشهد أحد مشاهد المحشر قبل دخول الجنة والنار كما روى عن علي عليه السلام. وهذا قرينة على أن (ناظرة) بمعنى منتظرة. ودليل على أن الذين فسروها بالنظر إلى الله تعالى في الجنة لم يلتفتوا إلى بقیة الآيات!

تفسيرهم الذي فيه تجسيم

صحيح البخاري: ٨/١٧٩:

باب قول الله تعالى وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِيَّا رَبِّهَا نَاطِرَةٌ... عن جرير قال كنا جلوساً عند النبي (ص) إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال: إنكم

سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا.

سنن الترمذى: ٤/٩٣.

عن إسرائيل، عن ثوير، قال سمعت ابن عمر يقول: قال رسول الله (ص): إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وزوجاته ونعيمه وخدمه وسرره مسير ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشيه، ثم قرأ رسول الله (ص): **وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ.** وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن إسرائيل عن ثوير عن ابن عمر مرفوعاً. ورواه عبد الملك بن أبجر عن ثوير، عن ابن عمر موقوفاً. ورواه عبيد الله الأشجعي عن سفيان عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر قوله ولم يرفعه.

سنن الترمذى: ٥/١٠٣.

عن إسرائيل عن ثوير قال سمعت ابن عمر يقول... الخ. هذا حديث غريب، وقد روى غير واحد عن إسرائيل مثل هذا مرفوعاً، وروى عبد الملك بن الجبر عن ثوير، عن ابن عمر قوله ولم يرفعه. وروى الأشجعي عن سفيان عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر قوله ولم يرفعه، ولا نعلم أحداً ذكر فيه عن مجاهد غير الثوري. انتهى. ورواه أحمد في: ٢/٦٤٤ ورواه الحاكم في المستدرک: ٢/٥٠٩، ولكن فيه (ألفى سنة) بدل ألف سنة، قال: عن ثوير بن أبي فاختة عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر في ملكه ألفى سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه، ينظر في أزواجه وخدمه وسرره.

وقال السيوطي في الدر المنثور: ٣/٣٧.

وأخرج أبو الشيخ والبيهقي في كتاب الرؤية عن الحسن في قوله: لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ، قال: في الدنيا، وقال الحسن: يراه أهل الجنة في الجنة، يقول الله **وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ.**، قال ينظر إلى وجه الله.

وقد استعرض السيوطي في الدر المنثور: ٦/٢٩٠، أكثر رواياتهم وأقوالهم في تفسير الآيه، وقد تقدم منها ما يوافق مذهب أهل البيت عليهم السلام، ونورد فيما يلي بقيتها، ونلاحظ أن أكثرها غير مسند إلى النبي صلى الله عليه وآله، بل هو أقوال مفسرين، وأكثرهم علماء سلطة أو معادون لأهل البيت (عليهم السلام). قال السيوطي في: ٦/٢٩٠:

وأخرج ابن المنذر والآجري في الشريعة واللالكائي في السنة والبيهقي في الرؤية عن ابن عباس في قوله: **وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ**، قال يعنى حسنهما، إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، قال: نظرت إلى الخالق.

وأخرج ابن المنذر والآجري عن محمد بن كعب القرظي في قوله: **وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ**، قال نصر الله تلك الوجوه وحسنها للنظر إليه.

وأخرج ابن المنذر والآجري واللالكائي والبيهقي عن عكرمة: **وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ**، قال: ناصرة من النعيم، إلى ربها ناظرة، قال: تنظر إلى الله نظراً.

وأخرج الدارقطني والآجري واللالكائي والبيهقي عن الحسن في الآية قال: الناصرة الحسن، نظرت إلى ربها فنصرت بنوره.

وأخرج ابن جرير عن الحسن، **وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ**: يقول حسنه، إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، قال: تنظر إلى الخالق.

وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة في قوله: **وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ**، قال مسرورة. إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، قال أنظر ماذا أعطى الله عبده من النور في عينيه أن لو جعل نور أعين جميع خلق الله من الإنس والجن والدواب وكل شئ خلق الله فجعل نور أعينهم في عيني عبد من عباده ثم كشف عن الشمس سترًا واحداً ودونها سبعون سترًا ما قدر على أن ينظر إلى الشمس، والشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسي، والكرسي جزء من سبعين جزء من نور العرش، والعرش جزء من سبعين جزء من نور الستر. قال عكرمة: أنظروا ماذا أعطى الله عبده من النور في عينيه أن نظر إلى وجه الرب الكريم عياناً.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله: **وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ**. إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، قال: تنظر إلى وجه ربها.

وأخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص) في قول الله وجوه يومئذ ناصرة إلى ربها ناظرة قال: ينظرون إلى ربهم

بلا كيفية ولا حد محدود ولا صفة معلومة. (وهل لهذا معنى مفهوم غير النظر بالقلب؟!)

وأخرج الدارقطني والخطيب عن أنس أن النبي (ص) أقرأه هذه الآية: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة، قال: والله ما نسخها منذ أنزلها، يزورون ربهم تبارك وتعالى فيطعمون ويسقون ويتطيبون ويحلون، ويرفع الحجاب بينه وبينهم فينظرون إليه وينظر إليهم عز وجل، وذلك قوله عز وجل: وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا.

وأخرج أبو الشيخ عن الحسن (رض) قال: أول من ينظر إلى الله تبارك وتعالى الأعمى.

وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن موسى بن صالح بن الصباح قال: إذا كان يوم القيامة يؤتى بأهل ولاية الله فيقومون بين يديه ثلاثة أصناف، فيؤتى برجل من الصنف الأول فيقول عبدى لماذا عملت؟ فيقول: يا رب خلقت الجنة وأشجارها وثمارها وأنهارها وحورها ونعيمها وما أعددت لأهل طاعتك فيها فأسهرت ليلي وأظمأت نهارى شوقاً إليها... ثم يؤتى برجل من الصنف الثالث فيقول عبدى لماذا عملت؟ فيقول ربي حباً لك وشوقاً إليك وعزتك لقد أسهرت ليلي وأظمأت نهارى شوقاً إليك وحباً لك، فيقول الله عبدى إنما عملت شوقاً إلى وحباً لى، فيتجلى له الرب فيقول ها أنا ذا أنظر إلى! ثم يقول فضلى عليك أن أعتقك من النار وأبيحك جنتى وأزيرك ملائكتى وأسلم عليك بنفسى، فيدخل هو ومن معه الجنة.

الجواهر الحسان للثعالبي: ٣/٤١٦.

قوله تعالى: إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ، حمل جميع أهل السنة هذه الآية على أنها متضمنة رؤية المؤمنين لله عز وجل بلا تكييف ولا تحديد. انتهى. ولكن هل ذلك نظراً بالعين!

تفسير الطبرى: ٢٩/١١٩.

عن مجاهد فى: وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، قال مسرورة. إلى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ، قال: إلى ربها نظراً.

وقال ابن حزم فى المحلى: ١/٣٤.

مسألة: وأن الله تعالى يراه المسلمون يوم القيامة بقوة غير هذه القوة. قال عز وجل: وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ... ولو كانت هذه القوة لكانت لا- تقع إلا- على الألوان، تعالى الله عن ذلك. وأما الكفار فإن الله عز وجل قال: إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ. انتهى. وقد اضطر ابن حزم أن يجعل الرؤية غير بصرية وأن يوافق أهل البيت (عليهم السلام).

وقال القسطلانى فى إرشاد السارى: ١٠/٣٩٨.

قوله تعالى (إلى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) بلا كيفية ولا جهة ولا ثبوت مسافة. وقال القاضى: تراه مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه. انتهى. وهى رؤية غير بصرية كما ترى.

وقال الألبانى فى فتاويه/١٤٣:

إن عقيدة رؤية الله لم ترد فى السنة فقط حتى تشككوا فيها، إن هذه العقيدة أيضاً قد جاءت فى القرآن الكريم المتواتر روايته عن رسول الله... إن قوله تعالى: وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ، هى وجوه المؤمنين قطعاً إلى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ... المعتزلة والشيعه جاءوا بفلسفة ففسروا: وجوه إلى ربها ناظرة، أى إلى نعيم ربها ناظرة، أعطوا دلالة الآية ورفضوا التفسير الثانى للذين أحسنوا، وهذه الفلسفة معول هدام للسنة الصحيحة. انتهى.

وبذلك كشف الشيخ الألبانى حقيقة موقف القائمين بالرؤية، فقد اعترف بأن تفسير (ناظرة) بالنظر المعنوى يحقق الانسجام والتوافق بين الآيات المحكمات مثل: لا تُدْرِكُهُ الأبصار، وبين هذه الآية. ولكن الخطر كل الخطر منه على (السنة الشريفة) أن يهدمها معول تأويل هذه الآية!

فلماذا يا ترى يهتمون بالمحافظة على روايات الرؤية ويخافون أن تهدم، ولا يهتمون بالآيات المحكمات النافية للرؤية ولا يخافون أن تهدم!

ثم إن أحاديث السنه عند إخواننا منها ما ينفي الرؤية بالعين مطلقاً ومنها ما يشتهها صراحةً، وجميعها في البخارى، الكتاب المعصوم بزعمهم من الجلد إلى الجلد، فكيف صار بعض البخارى سنه يجب أن يحفظ من خطر الهدم وبعضه سنه لا مانع أن يهدم، وتهدم معه آيات محكمات!

لعل جوابهم: أن الذين رووا أحاديث نفى الرؤية عن النبي هم عائشهُ وعدد من الصحابه وأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، بينما الذين رووا أحاديث الرؤية الخليفهُ عمر والمقربون منه، وعند التعارض يجب أن نحافظ على روايات عمر ولا نسمح لاحد أن يهدمها أو يمسه، ويجب أن نعمل معول التأويل أو الهدم في آيات نفى الرؤية وأحاديثها لكي تخضع لما قاله كعب الأحبار والخليفهُ عمر ومن وافقهما!

بل الظاهر أنه لا- مانع عند إخواننا من أن ترد أقوال كل الصحابه وأن تهدم عصمه البخارى برد بعض أحاديثه، لأنهم إنما يريدون عصمه البخارى من أجل عصمه المولى عمر! إنهم يقولون: الخليفهُ قال برؤية الله بالعين، والقول ما قاله عمر، وانتهى الكلام. وإذا وصل الأمر إلى هذا، فعلى المسلم أن يسكت كما سكت نبيه صلى الله عليه وآله وهو على فراش الموت عندما صاحوا في وجهه (القول ما قاله عمر) عندما كرروا شعارهم في وجهه قال لهم: قوموا عنى! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!

تفسير آيات التجلى لموسى

قال الله تعالى: وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَيْعَقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ. الأعراف: ١٤٣.

قال أهل البيت: تجلى بنوره الذى خلقه، لا بذاته

الامام الرضا يدفع التهم عن الأنبياء

روى الصدوق فى كتابه التوحيد/١١٨-١٢٢:

حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رحمه الله قال: حدثنا على بن الحسين السعد آبادى، عن أحمد بن أبى عبد الله البرقى، عن أبىه محمد بن خالد، عن أحمد بن النضر، عن محمد بن مروان، عن محمد بن السائب، عن أبى الصالح، عن عبد الله بن عباس فى قوله عز وجل: «فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ» قال يقول: سبحانك تبت إليك من أن أسألك الرؤية، وأنا أول المؤمنين بأنك لا ترى.

قال محمد بن على بن الحسين مصنف هذا الكتاب (رض): إن موسى عليه السلام علم أن الله عز وجل لا يجوز عليه الرؤية، وإنما سأل الله عز وجل أن يريه ينظر إليه عن قومه حين ألحوا عليه فى ذلك، فسأل موسى ربه ذلك من غير أن يستأذنه فقال: قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فى حال تدكدكه فسوف ترانى. ومعناه أنك لا ترانى أبداً، لأن الجبل لا يكون ساكناً متحركاً فى حال أبداً، وهذا مثل قوله عز وجل: وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ، ومعناه أنهم لا يدخلون الجنة أبداً كما لا يلج الجمل فى سم الخياط أبداً.

فلما تجلى ربه للجبل: أى ظهر بأية من آياته، وتلك الآية نور من الأنوار التى خلقها ألقى منها على ذلك الجبل، فجعله دكا وخر موسى صعقا، من هول تدكدك ذلك الجبل على عظمه وكبره، فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك، أى رجعت إلى معرفتى بك عادلاً عما حملنى عليه قومى من سؤالك الرؤية، ولم تكن هذه التوبة من ذنبه لأن الأنبياء لا يذنبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً، ولم يكن

الإستيزان قبل السؤال بواجب عليه، لكنه كان أدباً أن يستعمله ويأخذ به نفسه متى أراد أن يسأله.

على أنه قد روى قوم أنه قد استأذن في ذلك فأذن له ليعلم قومه بذلك أن الرؤية لا تجوز على الله عز وجل.

وقوله: وأنا أول المؤمنين، يقول أنا أول المؤمنين من القوم الذين كانوا معه وسألوه أن يسأل ربه أن يريه ينظر إليه، بأنك لا ترى.

والأخبار التي رويت في هذا المعنى وأخرجها مشايخنا رضى الله عنهم في مصنفاتهم عندي صحيحة، وإنما تركت إيرادها في هذا الباب خشية أن يقرأها جاهل بمعانيها فيكذب بها فيكفر بالله عز وجل وهو لا يعلم....

ومعنى الرؤية الواردة في الأخبار العلم، وذلك أن الدنيا دار شكوك وارتباب وخطرات، فإذا كان يوم القيامة كشف للعباد من آيات الله وأموره في ثوابه وعقابه ما تزول به الشكوك، وتعلم به حقيقة قدرة الله عز وجل.

وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل: لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَ كَفِّبَصِيرَتِكِ الْيَوْمَ حَدِيدًا، فمعنى ما روى في الحديث أنه عز وجل يرى أى يعلم علماً يقينياً، كقوله عز وجل: أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ. وقوله: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ، وقوله: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ: وقوله: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ، وأشبه ذلك من رؤية القلب وليست من رؤية العين.

وأما قول الله عز وجل: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ، فمعناه: لما ظهر عز وجل للجبل بآية من آيات الآخرة التي تكون بها الجبال سراباً، والذي ينسف بها الجبال نسفاً، تدكدك الجبل فصار تراباً، لأنه لم يطق حمل تلك الآية، وقد قيل إنه بدا له نور العرش....

وتصديق ما ذكرته ما حدثنا به تميم القرشي، عن أبيه، عن حمدان بن سليمان، عن علي بن محمد بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا على بن موسى (عليهم السلام) فقال له المأمون: يا ابن رسول الله أليس من قولك: إن الأنبياء معصومون قال: بلى، فسأله عن آيات من القرآن فكان فيما سأله أن قال له: فما معنى قول الله عز وجل: وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي، الآية كيف يجوز أن يكون كلهم الله موسى بن عمران عليه السلام لا يعلم أن الله تعالى ذكره لا يجوز عليه الرؤية حتى يسأله عن هذا السؤال.

فقال الرضا عليه السلام: إن كلهم الله موسى بن عمران عليه السلام علم أن الله تعالى عن أن يرى بالأبصار، ولكنه لما كلمه الله عز وجل وقربه نجياً رجع إلى قومه فأخبرهم أن الله عز وجل كلمه وقربه وناجاه، فقالوا: لن نؤمن لك حتى نسمع كلامه كما سمعت وكان القوم سبعمائه ألف رجل فاختر منهم سبعين ألفاً، ثم اختار منهم سبعة آلاف، ثم اختار منهم سبعمائه، ثم اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربه، فخرج بهم إلى طور سيناء فأقامهم في سفح الجبل، وصعد موسى عليه السلام إلى الطور، وسأل الله تبارك وتعالى أن يكلمه ويسمعهم كلامه، فكلمه الله تعالى ذكره وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام، لأن الله عز وجل أحدثه في الشجرة ثم جعله منبعثاً منها حتى سمعوه من جميع الوجوه، فقالوا: لن نؤمن لك بأن هذا الذي سمعناه كلام الله حتى نرى الله جهرة، فلما قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا بعث الله عز وجل عليهم صاعقة فأخذتهم بظلمهم فماتوا، فقال موسى: يا رب ما أقول لبنى إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا: إنك ذهبت بهم فقتلتهم لأنك لم تكن صادقاً فيما ادعيت من مناجاة الله، إياك فأحياهم الله وبعثهم معه فقالوا: إنك لو سألت الله أن يريك تنظر إليه لأجابك، وكنت تخبرنا كيف هو فنعرفه حق معرفته! فقال موسى عليه السلام: يا قوم إن الله لا يرى بالأبصار ولا كيفية له، وإنما يعرف بآياته ويعلم بأعلامه. فقالوا: لن نؤمن لك حتى تسأله فقال موسى عليه السلام: يا رب إنك قد سمعت مقالة بنى إسرائيل وأنت أعلم بصلاحهم فأوحى الله جل جلاله إليه: يا موسى اسألني ما سألوك فلن أؤاخذك بجهلهم، فعند ذلك قال موسى عليه السلام: قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، وهو يهوى، فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا، فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك، يقول: رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي، وأنا أول المؤمنين، منهم بأنك لا ترى.

فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن... الخبر...

ولو أوردت الأخبار التي رويت في معنى الرؤية لطلال الكتاب بذكرها وشرحها وإثبات صحتها، ومن وفقه الله تعالى ذكره للرشاد آمن بجميع ما يرد عن الأئمة (عليهم السلام) بالاسانيد الصحيحة وسلم لهم، ورد الأمر فيما اشتبه عليه إليهم، إذ كان قولهم قول الله وأمرهم أمره، وهم أقرب الخلق إلى الله عز وجل وأعلمهم به، صلوات الله عليهم أجمعين.

وقال في علل الشرائع: ٢/٤٩٧:

حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى العلوي الحسيني رحمه الله قال: حدثنا محمد بن إبراهيم بن أسباط قال حدثنا أحمد بن محمد بن زياد القطان قال: حدثني أبو الطيب أحمد بن محمد بن عبد الله قال حدثني عيسى بن جعفر العلوي العمري عن آبائه عن عمر بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام أنه سئل مم خلق الله الذر الذي يدخل في كوة البيت؟ فقال: إن موسى عليه السلام: لما قال رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ، قال الله تعالى: إن استقر الجبل لنورى فإنك ستقوى على أن تنظر إلى، وإن لم يستقر فلا- تطيق إبصارى لضعفك، فلما تجلى الله تبارك وتعالى للجبل تقطع ثلاث قطع، فقطعة ارتفعت في السماء، وقطعة غاصت تحت الأرض، وقطعة تفتت فهذا الذر من ذلك الغبار، غبار الجبل.

تفسير العياشى: ٢/٢٦:

عن أبي بصير عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام قال: لما سأل موسى ربه تبارك وتعالى: قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْمَهُ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي، قال: فلما صعد موسى على الجبل فتحت أبواب السماء وأقبلت الملائكة أفواجا في أيديهم العمدة وفي رأسها النور، يمرون به فوجاً بعد فوج يقولون: يابن عمران أثبت فقد سألت عظيماً، قال: فلم يزل موسى واقفاً حتى تجلى ربنا جل جلاله، فجعل الجبل دكاً وخر موسى صعقاً، فلما أن رد الله إليه روحه أفاق قال: سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين.

قال ابن أبي عمير: وحدثني عدة من أصحابنا أن النار أحاطت به، حتى لا يهرب من هول ما رأى.

وقال الشريف المرتضى في أماليه: ٤/١٢٥:

فإن قيل: كيف يجوز منه عليه الصلاة والسلام مع علمه باستحالة الرؤية عليه تعالى أن يسأل فيها لقومه، ولئن جاز ذلك ليجوز أن يسأل لقومه سائر ما يستحيل عليه تعالى من كونه جسماً وما أشبهه متى شكوا فيه.

قلنا: إنما صح ما ذكرناه في الرؤية ولم يصح فيما سألت عنه لأنه مع الشك في جواز الرؤية التي لا يقتضى كونه جسماً يمكن معرفة السمع وأنه تعالى حكيم صادق في إخباره، فيصح أن يعرفوا بالجواب الوارد من جهته تعالى استحالة ما شكوا في صحته وجوازه، ومع الشك في كونه جسماً لا يصح معرفة السمع فلا يقع بجوابه انتفاع ولا علم..

وقد قال بعض من تكلم في هذه الآية قد كان جائزاً أن يسأل موسى عليه السلام لقومه ما يعلم استحاله وإن كانت دلالة السمع لا تثبت قبل معرفته متى كان المعلوم أن في ذلك صلاحاً للمكلفين في الدين، وإن ورود الجواب يكون لطفاً لهم في النظر في الأدلة وإصابة الحق منها، غير أن من أجاب بذلك شرط أن يتبين في مسألة علمه باستحاله ما سأل عنه وأن غرضه في السؤال ورود الجواب ليكون لطفاً..

والجواب الثاني في الآية أن يكون موسى عليه السلام إنما سأل ربه أن يعلمه نفسه ضرورةً بإظهار بعض أعلام الآخرة التي تضطره إلى المعرفة فتزول عنه الدواعي والشكوك والشبهات ويستغنى عن الاستدلال فتخف المحنة عليه بذلك، كما سأل إبراهيم عليه السلام ربه تعالى أن يريه كيف يحيى الموتى طلباً للتخفيف عليه بذلك، وإن كان قد عرف ذلك قبل أن يراه، والسؤال إن وقع بلفظ الرؤية فإن الرؤية تفيد العلم كما تفيد الإدراك بالبصر، وذلك أظهر من أن يستدل عليه أو يستشهد به، فقال له جل وعز: لن ترانى، أى لن تعلمنى على هذا الوجه الذى التمسته منى، ثم أكد تعالى ذلك بأن أظهر فى الجبل من آياته وعجائبه ما دل به على أن إظهار ما تقوم به المعرفة الضرورية فى الدنيا مع التكليف وبيانه لا يجوز، وأن الحكمة تمنع منه.

والوجه الأول أولى لما ذكرناه من الوجوه ولأنه لا يخلو موسى عليه السلام من أن يكون شاكاً في أن المعرفة ضرورية لا يصح حصولها في الدنيا أو عالمياً بذلك، فإن كان شاكاً فهذا مما لا يجوز على النبي صلى الله عليه وآله، لأن الشك فيما يرجع إلى أصول الديانات وقواعد التكليف لا يجوز عليهم سلام الله عليهم، لا سيما وقد يجوز أن يعلم ذلك على الحقيقة بعض أمتهم فيزيد عليهم في المعرفة، وهذا أبلغ في التنفير عنهم من كل شئ يمنع منه فيهم. وإن كان عالمياً فلا وجه لسؤاله إلا أن يقال إنه سأل لقومه، فيعود إلى معنى الجواب الأول.

والجواب الثالث في الآيه، ما حكى عن بعض من تكلم في هذه الآيه من أهل التوحيد وهو أن قال: يجوز أن يكون موسى عليه السلام في وقت مسألته ذلك كان شاكاً في جواز الرؤية على الله تعالى فسأل ذلك ليعلم هل يجوز عليه أم لا، قال وليس شكه في ذلك بمانع من أن يعرف الله تعالى بصفاته بل يجرى مجرى شكه في جواز الرؤية على بعض ما لا يرى من الاعراض في أنه غير محل بما يحتاج إليه في معرفته تعالى.

قال: ولا يمتنع أن يكون غلظه في ذلك ذنباً صغيراً وتكون التوبة الواقعة منه لاجل ذلك.

وهذا الجواب يبعد من قبل أن الشك في جواز الرؤية التي لا تقتضى تشبيهاً، وإن كان لا يمنع من معرفته تعالى بصفاته فإن الشك في ذلك لا يجوز على الأنبياء (عليهم السلام) من حيث يجوز من بعض من بعثوا إليه أن يعرف ذلك على الحقيقة فيكون النبي صلى الله عليه وآله شاكاً فيه وغيره عارفاً به مع رجوعه إلى المعرفة بالله تعالى وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه، وهذا أقوى في التنفير وأزيد على كل ما وجب أن يجنبه الأنبياء (عليهم السلام).

فإن قيل: فعن أى شئ كانت توبة موسى عليه السلام على الجوابين المتقدمين؟

قلنا: أما من ذهب إلى أن المسألة كانت لقومه، فإنه يقول إنما تاب لأنه أقدم على أن سأل على لسان قومه ما لم يؤذن له فيه، وليس للأنبياء ذلك لأنه لا يؤمن أن يكون الصلاح في المنع منه فيكون ترك إجابتهم إليه منفراً عنهم. ومن ذهب إلى أنه سأل المعرفة الضرورية يقول إنه تاب من حيث سأل معرفة لا يقتضيها التكليف. وعلى جميع الأحوال تكون التوبة من ذنب صغير لا يستحق عليه العقاب ولا الذم.

والأولى أن يقال في توبته عليه الصلاة والسلام: إنه ليس في الآيه ما يقتضى أن تكون التوبة وقعت من المسألة أو من أمر يرجع إليها، وقد يجوز أن يكون ذلك منه إما لذنوب صغير تقدم تلك الحال أو تقدم النبوة، فلا يرجع إلى سؤال الله تعالى الرؤيا أو ما أظهره من التوبة على سبيل الرجوع إلى الله تعالى وإظهار الإنقطاع إليه والتقرب منه وإن لم يكن هناك ذنب صغير، وقد يجوز أيضاً أن يكون الغرض في ذلك مضافاً إلى ما قلناه تعليماً وتوقيفاً على ما نستعمله وندعوه به عند الشدائد ونزول الأحوال وتنبه القوم المخطفين خاصة على التوبة مما التمسوه من الرؤية المستحيلة عليه تعالى، فإن الأنبياء (عليهم السلام) وإن لم يقع منهم القبيح عندنا فقد يقع من غيرهم ويحتاج من رفع ذلك عنه إلى التوبة من الإستقالة..

فأما قوله تعالى: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ، فإن التجلى هاهنا هو التعريف والإعلام والإظهار لما يقتضى المعرفة، كقولهم هذا كلام جلى أى واضح ظاهر، وكقول الشاعر:

تجلى لنا بالمشرفية والقنا وقد كان عن وقع الاسنة نائى

أراد أن تدبيره دل عليه حتى علم أنه المدبر له وإن كان نائياً فأقام ما أظهره من دلالة فعله على مقام مشاهدته وعبر عنه بأنه تجلى منه. وفي قوله تعالى (للجبل) وجهان، أحدهما، أن يكون المراد لأهل الجبل ومن كان عند الجبل فحذف كما قال تعالى: واسأل القرية، وما بكت عليهم السماء والأرض، وقد علمنا أنه بما أظهره من الآيات إنما دل من كان عند الجبل على أن رؤيته تعالى غير جائزة. والوجه الآخر، أن يكون المعنى للجبل أى بالجبل، فأقام اللام مقام الباء كما قال تعالى: آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ، أى به، وكما تقول: أخذتك لجرمك أى بجرمك، ولما كانت الآيه الدالة على منع ما سأل إنما حلت الجبل وظهرت فيه جاز أن يضاف التجلى إليه.

وقد استدل بهذه الآية كثير من العلماء الموحدين على أنه تعالى لا يرى بالأبصار من حيث نفى الرؤية نفيًا عامًا بقوله تعالى: لَنْ تَرَانِي، ثم أكد ذلك بأن علق الرؤية باستقرار الجبل الذي علمنا أنه لم يستقر، وهذه طريقة للعرب معروفة في تبعيد الشئ لأنهم يعلقونه بما يعلم أنه لا يكون كقولهم: لا كلمتك ما أضاء الفجر وطلعت الشمس، وكقول الشاعر:

إذا شاب الغراب رجوت أهلى وصار القيير كاللبن الحليب

بحار الأنوار: ٣/٤٥: أورد رواية الصدوق الأولى عن الأمامي والتوحيد وقال:

بيان: أعلم أن المنكرين للرؤية والمثبتين لها كليهما استدلوا بما ورد في تلك القصة على مطلوبهم، فأما المثبتون فاحتجوا بها بوجهين: الأول: أن موسى عليه السلام سأل الرؤية ولو امتنع كونه تعالى مرئيًا لما سأل، لأنه حينئذ إما أن يعلم امتناعه أو يجهله فإن علمه فالعقل لا يطلب المحال لأنه عبث، وإن جهله فالجاهل بما لا يجوز على الله تعالى ويمتنع لا يكون نبيًا كليماً.

وأجيب عنه بوجه: الأول: ما ورد في هذا الخبر من أن السؤال إنما كان بسبب قومه لا لنفسه، لأنه كان عالمًا بامتناعها، وهذا أظهر الوجوه واختاره السيد الأجل المرتضى في كتابي تنزيه الأنبياء وغرر الفوائد، وأيده بوجه:

منها، حكاية طلب الرؤية من بنى إسرائيل في مواضع كقوله تعالى: فقد سألو موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم. وقوله تعالى: فقد سألو موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة؟؟ وأتم تنظرون؟؟. ومنها، أن موسى عليه السلام أضاف ذلك إلى السفهاء، قال الله تعالى: فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإناى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا. وإضافة ذلك إلى السفهاء تدل على أنه كان بسببهم ومن أجلهم حيث سألو ما لا يجوز عليه تعالى. فإن قيل: فلم أضاف السؤال إلى نفسه ووقع الجواب مختصاً به.

قلنا: لا يمتنع وقوع الإضافة على هذا الوجه، مع أن السؤال كان لأجل الغير إذا كانت هناك دلالة تؤمن من اللبس، فلهذا يقول أحدنا إذا شفع في حاجة غيره للمشفوع إليه: أسألك أن تفعل بي كذا وتجيبنى إلى ذلك، ويحسن أن يقول المشفوع إليه: قد أجتك وشفعتك، وما جرى مجرى ذلك، على أنه قد ذكر في الخبر ما يغنى عن هذا الجواب.

وأما ما يورد في هذا المقام من أن السؤال إذا كان للغير، فأى جرم كان لموسى حتى تاب منه؟

فأجاب رحمه الله بحمل التوبة على معناها اللغوي أى الرجوع، أى كنت قطعت النظر عما كنت أعرفه من عدم جواز رؤيتك، وسألت ذلك للقوم فلما انقضت المصلحة في ذلك تركت هذا السؤال ورجعت إلى معرفتي بعدم جواز رؤيتك وما تقتضيه من عدم السؤال. وأجاب السيد قدس الله روحه عنه بأنه يجوز أن يكون التوبة لأمر آخر غير هذا الطلب، أو يكون ما أظهره من التوبة على سبيل الرجوع إلى الله تعالى، وإظهار الانقطاع إليه والتقرب منه وإن لم يكن هناك ذنب.

والحاصل أن الغرض من ذلك إنشاء التذلل والخضوع، ويجوز أن يضاف إلى ذلك تنبيه القوم المخطئين على التوبة مما التمسوه من الرؤية المستحيلة عليه. بل أقول يحتمل أن تكون التوبة من قبلهم كما كان السؤال كذلك.

الثانى: أنه عليه السلام لم يسأل الرؤية بل تجوز بها عن العلم الضرورى لأنه لازمها، وإطلاق اسم الملزوم على اللزوم شائع سيما استعمال رأى بمعنى علم وأرى بمعنى أعلم، والحاصل أنه سأله أن يعلمه نفسه ضرورة بإظهار بعض أعلام الآخرة التى تضطره إلى المعرفة، فتزول عنه الدواعى والشكوك، ويستغنى عن الإستدلال كما سأل إبراهيم عليه السلام: رب أرنى كيف تحيى الموتى.

الثالث: أن فى الكلام مضافاً محذوفاً أى أرنى آية من آياتك أنظر إلى آيتك، وحاصله يرجع إلى الثانى.

الرابع: أنه عليه السلام سأل الرؤية مع علمه بامتناعها لزيادة الطمأنينة بتعاقد دليل العقل والسمع، كما فى طلب إبراهيم عليه السلام، وحاصله يرجع إلى منع أن العاقل لا يطلب المحال الذى علم استحاله إذ يمكن أن يكون الطلب لغرض آخر غير حصول المطلوب، فلا يلزم العبث لجواز ترتب غرض آخر عليه، والعبث ما لا فائدة فيه أصلاً، ولعل فى هذا السؤال فوائد عظيمة سوى ما ذكر أيضاً ولا يلزمنا تعيين الفائدة بل على المستدل أن يدل على انتفائها مطلقاً، ونحن من وراء المنع، ومما يستغرب من الأشاعرة أنهم أجمعوا على

أن الطلب غير الإرادة، واحتجوا عليه بأن الأمر ربما أمر عبده بأمر وهو لا يريد، بل يريد نقيضه، ثم يقولون هاهنا: بأن طلب ما علم استحالته لا يتأتى من العاقل.

الثاني من وجهي احتجاجهم: هو أنه تعالى علق الرؤية على استقرار الجبل وهو أمر ممكن في نفسه، والمعلق على الممكن ممكن، لأن معنى التعليق أن المعلق يقع على تقدير وقوع المعلق عليه، والمحال لا يقع على شيء من التقادير.

ويمكن الجواب عنه بوجوه، أو جهها أن يقال: التعليق إما أن يكون الغرض منه بيان وقت المعلق وتحديد وقوعه بزمان وشرط، ومن البين أن ما نحن فيه ليس من هذا القبيل. وإما أن يكون المطلوب فيه مجرد بيان تحقق الملازمة وعلاقة الاستلزام بأن يكون لافادة النسبة التي بين الشرط والجزاء مع قطع النظر عن وقوع شيء من الطرفين وعدم وقوعه، ولا يخفى على ذي لب أن لا علاقة بين استقرار الجبل ورؤيته تعالى في نفس الأمر ولا ملازمة. على أن إفادة مثل هذا الحكم وهو تحقق علاقة اللزوم بين هاتين القضيتين لا يليق بسياق مقاصد القرآن الحكيم مع ما فيه من بعده عن مقام سؤال الكليم، فإن المناسب لما طلب من الرؤية بيان وقوعه ولا وقوعه، لا مجرد إفادة العلاقة بين الأمرين فالصواب حينئذ أن يقال: المقصود من هذا التعليق بيان أن الجزء لا يقع أصلاً بتعليقه على ما لا يقع، ثم هذا التعليق إن كان مستلزماً للعلاقة بين الشرط والجزاء فواجب أن يكون إمكان الجزء مستتباً لإمكان الشرط، لأن ماله هذه العلاقة مع المحال لا يكون ممكناً على ما هو المشهور من أن مستلزم المحال محال، وإلا فلا وجه لوجوب إمكان الجزء. والأول وإن كان شائع الإرادة من اللفظ إلا أن الثاني أيضاً مذهب معروف للعرب كثير الدوران بينهم، وهو عمدة البلاغة ودعامتها، ومن ذلك قول الشاعر:

إذا شاب الغراب أتيت أهلى وصار القار كاللبن الحليب

ومعلوم أن مشيب الغراب وصيرورة القار كالحليب لا ملازمة بينهما وبين إتيان الشاعر أهله. ونظيره في الكتاب الكريم كثير كتعليق خروج أهل النار منها على ولوج الجمل في سم الخياط، وبعيد من العاقل أن يدعى علاقة بينهما، وإذا كان ذلك التعليق أمراً شائعاً كثير الوقوع في كلامهم فلا ترجيح للإحتمال الأول بل الترجيح معنا، فإن البلاغة في ذلك، وأما إذا تحققت العلاقة في الواقع بينهما وعلق عليه لمكان تلك العلاقة فليس له ذلك الموقع من حسن القبول، ألا- ترى أن المتمنى لوصال حبيبه الميت لو قال: إذا رجع الموتى إلى الدنيا أمكن لى زيارة الحبيب، لم يكن كقول الصب المتحسر على مفارقة الاحباء: متى أقبل الامس الدابر وحيى الميت الغابر طمعت فى اللقاء.

وأيضاً لا- يخفى على ذى فطرة أن التزام تحقق علاقة لزوم بين استقرار الجبل فى تلك الحال وبين رؤيته تعالى بحيث لو فرض وقوع ذلك الاستقرار امتنع أن لا تقع رؤيته تعالى، مستبعد جداً يكاد يجزم العقل بطلانه، فإذن المقصود من ذلك الكلام مجرد بيان انتفائه بتعليقه على أمر غير واقع، وبكفى فى ذلك عدم وقوع المعلق عليه، ولا يستدعى امتناع المعلق امتناعه. ولو سلم فنقول: إن المعلق عليه هو الإستقرار لا- مطلقاً بل فى المستقبل وعقيب النظر، بدلالة الفاء وإن، وذلك لأنه إذا دخلت الفاء على إن تفيد اشتراط التعقيب لا تعقيب الإشتراط، فالشرط هاهنا وقوع الإستقرار عقيب النظر، والنظر ملزوم لوقوع حركة الجبل عقيب، فوقع السكون عقيب محال لإستحالة وقوع الشيء عقيب ما يستعقب منافى ذلك الشيء ويستلزم وقوعه عقيب.

وأما أن النظر لا يستلزم اندكاك الجبل وتزلزله ولا علاقة بينه وبينه وإنما هو مصاحبة اتفاقية فممنوع، ولعل النظر ملزوم للحركة كما أن استقرار الجبل ملزوم لرؤيته تعالى، وتحقق العلاقة بين النظر والحركة ليس بأبعد من تحقق العلاقة بين الإستقرار والرؤية. ولنقتصر على ذلك فإن إطناب الكلام فى كل من الدلائل والأجوبة يوجب الخروج عما هو المقصود من الكتاب.

وأما المنكرون فاحتجوا بقوله تعالى: لَنْ تَرَانِي، إن كلمة لن تفيد إما تأييد النفي فى المستقبل، كما صرح به الزمخشري فى أنموذجه، فىكون نصاً فى أن موسى عليه السلام لا يراه أبداً، أو تأكيده على ما صرح به فى الكشف، فىكون ظاهراً فى ذلك لأن المتبادر فى مثله عموم الاوقات، وإذا لم يره موسى لم يره غيره إجماعاً.

وإن نوقش في كونها للتأكيد أو للتأييد فكفاك شاهداً استدلالاً أئمتنا (عليهم السلام) بها على نفى الرؤية مطلقاً، لأنهم أفصح الفصحاء طراً باتفاق الفريقين، مع أنا لكثرة براهيننا لا نحتاج إلى الأكتاف في دلالة هذه الآية على المطلوب.

وقال في هامشه: قال الرضى في تلخيصه: هذه استعارة على أحد وجهي التأويل وهو أن يكون المعنى: فلما حقق تعالى بمعرفته لحاضري الجبل الآيات التي أحدثها في العلم بحقيقته عوارض الشبه وخوالج الريب، وكان معرفته سبحانه تجلت لهم من غطاء أو برزت لهم من حجاب.

شرح الأسماء الحسنی: ١/١٨٥ - ١٩١:

واحتج الأشاعرة بحجة عقلية كلامية لا نزيل الكلام بذكرها، وأدلة نقلية منها قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي.

والإحتجاج به من وجهين، أحدهما، أن موسى سأل الرؤية فلو استحالت كان سؤاله عليه السلام إما عبثاً إن علم المحالية وإما جهلاً إن لم يعلم، وكلاهما محالان على النبي ولا سيما أنه كليم الله، كيف والنبي يدعو إلى العقائد الحقّة والأعمال الصالحة. وثانيهما، أنه تعالى علق الرؤية على استقرار الجبل، وهو أمر ممكن في نفسه فكذا ما علق عليه.

واعترض على الأول، بأن سؤال موسى عليه السلام عن لسان قومه بدليل قوله تعالى: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً، وقوله تعالى: أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ.

وأجيب بأنه مع مخالفته للظاهر حيث لم يقل أرهم ينظروا إليك، وهو فاسد، أما أولاً- فلأنهم لما قالوا أرنا الله جهرة زجرهم بأخذ الصاعقة فلم يحتج إلى سؤال الرؤية وليس أخذ الصاعقة دليلاً لهم لجواز أن يكون ذلك لقصد إعجاز موسى عليه السلام عن إتيان ما طلبوه عناداً، أو لعدم قابليتهم بما هم منهمكون في الدنيا، ولذا قال الأشاعرة: المؤمنون يرونه تعالى في الآخرة.

وأما ثانياً، فلان تجويز الرؤية باطل عند المعتزلة فلا يجوز لموسى عليه السلام تأخير رد الرؤية وتقرير الباطل، ألا ترى أنهم لما قالوا إجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، رد عليهم من ساعته بقوله: إنكم قوم تجهلون.

وعلى الوجه الثاني بأنها علقت على الاستقرار عقيب النظر بدليل الفاء وكلمة إن، وهو حالة الاندكاك، ولا نسلم إمكان الاستقرار حينئذ. والجواب: أن الاستقرار حال الحركة ممكن لا بشرط الحركة كما أن قيام زيد ممكن حال قعوده لا بشرط قعوده.

انواع التجلى الإلهي

شرح الأسماء الحسنی: ٢/٥:

بيان ذلك: أن الله تعالى تجليات: تجل ذاتي هو تجلى ذاته بذاته على ذاته، إذ لم يكن إسم ولا رسم.

وتجل صفاتي، هو تجلى ذاته في أسمائه الحسنی وصفاته العليا على وجه يستتبع تجليه في صور أسمائه وصفاته، أعنى الأعيان الثابتة اللازمة للأسماء والصفات لزوماً غير متأخر في الوجود، بل هي هناك موجودة بوجود الأسماء الموجودة بوجود المسمى جل شأنه. وهذا التجلى يسمى بالمرتبة الواحديّة، كما أن الأول يسمى بالمرتبة الأحديّة.

وتجل أفعالي، هو تجلى ذاته بفعله، وهو الوجود الإنبساطي على كل ماهية ماهية من الدرارة البيضاء إلى ذرة الهباء، في كل من الجبروت والملكوت والناسوت بحسبه. وهذا مسمى بالرحمة الفعلية، كما أن الثاني مسمى بالرحمة الصفية، وهذا بالفيض المقدس وذاك بالفيض الأقدس.

وصبح الأزل يمكن أن يراد به الثاني، كما يمكن أن يراد به الثالث.

وبيان النطق الحقيقي للصباح سواء كان صباح عالم الصورة أو صباح عالم المعنى: أن النطق الظاهري اللفظي إنما يكون نطقاً لكونه وجوداً كاشفاً عن وجود ذهنى وهو عن وجود عيني، لا لكون خصوصية الصوت معتبرة فيه حتى لو لم يكن صوتاً لم يكن نطقاً، وإنما

هذه بالمواضعة للتسهيل. كما أن كاشفيته عن وجود آخر ذهني بالمواضعة ودلالته بالوضع لا بالطبع، ولو كان بالطبع لأكد نطقه كما في الوجودات الذهنية بالنسبة إلى الوجودات العينية، ولذا تسمى العقول المدركة للكليات ناطق والنفس ناطقة وقيل شعراً: إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليل والأشاعر ذهبوا إلى الكلمات النفسية، ولكن لاوجه للتخصيص، فإذا إن كان بدل الكيفيات المسموعة الموضوعه أشياء أخرى موضوعه، بحيث يكون حضور الأشياء الدالة منشأ لحضور الأشياء المدلولة في الذهن، كان حالها حينئذ حالها.

تفسير عرفاني لعدم إمكان رؤية الله تعالى

شرح الأسماء الحسنی: ١/٢١٠:

(يا من لا تدرك الأفهام جلاله، يا من لا تنال الأوهام كنهه)

كما قال النبي صلى الله عليه وآله: إن الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وإن الملائ الأعلى يطلبونه كما يطلبونه أنتم. ولذلك يطلق على الذات باعتبار الحضرة الأحديّة غيب الغيوب والغيب المطلق والغيب المكنون والغيب المصون والمنقطع الوجداني ومنقطع الإشارات والتجلي الذاتي والكنز المخفي والعماء، وغير ذلك. وإنما لا يدرك كنه الذات لما تقرر أنه إذا جاوز الشيء حده انعكس ضده فإذا كان ظهوره في قصيا مراتب الظهور أنتج غايه الخفاء وانعكس عكس الجلاء.

وأيضاً لما كان قهاراً لكل فلم يبق أحد في سطوع نوره حتى يراه، بل يتلاشى ويضمحل بتأجج نار محياه. وأيضاً هو تعالى بكل شيء محيط، والمحيط لا يصير محاطاً....

الله تعالى يتجلي بخلقه

شرح الأسماء الحسنی: ١/١٥٠:

(يا من في الآفاق آياته)

أى في النواحي من عوالم الوجود علاماته، والاسم مأخوذ من الآية أعنى قوله تعالى: سُنِّرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ، وفي التعبير بالآيات إشارة إلى أن عالم الآفاق كتاب تكويني له كالكتاب التدويني، كما قال الإمام الغزالي: العالم كله تصنيف الله، وقيل بالفارسية:

به نزد آنکه جانش در تجلی است همه عالم کتاب حق تعالی است
عرض اعراب و جوهر چون حروفست مراتب همچو آیات وقوفست
از هر عالمی چون سوره خاص یکی زان فاتحه وآن دیگر اخلاص

وفي الإكتفاء بالآفاق في الإسم إشارة إلى تطابق الكتاب الآفاقي والكتاب الأنفسي وأن كلاً منهما تام فيه جميع ما في الآخر. قال ابن جمهور: الكتب ثلاثة: الآفاقي والقرآني والأنفسي، فمن قرأ الكتاب القرآني الجمعي على الوجه الذي ينبغي فكمن قرأ الكتاب الآفاقي بأسره إجمالاً وتفصيلاً، ومن قرأ الكتاب الآفاقي على الوجه المذكور فكمن قرأ الكتاب الأنفسي إجمالاً وتفصيلاً، ولهذا اكتفى النبي صلى الله عليه وآله بواحد منهما في معرفته تعالى بقوله: من عرف نفسه فقد عرف ربه، لأنه كان عارفاً بأن من يعرف نفسه على ما ينبغي ويطالع كتابه على ما هو عليه في نفسه يعرف ربه على ما ينبغي، وإليه الإشارة بقوله تعالى: إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً.

وكذلك من طالع الكتاب القرآني على وجه التطبيق تجلي له الحق تعالى في صور ألفاظه وتركيبه وآياته وكلماته تجلياً معنوياً، كما

أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: لقد تجلى لعباده في كلامه ولكن لا يبصرون.

ومن طالع الكتاب الافاقى على ما هو عليه تجلى له الحق تعالى في صور مظاهره الأسمائية وملابسه الفعلية الكونية المسماة بالحروف والكلمات والآيات، المعبر عنها بالموجودات العلوية والسفلية والمخلوقات الروحانية والجسمانية على الإطلاق والتعيين تجلياً شهودياً عيانياً، لأنه ليس في الوجود سوى الله وصفاته وأسمائه وأفعاله، فالكل هو وبه ومنه وإليه.

ومن طالع الكتاب الأنفسى الصغير الإنسانى وطبقه بالكتاب الآفاقى تجلى له الحق تعالى في الصورة الإنسانية الكاملة والنشأة الحقيقية الجامعة، تجلياً ذاتياً شهودياً عيانياً بحسب ما يشاهده في كل عين من حروفه وكلماته وآياته، المعبر عنها بالقوى والأعضاء والجوارح. فكل من طالع كتابه الخاص به وشاهد نفسه المجردة وبساطتها وجوهريتها ووحدتها وبقائها ودوامها وإحاطتها بعالمها، عرف الحق وشاهده وعرف أنه محيط بالأشياء وصورها ومعانيها عاليها وسافلها شريفها وخسيسها، مع تجرده ووحدته وتنزهه وبقائه ودوامه من غير تغير في ذاته وحقيقته.

قالوا: وكذلك الحق إذا أراد أن يشاهد نفسه في المرأة الكاملة الذاتية الجامعة يشاهدها في الإنسان الكامل بالفعل، وفي غير الكامل بالقوة لأنه مظهر الذات الجامعة لا غير... ومن هذا قيل: أراد الله أن يظهر ذاته الجامعة في صورة جامعة فأظهرها في صورة الإنسان، وأراد أن يظهر الأسماء والصفات والأفعال في صورة كاملة مفصلة فأظهرها في صورة العالم.

أقول: في هذا التقسيم لكتب الكون تأملات فكرية وروحية مفيدة، ولا شك في صحة القول بأن الله تعالى قد تجلى بخلقه بمعنى من معاني التجلى، ولكن قولهم بأنه تعالى خلق الإنسان ليكون مظهراً تتجلى به ذاته، وخلق الكون ليكون مظهراً لاسمائه، كلام جميل لو وجد عليه دليل. وإلا- فمن أين للعرفانى والفيلسوف أن يعرف لماذا خلق الله هذا المخلوق أو ذاك؟ إن الدليل على ذلك منحصر بإخباره تعالى عن أهدافه عن طريق أنبيائه وأوصيائهم، وما ربما يجزم به العقل.. وما سوى ذلك فهو ظنون من عقولنا واحتمالات، لا يمكننا أن ننسبها إلى الله تعالى!

كما نلاحظ أن بعض الفلاسفة والمتصوفين والعرفانيين يميلون إلى قبول أحاديث التشبيه بلا تحقيق في سندها، ويحاولون الإستشهاد بها على أفكارهم، بل قد ينون عليها نظرياتهم، مع أن الحديث لا وجود له! أو له وجود في المصادر لكن ورد عن الأئمة (عليهم السلام) أو عن علماء الجرح والتعديل تكذيبه، كما رأيت في حديث (خلق الله آدم على صورته)! وهذا البلاء عام في مصادر الفلسفة والعرفان والتصوف عند السنة والشيعه!

تفسيرهم الموافق لمذهبنا

قال النويرى في نهاية الإرب: ٧ جزء ١٣/٢١١:

واختلف العلماء في معنى التجلى، قال ابن عباس: ظهر نوره للجبل... فقام موسى يسبح الله تعالى ويقول: آمنت أنك ربى وصدقت أنه لا يراك أحد.

وأورد السيوطى في الدر المنثور: ٣/١١٨ - ١٢٣ بضع عشرة رواية في بعضها تصريح بعدم إمكان الرؤية في الدنيا، وليس فيها ذكر خنصر الله تعالى ولا أصابعه، وفي بعضها أن الله تعالى تجلى بأن أظهر خنصر يده! وفي بعضها اتهامات لموسى عليه السلام بما اتهمه اليهود، وتأثر واضح بأساطير الإسرائيليات.. ونذكر منها هنا الروايات الموافقة لمذهبنا، وشبه الموافقة.. قال السيوطى:

وأخرج ابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس، وخر موسى صعقا، قال: غشى عليه إلا أن روحه في جسده، فلما أفاق قال لعظم ما رأى: سبحانك تنزيهاً لله من أن يراه. تبت إليك، رجعت عن الأمر الذى كنت عليه. وأنا أول المؤمنين، يقول: أول المصدقين الآن أنه لا يراك أحد.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس: وأنا أول المؤمنين، يقول: أنا أول من يؤمن أنه لا يراك شئ من خلقك.

وأخرج ابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد في قوله: فلما تجلى ربه للجبل، قال: كشف بعض الحجب.

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة في قوله: وخر موسى صعقاً، أى ميتاً. فلما أفاق، قال: فلما رد الله عليه روحه ونفسه قال: سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين، أنه لن تراك نفس فتحيا.

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد في قوله: تبت إليك، قال من سؤالي إياك الرؤية، وأنا أول المؤمنين، قال: أول قومي إيماناً.

وأخرج عبد بن حميد وأبو الشيخ عن أبي العالیه في قوله: وأنا أول المؤمنين، قال: قد كان إذن قبله مؤمنون، ولكن يقول أنا أول من آمن بأنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة.

وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول وأبو نعيم في الحلية عن ابن عباس قال: تلا رسول الله (ص) هذه الآية، رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ، قال قال الله عز وجل: يا موسى إنه لا يراني حتى إلا مات، ولا يابس إلا تدهده، ولا رطب إلا تفرق، وإنما يراني أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم.

عبد بن حميد عن مجاهد قال: لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ، فإنه أكبر منك وأشد خلقاً قال، فلما تجلى ربه للجبل فنظر إلى الجبل لا يتمالك، وأقبل الجبل يندك على أوله، فلما رأى موسى ما يصنع الجبل، خر موسى صعقاً.

وأخرج ابن مردويه عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) لما أوحى الله إلى موسى بن عمران أني مكلمك على جبل طور سينا، صار من مقام موسى إلى الجبل طور سينا أربع فراسخ في أربع فراسخ رعد وبرق وصواعق فكانت ليلة قر، فجاء موسى حتى وقف بين يدي صخرة جبل طور سينا فإذا هو بشجرة خضراء الماء يقطر منها وتكاد النار تلمح من جوفها، فوقف موسى متعجباً فنودي من جوف الشجرة ياميشا فوقف موسى مستمعاً للصوت، فقال موسى من هذا الصوت العبراني يكلمني؟ فقال الله له: يا موسى إنني لست بعبراني إنني أنا الله رب العالمين، فكلم الله موسى في ذلك المقام بسبعين لغة ليس منها لغة إلا وهي مخالفة للغة الأخرى، وكتب له التوراة في ذلك المقام، فقال موسى: إلهي أرني أنظر اليك، قال: يا موسى إنه لا يراني أحد إلا مات، فقال موسى: إلهي أرني أنظر إليك وأموت، فأجاب موسى جبل طور سينا: يا موسى بن عمران لقد سألت أمراً عظيماً لقد ارتعدت السموات السبع ومن فيهن والأرضون السبع ومن فيهن، وزالت الجبال واضطربت البحار لعظم ما سألت يا ابن عمران، فقال موسى وأعاد الكلام: رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ، فقال: يا موسى انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَيْقَرَ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَيْعِقًا، مقدار جمعه فلما أفاق موسى مسح التراب عن وجهه وهو يقول: سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين، فكان موسى بعد مقامه لا يراه أحد إلا مات، واتخذ موسى على وجهه البرقع فجعل يكلم الناس ببقاه، فبينما موسى ذات يوم في الصحراء فإذا هو بثلاثة نفر يحفرون قبراً حتى انتهوا إلى الضريح، فجاء موسى حتى أشرف عليهم فقال لهم لمن تحفرون هذا القبر، قالوا له لرجل كأنه أنت أو مثلك وفي طولك أو نحوك، فلو نزلت فقد رنا عليك هذا الضريح فنزل موسى فتمدد في الضريح فأمر الله الأرض فانطبقت عليه! انتهى.

وهذه واحدة من تهم اليهود لنبهم موسى على نبينا وآله وعليه السلام، وهو يدل على أن وجوده كان ثقیلاً عليهم، حتى زعموا أن الله تعالى أراحهم منه بهذه الطريقة!!

تفسيرهم الذي فيه تجسيم

مسند أحمد: ٣/١٢٥:

عن ثابت عن أنس بن مالك عن النبي (ص) في قوله تعالى فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ، قال قال: هكذا، يعني أنه أخرج طرف الخنصر! قال أبي أرانا معاذ، قال فقال له حميد الطويل: ما تريد إلى هذا يا أبا محمد! قال فضرب صدره ضربة شديدة وقال: من أنت يا حميد وما أنت يا حميد! يحدثني به أنس بن مالك عن النبي (ص) فتقول أنت: ما تريد إليه!

مسند أحمد: ٣/٢٠٩:

عن ثابت عن أنس بن مالك عن النبي (ص) في قوله عز وجل: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ، قال: فأوماً بخنصره، قال فساخ.

ميزان الاعتدال: ١/٥٩٣:

عن ثابت عن أنس أن النبي (ص) قرأ: فلما تجلى ربه للجبل. قال: أخرج طرف خنصره وضرب على إبهامه، فساخ الجبل. فقال حميد الطويل لثابت: تحدث بمثل هذا قال: فضرب في صدر حميد وقال: يقوله أنس، ويقول رسول الله (ص) وأكتمه أنا! رواه جماعة عن حماد، وصححه الترمذى.

مستدرک الحاكم: ١/٢٥:

... عن ثابت عن أنس (رض) أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال في هذه الآية فلما تجلى ربه للجبل جعله: بدا منه قدر هذا... عن ثابت عن أنس (رض) قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله: قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ، قال فأخرج من النور مثل هذا وأشار بيده إلى نصف أنملة الخنصر فضرب بها صدر حماد، قال فساخ الجبل. هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

مستدرک الحاكم: ٢/٣٢٠:

عن ثابت عنه (أنس) عن النبي صلى الله عليه وآله في قوله عز وجل: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا، قال حماد: هكذا ووضع الأبهام على مفصل الخنصر الأيمن، قال فقال حميد لثابت: تحدث بمثل هذا! قال فضرب ثابت صدر حميد ضربة بيده وقال: رسول الله صلى الله عليه وآله يحدث به وأنا لا أحدث به، هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

مستدرک الحاكم: ٢/٥٧٦:

عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن موسى بن عمران لما كلمه ربه أحب أن ينظر إليه فقال: رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ، قَالَ لَنْ تَرَانِي وَ لَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي، فحف حول الجبل الملائكة وحف حول الملائكة بنار، وحف حول النار بملائكة وحف حول الملائكة بنار، ثم تجلى ربك للجبل، ثم تجلى منه مثل الخنصر فجعل الجبل دكاً وخر موسى صعقاً ما شاء الله، ثم إنه أفاق فقال: سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين، يعنى أول من آمن من بنى إسرائيل. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

عن أنس (رض) أن رسول الله صلى الله عليه وآله تلا هذه الآية: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا، أشار حماد ووضع إبهامه على مفصل الخنصر، قال فساخ الجبل. هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

بقيه روايات السيوطى فى الدر المنثور: ٣/١١٨-١٢٣:

وأخرج أحمد وعبد بن حميد والترمذى وصححه، وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عدى فى الكامل وأبو الشيخ والحاكم وصححه، وابن مردويه والبيهقى فى كتاب الرؤية من طرق عن أنس بن مالك أن النبي (ص) قرأ هذه الآية: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا، قال هكذا وأشار بإصبعه ووضع طرف إبهامه على أنملة الخنصر، وفى لفظ على المفصل الأعلى من الخنصر، فساخ الجبل وخر موسى صعقاً. وفى لفظ فساخ الجبل فى الأرض فهو يهوى فيها إلى يوم القيامة.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والبيهقى فى الرؤية عن ابن عباس: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ، قال: ما تجلى منه إلا قدر الخنصر، جعله دكاً، قال تراباً وخر موسى صعقاً، قال مغشياً عليه.

وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال: لما تجلى الله لموسى تطاير سبعة أجبال، فى الحجاز منها خمسة وفى اليمن اثنان، فى الحجاز أحد وثبير وحراء وثور وورقان، وفى اليمن حصور وصير.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص) فى قوله: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا، قال: أخرج خنصره!

من هو قيس بن ثابت راوى حديث خنصر الله تعالى

الظاهر أن عمدة السند عند إخواننا فى الحديث المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وآله، هو ثابت بن قيس غلام بنى أمية، ولذلك

نعرض شيئاً من ترجمته من مصادر الجرح والتعديل، ونلاحظ أن حميداً الطويل الذي هو غلام كابلي من منطقته ثابت قد استنكر على ثابت أن يروى هذا الحديث الذي فيه تجسيم، وأن الذهبي على عادته في مدح المجسمين وصف ثابتاً بالصادق، مع أن عدداً من العلماء جرحوه أو وصفوه بالوهم والخلط، قال ابن حبان في كتاب المجروحين: ١/٢٠٦:

ثابت بن قيس أبو الغصن من أهل المدينة مولى عثمان بن عفان، روى عنه ابن مهدي وابن أبي أويس، وكان قليل الحديث كثير الوهم فيما يرويه، لا يحتج بخبره إذا لم يتابعه غيره عليه، سمعت الحنبلي يقول: سمعت أحمد بن زهير يقول: سئل يحيى بن معين عن ثابت بن قيس أبي الغصن فقال: ضعيف.

وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب: ٢/١٣:

٢٠- ي د س. البخاري في جزء رفع اليدين وأبي داود والنسائي. ثابت بن قيس الغفاري مولاهم أبو الغصن المدني. رأى أبا سعيد الخدري وروى عن أنس ونافع بن جبير بن مطعم وسعيد المقبري وأبيه أبي سعيد وخارجة بن زيد بن ثابت وجماعة. وعنه، ابن مهدي، وزيد بن الحباب، وإسماعيل ابن أبي أويس، والقعنبى، وخالد بن مخلد، وغيرهم....
قال أبوطالب عن أحمد: ثقته، وقال عباس عن ابن معين: ليس به بأس، وقال في موضع آخر حديثه ليس بذاك وهو صالح، وقال النسائي: ليس به بأس.

وقال ابن سعد مات سنة (١٦٨) وهو يومئذ ابن مائة سنة وكان قديماً قد رأى الناس وروى عنهم، وهو شيخ قليل الحديث.

وقال ابن عدى هو ممن يكتب حديثه.

قلت: وقال الآجري عن أبي داود: ليس حديثه بذاك، وقال مسعود الشحري عن الحاكم: ليس بحافظ ولا ضابط. وقال ابن حبان في الضعفاء: كان قليل الحديث كثير الوهم فيما يرويه لا يحتج بخبره إذا لم يتابعه غيره. وأعادته في الثقات.

وترجم له الذهبي في ميزان الاعتدال ج ١ ص ٣٦٦ وقال في سير أعلام النبلاء: ٧/٢٥

أبو الغصن، هو الشيخ العالم الصادق المعمر بقیة المشیخة أبو الغصن ثابت بن قيس الغفاري، مولاهم المدني: عداده في صغار التابعين. يروى عن: أنس بن مالك، وسعيد بن المسيب، ونافع بن جبير....

قال يحيى بن معين والنسائي: ليس به بأس. وقال ابن معين أيضاً في رواية عباس: هو صالح، ليس حديثه بذاك، وروى أحمد بن أبي خيثمة عن يحيى: ضعيف. قال ابن حبان: هو من موالى عثمان بن عفان. وكان قليل الحديث، كثير الوهم فيما يروى، لا يحتج بخبره إذا لم يتابعه غيره عليه. وقال ابن عدى: يكتب حديثه. انتهى.

ومن الملاحظ في كتب الجرح والتعديل وعموم مصادر اخواننا أن أسهم رواة أحاديث التشبيه والتجسيم ارتفعت مع العصور، حتى بلغت أوجها على يد المجسمين من أمثال الذهبي، وأن الوهابيين أهتموا بتعظيمهم ونشر كتبهم في أنحاء العالم الإسلامي!!

تفسير قوله تعالى: يوم يكشف عن ساق

قال تعالى: أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالْعَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ سَلِمْتُمْ أَيْمَهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ. يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَبِيعُونَ. خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُفُهُمْ ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ. فَذَرْنِي وَمَنْ يُكذِّبْ بِهِذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ. وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ. القلم: ٣٩ - ٤٥.

وقد تقدم قسم من تفسير إخواننا لهذه الآية تحت عنوان (بازار الأحاديث والآراء في الرؤية)

فسرها أهل البيت بكشف حجاب الآخرة و أهواله

في عيون الأخبار في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار في التوحيد بإسناده إلى الحسن بن سعيد عن أبي الحسن عليه السلام في قوله: **يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ**، قال: حجاب من نور يكشف، فيقع المؤمنون سجداً، وتدمج أصلاب المنافقين فلا يستطيعون السجود.

في مجمع البيان: وروى عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام) أنهما قالوا في هذه الآية: أفحم القوم ودخلتهم الهيبة وشخصت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر لما رهقهم من الندامة والخزي والذلة، وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون، أي لا يستطيعون الأخذ بما أمروا والترك لما نهوا عنه، ولذلك ابتلوا.

في كتاب التوحيد بإسناده إلى حمزة بن محمد الطيار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: **وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ**، قال: مستطيعون يستطيعون الأخذ بما أمروا به والترك لما نهوا عنه، وبذلك ابتلوا. ثم قال: ليس شيء مما أمروا به ونهوا إلا ومن الله عز وجل فيه ابتلاء وقضاء.

تفسير التبيان: ١٠/٨٦:

وقوله **يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**، قال الزجاج: هو متعلق بقوله: فليأتوا بشر كائهم... وقال ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبيرة وقتادة والضحاك معناه: يوم يبدو عن الأمر الشديد كالقطع من هول يوم القيامة. والساق ساق الإنسان وساق الشجرة لما يقوم عليه بدنها، وكل نبت له ساق فهو شجر، قال الشاعر:

للفتى عقل يعيش به حيث يهدى ساقه قدمه

فالمعنى يوم يشتد الأمر كما يشتد ما يحتاج فيه إلى أن يقوم على ساق، وقد كثر في كلام العرب حتى صار كالمثل فيقولون: قامت الحرب على ساق وكشفت عن ساق، قال زهير بن جذيمة:

فإذا شمّرت لك عن ساقها فويهاً ربيعاً ولا تسأم

وقال جد أبي طرفه:

كشفت لهم عن ساقها وبدا من الشر الصراح

وقال آخر:

قد شمّرت عن ساقها فشدوا وجدّت الحرب بكم فجذو

والقوس فيها وتزّ غرّد

وقوله: ويدعون إلى السجود، قيل: معناه إنه يقال لهم على وجه التوبيخ: اسجدوا فلا يستطيعون، وقيل: معناه إن شدة الأمر وصعوبة الحال تدعوهم إلى السجود، وإن كانوا لا ينتفعون به.

تفسير إخواننا الموافق لمذهبنا

مستدرک الحاكم: ٢/٤٩٩:

عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهم أنه سئل عن قوله عز وجل: **يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**، قال: إذا خفى عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فإنه ديوان العرب، أما سمعتم قول الشاعر: إصبر عناق إنه شر باق....

وقد روى الحاكم وغيره عدة أحاديث فيها **(يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ)** بدون نسبة الساق إلى الله تعالى، كما في: ٢/٣٧٦ وج ٤/٥٥١ وقال عنه: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ورواه في: ٤/٥٨٢ ونحوه في مسلم في: ١/١١٥ وج ٨/٢٠٢.

مجمع الزوائد: ٧/١٢٨:

قوله تعالى: **يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**، عن أبي موسى عن النبي (ص): **يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**، قال عن نور عظيم يخرون له سجداً. رواه أبو يعلى وفيه روح بن جناح وثقه دحيم وقال فيه ليس بالقوى، وبقية رجاله ثقات.

وقال في مجمع الزوائد: ٦/٣٠٣، ونحوه في: ٩/٢٧٧:

وعن الضحاك بن مزاحم الهلالي قال: خرج نافع بن الأزرق ونجدة بن عويمر في نفر من رؤوس الخوارج ينقرون عن العلم ويطلبونه، حتى قدموا مكة فإذا هم بعباد الله بن عباس قاعداً قريباً من زمزم وعليه رداء له أحمر وقميص، فإذا أناس قيام يسألونه عن التفسير يقولون يا أبا عباس ما تقول في كذا وكذا، فيقول هو كذا وكذا، فقال له نافع به الأزرق: ما أجراك يا ابن عباس على ما تخبر به منذ اليوم! فقال له ابن عباس: ثكلتك أمك يا نافع وعدمتك! ألا أخبرك من هو أجرأ مني؟

قال: من هو يا ابن عباس؟

قال: رجل تكلم بما ليس له به علم، أو كتم علماً عنده.

قال صدقت يا ابن عباس، أتيتهك لاسألک.

قال: هات يا ابن الأزرق فسل.

قال: فأخبرني عن قول الله عز وجل (يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ) ما الشواظ؟

قال: اللهب الذي لا دخان فيه.

قال: وهل كانت العرب تعرف ذلك قبل أن ينزل الكتاب على محمد(ص)؟

قال: نعم، أما سمعت قول أمية بن أبي الصلت:

ألا من مبلغ حسان عنى مغلغلةً تدبُّ إلى عُكَاظِ

أليس أبو ك قيناً كان فينا إلى الفتيات فثلاً في الحفاظ

يمانياً يظل يشب كيراً وينفخ دائباً لهب الشواظ

قال: صدقت فأخبرني عن قوله: ونحاس فلا تنتصران، ما النحاس؟

قال: الدخان الذي لا لهب فيه.

قال: وهل كانت العرب تعرف ذلك قبل أن ينزل الكتاب على محمد(ص).

قال: نعم، قال أما سمعت نابغة بنى ذبيان يقول:

يضي كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاس

يعنى دخانا.

قال: صدقت فأخبرني عن قول الله: أمشاج نبتليه؟

قال: ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا في الرحم كانا مشجاً.

قال: وهل كانت العرب تعرف ذلك قبل أن ينزل الكتاب على محمد(ص)؟

قال: نعم أما سمعت قول أبي ذؤيب الهذلي وهو يقول:

كأن النصل والفوقين فيه خلاف الريش سيط به مشيح

قال: صدقت، فأخبرني عن قول الله عز وجل: وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ، ما الساق بالساق؟

قال: الحرب.

قال: هل كانت العرب تعرف ذلك قبل أن ينزل الكتاب على محمد(ص)؟

قال: نعم أما سمعت قول أبي ذؤيب:

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضه

وإن شمرت عن ساقها الحرب شمر

الدر المنثور: ٦/٢٥٤:

وأخرج الفريابي وسعيد بن منصور وابن منده والبيهقي في الأسماء والصفات من طريق إبراهيم النخعي في قوله: يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ، قال ابن عباس: يكشف عن أمر عظيم، ثم قال: قد قامت الحرب على ساق.

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في الأسماء والصفات من طريق عكرمة عن ابن عباس أنه سئل عن قوله: يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ، قال: إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فإنه ديوان العرب... وقامت الحرب بنا على ساق، قال ابن عباس: هذا يوم كرب وشدة.

وأخرج الطستي في مسائله عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق سأله عن قوله: يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ....

وأخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس....

وأخرج ابن منده عن ابن عباس....

وأخرج الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن منده عن مجاهد في قوله: يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ....

وأخرج البيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس أنه قرأ: يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ، قال: يريد القيامة والساعة لشدتها.

وأخرج البيهقي عن ابن عباس في قوله: يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ، قال: حين يكشف الأمر وتبدو الأعمال، وكشفه دخول الآخرة وكشف الأمر عنه.

وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن منده من طريق عمرو ابن دينار قال كان ابن عباس يقرأ يوم تكشف عن ساق بفتح التاء، قال أبو حاتم السجستاني: أي تكشف الآخرة عن ساقها يستبين منها ما كان غائباً.

وأخرج عبد بن حميد عن عاصم أنه قرأ: يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ، بالياء ورفع الياء.

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في الأسماء والصفات عن عكرمة أنه سئل عن قوله: يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ....

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن سعيد بن جبيرة أنه سئل عن قوله: يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ، فغضب غضباً شديداً وقال: إن أقواماً يزعمون أن الله يكشف عن ساقه، وإنما يكشف عن الأمر الشديد. انتهى. ورواه أيضاً عن مجاهد والنخعي. ورواه في: ٦/٢٩٢ عن قتادة.

الأحاديث القدسية للمجلس الاعلى المصرى: ١/٩٨:

قوله: فيكشف عن ساق، فسر ابن عباس وجمهور أهل اللغة الساق هنا بالشدّة، أي يكشف عن الشدّة. انتهى.

وقد تقدمت رواياتهم التي فيها تجسيم، في الفصل الثالث في بازار الأحاديث، وهي كثيرة. وقد تبنى علماء الوهابية تفسيرها بساق الله تعالى عما يصفون!

تفسير آيات الإستواء على العرش

قال الله تعالى: إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ. الأعراف: ٥٤.

إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ. يونس - ٣.

اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ. الرعد: ٢.

طَهَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى. إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَنْ يَخْشَى. تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى. الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى. لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى. طه: ١ - ٦.

الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا. الفرقان: ٥٩.
اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ.
السجدة: ٤.

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَرْجِعُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُور. الحديد: ٤ - ٥.
وقد تقدم قسم من تفسير إخواننا للإستواء على العرش تحت عنوان (بازار الأحاديث والآراء في الرؤية).

تفسير أهل البيت

الاستواء على العرش: استواء نسبة الله إلى العالم

روى الكليني في الكافي: ١/١٢٧:

على بن محمد، ومحمد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن الحسن بن موسى الخشاب عن بعض رجاله، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عن قول الله عز وجل: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، فقال استوى على كل شيء، فليس شيء أقرب إليه من شيء. وعنه، عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن صفوان بن يحيى، عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، فقال: استوى في كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء، لم يبعد منه بعيد، ولم يقرب منه قريب، استوى في كل شيء.

وعنه، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد عن النضر بن سويد، عن عاصم بن حميد، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من زعم أن الله من شيء، أو في شيء، أو على شيء، فقد كفر، قلت: فسر لي، قال: أعنى بالحواية من الشيء له أو يماسك له أو من شيء سبقه.

وفي رواية أخرى: من زعم أن الله من شيء فقد جعله محدثاً، ومن زعم أنه في شيء فقد جعله محصوراً، ومن زعم أنه على شيء فقد جعله محمولاً.

وروى في الكافي: ١/١٢٨:

عده من أصحابنا، عن أحمد بن محمد البرقي رفعه، قال: سألت الجاثليق أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرني عن الله عز وجل يحمل العرش أو العرش يحمله فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الله عز وجل حامل العرش والسموات والأرض وما فيهما وما بينهما، وذلك قول الله إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا.

قال: فأخبرني عن قوله: ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية، فكيف قال ذلك وقلت إنه يحمل العرش والسموات والأرض؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إن العرش خلقه الله تعالى من أنوار أربعة: نور أحمر، منه احمرت الحمرة، ونور أخضر منه اخضرت الخضرة، ونور أصفر منه اصفرت الصفرة، ونور أبيض منه ابيض البياض، وهو العلم الذي حمله الله الحمله وذلك نور من عظمته، فبعظمته ونوره أبصرت قلوب المؤمنين، وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون، وبعظمته ونوره ابتغى من فى السموات والأرض من جميع خلائقه إليه الوسيلة، بالأعمال المختلفة والأديان المشبهة، فكل محمول يحمله الله بنوره وعظمته وقدرته لا يستطيع لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا- موتاً ولا حياة ولا نشوراً، فكل شيء محمول، والله تبارك وتعالى الممسك لهما أن تزولا، والمحيط بهما من شيء وحياة كل شيء ونور كل شيء، سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً.

قال له: فأخبرني عن الله عز وجل أين هو؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: هو هاهنا وهاهنا وفوق وتحت ومحيط بنا ومعنا وهو قوله: ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا

خمسُهُ إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا، فالكرسى محيط بالسموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى، وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى، وذلك قوله تعالى: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ.

فالذين يحملون العرش هم العلماء الذين حملهم الله علمه، وليس يخرج عن هذه الأربعة شئ خلق الله فى ملكوته الذى أراه الله أصفياءه وأراه خليله عليه السلام فقال: وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ، وكيف يحمل حملة العرش الله، وبحياته حيث قلوبهم، وبنوره اهتدوا إلى معرفته!

التوحيد للصدوق - الهامش ص ٢٤٧ من حديث عن الإمام الصادق عليه السلام:

قال السائل: فله كيفية؟

قال: لا، لأن الكيفية جهة الصفة والإحاطة، ولكن لا بد من الخروج من جهة التعطيل والتشبيه، لأن من نفاه أنكره ورفع ربوبيته وأبطله، ومن شبهه بغيره فقد أثبت بصفه المخلوقين المصنوعين الذين لا يستحقون الربوبية، ولكن لا بد من إثبات ذات بلا كيفية لا يستحقها غيره، ولا يشارك فيها، ولا يحاط بها، ولا يعلمها غيره.

قال السائل: فيعاني الأشياء بنفسه؟

قال أبو عبد الله عليه السلام: هو أجل من أن يعانى الأشياء بمباشرة ومعالجة، لأن ذلك صفة المخلوق الذى لا تجى الأشياء له إلا بالمباشرة والمعالجة، وهو تعالى نافذ الإرادة والمشية، فعال لما يشاء.

قال السائل: فله رضى وسخط؟

قال أبو عبد الله عليه السلام: نعم، وليس ذلك على ما يوجد فى المخلوقين، وذلك أن الرضا والسخط دَخَالٌ يدخل عليه فينقله من حال إلى حال، وذلك صفة المخلوقين العاجزين المحتاجين، وهو تبارك وتعالى العزيز الرحيم لا حاجة به إلى شئ مما خلق، وخلقه جميعاً محتاجون إليه، وإنما خلق الأشياء من غير حاجة ولا سبب، اختراعاً وابتداءً.

قال السائل فقوله: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى؟

قال أبو عبد الله عليه السلام: بذلك وصف نفسه، وكذلك هو مستول على العرش بائن من خلقه من غير أن يكون العرش حاملاً له ولا أن يكون العرش حاوياً له، ولا- أن العرش محتاز له، ولكننا نقول: هو حامل العرش وممسك العرش، ونقول من ذلك ما قال: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فثبتنا من العرش والكرسى ما ثبته، ونفينا أن يكون العرش والكرسى حاوياً له، أو يكون عز وجل محتاجاً إلى مكان، أو إلى شئ مما خلق، بل خلقه محتاجون إليه.

قال السائل: فما الفرق بين أن ترفعوا أيديكم إلى السماء وبين أن تخفضوها نحو الأرض؟

قال أبو عبد الله عليه السلام: ذلك فى علمه وإحاطته وقدرته سواء، ولكنه عز وجل أمر أوليائه وعباده برفع أيديهم إلى السماء نحو العرش، لأنه جعله معدن الرزق، فثبتنا ما ثبته القرآن والأخبار عن الرسول صلى الله عليه وآله حين قال: إرفعوا أيديكم إلى الله عز وجل، وهذا يجمع عليه فرق الأمة كلها.

التوحيد للصدوق - الهامش - ص ٣١٥:

روى الحديثين المتقدمين فى الكافى ثم قال:

استعمل الإستواء فى معان: استقرار شئ على شئ، وهذا ممتنع عليه تعالى كما نفاه الإمام عليه السلام فى أخبار من هذا الباب، لأنه من خواص الجسم. والعناية إلى الشئ ليعمل فيه، وعليه فسر فى بعض الأقوال قوله تعالى: ثم استوى إلى السماء. والإستياء على الشئ، كقول الشاعر:

فلما علونا واستوينا عليهم تركناهم صرعى لِنشر وكاسر

والآية التي نحن فيها فسرت به في بعض الأقوال، وفي الحديث الأول من الباب الخمسين.

والإستقامة، وفسر بها قوله تعالى: فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ، وهذا قريب من المعنى الأول. والإعتدال في شئ وبه، فسر قوله تعالى: وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى. والمساواة في النسبة، وهي نفيت في الآيات عن أشياء كثيرة كقوله تعالى: وَمَا يَسْتَوِي الْأَخْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ. وفسر الإمام عليه السلام الآية بها في هذا الباب، وظاهره مساواة النسبة من حيث المكان، لأنه تعالى في كل مكان وليس في شئ من المكان بمحدود، ولكنه تعالى تساوت نسبته إلى الجميع من جميع الحثيات، وإنما الإختلاف من قبل حدود الممكنات، ولا تبعد الروايات من حيث الظهور عن هذا المعنى.

حدثنا أبو الحسين محمد بن إبراهيم بن إسحاق الفارسي قال: حدثنا أحمد بن محمد أبو سعيد النسوي قال: حدثنا أبو نصر أحمد بن محمد بن عبد الله الصغددي بمرور قال: حدثنا محمد بن يعقوب بن الحكم العسكري وأخوه معاذ بن يعقوب قالوا: حدثنا محمد بن سنان الحنظلي قال: حدثنا عبد الله بن عاصم قال: حدثنا عبد الرحمن بن قيس، عن أبي هاشم الرماني، عن زاذان، عن سلمان الفارسي في حديث طويل يذكر فيه قدوم الجاثليق المدينة مع مائة من النصارى بعد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسؤاله أبا بكر عن مسائل لم يجبه عنها، ثم أرشد إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فسأله عنها فأجاب، وكان فيما سأله أن قال له: أخبرني عن الرب أين هو وأين كان؟

فقال علي عليه السلام: لا- يوصف الرب جل جلاله بمكان، هو كما كان، وكان كما هو، لم يكن في مكان، ولم يزل من مكان إلى مكان، ولا أحاط به مكان، بل كان لم يزل بلا حد ولا كيف.

قال: صدقت، فأخبرني عن الرب أفي الدنيا هو أو في الآخرة؟

قال علي عليه السلام: لم يزل ربنا قبل الدنيا، ولا يزال أبداً، هو مدبر الدنيا، وعالم بالآخرة، فأما أن تحيط به الدنيا والآخرة فلا، ولكن يعلم ما في الدنيا والآخرة.

قال: صدقت يرحمك الله، ثم قال: أخبرني عن ربك أيحمله أو يحمل؟

فقال علي عليه السلام: إن ربنا جل جلاله يحمل ولا يحمل.

قال النصراني: فكيف ذاك ونحن نجد في الإنجيل (كذا): ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية؟

فقال علي عليه السلام: إن الملائكة تحمل العرش، وليس العرش كما تظن كهيته السرير، ولكنه شئ محدود مخلوق مدبر، وربك عز وجل مالكة، لا أنه عليه ككون الشئ على الشئ. وأمر الملائكة بحمله فهم يحملون العرش بما أقدروا عليه.

قال النصراني: صدقت رحمك الله.. والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة، وقد أخرجته بتمامه في آخر كتاب النبوة....

حدثنا محمد بن علي ماجيلويه رحمه الله، عن عمه محمد بن أبي القاسم، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه، عن محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من زعم أن الله عز وجل من شئ أو في شئ أو على شئ فقد أشرك، ثم قال: من زعم أن الله من شئ فقد جعله محدثاً، ومن زعم أنه في شئ فقد زعم أنه محصور، ومن زعم أنه على شئ فقد جعله محمولاً.

قال مصنف هذا الكتاب: إن المشبهة تتعلق بقوله عز وجل: إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا. ولا حجة لها في ذلك لأنه عز وجل عنى بقوله: ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، أي ثم نقل إلى فوق السماوات وهو مستول عليه ومالك له، وقوله عز وجل (ثم) إنما لرفع العرش إلى مكانه الذي هو فيه ونقله للإستواء، فلا يجوز أن يكون معنى قوله استوى استولى لأن استيلاء الله تبارك وتعالى على الملك وعلى الأشياء ليس هو بأمر حادث، بل لم يزل مالكا لكل شئ ومستولياً على كل شئ، وإنما ذكر عز وجل الإستواء بعد قوله ثم وهو يعنى الرفع مجازاً، وهو كقوله: ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين، فذكر (نعلم) مع قوله (حتى) وهو عز وجل يعنى حتى يجاهد المجاهدون ونحن نعلم ذلك، لأن حتى لا يقع إلا على فعل حادث، وعلم الله عز وجل بالأشياء لا يكون حادثاً. وكذلك ذكر قوله عز وجل: اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، بعد قوله (ثم)

وهو يعنى بذلك ثم رفع العرش لإستيلائه عليه، ولم يعن بذلك الجلوس واعتدال البدن لأن الله لا يجوز أن يكون جسماً ولا ذا بدن، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

الإقتصاد للشيخ الطوسي/٣٧:

وقوله: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، معناه استولى عليه لما خلقه، كما قال الشاعر:

قد استوى بشرٌ على العراق من غير سيف ودم مَهْرَاق

وقوله: لما خلقت بيدي، معناه أنه تولى خلقه بنفسه، كما يقول القائل هذا ما عملت يداك، أى أنت فعلته. وقيل: معناه لما خلقت لنعمتي الدينية والدنيوية وقوله: فى جنب الله معناه فى ذات الله وفى طاعته.

وقوله: والسماوات مطويات بيمينه، أى بقدرته، كما قال الشاعر:

إذا ما رايَةٌ رفعت لمجد تلقاها عَرَابُهُ باليمين

وقوله: تجرى بأعيننا، أى ونحن عالمون.

ولا- يجوز أن يكون تعالى بصفة شئ من الاعراض، لأنه قد ثبت حدوث الأعراض أجمع، فلو كان بصفة شئ من الأعراض لكان محدثاً، وقد بينا قدمه. ولأنه لو كان بصفة شئ من الاعراض لم يخل من أن يكون بصفة ما يحتاج إلى محل أو بصفة ما لا يحتاج إلى المحل كالغنى وإرادة القديم تعالى وكرهاته، فإن كان بصفة القسم الأول أدى إلى قدم المحال وقد بينا حدوثها، ولو كان بصفة القسم الثانى لاستحال وجوده وقتين كاستحالة ذلك على هذه الأشياء. وأيضاً لو كان بصفة الغنى لاستحال وجود الأجسام معه، وذلك باطل....

ولا يجوز أن يكون تعالى فى جهة من غير أن يكون شاغلاً لها، لأنه ليس فى الفعل ما يدل على أنه فى جهة لا بنفسه ولا بواسطة، وقد بينا أنه لا يجوز وصفه بما يدل عليه الفعل لا بنفسه ولا بواسطة.

ولا- يجوز عليه تعالى الحاجة، لأن الحاجة لا تجوز إلا على من يجوز عليه المنافع والمضار، والمنافع والمضار لا يجوزان إلا على من تجوز عليه الشهوة والنفار، وهما يستحيلان عليه تعالى. والذى يدل على أنه يستحيل عليه الشهوة والنفار أنه ليس فى الفعل لا بنفسه ولا بواسطة ما يدل على كونه مشتتاً وناشراً، وقد بينا أنه لا يجوز إثباته على صفة لا يقتضيها الفعل لا بنفسه ولا بواسطة.

وأيضاً فالشهوة والنفار لا يجوزان إلا على الأجسام، لأن الشهوة تجوز على من إذا أدرك المشتتهى صلح عليه جسمه وإذا أدرك ما ينفر عنه فسد عليه جسمه، وهما يقتضيان كون من وجدا فيه جسماً، وقد بينا أنه ليس بجسم، فيجب إذا نفى الشهوة والنفار عنه. وإذا انتفيا عنه انتفت عنه المنافع والمضار، وإذا انتفيا عنه انتفت عنه الحاجة ووجب كونه غنياً، لأن الغنى هو الحى الذى ليس بمحتاج.

تفسير التبيان: ٤/٣٤:

والإستواء على أربعة أقسام: استواء فى المقدار، واستواء فى المكان، واستواء فى الذهاب، وإستواء فى الإنفاق. والإستواء بمعنى الإستيلاء راجع إلى الإستواء فى المكان، لأنه تمكن واقتدار.

تفسير التبيان: ٧/١٥٩:

الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، قيل فى معناه قولان: أحدهما، أنه استولى عليه، وقد ذكرنا فيما مضى شواهد ذلك. الثانى، قال الحسن: استوى لطفه وتدبيره وقد ذكرنا ذلك أيضاً فيما مضى وأوردنا شواهد فى سورة البقرة، فأما الإستواء بمعنى الجلوس على الشئ فلا يجوز عليه تعالى، لأنه من صفة الأجسام والأجسام كلها محدثة. ويقال: استوى فلان على مال فلان وعلى جميع ملكه أى احتوى عليه، قال الفراء: يقال كان الأمر فى بنى فلان ثم استوى فى بنى فلان، أى قصد إليهم وأنشد:

أقول وقد قَطَعَنَ بنا شرورى انى واستوَيْنَ من النُّجُوعِ

أى خرجن وأقبلن.

كتاب العين: ٧/٣٢٦:

والمساواة والاستواء واحد، فأما يسوى فإنها نادرة... ويقال: هما على سوية من الأمر أى: على سواء وتسوية واستواء.

مفردات الراغب/٢٥١:

واستوى يقال على وجهين، أحدهما: يسند إليه فاعلان فصاعداً نحو استوى زيد وعمرو في كذا أى تساويا، وقال: لا يستون عند الله. والثاني أن يقال لإعتدال الشيء في ذاته نحو: ذو مرة فاستوى، وقال: فإذا استويت أنت. لتستوا على ظهوره. فاستوى على سوجه. واستوى فلان على عمالته واستوى أمر فلان.

ومتى عدى بعلى اقتضى معنى الاستيلاء كقوله: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، وقيل معناه استوى له ما في السموات وما في الأرض، أى استقام الكل على مراده بتسوية الله تعالى إياه، كقوله: ثم استوى إلى السماء فسواهن. وقيل معناه استوى كل شيء في النسبة إليه فلا شيء أقرب إليه من شيء، إذ كان تعالى ليس كالأجسام الحالة في مكان دون مكان.

وإذا عدى يالى اقتضى معنى الإنتهاء إليه إما بالذات أو بالتدبير، وعلى الثاني قوله: ثم استوى إلى السماء وهى دخان.

معنى العرش والكرسى عند أهل البيت

الكافي للكليني: ١/١٣٠:

أحمد بن إدريس، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى قال: سألتني أبو قره المحدث أن أدخله على أبي الحسن الرضا عليه السلام فاستأذنته فأذن لي، فدخل فسأله عن الحلال والحرام ثم قال له: أفتقر أن الله محمول؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: كل محمول للمفعول مضاف، إلى غيره محتاج، والمحمول اسم نقص في اللفظ والحامل فاعل وهو في اللفظ مدح، وكذلك قول القائل: فوق وتحت وأعلى وأسفل، وقد قال الله: وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا، ولم يقل في كتبه إنه المحمول، بل قال: إنه الحامل في البر وبالبحر والممسك السماوات والأرض أن تزولا والمحمول ما سوى الله، ولم يسمع أحد آمن بالله وعظمته قط قال في دعائه: يا محمول!

قال أبو قره: فإنه قال: وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَّةٌ، وقال: الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ.

فقال أبو الحسن عليه السلام: العرش ليس هو الله والعرش اسم علم وقدرة، وعرش فيه كل شيء، ثم أضاف الحمل إلى غيره خلق من خلقه، لأنه استعبد خلقه بحمل عرشه، وهم حملة علمه، وخلقاً يسبحون حول عرشه وهم يعملون بعلمه، وملائكة يكتبون أعمال عباده، واستعبد أهل الأرض بالطواف حول بيته، والله على العرش استوى كما قال، والعرش ومن يحمله ومن حول العرش، الله الحامل لهم الحافظ لهم الممسك القائم على كل نفس وفوق كل شيء وعلى كل شيء، ولا يقال محمول ولا أسفل، قولاً مفرداً لا يوصل بشيء فيفسد اللفظ والمعنى.

قال أبو قره: فتكذب بالرواية التي جاءت أن الله إذا غضب إنما يعرف غضبه أن الملائكة الذين يحملون العرش يجدون ثقله على كواهلهم فيخرون سجداً، فإذا ذهب الغضب خف ورجعوا إلى مواقعهم؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: أخبرني عن الله تبارك وتعالى منذ لعن إبليس إلى يومك هذا هو غضبان عليه فمتى رضى، وهو في صفتك لم يزل غضبان عليه وعلى أوليائه وعلى أتباعه! كيف تجترى أن تصف ربك بالتغير من حال إلى حال وأنه يجرى عليه ما يجرى على المخلوقين! سبحانه وتعالى لم يزل مع الزائلين ولم يتغير مع المتغيرين ولم يتبدل مع المتبدلين، وَمَنْ دُونَهُ يَدُهُ وَتَدْبِيرُهُ، وكلهم إليه محتاج وهو غنى عن سواه!

محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن حماد بن عيسى، عن ربيع بن عبد الله، عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، فقال: يا فضيل كل شيء في الكرسی، السماوات والأرض وكل شيء في

الكرسى.

محمد بن يحيى، عن أحمد بن عيسى، عن الحجال، عن ثعلبة بن ميمون، عن زرارة بن أعين قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، السماوات والأرض وسع الكرسي أم الكرسي وسع السماوات والأرض؟ فقال: بل الكرسي وسع السماوات والأرض والعرش، وكل شيء وسع الكرسي.

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيوب، عن عبد الله بن بكير، عن زرارة بن أعين قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، السماوات والأرض وسع الكرسي أو الكرسي وسع السماوات والأرض؟ فقال: إن كل شيء في الكرسي.

التوحيد للصدوق/١٠٨:

حدثنا الحسين بن أحمد بن إدريس رحمه الله، عن أبيه، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، عن عاصم بن حميد، قال: ذكرت أبا عبد الله عليه السلام فيما يروون من الرؤى، فقال: الشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسي، والكرسي جزء من سبعين جزء من نور العرش، والعرش جزء من سبعين جزء من نور الحجاب، والحجاب جزء من سبعين جزء من نور الستر، فإن كانوا صادقين فليملؤوا أعينهم من الشمس ليس دونها سحب.

التوحيد للصدوق/٣١٩:

باب معنى قوله عز وجل: وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ.

حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله، قال: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، عن محمد بن إسماعيل البرمكي قال: حدثنا جذعان بن نصر أبو نصر الكندي قال: حدثني سهل بن زياد الادمي، عن الحسن بن محبوب، عن عبد الرحمن بن كثير عن داود الرقي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله عز وجل: وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، فقال لي: ما يقولون في ذلك. قلت: يقولون إن العرش كان على الماء والرب فوقه. فقال: كذبوا، من زعم هذا فقد صير الله محمولاً ووصفه بصفة المخلوقين، ولزمه أن الشيء الذي يحمله أقوى منه! قلت: بين لي جعلت فداك. فقال: إن الله عز وجل حمل علمه ودينه الماء قبل أن تكون أرض أو سماء أو جن أو إنس أو شمس أو قمر، فلما أراد أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه فقال لهم: من ربكم فكان أول من نطق رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والأئمة صلوات الله عليهم، فقالوا: أنت ربنا، فحملهم العلم والدين، ثم قال للملائكة: هؤلاء حملة علمي وديني وأمنائي في خلقي وهم المسؤولون، ثم قيل لبني آدم: أقرؤا الله بالربوبية ولهؤلاء النفر بالطاعة، فقالوا: نعم ربنا أقررنا، فقال للملائكة: إشهدوا، فقالت الملائكة شهدنا على أن لا يقولوا إنا كنا عن هذا غافلين، أو يقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون. يا داود ولايتنا مؤكدة عليهم في الميثاق.

حدثنا تميم بن عبد الله بن تميم القرشي قال: حدثنا أبي، عن أحمد بن علي الأنصاري، عن أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي قال: سأل المأمون أبا الحسن علي بن موسى الرضا (عليهما السلام) عن قول الله عز وجل: وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، فقال: إن الله تبارك وتعالى خلق العرش والماء والملائكة قبل خلق السموات والأرض، وكانت الملائكة تستدل بأنفسها وبالعرش والماء على الله عز وجل، ثم جعل عرشه على الماء ليظهر بذلك قدرته للملائكة فيعلموا أنه على كل شيء قدير، ثم رفع العرش بقدرته ونقله فجعله فوق السموات السبع، وخلق السموات والأرض في ستة أيام، وهو مستول على عرشه، وكان قادراً على أن يخلقها في طرفه عين، ولكنه عز وجل خلقها في ستة أيام ليظهر للملائكة ما يخلقه منها شيئاً بعد شيء، وتستدل بحدوث ما يحدث على الله تعالى ذكره مرة بعد مرة، ولم يخلق الله العرش لحاجة به إليه، لأنه غنى عن العرش وعن جميع ما خلق، لا يوصف بالكون على العرش لأنه ليس بجسم، تعالى الله عن صفه خلقه علواً كبيراً.

وأما قوله عز وجل: لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا فإنه عز وجل خلق خلقه ليبلوهم بتكليف طاعته وعبادته لا على سبيل الإمتحان

والتجربة، لأنه لم يزل عليماً بكل شيء.

فقال المأمون: فرجت عنى يا أبا الحسن فرج الله عنك.

التوحيد للصدوق/٣٢١:

باب العرش وصفاته.

حدثنا على بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله قال: حدثنا محمد بن أبي عبدالله الكوفى، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل البرمكى، قال: حدثنا الحسين بن الحسن قال: حدثنى أبى، عن حنان بن سدير قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن العرش والكرسى فقال: إن للعرش صفات كثيرة مختلفة، له فى كل سبب وضع فى القرآن صفة على حدة. فقلوه: رب العرش العظيم، يقول: الملك العظيم، وقوله: الرحمن على العرش استوى، يقول: على الملك احتوى، وهذا ملك لكيفوفية الأشياء.

ثم العرش فى الوصل متفرد من الكرسى، لأنهما بابان من أكبر أبواب الغيوب، وهما جميعاً غيبان، وهما فى الغيب مقرونان، لأن الكرسى هو الباب الظاهر من الغيب الذى منه مطلع البدع ومنه الأشياء كلها، والعرش هو الباب الباطن الذى يوجد فيه علم الكيف والكون والقدر والحد والالين والمشية وصفة الإرادة، وعلم الألفاظ والحركات والترك، وعلم العود والبدء، فهما فى العلم بابان مقرونان، لأن ملك العرش سوى ملك الكرسى وعلمه أغيب من علم الكرسى، فمن ذلك قال: رب العرش العظيم، أى صفته أعظم من صفة الكرسى، وهما فى ذلك مقرونان.

قلت: جعلت فداك فلم صار فى الفضل جار الكرسى؟

قال: إنه صار جاره لأن علم الكيفوفية فيه، وفيه الظاهر من أبواب البداء وأينيتها وحد رتقها وفتقها، فهذان جاران أحدهما حمل صاحبه فى الصرف وبمثل صرف العلماء (كذا) وليستدلوا على صدق دعواهما لأنه يختص برحمته من يشاء وهو القوى العزيز. فمن اختلاف صفات العرش أنه قال تبارك وتعالى: رَبُّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ، وهو وصف عرش الوجدانية لأن قوماً أشركوا كما قلت لك، قال تبارك وتعالى: رَبُّ الْعَرْشِ، رب الوجدانية عما يصفون. وقوماً وصفوه بيدين فقالوا: يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ. وقوماً وصفوه بالرجلين فقالوا: وضع رجله على صخرة بيت المقدس فمنها ارتقى إلى السماء. وقوماً وصفوه بالانامل فقالوا: إن محمداً صلى الله عليه وآله قال: إنى وجدت برد أنامله على قلبى!

فلمثل هذه الصفات قال: رب العرش عما يصفون، يقول رب المثل الأعلى عما به مثله، والله المثل الأعلى الذى لا يشبهه شئ ولا يوصف ولا يتوهم، فذلك المثل الأعلى، ووصف الذين لم يؤتوا من الله فوائد العلم فوصفوا ربهم بأدنى الأمثال وشبهوه بالمتشابه منهم فيما جهلوا به، فلذلك قال: وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً، فليس له شبه ولا مثل ولا عدل، وله الأسماء الحسنى التى لا يسمى بها غيره، وهى التى وصفها فى الكتاب فقال: فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه، جهلاً بغير علم، فالذى يلحد فى أسمائه بغير علم يشرك وهو لا يعلم، ويكفر به وهو يظن أنه يحسن، فلذلك قال: وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون، فهم الذين يلحدون فى أسمائه بغير علم فيضعونها غير مواضعها.

يا حنان إن الله تبارك وتعالى أمر أن يتخذ قوم أولياء، فهم الذين أعطاهم الله الفضل وخصهم بما لم يخص به غيرهم، فأرسل محمداً صلى الله عليه وآله فكان الدليل على الله بإذن الله عز وجل، حتى مضى دليلاً هادياً، فقام من بعده وصيه عليه السلام دليلاً هادياً على ما كان هو دل عليه من أمر ربه من ظاهر علمه، ثم الأئمة الراشدون (عليهم السلام).

التوحيد للصدوق/٣٢٤:

باب أن العرش خلق أربعاً.

حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن على بن إسماعيل، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبى الطفيل، عن أبى جعفر، عن على بن الحسين (عليهم السلام) قال: إن الله عز وجل خلق

العرش أرباعاً، لم يخلق قبله إلا ثلاثة أشياء: الهواء والقلم والنور، ثم خلقه من أنوار مختلفة: فمن ذلك النور نور أخضر اخضرت منه الخضرة، ونور أصفر اصفرت منه الصفرة، ونور أحمر احمرت منه الحمرة، ونور أبيض وهو نور الأنوار ومنه ضوء النهار، ثم جعله سبعين ألف طبق، غلظ كل طبق كأول العرش إلى أسفل السافلين، ليس من ذلك طبق إلا يسبح بحمد ربه ويقدسه بأصوات مختلفة وألسنة غير مشتبهة، ولو أذن للسان منها فأسمع شيئاً مما تحته لهدم الجبال والمدائن والحصون، ولخسف البحار ولأهلك ما دونه. له ثمانية أركان على كل ركن منها من الملائكة ما لا يحصى عددهم إلا الله عز وجل، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، ولو أحس شيء مما فوّه ما قام لذلك طرفه عين. بينه وبين الإحساس الجبروت والكبرياء والعظمة والقدس والرحمة ثم العلم، وليس وراء هذا مقال.

حدثنا أبي (رض) قال: حدثنا علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فَقَالَ: السماوات والأرض وما بينهما في الكرسي، والعرش هو العلم الذي لا يقدر أحد قدره.

أخبار مكة للزرقي: ١/٥٠:

عن أبي الطفيل قال: شهدت علياً (رض) وهو يخطب وهو يقول: سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم به. وسلوني عن كتاب الله فوالله ما منه آية إلا وأنا أعلم أنها بليل نزلت أم بنهار، أم بسهل نزلت أم بجبل. فقام ابن الكواء وأنا بينه وبين علي (رض) وهو خلفي قال: أفرأيت البيت المعمور ما هو قال: ذاك الضراح فوق سبع سموات، تحت العرش، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون فيه إلى يوم القيامة.

تفسير إخواننا الموافق لمذهبنا

تفسير البيضاوي: ٣/١٢:

ثم استوى على العرش: استوى أمره أو استولى، وعن أصحابنا أن الإستواء على العرش صفة لله بلا كيف، والمعنى: أن له تعالى استواء على العرض على الوجه الذي عناه، منزهاً عن الإستقرار والتمكن.

والعرش الجسم المحيط بسائر الأجسام، سمي به لارتفاعه أو لتشبيهه بسرير الملك، فإن الأمور والتدابير تنزل منه، وقيل الملك. سير أعلام النبلاء: ٢٠/٨٧:

قال أبو موسى المدني: سألت إسماعيل يوماً (إسماعيل بن محمد الحافظ): أليس قد روى عن ابن عباس في قوله استوى، قعد قال: نعم. قلت له: إسحاق بن راهويه يقول: إنما يوصف بالعود من يمل القيام. قال: لا أدري أي شيء يقول إسحاق.

وسمعه يقول: أخطأ ابن خزيمة في حديث الصورة، ولا يطعن عليه بذلك، بل لا يؤخذ عنه هذا فحسب.

قال أبو موسى: أشار بهذا إلى أنه قل إمام إلا وله زلة، فإذا ترك لاجل زلته، ترك كثير من الأئمة، وهذا لا ينبغي أن يفعل.

إرشاد الساري: ٣/٢٤:

إضافة الظل إليه سبحانه وتعالى إضافة تشريف... والله تعالى منزّه عن الظل لأنه من خواص الأجسام، فالمراد ظل عرشه، كما في حديث سلمان.

إرشاد الساري: ١٠/٤٢٠:

قوله تعالى: ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، وتفسير العرش بالسريير والإستواء بالإستقرار كما يقول المشبه باطل، لأنه تعالى كان قبل العرش ولا مكان، وهو الآن كما كان، والتغير من صفات الأكوان.

الجواهر الحسان للتعاليبي: ٢/١٧٩:

قوله سبحانه: ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، إنه سبحانه مستوى على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده، استواء منزهاً عن

المماسسة والإستقرار والتمكن والحلول والانتقال.

نهاية الارب للنويرى: ١/٣٢:

روى أن أبا ذر قال يا رسول الله (ص) أى آية أنزلت عليك أعظم؟ قال: آية الكرسي، ثم قال: يا أبا ذر أتدرى ما الكرسي قلت لا، فقال ما السماوات والأرض فى الكرسي إلا كحلقه ألقاها ملق فى فلاة. ونحوه فى الجواهر الحسان للثعالبي: ١/١٩٦ ونحوه فى فتح القدير للشوكاني: ١/٣٤٧.

لسان الميزان: ١/٧٨:

إبراهيم بن عبدالصمد، عن عبدالوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى عَلَى جميع بريته فلا- يخلو منه مكان، وعنه عبدالله بن داود الواسطى بهذا. أورده ابن عبد البر فى التمهيد وقال لا- يصح، وعبد الله وعبدالوهاب ضعيفان، وإبراهيم مجهول لا يعرف.

حياة الحيوان للدويرى: ١/٣٨٢:

سئل إمام الحرمين: هل البارى تعالى فى جهة؟ فقال: هو متعال عن ذلك.

الفرق بين الفرق للنوبختى: ٢٩٢:

وقد قال أمير المؤمنين على (رض): إن الله خلق العرش إظهاراً لقدرته لا مكاناً لذاته. وقال أيضاً: قد كان ولا مكان، وهو الان على ما كان.

معالم السنن للخطابى: ٤/٣٠٢:

قال الشيخ: هذا الكلام (أتدرى ما الله إن عرشه على سماواته وقال بأصابه مثل القبة..) إذا جرى على ظاهره كان فيه نوع من الكيفية، والكيفية عن الله وصفاته منفية.

تفسير المنار لرشيد رضا: ١٢/١٦:

أما عرش الرحمن عز وجل فهو من عالم الغيب الذى لا ندركه بحواسنا، ولا نستطيع تصويره بأفكارنا، فأجدر بنا أن لا نعلم كنه استوائه عليه... إن بعض المتكلمين تكلفوا تفسير السموات السبع والكرسي والعرش العظيم، أو تأويلهن بالأفلاك التسعة عند فلاسفة اليونان المخالف للقرآن...

خزانة الادب للحموى: ١/٢٤٠:

قال الزمخشري:... قوله تعالى: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى. الإستواء على معينين، أحدهما الاستقرار فى المكان وهو المعنى القريب المورى به الذى هو غير مقصود، لأن الحق تعالى وتقدس منزه عن ذلك.

وقد طعن المستشرق اليهودى جولدم تسيهر فى تفسير الإستواء على العرش بغير القعود المادى، تأييداً لمذهبه فى التجسيم، فقال فى مذاهب التفسير الإسلامى/١٦٩: وجاء ذكر كرسى الله سبحانه فى آية الكرسي... ويقول الزمخشري فى ذلك: وما هو إلا- تصوير لعظمته وتخيل فقط. ولا كرسى ثمه ولا قعود ولا قاعد. انتهى. وقد كذب هذا اليهودى على الزمخشري ليشنع عليه، لأنه خالف مذهبه فى التجسيم.

تفسيرهم الذى فيه تجسيم

قالوا إن الله جالس على كرسيه كما قال اليهود

تاريخ بغداد: ١/٢٩٥:

محمد بن أحمد بن خالد بن شيرزاد... أخبرنا أحمد بن محمد بن غالب قال قرئ على أبى الحسين بن مظفر وأنا أسمع، حدثكم

أبو بكر محمد بن أحمد بن خالد القاضي، قال نا سعيد بن محمد، قال نا سلم بن قتيبة، قال نا شعبة، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن خليفة عن عمر بن الخطاب عن النبي (ص) في قوله تعالى: عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى.. قال: حتى يسمع أطيظ كأطيظ الرجل. انتهى. ونحوه في فردوس الأخبار: ١ ص ٢٢٠ وفتح القدير: ١/٣٤٧.

مسند احمد: ١/٢٩٥:

عن أبي نضرة قال خطبنا ابن عباس على هذا المنبر منبر البصرة قال: قال رسول الله (ص): إنه لم يكن نبي إلا- له دعوة تنجزها في الدنيا، وإنى اختبأت دعوتى شفاعاً لأمتى، وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، ويدي لواء الحمد ولا فخر، آدم فمن دونه تحت لوائى. قال: ويطول يوم القيامة على الناس... قال ثم أتى باب الجنة فأخذ بحلقة باب الجنة فأقرع الباب فيقال من أنت فأقول محمد فيفتح لى فأرى ربي عز وجل وهو على كرسيه أو سريره، فأخر له ساجداً وأحمده بمحامد لم يحمد به أحد كان قبلى ولا يحمد به أحد بعدى، فيقال: إرفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع.

قال فأرفع رأسي فأقول: أى رب أمتى أمتى، فيقال لى: أخرج من النار من كان فى قلبه مثقال كذا وكذا فأخرجهم، ثم أعود فأخر ساجداً وأحمده بمحامد لم يحمد به أحد كان قبلى ولا يحمد به أحد بعدى، فيقال لى: إرفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: أى رب أمتى أمتى، فيقال: أخرج من النار من كان فى قلبه مثقال كذا وكذا فأخرجهم، قال وقال فى الثالثة مثل هذا أيضاً! انتهى.

وهذه الرواية مضافاً إلى ما فيها من تجسيم فهى واحدة من روايات توسيع الشفاعة لتشمل جميع الأمة بر وفاجرها وظالمها ومظلومها، وقتلها ومقتولها بل لتشمل كل الكفار تقريباً كما سترى فى باب الشفاعة إن شاء الله تعالى. ولم يستثن إخواننا من هذه الشفاعة الموسعة المجانية إلا أهل بيت النبى وشيعتهم!!

مجمع الزوائد: ١/١٢٦:

وعن ثعلبة بن الحكم قال قال رسول الله (ص): يقول الله عز وجل للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه لفصل عباده: إني لم أجعل علمى وحلمى فيكم، إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان فيكم ولا أبالى. رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله موثقون.

سير أعلام النبلاء: ١٧/٦٥٦:

قال أبو نصر السجزي فى كتاب الابانة: وأئمتنا كسفيان، ومالك، والحمادين وابن عيينة، والفضيل، وابن المبارك، وأحمد بن حنبل، وإسحاق، متفقون على أن الله سبحانه فوق العرش، وعلمه بكل مكان، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا، وأنه يغضب ويرضى، ويتكلم بما شاء!

دلائل النبوة للبيهقى: ٥/٤٨١:

يأتى رسول الله (ص) يوم القيامة إلى الله وهو جالس على كرسيه. انتهى.

وقد أوردنا فى الفصلين الثالث والخامس عدداً آخر من رواياتهم فى جلوس الله تعالى على عرشه وأطيظ العرش من ثقله بزعمهم، وأثبتنا أن أول من فتح القول بالتجسيم فى الإسلام هو كعب الأخبار والخليفة عمر.

وتناقضت رواياتهم فى العرش والكرسى

فردوس الأخبار للديلمى: ١/٢١٩:

ابن عمر: إن الله عز وجل ملا عرشه، يفضل منه كما يدور العرش أربعة أصابع بأصابع الرحمن عز وجل.

تفسير الطبرى: ٣/٨:

عن عبد الله بن خليفة أتت امرأة النبى فقال أدع الله أن يدخلنى الجنة.. ثم قال (ص) إن كرسيه وسع السموات والأرض وإنه ليقعد عليه

فما يفضل منه مقدار أربع أصابع.

تفسير الطبري: ٣/٧.

عن الربيع: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، قال لما نزلت.. قال أصحاب النبي: يا رسول الله هذا الكرسي وسع السموات والأرض فكيف العرش؟ فأنزل الله تعالى وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ... عن أبي موسى: قال الكرسي موضع القدمين. وعن السدي: والكرسي بين يدي العرش وهو موضع قدميه.

فردوس الأخبار للدليمي: ٥/١٢٨.

ابن عباس: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، كرسيه موضع قدمه، والعرش لا يقدر قدره. ونحوه في تاريخ بغداد: ٩/٢٥١ وفي تفسير الصنعاني: ٢/٢٠٣ وفي فردوس الأخبار: ٥/١٢٨.

مجمع الزوائد: ١٠/٣٤٣.

وعن عبد الله بن عمرو عن رسول الله (ص) قال: إن الله يجمع الأمم يوم القيامة ثم ينزل من عرشه إلى كرسيه، وكرسيه وسع السموات والأرض.

سنن أبي داود: ٢/٤١٩.

قال ابن بشار في حديثه: إن الله فوق عرشه، وعرشه فوق سمواته. وساق الحديث.

إرشاد الساري للقسطلاني: ٥/٢٤٩.

عن بعض السلف أن العرش فلک مستدير من جميع جوانبه محيط بالعالم من كل جهه.

إرشاد الساري للقسطلاني: ٧/٤٢.

قال قوم هو (أي الكرسي) جسم بين يدي العرش... وزعم بعض أهل الهيئة من الإسلاميين أن الكرسي هو الفلك الثامن... وهو الأطلس.

إرشاد الساري للقسطلاني: ٧/٣١٢.

قال ابن كثير: والعرش فوق العالم مما يلي رؤس الناس.

و قالوا عرش الله كرسي متحرك

مجمع الزوائد: ١٠/١٥٤.

وعن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله (ص): ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل فيقول... فيكون كذلك حتى يصبح الصبح ثم يعلو عز وجل على كرسيه. رواه الطبراني في الكبير والأوسط بنحوه... ويحيى بن إسحاق لم يسمع من عبادة ولم يرو عنه غير موسى بن عقبة، وبقية رجال الكبير رجال الصحيح.

فردوس الأخبار للدليمي: ٥/٣٦٠.

عبادة بن الصامت: ينزل الله عز وجل كل ليلة إلى السماء الدنيا فلا يزال كذلك حتى يصلى الصبح، ثم يعلو ربنا عز وجل على كرسيه.

فردوس الأخبار للدليمي: ٥/٣٦١.

ينزل ربنا عز وجل في ظلل من الغمام والملائكة، ويضع عرشه حيث يشاء من الأرض.

و قالوا العرش غير الكرسي، و قالوا العرش هو الكرسي

فردوس الأخبار للدليمي: ٥/٣٦٥.

ينزل الله عز وجل في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي.

معالم التنزيل للبغوي: ١/٢٣٩:

أبو هريرة: الكرسي هو العرش.

وروى السيوطي في: ١/٣٢٤:

وأخرج ابن جرير عن الضحاك قال كان الحسن يقول الكرسي هو العرش... فقال رسول الله (ص)... وسع كرسیه السموات والأرض، فهي تنظ من عظمته وجلاله كما ينظ الرجل الجديد. ورواه في كنز العمال: ١٤/٦٣٦.

تفسير قوله تعالى: عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا

أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا. وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا. الإسراء: ٧٨-٧٩

وقالوا يجلس الله على عرشه ويجلس النبي إلى جانبه

روى الدارمي في سننه: ٢/٣٢٥:

عن ابن مسعود عن النبي (ص) قال قيل له ما المقام المحمود؟ قال: ذاك يوم ينزل الله تعالى على كرسیه ينظ كما ينظ الرجل الجديد من تضايقه به، وهو كسعه ما بين السماء والأرض، وي جاء بكم حفاة عراة غرلاً، فيكون أول من يكسى إبراهيم، يقول الله تعالى أكسوا خليلي، فيؤتى بريطين بيضاوين من رباط الجنة، ثم أكسى على أثره ثم أقوم عن يمين الله مقاماً يغبطنى الأولون والآخرين. ورواه الحاكم في المستدرک: ٢/٣٦٤ والبغوي في مصابحه: ٣/٥٥٢ والهندي في كنز العمال: ١٤/٤١٢ والسيوطي في الدر المنثور: ٣/٨٤.

وقال السيوطي في الدر المنثور: ١/٣٤ وص ٣٢٨ وص ٣٢٤:

وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن ابن مسعود قال قال رجل يا رسول الله ما المقام المحمود؟ قال: ذلك يوم ينزل الله على كرسیه ينظ منه كما ينظ الرجل الجديد من تضايقه، وهو كسعه ما بين السماء والأرض. ورواه في كنز العمال: ١٤/٦٣٦.

وقال السيوطي في الدر المنثور: ٤/١٩٨:

وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، قال: يجلسه بينه وبين جبريل عليه السلام ويشفع لامته، فذلك المقام المحمود.

وروى البيهقي في دلائل النبوة: ٥/٤٨١:

يأتي رسول الله (ص) يوم القيامة إلى الله وهو جالس على كرسیه.

دلائل النبوة للبيهقي: ٥/٤٨٦:

عن عبد الله بن سلام... وينجو النبي (ص) والصالحون معه وتلقاهم الملائكة يرونهم منازلهم.. حتى ينتهي إلى الله عز وجل فيلقى له كرسي.

وروى الديلمي في فردوس الأخبار: ٣/٨٥:

ابن عمر: عسى الله أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، يجلسني معه على السرير.

وفي فردوس الأخبار: ٤/٢٩٨:

أنس بن مالك: من كرامتي على ربي عز وجل قعودي على العرش.

وقال الشوكاني في فتح القدير: ٣/٣١٦:

إن المقام المحمود هو أن الله سبحانه يجلس محمداً (ص) معه على كرسية، حكاه ابن جرير... وقد ورد في ذلك حديث.

تاريخ بغداد: ٣/٢٢.

أخبرنا القاضي أبو العلاء محمد بن علي، أخبرنا يحيى بن وصيف الخواص، حدثنا أحمد بن علي الخراز، حدثنا المعيطي وغير واحد قالوا: حدثنا محمد بن فضيل عن ليث بن مجاهد في قوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، قال: يقعه معه على العرش..

تاريخ بغداد: ٨/٥٢.

عن أبي إسحاق عن عبد الله بن خليفة قال قال رسول الله (ص): الكرسي الذي يجلس عليه الرب عز وجل وما يفضل منه إلا قدر أربع أصابع، وإن له أطيماً كأطيئ الرحل الجديد!

قال أبو بكر المروزي قال لي أبو علي الحسين بن شيبان قال لي أبو بكر بن سلم العابد حين قدمنا إلى بغداد: أخرج ذلك الحديث الذي كتبه عن أبي حمزة فكتبه أبو بكر بن سلم بخطه وسمعه جميعاً، وقال أبو بكر بن سلم: إن الموضع الذي يفضل لمحمد (ص) ليجلسه عليه. قال أبو بكر الصيدلاني: من رد هذا فإنما أراد الطعن على أبي بكر المروزي، وعلى أبي بكر بن سلم العابد....

و نفى الفكرة بعض علماء السنة

صحيح شرح العقيدة الطحاوية: ١/٥٧٠.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله: والشفاعة التي ادخرها لهم حق كما روى في الأخبار، ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم ولا نشهد لهم بالجنة، ونستغفر لمسيئتهم ونخاف عليهم، ولا نقطعهم.

الشرح: لقد ثبتت الشفاعة منطوقاً ومفهوماً في القرآن الكريم وخاصة للنبي صلى الله عليه وآله، ومن تلك الآيات قوله تعالى: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى، الضحى: ٣، وقال تعالى: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا. الإسراء: ٧٩، وتفسير المقام المحمود بالشفاعة ثابت في الصحيحين وغيرهما [١] وقال الله تعالى: يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا. طه: ٩-١٠. وقال تعالى: مِمَّا مَنْ شَفِيعَ إِلَّا مَنْ بَعْدَ إِذْنِهِ يونس: ٣. وفي شفاعته الملائكة قوله تعالى: يَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ. لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ. يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ. الأنبياء: ٧٨.

[١] أنظر البخاري ٣-٣٣٨ و ٨-٣٩٩ و ١٣-٤٢٢ و مسلم ١-١٧٩. ومن الغريب العجيب أن يعرض المجسمة والمشبهة عن هذا الوارد الثابت في الصحيحين، ويفسروا المقام المحمود بجلوس سيدنا محمد على العرش بجنب الله!! تعالى الله عن إفكهم وكذبهم علواً كبيراً، وهم يعتمدون على ذلك على ما يروى عن مجاهد بسند ضعيف من أنه قال ما ذكرناه من التفسير المنكر المستشنع، وتكفل الخلال في كتابه السنة ١-٢٠٩ بنصرة التفسير المخطئ المستشنع، وقد نطق بما هو مستشنع عند جميع العقلاء!

و قال المستشرقون إنها فكرة مسيحية

مذاهب التفسير الإسلامي لجولد تسيهر/١٢٢:

... سجلت فتنه ببغداد، أثارها نزاع على مسألة من التفسير ذلك هو تفسير الآية ٧٩ من سورة الاسراء: وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدُ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا. ما المراد من المقام المحمود؟ ذهب الحنابلة... إلى أن الذي يفهم من ذلك هو أن الله سبحانه يقعد النبي معه على العرش... ربما كان هذا متأثراً بما جاء في إنجيل مرقس ١٦، ١٩، وآخرون ذهبوا إلى أن المقام المحمود.. هو مرتبة الشفاعة التي يرفع إليها النبي.

و اعترفوا بأن بعض هذه الأحاديث موضوع

ميزان الاعتدال: ٤/١٧٤:

أنبأني جماعة عن عين الشمس الثقفي، أخبرنا محمد بن أبي ذر سنة ست وعشرين وخمسائة، أخبرنا أبوطاهر عبدالرحيم، أخبرنا عبدالله بن محمد القباب، أخبرنا أحمد بن الحسن بن هارون الأشعري، حدثنا علي بن محمد القادسي بعكبرا سنة ست وخمسين ومائتين، حدثنا محمد بن حماد، عن مقاتل بن سليمان، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: إذا كان يوم القيامة ينادى مناد: أين حبيب الله فيتخطى صفوف الملائكة حتى يصير إلى العرش حتى يجلسه معه على العرش، حتى يمس ركبته. فهذا لعله وضعه أحد هؤلاء أصحاب مقاتل أو القادسي.

و قالوا يجلس صاحب أحمد بن حنبل على سجاد العرش

تاريخ بغداد: ١٢/١١٢:

حدثنا أحمد بن عبد الله الحفار، قال رأيت أحمد بن حنبل في النوم فقلت: يا أبا عبد الله ما صنع الله بك؟ قال: حبانى وأعطانى وقربنى وأدنانى. قال قلت: الشيخ الزمن على بن الموفق ما صنع الله به؟ قال: الساعة تركته على زلالى، يريد العرش. انتهى. وقال فى هامشه: الزلية: بكسر الزاى واللام البساط، والجمع زلالى. عن القاموس.

و قالوا يجلس أبابكر على كرسى عند العرش

تاريخ بغداد: ٤/٣٨٦:

عن ابن أبي ذئب، عن معن بن الوليد، عن خالد بن معدان، عن معاذ بن جبل قال قال النبي (ص): إذا كان يوم القيامة نصب لإبراهيم منبر أمام العرش ونصب لى منبر أمام العرش، ونصب لابي بكر كرسى، فنجلس عليها وينادى مناد يالك من صديق بين خليل وحبیب!!

تفسير قوله تعالى: فلما آسفونا انتقمنا منهم

قال تعالى عن فرعون: فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ. فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ. الزخرف: ٥٤-٥٥.

قال أهل البيت: إن الله لا بأسف كأسف

الكافي: ١/١٤٤:

محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن عمه حمزة بن بزيع، عن أبي عبد الله عليه السلام فى قول الله عز وجل: فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ، فقال: إن الله عز وجل لا بأسف كأسفنا ولكنه خلق أولياء لنفسه بأسفون ويرضون وهم مخلوقون مربوطون، فجعل رضاهم رضا نفسه وسخطهم سخط نفسه، لأنه جعلهم الدعاء إليه والادلاء عليه، فلذلك صاروا كذلك، وليس أن ذلك يصل إلى خلقه، لكن هذا معنى ما قال من ذلك، وقد قال: من أهان لى ولياً فقد بارزنى بالمحاربة ودعانى إليها، وقال: ومن يطع الرسول فقد أطاع الله. وقال: إن الذين يباعدونك إنما يباعدون الله يد الله فوق أيديهم. فكل هذا وشبهه على ما ذكرت لك، وهكذا الرضا والغضب وغيرهما من الأشياء مما يشاكل ذلك.

ولو كان يصل إلى الله الأسف والضجر وهو الذى خلقهما وأنشأهما، لجاز لقائل هذا أن يقول: إن الخالق يبيد يوماً ما، لأنه إذا دخله

الغضب والضجر دخله التغيير، وإذا دخله التغيير لم يؤمن عليه الابادة، ثم لم يعرف المكون من المكون ولا- القادر من المقدور عليه، ولا- الخالق من المخلوق، تعالى الله عن هذا القول علواً كبيراً، بل هو الخالق للاشياء لا- لحاجة، فإذا كان لا حاجة استحال الحد والكيف فيه، فافهم إن شاء الله تعالى. انتهى.

أقول: ومما يؤيد تفسير آسفونا في الآية بأنهم آسفوا الأنبياء والاصياء (عليهم السلام)، أنه تعالى قال (آسفونا) بجمع المتكلم ولم يقل آسفوني بالمفرد، وقد فسرها الإمام عليه السلام بأن الله تعالى نسب الفعل إلى نفسه لانهم آسفوا عباده الخاصين، لأن إغضابهم إغضاب له تعالى.

وهذا يفتح لنا باباً لفهم نسبة الفعل الإلهي وقانونها في القرآن، ومتى يسند الفعل إلى الله تعالى بصيغة المفرد المتكلم، ومتى يسند بصيغة الجمع، أو بصيغة الغائب. فإن دراسة الأفعال المسندة إلى الله تعالى في القرآن، عن طريق إحصائها وتقسيمها وتحليلها، سيعطينا فوائد متعددة في معرفة أنواع الفعل الالهي ووسائله. ففي كل نوع من صيغ نسبه إلى الله تعالى هدف، ووراء قاعدة..

فبعض الأفعال أسندها عز وجل إلى نفسه بصيغة المفرد المتكلم وجمع المتكلم والمفرد الغائب، مثل: أوحيت، أوحينا، نوحى، أوحى... وبعضها أسندها بصيغة جمع المتكلم والغائب فقط ولم يسندها بصيغة المفرد مثل: بشرنا، أرسلنا، صورنا، رزقنا، بينا.. الخ. ولم يقل بشرت أو رزقت... الخ.

إن كلمات القرآن وحروفه موضوعه في مواضعها بموجب علوم إلهية عميقة وحسابات ربانية دقيقة، كما وضعت النجوم في مواضعها ومداراتها في الكون (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَغْلَمُونَ عَظِيمٌ، إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ). وإن كشف أصل وجود القاعدة في نسبة الفعل الإلهي في القرآن بحد ذاته أمر مهم. ولكن معادلتها وتطبيقاتها ستبقى على الأرجح ظناً وتخميناً، لأننا محرومون من الذى عنده علم الكتاب روى فداه!

روى في الاحتجاج أن شخصاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال له: لولا- ما فى القرآن من الإختلاف والتناقص لدخلت فى دينكم! فقال له عليه السلام: وما هو فقال:... أجد الله يقول: قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم، وفى موضع آخر يقول: الله يتوفى الأنفس حين موتها، والذين تتوفاهم الملائكة طيبين، وما أشبه ذلك، فمرة يجعل الفعل لنفسه ومرة لملك الموت، ومرة للملائكة... فقال أمير المؤمنين: سبوح قدوس رب الملائكة والروح، تبارك وتعالى، هو الحى الدائم، القائم على كل نفس بما كسبت، هات أيضاً ما شككت فيه:

قال: حسبي ما ذكرت... قال عليه السلام: فأما قوله: الله يتوفى الأنفس حين موتها، وقوله: يتوفاكم ملك الموت، وتوفته رسلنا، والذين تتوفاهم الملائكة طيبين والذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم... فهو تبارك وتعالى أعظم وأجل من أن يتولى ذلك بنفسه، وفعل رسله وملائكته فعله، لأنهم بأمره يعملون، فاصطفى جل ذكره من الملائكة رسلاً وسفرةً بينه وبين خلقه وهم الذين قال فيهم: الله يصطفى من الملائكة رسلاً.. فمن كان من أهل الطاعة تولت قبض روحه ملائكة الرحمة، ومن كان من أهل المعصية تولت قبض روحه ملائكة النعمة، ولملك الموت أعوان من ملائكة الرحمة والنعمة يصدرن عن أمره، وفعلهم فعله، وكل ما يأتون به منسوب إليه، وإذا كان فعلهم فعل ملك الموت وفعل ملك الموت فعل الله لأنه يتوفى الانفس على يد من يشاء، ويعطى ويمنع ويشيب ويعاقب على يد من يشاء، وإن فعل أمثاله فعله. انتهى.

التوحيد للصدوق/١٦٨:

باب معنى رضاه عز وجل وسخطه.

حدثنا أبى رحمه الله قال: حدثنى أحمد بن إدريس، عن أحمد بن أبى عبد الله، عن محمد عيسى اليعقوبى، عن المشرقى، عن حمزة بن الربيع، عن ذكره قال: كنت فى مجلس أبى جعفر عليه السلام إذ دخل عليه عمرو بن عبيد فقال له: جعلت فداك قول الله تبارك وتعالى: وَمَنْ يَخِلْطَلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى، ما ذلك الغضب؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: هو العقاب يا عمرو، إنه من زعم أن الله عز

وجل زال من شئ إلى شئ فقد وصفه صفة مخلوق، إن الله عز وجل لا يستفزه شئ ولا يغيره.

وبهذا الإسناد، عن أحمد بن أبي عبد الله... كما في رواية الكافي المتقدمة.

حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل (رض) قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن العباس بن عمرو الفقيمي، عن هشام بن الحكم أن رجلاً سأل أبا عبد الله عليه السلام عن الله تبارك وتعالى له رضا وسخط؟ فقال: نعم، وليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين، وذلك أن الرضا والغضب دخال يدخل عليه فينقله من حال إلى حال (لأن المخلوق أجوف) معتمل مركب، للأشياء فيه مدخل، وخالفنا لا مدخل للأشياء فيه، واحد أحدى الذات واحدى المعنى، فرضاه ثوابه، وسخطه عقابه، من غير شئ يتداخله فيهيجه وينقله من حال إلى حال، فإن ذلك صفة المخلوقين العاجزين المحتاجين، وهو تبارك وتعالى القوى العزيز الذى لا حاجة به إلى شئ مما خلق، وخلق جميعاً محتاجون إليه، إنما خلق الأشياء من غير حاجة ولا سبب، اختراعاً وابتداءً.

حدثنا أحمد بن الحسن القطان قال: حدثنا الحسن بن علي السكري قال: حدثنا محمد بن زكريا الجوهري، عن جعفر بن محمد بن عماره، عن أبيه قال: سألت الصادق جعفر بن محمد (عليهم السلام) فقلت له: يا بن رسول الله أخبرني عن الله عز وجل هل له رضا وسخط؟ فقال: نعم وليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين ولكن غضب الله عقابه، ورضاه ثوابه.

بحار الأنوار: ٤/٦٣:

روى حديث توحيد الصدوق الثالث، وقال:

بيان: فى الكافى هكذا: فينقله من حال إلى حال لأن المخلوق أجوف معتمل. وهو الظاهر. والحاصل أن عروض تلك الأحوال والتغيرات إنما يكون لمخلوق أجوف له قابلية ما يحصل فيه ويدخله، معتمل يعمل بأعمال صفاته وآلاته، مركب من أمور مختلفة جهات مختلفة للأشياء من الصفات والجهات والآلات فيه مدخل، وخالفنا تبارك اسمه لا مدخل للأشياء فيه لإستحالة التركيب فى ذاته، فإنه أحدى الذات واحدى المعنى، فإذن لا كثرة فيه لا فى ذاته ولا فى صفاته الحقيقية، وإنما الإختلاف فى الفعل فيثب عند الرضا ويعاقب عند السخط. قال السيد الداماد رحمه الله: المخلوق أجوف لما قد برهن واستبان فى حكمه ما فوق الطبيعة أن كل ممكن زوج تركيبى، وكل مركب مروج الحقيقة فإنه أجوف الذات لا محالة، فما لا جوف لذاته على الحقيقة هو الاحد الحق سبحانه لا غير، فإذن الصمد الحق ليس هو إلا الذات الأحديّة الحقّة من كل جهة، فقد تصحح من هذا الحديث الشريف تأويل الصمد بما لا جوف له وما لا مدخل لمفهوم من المفهومات وشئ من الأشياء فى ذاته أصلاً.

الإحتجاج: عن هشام بن الحكم أنه سأل الزنديق عن الصادق عليه السلام. فقال: فلم يزل صانع العالم عالماً بالأحداث التى أحدثها قبل أن يحدثها؟ قال: لم يزل يعلم فخلق. قال: أمختلف هو أم مؤتلف؟ قال: لا. يلىق به الإختلاف ولا. الأيتلاف، إنما يختلف المتجزى ويأتلف المتبعض، فلا يقال له: مؤتلف ولا مختلف.

قال: فكيف هو الله الواحد؟

قال: واحد فى ذاته فلا واحد كواحد، لأن ما سواه من الواحد متجزى، وهو تبارك وتعالى واحد لا متجزى، ولا يقع عليه العد.

تفسير إخواننا الموافق لمذهبنا

إرشاد السارى: ٤/٢٣٥:

الغضب من المخلوقين شئ يداخل قلوبهم، ولا يلىق أن يوصف البارى تعالى بذلك، فيؤول ذلك على ما يلىق به تعالى، فيحمل على آثاره ولوازمه. وفى ٥ ص ٢٢٩ والمراد من الغضب لانزومه وهو إرادة إيصال الشر إلى المغضوب عليه. وفى ج ٦/١٥٦ نسبة الضحك والتعجب إلى البارى جل وعلا مجازية، والمراد بهما الرضا بصنيعهما.

شرح مسلم للنووى: ٢ جزء ٣/٦٨:

المراد بغضب الله تعالى ما يظهر من انتقامه فيمن عصاه.. لأن الله تعالى يستحيل فى حقه التغير فى الغضب.

تفسيرهم الذى فيه تجسيم

تفسير الصنعانى: ٢/١٦٦:

حدثنا عبد الرزاق قال: سمعت ابن جريج يقول: وغضب فى شئ فقيل له: أتغضب يا أبا خالد! فقال: قد غضب خالق الأحلام، إن الله تعالى يقول لما آسفونا، أغضبونا.

عن سماك بن الفضل قال: كنت عند عروة بن محمد جالساً وعنده وهب بن منبه فأتى بعامل لعروة.. فقالوا فعل وفعل، وثبت عليه البيه، قال فلم يملك وهب بن منبه نفسه فضربه على قرنه بعضا وقال: أفى زمن عمر بن عبدالعزيز يصنع مثل هذا قال: فاشتهاها عروة... وقال: يعيب علينا أبو عبد الله الغضب وهو يغضب! قال وهب: قد غضب خالق الأحلام، إن الله يقول: فلما أسفونا انتقمنا منهم، يقول أغضبونا. انتهى. وقد ذكرنا فى فصل مكانة المشبهين والمجسمين فى مصادر إخواننا: أن وهباً استند فى الظاهر إلى الآية ليثبت أن الغضب الإلهي كغضب البشر، ولكن أصل الغضب الإلهي فى ثقافته هو الغضب التلمودي الذى قال عنه الدكتور أحمد شلبي فى مقارنهُ الأديان: ١/٢٦٧: يروى التلمود أن الله ندم لما أنزله باليهود وبالهيكل، ومما يرويه التلمود على لسان الله قوله: تب لى لأنى صرحت بخراب بيتى وإحراق الهيكل ونهب أولادى. وليست العصمة من صفات الله فى رأى التلمود، لأنه غضب مرة على بنى إسرائيل فاستولى عليه الطيش فحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية، ولكنه ندم على ذلك بعد أن هدأ غضبه، ولم ينفذ قسمه لأنه عرف أنه فعل فعلاً ضد العدالة. انتهى. والمصيبة أن اخواننا أخذوا نسبة الغضب البشرى إلى الله تعالى من وهب وأمثاله من اليهود وجعلوها من عقائد الإسلام، ثم قعدوا ليكون من خطر الاسرائيليات على الإسلام والمسلمين!

الدر المنثور: ٦/١٩:

وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة: فَلَمَّا آسَفُونَا، قال أغضبونا.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس فى قوله: فَلَمَّا آسَفُونَا، قال أغضبونا. وأخرج الفريابى وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد فى قوله: فَلَمَّا آسَفُونَا، قال أغضبونا.

دلائل النبوة للبيهقى: ٥/٤٧٧:

عن أبى هريرة قال:.... فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله.. إشفع لنا عند ربك.. فيقول لهم موسى: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله، وإنى قتلت نفساً لم أومر بقتلها.. نفسى نفسى، إذهبوا إلى عيسى... قال: فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله إشفع لنا عند ربك... فيقول لهم عيسى: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله، ولم يذكر ذنباً، نفسى نفسى، إذهبوا إلى غيرى، إذهبوا إلى محمد (ص).

مقالات الإسلاميين للأشعري: ١/٢١١:

واختلف الناس فى حمله العرش ما الذى يحمله؟ فقال قائلون الحملة تحمل البارى وأنه إذا غضب ثقل على كواهلهم، وإذا رضى خف!.. وقال بعضهم الحملة ثمانية أملاك. وقال بعضهم ثمانية أصناف. وقال قائلون: إنه على العرش.

الإيمان لابن تيمية/ ٤٢٤:

وفى الصحيحين فى حديث الشفاعة: يقول كل من الرسل إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله... عن النبى: الله أشد فرحاً بتوبه عبده من رجل أضل راحلته بأرض دوية مهلكة.. وكذلك ضحكك إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة، وضحكك إلى الذى يدخل الجنة آخر الناس ويقول أتسخر بى وأنت رب العالمين... وكل هذا فى الصحيح..

فتاوى ابن باز: ٢/٩٦:

وهكذا القول فى باقى الصفات، من السمع، والبصر، والرضى، والغضب، واليد، والقدم، والاصابع، والكلام، والإرادة، وغير ذلك، كلها يقال إنها معلومة من حيث اللغة العربية! فالإيمان بها واجب والكيف مجهول لنا لا يعلمه إلا الله... انتهى.

وإذا كان الكيف مجهولاً- كما يقول المفتي ابن باز فلماذا يصر على تفسيره بالظاهر الحسى ولماذا لا يكون مفوضاً مثل مفوضة السلف، اللذين أوكلوا هذه الصفات إلى الله تعالى!؟

تفسير آيات أخرى تتعلق بالموضوع

قال الصدوق في التوحيد/١٥٩:

باب تفسير قول الله عز وجل: نسوا الله فَنَسِيَهُمْ

حدثنا محمد بن محمد بن عصام الكليني رحمه الله قال: حدثنا محمد بن يعقوب الكليني قال: حدثنا علي بن محمد المعروف بعلان قال: حدثنا أبو حامد عمران بن موسى بن إبراهيم، عن الحسن بن القاسم الرقام، عن القاسم بن مسلم، عن أخيه عبدالعزيز بن مسلم قال: سألت الرضا علي بن موسى (عليهما السلام) عن قول الله عز وجل: نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ، فقال: إن الله تبارك وتعالى لا ينسى ولا يسهو، وإنما ينسى ويسهو المخلوق المحدث، ألا تسمعه عز وجل يقول: وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا، وإنما يجازى من نسيه ونسى لقاء يومه بأن ينسيهم أنفسهم، كما قال عز وجل: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. وقوله عز وجل: فَالْيَوْمَ نُنَسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا. أى نتركهم كما تركوا الإستعداد للقاء يومهم هذا.

قال مصنف هذا الكتاب (رض): قوله: نتركهم أى لا نجعل لهم ثواب من كان يرجو لقاء يومه، لأن الترك لا يجوز على الله عز وجل.

وأما قول الله عز وجل: وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ، أى لم يعالجهم بالعقوبة وأمهلهم ليتوبوا.

باب تفسير قوله عز وجل: والأرض جميعاً قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه.

حدثنا محمد بن محمد بن عصام الكليني (رض) قال: حدثنا محمد بن يعقوب الكليني قال: حدثنا علي بن محمد المعروف بعلان الكليني قال: حدثنا محمد بن عيسى بن عبيد قال: سألت أبا الحسن علي بن محمد العسكري (عليهما السلام) عن قول الله عز وجل: وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، فقال: ذلك تعبير الله تبارك وتعالى لمن شبهه بخلقه، ألا ترى أنه قال: وما قدروا الله حق قدره، ومعناه إذ قالوا: إن الأرض جميعاً قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه، كما قال عز وجل: وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، إذ قالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء، ثم نزه عز وجل نفسه عن القبضة واليمين فقال: سبحانه وتعالى عما يشركون.

حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم العجلي رحمه الله قال: حدثنا أحمد بن يحيى بن زكريا القطان قال: حدثنا بكر بن عبد الله بن حبيب قال: حدثنا تميم بن بهلول، عن أبيه، عن أبي الحسن العبدى، عن سليمان بن مهران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فقال: يعنى ملكه لا يملكها معه أحد، والقبض من الله تبارك وتعالى فى موضع آخر المنع، والبسط منه الإعطاء والتوسيع، كما قال عز وجل: وَاللَّهُ يَفْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، يعنى يعطى ويوسع ويمنع ويضيق، والقبض منه عز وجل فى وجه آخر الأخذ فى وجه القبول منه كما قال: ويأخذ الصدقات، أى يقبلها من أهلها ويثيب عليها.

قلت: فقوله عز وجل: وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ قال: اليمين اليد، واليد القدرة والقوة، يقول عز وجل: السماوات مطويات بقدرته وقوته، سبحانه وتعالى عما يشركون.

باب تفسير قول الله عز وجل: كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون

حدثنا محمد بن إبراهيم بن أحمد بن يونس المعاذى قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد الكوفى الهمدانى قال: حدثنا علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه قال: سألت الرضا علي بن موسى (عليهما السلام) عن قول الله عز وجل: كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ، فقال: إن الله تبارك وتعالى لا- يوصف بمكان يحل فيه فيحجب عنه فيه عباده، ولكنه يعنى أنهم عن ثواب ربهم لمحجوبون.

باب تفسير قوله عز وجل: وجاء ربك والملك صفاً صف

حدثنا محمد بن إبراهيم بن أحمد بن يونس المعاذي قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي الهمداني قال: حدثنا علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه قال: سألت الرضا علي بن موسى (عليهما السلام) عن قول الله عز وجل: وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا، فقال: إن الله عز وجل لا يوصف بالمجى والذهاب، تعالى عن الانتقال، إنما يعني بذلك: وجاء أمر ربك والملك صفًّا صفًّا.

باب تفسير قوله عز وجل: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة

حدثنا محمد بن إبراهيم بن أحمد بن يونس المعاذي قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي الهمداني قال: حدثنا علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه، عن الرضا علي بن موسى (عليهما السلام) قال: سألته عن قول الله عز وجل: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ، قال: يقول هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بالملائكة في ظلل من الغمام، وهكذا نزلت. انتهى. أي هكذا نزل تفسيرها معها.

باب تفسير قوله عز وجل: سخر الله منهم

وقوله عز وجل: اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ، وقوله عز وجل: وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ، وقوله عز وجل: يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ. حدثنا محمد بن إبراهيم بن أحمد بن يونس المعاذي قال حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي الهمداني قال: حدثنا علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه، عن الرضا علي بن موسى (عليهما السلام) قال: سألته عن قول الله عز وجل: سَيَخِرُّ اللَّهُ مِنْهُمْ، وعن قول الله عز وجل: اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ، وعن قوله: وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ، وعن قوله: يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ، فقال: إن الله تبارك وتعالى لا يسخر ولا يستهزئ ولا يمكر ولا يخادع، ولكنه عز وجل يجازيهم جزاء السخرية وجزاء الإستهزاء وجزاء المكر والخديعة، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

باب معنى الحجزة

حدثنا محمد بن علي ماجيلويه رحمه الله، عن عمه محمد بن أبي القاسم، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن محمد بن سنان، عن أبي الجارود، عن محمد بن بشر الهمداني قال: سمعت محمد بن الحنفية يقول: حدثني أمير المؤمنين عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة أخذ بحجزة الله، ونحن آخذون بحجزة نبينا، وشيعتنا آخذون بحجرتنا، قلت: يا أمير المؤمنين وما الحجزة قال: الله أعظم من أن يوصف بالحجزة أو غير ذلك، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ بأمر الله، ونحن آل محمد آخذون بأمر نبينا، وشيعتنا آخذون بأمرنا.

أبي رحمه الله، قال: حدثنا سعد بن عبدالله، قال حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن علي الخزاز، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة أخذ بحجزة الله، ونحن آخذون بحجزة نبينا، وشيعتنا آخذون بحجرتنا، ثم قال: والحجزة النور.

حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله قال: حدثنا محمد بن أبي عبدالله الكوفي قال: حدثنا محمد بن إسماعيل البرمكي قال: حدثني علي بن العباس قال: حدثنا الحسن بن يوسف، عن عبدالسلام، عن عمار بن أبي اليقظان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يجي رسول الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة أخذاً بحجزة ربه، ونحن آخذون بحجزة نبينا، وشيعتنا آخذون بحجرتنا، فنحن وشيعتنا حزب الله، وحزب الله هم الغالبون، والله ما نزع منها حجزة الإزار ولكنها أعظم من ذلك، يجي رسول الله صلى الله عليه وآله وأله أخذاً بدين الله، ونجى نحن آخذين بدين نبينا، وتجي شيعتنا آخذين بديننا. وقد روى عن الصادق عليه السلام أنه قال: الصلاة حجزة الله، وذلك أنها تحجز المصلي عن المعاصي مادام في صلاته، قال الله عز وجل: إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ.

باب معنى العين والاذن واللسان

أبي رحمه الله قال: حدثنا سعد بن عبد الله قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيوب، عن أبان بن عثمان، عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن لله عز وجل خلقاً من رحمته خلقهم من نوره ورحمته، من رحمته لرحمته فهم عين الله الناظرة، وأذنه السامعة، ولسانه الناطق في خلقه بإذنه، وأمناؤه على ما أنزل من عذر أو نذر أو حجة، فبهم يمحو السيئات، وبهم يدفع الضيم، وبهم ينزل الرحمه، وبهم يحيى ميتاً، وبهم يميت حياً، وبهم يتلى خلقه، وبهم يقضى في خلقه قضيته. قلت: جعلت فداك من هؤلاء؟ قال: الأوصياء.

باب معنى قوله عز وجل: وقالت اليهود يد الله مغلولة

غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يدها مبسوطتان.

أبي رحمه الله قال: حدثنا سعد بن عبد الله، قال: حدثنا أحمد بن أبي عبد الله البرقي عن أبيه، عن علي بن نعمان، عن إسحاق بن عمار، عن سمعته، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال في قوله الله عز وجل: وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ، لم يعنوا أنه هكذا، ولكنهم قالوا: قد فرغ من الأمر فلا- يزيد ولا- ينقص، فقال الله جل جلاله تكذيباً لقولهم: غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا، بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء. ألم تسمع الله عز وجل يقول: يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ.

حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله، قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن محمد بن عيسى، عن المشرقى، عن عبد الله بن قيس، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال سمعته يقول: بل يدها مبسوطتان، فقلت: له يدان هكذا، وأشرت بيدي إلى يده، فقال: لا، لو كان هكذا لكان مخلوقاً.

باب معنى قوله عز وجل: ونفخت فيه من روحي

حدثنا حمزة بن محمد العلوي رحمه الله، قال: أخبرنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أذينة، عن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله الله عز وجل: وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي، قال: روح اختاره الله واصطفاه وخلقته إلى نفسه (كذا) وفضله على جميع الأرواح، فأمر فنفخ منه في آدم.

أبي رحمه الله قال: حدثنا سعد بن عبد الله قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن فضال، عن الحلبي وزرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى أحد، صمد، ليس له جوف، وإنما الروح خلق من خلقه، نصر وتأيد وقوة، يجعله الله في قلوب الرسل والمؤمنين.

حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله قال: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، عن محمد بن إسماعيل البرمكي قال: حدثنا الحسين بن الحسن، قال: حدثنا بكر بن صالح، عن القاسم بن عروة، عن عبد الحميد الطائي، عن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي، كيف هذا النفخ؟ فقال: إن الروح متحرك كالريح، وإنما سمى روحاً لأنه اشتق اسمه من الريح، وإنما أخرجه على لفظ الروح لأن الروح مجانس للريح، وإنما أضافه إلى نفسه لأنه اصطفاه على سائر الأرواح، كما اصطفى بيتاً من البيوت فقال بيتي، وقال لرسول من الرسل خليلي، وأشبه ذلك، وكل ذلك مخلوق مصنوع محدث، مربوط مدبر.

حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رحمه الله قال: حدثنا علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أذينة، عن أبي جعفر الاصبم قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الروح التي في آدم عليه السلام والتي في عيسى عليه السلام ما هما؟ قال: روحان مخلوقان اختارهما واصطفاهما، روح آدم عليه السلام وروح عيسى عليه السلام.

حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله قال: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، عن محمد بن إسماعيل البرمكي قال: حدثنا علي بن العباس، قال: حدثنا علي بن أسباط، عن سيف بن عميرة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عز وجل: وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي، قال: من قدرتي.

حدثنا محمد بن أحمد السناني، والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتب، وعلي بن أحمد بن محمد بن عمران رضي الله عنهم قالوا: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي قال: حدثنا محمد بن أسماعيل البرمكي قال: حدثنا علي بن العباس قال: حدثنا عبيس بن هشام، عن عبد الكريم بن عمرو، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل: **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي**، قال: إن الله عز وجل خلق خلقاً وخلق روحاً، ثم أمر ملكاً فنفخ فيه، فليست بالتي نقصت من قدرة الله شيئاً من قدرته.

تم المجلد الثاني من كتاب العقائد الإسلامية

ويليه المجلد الثالث إن شاء الله تعالى، وأوله بحث الشفاعة

المجلد ٣

فهرست مطالب كتاب: العقائد الإسلامية (المجلد ٣)

العقائد الإسلامية (المجلد ٣)

مقدمة

تعريف الشفاعة و تاريخها

موقع الشفاعة من الرحمة الإلهية

شبهه حول أصل الشفاعة

مثال لتقريب فهم عقيدة الشفاعة

محاولات المستشرقين التشكيك في الشفاعة

تهافت منطلق الوهابيين في الشفاعة والاستشفاع

تعريف الشفاعة في اللغة

تعريف الشفاعة عند المتكلمين

تحريف اليهود والنصارى للشفاعة

مقولاتهم في الشفاعة من مصادرهم

عراقه عقيدة الشفاعة

شفاعة ابراهيم للمؤمنين و لاسماعيل و لوط

شفاعة زكريا لبنى إسرائيل

البشارة بالشفيع الذي سيأتي (البراقليطس)

توسيع بولس للشفاعة و حصرها بالمسيح

مقولاتهم في الشفاعة من مصادرهم

الشفاعة عند عرب الجاهلية

عبد العرب الأصنام أملا بشفاعتهم

مكانة اللات والعزى عند مشركي العرب

اليمين الرسمي المقدس عند قريش باللات والعزى

بعض الصحابة كانوا يقسمون باللات والعزى

اعتقاد قريش بنفع اللات والعزى و ضرهم
مصادرنا تروى بغض النبي لأصنام قريش
و تمسك سدن اللات والعزى بهما إلى آخر نفس
و حطم النبي كل الأصنام
و اخترعت قريش قصة الغرائق انتصارا لللات والعزى
البخارى و مسلم رويأ فريه الغرائق
نماذج من ردود علماء مذهب أهل البيت على فريه الغرائق
تنبؤ عميق للنبي حول اللات والعزى
كليات الشفاعة في القرآن
آيات الشفاعة و عناوينها
الشفاعة الحسنه والشفاعة السيئه في الدني
الشفعاء يوم القيامة يشفعون بعهد من الله تعالى
الاولياء المكرمون ينفعون مواليهم بفاعتهم
الشهداء بالحق شفعاء
الملائكة يشفعون للناس بإذن الله تعالى
الشفيع الأكبر
لا شفاعة من دون الله تعالى
لا شفاعة إلا بإذنه و من بعد إذنه
الشفعاء المزعمون لا شفاعة لهم
لا شفاعة في يوم القيامة كشفاعة الدني
الكفار يبحثون بحثا حثيثا عن الشفعاء
لا شفاعة للظالمين
شفاعة نبينا
تفسير (المقام المحمود) لنبينا
تفسير إخواننا السنين القريب من تفسيرنا
تفسيرهم الذي فيه تجسيم
القعود على العرش فكرة يهودية مسيحية
انتقاد بعض علماء السنه التفسير بالقعود على العرش
تفسير قوله تعالى (و لسوف يعطيك ربك فترضى)
تفسير الآية بالعطاء الالهى الاعم من الشفاعة
تفسيرها بالشفاعة لامته أو بالشفاعة مطلقا
تفسيرها بشفاعة النبي لأهل بيته خاصة
تفسيرها بشفاعة النبي لجميع أمته

ملاحظتان

حدود الشفاعة

المذاهب في حدود الشفاعة (من ارتضى)

حدود الشفاعة عند أهل البيت

ما دل على استثناء المشرك والظالم من الشفاعة

اصناف من الناس موعودون بالشفاعة

من قضى لأخيه المؤمن حاجة

من سعى في حوائج ذرية النبي

من زار قبر النبي

من زار أخاه المؤمن لوجه الله تعالى

من يدعو للمؤمنين

شفاعة الملائكة لأهل مجلس الدعاء

من شيع جنازة مسلم

من حفظ على أمتي أربعين حديثاً

من عاهد أخاه المؤمن على الشفاعة

مجموعة أعمال و صفات توجب الشفاعة

اصناف لا تنالهم الشفاعة

السلطان الظالم الغشوم

المنان والبخيل والنمام

الذين يخرجون من النار بالشفاعة يكونون أدنى درجة

رأى السنين القريب من رأى أهل البيت

شرط الشفاعة في المظالم الشخصية

نتيجة

توسيعات الشفاعة عند الخليفة عمر و أتباعه

ان الشفاعة تشمل كل من شهد الشهادتين حتى الطلقاء والمنافقين

ان الشفاعة تشمل كل من شهد بتوحيد الله تعالى

ملاحظات على روايات هذا الرأى

احاديث أن الله تعالى يشفع عند نفسه

ان الشفاعة تشمل جميع الخلق

ان العقاب في الآخرة ينتهى كلياً و أن جهنم تفنى و ينقل أهلها إلى الجنة

آراء المسلمين في آيات الخلود و أحاديثه

اجمع المسلمون على خلود الكفار في جهنم

الروايات التي توافق هذا الرأى عند إخواننا السنين

سبب خلود أهل النار فيه
آيات الخلود في الجنة والنار
عدم خلود الموحدين في النار في مصادر
عدم خلود الموحدين في النار في مصادر السنين
روايات في الصحاح تقول بخلود الموحدين في النار
ما دل من مصادرنا على أن الدار الآخرة لا موت فيه
ما دل من مصادر السنين على أن الدار الآخرة لا موت فيه
عودة إلى رأى عمر بفناء النار
الجهمية أخذت من الخليفة عمر
والمرجئة أخذوا من عمر
و ابن العاص أخذ من عمر
و روى عن ابن مسعود أنه وافق عمر
و الشعبي أخذ من عمر
و المعتزلة أخذت من عمر
و الجاحظ أخذ من عمر
و ابن عربى والجيلي أخذوا من عمر
اما عمر فقد أخذ من كعب الأحبار واليهود
عمر ينظر إلى كعب كأنه نبي و يتلقى منه
شفاعات و حرمانات غير معقولة روتها مصادر السنين
شفاعه اثنين لصاحب الجنازه
رأى أهل البيت فى الشهادة للجنازه
شفاعه النبى للظالمين من الامه
قال كعب الأحبار هم جميع المسلمين و هم فى الجنة
و قال الخولانى إنه قرأ ذلك فى كتب اليهود
عائشه و عثمان يوافقان كعبا على تفسيره
الحسن البصرى يرد تفسير كعب الأحبار
الخليفة عمر يميل إلى تفسير كعب
قال أهل البيت لا يمكن أن تشمل الآية كل الأمم
نظريه فداء المسلمين باليهود والنصارى
اسقاط المحرمات عن أهل بدر
حرمان من سب الصحابه من الشفاعه
الدخول إلى جهنم
حرمان من الشفاعه بسبب صبغ الشعر

ماذا يصنع رواة الخلافة القرشية بهذه الأحاديث

رأى أهل البيت

خلاصة المسألة

مرسوم بحرمان الزوجة التي تطلب الطلاق

محاولة القرشيين حرمان بنى هاشم من شفاعه النبي

حساسيه قريش من أسرة النبي

حادثة خطيرة، عتمتها الصحاح

براعة البخارى فى تضييع القضية

ماذا قال كبار الشراح؟

الحادثة فى بعض روايات أهل البيت

وسعوا شفاعه النبي لليهود والنصارى و لم يسمحوا أن تشمل أسرته

روايات أخرى غير منطقية أيضا

اغرب شفاعه اخترعها القرشيون لرئيس بنى هاشم

بماذا يفسرون قول النبي سألها ببلاله

ضحضاح النور لا ضحضاح النار

محاولتهم التخلص من الوعد النبوى لبنى هاشم

عمل المعروف ينجى الكفار من النار إلا أبا طالب

احاديث نجت من الرقابة القرشية

بخلهم على أبى طالب و خديجة و سخاؤهم على غيرهم

اهم الأدلة على إيمان أبى طالب

ولادة المذاهب المنحرفة من أفكار توسيع الشفاعه

عمل اليهود على إسقاط المحرمات من الأديان

اخبار النبي بظهور المرجئه والقدرية و تحذيره منهم

تعريف المرجئه و مذهبهم

المرجئه ولدوا من عهد الخليفة عمر

اول من تصدى لمذهب المرجئه على

كان المرجئه خداما لبنى أمية و مبررين لجرائمهم

تورط أصحاب المذاهب الأربعة فى الإرجاء

تورط أصحاب الصحاح الستة فى الارجاء

حب المستشرقين للمرجئه و حزنهم عليهم

المرجئه والجبرية شقيقان لاب و أم

القدرية المفوضة (الذين ينفون القدر)

القدرية الجبرية (الذين يشبتون القدر)

القدر عند أهل البيت: لا جبر ولا تفويض
 ردة فعل الخوارج على توسيع الدولة للشفاعة
 تبادل المواقع بين الخوارج والمرجئة
 المعتزلة مثقفون متوسطون بين الدولة والخوارج
 الصغائر تغفر والكبائر لا تغفر إلا بالتوبة
 و صاحب الكبيرة في النار ولا تشملها الشفاعة
 المزيد من تأثير الإسرائيليات على أحاديث الشفاعة
 اتفق الجميع نظريا على أن الشفاعة من مختصات نبينا
 نبينا أول شافع يوم القيامة
 الاحاديث الموافقة لمذهبنا في مصادر السنيين
 الاحاديث المتأثرة بالاسرائيليات في مصادر السنيين
 البخارى يفضل أنبياء بنى إسرائيل على نبينا
 احسن تصور في مصادر السنيين عن شفاعة نبينا
 مسألنا: الذبيح و أول من يكسى كسوة الجنة يوم القيامة
 رأى أهل البيت
 بحث فى إيمان عبدالمطلب و روايه أنا ابن الذبيحين
 عبدالمطلب عليه سيماء الأنبياء و بهاء الملوك
 آراء شيعية مخالفة للمشهور فى الذبيحين
 رأى الشيخ الصدوق بأن إسحاق ذبيح أيضا
 محاولة أحد المعاصرين تفسير الذبيحين بإسماعيل و إسحاق
 اول من يكسى كسوة الجنة
 شفاعة الملائكة والأنبياء والعلماء والشهداء
 من مصادرنا
 من مصادر السنيين
 ما يوجب أمل المسلم بشفاعة إخوانه المؤمنين له
 من مصادر السنيين
 شفاعة القرآن، والكعبة، والحجاج، والزوار
 و اصناف أخرى من الناس...
 شفاعة القرآن
 شفاعة سور القرآن و آياته
 شفاعة القرآن لمن يتعلمه و يعلمه
 شفاعة الكعبة لمن زاره
 شفاعة حجاج بيت الله الحرام

شفاعة النبي الخاصة لزوار قبره

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم السلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين
وبعد، فهذا هو المجلد الثالث من كتاب العقائد الإسلامية، وقد اشتمل على أكثر مسائل الشفاعة، وعدد من البحوث النافعة فيها.
ونظراً لأهمية مسائل الشفاعة، فقد حاولنا استقصاء الآراء فيها، وتعرضنا أحياناً لآراء غير المسلمين.
وتلاحظ ما تعرضت له من تحريفات كبيرة بعد الأنبياء عليهم السلام خدمة لأغراض سياسية وثقافية، بعيدة عن الدين الإلهي!!
وقد ساعد على ذلك أنها من عقائد الغيب والآخرة غير المنظورة، التي يسهل على المحرفين التحريف فيها، ويصعب كشف عملهم.
نسأله تعالى أن يجعلنا من المشمولين بشفاعة سيد المرسلين وآله الطيبين الطاهرين، وأن يصلى عليهم أجمعين.
مركز المصطفى للدراسات الإسلامية
على الكوراني العالمي

تعريف الشفاعة و تاريخها

موقع الشفاعة من الرحمة الإلهية

الرحمة الإلهية وسعت كل شيء، ولا يمكن للبشر أن يحصوا أعدادها.. ولا أنواعها.. لكن نشير إلى ستة أنواع كبرى منها، ليتضح موقع الشفاعة من بينها.
النوع الأول: التوبة، التي تمحو السيئات.
النوع الثاني: أن السيئة بواحدة والحسنة بعشرة.
النوع الثالث: أن نية الحسنة تكتب، ونية السيئة لا تكتب.
النوع الرابع: أن الحسنات يذهبن السيئات.
النوع الخامس: أنواع الرحمة الإلهية الخاصة بالآخرة.
النوع السادس: الشفاعة، وهي نوع من الوساطة إلى الله تعالى من وليٍّ مقرب عنده ليغفر لمذنب ويسامحه.

شبهة حول أصل الشفاعة

يدور في ذهن البعض سؤال عن أصل الشفاعة مفاده: أن رحمة الله تعالى ومغفرته وسعت وتسع كل شيء، وهي تتم بشكل مباشر، فلماذا يجعلها الله تعالى تحتاج إلى واسطة عباده مثل الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام)؟
والجواب: أن الرحمة الإلهية المباشرة في الدنيا والآخرة أنواع كثيرة لا تحصى، ولا يمنع أن يكون منها رحمة غير مباشرة جعلها الله تعالى مرتبطة بالدعاء والشفاعة لمصالح يعلمها سبحانه، كأن يريد رحمة عدد كبير من عباده بالشفاعة، ويظهر كرامته أنبيائه وأوليائه عنده..

فالشفاعة من ناحية عقلية لا مانع منها ولا إشكال فيها، نعم، لا تثبت إلا بدليل، وفي الحدود والدائرة التي يدل عليها الدليل.

مثال لتقريب فهم عقيدة الشفاعة

يمكن تقريب الشفاعة إلى الذهن بأنها (قاعدة الاستفادة من الدرجات الإضافية) كأن يقال للطالب الذي حصل على معدل عال: يمكنك أن تستفيد من النمرات الإضافية على معدل النجاح فتعطيها إلى أصدقائك، الأقرب فالأقرب من النجاح..

ولنفرض أن الإنسان يحتاج للنجاه من النار ودخول الجنة إلى ٥١ درجة (من رجحت حسناته على سيئاته) فالذي بلغ عمله ٤٠٠ درجة مثلاً- يسمح له أن يوزع ٣٤٩ درجة على أعزائه، ولكن ضمن شروط، مثل أن يكونوا من أقربائه القريبين، وأن يكون عند أحدهم ثلاثين درجة فما فوق، وذلك لتحقيق أفضل استفادة وأوسعها من هذه الدرجات الاضافية.

وقد نصت بعض الأحاديث عن الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) على أن شفاعة المؤمن تكون على قدر عمله، ففي مناقب آل أبي طالب: ٢/١٥ عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةً.. الآية، قال: ذلك النبي صلى الله عليه وآله وعلى عليه السلام يقوم على كوم قد علا الخلاق فيشفع ثم يقول: يا على إشفع، فيشفع الرجل في القبيلة، ويشفع الرجل لأهل البيت ويشفع الرجل للرجلين على قدر عمله. فذلك المقام المحمود. انتهى. وورد شبيهه به في مصادر السنة أيضاً.

وعلى هذا، فالشفاعة مقننة بقوانين دقيقة حكيمة مثل كل الأعمال الإلهية الدقيقة والحكيمة، وليست كما يتصوره البعض من نوع الوساطات والمحسوبيات والمنسوبيات الدنيوية.

وبما أن درجات الملائكة والأنبياء والأوصياء صلوات الله عليهم ودرجات المؤمنين متفاوتة، وأعظمهم عملاً وأعلامهم درجة نبينا صلى الله عليه وآله فليس غريباً أن يكون أعظمهم شفاعة عند الله تعالى.

وبما أن سيئات الناس تتفاوت دركاتها ويصل بعضها إلى تحت الصفر بألوف الدرجات مثلاً.. فإن الذين تشملهم الشفاعة هم الأقرب إلى النجاح والافضل من مجموع المسيئين، وقد وردت في شروطهم عدة أحاديث، منها عن النبي صلى الله عليه وآله (إن أدناكم مني وأوجبكم عليّ شفاعة: أصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانةً، وأحسنكم خلقاً، وأقربكم من الناس). مستدرك الوسائل: ١١/١٧١. قال أبو الصلاح الحلبي في الكافي/٤٩٧:

إن قيل: فإذا كانت الإثابة والمعاقبة مختصتين به تعالى، فكيف يصح لكم ما تذهبون إليه من الحوض واللواء والوقوف على الاعراف، وقسمه النار وإدخال بعض إليها وإخراج بعض منها، مع كون ذلك ثواباً وعقاباً؟

قيل: لا- شبهة في اختصاص أمور الآخرة أجمع به تعالى، غير أنه تعالى ردّها أو ردّها منها إلى المصطفين من خلقه: رسول الله وأمير المؤمنين والأئمة من آلهم صلوات الله عليهم، فأوردوها عن أمره وأصدروها. كما يضاف تعذيب أهل النار وتزليل أهل الجنة حاصلاً بالملائكة المأذون لهم فيه... وليس لأحد أن يقول: فأى ميزة لهم بتولى هذه الأمور على غيرهم في الفضل وهي موقوفة على إذنه تعالى، لأن الآخرة لما كانت أفضل الدارين بكونها دار الجزاء وغاية المستحقين، وجعل الله سبحانه إلى هؤلاء المصطفين أفضل منازل وأسنى درجاته من اللواء والحوض والشفاعة وقسمه النار، دل على تخصصهم من الفضل بما لا مشارك لهم فيه.

محاولات المستشرقين التشكيك في الشفاعة

وقد حاول بعضهم الإشكال على قانون الشفاعة في الإسلام فتصوره أو صورته بأنه من نوع الوساطات الدنيوية المخالفة للعدالة، التي يفعلها الناس عند الحكام الظلمة لمن يحبونه من المجرمين.. وقد مدح جولد تسيهر في كتابه مذاهب التفسير الإسلامي/١٩٢ المعتزلة وزعم أنهم لم يقبلوا الشفاعة لأنها تنافي العدالة، قال: والمعتزلة.. لا يريدون التسليم بقبول الشفاعة على وجه أساسي حتى لمحمد ذلك بأنه يتعارض مع اقتناعهم بالعدل الإلهي المطلق. انتهى.

ولكن لا يمكن لعادل أن يدعي بأن زيادة الرحمة الإلهية والمغفرة للمذنبين بأسباب متعددة، أمرٌ يتنافى مع العدالة الإلهية!!

ثم إن الذي نفاه المعتزلة هو شمول الشفاعة لأهل الكبائر، ولم ينفوا الشفاعة لمرتكبي المعاصي الصغائر، كما سيأتي في محله.

على أن تسيهر اليهودي نفسه يعتقد بالشفاعة التي يزعمها اليهود لكل بني إسرائيل دون سواهم من البشر، ولا يراها منافية للعدالة

الإلهية، فلا معنى لمدحه المعتزلة بأنهم يرفضون الشفاعة لأنهم طلاب مساواة!

تهافت منطق الوهابيين في الشفاعة والاستشفاع

والأعجب من المستشرقين الوهابيون.. حيث يتوسعون في الشفاعة فيجعلونها تشمل اليهود والنصارى وجميع الخلق، على حد تعبير ابن تيمية، قال في مجموعة رسائله: ١/١٠: أجمع المسلمون على أن النبي (ص) يشفع للخلق يوم القيامة بعد أن يسأله الناس ذلك وبعد أن يأذن الله في الشفاعة. ثم أهل السنة والجماعة متفقون على ما اتفقت عليه الصحابة... أنه يشفع لأهل الكبائر، ويشفع أيضاً لعموم الخلق. انتهى.

ولكنهم في نفس الوقت يحرمون الاستشفاع والتوسل بالنبي صلى الله عليه وآله ويعتبرونه شركاً، مع أن الاستشفاع هو طلب شفاعة النبي صلى الله عليه وآله إلى الله تعالى في الآخرة، أو في أمر من أمور الدنيا!

إن التناسب بين الاعتقاد بسعة الشفاعة في الآخرة يقتضي تجويز الاستشفاع بأهلها في الدنيا!

وبتعبير آخر: إن تحريم الاستشفاع والتوسل في الدنيا، يناسبه إنكار الشفاعة في الآخرة، لا القول بسعتها لجميع الخلق!

وقد التفت إلى ضرورة هذا التناسب بعض المتأثرين بالفكر الوهابي في تحريم التوسل والاستشفاع، فأنكر شفاعة نبينا صلى الله عليه وآله بمعناها المعروف، وفسرها بتفسير شاذ جعل منها أمراً شكلياً بعيداً عن أفعال الله تعالى.

قال فيما قال: إن الشفاعة هي كرامته من الله لبعض عباده فيما يريد أن يظهره من فضلهم في الآخرة فيشفعهم في من يريد المغفرة له ورفع درجته عنده، لتكون المسألة في الشكل واسطة في النتائج التي يتمثل فيها العفو الإلهي الرباني، تماماً كما لو كان النبي السبب أو الولي هو الواسطة.

إلى أن قال: وفي ضوء ذلك لا معنى للتقرب للأنبياء والأولياء ليحصل الناس على شفاعتهم، لأنهم لا يملكون من أمرها شيئاً بالمعنى الذاتى المستقل. بل الله هو المالك لذلك كله على جميع المستويات، فهو الذى يأذن لهم بذلك في مواقع محددة ليس لهم أن يتجاوزوها. الأمر الذى يفرض التقرب إلى الله فى أن يجعلنا ممن يأذن لهم بالشفاعة له. انتهى.

ولم يصرح صاحب هذا القول بحرمه طلب الشفاعة من الأنبياء والأولياء (عليهم السلام)، ولكن محمد ابن عبد الوهاب صرح بذلك، واعتبر طلب الشفاعة منهم (عليهم السلام) شركاً! قال (فالشفاعة كلها لله فاطلبها منه، وقل: اللهم لا تحرمنى شفاعة الله شفعه فى. وأمثال هذا.

فإن قال: النبي (ص) أعطى الشفاعة، وأنا أطلب مما أعطاه الله.

فالجواب: أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا، وقال: فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا... الخ).

وقد قسم ابن عبد الوهاب الشفاعة إلى شفاعة منفية، وهى التى (تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله) وشفاعة مثبتة، وهى (التى تطلب من الله الشافع المكرم بالشفاعة... الخ). انتهى.

والجواب الكلى على هذه المقولة أنها دعوى بدون دليل، نشأت من سوء الفهم لمعنى الشفاعة، ومعنى طلبها من الشافع، ومعنى الاستشفاع والتوسل إلى الله تعالى بالنبي وآله صلى الله عليه وآله وأوليائه المقربين! فافترضت فيها معان لا توجد فيها!!

والجواب عنها بشيء من التفصيل، أنها تتضمن شبهتين ينبغى التفكيك بينهما:

فالشبهة الأولى حول الشفاعة، ومفادها أن آيات الشفاعة وأحاديثها، يجب أن تحمل على المجاز، لأن الشفاعة فيها أمرٌ شكلى لا حقيقى!

ولم يذكر صاحب هذه الشبهة دليلاً على لزوم ترك المعنى الحقيقى وحمل نصوص الشفاعة على المجاز، بل لم نجد أحداً من الوهابيين ذكر ذلك.. نعم ذكر محمد رشيد رضا إشكال بعضهم على ذلك وأجاب عنه بما قد يفهم منه أن الشفاعة أمرٌ شكلى!

قال في تفسير المنار: ٨/١٣:

فإن قيل: أليس الشفعاء يؤثر في إرادته تعالى، فيحملونه على العفو عن المشفوع لهم والمغفرة لهم؟ قلنا: كلا إن المخلوق لا يقدر على التأثير في صفات الخالق الأزلية الكاملة... فيكون ذلك إظهار كرامة وجه لهم عنده، لا إحداث تأثير الحادث في صفات القديم وسلطان له عليها، تعالى الله عن ذلك. انتهى.

ومفاد هذه الشبهة أن القول بالشفاعة الحقيقية يستلزم أن تكون إرادة الخالق متأثرة بإرادة المخلوق، وهو محال، فلا بد من القول بأن الشفاعة شكلية!!

وكذلك القول بتعليق بعض أفعاله تعالى على طلب أنبيائه وأوليائه منه، مثل الرزق، والشفاء، والمغفرة، والنجاة من النار وإدخال الجنة.. لا بد أن يكون شكلية، لأن الحقيقي منه محال.

والجواب عنها: أن أصحاب هذه الشبهة أخطأوا في تخيلهم أن تعليق الله تعالى لمغفرته أو عطائه على طلب مخلوق، معناه تأثير المخلوق في إرادته سبحانه وتعالى! فإن تعليق الإرادة على شيء ممكن بالوجدان، ولا محذور فيه، لأنه بذاته فعل إرادى وتأكيد للإرادة لا سلبها، أو جعلها متأثرة بفعل آخر، أو شيء آخر.. لقد تصور هؤلاء أن الشفاعة من الله، إذا أعطيت لآحد تصير شفاعة من دون الله تعالى، فوقعوا في هذه الشبهة!

أما إذا قالوا إن ذلك ممكن ولكن الله تعالى لا يفعله لأنه لا يجوز له، فلا دليل لهم عليه من عقل، ولا قول الله تعالى ولا قول رسوله صلى الله عليه وآله.

وإن كانوا يمنعون من عند أنفسهم، فهو تعدد على الله تعالى، وتحديد لصلاحيات من لا يسأل عما يفعل، وهم يسألون!

ثم إن اللغة تأبى عليهم ما قالوه، فأيات الشفاعة وأحاديثها ظاهرة في الشفاعة الحقيقية لا الشكلية، ولا يمكنهم صرفها عن ظاهرها! والشبهة الثانية حول الاستشفاع بالنبي وآله صلى الله عليه وآله، وهي الشبهة التي يكررها ابن تيمية والوهابيون، وهي غير شبهة الشفاعة وإن كانت مرتبطة بها.

ومفادها أن طلب الشفاعة حتى ممن ثبت أن الله تعالى أعطاهم إياها حراماً، لأنه شرك بالله، وادعاء لهؤلاء المخلوقين بأنهم يملكون الشفاعة من دون الله تعالى!!

وقد استدل ابن عبد الوهاب على ذلك بآيات النهي عن اتخاذ شريك مع الله كقوله تعالى (فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا).

والجواب عنها: أنه ثبت من القرآن والسنة أن كثيراً من الأفعال الإلهية تتم بواسطة الملائكة، وليس في ذلك أى شرك لهم مع الله تعالى، لا في ملكه، ولا في أمره، بل هم عباد مكرمون مطيعون. ولا مانع من العقل أو النقل أن يجعل الله تعالى أنواعاً من أفعاله وعطائه بواسطة الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) أو يجعلها معلقة على طلبهم منه!

ولا يصح التفريق بين الأمرين والقول بأن ذلك إن كان بواسطة الملائكة فهو إيمان لانهم لا يصيرون شركاء، أما إن كان بواسطة غيرهم فيصيرون شركاء لله تعالى!

أو القول بأن تعليق العطاء الإلهي على طلب الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) شراكة لله تعالى وشرك به، لكن شراكة الملائكة لله تعالى والشرك بهم لا بأس به!!

نقول لأصحاب هذه الشبهة: إقرؤوا قول الله تعالى: وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا. الفتح: ٤.

وقوله تعالى: وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا. الفتح: ٧.

وقوله تعالى: وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ. المدثر: ٣١.

ثم نقول لهم: نحن وأنتم لا يحق لنا أن نقسم رحمة الله تعالى أو نحصرها، أو نحصر طرقها، أو نضع له لائحة فتاوى لما يجوز له أن يفعله وما لا يجوز!

ومعرفتنا ومعرفتكم بما يمكن له تعالى أن يفعله وما لا يمكن، إنما جاءت مما دلنا عليه العقل دلالة قطعية، أو دلنا عليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله.

والعقل لا يرى مانعاً في أن يربط الله تعالى أفعاله بطلب ملائكته أو أوليائه، فيجعلهم أدوات رحمته، ووسائل فيضه، ووسائل عطائه.. وذلك لا يعنى تشريكهم في ألوهيته، بل هم عباده المكرمون المطيعون، ووسائله وأدواته التي يرحم بها عباده.

هذا من ناحية نظرية.. وأما من ناحية الوقوع والثبوت، فقد دل الدليل على أن أنظمة الفعل الإلهي وقوانينه واسعة ومعقدة، ودل على أنه تعالى جعل كثيراً من عطائه - إن لم يكن كله - عن طريق خيرة عباده من الملائكة والأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) ودل الدليل على جواز الاستشفاع والتوسل بنبينا وآله صلى الله عليه وآله والطلب من الله تعالى بحقهم وحرمتهم وواسطتهم، سواء في ذلك أمور الدنيا والآخرة..

ودل الدليل على أن موتهم (عليهم السلام) ليس كموت غيرهم، وأن حرمتهم أمواتاً كحرمتهم أحياء صلوات الله عليهم. وقد قال تعالى في آخر سورة أنزلها من كتابه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. المائدة: ٣٥، ولا فرق في أصحاب الوسيلة إلى الله تعالى بين الملائكة وغيرهم، بل التوسل بنبينا صلى الله عليه وآله أفضل وأرجى من التوسل بالملائكة، لأنه أفضل مقاماً عند الله منهم.

وسياتى ذلك في بحث التوسل والاستشفاع، إن شاء الله تعالى. ويأتى أنه يجوز لنا أن نطلب العطاء الإلهي المعلق على شفاعه الأنبياء والأولياء، أو غير المعلق، منهم أنفسهم (عليهم السلام) ولا يعتبر ذلك شركاً، بل هو طلب من الله تعالى. وأن حكم التوسل بالأنبياء والأولياء والاستشفاع بهم إلى الله تعالى، لا يختلف بين الاموات منهم والاحياء (عليهم السلام).. إلى آخر المسائل التي خالف فيها الوهابيون عامة المسلمين.

وقد أجاب السيد جعفر مرتضى في كتابه خلفيات مأساة الزهراء عليها السلام / ٢٢١ - ٢٢٥ على الشبهتين المذكورتين، ومما قاله:
١ - إن الكل يعلم: أن لا أحد يدعو محمداً صلى الله عليه وآله أو علياً عليه السلام أو أى نبي أو ولى كوجودات منفصلة عن الله تعالى ومستقلة عنه بالتأثير، ولم تحدث في كل هذا التاريخ الطويل أن تكونت ذهنية شرك عند الشيعة نتيجة لذلك فضلاً عن غيرهم.
٢ - إننا نوضح معنى الشفاعه في ضمن النقاط التالية:

أ - إن الإنسان المذنب قد لا يجد في نفسه الاهلية أو الشجاعه لمخاطبة ذلك الذى أحسن إليه وأجرم هو فى حقه، أو هكذا ينبغى أن يكون شعوره فى مواقع كهذه، فيوسط له من يحل مشكلته معه ممن لا يرد هذا المحسن طلبهم ولا يخيب مسألتهم..

ب - إن الله إنما يريد المغفرة للعبد المذنب بعد شفاعه الشفيح له.. ولم تكن تلك الإرادة لتتعلق بالمغفرة لولا تحقق الشفاعه.. فلو أن الشفيح لم يبادر إلى الشفاعه لكان العذاب قد نال ذلك العبد المذنب.

وهذا كما لو صدر من أحد أولادك ذنب فتبادر إلى عقوبته، فإذا وقف فى وجهك من يعز عليك وتشفع به فإنك تعفو عنه إكراماً له، وإن لم يفعل ذلك كما لو لم يكن حاضراً مثلاً فإنك ستمضى عقوبتك فى ذلك الولد المذنب لا محالة.. فالشفاعه على هذا سبب فى العفو أو جزء سببه له.

إذن فليس صحيحاً ما يقوله البعض من أن الله تعالى له قد تعلقت إرادته بالمغفرة للعبد قبل الشفاعه بحيث تكون المغفرة له حاصله على كل حال، ثم يكرم الله نبيه ويقول له: هذا العبد أريد أن أغفر له فتعال وتشفع إلى فيه..

ج - إذا كان الشخص المذنب قد أقام علاقة طيبة مع ذلك الشافع وتودد إليه ورأى منه سلوكاً حسناً واستقامه وانقياداً، فإن الشافع يرى أن من اللائق المبادرة إلى مساعدته فى حل مشكلته أما إذا كان قد أغضبه وأساء إليه أو تعامل معه بصورة لا توحى بالثقة ولا تشير إلى الإستقامة، فإنه لا يبادر إلى مساعدته ولا يلتفت إليه.. فسلك المشفوع له أثر كبير فى مبادرة الشافع إلى الشفاعه.

د - وحين يكون الشفيح لا- يريد شيئاً لنفسه من ذلك الشخص ولا من غيره ويكون ما يرضيه هو ما يرضى الله سبحانه فإن تقديم

الصدقات والقربات للفقراء والإهتمام بما يرضى الشافع، هو فى الواقع إثباتات عملية على أن ذلك المذنب راغب فى تصحيح خطئه وتدارك مافاتة، وهو براهين وإثباتات على أنه قد التزم جادة الإستقامة وندم على ما فرط منه، فإذا قدم مالا للفقراء أو أطعم أو ذبح شاة وفرقها على المحتاجين، فإن ذلك لا يكون رشوة للنبي أو الولي.. وهو يعلم أن النبي والولي لا يأخذ ذلك لنفسه بل يعود نفعه إلى الفقراء والمحتاجين أو يستثمر فى سبيل الله وفى نشر الدين والباذل إنما يبذل ذلك رغبة فى الحصول على رضا الشافع الذى رضاه رضا الله.

هـ - أما إذا أدار ذلك المذنب ظهره للنبي والوصى ولم يلمس الشافع منه أنه يتحرق لتحصيل العفو والرضا عنه، ويقرع كل باب ويتوسل بكل ما من شأنه أن يحل هذا الإشكال، ويبادر إلى العمل بكل ما يعلم أنه يرضى سيده عنه، فإنه لا يشفع له ولا كرامته..
و - ومن الواضح: أن من يكون جرمه هائلا وعظيما فإن إمكانية وفرص الاقدام على الشفاعة له تتضاءل وتضعف.. فلا يضع النبي والوصى نفسه فى مواضع كهذه ولا يرضى الله سبحانه له ذلك. كما أن من يدير ظهره لأولياء الله ولا يهتم لرضاهم ولا يزعجه سخطهم فإنه لا يستحق شفاعتهم قطعاً، لأن الإهتمام بهم وبرضاهم جزء من عبادته تعالى ومن المقربات إليه وموجبات رضاه.. فالتوسل إليهم والفوز بمحبتهم وبرضاهم سبيل نجاه وطريق هدى وسلامة وسعادة.

ز - إن من الواضح أن المجرم لا يمكن أن يتشفع فى مجرم مثله، وأن المقصر لا يتشفع بنظيره، لأن الشفاعة مقام عظيم وكرامة إلهية فلا يقبل الله سبحانه شفاعة كل أحد، بل الذين يشفعون هم أناس مخصصون بكرامة الله سبحانه لانهم يستحقونها..

ح - قد ظهر مما تقدم: أن إرادة الله لم تكن قد تعلقت بالمغفرة للمذنب قبل الشفاعة لتكون شفاعة النبي أو الوصى بعدها - بالشكل - ومن دون أن يكون لها تسبب حقيقى.. بل هناك تسبب حقيقى للشفاعة، فإنها هى سبب المغفرة وهى سبب إرادة الله بأن يغفر لذلك المذنب ولو لم يقم الشافع بها لم يغفر الله لذلك المذنب.
ولولا ذلك فإنه لا يبقى معنى للشفاعة.. ولا يكون العفو إكراماً للشافع واستجابة له. انتهى.

تعريف الشفاعة فى اللغة

قال الخليل فى كتاب العين: ١/٢٦٠:

الشافع: الطالب لغيره، وتقول استشفعت بفلان فتشفع لى إليه فشفعه فى. والاسم: الشفاعة. واسم الطالب: الشفيع. قال:

زعمت معاشر أننى مستشفع لما خرجت أزوره أقلامه

أى: زعموا أنى أستشفع (بأقلامهم) أى بكتبهم إلى الممدوح، لا بل إنى أستغنى عن كتب المعاشر بنفسى عند الملك. والشفعة فى الدار ونحوها معروفة يقضى لصاحبها. والشافع: المعين، يقال فلان يشفع لى بالعداوة، أى يعين على ويضادنى قال النابغة: أتاك امرؤ مستعلن شأنهله من عدو مثل ذلك شافع أى: معين. وقال الاحوص: بأن من لا منى لاضررها كانوا علينا بلوهم شفعاوى: أعانوا.

وقال الراغب فى المفردات/٢٦٣:

الشفع: ضم الشئ إلى مثله ويقال للمشفوع شفع. وَالشَّفْعُ وَالْوَتْرُ: قيل الشفع المخلوقات من حيث إنها مركبات كما قال: ومن كل شئ خلقنا زوجين. والوتر هو الله من حيث إن له الوحدة من كل وجه.

وقيل: الشفع يوم النحر من حيث إن له نظيراً يليه، والوتر يوم عرفة. وقيل الشفع ولد آدم والوتر آدم لأنه لا عن والد.

والشفاعة: الإنضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه، وأكثر ما يستعمل فى انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى. ومنه الشفاعة فى القيامة قال (لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا. لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ. لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ، أى لا يشفع لهم. وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ. مِنْ حَمِيمٍ وَ لا شَفِيعٍ مَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً. وَمَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً سَيِّئَةً، أى من انضم إلى غيره وعاونه وصار شفعا له أو شفيعاً فى فعل الخير والشر

فعاونه وقواه وشاركه في نفعه وضره.

وقيل الشفاعة هاهنا أن يشرع الإنسان للآخر طريق خير أو طريق شرف فيقتدى به، فصار كأنه شفيع له وذلك كما قال عليه السلام: من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها، ومن سن سنة سيئة فعليها وزرها ووزر من عمل بها، أي إثمها وإثم من عمل بها وقوله: ما من شفيع إلا- من بعد إذنه، أي يدبر الأمر وحده لا- ثانياً له في فصل الأمر إلا أن يأذن للمدبرات والمقسمات من الملائكة فيفعلون ما يفعلونه بعد إذنه. واستشفعت بفلان على فلان فتشفع لي، وشفعه أجاز شفاعته، ومنه قوله عليه السلام: القرآن شافع مشفع. والشفعة: هو طلب مبيع في شركته بما بيع به ليضمه إلى ملكه، وهو من الشفع وقال عليه السلام: إذا وقعت الحدود فلا شفعة. وقال في المفردات/٤٣٦:

وأما قوله: مَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً إِلَى قَوْلِهِ: يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا، فَإِنَّ الْكِفْلَ هَهُنَا لَيْسَ بِمَعْنَى الْأَوَّلِ بَلْ هُوَ مُسْتَعَارٌ مِنَ الْكِفْلِ وَهُوَ الشَّيْءُ الرَّدِيُّ.

وقال الزبيدي في تاج العروس: ٥/٤٠١:

وشفيعته فيه تشفيعاً حين شفع كمنع شفاعة، أي قبلت شفاعته، كما في العباب قال حاتم يخاطب النعمان:

فَكَكَّتْ عَدِيًّا كُلَّهَا مِنْ إِسَارِهَا فَأَفْضَلَ وَشَفَعَنِي بِقَيْسِ بْنِ جُحَدِرٍ

وفي حديث الحدود: إذا بلغ الحد السلطان فلن الله الشافع والمشفع.

وفي حديث أبي مسعود (رض): القرآن شافع مشفع وماحل مصدق، أي من اتبعه وعمل بما فيه فهو شافع له مقبول الشفاعة من العفو عن فرطاته، ومن ترك العمل به ندم على إساءته وصدق عليه فيما يرفع من مساويه، فالمشفع الذي يقبل الشفاعة. والمشفع الذي تقبل شفاعته، ومنه حديث الشفاعة: إشفع تشفع، واستشفعه إلينا، وعبارة الصحاح واستشفعه إلى فلان أي سأله أن يشفع له إليه، وأنشد الصاغانى للاعشى:

تقول بنتى وقد قربت مرتحلاً يا رب جنّب أبى الاوصاب والوجع

واستشفعت من سراة الحى ذا شرف فقد عصاها أبوها والذى شفع

يريد والذى أعان وطلب الشفاعة فيها. وأنشد أبو ليلى:

زعمت معاشر أننى مستشفع لما خرجت أزوره أقلامه

قال زعموا أنى أستشفع بأقلامهم فى الممدوح أى بكتبهم.

ومما يستدرك عليه الشفيع من الأعداد ما كان زوجاً، والشفع ما شفع به سمي بالمصدر، وجمعه شفاع، قال كثير:

وأخو الاباءة إذ رأى خلانه تلى شفاعة حوله كالأذخر

شبههم بالأذخر لأنه لا يكاد ينبت إلا زوجاً زوجاً. وشاة شفوع كشافع ويقال هذه شاة الشافع كقولهم صلاة الأولى ومسجد الجامع.

وهكذا روى في الحديث الذى تقدم عن سعر بن ديسم (رض)، وشاة مشفع كمكرم ترضع كل بهيمة، عن ابن الأعرابى. وتشفع إليه فى فلان: طلب الشفاعة، نقله الجوهري. وتشفعه أيضاً مطاوع استشفع به كما فى المفردات. وتشفع صار شافعى المذهب وهذه مولدة. والشفاعة ذكرها المصنف ولم يفسرها وهى كلام الشفيع للملك فى حاجة يسألها لغيره. وشفع اليه فى معنى طلب إليه. وقال الراغب: الشفع ضم الشئ إلى مثله، والشفاعة الإنضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه وأكثر ما تستعمل فى إنضمام من هو أعلى مرتبة إلى من هو أدنى ومنه الشفاعة فى القيامة. وقال غيره: الشفاعة التجاوز عن الذنوب والجرائم. وقال ابن القطاع: الشفاعة المطالبة بوسيلة أو ذمام.

تعريف الشفاعة عند المتكلمين

قال الشريف المرتضى فى رسائله: ١/١٥٠:

وحقيقة الشفاعة وفائدتها: طلب إسقاط العقاب عن مستحقه، وإنما تستعمل في طلب إيصال المنافع مجازاً وتوسعاً، ولا خلاف في أن طلب إسقاط الضرر والعقاب يكون شفاعة على الحقيقة.

وقال في: ٣/١٧:

وشفاعة النبي صلى الله عليه وآله إنما هي في إسقاط عقاب العاصي لا في زيادة المنافع، لأن حقيقة الشفاعة تختص بذلك، من جهة أنها لو اشتركت لكنا شافعين في النبي صلى الله عليه وآله إذا سألنا في زيادة درجاته ومنازله. انتهى.

وقال في: ٢/٢٧٣:

الشفاعة: طلب رفع المضار عن الغير ممن هو أعلى رتبة منه، لاجل طلبه.

وقال أبو الصلاح الحلبي في الكافي/٤٦٩:

وقلنا: إن الشفاعة وجه عندنا لإجماع الأمة على ثبوتها له صلى الله عليه وآله ومضى إلى زمان حدوث المعتزلة على الفتوى بتخصيصها بإسقاط العقاب، فيجب الحكم بكونها حقيقة في ذلك، لانعقاد الإجماع في الأزمان السابقة لحدوث هذه الفرقة.

تفسير التبيان: ٥/٣٣٤:

قوله تعالى: إِنَّ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَقْلًا تَذَكَّرُونَ...

وقوله: مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ، فالشفيع هو السائل في غيره لاسقاط الضرر عنه. وعند قوم أنه متى سأل في زيادة منفعة توصل إليه كان شفيعاً. والذي اقتضى ذكره هاهنا صفات التعظيم مع اليأس من الإنكال في دفع الحق على الشفيع.

والمعنى هاهنا أن تدبيره للأشياء وصنعتة لها، ليس يكون منه بشفاعة شفيع، ولا تدبير مدبر لها سواه، وأنه لا يجسر أحد أن يشفع إليه إلا بعد أن يأذن له فيه، من حيث كان تعالى أعلم بموضع الحكمة والصواب من خلقه بمصالحهم...

وإنما ذكر الشفيع في الآية ولم يجر له ذكر، لأن المخاطبين بذلك كانوا يقولون الأصنام شفاعوهم عند الله، وذكر بعدها: ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وإذا كانت الأصنام لا تعقل فكيف تكون شافعة! مع أنه لا يشفع عنده إلا من ارتضاه الله.

كنز الدقائق: ١/٢٣٨:

واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون. واستدل المعترلة بهذه الآية على نفى الشفاعة لأهل الكبائر.

قال البيضاوي: وأجيب بأنها مخصوصة بالكفار للآيات والأحاديث الواردة في الشفاعة، قال: ويؤيده أن الخطاب معهم، والآية نزلت رداً لما كانت اليهود تزعم أن آباءهم تشفع لهم.

أقول: الآية يحتمل أن تكون مخصصة للآيات والأحاديث الواردة في الشفاعة الدالة على عمومها، كما أن كون الخطاب معهم يحتمل أن يكون مؤيداً للتخصيص بالكفار، فلا يتم الاستدلال من الجانبين، فتأمل.

مجمع البحرين: ٢/٥٢٢:

قال تعالى: مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا، قيل معناه من يصلح بين اثنين يكن له جزء منها. ومن يشفع شفاعته سيئة، أي يمشى بالنميمة مثلاً، يكن له كفل منها أي إثم منها.

وقيل المراد بالشفاعة الحسنه الدعاء للمؤمنين، وبالشفاعة السيئة الدعاء عليهم.

قوله: وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى، دينه، وهو مروى عن الرضا عليه السلام وعن بعض المفسرين ولا يشفعون إلا لمن ارتضى دينه من أهل الكبائر والصغائر، فأما التائبون من الذنوب فغير محتاجين إلى الشفاعة. قال الصدوق: المؤمن من تسره حسنته وتسوءه سيئته لقول

النبى صلى الله عليه وآله: من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن، ومتى ساءته سيئته ندم عليها والندم توبة، والتائب مستحق الشفاعة والغفران. ومن لم تسوؤه سيئته فليس بمؤمن ومن لم يكن مؤمناً لم يستحق الشفاعة، لأن الله تعالى غير مرتض دينه. قوله: فما تنفعهم شفاعة الشافعين قيل فى معناه لا- شافع ولا شفاعة، فالنقى راجع إلى الموصوف والصفه، كقوله لا يسألون الناس إلحافاً.

وفى الحديث تكرر ذكر الشفاعة فيما يتعلق بأمر الدنيا والآخرة، وهى السؤال فى التجاوز عن الذنوب والجرائم، ومنه قوله صلى الله عليه وآله: أعطيت الشفاعة.

قال الشيخ أبو على: واختلفت الأمة فى كيفية شفاعة النبى صلى الله عليه وآله يوم القيامة فقالت المعتزلة ومن تابعهم: يشفع لأهل الجنة ليزيد فى درجاتهم. وقال غيرهم من فرق الأمة: بل يشفع لمذنبى أمتة ممن ارتضى الله دينهم، ليسقط عقابهم بشفاعته.

وفى حديث الصلاة على الميت: وإن كان المستضعف بسبيل منك فاستغفر له على وجه الولاية. وفى الخبر: إشفع تشفع، أى تقبل شفاعتك، وفيه: أنت أول شافع وأول مشفع، هو بفتح الفاء، أى أنت أول من يشفع وأول من تقبل شفاعته. وفى الحديث: لا تشفع فى حق امرئ مسلم إلا بإذنه. وفيه: يشفعون الملائكة لإجابة دعاء من يسعى فى المسعى كأنهم يقولون: اللهم استجب دعاء هذا العبد. تفسير الرازى: ٢ جزء ٣/٥٥:

أجمعت الأمة على أن لمحمد (ص) شفاعة فى الآخرة، وحمل على ذلك قوله تعالى: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا، وقوله تعالى: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى... ثم اختلفوا بعد هذا فى أن شفاعته عليه السلام لمن تكون؟ أتكون للمؤمنين المستحقين للثواب، أم تكون لأهل الكبائر المستحقين للعقاب؟ فذهب المعتزلة إلى أنها للمستحقين للثواب... وقال أصحابنا تأثيرها فى إسقاط العذاب عن المستحقين للعقاب.

تحريف اليهود والنصارى للشفاعة

مقولاتهم فى الشفاعة من مصادرهم

عراقه عقيدة الشفاعة

قاموس الكتاب المقدس/٥١٣:

شفع - شفيع - شفاعة: وهى التوسط بين شخص وآخر. وهى دليل محبة الإنسان لأخيه الإنسان. كما أنها مؤسسه على أن معامله الله للبشر معامله ليست فردية فحسب بل جماعية أيضاً.

والصلاة الشفاعة قديمة قدم نوح (تك ٨: ٢٠ و ٢٢) وإبراهيم (تك ١٧: ١٨ و ٢٣-٣٣) وموسى (خر ١٥: ٢٥).

وخليفه موسى الذى رفع صلواته كقاضى وكاهن ونبى هو صموئيل (١ صم ٥: ٧ و ٨) وحياء المسيح كانت مليئة بالصلوات الشفاعة. بل إن الصلاة الربانية تحمل روح الشفاعة فى طلب الملكوت ومغفرة ذنوب الآخرين.

والصلاة الشفاعة يرفعها الإنسان لاجل صديق أو لاجل عدو (مت ٥: ٤٤) أما الروح القدس فهو يشفع فىنا (رو ٨: ٢٦) أما المسيح فى حياته الشخصية وموته على الصليب فهو شفيعنا الذى ساقته شفاعته للموت على الصليب كفارة لخطايا البشرية. أنظر (وسيط).

قاموس الكتاب المقدس/٩٣٣:

وكان موسى وسيطاً بين الله وشعب بنى إسرائيل وهكذا المسيح هو وسيط بين الله والناس.

العهد القديم والجديد: ٣/٣٠٧:

١٨ - لأنه إن كانت الوراثة من ناموس فلم تكن أيضاً من موعده. ولكن الله وهبها لإبراهيم بموعده.

١٩ - لماذا الناموس. قد زيد بسبب التعديت إلى أن يأتي النسل الذي قد وعد له مرتباً بملائكة في يد وسيط.

٢٠ - وأما الوسيط فلا يكون لواحد ولكن الله واحد.

شفاعة ابراهيم للمؤمنين و لاسماعيل و لوط

قاموس الكتاب المقدس/١١:

ثم أعلن الرب لإبراهيم خراب سدوم وعمورة بسبب شرهما فتشفع إبراهيم لاجل الابرار هناك فأنقذ الرب لوطاً بيد ملاكين (تك/١٨ و ١٩)... وحيثما سكن إبراهيم كان يقيم مذبحاً للرب ويدعو باسمه (تك ١٢: ٧ و ٨) وقد قدم صلوات تشفعية لأجل الآخرين ففي تك ١٧: ٢٠ صلى لأجل إسماعيل وفي تك ١٨: ٢٣ - ٣٢ تشفع لاجل لوط.

شفاعة زكريا لبنى إسرائيل

قاموس الكتاب المقدس/٤٤١:

كما ظهر لزكريا بروح النبوة واقفاً على هذا الجبل شافعاً في شعبه (زك ١٤: ٤).

البشارة بالشفيع الذي سيأتي (البراقيطس)

قاموس الكتاب المقدس/٦٢٧:

معز: (يو ١٤: ١٦ و ١٥: ٢٦ و ٧: ١٦) وهو الروح القدس. ولم ترد إلا في إنجيل يوحنا. والكلمة الأصلية اليونانية (برا كلتيس) وتعنى (معز ومعين وشفيع ومحام) وتشير إلى عمل الروح القدس لأجلنا.

توسيع بولس للشفاعة و حصرها بالمسيح

قاموس الكتاب المقدس/١٢٤:

ومع أن بنى الإنسان قد فقدوا الصورة الإلهية التي خلقوا عليها، ومع أنهم وقعوا تحت طائلة العقاب الإلهي الرهيب، إلا أنهم بسبب عمل الفداء أهل لأن ينالوا غفران خطاياهم غفراناً تاماً كاملاً إذا آمنوا بالرب يسوع المسيح (الشفيع الوحيد بين الله والناس) وندموا على خطاياهم ندامه صحيحة حقيقية، وأصبحوا أهلاً للتحرر من عبودية الخطيئة ورقها والانتقال إلى حرية أبناء الله بالنعمة المجانية.

قاموس الكتاب المقدس/٧٩٥:

وقد وصف يسوع بأنه رئيس كهنة المؤمنين العظيم الذي نضح قدس الاقداس السماوى بدمه، والذي جلس عن يمين الاب هناك حيث هو الان يشفع فيهم (عب ٤: ١٤ و ٧: ٢٥ و ٩: ١٢) الخ.

قاموس الكتاب المقدس/٨٦٩:

وأعلن لهم أن يهوذا الذي كان واحداً منهم سيسلمه (مر ١٤: ١٨-٢١ و يو ١٣ ٢١ - ٣٠) ورسم لهم فريضة العشاء الربانى (مت ٢٦: ٢٦-٢٩ وما يليه) ثم قدم صلواته الشفاعة العظمى من أجل أتباعه (يو ١٧: ١-٢٦). من ثم قدم نفسه نهائياً للاب وسلم إرادته تسليمياً كلياً له فى بستان جثسيماني (مت ٢٦: ٣٩-٤٦ غيره).

قاموس الكتاب المقدس/٨٨٩:

وسيط ١ تى ٢: ٥ وسيط العهد الجديد عب ١٢: ٢٤.

قاموس الكتاب المقدس/٩٠٤:

وكذلك يذكر فيلو (ملكي صادق) كرمز ومجاز للعقل الصائب الخير، بينما يذكره كاتب الرسالة إلى العبرانيين رمزاً للمسيح الفادي والوسيط الأعظم.

العهد القديم والجديد: ٢/٥٧:

لأن معاصينا كثرت أمامك وخطايانا تشهد علينا لأن معاصينا معنا وآثامنا نعرفها.

١٣ - تعدينا وكذبنا على الرب وحدنا من وراء إلهنا. تكلمنا بالظلم والمعصية، حبنا ولهجنا من القلب بكلام الكذب.

١٤ - وقد ارتد الحق إلى الوراء والعدل يقف بعيداً. لأن الصدق سقط في الشارع والإستقامة لا تستطيع الدخول.

١٥ - وصار الصدق معدوماً والحائد عن الشر يسلب، فرأى الرب وساء.

١٦ - فرأى أنه ليس إنسان وتخير من أنه ليس شفيح...

٣٤ - من هو الذي يدين. المسيح هو الذي مات بل بالحرى قام أيضاً الذي هو أيضاً عن يمين الله الذي أيضاً يشفع فينا.

العهد القديم والجديد: ٣/٣٣٩:

٥ - لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس: الإنسان يسوع المسيح.

٦ - الذي بذل نفسه فدية لاجل الجميع، الشهادة في أوقاتها الخاصة.

٧ - التي جعلت أنا لها كارزاً ورسولاً. الحق أقول في المسيح ولا أكذب. معلماً للأمم في الإيمان والحق.

٨ - فأريد أن يصلى الرجال في كل مكان رافعين أيادي طاهرة بدون غضب ولا جدال

العهد القديم والجديد: ٣/٢٥٦:

٢٦ - وكذلك الروح أيضاً يعين ضعفاءنا، لاننا لسنا نعلم ما نصلى لأجله كما ينبغي ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأناات لا ينطق بها.

٢٧ - ولكن الذي يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح، لأنه بحسب مشيئة الله يشفع في القديسين.

العهد القديم والجديد: ٣/٣٥٨:

٢٥ - فمن ثم يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله، إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم.

٢٦ - لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس، قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات.

٢٧ - الذي ليس له اضطرار كل يوم مثل رؤساء الكهنة أن يقدم ذبائح أولاً عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب، لأنه فعل هذا مرة

واحدة إذ قدم نفسه.

العهد القديم والجديد: ٣/٣٦١:

١١ - وأما المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة، فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد أي الذين ليس من هذه

الخليقة.

١٢ - وليس بدم تيوس وعجول، بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداء أبدياً.

العهد القديم والجديد: ٣/٣٦٢:

ولأجل هذا هو وسيط عهد جديد، لكي يكون المدعوون إذ صار موت لفداء التعديات التي في العهد الأول، ينالون وعد الميراث

الأبدي.

العهد القديم والجديد: ٣/٣٦٧:

٢٢ - بل قد أتيتم إلى جبل صهيون، وإلى مدينة الله الحي أورشليم السماوية وإلى ربوات هم محفل ملائكة.

٢٣ - وكنيسة أبكار مكتوبين في السموات، وإلى الله ديان الجميع، وإلى أرواح أبرار مكملين.

٢٤ - وإلى وسيط العهد الجديد يسوع، وإلى دم رش يتكلم أفضل من هابيل.

٢٥ - انظروا أن لا تستعفوا من المتكلم. لأنه إن كان أولئك لم ينجوا إذ استعفوا من المتكلم على الأرض، فبالأولى جداً لا ننجو نحن المرتدين عن الذى من السماء.

العهد القديم والجديد: ٣/٣٨٦:

١ - يا أولادى أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا، وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الأب، يسوع المسيح البار. ٢ - وهو كفارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً.

٣ - وبهذا نعرف أننا قد عرفناه إن حفظنا وصاياه.

نفهم من هذه النصوص ملامح حقائق عديدة أهمها:

أولاً: أن أصل شفاعة الأنبياء والاصياء وخيار المؤمنين للخطئين، هي عندهم كما عندنا، أمرٌ ثابتٌ فى الرسالات الإلهية من عهد إبراهيم، بل من عهد نوح (عليهما السلام).

ثانياً: أنها أخذت فى اليهود شكل شفاعة رؤساء الكهنه ومسؤولى القرابين فى المعابد، ثم وصلت إلى ادعاء اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم شعب الله المختار، وأنهم لا تمسهم النار إلا أياماً معدودة.. فلا يحتاجون إلى شفاعة!

ثالثاً: أن (عقيدة الفداء المسيحية) التى تدعى أن المسيح عليه السلام قد شفع فى خطايا كل البشر بتحملة الصلب والقتل.. هى توسيع لعقيدة الشفاعة اليهودية، وقد اخترعها بولس الذى نصرّ النصارى، وعممها لغير القومية اليهودية.

قال الدكتور أحمد شلبى فى كتابه مقارنة بين الأديان: ٢/٢٤٥ تحت عنوان: الله فى التفكير المسيحي:

ومن أجل هذا كان نقل المسيحية من الوحدانية إلى التثليث ونقل عيسى من رسول إلى إله، والقول بأن المسيحية رسالة عامة، والقول بأن عيسى ابن الله نزل ليضحى بنفسه للتكفير عن خطيئة البشر، وأنه عاد مرة أخرى إلى السماء ليجلس على يمين أبيه، كان هذا كله عملاً جديداً على المسيحية التى جاء بها عيسى.

كيف انتقلت المسيحية من حال إلى حال ومن الذى قام بذلك ومتى؟

هذا ما سنحاول إبرازه فيما يلى:

ترتبط هذه الأمور بشخصية مهمة فى المسيحية هى شخصية شاول (بولس) ولذلك يرى الباحثون الغربيون أن المسيحية الحالية بهذه العناصر الجديدة من صنع هذا الرجل...!

وبولس كما يقول عن نفسه (يهودى فريسي ابن فريسي على رجاء قيامه الأموات - أعمال الرسل ٢٣: ٦) وكان عدواً للمسيحيين وهو فى ذلك يقول (سمعت بسيرتى قبلاً- فى الديانة اليهودية، إنى كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها، وكنت أتقدم فى الديانة اليهودية على كثيرين من أترابى فى جنسى، إذ كنت أوفر غيرة فى تقليدات آبائى (غلاطية ١: ١٣-١٤).

ويبدو أنه كان من وسائل بولس لتدمير المسيحية أن يحطم معتقداتها واتجاهاتها المقدسة، ووضع لذلك طريقة تكفل له الوقوف فى وجه معارضيه عندما يظهر بأفكاره الجديدة،

فادعى شاول أن السيد المسيح - بعد نهايته على الأرض - ظهر له وصاح فيه وهو فى طريقه إلى دمشق: لماذا تضطهدنى، فخاف شاول وصرخ: من أنت يا سيد؟ قال: أنا يسوع الذى تضطهده! قال شاول: ماذا تريد أن أفعل؟ قال يسوع: قم وكرز بالمسيحية!!

ويقول لوقا فى ختام هذه القصة جملة ذات بال غيرت وجه التاريخ هى:

وللوقت جعل يكرز فى المجامع بالمسيح أنه ابن الله (أعمال ٩: ٣-٣٠) انتهى.

رابعاً: أن الإتجاه العام عند محرفى الأديان بعد أنبيائهم هو تسهيل أمر المغفرة الإلهية ودخول الجنة لاتباعهم، والافراط فى ذلك إلى حد إلغاء قانون العقوبة الإلهية، وفى المقابل التشدد مع خصومهم ومخالفهم من التابعين لنفس الدين، والحكم عليهم بأنهم من أهل

النار!

خامساً: بما أنه ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله بأحاديث صحيحة عند الجميع، أن الأمة الإسلامية سوف تتبع سنن اليهود والنصارى في انحرافها عن الإسلام وتحريفها له، وفي صراعاتها الداخلية.. فإن على الباحث أن يكون حذراً متنبهاً في أحاديث الصحابة في الشفاعة، لكي يميز بين الثابت منها بنصوص متفق عليها عند جميع المسلمين، وبين الذي يتبناه صحابي نافذ، أو فئة حاكمة، وفي نفس الوقت يوجد في الصحابة من ينفيه أو يكذبه!

مقولاتهم في الشفاعة من مصادر

قال الله تعالى: وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ. يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. المائدة ١٨-١٩.

تفسير التبيان: ٣/٤٧٧.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ... روى عن ابن عباس أن جماعة من اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وآله حين حذرهم بنقامات الله وعقوباته فقالوا: لا تخوفنا فإننا أبناء الله وأحباؤه.

وقال السدي: إن اليهود تزعم أن الله عز وجل أوحى إلى بني إسرائيل أن ولدك بكر من الولد. وقال الحسن: إنما قالوا ذلك على معنى قرب الولد من الوالد.

وأما قول النصارى فقليل فيه: إنهم تأولوا ما في الإنجيل من قول عيسى أذهب إلى أبي وأبيكم. وقال قوم: لما قالوا المسيح ابن الله أجرى ذلك على جميعهم كما يقولون: هذيل شعراء، أي منهم شعراء...

وقوله: وأحباؤه، جمع حبيب فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وآله: قل لهؤلاء المفتريين على ربهم: فلم يعذبكم بذنوبكم؟ فلا شيء يعذبكم بذنوبكم إن كان الأمر على ما زعمتم، فإن الأب يشفق على ولده والحبيب على حبيبه.

واليهود تقرُّ أنهم يعذبون أربعين يوماً، وهي عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل!

وقوله: بل أنتم بشر، معناه قل لهم ليس الأمر على ما زعمتم أنكم أبناء الله وأحباؤه، بل أنتم بشر ممن خلق من بني آدم، إن أحسنتم جوزيتهم على إحسانكم مثلهم، وإن أسأتم جوزيتهم على إساءتكم، كما يجازى غيركم، وليس لكم عند الله إلا ما لغيركم من خلقه.

تفسير التبيان: ١/٤٨٦.

أَتَحَابُّونَنَا فِي اللَّهِ... وكانت محاجتهم له صلى الله عليه وآله أنهم زعموا أنهم أولى بالحق لأنهم راسخون في العلم وفي الدين، لتقدم النبوة فيهم والكتاب، فهم أولى بأن يكون الرسول منهم.

وقال قوم: بل قالوا نحن أحق بالإيمان، لأننا لسنا من العرب الذين عبدوا الأوثان. وقال الحسن: كانت محاجتهم أن قالوا نحن أولى بالله منكم، وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه، وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا.

وغرضهم بذلك الإحتجاج بأن الدين ينبغي أن يلتزم من جهتهم، وأن النبوة أولى أن تكون فيهم. وليس الأمر على ما ظنوا، لأن الله أعلم حيث يجعل رسالته، ومن الذي يقوم بأعبائها وتحملها على وجه يكون أصلح للخلق وأولى بتدبيرهم. وقوله: لنا أعمالنا، معناه

الإنكار لإحتجاجهم بأعمالهم، لأنهم مشركون ونحن له مخلصون. وقيل معناه الإنكار للإحتجاج بعبادة العرب للاوثان، فقيل: لا حجة في ذلك، إذ لكل أحد عمله لا يؤخذ بجرم غيره.

سيرة ابن هشام: ٢/٤٠٣.

وأتى رسول الله (ص) نعمان بن أضاء، وبحرى بن عمرو، وشاس بن عدى، فكلموه وكلمهم رسول الله (ص) ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته، فقالوا: ما تخوفنا يا محمد؟! نحن والله أبناء الله وأحباؤه، كقول النصارى فأنزل الله تعالى فيهم: وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ

الله وَأَجْبَاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ... الخ. ورواه في الدر المنثور: ٢/٢٦٩ عن ابن اسحق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل، عن ابن عباس.

الدر المنثور: ٢/١٤:

عن قتادة: وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون، حين قالوا: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَجْبَاؤُهُ.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد: وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون، قال: غرهم قولهم لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة.

الدر المنثور: ٢/١٧٠:

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن في قوله: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُرَكَّبُونَ أَنْفُسَهُمْ، قال: هم اليهود والنصارى، قالوا نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَجْبَاؤُهُ، وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى.

وأخرج ابن جرير عن السدي في قوله: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُرَكَّبُونَ أَنْفُسَهُمْ، قال: نزلت في اليهود قالوا: إنا نعلم أبناءنا التوراه صغاراً فلا يكون لهم ذنوب، وذنوبنا مثل ذنوب آبائنا، ما عملنا بالنهار كُفَّرَ عنا بالليل.

الدر المنثور: ٣/٣٧:

وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله: وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ، قال كذبوا له، أما اليهود والنصارى فقالوا نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَجْبَاؤُهُ، وأما مشركوا العرب فكانوا يعبدون اللات والعزى، فيقولون: العزى بنات الله، سبحانه وتعالى عما يصفون، أى عما يكذبون..

وأخرج الطستى عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق قال له: أخبرني عن قوله: وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ، قال: وصفوا لله بنين وبنات افتراء عليه، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال نعم، أما سمعت حسان بن ثابت يقول:

اخترق القول بها لاهياً مستقبلاً أشعث عذب الكلام

الدر المنثور: ١/٨٩:

أخرج ابن جرير عن أبي العالبي قال: قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، وقالوا نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَجْبَاؤُهُ، فأنزل الله: قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين، فلم يفعلوا.

وأخرج البيهقي في الدلائل عن ابن عباس في هذه الآية قال: قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ، يعنى الجنة كما زعمتم خالصة من دون الناس، يعنى المؤمنين فتمنوا الموت إن كنتم صادقين أنها لكم خالصة من دون المؤمنين. فقال لهم رسول الله (ص): إن كنتم فى مقاتلكم صادقين قولوا: اللهم أمتنا، فولدى نفسى بيده لا يقولها رجل منكم إلا غص بريقه فمات مكانه، فأبوا أن يفعلوا وكرهوا ما قال لهم، فنزل: وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ، يعنى عملته أيدىهم وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ.

وأخرج ابن اسحق وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس فى قوله: فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ، أى ادعوا بالموت على أى الفريقين أكذب، فأبوا ذلك، ولو تمنوه يوم قال ذلك ما بقى على وجه الأرض يهودى إلا مات.

وأخرج ابن اسحق وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس فى قوله: وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ، يعنى اليهود، ومن الذين أشركوا، وذلك أن المشرك لا- يرجو بعثاً بعد الموت فهو يحب طول الحياة، وأن اليهودى قد عرف ماله فى الآخرة من الخزى بما ضيع ما عنده من العلم.

وقال الله تعالى: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ. بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. البقرة: ٨٠ - ٨٢.

تفسير التبيان: ١/٣٢٣:

وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا- أَيَّامًا مَعْدُودَةً، وإنما لم يبين عددها فى التنزيل لأنه تعالى أخبر عنهم بذلك وهم عارفون بعدد الأيام التى يوقتونها فى النار، فلذلك نزل تسمية عدد الأيام وسماها معدودة لما وصفنا. وقال أبو العالبي وعكرمة والسدى وقاتادة: هى أربعون يوماً.

ورواه الضحاك عن ابن عباس. ومنهم قال: إنها عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل.

وقال ابن عباس: إن اليهود تزعم أنهم وجدوا في التوراة مكتوباً إن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة، وهم يقطعون مسيرة كل سنة في يوم واحد، فإذا انقطع المسير انقطع العذاب، وهلك النار.

وقال مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس: إنها سبعة أيام، لأن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنهم يعذبون بعدد كل ألف سنة يوماً واحداً من أيام الآخرة، وهو كألف سنة من أيام الدنيا.

ولما قالت اليهود ما قالت من قولها: لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً عَلَى مَا بَيْنَاهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ: قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا بِمَا تَقُولُونَ مِنْ ذَلِكَ أَوْ مِيثَاقًا، فَاللَّهُ لَا يَنْقُضُ عَهْدَهُ، أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ مِنَ الْبَاطِلِ جَهْلًا وَجُرْأً عَلَيْهِ...

قوله تعالى: بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ... قوله بلى جواب لقوله لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة، فرد الله عليهم بأن قال: بلى من أحاطت به خطيئته...

كنز الدقائق: ٢/٤٧:

وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً: بسبب تسهيلهم أمر العذاب. وقرهم في دينهم ما كانوا يفترون، من قولهم السابق، أو أن آبائهم الأنبياء يشفعون لهم، أو أنه تعالى وعد يعقوب أن لا يعذب أولاده إلا تحلة القسم، وتكرير الكذب والإفتراف بصيره في صورة الصدق عند قائله ومفتريه.

تفسير نور الثقلين: ١/٩٣:

في تفسير علي بن ابراهيم قوله: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً، قال بنو اسرائيل: لن تمسنا النار ولن نعذب إلا الايام المعدودات التي عبدنا فيها العجل، فرد الله عليهم: قُلْ - يا محمد لهم - أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ.

سيره ابن هشام: ٢/٣٨٠:

وقالوا: لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ.

قال ابن إسحاق: وحدثني مولى لزيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قدم رسول الله (ص) المدينة واليهود تقول: إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما يعذب الله الناس في النار بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوماً واحداً في النار من أيام الآخرة، وإنما هي سبعة أيام ثم ينقطع العذاب، فأنزل الله في ذلك من قولهم: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ. بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئَتُهُ، أى من عمل بمثل أعمالكم وكفر بمثل ما كفرتم به حتى يحيط كفره بماله عند الله من حسنه، فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، أى خلدوا أبداً. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. أى من آمن بما كفرتم به وعمل بما تركتم من دينه فلهم الجنة خالدين فيها، يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبداً ولا انقطاع له.

قال ابن إسحاق: ثم قال الله عز وجل يؤنبهم: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أى ميثاقكم، لا تعبدون إلا الله وبأولادنا إحساناً وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ. أى تركتم ذلك كله...

الدر المنثور: ١/٨٤:

قوله تعالى: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً. أخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والواحدى عن ابن عباس أن اليهود كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة... الخ.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عكرمة قال: اجتمعت يهود يوماً فخاصموا النبي (ص) فقالوا: لَنْ تَمَسَّنَا

النَّارِ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ، وسموا أربعين يوماً ثم يخلفنا فيها ناس وأشاروا إلى النبي (ص) وأصحابه! فقال رسول الله (ص) ورد يده على رؤسهم: كذبتهم بل أنتم خالدون مخلدون فيها لا نخلفكم فيها إن شاء الله تعالى أبداً، ففيهم أنزلت هذه الآية: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً، يعنون أربعين ليلةً.

وأخرج ابن جرير عن زيد بن أسلم أن رسول الله (ص) قال لليهود: أنشدكم بالله وبالتوراة التي أنزل الله على موسى يوم طور سيناء: من أهل النار الذين أنزلهم الله في التوراة قالوا: إن ربهم غضب عليهم غضبه فمكث في النار أربعين ليلةً ثم نخرج فتخلفونا فيها! فقال رسول الله (ص): كذبتهم والله لا نخلفكم فيها أبداً، فنزل القرآن تصديقاً لقول النبي (ص) وتكذيباً لهم: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً، يعنون أربعين ليلةً.

مجمع الزوائد: ٦/٣١٤:

قوله تعالى: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً عن ابن عباس أن يهوداً كانوا يقولون هذه الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب لكل سنة يوماً في النار وإنما سبعة أيام معدودات، فأ نزل الله عز وجل: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً، إلى قوله: فِيهَا خَالِدُونَ.

وقال الله تعالى: وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا- مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. البقرة: ١١١ - ١١٢.

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنَّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ. وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ. البقرة: ٤٧ - ٤٨.

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. آل عمران: ٣١.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا. أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا- أَنْظِرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا. أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا. النساء: ٤٨ - ٥١.

تفسير التبيان: ٣/٢٢١:

وقالوا لن يدخل الجنة إلا- من كان هوداً أو نصارى، تلك أمانيتهم. قال الزجاج: اليهود جاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وآله بأولادهم الأطفال فقالوا: يا محمد أعلى هؤلاء ذنوب؟ فقال صلى الله عليه وآله: لا، فقالوا: كذلك نحن مانعمل بالليل يغفر بالنهار، وما نعمل بالنهار يغفر بالليل، فقال الله تعالى: بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ.

وقال: مجاهد وأبو مالك: كانوا يقدمونهم في الصلاة ويقولون: هؤلاء لا ذنب لهم. وقال ابن عباس: كانوا يقولون: أطفالنا يشفون لنا عند الله.

كنز الدقائق: ٢/٥٨:

قال الله تعالى: إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ...

قال البيضاوي: روى أنها نزلت لما قالت اليهود: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، وقيل: نزلت في وفد نجران لما قالوا: إنا نعبد المسيح حباً لله.. انتهى.

حقائق التأويل/١٢٦:

وقال بعضهم إنهم قالوا: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، فالخلافت غيرنا عبيد لنا ومنخفضون عن علونا، فليس علينا جناح في أكل أموال عبيدنا ومن هم في الرتبة دوننا. قال صاحب هذا القول: واليهود يتدينون باستحلال أموال كل من خالفهم باستعمال الغش في معاملاتهم، ويدعون أن ذلك فرض عليهم في دينهم، وليس تأولهم لذلك على حد ما يتأوله المسلمون في أهل الحرب.

وذهب أبو علي إلى أن قولهم: لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ، إنما يعنون به ليس علينا لهم سلطان ولا قدرة، فلا يجب علينا اتباعهم ولا

النزول تحت حكمهم، يريدون بذلك النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه، فلذلك استحلوا أموالهم. انتهى.

تفسير التبيان: ١/٢١٣:

وقوله: وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ، مخصوص عندنا بالكفار، لأن حقيقة الشفاعة عندنا أن يكون في إسقاط المضار دون زيادة المنافع. والمؤمنون عندنا يشفع لهم النبي صلى الله عليه وآله فيشفعه الله تعالى ويسقط بها العقاب عن المستحقين من أهل الصلاة، لما روى من قوله صلى الله عليه وآله: ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي...

والشفاعة ثبتت عندنا للنبي صلى الله عليه وآله وكثير من أصحابه، ولجميع الأئمة المعصومين، وكثير من المؤمنين الصالحين. وقيل إن نفي الشفاعة في هذه الآية يختص باليهود من بنى إسرائيل، لأنهم ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه وأولاد أنبيائه، وأن آباءهم يشفعون إليه، فأيسهم الله من ذلك فأخرج الكلام مخرج العموم والمراد به الخصوص.

تفسير التبيان: ٣/٢٢١:

قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظَلِّمُونَ فَتِيلًا... قال الحسن والضحاك وقتادة وابن زيد وهو المروى عن أبي جعفر عليه السلام: إنهم اليهود والنصارى في قولهم: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ.

قال الزجاج: اليهود جاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وآله بأولادهم الاطفال فقالوا: يا محمد أعلى هؤلاء ذنوب؟ فقال صلى الله عليه وآله: لا، فقالوا: كذلك نحن ما نعمل بالليل يغفر بالنهار وما نعمل بالنهار يغفر بالليل، فقال الله تعالى: بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ. وقال: مجاهد وأبو مالك: كانوا يقدمونهم في الصلاة ويقولون: هؤلاء لا ذنب لهم. وقال ابن عباس: كانوا يقولون: أطفالنا يشفعون لنا عند الله.

تفسير التبيان: ٣/٢٢٢:

وافترأوهم الكذب على الله هاهنا المراد به تزكيتهم لانفسهم بأنا أبناء الله وأحباؤه، وأنه لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، ذكره ابن جريج. وقوله: وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا، معناه تعظيم إثمهم، وإنما يقال كفى به في العظم على جهة المدح أو الذم كقولك كفى بحال المؤمن نبلاً، وكفى بحال الكافر إثماً.

تفسير التبيان: ٣/٧٦:

وقوله: وَيَجُوبُونَ أَنْ يُحْمِدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا... قال البلخي: إنهم قالوا: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ وَأَهْلُ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ. وليسوا بأولياء الله ولا أحباؤه ولا أهل الصلاة والصيام، ولكنهم أهل شرك ونفاق. وهو المروى عن أبي جعفر عليه السلام...

تفسير نور الثقلين: ١/٤٨٩:

في نهج البلاغة من كلام له عليه السلام يصف فيه المتقين: لا يرضون من أعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير، فهم لانفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون، إذا زُكِّيَ أحد منهم خاف مما يقال له، فيقول أنا أعلم بنفسى من غيرى وربى أعلم بى من نفسى، اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون واجعلنى أفضل مما يظنون، واغفر لى ما لا يعلمون. انتهى.

هذا، والآيات والأحاديث في تحريفات اليهود للشفاعة ومقولاتهم فيها كثيرة، وسوف نرى أن بعض الصحابة قد أخذوا أفكار اليهود وتحريفاتهم للشفاعة حرفاً بحرف، حَدَوُ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ، والنعل بالنعل.. كما أخبر به الصادق الامين صلى الله عليه وآله!

الشفاعة عند عرب الجاهلية

عبد العرب الأصنام أملاً بشفاعتهم

تدل آيات القرآن الكريم على أن عبادة العرب للأصنام كانت على أساس أنها رموز لمخلوقات مقربة عند الله تعالى تشفع لهم عنده.

قال الله عز وجل:

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْبِئُ الْمُعْجِرُونَ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ. الروم: ١٢ - ١٣.
أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونَ. إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. يس: ٢٣ - ٢٤.
أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلُوبِ أَوْلَادِهِمْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ. قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. الزمر: ٤٣ - ٤٥.
أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ. لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ. الزمر: ٣ - ٤.
رسائل الشريف المرتضى: ٣/٢٢٣:

حكى أبو عيسى الوراق في كتابه كتاب المقالات أن العرب صنوف شتى: صنف أقر بالخالق وبالابتداء والإعادة وأنكروا الرسل وعبدوا الأصنام، زعموا لتقربهم إلى الله زلفى ومعبراً إليها، ونحروا لها الهدايا ونسكوا لها النسائك، وأحلوا لها وحرموها. ومنهم صنف أقروا بالخالق وبابتداء الخلق وأنكروا الإعادة والبعث والنشور. ومنهم صنف أنكروا الخالق والبعث والاعادة، ومالوا إلى التعطيل والقول بالدهر، وهم الذين أخبر القرآن عن قولهم: ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر. ومنهم صنف مالوا إلى اليهودية، وآخر إلى النصرانية.
رسائل الشريف المرتضى: ٣/٢٢٨:

وقد عبد الأصنام قوم من الأمم الماضية من أهل الهند والسند وغيرها، وقد أخبر الله تعالى عن قوم نوح أنهم عبدوها أيضاً فقال: لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسِيرًا... وكان (سواع) لهذيل وكان (برهاط) وكان بدومة الجندل، وكان (يغوث) لمذحج ولقبائل اليمن، وكان (نسر) لذي الكلاع بأرض حمير، وكان (يعوق) لهمدان، وكانت (اللات) لثقيف وكانت بالطائف، وكانت (العزى) لقريش وجميع بني كنانة وسدنتها من بني سليم، وكانت (مناة) للآوس والخزرج وغسان وكانت بالمسلك، وكان (الهبل) أعظم أصنامهم عند أنفسهم وكان على الكعبة. وكان (أساف ونائلة) على الصفا والمروة، ووضعها عمرو بن يحيى فكان يذبح عليهما تجاه الكعبة.
مجمع الزوائد: ٧/١١٥:

عن ابن عباس أن العزى كانت ببطن نخلة، وأن اللات كانت بالطائف، وأن مناة كانت بقديد، قال علي بن الجعد: بطن نخلة هو بستان بنى عامر.
تفسير القمي: ٢/٢٥٠:

قوله: أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ، يعنى الأصنام ليشفعوا لهم يوم القيامة، وقالوا إن فلاناً وفلاناً يشفعون لنا عند الله يوم القيامة. وقوله: قل لله الشفاعة جميعاً، قال: لا يشفع أحد إلا بإذن الله تعالى.
تفسير القمي: ٢/٢٨٩:

وقال علي بن ابراهيم: ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة، قال: هم الذين قد عبدوا في الدنيا، لا يملكون الشفاعة لمن عبدهم.
تفسير التبيان: ٤/٢٠٧:

وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُفَّارٍ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ... يقول تعالى لهؤلاء الكفار: مَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُفَّارٍ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ، الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم يشفعون لكم عند ربكم يوم القيامة. وقال عكرمة: إن الآية نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة حيث قال: سوف يشفع في اللات والعزى، فنزلت الآية.

وقوله: لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ، أى وصلكم. وَصَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ، أى جار عن طريقكم ما كنتم تزعمون من آلهتكم أنه شريك لله

تعالى، وأنه يشفع لكم عند ربكم، فلا شفيع لكم اليوم.

تفسير التبيان: ٩/٣٣:

ثم أخبر عن هؤلاء الكفار فقال (أم اتخذوا) معناه بل اتخذ هؤلاء الكفار (من دون الله شفعاء) بزعمهم من الأصنام والأوثان فقال (قل) لهم يا محمد: أَوْلُو كَذَابُوا لَا- يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا- يَعْقِلُونَ، تنبيهاً لهم على أنهم يتخذونهم شفعاء وإن كانوا لا يقدرُونَ على شئ من الشفاعة، ولا غيرهما ولا يعقلون شيئاً. والألف في (أ ولو) ألف الإستفهام يراد به التنبيه.

ثم قال (قل) لهم يا محمد (لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى الشفاعة لمن له التدبير والتصرف فى السموات والأرض، ليس لأحد الإعتراض عليه فى ذلك.

ثم إليه ترجعون، معاشر الخلق أى إلى حيث لا يملك أحد التصرف والأمر والنهى سواه، وهو يوم القيامة فيجازى كل إنسان على عمله على الطاعات بالثواب وعلى المعاصى بالعقاب.

الدر المنثور: ٣/٣٠٢:

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا... أخرج ابن أبى حاتم عن عكرمة قال قال النضر: إذا كان يوم القيامة شفعت لى اللات والعزى، فأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ. وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ. ومثله فى: ٣/٨

الدر المنثور: ٥/٣٢٩:

قوله تعالى: أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ.. أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة (رض) فى قوله: أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قال: الإلهة.

الدر المنثور: ٣/١٤٩:

وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله: ذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ قال: اشتقوا العزى من العزير، واشتقوا اللات من الله.

مكانة اللات والعزى عند مشركى العرب

كان لصنمى اللات والعزى مكانة عظيمة عند قريش خاصة، وعند بعض قبائل العرب، ويليهما صنم مناة، أما هبل فهو وإن كان الإله الأكبر عندهم ولكن ارتباطهم المباشر وقسمتهم الرسمى ومراسم عبادتهم الاساسية إنما كانت لللات والعزى، وليس لهبل..

قال المحدث البحرانى فى حلية الابرار: ١/١٢٧:

الشيخ فى أماليه بإسناده عن ابن عباس قال: وقف رسول الله صلى الله عليه وآله على قتلى بدر فقال: جزاكم الله من عصابة شرراً! لقد كذبتونى صادقاً، وخوتتمونى أميناً. ثم التفت إلى أبى جهل بن هشام فقال: إن هذا أعتى على الله من فرعون! إن فرعون لما أيقن بالهلاك وَحَدَّ اللهُ، وهذا لما أيقن بالهلاك دعا باللات والعزى!! راجع أمالى الطوسى: ١ - ٣١٦ والبحار: ١٩ - ٢٧٢ ح ١١ ومثله فى مجمع الزوائد: ٦/٩١).

وقال فى مجمع الزوائد: ٦/٢١:

وعن رجل من بنى مالك بن كنانة قال: رأيت رسول الله (ص) بسوق ذى المجاز يتخللها يقول: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، قال وأبو جهل يحثى عليه التراب ويقول: لا يغوينكم هذا عن دينكم فإنما يريد لتتركوا آلهتكم وتتركوا اللات والعزى، وما يلتفت إليه رسول الله (ص)! قلت: إنعت لنا رسول الله (ص). قال: بين بردين أحمرين، مربع، كثير اللحم، حسن الوجه، شديد سواد الشعر، أبيض شديد البياض، سابغ الشعر. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

وقال السيوطى فى الدر المنثور: ٦/٤٠٨:

وأخرج أبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس قال: ما كان أبو لهب إلا من كفار قريش، ما هو حتى خرج من الشعب حين تمالات قريش حتى حصرونا في الشعب وظاهرهم، فلما خرج أبو لهب من الشعب لقي هنداً بنت عتبة بن ربيعة حين فارق قومه فقال: يا ابنة عتبة هل نصرت اللات والعزى؟ قالت: نعم فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة! قال: إن محمداً يعدنا أشياء لا نراها كائنه، يزعم أنها كائنه بعد الموت فما ذاك! وصنع في يدي ثم نفخ في يديه، ثم قال: تباً لكما ما أرى فيكما شيئاً مما يقول محمداً! فنزلت: تب يدا أبي لهب. قال ابن عباس: فحصرونا في الشعب ثلاث سنين وقطعوا عنا الميرة، حتى أن الرجل ليخرج منا بالنفقة فما يبايع حتى يرجع، حتى هلك فينا من هلك!!

اليمن الرسمي المقدس عند قريش باللات والعزى

روى الحاكم في المستدرک: ١/١٦٣:

عن ابن عباس قال دخلت فاطمة على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهي تبكى فقال: يا بنية ما يبكيك قالت: يا أبت مالي لا أبكي وهؤلاء الملا- من قريش في الحجر يتعاقدون باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى لو قد رأوك لقاموا إليك فيقتلونك، وليس منهم رجل إلا وقد عرف نصيبه من دمك! فقال يا بنية إئتني بوضوء فتوضأ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم خرج إلى المسجد فلما رآوه قالوا: ها هوذا، فطأوا رؤوسهم وسقطت أذقانهم بين يديهم، فلم يرفعوا أبصارهم! فتناول رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبضة من تراب فحصبهم بها وقال: شأهت الوجوه، فما أصاب رجلاً منهم حصاءً من حصاته إلا قتل يوم بدر كافراً. هذا حديث صحيح، قد احتجا جميعاً يحيى بن سليم. واحتج مسلم بعبد الله بن عثمان بن خثيم ولم يخرجاه. انتهى. ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٨/٢٢٨ وقال: رواه أحمد بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح.

وروى العياشي في تفسيره: ٢/٢٥٩:

عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا- يبعث الله من يموت، قال: ما يقولون فيها؟ قلت: يزعمون أن المشركين كانوا يحلفون لرسول الله أن الله لا يبعث الموتى. قال: تباً لمن قال هذا، ويلهم هل كان المشركون يحلفون بالله أم باللات والعزى؟ قلت: جعلت فداك فأوجديه أعرفه. قال: لو قد قام قائمنا بعث الله إليه قوماً من شيعتنا قبايع سيفهم على عواتقهم، فيبلغ ذلك قوماً من شيعتنا لم يموتوا فيقولون: بعث فلان وفلان من قبورهم مع القائم، فيبلغ ذلك قوماً من أعدائنا فيقولون: يا معشر الشيعة ما أكذبكم! هذه دولتكم وأنتم تكذبون فيها، لا والله ما عاشوا ولا تعيشوا إلى يوم القيامة، فحكى الله قولهم فقال: وأقسموا بالله جهد أيمانهم. انتهى.

المسألة...

بعض الصحابة كانوا يقسمون باللات والعزى

تدل مصادر الفقه السني على أن عادة القسم باللات والعزى بقيت في أذهان القرشيين وعلى ألسنتهم حتى بعد إسلامهم! فقد روى البخاري في صحيحه: ٦/٥١: عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص): من حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله. ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فليصدق. انتهى. (ورواه أيضاً في: ٧/٩٧ وص ١٤٤ وص ٢٢٢ و ٢٢٣).

ورواه مسلم في: ٥/٨١ وص ٨٢، ورواه ابن ماجه في: ١/٦٧٨، وروى بعده عن مصعب بن سعد، عن سعد بن أبي وقاص قال: حلفت باللات والعزى فقال رسول الله (ص) قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ثم انفت عن يسارك ثلاثاً، وتعوذ ولا تعد. (ورواه أبو داود في: ٢/٩٠، والترمذي في: ٣/٤٦ وص ٥١، والنسائي في: ٧/٧، وأحمد: ١/١٨٣ و ١٨٤ و ٣/٣٠٩، والبيهقي: ١/١٤٩ و ١٠/٣٠، ومالك في المدونة: ٢/١٠٨).

الأسئلة

١ - هذا يدلنا على أن الصحابة كانوا حديثي عهد بالإسلام، وأن رواسب الجاهلية حتى عبادة الأصنام كانت ما تزال في مشاعرهم وعلى السنة بعض كبارهم كسعد بن وقاص، ومن يخلف النبي صلى الله عليه وآله لا بد أن يكون كرم الله وجهه عن السجود للأصنام، حتى يكون نقياً من هذه الرواسب الجاهلية.. فهل تعرفون هذه الصفة في غير على عليه السلام؟

٢ - نحن نفتي بأن اليمين الشرعية لا ينعقد إلا بالله تعالى، ومن حلف بغيره فلا يمين له ولا شيء عليه. وقد أفتى ابن حزم في المحلى: ٨/٥١، وابن قدامة في المغني: ١/١٦٩، و١١/١٦٢، بأن من حلف باللوات والعزى فلا شيء عليه إلا الإستغفار، وعلله ابن حزم في: ١١/١٦٣ بقوله: (لأن الحلف بغير الله سيئه والحسنه تمحو السيئه)، وقد قال الله تعالى: إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، وقال النبي (ص): إذا عملت سيئه فأتبعها حسنة تمحها. ولأن من حلف بغير الله فقد عظم غير الله تعظيماً يشبه تعظيم الرب تبارك وتعالى، ولهذا سمي شركاً لكونه أشرك غير الله مع الله تعالى في تعظيمه بالقسم به، فيقول لا إله إلا الله توحيداً لله تعالى وبراءة من الشرك).
فهل تفتون بأن من حلف بصنم لا يخرج عن الملة، ومن حلف بالنبي صلى الله عليه وآله أو بأحد من عترته عليهم السلام فهو مشرك يخرج من الملة؟!!

اعتقاد قريش بنفع اللات والعزى و ضرهم

مناقب آل أبي طالب: ١/١٠٢ عن امرأة يقال لها زهرة قال:

أسلمت فأصيب بصرها، فقالوا لها أصابك اللات والعزى، فرد صلى الله عليه وآله عليها بصرها فقالت قريش: لو كان ما جاء محمد خيراً ما سبقتنا إليه زهرة! فتزل: وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه.
مسند أحمد: ١/٢٦٤:

عن عبد الله بن عباس قال: بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافتدوا إلى رسول الله (ص) فقدم عليه وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله، ثم دخل المسجد ورسول الله (ص) جالس في أصحابه، وكان ضمام رجلاً جلدًا أشعر ذا غريرتين، فأقبل حتى وقف على رسول الله (ص) في أصحابه فقال: أيكم ابن عبد المطلب؟ فقال رسول الله (ص): أنا ابن عبد المطلب. قال محمد؟ قال نعم فقال: يا ابن عبد المطلب إني سائلك ومغلظ في المسألة فلا تجدن في نفسك. قال: لا أجد في نفسي فسل عما بدا لك. قال: أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك، الله بعثك إلينا رسولاً؟ فقال: اللهم نعم. قال: فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك الله أمرك أن تأمرنا أن نعبد وحده لانتشرك به شيئاً وأن نخلع هذه الأنداد التي كانت آباؤنا يعبدونها معه؟ قال: اللهم نعم. قال: فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك الله أمرك أن نصلى هذه الصلوات الخمس؟ قال: اللهم نعم. قال ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة الزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام كلها يناشده عند كل فريضة كما يناشده في التي قبلها، حتى إذا فرغ قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، وسأؤدى هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتني عنه، ثم لا أزيد ولا أنقص.

قال ثم انصرف راجعاً إلى بعيره فقال رسول الله (ص) حين ولي: إن يصدق ذو العقيصتين يدخل الجنة. قال فأتى إلى بعيره فأطلق عقله ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه، فكان أول ما تكلم به أن قال: بثت اللات والعزى! قالوا مه يا ضمام، إتق البرص والجذام، إتق الجنون. قال: ويلكم إنهما والله لا يضران ولا ينفعان، إن الله عز وجل قد بعث رسولاً وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، إني قد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه. قال فوالله ما أمسى من ذلك اليوم وفي حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً!

قال يقول ابن عباس: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة.

مصادرنا تروى بغض النبي لأصنام قريش

كمال الدين وتمام النعمة: ١/١٨٤:

قال بحيرى: يا غلام أسألك عن ثلاث خصال بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتنيها. فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله عند ذكر اللات والعزى وقال: لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئاً كبغضهما، وإنما هما صنمان من حجارة لقومى! فقال بحيرى: هذه واحدة، ثم قال: فبالله إلا ما أخبرتني، فقال: سل عما بدا لك فإنك قد سألتني يالهي وإلهك الذى ليس كمثلته شئ، فقال: أسألك عن نومك ويقظتك، فأخبره عن نومه ويقظته وأموره وجميع شأنه، فوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته التى عنده، فانكب عليه بحيرى فقبل رجله وقال: يا بنى ما أطيبك وأطيب ريحك، يا أكثر النبيين أتباعاً...

الخرائج والجرائح: ١/٧١:

فى خبر الراهب بحيرى مع النبي صلى الله عليه وآله قال: يا غلام أتخبرنى عن أشياء أسألك عنها قال: سل. قال: أنشدك باللات والعزى إلا- أخبرتني عما أسألك عنه، وإنما أراد أن يعرف لأنه سمعهم يحلفون بهما فذكروا أن النبي صلى الله عليه وآله قال له: لا تسألني باللات والعزى فإنى والله لم أبغض بغضهما شيئاً قط. قال: فبالله إلا أخبرتني عما أسألك عنه قال: فجعل يسأله عن حاله فى نومه وهيبته وأموره فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره فكان يجدها موافقاً لما عنده... فأخذه الافكل وهو الرعدة واهتر الديرانى فقال: من أبو هذا الغلام؟ قال أبو طالب: هو ابنى. قال: لا والله لا يكون أبوه حياً. قال أبو طالب: إنه ابن أخى. قال: فما فعل أبوه قال: مات وهو ابن شهرين. قال صدقت! -وروى فى: ٣/١٠٨٩- تتمه قول الراهب: كأنى بك قد قدت الاجناب والخيال وقد تبعك العرب والعجم طوعاً وكرهاً، وكأنى باللات والعزى قد كسرتهما وقد صار البيت العتيق تضع مفاتيحه حيث تريد... معك الذبح الأكبر وهلاك الأصنام. أنت الذى لا تقوم الساعة حتى تدخل الملوك كلها فى دينك صاغرةً قِمةً.

و تمسك سدنة اللات والعزى بهما إلى آخر نفس

شرح الأخبار: ٢/١٦٣:

ولما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله الطائف سأله أهلها أن يدع لهم اللات - وكانوا يعبدونها - لمدة ذكروها وقالوا: إنا نخشى فى هدمها سفهاءنا، فأبى عليهم.

مناقب آل أبى طالب: ١/٥٢:

ابن عباس فى قوله: وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا، قال وفد ثقيف: نبايعك على ثلاث: لا ننحنى، ولا نكسر إلهاً بأيدينا، وتمتعنا باللات سنة. فقال صلى الله عليه وآله: لا خير فى دين ليس فيه ركوع وسجود، فأما كسر أصنامكم بأيديكم فذاك لكم، وأما الطاغية اللات فإنى غير ممتعكم بها.

و حطم النبي كل الأصنام

مناقب آل أبى طالب: ١/٣٩٩:

وحدثنى أبو الحسن على بن أحمد العاصمى، عن اسماعيل بن أحمد الواعظ، عن أبى بكر البيهقى بإسناده عن أبى مريم عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إحملنى لنطرح الأصنام عن الكعبة، فلم أطق حمله! فحملنى فلو شئت أتناول السماء فعلت! وفى خبر والله لو شئت أن أنال السماء بيدي لنتها.

وروى القاضى أبو عمرو عثمان بن أحمد، عن شيوخ بإسناده عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام: قم بنا

إلى الصنم في أعلى الكعبة لنكسره، فقاما جميعاً فلما أتياه قال له النبي: قم على عاتقي حتى أرفعك عليه، فأعطاه على ثوبه فوضعه رسول الله على عاتقه ثم رفعه حتى وضعه على البيت، فأخذ على الصنم وهو من نحاس فرمى به من فوق الكعبة...
حلية الابرار: ٢/١٢٥:

عن علي عليه السلام: أنا الذي قال في الامين جبرئيل عليه السلام: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي، أنا صاحب فتح مكة، أنا كاسر اللات والعزى، أنا هادم الهبل الاعلى، ومناة الثالثة الأخرى، أنا علوت على كتف النبي صلى الله عليه وآله وكسرت الأصنام، أنا الذي كسرت يعوث ويعوق ونسراً.

واخترت قريش قصة الغرائق انتصارا لللات والعزى

قال الله عز وجل: ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى. فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى. مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى. أَفَتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى. وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى. إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى. مَا زَاغَ الْبَصِيرُ وَمَا طَعَى. لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى. أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى. أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى. تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى. إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَّتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى. أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى. فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى. وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى. إِنْ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْتَعْمُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى. وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً. فَأَعْرِضْ عَمَّن تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا- الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. ذَلِكُمْ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى. وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى. النجم: ٨ - ٣١.

نزلت هذه الآيات في مكة بعد مرحلة (أنذر عشيرتک الأقرین) وبعد مرحلة (فاصدع بما تؤمر) وإعلان النبي صلى الله عليه وآله دعوته لجميع الناس ودخول عدد من المستضعفين في الإسلام وتضييق قريش عليهم وتعذيبهم، وهجرة بعضهم إلى الحبشة.. ومن الواضح أن الصراع في تلك المرحلة كان يتفاقم بين الإسلام والمشرکين، وكان أهم ما يتسلح به المشرکون ويطرحونه سبباً لمقاومتهم الإسلام هو (أن محمداً قد سب آلهتنا وسفّه أحلامنا).

وقد كان موقف النبي صلى الله عليه وآله من آلهتهم موقفاً صريحاً قوياً لامتساومة فيه ولامهاده.. وقد اتضح ذلك من السور الأولى للقرآن، وآياتها القاطعة في مسألة الأصنام.. ولم تكن سورة النجم إلا استمراراً لذلك الخط الرباني الصريح القوي، بل هي الحسم الالهي النهائي في المسألة، ووضع النقاط على الحروف بتسمية أصنام قريش المفضلة (اللات والعزى ومناة) بأسمائها، وإسقاطها إلى الابد!

ومن الطبيعي أن تكون هذه الآيات شديدة جداً على قريش، وأن تثير كبرياءها وعواطفها لأصنامها، وأن تقوم برده فعل بإشكال متعددة. وقصة الغرائق ما هي إلا واحدة من ردات الفعل القرشية..!

لكن متى اخترعت ومن اخترعها؟!

يغلب على الظن ما ذكره الشريف المرتضى من أن المشرکين عبدة هذه الأصنام الثلاثة لما سمعوا ذمها في آيات السورة حرّف بعضهم الآيات، ووضع بعد أسماء الأصنام الثلاثة عبارة (تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى) فأعجب ذلك القرشيين، وتمنوا لو يضاف هذا المديح لآلهتهم في السورة!

ولكن كيف يمكن ذلك؟ وكيف ينسجم مع السياق، والسياس كله حملة شديدة على فكر الأصنام وأهلها؟!!

هكذا ولدت قصة الغرائق على ألسنة القرشيين، ولكنها كانت هدياناً ولغوياً في القرآن من قريش المشركة لا أكثر!

ولكن الجريمة الكبرى عندما حولت قريش المنافقة هذا اللغو في القرآن إلى آيات الغرائق واتهمت بها النبي بعد وفاته صلى الله عليه

وآله لإثبات أنه لم يكن معصوماً عصمة مطلقه لتكون كل تصرفاته وأقواله حجة، بل كان يخطئ حتى في تبليغ الوحي! وفي ذلك فوائد عديدة لقريش للالتفاف على أوامر النبي صلى الله عليه وآله وتبرير أخطاء حكامها ومخالفاتهم لسنته!!

وهكذا سجلت مصادر السنين قصة الغرائق التي تزعم أن النبي صلى الله عليه وآله قد ارتكب خيانة والعياذ بالله في نص القرآن، وشهد بالشفاعة لأصنام اللات والعزى ومناة، وسجد لها لكي ترضى عنه قريش!
وقد طار منافقو قريش بهذه القصة فرحاً، ثم طار بها فرحاً ورثتهم الغربيون!!

وقد روى الهيثمي في مجمع الزوائد: ٦/٣٢٢ بعض روايات الغرائق، وروى السيوطي عدداً وافراً منها في الدر المنثور: ٤/١٩٤ وص ٣٦٦ وبعضها صحيح السند، خلافاً لمن بزأ منها الرواة المعتمدين عند حكام قريش! قال السيوطي في ٣٦٦:

وأخرج البزار والطبراني وابن مردويه والضياء في المختارة بسند رجاله ثقات من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: إن رسول الله (ص) قرأ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى! وفرح المشركون بذلك وقالوا قد ذكر آلهتنا! فجاء جبريل فقال: اقرأ علي ما جئتك به، فقرأ: **أَفْرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ**. تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى! فقال ما أتيتك بهذا، هذا من الشيطان!! فأنزل الله: **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ.. إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ**. وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه بسند صحيح عن سعيد بن جبير... الخ!! انتهى.

وقد ورد في بعض رواياتهم الافتراء على النبي صلى الله عليه وآله بأنه سجد للاصنام! (فقال: وإنهن لهن الغرائق العلى وإن شفاعتهن لهن التي ترتجى، فكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته، فوعدت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة، وذلت بها ألسنتهم وتباشروا بها، وقالوا إن محمداً قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه. فلما بلغ رسول الله (ص) آخر النجم سجد وسجد كل من حضر من مسلم ومشرك، ففشت تلك الكلمة في الناس وأظهرها الشيطان حتى بلغت أرض الحبشة فأنزل الله: **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ...**)

وفي بعضها (ألقى الشيطان على لسانه: وهي الغرائق العلى شفاعتهن ترتجى فلما فرغ من السورة سجد وسجد المسلمون والمشركون إلا- أبا أحيمه سعيد بن العاص فإنه أخذ كفاً من تراب فسجد عليه وقال: قد آن لابن أبي كبشة أن يذكر آلهتنا بخير، فبلغ ذلك المسلمين الذين كانوا بالحبشة أن قريشاً قد أسلمت، فأرادوا أن يُقبِلوا واشتد على رسول الله (ص) وعلى أصحابه ما ألقى الشيطان على لسانه فأنزل الله: **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ.. إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ**) انتهى.

وقد تجرأ بعض العلماء السنين وردوا روايات الغرائق ولكنهم ضعفوا سندها رغم صحته عندهم، من أجل أن لا يطعنوا في مؤلفي صحاحهم والمؤثقين من روايتهم!

قال المجلسي في بحار الأنوار: ١٧/٥٦:

قوله تعالى: **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ...** قال الرازي: ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية أن الرسول لما رأى إعراض قومه عنه شق عليه ما رأى من مبادئهم عما جاءهم به تمنى في نفسه أن يأتيهم من الله ما يقارب بينه وبين قومه، وذلك لحرصه على إيمانهم فجلس ذات يوم في ناد من أنديه قريش كثير أهله وأحب يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء ينفروا عنه وتمنى ذلك! فأنزل تعالى سورة والنجم إذا هوى، فقراها رسول الله (ص) حتى بلغ: **أَفْرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ** ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرائق العلى منها الشفاعة ترتجى! فلما سمعت قريش فرحوا ومضى رسول الله (ص) في قراءته وقرأ السورة كلها، فسجد المسلمون لسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين، فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد، سوى الوليد بن المغيرة وسعيد بن العاص، فإنهما أخذاً حفنة من البطحاء ورفعها إلى جبهتيهما وسجدا عليها، لأنهما كانا شيخين كبيرين لم يستطيعا السجود، وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا وقالوا: قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر، فلما أمسى رسول الله (ص) أتاه جبرئيل فقال: ماذا صنعت! تلوت على الناس ما لم آتتك به عن الله، وقلت ما لم أقل لك! فحزن رسول الله (ص) حزناً شديداً وخاف من الله خوفاً عظيماً حتى نزل قوله: **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ.. إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ**.

هذا رواية عامة المفسرين الظاهريين، وأما أهل التحقيق فقد قالوا: هذه الرواية باطلة موضوعاً واحتجوا بالقرآن، والسنة، والمعقول، أما القرآن فوجوه:

أحدها: قوله تعالى: وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ.

وثانيها: قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسه إن أتبع إلا ما يوحى إلى.

وثالثها: قوله: وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

فلو أنه قرأ عقيب هذه الآية تلك الغرائق العلى لكان قد أظهر كذب الله تعالى فى الحال، وذلك لا يقول به مسلم.

ورابعها: قوله تعالى: وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ، وكاد معناه قرب أن يكون لأمر كذلك مع أنه لم يحصل.

وخامسها: قوله: ولولا أن ثبتناك، وكلمة (لولا) تفيد انتفاء الشئ لإنتفاء غيره، فدل على أن الركون القليل لم يحصل.

وسادسها: قوله: كذلك لنثبت به فؤادك.

وسابعها: قوله: سنقرئك فلا تنسى.

وأما السنة فهى أنه روى عن محمد بن إسحاق بن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة فقال: هذا من وضع الزنادقة، وصنف فيه كتاباً.

وقال الإمام أبو بكر البيهقى: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم فى أن رواة هذه القصة مطعونون، وأيضاً فقد روى

البخارى فى صحيحه أنه صلى الله عليه وآله قرأ سورة (والنجم) وسجد فيها المسلمون والمشركون والانس والجن وليس فيه حديث

الغرائق، وروى هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها البتة حديث الغرائق.

وأما المعقول فمن وجوه: أحدها: أن من جوز على الرسول (ص) تعظيم الأوثان فقد كفر، لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم

سعيه (ص) كان فى نفى الأوثان.

وثانيها: أنه (ص) ما كان يمكنه فى أول الأمر أن يصلى ويقرأ القرآن عند الكعبة آمناً لأذى المشركين له، حتى كانوا ربما مدوا أيديهم

إليه، وإنما كان يصلى إذا لم يحضروها ليلاً أو فى أوقات خلوة، وذلك يبطل قولهم.

وثالثها: أن معاداتهم للرسول صلى الله عليه وآله كانت أعظم من أن يقرؤا بهذا القدر من القراءة دون أن يقفوا على حقيقة الأمر،

فكيف أجمعوا على أنه عظم آلهتهم حتى خروا سجداً، مع أنه لم يظهر عندهم موافقته لهم.

ورابعها: قوله: فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته، وذلك أن أحكام الآيات بإزالة تلقيه الشيطان عن الرسول أقوى من

نسخه بهذه الآيات التى تتنفى الشبهة معها، فإذا أراد الله تعالى إحكام الآيات لئلا يلتبس ما ليس بقرآن قرآناً، فبأن يمنع الشيطان من

ذلك أصلاً، أولى.

وخامسها: وهو أقوى الوجوه: أنا لو جوزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعه، وجوزنا فى كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون

كذلك، ويبطل قوله تعالى: بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، فإنه لا فرق بين

النقصان من الوحي وبين الزيادة فيه!

فبهذه الوجوه عرفنا على سبيل الإجمال أن هذه القصة موضوعة، أكثر ما فى الباب أن جمعاً من المفسرين ذكروها لكنهم ما بلغوا حد

التواتر. وخبر الواحد لا يعارض الدلائل العقلية والنقلية المتواترة... انتهى.

ولم يلتفت هذا المفسر الكبير إلى أن الآية التى ادعوا أنها نزلت على أثر القصة مدنية، نزلت بعد النجم بنحو عشر سنوات! كما لم

يلتفت إلى أن رواية البخارى وغيره التى ذكرها هى قصة الغرائق بعينها!

البخارى و مسلم روياً فريه الغرائق

وينبغى أن نحسن الظن بالرازي وأمثاله الذين دافعوا عن البخارى والصحاح فقالوا إنهم لم يرووا قصة الغرائق، حيث لم يقرؤوا

الصحيح جيداً، وإلا لوجدوا فيها قصة الغرائق بأكثر من رواية! غاية الأمر أن أصحابها حذفوا منها أن النبي صلى الله عليه وآله زاد في السورة مدح أصنام المشركين، ولكنهم ذكروا دليلاً عليه وهو سجود المسلمين والمشركين وحتى سجود أبي أحيحة أو أمية بن خلف أو غيرهما على كف من تراب أو حصى!! فإن سجود المشركين بعد سماع القرآن لم ينقله أى مصدر على الإطلاق فى أى رواية على الإطلاق، إلا فى رواية الغرائق! ومضافاً إلى رواية البخارى الفظيعة التى ذكرها الرازى فقد روى البخارى أيضاً فى: ٥/٧: عن عبد الله (رض) عن النبي (ص) أنه قرأ والنجم فسجد بها وسجد من معه، غير أن شيخاً أخذ كفاً من تراب فرفعه إلى جبهته فقال يكفينى هذا! قال عبد الله: فلقد رأيته بعد قتل كافراً. انتهى. ورواه مسلم فى ٨٨/ وروى البخارى أيضاً فى: ٦/٥٢:

عن الأسود بن يزيد عن عبد الله (رض) قال: أول سورة أنزلت فيها سجدة والنجم، قال فسجد رسول الله (ص) وسجد من خلفه إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً، وهو أمية بن خلف. وقال الحاكم فى المستدرک: ١/٢٢١:

عن أبى إسحاق عن الأسود عن عبد الله قال: أول سورة قرأها رسول الله صلى الله عليه وآله على الناس الحج، حتى إذا قرأها سجد فسجد الناس إلا رجلاً أخذ التراب فسجد عليه فرأيته قتل كافراً. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين بالإسنادين جميعاً ولم يخرجاه، إنما اتفقا على حديث شعبة عن أبى إسحاق عن الأسود عن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وآله قرأ والنجم فذكره بنحوه، وليس يعلل أحد الحديثين الآخرين فإنى لا أعلم أحداً تابع شعبة على ذكره النجم غير قيس بن الربيع. والذى يؤدى إليه الإجتهد صحة الحديثين، والله أعلم.

ومعنى كلام الحاكم: أنه كان الأولى بالبخارى ومسلم أن يرويا رواية السجود فى سورة الحج لأنها أصح، ولكنهما تركاها ورويا رواية سورة النجم!! وقال البيهقى فى سننه: ٢/٣١٤:

عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي (ص) سجد فيها، يعنى والنجم وسجد فيها المسلمون والمشركون والجن والإنس. رواه البخارى فى الصحيح عن أبى معمر وغيره، عن عبد الوارث. ورواها فى مجمع الزوائد: ٧/١١٥ أيضاً وصححها، قال:

قوله تعالى (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ) عن ابن عباس فيما يحسب سعيد بن جبیر أن النبي (ص) كان بمكة فقرأ سورة والنجم حتى انتهى إلى (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى) فجرى على لسانه: تلك الغرائق العلى الشفاعة منهم ترتجى، قال فسمع بذلك مشركو أهل مكة فسروا بذلك، فاشتد على رسول الله (ص) فأنزل الله تبارك وتعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسِيخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ) رواه البزار والطبرانى وزاد إلى قوله (عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ) يوم بدر. ورجالهما رجال الصحيح إلا أن الطبرانى قال لا أعلمه إلا عن ابن عباس عن النبي (ص)، وقد تقدم حديث مرسل فى سورة الحج أطول من هذا، ولكنه ضعيف الإسناد. انتهى.

ويقصد بالرواية الطويلة الضعيفة ما رواه فى مجمع الزوائد: ٧/٧٠ وقد ورد فيها:

حين أنزل الله السورة التى يذكر فيها (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى) فقال المشركون لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أقررناه وأصحابه، فإنه لا يذكر أحداً ممن خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل الذى يذكر به آلهتنا من الشتم والشر، فلما أنزل الله السورة التى يذكر فيها والنجم وقرأ (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى) ألقى الشيطان فيها عند ذلك ذكر الطواغيت فقال: وإنهم من الغرائق العلى، وإن شفاعتهم لترتجى، وذلك من سجع الشيطان وفتنته، فوقع هاتان الكلمتان فى قلب كل مشرك وذلت بها ألسنتهم واستبشروا بها وقالوا إن محمداً قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه، فلما بلغ رسول الله (ص) آخر السورة التى فيها النجم سجد وسجد معه كل من

حضره من مسلم ومشرك غير أن الوليد بن المغيرة كان كبيراً فرجع ملء كفه تراب فسجد عليه، فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم في السجود لسجود رسول الله (ص)، فأما المسلمون فعجبوا من سجود المشركين من غير إيمان ولا يقين، ولم يكن المسلمون سمعوا الذي ألقى الشيطان على السنة المشركين، وأما المشركون فطمأنوا أنفسهم إلى النبي (ص)، وحدثهم الشيطان أن النبي (ص) قد قرأها في السجدة، فسجدوا لتعظيم آلهتهم، ففشت تلك الكلمة في الناس وأظهرها الشيطان حتى بلغت الحبشة! فلما سمع عثمان بن مظعون وعبدالله بن مسعود ومن كان معهم من أهل مكة أن الناس أسلموا وصاروا مع رسول الله (ص)، وبلغهم سجود الوليد بن المغيرة على التراب على كفه، أقبلوا سراعاً! فكبر ذلك على رسول الله (ص)، فلما أمسى أتاه جبريل عليه السلام فشكا إليه فأمره فقرأ له، فلما بلغها تبرأ منها جبريل وقال: معاذ الله من هاتين ما أنزلهما ربي ولا أمرني بهما ربك!! فلما رأى ذلك رسول الله (ص) شق عليه وقال: أطعت الشيطان وتكلمت بكلامه وشركني في أمر الله!! فنسخ الله ما يلقي الشيطان وأنزل عليه (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ، لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) فلما برأه الله عز وجل من سجع الشيطان وفتنته، انقلب المشركون بضلالهم وعداوتهم، فذكر الحديث، وقد تقدم في الهجرة إلى الحبشة. رواه الطبراني مرسلًا وفيه ابن لهيعة، ولا يحتمل هذا من ابن لهيعة. انتهى.

فتبين من مجموع ذلك أن سند القصة في مصادر السنين صحيح، ولا يصح القول بأن الواقدي تفرد بها، أو أن الصحاح لم تروها!!

نماذج من ردود علماء مذهب أهل البيت على فرية الغرائيق

قال الشريف المرتضى في تنزيه الأنبياء/١٠٦:

مسألة: فإن قال فما معنى قوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.

أو ليس قد روى في ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما رأى تولى قومه عنه شق عليه ما هم عليه من المباحة والمنافرة وتمنى في نفسه أن يأتيه من الله تعالى ما يقارب بينه وبينهم وتمكن حب ذلك في قلبه، فلما أنزل الله تعالى عليه: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، وتلاها عليهم، ألقى الشيطان على لسانه لما كان تمكن في نفسه من محبة مقاربتهم: تلك الغرائيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى، فلما سمعت قريش ذلك سرت به وأعجبهم ما زكى به آلهتهم، حتى انتهى إلى السجدة فسجد المؤمنون وسجد أيضاً المشركون لما سمعوا من ذكر آلهتهم بما أعجبهم، فلم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك إلا سجد، إلا الوليد بن المغيرة فإنه كان شيخاً كبيراً لا يستطيع السجود فأخذ بيده حفنة من البطحاء فسجد عليها، ثم تفرق الناس من المسجد وقريش مسرورة بما سمعت. وأتى جبرائيل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله معاتباً على ذلك فحزن له حزناً شديداً. فأنزل الله تعالى عليه معزياً له ومسلماً: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ.. الآية. قلنا: أما الآية فلا دلالة في ظاهرها على هذه الخرافة التي قُصَّوها، وليس يقتضى الظاهر إلا أحد أمرين: إما أن يريد بالتمنى التلاوة كما قال حسان بن ثابت:

تمنى كتاب الله أول ليله وآخره لاقى حمام المقادر

أو أريد بالتمنى تمنى القلب.

فإن أراد التلاوة، كان المراد من أرسلنا قبلك من الرسل، كان إذا تلا ما يؤديه إلى قومه حرفوا عليه وزادوا فيما يقوله ونقصوا، كما فعلت اليهود في الكذب على نبيهم فأضاف ذلك إلى الشيطان، لأنه يقع بوسوسته وغروره. ثم بين أن الله تعالى يزيل ذلك ويدحضه بظهور حجته وينسخه، ويحسم مادة الشبهة به.

وإنما خرجت الآية على هذا الوجه مخرج التسليء له صلى الله عليه وآله لما كذب المشركون عليه وأضافوا إلى تلاوته مدح آلهتهم ما

لم يكن فيها.

وإن كان المراد تمنى القلب، فالوجه في الآية أن الشيطان متى تمنى النبي صلى الله عليه وآله بقلبه بعض ما يتمناه من الأمور يوسوس إليه بالباطل ويحدثه بالمعاصي ويغريه بها ويدعوه إليها، وأن الله تعالى ينسخ ذلك ويبطله بما يرشده إليه من مخالفة الشيطان وعصيانه وترك استماع غروره.

وأما الأحاديث المروية في هذا الباب، فلا يلتفت إليها من حيث تضمنت ما قد نزهت العقول الرسل (عليهم السلام) عنه. هذا لو لم يكن في أنفسها مطعون ضعیف عند أصحاب الحديث بما يستغنى عن ذكره.

وكيف يجيز ذلك على النبي صلى الله عليه وآله من يسمع الله تعالى يقول: كَذَلِكَ لِنُبَيِّنَ بِهِ فُؤَادَكَ يَعْزِي الْقُرْآنَ، وقوله تعالى: وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقْوَابِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ، وقوله تعالى: سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى!

على أن من يجيز السهو على الأنبياء (عليهم السلام) يجب أن لا يجيز ما تضمنته هذه الرواية المنكرة لما فيها من غاية التنفير عن النبي صلى الله عليه وآله لأن الله تعالى قد جنب نبيه من الأمور الخارجة عن باب المعاصي كالغلظة والفظاظة وقول الشعر، وغير ذلك مما هو دون مدح الأصنام المعبودة دون الله تعالى.

على أنه لا يخلو صلى الله عليه وآله - وحوشى مما قذف به - من أن يكون تعمد ما حكوه وفعله قاصداً أو فعلة ساهياً. ولا حاجة بنا إلى إبطال القصد في هذا الباب والعمد لظهوره، وإن كان فعلة ساهياً فالسأهي لا يجوز أن يقع منه مثل هذه الألفاظ المطابقة لوزن السورة وطريقها ثم لمعنى ما تقدمها من الكلام، لأننا نعلم ضرورة أن من كان ساهياً لو أنشد قصيدة لما جاز أن يسهو حتى يتفق منه بيت شعر في وزنها وفي معنى البيت الذى تقدمه، وعلى الوجه الذى يقتضيه فائدته، وهو مع ذلك يظن أنه من القصيدة التى ينشدها. وهذا ظاهر فى بطلان هذه الدعوى على النبي صلى الله عليه وآله على أن الموحى إليه من الله النازل بالوحى وتلاوة القرآن جبرائيل عليه السلام وكيف يجوز السهو عليه؟!

على أن بعض أهل العلم قد قال: يمكن أن يكون وجه التباس الأمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما تلا هذه السورة فى ناد غاص بأهله وكان أكثر الحاضرين من قريش المشركين فأنهى إلى قوله تعالى: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وعلم فى قرب مكانه منه من قريش أنه سيورد بعدها ما يسوؤهم به فيهن قال كالمعارض له والراد عليه:

تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى، فظن كثير ممن حضر أن ذلك من قوله صلى الله عليه وآله واشتبه عليهم الأمر، لأنهم كانوا يلغظون عند قراءته صلى الله عليه وآله ويكثر كلامهم وضجاجهم طلباً لتغليظه وإخفاء قراءته.

ويمكن أن يكون هذا أيضاً فى الصلاة لأنهم كانوا يقربون منه فى حال صلاته عند الكعبة ويسمعون قراءته ويلغون فيها. وقيل أيضاً إنه صلى الله عليه وآله كان إذا تلا القرآن على قريش توقف فى فصول الآيات وأتى بكلام على سبيل الحجاج لهم، فلما تلا: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى قال: تلك الغرائق العلى منها الشفاعة ترتجى؟! على سبيل الإنكار عليهم وأن الأمر بخلاف ما ظنوه من ذلك. وليس يمتنع أن يكون هذا فى الصلاة لأن الكلام فى الصلاة حينئذ كان مباحاً وإنما نسخ من بعد.

وقيل إن المراد بالغرائق الملائكة، وقد جاء مثل ذلك فى بعض الحديث فتوهم المشركون أنه يريد آلهتهم. وقيل إن ذلك كان قرآناً منزلاً فى وصف الملائكة فتلاه الرسول صلى الله عليه وآله فلما ظن المشركون أن المراد به آلهتهم نسخت تلاوته.

وكل هذا يطابق ما ذكرناه من تأويل قوله: إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته، لأن بغرور الشيطان ووسوسته أضيف إلى تلاوته صلى الله عليه وآله ما لم يرد به. وكل هذا واضح بحمد الله تعالى.

نهج الحق للعلامة الحلى/١٣٩:

ذهبت الإمامية كافة إلى أن الأنبياء (عليهم السلام) معصومون عن الصغائر والكبائر ومنزهون عن المعاصي قبل النبوة وبعدها، على

سبيل العمد والنسيان، وعن كل رذيلة ومنقصة، وما يدل على الخسة والضعف.

وخالفت الأشاعرة في ذلك وجوزوا عليهم المعاصي. وبعضهم جوزوا الكفر عليهم قبل النبوة وبعدها، وجوزوا عليهم السهو والغلط، ونسبوا رسول الله صلى الله عليه وآله إلى السهو في القرآن بما يوجب الكفر فقالوا: إنه صلى يوماً وقرأ في سورة النجم عند قوله تعالى: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ. تلك الغرائق العلى منها الشفاعة ترتجى. وهذا اعتراف منه بأن تلك الأصنام ترتجى الشفاعة منها!

نعوذ بالله من هذه المقالة التي نسب النبي إليها، وهي توجب الشرك، فما عذرهم عند رسول الله صلى الله عليه وآله؟! مجمع البحرين للطريحي: ٤/٢٣٩:

رووا أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان في الصلاة فقرأ سورة النجم في المسجد الحرام وقريش يستمعون لقراءته، فلما انتهى إلى هذه الآية: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ، أجرى إبليس على لسانه: فإنها الغرائق العلى وشفاعتهم لترتجى! ففرحت قريش وسجدوا وكان في ذلك القوم الوليد بن المغيرة المخزومي وهو شيخ كبير فأخذ كفاً من حصي فسجد عليه وهو قاعد، وقالت قريش: قد أقر محمد بشفاعة اللات والعزى. قال فنزل جبرئيل فقال له: قرأت ما لم أنزل به عليك! انتهى.

وقد طار أعداء الإسلام بهذه القصة كما أشرنا وشنعوا بها على الإسلام ورسوله، محتجين بأنها وردت في مصادر المسلمين! وكان آخر من استغلها المرتد سلمان رشدي والدول التي وراءه! وقد أخذها من المستشرقين بروكلمان ومونتغمري وأمثالهما، وأخذها هؤلاء من مصادر السنيين!!

وقد نقد الباحث السوداني الدكتور عبدالله النعيم في كتابه (الاستشراق في السيرة النبوية) - المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٤١٧، استغلال المستشرقين لحديث الغرائق ونقل في ٥١/، افتراء بروكلمان حيث قال عن النبي صلى الله عليه وآله (ولكنه على ما يظهر اعترف في السنوات الأولى من بعثته بالهة الكعبة الثلاث اللواتي كان مواطنوه يعتبرونهن بنات الله، وقد أشار اليهن في إحدى الآيات الموحاة إليه بقوله: تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهم لترتجى... ثم مالبت أن أنكر ذلك وتبرأ منه في اليوم التالي)!!

ونقل الدكتور النعيم في ٩٦/ زعم مونتغمري وات (تلا- محمد الآيات الشيطانية باعتبارها جزءاً من القرآن إذ ليس من المتصور أن تكون القصة من تأليف المسلمين أو غير المسلمين، وأن انزعاج محمد حينما علم بأن الآيات الشيطانية ليست جزء من القرآن يدل على أنه تلاها، وأن عبادة محمد بمكة لا تختلف عن عبادة العرب في نخلة والطائف.. ولقد كان توحيد محمد غامضاً (!) ولا شك أنه يعد اللات والعزى ومناة كائنات سماوية أقل من الله) انتهى.

أما نحن فإننا تبعاً لأهل البيت (عليهم السلام) نرفض رواية الغرائق من أصلها، ونعتقد أنها واحدة من افتراءات قريش الكثيرة على النبي صلى الله عليه وآله في حياته وبعد وفاته.. ونستدل بوجودها على أن مطلب قريش كان الاعتراف بآلهتها وشفاعتهم، وأن منافق قريش وضعوا هذه الروايات طعناً في عصمة النبي صلى الله عليه وآله فخدموا بذلك هدف قريش المشركة، وهدف أعداء الإسلام في كل العصور!

ومع أن المستشرقين لا يحتاجون إلى الروايات الموضوعية ليمسكوا بها، فهم يكذبون على نبينا صلى الله عليه وآله وعلى مصادرنا جهاراً نهاراً، ولكننا نأسف لأن مصادر إخواننا السنيين روت عدة افتراءات على النبي صلى الله عليه وآله على أنها حقائق، منها قصة الغرائق، ومنها قصة ورقة بن نوفل في بدء الوحي، وغيرها من الروايات المخالفة للعقل والتهذيب والاحترام الذي ينبغي لمقام النبي صلى الله عليه وآله.. ثم لم يرووا ما ورد في مصادرنا من بغض النبي لأصنام قريش منذ طفولته، ولم يرووا تكذيب أهل البيت (عليهم السلام) لرواية ورقة بن نوفل، وتأكيدهم على الأفق المبين الذي نص عليه القرآن وبدأ فيه الوحي.

وقد ذكر الدكتور النعيم في هامش كتابه المذكور المصادر التي روت حديث الغرائق وهي طبقات ابن سعد: ١/٢٠٥ وتاريخ الطبري: ٢/٢٢٦ وتاريخ ابن الأثير: ٢/٧٧ وسيرة ابن سيد الناس: ١/١٥٧.. وقال في ٩٧/ (يعتبر الواقدي أول من روج لهذه الفرية ثم أخذها

عنه ابن سعد والطبري وغيرهم) وقال في ٩٨/ (ولم يرو ابن إسحاق وابن هشام هذه الواقعة إطلاقاً، ومهما يكن من أمر فالواقدي هو أصلها. إن ما يدعو للتساؤل هو كيف أمكن تمرير هذه الواقعة مع علم أصحابها بعصمة الرسل!) انتهى.

ولكن عرفت أن أصحاب الصحاح وروها، فعلى الذي يرد سندها أن يرد جميع أسانيدها، لا سند الواقدي وحده!

ثم نقل الدكتور النعيم نقد القاضى عياض فى كتابه (الشفاه) لحديث الغرائق سنداً ومتمناً، وكذلك نقد القرضاوى فى كتابه (كيف نتعامل مع السنة النبوية) ونقل عنه قوله فى ٩٣/ (ومعنى هذا أن تفهم السنة فى ضوء القرآن ولهذا كان حديث الغرائق مردوداً بلا ريب، لأنه مناف للقرآن) انتهى.

وليت بقیة الباحثين من إخواننا السنين يتمسكون بدلیل مخالفة القرآن ويردون به المكذوبات التي وضعها المنافقون، وروجتها الخلافة القرشيه ورواتها، وما زالت إلى عصرنا صحيحة أو موثقة!!

تنبؤ عميق للنبي حول اللات والعزى

روت مصادر السنين بأسانيد صحيحة عندهم أن النبي صلى الله عليه وآله أخبر أن العرب سوف يعبدون اللات والعزى مرة أخرى!

فقد روى مسلم فى صحيحه: ٨/١٨٢:

عن أبى سلمة عن عائشة قالت: سمعت رسول الله (ص) يقول: لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى! فقلت يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، أن ذلك تاماً. قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله انتهى.

ورواه الحاكم فى مستدركه: ٤/٤٤٦ وص ٥٤٩ وقال فى الموردين (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه) ورواه البيهقي فى سنة: ٩/١٨١ ورواه الهندي فى كنز العمال: ١٤/٢١١ وقال عنه السيوطى فى الدر المنثور: ٦/٦١: وأخرج مسلم والحاكم وصححه.. وقال عن الحديث الأول فى: ٣/٢٣١ أخرج أحمد ومسلم والحاكم وابن مردويه عن عائشة. انتهى.

وإذا صحت هذه الأحاديث فتفسيرها أن بعض العرب سوف يكفرون فى المستقبل، ويرجعون إلى عبادة اللات والعزى!

ولكن الاقرب أن يكون مقصوده صلى الله عليه وآله أن الأمة سوف تنحرف من بعده وتطيع شخصين من دون الله تعالى، ويكون لهما تأثير اللات والعزى.. لأن من أطاع شخصاً فى معصية الله تعالى أو من دون أمره، فقد عبده من دون الله تعالى!!

والنتيجة التى نخلص بها من هذا البحث، أن الشفاعة كانت معروفة عند مشركى العرب، وكان يهتمهم أن يثبتوا هذه المنزلة لاصنامهم.. وهى نقطة تنفعنا فى فهم السبب لوضع بعض الأحاديث التى تدعى توسيع شفاعة نبينا صلى الله عليه وآله لتشمل كل قريش وكل المنافقين وغيرهم، وتحل محل شفاعة اللات والعزى، وتضاهى شفاعة اليهود المزعومة لقوميتهم!!

كليات الشفاعة فى القرآن

آيات الشفاعة و عناوينها

الشفاعة الحسنه والشفاعة السيئه فى الدنى

مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيمًا. النساء: ٨٥.

الشفعاء يوم القيامة يشفعون بعهد من الله تعالى

لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا. مريم: ٨٧.

يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا. طه: ١٠٩.

الاولياء المكرمون ينفعون مواليهم بفاعتهم

إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ. يَوْمٌ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ. إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ. الدخان: ٤٠ - ٤٢.

عباد الله المكرمون كلهم شفعاء
وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ. لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ. يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ. الأنبياء: ٢٦ - ٢٨.

الشهداء بالحق شفعاء

وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ. الزخرف: ٨٦.

الملائكة يشفعون للناس بإذن الله تعالى

وَكَمِ مِنْ مَلَائِكَةٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى. النجم: ٢٦

الشفيع الأكبر

عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا. الإسراء: ٧٩
وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى. الضحى: ٥

لا شفاعة من دون الله تعالى

وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ. الانعام: ٥١
اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ.
السجدة: ٤

لا شفاعة إلا بإذنه و من بعد إذنه

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ. البقرة: ٢٥٥

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ. يونس: ٣

وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ. سبأ: ٢٣
وَكَمِ مِنْ مَلَائِكَةٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى. النجم: ٢٦

الشفعاء المزعومون لا شفاعة لهم

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُبِتُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ. يونس: ١٨

وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شَفَعَاءَكُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ
شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ. الأنعام: ٩٤

وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شَفَعَاءٌ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ. الروم: ١٣

أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْفَعُونَ. يس: ٢٣

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شَفَعَاءَ قَبْلَ أُولُو كُنُوفِهِمْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ. قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ. الزمر: ٤٣ - ٤٤

لا شفاعة في يوم القيامة كشفاعة الدني

وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ. البقرة: ٤٨

وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ. البقرة: ١٢٣

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ. البقرة: ٢٥٤

وَدَرَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَّرَ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ
تَعَدَّلَ كُلٌّ عَدْلًا لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ. الأنعام: ٧٠

فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ، وَلَا صَاحِبِي حَمِيمٍ. الشعراء: ١٠٠ - ١٠١

فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ. المدثر: ٤٨

الكفار يبحثون بحثنا حيننا عن الشفعاء

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ
غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ. الأعراف: ٥٣

يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أذنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا. النبأ: ٣٨

لا شفاعة للظالمين

وَأَنْذَرْنَاهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ. غافر: ١٨

وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ. المدثر: ٤٦-٤٨

شفاعة نبينا

تفسير (المقام المحمود) لنبينا

قال الله تعالى: أقيم الصلوة لمدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودًا. ومن الليل فتهدج به نافلة لك
عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا. الإسراء: ٧٩

مصادرنا تصف المقام المحمود لنبينا صلى الله عليه وآله في المحشر

لعل أقوى نص في متنه يبين أهمية المقام المحمود الذي وعد الله رسوله صلى الله عليه وآله بأن يكرمه به يوم القيامة، ما رواه الصدوق عن علي عليه السلام، فقد بين فيه أن ليوم القيامة مراحل ومراسم قبل الحساب، وأن المقام المحمود لنبينا صلى الله عليه وآله يبدأ في أوائل مراحل ذلك اليوم العظيم بتلك الخطبة (الفريضة) التي يفتح بها نبينا المحشر ويلهمه الله تعالى فيها أنواع المحامد لربه تعالى نيابة عن الخلائق، ويعطى على أثرها لواء الحمد الذي هو رئاسة المحشر، وذلك قبل الحساب والشفاعة وحوض الكوثر..

قال الصدوق في التوحيد في حديث طويل/ ٢٥٥ - ٢٦٢:

حدثنا أحمد بن الحسن القطان قال: حدثنا أحمد بن يحيى عن بكر بن عبدالله بن حبيب قال: حدثني أحمد بن يعقوب بن مطر قال: حدثنا محمد بن الحسن بن عبدالعزيز الأحذب الجند بنيسابور قال: وجدت في كتاب أبي بخطه: حدثنا طلحة بن يزيد عن عبيد الله بن عبيد عن أبي معمر السعداني أن رجلاً أتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إنى قد شككت في كتاب الله المنزل.

قال له عليه السلام: ثكلتك أمك وكيف شككت في كتاب الله المنزل!

قال: لأنى وجدت الكتاب يكذب بعضه بعضاً فكيف لا أشك فيه.

فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: إن كتاب الله ليصدق بعضه بعضاً ولا يكذب بعضه بعضاً ولكنك لم ترزق عقلاً تنتفع به، فهات ما شككت فيه من كتاب الله عز وجل.

قال له الرجل: إنى وجدت الله يقول: فَالْيَوْمَ نُنَسِّأُهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا، وقال أيضاً: نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ، وقال: وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا. فمرة يخبر أنه ينسى ومرة يخبر أنه لا ينسى، فأنى ذلك يا أمير المؤمنين! قال: هات ما شككت فيه أيضاً....

فقال علي عليه السلام: قُدُّوسٌ ربنا قدوس، تبارك وتعالى علواً كبيراً، نشهد أنه هو الدائم الذى لا يزول، ولا نشك فيه، وليس كمثل شئ وهو السميع البصير، وأن الكتاب حق، والرسول حق، وأن الثواب والعقاب حق، فإن رزقت زيادة إيمان أو حرمته فإن ذلك بيد الله إن شاء رزقك وإن شاء حرملك ذلك، ولكن سأعلمك ما شككت فيه ولا قوة إلا بالله، فإن أراد الله بك خيراً أعلمك بعلمه وثبتك، وإن يكن شراً ضللت وهلكت.

أما قوله: نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إنما يعنى نسوا الله فى دار الدنيا لم يعملوا بطاعته فنسيهم فى الآخرة أى لم يجعل لهم فى ثوابه شيئاً، فصاروا منسيين من الخير

وكذلك تفسير قوله عز وجل: فَالْيَوْمَ نُنَسِّأُهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا، يعنى بالنسيان أنه لم يثبتهم كما يثبت أولياءه الذين كانوا فى دار الدنيا مطيعين ذاكرين حين آمنوا به وبرسله وخافوه بالغيب. وأما قوله: وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا، فإن ربنا تبارك وتعالى علواً كبيراً ليس بالذى ينسى ولا يغفل، بل هو الحفيظ العليم، وقد يقول العرب فى باب النسيان: قد نسي فلان فلا يذكرنا أى أنه لا يأمر لنا بخير ولا يذكرنا به، فهل فهمت ما ذكر الله عز وجل؟ قال: نعم، فرجت عنى فرج الله عنك، وحللت عنى عقده فعظم الله أجرى.

فقال عليه السلام: وأما قوله: يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صِفًا لا يَتَكَلَّمُونَ إِلا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا، وقوله: وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ، وقوله: يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وقوله: إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ، وقوله: لا تَخْتَصِمُوا لَدَىٰ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ، وقوله: الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فإن ذلك فى موطن غير واحد من مواطن ذلك اليوم الذى كان مقداره خمسين ألف سنة! يجمع الله عز وجل الخلائق يومئذ فى مواطن يتفرقون ويكلم بعضهم بعضاً، ويستغفر بعضهم لبعض، أولئك الذين كان منهم الطاعة فى دار الدنيا. ويلعن أهل المعاصى الذين بدت منهم البغضاء وتعاونوا على الظلم والعدوان فى دار الدنيا، الرؤساء والأتباع من المستكبرين والمستضعفين يكفر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم

بعضاً. والكفر في هذه الآية: البراءة يقول يبرأ بعضهم من بعض، ونظيرها في سورة إبراهيم قول الشيطان: إني كفرت بما أشركتمون من قبل، وقول إبراهيم خليل الرحمن: كفرنا بكم، يعني تبرأنا منكم.

ثم يجتمعون في موطن آخر ييكون فيه، فلو أن تلك الاصوات بدت لأهل الدنيا لأذهلت جميع الخلق عن معاشتهم، ولتصدعت قلوبهم إلا ما شاء الله، فلا يزالون ييكون الدم.

ثم يجتمعون في موطن آخر فيستنطقون فيه فيقولون: والله ربنا ما كنا مشركين، فيختم الله تبارك وتعالى على أفواههم ويستنطق الأيدي والأرجل والجلود فتشهد بكل معصية كانت منهم، ثم يرفع عن ألسنتهم الختم فيقولون لجلودهم: لم شهدتم علينا، قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء.

ثم يجتمعون في موطن آخر فيستنطقون، فيفر بعضهم من بعض، فذلك قوله عز وجل: يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ. وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ. وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ، فيستنطقون فلا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً، فيقوم الرسل صلى الله عليهم فيشهدون في هذا الموطن، فذلك قوله: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا.

ثم يجتمعون في موطن آخر يكون فيه مقام محمد صلى الله عليه وآله وهو المقام المحمود فيثنى على الله تبارك وتعالى بما لم يثن عليه أحد قبله، ثم يثنى على الملائكة كلهم فلا يبقى ملك إلا أثنى عليه محمد صلى الله عليه وآله، ثم يثنى على الرسل: بما لم يثن عليهم أحد قبله، ثم يثنى على كل مؤمن ومؤمنة، يبدأ بالصدّيقين والشهداء ثم بالصالحين، فيحمده أهل السماوات والأرض، فذلك قوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، فطوبى لمن كان له في ذلك المقام حظ، وويل لمن لم يكن له في ذلك المقام حظ ولا نصيب.

ثم يجتمعون في موطن آخر ويدال بعضهم من بعض، وهذا كله قبل الحساب، فإذا أخذ في الحساب شغل كل إنسان بما لديه. نسأل الله بركة ذلك اليوم.

قال: فرجت عنى فرج الله عنك يا أمير المؤمنين، وحللت عنى عقدة، فعظم الله أجرك. انتهى. ورواه في بحار الأنوار: ٧/١١٩
الصحيفة السجادية: ١/٣٧:

اللهم واجعله خطيب وفد المؤمنين إليك، والمكسو حلل الأمان إذا وقف بين يديك، والناطق إذا خرست الألسن في الثناء عليك.
اللهم وابسط لسانه في الشفاعة لامته، وأر أهل الموقف من النبيين وأتباعهم تمكن منزلته، وأوهل أبصار أهل المعروف العلى بشعاع نور درجته، وقفه في المقام المحمود الذى وعدته، واغفر ما أحدث المحدثون بعده فى أمته، مما كان اجتهادهم فيه تحرياً لمرضاتك ومرضاته، وما لم يكن تأليفاً على دينك ونقضاً لشريعته، واحفظ من قبل بالتسليم والرضا دعوته، واجعلنا ممن تكثر به وارديه، ولا يذاد عن حوضه إذا ورده، واسقنا منه كأساً رويلاً لا نظماً بعده.

وروى فى بحار الأنوار: ٧/٣٣٥ عن تفسير فرات الكوفى:

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن أبيه عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال النبى صلى الله عليه وآله: إن الله تبارك وتعالى إذا جمع الناس يوم القيامة وعدنى المقام المحمود، وهو واف لى به. إذا كان يوم القيامة نصب لى منبر له ألف درجة فأصعد حتى أعلو فوفا فى أثنى جبرئيل عليه السلام بلواء الحمد فيضعه فى يدى ويقول: يا محمد هذا المقام المحمود الذى وعدك الله تعالى، فأقول لعلى: إصعد فى يكون أسفل منى بدرجته، فأضع لواء الحمد فى يده، ثم يأتى رضوان بمفاتيح الجنة فيقول: يا محمد هذا المقام المحمود الذى وعدك الله تعالى، فيضعها فى يدى فأضعها فى حجر على بن أبى طالب، ثم يأتى مالك خازن النار فيقول: يا محمد هذا المقام المحمود الذى وعدك الله تعالى هذه مفاتيح النار أدخل عدوك وعدو أمته النار، فأخذها وأضعها فى حجر على بن أبى طالب، فالنار والجنة يومئذ أسمع لى ولعلى من العروس لزوجها، فهى قول الله تعالى: أَلْقِيَا فى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ. انتهى.

ويؤيد هذا الحديث أنك لا تجد تفسيراً مقنعاً لتثنية الخطاب فى هذه الآية، إلا هذا الحديث!

تفسير القمي: ٢/٢٥:

وأما قوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، فإنه حدثني أبي عن الحسن بن محبوب، عن زرعة، عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألت عن شفاعته النبي صلى الله عليه وآله يوم القيامة؟ فقال: يلجم الناس يوم القيامة العرق فيقولون: إنطلقوا بنا إلى آدم يشفع لنا عند ربنا فيأتون آدم فيقولون: يا آدم إشفع لنا عند ربك، فيقول: إن لي ذنباً وخطيئته فعليكم بنوح، فيأتون نوحاً فيردهم إلى من يليه، ويردhem كل نبي إلى من يليه، حتى ينتهوا إلى عيسى فيقول: عليكم بمحمد رسول الله، فيعرضون أنفسهم عليه ويسألونه فيقول: إنطلقوا، فينطلق بهم إلى باب الجنة ويستقبل باب الرحمة ويخر ساجداً فيمكث ما شاء الله، فيقول الله: إرفع رأسك واشفع تشفع، وأسأل تعط، وذلك هو قوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا. انتهى. ورواه في تفسير نور الثقلين: ٣/٢٠٦.

تفسير العياشي: ٢/٣١٤:

عن عبيد بن زرارة قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن المؤمن هل له شفاعته؟ قال: نعم فقال له رجل من القوم: هل يحتاج المؤمن إلى شفاعته محمد يومئذ؟ قال: نعم إن للمؤمنين خطايا وذنوباً، وما من أحد إلا ويحتاج إلى شفاعته محمد يومئذ. قال وسأله رجل عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا سيد ولد آدم ولا فخر؟ قال: نعم يأخذ حلقه باب الجنة فيفتحها فيخر ساجداً فيقول الله: إرفع رأسك إشفع تشفع، أطلب تعط، فيرفع رأسه ثم يخر ساجداً فيقول الله: إرفع رأسك، إشفع تشفع واطلب تعط، ثم يرفع رأسه فيشفع، فيشفع ويطلب فيعطى.

روضة الواعظين/ ٥٠٠:

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: المقام الذي أشفع فيه لامتي.

وفي ٢٧٣: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا قمت المقام المحمود تشفعت في أصحاب الكبائر من أمتي فيشفعني الله فيهم، والله لا تشفعت فيمن آذى ذريتي

تفسير التبيان: ٦/٥١٢:

وقوله: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، معناه متى فعلت ما ندبناك إليه من التهجد يبعثك الله مقاماً محموداً، وهي الشفاعته في قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة، وقال قوم: المقام المحمود: إعطاؤه لواء الحمد. وعسى من الله واجبة.

وقال أبو الصلاح الحلبي في الكافي/ ٤٩١:

ولرسول الله صلى الله عليه وآله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، صلوات الله عليه وآله في ذلك اليوم المقام الأشرف والمحل الأعظم، له اللواء المعقود لواء الحمد، والحوض المورود، والمقام المحمود، والشفاعة المقبولة والمنزلة العلية، والدرجة المنيعه على جميع النبيين وأتباعهم. وكل شئ خص به من التفضيل وشرح له من التأهيل فأخوه وصنوه ووارث علمه ووصيه في أمته وخليفته على رعيته أمير المؤمنين وسيد المسلمين على بن أبي طالب بن عبد المطلب عليه السلام شريك فيه، وهو صاحب الاعراف، وقسيم الجنة والنار، بنصه الصريح وقوله الفصيح.

وأعلام الأزمنة وتراجمه المله بعدهما صلوات الله عليهم أعواناً عليه ومساهمون فيه، حسب ما أخبر به وأشار بذكره.

ولشيعتهم من ذلك الحظ الأوفر والقسط الأكبر، لتحققهم بالإسلام ممن عداهم وتخصصهم بالإيمان دون من سواهم.

ونختم ما اخترناه من مصادرنا بحديث طريف ورد عن أهل البيت (عليهم السلام) في مواعظ الله تعالى لنيبه عيسى عليه السلام وشاهدنا منه الفقرة الأخيرة المتعلقة بشارته بنبينا صلى الله عليه وآله وشفاعته، لكن نوره كاملاً لكثرة فوائده.

فقد روى الكليني في الكافي: ٨/١٣١:

عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن علي بن أسباط، عنهم (عليهم السلام) فيما وعظ الله عز وجل به عيسى عليه السلام:

يا عيسى، أنا ربك ورب آبائك إسمى واحد، وأنا الاحد المتفرد بخلق كل شئ، وكل شئ من صنعى، وكل إلى راجع.

يا عيسى، أنت المسيح بأمرى، وأنت تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى، وأنت تحيى الموتى بكلامى، فكن لى راغباً ومنى راهباً، ولن تجد منى ملجأً إلا لى.

يا عيسى، أوصيك وصية المتحن عليك بالرحمة حتى حقت لك منى الولاية بتحريك منى المسرة، فبوركت كبيراً وبوركت صغيراً حيث ما كنت، إشهد أنك عبدى ابن أمتى، أنزلنى من نفسك كهملك واجعل ذكرى لمعادك، وتقرب لى بالنوافل، وتوكل على أكفك، ولا توكل على غيرى فأخذ لك.

يا عيسى، إصبر على البلاء وارض بالقضاء، وكن كمسرتى فيك، فإن مسرتى أن أطاع فلا أعصى.

يا عيسى، أحي ذكرى بلسانك، وليكن ودى فى قلبك.

يا عيسى، تيقظ فى ساعات الغفلة، واحكم لى لطيف الحكمة.

يا عيسى، كن راغباً راهباً، وأمت قلبك بالخشية.

يا عيسى، راع الليل لتحرى مسرتى، واطمأ نهارك لىوم حاجتك عندى.

يا عيسى، نافس فى الخير جهدك، تعرف بالخير حيثما توجهت.

يا عيسى، أحكم فى عبادى بنصحى، وقم فيهم بعدلى، فقد أنزلت عليك شفاء لما فى الصدور من مرض الشيطان.

يا عيسى، لا تكن جليساً لكل مفتون.

يا عيسى، حقاً أقول: ما آمنت بى خليفه إلا خشعت لى، ولا خشعت لى إلا رجوت ثوابى، فاشهد أنها آمنه من عقابى ما لم تبدل أو تغير سنتى.

يا عيسى ابن البكر البتول، إبك على نفسك بكاء من ودع الاهل وقلى الدنيا وتركها لاهلها، وصارت رغبته فيما عند إلهه.

يا عيسى، كن مع ذلك لين الكلام وتفشى السلام، يقظان إذا نامت عيون الابرار، حذراً للمعاد والزلازل الشداد، وأهوال يوم القيامة، حيث لا ينفع أهل ولا ولد ولا مال.

يا عيسى، أكحل عينك بميل الحزن إذا ضحك البطالون.

يا عيسى، كن خاشعاً صابراً، فطوبى لك إن نالك ما وعد الصابرون.

يا عيسى، رح من الدنيا يوماً فيوماً، وذق لما قد ذهب طعمه، فحقاً أقول: ما أنت إلا بساعتك ويومك، فرح من الدنيا ببلغه، وليكفك الخشن الجشب، فقد رأيت لى ما تصير، ومكتوب ما أخذت وكيف أتلفت.

يا عيسى، إنك مسؤول فارحم الضعيف كرحمتى إياك، ولا تقهر اليتيم.

يا عيسى، إبك على نفسك فى الخلوات، وانقل قدميك لى مواقيت الصلوات واسمعنى لذاذة نطقك بذكرى، فإن صنيعى إلك حسن.

يا عيسى، كم من أمة قد أهلكتها بسالف ذنوب قد عصمتك منها.

يا عيسى، إرفق بالضعيف، وارفع طرفك الكليل لى السماء وادعنى، فإنى منك قريب، ولا تدعنى إلا متضرعاً لى، وهمك همماً واحداً، فإنك متى تدعنى كذلك أجبك.

يا عيسى، إنى لم أرض بالدنيا ثواباً لمن كان قبلك، ولا عقاباً لمن انتقمت منه.

يا عيسى، إنك تفنى وأنا أبقى، ومنى رزقك، وعندى ميقات أجلك، وإلى إياك، وعلى حسابك، فسلى ولا تسأل غيرى فيحسن منك الدعاء ومنى الإجابة.

يا عيسى، ما أكثر البشر وأقل عدد من صبر، الأشجار كثيرة وطبيها قليل، فلا يغرنك حسن شجرة حتى تذوق ثمرها.

يا عيسى، لا يغرنك المتمرد على بالعصيان، يأكل رزقى ويعبد غيرى، ثم يدعونى عند الكرب فأجيبه، ثم يرجع لى ما كان عليه، فعلى

يتمرّد؟ أم بسخطي يتعرض! فبى حلفت لاخذنه أخذةً ليس له منها منجاً ولا دونى ملجأ، أين يهرب من سمائي وأرضي؟! يا عيسى، قل لظلمة بنى إسرائيل: لا تدعوني والسحت تحت أحضانكم، والأصنام فى بيوتكم، فإني آليت أن أجيب من دعاني، وأن أجعل إجابتي إياهم لعناً عليهم حتى يتفرقوا.

يا عيسى، كم أطيل النظر، وأحسن الطلب والقوم فى غفلة لا- يرجعون، تخرج الكلمة من أفواههم لا تعيها قلوبهم، يتعرضون لمقتى ويتحبون بقربى إلى المؤمنين يا عيسى، لتكن فى السر والعلانية واحداً، وكذلك فليكن قلبك وبصرك، واطو قلبك ولسانك عن المحارم، وكف بصرك عما لا خير فيه، فكم من ناظر نظرة قد زرعت فى قلبه شهوة، ووردت به موارد حياض الهلكة. يا عيسى، كن رحيماً مترحماً، وكن كما تشاء أن يكون العباد لك، وأكثر ذكر الموت ومفارقة الأهلين، ولا تله فإن اللهو يفسد صاحبه، ولا تغفل فإن الغافل منى بعيد، واذكرنى بالصالحات حتى أذكرك.

يا عيسى، تب إلى بعد الذنب، وذكر بى الأوابين، وآمن بى وتقرب بى إلى المؤمنين، ومرهم يدعوني معك، وإياك ودعوة المظلوم، فإني آليت على نفسى أن أفتح لها باباً من السماء بالقبول، وأن أجيبه ولو بعد حين.

يا عيسى، أعلم أن صاحب السوء يُعدى، وقرين السوء يردى، وأعلم من تقارن واختر لنفسك إخواناً من المؤمنين.

يا عيسى، تب إلى، فإني لا- يتعاضمني ذنب أن أغفره، وأنا أرحم الراحمين. إعمل لنفسك فى مهلة من أجلك قبل أن لا يعمل لها غيرك، واعدنى ليوم كآلف سنه مما تعدون، فيه أجزى بالحسنة أضعافها، وإن السيئة توبق صاحبها، فامهد لنفسك فى مهلة، ونافس فى العمل الصالح، فكم من مجلس قد نهض أهله وهم مجارون من النار.

يا عيسى، إزهد فى الفانى المنقطع، وطأ رسوم منازل من كان قبلك، فادعهم وناجهم، هل تحس منهم من أحد، وخذ موعظتك منهم، وأعلم أنك ستلحقهم فى اللاحقين.

يا عيسى، قل لمن تمرد على بالعصيان وعمل بالأدهان: ليتوقع عقوبتى وينتظر إهلاكي إياه، سيصطلم مع الهالكين.

طوبى لك يا ابن مريم ثم طوبى لك إن أخذت بأدب إلهك الذى يتحنن عليك ترحماً، وبدأ النعم منه تكراً، وكان لك فى الشدائد. لا تعصه يا عيسى فإنه لا يحلك عصيانه. قد عهدت إليك ما عهدت إلى من كان قبلك وأنا على ذلك من الشاهدين. يا عيسى، ما أكرمت خليقة بمثل ديني، ولا أنعمت عليها بمثل رحمتي.

يا عيسى، إغسل بالماء منك ما ظهر وداو بالحسنات منك ما بطن، فإنك إلى راجع.

يا عيسى، أعطيتك ما أنعمت به عليك أيضاً من غير تكدير، وطلبت منك قرصاً لنفسك فبخلت به عليها، لتكون من الهالكين.

يا عيسى، تزين بالدين وحب المساكين، وامش على الأرض هوناً، وصل على البقاع، فكلها طاهر.

يا عيسى، شمر فكل ما هو آت قريب، وقرأ كتابي وأنت طاهر، وأسمعنى منك صوتاً حزيناً.

يا عيسى، لا خير فى لذاذة لا تدوم، وعيش من صاحبه يزول.

يا ابن مريم، لو رأيت عينك ما أعددت لاوليائى الصالحين ذاب قلبك وزهقت نفسك شوقاً إليه، فليس كدار الآخرة دار، تجاور فيها الطيبون، ويدخل عليهم فيها الملائكة المقربون، وهم مما يأتى يوم القيامة من أهوالهما آمنون، دار لا يتغير فيها النعيم، ولا يزول عن أهلها.

يا ابن مريم، نافس فيها مع المتنافسين، فإنها أمنية المتمنين، حسنة المنظر، طوبى لك يا ابن مريم إن كنت لها من العاملين، مع آبائك آدم وإبراهيم فى جنات ونعيم، لا تبغى لها بدلاً ولا تحويلاً، كذلك أفعل بالمتقين.

يا عيسى، أهرب إلى مع من يهرب من نار ذات لهب، ونار ذات أغلال وأنكال، لا يدخلها روح، ولا يخرج منها غم أبداً، قطع كقطع الليل المظلم، من ينج منها يفز، ولن ينجو منها من كان من الهالكين، هى دار الجبارين والعتاة الظالمين، وكل فظ غليظ، وكل مختار فخور.

يا عيسى، بثت الدار لمن ركن إليها، وبثس القرار دار الظالمين، إني أحذرك نفسك فكن بي خبيراً.

يا عيسى، كن حيث ما كنت مراقباً لى، واشهد على أنى خلقتك وأنت عبدى.

يا عيسى لا يصلح لسانان فى فم واحد، ولا قلبان فى صدر واحد، وكذلك الأذهان.

يا عيسى، لا تستيقظن عاصياً، ولا تستنبهن لاهياً، وافطم نفسك عن الشهوات الموبقات، وكل شهوة تباعدك منى فاهجرها، واعلم

أنك منى بمكان الرسول الأمين، فكن منى على حذو العم. إن دنياك مؤديتكك إليّ وإنى آخذك بعلمى، فكن ذليل النفس عند

ذكرى، خاشع القلب حين تذكرنى، يقظاناً عند نوم الغافلين.

يا عيسى، هذه نصيحتى إياك وموعظتى لك، فخذها منى، وإنى رب العالمين.

يا عيسى، إذا صبر عبدى فى جنبى كان ثواب عمله عليّ، وكنت عنده حين يدعونى، وكفى بى منتقماً ممن عصانى، أين يهرب منى

الظالمون؟

يا عيسى، أظ الكلام، وكن حيثما كنت عالماً متعلماً.

يا عيسى، أفض بالحسنات إليّ، حتى يكون لك ذكرها عندى، وتمسك بوصيتى فإن فيها شفاء للقلوب.

يا عيسى، لا تأمن إذا مكرت مكرى، ولا تنس عند خلوات الدنيا ذكرى.

يا عيسى، حاسب نفسك بالرجوع إلى، حتى تتنجز ثواب ما عمله العالمون، أولئك يؤتون أجرهم وأنا خير المؤتين.

يا عيسى، كنت خلقاً بكلامى، ولدتك مريم بأمرى المرسل إليها روحى جبرئيل، الامين من ملائكتى، حتى قمت على الأرض حياً

تمشى كل ذلك فى سابق علمى.

يا عيسى، زكريا بمنزلة أبيك وكفيل أمك، إذ يدخل عليها المحراب فيجد عندها رزقاً، ونظيرك يحيى من خلقى، وهبته لاه بعد

الكبر من غير قوة بها، أردت بذلك أن يظهر لها سلطانى وتظهر قدرتى. أحبكم إلى أطوعكم لى، وأشدكم خوفاً منى.

يا عيسى، تيقظ ولا تياس من روحى، وسبحنى مع من يسبحنى، وبطيب الكلام فقّدسنى.

يا عيسى، كيف يكفر العباد بى ونواصيهم فى قبضتى، وتقلبهم فى أرضى، يجهلون نعمتى ويتولون عدوى، وكذلك يهلك الكافرون.

يا عيسى، إن الدنيا سجن منتن الريح، وحسن فيها ما قد ترى مما قد تذابح عليه الجبارون، وإياك والدنيا فكل نعيمها يزول، وما نعيمها

إلا قليل.

يا عيسى، إبغنى عند وسادك تجدنى، وادعنى وأنت لى محب، فإنى أسمع السامعين، أستجيب للداعين إذا دعونى.

يا عيسى، خفى وخوف بى عبادى، لعل المذنبين أن يمسكوا عما هم عاملون به، فلا يهلكوا إلا وهم يعلمون.

يا عيسى، إرهبنى رهبتك من السبع والموت الذى أنت لاقه، فكل هذا أنا خلقتة، فإياى فارهبون.

يا عيسى، إن الملك لى وبيدى، وأنا الملك فإن تطعننى أدخلتك جنتى فى جوار الصالحين.

يا عيسى، إنى إذا غضبت عليك لم ينفحك رضى من رضى عنك، وإن رضيت عنك لم يضرك غضب المغضبين.

يا عيسى، أذكرنى فى نفسك أذكرك فى نفسى، واذكرنى فى ملاك أذكرك فى ملا خير من ملا الآدميين.

يا عيسى، أدعنى دعاء الغريق الحزين، الذى ليس له مغيث.

يا عيسى، لا تحلف بى كاذباً فيهتر عرشى غضباً. الدنيا قصيرة العمر طويلاً الامل وعندى دار خير مما تجمعون.

يا عيسى، كيف أنتم صانعون إذا أخرجت لكم كتاباً ينطق بالحق وأنتم تشهدون بسرائر قد كتمتموها وأعمال كنتم بها عاملين.

يا عيسى، قل لظلمة بنى إسرائيل: غسلتم وجوهكم وندستم قلوبكم، أبى تغترون أم على تجترئون؟! تطيون بالطيب لأهل الدنيا

وأجوافكم عندى بمنزلة الجيف المنتنة، كأنكم أقوام ميتون!

يا عيسى، قل لهم: فلموا أظفاركم من كسب الحرام، وأصموا أسماعكم عن ذكر الخنا، وأقبلوا على بقلوبكم، فإنى لست أريد

صوركم.

يا عيسى، إفرح بالحسنه فإنها لى رضى، وابك على السيئه فإنها شين، وما لا تحب أن يصنع بك فلا تصنعه بغيرك، وإن لطم خدك الأيمن فأعطه الايسر، وتقرب إلى بالموده جهدك، وأعرض عن الجاهلين.

يا عيسى، ذل لأهل الحسنه وشاركهم فيها، وكن عليهم شهيداً. وقل لظلمة بنى إسرائيل: يا أخذان السوء والجلساء عليه، إن لم تنتهوا أمسخكم قرده وخنازير.

يا عيسى، قل لظلمة بنى إسرائيل: الحكمة تبكى فرقا منى، وأنتم بالضحك تهجرون، أتتكم براءتى، أم لديكم أمان من عذابى، أم تعرضون لعقوبتى؟! فى حلفت لا تركزكم مثلاً للغابرين.

ثم أوصيك يا بن مريم البكر البتول، بسيد المرسلين وحيبى، فهو أحمد صاحب الجمل الأحمر، والوجه الأقرم، المشرق بالنور، الطاهر القلب، الشديد البأس، الحى المتكرم، فإنه رحمه للعالمين، وسيد ولد آدم يوم يلقانى، أكرم السابقين على وأقرب المرسلين منى، العربى الامين، الديان بدينى، الصابر فى ذاتى، المجاهد المشركين بيده عن دينى، أن تخبر به بنى إسرائيل، وتأمرهم أن يصدقوا به وأن يؤمنوا به وأن يتبعوه، وأن ينصروه.

قال عيسى: إلهى من هو حتى أرضيه، فلك الرضا؟ قال: هو محمد رسول الله إلى الناس كافة، أقربهم منى منزله، وأحضرهم شفاعته، طوبى له من نبى، وطوبى لامته إن هم لقونى على سبيله، يحمداه أهل الأرض ويستغفر له أهل السماء، أمين ميمون، طيب مطيب، خير الباقيين عندى، يكون فى آخر الزمان، إذا خرج أرخت السماء عزاليها، وأخرجت الأرض زهرتها، حتى يروا البركة، وأبارك لهم فيما وضع يده عليه، كثير الازواج، قليل الأولاد، يسكن بكة، موضع أساس إبراهيم.

يا عيسى، دينه الحنيفيه، وقبلته يمانيه، وهو من حزبى وأنا معه، فطوبى له ثم طوبى له، له الكوثر والمقام الأكبر فى جنات عدن، يعيش أكرم من عاش ويقبض شهيداً، له حوض أكبر من بكة إلى مطلع الشمس، من رحيق مختوم، فيه آنيه مثل نجوم السماء، وأكواب مثل مدر الأرض، عذب فيه من كل شراب، وطعم كل ثمار فى الجنة، من شرب منه شربة لم يظم أبداً، وذلك من قسمى له وتفضيلى إياه. على فترة بينك وبينه، يوافق سره علانيته، وقوله فعله، لا يأمر الناس إلا بما يبدأهم به، دينه الجهاد فى عسر ويسر، تنقاد له البلاد ويخضع له صاحب الروم. على دين إبراهيم، يسمى عند الطعام، ويفشى السلام، ويصلى والناس نيام، له كل يوم خمس صلوات متواليات، ينادى إلى الصلاة كنداء الجيش بالشعار، ويفتح بالتكبير ويختتم بالتسليم، ويصف قدميه فى الصلاة كما تصف الملائكة أقدامها، ويخشع لى قلبه ورأسه، النور فى صدره والحق على لسانه، وهو على الحق حيثما كان أصله. يتيم ضال برهه من زمانه عما يراد به، تنام عيناه ولا ينام قلبه، له الشفاعه، وعلى أمته تقوم الساعه، ويدي فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه أوفيت له بالجنة، فمر ظلمة بنى إسرائيل ألا يدرسوا كتبه، ولا يحرفوا سنته، وأن يقرؤوه السلام، فإن له فى المقام شأناً من الشأن. انتهى.

وقد يكون حدث فى هذا النص تغيير ما من الرواه، ولكن فيه أفكاراً وأموراً مهمه يحسن مقارنتها وأمثالها مما ورد فى مصادرنا عن عيسى عليه السلام بالنصوص التى تشابهها من الانجيل والتوراه، لمعرفة التفاوت والتغيير فيها.

تفسير إخواننا السنين القريب من تفسيرنا

مسند أحمد: ٢/٤٤١:

عن أبى هريره عن النبى (ص) فى قوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، قال: هو المقام الذى أشفع لامتى فيه.

الدر المنثور: ٤/١٩٧:

أخرج سعيد بن منصور والبخارى وابن جرير وابن مردويه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاء، كل

أمة تتبع نبيا يقولون يا فلان إشفع لنا، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي (ص)، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود. وأخرج أحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أبي هريرة (رض) عن النبي (ص) في قوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، وسئل عنه قال: هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي.

وأخرج ابن جرير والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة (رض) أن رسول الله (ص) قال: المقام المحمود الشفاعة. وأخرج ابن جرير والطبراني وابن مردويه من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، قال مقام الشفاعة.

وأخرج ابن مردويه عن سعد بن أبي وقاص (رض) قال: سئل رسول الله (ص) عن المقام المحمود فقال: هو الشفاعة. الدر المنثور: ٤/١٩٨.

وأخرج ابن أبي شيبة عن سلمان (رض) قال: يقال له: سل تعطه، يعني النبي (ص)، واشفع تشفع، وادع تجب، فيرفع رأسه فيقول: أمتي مرتين أو ثلاثاً فقال سلمان (رض): يشفع في كل من في قلبه مثقال حبة حنطة من إيمان، أو مثقال شعيرة من إيمان، أو مثقال حبة خردل من إيمان. قال سلمان (رض): فذلكم المقام المحمود.

الدر المنثور: ٥/٩٨.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: سألت رسول الله (ص) فقلت: بأبي أنت وأمي أين كنت في الجنة؟ فتبسم حتى بدت نواجذه ثم قال: إني كنت في صلبه، وهبط إلى الأرض وأنا في صلبه، وركبت السفينة في صلب أبي نوح، وقذفت في النار في صلب أبي إبراهيم، لم يلتق أبواي قط على سفاح، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة، مصفى مهذباً لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما، قد أخذ الله بالنبوة ميثاقى وبالإسلام هداني وبين في التوراة والإنجيل ذكرى، وبين كل شئ من صفتى في شرق الأرض وغربها، وعلمنى كتابه، ورقى بى فى سمائه، وشق لى من أسمائه فذو العرش محمود وأنا محمد، ووعدنى أن يحبوني بالحوض وأعطانى الكوثر، وأنا أول شافع وأول مشفع، ثم أخرجنى فى خير قرون أمتى، وأمتى الحمادون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. انتهى.

ورواه فى كنز العمال: ١٢/٤٢٧ وأضاف فيه: قال ابن عباس: فقال حسان بن ثابت فى النبى (ص):
من قبلها طبت فى الظلال وفى مستودع حيث يخصف الورق

ثم سكنت البلاد لا بشر أنت ولا نطفة ولا علق

مطهر تركب السفين وقد ألجم أهل الضلالة الغرق

تنقل من صلب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبق

تفسير الطبرى: ١٥/٩٧.

وقوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، عن ابن عباس قال: المقام المحمود مقام الشفاعة..

ومثله فى طبقات المحدثين بأصبهان: ١/٢٠١ عن جابر وأبى سعيد مرفوعاً وفى مختصر تاريخ دمشق لابن منظور: ١ جزء ٢/١٦٥ عن ابن عباس.

الشفة للقاضى عياض: ١/١٨٨.

فصل فى تفضيله (ص) بالشفاعة والمقام المحمود، قال الله تعالى: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا... عن آدم بن على قال سمعت ابن عمر يقول: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثى، كل أمة تتبع نبيا يقولون يا فلان إشفع لنا يا فلان إشفع لنا، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي (ص)، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود.

تفسير الرازى: ١١ جزء ٢١/٣١.

قال الواحدى: أجمع المفسرون على أنه (المقام المحمود) مقام الشفاعة... إن احتياج الإنسان إلى دفع الآلام العظيمة عن النفس فوق احتياجه إلى تحصيل المنافع الزائدة التي لا حاجة به إلى تحصيلها. وإذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من قوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، هو الشفاعة في إسقاط العقاب. انتهى. وراجع التفسير الوسيط للنيسابورى: ٣/١٢٢.

وقال فى: ١٦ جزء ٣٢/١٢٧: قوله تعالى: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوْثَرَ، الكوثر هو المقام المحمود الذى هو الشفاعة... شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى.

تفسيرهم الذى فيه تجسيم

صحيح البخارى: ٨/١٨٣:

فأستأذن على ربي فى داره! فيؤذن لى عليه، فإذا رأيتة وقعت ساجداً، فيدعنى ما شاء الله أن يدعنى فيقول: إرفع يا محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعط. قال فأرفع رأسى فأثنى على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيحد لى حداً فأخرج فأدخلهم الجنة. قال قتادة: وسمعتة أيضاً يقول: فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فاستأذن على ربي فى داره! فيؤذن لى عليه فإذا رأيتة وقعت ساجداً، فيدعنى ما شاء الله أن يدعنى ثم يقول: إرفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه، قال فأرفع رأسى فأثنى على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه، قال ثم أشفع، فيحد لى حداً فأخرج فأدخلهم الجنة. قال قتادة: وسمعتة يقول فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود الثالثة فاستأذن إلى ربي فى داره! فيؤذن لى عليه فإذا رأيتة وقعت ساجداً فيدعنى ما شاء الله أن يدعنى، ثم يقول إرفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه، قال فأرفع رأسى فأثنى على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه، قال ثم أشفع فيحد لى حداً فأخرج فأدخلهم الجنة. قال قتادة: وقد سمعتة يقول: فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، حتى ما يبقى فى النار إلا من حبسه القرآن، أى وجب عليه الخلود. قال: ثم تلا الآية: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، قال وهذا المقام المحمود الذى وعده نبيكم (ص). ونحوه فى صحيح مسلم: ١/١٢٣ ومسنده أحمد: ٣/٢٤٤ وشيخه فى مسند أحمد: ١/٣٩٨ وسنن الترمذى: ٤/٣٧٠ ومستدرک الحاكم: ٤/٤٩٦ والدر المنثور: ٣/٨٧ عن الطبرى.

وفى الدر المنثور: ٦/٢٥٧ فى قصة الدجال:

عن ابن أبى شيبه وعبد بن حميد وابن أبى حاتم والطبرانى والحاكم وصححه والبيهقى فى البعث والنشور عن ابن مسعود أنه ذكر عنده الدجال فقال... إلى آخر الرواية. وستأتى بتمامها فى بحث الخلود فى الجنة والنار وفى بعض نصوصها تجسيم صريح وفى بعضها رائحة التجسيم.

وكذلك ما رواه البخارى فى تسعة مواضع من صحيحه: ٢ جزء ٤/١٠٥ وج ٣ جزء ٥/١٤٦ وص ٢٢٥ وص ٢٢٨ وج ٧/٢٠٣ وج ٨/١٧٢ وص ١٨٣ وص ٢٠٠ وص ٢٠٣ من حديث الشدة التى تكون على الناس فى المحشر حتى يلجؤون (كذا) إلى آدم وغيره من الأنبياء فيحولونهم على نبينا صلى الله عليه وآله فيشفع إلى الله تعالى فيشفعه. وروى ذلك فى كنز العمال: ٢/٢٦ وغيره. سنن الدارمى: ٢/٣٢٥:

عن ابن مسعود عن النبى (ص) قال قيل له: ما المقام المحمود؟ قال: ذاك يوم ينزل الله تعالى على كرسية يئط كما يئط الرجل الجديد من تضايقه به، وهو كسعه ما بين السماء والأرض، ويجاء بكم حفاة عراة غرلاً، فيكون أول من يكسى إبراهيم، يقول الله تعالى إكسوا خليلي فيؤتى بريطين بيضاوين من رباط الجنة، ثم أكسى على أثره، ثم أقوم عن يمين الله مقاماً يغبطنى الأولون والآخرون. انتهى.

ورواه الحاكم فى: ٢/٣٦٤ والبغوى فى مصابيح: ٣/٥٥٢ والهندي فى كنز العمال: ١٤/٤١٢ والسيوطى فى الدر المنثور: ٣/٨٤ وروى نحوه فى الدر المنثور: ١/٣٤ وص ٣٢٨ وص ٣٢٤ قال: وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن ابن مسعود قال قال رجل: يا رسول الله ما المقام المحمود؟ قال...

وأخرج ابن جرير عن الضحاک قال كان الحسن يقول: الكرسي هو العرش.. فقال رسول الله (ص)... وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ،
فهى تنظ من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الجديد! انتهى.. ورواه فى كتر العمال: ١٤/٦٣٦.

وفى فردوس الأخبار: ٣/٨٥:

عن ابن عمر: عسى الله أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، يجلسنى معه على السرير.

وفى: ٤/٢٩٨ عن أنس بن مالك: من كرامتى على ربي عز وجل قعودى على العرش.

مجمع الزوائد: ٧/٥١:

وعن ابن عباس أنه قال فى قول الله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا، يجلسه بينه وبين جبريل ويشفع لأتمته، فذلك المقام
المحمود. ورواه السيوطى فى الدر المنثور: ٤/١٩٨.

وروى البيهقى فى دلائل النبوة: ٥/٤٨١:

يأتى رسول الله (ص) يوم القيامة إلى الله وهو جالس على كرسية.

وقال الشوكانى فى فتح القدير: ٣/٣١٦:

إن المقام المحمود هو أن الله سبحانه يجلس محمداً معه على كرسية حكاة ابن جرير... وقد ورد فى ذلك حديث.

وفى تاريخ بغداد: ٣/٢٢ عن ليث بن مجاهد فى قوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا قال: يقعه معه على العرش..

وفى تاريخ بغداد: ٨/٥٢:

عن عبد الله بن خليفة قال قال رسول الله (ص): الكرسي الذى يجلس عليه الرب عز وجل وما يفضل منه إلا قدر أربع أصابع، وإن له
أطيلاً كأطيظ الرحل الجديد!

قال أبو بكر المروذى قال لى أبو على الحسين بن شبيب قال لى أبو بكر بن سلم العابد حين قدمنا إلى بغداد: أخرج ذلك الحديث
الذى كتبه عن أبى حمزة، فكتبه أبو بكر بن سلم بخطه وسمعناه جميعاً، وقال أبو بكر بن سلم: إن الموضع الذى يفضل
لمحمد (ص) ليجلسه عليه! قال أبو بكر الصيدلانى: من رد هذا فإنما أراد الطعن على أبى بكر المروذى، وعلى أبى بكر بن سلم العابد!!

القعود على العرش فكرة يهودية مسيحية

قال جولد تسيهر فى مذاهب التفسير الإسلامى/ ١٢٢:

سجلت فتنة بغداد أثارها نزاع على مسألة من التفسير ذلك هو تفسير الآية ٧٩ من سورة الاسراء: وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى
أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا، ما المراد من المقام المحمود؟ ذهب الحنابلة... إلى أن الذى يفهم من ذلك هو أن الله يقعد النبى معه
على العرش... ربما كان هذا متأثراً بما جاء فى انجيل مرقص ١٦ - ١٩، وآخرون ذهبوا إلى أن المقام المحمود... هو مرتبة الشفاعة
التي يرفع إليها النبى. انتهى.

وقد أوردنا فى المجلد الثانى من العقائد الإسلامية أن أفكار التجسيم والصفات المادية لله تعالى وعرشه قد أخذها بعض المسلمين من
اليهود وأدخلوها فى الثقافة الإسلامية، وأضاف إليها هؤلاء المقلدة إجلال نبيهم إلى جنب الله تعالى! بينما روى اليهود إجلال موسى
وداود إلى جنبه! وروى المسيحيون جلوس عيسى على السرير إلى جنب أبيه!! وقد تقدم ذلك فى الشفاعة عند اليهود والنصارى.

ونلاحظ أن ابن سلام اليهودى الذى أسلم يقول عن نبينا صلى الله عليه وآله إنه لا يجلس إلى جنب الله تعالى بل (يلقى) له كرسي فى
جنب المجلس مثلاً فيجلس عليه!

قال البيهقى فى دلائل النبوة: ٥/٤٨٦: عن عبد الله بن سلام: وينجو النبى (ص) والصالحون معه، وتلقاهم الملائكة يرونهم منازلهم..
حتى ينتهى إلى الله عز وجل فيلقى له كرسي. انتهى.

وسوف تعرف في بحث الشفيع الأول أن مصادر السنين تأثرت بالاسرائيليات وصحت رواياتها وجعلت شفاعه أنبياء بني إسرائيل قبل نبينا صلى الله عليه وآله وجعلته الشفيع الرابع.

قال السيوطي في الدر المنثور: ٤/١٩٨: وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن ابن مسعود (رض) قال: يأذن الله تعالى في الشفاعه فيقوم روح القدس جبريل عليه السلام ثم يقوم إبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام ثم يقوم عيسى وموسى (عليهم السلام) ثم يقوم نبيكم (ص) رابعاً ليشفع... ورواه الحاكم في المستدرک: ٤/٤٩٦ بسند صحيح على شرط الشيخين!!
أما الفتنة التي ذكرها تسيهر فقد ذكرها ابن الأثير في تاريخه: ٥/١٢١ فقال: (في سنة ٣١٧ هـ) وقعت فتنة عظيمة ببغداد بين أصحاب أبي بكر المروزي الحنبلي وبين غيرهم من العامة، ودخل كثير من الجند فيها، وسبب ذلك أصحاب المروزي قالوا في تفسير قوله تعالى: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا، هو أن الله سبحانه يقعد النبي (ص) معه على العرش! وقالت طائفة إنما هو الشفاعه، فوقعت الفتنة فقتل بينهم قتلى كثيرة. انتهى.

وذكرها الذهبي في تاريخ الإسلام: ٢٣/٣٨٤ وأنها بسبب تفسير آية المقام المحمود، حيث قالت الحنابلة إنها تعنى أن الله يقعه على عرشه كما قال مجاهد. وقال غيرهم: بل هي الشفاعه العظمى.

انتقاد بعض علماء السنة التفسير بالعود على العرش

قال السقاف في صحيح شرح العقيدة الطحاوية: ١/٥٧٠:

قال الإمام الطحاوي رحمه الله: والشفاعة التي ادخرها لهم حق كما روى في الأخبار ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنة، ونستغفر لمسيئتهم، ونخاف عليهم ولا نقنطهم.
الشرح: لقد ثبتت الشفاعه منطوقاً ومفهوماً في القرآن الكريم وخاصة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن تلك الآيات قوله تعالى: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى. الضحى: ٣ وقال تعالى: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا. الإسراء: ٧٩ وتفسير المقام المحمود بالشفاعة ثابت في الصحيحين وغيرهما [١].

وقال الله تعالى: يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا. طه: ١٠٩. وقال تعالى: مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ. يونس: ٣.

وفي شفاعه الملائكة قوله تعالى: بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ.. لا يَشْفِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِه يَعْمَلُونَ. يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ. الأنبياء: ٧٨.

وقال السقاف في شرح العقيدة الطحاوية/١٧٠:

وهذا الخلال يقول في سنته/٢٣٢ ناقلاً: لا أعلم أحداً من أهل العلم ممن تقدم ولا في عصرنا هذا إلا وهو منكر لما أحدث الترمذي [٢] من رد حديث محمد بن فضيل عن ليث عن مجاهد في قوله: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، قال يقعه على العرش [٣] فهو عندنا جهمي يهجر ونحذر عنه.

أقول: ومن العجيب الغريب أن الآلبنى ينكر هذا، ويقول بعدم صحته وأنه لم يثبت كما سيأتي، وكذلك محقق الكتاب وهو متمسلف معاصر ينكر ذلك أيضاً ويحكم على هذا الأثر بالضعف حيث يقول في هامش تلك الصحيفة تعليق رقم ١٩: إسناده ضعيف! فهل هؤلاء جهميّة! وما هذا الخلاف الواقع بين هؤلاء في أصول اعتقادهم!

ومن الغريب العجيب أيضاً أنهم اعتبروا أن نفى قعود سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله) بجنب الله نافيةً ودافعاً لفضيلة من فضائل النبي (صلى الله عليه وآله) والدليل على ما قلناه قول الخلال هناك/٢٣٧: (وقال أبو علي إسماعيل بن إبراهيم الهاشمي (وهو مجهول بنظر المحقق): إن هذا المعروف بالترمذي عندنا مبتدع جهمي، ومن رد حديث مجاهد فقد دفع فضل رسول الله (ص)، ومن رد فضيلة

الرسول (ص) فهو عندنا كافر مرتد عن الإسلام!! وقال/٢٣٤ ناقلاً (وأنا أشهد على هذا الترمذى أنه جهمي خبيث)! انتهى.

[١] أنظر البخارى ٣ - ٣٣٨ و ٨ - ٣٩٩ و ١٣ - ٤٢٢ و مسلم ١ - ١٧٩. ومن الغريب العجيب أن يعرض المجسمة والمشبهة عن هذا الوارد الثابت في الصحيحين، ويفسروا المقام المحمود بجلوس سيدنا محمد على العرش بجنب الله! تعالى الله عن إفكهم وكذبهم علواً كبيراً، وهم يعتمدون على ذلك على ما يروى عن مجاهد بسند ضعيف من أنه قال ما ذكرناه من التفسير المنكر المستشنع، وتكفل الخلال في كتابه السنة ١ - ٢٠٩ بنصرة التفسير المخطئ المستشنع، وقد نطق بما هو مستشنع عند جميع العقلاء!.

[٢] مع أن التأويل والتفويض لم يحدثه ولم يخترعه الترمذى. ومن الغريب العجيب أيضاً أن محقق سنة الخلال عطية الزهراني حاول أن ينفي أن كون الترمذى المراد هنا هو الإمام المعروف صاحب السنن فقال/٢٢٤ في الهامش تعليق رقم ٤ هو جهم بن صفوان ثم تراجع عن ذلك/٢٣٢ فقال في الهامش التعليق رقم ٨ (كنت أظنه جهم، ولكن اتضح من الروايات أنه يقصد رجلاً آخر لم أتوصل إلى معرفته) فيا للعجب!!.

[٣] وهذا القعود الذي يتحدثون عنه هو قعود سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله) بجنب الله تعالى على العرش! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً! والدليل عليه قول الخلال هناك/٢٤٤: حدثنا أبو معمر ثنا أبو الهذيل عن محمد بن فضيل عن ليث عن مجاهد قال: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، قال: يجلسه معه على العرش قال عبد الله: سمعت هذا الحديث من جماعة وما رأيت أحداً من المحدثين ينكره، وكان عندنا في وقت ما سمعناه من المشائخ أن هذا الحديث إنما تنكره الجهمية.

تفسير قوله تعالى (و لسوف يعطيك ربك فترضى)

قال الله تعالى: وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى. الضحى: ١ - ٥.

والعطاء في الآية مطلق شامل لانواع ما يعطيه الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله ومن الطبيعي أن يكون عطاء عظيماً متناسباً مع كرم الله تعالى على حبيبه أشرف الخلق وسيد المرسلين صلى الله عليه وآله.. ولم تنص الآية على أنه الشفاعة ولكن بعض الأحاديث نصت على ذلك، وبعضها نص على أنها الشفاعة في أهل بيته وبنى هاشم وعبد المطلب، وبعضها نص على أنه العطاء في الجنة، وبعضها أطلق.. وبعضها قال إنها الشفاعة في أهل بيته وأمه.. وجعلها بعضهم الشفاعة في جميع أمته صلى الله عليه وآله بحيث لا يدخل أحد منها النار أبداً! ولكن ذلك لا يصح لأنه مخالف لما ثبت عنه صلى الله عليه وآله من دخول بعض أمته النار ومخالف لقانون الجزاء الإلهي، كما ستعرف.

تفسير الآية بالعطاء الإلهي الأعم من الشفاعة

تفسير القمي: ٢/٤٢٧:

حدثنا جعفر بن أحمد قال: حدثنا عبد الله بن موسى بن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: وللآخرة خير لك من الأولى، قال: يعني الكربة هي الآخرة للنبي صلى الله عليه وآله. قلت قوله: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى، قال: يعطيك من الجنة فترضى. ورواه في مختصر بصائر الدرجات/٤٧ وفي بحار الأنوار: ٥٣/٥٩ وفي تفسير نور الثقلين: ٥/٥٩٤.

تفسير التبيان: ١٠/٣٦٩:

قوله: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى، وعد من الله له أن يعطيه من النعيم والثواب وفنون النعم ما يرضى النبي صلى الله عليه وآله به ويؤثره.

تأويل الآيات: ٢/٨١٠:

قوله تعالى: **وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ**. تأويله ما رواه محمد بن العباس رحمه الله عن أبي داود، عن بكار، عن عبد الرحمان، عن إسماعيل بن عبدالله، عن علي بن عبد الله بن العباس قال: عرض علي رسول الله صلى الله عليه وآله ما هو مفتوح علي أمته من بعده كفوفاً كفوفاً فسرت بذلك فأنزل الله عز وجل: **وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ، وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ**، قال: فأعطاه الله عز وجل ألف قصر في الجنة ترابه المسك، وفي كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم. وقوله: كفوفاً كفوفاً أي قريء، والقريء تسمى كفوفاً. انتهى.

ورواه في الدر المنثور: ٦/٣٦١:

عن ابن أبي حاتم وعبد بن حميد وابن جرير والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي وابن مردويه وأبو نعيم كلاهما في الدلائل عن ابن عباس قال... الخ.

وقال: أخرج الطبراني في الأوسط والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله (ص): عرض علي ما هو مفتوح لأمتي بعدى فسرتني، فأنزل الله: **وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ**.

بحار الأنوار: ١٦/١٣٦:

وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ، أي من الحوض والشفاعة وسائر ما أعد له من الكرامة، أو في الدنيا أيضاً من إعلاء الدين وقمع الكافرين.

سيره ابن هشام: ١/٢٧٨:

قال ابن إسحاق: ثم فتر الوحي عن رسول الله (ص) فترة من ذلك حتى شق ذلك عليه فأحزنه، فجاءه جبريل بسورة الضحى يقسم له ربه وهو الذي أكرمه بما أكرمه به: ما ودَّعه وما قلاه، فقال تعالى: **وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ**، يقول: ما صرمك فترتكك، وما أبغضك منذ أحبك. وللآخرة خير لك من الأولى، أي لَمَّا عندي من مرجعك إلي خير لك مما عجلت لك من الكرامة في الدنيا. ولسوف يعطيك ربك فترضى، من الفلج في الدنيا والثواب في الآخرة.

تفسيرها بالشفاعة لامته أو بالشفاعة مطلقاً

تفسير فرات الكوفي/ ٥٧٠:

فرات قال: حدثني محمد بن القاسم بن عبيد معنناً: عن حرب بن شريح البصري قال: قلت لمحمد بن علي (عليهما السلام): أي آية في كتاب الله أرجى؟ قال: ما يقول فيها قومك قال قلت يقولون: يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، قال: لكننا أهل البيت لا نقول ذلك. قال قلت: فأيش تقولون فيها؟ قال نقول: **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ**، الشفاعة والله، الشفاعة والله الشفاعة. ورواه في بحار الأنوار: ٨/٥٧.

وقال في هامش تفسير فرات:

وأخرج الحسكاني في شواهد التنزيل عن الحسين بن محمد الثقفي عن الحسين بن محمد بن حبيش المقرئ، عن محمد بن عمران بن أسد الموصلي، عن محمد بن أحمد المرادي، عن حرب بن شريح البزاز، عن محمد بن علي الباقر، عن ابن الحنفية، عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أشفع لامتي حتى ينادي ربي: رضيت يا محمد؟ فأقول: رب رضيت. ثم قال الباقر: إنكم معشر أهل العراق تقولون إن أرجى آية في القرآن: يا عبادي الذين أسرفوا.. قلت: إنا لنقول ذلك. قال: ولكننا أهل البيت نقول: إن أرجى آية في كتاب الله: **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ**، وهي الشفاعة.

وفي الدر المنثور: ٦/٣٦١:

وأخرج ابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية من طريق حرب بن شريح (رض) قال قلت: لابي جعفر محمد بن علي بن

الحسين: أ رأيت هذه الشفاعة التي يتحدث بها أهل العراق أحق هي؟ قال: إى والله، حدثنى عمى محمد بن الحنفية، عن على أن رسول.. (بما يشبه رواية الحسكاني). انتهى.

وقال أيضاً:

وأخرج ابن أبى حاتم عن الحسن (رض) أنه سئل عن قوله: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى؟ قال: هى الشفاعة. انتهى. وروى الأول منهما فى كتر العمال: ١٤/٦٣٦ عن مسند على، ورواه الواحدى النيسابورى فى تفسيره: ٤/٥١٠ والكاندهلوى فى حياة الصحابة: ٣/٤٦ والشوكانى فى فتح القدير: ٥/٥٦٨.

مناقب آل أبى طالب: ١/١٩٠، قال حسان:

لئن كلم الله موسى على شريف من الطور يوم الند
فإن النبى أبا قاسم حبى بالرسالة فوق السم
وقد صار بالقرب من ربه على قاب قوسين لما دن
وإن فجر الماء موسى لهم عيوناً من الصخر ضرب العص
فمن كف أحمد قد فجرت عيون من الماء يوم الظم
وإن كان هارون من بعده حبى بالوزارة يوم المل
فإن الوزارة قد نالها على بلا شك يوم الفد
وقال كعب بن مالك الأنصارى:

فإن يك موسى كلم الله جهرةً على جبل الطور المنيف المعظم
فقد كلم الله النبى محمداً على الموضع الاعلى الرفيع المسوم

داود عليه السلام كان له سلسلة الحكومة ليميز الحق من الباطل، ولمحمد القرآن: ما فرطنا فى الكتاب من شىء، وليست السلسلة كالكتاب، والسلسلة قد فئت والقرآن بقى إلى آخر الدهر. وكان له النعمة، ولمحمد الحلاوة: وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول... قال حسان:

وإن كان داود قد أوبت جبال لديه وطير الهو

ففى كف أحمد قد سبحت بتقديس ربه صغار الحصى

... وسليمان كان يصفدهم لعصيانهم، ونبينا أتوه طائعين راغبين. وسأل سليمان ملك دنيا: رب هب لى ملكاً... وعرض مفاتيح خزائن الدنيا على محمد فردها، فشتان بين من يسأل وبين من يعطى فلا يقبل، فأعطاه الله الكوثر والشفاعة والمقام المحمود: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى.

وقال لسليمان: أمنن أو امسك بغير حساب، وقال لنبينا: ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا. قال حسان بن ثابت:

وإن كانت الجن قد ساسها سليمان والريح تجرى رخ

فشهر غدو به رايباً وشهر روائح به إن يش

فإن النبى سرى ليله من المسجدين إلى المرتقى

وقال كعب بن مالك:

وإن تك نمل البر بالوهم كلمت سليمان ذا الملك الذى ليس بالعمى

فهذا نبى الله أحمد سبحت صغار الحصى فى كفه بالترنم

ورواه فى بحار الأنوار: ١٦/٤١٥.

مناقب آل ابي طالب: ٣/١٠٣:

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يهتم لعشرة أشياء فآمنه الله منها وبشره بها:
لفراقه وطنه فأنزل الله: إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ.
ولتبديل القرآن بعده كما فعل بسائر الكتب، فنزل: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ.
ولامته من العذاب، فنزل: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ.
ولظهور الدين، فنزل: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ.
وللمؤمنين بعده، فنزل: يَتَّبِعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ.
ولخصمائهم، فنزل: يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا.
وللشفاعة، فنزل: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى.
وللفتنة بعده على وصيه، فنزل: فَإِنَّمَا نَذَبْنَا بِكَ مِنهُمْ مَّتَقِمُونَ. يعنى بعلى.
ولثبات الخلافة في أولاده، فنزل: لَيَسْتَخْلِفْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ.
ولابنته حال الهجرة، فنزل: الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا... الآيات. انتهى.

وقال الفخر الرازي في تفسيره: ١٦ جزء ٣١/٢١٣:

قوله تعالى: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى، فالمرؤى عن على بن ابي طالب وابن عباس أن هذا هو الشفاعة في الأمة... واعلم أن الحمل على الشفاعة متعين ويدل عليه وجوه (أحدها) أنه تعالى أمره (ص) في الدنيا بالاستغفار... عن جعفر الصادق أنه قال: رضا جدى أن لا يدخل النار موحد، وعن الباقر: أهل العراق يقولون: أرجى آية قوله (يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم)... الخ.

تفسيرها بشفاعة النبي لأهل بيته خاصة

تفسير فرات الكوفى/ ٥٧٠:

قال حدثنى جعفر بن محمد الفزارى قال: حدثنا عباد، عن نصر، عن محمد بن مروان، عن الكلبي، عن ابي صالح، عن ابن عباس (رض) فى قوله: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى، قال: يدخل الله ذريته الجنة.
تأويل الآيات: ٢/٨١٠:

وروى أيضاً عن محمد بن أحمد بن الحكم، عن محمد بن يونس، عن حماد بن عيسى، عن الصادق جعفر بن محمد، عن ابيه صلى الله عليه وآله، عن جابر بن عبد الله قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على فاطمة عليها السلام وهى تطحن بالرحى وعليها كساء من جلّة الإبل فلما نظر إليها بكى وقال لها: يا فاطمة تعجلى مرارة الدنيا لنعيم الآخرة غداً، فأنزل الله عليه: وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى، وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى.

وروى أيضاً عن أحمد بن محمد النوفلى، عن أحمد بن محمد الكاتب، عن عيسى بن مهران بإسناده إلى زيد بن على عليه السلام فى قول الله عز وجل: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى، قال: إن رضى رسول الله صلى الله عليه وآله إدخال الله أهل بيته وشيعتهم الجنة، وكيف لا وإنما خلقت الجنة لهم والنار لأعدائهم. فعلى أعدائهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

مناقب آل ابي طالب: ٣/١٢٠:

تفسير الثعلبى عن جعفر بن محمد عليه السلام وتفسير القشيري عن جابر الأنصارى أنه رأى النبي صلى الله عليه وآله فاطمة وعليها كساء من جلّة الإبل... الخ.

ورواه فى تفسير نور الثقلين: ٥/٥٩٤ عن المناقب لابن شهر آشوب عن تفسير الثعلبى، وفى بحار الأنوار: ٣٩/٨٥ عن تفسير الثعلبى وعن

تفسير القشيري عن جابر الأنصاري.

ورواه في الدر المنثور: ٦/٣٦١ قال: وأخرج العسكري في المواعظ وابن مردويه وابن هلال وابن النجار عن جابر بن عبد الله قال: دخل رسول الله (ص) على فاطمة وهي تطحن بالرحى... الخ.
مناقب أمير المؤمنين: ١/١٥٣:

محمد بن سليمان قال: حدثنا أبو أحمد قال: حدثنا محمد بن إسحاق قال: وحدثني محمد بن الصباح الدولابي قال: حدثنا الحكم بن ظهير، عن السدي في قوله تعالى: ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً، قال: المودة في آل الرسول. وفي قوله تعالى: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى، قال: يدخل أهل بيته الجنة.

أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الوهاب إجازة أن أبا أحمد عمر بن عبد الله بن شوذب أخبرهم قال: حدثنا عثمان بن أحمد الدقاق قال: حدثنا محمد بن أحمد بن أبي العوام، حدثنا محمد بن الصباح الدولابي، حدثنا الحكم بن ظهير، عن السدي في قوله عز وجل: وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسَيْنًا، قال: المودة في آل الرسول صلى الله عليه وآله. وفي قوله: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى، فقال: رضى محمد صلى الله عليه وآله أن يدخل أهل بيته الجنة. انتهى.

وقال في هامشه: أقول: وقريباً منه رواه الحافظ الحسكاني في تفسير الآية ٢٣ من سورة الشورى والآية ٥ من سورة الضحى في كتاب شواهد التنزيل: ٢/١٤٧ و ٣٤٤.

مناقب آل أبي طالب: ٢/١٥:

تفسير وكيع، قال ابن عباس في قوله: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى، يعني ولسوف يشفعك يا محمد يوم القيامة في جميع أهل بيتك فتدخلهم كلهم الجنة ترضى بذلك عن ربك. انتهى. ورواه في بحار الأنوار: ٨/٤٣.
بحار الأنوار: ٢٤/٤٨:

وروى عن ابن المغازلي أيضاً بإسناده عن السدي مثله، وزاد في آخره: وقال في قوله تعالى: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى، قال: رضى محمد صلى الله عليه وآله أن يدخل أهل بيته الجنة.

الدر المنثور: ٦/٣٦١:

وأخرج ابن جرير من طريق السدي عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى، قال: من رضا محمد أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار.

وأخرج ابن أبي شيبه عن ابن مسعود (رض) قال قال رسول الله (ص): إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى..

تفسيرها بشفاعه النبي لجميع أمته

شعب الإيمان للبيهقي: ٢/١٦٤:

عن ابن عباس من قوله عز وجل: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى. قال: رضاه أن يدخل أمته كلهم الجنة.

الدر المنثور: ٦/٣٦١:

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان من طريق سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى، قال: رضاه أن تدخل أمته الجنة كلهم.

وأخرج الخطيب في تلخيص المتشابه من وجه آخر عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى، قال: لا يرضى محمد واحد من أمته في النار.

وأخرج مسلم عن ابن عمرو (رض) أن النبي (ص) تلا- قول الله في إبراهيم: فمن تبعني فإنه مني، وقول عيسى: إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ.. الآية، فرجع يديه وقال: اللهم أمتي وبكى، فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك في أمتك، ولا نسوؤك.

تفسير نور الثقلين: ٥/٥٩٥:

في مجمع البيان عن الصادق عليه السلام قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على فاطمة عليها السلام وعليها كساء من جلة الابل وهي تطحن بيدها وترضع ولدها فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله لما أبصرها فقال: يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة فقد أنزل الله علي: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى. وقال الصادق عليه السلام: رضا جدي أن لا يبقى في النار موحد.

وروى حريث بن شريح، عن محمد بن علي بن الحنفية أنه قال: يا أهل العراق تزعمون أن أرجى آية في كتاب الله عز وجل: يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ.. الآية، وأنا أهل البيت نقول: أرجى آية في كتاب الله: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى، وهي والله الشفاعة ليعطاها في أهل لا إله إلا الله حتى يقول: رب رضيت. مجمع البحرين: ١/١١٥:

وفي حديث النبي صلى الله عليه وآله: كساه الله من حلل الأمان. قال بعض الشارحين: المراد أمان أمته من النار، فإن الله تعالى قال له: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى، وهو صلى الله عليه وآله لا يرضى بدخول أحد من أمته إلى النار، كما ورد في الحديث. مجمع البحرين: ٢/١٨٦:

قوله تعالى: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى، قال المفسرون: اللام في (ولسوف) لام الإبتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدأ محذوف، والتقدير: ولانت سوف يعطيك، وليست بلام قسم لأنها لا تدخل على المضارع إلا مع نون التأكيد. وفي الرواية: إن أرجى آية في كتاب الله هذه الآية، لأنه لا يرضى بدخول أحد من أمته النار. بحار الأنوار: ٧٩/٩١:

(المكسو حلل الأمان) قال الشيخ البهائي رحمه الله: المراد أمان أمته من النار، فإن الله تعالى قال له: ولسوف يعطيك ربك فترضى، وهو صلى الله عليه وآله لا يرضى بدخول أحد من أمته في النار، كما ورد في الحديث، وحلل الأمان استعارة.

ملاحظات

الأولى: قد يشكل على بعض هذه الأحاديث بأن سورة الضحى مكية فكيف نزلت في المدينة بعد ما قاله النبي للزهراء صلى الله عليه وعليها؟ أو بعد أن سب بعض القرشيين بني هاشم وقال (إنما مثل محمد فيهم كمثل شجرة في كبا) كما ذكرت بعض الروايات؟ والجواب: أنه لا مانع من القول بنزول بعض الآيات مرتين أو مرات، كما قرر ذلك علماء التفسير في أسباب النزول، فيكون النزول الثاني مؤكداً، أو مبيناً لمصاديق الآية، أو تأويلاً لها.. ومن الواضح أن هذه الآية من النوع الذي يصح نزوله في أكثر من مناسبة لتطمين النبي صلى الله عليه وآله وتذكيره بنعم الله تعالى الآتية، ليتحمل أحقاد المشركين ومؤامراتهم، ومتاعب الأمة وأذاياها، ومصاعب الدنيا ومراراتها.

ويؤيد نزولها مرة ثانية ما رواه السيوطي في الدر المنثور: ٦/٣٦١: وأخرج ابن مردويه عن عكرمة (رض) قال: لما نزلت وللآخرة خير لك من الأولى، قال العباس بن عبد المطلب: لا يدع الله نبيه فيكم إلا قليلاً لما هو خير له. انتهى.

ويؤيده أيضاً ما رواه المجلسي في بحار الأنوار: ٢٢/٥٣٣: عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما حضرت النبي الوفاة استأذن عليه رجل فخرج إليه على عليه السلام فقال: حاجتك؟ قال: أردت الدخول إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال علي عليه السلام: لست تصل

إليه فما حاجتك؟ فقال الرجل: إنه لا بد من الدخول عليه، فدخل على فاستأذن النبي (عليهما السلام) فأذن له فدخل وجلس عند رأس رسول الله ثم قال: يا نبي الله إني رسول الله إليك، قال: وأي رسل الله أنت قال: أنا ملك الموت، أرسلني إليك يخبرك بين لقائه والرجوع إلى الدنيا، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: فأمهلني حتى ينزل جبرئيل فأستشيره، ونزل جبرئيل عليه السلام فقال: يا رسول الله الآخرة خير لك من الأولى، وسوف يعطيك ربك فترضى، لقاء الله خير لك، فقال صلى الله عليه وآله: لقاء ربي خير لي، فامض لما أمرت به، فقال جبرئيل لملك الموت: لا تعجل حتى أعرج إلى ربي وأهبط... الخ. انتهى.

على أنا نلاحظ في بعض رواياتها أن النبي صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام (يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة فقد أنزل الله على: **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**). وهو يدل على أن النبي ذكر فاطمة بنزول الآية، لا أنها نزلت في ذلك الوقت.

الثانية: نلاحظ في تفسير هذه الآية ملامح الاتجاه إلى توسيع الشفاعة لكل المسلمين، مؤمنهم ومناقهم ظالمهم ومظلومهم محسنهم ومسيئهم! وأنها وأمثالها لم تستثن الظالمين والجبارين والطغاة ومحرفي الدين والمفسدين في أمور البلاد والعباد! ولا اشترطت شروطاً لنيل الشفاعة والنجاة فقالت مثلاً: من مات على الشهادتين وكان من الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، ولم يكن في رقبته ظلم للعباد.. ولو أنها اشتملت على ذلك لكان لعمومها وجه يمكن الدفاع عنه.. ولكنها وأمثالها من الروايات تريد أن تقول إن المسلمين كلهم يدخلون الجنة مهما ارتكبوا من معاص ومظالم، ومهما انحرفوا عن في سلوكهم الخاص والعام عن الإسلام وخالفوا الله تعالى ورسوله! بل مهما حرّفوا الإسلام وأعملوا معاولهم في هدم أصوله وتغيير فروعه!.. فما داموا مسلمين بالاسم متمين إلى أمه النبي فإن النبي صلى الله عليه وآله لا يرضى يوم القيامة حتى يدخلهم الجنة إلى آخر نفر!!

وهذه نفس مقولة اليهود (نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ) ولا- يمكن التوفيق بينها وبين آيات القرآن والأحاديث التي اتفق الجميع على صدورها عن النبي صلى الله عليه وآله.. مثل إخباره بأن بعض أصحابه يمنعون من ورود الحوض، ويؤمر بهم إلى النار.. كما سيأتى في محاولات توسيع الشفاعة، إن شاء الله تعالى، وستعرف أن عدداً من الآيات والأحاديث الثابتة عند الجميع تنص على أن شفاعته النبي صلى الله عليه وآله لا يمكن أن تشمل أنواعاً من المجرمين والظالمين، حتى لو كانوا من أمه رسول الله صلى الله عليه وآله وصحابته، وحتى لو كان عندهم بعض الأعمال الحسنة، لأن إجراء قوانين الجزاء والعقاب من مقتضيات العدل الالهي.

ولذلك فإن مقولة (أن النبي لا يرضى مادام أحد من أمته محكوماً عليه بدخول النار) مقولة باطله لا تصح نسبتها إلى النبي وآله صلى الله عليه وعليهم، لأن الآيات والأحاديث القطعية تعارضها، ويعارضها حكم العقل أيضاً، لأنها تساوى بين المحسنين والفجار، بل تبطل القانون الالهي في العقاب!

وبسبب ذلك نستظهر أن أصل الحديث شفاعته صلى الله عليه وآله لأهل بيته فجعلوه لأمته، كما حرفوا غيره من الأحاديث والمناقب الخاصة ببنى هاشم أو بالعترة وجعلوه لكل قريش أو لكل الأمة، ومن ذلك حديث (الأئمة من بعدي اثنا عشر من أهل بيتي) فجعلوه من قريش! ولا يتسع المجال للتفصيل.

نعم يمكن القول بشمول شفاعته صلى الله عليه وآله لكل أمته إذا حددنا مفهوم أمته صلى الله عليه وآله بمن يقبلهم ويرتضيهم بسبب صحة عقيدتهم وصحة خطبهم العام، فتشمل شفاعته خيار الموحدين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فهؤلاء قد يصح القول فيهم ان النبي صلى الله عليه وآله لا يرضى أن يدخلوا النار.

وقد ورد معنى قريب مما ذكرنا في دعاء في بحار الأنوار: ٩٤/١١٩ يقول: اللهم إنك قلت لنبيك صلى الله عليه وآله: **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**. اللهم إن نبيك ورسولك وحبيبك وخيرتك من خلقك لا يرضى بأن تعذب أحداً من أمته دانك بموالاته وموالاة الأئمة من أهل بيته وإن كان مذنباً خاطئاً في نار جهنم، فأجرتني يا رب من جهنم وعذابها، وهبني لمحمد وآل محمد، يا أرحم الراحمين. انتهى.

من الطبيعي للباحث في مسائل الآخرة والحساب والشفاعة والجنة والنار، أن يتذكر دائماً أن مصدر معلوماته عن ذلك العالم وكل عوالم الغيب إنما هو النصوص الشريفة من القرآن والسنة، وأن بحثه في مسائله يعني الاهتداء بالعقل والفكر في إطار هذه النصوص لا خارجها.. ولذلك يحتاج في كثير من التفاصيل وأحياناً في أمر أساسي، إلى التوقف عند القدر المتيقن من النصوص، حتى لا يقول في دين الله تعالى بغير علم.

ومن الملاحظ في آيات الجنة والنار والشفاعة أن أحاديثها التي تصنف الناس بأنهم من أهل النار أو من أهل الجنة، لا تستوعب كل أصناف الناس، بل تبقى أصناف كثيرة خارجة عن القدر المتيقن من الطرفين.. وكذلك الأمر في الشفاعة حيث نجد في القرآن الكريم شروطاً للشفاعة وللشفوع لهم، ونجد في السنة تفصيلات لها وذكرها لأصناف من الناس تشملهم الشفاعة، أو لا تشملهم.. وتبقى أصناف أخرى من الناس لا تذكرها النصوص ولا تشملها.

والحل في مثل هذه الحالة التوقف وعدم التورط في تصنيف عباد الله في الجنة أو النار، أو داخل الشفاعة أو خارجها، بالظنون والاحتمالات، كما يفعل البعض!

المذاهب في حدود الشفاعة (من ارتضى)

هذا البحث من أهم بحوث الشفاعة من ناحية نظرية، كما أنه بحث حساس من ناحية تطبيقية، لأنه يصنف المسلمين إلى مرضيين عند الله ورسوله وغير مرضيين.. ولذلك اختلفت فيه آراء المذاهب والفئات، وكثر في تاريخ المسلمين وكتبهم البحث في الذين تشملهم شفاعة النبي صلى الله عليه وآله والذين لا تشملهم..

وأهم الأقوال أو المذاهب في المسألة أربعة:

القول الأول: قول أهل البيت (عليهم السلام) الذي يشترط للشفاعة: الإسلام، وعدم الشرك، وعدم الظلم، وإطاعة النبي صلى الله عليه وآله في مودة أهل بيته (عليهم السلام).

القول الثاني: القول بتوسيع الشفاعة، وهو قول أكثر المذاهب السنية التي توسعها إلى جميع المسلمين، بل إلى غيرهم من اليهود والنصارى.. وستعرف أن فيه عدة آراء بل مذاهب.

القول الثالث: إنكار شفاعة النبي صلى الله عليه وآله أصلاً، وهو قول قدماء الخوارج، وقد رد عليهم أهل البيت (عليهم السلام) وبقية المذاهب. وقد ولد هذا الرأي ردة فعل على مذهب توسعة الشفاعة الذي تبنته الدولة وأفرطت فيه.

القول الرابع: قول المعتزلة بأن الشفاعة لا تشمل المسلم الذي يرتكب المعاصي الكبائر لأنه يستحق النار، بل تختص بالمسلم الذي يرتكب المحرمات الصغائر المعفو عنها، وفائدتها رفع درجته في الجنة. وسوف نستعرض هذه المذاهب في الفقرات التالية إن شاء الله تعالى.

حدود الشفاعة عند أهل البيت

ما دل على استثناء المشرك والظالم من الشفاعة

التوحيد للصدوق/٤٠٧:

حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني (رض) قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير قال: سمعت موسى بن جعفر (عليهما السلام) يقول: لا يخلد الله في النار إلا أهل الكفر والجحود، وأهل الضلال والشرك. ومن اجتنب الكبائر من المؤمنين لم يسأل عن الصغائر، قال الله تبارك وتعالى: **إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا.**

قال فقلت له: يا بن رسول الله فالشفاعة لمن تجب من المذنبين؟

قال: حدثني أبي عن آباءه عن علي (عليهم السلام) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، فأما المحسنون منهم فما عليهم من سبيل.

قال ابن عمير فقلت له: يا بن رسول الله فكيف تكون الشفاعة لأهل الكبائر والله تعالى ذكره يقول: وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَ هُمْ مِنْ حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ؟ ومن يرتكب الكبائر لا يكون مرتضى!

فقال: يا أبا أحمد مامن مؤمن يرتكب ذنباً إلا ساءه ذلك وندم عليه، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: كفى بالندم توبه.

وقال صلى الله عليه وآله: من سرتة حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن، فمن لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن ولم تجب له الشفاعة، وكان ظالماً والله تعالى ذكره يقول: ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع.

فقلت له: يا ابن رسول الله وكيف لا يكون مؤمناً من لم يندم على ذنب يرتكبه؟ فقال: يا أبا أحمد ما من أحد يرتكب كبيرة من المعاصي وهو يعلم أنه سيعاقب عليها إلا ندم على ما ارتكب، ومتى ندم كان تائباً مستحقاً للشفاعة، ومتى لم يندم عليها كان مصراً، والمصر لا يغفر له، لأنه غير مؤمن بعقوبة ما ارتكب، ولو كان مؤمناً بالعقوبة لندم. وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: لا كبيرة مع الإستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار. وأما قول الله عز وجل: وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى، فإنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه، والدين الإقرار بالجزاء على الحسنات والسيئات، فمن ارتضى الله دينه ندم على ما ارتكبه من الذنوب، لمعرفة بعاقبته في القيامة. انتهى. ورواه في وسائل الشيعة: ١١/٢٦٦، وفي تفسير نور الثقلين: ٤/٥١٧.

الإعتقادات للصدوق/٤٤:

إعتقادنا في الشفاعة: أنها لمن ارتضى دينه من أهل الكبائر والصغائر، فأما التائبون من الذنوب فغير محتاجين إلى الشفاعة.

قال النبي صلى الله عليه وآله: من لم يؤمن بشفاعتي فلا أنا له الله شفاعتي.

وقال صلى الله عليه وآله: لا شفيع أنجح من التوبه.

والشفاعة للأنبياء والأوصياء (عليهم السلام)، وفي المؤمنين من يشفع مثل ربيعه ومضر، وأقل المؤمنين من يشفع ثلاثين ألفاً.

والشفاعة لا تكون لأهل الشرك والشك، ولا لأهل الكفر والجحود، بل تكون للمذنبين من أهل التوحيد.

من لا يحضره الفقيه: ٣/٥٧٤:

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي.

وقال الصادق عليه السلام: شفاعتنا لأهل الكبائر من شيعتنا، وأما التائبون فإن الله عز وجل يقول: مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ. ورواهما

في وسائل الشيعة: ١١/٢٦٤.

روضه الواعظين/٥٠١:

قيل للرضا عليه السلام: يا بن رسول الله فما معنى قول الله تعالى: وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى؟ قال: لا يشفعون إلا لمن ارتضى دينه،

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ما خلا الشرك والظلم.

الاختصاص للمفيد/٣٣: باب فيه مسائل اليهودى التى ألقاها على النبي صلى الله عليه وآله

حدثنا عبدالرحمن بن إبراهيم قال: حدثنا الحسين بن مهران قال: حدثني الحسين بن عبدالله، عن أبيه، عن جده، عن جعفر بن محمد،

عن أبيه، عن جده الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: جاء رجل من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد

أنت الذى تزعم أنك رسول الله وأنه يوحى إليك كما أوحى إلى موسى بن عمران؟ قال: نعم، أنا سيد ولد آدم ولا فخر، أنا خاتم

النبيين وإمام المتقين ورسول رب العالمين.

فقال: يا محمد إلى العرب أرسلت أم إلى العجم أم إلينا؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنى رسول الله إلى الناس كافة.

فقال: إني أسألك عن عشر كلمات أعطاها موسى في البقعة المباركة حيث نجاه لا يعلمها إلا نبي مرسل أو ملك مقرب. فقال النبي صلى الله عليه وآله: سل عما بدا لك.

فقال: يا محمد أخبرني عن الكلمات التي اختارها الله لابراهيم عليه السلام حين بنى هذا البيت؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله: نعم: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

فقال: يا محمد لأي شيء بنى ابراهيم عليه السلام الكعبة مربعاً؟

قال: لأن الكلمات أربعة.

قال: فلأي شيء سميت الكعبة كعبة؟

قال: لأنها وسط الدنيا.

قال: فأخبرني عن تفسير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: علم الله أن ابن آدم والجن يكذبون على الله تعالى فقال: سبحان الله، يعنى برى مما يقولون.

وأما قوله: الحمد لله، علم الله أن العباد لا يؤدون شكر نعمته، فحمد نفسه عز وجل قبل أن يحمده الخلائق، وهى أول الكلام، لولا ذلك لما أنعم الله على أحد بنعمه.

وأما قوله: لا إله إلا الله، وهى وحدانيته لا يقبل الله الأعمال إلا به، ولا يدخل الجنة أحد إلا به، وهى كلمة التقوى سميت التقوى لما تثقل بالميزان يوم القيامة.

وأما قوله: الله أكبر، فهى كلمة ليس أعلاها كلام وأحبها إلى الله، يعنى ليس أكبر منه، لأنه يستفتح الصلوات به لكرامته على الله، وهو اسم من أسماء الله الأكبر.

فقال: صدقت يا محمد ما جزاء قائلها؟

قال: إذا قال العبد: سبحان الله سبح كل شيء معه مادون العرش، فيعطى قائلها عشر أمثالها. وإذا قال: الحمد لله أنعم الله عليه بنعيم الدنيا حتى يلقاه بنعيم الآخرة، وهى الكلمة التى يقولها أهل الجنة إذا دخلوها، والكلام ينقطع فى الدنيا ما خلا الحمد، وذلك قولهم: تحيتهم فيها سلام، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

وأما ثواب: لا إله إلا الله فالجنة، وذلك قوله: هل جزاء الاحسان إلا الاحسان. وأما قوله: الله أكبر، فهى أكبر درجات فى الجنة وأعلاها منزلة عند الله. فقال اليهودى: صدقت يا محمد، أديت واحدة، تأذن لى أن أسألك الثانية؟ فقال: النبي صلى الله عليه وآله: سلنى ما شئت - وجبرئيل عن يمين النبي صلى الله عليه وآله وميكائيل عن يساره يلقنانه - فقال اليهودى: لأى شيء سميت محمداً وأحمد وأبا القاسم وبشيراً ونذيراً وداعياً؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله: أما محمد فإنى محمود فى السماء، وأما أحمد فإنى محمود فى الأرض، وأما أبو القاسم فإن الله تبارك وتعالى يقسم يوم القيامة قسمه النار بمن كفر بى أو يكذبنى من الأولين والآخرين، وأما الداعى فإنى أدعو الناس إلى دين ربي إلى الإسلام، وأما النذير فإنى أندر بالنار من عصانى، وأما البشير فإنى أبشر بالجنة من أطاعنى.

قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن الثالثة لأى شيء وقت الله هذه الصلوات الخمس فى خمس مواقيت على أمتك، فى ساعات الليل والنهار....

قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن العاشرة: تسعة خصال أعطاك الله من بين النبيين، وأعطى أمتك من بين الأمم؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله: فاتحة الكتاب، والأذان، والإقامة، والجماعة فى مساجد المسلمين، ويوم الجمعة، والأجهار فى ثلاث صلوات، والرخصة لأمتى عند الأمراض والسفر، والصلاة على الجنائز، والشفاعة فى أصحاب الكبائر من أمتى... وأما شفاعتى فى أصحاب الكبائر من أمتى ما خلا الشرك والمظالم. قال: صدقت يا محمد، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً

عبده ورسوله، وأنتك خاتم النبيين، وإمام المتقين، ورسول رب العالمين.

ثم أخرج ورقاً أبيض من كفه مكتوب عليه جميع ما قال النبي صلى الله عليه وآله حقاً، فقال... يا محمد فقد كنت أمحي إسمك في التوراة أربعين سنة، فكلما محوت وجدت إسمك مكتوباً فيها! وقد قرأت في التوراة هذه المسائل لا يخرجها غيرك، وإن ساعة ترد جواب هذه المسائل يكون جبرئيل عن يمينك وميكائيل عن يسارك. فقال النبي صلى الله عليه وآله: جبرئيل عن يميني وميكائيل عن يساري!

الخصال للصدوق/٣٥٥:

حدثنا محمد بن علي ماجيلويه، عن عمه محمد بن أبي القاسم، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبي الحسن علي بن الحسين البرقي، عن عبد الله بن جبلة، عن الحسن بن عبد الله، عن آباءه، عن جده الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام في حديث طويل قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسأله أعلمهم عن أشياء فكان فيما سأله: أخبرنا عن سبع خصال أعطاك الله من بين النبيين وأعطى أمتك من بين الأمم... الخ. وهو شبيه بما تقدم عن الاختصاص، ولعل السبع تصحيف للتسع ورواه في تفسير نور الثقلين: ١/٧٧ وبعضه في مستدرک الوسائل: ١١/٣٦٤.

بشارة المصطفى/٢٠:

قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: أغفل الناس قول رسول الله صلى الله عليه وآله في علي بن أبي طالب يوم مشربة أم إبراهيم، كما أغفلوا قوله فيه يوم غدیر خم! إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان في مشربة أم إبراهيم وعنده أصحابه إذ جاءه علي عليه السلام فلم يفرجوا له، فلما رآهم لم يفرجوا له قال لهم: يا معاشر الناس هذا علي من أهل بيتي، وتستخفون بهم وأنا حثي بين ظهرانيكم! أما والله لئن غبت عنكم فإن الله لا يغيب عنكم، إن الرُّوحَ والراحَةَ والبشرَ والبشارةَ لمن أئتم بعلي وتولاه، وسلم له وللاوصياء من ولده. إن حقاً عليٌّ أن أدخلهم في شفاعتي لأنهم أتباعي فمن تبعني فإنه مني، سنة جرت في من إبراهيم لاني من إبراهيم وإبراهيم مني، وفضلتي فضله وفضله فضلي، وأنا أفضل منه، تصديق قول ربي: ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم.

التبيان في تفسير القرآن: ١٠/١٨٧:

فقال الله تعالى لهم: فما تنفعهم شفاعَةُ الشافعين، الذين يشفعون لهم، لأن عذاب الكفر لا يسقطه الله بالشفاعة بالإجماع.

اصناف من الناس موعودون بالشفاعة

وردت في مصادر الفريقين أحاديث متعددة وَعَدت أصنافاً من الناس بالشفاعة جزاء لأعمالهم، أو جعلتهم من أهل الشفاعة لغيرهم، أو حذرتهم من الحرمان منها عقاباً على أعمالهم، ونذكر منها نماذج من مصادرنا، ومن مصادر السنين في محلها:

من قضى لأخيه المؤمن حاجة

وسائل الشيعة: ١١/٥٨٨:

في ثواب الأعمال، عن أبيه، عن سعد، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن شرحبيل بن سعد الأنصاري، عن أشيد بن حضيرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أغاث أخاه المسلم حتى يخرج منه هم وكربة وورطة، كتب الله له عشر حسنات ورفع له عشر درجات، وأعطاه ثواب عتق عشر نسائم، ودفع عنه عشر نقمات، وأعد له يوم القيامة عشر شفاعات.

مستدرک الوسائل: ١٢/٤٠٥:

عوالي اللآلي: عن النبي صلى الله عليه وآله قال: من قضى حاجة لأخيه كنت واقفاً عند ميزانه، فإن رجح وإلا شفعت له.

مستدرک الوسائل: ١٢/٤٠٧:

وعن إبراهيم التيمي قال: كنت في الطواف إذ أخذ أبو عبد الله عليه السلام بعصدي فسلم عليّ ثم قال: ألا أخبرك بفضل الطواف حول هذا البيت؟ قلت: بلى قال: أيما مسلم طاف حول هذا البيت أسبوعاً ثم أتى المقام فصلى خلفه ركعتين كتب الله له ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيئة، ورفع له ألف درجة، وأثبت له ألف شفاعته، ثم قال: ألا أخبرك بأفضل من ذلك؟ قلت: بلى قال: قضاء حاجة امرئ مسلم أفضل من طواف أسبوع وأسبوع، حتى بلغ عشرة.

مستدرک الوسائل: ١٢/٤٠٩:

وعن أبي عبد الله عليه السلام: من مشى في حاجة أخيه كتب الله له بها عشر حسنات، وأعطاه الله عشر شفاعات.

من سعى في حوائج ذرية النبي

الكافي: ٤/٦٠:

وعنه، عن أبيه، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني شافع يوم القيامة لأربعة أصناف ولو جاؤوا بذنوب أهل الدنيا: رجل نصر ذريتي، ورجل بذل ماله لذريتي عند المضيق، ورجل أحب ذريتي باللسان وبالقلب، ورجل يسعى في حوائج ذريتي إذا طردوا أو شردوا. ورواه في من لا يحضره الفقيه: ٢/٦٥ وفي تهذيب الأحكام: ٤/١١١ وفي تأويل الآيات: ٢/١٠٩ وفي وسائل الشيعة: ١١/٥٥٦ وفي مستدرک الوسائل: ١٢/٣٨٢.

من زار قبر النبي

الكافي: ٤/٥٤٨:

علي بن محمد بن بندار، عن إبراهيم بن إسحاق، عن محمد بن سليمان الديلمي، عن أبي حجر الاسلمي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أتى مكة حاجاً ولم يزرني إلى المدينة جفته يوم القيامة، ومن أتاني زائراً وجبت له شفاعتي، ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنة، ومن مات في أحد الحرمين مكة والمدينة لم يعرض ولم يحاسب، ومن مات مهاجراً إلى الله عز وجل، حشر يوم القيامة مع أصحاب بدر.

من زار أخاه المؤمن لوجه الله تعالى

الكافي: ٢/١٧٨:

محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن صالح بن عقبه، عن عبد الله بن محمد الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن المؤمن ليخرج إلى أخيه يزوره فيوكل الله عز وجل به ملكاً فيضع جناحاً في الأرض وجناحاً في السماء يظله، فإذا دخل إلى منزله نادى الجبار تبارك وتعالى: أيها العبد المعظم لحق المتبع لآثار نبيي، حق على إعظامك، سلني أعطك، أدعني أجبك، أسكت أبتدئك، فإذا انصرف شيعة الملك يظله بجناحه حتى يدخل إلى منزله، ثم يناديه تبارك وتعالى: أيها العبد المعظم لحق حق على إكرامك، قد أوجبت لك جنتي، وشفعتك في عبادي.

الكافي: ٢/١٧٦:

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حدثني جبرئيل عليه السلام أن الله عز وجل أهبط إلى الأرض ملكاً فأقبل ذلك الملك يمشى حتى وقع إلى باب عليه رجل يستأذن على رب الدار، فقال له الملك ما حاجتك إلى رب هذه الدار؟ قال: أخ لي مسلم زرت في الله تبارك وتعالى، قال

له الملك: ما جاء بك إلا- ذاك؟ فقال: ما جاء بي إلا ذاك، فقال: إني رسول الله إليك وهو يقرؤك السلام ويقول: وجبت لك الجنة. وقال الملك: إن الله عز وجل يقول: أيما مسلم زار مسلماً، فليس إياه زار، إياي زار وثوابه عليّ الجنة.

من يدعو للمؤمنين

الكافي: ٢/٥٠٧:

علي بن محمد، عن محمد بن سليمان، عن إسماعيل بن إبراهيم، عن جعفر بن محمد التميمي، عن حسين بن علوان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما من مؤمن دعا للمؤمنين والمؤمنات إلا رد الله عز وجل عليه مثل الذي دعا لهم به من كل مؤمن ومؤمنة مضى من أول الدهر أو هو آت إلى يوم القيامة. إن العبد ليؤمر به إلى النار يوم القيامة فيسحب فيقول المؤمنون والمؤمنات: يا رب هذا الذي كان يدعو لنا فشفعنا فيه، فيشفعهم الله عز وجل فيه، فينجو من النار برحمة الله عز وجل. ورواه في وسائل الشيعة: ٤/٥٤١ وفي مستدرک الوسائل: ٥/٢٤٢ عن أمالي الشيخ الطوسي.

شفاعة الملائكة لأهل مجلس الدعاء

الكافي: ٢/١٨٧:

الحسين بن محمد ومحمد بن يحيى جميعاً، عن علي بن محمد بن سعد، عن محمد بن مسلم، عن أحمد بن زكريا، عن محمد بن خالد بن ميمون، عن عبد الله بن سنان، عن غياث بن إبراهيم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما اجتمع ثلاثة من المؤمنين فصاعداً إلا حضر من الملائكة مثلهم فإن دعوا بخير آمنوا وإن استعاذوا من شر دعوا الله ليصرفه عنهم، وإن سألوا حاجة تشفعوا إلى الله وسألوه قضاها. وما اجتمع ثلاثة من الجاحدين إلا حضرهم عشرة أضعافهم من الشياطين. ورواه في وسائل الشيعة: ١١/٥٦٨.

من شيع جنازة مسلم

الكافي: ٣/١٧٣:

أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن ابن فضال، عن علي بن عقبه، عن ميسر قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: من تبع جنازة مسلم أعطى يوم القيامة أربع شفاعات ولم يقل شيئاً إلا- وقال الملك: ولك مثل ذلك. ورواه في من لا يحضره الفقيه: ١/١٦١ وفي تهذيب الأحكام: ١/٤٥٥.

من حفظ على أمتي أربعين حديثاً

وسائل الشيعة: ١٨/٦٧:

وعن طاهر بن محمد، عن حياة الفقيه، عن محمد بن عثمان الهروي، عن جعفر بن محمد بن سوار، عن علي بن حجر السعدي، عن سعيد بن نجیح، عن ابن جريح، عن عطاء عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله قال: من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من السنة كنت له شافعاً يوم القيامة.

وسائل الشيعة: ١٨/٧٠:

محمد بن علي الفارسي في روضة الواعظين قال قال النبي صلى الله عليه وآله: من حفظ من أمتي أربعين حديثاً من السنة كنت له شافعاً يوم القيامة. ورواه في العمدة/ ١٧ بلفظ (من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من سنتي أدخلته يوم القيامة في شفاعتي).

من عاهد أخاه المؤمن على الشفاعة

مستدرک الوسائل: ٦/٢٧٨:

قال في ضمن أعمال هذا اليوم المبارك (يوم الغدير): وينبغي عقد الأخوة في هذا اليوم مع الأخوان بأن يضع يده اليمنى على يميني أخيه المؤمن ويقول: واخيتك في الله وصافيتك في الله وصافحتك في الله، وعاهدت الله وملائكته وكتبه ورسله وأنبياءه والأئمة المعصومين (عليهم السلام) على أني إن كنت من أهل الجنة والشفاعة وأذن لي بأن أدخل الجنة، لا أدخلها إلا وأنت معي. فيقول الأخ المؤمن: قبلت، فيقول: أسقطت عنك جميع حقوق الأخوة ما خلا الشفاعة، والدعاء، والزيارة.

مجموعة أعمال و صفات توجب الشفاعة

من لا يحضره الفقيه: ٤/١٧:

ألا ومن مشى إلى مسجد يطلب فيه الجماعة كان له بكل خطوة سبعون ألف حسنة، ويرفع له من الدرجات مثل ذلك، فإن مات وهو على ذلك وكل الله عز وجل به سبعين ألف ملك يعودونه في قبره ويبشرونه ويؤنسونه في وحدته ويستغفرون له حتى يبعث. ألا- ومن أذن محتسباً يريد بذلك وجه الله عز وجل أعطاه الله ثواب أربعين ألف شهيد وأربعين ألف صديق، ويدخل في شفاعته أربعون ألف مسي من أمتي إلى الجنة.

ألا- وإن المؤذن إذا قال (أشهد أن لا إله إلا الله) صلى عليه سبعون ألف ملك ويستغفرون له وكان يوم القيامة في ظل العرش حتى يفرغ الله من حساب الخلائق ويكتب له ثواب قوله (أشهد أن محمداً رسول الله) أربعون ألف ملك. هذا، وتوجد أحاديث كثيرة ضمنّت الجنة لبعض أصناف الناس على أعمالهم الحسنة، وهي تصلح بنحو للإستدلال على شمول الشفاعة لهم، لأن الوعد من النبي صلى الله عليه وآله قد يكون بسبب شمولهم لشفاعته، ونذكر منهم:

١- من شفع لآخيه المؤمن في حاجة

وسائل الشيعة: ١١/٥٦٢:

عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ومن شفع لآخيه شفاعته طلبها، نظر الله إليه فكان حقاً على الله أن لا يعذبه أبداً، فإن هو شفع لآخيه شفاعته من غير أن يطلبها، كان له أجر سبعين شهيداً.

٢- من قام بخدمة لمجتمع المسلمين

الكافي: ٢/١٦٤:

عنه عن علي بن الحكم، عن مثنى بن الوليد الحنط، عن فطر بن خليفة، عن عمر بن علي بن الحسين، عن أبيه صلوات الله عليهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله من رد عن قوم من المسلمين عادية ماء أو نار، وجبت له الجنة.

٣- من ربى بنتاً أو أكثر

الكافي: ٦/٦:

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم، عن عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات، وجبت له الجنة فقيل: يا رسول الله واثنين؟ فقال: واثنين، فقيل: يا رسول الله وواحدة؟ فقال: وواحدة.

٤- من احترم نعمة الله تعالى

من لا يحضره الفقيه: ١/٢٧:

ودخل أبو جعفر الباقر عليه السلام الخلاء فوجد لقمه خبز في القدر فأخذها وغسلها ودفعها إلى مملوك كان معه فقال: تكون معك

لاكلها إذا خرجت، فلما خرج عليه السلام قال للمملوك: أين اللقمة؟ قال أكلتها يا ابن رسول الله، فقال: إنها ما استقرت في جوف أحد إلا وجبت له الجنة فذهب فأنت حر، فإني أكره أن أستخدم رجلاً من أهل الجنة.

٥- أصناف أخرى موعودون بالجنة

من لا يحضره الفقيه: ١/١٤٠:

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ضمنت لستة الجنة: رجل خرج بصدقة فمات فله الجنة، ورجل خرج يعود مريضاً فمات فله الجنة، ورجل خرج مجاهداً في سبيل الله فمات فله الجنة، ورجل خرج حاجاً فمات فله الجنة، ورجل خرج إلى الجمعة فمات فله الجنة، ورجل خرج في جنازة رجل مسلم فمات فله الجنة.

من لا يحضره الفقيه: ٤/١٧:

ألا ومن تصدق بصدقة، فله بوزن كل درهم مثل جبل أحد من نعيم الجنة، ومن مشى بصدقه إلى محتاج، كان له كأجر صاحبها من غير أن ينقص من أجره شىء، ومن صلى على ميت صلى عليه سبعون ألف ملك وغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فإن أقام حتى يدفن ويحشى عليه التراب، كان له بكل قدم نقلها قيراط من الأجر، والقيراط مثل جبل أحد.

ألا- ومن ذرفت عيناه من خشية الله عز وجل كان له بكل قطرة قطرت من دموعه قصر في الجنة مكللاً بالدر والجوهر، فيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

اصناف لا تنالهم الشفاعة

السلطان الظالم الغشوم

قرب الاسناد/٦٤:

وعنه، عن مسعدة بن صدقة قال: حدثني جعفر بن محمد، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: صنفان لا تنالهما شفاعتي: سلطان غشوم عسوف، وغال في الدين مارق منه، غير تائب ولا نازع.

الخصال/٦٣:

حدثنا محمد بن الحسن (رض) قال: حدثنا محمد بن يحيى العطار، عن محمد بن أحمد، عن محمد بن عبد الجبار بإسناده يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: رجلان لا تنالهما شفاعتي: صاحب سلطان عسوف غشوم، وغال في الدين مارق. ورواه في مناقب أمير المؤمنين: ٢/٣٣٠ ونحوه في مستدرک الوسائل: ١٢/٩٩.

تاريخ يعقوبي: ٢/٩٦:

أربع من فعلهن فقد خرج من الإسلام: من رفع لواء ضلالة، ومن أعان ظالماً أو سار معه أو مشى معه وهو يعلم أنه ظالم، ومن اخترم بدمه.

ورجلان لا تنالهما شفاعتي يوم القيامة: أمير ظلوم، ورجل غال في الدين مارق منه. والأمير العادل لا ترد دعوته.

المنان والبخيل والنام

من لا يحضره الفقيه: ٤/١٧:

ثم قال عليه السلام: يقول الله عز وجل: حرمت الجنة على المنان والبخيل والقتات، وهو النمام. انتهى.

ولا نطيل في تعداد هذه الأصناف، وهي في مصادرنا مشابهة لما يأتي في مصادر إخواننا السنيين، مع تأكيدها على عدم شمول الشفاعة

لمن عصى النبي صلى الله عليه وآله في مودة أهل بيته وولايتهم وإطاعتهم.

الذين يخرجون من النار بالشفاعة يكونون أدنى درجة

تفردت مصادر أهل البيت (عليهم السلام) ببيان أن الموحدين الذين يخرجون من النار دخلون جنه أخرى أدنى درجة، وهي غير الجنة التي يسكنها أولياء الله تعالى.

ففي بحار الأنوار: ٨/٣٦١:

ين: فضالته، عن عمر بن أبان، عن آدم أخى أيوب، عن حمران قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: إنهم يقولون ألا تعجبون من قوم يزعمون أن الله يخرج قوماً من النار فيجعلهم من أصحاب الجنة مع أوليائه؟ فقال: أما يقرؤون قول الله تبارك وتعالى: وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ، إنها جنة دون جنة، ونار دون نار، إنهم لا يساكنون أولياء الله! وقال: بينهما والله منزلة، ولكن لا أستطيع أن أتكلم، إن أمرهم لاضيق من الحلقة، إن القائم لو قام لبدأ بهؤلاء.

رأى السنين القريب من رأى أهل البيت

وهو الرأى القائل بأن الشفاعة تشمل بعض العاصين من المسلمين وليس كلهم.

ويدل عليه من مصادرهم:

أولاً: أحاديث كثيرة صحيحة السند عندهم، لكن دلالتها ضاعت، لأنها مخلوطة بأحاديث توسيع الشفاعة وشمولها لكل العاصين والمنافقين!

ونكتفى منها بالأحاديث التي نصت على أن عدداً من صحابة النبي صلى الله عليه وآله سيغيرون ويبدلون بعده، فلا يشفع لهم يوم القيامة، فيؤمر بهم إلى النار. فقد روى البخارى في صحيحه: ٧/٢٠٨ عن أبى هريرة عن النبي (ص) قال: بينا أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال هلم، فقلت أين؟ قال إلى النار والله! قلت وما شأنهم قال إنهم ارتدوا بعدك على أديبارهم القهقري! ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال هلم، قلت أين؟ قال إلى النار والله! قلت ما شأنهم؟! قال إنهم ارتدوا بعدك على أديبارهم القهقري!! فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم. انتهى.

وروى شيبهاً به فى: ٧/١٩٥ وص ٢٠٧-٢١٠ وفى نفس المجلد أيضاً ٨٤/٨٧ وج ٨/٨٦ و٨٧، وروى نحوه مسلم فى: ١/١٥٠ وج ٧/٦٦ وابن ماجه: ٢/١٤٤٠ وأحمد فى: ٢/٢٥ وص ٤٠٨ وج ٣/٢٨ وج ٥/٢١ وص ٢٤ وص ٥٠ وج ٦/١٦، ورواه البيهقى فى سننه: ٤/١٤، ونقل رواياته المتعددة فى كنز العمال فى: ١٣/١٥٧ وج ١٤/٤٨ و: ١٥/٦٤٧ وقال رواه (مالك والشافعى حم م ن - عن أبى هريرة) انتهى.

فلو كانت الشفاعة تشمل كل الخلق أو كل الموحدين أو كل المسلمين، لشملت هؤلاء الصحابة المعروفين! فلا بد من القول بأن شفاعته صلى الله عليه وآله مشروطة بشروط من أولها الإسلام وعدم الانحراف الكبير الذى ارتكبه هؤلاء الصحابة المطرودون!

ثانياً: أحاديث اشترطت شروطاً أخرى فوق الشهادتين للشفاعة، كالذى رواه البخارى: ٨/١٣٩: عن أبى هريرة أن رسول الله (ص) قال: كل أمتى يدخلون الجنة إلا- من أبى! قالوا يا رسول الله ومن يابى؟ قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى. انتهى. وفيه تصريح أن المستثنى هم الذين عصوا الرسول صلى الله عليه وآله من أمتة وأنهم لا يدخلون الجنة! ورواه الحاكم أيضاً بلفظ قريب منه فى: ١/٥٥ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

والذى رواه النسائى فى سننه: ٧ من ٨٨ عن أبى أيوب الأنصارى أن رسول الله (ص) قال: من جاء يعبد الله ولا يشرك به شيئاً ويقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويجتنب الكبائر، كان له الجنة. فسألوه عن الكبائر فقال: الإشراك بالله وقتل النفس المسلمة، والفرار يوم الزحف. والذى رواه أحمد فى: ٢/١٧٦ عن عبد الله بن عمرو أن رجلاً جاء إلى النبي (ص) فقال: يا رسول الله ما عمل الجنة؟ قال: الصدق، وإذا

صدق العبد برّ، وإذا بر آمن، وإذا آمن دخل الجنة.

قال يا رسول الله ما عمل النار؟

قال: الكذب، إذا كذب فجر، وإذا فجر كفر، وإذا كفر دخل.. يعنى النار. انتهى.

فهذه الأحاديث تشترط لدخول الجنة شروطاً أخرى غير التوحيد، فلو كان التوحيد وحده كافياً لما كان لهذه الشروط معنى.

ثالثاً: أحاديث نصت على أن الشفاعة تشمل أصنافاً معينين من الناس، نذكر منها:

١ - من قضى لآخيه حاجة

الدر المنثور: ٣/٧١:

وأخرج أبو نعيم عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص): من قضى لأخيه حاجة كنت واقفاً عند ميزانه، فإن رجح، وإلا شفعت له.

الدر المنثور: ٣/٢٥٦:

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ثم أمر منادياً ينادى: ألا

ليقم أهل المعروف في الدنيا فيقومون حتى يقفوا بين يدي الله فيقول الله أنتم أهل المعروف في الدنيا، فيقولون نعم فيقول: وأنتم أهل

المعروف في الآخرة فقوموا مع الأنبياء والرسل فاشفعوا لمن أحببتم فأدخلوه الجنة، حتى تدخلوا عليهم المعروف في الآخرة كما

أدخلتم عليهم المعروف في الدنيا.

٢ - من صلى على النبي

في مسند أحمد: ٤/١٠٨:

من صلى على محمد وقال: اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة، وجبت له شفاعتي. ورواه في فردوس الأخبار: ٤/٢١ ح

٥٥٥٥

وفي فردوس الأخبار في: ٤/٦١ ح ٥٦٨٠:

أبو الدرداء: من صلى (عليّ) حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً، أدركته شفاعتي يوم القيامة. ورواه في مجمع الزوائد: ١٠/١٢٠

و١٦٣.

٣ - من زار قبر النبي

وفي الدر المنثور: ١/٢٣٧:

وأخرج الحكيم الترمذي والبخاري وابن خزيمة وابن عدي والدارقطني والبيهقي عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص): من زار قبري

وجبت له شفاعتي. (ورواه في سنن الدارقطني: ٢/٢٧٨ ح ١٩٤ والذهبي في تاريخ الإسلام: ١١/٢١٢ ورواه بنص آخر: من زارني بعد

موتي وجبت شفاعتي).

وأخرج الطبراني عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص): من جاءني زائراً لم تنزعه حاجة إلا زيارتي كان حقاً على أن أكون له شافعياً

يوم القيامة.

وأخرج الطيالسي والبيهقي في الشعب عن عمر سمعت رسول الله (ص) يقول: من زار قبري كنت له شافعياً أو شهيداً، ومن مات في

أحد الحرمين بعثه الله في الآمين يوم القيامة.

مختصر تاريخ دمشق: ١ جزء ٢/٤٠٦:

وعن علي بن أبي طالب قال: من سأل لرسول الله (ص) الدرجة الوسيلة حلت له شفاعته يوم القيامة ومن زار قبر رسول الله (ص) كان في

جوار رسول الله (ص).

هامش طبقات المحدثين بإصبهان: ٢/٤٢٠، ١٦٧:

عن ابن عمر قال: قال رسول الله (ص): من جاءني زائراً لم تنزعه حاجة إلا زيارتي كان حقاً على الله أن أكون له شافعياً يوم القيامة. وشبيهه في: ١/٥٥.

وراجع أيضاً مجمع الزوائد: ٤/٢ وكنز العمال: ١٥/٣٨٣ وص ٦٥١.

وقد اقتصرنا من أحاديث زيارة قبره صلى الله عليه وآله على ماورد فيه ذكر الشفاعة وسنورد بقية أحاديثها في محلها إن شاء الله تعالى مع جواب شبهة الوهابيين في تحريمهم زيارة القبور وخيرها وأشرفها قبر سيد المرسلين صلى الله عليه وآله!

٤- من دعا للنبي صلى الله عليه وآله بالوسيلة

روى البخارى: ٥/٢٢٨:

من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته، حلت له شفاعتى يوم القيامة.

ورواه أيضاً في: ١ جزء ١/١٥٢ ورواه البيهقي في سننه: ١/٤٠٩ ومجمع الزوائد: ١/٣٣٣ والنويرى في نهاية الارب: ٣ جزء ٥/٣٠٨.

٥- من حفظ من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله أربعين حديثاً

روى الديلمى في فردوس الأخبار: ٤/٩١ ح ٥٧٧٨:

عن ابن عباس: من حفظ على أمتى أربعين حديثاً من أمر دينها، فهو من العلماء وكنت له شافعياً يوم القيامة. ونحوه في كنز العمال: ١٠/١٥٨.

وفي كتاب المجروحين لابن حبان: ٢/١٣٣:

عن أبي الدرداء قال: سألت رسول الله (ص) فقلت: يا رسول الله ما حد العلم الذى إذا بلغه الرجل كان فقيهاً؟ فقال: من حفظ على أمتى أربعين حديثاً في أمر دينها بعثه الله فقيهاً، وكنت له شافعياً وشهيداً.

٦- من حفظ أسماء الله الحسنى

صحيح البخارى: ٨/١٦٩:

عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال: إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة.

ونحوه في: ٧/١٦٩ ونحوه في مستدرک الحاكم: ١/١٦.

٧- من قرأ بعض سور القرآن

روى في فردوس الأخبار: ٤/٣٠ ح ٥٥٨٧:

أبو الدرداء: من قرأ مائتي آية في كل يوم شفع في سبع قبور حول قبره وخفف الله عز وجل عن والديه وإن كانا مشركين. وفي ٣٤/ ح ٥٥٩٨: ابن عباس: من قرأ سورة الأعراف جعل الله بينه وبين إبليس ستراً وكان آدم شافعياً له يوم القيامة. انتهى.

فهذه المجموعة من الأحاديث تدل على أن بعض المسلمين من أصحاب الأعمال الحسنة يستحقون الدخول في شفاعته النبي صلى الله عليه وآله. ولو كانت الشفاعة تشمل كل المسلمين لما صح جعلها ميزة لأصناف معينة من أصحاب الأعمال الحسنة، كما نصت هذه المجموعة.

ولا يضر بالإستدلال بها أن يكون بعضها ضعيفاً أو مكذوباً، لأن الإستدلال بمجموعها، بل حتى لو كانت كلها موضوعة فهي تدل على أن المرتكز في أذهان المسلمين أن الشفاعة مخصصة بأصناف من المسلمين وليست عامة.

رابعاً: أحاديث نصت على أن الشفاعة لا تشمل أصنافاً من الناس، أو دلت على أنهم لا يدخلون الجنة، بسبب سوء أعمالهم، نذكر منها:

١- السلطان الظلوم الغشوم

روى الديلمى في فردوس الأخبار: ٢/٥٥٨ ح ٣٥٩٨:

أبو أمامة: صنفان من أمتي لن تنالهما شفاعتي ولن أشفع لهما ولن يدخلن شفاعتي: سلطان ظلوم غشوم عسوف، وغال مارق من الدين. انتهى. ورواه السيوطي في الدر المنثور: ١ ص ٣٥٢ عن الطبراني وفي كنز العمال: ٦/٢١ وص ٣٠ وفي مجمع الزوائد: ٥/٢٣٥ وص ٢٣٦. وعن ابن مسعود قال قال رسول الله (ص): إن أشد أهل النار عذاباً يوم القيامة من قتل نبياً، أو قتله نبياً، أو إمام جائر. قلت: في الصحيح بعضه، رواه الطبراني وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس وبقية رجاله ثقات. ورواه البزار إلا أنه قال: وإمام ضلالة، ورجاله ثقات، وكذلك رواه أحمد.

٢- الذي يكذب على النبي صلى الله عليه وآله

روى البخاري في: ١/٣٥:

عن سلمة بن الأكوع قال سمعت النبي (ص) يقول: من يقل علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار.

وروى نحوه أيضاً في: ١ من ٣٦ وج ٢/٨١ وج ٤/١٤٥ وص ١٥٦ و: ٦/٨٤ وص ١١٨ ورواه مسلم في: ١/٧ وص ٨٧ وج ٧ ورواه غيرهما من مصادر السنة والشيعة.

٣- الذي يبغض ذرية النبي صلى الله عليه وآله أو يظلمهم

لسان الميزان: ٣/٢٧٦:

عن أنس (رض) مرفوعاً: من أحبني فليحب علياً، ومن أبغض أحداً من أهل بيتي حرم شفاعتي.. الحديث.

كنز العمال: ١٢/١٠٣:

عن الطبراني والرافعي عن ابن عباس: من سره أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنه عدن التي غرسها ربي فليوال علياً من بعدي، وليوال وليه وليقتد بأهل بيتي من بعدي، فإنهم عترتي خلقوا من طينتي ورزقوا فهمي وعلمي، فويل للمكذبين بفضلهم من أمتي، القاطعين فيهم صلتى، لا أنالهم الله شفاعتي. انتهى.

والأحاديث في ذلك كثيرة، سنوردها في مسائل الإمامة إن شاء الله.

٤- أصحاب البدع المخالفين للسنة

قال الشاطبي في الاعتصام: ١/١٢٠:

(البدعة) مانعة من شفاعته محمد، لما روى أنه (ص) قال: (حلت شفاعتي لأمتي إلا صاحب بدعة).

قال السبكي في طبقات الشافعية: ٦/٢٩١:

حديث: إن الله ملكاً ينادى كل يوم: من خالف السنة لم تنله الشفاعه (ورد في إحياء الغزالي).

٥- من طلب العلم للدنيا أو طلب الدنيا بعمل الآخرة

في مجمع الزوائد: ١/١٨٤:

عن معاذ بن جبل عن رسول الله (ص) قال: من طلب العلم لياهي به العلماء أو يمارى به السفهاء في المجالس، لم يرح رائحة الجنة. ورواه في كنز العمال: ١٠/٢٠١-٢٠٣.

وفي كنز العمال: ٣/٤٧٤ عن الديلمي عن ابن عباس: ربح الجنة توجد من مسيرة خمسمائة عام، ولا يجدها من طلب الدنيا بعمل الآخرة.

٦- من يؤذى جيرانه

صحيح مسلم: ١/٤٩:

عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال: لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه.

وفي مستدرک الحاكم: ١/١١:

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المؤمن من آمنه الناس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر السوء، والذي نفسى بيده لا يدخل الجنة عبد لا يأمن جاره بوائقه. وفي مسند أحمد: ٢/٤٤٠.

عن أبي هريرة قال قال رجل: يا رسول الله إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقها، غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها! قال: هي فى النار. قال يا رسول الله فإن فلانة يذكر من قلة صيامها وصدقها وصلاتها، وأنها تصدق بالأتوار من الاقط، ولا تؤذى جيرانها بلسانها، قال: هي فى الجنة.

٧- الذى يسي إدارة من تحت يده

روى البخارى فى: ٨/١٠٧ بروايتين: عن معقل: سمعت النبى (ص) يقول: ما من عبد استرعاه الله رعيه فلم يحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة. ونحوه فى كنز العمال: ٤/٥٦٧ عن ابن سعد وابن عساكر، وفى: ٦/٢٠٠ وص ٣٥ (عق ش م حم طب وابن عساكر عن معقل بن يسار).

وفى سنن الترمذى: ٣/٢٢٥:

عن أبى بكر الصديق عن النبى (ص) قال: لا يدخل الجنة سى الملكة. انتهى. ورواه أحمد فى مسنده: ١/٧ وص ١٢ وج ٥/٢٢ والهيثمى فى مجمع الزوائد: ٥/٢١١.

وفى كنز العمال: ٦/٣٩:

من ولى ذا قرابة محاباةً وهو يجد خيراً منه، لم يجد رائحة الجنة.

٨- المتكبر ولو مثقال حبة خردل

روى مسلم فى صحيحه: ١/٦٥:

عن عبد الله عن النبى (ص) قال: لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر. انتهى. ورواه ابن ماجه فى: ٢/١٣٩٧ وأحمد: ١/٤١٢ وص ٤١٦ وص ٤٥١ وج ٢/١٦٤ وص ٢٤٨ والحاكم فى: ٣/٤١٦.

وفى مجمع الزوائد: ٦/٢٥٥:

وعن نافع مولى رسول الله (ص) أن رسول الله (ص) قال: لا يدخل الجنة مسكين مستكبر، ولا شيخ زان، ولا منان على الله تعالى بعمله. رواه الطبرانى وتابعه الصباح بن خالد بن أبى أمية لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

وقال السيوطى فى الدر المنثور: ٤/١١٦:

وأخرج البيهقى عن جابر قال كنا مع النبى (ص) فأقبل رجل، فلما رآه القوم أثنوا عليه، فقال النبى (ص) قال: إني لأرى على وجهه سفعة من النار، فلما جاء وجلس قال: أنشدك بالله أجت وأنت ترى أنك أفضل القوم؟ قال نعم. انتهى.

وقد ورد عن أهل البيت (عليهم السلام) أن التكبر المانع من دخول الجنة هو التكبر عن قبول الحق وليس التكبر العادى وإن كان معصية كبيرة.

ويؤيده ما رواه الحاكم فى المستدرک: ١/٢٦: عن عبد الله بن مسعود (رض) عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال: لا يدخل الجنة من كان فى قلبه حبة من كبر، فقال رجل: يا رسول الله إنه ليعجبني أن يكون ثوبى جديداً ورأسى دهيماً وشراكي نعلى جديداً، قال وذكر أشياء حتى ذكر علاقته سوطه، فقال: ذاك جمال، والله جميل يحب الجمال، ولكن الكبر من بطل الحق وازدرى الناس. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقد احتجا جميعاً برواته.

٩- من قتل نفسه

مسند أحمد: ٢/٤٣٥:

عن أبي هريرة عن النبي (ص): الذي يطعن نفسه إنما يطعن في النار، والذي يتقحم فيها يتقحم فيها في النار، والذي يخنق نفسه يخنقها في النار.

١٠ - من نبت لحمه من سحت

روى أحمد في: ٣/٣٢١:

قول النبي صلى الله عليه وآله لكعب بن عجرة: يا كعب بن عجرة، الصوم جنه، والصدقة تطفى الخطيئة، والصلاة قربان أو قال برهان. يا كعب بن عجرة إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت، النار أولى به.

ورواه في: ٣/٣٩٩ وفي مجمع الزوائد: ١٠/٢٣٠ وص ٢٩٣.

١١ - من زنى بذات محرم

في مجمع الزوائد: ٦/٢٦٩:

وعن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): لا يدخل الجنة من أتى ذات محرم. رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، غير يحيى بن حسان الكوفي وهو ثقة.

١٢ - من نسب نفسه إلى غير أبيه

روى ابن ماجه في: ٢/٨٧٠:

عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله (ص): من ادعى إلى غير أبيه لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام. انتهى. ورواه أحمد في: ٢/٧١ وفيه (وإن ريحها ليوجد من قدر سبعين عاماً) ورواه في: ٢/١٧١ وص ١٩٤ وفي مجمع الزوائد: ١/٩٨ وص ١٤٨ وكنز العمال: ٦/١٩٥ وج ١٦/٣٢.

١٣ - مدمن الخمر وقاطع الرحم والنمام وقاسى القلب... الخ.

مسند أحمد: ٤/٣٩٩:

من حديث أبي موسى أن النبي (ص) قال: ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر، وقاطع رحم، ومصدق بالسحر.

وفي: ٢/٦٩: ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والديوث الذي يقر في أهله الخبث.

ونحوه في: ٢/١٦٤ وص ٢٠١ و٢٠٣ وفي سنن البيهقي: ٨/٢٨٨.

وفي: ٨/١٦٦: عن إبراهيم عن همام قال: كنت جالساً عند حذيفة فمر رجل فقالوا: هذا يرفع الحديث إلى السلطان، فقال حذيفة قال رسول الله (ص): لا يدخل الجنة قتات. قال الاعمش: والقتات النمام. أخرجه مسلم في الصحيح.

مسند أحمد: ٢/١٣٤:

قال عبد الله (رض) قال رسول الله (ص): ثلاثة لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق والديه والمرأة المترجلة المتشبهة بالرجال والديوث. وثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق بوالديه، والمدمن الخمر، والمنان بما أعطى. وروى نحوه في: ٢/٦٩ وص ١٣٤ والحاكم: ١/٧٢.

وفي مسند أحمد: ١/١٩٠:

عن سعيد بن زيد عن النبي (ص) أنه قال: من أربى الربا الإستطالة في عرض مسلم بغير حق، وإن هذه الرحم شجنة من الرحمن فمن قطعها حرم الله عليه الجنة.

وفي مسند أحمد: ٣/١٤:

عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله (ص): لا يدخل الجنة صاحب خمس: مدمن خمر، ولا مؤمن بسحر، ولا قاطع رحم، ولا كاهن، ولا منان. ونحوه مسند أحمد: ٣/٢٨.

وفى مجمع الزوائد: ٨/١٤٩ ونحوه فى: ٥/١٢٥:

فإن ریح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام، والله لا يجده عاق، ولا قاطع رحم، والباغى فإنه ليس من عقوبه أسرع من عقوبه بغى، ولا قاطع رحم، ولا شيخ زان، ولا جارُّ إزاره خيلاء.

وفى مجمع الزوائد: ٦/٢٥٧ ونحوه فى: ٨/١٤٨:

وعن عبدالله بن عمرو عن النبى (ص) قال: لا يدخل الجنة عاق، ولا مدمن خمر، ولا منان، ولا ولد زنية. قلت: رواه النسائي غير قوله ولا ولد زنية. رواه أحمد والطبرانى وفيه جابان وثقه ابن حبان وبقية رجاله رجال الصحيح.

سنن الترمذى: ٣/٢٣٢:

عن أبى بكر الصديق، عن النبى (ص): لا يدخل الجنة خب، ولا بخيل، ولا منان. هذا حديث حسن غريب. ونحوه فى كتر العمال: ٣/٥٤٦.

وفى مجمع الزوائد: ١٠/٢٤٣:

وعن نافع قال سمع ابن عمر رجلاً يقول: الشحيح أعذر من الظالم، فقال ابن عمر: كذبت، سمعت رسول الله (ص) يقول: الشحيح لا يدخل الجنة.

وفى مجمع الزوائد: ٨/١٥٥:

عن ابن عمر عن النبى (ص) قال: إن لكل شجرة ثمرة وثمره القلب الولد، إن الله لا يرحم من لا يرحم ولده. والذى نفسى بيده لا يدخل الجنة إلا رحيم. قلنا يا رسول الله: كلنا يرحم، قال: ليس رحمته أن يرحم أحدكم صاحبه، إنما الرحمه أن يرحم الناس.

وفى كتر العمال: ١٦/٥٣:

لا يدخل الجنة ولد زنى، ولا مدمن خمر، ولا عاق، ولا منان (ابن جرير ع - عن أبى سعيد).

١٤ - الذى يقتل أحداً من أهل الذمه

فى صحيح البخارى: ٤/٦٥:

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى (ص) قال: من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً. ونحوه فى: ٨/ ٤٧ وابن ماجه: ٢/٨٩٦ والترمذى: ٢/٤٢٩ والحاكم فى: ٢/١٢٦ والبيهقى فى سننه: ٨/١٣٣ وج ٩/٢٠٥ والنسائي: ٨/٢٤ وفيه (وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عاماً) ورواه فى مسند أحمد: ٢/١٨٦ وج ٤/٦١ وص ٢٣٧ وج ٥/٤٦ و ٥٠ و ٥١ و ٣٦٩ و ٣٧٤ والهيشمى فى مجمع الزوائد: ٦/٢٩٣.

ونعم ما علق به الفخر الرازى على هذا الموضوع حيث قال فى تفسيره ج ٢ جزء ٣ ص ١٥١: عن الحسن، عن أبى بكره، قال عليه السلام: من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة. وإذا كان فى قتل الكفار هكذا، فما ظنك بقتل أولاد رسول الله (ص)؟!

١٥ - الذى يغش العرب

فى مسند أحمد: ١/٧٢:

عن عثمان بن عفان قال قال رسول الله (ص): من غش العرب لم يدخل فى شفاعتى ولم تنله مودتى. انتهى. ورواه البغوى فى مصابيح السنة: ٤/١٤٢ والديلمى فى فردوس الأخبار: ٤/١٨٠ ح ٦٠٧٥ وأبو الشيخ فى طبقات المحدثين بأصبهان: ٢/٦٤٠.

١٦ - اللعان الفحاش

صحيح مسلم: ٨/٢٤:

حدثنى سويد بن سعيد، حدثنى حفص بن ميسرة، عن زيد بن أسلم أن عبد الملك بن مروان بعث إلى أم الدرداء بأنجاد من عنده، فلما أن كان ذات ليلة قام عبد الملك من الليل فدعا خادمه فكأنه أبطأ عليه فلعنه، فلما صبح قالت له أم الدرداء: سمعتك الليلة لعنت

خادمك حين دعوته! فقالت سمعت أبا الدرداء يقول قال رسول الله (ص): لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة. انتهى.
ورواه أبو داود في: ٢/٤٥٨ والحاكم: ١/٤٨ والديلمى في فردوس الأخبار: ٥/٣١١ ح ٨٠٠٩ وفي كنز العمال: ٣/٦١٥ والسيوطى فى الدر
المنثور: ١/١٤٦ وقال: وأخرج مسلم وأبو داود والحكيم الترمذى عن أبى الدرداء..
وقال البخارى فى تاريخه: ٦/٢٢:

عن عبد الرحمن بن الحارث أن أم الدرداء رضى الله عنها قالت لعبد الملك بن مروان: سمعت أبا الدرداء (رض) يقول سمعت
النبي (ص) يقول: لا يكون الحليم لعاناً، ولا يؤذن فى الشفاعة للعان.
وفى كنز العمال: ٣/٣٥٣:

عن الديلمى عن عائشة: رحم الله امرأ كف لسانه عن أعراض المسلمين، لا تحل شفاعتى لطعان ولا لعان. انتهى.
ولا بد أن يكون المراد باللعان فى هذه الأحاديث بذى اللسان الفحاش الذى يسب المسلمين ويلعنهم، وإلا فإن لعن الذين لعنهم الله
تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله عملٌ جائز أو واجب شرعاً وفيه ثوابٌ، لأنه براءة ممن تبرأ منهم الله ورسوله ودعاءً عليهم باستمرار
طردهم من رحمة الله تعالى.

١٧ - ورووا أن أكثر النساء فى النار

صحيح البخارى: ٧/٢٠٠:

عن عمران بن الحصين عن النبي (ص) قال: اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء...
عن أسامة عن النبي (ص) قال: قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجند محبوسون، غير أن أصحاب النار
قد أمر بهم إلى النار. وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء!. انتهى.
ورواه أحمد فى مسنده: ٢/٢٩٧.

وفى مجمع الزوائد: ٤/٢٧٤:

قال كنا مع عمرو بن العاص فى حج أو عمرة فلما كنا بمر الظهران إذ امرأة فى هودجها واضعةً يدها على هودجها، فلما نزل دخل
الشعب ودخلنا معه، قال كنا مع رسول الله (ص) فى هذا المكان فإذا نحن بغربان كثير وإذا بغراب أعصم المنقار والرجل فقال: لا يدخل
الجنة من النساء إلا كقدر الغراب فى هذه الغرابان، قال أبو عمر: الأعصم الأحمر. رواه الطبرانى واللفظ له، وأحمد ورجال أحمد ثقات.
انتهى.

١٨ - ورووا فى من أطل إزاره أو ثوبه

سنن النسائي: ٨/٢٠٧:

عن أبى هريرة قال رسول الله (ص): ما تحت الكعبين من الإزار فى النار. وفى رواية: ما أسفل من الكعبين من الإزار فى النار. انتهى.
فهذه الأحاديث تدل على أن بعض المسلمين لا يدخلون الجنة.. ولو كانت الشفاعة تشمل كل المسلمين لم يكن لهذه الاستثناءات
معنى، بل للزم من إحدى المجموعتين كذب المجموعة الأخرى!

ولا- يضر بالاستدلال بمجموع أحاديث الاستثناء من الجنة، أو الحكم باستحقاقها أن بعضها ضعيف أو مكذوب كما ذكرنا، لأن
المكذوب أيضاً يدل على أن المرتكز فى أذهان المسلمين اختصاص الشفاعة بأصناف من المسلمين، لا بجمعهم.

شرط الشفاعة فى المظالم الشخصية

روت مصادر الفريقين أحاديث تدل على إمكانية أن تشمل الشفاعة أهل المظالم الشخصية، بشرط أن يعفو صاحب المظلمة عن
ظالمه.

ففى تفسير الإمام العسكرى عليه السلام /٢٠٤:

وقال على بن أبى طالب عليه السلام: يا معشر شيعتنا اتقوا الله واحذروا أن تكونوا لتلك النار حطباً، وإن لم تكونوا بالله كافرين، فتوقوها بتوقى ظلم إخوانكم المؤمنين، فإنه ليس من مؤمن ظلم أخاه المؤمن المشارك له فى موالاتنا، إلا- ثقل الله فى تلك النار سلاسله وأغلاله ولم يفكه منها إلا شفاعتنا، ولن نشفع إلى الله تعالى إلا بعد أن نشفع له إلى أخيه المؤمن، فإن عفا عنه شفّعنا له، وإلا طال فى النار مكثه. انتهى.

ورواه فى مستدرک الوسائل: ١٢/١٠١.

وفى الإعتقادات للصدوق/٢٩:

قيل لامير المؤمنين عليه السلام: صف لنا الموت فقال: على الخير سقطتم، هو أحد أمور ثلاثة يرد عليه: إما بشاره بنعيم الأبد، وإما بشاره بعذاب الأبد، وإما تخويف وتهويل وأمر مبهم لا يدرى من أى الفرق هو؟ فأما ولينا والمطيع لأمرنا فهو المبشر بنعيم الأبد، وأما عدونا والمخالف لأمرنا فهو المبشر بعذاب الأبد، وأما المبهم أمره الذى لا يدرى ما حاله فهو المؤمن المسرف على نفسه لا يدرى ما يؤول إليه حاله يأتيه الخبر مبهماً مخوفاً، ثم لن يسويه الله تعالى بأعدائنا، ولكن يخرجنا من النار بشفاعتنا فاعملوا وأطيعوا ولا تتكلموا ولا تستصغروا عقوبة الله، فإن من المسرفين من لا تلحقه شفاعتنا إلا بعد عذاب الله بثلاث مائة ألف سنة.

وفى مسند أحمد: ٣/١٣.

عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله (ص): يخلص المؤمنون يوم القيامة من النار فيحسبون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة. فوالذى نفسى بيده لأحدهم أهدى لمنزله فى الجنة منه بمنزله كان فى الدنيا. ورواه فى: ٣/٦٣ وص ٧٤.

نتيجة

النتيجة الواضحة من هذا الفصل أن قانون الشفاعة متفق عليه بين السنة والشيعه، على أصوله وخطوطه العامة أيضاً، وهى أنه يشمل من مات على الشهادتين، ولم يكن ظالماً، ولم يكن عاصياً للنبي فى أهل بيته صلى الله عليه وآله. ومنه نعرف أن كل ما خالف هذه الأصول فهو نشاز عن ثقافة الإسلام، جاء إلى أصحابه من خلل الرأى، أو من التلقى والتأثر بثقافة اليهود، والنصارى، والمجوس وغيرهم!

توسيعات الشفاعة عند الخليفة عمر و أتباعه

فى مصادر السنين اتجاه يقول بتوسيع الشفاعة أكثر من القدر المتفق عليه بين الجميع، وهو اتجاه خطير، لأنه يلغى قانون العقوبة الإلهية جزئياً أو كلياً! وهو أربعة آراء أو مذاهب نذكرها حسب توسيعها لدائرة الشفاعة:

الرأى الأول: أن الشفاعة تشمل كل من شهد الشهادتين حتى الطلقاء والمنافقين!

الرأى الثانى: أن الشفاعة تشمل كل من شهد بتوحيد الله تعالى، حتى لو كفر برسول الله صلى الله عليه وآله!

الرأى الثالث: أن الشفاعة تشمل كل الخلق!

الرأى الرابع: أن العقاب فى الآخرة ينتهى كلياً، وأن جهنم تفنى أو تبقى، ولكن ينقل أهلها كلهم إلى الجنة!

ونذكر هنا ملاحظات كلية على هذه المذاهب أو الأقوال:

الملاحظة الأولى: أن هذه التوسيعات فى الشفاعة أو فى دخول الجنة زادت على توسيع اليهود لها، لأن اليهود حصروا الشفاعة والجنة بقوميتهم اليهودية، وهذه التوسيعات عممتها إلى العقائد المختلفة والقوميات المختلفة، وإن كانت احتفظت بميزة لكل قبائل قريش.

كما زادت على عقيدة الفداء النصرانية، لأن بولس اشترط لشمول فداء المسيح وشفاعته الدخول في النصرانية.. بينما أكثر هذه التوسيعات لا تشترط الدخول في الإسلام!

الثانية: أن لكعب الأحبار وتلاميذه دوراً أساسياً في توسيع الشفاعة، بل كان كعب مرجعاً في الشفاعة بحيث أن الخليفة عمر يستفتيه فيها ويؤيد آراءه، ويعمل على نشرها، كما سترى.

الثالثة: أن هذه التوسيعات لا تشمل أحداً ممن اعترض على الخلفاء أو خالفهم في الرأي، أو امتنع عن بيعتهم، كما لا تشمل بنى هاشم وبنى عبد المطلب أسرة النبي وآباءه صلى الله عليه وآله وخاصةً أبا طالب والد علي عليه السلام! وسترى هذه الغرائب وغيرها في نصوص الشفاعة في مصادر إخواننا السنيين!

الرابعة: أن هذه الأفكار صارت أصلاً ومنبعاً لمذاهب فاسدة، جرّت على الأمة مصائب ثقافية وسياسية، مثل مذهب المرجئة والقدرية وغيرها.

ان الشفاعة تشمل كل من شهد الشهادتين حتى الطلقاء والمنافقين

روى البخارى في صحيحه: ١/٤١:

قال حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله (ص) ومعاذ رديفه على الرحل قال: يا معاذ بن جبل، قال ليبيك يا رسول الله وسعديك. قال يا معاذ، قال ليبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثاً! قال ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه، إلا حرمه الله على النار. قال: يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: إذا يتكلموا، وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً! انتهى.

وروى البخارى في تاريخه: ٨/٤١:

عن عوف بن مالك قال: كنا مع النبي (ص) في بعض مغازيه فقال: إن ربي خيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة والشفاعة، فاخترت الشفاعة. ورواه الديلمي في فردوس الأخبار: ٢/٣٠٤ ح ٢٧٧٤.

وروى البخارى في تاريخه: ١/١٨٤:

عن عوف بن مالك سمع النبي (ص) يقول: الشفاعة لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً.

وروى مسلم في: ١/١٢٢:

أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يسأل عن الورود، فقال: ... فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول: من تنظرون؟ فيقولون ننظر ربنا! فيقول أنا ربكم، فيقولون حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم يضحك! قال فينطلق بهم ويتبعونه! ويعطى كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نوراً ثم يتبعونه، وعلى جسر جهنم كالليب وحسك، تأخذ من شاء الله، ثم يطفأ نور المنافقين ثم ينجو المؤمنون، فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفاً لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضواء نجم في السماء، ثم كذلك.

ثم تحل الشفاعة ويشفعون حتى يخرج من النار من قال لا- إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، فيجعلون بفناء الجنة، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتوا نبات الشئ في السيل ويذهب حرقه. ثم يسأل حتى تجعل له الدنيا وعشرة أمثالها معها!!

وروى أبو داود في: ١/٦٣٢:

عن عامر بن سعد عن أبيه قال: خرجنا مع رسول الله (ص) من مكة نريد المدينة، فلما كنا قريباً من عزوراء نزل ثم رفع يديه فدعا الله ساعة ثم خر ساجداً طويلاً، ثم قام فرفع يديه فدعا الله ساعة ثم خر ساجداً فمكث طويلاً، ثم قام فرفع يديه ساعة ثم خر ساجداً ذكره أحمد ثلاثاً، قال: إني سألت ربي وشفعت لأمتي فأعطاني ثلث أمتي، فخررت ساجداً لربي شكراً ثم رفعت رأسي فسألت ربي

لامتى فأعطاني ثلث أمتي، فخررت ساجداً لربي شكراً ثم رفعت رأسى فسألت ربي لأمتي فأعطاني الثلث الآخر، فخررت ساجداً لربي.
ورواه البيهقي في سننه: ٢/٣٧٠.

وروى أحمد في مسنده: ٥/١٤٩:

عن أبي ذر قال صلى رسول الله (ص) ليلة، فقرأ بآية حتى أصبح يركع بها ويسجد بها: إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم، فلما أصبح قلت: يا رسول الله ما زلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت تركع بها وتسجد بها؟ قال: إنى سألت ربي عز وجل الشفاعة لأمتي فأعطانيها وهي نائلة إن شاء الله لمن لا يشرك بالله عز وجل شيئاً. ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه: ٧/٤٣٢ ح ١٠٤
عن أبي جعفر الباقر عليه السلام. وفي الدر المنثور: ٣/٢٠٤ عن أحمد.
وروى أحمد في: ٥/٣٢٥:

عن عبادة بن الصامت قال: فقد النبي (ص) ليلة أصحابه، وكانوا إذا نزلوا أنزلوه أوسطهم، ففرعوا وظنوا أن الله تبارك وتعالى اختار له أصحاباً غيرهم! فإذا هم بخيال النبي (ص) فكبروا حين رأوه وقالوا: يا رسول أشفقنا أن يكون الله تبارك وتعالى اختار لك أصحاباً غيرنا! فقال رسول الله (ص): لا بل أنتم أصحابي في الدنيا والآخرة، إن الله تعالى أيقظني فقال يا محمد إنى لم أبعث نبياً ولا رسولاً إلا وقد سألتني مسألة أعطيها إياه فاسأل يا محمد تعط، فقلت: مسألتني الشفاعة لأمتي يوم القيامة، فقال أبو بكر: يا رسول الله وما الشفاعة؟ قال أقول: يا رب شفاعة التي اختبأت عندك، فيقول الرب تبارك وتعالى: نعم، فيخرج ربي تبارك وتعالى بقية أمتي من النار، فينذهم في الجنة.

وقال في مجمع الزوائد: ١٠/٣٦٩:

عن عوف بن مالك الأشجعي قال: سافرنا مع رسول الله (ص) سفراً حتى إذا كان الليل أرقت عيناى فلم يأتني النوم، فقممت فإذا ليس في العسكر دابة إلا واضعة خدها إلى الأرض، وأرى وقع كل شئ في نفسي، فقلت لآتين رسول الله (ص) فلاكلا به الليلة حتى أصبح، فخرجت أتخلل الرحال حتى دفعت إلى رحل رسول الله (ص) فإذا هو ليس في رحله، فخرجت أتخلل الرحال حتى خرجت من العسكر فإذا أنا بسواد، فتيمنت ذلك السواد فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل فقالا لي: ما الذي أخرجك؟ فقلت: الذي أخرجكما، فإذا نحن بغيطة منا غير بعيد فمشينا إلى الغيطة فإذا نحن نسمع فيها كدوى النحل وتخفيق الرياح، فقال رسول الله (ص): ها هنا أبو عبيدة بن الجراح؟ قلنا نعم، قال ومعاذ بن جبل؟ قلنا نعم، قال وعوف بن مالك؟ قلنا نعم، فخرج إلينا رسول الله (ص) لا نسأله عن شئ ولا يسألنا عن شئ حتى رجع إلى رحله فقال: ألا أخبركم بما خيرني ربي آنفاً؟ قلنا بلى يا رسول الله، قال: خيرني بين أن يدخل ثلثي أمتي الجنة بغير حساب ولا عذاب، وبين الشفاعة. قلنا: يا رسول الله ما الذي اخترت؟ قال: اخترت الشفاعة. قلنا جميعاً: يا رسول الله إجعلنا من أهل شفاعتك قال: إن شفاعة لكل مسلم.

وفي رواية عن عوف أيضاً قال: نزلنا مع رسول الله (ص) منزلاً فاستيقظت من الليل فإذا أنا لا أرى في العسكر شيئاً أطول من مؤخرة رحل! قد لصق كل إنسان وبعيره بالأرض، فقممت أتخلل حتى جفلت إلى مضجع رسول الله (ص) فإذا هو ليس فيه! فوضعت يدي على الفراش فإذا هو بارد، فقممت أتخلل الناس وأقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، فذكر نحوه إلا أنه قال: خيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة. وفي رواية جعل مكان أبي عبيدة أبا موسى. قلت: روى الترمذي وابن ماجه طرفاً منه، رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها ثقات.

وعن أبي كعب صاحب الحرير قال سألت النضر بن أنس فقلت: حدثني بحديث ينفعني الله عز وجل به، فقال نعم أحدثك بحديث كتب إلينا به من المدينة فقال أنس: إحتفظوا هذا فإنه من كنز الحديث، قال: غزا رسول الله (ص) فزار ذلك اليوم إلى الليل، فلما كان الليل نزل وعسكر الناس حوله ونام هو وأبو طلحة زوج أم سليم وفلان وفلان أربعة، فتوسد النبي (ص) يد راحلته ثم نام ونام الأربعة إلى جنبه، فلما ذهب عتمه من الليل رفعوا رؤوسهم فلم يجدوا النبي (ص) عند راحلته، فذهبوا يلتمسون رسول الله (ص) فلقوه مقبلاً

فقالوا: جعلنا الله فداك أين كنت فإننا قد فرعنا لك إذ لم نرك؟ قال النبي (ص): كنت نائماً حيث رأيتم فسمعت في نومي دويماً كدوى الرحا أو هزيز الرحي ففزعت في منامي فوثبت فمضيت! فاستقبلني جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله بعثني إليك الساعة لاخيرك إما أن يدخل نصف أمتك الجنة وإما الشفاعة يوم القيامة، فاخترت الشفاعة لأمي. فقال النفر الأربعة: يا رسول الله اجعلنا ممن تشفع لهم، فقال: وجبت لكم. ثم أقبل النبي (ص) والنفر الأربعة حتى استقبله عشرة فقالوا: أين نبينا نبي الرحمة؟ قال نحدثهم بالذي حدث القوم فقالوا: جعلنا الله فداك اجعلنا ممن تشفع لهم يوم القيامة، فقال: وجبت لكم. فجاءوا جميعاً إلى عظم الناس فنادوا في الناس: هذا نبينا نبي الرحمة، فحدثهم بالذي حدث القوم، فنادوا بأجمعهم جعلنا الله فداك جعلنا الله ممن تشفع لهم، فنادى ثلاثاً: إني أشهد الله وأشهد من سمع أن شفاعتي لمن يموت لا يشرك بالله عز وجل شيئاً. رواه الطبراني في الأوسط وفيه على بن قره بن حبيب ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات. انتهى. ورواه في المعجم الكبير أيضاً: ١٨/١٠٧.

وفي مجمع الزوائد: ١٠/٣٧٧:

وعن أبي أمامة عن النبي (ص) قال: نعم الرجل أنا لشرار أمتي، فقال له رجل من جلساءه: كيف أنت يا رسول الله لخيارهم؟ قال: أما شرار أمتي فيدخلهم الله الجنة بشفاعتي، وأما خيارهم فيدخلهم الله الجنة بأعمالهم. ورواه الديلمي في فردوس الأخبار: ٥/٩ ح ٧٠٠٤. وقال في الدر المنثور: ٢/١١٥:

وأخرج البيهقي عن ابن عابد قال خرج رسول الله (ص) في جنازة رجل فلما وضع قال عمر بن الخطاب: لا تصل عليه يا رسول الله فإنه رجل فاجر، فالتفت رسول الله (ص) إلى الناس وقال: هل آراه أحد منكم على الإسلام؟ فقال رجل: نعم يا رسول الله حرس ليله في سبيل الله، فصلى عليه رسول الله (ص) وحثي عليه التراب وقال: أصحابك يظنون أنك من أهل النار، وأنا أشهد أنك من أهل الجنة! وقال: يا عمر إنك لا تسأل عن أعمال الناس ولكن تسأل عن الفطرة!! وفي أسد الغابة: ١/١٥٦:

عن أنيس الأنصاري أن النبي (ص) قال: إني لاشفع يوم القيامة لأكثر مما على ظهر الأرض من حجر ومدبر. وفي تفسير الرازي: ١٠ جزء ١٩/١٩٢:

فثبت أن (إن المتقين في جنات وعيون) يتناول جميع القائلين بلا إله إلا الله محمد رسول الله قولاً واعتقاداً، سواء كانوا من أهل الطاعة أو من أهل المعصية! انتهى.

وهذا غريب من الرازي الذي هو حريص على العقلانية، ولكن كثرة أحاديث أصحابه غلبته وجعلته من المرجئه الذين ينتقدهم! فقد حكم بأن المسلم يدخل الجنة بالعقيدة فقط بدون عمل، بل حتى لو كانت حياته سلسلة من المعاصي والطغيان والاجرام! ولم يزد عليه في ذلك إلا الديلمي حيث روى أن شفاعته النبي صلى الله عليه وآله إنما جعلت من أجل جبايرة هذه الأمة وفراعتها! قال في فردوس الأخبار: ٢/٤٩٨ ح ٣٣٩٧: أنس بن مالك: شفاعتي للجبايرة من أمتي!!

وقد نقل السيوطي مجموعة كبيرة من الروايات مفادها أن الله تعالى يحاسب المسلمين على أعمالهم ويدخل قسماً منهم إلى الجنة وقسماً آخر إلى النار، ولكن الكفار يعيرون المسلمين في جهنم بأنهم لم ينفعهم إسلامهم، فيأنف الله تعالى ويغضب وتأخذه الغيرة للمسلمين لتوحيدهم، فينقلهم جميعاً حتى جابرتهم ومجرمهم وشياطينهم إلى الجنة، فعندئذ يتمنى الكفار لو كانوا مسلمين، واستدل هو وغيره بذلك على أن جميع المسلمين يدخلون الجنة!

وقد ورد شبيه هذا المعنى في أحاديثنا من طريق أهل البيت (عليهم السلام) ولكنه بالنسبة إلى بعض أصناف الموحدين وليس لكل المسلمين كما تذكر هذه الروايات!

قال السيوطي في الدر المنثور: ٤/٩٢ - ٩٤ في تفسير قوله تعالى: رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ:

وأخرج ابن المبارك في الزهد وابن أبي شيبه وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في البعث عن ابن عباس وأنس (رض) أنهما تذاكرا

هذه الآية: رَبِّمَا يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ، فقالوا: هذا حيث يجمع الله بين أهل الخطايا من المسلمين والمشركين في النار فيقول المشركون ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون، فيغضب الله لهم فيخرجهم بفضل رحمته.

وأخرج سعيد بن منصور وهناد والبيهقي عن مجاهد (رض) في قوله: رَبِّمَا يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ، قال: إذا خرج من النار من قال لا إله إلا الله.

وأخرج الطبراني في الأوسط وابن مردويه بسند صحيح عن جابر بن عبد الله (رض) قال قال رسول الله (ص): إن ناساً من أمتي يعذبون بذنوبهم فيكونون في النار ما شاء الله أن يكونوا، ثم يعيرهم أهل الشرك فيقولون: ما نرى ما كنتم فيه من تصديقكم نفعكم، فلا يبقى موحد إلا أخرجه الله تعالى من النار. ثم قرأ رسول الله (ص): رَبِّمَا يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ.

وأخرج ابن أبي عاصم في السنة وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث والنشور عن أبي موسى الأشعري (رض) قال قال رسول الله (ص): إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة، قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا بلى، قالوا: فما أغنى عنكم الإسلام وقد صرتم معنا في النار! قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها، فسمع الله ما قالوا فأمر بكل من كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا، فلما رأى ذلك من بقي من الكفار قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا، ثم قرأ رسول الله (ص): أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ رَبِّمَا يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ.

وأخرج إسحق بن راهويه وابن حبان والطبراني وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري أنه سئل هل عندك من رسول الله (ص) في هذه الآية شئ: رَبِّمَا يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ؟ قال نعم سمعته يقول: يخرج الله أناساً من المؤمنين من النار بعد ما يأخذ نقمته منهم، لما أدخلهم الله النار مع المشركين قال لهم المشركون: أَلَسْتُمْ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا فَمَا بِالْكُمْ مَعَنَا فِي النَّارِ! فإذا سمع الله ذلك منهم أذن في الشفاعة لهم فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون حتى يخرجوا بإذن الله، فإذا رأى المشركون ذلك قالوا: يا ليتنا كنا مثلهم فتدركنا الشفاعة فنخرج معهم، فذلك قول الله: رَبِّمَا يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ، قال فيسمون في الجنة الجهنميين من أجل سواد في وجوههم، فيقولون: يا ربنا أذهب عنا هذا الاسم، فيأمرهم فيغتسلون في نهر الجنة فيذهب ذلك الاسم عنهم.

وأخرج هناد بن السرى والطبراني في الأوسط وأبو نعيم عن أنس (رض) قال قال رسول الله (ص): إن ناساً من أهل لا إله إلا الله يدخلون النار بذنوبهم فيقول لهم أهل اللات والعزى: ما أغنى عنكم قول لا إله إلا الله وأنتم معنا في النار! فيغضب الله لهم فيخرجهم فيلقيهم في نهر الحياة فيبرؤون من حرقهم كما يبرأ القمر من خسوفه، فيدخلون الجنة ويسمون فيها الجهنميين.

وأخرج الحاكم في الكنى عن حماد (رض) قال سألت إبراهيم عن هذه الآية: رَبِّمَا يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ، قال: حدثت أن أهل الشرك قالوا لمن دخل النار من أهل الإسلام: ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون، فيغضب الله لهم فيقول للملائكة والنبيين: إشفعوا لهم فيشفعون لهم فيخرجون، حتى أن إبليس ليتناول رجاء أن يدخل معهم، فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين.

وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود (رض) في قوله: رَبِّمَا يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ، قال: هذا في الجهنميين، إذا رأوهم يخرجون من النار. انتهى.

وفي نفس الوقت روى السيوطي روايات تدل على أن تمنى الكفار هذا ليس بعد دخول النار بل في يوم القيامة قبل دخول الجنة والنار.. قال: وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث عن ابن عباس (رض) في قوله: رَبِّمَا يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا قال: ذلك يوم القيامة يتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال: موحدين.

وأخرج سعيد بن منصور وهناد بن السرى في الزهد ابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في البعث والنشور عن ابن عباس (رض) قال: ما زال الله يشفع ويدخل الجنة ويشفع ويرحم، حتى يقول من كان مسلماً فليدخل الجنة فذلك قوله: رَبِّمَا يَوْمَ الَّذِينَ

كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ. انتهى.

والإشكالات على هذا الرأي كثيرة يكفى منها ما تقدم من أدلة الرأي الأول ويكفى منها أن القول بإسقاط اشتراط العمل هو مذهب المرجئة الذين أسقطوا قوانين العقوبة الإلهية، كما فعل اليهود من قبلهم! وينبغي التذكير هنا بأن القرآن الكريم والأحاديث الثابتة المتفق عليها هي الميزان في قبول الأحاديث الأخرى أو ردها.. وبهذا الميزان نجد أنفسنا ملزمين برد الأحاديث التي تكتفى بشرط إعلان الشهادتين فقط لدخول الجنة، وتسقط كل الشروط العملية! لأنها تناقض عشرات الآيات والأحاديث القطعية المتفق عليها عند الجميع! على أنه يمكن لمن ثبتت عنده هذه الأحاديث أن يؤولها بأنها تقصد التأكيد على أهمية الشهادتين، ولا تقصد إسقاط بقية الشروط التي نصت عليها الآيات والأحاديث الأخرى، لأنها شرط ضمنى فيها، فتكون النتيجة إخضاع هذه الأحاديث لمفاد أحاديث القول الأول، وهو المطلوب.

ان الشفاعة تشمل كل من شهد بتوحيد الله تعالى

حتى لو كفر بنبوّه النبي صلى الله عليه وآله!

والمستفيد الأول من هذه التوسعة هم المنافقون من قريش والأنصار، الذين كانت تظهر منهم ظواهر النفاق وعدم الإيمان بالنبي في حياته صلى الله عليه وآله، وقد جعل الله تعالى لهم علامات يعرفهم المسلمون بها، ومن أوضحها بغض علي بن أبي طالب عليه السلام باعتباره يمثل تحدى الإسلام للكفر والنفاق، وباعتباره أول عتره النبي ووصيه صلى الله عليه وآله.. فكان حب علي وبغضه في حياة رسول الله وبنصه صلى الله عليه وآله ميزاناً للإيمان والنفاق! وقد روى الجميع أحاديثه وصححوها، منها ما رواه أحمد في مسنده: ١/٩٥ وص ١٢٨ وص ٢٩٢ عن زر بن حبيش عن علي (رض) قال عهد إلیّ النبي (ص) أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق. ورواه الترمذى في سننه: ٥/٣٠٦.

وقال الترمذى في سننه: ٥/٢٩٨:

عن أبي سعيد الخدرى قال: إن كنا لنعرف المنافقين نحن معشر الأنصار يبغضهم علي بن أبي طالب. هذا حديث غريب. وقد تكلم شعبة في أبي هارون العبدى، وقد روى هذا عن الاعمش عن أبي صالح، عن أبي سعيد. وروى الحاكم في المستدرک: ٣/١٢٨:

عن ابن عباس (رض) قال نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى علي فقال: يا علي أنت سيد في الدنيا سيد في الآخرة، حبيبك حيبى وحيبى حبيب الله، وعدوك عدوى وعدوى عدو الله، والويل لمن أبغضك بعدى!! صحيح على شرط الشيخين، وأبو الأزهري بإجماعهم ثقة، وإذا تفرد الثقة بحديث فهو على أصلهم صحيح.

وروى الحاكم في: ٣/١٣٥ سمعت عمار بن ياسر (رض) يقول سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لعلي: يا علي طوبى لمن أحبك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب فيك. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وروى الحاكم في: ٣/١٤٢ أن النبي صلى الله عليه وآله أخبر علياً بأن الأمة ستغدر به من بعده، قال: عن حيان الأسدى سمعت علياً يقول قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الأمة ستغدر بك بعدى، وأنت تعيش على ملتي وتقتل على سنتي، من أحبك أحبني ومن أبغضك أبغضني، وإن هذه ستخضب من هذا، يعنى لحيته من رأسه. صحيح. انتهى.

أما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله فصار بغض علي عليه السلام جهاًراً نهاراً، ولم يعد علامةً على النفاق بل صار علامةً على (الإيمان) والتقوى والإخلاص للإسلام وتأييد السلطة الجديدة التي يعارضها علي وشيعته! وجهر المنافقون بنفاقهم مطمئنين! فقد روى البخارى: ٨/١٠٠ عن حذيفة بن اليمان قوله (إن المنافقين اليوم شرُّ منهم على عهد النبي (ص)! كانوا يومئذ يسرون، واليوم يجهرون)!

هذه الحقيقة الثابتة تنفعنا في فهم أحاديث هذا الرأي التي تريد شمول المنافقين بالشفاعة والجنة! وهي كثيرة نورد عدداً منها ثم نذكر الملاحظات عليها:

روى مسلم في صحيحه: ١/٤٤:

عن أبي هريرة قال: كنا قعوداً حول رسول الله (ص) معنا أبو بكر وعمر في نفر، فقام رسول الله (ص) من بين أظهرنا، فأبطأ علينا وخشينا أن يقتطع دوننا وفزعنا، فقمنا فكنت أول من فزع، فخرجت أبتغي رسول الله (ص) حتى أتيت حائطاً للأنصار لبني النجار، فدرت به هل أجد له باباً فلم أجد، فإذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئر خارجة - والربيع الجدول - فاحتفرت فدخلت على رسول الله (ص)، فقال: أبو هريرة؟ فقلت نعم يا رسول الله، قال: ما شأنك؟ قلت كنت بين أظهرنا فقمتم فأبطأت علينا فخشينا أن تقتطع دوننا ففزعنا فكنت أول من فزع، فأتيت هذا الحائط فاحتفرت كما يحتفر الثعلب، وهؤلاء الناس ورائي!

فقال: يا أبا هريرة وأعطاني نعليه قال: إذهب بنعلَيَّ هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة! فكان أول من لقيت عمر فقال: ما هاتان النعلان يا أبا هريرة؟ فقلت هاتان نعلا رسول الله (ص) بعثني بهما من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشرته بالجنة، فضرب عمر بيده بين ثديي فخررت لاسي! فقال: إرجع يا أبا هريرة، فرجعت إلى رسول الله (ص) فأجهشت بكاءً، وركبني عمر فإذا هو على أثرى، فقال رسول الله (ص): مالك يا أبا هريرة؟! قلت: لقيت عمر فأخبرته بالذي بعثني به فضرب بين ثديي ضرباً خرت لاسي قال إرجع!

قال رسول الله (ص): يا عمر ما حملك على ما فعلت؟ قال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشره بالجنة؟ قال: نعم. قال فلا تفعل! فإني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون! قال رسول الله (ص): فخلهم!!

وروى البخاري في: ١/٤١:

عن أنس: قال ذكر لي أن النبي (ص) قال لمعاذ: من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة. قال ألا أبشر الناس؟ قال: لا، أخاف أن يتكلموا.

وروى البخاري في: ١/١٠٩:

قال أخبرني محمود بن الربيع الأنصاري أن عتبان بن مالك وهو من أصحاب رسول الله (ص) ممن شهد بدرًا من الأنصار، أنه أتى رسول الله (ص) فقال: يا رسول الله قد أنكرت بصرى وأنا أصلي لقومي، فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم لم أستطع أن أتى مسجدهم فأصلي بهم، ووددت يا رسول الله أنك تأتيني فتصلي في بيتي فأخذته مصلي.

قال فقال له رسول الله (ص): سأفعل إن شاء الله، قال عتبان: فعدا رسول الله (ص) وأبو بكر حين ارتفع النهار، فاستأذن رسول الله (ص) فأذنت له فلم يجلس حين دخل البيت، ثم قال: أين تحب أن أصلي من بيتك؟ قال: فأشرت له إلى ناحية من البيت فقام رسول الله (ص) فكبير فقمنا فصفنا فصلي ركعتين ثم سلم، قال وحبسناه على خزيرة صنعناها له قال فثاب في البيت رجال من أهل الدار ذووا عدد، فاجتمعوا فقال قائل منهم: أين مالك بن الدخيشن أو ابن الدخشن؟ فقال بعضهم: ذلك منافق لا يحب الله ورسوله، فقال رسول الله (ص): لا تقل ذلك، ألا تراه قد قال لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: فإنا نرى وجهه ونصيحته إلى المنافقين! قال رسول الله (ص): فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله!! ورواه في كنز العمال: ١/٣٠٢.

وروى البخاري: ٢/٥٥ وج ٦/٢٠٢:

فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله.

وروى شبيهه في: ١/٣٣، ورواه أحمد في مسنده: ٤/٤٤.

وروى البخاري في: ٧/١٧٢:

عن أحد بنى سالم قال غدا على رسول الله (ص) فقال: لن يوافي عبد يوم القيامة يقول لا إله إلا الله يتغى به وجه الله إلا حرم الله عليه النار.

وروى البخارى فى: ٢/٦٩:

عن أبى ذر (رض) قال قال رسول الله (ص): أتانى آت من ربي فأخبرني أو قال بشرني أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة! قلت: وإن زنى وإن سرق؟! قال وإن زنى وإن سرق... عن عبدالله (رض) قال قال رسول الله (ص): من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار. وقلت أنا: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة!!

وروى البخارى فى: ٧/٤٣:

أن أبا ذر حدثه قال: أتيت النبي (ص) وعليه ثوب أبيض وهو نائم، ثم أتيت وقد استيقظ فقال: ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة! قلت: وإن زنى وإن سرق؟! قال وإن زنى وإن سرق. قلت: وإن زنى وإن سرق؟! قال وإن زنى وإن سرق! قلت: وإن زنى وإن سرق؟! قال وإن زنى وإن سرق، على رغم أنف أبى ذر!! وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال: وإن رغم أنف أبى ذر!! قال أبو عبد الله: هذا عند الموت أو قبله. انتهى.

وأبو عبد الله هو البخارى نفسه، وهو يريد بقوله هذا تخفيف إطلاق الحديث ووضع شرط للتوحيد المذكور فيه، بأنه المسلم المجرم يدخل الجنة بشرط أن يقول (لا إله إلا الله) قبل موته أو عند موته. ولكن الحديث مطلق وليس فيه هذا الشرط!

وروى النسائي فى: ٨/١١٢:

عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله (ص): ما مجادلٌ أحدكم فى الحق يكون له فى الدنيا بأشد من مجادلِ المؤمنين لربهم فى إخوانهم الذين أدخلوا النار، قال يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا فأدخلتهم النار! قال فيقول: إذهبوا فأخرجوا من عرفتم منهم، قال فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم، فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من أخذته إلى كعبيه، فيخرجونهم فيقولون: ربنا قد أخرجنا من أمرتنا، قال: ويقول أخرجوا من كان فى قلبه وزن نصف دينار، حتى يقول من كان فى قلبه وزن ذرة! قال أبو سعيد: فمن لم يصدق فليقرأ هذه الآية: إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ إِلَى عَظِيمًا.

وروى أحمد فى مسنده: ٤/٤٣:

ذكروا المنافقين وما يلقون من أذاهم وشهرهم حتى صيروا أمرهم إلى رجل منهم يقال له مالك بن الدخشم، وقالوا: من حاله، ومن حاله، ورسول الله (ص) ساكت، فلما أكثروا قال رسول الله (ص): أليس يشهد أن لا إله إلا الله؟! فلما كان فى الثالثة قالوا: إنه ليقوله. قال: والذى بعثنى بالحق لئن قالها صادقاً من قلبه لا تأكله النار أبداً! قالوا فما فرحوا بشئ قط كفرحهم بما قال!! انتهى.

وابن الدخشن هذا، أو الدخشم، أو الدخيشن، هو الذى ذكره البخارى وهو رئيس المنافقين الرسمى بعد ابن سلول! ويمكنك أن تفكر فيما يزعمه هذا الحديث من أن أكبر فرحة للمسلمين كانت فى ذلك اليوم، أى يوم ساوى النبي صلى الله عليه وآله بين المسلمين والمنافقين الذين قال الله تعالى فيهم ما قال!!

ولعمري إنها فرحة السلطة وأتباعها الذين أرادوا حل مشكلة المنافقين لتأييدهم لهم، فألصقوا ذلك بالنبي صلى الله عليه وآله!!

وروى أحمد فى مسنده: ٤/٤١١:

عن أبى بكر بن أبى موسى (الأشعري) عن أبيه أن رسول الله (ص) قال: أشبوا وبشروا الناس من قال لا إله إلا الله صادقاً بها دخل الجنة، فخرجوا يبشرون الناس، فلقبيهم عمر (رض) فبشروه فردهم، فقال رسول الله (ص): من ردكم؟ قالوا عمر، قال: لم رددتهم يا عمر؟ قال إذا يتكل الناس يا رسول الله! انتهى. وقال عنه فى مجمع الزوائد: ١/١٦ رجاله ثقات.

وروى أحمد: ١/٤٦٤:

عن عبد الله قال قال رسول الله (ص) كلمة وأنا أقول أخرى! من مات وهو يجعل لله ندا أدخله الله النار. قال وقال عبد الله: وأنا أقول: من

مكانه فصلى، فجئت فقمته خلفه فأوماً إلى يمينه فقامت عن يمينه، ثم جاء ابن مسعود فقام خلفي وخلفه، فأوماً إليه بشماله فقام عن شماله فقمنا ثلاثتنا، يصلى كل رجل منا بنفسه ويتلو من القرآن ما شاء الله أن يتلو، فقام بآية من القرآن يرددها حتى صلى الغداة، فبعد أن أصبحنا أومأت إلى عبد الله بن مسعود أن سله ما أراد إلى ما صنع البارحة؟ فقال ابن مسعود بيده لا أسأله عن شيء حتى يحدث إلي، فقلت: بأبي أنت وأمي قمت بآية من القرآن ومعك القرآن؟! لو فعل هذا بعضنا وجدنا عليه، قال: دعوت لأمتي، قال: فماذا أجبت أو ماذا عليك؟ قال: أجبت بالذي لو اطلع عليه كثير منهم طلعه تركوا الصلاة! قال: أفلا أبشر الناس؟ قال بلى، فانطلقت معنقاً قريباً من قذفه بحجر، فقال عمر: يا رسول الله إنك إن تبعث إلى الناس بهذا نكلوا عن العبادة، فنأدى أن ارجع، فرجع.

وروى أحمد في مسنده: ٢/٣٠٧ وفي ٥١٨:

عن أبي هريرة أنه سمعه يقول: سألت رسول الله (ص): ماذا رد إليك ربك في الشفاعة؟ فقال: والذي نفس محمد بيده لقد ظننت أنك أول من يسألني عن ذلك من أمتي لما رأيت من حرصك على العلم! والذي نفس محمد بيده ما يهمني من انقصاصهم على أبواب الجنة أهم عندي من تمام شفاعتي، وشفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً يصدق قلبه لسانه ولسانه قلبه. ورواه الديلمي في فردوس الأخبار: ٢/١٩٧ ح ٣٣٩٥.

وقال السيوطي في الدر المنثور: ٥/٣٢٤:

وأخرج ابن مردويه عن أبي سعيد قال: لما نزلت: فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أرسل رسول الله (ص) منادياً فنأدى: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، فاستقبل عمر الرسول فرده، فقال: يا رسول الله خشيت أن يتكل الناس فلا يعملون، فقال رسول الله (ص): لو يعلم الناس قدر رحمة الله لا تكلوا ولو يعلمون قدر سخط الله وعقابه لاستصغروا أعمالهم! الدر المنثور: ٤/٩٣:

وأخرج ابن أبي حاتم وابن شاهين في السنة عن علي بن أبي طالب (رض) قال قال رسول الله (ص): إن أصحاب الكبائر من موحدى الأمم كلها الذين ماتوا على كبائرهم غير نادمين ولا تائبين، من دخل منهم جهنم لا تزرق أعينهم ولا تسود وجوههم، ولا يقرون بالشياطين ولا يغلون بالسلاسل، ولا يجرعون الحميم ولا يلبسون القطران، حرم الله أجسادهم على الخلود من أجل التوحيد، وصورهم على النار من أجل السجود، فمنهم من تأخذه النار إلى قدميه، ومنهم من تأخذه النار إلى عقيبه، ومنهم من تأخذه النار إلى فخذه، ومنهم من تأخذه النار إلى حوزته، ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه، على قدر ذنوبهم وأعمالهم. ومنهم من يمكث فيها شهراً ثم يخرج منها، ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج منها، وأطولهم فيها مكنثاً بقدر الدنيا منذ يوم خلقت إلى أن تفتنى.

فإذا أراد الله أن يخرجهم منها قالت اليهود والنصارى ومن في النار من أهل الأديان والأوثان لمن في النار من أهل التوحيد: آمتم بالله وكتبه ورسله فحن وأنتم اليوم في النار سواء، فغضب الله غضباً لم يغضبه لشيء فيما مضى، فيخرجهم إلى عين بين الجنة والصراف فينبتون فيها نبات الطرائث في حميل السيل، ثم يدخلون الجنة مكتوب في جباههم هؤلاء الجهنميون عتقاء الرحمن، فيمكثون في الجنة ما شاء الله أن يمكثوا، ثم يسألون الله تعالى أن يمحو ذلك الاسم عنهم، فيبعث الله ملكاً فيمحوه ثم يبعث الله ملائكة معهم مسامير من نار فيطبقونها على من بقى فيها يسمرونها بتلك المسامير فينساهم الله على عرشه، ويشتغل عنهم أهل الجنة بنعيمهم ولذاتهم وذلك قوله: رَبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ.

وقال ابن باز في فتاويه: ١/١٧٩:

روى البخارى عن أبي هريرة أنه قال: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك قال: من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه. انتهى.

ملاحظات على روايات هذا الرأي

أولاً: نلاحظ في أحاديث هذا الرأي بل هذا المذهب، اضطرابها وتعارضها إلى حد التناقض! ولعل أصلها رواية مسلم التي ضرب فيها

عمر أبا هريرة حتى خر لآسته! والمقصود منها ومن أمثالها إثبات أن النبي صلى الله عليه وآله قد (اعترف وشهد) بأن توحيد الله تعالى فقط كاف لدخول الجنة، وأنه لا يحتاج الأمر إلى الإيمان بنبوته ولا شفاعته صلى الله عليه وآله!

ويلاحظ أنها تؤكد على أن الذي قال ذلك هو النبي نفسه صلى الله عليه وآله وليس عمر! بل إن عمر كان مخالفاً لذلك، وقد ردّ أبا هريرة من الطريق وضربه، واعترض على النبي مرات ومرات، وقد أطاعه النبي صلى الله عليه وآله في بعض المرات، ثم أصرّ النبي على هذا القول فهو الذي يتحمل مسؤوليته، وليس عمر، ولا أبو موسى، ولا أبو هريرة، ولا كعب الأحبار!!

ثانياً: أن هذا المذهب يلغى حاجة المسلمين إلى الشفاعة أصلاً!! فأحاديثه تبشر بالجنة كل من قال (لا إله إلا الله) وتشمل رواياته اليهود والنصارى وغيرهم، فلا يبقى معنى للشفاعة!!

ثالثاً: أنه يلغى الحاجة إلى أصل الإسلام ونبوة نبينا صلى الله عليه وآله! لأن رواياته تقول إن الله تعالى يقبل إيمان الموحد ويدخله الجنة لتوحيده، حتى لو كفر بنبوة محمد صلى الله عليه وآله! فلا يبقى مبرر لجهاد النبي صلى الله عليه وآله وحروبه وشدته على الكافرين بنبوته! ولا يبقى معنى لقوله تعالى (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) وكيف يجزأ مسلم على قبول رأى من رواه أو خليفه، يستلزم إبطال دينه من أصله!!

رابعاً: تزعم روايات هذا المذهب عدم عصمة النبي صلى الله عليه وآله وأنه أخطأ في تبليغ الرسالة وصحح له عمر وأقنعه بخطئه! على أنه توجد رواية أخرى في تهذيب الكمال: ٤ ص ٣١ وفي مجمع الزوائد: ١ ص ١٦ تقول إن النبي لم يقتنع وأصرّ على رأيه، وقال لعمر: دعهم يتكلموا! وتوجد رواية أخرى في مجمع الزوائد وفي مسند أحمد: ٢/٤٠٢ تقول إن النبي سكت!.. الخ.

ومن جهة أخرى تدل هذه الروايات على عدم إيمان عمر بعصمة النبي صلى الله عليه وآله وتعطى لعمر دور الناظر على أعمال النبي صلى الله عليه وآله والولاية عليه لتصحيح أخطائه! بينما يؤكد الله تعالى عصمة رسوله صلى الله عليه وآله في كل كلمة يتفوه بها، فيقول (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ)!

خامساً: تقدمت رواية أن عمر هو الذي بشر الناس، ولعله اقترح على النبي أن يبشر الناس بذلك فنهاه النبي صلى الله عليه وآله! وقد روى الهيثمي رواية فيها تصريح بأن الذي أراد تبشير الناس هو عمر وإن كانت متناقضة، قال (وعن جابر (رض) قال: قال رسول الله (ص): ناد يا عمر في الناس إنه من مات يعبد الله مخلصاً من قلبه أدخله الله الجنة وحرّم على النار! قال فقال عمر: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: لا، لا، يتكلموا. انتهى.

فأول الرواية يقول: إن النبي أمر عمر بالنداء، وآخرها يقول إن عمر اقترح النداء فلم يقبل به النبي صلى الله عليه وآله ونهاه عنه! وهذا يؤيد أن يكون أصل القضية كلها محاولة من عمر لتبشير الناس بعدم اشتراط العمل للجنة، فنهاه النبي صلى الله عليه وآله. سادساً: إن روايات (ضياح النبي!) في غزوة من غزواته أو في المدينة، قد حملت من التناقض واللامعقول ما يوجب على الباحث بل على القارئ الشك فيها من أصلها!

فحديث مسلم يقول: إنهم (أضاعوا) النبي صلى الله عليه وآله في المدينة حتى وجده أبو هريرة في بستان في المدينة لبنى النجار! وروايتا الطبراني المتقدمتان عن عوف بن مالك والنضر بن أنس تقولان إنهم أضاعوا النبي في إحدى الغزوات! أو خرج مبهوتاً في وسط الليل! وبعض رواياتها تقول إن النبي صلى الله عليه وآله لم يضع بل كان في بيته أو في مسجده وأمر أبا موسى ونفراً من قومه أن يبشروا الناس فلما خرجوا من عنده لقيهم عمر... الخ. وقد رواها أحمد: ٤ ص ٤٠٢ وص ٤١١ وقال عنها مجمع الزوائد ج ١ ص ١٦ (رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله ثقات).

ثم إن رواية مسلم تقول: إن بطل القصة المأمور بالنداء هو أبو هريرة وأن عمر ضربه! بينما تقول روايات أخرى إن المأمور بالنداء أبو موسى الأشعري ونفر من الأشعريين وأن عمر رده ولم يضربه! وأخرى تقول: إن المأمور هو أبو الدرداء، وأخرى تقول: إنه أبوذر، وأخرى تقول: إنه عمر.. الخ. ورواية أبي سعيد تذكر مأموراً بدون تسمية!

أما روايات الطبراني فتذكر بطلين آخرين للحادثة هما عوف والنضر، وفي رواية أخرى في مجمع الزوائد ج ١ ص ٢٣ إنه عقبه بن عامر! وتوجد رواية في مجمع الزوائد تقول إن البطل الوحيد هو عمر، ولا يوجد غيره قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١ ص ١٦ وعن عمر (رض) أن رسول الله (ص) أمره أن يؤذن في الناس أنه: من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصاً دخل الجنة، فقال عمر: يا رسول الله إذا يتكلموا فقال: دعهم. رواه أبو يعلى والبزار إلا أن عمر قال يا رسول الله إذا يتكلموا! قال دعهم يتكلموا. انتهى.

أما رواية البخاري فتذكر أن بطل الرواية معاذ فقط، وأنه اقترح تبشير الناس بذلك فنهاه النبي صلى الله عليه وآله، ورواية أحمد تذكر أن بطلها عبادة بن الصامت.. وقد تقدمت الروايتان في الرأي الثاني لأنهما اشترطتا الشهادة بالنبوة!! ولو أردنا مواصلة بحث ملف ضياع النبي المزعوم، والنداء المزعوم، لوجدنا فيها تناقضات أخرى توجب سقوط أصل القصة عن الصلاحية لإثبات حكم شرعي عادي، فكيف تصلح لإثبات عقيدة خطيرة، أخطر من مذهب المرجئة؟! لأن المرجئة يشترطون لدخول الجنة الشهادتين، وهذه القصة تلغي الشهادة الثانية!!

سابعاً: توجد روايات تناقض هذا الرأي عن الخليفة عمر نفسه وتقول إن الذي يسرق عبادة من الغنائم يحرم من دخول الجنة، حتى لو كان السارق مسلماً واستشهد في سبيل الله تعالى! وتقول إن النبي صلى الله عليه وآله قد أمر عمر أن ينادى بنداء مصاد لما ذكرته قصة ضياع النبي صلى الله عليه وآله ونداء النعلين!!

فقد روى أحمد في مسنده: ١/٣٠٠ وص ٤٧ عن عمر بن الخطاب (رض) قال لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب النبي (ص) فقالوا: فلان شهيد فلان شهيد، حتى مروا على رجل فقالوا فلان شهيد، فقال رسول الله (ص): كلا إني رأيت في النار في برده غلها أو عباءة! ثم قال رسول الله (ص): يابن الخطاب إذ ذهب فناد في الناس إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون قال: فخرجت فنادت: ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون. انتهى.

فإذا كانت سرقة عبادة تمنع صاحبها (الشهيد) من دخول الجنة، فكيف تكون شهادة (لا إله إلا الله) وحدها بدون عمل كافية لدخول الجنة؟!!

وإذا كان النبي صلى الله عليه وآله قد أمر عمر بهذا النداء، فكيف أمر عمر نفسه أو غيره بنداء مناقض له؟! وكيف لم يعترض عليه عمر وهو المعروف بكثرة اعتراضاته؟!!

ثم إن قصة سارق العبادة والنداء بشرط الإيمان والعمل الصالح، كانتا في خيبر، وهذه ظاهرة تحديد في الرواية توجب نوعاً من الثقة، ولكنك لا تجد في قصة ضياع النبي صلى الله عليه وآله والنداء المضاد المزعومين شيئاً من التحديد، لا اسم الغزوة، ولا اسم البستان، بل لا تجد إلا مجملاً في مجمل، وتناقضاً بعد تناقض!

وبما أن أغلب روايات هذه القصة تشترك في ذكر دور عمر ومناقشته للنبي صلى الله عليه وآله ونصحه إياه بضرر إعلان ذلك للناس، يترجح في الذهن احتمال أن يكون أصل القصة أن الخليفة عمر هو الذي بشر الناس كما نصت الروايات المتقدمة، وقد يكون اقترح على النبي صلى الله عليه وآله أن يأمره بذلك فلم يقبل، وأن النبي صلى الله عليه وآله ما ضاع لا في غزوتين ولا في غزوة، ولا خرج مدعوراً في الليل من كلام جبرئيل، ولا ضاع في المدينة، ولا اختبأ في بستان، ولا أعطى نعليه لابي هريرة علامة للناس بأنه مبعوث من النبي صلى الله عليه وآله، ولا ضرب عمر أبا هريرة حتى خر لاسته! فعندما تناقض الروايات ولا يمكن الجمع بينها، أو تكون مخالفة للقرآن وللسنة القطعية المتفق عليها.. فلا مجال أمام الباحث إلا ترجيح هذا الاحتمال الأخير.

ثامناً ثبت عند الجميع أن النبي صلى الله عليه وآله قد أرسل علياً عليه السلام الى مكة بأمر من الله تعالى لإبلاغ سورة براءة، وأمره أن ينادى في الناس بعدة أمور، منها (لا يدخل الجنة إلا - نفس مؤمنة)! وقد روى ذلك أحمد: ١/٤٧ وص ٧٩ والنسائي: ٥/٢٣٤ والدارمي: ٢/٢٣٠ وغيرهم، وفي أحمد: ٥/٤٣٨: نفس مسلمة).

وروايات هذا النداء ثابتة عند الطرفين، وليست مهزوزة مثل نداء النعلين المزعوم!

ثم إن هذا النداء كان بعد فتح مكة، فلا بد للقائل بصحة روايات نداء النعلين أن يقول إنه ناسخ لهذا النداء، وأن يثبت صحة قصته وأنها كانت بعد نداء مكة.. ولكن دون إثبات ذلك خرط القتاد!

أما الأحاديث الأخرى التي استدلوها بها على هذا المذهب، فليست أحسن حالاً من حديث (ضياح النبي صلى الله عليه وآله واختفائه واختبائه ونداء النعلين) في تضاربها وتعارضها مع غيرها.. ويكفي لردّها الروايات التي تقدمت في الرأى الأول.

وأخيراً، فقد آن لآخواننا فقهاء السنة أن ينظروا بجديّة إلى تناقضات روايات الصحاح ومخالفاتها الصريحة للقرآن وضرورات الإسلام، ويعيدوا النظر في مفهومهم للصحيح والحجة الشرعية!

ذلك أن صريح العقل هو الأصل الذي وصلنا به إلى الإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله ثم وصلنا به إلى قطيعات الشرع الشريف. وحبنا للصحاح وأصحابها وأسانيدها لا يجوز أن يوصلنا إلى التنازل عن قطيعات الشرع والعقل، لأن إبطال الأصل يستلزم إبطال الفرع الذي نجهه، وبالنتيجة خسارة كل شيء!!

احاديث أن الله تعالى يشفع عند نفسه

بمقتضى أحاديثهم في استحقاق الموحد لدخول الجنة، فلا يحتاج الأمر إلى شفاعته، بل تصير الشفاعة من نصيب المشركين! ولكن أصحاب هذا الرأى احتاطوا في أمر أصحابهم فشمولهم بالشفاعة! واختلفت رواياتهم في من يشفع فيهم! فقال بعضها إن النبي صلى الله عليه وآله هو الذي يشفع في الموحدين، وقال بعضها إن إسحاق هو شفيع الموحدين، وقد صحح الحاكم روايته على شرط الشيخين، كما سيأتى في مسألة الذبيح! وقال بعضها إن النبي صلى الله عليه وآله يطلب من الله تعالى أن يعطيه الشفاعة فيهم فلا يعطيه إياها بل يستأثر بها لنفسه، فكأنه تعالى يريد أن يجازيهم هو شخصياً، لانهم شهدوا بتوحيده!!

قال في كنز العمال: ١/٥٦:

ما زلت أشفع إلى ربي فيشفعني حتى أقول: شفّعني فيمن قال لا إله إلا الله، فيقول: ليست هذه لك يا محمد! إنما هي لى! أنا وعزتى وحلمى ورحمتى لا- أدع في النار أحداً قال لا- إله إلا الله-ع عن أنس. انتهى. وأورده الرازى في تفسيره: ١١ جزء ٢٢/١٠. وفي كنز العمال: ١/٦٤: ليست هذه لك ولا لاحد، هذا إلهي، فلا يبقى أحد قال لا إله إلا الله إلا أخرج منها -الديلمي عن أنس.

طبقات الحنابلة لأبي يعلى: ١/٣١٢:

قال أحمد بن حنبل: إذا لم يبق لاحد شفاعته قال الله تعالى: أنا أرحم الراحمين، فيدخل كفه في جهنم فيخرج منها ما لا يحصيه غيره.

وروى البيهقي في سننه: ١٠/٤٢:

عن معبد بن هلال العنزي قال: أتيت أنس بن مالك (رض) في رهط من أهل البصرة وسماهم لنا، نسأله عن حديث الشفاعة، فذكر الحديث بطوله في سؤاله وجوابه وخروجه من عنده ودخولهم عن الحسن بن أبي الحسن البصرى، قال الحسن حدثني كما حدثكم، قال ثم قال يعنى النبي (ص): فأجئ في الرابعة فأحمد بتلك المحامد ثم أخرج له ساجداً فيقال لى يا محمد إرفع رأسك قل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع، فأقول يا رب إئذن لى فيمن قال لا إله إلا الله فيقول ليس ذلك إليك ولكنى وعزتى وكبريائى وعظمتى لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله. رواه البخارى في الصحيح عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد زاد فيه (وجلالى) ورواه مسلم عن سعيد بن منصور وغيره.

ولكن الديلمي روى في فردوس الأخبار: ٣/٢٧٦ ح ٤٦٩٥:

أن الله تعالى يتنازل ويعطى الشفاعة فيهم لرسوله صلى الله عليه وآله! قال عمرو بن العاص: قلت يا ربي شفّعني فيمن قال لا إله إلا الله، قال: لك ذلك! انتهى.

وقال الثعالبي في الجواهر الحسان: ١/٣٥١ في تفسير الآية ٤٠ من سورة النساء:

فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضه من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط!
وقال في: ٢/٣٦٠:

وأحاديث الشفاعة قد استفاضت وبلغت حد التواتر من أعظمها شفاعه أرحم الراحمين ففي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري قال: فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون... الخ.
ورواه البغوي في مصابيح السنة: ٣/٥٤٢.

وقد أوردنا روايات هذه (الشفاعة) من مصادر السنين في المجلد الثاني في ادعائهم رؤية الله تعالى بالعين في الآخرة! ومعناها أن الله تعالى يتوسط عند نفسه، وهو معنى عامي للشفاعة! والظاهر أن أصلها الحديث المروي في مصادرنا عن الإمام محمد الباقر عليه السلام الذي رواه في بحار الأنوار: ٨/٣٦١ عن حمران قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن الكفار والمشركين يرون أهل التوحيد في النار فيقولون ما نرى توحيدكم أغنى عنكم شيئاً، وما أنتم ونحن إلا- سواء! قال: فيأنف لهم الرب عز وجل فيقول للملائكة: إشفعوا فيشفعون لمن شاء الله، ويقول للمؤمنين مثل ذلك، حتى إذا لم يبق أحدٌ تبلغه الشفاعة، قال تبارك وتعالى: أنا أرحم الراحمين، أخرجوا برحمتي، فيخرجون كما يخرج الفراش، قال: ثم قال أبو جعفر عليه السلام: ثم مدت العُميد وأعمدت عليهم، وكان والله الخلود. انتهى.

ورواه في تفسير نور الثقلين: ٥/٥٢٣ عن مجمع البيان عن العياشي.
والمقصود بأهل التوحيد الذين تشملهم الشفاعة في هذه الرواية، المسلمون الذين ارتضى الله دينهم وأماتهم على التوحيد.. فقد ورد عن أهل البيت (عليهم السلام) أن بعض أصحاب المعاصي والانحرافات الكبيرة، يسلب منهم التوحيد قبل موتهم، والعياذ بالله!!

ان الشفاعة تشمل جميع الخلق

مجموعه الرسائل لابن تيمية: ١/١٠:

أجمع المسلمون على أن النبي (ص) يشفع للخلق يوم القيامة بعد أن يسأله الناس ذلك، وبعد أن يأذن الله في الشفاعة. ثم أهل السنة والجماعة متفقون على ما اتفقت عليه الصحابة... أنه يشفع لأهل الكبائر ويشفع أيضاً لعموم الخلق... أما الوعديّة من الخوارج والمعتزلة فزعموا أن شفاعة إنما هي للؤمنين خاصة... ومنهم من أنكر الشفاعة مطلقاً... ومذهب أهل السنة والجماعة أنه يشفع في أهل الكبائر ولا يخلد أحد في النار.

ولكن ابن باز لم يأخذ بفتوى إمامه ابن تيمية فقال في فتاويه: ٤/٣٦٨:

إن المشرك إذا مات على شركه فهو مخلد في النار أبد الآباد بإجماع أهل العلم، وذلك مثل الذي يعبد الأصنام أو الأحمجار أو الأشجار أو الكواكب... أو يعبد الأموات ومن يسمونهم بالأولياء، أو يستغيث بهم ويطلب منهم المدد أو العون عند قبورهم، مثل قول بعضهم: يا سيدي فلان المدد المدد، يا سيدي البدوي المدد المدد... أو يا سيدي رسول الله المدد المدد الغوث الغوث، أو يا سيدي الحسين أو يا فاطمة أو يا ست زينب، أو غير ذلك ممن يدعو المشركون... وهذا كله من الشرك الأكبر، فإذا مات عليه صاحبه صار من أهل النار. انتهى.

فإن عجت فاعجب لابن تيمية إمام الوهابيين حيث يحكم بدخول إبليس وقابيل وفرعون ونمرود الجنة لأنهم من عموم الخلق! ولإمامهم المعاصر ابن باز حيث يحكم بأن ملايين المسلمين الذين يدعون الله تعالى ويطلبون من أوليائه مدداً مما أعطاهم الله تعالى كلهم (مشركون) مخلدون في النار أبد الآباد!!

مجمع الزوائد: ١٠/٣٧٩:

وعن أنيس الأنصاري قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: إني لأشفع يوم القيامة في كل شيء مما على وجه الأرض من حجر ومدر. رواه الطبراني في الأوسط، وفيه أحمد بن عمرو صاحب علي بن المديني ويعرف بالقلوري ولم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا على ضعف في بعضهم. انتهى. ورواه ابن عبد البر في الاستيعاب: ١/١١٤ والديلمى في فردوس الأخبار: ١/٩٣ ح ١٧٤ عن بريدة الأسلمي وفيه (لاكثر مما على وجه الأرض من حجر ومدر).

الدر المنثور: ٦/٢٨٥:

وأخرج ابن مردويه عن عبد الرحمن بن ميمون أن كعباً دخل يوماً على عمر بن الخطاب فقال له عمر: حدثني إلى ما تنتهي شفاعته محمد يوم القيامة؟! فقال كعب: قد أخبرك الله في القرآن أن الله يقول (ما سلككم في سقر إلى قوله اليقين) قال كعب: فيشفع يومئذ حتى يبلغ من لم يصل صلاة قط ويطعم مسكيناً قط ومن لم يؤمن ببعث قط، فإذا بلغت هؤلاء لم يبق أحد فيه خير! انتهى.

وإذا أراد كعب بقوله (حتى يبلغ، فإذا بلغت هؤلاء) أن النبي يشفع حتى يبلغ هؤلاء فيشفع لهم أيضاً، فلم يبق أحد في النار! وإن أراد أنه يبلغهم ويقف عندهم، فمعناه أن كعباً لا يشترط لشمول الشفاعه إلا الإيمان بيوم الدين، وعملاً واحداً من الأعمال المذكورة! كثر العمال: ١٤/٥١١ عن ابن عساكر:

عن أنس أن رسول الله (ص) قال: والذي نفسى بيده! إني لسيد الناس يوم القيامة ولا فخر، وإن بيدى لواء الحمد وإن تحته آدم ومن دونه ولا فخر، ينادى الله يومئذ آدم فيقول: يا آدم، فيقول لبيك رب وسعديك، فيقول: أخرج من ذريتك بعث النار، فيقول: يا رب وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فيخرج ما لا يعلم عدده إلا الله، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أكرمك الله وخلقك بيده، ونفخ فيك وروحه وأسكنك جنته، وأمر الملائكة فسجدوا لك، فاشفع لذريتك أن لا تحرق اليوم بالنار، فيقول آدم: ليس ذلك إليّ اليوم، ولكن سأرشدكم، عليكم بنوح فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح إشفع لذريه آدم فيقول: ليس ذلك إليّ اليوم ولكن عليكم بعبد اصطفاه الله بكلامه ورسالته وصنع على عينه وألقى عليه محبة منه موسى وأنا معكم، فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت عبد اصطفاك الله برسالته وبكلامه وصنعت على عينه وألقى عليك محبة منه إشفع لذريه آدم لا تحرق اليوم بالنار، فيقول: ليس ذلك إليّ اليوم عليكم بروح الله وكلمته عيسى فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت روح الله وكلمته إشفع لذريه آدم لا تحرق اليوم بالنار، فيقول: ليس ذلك إليّ اليوم ولكن سأرشدكم عليكم بعبد جعله الله رحمة للعالمين أحمد وأنا معكم، فيأتون أحمد فيقولون: يا أحمد جعلك الله رحمة للعالمين إشفع لذريه آدم لا تحرق اليوم بالنار، فأقول: نعم أنا صاحبها فأتى حتى أخذ بحلقه باب الجنة فيقال: من هذا أحمد؟ فيفتح لي فإذا نظرت إلى الجبار لا إله إلا هو خررت ساجداً، ثم يفتح لي من التحييد والثناء على الرب شيئاً لا يفتح لاحد من الخلق ثم يقال: إرفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع، فأقول: يا رب ذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار فيقول الرب جل جلاله: إذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال قدر قيراط من إيمان فأخرجوه!

ثم يعودون إليّ فيقولون: ذرية آدم لا يحرقون اليوم بالنار فأتى حتى أخذ بحلقه الجنة فيقال: من هذا؟ فأقول أحمد، فيفتح لي فإذا نظرت الجبار لا إله إلا هو خررت ساجداً مثل سجودي أول مرة ومثله معه فيفتح لي من الثناء على الرب والتحييد مثل ما فتح لي أول مرة، فيقال: إرفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع، فأقول: يا رب ذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار! فيقول الرب: إذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه!

ثم أتى حتى أصنع مثل ما صنعت أول مرة فإذا نظرت إلى الجبار عز جلاله خررت ساجداً فأسجد كسجودي أول مرة ومثله معه فيفتح لي من الثناء والتحييد مثل ذلك ثم يقال: إرفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول: يا رب ذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار! فيقول الرب: إذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه فيخرجون ما لا يعلم عدده إلا الله ويبقى أكثر. ثم يؤذن لادم في الشفاعه فيشفع لعشرة آلاف ألف ثم يؤذن للملائكة والنبين فيشفعون ثم يؤذن للمؤمنين فيشفعون وإن المؤمن يشفع يومئذ لاكثر من ربعة ومضر. انتهى.

ومن الواضح أن هذه الرواية تطرح ذرية آدم كلهم موضوعاً للشفاعة، ولكنها (تحتاط) من التصريح بشمول الشفاعة لهم، على عكس الروايات والآراء المتقدمة التي صرحت بشمول الشفاعة لجميع الخلق! وإذا كان هذا الرأي يحتاج إلى رد، فإن ما تقدم في أدلة الرأي الموافق لمذهبنا، وما تقدم في نقد الآراء التوسيعية السابقة كاف لرده.

ان العقاب في الآخرة ينتهي كلياً وأن جهنم تقنى وينقل أهلها إلى الجنة

وهذه المسألة من مسائل المعاد لا الشفاعة، ولكن بحثناها هنا لذكر الشفاعة في كثير من رواياتها. وأول من قال من المسلمين بفناء النار هو الخليفة عمر بن الخطاب، وقد تأثر به عدد من المذاهب الكلامية. ولكن أكثر المتعصبين لعمر لم يأخذوا بقوله هذا، ما عدا ابن تيمية وبعض تلاميذه، كما سترى! قال السيوطي في الدر المنثور: ٣/٣٥٠:

وأخرج ابن المنذر عن الحسن عن عمر (رض) قال: لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج لكان لهم يوم على ذلك يخرجون فيه. انتهى. ورواه الشوكاني في فتح القدير: ٢/٦٥٨ وغيره، وعالج: منطقة رملية في بين صحراء نجد والبحرين.

آراء المسلمين في آيات الخلود وأحاديثه

من عادة الكلاميين والمفسرين عندما يجدون قولاً لصحابي يحبونه مخالفاً لآيات محكمة وأحاديث صريحة، كمسألتنا هذه أنهم يحشدون للقارئ أقوالاً وآراء عديدة متضاربة متناقضة، ويؤيدونها بروايات كثيرة متضاربة أيضاً، وكأن واحدهم متحيز يكتب للناس تحيره ويستغيث بهم! أو كأن هدفه بدل التفسير والتوضيح ترويض ذهن القارئ وتدويخه لكي يقبل التناقض الذي يريد إقناعه به! وموضوعنا هذا واحد من هذه الموضوعات التي اتبع فيها المفسرون السنيون هذه السياسة. وتفادياً لذلك نقدم رأى أهل البيت (عليهم السلام) وعلماء مذهبهم في المسألة وما وافقهم وما خالفهم من الآراء الأخرى، ليعرف الباحث من أين جاء الخلل إلى الرواة السنيين ومصادرهم في تفسير آيات الله تعالى، وتفسير أقوال النبي صلى الله عليه وآله، فإن الميزان الشرعي لكل الآراء والأحاديث عند الجميع هو القرآن والمتفق عليه من السنة. ويضاف إليه عندنا ما ثبت عن المفسرين الشرعيين للقرآن بعد النبي صلى الله عليه وآله الذين هم عترته بصريح قوله صلى الله عليه وآله (إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض) وحديث الثقلين صحيح عند الجميع.

أجمع المسلمون على خلود الكفار في جهنم

الإعتقادات للصدوق/٥٣:

باب الإعتقاد في الجنة والنار: قال الشيخ أبو جعفر رحمه الله: اعتقادنا في الجنة: أنها دار البقاء ودار السلامة، لا موت فيها ولا هرم ولا سقم ولا مرض ولا آفة ولا زوال ولا زمانة ولا هم ولا غم ولا حاجة ولا فقر. وأنها دار الغنى ودار السعادة، ودار المقامة ودار الكرامة، لا يمس أهلها نصب ولا يمسه فيها لغوب، لهم فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وهم فيها خالدون. وأنها دار أهلها جيران الله تعالى وأوليائه وأحبائه وأهل كرامته.

وهم أنواع على مراتب: منهم المتنعمون بتقديس الله وتسيحه وتكبيره في جملة ملائكته، ومنهم المتنعمون بأنواع المآكل والمشارب والفواكه والأرائك وحور العين واستخدام الولدان المخلدين والجلوس على النمارق والزرابي ولباس السندس، كلُّ منهم إنما يتلذذ بما يشتهي ويريد، على حسب ما تعلقته همته، ويعطى ما عبد الله من أجله.

وقال الصادق عليه السلام: إن الناس يعبدون الله على ثلاثة أصناف: فصنف منهم يعبدون شوقاً إلى جنته ورجاء ثوابه، فتلك عبادة

الخدام، وصنف منهم يعبدونه خوفاً من ناره، فتلك عبادة العبيد، وصنف منهم يعبدونه حباً له، فتلك عبادة الكرام، وهم الامناء، وذلك قوله عز وجل: **وَهُمْ مِنْ فَرَعٍ يَوْمِئِذٍ آمِنُونَ.**

واعتقادنا في النار: أنها دار الهوان ودار الإنتقام من أهل الكفر والعصيان، ولا يخلد فيها إلا أهل الكفر والشرك.
الإعتقادات/٨١:

واعتقادنا في قتل الأنبياء (عليهم السلام) وقتل الأئمة المعصومين (عليهم السلام) أنهم كفار مشركون مخلدون في أسفل درك من النار. ومن اعتقد بهم غير ما ذكرناه، فليس عندنا من دين الله في شيء.

تفسير الإمام العسكري عليه السلام /٥٧٨:

قال الله تعالى: **وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ**، كان عذابهم سرمداً دائماً، وكانت ذنوبهم كفراً، لا تلحقهم شفاعة نبي ولا وصي، ولا خير من خيار شيعتهم.

التبيان في تفسير القرآن: ٢/٥٢٤:

الخلود في اللغة هو طول المكث، ولذلك يقال: خلده في السجن وخلد الكتاب في الديوان. وقيل للأثافي: خوالد مادامت في موضعها، فإذا زالت لا تسمى خوالد.

والفرق بين الخلود والدوام: أن الخلود يقتضى (في) كقولك خلد في الحبس ولا يقتضى ذلك الدوام، ولذلك جاز وصفه تعالى بالدوام دون الخلود.

إلا أن خلود الكفار المراد به التأيد بلا خلاف بين الأمة... ومعنى خلودهم فيها استحقاقهم لها دائماً مع ما توجه من أليم العقاب، فأما من ليس بكافر من فساق أهل الصلاة فلا يتوجه إليه الوعيد بالخلود، لأنه لا يستحق إلا عقاباً منقطعاً به، مع ثبوت استحقاقه للثواب الدائم، لأنه لو كان كذلك لأدى إلى اجتماع استحقاق الثواب الدائم والعقاب الدائم لشخص واحد. والإجماع بخلافه.

الطهارة للشيخ الأنصاري/٣٨٨:

ومن ذلك يعلم الجواب عما دل من الأخبار على عدم قبول توبته، مثل قوله عليه السلام: من رغب عن الإسلام وكفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله فلا توبة له وقد وجبت عليه وبانت منه امرأته، ويقسم ما ترك على ولده. هذا مع أن عدم قبول التوبة لا ينافي الإسلام، ودعوى المنافاة من جهة أن عدم القبول مستلزم للخلود في النار وهو ينافي الإسلام، مدفوع بأنه لا إجماع على خلود الكافر في النار مطلقاً حتى مثل هذا بعد التوبة.

هذا مضافاً إلى معارضتها مع عمومات قبول التوبة، حيث أن ظاهرها القبول فيما يتعلق بأمر الآخرة من العقاب، فتدل بظاهرها على أن المرتد تقبل توبته ولا يخلد في النار بعد التوبة، بل يدخل الجنة فيكون مسلماً، للإجماع على خلود الكافر في النار.

فكما يمكن تقييد هذه بغير المرتد الفطري كذلك يمكن تقييد مثل الرواية والأخبار المستفيضة بعدم قبول التوبة في دفع ما يحكم عليه بحد الكفر من مفارقة المال والزوجة والحياة. وبعد التعارض يجب الرجوع إلى الأصل.

هذا مضافاً إلى قول الباقر عليه السلام المروي في باب إعادة الحج: من كان مؤمناً فحج وعمل في إيمانه خيراً ثم أصابته فتنة فكفر ثم تاب وآمن؟ قال: يحسب له كل عمل صالح عمله في إيمانه ولا يبطل منه شيء.

هذا كله مع أن لنا أن نكتفى بالأصل، ونستدل على طهارته بما دل على طهارة المسلمين.

الروايات التي توافق هذا الرأي عند إخواننا السنيين

صحيح البخاري: ٧/٢٠٣:

عن أنس (رض) قال قال رسول الله (ص): يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا؟ فيأتون

آدم فيقولون أنت الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا عند ربنا، فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته ويقول: إئتوا نوحاً أول رسول بعثه الله فيأتونه فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته، إئتوا إبراهيم الذى اتخذ الله خليلاً، فيأتونه فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته، إئتوا موسى الذى كلمه الله فيأتونه فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته، إئتوا عيسى فيأتونه فيقول: لست هناكم، إئتوا محمداً فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني فأستأذن على ربي فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعنى ما شاء الله ثم يقال: إرفع رأسك، سل تعطه، قل يسمع، واشفع تشفع، فأرفع رأسى فأحمد ربي بتحميد يعلمنى ثم أشفع فيحد لى حداً، ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجداً مثله فى الثالثة أو الرابعة حتى ما بقى فى النار إلا من حبسه القرآن. وكان قتادة يقول عند هذا: أى وجب عليه الخلود. انتهى.

وقد روت مصادر السنين عبارة (إلا من حبسه القرآن) وفسرتها رواياتهم ومفسروهم بالتأييد..

وممن رواها البخارى فى: ٨/١٨٣ كما تقدم

ورواها أيضاً فى: ٥/١٤٧ وفيه (إلا- من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود. ثم قال البخارى: إلا- من حبسه القرآن يعنى قول الله تعالى: خَالِدِينَ فِيهَا).

وقال فى: ٧/٢٠٣ (إلا من حبسه القرآن، وكان قتادة يقول عند هذا: أى وجب عليه الخلود). ورواها فى: ٨/ من ١٧٣ (إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود).

وفى: ٨/١٨٤: إلا من حبسه القرآن، أى وجب عليه الخلود. انتهى.

ورواها مسلم فى: ١/١٢٤ وص ١٢٥ وأحمد: ٣/١١٦ وص ٢٤٤ مثل رواية البخارى الاخيرة. ورواها ابن ماجه: ٢/١٤٤٣، وكنز العمال: ١٤/ ٣٩٧ عن أحمد والبيهقى والترمذى وغيرهم.

سنن الترمذى: ٤/٩٥.

باب ما جاء فى خلود أهل الجنة وأهل النار: عن أبى هريرة أن رسول الله (ص) قال: يجمع الله الناس يوم القيامة فى صعيد واحد ثم يطلع عليهم رب العالمين فيقول ألا يتبع كل إنسان ما كانوا يعبدون...

فإذا أدخل الله تعالى أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أتى بالموت ملبياً فيوقف على السور الذى بين أهل الجنة وأهل النار، ثم يقال: يا أهل الجنة فيطلعون خائفين ثم يقال: يا أهل النار فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة، فيقال لأهل الجنة ولاهل النار: هل تعرفون هذا؟ فيقولون هؤلاء وهؤلاء: قد عرفناه هو الموت الذى وكل بنا، فيضجع فيذبح ذبْحاً على السور، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود لا موت، ويا أهل النار خلود لا موت. هذا حديث حسن صحيح. ورواه أحمد فى: ٢/٣٦٨.

مستدرک الحاكم: ٤/٤٩٦.

فإذا أراد الله عز وجل أن لا يخرج منها أحد غير وجوههم وألوانهم، قال فيجى الرجل فينظر ولا يعرف أحداً فيناديه الرجل فيقول: يا فلان أنا فلان، فيقول: ما أعرفك، فعند ذلك يقول: ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون، فيقول عند ذلك: إخشوا فيها ولا تكلمون، فإذا قال ذلك أطبقت عليهم فلا يخرج منهم بشر. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

الدر المنثور: ١/١٦٦.

وأخرج ابن حاتم عن عكرمة فى قوله: وما هم بخارجين من النار قال: أولئك أهلها الذين هم أهلها.

وأخرج ابن حاتم من طريق الأوزاعى قال سمعت ثابت بن معبد قال: ما زال أهل النار يأملون الخروج منها حتى نزلت: وما هم بخارجين من النار.

الدر المنثور: ٢/١٦٣.

وأخرج ابن حاتم عن سعيد بن جبیر فى قوله: وإن تك حسنة، وزن ذرة زادت على سيئاته يضاعفها، فأما المشرك فيخفف به عنه

العذاب ولا يخرج من النار أبداً.

الدر المنثور: ٦/٢٥٧:

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في البعث والنشور عن ابن مسعود أنه ذكر عنده الدجال فقال: يفترق ثلاث فرق فرقة تتبعه، وفرقة تلتحق بأرض آبائها منابت الشيخ، وفرقة تأخذ شط الفرات فيقاتلهم ويقاتلونهم حتى يجتمع المؤمنون بقرى الشام... وما يترك فيها أحداً فيه خير، فإذا أراد الله أن لا يخرج منها أحداً غير وجوههم وألوانهم، فيجى الرجل من المؤمنين فيشفع فيقال له من عرف أحداً فيخرجه فيجى الرجل فينظر فلا يعرف أحداً فيقول الرجل للرجل يا فلان أنا فلان فيقول ما أعرفك فيقولون ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإننا ظالمون، فيقول إخشوا فيها ولا تكلمون، فإذا قال ذلك أطبقت عليهم فلم يخرج منهم بشر.

مجمع الزوائد: ١٠/٣٩٥:

باب الخلود لأهل النار في النار وأهل الإيمان في الجنة. عن أنس قال قال رسول الله (ص): يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم ينادى مناد: يا أهل الجنة فيقولون ليبيك ربنا، قال فيقال: هل تعرفون هذا؟ فيقولون نعم ربنا هذا الموت، فيذبح كما يذبح الكبش، فيأمن هؤلاء وينقطع رجاء هؤلاء. رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط بنحوه والبخاري ورجالهم رجال الصحيح غير نافع بن خالد الطاحي وهو ثقة.

وعن معاذ بن جبل أن رسول الله (ص) بعثه إلى اليمن فلما قدم عليه قال: يا أيها الناس إني رسول الله (ص) إليكم يخبركم أن المراد إلى الله، وإلى جنة أو نار، خلود بلا موت، وإقامة بلا ظعن.

الدر المنثور: ٣/٣٥٠:

وأخرج البيهقي في البعث والنشور عن ابن عباس في قوله: إلا- ما شاء ربك، قال فقد شاء ربك أن يخلد هؤلاء في النار، وأن يخلد هؤلاء في الجنة.

وأخرج أبو الشيخ عن السدي في قوله: فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا... الآية، قال: فجاء بعد ذلك من مشيئة الله فنسخها فأنزل الله بالمدينة: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُعْزِرْ لَهُمْ وَلَا لِيُهْدِيَهُمْ طَرِيقًا... إلى آخر الآية، فذهب الرجاء لأهل النار أن يخرجوا منها وأوجب لهم خلود الأبد. وقوله وَأَمَّا الَّذِينَ سَبَّحُوا... الآية قال: فجاء بعد ذلك من مشيئة الله ما نسخها فأنزل بالمدينة: وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ.. إلى قوله ظلاً ظليلاً، فأوجب لهم خلود الأبد.

الأحكام في الحلال والحرام: ١/٣٥:

وأن من دخل الجنة أو النار من الأبرار والفجار فإنه غير خارج من أيهما، صار إليها وحل بفعله فيها أبد الأبد، لا ما يقول الجاهلون من خروج المعذبين من العذاب المهين إلى دار المتقين ومحل المؤمنين، وفي ذلك ما يقول رب العالمين: خالدون فيها أبداً، ويقول عز وجل: يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ. ففي كل ذلك يخبر أن كل من دخل النار فهو مقيم فيها، غير خارج منها من بعد مصيره إليها، فنعوذ بالله من الجهل والعمى.

سبب خلود أهل النار فيه

الكافي: ٢/٨٥:

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن المنقري، عن أحمد بن يونس، عن أبي هاشم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنما خلد أهل النار في النار، لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، وإنما خلد أهل الجنة في الجنة لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء، ثم تلا قوله تعالى: قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ، قال على

نيته. ورواه الصدوق في الهداية ١٢/ وفي علل الشرائع: ٢/٥٢٣ والعياشي في تفسيره: ٢/٣١٦ والبرقي في المحاسن: ٢/٣٦.

آيات الخلود في الجنة والنار

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. البقرة: ٣٩.
بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. البقرة: ٨١-٨٢.

خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ. البقرة-١٦٢.
وَمَنْ يَزِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. البقرة:
٢١٧.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ البقرة: ٢٥٧.
الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا- كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكِ بَأْتُهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ
حَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. البقرة: ٢٧٥.
أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُمْ أَنْ عَلِيَهُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا
مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَ أَسْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. آل عمران: ٨٧ - ٨٩.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. آل عمران-١١٦.
وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ. النساء: ١٤.

وَمَنْ يَفْتُلْ مُؤْمِنًا مَتَعِمًّا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا. النساء: ٩٣.

قَالَ النَّارُ مَتَوَاكُم خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. الأنعام: ١٢٨.

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. الأعراف: ٣٦.

أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ. التوبة: ١٧.

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ. التوبة: ٦٣.

وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ. التوبة: ٦٨.

وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَزْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. يونس: ٢٧.

ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا- بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ. وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَ رَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ
بِمُعْجِزِينَ. يونس: ٥٢ - ٥٣.

فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ. خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ.

وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُودٍ. هود: ١٠٦ - ١٠٨.

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَعْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. الرعد: ٥.

فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَتْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ. النحل-٢٩.

مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا. خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا. طه: ١٠٠ - ١٠١.

إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ، لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ. الأنبياء: ٩٨ - ٩٩.

وَمَنْ حَقَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ. تَلَفَّحُوا وُجُوهُهُمْ النَّارَ وَ هُمْ فِيهَا كَالِحُونَ. أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى

عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ. المؤمنون: ١٠٣ - ١٠٥.

وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. السجدة: ١٤.

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجْدُونَ وَلَا نَصِيرًا. الأحزاب: ٦٥.

قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ. الزمر: ٧٢.

قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ. غافر: ٧٦

ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارِ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ. فصلت: ٢٨

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ. لا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُوتُونَ. وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ وَنَادُوا يَا مَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُثُونَ. الزخرف: ٧٤ - ٧٧

وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعْفَرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ. محمد: ١٥

لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. المجادلة: ١٧

فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ. الحشر: ١٧

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. التغابن - ١٠

وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا. الجن: ٢٣

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ. البينة: ٦

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ. وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُعَدَّدٍ. يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ. فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ. وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ. هود: ١٠٣ - ١٠٨

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ. إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ. وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا كَرَّةً فَنَتَّبَرَأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأْنَا مِنْكَ كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ. البقرة: ١٦٥-١٦٧.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَ لَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ. المائدة: ٣٦ - ٣٧

عدم خلود الموحدين في النار في مصادر

تقدم رأى أهل البيت (عليهم السلام) في شمول الشفاعة للمسلمين بشروط، وأوردنا فيه حديث ابن أبي عمير عن الإمام الكاظم عليه السلام من توحيد الصدوق/٤٠٧ وفيه (لا يخلد الله في النار إلا أهل الكفر والجحود والضلال والشرك...) انتهى. ورواه المجلسي في بحار الأنوار: ٨/٣٥١ ووصف الشيخ الأنصاري في مكاسبه/٣٣٥ روايته بأنها حسنة.

بحار الأنوار: ٨/٣٦١:

عيون أخبار الرضا: فيما كتب الرضا عليه السلام للمؤمن من محض الإسلام: إن الله لا يدخل النار مؤمناً وقد وعده الجنة، ولا يخرج من النار كافراً وقد وعده النار والخلود فيها، ومذنبو أهل التوحيد يدخلون النار ويخرجون منها، والشفاعة جائزة لهم.

بحار الأنوار: ٨/٣٦٦:

قال العلامة رحمه الله في شرحه على التجريد: أجمع المسلمون كافة على أن عذاب الكافر مؤبد لا ينقطع، واختلفوا في أصحاب

الكبائر من المسلمين، فالوعيديه على أنه كذلك، وذهبت الإمامية وطائفه كثيره من المعتزله والأشاعره إلى أن عذابه منقطع، والحق أن عقابهم منقطع لوجهين:

الأول: أنه يستحق الثواب بإيمانه لقوله تعالى: **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ**، والإيمان أعظم أفعال الخير، فإذا استحق العقاب بالمعصيه فإما يقدم الثواب على العقاب وهو باطل بالإجماع، لأن الثواب المستحق بالإيمان دائم على ما تقدم، أو بالعكس وهو المراد، والجمع محال.

الثاني: يلزم أن يكون من عبد الله تعالى مدة عمره بأنواع القربات إليه، ثم عصى في آخر عمره معصيه واحده مع بقاء إيمانه، مخلداً في النار، كمن أشرك بالله مدة عمره! وذلك محال لقبحه عند العقلاء.

الكافي للحلي/٤٨١:

إن قيل: فإذا كان الوعيد ثابتاً بكل معصيه ومن جملته صريح الخلود والتأييد، كيف يتم لكم ما تذهبون اليه من انقطاع عقاب بعض العصاة؟.

قيل: ثبوت الوعيد على كل معصيه لا- ينافي قولنا في عصاه أهل القبلة، لأننا نقول بموجبه، وإنما نمنع من دوامه لغير الكفار، وثبوتها منقطعاً يجوز سقوطه بأحد ما ذكرناه، ولا- يمنع منه إجماع ولا ظاهر قرآن، من حيث كان الإجماع حاصلًا باستحقاق العقاب دون دوامه... وإنما يعلم به دوام عقاب الكفر.

الكافي للحلي/٤٩٢:

وأهل النار من الأولين والآخرين ضربان: كفار مخلدون وإن زاد عقاب بعض على بعض بحسب كفره، وفساق مقطوع على خروجهم من النار بعفو مبتدأ، أو عند شفاعه، أو انتهاء عقابهم إلى غاية مستحقه، وحالهم في مراتب التعذيب بحسب عصيانهم. ولا يجوز أن يبلغ عقابهم في العظم عقاب الكفار، لإقتران ما استحقوا به العقاب من المعصيه بالمعرفه بالمعصيه تعالى والخوف منه والرجاء لفضله، وتسوية التوبه، وانتفاء ذلك أجمع عن عصيان الكفار. ولا سبيل إلى العلم بمقدار إقامتهم فيها.

عدم خلود الموحدين في النار في مصادر السنين

صحيح البخارى: ١/١٩٥:

عن أبي هريره: أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحب؟ قالوا لا، يا رسول الله. قال: فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحب؟ قالوا لا، قال: فإنكم ترونه كذلك. يحشر الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتب، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت. وتبقى هذه الأمه فيها منافقوها فيأتيهم الله عز وجل فيقول أنا ربكم! فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا! فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهراي جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا نعم، قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا- يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو، حتى إذا أراد الله رحمه من أراد من أهل النار، أمر الله الملائكه أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار، فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا، فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبه في حميل السيل... ورواه البخارى أيضاً في: ٧/٢٠٥.

صحيح البخارى: ١/١٦٤:

عن أنس عن النبي (ص) قال: يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيره من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله

وفى قلبه وزن بره من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفى قلبه وزن ذره من خير، قال أبو عبد الله قال أبان، حدثنا قتادة، حدثنا أنس عن النبي (ص): من إيمان، مكان خير.

صحيح البخارى: ٧/٢٠٢:

عن جابر (رض) أن النبي (ص) قال: يخرج من النار بالشفاعة كأنهم الثعالب! قلت: ما الثعالب؟ قال الضعيف! وكان قد سقط فمه فقلت لعمر بن دينار: أبا محمد سمعت جابر بن عبد الله يقول: سمعت النبي (ص) يقول: يخرج بالشفاعة من النار؟ قال: نعم.

حدثنا هدي بن خالد، حدثنا همام، عن قتادة، حدثنا أنس بن مالك عن النبي (ص) قال: يخرج قوم من النار بعدما مسهم منها سفح فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين...

عن أبي سعيد الخدرى (رض) أن النبي (ص) قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يقول الله: من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه، فيخرجون قد امتحشوا وعادوا حمماً، فيلقون فى نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل، أو قال حمية السيل، وقال النبي (ص): ألم تروا أنها تنبت صفراء ملتوية.

وفى ٢٠٣:

عمران بن حصين (رض) عن النبي (ص) قال: يخرج قوم من النار بشفاعة محمد (ص) فيدخلون الجنة، يسمون الجهنميين.

سنن النسائي: ٢/٢٢٩:

عن الزهرى، عن عطاء بن يزيد قال: كنت جالساً إلى أبي هريرة وأبى سعيد فحدث أحدهما حديث الشفاعة والآخر منعت، قال: فتأتى الملائكة فتشفع وتشفع الرسل، وذكر الصراط، قال قال رسول الله (ص): فأكون أول من يجيز، فإذا فرغ الله عز وجل من القضاء بين خلقه، وأخرج من النار من يريد أن يخرج أمر الله الملائكة والرسل أن تشفع، فيعرفون بعلاماتهم أن النار تأكل كل شئ من ابن آدم إلا موضع السجود، فيصب عليهم من ماء الجنة فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل.

الدر المنثور: ٣/٣٤٩:

أما قوله فمنهم شقى وسعيد، فهم قوم من أهل الكبائر من أهل هذه القبلة يعذبهم الله بالنار ما شاء بذنوبهم، ثم يأذن فى الشفاعة لهم، فيشفع لهم المؤمنون فيخرجهم من النار فيدخلهم الجنة، فسماهم أشقياء حين عذبهم فى النار. فأما الذين شقوا فى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك، حين أذن فى الشفاعة لهم وأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، وهم هم. وأما الذين سعدوا يعنى بعد الشقاء الذى كانوا فيه، فى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك، يعنى الذين كانوا فى النار.

الدر المنثور: ٢/٢٨٠:

قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ) الايتين: أخرج مسلم وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه عن جابر بن عبد الله أن رسول الله (ص) قال: يخرج من النار قوم فيدخلون الجنة، قال يزيد بن الفقير: فقلت لجابر بن عبد الله: يقول الله يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها؟ قال: أتلى أول الآية: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتُدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ألا إنهم الذين كفروا.

وأخرج البخارى فى الأدب المفرد وابن مردويه والبيهقى فى الشعب عن طلق بن حبيب قال: كنت من أشد الناس تكديماً للشفاعة، حتى لقيت جابر بن عبد الله فقرأت عليه كل آية أقدر عليها يذكر الله فيها خلود أهل النار، قال: يا طلق أترأى لكتاب الله وأعلم لسنة رسول الله (ص) منى؟! إن الذين قرأت هم أهلها هم المشركون، ولكن هؤلاء قوم أصابوا ذنوباً ثم خرجوا منها، ثم أهوى بيده إلى أذنيه فقال: صممتا إن لم أكن سمعت رسول الله (ص) يقول: يخرجون من النار بعد ما دخلوا، ونحن نقرأ كما قرأت.

وأخرج ابن جرير عن عكرمة أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس: وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا؟ فقال ابن عباس: ويحك اقرأ ما فوقها، هذه

للكفار.

وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة قال: إن الله إذا فرغ من القضاء بين خلقه أخرج كتاباً من تحت عرشه فيه: رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين قال فيخرج من النار مثل أهل الجنة، أو قال مثلى أهل الجنة، مكتوب هاهنا منهم، وأشار إلى نحره عتقاء الله تعالى. فقال رجل لعكرمة: يا أبا عبد الله فإن الله يقول: يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا؟ قال: ويلك أولئك هم أهلها الذين هم أهلها.

الدر المنثور: ٢/١١١:

ابن جرير والحاكم عن عمرو بن دينار قال: قدم علينا جابر بن عبد الله في عمرة فانتهيت إليه أنا وعطاء فقلت: وما هم بخارجين من النار؟ قال: أخبرني رسول الله (ص) أنهم الكفار، قلت لجابر فقوله: إنك من تدخل النار فقد أخزيت؟ قال وما أخزاه حين أحرقه بالنار؟! وإن دون ذلك خزيًا.

الدر المنثور: ٤/٩٣:

وأخرج ابن أبي حاتم وابن شاهين في السنة عن علي بن أبي طالب (رض) قال قال رسول الله (ص): إن أصحاب الكبائر من موحدى الأمم كلها الذين ماتوا على كبائرهم غير نادمين ولا تائبين، من دخل منهم جهنم لا تترق أعينهم ولا تسود وجوههم، ولا يقرون بالشياطين ولا يغلون بالسلاسل، ولا يجرعون الحميم ولا يلبسون القطران، حرم الله أجسادهم على الخلود من أجل التوحيد... الخ. وقد تقدم ذلك في روايات الرأى الثانى القائل بأن التوحيد وحده كاف لدخول الجنة، وأن الموحدون كلهم يخرجون من جهنم ويدخلون الجنة، ويسمون الجهنميين، ويلاحظ كثرة روايات الجهنميين في مصادر السنين.

الإمام الصادق للشيخ محمد أبى زهرة/٢٢٧:

اتفقت الإمامية على أن من عذب بذنبه من أهل الإقرار والمعرفة لم يخلد في العذاب... وإن هذا الرأى... يتفق مع رأى الجمهور... وقد نسب إليه (الإمام جعفر الصادق عليه السلام) أبو جعفر القمى...

شرح مسلم للنووى: ١/٦٩:

لا يخلد في النار أحد مات على التوحيد، وهذه قاعدة متفق عليها عند أهل السنة.

روايات فى الصحاح تقول بخلود الموحدين فى النار

ولكن توجد فى مصادر السنين أحاديث تعارض الإجماع المذكور والأحاديث المتقدمة، وتنص على خلود بعض الأصناف من أهل القبلة فى جهنم!

كالذى رواه النسائى فى: ٤/٦٦:

عن أبى هريرة، عن النبى (ص) قال: من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى خالدًا مخلدًا فيها أبداً. ومن تحسّى سمًا فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبداً. ومن قتل نفسه بحديدة... كانت حديدته فى يده يجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبداً. ورواه أحمد فى: ٢/٢٥٤ وبعضه أبو داود فى: ٢/٢٢٢.

وكالذى رواه الدارمى فى: ٢/٢٦٦:

عن أبى أمامة أن رسول الله (ص) قال: من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرّم عليه الجنة. فقال له رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله! قال: وإن قضيباً من أراك!!

والذى رواه ابن ماجه فى: ٢/٨٧٦ ح ٢٦٢٣:

عن أبى شريح الخزاعى قال: قال رسول الله (ص): من أصيب بدم أو خبل (والخبل الجرح) فهو بالخيار بين إحدى ثلاث، فإن أراد

الرابعة فخذوا على يديه: أن يقتل، أو يعفو، أو يأخذ الدية. فمن فعل شيئاً من ذلك فعاد، فإن له نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً. انتهى.

والذى رواه الطبرانى فى المعجم الكبير: ١٢/٨:

عن ابن عباس: ومن يقتل مؤمناً متعمداً قال: ليس لقاتل توبه ما نسختها آية!

وقال النيسابورى فى الوسيط: ٢/٩٦: وقوله: فجزاؤه جهنم خالداً فيها.. إلى آخر الآيه، وعيدٌ شديدٌ لمن قتل مؤمناً متعمداً حرم الله قتله وحظر سفك دمه، وقد وردت فى قتل المؤمن أخبار شداد، فإن ابن عباس سأله رجل فقال: رجل قتل مؤمناً متعمداً؟ فقال ابن عباس: جزاؤه جهنم خالداً فيها، قال: فإن تاب وآمن وعمل صالحاً؟ فقال ابن عباس: وأنى له التوبه، وقد سمعت نبيكم يقول: ويح له قاتل المؤمن...

عن القاسم بن أبى بزة أنه سأل سعيداً: هل لمن قتل مؤمناً توبه؟ فقال لا... وعن حميد عن أنس عن النبى قال: إن الله أبى أن يجعل لقاتل المؤمن توبه... وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله: والذى نفسى بيده لقتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا... ومذهب أهل السنة: أن قاتل المؤمن عمداً له توبه، عن عطاء عن ابن عباس أن رجلاً سأله: ألقاتل المؤمن توبه؟ فقلت لك توبه، لكى لا يلقى بيده إلى التهلكه. انتهى.

ولكن هذه الروايه التى استندوا عليها عن ابن عباس تؤكد عدم قبول توبته، ولا تدل عليها! فلا بد لهم من طرح روايات خلود قاتل المسلم فى النار وأمثالها، والقول بأن رواياته تشديداً من الرواه لتخفيف القاتل فى مجتمع كان يستسهل القتل! وقد حاول النووى تأويلها فقال فى شرح مسلم: ٩ جزء ١٧/٨٣:

وأما قوله تعالى: وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا، فالصواب فى معناها أن جزاؤه جهنم، وقد يجازى به وقد يجازى بغيره، وقد لا يجازى بل يعفى عنه، فإن قتل عمداً مستحلاً له بغير حق ولا تأويل فهو كافر مرتد، يخلد به فى جهنم بالإجماع... ثم أخبر أنه لا يخلد من مات موحداً فيها، فلا يخلد هذا ولكن قد يعفى عنه فلا يدخل النار أصلاً... انتهى.

وقد تضمنت محاوله النووى عدة وجوه ضعيفه، أقواها: القول بأن القاتل عمداً يخرج بقتله عن التوحيد فيجرى عليه حكم المشرك فى الآخرة.

ونحن نعتقد بصحة الأحاديث التى تقول إن بعض الأعمال توجب سلب التوحيد من صاحبها قبل الموت، فلا يموت على التوحيد كما سيأتى، ولكن ذلك يحتاج فى موردنا إلى دليل.

ما دل من مصادرنا لى أن الدار الآخرة لا موت فيه

بحار الأنوار: ٨/٣٤٩:

الكافى: على، عن أبيه، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقه، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قال النبى صلى الله عليه وآله وساق الحديث فى مراتب خلق الأشياء يغلب كل واحد منها الآخر حيث بغى وفخر، إلى أن قال: ثم إن الإنسان طغى وقال: من أشد منى قوة؟ فخلق الله له الموت وقهره وذلل الإنسان، ثم إن الموت فخر فى نفسه، فقال الله عز وجل لا- تفخر فإنى ذابحك بين الفريقين أهل الجنة وأهل النار، ثم لا أحبيك أبداً فترجى أو تخاف.. الحديث.

تذنيب: أعلم أن خلود أهل الجنة فى الجنة مما أجمع عليه المسلمون، وكذا خلود الكفار فى النار ودوام تعذيبهم، قال شارح المقاصد: أجمع المسلمون على خلود أهل الجنة فى الجنة وخلود الكفار فى النار.

فإن قيل: القوى الجسمانية متناهية، فلا يعقل خلود الحياة، وأيضاً الرطوبة التى هى مادة الحياة تبنى بالحرارة سيما حرارة نار جهنم، فيفضى إلى الفناء ضرورة، وأيضاً دوام الإحراق مع بقاء الحياة خروج عن قضية العقل!

قلنا: هذه قواعد فلسفة غير مسلمة عند الملمين، ولا صحيحة عند القائلين بإسناد الحوادث إلى القادر المختار، على تقدير تناهي القوى وزوال الحياة، لجواز أن يخلق الله البدل فيدوم الثواب والعقاب، قال الله تعالى: **كُلَّمَا نَضَيْتُمْ جُلُودَهُمْ يَدْلُنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ**.

تفسير القمي: ٢/٥٠:

وقال علي بن إبراهيم في قوله: **وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**، فإنه حدثني أبي، عن الحسن بن محبوب، عن أبي ولاد الحنطاط، عن أبي عبد الله عليه السلام قال سئل عن قوله: **وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ؟** قال: ينادى مناد من عند الله، وذلك بعد ما صار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار: يا أهل الجنة ويا أهل النار هل تعرفون الموت في صورة من الصور؟ فيقولون لا، فيؤتى بالموت في صورة كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، ثم ينادون جميعاً: أشرفوا وانظروا إلى الموت فيشرفون، ثم يأمر الله به فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت أبداً، ويا أهل النار خلود فلا موت أبداً. وهو قوله: **وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ**. أي قضى على أهل الجنة بالخلود، وعلى أهل النار بالخلود فيها.

ما دل من مصادر السنين على أن الدار الآخرة لا موت فيه

صحيح البخاري: ٧/٢٠٠:

عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص): إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، جى بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادى مناد: يا أهل الجنة لا- موت، يا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم. ورواه أحمد في: ٢/١١٨ وص ١٢٠ وص ١٢١.

وفي مسند أحمد: ٢/١٣٠:

عن عبد الله بن عمر قال: إن رسول الله (ص) قال: يدخل أهل الجنة الجنة، قال أبي وحدثناه سعد قال: يدخل الله أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار، لا موت، كل خالد فيما هو فيه. ورواه الترمذي في: ٤/٩٥.

وفي الدر المنثور: ٤/٢٧٢:

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن مسعود (رض) في قوله: **وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ**، قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يأتي الموت في صورة كبش أملح حتى يوقف بين الجنة والنار، ثم ينادى منادى أهل الجنة: هذا الموت الذي كان يميت الناس في الدنيا، ولا يبقى أحد في عليين ولا في أسفل درجة من الجنة إلا نظر إليه، ثم ينادى يا أهل النار هذا الموت الذي كان يميت الذي في الدنيا، فلا يبقى أحد في ضحضاح من النار ولا في أسفل درك من جهنم إلا نظر إليه، ثم يذبح بين الجنة والنار، ثم ينادى يا أهل الجنة هو الخلود أبد الأبد، ويا أهل النار هو الخلود أبد الأبد، فيفرح أهل الجنة فرحاً لو كان أحد ميتاً من فرحة ماتوا، ويشهق أهل النار شهقة لو كان أحد ميتاً من شهقة ماتوا، فذلك قوله: **وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ**، يقول إذا ذبح الموت.

وقال الرازي في تفسيره: ١٣ جزء ٢٦/١٣٩:

إن أهل الجنة لا- يعلمون في أول دخولهم في الجنة أنهم لا- يموتون، فإذا جى بالموت على صورة كبش أملح وذبح، فعند ذلك يعلمون أنهم لا يموتون.

وقال في الأحاديث القدسية: ١/١٦٠:

شرح حديث ذبح الموت وأنه يؤتى بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط.. الخ. وإنه لا مانع عقلاً من أن يخلق الله تعالى الموت على صورة حيوان ويوقف ويذبح... ونحن نؤمن بما ثبت عن رسول الله، ولا نبحث عن كيفية تحقيقه. انتهى.

عودة إلى رأى عمر بفناء النار

فى هذا الجو من آيات الخلود فى النار وإجماع المسلمين على خلود الجنة والنار.. نرى الخليفة عمر من دون الصحابة يخالف المتفق عليه بين الجميع ويقول بفناء النار وانتهائها، ونقل أهلها إلى الجنة!!

وقد أخذ الخليفة ذلك من بعض أحبار اليهود الذين كان يثق بعلمهم، لأن من مقولاتهم أن الله تعالى وعد يعقوب بأن لا يدخل أبناءه إلى النار إلا تحلة القسم، وأن النار أساساً عمرها قصير ثم تنتهى وتهلك!!

وقد تقدم عنهم ذلك فى تفسير قوله تعالى (وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً) فى فصل الشفاعة عند اليهود!!

ونظراً لغرابة هذا الرأى حاول البعض التشكيك فى نسبته إلى الخليفة عمر، ولكنه ثابت عنه عند المحدثين والمؤرخين والمتكلمين كما تقدم ويأتى! وأكثر أتباع الخليفة لا يعرفون رأيه هذا، فبعضهم ينكره.. وبعضهم (يستحى) به.. ولكن بعضهم تجرأ وكتب رداً عليه! قال فى مقدمته فتح القدير: ١/٩:

للسوكانى مؤلفات، منها كتاب نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار... وكشف الأستار فى إبطال القول بفناء النار. انتهى.

وأكثر المتحمسين لتأييد رأى عمر ابن قيم الجوزية فى رسالته حادى الأرواح تبعاً لأستاذه ابن تيمية. ومن المتأخرين الشيخ محمد رشيد رضا فى تفسير المنار: ٨/٦٨

حيث أورد فى كتابه رسالته ابن قيم كاملة، وهى تبلغ نحو خمسين صفحة، ولم يأت صاحب المنار بجديد سوى المدح والغلو فى ابن قيم.. لأنه مفكر إسلامى نابغة استطاع أن يحل المشكلة ويثبت رأى الخليفة بخمس وعشرين دليلاً!

وتدور رسالته ابن قيم على محور واحد هو أن النار تبنى كما يخرب السجن فلا يبقى محل لأهلها إلا أن ينقلوا إلى الجنة، وهو كلام لم يقله عمر!!

قال ابن قيم وهو يعدد الأقوال فى الخلود فى جهنم:

السابع: قول من يقول بل يفنيها ربها وخالفها تبارك وتعالى، فإنه جعل لها أمداً تنتهى إليه، ثم تبنى ويزول عذابها.

قال شيخ الإسلام (ابن تيمية): وقد نقل هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبى هريرة وأبى سعيد وغيرهم، وقد روى عبد بن حميد وهو من أجل أئمة الحديث فى تفسيره المشهور: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن الحسن، قال قال عمر: لو لبث أهل النار فى النار كقدر رمل عالج، لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه.

وقال: حدثنا حجاج بن منهال، عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن أن عمر بن الخطاب قال: لو لبث أهل النار فى النار عدد رمل عالج، لكان لهم يوم يخرجون فيه. ذكر ذلك فى تفسير ثابت عند قوله تعالى (لَا يَبْقَى فِيهَا أَحْقَابًا) فقد رواه عبد وهو من الأئمة الحفاظ، وعلماء السنة عن هذين الجليلين سليمان بن حرب وحجاج بن منهال، وكلاهما عن حماد بن سلمة وحسبك به، وحماد يرويه عن ثابت وحميد وكلاهما يرويه عن الحسن وحسبك بهذا الإسناد جلالته، والحسن وإن لم يسمع من عمر وإنما رواه عن بعض التابعين، ولو لم يصح عنده ذلك عن عمر لما جزم به وقال قال عمر بن الخطاب، ولو قدر أنه لم يحفظ عن عمر فتداول هؤلاء الأئمة له غير مقابلين له بالإنكار والرد، مع أنهم ينكرون على من خالف السنة بدون هذا، فلو كان هذا القول عند هؤلاء الأئمة من البدع المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأئمة، لكانوا أول منكر له.

قال: ولا ريب أن من قال هذا القول عن عمر ونقله عنه إنما أراد بذلك جنس أهل النار الذين هم أهلها، فأما قوم أصيبوا بذنوبهم فقد علم هؤلاء وغيرهم أنهم يخرجون منها، وأنهم لا يلبثون قدر رمل عالج ولا قريباً منه، ولفظ أهل النار لا يختص (يقصد لا يطلق) بالموحدين بل يختص بمن عداهم، كما قال النبى (ص) (أما أهل النار الذين هم أهلها فهم لا يموتون فيها ولا يحيون) ولا يناقض هذا قوله تعالى (خَالِدِينَ فِيهَا) وقوله (وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ) بل ما أخبر الله به هو الحق والصدق الذى لا يقع خلافه. لكن إذا انقضى

أجلها وفنيت كما تفتنى الدنيا، لم تبق ناراً ولم يبق فيها عذاب). انتهى.

وقد استدل ابن قيم على رأى الخليفة عمر بخمس وعشرين وجهاً! لا نطيل الكلام بسردها ورددها، لأنها ماعداً واحداً منها وجوه خطيئة استحسانية، وليست علمية، ويكفى في جوابها جميعاً أنها لا- تنهض بمعارضة الآيات والأحاديث المتقدمة الدالة على خلود بعض الفجار فى النار، ولا على معارضة الإجماع الذى تقدم من الفريقين!

أما الوجه الذى يحسن التعرض له فهو قول ابن القيم:

فصل. والذين قطعوا بدوام النار لهم ست طرق:

أحدها: اعتقاد الإجماع، فكثير من الناس يعتقدون أن هذا مجمع عليه بين الصحابة والتابعين، لا- يختلفون فيه، وأن الاختلاف فيه حادث، وهو من أقوال أهل البدع.

الطريق الثانى: أن القرآن دل على ذلك دلالة قطعية، فإنه سبحانه أخبر أنه عذاب مقيم، وأنه لا يفترون عنهم، وأنه لن يزيدهم إلا عذاباً، وأنهم خالدون فيها أبداً، وما هم بخارجين من النار، وما هم منها بمخرجين، وأن الله حرم الجنة على الكافرين، وأنهم لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط، وأنهم لا يقضى عليهم فيموتوا، ولا يخفف عنهم من عذابها، وأن عذابها كان غراماً أى مقيماً لازماً.. قالوا وهذا يفيد القطع بدوامه واستمراره.

الطريق الثالث: أن السنة المستفيضة أخبرت بخروج من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان دون الكفار، وأحاديث الشفاعة من أولها إلى آخرها صريحة فى خروج عصاة الموحدين من النار، وأن هذا حكم مختص بهم فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم ولم يختص الخروج بأهل الإيمان.

الطريق الرابع: أن الرسول وقفنا على ذلك وعلمناه من دينه بالضرورة من غير حاجة بنا إلى نقل معين، كما علمنا من دينه دوام الجنة وعدم فنائها.

الطريق الخامس: أن عقائد السلف وأهل السنة مصرحة بأن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما لا تغنيان بل هما دائمتان، وإنما يذكرون فناءهما عن أهل البدع.

الطريق السادس: أن العقل يقضى بخلود الكفار فى النار. وهذا مبنى على قاعدة وهى أن المعاد وثواب النفوس المطيعة وعقوبة النفوس الفاجرة هل هو مما يعلم بالعقل أو لا يعلم إلا بالسمع فيه طريقتان لنظار المسلمين، وكثير منهم يذهب إلى أن ذلك يعلم بالعقل مع السمع كما دل عليه القرآن فى غير موضع كإنكاره سبحانه على من زعم أنه يسوى بين الأبرار والفجار فى المحيا والممات، وعلى من زعم أنه خلق خلقه عبثاً وأنهم إليه لا يرجعون وأنه يتركهم سدى أى لا يشيهم ولا يعاقبهم، وذلك يقدح فى حكمته وكمالته وأنه نسبة إلى ما لا يليق به. وربما قرروه بأن النفوس البشرية باقية واعتقاداتها وصفاتها لازمة لها لا تفارقها وإن ندمت عليها لما رأت العذاب فلم تندم عليها لقبحها أو كراهه ربها لها، بل لو فارقها العذاب رجعت كما كانت أولاً قال تعالى (وَلَوْ تَرَى إِذِ وَقُفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَلِ يَدَا لَهُمْ مِآ كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلِ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) فهؤلاء قد ذاقوا العذاب وباشروه ولم يزل سببه ومقتضيه من نفوسهم بل خبثها قائم بها لم يفارقها بحيث لو ردوا لعادوا كفاراً كما كانوا، وهذا يدل على أن دوام تعذيبهم يقضى به العقل كما جاء به السمع. انتهى.

ثم قال ابن قيم:

قال أصحاب الفناء على هذه الطرق يبين الصواب فى هذه المسألة:

فأما الطريق الأول فالإجماع الذى ادعيتموه غير معلوم وإنما يظن الإجماع فى هذه المسألة من لم يعرف النزاع وقد عرف النزاع بها قديماً وحديثاً، بل لو كلف مدعى الإجماع أن ينقل عن عشرة من الصحابة فما دونهم إلى الواحد أنه قال إن النار لا تفتنى أبداً لم يجد إلى ذلك سبيلاً، ونحن قد نقلنا عنهم التصريح بخلاف ذلك، فما وجدنا عن واحد منهم خلاف ذلك، بل التابعون حكوا عنهم هذا

وهذا، قالوا والإجماع المعتد به نوعان متفق عليهما ونوع ثالث مختلف فيه، ولم يوجد واحد منها في هذه المسألة:

النوع الأول ما يكون معلوماً من ضرورة الدين كوجوب أركان الإسلام وتحريم المحرمات الظاهرة.

الثاني ما ينقل عن أهل الاجتهاد التصريح بحكمه.

الثالث أن يقول بعضهم القول وينشر في الأمة ولا ينكره أحد. فأين معكم واحد من هذه الانواع، ولو أن قائلاً ادعى الإجماع من هذه الطريق واحتج بأن الصحابة صح عنهم ولم ينكر أحد منهم عليه، لكان أسعد بالإجماع منكم!

قالوا: وأما الطريق الثاني وهو دلالة القرآن على بقاء النار وعدم فنائها، فأين في القرآن دليل واحد يدل على ذلك، نعم الذي دل عليه القرآن أن الكفار خالدون في النار أبداً، وأنهم غير خارجين منها، وأنه لا يفتر عنهم من عذابها، وأنهم لا يموتون فيها، وأن عذابهم فيها مقيم، وأنه غرام أي لا يترك لهم. وهذا كله مما لا نزاع فيه بين الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، وليس هذا مورد النزاع، وإنما النزاع في أمر آخر (!!)) وهو أنه هل النار أبدية أو مما كتب عليه الفناء؟ وأما كون الكفار لا يخرجون منها، ولا يفتر عنهم من عذابها، ولا يقضى عليهم فيموتوا، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، فلم يختلف في ذلك الصحابة ولا التابعون ولا أهل السنة. وإنما خالف في ذلك من قد حكينا أقوالهم من اليهود (!!)) والاتحادية وبعض أهل البدع، وهذه النصوص وأمثالها تقتضى خلودهم في دار العذاب مادامت باقية ولا يخرجون منها مع بقائها البتة كما يخرج أهل التوحيد منها مع بقائها، فالفرق كالفرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله، وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس وانتقاضه.

قالوا: وأما الطريق الثالث وهو مجى السنة المستفيضة بخروج أهل الكبائر من النار دون أهل الشرك، فهي حق لا شك فيه، وهي إنما تدل على ما قلناه من خروج الموحدين منها وهي دار عذاب لم تفن، ويبقى المشركون فيها ما دامت باقية. والنصوص دلت على هذا وعلى هذا.

قالوا: وأما الطريق الرابع وهو أن رسول الله (ص) وقفنا على ذلك ضرورة، فلا ريب أنه من المعلوم من دينه بالضرورة أن الكفار باقون فيها ما دامت باقية، هذا معلوم من دينه بالضرورة، وأما كونها أبدية لا انتهاء لها ولا تفنى كالجنة فأين في القرآن والسنة دليل واحد يدل على ذلك!! انتهى.

وقد ذكر في ٧٩: قول أهل السنة (إن الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً فلا ريب أن القول بفنائهما قول أهل البدع من الجهمية) وأجاب عليه بقوله (فقولكم إنه من أقوال أهل البدع كلام من لا خبرة له بمقالات بنى آدم وآرائهم واختلافهم...) انتهى.

ونلاحظ أن ابن قيم اعترف بأن الذين نفوا خلود النار هم اليهود والاتحادية من الوثنيين والماديين، ثم قام بتغيير موضوع النزاع في المسألة، لكي يوفق بين إجماع المسلمين على الخلود في النار وبين قول عمر بفنائها، وعمدة مقاله: إنه لا مانع أن نقول خالدون فيها إذا لم تخرب، كما نقول مؤبداً في السجن مادام السجن موجوداً ولم يخرب. يريد بذلك أن أهل النار إنما ينقلون إلى الجنة بسبب خرابها!

ولو سلمنا هذا المنطق في المسألة، فأين دليله على خراب السجن أو جهنم؟!

يكفى لرد ذلك أنه لو كان له أصل في الإسلام لكثرت فيه الآيات والأحاديث!

ولو كان له أصل لاحتج به الخليفة، وذكر ولو كلمه عن فناء النار، وما اقتصر على رمل عالج!!

إن فدلكات ابن قيم وأمثاله لا يمكنها أن تقاوم ما تقدم من الآيات والأحاديث والإجماع، ولا أن تقلب معاني ألفاظ اللغة فتلغى معنى الدوام والتأييد والخلود وتجعلها كلها لزم من محدود ينتهي.

وقد اغتر بهذه الفذلكة بعضهم وقال: ليس في اللغة العربية كلمة للوقت الممتد بلا انقطاع! وخير جواب لهؤلاء أن نسألهم: إذا أردتم التعبير بالعربية عن هذا المعنى فبماذا تعبرون؟ فلا بد أنهم سيستعملون ألفاظاً من مادة الدوام والتأييد والخلود.. وهي المواد التي

استعملها القرآن والحديث!!

الجهمية أخذت من الخليفة عمر

قال الأشعري في مقالات الإسلاميين/١٤٨:

واختلفت المرجئة في تخليد الله الكفار... فقالت الفرقة الأولى منهم وهم أصحاب جهنم بن صفوان: الجنة والنار تفنيان وتبيدان ويفنى أهلها... وأنه لا يجوز أن يخلد الله أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار!!
وفي/٢٧٩:

والذي تفرد به جهنم القول بأن الجنة والنار تبيدان وتفنيان!

تأويلات أهل السنة/٧٥-٧٦:

الرد على الجهمية في قولهم بفناء الجنة وما فيها، وقوله وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ أى مقيمون أبداً، فالآية ترد على الجهمية قولهم لأنهم يقولون بفناء الجنة... لكن ذلك وهم عندنا، لأن الله تعالى هو الأول بذاته.. والباقي بذاته، والجنة وما فيها باقية بغيرها. إن الله تعالى جعل الجنة داراً مطهرة عن المعايب كلها.. ولو كان آخرها للفناء لكان فيها أعظم المعايب إذ المرء لا يهتأ بعيش إذا نقص عليه بزواله. فلو كان آخره للزوال كانت نعمته منغصه على أهلها...

تأويلات أهل السنة/١٢١:

الرد على الجهمية في قولهم بفناء الجنة والنار وانقطاع ما فيهما: وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، تنقض على الجهمية قولهم... فلو كانت الجنة تفنى وينقطع ما فيها لكان فيها خوف وحزن لأن من خاف في الدنيا زوال النعمة عنه وفوتها يحزن عليه.. فأخبر عز وجل أن لا- خوف عليهم فيها، خوف التبعة ولا حزن فوات النعمة، ولا هم يحزنون، دل على أنها باقية وأن نعيمها دائم لا يزول، وكذلك أخبر عز وجل أن الكفار في النار خالدون.

والمرجئة أخذوا من عمر

تاريخ الإسلام للذهبي: ١٣/١٦٠:

وكان أبو المطيع فيما نقل الخطيب من رؤوس المرجئة.. وذكروا عنه أنه كان يقول: الجنة والنار خلقتا وستفنيان، وهذا كلام جهنم.

و ابن العاص أخذ من عمر

فتح القدير للشوكاني: ٢/٦٥٨:

عن ابن عمرو قال: ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد. ثم قال صاحب الكشاف: ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما علياً ما يشغله عن تسيير هذا الحديث! انتهى.

ويقصد الزمخشري أن عبد الله بن عمرو بن العاص راوى هذا الحديث لا يوثق به، لأنه كان مبغضاً لعلى عليه السلام وقد قاتله في صفين بسيفين، وكان الأولى به أن يكتفى بفعلته تلك ولا ينقل مثل هذه الأحاديث الخارجة عن إجماع المسلمين!

قال في هامش اختيار معرفة الرجال: ١/١٥٧: وقال في الكشاف: وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عبد الله بن عمرو بن العاص: ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون أحقابا. وبلغنى أن من الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد أن الكفار لا يخلدون في النار، وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان الممين زادنا الله هداية إلى الحق ومعرفة بكتابه وتنبه على أن تغفل عنه. ولئن صح هذا عن ابن ابن العاص فمعناه أنهم يخرجون من حر النار إلى برد الزمهير، فذلك خلق جهنم وصفق أبوابها، وأقول: أما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما على بن أبى طالب (رض) ما يشغله عن تسيير هذا الحديث.

انتهى قول الكشاف.

و روى عن ابن مسعود أنه وافق عمر

الدر المنثور: ٣/٣٥٠:

وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن إبراهيم قال: ما فى القرآن آية أرجى لأهل النار من هذه الآية: خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ قال وقال ابن مسعود: ليأتين عليها زمان تخفق أبوابها. وفى تفسير التبيان: ٦/٦٨ وروى عن ابن مسعود أنه قال: ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد، وذلك بعد أن يلبثوا فيها أحقاباً.

و الشعبى أخذ من عمر

تفسير التبيان: ٦/٦٨:

وقال الشعبى: جهنم أسرع الدارين عمراً، وأسرعهما خراباً. ويلاحظ على رواياتهم عن ابن العاص وابن مسعود والشعبى أن جهنم تبقى ولكن تفرغ وينقل أهلها إلى الجنة! وهذا هو موضوع كلام عمر، لا مادعاها ابن قيم!

و المعتزلة أخذت من عمر

الملل والنحل للشهرستانى - هامش الفصل: ١/٦٤:

الخامسة: قوله (أبو الهذيل) إن حركات أهل الخلدتين تنقطع، وإنهم يصيرون إلى سكون دائم خموداً، وتجتمع اللذات فى ذلك السكون لأهل الجنة، وتجتمع الآلام فى ذلك السكون لأهل النار.

و الجاحظ أخذ من عمر

الملل والنحل - هامش الفصل: ١ جزء ١/٩٥:

أقوال الجاحظ التى انفرد بها عن أصحابه..منها: قوله فى أهل النار إنهم لا يخلدون فيها عذاباً، بل يصيرون إلى طبيعته النار.

و ابن عربى والجيلى أخذوا من عمر

قال فى تفسير المنار: ٨/٧٠:

ويدخل فيه أنها تفنى كما تقول الجهمية، أو تتحول إلى نعيم كما قال الشيخ محيى الدين بن العربى وعبد الكريم الجيلى من الصوفية.

أما عمر فقد أخذ من كعب الأخبار واليهود

سيرة ابن هشام: ٢/٣٨٠:

وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ

قال ابن إسحاق: وحدثنى مولى لزيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: قدم رسول الله (ص) المدينة واليهود تقول: إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما يعذب الله الناس فى النار بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوماً واحداً فى النار من

أيام الآخرة، وإنما هي سبعة أيام ثم ينقطع العذاب!!

فأنزل الله في ذلك من قولهم: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مِثْلًا لَا تَعْلَمُونَ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ، أَى من عمل بمثل أعمالكم وكفر بمثل ما كفرتم به حتى يحيط كفره بماله عند الله من حسنة، فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. أَى خلدًا أبدًا. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ أَى من آمن بما كفرتم به وعمل بما تركتم من دينه فلهم الجنة خالدين فيها، يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبدًا، ولا انقطاع له.

الدر المنثور: ١/٨٤:

قوله تعالى: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً. أخرج ابن إسحق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والواحدى عن ابن عباس أن اليهود كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة... الخ. ورواه في مجمع الزوائد: ٦/٣١٤.

تفسير التبيان: ١/٣٢٣:

وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً، وإنما لم يبين عددها في التنزيل، لأنه تعالى أخبر عنهم بذلك وهم عارفون بعدد الايام التي يوقتونها في النار، فلذلك نزل تسميه عدد الايام وسماها معدودة لما وصفنا.

وقال أبو العالیه وعكرمة والسدى وقتادة: هي أربعون يوماً. ورواه الضحاك عن ابن عباس. ومنهم قال: إنها عدد الايام التي عبدوا فيها العجل.

وقال ابن عباس: إن اليهود تزعم أنهم وجدوا في التوراة مكتوباً إن ما بين طرفى جهنم مسيرة أربعين سنة، وهم يقطعون مسيرة كل سنة فى يوم واحد، فإذا انقطع المسير انقطع العذاب، وهلك النار!!

قال السيوطى فى الدر المنثور: ٦/٢٨٥:

وأخرج ابن مردويه عن عبد الرحمن بن ميمون أن كعباً دخل يوماً على عمر بن الخطاب فقال له عمر: حدثنى إلى ما تنتهى شفاعه محمد يوم القيامة؟ فقال كعب قد أخبرك الله فى القرآن إن الله يقول: ما سلككم فى سقر... إلى قوله اليقين قال كعب: فيشفع يومئذ حتى يبلغ من لم يصل صلاة قط، ويطعم مسكيناً قط، ومن لم يؤمن ببعث قط، فإذا بلغت هؤلاء لم يبق أحد فيه خير! انتهى.

وقد ذكرنا أن كلام كعب هذا يحتل وجهين لأن قوله: حتى يبلغ، وقوله فإذا بلغت، قد يقصد بهما أن الشفاعه تبلغ هؤلاء المكذبين بيوم الدين الذين لم يفعلوا خيراً قط! فلا يبقى أحد فى النار وتنتهى. وقد يقصد بهما أن الشفاعه تقف عند هؤلاء فيكون كلامه توسيعاً لها لكل المؤمنين بالبعث من غير المسلمين!

ولا يبعد أن يكون هدف كعب القول بدخول الجميع الجنة وفناء النار، لأن ذلك من مقولات اليهود كما رأيت! ويكون قصده أن سؤال أهل اليمين للمجرمين: ما سلككم فى سقر؟ إنما هو مقدمه لاخراجهم من النار.. وشفاعه نبينا صلى الله عليه وآله!!

وقد يتصور البعض أن من المبالغة أو التهمة للخليفة عمر بأنه أخذ هذه العقيدة من كعب الأحبار، ولكن الذى يقرأ احترام عمر لأخبار اليهود والنصارى ولكعب الأحبار خاصة حتى قبل إسلام كعب.. لا يستبعد ذلك بل يطمئن اليه، ويحسن مراجعة ما كتبناه فى ذلك موثقاً فى كتاب تدوين القرآن، وأن الخليفة عمر كان يدرس عند اليهود فى المدينة فى حياة النبى صلى الله عليه وآله وأن النبى نهاه عن ذلك ولم يمتثل! ونذكر هنا بعض النصوص التى تكشف ثقته العالیه بكعب، والمقام العظيم الذى يحتله كعب فى ذهنه وعواطفه!

عمر ينظر إلى كعب كأنه نبى و يتلقى منه

يلاحظ الباحث تعامللاً فريداً للخليفة عمر مع كعب الأحبار، وأنه كان يحترمه أكثر من كل صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله

ويفضله عليهم علمياً وسياسياً، ويسأله عن عوالم الغيب والشهادة والأنبياء والجنّة والنار وتفسير القرآن، وعن مستقبل الأمة ومستقبله الشخصي ويثق به ثقةً مطلقةً ويقبل منه.. شبيهاً بتعامل الصحابي المؤمن مع نبيه الذي ينزل عليه الوحي!

قال السيوطي في الدر المنثور: ٣/٦:

وأخرج ابن جرير عن أبي المخارق زهير بن سالم قال قال عمر لكعب: ما أول شيء ابتدأه الله من خلقه؟ فقال كعب: كتب الله كتاباً لم يكتبه قلم ولا مداد، ولكن كتب بإصبعه يتلوها الزبرجد واللؤلؤ والياقوت: أنا الله لا إله إلا أنا سبقت رحمتي غضبي!!

وقال أحمد في مسنده: ١/٤٢:

قال عمر يعني لكعب: إنني أسألك عن أمر فلا تكتمني، قال: والله لا أكتمك شيئاً أعلمه قال: ما أخوف شيء تخوفه على أمة محمد؟ قال أئمة مضلين. قال عمر: صدقت قد أسرّ ذلك الّلي وأعلمنيه رسول الله (ص). ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٥/٢٣٩ وقال: رجاله ثقات.

وقال السيوطي في الدر المنثور: ٤/٥٧:

عن الحسن البصري أن عمر قال لكعب: ما عدن؟ قال: هو قصر في الجنة لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حاكم عدل.

وقال في: ٥/٣٤٧:

عن قتادة قال: إن عمر بن الخطاب (رض) قال: يا كعب ما عدن؟ قال: قصور من ذهب في الجنة يسكنها النبيون والصديقون وأئمة العدل.

وقال في كنز العمال: ١٢/٥٦٠:

عن الحسن قال: قال عمر بن الخطاب: حدثني يا كعب عن جنات عدن. قال: نعم يا أمير المؤمنين قصور في الجنة لا يسكنها إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حاكم عدل، فقال عمر: أما النبوة فقد مضت لاهلها، وأما الصديقون فقد صدقت الله ورسوله، وأما الحكم العدل فإني أرجو الله أن لا أحكم بشيء إلا لم آل فيه عدلاً، وأما الشهادة فأنتي لعمر بالشهادة؟! -ابن المبارك وأبو ذر الهروي في الجامع.

وقال السيوطي في الدر المنثور: ٤/٥٧:

وأخرج عبد بن حميد عن الحسن (رض) أن عمر قال لكعب: ما عدن؟ قال: هو قصر في الجنة لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حاكم عدل.

وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد (رض) قال: قرأ عمر (رض) على المنبر جنات عدن، فقال: أيها الناس هل تدرّون ما جنات عدن؟ قصر في الجنة له عشرة آلاف باب، على كل باب خمسة وعشرون ألفاً من الحور العين، لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد!

وقال في الدر المنثور: ٥/٣٤٧:

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة (رض)... في قوله: وَأَدْخِلُهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ قال إن عمر بن الخطاب (رض) قال: يا كعب ما عدن؟ قال: قصور من ذهب في الجنة يسكنها النبيون والصديقون وأئمة العدل.

معجم ما استعجم: ٢/٧٤:

الحثمة: بفتح أوله وإسكان ثانية: صخرات بأسفل مكة بها ربع عمر بن الخطاب. روى عنه مجاهد أنه قرأ على المنبر: جنات عدن فقال: أيها الناس أتدرّون ما جنات عدن؟ قصر في الجنة له خمسة آلاف باب على كل باب خمسة وعشرون ألفاً من الحور العين لا يدخله إلا نبي، وهنيئاً لصاحب القبر وأشار إلى النبي (ص)، أو صديق وهنيئاً لأبي بكر وأشار إلى قبره، أو شهيد وأنى لعمر بالشهادة وإن الذي أخرجني من منزلي بالحثمة قادر أن يسوقها إلي!! انتهى.

وفي هذه الرواية دلالة على أن كعباً استطاع أن يقنع عمر أن مقصوده بالنبي والصديق والشهيد الذين يسكنون عدن: رسول الله صلى

الله عليه وآله وأبا بكر وعمر، وأن كعباً كان من المخططين لقتله!

وقال في الدر المنثور: ٥/٣٠٦:

قوله تعالى: يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ الْآيَةَ. أخرج الثعلبي من طريق العوام بن حوشب قال حدثني رجل من قومي شهد عمر (رض) أنه سأل طلحة والزبير وكعباً وسلمان: ما الخليفة من الملك؟ قال طلحة والزبير: ما ندري، فقال سلمان (رض): الخليفة الذي يعدل في الرعية، ويقسم بينهم بالسوية، ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله ويقضى بكتاب الله تعالى. فقال كعب: ما كنت أحسب أحداً يعرف الخليفة من الملك غيري!

وفي كنز العمال: ١٢/٥٦٧:

عن طبقات ابن سعد: عن سفيان بن أبي العوجاء قال: قال عمر بن الخطاب: والله ما أدري أخليفة أنا أم ملك؟ فإن كنت ملكاً فهذا أمر عظيم، قال قائل يا أمير المؤمنين إن بينهما فرقاً، قال ما هو؟ قال: الخليفة لا يأخذ إلا حقاً ولا يضعه إلا في حق، فأنت بحمد الله كذلك، والملك يعسف الناس فيأخذ من هذا ويعطي هذا، فسكت عمر (ابن سعد).

وقال في كنز العمال: ١٢/٥٧٣:

عن كعب أن عمر بن الخطاب قال: أنشدك بالله يا كعب أتجدني خليفة أم ملكاً؟ قال بل خليفة، فاستحلفه فقال كعب: خليفة والله من خير الخلفاء، وزمانك خير زمان-نعيم بن حماد في الفتن.

الدر المنثور: ٤/٢٩٣:

سأل عمر كعباً عن آيات أول سورة الحديد فقال: معناها إن علمه بالأول كعلمه بالآخر، وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن! انتهى.

كنز العمال: ٢/٤٨٨:

عن عمر قال: ذكر النبي (ص) يوم القيامة فعظم شأنه وشدته، قال: ويقول الرحمن لداود عليه السلام: مَرَّ بَيْنَ يَدَيَّ، فيقول داود: يا رب أخاف أن تدحضني خطيئتي، فيقول: مَرَّ خَلْفِي، فيقول: يا رب أخاف أن تدحضني خطيئتي فيقول: خذ بقدمي! فيأخذ بقدمه عز وجل فيمر!! قال فتلك الزلفي التي قال الله تعالى: وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ! ورواه السيوطي في الدر المنثور: ٥/٣٠٥ عن ابن مردويه.

الدر المنثور: ٥/٢٩٧:

وأخرج الديلمي عن عمر (رض) قال: قال رسول الله (ص): لا ينبغي لأحد أن يقول إني أعبد من داود!

الدر المنثور: ٥/٣٠٥:

وأخرج عبد بن حميد، عن السدي بن يحيى، قال حدثني أبو حفص رجل قد أدرك عمر بن الخطاب: إن الناس يصيبهم يوم القيامة عطش وحر شديد فينادى المنادى داود فيسقى على رؤس العالمين، فهو الذي ذكر الله: وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ! انتهى.

ومن الواضح أن هذه الروايات عن داود عليه السلام من مقولات اليهود وكعب الأخبار ولكن الخليفة عمر يقبلها منه، والرواة ينسبونها إلى نبينا صلى الله عليه وآله!!

كنز العمال: ١٤/١٤٦:

عن سعيد بن المسيب قال: استأذن رجل عمر بن الخطاب في إتيان بيت المقدس فقال له: إذهب فتجهز فإذا تجهزت فأعلمني فلما تجهز جاءه فقال له عمر: إجعلها عمرة!

مجمع الزوائد: ٩/٦٥:

عن عمر بن ربيعة أن عمر بن الخطاب أرسل إلى كعب الأخبار فقال: يا كعب كيف تجد نعتي؟ قال: أجد نعتك قرن من حديد. قال: وما قرن من حديد؟ قال: أمير شديد لا تأخذه في الله لومة لائم. قال: ثم مه؟ قال: ثم يكون من بعدك خليفة تقتله فئه.

تاريخ الطبري: ١/٤٥٩:

عن أشعث عن سالم النصرى قال: بينما عمر بن الخطاب يصلى ويهوديان خلفه، وكان عمر إذا أراد أن يركع خوى، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال فلما انفتل عمر قال: رأيت قول أحدكما لصاحبه أهو هو؟ فقالا: إنا نجد فى كتابنا قرناً من حديد يعطى ما أعطى حزقيل الذى أحيا الموتى بإذن الله!!

فقال عمر: ما نجد فى كتابنا حزقيل، ولا أحيا الموتى بإذن الله إلا عيسى بن مريم! فقالا: أما تجد فى كتاب الله: ورسلاً لم نقصصهم عليك؟ فقال عمر: بلى، قالوا: وأما إحياء الموتى فسنحدثك إن بنى إسرائيل وقع فيهم الوباء، فخرج منهم قوم حتى إذا كانوا على رأس ميل أماتهم الله فبنوا عليهم حائطاً حتى إذا بليت عظامهم بعث الله حزقيل فقام عليهم فقال: ما شاء الله، فبعثهم الله له فأنزل الله فى ذلك: ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت. انتهى.

والأخوى: الذى لا- يستطيع أن يركع أو يسجد بشكل طبيعى إلا بفتح قدميه ونحوه.. والرواية تدل على اهتمام اليهود بإيمان عمر بثافتهم، ومحاولتهم التزلف إليه بادعاء أن شخصيته المذكورة فى كتبهم، وأنه نبى يحيى الموتى مثل حزقيل! تاريخ المدينة لابن شبة: ٣/١١٠:

لما قدم عمر (رض) من مكة فى آخر حجة حجها أتاه كعب فقال: يا أمير المؤمنين إعهد فإنك ميت فى عامك! قال عمر (رض) وما يدريك يا كعب؟ قال: وجدته فى كتاب الله! فقال: أشدك الله يا كعب هل وجدتني باسمى ونسبى عمر بن الخطاب؟ قال: اللهم لا، ولكنى وجدت صفتك وسيرتك وعملك وزمانك!

ورواه فى: ٣/٨٨ وزاد فيه: فلما أصبح الغد غدا عليه كعب فقال عمر (رض): يا كعب، فقال كعب: بقيت ليلتان، فلما أصبح الغد غدا عليه كعب- قال عبدالعزيز: فأخبرني عاصم بن عمر بن عبيد الله بن عمر قال: قال عمر (رض): يواعدنى كعب ثلاثاً يعدّها ولا شك أن القول ما قاله كعب وما بى لقاء الموت إنى لميت ولكنما فى الذنب يتبعه الذنب فلما طعن عمر (رض) دخل عليه كعب فقال: ألم أنهك؟! قال: بلى، ولكن كان أمر الله قدراً مقدوراً!! انتهى.

ولا يتسع المجال للرد على أفكار كعب التى تضمنتها رواياته، وقد أوردنا عدداً منها فى سبب نشأة التجسيم فى المجلد الثانى. والواقع أن كعب الأخبار من أكبر المصائب فى مصادر إخواننا السنيين، حيث تجده مقيماً فيها، كامناً فى المواقع الحساسة من أصول العقيدة والشريعة! وهذا أمر يحتاج إلى معالجات جريئة من علمائهم!

ولكن لا بد من الإلفات هنا إلى أن النصوص المتقدمة تدل بما لا يقبل الريب على أن كعباً كان شريكاً فى مؤامرة قتل عمر! ولكن إخواننا السنيين ما زالوا يبرئون كعباً ويثقون به، كما برأ المسيحيون اليهود من دم المسيح! كما نشير إلى أن كعباً أخطأ فى تفسير أول سورة الحديد، لأنه فسر (هو) بعلمه!! ولكن الخليفة عمر يقبل منه كل ما يقوله، بل يحدث به المسلمين على المنبر!

شفاعات و حرمانات غير معقولة روتها مصادر السنيين

شفاعه اثنين لصاحب الجنازة

ليس من السهل أن نعرض على الأحاديث التى تحكم على نوع من الناس باستحقاق الجنة أو النار.. لأن الخير والشر فى داخل الإنسان عالم معقد، وما يظهر للعيان لا يجب أن يكون دائماً هو الحقيقة! فرب عمل صغير نقوم به يكون فى حساب الثواب والعقاب الإلهى كبيراً، وبالعكس.. ورب ظرف يجعل العمل السي حسناً وبالعكس!

وبسبب هذه السعة والتعقيد في أعمال الناس وظروفها، لابد أن تكون أنظمة الجزاء عميقة واسعة حتى تستوعبها. ولكننا مع ذلك نملك يقينيات من العقل والشرع تسمح لنا أحياناً بالحكم بإمكان هذا الجزاء الإلهي أو عدم إمكانه..ومن هذه اليقينيات: لو أن شخصاً قاتلاً ظالماً جامعاً للصفات الشريرة، توفى وحملوا جنازته، فمر بها شخصان مسلمان فقالا:

كان مؤمناً تقياً، لأنهما جاهلان بحاله أو متعمدان، فإن شهادتهما لا تغير شيئاً من قوانين المجازاة الإلهية!

لكن توجد (أحاديث) في مصادر السنيين تقول: إن مجرد شهادة إثنين بالخير لصاحب الجنازة تجعله من أهل الجنة! كما أن شهادتهما له بالسوء تجعله من أهل النار!!

فكان الشهادة على الجنازة في منطق هذه الأحاديث وثيقة شرعية نهائية لا يقرأ الملائكة غيرها، أو ختم نهائي لا يقبل الله تعالى غيره!! لقد جاءنا هذا المنطق من الثقافة اليهودية، ولكنه مهما كان مصدره، ليس منطقاً إسلامياً! لأن معناه السماح للمجرمين بأن يفعلوا ما شأؤوا ويهلكوا الحرث والنسل، ثم يوصى أحدهم بأن يشهد على جنازته عشرة شهود كذباً وزوراً فيدخل الجنة! والأخطر من ذلك أن الإنسان المؤمن الطيب الأمين المستقيم مهما عمل من خير في حياته فإن عمله يتبخر بمجرد أن يرسل خصومه اثنين يشهدان على جنازته بأنه كان سيئاً، فيدخله النار!

ولو كانت هذه المقولة توجد في مصادرهم من الدرجة الثانية لكان الأمر أسهل، ولكنها توجد في مصادر الدرجة الأولى مع الأسف، وعن لسان أقدس الشخصيات عندهم بعد النبي صلى الله عليه وآله الأمر الذي يتطلب من فقهاءهم جرأة في معالجتها: روى البخارى في صحيحه: ٢/١٠٠:

عن أنس بن مالك قال: مروا بجنازة فأتوا عليها خيراً، فقال النبي (ص): وجبت، ثم مروا بأخرى فأتوا عليها شراً فقال: وجبت، فقال عمر بن الخطاب (رض): ما وجبت؟ قال: هذا أثبتتم عليه خيراً فوجبت له الجنة، وهذا أثبتتم عليه شراً فوجبت له النار، أتم شهداء الله في الأرض.

ورواه في: ٣/١٤٨ وفيه (قال شهادة القوم المؤمنين شهداء الله في الأرض). ورواه مسلم في صحيحه: ٣/٥٣ وقد كرر فيه كلمة: وجبت وأتم شهداء الله ثلاث مرات. ورواه النسائي: ٤/٥٠ ورواه الترمذى: ٢/٢٦١ وقال (وفي الباب عن عمر وكعب بن عجرة وأبي هريرة. قال أبو عيسى: حديث أنس حديث حسن صحيح).

ورواه ابن ماجه في: ١/٤٧٨ وفيه (فقال: شهادة القوم والمؤمنون شهود الله في الأرض). وفي هامشه (ويوافقه حديث عمر رواه الترمذى والنسائي وإسناد ابن ماجه صحيح ورجاله رجال الصحيحين).

ورواه أبو داود في: ٢/٨٦ وفيه (إن بعضكم على بعض شهداء).

ورواه أحمد في ج ٣ ص ١٧٩ وج ٢ ص ٢٦١ وص ٤٩٨ وص ٥٢٨ وج ٢ ص ٤٦٦ وص ٤٧٠ وفيه (بعضكم شهداء على بعض) وج ٣ ص ١٨٦ وكرر فيه وجبت ثلاث مرات مثل مسلم. وفي رواية أخرى (قال شهادة القوم والمؤمنون شهداء الله في الأرض) وفي ج ٣/١٩٧ وص ٢١١ وص ٢٤٥ وص ٢٨١.

ورواه البيهقي في سننه ج ٤ ص ٧٥ وج ١٠/١٢٣ وص ٢٠٩.

وقال البخارى في صحيحه: ٢/١٠٠:

عن أبي الأسود قال: قدمت المدينة وقد وقع بها مرض فجلست إلى عمر بن الخطاب (رض) فمرت بهم جنازة فأثنى على صاحبها خيراً فقال عمر (رض): وجبت. ثم مر بأخرى فأثنى على صاحبها خيراً، فقال عمر (رض): وجبت. ثم مر بالثالثة فأثنى على صاحبها شراً، فقال: وجبت. فقال أبو الأسود فقلت: وما وجبت يا أمير المؤمنين؟ قال: قلت كما قال النبي (ص): أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة، فقلنا وثلاثة قال: وثلاثة. فقلنا واثان قال: واثان. ثم لم نسأله عن الواحد!

ورواه البخارى أيضاً في: ٣/١٤٩ والنسائي في: ٤/٥١ وفيه:

(فقلت وما وجبت يا أمير المؤمنين؟ قال: قلت كما قال رسول الله (ص): أيما مسلم شهد له أربعة قالوا خيراً أدخله الله الجنة. قلنا: أو ثلاثة؟ قال: أو ثلاثة. قلنا: أو اثنان؟ قال: أو اثنان.

ورواه الترمذى فى: ٢/٢٦١ وقال (قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح وأبو الأسود الدؤلى اسمه ظالم بن عمر بن سفيان).
ورواه أحمد فى: ١/٢١١ وص ٢٢ وص ٢٧ وص ٣٠ وص ٤٥ وص ٤٦، والبيهقى فى سننه: ١٠/١٢٤.

إلى هنا تجد أن هذه المقولة بمقاييس إخواننا السنين تامه السند والدلالة.. ولكن توجد مؤشرات تفتح باب البحث حولها:
المؤشر الأول: أن الإمام أحمد روى أن بعض الذين سمعوا الحديث من الخليفة عمر شككوا فيه لغرابته عن منطق النبي صلى الله عليه وآله وظنوا أنه رأى من عمر لا من قول النبي صلى الله عليه وآله فأكد له عمر أن النبي هو الذى قال ذلك!
قال أحمد فى: ١/٥٤:

حدثنا عبد الله حدثنى أبى ثنا وكيع ثنا عمر بن الوليد الشنى عن عبد الله بن بريدة قال: جلس عمر (رض) مجلساً كان رسول الله (ص) يجلسه، فمر عليه الجنائز، قال فمروا بجنائز فأثنوا خيراً فقال: وجبت. ثم مروا بجنائز فأثنوا خيراً فقال: وجبت. ثم مروا بجنائز فقالوا خيراً فقال: وجبت. ثم مروا بجنائز فقالوا هذا كان أكذب الناس، فقال: إن أكذب الناس أكذبهم على الله، ثم الذين يلونهم من كذب على روحه فى جسده، قال قالوا: رأيت إذا شهد أربعة؟ قال: وجبت. قالوا: أو ثلاثة؟ قال: وثلاثة، قال وجبت. قالوا: واثنين؟ قال: وجبت، ولأن أكون قلت واحد أحب إلى من حمر النعم. قال فقيل لعمر: هذا شئ تقوله برأيتك أم شئ سمعته من رسول الله (ص)؟ قال: لا، بل سمعته من رسول الله (ص). انتهى.

والرواية تدل على أن الخليفة تفرد بهذه الرواية من دون الصحابة الحاضرين فى ذلك المجلس الرسمى الذى كان يجلسه رسول الله صلى الله عليه وآله وأنهم تعجبوا لأنهم لم يسمعوا ذلك، وتجروا أن يسألوا عمر رغم سطوته، فأكد لهم أنه سمع ذلك!
المؤشر الثانى: يشير إلى أن الحادثه قضيه شخصيه فى جنازه أشخاص معينين فى زمن النبي صلى الله عليه وآله وليست قاعدة كلياً لكل جنازه..

فقد روى الحاكم فى: ١/٣٧٧: عن أنس قال كنت قاعداً مع النبي (صلى الله عليه وآله) فمر بجنائز فقال: ما هذه الجنائز؟ قالوا جنازه فلان الفلانى كان يحب الله ورسوله ويعمل بطاعة الله ويسعى فيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وجبت وجبت وجبت. ومر بجنائز أخرى قالوا جنازه فلان الفلانى كان يبغض الله ورسوله ويعمل بمعصية الله ويسعى فيها، فقال: وجبت وجبت وجبت. فقالوا يا رسول الله قولك فى الجنائز والثناء عليها؟ أثنى على الأول خير وعلى الآخر شر فقلت فيها وجبت وجبت وجبت؟ فقال: نعم يا أبا بكر إن لله ملائكة تنطق على ألسنة بنى آدم بما فى المرء من الخير والشر. هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذا اللفظ. انتهى.

فلو صح الحديث لكان معناه أن النبي صلى الله عليه وآله شهد، بما عرفه الله تعالى، بأن الملائكة نطقت على ألسنة أولئك المادحين والذامين.. وليس معناه أن الملائكة تنطق دائماً على ألسنة المسلمين.

المؤشر الثالث: يدل على أن الخصوصية للشاهد أو الشافع فى الجنائز.. ففى مستدرك الحاكم: ٢/٢٦٨: عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله فى جنازه فى بنا فى بنى سلمة وأنا أمشى إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال رجل: نعم المرء ما علمنا إن كان لعفيفاً مسلماً إن كان.. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت الذى تقول؟ قال يا رسول الله ذاك بدا لنا والله أعلم بالسرائر. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وجبت. قال وكنا معه فى جنازه رجل من بنى حارثه أو من بنى عبد الأشهل، فقال رجل: بئس المرء ما علمنا إن كان لفظاً غليظاً إن كان.. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت الذى تقول؟ قال يا رسول الله أعلم بالسرائر فأما الذى بدا لنا منه فذاك. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وجبت. ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسِيًّا لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه،

إنما اتفقا على وجبت فقط. انتهى.

فقد أكد النبي صلى الله عليه وآله على شخص القائل الذي لم تسمه الرواية فقال له: أنت الذي تقول ذلك وتشهد بهذه الشهادة لهذا الميت؟ فقال نعم إنني أشهد حسب ظاهر حاله. فقال النبي إن الجنة قد وجبت له بشهادة ذلك الرجل، أو إن شهادته طابقت الواقع كما أوحى الله إلى رسوله صلى الله عليه وآله، فيحتمل أن تكون القضية شخصية كما في الرواية السابقة، وإذا وجد الإحتمال بطل الإستدلال، ولم يبق يقين بأنها قاعدة عامة.

المؤشر الرابع: أنه توجد أحاديث معارضة تجعل دعاء مئة مسلم موحد أو أربعين بالشفاعة للميت موجبا للامل بأن الله تعالى يشفعهم فيه ويدخله الجنة..وقد روت الصحاح رواية المئة، ورواية الأربعين، وفي بعض رواياتها ثلاثة صفوف، وأمة من الناس، ونحوها.. الأمر الذي يدل على أن وجود كثرة من المسلمين المؤمنين يصلون على جنازة الميت أو يدعون له، أمر مفيد له، وأن الله تعالى قد يستجيب دعاءهم.. ولكن ليس في هذه الأحاديث تلك الحتمية و(الأتوماتيكية) التي في أحاديث (وجبت وجبت) المتقدمة!

ففي صحيح مسلم: ٣/٥٢ عن عائشة عن النبي(ص)قال: ما من ميت يصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له، إلا شفّعوا فيه. انتهى وفي رواية أخرى: أربعون. ورواه في سنن البيهقي: ٣/١٨٠-١٨١.

وفي سنن ابن ماجه: ١/٤٧٧:

عن أبي هريرة عن النبي(ص)قال: من صلى عليه مائة من المسلمين غفر له. في الزوائد: قد جاء عن عائشة في الترمذى والنسائي مثله. وإسناده صحيح ورجاله رجال الصحيحين. انتهى. وما ذكره موجود في سنن الترمذى: ٢/٢٤٧ وفي سنن النسائي: ٤/٧٥ بصيغة مائة وأمة من الناس).

وفي فردوس الأخبار: ٤/٣٢٩ ح ٦٤٩٦:

أنس وعائشة: ما من ميت يصلى عليه أمة من المسلمين يبلغوا أن يكونوا مائة يشفعون له إلا شفّعوا فيه.

وفي ٣٧١ ح ٦٦٠٩: أبو هريرة: ما صف قوم صفوفاً ثلاث على ميت فيستغفرون له إلا شفّعوا.

وروى ابن ماجه في سننه: ١/٤٧٧:

عن كريب مولى عبد الله بن عباس قال: هللك ابن لعبد الله بن عباس فقال لى: يا كريب قم فانظر هل اجتمع لابنى أحد؟ فقلت نعم. فقال ويحك كم تراهم أربعين؟ قلت: لا، بل هم أكثر. قال: فاخرجوا بابنى فأشهد لسمعت رسول الله(ص)يقول: ما من أربعين من مؤمن يشفعون لمؤمن، إلا شفّعهم الله.

وروى ذلك أحمد بشروط أشد قال في: ١/٢٧٧:

عن كريب مولى ابن عباس عن عبد الله بن عباس أنه مات ابن له بقديد أو بعسفان فقال: يا كريب أنظر ما اجتمع له من الناس؟ قال فخرجت فإذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته، قال يقول هم أربعون؟ قال نعم، قال أخرجوه فإنى سمعت رسول الله(ص)يقول: ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً، إلا شفّعهم الله فيه. ورواها الديلمى في فردوس الأخبار: ٤/٣١٨ ح ٦٤٦٩.

المؤشر الخامس: يشير إلى احتمال اختلاط الحديث بغيره..

ففى مسند أحمد: ٣/٣٠٣ عن جابر قال: قال قال رسول الله(ص): من كن له ثلاث بنات يؤويهن ويرحمهن ويكفلهن، وجبت له الجنة البتة. قال قيل يا رسول الله فإن كانت اثنتين؟ قال: وإن كانت اثنتين. قال فرأى بعض القوم أن لو قالوا له واحدة لقال واحدة. انتهى.

وفى مسند أحمد: ٤/٢١٢:

عن الحرث بن أقيش قال: كنا عند أبي برزة ليلة فحدث ليلتئذ عن النبي(ص)أنه قال: ما من مسلمين يموت لهما أربعة أفرط، إلا أدخلهما الله الجنة بفضل رحمته. قالوا يا رسول الله وثلاثة؟ قال: وثلاثة. قالوا: واثنتان؟ قال: واثنتان. انتهى.

فيحتمل أن يكون الأمر اشتبه على الخليفة فجعل أجر (وجبت الجنة) لمن ربي ثلاث بنات أو اثنتين - جعله لمن شهد ثلاثة أو اثنتان

على جنازته، لتشابه العدد فيهما ووحدة التعبير (وجبت).

ولا يرد الإشكال على رواية تربية البنات تربية إسلامية كيف جعلت سبباً قطعياً لدخول الجنة، لأنها تجعل الجزاء للاب أو الام على عمل يقوم به، بينما رواية الشهادة للجنازة تجعل لصاحبها الجنة مجاناً مهما كان فاجراً بمجرد قول غيره! كما تجعل له النار مجاناً بمجرد قول غيره، مهما كان صالحاً!!

على أنه يمكن القول إن الله تعالى جعل ثواب تربية ثلاث بنات أو اثنتين ليعالج مشكلة في مجتمع كانوا يثدنون بناتهم، وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم.. وأن هذا الثواب قد يشمل في عصرنا الأزواج الذين يثدنون أطفالهم بطرق أخرى، خوفاً من الفقر أو طلباً للراحة من الأطفال.

وفي أحاديث أهل البيت عن الإمام الصادق عليه السلام أن المسلمين قد سألوا النبي صلى الله عليه وآله عن تربية البنت الواحدة كما تقدم، فقد روى في الكافي: ٦/٦ عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم، عن عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات وجبت له الجنة. فقيل: يا رسول الله واثنتين؟ فقال: واثنتين. فقيل: يا رسول الله وواحدة؟ فقال: وواحدة. انتهى.

وفي مسند أحمد: ١/٢٢٣:

عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): من ولدت له ابنة فلم يثدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها يعنى الذكر، أدخله الله بها الجنة. انتهى.

والنتيجة: أن هذه المؤشرات تفتح باب البحث للشك في أحاديث (وجبت وجبت) للجنازة، وتضغط عليها لتكون منسجمة مع اليقينيات العقلية والشرعية غير ناقضة لها.

ومادام الباب مفتوحاً للتخلص من منطقها اليهودي، فلا معنى للتشبث بها بحجة الدفاع عن البخاري وعن الخليفة عمر!!

رأى أهل البيت في الشهادة للجنازة

لا أثر في أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) لروايات (وجبت) ولا لمنطقها! بل نجد الترغيب في الدعاء للميت والشفاعة به إلى الله تعالى، والأمل بأن يستجيب الله تعالى ويشمل هذا الميت برحمته.. كل ذلك على حسب قوانين الجزاء والشفاعة التي يعلمها عز وجل بأصولها وتفصيلها وتطبيقاتها، ولا نعرف نحن منها إلا القليل.

روى الكليني في الكافي: ٣/١٨٨:

عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن الحسن بن محبوب، عن عبد الله بن غالب، عن ثابت أبي المقدم قال: كنت مع أبي جعفر (الباقر) عليه السلام فإذا بجنازة لقوم من جيرته فحضرها وكنت قريباً منه، فسمعتة يقول: اللهم إنك أنت خلقت هذه النفوس وأنت تميتها وأنت تحييها، وأنت أعلم بسررائها وعلانيتها منا ومستقرها ومستودعها. اللهم وهذا عبدك ولا أعلم منه شراً وأنت أعلم به، وقد جئناك شافعين لبعده موته فإن كان مستوجباً فشفعنا فيه واحشره مع من كان يتولاه. انتهى.

ونحوه في الكافي: ٣/١٨٥، ورواه الشيخ في تهذيب الأحكام: ٣/١٩٦ ورواه الحر العاملي في وسائل الشيعة: ٢/٢٣٧

وينبغي الالتفات إلى عبارة (فإن كان مستوجباً فشفعنا فيه) فهي تدل على وجود قانون استحقاق الشفاعة وعدم استحقاقها. وعبارة (واحشره مع من كان يتولاه) التي تدل على قانون (يوم ندعو كل أناس بإمامهم) وهما قانونان مترابطان.

أما منطق (وجبت) فيقول لو كان الميت فاجراً مثل فرعون ومدح جنازته شخصان، لوجب أن يصير من أهل الجنة ويحشر يوم القيامة إلى جنب الأنبياء (عليهم السلام)!

هذا، وقد روى في الكافي رواية صحيحة طريفة تتضمن أضواء مهمة على قانون الشفاعة قال في: ٣/١٨٧:

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد بن عثمان، عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن كان مستضعفاً فقل: اللهم اغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم، وإذا كنت لا تدري ما حاله فقل: اللهم إن كان يحب الخير وأهله فاغفر له وارحمه وتجاوز عنه، وإن كان المستضعف منك بسبيل فاستغفر له على وجه الشفاعة لا على وجه الولاية. انتهى.
وروى في نفس الصفحة عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً قال: الترحم على جهتين: جهة الولاية وجهة الشفاعة. ورواه في وسائل الشيعة: ٢/٢٣٧.

ففي هذا الرواية منطوق دقيق في التعامل مع الميت والشهادة له.. إن كنت لا تدري ما حاله، أو كان مستضعفاً فكرياً لا يعرف الحق من الباطل، أو كان معانداً يعرف الحق وينكره.. أو كان ممن يبغض أهل البيت (عليهم السلام) وينصب العداوة لهم.. وادع له على نحو الولاية ووحدة الإمام الذي استدعى أنت وإياه به يوم القيامة، أو على جهة الشفاعة لأرحامك إن لم يكن عارفاً بحق أهل بيت نبيه.. إلى آخر النقاط المنسجمة مع اليقينيات العقلية والشرعية.

قد يقال: يوجد في روايات أهل البيت (عليهم السلام) شبيه لرواية (وجبت)

فقد روى الكليني في الكافي: ٣/١٧٣ عن أبي علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن ابن فضال، عن علي بن عقبة، عن ميسر قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: من تبع جنازة مسلم أعطى يوم القيامة أربع شفاعات ولم يقل شيئاً إلا وقال الملك: ولك مثل ذلك. انتهى.

ورواه الصدوق في من لا يحضره الفقيه: ١/١٦١ والشيخ في تهذيب الأحكام: ١/٤٥٥ والحر في وسائل الشيعة: ٢/٢٨٨ وقال: ورواه في المجالس عن محمد بن الحسن عن الصفار عن أحمد بن محمد بن محمد عن الحسن بن علي بن فضال. ورواه الشيخ بإسناده عن أبي علي الأشعري مثله. انتهى.

ولكن الفرق كبير بين رواية تعطى حق الشفاعة لشخص على عمل يقوم به، وبين رواية تعطى الجنة أو النار مجاناً بكلمة يقولها شخص أو اثنان بعد موته!!

وقد وجدنا في مصادر إخواننا السنين رواية شبيهة بما مصادرنا في الدعاء للميت في الصلاة على جنازته رواها أحمد في مسنده: ٢/٢٥٦ قال: سمعت أبا هريرة ومروان فقال: بعض حديثك عن رسول الله (ص) أو حديثك عن رسول الله (ص)؟ ثم رجع، فقلنا الآن يقع به قال: كيف سمعت رسول الله (ص) يصلي على الجنائز؟ قال سمعته يقول: أنت خلقتها وأنت رزقتها وأنت هديتها للإسلام، وأنت قبضت روحها تعلم سرها وعلايتها، جننا شفعا فاعفر لها. انتهى.

شفاعة النبي للظالمين من الأمة

قال الله تعالى: وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ. ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ. جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ. وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ. الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ. فاطر: ٣١ - ٣٥

اتفق الجميع على أن موضوع الآية: الذين اصطفاهم الله تعالى وأورثهم الكتاب بعد النبي صلى الله عليه وآله بقرينه أن السياق قبلها عن الكتاب الموحى إلى نبينا صلى الله عليه وآله.

واتفقوا على أن الأقسام الثلاثة للذين اصطفاهم هم من أهل الجنة بدليل السياق حيث انتقل الكلام بعد المصطفين إلى الكافرين. والذي يتصل بموضوعنا من ذلك تعيين هؤلاء المصطفين ورثة الكتاب الإلهي.. فقد ذهب السنون إلى أنهم جميع المسلمين، وأنهم جميعاً في الجنة إما بالاستحقاق أو بالشفاعة.

ومذهبنا أن هؤلاء المصطفين ورثه الكتاب هم ذرية النبي صلى الله عليه وآله من ابنته فاطمة عليها السلام وأن السابقين بالخيرات منهم هم الأئمة المعصومون (عليهم السلام) والمقتصدين أتباعهم، والظالمين لانفسهم مخالفوهم.. وفيما يلي تفصيل هذه الآراء:

قال كعب الأحبار هم جميع المسلمين و هم في الجنة

الظاهر أن أقدم القائلين بهذا الرأي كعب الأحبار وأنه اعتمد على استنتاجه الشخصي وليس على رواية عن النبي صلى الله عليه وآله فقد

قال السيوطي في الدر المنثور: ٥/٢٥٢: وأخرج عبد بن حميد عن صالح أبي الخليل قال قال كعب: يلومني أحبار بني اسرائيل أني دخلت في أمة فرقههم الله ثم جمعهم ثم أدخلهم الجنة! ثم تلا هذه الآية: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، حتى بلغ جنات عدن يدخلونها قال قال: فأدخلهم الله الجنة جميعاً.

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عبد الله بن الحارث أن ابن عباس سأل كعباً عن قوله: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا.. الآية، قال: نجوا كلهم. ثم قال: تحاكت منا كبهم ورب الكعبة ثم أعطوا الفضل بأعمالهم. وفي تفسير الطبري: ٢٢/٨٨، عن كعب:

إن الظالم لنفسه من هذه الأمة والمقتصد والسابق بالخيرات كلهم في الجنة، ألم تر أن الله قال: ثم أورثنا الكتاب الذي اصطفينا... الخ. وروى أيضاً بعض ما تقدم في الدر المنثور.

و قال الخولاني إنه قرأ ذلك في كتب اليهود

قال السيوطي في الدر المنثور: ٥/٢٥٢:

وأخرج عبد بن حميد عن أبي مسلم الخولاني قال: قرأت في كتاب الله أن هذه الأمة تصنف يوم القيامة على ثلاثة أصناف: صنف منهم يدخلون الجنة بغير حساب، وصنف يحاسبهم الله حساباً يسيراً ويدخلون الجنة، وصنف يوقفون ويؤخذ منهم ما شاء الله، ثم يدركهم عفو الله وتجاوزه.

عائشة و عثمان يوافقان كعبا على تفسيره

روى الحاكم أن عائشة وافقت كعباً على تفسيره قال في المستدرک: ٢/٤٢٦:

عقبه بن صهبان الحراني قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: يا أم المؤمنين أرأيت قول الله عز وجل: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإذن الله ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ؟ فقالت عائشة رضي الله عنها: أما السَّبَاقُ فمن مضى في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله فشهد له بالحياة والرزق. وأما المقتصد فمن اتبع آثارهم فعمل بأعمالهم حتى يلحق بهم. وأما الظالم لنفسه فمثلى ومثلك ومن اتبعنا، وكل في الجنة!! صحيح الإسناد ولم يخرجاه. انتهى. ورواه في مجمع الزوائد: ٧/٩٦. وقال عنه السيوطي في الدر المنثور: ٥/٢٥١: وأخرج الطيالسي وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط والحاكم وابن مردويه عن عقبه بن صهبان قلت لعائشة... الخ.

وروى السيوطي في الدر المنثور أن الخليفة عثمان أيضاً وافق كعباً على تفسيره قال في: ٥/٢٥٢: وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن عثمان بن عفان أنه نزع بهذه الآية قال: إن سابقنا أهل جهاد، ألا وإن مقتصدنا ناج أهل حضرنا، ألا وإن ظالماً أهل بدونا. انتهى. ورواه في كثر العمال: ٢/٤٨٥

وواضح من الروايتين أن عائشة و عثمان اعتمدا على كعب الأحبار، أو على فهمهما للآيات، ولم يذكر رواية عن النبي صلى الله عليه وآله

وآله.

الحسن البصرى يرد تفسير كعب الأحبار

قال السيوطى فى الدر المنثور: ٥/٢٥٢:

وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقى عن كعب الأحبار أنه تلا هذه الآية: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا، إلى قوله لغوب، قال: دخلوها ورب الكعبة. وفى لفظ قال: كلهم فى الجنة، ألا ترى على أثره والذين كفروا لهم نار جهنم، فهؤلاء أهل النار. فذكر ذلك للحسن فقال: أبت ذلك عليهم الواقعة! وأخرج عبد بن حميد عن كعب فى قوله: جنات عدن يدخلونها قال: دخلوها ورب الكعبة، فأخبر الحسن بذلك فقال: أبت والله ذلك عليهم الواقعة. انتهى.

ويقصد الحسن البصرى بذلك أن التقسيم الثلاثى للناس الذى ورد فى سورة الواقعة يرد تفسير كعب وهو قوله تعالى: وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً. فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ. وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ. وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ. الواقعة: ٧-١١ وكلام البصرى قوى لأن الخطاب عنده فى الآية للمسلمين، ولو كان المقصود بالمصطفين الذين أورثهم الله الكتاب كل المسلمين لكانوا جميعاً من أهل الجنة، ولما بقى معنى لتقسيمات القرآن لهم فى سورة الواقعة إلى أصحاب يمين وشمال وسابقين. فهذا التقسيم يدل على أن من المسلمين من يدخل النار.

وإن ناقشنا فى استدلال الحسن البصرى، فتدل على رأيه الأحاديث والأدلة المتقدمة فى الرد على مذاهب توسع الشفاعة!

الخليفة عمر يميل إلى تفسير كعب

روى السيوطى فى الدر المنثور عن الخليفة عمر أنه خالف تفسير كعب الأحبار، وأن رأيه كان كما قال الحسن البصرى.. قال فى: ٥/٢٥٢:

وأخرج ابن مردويه عن عمر عن النبي (ص) فى قوله فمنهم ظالم لنفسه قال: الكافر. انتهى. ويحتمل أن تكون هذه الرواية تفسيراً للآية ٣٢ من سورة لقمان وهى قوله تعالى: وَإِذَا عَشِيتُهُمْ مُوجُّ كَالظَّلْمِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبُرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ. ولكنها على أى حال تنطبق على موضوعنا لأنها تفسر معنى (الظالم لنفسه).

ولكن من البعيد أن تصح هذه الرواية، لأنه ورد عن عمر أنه كان يردد تفسير كعب، إلا أن نقول إنه كان يفسرها بذلك قبل أن يسمع تفسيرها من كعب!

قال السيوطى فى الدر المنثور: ٥/٢٥٢:

وأخرج سعيد بن منصور وابن أبى شيبة وابن المنذر والبيهقى فى البعث عن عمر بن الخطاب أنه كان إذا نزع بهذه الآية قال: ألا إن سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له. انتهى. (والشوكانى فى فتح القدير: ٤/٤٤١، ورواه فى كنز العمال: ٢/٤٨٥).

وقال فى هامشه: نزع بهذه الآية... ومنه الحديث: لقد نزعت بمثل ما فى التوراة، أى: جئت بما يشبهها اهـ قلت: فكأن أمير المؤمنين عمر (رض) يأتى برأيه بما يشبه ظاهر الآية، ولا عجب فقد نزلت آيات توافق رأيه. انتهى.

غير أن معنى نزع بالآية: شرع فيها فقرأها أو فسرهما، لا أنه أتى بشيبيها، كما زعم مهمش كنز العمال، وأين الشبيه الذى أتى به عمر!

وغرضنا هنا تفسير عمر للآية بأن الظالم مغفور له، وهو مؤشِّر على أنه قبل تفسير كعب بأن المقصود بالآية كل المسلمين.

وتوجد رواية نقلها السيوطى قد يفهم منها أن عمر روى ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله.

قال فى الدر المنثور: ٥/٢٥٢:

وأخرج العقيلي وابن هلال وابن مردويه والبيهقى من وجه آخر عن عمر بن الخطاب سمعت رسول الله (ص) يقول: سابقنا سابق،

ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له، وقرأ عمر: فمنهم ظالم لنفسه الآية. انتهى.

وروى السيوطي نحوها عن أنس، ورواها في كنز العمال: ٢/١٠ وفي ٤٨٥/ عن عمر وأضاف إلى روايتها: الديلمي في الفردوس والبيهقي في البعث والنشور. انتهى.

ولكن عمر لم يصرح فيها بأن النبي صلى الله عليه وآله كان يقصد كل الأمة، فقد يكون صلى الله عليه وآله قصد بقوله: سابقنا ومقتصدنا وظالمنا، ذريته وأهل بيته الذين أورثهم الله الكتاب كما أورثه آل إبراهيم وآل عمران، من نوع قوله صلى الله عليه وآله: المهدي منا، بنا فتح الله وبنا يختم، وشهيدنا خير الشهداء.. الخ. وهو في كلامه كثير صلى الله عليه وآله.

وعلى هذا الإحتمال يبطل الإستدلال بأن المقصود بورثة الكتاب كل الأمة، لأنه يحتمل أن يكونوا بعضها.. خاصة بعد أن نصت أن بعض الأحاديث على أنهم بعض الأمة وليس كلها:

قال السيوطي في الدر المنثور: ٥/٢٥١:

وأخرج الطبراني والبيهقي في البعث عن أسامة بن زيد (رض): فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات، قال قال رسول الله (ص): كلهم من هذه الأمة، وكلهم في الجنة. انتهى. ونقله في كنز العمال: ٢/٤٨٦.

ويؤيد ذلك ما رواه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/٩٦ عن أسامة بن زيد قال: فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ، الآية، قال النبي (ص): كلهم من هذه الأمة. رواه الطبراني وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وهو سى الحفظ. انتهى.

وتعبير كلهم من الأمة يدل على أنهم ليسوا كل الأمة، ويكون هذا الحديث من ابن أبي ليلى السى الحفظ على حد تعبير الهيثمي معقولاً أكثر من كلام غيره!

إلى هنا يبدو أنه لا مشكلة في تفسير ورثة الكتاب ببعض الأمة وهم ذرية النبي صلى الله عليه وآله.. وأن هؤلاء الذرية كلهم مقبولون بشرط أن لا يدعوا الناس إلى أنفسهم كما سيأتي، وأن الذين يمثلون خط جدهم هم السابقون منهم صلى الله عليه وعليهم.

لكن تبقى مجموعة روايات في مصادر السنين تؤكد على تفسير كعب وتنسبه إلى النبي صلى الله عليه وآله! لكنها تصطدم بسورة الواقعة على حد قول الحسن البصري، كما تصطدم بحكم العقل والأدلة المتقدمة التي لا تسمح بالقول إن كل مسلم في الجنة!!

وأول سؤال عن هذه الروايات: أين كانت عندما فسر كعب وعائشة وعثمان وعمر آيات ورثة الكتاب الإلهي، وكانت موضوعاً مهماً يطرحه كعب الأبحار مع اليهود، وي طرحه الخليفة عمر في مجلسه أو على منبر الجمعة؟!

إن عدم احتجاج أحد بها، يوجب الشك في سندها، أو القول بأن النبي صلى الله عليه وآله كان يتحدث عن اصطفاء الله تعالى لذريته من أولاد فاطمة وورثة خطه في الأمة (عليهم السلام) وقال كلهم من هذه الأمة، فرواها الراوي (كل هذه الأمة) ويوجد لذلك نظائر!

فكم من ميزة للعترة الطاهرة جعلت بسبب بساطة الرواة، لكل الأمة!

ومما يؤيد ذلك وجود روايات مترددة في جعل هؤلاء المصطفين مجموع الأمة..

كالذي رواه أحمد: ٣/٧٨: عن أبي سعيد الخدري عن النبي (ص) أنه قال: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ، قال: هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة، وكلهم في الجنة! ورواه الترمذي في: ٥/٤١ وقال (هذا حديث

غريب حسن) ورواه في الدر المنثور: ٥/٢٥١ عن الطيالسي وأحمد وعبد بن حميد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري... انتهى.

وقريب منه ما رواه الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠/٣٧٨ والطبراني كما في الدر المنثور: ٥/٢٥٢ عن ابن عباس، وكذا شهادة البراء بن عازب التي نقلها الهيثمي عن سعيد بن منصور، والبيهقي في البعث وجاء فيها (أشهد على الله أنه يدخلهم الجنة جميعاً).

فكل هذه الروايات تنص على أنهم من أهل الجنة، وأنهم من هذه الأمة لا كلها.. الأمر الذي يوجب الشك في تعبير أنهم: كل الأمة! هذا، وقد ارتكب الحاكم خطأ في ميله إلى تصحيح حديث نسبوه إلى أبي الدرداء في تفسير الآية يقول إن الظالمين من المسلمين

يحاسبون حساباً يسيراً ثم يدخلون الجنة بالشفاعة!

قال في المستدرک: ٢/٤٢٦:

عن أبي الدرداء (رض) قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في قوله عز وجل: **فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ**، قال: السابق والمقتصد يدخلان الجنة بغير حساب، والظالم لنفسه يحاسب حساباً يسيراً ثم يدخل الجنة. ثم قال الحاكم: وقد اختلفت الروايات عن الأعمش في إسناد هذا الحديث فروى عن الثوري، عن الأعمش، عن أبي ثابت، عن أبي الدرداء (رض)، وقيل عن شعبه، عن الأعمش، عن رجل من ثقيف، عن أبي الدرداء. وقيل، عن الثوري أيضاً، عن الأعمش قال: ذكر أبو ثابت، عن أبي الدرداء. وإذا كثرت الروايات في الحديث ظهر أن للحديث أصلاً. انتهى.

وحسب ما ذكره السيوطي فقد ارتكب البيهقي نفس الخطأ أيضاً قال في الدر المنثور: ٥/٢٥١: وأخرج الفريابي وأحمد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وابن مردويه والبيهقي عن أبي الدرداء... ثم قال السيوطي: قال البيهقي: إن كثرت الروايات في حديث ظهر أن للحديث أصلاً.

والخطأ هو تطبيق قاعدة أن (كثرة الروايات في إسناد حديث تدل على أن له أصلاً) على هذا الحديث الذي نسب بثلاث نسب إلى أبي الدرداء كلها بلفظ قيل، وإحداها عن رجل من ثقيف عن أبي الدرداء، أو رجل لم يسم! فهذا ليست كثرة إسناد، بل كثرة تردد في الاسناد وعدم قطع به، وكثرة الإحتمالات من هذا النوع ككثرة أسماء السنور لا تزيد في قيمته!

وقد كان الهيثمي أدق من الحاكم عندما علق صحة الحديث على احتمال أن يكون الرجل المجهول ابن عمير فقال في مجمع الزوائد: ٧/٩٦: رواه الطبراني عن الأعمش عن رجل سماه، فإن كان هو ثابت بن عمير الأنصاري كما تقدم عند أحمد فرجال الطبراني رجال الصحيح. انتهى.

وقصده بما تقدم ما ذكره في نفس المجلد/٩٥ حيث قال (رواه أحمد بأسانيد رجال أحدها رجال الصحيح، وهي هذه إن كان على بن عبد الله الأزدي سمع من أبي الدرداء فإنه تابعي) انتهى.

فأين كثرة الاسانيد إلى أبي الدرداء! بل أين السند الواحد القطعي!

وأخيراً، نلاحظ في بعض روايات تفسير الآية بكل الأمة ضعفاً لا يتفق مع بلاغة الحديث النبوي وقوة منطقه، كحديث عوف بن مالك الذي سيأتي في نظرية الفداء المزعومة من النار.

قال أهل البيت لا يمكن أن تشمل الآية كل الأمة

الإعتقادات للصدوق/٨٧:

وسئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل: **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإذن الله**، قال: الظالم لنفسه هنا من لم يعرف حق الإمام، والمقتصد من عرف حقه، والسابق بالخيرات بإذن الله هو الإمام.

وسأل إسماعيل أباه الصادق عليه السلام قال: ما حال المدنيين منا؟ فقال عليه السلام: ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب، من يعمل سوء يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً.

الاحتجاج: ٢/٣٠١:

وعن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الآية: **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا؟** قال: أي شيء تقول؟ قلت: إنني أقول إنها خاصة لولد فاطمة. فقال عليه السلام: أما من سل سيفه ودعا الناس إلى نفسه إلى الضلال من ولد فاطمة وغيرهم فليس بداخل في الآية، قلت: من يدخل فيها؟ قال: الظالم لنفسه الذي لا يدعو الناس إلى ضلال ولا هدى، والمقتصد منا أهل البيت هو

العارف حق الإمام، والسابق بالخيرات هو الإمام.

بصائر الدرجات/٤٤:

حدثنا أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن ابن مسكان، عن ميسر، عن سورة بن كليب، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال في هذه الآية: **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا..** الآية، قال: السابق بالخيرات الإمام فهي في ولد علي وفاطمة (عليهم السلام).

شرح الأخبار: ٢/٥٠٥:

حماد بن عيسى بإسناده، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام أنه سئل عن قول الله عز وجل: **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ.** قال: فينا أنزلت أورث الله عز وجل الكتاب الأئمة منا، وقوله: **فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ** يعني منهم من لا يعرف إمام زمانه ولا يأت به فهو ظالم لنفسه بذلك، وقوله: **وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ**، يعني من هو منهم في النسب ممن عرف إمام زمانه واثم به واتبه فاقصد سبيل ربه بذلك، والسابق بالخيرات هو الإمام منا.

شرح الأخبار: ٣/٤٧٢:

الرازي قال: قال أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام: ما يقول من قبلكم في هذه الآية: **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يَأْذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ.** جَنَاتٌ عِدْنٍ يُدْخَلُونَهَا...؟ قال قلت يقولون: نزلت في أهل القبلة. قال: كلهم؟! قلت كلهم. قال فينبغي أن يكونوا قد غفر لهم كلهم؟! قلت: يابن رسول الله فيمن نزلت؟ قال: فينا. قلت: فما لشيئكم؟ قال: لمن اتقى وأصلح منهم الجنة، بنا يغفر الله ذنوبهم، وبنا يقضى ديونهم، ونحن باب حطتهم كحطه بنى إسرائيل.

الثاقب في المناقب/٥٦٦:

وعنه قال: كنت عند أبي محمد عليه السلام فسألته عن قول الله تعالى: **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يَأْذِنُ اللَّهُ؟** فقال عليه السلام: كلهم من آل محمد (عليهم السلام) الظالم لنفسه الذي لا يقر بالإمام، والمقتصد العارف بالإمام والسابق بالخيرات يأذن الله: الإمام.

البحار: ٢٣/٢١٨:

روى السيد ابن طاووس في كتاب سعد السعود من تفسير محمد بن العباس بن مروان قال: حدثنا علي بن عبد الله بن أسد، عن إبراهيم بن محمد، عن عثمان بن سعيد، عن إسحاق بن يزيد الفراء، عن غالب الهمداني، عن أبي إسحاق السبيعي قال: خرجت حاجاً فلقيت محمد بن علي فسألته عن هذه الآية: **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ..** الآية؟ فقال: ما يقول فيها قومك يا أبا إسحاق؟ يعني أهل الكوفة، قال: قلت يقولون إنها لهم، قال: فما يخوفهم إذا كانوا من أهل الجنة؟! قلت: فما تقول أنت جعلت فداك؟ فقال: هي لنا خاصة يا أبا إسحاق، أما السابق بالخيرات فعلى بن أبي طالب والحسن والحسين والشهيد منا أهل البيت، وأما المقتصد فصائم بالنهار وقائم بالليل، وأما الظالم لنفسه ففيه ما جاء في التائبين وهو مغفور له.

يا أبا إسحاق بنا يفك الله عيوبكم، وبنا يحل الله رباق الذل من أعناقكم، وبنا يغفر الله ذنوبكم، وبنا يفتح الله وبنا يختم لا بكم، ونحن كهفكم كأصحاب الكهف، ونحن سفينتكم كسفينه نوح، ونحن باب حطكم كباب حطه بنى إسرائيل.

وقال ابن شعبة الحراني في تحف العقول/٤٢٥:

لما حضر علي بن موسى (عليهما السلام) مجلس المأمون وقد اجتمع فيه جماعة علماء أهل العراق وخراسان. فقال المأمون: أخبروني عن معنى هذه الآية: **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا..** الآية؟ فقالت العلماء: أراد الله الأمة كلها.

فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟

فقال الرضا عليه السلام: لا أقول كما قالوا ولكن أقول: أراد الله تبارك وتعالى بذلك العترة الطاهرة (عليهم السلام).

فقال المأمون: وكيف عنى العترة دون الأمة؟

فقال الرضا لنفسه: وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقُ بِالْخَيْرَاتِ يَأْذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ. ثم جعلهم كلهم في الجنة فقال عز وجل: جَنَّاتٌ عَرْضُهَا يُدْخِلُونَهَا، فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم. ثم قال الرضا عليه السلام: هم الذين وصفهم الله في كتابه فقال: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً، وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، يا أيها الناس لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم.

قالت العلماء: أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة هم الال أو غير الال؟

فقال الرضا عليه السلام: هم الآل.

فقالت العلماء: فهذا رسول الله يؤثر عنه أنه قال: أمتي آلي، وهؤلاء أصحابه يقولون بالخبر المستفيض (!!) الذي لا يمكن دفعه: آل محمد أمته!

فقال الرضا عليه السلام: أخبروني هل تحرم الصدقة على آل محمد؟

قالوا: نعم.

قال عليه السلام: فتحرم على الأمة؟

قالوا: لا.

قال عليه السلام: هذا فرق بين الآل وبين الأمة، ويحكم أين يذهب بكم أصرفتم عن الذكر صفحاً أم أنتم قوم مسرفون، أما علمتم أنما وقعت الرواية في الظاهر على المصطفين المهتدين دون سائرهم!

قالوا: من أين قلت يا أبا الحسن؟

قال عليه السلام: من قول الله: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ، فصارت وراثته النبوة والكتاب في المهتدين دون الفاسقين. أما علمتم أن نوحاً سأل ربه فقال: رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق، وذلك أن الله وعده أن ينجيه وأهله، فقال له ربه تبارك وتعالى: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلِنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنْ أَعْطَاكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ.

فقال المأمون: فهل فضل الله العترة على سائر الناس؟

فقال الرضا عليه السلام: إن الله العزيز الجبار فضل العترة على سائر الناس في محكم كتابه.

قال المأمون: أين ذلك من كتاب الله؟

قال الرضا عليه السلام: في قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، وقال الله في موضع آخر: أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا، ثم رد المخاطبة في أثر هذا إلى سائر المؤمنين فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ يَعْنِي الَّذِينَ أَوْرَثَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَحَسَدُوا عَلَيْهِمَا بقوله: أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا، يعنى الطاعة للمصطفين الطاهرين، والملك هاهنا الطاعة لهم.

قالت العلماء: هل فسر الله تعالى الاصطفاء في الكتاب؟

فقال الرضا عليه السلام: فسر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثني عشر موضعاً. فأول ذلك قول الله: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ،

وهذه منزلة رفيعة وفضل عظيم وشرف عال حين عنى الله عز وجل بذلك الآل فهذه واحدة.

والآية الثانية فى الإصطفاء قول الله: **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**، وهذا الفضل الذى لا يجحده معاند، لأنه فضل بين.

والآية الثالثة، حين ميز الله الطاهرين من خلقه أمر نبيه فى آية الإبتهاال فقال: **قل يا محمد تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين**، فأبرز النبى صلى الله عليه وآله علياً والحسن والحسين وفاطمة (عليهم السلام) فقرن أنفسهم بنفسه. فهل تدرون ما معنى قوله: **وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ؟**
قالت العلماء: عنى به نفسه.

قال أبو الحسن عليه السلام: غلطتم، إنما عنى به علياً عليه السلام، ومما يدل على ذلك قول النبى صلى الله عليه وآله حين قال: لىنتهين بنو وليعة أو لأبعثن إليهم رجلاً كنفسى، يعنى علياً عليه السلام. فهذه خصوصية لا يتقدمها أحد، وفضل لا يختلف فيه بشر، وشرف لا يسبقه إليه خلق، إذ جعل نفس على عليه السلام كنفسه، فهذه الثالثة.

وأما الرابعة: فأخراجه الناس من مسجده ما خلا العترة، حين تكلم الناس فى ذلك وتكلم العباس فقال: يارسول الله تركت علياً وأخرجتنا! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أنا تركته وأخرجتكم، ولكن الله تركه وأخرجكم. وفى هذا بيان قوله لعلى عليه السلام: أنت منى بمنزلة هارون من موسى.

قالت العلماء: فأين هذا من القرآن؟

قال أبو الحسن عليه السلام: أوجدكم فى ذلك قرآناً أقرؤه عليكم.

قالوا: هات.

قال عليه السلام: قول الله عز وجل: **وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً**، ففى هذه الآية منزلة هارون من موسى، وفيها أيضاً منزلة على عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله. ومع هذا دليل ظاهر فى قول رسول الله صلى الله عليه وآله حين قال: إن هذا المسجد لا يحل لجنب ولا لحائض إلا لمحمد وآل محمد صلى الله عليه وآله

فقلت العلماء: هذا الشرح وهذا البيان لا يوجد إلا عندكم معشر أهل بيت رسول الله!

قال أبو الحسن عليه السلام: ومن ينكر لنا ذلك؟! ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد مدينة العلم فليأتها من بابها، ففىما أوضحنا وشرحنا من الفضل والشرف والتقدم والإصطفاء والطهارة ما لا ينكره إلا معاند، والله عز وجل الحمد على ذلك. فهذه الرابعة.

وأما الخامسة، فقول الله عز وجل: **وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ**، خصوصية خصهم الله العزيز الجبار بها، واصطفاهم على الأمة، فلما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **أدعوا لى فاطمة فدعوها له فقال: يا فاطمة، قالت: لىبك يا رسول الله، فقال: إن فدكاً لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، وهى لى خاصة دون المسلمين. وقد جعلتها لك لما أمرنى الله به فخذها لك ولولدك فهذه الخامسة.**
وأما السادسة: فقول الله عز وجل: **قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** فهذه خصوصية للنبى صلى الله عليه وآله دون الأنبياء، وخصوصية للآل دون غيرهم. وذلك أن الله حكى عن الأنبياء فى ذكر نوح عليه السلام: **وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمِمَّا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ**، وحكى عن هود عليه السلام قال: **لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذى فَطَرَنى أَفَلَا تَعْقِلُونَ**، وقال لنبى صلى الله عليه وآله: **قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**.

ولم يفرض الله مودتهم إلا وقد علم أنهم لا يرتدون عن الدين أبداً ولا يرجعون إلى ضلالة أبداً... إلى آخر الحديث.

ورواه فى بشارة المصطفى/ ٢٢٨ وفى بحار الأنوار: ٢٥/٢٢٠

روى مسلم في: ٨/١٠٤:

عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله (ص): إذا كان يوم القيامة دفع الله عز وجل إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول هذا فكاكك من النار!! ورواه ابن ماجه: ٢/١٤٣٤ عن أنس وزاد في أوله (إن هذه الأمة مرحومة عذابها بأيديها) وقال في هامشه: في الزوائد: له شاهد في صحيح مسلم من حديث أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه. وقد أعله البخاري.

وقال السيوطي في الدر المنثور: ٥/٢٥١:

وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني عن عوف بن مالك عن رسول الله (ص): أمتي ثلاثة أثلاث، فثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حساباً يسيراً ثم يدخلون الجنة، وثلث يمحصون ويكسفون، ثم تأتي الملائكة فيقولون وجدناهم يقولون لا إله إلا الله وحده فيقول الله: أدخلوهم الجنة بقولهم لا إله إلا الله وحده واحملوا خطاياهم على أهل التكذيب، وهي التي قال الله: وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وتصديقاً في التي ذكر الملائكة قال الله تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، فهذا الذي يكسف ويمحص، ومنهم مقتصد وهو الذي يحاسب حساباً يسيراً، ومنهم سابق بالخيرات فهو الذي يلج الجنة بغير حساب ولا عذاب بإذن الله، يدخلونها جميعاً لم يفرق بينهم، يحلون فيها من أساور من ذهب إلى قوله لغوب. انتهى. ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/٩٥ وقال: رواه الطبراني وفيه سلامة بن رونج وثقه ابن حبان وضعفه جماعة وبقية رجاله ثقات.

وقال النبهاني في جامع الثناء على الله: ٤١:

روى الإمام أحمد، عن أبي موسى، عن النبي (ص) قال: يجمع الله الأمم في صعيد واحد يوم القيامة، فإذا بدأ الله يصدع بين خلقه مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون فيتبعونه حتى يقمهم النار، ثم يأتينا ربنا عز وجل ونحن على مكان رفيع فيقول: من أنتم؟ فنقول: نحن المسلمون، فيقول: ما تنتظرون؟ فنقول: ننتظر ربنا! فيقول: وهل تعرفونه إن رأيتموه؟ فنقول: نعم، فيقول كيف تعرفونه ولم تعرفوه؟ فنقول: نعم، إنه لا عدل له فيتجلى لنا ضاحكاً!! فيقول: أبشروا يا معشر الإسلام فإنه ليس منكم أحد إلا جعلت في النار يهودياً أو نصرانياً مكانه!! انتهى

وما ذكره النبهاني رواه أحمد في: ٤/٤٠٧ و ٤٠٨ ورواه أيضاً في: ٤/٣٩١ وص ٣٩٨ وص ٤٠٢ وص ٤١٠ بروايات متعددة، وفي كنز العمال: ١/٧٣ وص ٨٦ وج ١٢/١٥٩ وص ١٧٠-١٧٢ وج ٤/١٤٩ عن مصادر متعددة.

وما تدعيه هذه الروايات من رفع جرائم أحد ووضعها على ظهر أحد لا علاقة له بجرمه.. أمر لا يقبله دين ولا عقل، ويرده قوله تعالى (لا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى).

أما الذين قال الله تعالى إنهم يحملون أثقالاً مع أثقالهم، فإنهم المصطلون الذين يحملون من أثقال الذين أضلوهم، لأنهم شركاء في كفرهم ومعاصيهم، ثم لا ينقص من أثقال الضالين شيء، لا أن جرائمهم تسقط كما تدعى هذه الرواية!!

والظاهر أن هذه المقولات ردة فعل من بعض المسلمين على زعم اليهود بأنهم لا تمسهم النار إلا أياماً معدودة ثم يخلفهم فيها المسلمون، كما تقدم في فصل الشفاعة عند اليهود! فاخترع لهم أبو موسى الأشعري أو غيره نظرية فداء المسلم من النار يهودى أو نصرانى! كما يفعل المجرم الشاطر فيفدى نفسه من مشكلة تحصل له في الدنيا بأن يجعلها في رقبته غيره زوراً وبهتاناً!!

اسقاط المحرمات عن أهل بدر

قال البخاري في صحيحه: ٥/١٠:

عن علي (رض) قال: بعثني رسول الله (ص) وأبا مرثد والزبير وكلنا فارس قال: إنطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين، فأدر كناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله (ص)، فقلنا: الكتاب!

فقلت: ما معنا كتاب! فأخذناها فالتمسنا فلم نر كتاباً، فقلنا: ما كذب رسول الله (ص)، لتخرجن الكتاب أو لنجردنك، فلما رأت الجد أهوت إلى حجزتها وهي محتجزة بكساء فأخرجته، فانطلقنا بها إلى رسول الله (ص) فقال عمر: يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلا- ضرب عنقه، فقال النبي (ص): ما حملك على ما صنعت؟ قال حاطب: والله ما بي أن لا- أكون مؤمناً بالله ورسوله (ص) أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله. فقال: صدق، ولا تقولوا له إلا خيراً، فقال عمر: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلاضرب عنقه، فقال: أليس من أهل بدر؟ فقال: لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم. فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم. انتهى.

ورواه مسلم في صحيحه: ٧/١٦٨ وقال (وليس في حديث أبي بكر وزهير ذكر الآية وجعلها إسحاق في روايته من تلاوة سفيان).
ورواه أبو داود في سننه: ١/٥٩٧ وج ٢/٤٠٣ والترمذي: ٥/٨٣ والحاكم: ٣/١٣٤ وص ٣٠١ وج ٤/٧٧ والبيهقي في سننه: ٩/١٤٦ والدارمي في: ٢/٣١٣ ورواه أحمد في: ١/٨٠ وص ١٠٥ اوص ٣٣١ وج ٢/١٠٩ وص ٢٩٥... الخ.
ورواه البخاري أيضاً في مواضع عديدة أخرى وجدنا منها سبعة: في: ٤/١٩ وقال بعده (قال سفيان وأى إسناد هذا!) وفي: ٤/٣٩ وفي: ٥/٨٩ وفي: ٦/٦٠ وفيه (قال عمرو ونزلت فيه يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى عدوكم. قال لا أدري الآية في الحديث أو قول عمرو) وفي: ٧/١٣٤ وفي: ٨/٥٥.

والموضعان الاخران روى البخاري فيهما طعناً على علي عليه السلام قال في: ٤/٣٨:
عن أبي عبد الرحمن وكان عثمانياً فقال لابن عطية وكان علويّاً: إنى لأعلم ما الذى جرأ صاحبك على الدماء! سمعته يقول: بعثنى النبي (ص) والزيير فقال إئتوا روضه كذا وتجدون بها امرأة أعطها حاطب كتاباً... فقال: وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: إعملوا ما شئتم! فهذا الذى جرأه. انتهى. وروى نحوه في: ٨/٥٤.

ومن الواضح أن البخاري أعجبه قول أبي عبد الرحمن العثماني حتى رواه مرتين بدون تعليق!
وجوابه: أن علياً عليه السلام لم يكن يعتقد بهذه المقولة التي نسبوها إلى النبي صلى الله عليه وآله عن أهل بدر.. وأن حروبه الداخلية الثلاثة على تأويل القرآن كانت بعهد معهود اليه من رسول الله صلى الله عليه وآله كما رواه البخاري نفسه وغيره!
بل ثبت عندنا أن كل مواقفه وأعماله كانت بعهد ووصية من النبي صلى الله عليه وآله.

وعلى فرض تسليمنا ما يراه البخاري، فالسؤال موجهٌ اليه: مادام الذى جرأ علياً عليه السلام على سفك دماء المسلمين بزعمك، أنه رفع القلم عن أهل بدر، وأن علياً عليه السلام معذورٌ لذلك!

فما هو عذر عدوه معاوية في خروجه على الخليفة الشرعي وقتاله إياه وسفكه لدماء المسلمين؟
وما عذر ك في الدفاع عن معاوية وتوثيقه والرواية عنه؟

إلا أن يكون البخاري قد عدّ معاوية بدرياً لأنه شهدا مع أبيه أبي سفيان في صف المشركين!!

ومن أشرف المواقف السنية في هذا الموضوع موقف الحافظ ابن الجوزي، حيث رد مقولة المغفرة المطلقة لأهل بدر، وفسرها بأنها مغفرة ماضية من ذنوبهم لا ما سيأتي، ثم رد على رواية البخاري بقوله:

ثم دعنا من معنى الحديث، كيف يحل لمسلم أن يظن في أمير المؤمنين على رضى الله عنه فعل ما لا يجوز اعتماداً منه على أنه سيغفر له؟! حوشى من هذا، وإنما قاتل بالدليل المضطر له إلى القتال، فكان على الحق، ولا يختلف العلماء أن علياً لم يقاتل أحداً إلا والحق مع علي، كيف وقد قال رسول الله (ص): اللهم أدر الحق معه كيفما دار! فقد غلط أبو عبد الرحمن غلطاً قبيحاً، حملة عليه أنه كان عثمانياً! انتهى. (الصحيح في السيرة: ٥/١٤١ عن صيد الخاطر/ ٣٨٥)

وينبغي أن نشير أولاً- إلى أن ما رووه من قول النبي صلى الله عليه وآله (لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت

لكم الجنة أو فقد غفرت لكم) معناه القطع بذلك وليس الإحتمال والرجاء.. فعلى هذا تعامل العلماء السنيون مع الحديث، وقد صرح بالقطع واليقين حديث آخر رواه الحاكم وصححه قال في المستدرک: ٤ ص ٧٧: عن أبي هريرة (رض) عن النبي صلى الله عليه وآله قال: إن الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال: إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذا اللفظ على اليقين (إن الله اطلع عليهم فغفر لهم) إنما أخرجاه على الظن وما يدريك لعل الله تعالى اطلع على أهل بدر. انتهى.

وروى مفاده في دلائل النبوة للبيهقي: ٣/١٥٣ قال: عن جابر بن عبد الله: أن عبداً لحاطب بن بلتعنه جاء إلى رسول الله يشكو حاطباً فقال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار! فقال رسول الله (ص): جُذِبْتُ، لا يدخلها فإنه شهد بدرًا والحديبية! انتهى.

ولكن هذه الأحاديث الصحيحة عندهم بمقاييس الجرح والتعديل وأحكامه يواجهها حكم العقل وآيات القرآن وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله القطعية المتفق عليها عند الجميع! إذ لا يمكن لعاقل أن يقبل أن الصحابة من أهل بدر أو كل الصحابة كما تقول روايات أخرى.. مبشرون بالجنة، وأعمالهم مغفورة مهما كانت، وولايتهم فريضة من الله تعالى على المسلمين بعد ولاية الله تعالى وولاية رسوله صلى الله عليه وآله! وأن من لا يتولاهاهم أو ينتقصهم فهو في النار محروم من الشفاعة والجنة ورائحة الجنة، وخارج عن ربة الإسلام... إلى آخر الأحكام التي ذكروها للصحابة، وجعلوها جزء من شريعة الإسلام المقدسة، بل جزء من عقائده الأساسية!!

تقول لهم: يا إخواننا إن الصحابة أنفسهم قد سبَّ بعضهم بعضاً، وتبرأ بعضهم من بعضهم، وكفَّر بعضهم بعضاً، وقاتل بعضهم بعضاً وقتل بعضهم بعضاً! فمن المحق ومن المبطّل؟ ومن المظلوم ومن الظالم؟ ومن يستحق الشفاعة منهم ومن يستحق الحرمان؟

فيقولون: لا تخوضوا في موضوع الصحابة، فكلهم عدول وكلهم في الجنة!

تقول لهم: لقد علمنا النبي صلى الله عليه وآله أن نخوض في أمرهم، فقد ثبت في الصحاح أنه صلى الله عليه وآله أخبر بأن بعضهم يدخل النار وأنهم لا يرونه ولا يراهم في الآخرة، وأن بعضهم يردون عليه الحوض، فيذودهم عنه ويطردهم كما تتردد الأباعر الغريبة!!

فيقولون: لا تخوضوا في موضوع الصحابة، فكلهم عدول وكلهم في الجنة!

وترجمته كلامهم: أنك يجب عليك في موضوع الصحابة أن تعطل عقلك، وتعطل آيات القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله حتى تحافظ على إيمانك بالصحابة وتمسك بهم!

ولكن التناقض لا فرق فيه بين صغير وكبير، فإذا قبلنا به لحل مشكلة الصحابة، فلنقبل به لحل مشكلة الأديان، ولنقل بصحة التثليث والتوحيد، والإيمان والكفر، والوثنية والإسلام.. ولنحلَّ به مشكلة إبليس ونقول إنه عدو الله وولي الله معاً!!

العقل يقول: إذا تناقض أمران أو شخصان في القول ولم يمكن الجمع بين قوليهما، فلا يمكن أن يكون كلا القولين حقاً، لأنه تناقض مستحيل.

وإذا تناقضا في الفعل واقتتلا- فلا- يمكن أن يكون كل منهما على الحق، لأنه تناقض مستحيل.. ولا معنى للقبول بالتناقض إلا تعطيل العقل والتنازل عن قوانين العلية والبدهيّات! وإذا عطلنا العقل، فلا يبقى إيمان بالله ورسوله وكتبه، ولا صحابة ولا مصحوبون!

إن مانعاه على اليهود والنصارى بأن عندهم عقائد لا يقبلها العقل، وأنهم يقبلون ما يناقض عقولهم من أجلها.. يجب أن ننعاه على أنفسنا، لاننا نزعم أن الله تعالى أمرنا بإطاعة صحابة نبينا المتناقضين في أقوالهم وأفعالهم، إلى حد كسر العظم وقطع الرقاب!

ولاننا نقرأ قول الله تعالى (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ..) ثم ندعى أن الله تعالى قد سلّم أمه نبيه صلى الله عليه وآله من بعده إلى صحابة متشاكسين في الفقه والعقائد والسياسة إلى حد التناقض والتكفير والحرب!!

قال المفيد في الإفصاح/٤٩:

فإن قال: أليس قد روى أصحاب الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: خير القرون القرن الذي أنا فيه، ثم الذين يلونه [١].

وقال عليه السلام: إن الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال: إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم [٢] وقال عليه السلام: أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم [٣].

فكيف يصح مع هذه الأحاديث أن يقترب أصحابه السيئات أو يقيموا على الذنوب والكبائر الموبقات؟! قيل له: هذه أحاديث آحاد، وهي مضطربة الطرق والإسناد، والخلل ظاهر في معانيها والفساد، وما كان بهذه الصورة لم يعارض الإجماع، ولا يقابل حجج الله تعالى وبياناته الواضحات، مع أنه قد عارضها من الأخبار التي جاءت بالصحيح من الإسناد، ورواها الثقات عند أصحاب الآثار، وأطبق على نقلها الفريقان من الشيعة والناصبية على الإتفاق، ما ضمن خلاف ما انطوت عليه فأبطلها على البيان: فمنها: ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: لتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتهم. فقالوا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن إذن؟! [٤].

وقال صلى الله عليه وآله في مرضه الذي توفي فيه: أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى [٥]. وقال صلى الله عليه وآله في حجة الوداع لأصحابه: ألا وإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب، ألا لأعرفنكم ترتدون بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا إني قد شهدت وغبتم [٦].

وقال عليه السلام لأصحابه أيضاً: إنكم محشورون إلى الله تعالى يوم القيامة حفاة عراء، وإنه سيجاء رجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم [٧]. وقال عليه السلام: أيها الناس بينا أنا على الحوض إذ مرَّ بكم زمراً، فتفرق بكم الطرق فأناديكم: ألا هلموا إلى الطريق، فيناديني مناد من ورائي: إنهم بدلوا بعدك، فأقول: ألا سحقاً ألا سحقاً [٨].

وقال عليه السلام: ما بال أقوام يقولون: إن رحم رسول الله صلى الله عليه وآله لا تنفع يوم القيامة؟! بلى والله إن رحمى لموصوله في الدنيا والآخرة، وإني أيها الناس فرطكم على الحوض، فإذا جئتم قال الرجل منكم: يا رسول الله أنا فلان بن فلان، وقال الآخر: أنا فلان بن فلان، فأقول: أما النسب فقد عرفته، ولكنكم أحدثتم بعدى فارتددتم القهقري [٩]. وقال عليه السلام وقد ذكر عنده الدجال: أنا لفتنة بعضكم أخوف منى لفتنة الدجال [١٠]. وقال عليه السلام: إن من أصحابي من لا يراني بعد أن يفارقني [١١].

في أحاديث من هذا الجنس يطول شرحها، وأمرها في الكتب عند أصحاب الحديث أشهر من أن يحتاج فيه إلى برهان، على أن كتاب الله عز وجل شاهد بما ذكرناه، ولو لم يأت حديث فيه لكفى في بيان ما وصفناه: قال الله سبحانه وتعالى: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ، فأخبر تعالى عن ردتهم بعد نبيه صلى الله عليه وآله على القطع والثبات، وقال جل اسمه: وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ. فأندرهم الله سبحانه من الفتنة في الدين، وأعلمهم أنها تشملهم على العموم إلا من خرج بعصمة الله من الذنوب.

وقال سبحانه وتعالى: أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتَرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ. أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا سوء ما يحكمون. وهذا صريح في الخبر عن فتنتهم بعد النبي صلى الله عليه وآله بالاختبار، وتمييزهم بالأعمال.

وقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ.. إلى آخر الآيه، دليل على ما ذكرناه. وقوله تعالى: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ. يزيد ما شرحناه.

ولو ذهبنا إلى استقصاء ما في هذا الباب من آيات القرآن والأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله لانتشر القول فيه، وطال به الكتاب.

وفي قول أنس بن مالك: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة فأضاء منها كل شيء، فلما مات عليه السلام أظلم منها كل شيء،

وما نفضنا عن النبي صلى الله عليه وآله الأيدي ونحن في دفنه حتى أنكرنا قلوبنا. [١٢] شاهد عدل على القوم بما بيناه. مع أنا نقول لهذا السائل المتعلق بالأخبار الشواذ المتناقضة ما قدمنا حكايته وأثبتنا أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذين توهمت أنهم لا يقارفون الذنوب ولا يكتسبون السيئات، هم الذين حصروا عثمان بن عفان وشهدوا عليه بالردة عن الإسلام وخلعوه عن إمامة الأنام... إلى آخر كلامه المفيد رحمه الله.

- [١] مسند أحمد ٢: ٢٢٨ سنن أبي داود ٤: ٢١٤/٤٦٥٧ صحيح مسلم ٤: ١٩٦٢/٢١٠ وفيها: خير أمتي القرن.
- [٢] مسند أحمد ١: ٨٠ و ٢: ٢٩٥ صحيح مسلم ٤: ١٩٤١/١٦١ صحيح البخاري ٦: ٣٦٣/٣٨٣ سنن الدرامي ٢: ٣١٣.
- [٣] لسان الميزان ٢: ١٣٧ تفسير البحر المحيط ٥: ٥٢٨ أعلام الموقعين ٢: ٢٢٣ كتر العمال ١٠٠٢/١٩٩: ١ كشف الخفاء ومزيل الالباس ١/١٣٢. وانظر تلخيص الشافي ٢: ٢٤٦.
- [٤] مسند أحمد ٢: ٥١١ سنن ابن ماجه ٢: ١٣٢٢/٣٩٩٤ صحيح البخاري ٤: ٣٢٦/٢٤٩.
- [٥] مسند أحمد ٣: ٤٨٩ مجمع الزوائد ٩: ٢٤ سنن ابن ماجه ٢: ٣٩٦١/١٣١٠.
- [٦] الجامع الصحيح للترمذي ٤: ٤٦١/٢١٥٩ و ٤٨٦/٢١٩٣ صحيح البخاري ٧: ١٨٢ و ٨: ٢٨٥/١٤ و ٩: ٩٠/٢٧ و ٩: ٩٠/٢٧ صحيح مسلم ٣: ١٣٠٥/٢٩ - ٣١ سنن أبي داود ٤: ٢٢١/٤٦٨٦ قطعة منه مسند أحمد ١: ٢٣٠ سنن النسائي ٧: ١٢٧ قطعة منه سنن الدرامي ٢: ٦٩ قطعة منه.
- [٧] صحيح البخاري ٦: ١٠٨ صحيح مسلم ٤: ٢١٩٤/٥٨ الجامع الصحيح للترمذي ٤: ٦١٥/٢٤٢٣ سنن النسائي ٤: ١١٧.
- [٨] مسند أحمد ٦: ٢٩٧.
- [٩] مسند أحمد ٣: ١٨ و ٦٢ قطعة منه.
- [١٠] كتر العمال ١٤: ٣٢٢/٢٨٨١٢.
- [١١] مسند أحمد ٦: ٣٠٧.
- [١٢] الجامع الصحيح للترمذي ٥: ٥٨٨/٣٦١٨ مسند أحمد بن حنبل ٣: ٢٢١/٢٦٨ سنن ابن ماجه ١: ٥٢٢/١٦٣١. انتهى.

حرمان من سب الصحابة من الشفاعة

روى الديلمي في فردوس الأخبار: ٢/٤٩٨ ح ٣٣٩٨:
عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: شفاعتي مباحة إلا لمن سب أصحابي.
وفي: ١/٩٨ ح ١٩٦:
عن عبد الرحمن بن عوف أيضاً وفيه: فشفاعتي محرمة على من شتم أصحابي. ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء كما ذكر في كتر العمال: ١٤/٣٩٨.

وروى الشيرازي في اللقباب وابن النجار كما ذكر كتر العمال: ١٤/٦٣٥:
عن أم سلمة قالت قال رسول الله (ص): نعم الرجل أنا لشرار أمتي! فقال له رجل من مزينه: يا رسول الله أنت لشرارهم فكيف لخيرارهم؟ قال: خيار أمتي يدخلون الجنة بأعمالهم، وشرار أمتي ينتظرون شفاعتي. ألا إنها مباحة يوم القيامة لجميع أمتي إلا رجل ينتقص أصحابي! ونقله كاندهلوي في حياة الصحابة ج ٣/٤٥.

ولا نقصد بنقد هذه الروايات الدفاع عن الذين يسبون بعض الصحابة، فالسب والشتم وكل أنواع البذاءة في المنطق لا يمكن لعاقل أن يدافع عنها، بل لا يرتكبها عاقل في حالة سيطرة عقله على منطقه، فضلاً عن الأتقياء الأبرار.

وإنما غرضنا بيان تهافت منطق هذه الأحاديث في منح الشفاعة والحرمان منها! فهذا المنطق يقول: يجوز للصحابي أن يحكم بفسق الصحابي الآخر أو كفره، وأن يسبه ويهينه ويضربه ويحبسه ويشهر عليه سيفه ويقتله، أو يكيد به ويقتله بالسم أو بالاغتيال، ويجوز له

أن يستعمل كل أساليب السياسة والمناورة والمخادعة ضده، وأن يجمع حوله الناس بالرشوة والتهديد.. وأن يخرج على إمام زمانه ويسبب انشقاقاً في الأمة وحروباً يقتل فيها عشرات ألوف المسلمين، وأن يرتكب كل المحرمات.. ولا بأس بذلك كله، لأنه مغفور له مشمولٌ بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله أو مستحق للجنة بدون شفاعة!!
أما غير الصحابة من المسلمين فلو انتقد صحابياً ولو انتقاداً صغيراً.. فقد شمله مرسوم الحرمان النبوي من الشفاعة وصار مخلداً في النار!!

إنه منطوق يستشكل في الحجة ويأكل القبة! ولا يمكن أن يكون مما أنزله الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وآله! بل إن صيغة الحديث (لا تسبوا أصحابي) وأمثاله يصعب تعقل صدورها عن النبي صلى الله عليه وآله لأن مخاطبيه هم أصحابه، فكيف يقول لهم: لا تسبوا أصحابي أو اقتدوا بأصحابي!

وأخيراً، فإن أحاديث فضل الصحابة ووجوب مودتهم وموالاتهم وحرمة بغضهم وانتقاصهم وانتقادهم.. يصعب فهمها بل لا يمكن فهمها إلا بالمقارنة مع الآيات والأحاديث المشابهة الواردة في حق أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله مثل قوله تعالى: قُلْ لَا أَشْتَكُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى، وقوله: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا... وأحاديث: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وأهل بيتي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم، ولا يؤمن أحدكم حتى يحبهم لحيي، وعشرات غيرها متفق على صدورهما عن النبي صلى الله عليه وآله وقد ركز فيها الإسلام مكانة عترته النبي من بعده حتى أنه حرم عليهم الصرف من المصارف العامة وجعل لهم مالية خاصة هي الخمس!

والباحث المتتبع يجد أن كل حديث قاله النبي صلى الله عليه وآله في أهل بيته.. نبت مقابله حديث في أصحابه! حتى أن حديث الحسن والحسين سيديا شباب أهل الجنة، نبت مقابله: أبو بكر وعمر سيديا كهول أهل الجنة، وحديث إحفظوني في أهل بيتي نبت مقابله: إحفظوني في أصحابي..

وقانون الحرمان من الشفاعة لمن ينتقص الصحابة، ما هو إلا نبتة قريشية مقابل قانون حرمان النواصب من الشفاعة الذي ثبت عند الجميع، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

الدخول إلى جهنم

لتحليل القسم الالهي بأن يملاه

روى البخارى فى صحيحه: ٢/٧٢:

عن أبى هريرة (رض) عن النبى (ص) قال: لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار، إلا تحلله القسم. ورواه أيضاً فى: ٧/٢٢٤.
ورواه مسلم: ٨/٣٩ وفيه (فتمسه النار) ورواه ابن ماجه: ١/٥١٢ والنسائي: ٤/٢٢ و٢٥ بعده روايات وفى بعضها: فتمسه النار..
والترمذى: ٢/٢٤٢ وأحمد: ٢/٢٤٠ وص ٢٧٦ وص ٤٧٣ وص ٤٧٩ والبيهقى فى سننه: ٤/٦٧ وج ٧/٧٨ والهيثمى فى مجمع الزوائد: ١/١٦٣ وج ٥/٢٨٧ والهندي فى كنز العمال: ٣/٢٨٤ وص ٢٩٣ وج ٤/٣٢٣ وج ١٠/٢١٦ والسيوطى فى الدر المنثور: ٤/٢٨٠ وفى عدد من رواياته: تمسه النار. وفى عدد آخر: يلج النار وفى أكثرها (تحلله القسم).

ورغم التفاوت فى صيغ هذه الروايات إلا أنها تتفق على أن هذا الوالد الذى تحمل ألم خسارة أولاده الثلاثة يستحق الجنة حتى لو كان مذنباً، لكن يجب على هذا المسكين أن يدفع ضريبة يمين الله تعالى، ويدخل النار مدة قليلة تحلله لقسم الله تعالى حتى لا يكون الله حائثاً بقسمه، ثم له من الله تعالى وَعُدُّ شَرَفٌ أَنْ يَنْقَلَهُ إِلَى الْجَنَّةِ!!

فما هى قصة هذا القسم؟ وما ذنب هذا الوالد وغيره من المساكين الذين أدخلتهم صحاح السنين فى جهنم لا لشيء إلا لتحليل يمين الله تعالى!

حاولت بعض الروايات أن تجعل القسم قوله تعالى (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا. ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا.) مريم: ٧٠-٧١ وقالوا إن هذا القضاء الالهي الحتمي هو القسم وهو عام للجميع.

ولكنه تفسير من الرواة لأن الصحاح لم ترو حديثاً يفسر القسم بذلك!

قال البيهقي في سننه: ١٠/٦٤:

قال أبو عبيد: نرى قوله تحله القسم يعني قول الله تبارك وتعالى: وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا. يقول فلا يردها إلا بقدر ما يبر الله قسمه فيه. وفيه: أنه أحل للرجل يحلف ليفعلن كذا وكذا ثم يفعل منه شيئاً دون شيء، يرى في يمينه. انتهى.

ولكن تفسيرهم هذا لا يصح:

أولاً، لما ذكره البيهقي من أنه يفتح الباب للناس للتلاعب بأيمانهم، ولا تبقى قيمة ليمين! فإذا كان الله تعالى يستعمل الحيلة الشرعية للتحلل من يمينه ويسميتها (تحلة القسم) فلا حرج على عباده أن يلعبوا بأيمانهم!!

وثانياً، لا يوجد في آية ورود قسم، بينما ورد في كل روايات الصحاح أن سبب دخول هذا الاب (تحلة القسم).

وثالثاً، إن المؤمنين الذين يردون جهنم ويشرفون عليها في طريق عبورهم إلى الجنة لا- تمسهم نارها، بينما ورد في عدد من صيغ الحديث التعبير بتمسه النار تحلة القسم.

ورابعاً، أن ورود المذكور في الآية أمرٌ عامٌ شاملٌ، وليس من البلاغة استثناء هذا الوالد من استحقاق الجنة، مع أن حال في الورود حال غيره!!

وخامساً، ورد في صيغة البخارى وغيره تعبير بالولوج وهو الدخول المحقق في النار، بينما الورود أعم من الدخول في النار والاشراف عليها عند المرور على الصراط.

قال في تفسير التبيان: ٧/١٤٣:

واختلفوا في كيفية ورودهم اليها فقال قوم وهو الصحيح: إن ورودهم هو وصولهم إليها وإشرافهم عليها من غير دخول منهم فيها، لأن الورود في اللغة هو الوصول إلى المكان، وأصله ورود الماء وهو خلاف الصدور عنه. ويقال: ورد الخبر بكذا تشبيهاً بذلك.

ويدل على أن الورود هو الوصول إلى الشيء من غير دخول فيه قوله تعالى: وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ، وأراد وصل اليه. وقال زهير:

فلما وردن الماء زرقاً جمامه وضعن عصي الحاضر المتخيم

وقال قتادة وعبدالله بن مسعود: ورودهم إليها هو ممرهم عليها.

وقال عكرمة: يردها الكافر دون المؤمن، فخص الآية بالكافرين.

وقال قوم شذاذ: ورودهم إليها دخولهم فيها ولو تحله القسم. روى ذلك عن ابن عباس وكان من دعائه: اللهم أرحني من النار سالماً وأدخلني الجنة غانماً. وهذا الوجه بعيد، لأن الله قال: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ، فبين تعالى أن من سبقت له الحسنى من الله يكون بعيداً من النار، فكيف يكون مبعداً منها مع أنه يدخلها وذلك متناقض. فإذا المعنى بورودهم: إشرافهم عليها ووصولهم إليها. انتهى.

وعلى هذا يتعين أن يكون المقصود بتحله القسم في هذه الأحاديث المزعومة: قسمه تعالى بأن يملا جهنم من الجنة والناس، في قوله تعالى: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ

مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. هود: ١١٨-١١٩

ويكون معنى الحديث: أن هذا الوالد يستحق الجنة، ولكن بما أن الله تعالى أقسم أن يملأ النار، وليس عنده ما يكفى لملئها، فإن على هذا الوالد المسكين أن يدفع الضريبة من جلده!!

إن منطق هذا الحديث يصور الله تعالى كأنه حاكم دنيوى بنى سجناً وأقسم أن يملأه من المجرمين، وعندما وجد أن السجن كبيراً لم

يمتلى بالمجرمين الموجودين، أمر شرطته أن يقبضوا على الناس من الشارع ويضعوهم في السجن حتى يملأوه ويفى حضرة الحاكم يمينه، ولا- يكون كاذباً أو هو تصورٌ نجده عن الله تعالى في التوراة ولا نجده في القرآن.. الأمر الذي يجعلنا نطمئن بأن فكرة إدخال الناس إلى النار لتحلل القسم فكرة تورانية أخذها المسلمون من اليهود، ففي تفسير كنز الدقائق: ٢/٤٧، جاء في رد مقولات اليهود التي منها (أنه تعالى وعد يعقوب أن لا يعذب أولاده إلا تحلة القسم)!!

ولكن أين هذا المنطق من قوانين الحق والعدل الالهي التي أقام الله تعالى عليها الكون والحياة، وأنزلها في كتابه وأوحى بها إلى رسوله صلى الله عليه وآله فخضع لها العلماء والفلاسفة والمفكرون!

حرمان من الشفاعة بسبب صبغ الشعر

يمكن للباحث أن يتفهم أحاديث الحرمان من الشفاعة لمن ينتقد الصحابة، ويفسرهما بأنها محاولة لتسكيت المسلمين عن الصحابي الحاكم وجماعته. ولكن بعض الحرمانات الواردة في الصحاح لا يستطيع أن يفهم لها علة ولا معنى، إلا بعد جهد جهيد، مثل حرمانهم الذي يصبغ شعره ولحيته بالسواد من الشفاعة والجنة!

فقد روت ذلك الصحاح كما في النسائي: ٨/١٣٨ قال: عن ابن عباس رفعه أنه قال قوم يخضبون بهذا السواد آخر الزمان كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة. انتهى.

ورواه أبو داود في: ٢/٢٩١

وأحمد في: ١/٢٧٣

والبيهقي في سننه: ٧/٣١١

وروى الهيثمي في مجمع الزوائد: ٥/١٦٣ روايةً شديدةً على المجرم الذي يصبغ شعره ولحيته بالسواد، وقال إنها موثقة عند ابن حنبل وابن معين وابن حبان قال: عن أبي الدرداء قال قال رسول الله (ص): من خضب بالسواد سؤد الله وجهه يوم القيامة. رواه الطبراني وفيه الوضين بن عطاء وثقه أحمد وابن معين وابن حبان، وضعفه من هو دونهم في المنزلة وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وقد تحير في ذلك بعض أصحاب الصحاح.. ومن حقهم أن يتحيروا.. فمع أنهم عاشوا في القرن الثالث ولم يشهدوا القرن الأول ولا الثاني، ولكن عهدهم كان قريباً نسبياً، والمسألة واضحة وضوح اللحي! ومع ذلك وصلت اليهم أحاديث متناقضة فيها! فمنها أحاديث تقول إن النبي صلى الله عليه وآله أمر بتغيير الشيب ومخالفة اليهود الذين يحرمون صبغ الشيب، وأحاديث تقول إنه أمر بصبغه بالحناء، أي باللون الأحمر الذي تصبغ به العرب ونهى عن السواد لأنه خضاب الكفار! وأخرى تقول إنه أمر بالسواد، وأخرى تقول بالكنم والوسم الأصفر...!

واختلفت رواياتهم في أن النبي صلى الله عليه وآله هل صبغ شيبه أم لا، فروايةً تقول إنه صبغه بالحناء، ولكنهم رجحوا أخرى تقول لم يدركه الشيب إلا شعرات قليلة ولم يصبغها.

قال مسلم في صحيحه: ٧/٨٤ و٨٥: قال سئل أنس بن مالك عن خضاب النبي (ص) فقال: لو شئت أن أعد شمطات كن في رأسه فعلت وقال: لم يختضب وقد اختضب أبو بكر بالحناء والكنم واختضب عمر بالحناء بحتا. انتهى.

وقد روى الجميع خضاب أبي بكر وعمر بالحناء والكنم كما في مسند أحمد: ٣/١٠٠ وج ٣/١٠٨ وص ١٦٠ وص ١٧٨.

ولكن تحير أصحاب الصحاح كان على مستوى الرواية فقط، أما الرأي السائد المتبع عندهم فهو النهي المشدد عن الخضاب بالسواد، لأنه رأى الدولة من زمن أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية.. إلى آخر الخلافة الأموية!

ولذا جعل النسائي عنوان المسألة: النهي عن الخضاب بالسواد وقال في: ٨/٣٨

عن ابن عباس رفعه أنه قال: قوم يخضبون بهذا السواد آخر الزمان كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة.

عن أبي الزبير عن جابر قال أتى بأبي قحافة يوم فتح مكة، ورأسه ولحيته كالثغامه بياضاً، فقال رسول الله (ص): غيروا هذا بشئ واجتنبوا السواد... ثم قال النسائي: والناس في ذلك مختلفون، والله تعالى أعلم، لعل المراد الخالص، وفيه أن الخضاب بالسواد حرام أو مكروه، وللعلماء فيه كلام، وقد مال بعض إلى جوازه للغزاة، ليكون أهيب في عين العدو، والله تعالى أعلم.

أما الفقهاء فقد قننوا المسألة وأعطوها صيغتها الشرعية، وأجمعوا على ذم الخضاب بالسواد، ذمّ تحريم، وربما وجد فيهم نادرٌ يقول بأنه ذم تنزيه!

قال النووى فى المجموع: ١/٢٩٤:

(فرع) اتفقوا على ذم خضاب الرأس أو اللحية بالسواد، ثم قال الغزالي فى الأحياء والبغوى فى التهذيب وآخرون من الأصحاب هو مكروه، وظاهر عباراتهم أنه كراهة تنزيه، والصحيح بل الصواب أنه حرام. وممن صرح بتحريمه صاحب الحاوى فى باب الصلاة بالنجاسة، قال إلا- أن يكون فى الجهاد، وقال فى آخر كتابه الأحكام السلطانية: يمنع المحتسب الناس من خضاب الشيب بالسواد إلا المجاهد.

ودليل تحريمه حديث جابر (رض) قال: أتى بأبى قحافة والد أبى بكر الصديق رضى الله عنهما يوم فتح مكة ورأسه ولحيته كالثغامه بياضاً، فقال رسول الله (ص): غيروا هذا واجتنبوا السواد. رواه مسلم فى صحيحه، والثغامه بفتح التاء المثناة وتخفيف الغين المعجمة نبات له ثمر أبيض. وعن ابن عباس (رض) قال: قال رسول الله (ص): يكون قوم يخضبون فى آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة. رواه أبو داود والنسائى وغيرهما، ولا فرق فى المنع من الخضاب بالسواد بين الرجل والمرأة، هذا مذهبننا. انتهى.

وقال ابن قدامة فى المغنى: ١/٧٦:

وعن الحكم بن عمر الغفارى قال: دخلت أنا وأخى رافع على أمير المؤمنين عمر وأنا مخضوب بالحناء وأخى مخضوب بالصفرة، فقال عمر بن الخطاب: هذا خضاب الإسلام، وقال لاخى رافع: هذا خضاب الإيمان. ويكره (وكره) الخضاب بالسواد. قيل لابي عبدالله تکره الخضاب بالسواد قال إى والله... انتهى.

وروى الحاكم قصة أخرى مشابهة وجعل رأى الخليفة عمر حديثاً مسنداً قال فى المستدرک: ٣/٥٢٦ قال:

دخل عبدالله بن عمر على عبدالله بن عمرو وقد سوّد لحيته، فقال عبدالله بن عمر: السلام عليك أيها الشويب! فقال له ابن عمرو: أما تعرفنى يا أبا عبدالرحمن؟ قال بلى أعرفك شيخاً فأنت اليوم شاب! إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الصفرة خضاب المؤمن، والحمرة خضاب المسلم، والسواد خضاب الكافر. انتهى.

وقال عنه فى مجمع الزوائد: ٥/١٦٣: رواه الطبرانى وفيه من لم أعرفه. انتهى.

- وقد سئل الشيخ ابن باز فى كما فى فتاويه: ٤/٥٨ طبعه مكتبة المعارف بالرياض:

- مامدى صحة الأحاديث التى وردت فى صبغ اللحية بالسواد، فقد انتشر صبغ اللحية بالسواد عند كثير ممن ينتسبون إلى العلم؟ فقال فى جوابه: فى هذا الباب أحاديث صحيحة كثيرة، وذكر حديث حواصل الحمام، وقال بعده: وهذا وعيدٌ شديد، وفى ذلك أحاديث أخرى، كلها تدل على تحريم الخضاب بالسواد، وعلى شرعية الخضاب بغيره. انتهى.

والممتنع لنصوص المسألة يصل إلى قناعة بأن مرسوم الحرمان من الجنة مرسوم قرشى.. وسببه أن العرب ومنهم قريش كانوا يصبغون شبيهم بالحناء الذى يأتهم من الهند، وبعضهم يصبغونه بالورس والزعفران الذى يأتهم من اليمن وإيران (لاحظ مغنى ابن قدامة: ١/٧٦).

وأول من خضب بالسواد من العرب عبد المطلب كما نص السهيلي فى الروض الانف: ١/٧ ونقله عنه النووى فى المجموع: ١٨/٢٥٤. ولا يبعد أنه صار بعد عبد المطلب رمزاً لبني هاشم. وسيأتى أن الإسلام أقر عدة تشريعات سنّها عبد المطلب بإلهام من الله تعالى مثل: الطواف سبعاً، والديّة، ومنها سنّة الخضاب بالوسم.

ماذا يصنع رواة الخلافة القرشية بهذه الأحاديث

تدل الأحاديث من مصادر الجميع على أن الإسلام أقر سنة عبد المطلب في صبغ الشيب بالسواد فقد روى ابن ماجه في سننه: ٢/١١٩٧ عن صهيب قال: قال رسول الله (ص): إن أحسن ما اختضبتم به لَهَيْدًا السواد، أرغب لنسائكم فيكم، وأهيب لكم في صدور عدوكم. انتهى.

وقالوا بعده: هذا الحديث معارض لحديث النهي عن السواد، وهو أقوى إسناداً وأيضاً النهي يقدم عند المعارضة، وفي الزوائد: إسناده حسن. انتهى.

وإذا صح ما ذكره رواة قريش من أن النهي دائماً أقوى من الرخصة، وأن الخضاب بالسواد حرام وصاحبه لا يشم رائحة الجنة! فهل يلتزمون بأن الإمام الحسين عليه السلام سيد شباب أهل الجنة لا يشم رائحتها!

فقد روى البخاري في صحيحه: ٤/٢١٦:

عن أنس بن مالك (رض): أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين بن علي فجعل في طست فجعل ينكته وقال في حسنه شيئاً فقال أنس: كان أشبههم برسول الله (ص) وكان مخضوباً بالوسمة! انتهى. والوسمة هي السواد.

وفي مجمع الزوائد: ٥/١٦٢:

عن محمد بن علي أنه رأى الحسن بن علي (رض) مخضوباً بالسواد على فرس ذنوب. رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، خلا محمد بن إسماعيل بن رجاء وهو ثقة. وعن سليم قال: رأيت جرير بن عبد الله يخضب رأسه ولحيته بالسواد. رواه الطبراني وسليم والراوى عنه لم أعرفهما.

وعن محمد بن علي أن الحسين بن علي (رض) كان يخضب بالسواد. رواه الطبراني ورجاله رجال الذي قبله، وقد روى عنهما من طرق وهذه أصحابها ورجالها رجال الصحيح.

وعن عبد الرحمن بن بزرغ قال: رأيت الحسن والحسين ابني فاطمة يخضبان بالسواد، وكان الحسين يدع العنفة. رواه الطبراني وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات.

وعن عبد الله بن أبي زهير قال: رأيت الحسين بن علي يخضب بالوسمة. رواه الطبراني وعبد الله بن أبي زهير لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وجرير بن عبد الله المذكور هو الجلي من كبار أصحاب علي عليه السلام ومن قادة جيشه وقد حمل عدداً من رسائله إلى معاوية.

فيتضح من ذلك أن أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم كانوا يخضبون شيبهم بالسواد. وأن النهي عن السواد نهى قرشياً لا نبوياً، وغرضه إبعاد الناس عن التشبه ببني هاشم المعارضين للدولة!

بل ماذا يصنع الشيخ ابن باز يمامه الزهري الذي روى عنه البخاري نحو ١٢٠٠ رواية في صحيحه، فقد كان -بعد أن خفت حدة المسألة في القرن الثاني- يصنع شيبه بالسواد، ويقول إن النبي أمر بتغيير الشيب ولم يحدد لون الصبغ!

قال أحمد في مسنده: ٢/٣٠٩:

قال رسول الله (ص): إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالقوهم. قال عبد الرزاق في حديثه: قال الزهري: والأمر بالاصباغ، فأحلها أحب الينا. قال معمر: وكان الزهري يخضب بالسواد. انتهى.

رأى أهل البيت

روى الكليني في الكافي: ٦/٤٨١:

عن: أحمد بن محمد، عن سعيد بن جناح، عن أبي خالد الزيدى، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: دخل قوم على الحسين بن علي صلوات الله عليهما فأروه مختضباً بالسواد فسألوه عن ذلك، فمد يده إلى لحيته ثم قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وآله في غزاة غزاه أن يختضبوا بالسواد، ليقووا به على المشركين.
وفي الكافي: ٦/٤٨٣:

عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن عدة من أصحابه، عن علي بن أسباط، عن عمه يعقوب بن سالم قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: قتل الحسين صلوات الله عليه وهو مختضب بالوسمة.
وفي الكافي: ٦/٤٨٠:

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن مسكين بن أبي الحكم، عن رجل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فنظر إلى الشيب في لحيته فقال النبي صلى الله عليه وآله: نور، ثم قال: من شاب شيباً في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة. قال فخضب الرجل بالحناء ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فلما رأى الخضاب قال: نور وإسلام، فخضب الرجل بالسواد، فقال النبي صلى الله عليه وآله: نور وإسلام وإيمان، ومحبته إلى نساءكم، ورهبة في قلوب عدوكم.
وفي الكافي: ٦/٤٨٠:

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن الحسن بن الجهم قال: دخلت على أبي الحسن (الرضا) عليه السلام وقد اختضب بالسواد فقلت: أراك قد اختضبت بالسواد؟ فقال: إن في الخضاب أجراً، والخضاب والتهيئة مما يزيد الله عز وجل في عفة النساء، ولقد ترك النساء العفة بترك أزواجهن لهن التهيئة!
وفي من لا يحضره الفقيه: ١/١٢٢:

قال الصادق عليه السلام: الخضاب بالسواد أنس للنساء، ومهابة للعدو.
وفي وسائل الشيعة: ١/٤٠٣:

محمد بن الحسين الرضى الموسوى فى نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سئل عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله: غيروا الشيب، ولا تشبهوا باليهود فقال: إنما قال ذلك والدين قل، وأما الآن وقد اتسع نطاقه، وضرب بجرانه فامرؤ وما اختار. انتهى.
ويفهم من هذا الحديث أن الأمر بتغيير الشيب ليس للوجوب، بل هو لإثبات الرخصة فى مورد توهم الحظر والتحريم، كما يعتقد اليهود.

خلاصة المسألة

والخلاصة: أن الخضاب بالسواد سنة لعبد المطلب رضوان الله عليه، خالف فيها اليهود، وخالف فيها الخضاب بالأحمر والأصفر المستعمل عند العرب، وقد أقر الإسلام هذه السنة وجعلها مستحبة، ولم يحرم الخضاب بغيرها. بل لم يوجب فى الأصل تغيير لون الشيب، وإنما جعله مستحباً فى بعض الحالات.

ولكن دخلت قريش على الخط لتمسكها من جهة بالخضاب الأحمر والأصفر، وحساسيتها من جهة أخرى من عبد المطلب وأولاده الذين لم يعترفوا بخلافتها.. فنتج عن ذلك تحريم الخضاب بالسواد، وحرمان صاحبه من الجنة والشفاعة، وتسويد وجهه يوم القيامة!!

ولكن العباسيين أولاد عبد المطلب ثأروا لخضاب جدتهم، فجعلوا راياتهم سوداء حتى سماهم الناس (المُسَوِّدَة) وبعد انتصارهم فرضوا لبس السواد على جميع المسلمين، خاصة أتباع الدولة، وجعلوه شعاراً لهم! فكان ذلك إفراطاً فى الانتصار لخضاب عبد المطلب!
لذلك رأينا أن الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) نهوا عن لبس السواد إلا فى الحرب، والحزن، خاصة لمصاب الإمام الحسين عليه السلام، وفضلوا فى الحالات العادية اللون الأخضر الذى كان يفضلته النبى صلى الله عليه وآله.

وعندما أراد المأمون أن يتقرب إلى الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) ويغيض العباسيين الذين خلعوه، نقل ولاية العهد من العباسيين وأوصى بها للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام وأمر بتغيير اللباس الأسود في الدولة إلى اللباس الأخضر.. وبذلك استقر اللون الأخضر شعاراً لبني هاشم، ثم شعاراً للعرب، والحمد لله.

وأخيراً لا يفوتنا أن نشير إلى حديث الرايات السود الثابت عن النبي صلى الله عليه وآله في علامات ولده المهدي الموعود عليه السلام وأن العباسيين حرصوا على مصادرته وتطبيقه على راياتهم وثورتهم، وسموا أحد خلفائهم بالمهدي، وأشهدوا كبار قضاتهم وفقهائهم على أنه المهدي الموعود المبشر به من رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولكن المهدي العباسي لم يملا الأرض قسطاً وعدلاً، ولم يعط المال للناس شيئاً بدون عدٍّ كما ورد في صفات المهدي عليه السلام. فقد ورد في سيرة هذا المهدي العباسي أن قصره كان خالياً من التقوى والعدل، وأنه كان يصادر أموال الناس أحياناً حثياً أو حثواً من غير عد!!

مرسوم بحرمان الزوجة التي تطلب الطلاق

ومن مراسيم الصحاح في الحرمان من الشفاعة مرسومٌ مفيدٌ للرجال في حق الزوجة التي تطلب الطلاق من زوجها بدون سبب..
ففي سنن ابن ماجه: ١/٦٦٢:

عن ابن عباس أن النبي (ص) قال: لا تسأل المرأة زوجها الطلاق في غير كنهه فتجد ريح الجنة. وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً.

ورواه الترمذى في: ٣ ٢/٢٩٠

وأبو داود: ١/٤٩٦

وأحمد: ٥/٢٧٧ وص ٢٨٣

والدارمي: ٢/١٦٢

والحاكم في: ٢/٢٠٠

والبيهقي في سننه: ٧/٣١٦

والهندي في كتر العمال: ١٦/٣٨٢ وص ٢٨٧ عن أحمد وأبي داود والترمذى وابن حبان وابن عساكر.

وفي بعض روايات الحديث: بدون عذر، والمقصود منه العذر القوي الذي يقبله المجتمع.

ولكنه تشديداً مبالغ فيه، فلا- نعرف أحداً من الفقهاء يفتي بأن قولها لزوجها طلقني يعتبر جريمة تستحق عليها العقوبة الدنيوية أو الاخروية، فإن أصل الطلاق حلال وإن كان مكروهاً، وطلبها الطلاق في أصله حلال وقد يطرأ عليه ما يجعله مكروهاً أو منافياً للاخلاق، أو يجعله حراماً، أو واجباً.

وإذا حدث أن صار حراماً شرعاً، فلا يصير من المعاصي الكبائر التي يستحق صاحبها عقاب الدخول في جهنم، والحرمان من الجنة ومن شفاعته نبيه صلى الله عليه وآله!!

وقد حاول بعض الفقهاء أن يتخلصوا من الحديث بتضعيفه، وساعدهم على ذلك أن الشيخين البخارى ومسلماً لم يروياه، فقد ذكروا بعد روايته في ابن ماجه أن الهيثمي في مجمع الزوائد ضَعَّفَ إسناده.. ولكن ذلك لا- يحل المشكلة لأن الحاكم قال عنه في المستدرک: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وحاولوا محاولةً أخرى أن يجعلوا الحديث في طلب الزوجة الطلاق الخلعى من زوجها بسبب كرهها له، فقد وضع ابن ماجه الحديث تحت عنوان (باب كراهية الخلع للمرأة) ولكن واجههم قوله تعالى (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ) حيث نصت الآية على جواز افتداء

المرأة نفسها من زوجها ببذل مهرها وطلب الطلاق الخلعى.. فاضطروا أن يحملوا الحديث على طلبها الخلع بدون سبب ويجعلوه مكروهاً لا حراماً!

وهكذا فعل ابن قدامة فى المغنى: ٨/١٧٦:

قال شارحاً قول الماتن (ولو خالعه لغير ما ذكرنا كره لها ذلك ووقع الخلع):

والظاهر أنه أراد إذا خالعه لغير بغض وخشية من أن لا تقيم حدود الله، لأنه لو أراد الأول لقال كره له، فلما قال كره لها دل على أنه أراد مخالعتها له والحال عامرة والأخلاق ملتئمة، فإنه يكره لها ذلك، فإن فعلت صح الخلع فى قول أكثر أهل العلم منهم أبو حنيفة والثورى ومالك والأوزاعى والشافعى، ويحتمل كلام أحمد تحريمه فإنه قال: الخلع مثل حديث سهلة تكره الرجل فتعطيه المهر فهذا الخلع، وهذا يدل على أنه لا يكون الخلع صحيحاً إلا فى هذه الحال، وهذا قول ابن المنذر وداود.

وقال ابن المنذر: وروى معنى ذلك عن ابن عباس وكثير من أهل العلم، وذلك لأن الله تعالى قال (وَلَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ) فدل بمفهومه على أن الجناح لا حق بهما إذا افتدت من غير خوف، ثم غلظ بالوعيد فقال (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) وروى ثوبان قال: قال رسول الله (ص) (أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة) رواه أبو داود. وعن أبى هريرة عن النبى (ص) قال (المختلعات والمنتزعات هن المنافقات) رواه أبو حفص ورواه أحمد فى المسند وذكره محتجاً به وهذا يدل على تحريم المخالعة لغير حاجة، ولأنه إضرار بها وبزوجها وإزالة لمصالح النكاح من غير حاجة، فحرم لقوله عليه السلام (لا ضرر ولا ضرار). واحتج من أجاز به بقول الله سبحانه (فَإِنْ طَبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا) انتهى.

ولكن كل ذكاء هؤلاء الفقهاء لا يحل مشكلة الحديث أيضاً:

أولاً، لأن الحديث فى مجرد طلب الطلاق، وليس فى بذل المهر وطلب الخلع، وقد اعترف بذلك ابن حزم قال فى المحلى: ١٠/٢٣٦ حيث قال: قال أبو محمد (يعنى نفسه): واحتج من ذهب إلى هذا (حرمه الخلع) بما حدثناه عبد الله بن ربيع نا محمد ابن اسحاق بن السليم نا ابن الاعرابى نا محمد بن إسماعيل الصائغ نا عفان بن مسلم نا حماد نا أيوب السخيتانى عن أبى قلابه عن أبى أسماء الرحبى عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة.

وبما روينا من طريق أحمد بن شعيب نا إسحق بن ابراهيم - هو ابن راهويه - أنا المخزومى هو المغيرة بن سلمة - نا وهيب عن أيوب السخيتانى عن الحسن البصرى عن أبى هريرة عن النبى (ص) أنه قال: المنتزعات والمختلعات هن المنافقات. قال الحسن: لم أسمع من أبى هريرة.

قال أبو محمد: فسقط بقول الحسن أن تحتج بذلك الخبر. وأما الخبر الأول فلا حجة فيه فى المنع من الخلع لأنه إنما فيه الوعيد على السائلة الطلاق من غير بأس وهكذا نقول. انتهى.

وثانياً، لو سلمنا أن الحديث فى طلب الخلع، فلا بد لهم من القول بحرمة على الزوجة مطلقاً بسبب صيغته التشديد المؤكدة فيه، وذلك مخالف لقوله تعالى (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا).

ولذلك اضطروا إلى التنازل كما رأيت إلى القول بالكراهة فقط!

ومعناه أنهم اضطروا أن يبطلوا مرسوم الحديث بحرمان هذه الزوجة من رائحة الجنة ورائحة الشفاعة! ولكنه إبطال له بصيغة الإستدلال به، والاحترام له!!

ولم يتسع لنا الوقت لبحث فتوى اليهود فى هذه المسألة، ومن المحتمل أن أصل حديثها من الإسرائيليات التى تسربت إلى فقهاءنا!!

توجد عدة مسائل تتعلق بأسرة النبي صلى الله عليه وآله بنى عبد المطلب وبنى هاشم.

المسألة الأولى، في إيمان آباء النبي وأمّهاته صلى الله عليه وآله: ومذهبنا أن كل آباء النبي وأمّهاته مؤمنون طاهرون مطهرون، من آدم وحواء إلى عبد الله وآمنه، صلوات الله عليه وعليهم. وقد روينا في ذلك أحاديث صحيحة ودلت عليه آيات كريمة، ووافقنا على هذا الرأي عدد من علماء إخواننا السنة مثل الفخر الرازي والسيوطي وغيرهما، وألفوا في ذلك رسائل مستقلة.

بينما قال أكثر السنة إن آباء النبي وأمّهاته صلى الله عليه وآله كفار مشركون، وأنهم في النار، ورووا في ذلك روايات هي عندهم صحيحة! منها رواية خشنة رواها مسلم في: ١/١٣٣: أن رجلاً قال يا رسول الله أين أبي؟ قال في النار، فلما قفي دعاه فقال: إن أبي وأباك في النار!!

المسألة الثانية، في شفاعته النبي صلى الله عليه وآله لبنى هاشم وبنى عبد المطلب، وهم ثلاثة أصناف: صنف مات قبل البعثة. وصنف أسلموا وهاجروا وجاهدوا مع النبي صلى الله عليه وآله. وصنف لم يذكر التاريخ أنهم أسلموا ولكنهم ناصرُوا النبي صلى الله عليه وآله في مواجهة قريش وتحملوا معه حصار الشعب ثلاث سنين، وهم كل من بقى من بنى هاشم وبنى عبد المطلب ما عدا أبي لهب. ومذهبنا أن شفاعته النبي صلى الله عليه وآله تشمل أول ما تشمل بنى هاشم وبنى عبد المطلب، من ارتضى الله منهم، وكلهم عندنا مرضى إلا- من ثبت فيه عدم الإرتضاء وأنه من أهل النار مثل أبي لهب. وقد ثبت عندنا إسلام أبي طالب وإيمانه، وأنه كان يكتم إيمانه مثل مؤمن آل فرعون.

ومذهب إخواننا السنة في هذه المسألة متفاوت، ففي رواياتهم ما يوافقنا تقريباً، وفيها روايات تحاول حرمان كل بنى هاشم من شفاعته النبي صلى الله عليه وآله!

المسألة الثالثة: في موقع على عليه السلام وعترة النبي صلى الله عليه وآله يوم القيامة من الشفاعته العظمى التي يعطاها صلى الله عليه وآله.. ومذهبنا أن عترة النبي صلى الله عليه وآله الذين نصّ عليهم بأسمائهم هم أوصياؤه وخلفاؤه الشرعيون وأئمة المسلمين وهداتهم بأمر الله تعالى، وأنهم خيرة البشر بعد النبي صلى الله عليه وآله وعليهم، وهم مع يوم القيامة، وبأيديهم ينفذ الشفاعته المعطاة له من الله تعالى، ويفوضهم في كثير من الأمور.

وقد ثبت عندنا وروى السنون أن لواء الحمد الذي هو رئاسة المحشر يجعله النبي صلى الله عليه وآله بيد على عليه السلام كما كان صاحب لوائه في الدنيا.

وأن مقام الصديقه الزهراء عليها السلام في الشفاعته يوم القيامة مقام مميّز حتى من بين العترة.

أما السنون فليس لهم مذهب واحد في مقام عترة النبي صلى الله عليه وآله يوم القيامة، بل حتى في مقام صحابته، لأن رواياتهم في ذلك متناقضة.. فهم يريدون إعطاء الصحابة المرتبة الأولى بعد النبي صلى الله عليه وآله، ولكن النصوص الصحيحة عندهم في دخول بعض الصحابة النار، وفي المقام المميز للعترة الطاهرة، تأبى عليهم ذلك، فيقعون في حيص بيص!

حساسية قريش من أسرة النبي

من الواضح للمطلع على السيرة أن الدافع الاساسى لتكذيب قبائل قريش بنبوة النبي صلى الله عليه وآله ورفضهم لها، كان دافعاً سياسياً، لانهم إذا آمنوا بنبوة ابن عبد المطلب بن هاشم، فقد اعترفوا بالقيادة لبنى هاشم وصاروا أتباعاً لهم، وانتهى الأمر! ولذلك كانوا شديدين في تكذيبهم، متحدين في موقفهم، شرسين في مواجهتهم، صريحين في إظهار تخوفهم.. وكان بعض قريش وغير قريش يفاوضون النبي صلى الله عليه وآله على الإيمان بنبوته، بشرط أن يكون لهم (الأمر) من بعده.. ولكن النبي صلى الله عليه وآله كان نبياً مبلغاً عن ربه تعالى، ولم يكن مساوماً على الأمر من بعده.

لقد ظهرت هذه الحقيقة القرشية العميقة منذ إعلان النبي بعثته الشريفه ثم واجهته طوال نبوته، ولم تنته حتى بعد وفاته!

وهي حقيقةٌ ضخمةٌ لم تعطَّ حقها من الدراسة، بسبب أن القرشيين بعد انتصار النبي صلى الله عليه وآله عليهم ودخولهم تحت حكمه كرهاً وطوعاً، جعلوا مواجهتهم معه من نوع الحرب الباردة، ثم ما أن توفي النبي صلى الله عليه وآله حتى أخذوا السلطة وأبعدوا أهل بيته وحاصروهم! وألقوا بثقلهم لصياغة السنة والسيره والتاريخ لمصلحة قبائل قريش، وضد العترة الطاهرة! وغرضنا هنا أن نعرض نماذج من حساسية قريش من أسرة النبي صلى الله عليه وآله، لكي نفهم تأثيرها على رواياتهم في كفر آباء النبي صلى الله عليه وآله ورواياتهم في عدم انتفاع بني هاشم بقرابتهم من النبي صلى الله عليه وآله وشفاعته! وهو باب خطيرٌ والدراسات فيه ممنوعة، ولكن القليل منه يجعل الباحث يتوقف ملياً في قبول أى حديث سلبى عن أسرة النبي صلى الله عليه وآله جاءت روايته عن طريق القرشيين من غير أهل بيته!

حادثة خطيرة، عتمتها الصحاح

روى البخارى في: ١/٣٢: تحت عنوان: باب الغضب في الموعدة والتعليم:

عن أبي بردة عن أبي موسى قال: سئل النبي (ص) عن أشياء كرهها فلما أكثر عليه غضب ثم قال للناس سلوني عما شئتم! قال رجل: من أبي؟ قال أبوك حذافه! فقام آخر فقال: من أبي يا رسول الله؟ فقال أبوك سالم مولى شيبه! فلما رأى عمر ما فى وجهه قال: يا رسول الله إنا نتوب إلى الله عز وجل!

باب من برك على ركبته عند الإمام أو المحدث:

عن الزهرى قال أخبرنى أنس بن مالك أن رسول الله (ص) خرج فقام عبد الله بن حذافه فقال من أبى؟ فقال أبوك حذافه، ثم أكثر أن يقول سلونى! فبرك عمر على ركبته فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد (ص) نبياً، فسكت! انتهى.

عندما تقرأ هذا النص تحس أنه ليس طبعياً! فهو يقول: أكثروا عليه السؤال فغضب.. ثم قال: سلونى عما شئتم.. ثم أكثر أن يقول سلونى.. فسألوه هل هم أولاد شرعيون أو أولاد زنا!! فبرأ صحابياً وفضح آخر على رؤوس الإشهاد، وشهد بأنه ابن زنا! ثم أصر عليهم: سلونى سلونى سلونى!! فقام عمر وأعلن التوبة فهدأ الموقف وسكت النبي صلى الله عليه وآله!!

فما هى القصة، وما سبب هذا الغضب والتحدى والفضح النبوى! والتوبة العمريه؟!

الذى يساعد الباحث هنا أن القصة وإن قطعتها الصحاح، لكنها روتها هى وغيرها بأكثر من عشرين نصاً.. فيمكن للباحث أن يجمع منها خيوطاً كثيرة.

يقول مسلم فى صحيحه لم يكن غضب النبي صلى الله عليه وآله لسؤال كما قال البخارى! بل بلغه عن أصحابه شئ كرهه! فصعد المنبر وخطب وطلب منهم أن يسألوه (عن أنسابهم) وتحداهم فخافوا وبكوا، فقام عمر وتاب!! قال مسلم فى صحيحه: ٧/٩٢:

عن أنس بن مالك قال: بلغ رسول الله (ص) عن أصحابه شئ فخطب فقال: عرضت على الجنة والنار فلم أر كاليوم فى الخير والشر، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً. قال فما أتى على أصحاب رسول الله (ص) يوم أشد منه!! قال غطوا رؤسهم ولهم خنين! قال فقام عمر فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً! قال فقام ذاك الرجل فقال: من أبى؟ قال أبوك فلان، فنزلت: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ! انتهى. وروى مسلم جزء منها أيضاً فى: ٣/١٦٧

فالمسألة إذن غضب نبوى لما بلغه عن (أصحابه) وخطبة نارية.. وتحداً نبوى لهم فى أنسابهم.. وأشد يوم مر عليهم مع نبيهم.. وبكاء الصحابة المعنيين خوفاً من إطاعة الرسول وسؤاله عن نسبهم.. والفضيحة.. وإعلان عمر توبته وتوبتهم!! وهكذا تبدأ خيوط الحادثة بالتجمع.. ويمكنك بعد ذلك أن تجمع من خيوطها من نفس البخارى!

قال البخارى فى: ١/١٣٦:

عن الزهري قال أخبرني أنس بن مالك أن رسول الله (ص) خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر، فقام على المنبر فذكر الساعة فذكر أن فيها أموراً عظماً، ثم قال: من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل فلا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم ما دمت في مقامي هذا!! فأكثر الناس في البكاء وأكثر أن يقول سلوني! فقام عبدالله بن حذافة السهمي فقال: من أبي؟ قال أبوك حذافة! ثم أكثر أن يقول سلوني!! فبرك عمر على ركبته فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً! فسكت، ثم قال: عرضت على الجنة والنار آنفاً في عرض هذا الحائط فلم أر كالخير والشر!

وقال البخاري في: ٧/١٥٧:

عن أنس (رض) سألوا رسول الله (ص) حتى أحفوه المسألة فغضب فصعد المنبر فقال: لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم، فجعلت أنظر يميناً وشمالاً فإذا كل رجل لاف رأسه في ثوبه يبكي! فإذا رجل كان إذا لاحى الرجال يدعى لغير أبيه، فقال: يا رسول الله من أبي؟ قال: حذافة ثم أنشأ عمر فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد (ص) رسولاً نعوذ بالله من الفتن. فقال رسول الله (ص): ما رأيت في الخير والشر كالיום قط! إنه صورت لي الجنة والنار حتى رأيتهما وراء الحائط. وروى نحوه أيضاً في: ٨/٩٤

وقال البخاري في: ٨/١٤٣:

عن الزهري أخبرني أنس بن مالك (رض) عن النبي (ص) خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر فلما سلم قام على المنبر فذكر الساعة، وذكر أن بين يديها أموراً عظماً ثم قال: من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به ما دمت في مقامي هذا! قال أنس فأكثر الناس البكاء! وأكثر رسول الله (ص) أن يقول سلوني!! فقال أنس فقام إليه رجل فقال: أين مدخلي يا رسول الله؟ قال النار!!! فقام عبدالله بن حذافة فقال: من أبي يا رسول الله؟ قال أبوك حذافة. قال ثم أكثر أن يقول سلوني سلوني!! فبرك عمر على ركبته فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد (ص) رسولاً. قال فسكت رسول الله (ص) حين قال عمر ذلك! ثم قال رسول الله: أولى، والذي نفسي بيده لقد عرضت على الجنة والنار آنفاً في عرض هذا الحائط وأنا أصلي، فلم أر كالיום في الخير والشر!

وقال البخاري في: ٤/٧٣:

عن طارق بن شهاب قال سمعت عمر (رض) يقول: قام فينا النبي (ص) مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم...! حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه.

وقال أبو داود: ١/٥٤٢:

عن أبي قتادة أن رجلاً أتى النبي (ص) فقال: يا رسول الله كيف تصوم؟ فغضب رسول الله (ص) من قوله، فما رأى ذلك عمر قال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً نعوذ بالله من غضب الله ومن غضب رسوله، فلم يزل عمر يردد.. حتى سكن غضب رسول الله (ص). انتهى.

وقال في مجمع الزوائد: ١/١٦١:

عن أبي فراس رجل من أسلم قال قال رسول الله (ص) ذات يوم: سلوني عما شئتم؟ فقال رجل: يا رسول الله من أبي؟ قال: أبوك فلان الذي تدعى إليه، وسأله رجل: في الجنة أنا؟ قال: في الجنة. وسأله رجل: في الجنة أنا؟ قال: في النار!! فقال عمر: رضينا بالله رباً. رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

وقال في مجمع الزوائد: ٧/١٨٨ و ٣٩٠:

وعن أنس قال خرج رسول الله (ص) وهو غضبان! فخطب الناس فقال: لا تسألوني عن شيء اليوم إلا أخبرتكم به، ونحن نرى أن جبريل معه! قلت فذكر الحديث إلى أن قال فقال عمر: يا رسول الله إنا كنا حديثي عهد بجاهلية فلا تبد علينا سوأتنا فاعف عفا الله عنك! رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

وفي مجمع الزوائد: ٩/١٧٠:

وأتاه العباس فقال: يا رسول الله إني انتهيت إلى قوم يتحدثون فلما رأوني سكتوا وما ذاك إلا لانهم يبغضوننا! فقال رسول الله (ص): أو قد فعلوها؟! والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدهم حتى يحبكم، أيرجون أن يدخلوا الجنة بشفاعتي، ولا يرجوها بنو عبد المطلب!

وفي مجمع الزوائد: ٩/٢٥٨:

وجلس على المنبر ساعة وقال: أيها الناس مالي أودى في أهلي؟! فوالله إن شفاعتي لتنال حي حاء، وحكم، وصداء، وسلهب، يوم القيامة!

وفي مجمع الزوائد: ٨/٢١٤:

عقد الهيثمي باباً في عدة صفحات بعنوان: باب في كرامة أصله (ص). وأورد فيه أحاديث عن طهارة آباء النبي وأمهاته صلى الله عليه وعليهم، ونقل حوادث خطيرة أهان فيها القرشيون أسرة النبي صلى الله عليه وآله في حياته، وهم تحت قيادته في المدينة، وهم مسلمون مهاجرون، أو طلقاء من عليهم بالعمو بالأمس في فتح مكة! فغضب النبي صلى الله عليه وآله وأجابهم بشدة!

الحادثة الأولى:

عن عبد الله بن عمر قال إنا لنعوذ بفناء رسول الله (ص) إذ مرت امرأة فقال رجل من القوم: هذه ابنة محمد، فقال رجل من القوم: إن مثل محمد في بني هاشم مثل الريحانة في وسط التنن! فانطلقت المرأة فأخبرت النبي (ص) فجاء النبي (ص) يعرف في وجهه الغضب، ثم قام على القوم فقال: ما بال أقوال تبلغني عن أقوام! إن الله عز وجل خلق السموات سبباً فاختار العليا منها فسكنها وأسكن سمواته من شاء من خلقه، وخلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشاً، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم، فأنا من خيار إلى خيار، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم.

والثانية:

عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب قال: أتى ناس من الأنصار النبي (ص) فقالوا: إنا نسمع من قومك حتى يقول القائل منهم إنما مثل محمد نخلة نبتت في الكبا (قال حسين الكبا الكناسة) فقال رسول الله (ص): أيها الناس من أنا؟ قالوا أنت رسول الله، قال: أنا محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب - قال فما سمعناه ينتمى قبلها - ألا أن الله عز وجل خلق خلقه ثم فرقهم فرقتين، فجعلني في خير الفريقين، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً، فأنا خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً... رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

والثالثة:

عن ابن عباس قال توفي ابنٌ لصفية عمه رسول الله (ص) فبكت عليه وصاحت، فأتاها النبي (ص) فقال لها: يا عمه ما يبكيك؟ قالت توفي ابني، قال: يا عمه من توفي له ولدٌ في الإسلام فصبر، بنى الله له بيتاً في الجنة. فسكتت ثم خرجت من عند رسول الله (ص) فاستقبلها عمر بن الخطاب فقال: يا صفية قد سمعت صراخك، إن قرابتك من رسول الله (ص) لن تغني عنك من الله شيئاً! فبكت فسمعها النبي (ص) وكان يكرمها ويحبها، فقال: يا عمه أتبكين وقد قلت لك ماقلت؟! قالت: ليس ذاك أبكاني يا رسول الله، استقبلني عمر بن الخطاب فقال إن قرابتك من رسول الله (ص) لن تغني عنك من الله شيئاً! قال فغضب النبي (ص) وقال: يا بلال هجر بالصلاة فهجر بلال بالصلاة، فصعد المنبر (ص) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تنفع!! كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي، فإنها موصولة في الدنيا والآخرة!

فقال عمر: فتزوجت أم كلثوم بنت علي رضي الله عنهما لما سمعت من رسول الله (ص) يومئذ، أحببت أن يكون لي منه سببٌ ونسب. ثم خرجت من عند رسول الله (ص) فمررت على نفر من قريش فإذا هم يتفخرون ويذكرون أمر الجاهلية فقلت رسول الله (ص)! فقالوا: إن الشجرة لتنبت في الكبا (المزبله) قال فمررت إلى النبي (ص) فأخبرته! فقال يا بلال هجر بالصلاة فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا

أيها الناس من أنا؟ قالوا أنت رسول الله، قال أنسبوني، قالوا أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، قال أجل أنا محمد بن عبد الله، وأنا رسول الله، فما بال أقوام يبتدلون أصلي!! فوالله لانا أفضلهم أصلاً وخيرهم موضعاً!

قال فلما سمعت الأنصار بذلك قالت قوموا فخذوا السلاح، فإن رسول الله (ص) قد أغضب، قال فأخذوا السلاح ثم أتوا النبي (ص) لا ترى منهم إلا الحدق، حتى أحاطوا بالناس فجعلوهم في مثل الحرء، حتى تضايقت بهم أبواب المسجد والسكك!! ثم قاموا بين يدي رسول الله (ص) فقالوا: يا رسول الله لا تأمرنا بأحد إلا أبرنا عترته. فلما رأى النفر من قريش ذلك قاموا إلى رسول الله (ص) فاعتذروا وتنصلوا!! فقال رسول الله (ص): الناس دثارٌ والأنصار شعار، فأثنى عليهم وقال خيراً. انتهى.

وقال في الدر المنثور: ٢/٣٣٥:

وأخرج الفريابي وابن جرير وابن مردويه عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله (ص) وهو غضبان محمار وجهه، حتى جلس على المنبر فقام إليه رجل فقال: أين آبائي؟ قال في النار! فقام آخر فقال من أبي؟ فقال أبوك حذافه، فقام عمر بن الخطاب فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبالقرآن إماماً، إنا يا رسول الله حديث عهد بجاهليته وشرك والله أعلم من آباؤنا!! فسكن غضبه، ونزلت هذه الآية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ.

وقال في الدر المنثور: ٤/٣٠٩:

وأخرج الزبير بن بكار في الموفقيات عن ابن عباس رضى الله عنهما قال سألت عمر بن الخطاب (رض) عن قول الله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ؟ قال: كان رجال من المهاجرين في أنسابهم شئ فقالوا يوماً والله لوددنا أن الله أنزل قرآنًا في نسبنا، فأنزل الله ما قرأت.

ثم قال لى: إن صاحبكم هذا يعنى على بن أبى طالب إن ولى زهد، ولكنى أخشى عجب نفسه أن يذهب به. قلت: يا أمير المؤمنين إن صاحبنا من قد علمت، والله ما نقول إنه غير ولا بدل ولا أسخط رسول الله (ص) أيام صحبته! فقال: يابن عباس من ظن أنه يرد بحوركم فيغوص فيها حتى يبلغ قعرها فقد ظن عجزاً! انتهى.

وراجع أيضاً: سنن ابن ماجه: ١/٥٤٦، ومسند أحمد: ٣/١٦٢ وص ١٧٧ وج ٥/٢٩٦ و ٣٠٣، وسنن البيهقي: ٤/٢٨٦، ومصنف عبد الرزاق: ١١/٣٧٩، وكنز العمال: ٤/٤٤٣ وج ١٣/٤٥٣

من مجموع هذه النصوص يصل الباحث إلى نتائج قطعية متعددة، نذكر منها:

أولاً - أن القرشيين لم يتركوا حساسيتهم من بنى هاشم حتى بعد فتح مكة وإعلان إسلامهم! غاية الأمر أنهم استثنوا منهم شخص النبي صلى الله عليه وآله!

بل من حق الباحث أن يشك في هذا أيضاً، فالطلاق أسلموا مهزومين تحت السيف! ولم يكونوا يستطيعون أن يتفوهوا بحرف على شخص النبي صلى الله عليه وآله، وإلا كفروا وعرضوا أنفسهم لسيوف الأنصار!

ثانياً - أن القرشيين كانوا في حياة النبي صلى الله عليه وآله وفي عاصمته، وتحت لواء نبوته، وتحت سيوف الأنصار.. شرسين على أسرته وعشيرته صلى الله عليه وآله، وكانت ألسنتهم بذيئة على أصل النبي صلى الله عليه وآله وعشيرته، حتى ضجَّ من ذلك الأنصار، وجاءوا يشكون إلى النبي صلى الله عليه وآله بذاءة قريش بحقه، طالبين منه معالجة هذه الألسنة المنافة، أو إصدار أمر بتقتيلهم. وقد قال الهيثمي عن حديث شكوى الأنصار: رجاله رجال الصحيح!!

ثالثاً - أن الحوادث التي تكلم فيها القرشيون على أسرة النبي صلى الله عليه وآله متعددة، فقد نقلت كتب الحديث منها أكثر من عشرة حوادث، ولا بد أن ما لم تنقله أكثر وأعظم!!

رابعاً - أن النبي صلى الله عليه وآله كانت حساسيته من هذا الموضوع عالية جداً، وكان رده دائماً شديداً، فهو يتعامل معه على أنه موضوع ديني وليس موضوعاً شخصياً، لأن عدم الإيمان بأسرته الطاهرة، يساوق عدم الإيمان به صلى الله عليه وآله.

خامساً - أن إحدى الحوادث كانت كبيرة بذاتها، أو بالتراكم، فغضب الله تعالى لغضب نبيه صلى الله عليه وآله، وأمره بالرد على القرشيين (المسلمين الصحابة) وإتمام الحجّة عليهم، وأنزل عليه جبرئيل ليكون إلى جانبه يوجهه ويحييه عن أنساب القرشيين، وعن مستقبلهم في الجنة أو في النار!!!.

سادساً - أن النبي صلى الله عليه وآله أحضرهم في المسجد وأمر الأنصار بمحاصرتهم بالسلاح، وخطب خطبةً نبويةً ناريةً بليغةً عاصفةً، صبَّ فيها الغضب الإلهي والنبوي على القرشيين، وتحداهم في أنسابهم وأعمالهم ونواياهم! فلّفوا رؤوسهم! واستغشوا ثيابهم! وعلا خينهم وبكاؤهم! وكان ذلك أشد يوم عليهم!!!

فتدارك الموقف زعيمهم وتقدم وبرك على قدمي النبي صلى الله عليه وآله! وقبلها! وبكى له! ليعفو عنهم! ولا- يفضح أنسابهم! وعشائريهم! ولا يصدر عليهم حكمه بالقتل، أو بالحرمان من الحقوق المدنية حتى أداء الشهادة!! فسكت النبي صلى الله عليه وآله ولم يقل لهم كلمة قبول أو عفو! وهدأت عاصفة الانتقام النبوي في الدنيا!!!

سابعاً - إنها قضيةٌ ضخمةٌ في الحساب العقائدي والفقهى والسياسى، تستحق الدراسة ووضع النقاط على الحروف.. ولكن الخلافة القرشية تعرف كيف تتخلص منها، فتعتم عليها إن استطاعت، أو تحولها إلى مجد لقريش، ولا تسمح لبنى هاشم أن يستفيدوا منها! ومن أجل هذا كانت براعة الخليفة عمر في طريقته روايتها، ثم كانت براعة الرواة ومصنفي الصحاح في تجزئتها وتقطيع أوصالها وتغيب حقيقتها!

وهذه هي مهمة جيل ما بعد الأنبياء!!

أما عبد الله بن الزبير الزهرى، فقد كان عنده عقدةٌ من بنى هاشم مع أنهم أحوال أبيه! وقد اشتهر عنه أنه لم يكن يطيق ذكرهم، وأنه ترك حتى ذكر النبي صلى الله عليه وآله والصلاة عليه في خطبة الجمعة حتى لا تشمخ أنوف بنى هاشم بزعمه! والظاهر أن القرشيين ربّوه على كره بنى هاشم منذ كان غلاماً، وأن له مشاركة في قصة الغضب النبوي! فقد روى عنه الهيثمى في مجمع الزوائد: ٨/٢١٥ افتراءً عجيباً على النبي فى ذم أهل بيته صلى الله عليه وآله حيث حول كلام قريش الذى غضب منه النبي صلى الله عليه وآله وغضب منه الله تعالى من فوق عرشه كما رأيت.. إلى حديث مسند عن النبي صلى الله عليه وآله!!

قال الهيثمى: وعن عبد الله ابن الزبير عن النبي (ص) قال: مثلى ومثل أهل بيتى كمثل نخلة نبتت فى مزبله. رواه الطبرانى وهو منكر، والظاهر أنه من قول الزبير إن صح عنه، فإن فيه ابن لهيعة ومن لم أعرفه. وعن ابن الزبير أن قريشاً قالت: إن مثل محمد مثل نخلة فى كبوة. رواه البزار بإسناد حسن، وهذا الظن به.

براعة البخارى فى تضييع القضية

المحدث العادى-فضلاً عن البخارى-يعرف أن هذا الحديث قصةٌ واحدةٌ كما ذكر صاحب فتح البارى، أو اثنتان فى الأكثر.. وهنا تظهر براعة البخارى فى اختراع العناوين لجعل قطعة الحديث تحتها، أو عقد باب مناسب لتغطية حقيقة الحديث! ففى: ١/٣١:

عقد له باباً باسم: باب الغضب فى الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره. فجعله من نوع غضب المدرس والواعظ! وفى: ٣٢/:

جعله من نوع تأدب التلميذ بين يدي معلمه فسمى الباب: باب من برک على ركبته عند الإمام أو المحدث! وفى: ١٣٦/:

وضع جزءاً منه تحت عنوان: باب وقت الظهر عند الزوال! بحجة أن خطبة النبي صلى الله عليه وآله النارية القاصعة كانت عند الزوال!

وفى: ٤/٧٣:

جعل جزءاً منه تحت عنوان: ما جاء في قول الله تعالى وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ.. بحجة أن الراوى قال: قام فينا النبي (ص) مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم!

وفى: ٧/١٥٧:

عقد له باباً باسم: باب التعوذ من الفتن! وكان الموضوع كان حديثاً هادئاً عاماً لكل الأمة عن الفتن الآتية، وأن عمر قال: رضينا بالله رباً وبمحمد رسولاً... نعوذ بالله من الفتن!

وفى: ٨/١٤٢:

عقد له باباً باسم: باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه وقوله تعالى: لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ!.. وكان ينبغي له أن يسمى الباب: باب وجوب امتثال أمر النبي إذا أمر بالسؤال، وأن لا يربط الآية به، ولا يحشرها في هذا الموضوع أصلاً كما فعلت قريش، لأن موضوع الآية كراهة السؤال، وموضوع الحديث أمر النبي صلى الله عليه وآله المكرر المشدد لقريش أن يسألوه!

اللهم إلا يقصد البخارى بكراهة السؤال: كراهة إلحاح المعلم على تلاميذه بقوله سلوني! فيكون الخطأ حينئذ من النبي صلى الله عليه وآله لأنه ألح عليهم بالسؤال! ويكون موقف عمر تصحيحاً لخطأ النبي صلى الله عليه وآله كما هي عادته المشكورة!!

ماذا قال كبار الشراح؟

لا خبر عند شراح الصحاح بالقضية، فلا رأوا شيئاً ولا سمعوا ولا قرؤوا، ولا شموا رائحة شىء يستوجب التساؤل والبحث!! قال ابن حجر فى فتح البارى:

قوله سئل النبي (ص) عن أشياء.. كان منها السؤال عن الساعة وما أشبه ذلك من المسائل، كما سيأتى فى حديث ابن عباس فى تفسير المائدة!

قوله قال رجل: هو عبد الله بن حذافة بضم أوله وبالذال المعجمة والفاء، القرشى السهمى، كما سماه فى حديث أنس الآتى.

قوله فقام آخر: هو سعد بن سالم مولى شيبه بن ربيعة، سماه بن عبد البر فى التمهيد فى ترجمة سهيل بن أبى صالح، وأغفله فى الاستيعاب ولم يظفر به أحد من الشارحين، ولا من صنّف فى المبهمات ولا فى أسماء الصحابة، وهو صحابى بلا مرية، لقوله فقال من أبى يا رسول الله؟ ووقع فى تفسير مقاتل فى نحو هذه القصة أن رجلاً من بنى عبد الدار قال من أبى؟ قال سعد: نسبه إلى غير أبيه، بخلاف ابن حذافة! وسيأتى مزيد لهذا فى تفسير سورة المائدة.

قوله فلما رأى عمر.. هو بن الخطاب.. ما فى وجهه، أى من الغضب، قال: يا رسول الله إنا نتوب إلى الله، أى مما يوجب غضبك، وفى حديث أنس الآتى بعد أن عمر برك على ركبته، فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً، والجمع بينهما ظاهر، بأنه قال جميع ذلك فنقل كل من الصحابين ما حفظ، ودل على اتحاد المجلس اشتراكهما فى نقل قصة عبد الله بن حذافة.

تنبيه: قصر المصنف الغضب على الموعظة والتعليم دون الحكم لأن الحاكم مأموراً أن لا يقضى وهو غضبان، والفرق أن الواعظ من شأنه أن يكون فى صورة الغضبان، لأن مقامه يقتضى تكلف الإنزعاج لأنه فى صورة المنذر!!

وكذا المعلم إذا أنكر على من يتعلم منه سوء فهم ونحوه، لأنه قد يكون أدهى للقبول منه، وليس ذلك لازماً فى حق كل أحد، بل يختلف باختلاف أحوال المتعلمين. وأما الحاكم فهو بخلاف ذلك كما يأتى فى بابه.

فإن قيل: فقد قضى عليه الصلاة والسلام فى حال غضبه حيث قال: أبوك فلان!

فالجواب: أن يقال أولاً، ليس هذا من باب الحكم!! وعلى تقديره فيقال هذا من خصوصياته لمحل العصمة، فاستوى غضبه ورضاه،

ومجرد غضبه من الشيء دالاً على تحريمه أو كراهته، بخلاف غيره (ص).

قوله باب من برك: هو بفتح الموحدة والراء المخففة يقال: برك البعير إذا استناخ، واستعمل في الادمى مجازاً.

قوله خرج، فقام عبد الله بن حذافة: فيه حذف يظهر من الرواية الأخرى، والتقدير خرج فسئل فأكثروا عليه، فغضب!! فقال سلوني، فقام عبد الله.

قوله فقال رضيينا بالله رباً.. قال ابن بطال: فهم عمر منه أن تلك الاسئلة قد تكون على سبيل التعنت أو الشك، فخشى أن تنزل العقوبة بسبب ذلك! فقال رضيينا بالله رباً الخ. فرضى النبي (ص) بذلك، فسكت!

قوله وقال سلوني: في حديث أنس المذكور فصعد المنبر فقال: لا تسألوني عن شيء إلا بينته لكم.

وفي رواية سعيد بن بشير عند قتادة عن أبي حاتم: فخرج ذات يوم حتى صعد المنبر، وبين في رواية الزهري المذكورة في هذا الباب وقت وقوع ذلك، وأنه بعد أن صلى الظهر، ولفظه: خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر فلما سلم قام على المنبر فذكر الساعة، ثم قال: من أحب (!) أن يسأل عن شيء فليسأل عنه، فذكر نحوه.

قوله فقام رجل فقال يا رسول الله من أبي؟ بين في حديث أنس من رواية الزهري اسمه، وفي رواية قتادة سبب سؤاله، قال فقام رجل كان إذا لاحى أى خاصم دعى إلى غير أبيه، وذكرت اسم السائل الثاني، وأنه سعد، وأنى نقلته من ترجمته سهيل بن أبي صالح من تمهيد بن عبد البر.

وزاد في رواية الزهري الاتية بعد حديثين فقام إليه رجل فقال: أين مدخلى يا رسول الله؟ قال: النار! ولم أقف على اسم هذا الرجل في شيء من الطرق كأنهم أبهموه عمدًا للستر عليه!

وللطبراني من حديث أبي فراس الاسلمى نحوه، وزاد: وسأله رجل في الجنة أنا؟ قال: في الجنة، ولم أقف على اسم هذا الآخر.

ونقل بن عبد البر عن رواية مسلم أن النبي (ص) قال في خطبته: لا يسألني أحد عن شيء إلا أخبرته، ولو سألتني عن أبيه، فقام عبد الله بن حذافة، وذكر فيه عتاب أمه له وجوابه، وذكر فيه فقام رجل فسأل عن الحج فذكره، وفيه فقام سعد مولى شيبه فقال من: أنا يا رسول الله؟ قال أنت سعد بن سالم مولى شيبه. وفيه فقام رجل من بني أسد فقال: أين أنا؟ قال: في النار!! فذكر قصة عمر، قال فنزلت: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ.. الآية.

ونهى النبي (ص) عن قيل وقال، وكثرة السؤال (!؟) وبهذه الزيادة يتضح أن هذه القصة سبب نزول: لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِنْ تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ، فإن المساءة في حق هذا جاءت صريحة بخلافها في حق عبد الله بن حذافة، فإنها بطريق الجواز أى لو قدر أنه في نفس الأمر لم يكن لايه، فبين أباه الحقيقي لا فتضحت أمه، كما صرحت بذلك أمه حين عاتبته على هذا السؤال، كما تقدم في كتاب الفتن.

قوله: فلما رأى عمر ما بوجه رسول الله (ص) من الغضب.. بين في حديث أنس أن الصحابة كلهم فهموا ذلك، ففي رواية هشام فإذا كل رجل لافاً رأسه في ثوبه يبكي، وزاد في رواية سعيد بن بشير: وظنوا أن ذلك بين يدي أمر قد حضر! وفي رواية موسى بن أنس عن أنس الماضية في تفسير المائدة: فغطوا رؤوسهم ولهم حين.. زاد مسلم من هذا الوجه: فما أتى على أصحاب رسول الله (ص) يوم كان أشد منه!

قوله: فقال إنا نتوب إلى الله عز وجل.. زاد في رواية الزهري: فبرك عمر على ركبته فقال رضيينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً. وفي رواية قتادة من الزيادة نعوذ بالله من شر الفتن. وفي مرسل السدي عند الطبري في نحو هذه القصة: فقام إليه عمر فقبل رجله وقال رضيينا بالله رباً فذكر مثله، وزاد: وبالقرآن إماماً فاعف عفى الله عنك فلم يزل به... حتى رضى.

وفي هذا الحديث غير ما يتعلق بالترجمة مراقبة الصحابة أحوال النبي (ص) وشدة إشفاقهم إذا غضب خشية أن يكون لامر يعم فيعهمهم، وإدلال عمر عليه وجواز تقبيل رجل الرجل، وجواز الغضب في الموعظة، وبروك الطالب بين يدي من يستفيد منه، وكذا التابع بين يدي المتبوع إذا سأله في حاجته، ومشروعية التعوذ من الفتن عند وجود شيء قد يظهر منه قرينة وقوعها، واستعمال المزاجه في الدعاء

في قوله اعف عفى الله عنك، وإلا فالنبي (ص) معفو عنه قبل ذلك.

قال ابن عبد البر: سئل مالك عن معنى النهي عن كثرة السؤال، فقال: ما أدري أنهى عن الذى أنتم فيه من السؤال عن النوازل، أو عن مسألة الناس المال.

قال بن عبد البر: الظاهر الأول، وأما الثانى فلا معنى للتفرقة بين كثرته وقلته، لا حيث يجوز ولا حيث لا يجوز.

قال: وقيل كانوا يسألون عن الشئ ويلحون فيه إلى أن يحرم. قال: وأكثر العلماء على أن المراد كثرة السؤال عن النوازل والاعلوطيات والتوليدات، كذا.

وقال النووي فى شرح مسلم: ٨/٢٩١ فى سبب غضب النبى صلى الله عليه وآله كما تصوره أو صورته:

قوله: رجل أتى النبى فقال كيف تصوم فغضب رسول الله (ص).. قال العلماء: سبب غضبه أنه كره مسألته، لأنه يحتاج إلى أن يجيبه ويخشى من جوابه مفسدة، وهى أنه ربما اعتقد السائل وجوبه أو استقله أو اقتصر عليه، وكان يقتضى حاله أكثر منه!!
وقال فى: ١٥-١٦/١١١:

قوله: غطوا رؤوسهم ولهم خنين، هو بالخاء المعجمة هكذا هو فى معظم النسخ ولمعظم الرواة ولبعضهم بالخاء المهملة. وممن ذكر الوجيهن القاضى وصاحب التحرير وآخرون، قالوا: ومعناه بالمعجمة صوت البكاء وهو نوع من البكاء دون الانتحاب. قالوا وأصل الخنين خروج الصوت من الانف كالحنين بالمهملة من الفم. وقال الخليل: هو صوت فيه غنة، وقال الاصمعى: إذا تردد بكأؤه فصار فى كونه غنة فهو خنين. وقال أبو زيد: الخنين مثل الخنين وهو شديد البكاء.

قوله: فلما أكثر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يقول: سلونى برك عمر فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً. فسكت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين قال عمر ذلك. قال العلماء: هذا القول منه (صلى الله عليه وآله وسلم) محمول على أنه أوحى إليه وإلا فلا يعلم كل ما سئل عنه من المغيبات إلا بإعلام الله تعالى.

قال القاضى: وظاهر الحديث أن قوله (صلى الله عليه وآله): سلونى إنما كان غضباً كما قال فى الرواية الأخرى سئل النبى (صلى الله عليه وآله) عن أشياء كرهها فلما أكثر عليه غضب، ثم قال للناس: سلونى. وكان اختياره (ص) ترك تلك المسائل، لكن وافقهم فى جوابها، لأنه لا يمكن رد السؤال، ولما رآه من حرصهم عليها!! والله أعلم.

وأما بروك عمر (رض) وقوله: فإنما فعله أدباً وإكراماً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وشفقةً على المسلمين لئلا يؤذوا النبى (صلى الله عليه وآله) فيهلكوا!!

ومعنى كلامه: رضينا بما عندنا من كتاب الله تعالى وسنة نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) واكتفينا به عن السؤال. فيه أبلغ كفاية. انتهى.

وأنت ترى أن ابن حجر والنووى غائبان عن كلام النبى صلى الله عليه وآله، وأن فى كلامهما تهافتاً ونقاط ضعف كثيرة لا نطيل فيها.. وليس كلام غيرهما من الشراح أفضل، وإن كان فيه مادة مهمة لمن أراد أن يتتبع ملف القضية!

الحادثة فى بعض روايات أهل البيت

قال النيشابورى فى الفضائل/١٣٤:

عن سليم بن قيس يرفعه إلى أبى ذر والمقداد وسلمان قالوا: قال لنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب: إنى مررت بفلان يوماً فقال لى: ما مثل محمد فى أهل بيته إلا كمثل نخلة نبتت فى كناسة! قال: فأتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فذكرت ذلك له، فغضب غضباً شديداً، فقام فخرج مغضباً وصعد المنبر ففرغت الأنصار ولبسوا السلاح، لما رأوا من غضبه، ثم قال: ما بال أقوام يعيرون أهل بيتى؟! وقد سمعونى أقول فى فضلهم ما أقول، وخصصتهم بما خصهم الله تعالى به، وفضل علياً عليهم بالكرامة وسبقه إلى الإسلام وبلائه،

وأنه منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي!

ثم إنهم يزعمون أن مثلي في أهل بيتي كمثل نخلة نبتت في كناسة! ألا إن الله سبحانه وتعالى خلق خلقه وفرقهم فرقتين، وجلعتني في خيرها شعباً وخيرها قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً، حتى حصلت في أهل بيتي وعشيرتي وبنى أبي، أنا وأخي علي بن أبي طالب....

أنا خير النبيين والمرسلين، وعلى خير الوصيين، وأهل بيتي خير بيوت أهل النبيين، وفاطمة ابنتي سيده نساء أهل الجنة أجمعين.

أيها الناس: أترجون شفاعتي لكم، وأعجز عن أهل بيتي؟!!

أيها الناس: ما من أحد غداً يلقي الله تعالى مؤمناً لا يشرك به شيئاً إلا أجره الجنة، ولو أن ذنوبه كتراب الأرض.

أيها الناس: لو أخذت بحلقه باب الجنة ثم تجلى لي الله عز وجل، فسجدت بين يديه ثم أذن لي في الشفاعة، لم أؤثر على أهل بيتي أحداً.

أيها الناس: عظموا أهل بيتي في حياتي وبعد مماتي، وأكرمهم وفضلوهم، لا يحل لأحد أن يقوم لأحد غير أهل بيتي، فانسبونني من أنا؟!!

قال فقام الأنصار وقد أخذوا بأيدهم السلاح، وقالوا: نعوذ الله من غضب الله وغضب رسوله، أخبرنا يا رسول الله من آذاك في أهل بيتك حتى تضرب عنقه؟!!

قال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، ثم انتهى بالنسب إلى نزار، ثم مضى إلى إسماعيل بن إبراهيم خليل الله، ثم مضى منه إلى نوح، ثم قال: أنا وأهل بيتي كطينة آدم عليه السلام نكاح غير سفاح!

سلوني، والله لا يسألني رجل إلا أخبرته عن نسبه وعن أبيه!

فقام إليه رجل فقال: من أنا يا رسول الله؟ فقال: أبوك فلان الذي تدعى إليه! قال فارتد الرجل عن الإسلام.

ثم قال صلى الله عليه وآله والغضب ظاهر في وجهه: ما يمنع هذا الرجل الذي يعيب على أهل بيتي وأهلي وأخي ووزيري وخليفتي من بعدي وولي كل مؤمن ومؤمنة بعدي، أن يقوم ويسألني عن أبيه، وأين هو في جنة أم في نار؟!!

قال فعند ذلك خشى فلان على نفسه أن يذكره رسول الله صلى الله عليه وآله ويفضحه بين الناس فقام وقال: نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله، ونعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، أعف عنا عفى الله عنك، أقلنا أقالك الله، أسترنا سترك الله، إصفح عنا جعلنا الله فداك. فاستحى النبي صلى الله عليه وآله وسكت، فإنه كان من أهل الحلم وأهل الكرم وأهل العفو ثم نزل صلى الله عليه وآله!!

وقال فرات الكوفي في تفسيره/٣٩٢:

حدثنا عبد السلام بن مالك قال: حدثنا محمد بن موسى بن أحمد قال: حدثنا محمد بن الحارث الهاشمي قال: حدثنا الحكم بن سنان الباهلي، عن ابن جريج، عن عطاء بن أبي رباح قال: قلت لفاطمة بنت الحسين: أخبريني جعلت فداك بحديث أحدث واحتج به على الناس. قالت: نعم أخبرني أبي أن النبي صلى الله عليه وآله كان نازلاً بالمدينة، وأن من أتاه من المهاجرين مرسوا أن يفرضوا لرسول الله صلى الله عليه وآله فريضة يستعين بها على من أتاه، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا: قد رأينا ما ينوبك من النوائب، وإنا أتيناك لتفرض فريضة تستعين بها على من أتاك.

قال: فأطرق النبي صلى الله عليه وآله طويلاً، ثم رفع رأسه فقال: إني لم أؤمر أن آخذ منكم على ما جئتم به شيئاً، إنطلقوا فإني لم أؤمر بشيء، وإن أمرت به أعلمتكم.

قال: فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد إن ربك قد سمع مقالة قومك، وما عرضوا عليك، وقد أنزل الله عليهم فريضة: قل لا أسئلكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى.

قال فخرجوا وهم يقولون: ما أراد رسول الله إلا أن تذلل الأشياء وتخضع الرقاب ما دامت السماوات والأرض لبنى عبد المطلب!!
قال: فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي بن أبي طالب أن أصعد المنبر وادع الناس إليك ثم قل: أيها الناس من انتقص أجيراً أجره فليتبوأ مقعده من النار، ومن ادعى إلى غير مواليه فليتبوأ مقعده من النار، ومن انتفى من والديه فليتبوأ مقعده من النار!!
قال: فقام رجل وقال: يا أبا الحسن ما لهن من تأويل؟ فقال: الله ورسوله أعلم. فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره، فقال رسول الله: ويلٌ لقريش من تأويلهن! ثلاث مرات. ثم قال: يا علي إنطلق فأخبرهم أني أنا الأجير الذي أثبت الله مودته من السماء، ثم أنا وأنت مولى المؤمنين، وأنا وأنت أبوا المؤمنين.

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا معشر قريش والمهاجرين والأنصار. فلما اجتمعوا قال: يا أيها الناس، إن علياً أولكم إيماناً بالله وأقومكم بأمر الله، وأوفاكم بعهد الله، وأعلمكم بالقضية، وأقسمكم بالسوية، وأرحمكم بالرعية، وأفضلكم عند الله مزية. ثم قال: إن الله مثل لي أمتي في الطين، وعلمني أسماءهم كما علم آدم الأسماء كلها، ثم عرضهم فمر بي أصحاب الرايات فاستغفرت لعلي وشيعته، وسألت ربي أن تستقيم أمتي على علي من بعدى، فأبى إلا أن يضل من يشاء ويهدى من يشاء. انتهى.
وقال محمد بن سليمان في المناقب: ٢/١٢٢:

عن عبد المطلب بن أبي ربيعة قال: قال العباس: يا رسول الله إن قريشاً إذا لقي بعضهم بعضاً لقوا يبشر حسن، وإذا لقونا لقونا بوجوه نكرها! فغضب رسول الله (صلى الله عليه وآله) غضباً شديداً، ثم قال: والذي نفسى بيده لا يدخل قلب عبد الإيمان حتى يحبكم الله ورسوله. هكذا قال خالد قال أبو خليفة، فأما أبي فحدثناه عن يزيد بن هارون، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله بن الحارث، عن العباس بن عبد المطلب (رض) قال: قلت: يا رسول الله.. فذكر نحوه أو مثله.
وقال في هامشه:

وروى أبو بكر ابن أبي شيبة في الحديث الأول والثالث من فضائل العباس من كتاب الفضائل تحت الرقم: ١٢٢٥٩ والرقم: ١٢٢٦١ من كتاب المصنف: ١٢/١٠٨ - ١٠٩ قال: حدثنا ابن فضيل، عن يزيد، عن عبد الله بن الحارث قال: حدثني عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب أن العباس دخل على رسول الله (ص) وهو مغضب، فقال له رسول الله (ص): من أغضبك؟ قال: يا رسول الله مالنا ولقريش إذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة وإذا لقونا لقونا بغير ذلك؟! قال: فغضب رسول الله (ص) حتى احمر وجهه، وحتى استدر عرق بين عينيه، وكان إذا غضب استدر العرق - فلما سرى عنه قال: والذي نفس محمد بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم الله ورسوله. ثم قال: أيها الناس من آذى العباس فقد آذاني إنما عم الرجل صنو أبيه.

حدثنا ابن نمير عن سفيان عن أبيه عن أبي الضحى مسلم بن صبيح قال: قال العباس: يا رسول الله إنا لنرى الضغائن في وجوه قوم من وقائع أوقعتها فيهم. فقال النبي (ص): لن يصيبوا خيراً حتى يحبوكم الله ولقرايتي، ترجو سلهب شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب؟! أقول: والحديث الأول رواه الحاكم في فضائل العباس من كتاب المستدرک: ٣/٣٣٢ قال: أخبرنا الشيخ أبو بكر بن إسحاق أخبرنا إسماعيل بن قتيبة حدثنا يحيى بن يحيى وإسحاق بن إبراهيم وأبو بكر بن أبي شيبة قالوا:...

وأيضاً الأولان رواهما أحمد بن حنبل في مسند عبد المطلب بن ربيعة من كتاب المسند، ورواه عنه ابن كثير في تفسير آية المودة من سورة الشورى من تفسيره.

وقد روى الحافظ ابن عساكر معنى الحديث بوجوه وأسانيد في ترجمة العباس من تاريخ دمشق، كما أورده أيضاً البدران في تهذيبه: ٧/٢٣٩ فراجعهما.

وروى عمر بن شبه في عنوان: ذكر فضل بنى هاشم... من تاريخ المدينة المنورة: ٢/٦٣٩ قال: حدثنا يزيد بن هارون قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث عن العباس بن عبد المطلب قال: قلت: يا رسول الله إن قريشاً إذا لقي بعضها بعضاً لقوا يبشر حسن وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها! فغضب النبي غضباً شديداً فقال: والذي نفس محمد بيده لا يدخل

قلب عبد الإيمان حتى يحبكم الله ولرسوله حدثنا خلف بن الوليد قال: حدثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث عن المطلب بن ربيعه بنحوه.

حدثنا عمرو بن عون قال: أنبأنا بن عبد الله عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث عن المطلب بن ربيعه قال: كنت جالساً عند رسول الله (ص) فدخل عليه العباس وهو مغضب فقال: يا نبي الله ما بال قريش إذا تلاقوا بينها فتلاقوا بوجوه مبشره وإذا لقونا لقونا بغير ذلك! قال: فغضب النبي (ص) حتى احمرَّ وجهه وقال: لا يدخل قلب رجال الإيمان حتى يحبكم الله ولرسوله.

وحدثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي قال: حدثني أبي عن أبيه عن جده قال: قال العباس: يا رسول الله إن قريشاً تتلاقى بينهما بوجوه لا تلقانا بها! فقال رسول الله (ص): أما إن الإيمان لا يدخل أجوافهم حتى يحبوكم لي.

حدثنا أبو حذيفة قال: حدثنا سفيان عن أبيه عن أبي الضحى: عن ابن عباس قال: جاء العباس إلى رسول الله (ص) فقال: إنك تركت فينا ضغائن منذ صنعت الذي صنعت! فقال رسول الله (ص): لن يبلغوا الخير - أو قال الإيمان - حتى يحبوكم لله لقرابتي، أيرجو سؤالهم شفاعتي من مراد ولا يرجو بنو عبد المطلب شفاعتي. انتهى.

وسعوا شفاعاً النبي لليهود والنصارى ولم يسمحوا أن تشمل أسرته

شفاعة النبي صلى الله عليه وآله تتسع لكل المسلمين.. بل لكل الموحدين.. بل لكل الخلق.. هذا ما تقوله مصادر إخواننا السنيين.. ولكن هذه المصادر عندما تصل إلى آباء النبي صلى الله عليه وآله وأسرتهم تختلف لهجتها! فالشفاعة لا تشملهم، بل هم في النار والعذاب.. وأحسنهم حالاً أبو طالب الذي (يشفع) له النبي صلى الله عليه وآله لأنه نصره، فلا تؤثر شفاعته فيه بسبب شرك أبي طالب وكثرة ذنوبه! فيضعه الله تعالى في ضحضاح ماء ناري يغمر قدميه فيغلي منه دماغه!!

وفيما يلي نستعرض ما رواه السيوطي في تفسير قوله تعالى: **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**. ولك أن تلاحظ التأثيرات القرشية على هذه الروايات.

وينبغي أولاً - أن نشير إلى أن مرحلة **(وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)** هي المرحلة الأولى من دعوة النبي صلى الله عليه وآله وهي مرحلة الدعوة الخاصة لأقاربه بنى هاشم، وقد استمرت هذه المرحلة عدة سنين، ثم بدأت عدها المرحلة العامة، عندما أمره الله تعالى بأن يصدع بدعوته لعامة الناس..

ولكن المؤرخين أتباع الخلافة القرشية يعتمون على هذه المرحلة، أو يسمونها المرحلة السريّة، أو مرحلة ما قبل دار الأرقم.. الخ. وقد أعطوا لدار الأرقم دوراً خيالياً لطمس حقيقة أن الدعوة الإلهية اختصت في مرحلتها الأولى بنبي هاشم، وأنهم وحدهم حموا النبي صلى الله عليه وآله من فراغته قريش، وقد فعل ذلك مسلمهم إيماناً، وكافرهم حميةً، وتحملوا جميعاً ماعداً أبي لهب قرار المقاطعة والحصار القرشي ثلاث سنوات بل أربع سنوات.. حتى فك الله حصارهم بمعجزة!!

قال السيوطي في الدر المنثور: ٥/٩٥:

قوله تعالى: **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**..

أخرج أحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان وفي الدلائل عن أبي هريرة (رض) قال لما نزلت هذه الآية: **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**، دعا رسول الله (ص) قريشاً وعم وخص، فقال:

يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار فإنني لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً.

يا معشر بنى كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، فإنني لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً.

يا معشر بنى قصي أنقذوا أنفسكم من النار، فإنني لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً.

يا معشر بنى عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، فإنى لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً.

يا بنى عبدالمطلب أنقذوا أنفسكم من النار، فإنى لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً.

يا فاطمة بنت محمد أنقذى نفسك من النار، فإنى لا أملك لك ضراً ولا نفعاً، إلا أن لكم رحماً وسأبها ببلاها.

وأخرج عبد بن حميد وابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما نزلت وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، جعل يدعوهم قبائل قبائل. انتهى.

ففى هذه الرواية (الصحيحة) فى مصادرهم صار معنى (عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) كل قريش! وصار تعبير (أَلْأَقْرَبِينَ) غلطاً قرآنياً يلزم على قريش أن تصححه! لأنه لم يبق معنى لعشيرته الأبعدين والأوسطين!

وصار أول ما قاله النبى صلى الله عليه وآله لهم: إن قرابتى لا- تنفعكم وشفاعتى لا تنالكم! وصار كل القرشيين أرحام النبى الذين وعدهم بصله الرحم والشفاعة يوم القيامة!

ولكن هذا الكلام يناسب منطق النبى صلى الله عليه وآله بعد انتصاره وفتح مكة مثلاً، ولا يناسب بداية نبوته ودعوته عشيرته الأقربين للتوحيد والإسلام! وقد ورد شبيه ذلك عند فتح مكة.

غير أن القرشيين يريدون سلب أى امتياز أعطاه الله ورسوله لبنى هاشم، فالامتيازات لقريش كلها، لا لبنى هاشم! وفى نفس الوقت يريدون خلط أنفسهم بعشيرة النبى صلى الله عليه وآله والاستفادة من قرابته أمام العالم!

وقد استفادوا منه فعلاً فى مقابل الأنصار فى السقيفة، وقامت خلافة أبى بكر وعمر على حق (قرابتهما) من النبى صلى الله عليه وآله! بل تجرأ رواة القرشيين ووضعوا على لسان النبى صلى الله عليه وآله أن عشيرته الأقربين هم كل قريش!

قال فى الدر المنثور: ٥/٩٦:

وأخرج ابن مردويه عن عدى بن حاتم أن النبى (ص) ذكر قريشاً فقال: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، يعنى قومي!

وفى مسند أحمد: ٢/٣٣٣:

عن أبى هريرة قال: لما نزلت: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، جعل يدعو بطون قريش بطناً بطناً يا بنى فلان أنقذوا أنفسكم من النار.. حتى انتهى إلى فاطمة فقال: يا فاطمة ابنة محمد، أنقذى نفسك من النار، لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أن لكم رحماً سأبها ببلاها.

ولكن روايات أخرى فلتت منهم واعترفت بأن عشيرته الأقربين تعنى بنى هاشم فقط!

قال فى الدر المنثور: ٥/٩٨: قوله تعالى: وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ.. الآيتين، أخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج قال لما نزلت: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، بدأ بأهل بيته وفصيلته، فشق ذلك على المسلمين فأنزل الله: وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ. انتهى.

فالرواية تعترف بأن عشيرته الأقربين هم أهل بيته وفصيلته، لكنها تجعل الآية التى بعدها لبقية المسلمين! ولكن من هم المسلمون الذين شق عليهم ذلك! وهل كان يوجد مسلم من غير بنى هاشم عند نزول الآية!؟

لقد كان الأولى بالرواية أن تقول: شق ذلك على قريش قبل إسلامها، وبعد أن اضطرت للدخول فى الإسلام، فجعلت خلافة النبى صلى الله عليه وآله إرثاً لها دون بنى هاشم!

روايات أخرى غير منطقية أيضاً

من عادة المفسرين عندما يصلون إلى آية فى حق أهل البيت (عليهم السلام) أن يحشدوا الآراء والإحتمالات والروايات المتناقضة فيها، ليضعوا بذلك مناقب عتره نبيهم صلى الله عليه وآله! ومما حشده المفسرون هنا:

ما رواه السيوطى فى الدر المنثور: ٥/٩٦ قال:

وأخرج عبد بن حميد عن قتادة (رض): وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، قال ذكر لنا أن نبى الله (ص) نادى على الصفا بأفخاذ عشيرته فخذاً

فخذاً يدعوهم إلى الله فقال في ذلك المشركون: لقد بات هذا الرجل يهوت منذ الليلة.

قال وقال الحسن (رض): جمع نبي الله (ص) أهل بيته قبل موته فقال: ألا إن لي عملي ولكم عملكم، ألا إنى لا أغنى عنكم من الله شيئاً، ألا- إن أوليائى منكم المتقون، ألا لا أعرنكم يوم القيامة تأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم، ويأتى الناس يحملون الآخرة. يا صفيئة بنت عبد المطلب يا فاطمة بنت محمد إعملا فإنى لا أغنى عنكما من الله شيئاً. انتهى.

أما رواية قتادة فإن النداء على الصفا يناسب المرحلة العامة التى أمر النبي فيها أن يصدع بالدعوة لكل الناس.. أما إنذار عشيرته الخاصين الذين كان عدد رجالهم أربعين نفرأً فيناسبه أن يدعوهم إلى طعام ويحدثهم كما ورد فى الروايات المعقولة.

وأما رواية قتادة عن الحسن البصرى إن صحت فلا علاقة لها بالموضوع، لأنها عند وفاته صلى الله عليه وآله والآية نزلت فى أول بعثته! ومع أن الحسن البصرى غلام فارسى، فهو مع قبائل قريش وحساسيتها ضد أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ويريد أن يقول بهذه الرواية إن النبي صلى الله عليه وآله كان يخاف من حرص ابنته فاطمة وعمته صفيئة وعترته على الدنيا، ولذلك جمعهم وحذرهم! وقال فى الدر المنثور: ٥/٩٦:

وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة أن رسول الله (ص) قال: يا بنى هاشم ويا صفيئة عمه رسول الله، إنى لا أغنى عنكم من الله شيئاً، إياكم أن يأتى الناس يحملون الآخرة وتأتون أنتم تحملون الدنيا، وإنكم تردون على الحوض ذات الشمال وذات اليمين، فيقول القائل منكم يا رسول الله أنا فلان ابن فلان، فأعرف الحسب وأنكر الوصف، إياكم أن يأتى أحدكم يوم القيامة وهو يحمل على ظهره فرساً ذات حمحمه، أو بعيراً له رغاء، أو شاة لها ثغاء، أو يحمل قشعاً من آدم، فيختلجون من دونى، ويقال لى إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك! فطيبوا نفساً وإياكم أن ترجعوا القهقرى من بعدى!

قال عكرمة (رض): إنما قال لهم رسول الله (ص) هذا القول حيث أنزل الله عليه: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ انتهى.

ومع أن عكرمة غلام لابن عباس الهاشمى، لكنه معروف ببغضه لعتره النبي صلى الله عليه وآله حتى أنه انضم إلى الخوارج. وهو بهذا التفسير يقول إن علياً وفاطمة وعتره النبي انحرفوا بعد النبي صلى الله عليه وآله ورجعوا بعده القهقرى! لأنهم عارضوا خلافة قريش ولم يطيخوا نفساً عن الخلافة لقريش، ولذلك سوف يمنعون من ورود الحوض، ولا تنالهم شفاعه النبي صلى الله عليه وآله

لقد أخذ عكرمة عبارات النبي صلى الله عليه وآله التى روت الصحاح أنه قالها عن صحابته الذين يرتدون من بعده ويمنعون من ورود حوضه يوم القيامة، وجعلها لعشيرة النبي صلى الله عليه وآله الأقربين، ثم ادعى عكرمة أن النبي كان يعرف هذا الإنحراف من أول يوم أمره الله تعالى أن ينذر عشيرته الأقربين!

وقد روى السيوطى نفس مضمون عكرمة عن أبى أمامه أيضاً.

ثم قال فى الدر المنثور: ٥/٩٧:

وأخرج ابن مردويه وابن عساكر والديلمى عن عبد الواحد الدمشقى قال: رأيت أبا الدرداء يحدث الناس ويفتيهم وولده وأهل بيته جلوس فى جانب الدار يتحدثون، فقيل له: يا أبا الدرداء ما بال الناس يرغبون فيما عندك من العلم وأهل بيتك جلوس لاهين؟! فقال: إنى سمعت نبي الله (ص) يقول: إن أزهدهم فى الأنبياء وأشدهم عليهم الأقربون! وذلك فيما أنزل الله: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ.. إلى آخر الآية. انتهى.

فهؤلاء الرواة الشاميون يريدون أن يقولوا على لسان أبى الدرداء: إن أولاد النبي وعترته صلى الله عليه وآله كانوا لاهين عن علمه كأولاد أبى الدرداء! وإن بنى هاشم كانوا أشد الناس على النبي صلى الله عليه وآله فقد كذبوه وأرادوا قتله، وحاصروه فى شعب بنى أمية!! لكن القرشيين حموه من بنى هاشم، وتحملوا معه الحصار أربع سنوات، فحق لهم أن يرثوه ويحكموا من بعده، خاصة آل أبى سفيان الكرام!!

ويطول بنا الكلام إذا أردنا أن ننقد كل ما رووه فى تفسير هذه الآية، وكيف جردوا عتره النبي وعشيرته الاقربين صلى الله عليه وآله

من كل فضيلة، وحرموهم من كل امتياز أعطاهم إياه الله تعالى ورسوله!

ولكننا نشير هنا إلى أن الرواة خلطوا عن عمد وبعضهم عن جهل بين أربع حوادث: الأولى: نزول الآية وبداية إنذار النبي صلى الله عليه وآله لبنى عبد المطلب بدعوتهم إلى طعام.

والثانية: مرحلة الإنذار العام عندما صعد النبي صلى الله عليه وآله على الصفا في المرحلة الثانية من الدعوة، ونادى واصباحاه، وبدأ يدعو قريشاً والعالم.

والثالثة: عندما دخل النبي صلى الله عليه وآله مكة فاتحاً، وخضع له أبو سفيان وبقية أئمة الكفر من قريش، وأحس بعض بنو عبد المطلب بالنصر والفخر، وامتلأت قلوب القرشيين حسداً لهم، وتفكيراً في مرحلة ما بعد النبي صلى الله عليه وآله.

والرابعة: في مرض وفاته صلى الله عليه وآله عندما شكى له بنو هاشم ما يحسونه من خطر قبائل قريش عليهم من بعده وتحالفهم على إبعادهم.

وإليك أهم ما بقى من روايات السيوطي المخلوطة في تفسير آية الاقربين:

قال في الدر المنثور: ٥/٩٦:

وأخرج ابن مردويه عن البراء قال لما نزلت على النبي (ص): وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، صعد النبي (ص) ربوة من جبل فنادى: يا صباحاه، فاجتمعوا فحذروهم وأنذروهم، ثم قال: لا أملك لكم من الله شيئاً، يا فاطمة بنت محمد أنقذى نفسك من النار فإنى لا أملك لك من الله شيئاً. انتهى.

وأخرج مسدد ومسلم والنسائي وابن جرير والبغوي في معجمه والباوردي والطحاوي وأبو عوانة وابن قانع والطبراني وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن قبيصة بن مخارق وزفير بن عمرو قال: لما نزلت: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، انطلق رسول الله (ص) إلى ربوة من جبل فعلا أعلاها حجراً ثم قال: يا بني عبد مناف إنى نذير لكم، إنما مثلى ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد أهله فخشى أن يسبقوه إلى أهله، فجعل يهتف يا صباحاه يا صباحاه، أتيتم أتيتم.

وأخرج عبد بن حميد والترمذي وابن جرير وابن مردويه عن أبي موسى الأشعري قال: لما نزلت: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، وضع رسول الله (ص) اصبعيه في أذنيه ورفع صوته وقال: يا بني عبد مناف يا صباحاه.

وأخرج ابن مردويه عن الزبير بن العوام قال: لما نزلت وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، صاح على أبي قبيس: يا آل عبد مناف إنى نذير فجاءته قريش فحذروهم وأنذروهم.

وأخرج سعيد بن منصور والبخاري وابن مردويه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما نزلت وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، ورهطك منهم المخلصين خرج النبي (ص) حتى صعد على الصفا فنادى: يا صباحاه فقالوا: من هذا الذى يهتف قالوا محمد فاجتمعوا إليه فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال: أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى؟

قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً.

قال: فإنى نذير لكم بين يدي عذاب شديد.

فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟! فنزلت: تبت يدا أبا لهب وتب. انتهى.

فهذه الروايات تناسب بداية مرحلة الدعوة العامة كما أشرنا، وقد جعلوها لمرحلة الدعوة الخاصة بينى هاشم، وذكروا فيها فاطمة الزهراء عليها السلام قبل ولادتها!!

أما الرواية اليتيمة المعقولة التي رواها السيوطي فهي حديث الدار المعروف..

قال في الدر المنثور: ٥/٩٧:

وأخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي في الدلائل من طرق عن علي (رض) قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله (ص): وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، دعاني رسول الله (ص) فقال: يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أني مهما أبادوهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصممتُ عليها حتى جاء جبريل فقال: يا محمد إنك إن لم تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك، فاصنع لي صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاةً واجعل لنا عساً من لبن، ثم اجمع لي بنى عبد المطلب حتى أكلهم وأبلغ ما أمرت به، ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له، وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب، فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به، فلما وضعته تناول النبي (ص) بضعة من اللحم فشققها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحيفة، ثم قال: كلوا بسم الله، فأكل القوم حتى نهلوا عنه، ما ترى إلا آثار أصابعهم! والله إن كان الرجل الواحد ليأكل ما قدمت لجميعهم!

ثم قال: إسق القوم يا علي، فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله! فلما أراد النبي (ص) أن يكلمهم بדרه أبولهب إلى الكلام فقال: لقد سحركم صاحبكم! فتفرق القوم ولم يكلمهم النبي (ص). فلما كان الغد قال: يا علي إن هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلهم، فعد لنا بمثل الذي صنعت بالامس من الطعام والشراب، ثم اجمعهم لي ففعلت، ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته ففعل كما فعل بالامس، فأكلوا وشربوا حتى نهلوا، ثم تكلم النبي (ص) فقال:

يا بنى عبد المطلب إنى والله ما أعلم أحداً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتمكم به، إنى قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيكم يوازرنى على أمرى هذا؟ فقلت وأنا أحدثهم سناً: إنه أنا، فقام القوم يضحكون. انتهى. ورواه السيوطى بسند آخر عن ابن مردويه عن البراء بن عازب، قال: لما نزلت هذه الآية: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، جمع رسول الله (ص) بنى عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلاً، منهم العشرة يأكلون المسنة ويشربون العس... الخ. انتهى. - وقد روى المحذوثون ومؤرخو السيرة هذا الحديث، لكن السيوطى بتره هنا ولم يذكر بقية كلام النبي صلى الله عليه وآله.. وهو أسلوب دأب رواة خلافة قریش على ارتكابه ضد عترته النبي وأسرته صلى الله عليه وآله، والسبب في ذلك أن بقية الحديث تقول إن الله أمر رسوله من ذلك اليوم أن يختار وزيراً وخليفةً من عشيرته الأقربين!

قال الأمينى فى الغدير: ١/٢٠٧:

وها نحن نذكر لفظ الطبرى بنصه حتى يتبين الرشد من الغى، قال فى تاريخه: ٢/٢١٧ من الطبعة الأولى: إنى قد جئتم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرنى الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيكم يوازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصىى وخليفتى فيكم؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت وإنى لآحدثهم سناً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً، وأحشمهم ساقاً: أنا يا نبى الله أكون وزيرك عليه. فأخذ برقبتي ثم قال: إن هذا أخى ووصىى وخليفتى فيكم فاسمعوا له وأطيعوا. قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لآبى طالب: قد أمرك أن تسمع لآبنك وتطيع!! وقال الأمينى فى: ٢/٢٧٩:

وبهذا اللفظ أخرجه أبو جعفر الاسكافى المتكلم المعتزلى البغدادى المتوفى ٢٤٠ فى كتابه نقض العثمانية وقال: إنه روى فى الخبر الصحيح.

ورواه الفقيه برهان الدين فى (أبناء نجباء الأبناء) ٤٦ - ٤٨ وابن الاثير فى الكامل ٢/٢٤ وأبو الفداء عماد الدين الدمشقى فى تاريخه: ١/١١٦ وشهاب الدين الخفاجى فى شرح الشفا للقاضى عياض: ٣/٣٧ (وبتر آخره) وقال: ذكر فى دلائل البيهقى وغيره بسند صحيح. والخازن علاء الدين البغدادى فى تفسيره/ ٣٩٠ والحافظ السيوطى فى جمع الجوامع كما فى ترتيبه: ٦/٣٩٢ نقلاً عن الطبرى وفى ٣٩٧ عن الحفاظ الستة: ابن إسحاق وابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه وأبى نعيم والبيهقى. وابن أبى الحديد فى شرح نهج

البلاغة ٣/٢٥٤. انتهى.

ثم شكّا صاحب الغدير من تحريف الذين حرفوا الحديث لارضاء قريش، ومنهم الطبرى الذى رواه فى تفسيره بنفس سنده المتقدم فى تاريخه، ولكن أبهم كلام النبى صلى الله عليه وآله فى حق على (رض) فقال: ثم قال: إن هذا أخى وكذا وكذا. وتبعه على ذلك ابن

كثير فى البداية والنهاية ٣/٤٠ وفى تفسيره ٣/٣٥١

وقال فى مناقب آل أبى طالب: ١/٣٠٥ وما بعدها:

وأما بيعه العشيّة، قال النبى صلى الله عليه وآله: بعثت إلى أهل بيتي خاصة، وإلى الناس عامه

وهذا النص النبوى هو أصح تفسير لقوله تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ.

وقد ذكر فى المناقب أن السيد الحميرى نظم هذه المنقبة لبنى هاشم فقال:

وقيل له أنذر عشيرتك الآلى وهم من شباب أربعين وشيب

فقال لهم إني رسول اليكم ولست أرانى عندكم بكذوب

وقد جتتكم من عند رب مهيمن جزيل العطايا للجزيل وهوب

فأيكم يقفوا مقالى فأمسكوا فقال ألا من ناطق فمجيبى

ففاز بها منهم علىّ وسادهم وما ذاك من عاداته بغريب

وله أيضاً:

ويوم قال له جبريل قد علموا أنذر عشيرتك الادين إن بصرو

فقام يدعوهم من دون أمته فما تخلف عنه منهم بشر

فمنهم آكلٌ فى مجلس جذعاً وشاربٌ مثل عس وهو مختفر

فصدهم عن نواحي قصعة شبعاً فيها من الحب صاع فوقه الوزر

فقال يا قوم إن الله أرسلنى اليكم فأجيئوا الله وأدّكرو

فأيكم يجتبي قولى ويؤمن بى إني نبي رسول فانبى غدر

فقال تبا أتدعوننا لتلفتنا عن ديننا ثم قام القوم فانشمرو

من الذى قال منهم وهو أحدثهم سناً وخيرهم فى الذكر إذ سطرو

آمنت بالله.. قد أعطيت نافلة لم يعطها أحد جنّ ولا بشر

وإن ما قلته حقٌ وإنهم إن لم يجيبوا فقد خانوا وقد خسرو

ففاز قدماً بها والله أكرمه فكان سباق غايات إذا ابتدرو

وقال دعبل:

سقياً لبيعة أحمد ووصيه أعنى الإمام ولينا المحسود

أعنى الذى نصر النبى محمداً قبل البرية ناشياً ووليد

أعنى الذى كشف الكروب ولم يكن فى الحرب عند لقائها رعيد

أعنى الموحد قبل كل موحد لا عابداً وثناً ولا جلود

وقال فى هامش بحار الأنوار: ٣٢/٢٧٢:

وناهيك من ذلك مؤاخاته مع رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر من الله عز وجل فى بدء الإسلام حين نزل قوله تعالى: وَأَنْذِرْ

عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ...

راجع تاريخ الطبري ٢ - ٣٢١ كامل ابن الاثير ٢ - ٢٤ تاريخ أبي الفداء ١ - ١١٦ والنهج الحديدي ٣ - ٢٥٤ مسند الإمام ابن حنبل ١ - ١٥٩ جمع الجوامع ترتيبه ٦ - ٤٠٨ كنز العمال ٦ - ٤٠١.

وهذه المؤاخاة مع أنها كانت بأمر الله عزوجل إنما تحققت بصورة البيعة والمعاهدة (الحلف) ولم يكن للنبي صلى الله عليه وآله أن يأخذ أخاً ووزيراً وصاحباً وخليفة غيره ولا لعل أن يقصر في مؤازرته ونصرتة والنصح له ولدينه كمؤازرة هارون لموسى على ما حكاها الله عزوجل في القرآن الكريم. ولذلك ترى رسول الله صلى الله عليه وآله حين يؤاخي بعد ذلك المجلس بين المهاجرين بمكة فيؤاخي بين كل رجل وشقيقه وشكله: يؤاخي بين عمر وأبي بكر، وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف، وبين الزبير وعبد الله بن مسعود، وبين عبيدة بن الحارث وبلال، وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبي وقاص، وبين أبي عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة، وبين حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة الكلبي (راجع سيرة ابن هشام ١-٥٠٤ المحبر ٧١-٧٠ البلاذري ١/٢٧٠) يقول لعل عليه السلام: والذي بعثني بالحق نبياً ما أخرجتك إلا لنفسى فأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وأنت أخي ووارثي وأنت معي في قصرى في الجنة. ثم قال له: وإذا ذاكرتك أحد فقل: أنا عبد الله وأخو رسوله، ولا يدعيها بعدي إلا كاذب مفتر (الرياض النضرة ٢-١٦٨ منتخب كنز العمال ٥-٤٥ و ٤٦).

ولذلك نفسه تراه صلى الله عليه وآله حينما عرض نفسه على القبائل فلم يرفعوا إليه رؤسهم ثم عرض نفسه على بني عامر بن صعصعة قال رجل منهم يقال له بيحرة بن فراس بن عبد الله بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة: والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب ثم قال لرسول الله: أرأيت إن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء! قال فقال له: أفنهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟! لا حاجة لنا بأمرك، فأبوا عليه (راجع سيرة ابن هشام ١-٤٢٤ الروض الأنف ١-٢٦٤ بهجة المحافل ١-١٢٨ سيرة زيني دحلان ١-٣٠٢ السيرة الحلبية ٢-٣). فلولا أنه صلى الله عليه وآله كان تعاهد مع على عليه السلام بالخلافة والوصاية بأمر من الله عزوجل، قبل ذلك لَمَا ردهم بهذا الكلام المؤيس، وهو بحاجة ماسة من (..) نصره أمثالهم. انتهى.

وختاماً فإن ما أوردناه يكفي لإثبات أن قبائل قريش كانت قبل الإسلام تحسد قبيلة بني هاشم حسداً إلى العظم، وأنها بعد إسلامها وخضوعها للنبي صلى الله عليه وآله ابن بني هاشم! لم تشف من هذا المرض، بل انتقل حسداً وحساسيتها إلى عشيرة النبي وعترته من أهل بيته صلى الله عليه وآله واتفقوا عزلهم سياسياً بعد النبي صلى الله عليه وآله.

وعلى هذا الأساس يجب على المؤمن والباحث أن يكون حذراً في تصديق أحاديث المصادر القرشيه في هذا الموضوع، وفي كل ما يتعلق ببني هاشم.. ومن ذلك الأحاديث التي تنفي وعد الرسول صلى الله عليه وآله لاسرته بالشفاعة الخاصة في الآخرة..

اغرب شفاعه اخترعها القرشيون لرئيس بني هاشم

كل مطلع على سيرة النبي صلى الله عليه وآله يعرف أن عمه أبا طالب كان حاميه وناصره، وأنه بحمايته ونصرتة استطاع أن يصدع بدعوته، وبحكمه أبي طالب ونفوذه المعنوي وقف الهاشميون في وجه قريش إلى جانب النبي صلى الله عليه وآله وصمدوا في حصار الشعب أربع سنوات، وبإخلاصه واستماتته في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وآله أفضل الله أكثر خطط قريش في إهانته النبي وقتله. ويعرف أن أبا طالب له ديوان شعر نقلته مصادر السيرة والتاريخ و كله في تأييد النبي والإيمان به وفي ذم قادة المشركين الذين وقفوا ضده.. وأن رواة الخلافة القرشيه لو وجدوا بيتين من الشعر لشخصيه قرشيه يحبونها من المعاصرين لأبى طالب لطلبوا بأحدهما وزمروا بالآخر واستخرجوا منهما عشرين دليلاً على إيمانه.

ويتفق فقهاء المذاهب أن القاضي إذا شك في إسلام شخص متوفى، يكفيه لإثبات إسلامه إقراره أو شهادة شاهدين عاديين بأنه كان مسلماً.. ولكن إثبات إسلام أبي طالب لا يكفي له عندهم إقراراته الصريحه، ولا ألوف الشهود!

ثم إن أهل البيت أدري بما فيه والأبناء أعرف بآبائهم، وإن علياً وأبناءه الصادقين المصدقين الطاهرين المطهرين بنص القرآن، قد شهدوا بأن أبا طالب كان مسلماً مؤمناً يكتفئ إيمانه، وأن مثله مثل مؤمن آل فرعون.. ولكن ذلك لم يكف أيضاً في نظر قريش لإثبات إسلام أبي طالب!

والسبب في كل هذا التشدد والتعنت أن قريشاً لا تريد إعطاء هذا الوسام لابى طالب، وعندها لذلك مبررات عديدة: أولاً: أبو طالب بن عبد المطلب، هو رئيس بنى هاشم وزعيم قريش بعد أبيه عبدالمطلب. وإذا أعطى هذا الوسام فإن أولاده أولى بملك ابن عمهم النبي محمد! صلى الله عليه وآله.. ولا إخالك تقول هنا إن هذا منطوق قبلي غير إسلامي، فإن نظام الخلافة الإسلامي إنما قام على أساس القبليّة، وإنما كانت حجة عمر وأبي بكر في السقيفة قرابتهما القبليّة من محمد وأنه من قريش وقريش أولى بسلطانه!

فالمنطق الذي حكم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وقامت عليه خلافة قريش هو المنطق القبلي وقد كان هو المنطق العام الحاكم عند الجميع! لا يستثنى منه إلا منطوق النص الذي قال به أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم، ولم يصغ لهم أحدٌ إلا الاقلون عدداً! ثانياً: إن شعر أبي طالب رضوان الله عليه ما زال يرنُّ في آذان قادة قريش!! وفيه لهم من التوبيخ والتعنيف لهم، ووصفهم بالחסد والبغى والجحود والكفر وقطيعة الرحم، والحقارة.. وأسوأ الصفات!! فالإعتراف بإسلامه إعطاء شعره الصفة لشعره الذي نشر به غسيل قريش!

ثالثاً: إن أبا طالب والد علي، وعلي يطالب بخلافة النبي بالنص، وهو المعارض الأول لأن تكون خلافة محمد لكل قريش تدور بين قبائلها بقاعدة من غلب! وهذه المعارضة ذنبٌ يجب أن يدفع ثمنه عليٌّ وأولاده وأبوه أبو طالب! والظاهر أن أكبر ذنب لابى طالب عندهم أنه والد علي.. فلو كان والد معاوية لاحتبه قريش وقالت عنه إنه أسلم وحسن إسلامه، وشملته شفاعة النبي صلى الله عليه وآله

فقد غفرت قريش لأبي سفيان ما لم يغفره الله ورسوله، ونسيت أنه إمام الكفر، ومحزب الأحزاب، والعدو اللدود الذي لم يلق سلاحه في وجه الإسلام إلا مكرهاً، ولم يسلم إلا مكرهاً! بل غفرت له قولته عندما وصلت الخلافة إلى بنى أمية (تلقفوها يا بنى أمية تلقف الكفرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من جنّة ولا نار)!

لهذه الأسباب وغيرها صدر حكم قريش بحق أبي طالب بأن حمايته للنبي صلى الله عليه وآله ودفاعه عنه وتحمله الشدائد من أجله واتصالاته بالقبائل ورسائله إليهم وإلى النجاشي وعمله الدائب من أجل تمكين النبي من نشر دعوته.. كل ذلك كان عصية هاشميةً فقط، وأنه مات كافراً وليس له أي حق في وراثته النبي صلى الله عليه وآله وليس لأولاده أي امتياز بسبب حمايته أبيهم للنبي، بل هم من قريش وقريش هي التي ترث سلطان محمد! وقد قال عمر للأَنْصار في السقيفة: نحن قومه وعشيرته فمن ذا ينازعنا سلطان محمد؟! إنسجماً مع هذه الثقافة تجد في مصادر السنين أعجب الأحاديث عن أبي طالب، ولعل أعجبها على الإطلاق حديث شفاعة النبي صلى الله عليه وآله لهذا العم الذي أحبه ورباه وحماه وفداه بنفسه وأولاده.. فشفع له النبي صلى الله عليه وآله ووضع في مكان من جهنم يغلى منه دماغه!

قال البخارى في: ٧/٢٠٣:

عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه سمع رسول الله (ص) وذكر عنده عمه أبو طالب، فقال: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلى منه أم دماغه!!

ورواه في: ٤/٢٠٢ وروى نحوه أحمد في: ١/٢٩٠ وص ٢٩٥ وص ٢٠٦ وص ٢٠٧ وج ٣/٩ وص ٥٠ وص ٥٥ والحاكم في: ٤/٥٨٢ والبيهقي في البعث والنشور/٥٩ والذهبي في تاريخ الإسلام: ١/٢٣٤ وغيره من مصادرهم. وقال ابن الاثير في النهاية: ٣/١٣: ضحضاح: الضحضاح: في الأصل مارق من الماء على وجه الأرض وما يبلغ الكعبين فاستعاره للنار.

وقال البخارى فى: ٤/٢٤٧:

باب قصة أبى طالب. حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن سفيان، حدثنا عبد الملك، حدثنا عبد الله بن الحرث، قال حدثنا العباس بن عبد المطلب (رض): قال للنبي (ص): ما أغنيت عن عمك فوالله كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: هو فى ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار!!

ورواه فى: ٧/١٢١ وص ٢٠٣ ورواه مسلم: ١/١٣٥ ورواه أحمد فى: ١/٢٠٦ و٢٠٧ و٢١٠ وج ٣/٥٠ و٥٥ قال: عن عباس بن عبد المطلب قال: يا رسول الله هل نفعت أباطالب بشئ فإنه قد كان يحوطك ويغضب لك! قال: نعم هو فى ضحضاح من النار لولا ذلك لكان فى الدرك الأسفل من النار. انتهى.

فهذه الرواية تريد بيان التأثير الكبير لشفاعة النبي صلى الله عليه وآله لعمه وأن أباطالب بالأساس يستحق الدرك الأسفل من النار مثل أبى لهب وأبى جهل وفراعنة قريش الذين كذبوا النبي وأرادوا قتله، والذين نص الله تعالى على طغيانهم وعقابهم! فحماء الأنبياء فى منطق هذه الأحاديث مثل أعدائهم، بل أسوأ حالاً منهم!

وقد روى أن أباطالب كان فى طمطم من النار فخفف الله عنه! وطمطم النار هو وسطها الملتهب! قال فى مجمع الزوائد: ١/١١٨ عن لسان النبي صلى الله عليه وآله: وقد وجدت عمى أباطالب فى طمطم من النار فأخرجه الله لمكانه منى وإحسانه الى فجعله فى ضحضاح من النار. انتهى.

لقد تحير علماء ثقافة قريش فى هذا النوع من الشفاعة المخترعة، لأن الشفاعة إما أن يأذن بها الله تعالى لرسوله فيخلص المشفوع له من النار ويدخله الجنة، وإما أن لا- يأذن بها فيبقى الشخص فى مكانه فى النار.. وما ذكرته أحاديث الضحضاح ليس بشفاعة! ولكنهم ابتكروا له اسماً خاصاً وهو شفاعته التخفيف والنقل من الدرك الأسفل من النار إلى مستنقع من النار وضحضاحها!

قال القسطلانى فى إرشاد السارى: ٩/٣٢٨:

الشفاعات كما قال عياض خمسة، وقد زاد سادسة هى التخفيف عن أبى طالب. انتهى.

ثم احتاط القسطلانى لثلاث يقال كيف تسمون الضحضاح شفاعته؟ فقال هى شفاعته مجازية وليست حقيقة!

قال فى إرشاد السارى: ٩/٣٢٤: إن أباطالب لما بالغ فى إكرام النبي (ص) والذب عنه، جوزى بالتخفيف، وأطلق على ذلك شفاعته! انتهى.

وهكذا بالغ النبي بزعم رواة قريش فى إكرام عمه كما بالغ عمه فى إكرامه!!

على أن مقصود القرشيين من رواية الضحضاح قد يكون تشديد العذاب على أبى طالب لا- تخفيفه، فيكون ما تصوره النوى من المبالغة فى إكرام أبى طالب مبالغته فى عذابه! فقد روت مصادر الثقافة القرشية أن العذاب فى الضحضاح أشد من بقيتها!

قال السيوطى فى الدر المنثور: ٤/١٢٧:

وأخرج ابن أبى حاتم عن السدى فى الآية قال: إن أهل النار إذا جزعوا من حرها استغاثوا بضحضاح فى النار، فإذا أتوه تلقأهم عقارب كأنهن البغال الدهم، وأفاع كأنهن البخاتى، فضربنهم، فذلك الزيادة!

بماذا يفسرون قول النبي سألها بباله

لم يقنع حديث الضحضاح المسلمين بعدم شمول شفاعته النبي صلى الله عليه وآله لعمه الحبيب أبى طالب، خاصة أن رواة الضحضاح روى أن أباطالب له رحم مع النبي صلى الله عليه وآله وأن النبي وعد أنه سيبلها ببالها، فهل لهذا الوعد تفسيراً إلا الشفاعة؟ وهل يسمى وضع أبى طالب فى ضحضاح من نار بلائاً من النبي لرحمه؟!

والطريف أن البخارى نقل حديثاً عن عمرو بن العاص (وزير معاوية) تبرأ فيه النبي من آل أبى طالب وأعلن قطع الولاية والرحم بينه

وبينهم! وفي نفس الحديث وعد من النبي أن يبيل رحمهم ببلاها!!

قال البخارى فى: ٧/٧٣: الرحم شجنه فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته. باب يبيل الرحم ببلاها. عن قيس بن أبى حازم أن عمرو بن العاص قال: سمعت النبي (ص) جهاراً غير سر يقول: إن آل (أبى طالب) قال عمر وفى كتاب محمد بن جعفر بياض، ليسوا بأوليائى إنما وليى الله وصالح المؤمنين. زاد عنبسه بن عبد الواحد عن بيان عن قيس عن عمرو بن العاص قال: سمعت النبي (ص): ولكن لهم رحم أبلاها ببلاها، يعنى أصلها بصلتها. قال أبو عبدالله (أى البخارى) ببلاها كذا وقع وببلاها أجود وأصح وببلاها لا أعرف له وجهاً. وروى نحوه مسلم فى: ١/١٣٣ والترمذى: ٥/١٩ والنسائى: ٦/٢٤٨-٢٥٠ وأحمد: ٢/٣٦٠ وص ٥١٩

وفى بعض رواياتهم توجه الوعد النبوى إلى أبى طالب خاصة، كما فى كتر العمال: ١٢/١٥٢: إن لآبى طالب عندى رحماً سأبلاها ببلاها (ابن عساكر عن عمرو ابن العاص). وراجع كتر العمال: ١٦/١٠ وج ١٢/٤٢

ومعنى بلال الرحم: صلتها حتى ترضى. قال الجوهرى فى الصحاح: ٤/١٦٣٩: ويقال أيضاً: فى سقائك بلال أى ماء... ومنه قولهم: إنضحوا الرحم ببلاها أى صلوا بصلتها وندوها... ويقال أيضاً: لا تملك عندى بلال مثال قطام قالت ليلى الاخيلية:

فلا وأبيك يا ابن أبى عقيل تملك بعدها عندى بلال

وقال فى الصحاح: ٥/١٩٢٩: والرحم أيضاً: القرابة والرحم بالكسر مثله.

قال الأعشى: أما لطالب نعمة يمتها ووصال رحم قد بردت بلاله

وقال فى الدرجات الرفيعة/٥١٤:

إن المكارم أصبحت لهفاناً حرى وأنت بلالها وبليله

وإذا المكارم ذلت أو ضللت يوماً فأنت دلالتها ودليله

وقال ابن الاثير فى البداية والنهاية: ٣/٥١: سأبلاها ببلائها: وفى البيهقى ببلاها: معناه سأصلها. شبهت قطعة الرحم بالحرارة ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة. ومنه بلوا أرحامكم: أى صلواها. انتهى.

والنبي صلى الله عليه وآله عندما استعمل هذا التعبير ووعد هذا الوعد كان يعرف أن معنى بلال الرحم عند العرب إكرام القريب بسخاء حتى يرضى وفوق الرضا، فهو صلى الله عليه وآله أفصح من نطق بالضاد، وأعرف الناس بمعانيها.

لهذا يبقى السؤال للبخارى وكافة علماء الخلافة القرشيه: إذا وعد نبي أسرته وأهل بيته بأنه سيصل رحمهم ويرضيهم، فكيف تتعللون أنه يجعل عمه العزيز عليه منهم الذى له عليه فضل خاص، فى ضحضاح من نار يغلى منه دماغه؟!

ضحضاح النور لا ضحضاح النار

لعل الراوى الاساسى لحديث ضحضاح النار هو المغيرة بن شعبه الثقفى، ثم أخذه عنه الآخرون، أو نسب إليهم.. وسبب إسلام المغيرة أنه كان فى سفر فى تجارة مع عدد من رفقاءه الثقفيين من أهل الطائف، فغدر بهم وقتلهم جميعاً وسرق أموالهم، وفر إلى المدينة... أسلم! وهو معروف بدائه وفساد أخلاقه، وبغضه لعلى عليه السلام وبنى هاشم، وتاريخه مدونٌ معروف!

ولا يبعد أن يكون أخذ تعبير (الضحضاح) من حديث ضحضاح النور الذى ورد فى حق أهل البيت (عليهم السلام) فجعله ضحضاح نار لآبى طالب!

فقد روى الشيخ الطوسى فى الغيبة/١٤٧ قال: وأخبرنا جماعة عن التلعكبرى، عن أبى على أحمد بن على الرازى الأيادى قال: أخبرنى الحسين بن على، عن على بن سنان الموصلى العدل، عن أحمد بن محمد الخليلى، عن محمد بن صالح الهمدانى، عن سليمان بن أحمد، عن زياد بن مسلم، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن سلام قال: سمعت أبا سلمى راعى النبي صلى الله عليه وآله يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: سمعت ليلة أسرى بى إلى السماء قال العزيز جل ثناؤه: آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه.

قلت: والمؤمنون. قال: صدقت يا محمد... إني اطلعت على الأرض اطلاعةً فاخترتك منها فشقت لك إسماً من أسمائي فلا أذكر في موضع إلا وذكرت معي، فأنا المحمود وأنت محمد، ثم اطلعت الثانيةً فاخترت منها علياً وشقت له اسماً من أسمائي فأنا الأعلى وهو علي. يا محمد إني خلقتك وخلقته علياً وفاطمةً والحسن والحسين والأئمة من ولده أشباح نور من نوري، وعرضت ولايتكم علياً السماوات وأهلها وعلى الأرضين ومن فيهن، فمن قبل ولايتكم كان عندى من المقربين ومن جردها كان عندى من الكفار الضالين.

يا محمد لو أن عبداً عبدني حتى ينقطع أو يصير كالشن البالي، ثم أتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتى يقر بولايتكم. يا محمد تحب أن تراهم؟ قلت: نعم يا رب قال التفت عن يمين العرش فالتفت فإذا أنا بأشباح علي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة كلهم حتى بلغ المهدي، في ضحضاح من نور قيام يصلون والمهدي في وسطهم كأنه كوكب دري، فقال لي: يا محمد هؤلاء الحجج، وهو الثائر من عترتك، فوعزتي وجلالي إنه حجةٌ واجبةٌ لوليائي منتقمٌ من أعدائي. انتهى.

ورواه فرات الكوفي في تفسيره/٧٤ عن الإمام الباقر ٧ وقال في هامشه: وأخرجه الحموي في الفرائد ٢-٥٧١ ط ١ والخوارزمي في مقتله والطوسي في الغيبة وصاحب المقتضب كما في البرهان بأسانيدهم إلى أبي سلمى راعى إبل رسول الله صلى الله عليه وآله قال سمعته يقول... (مثله تقريباً). وأخرج صدره القاضي أبو جعفر الكوفي في المناقب ح ١٣٠ وأورده بكامله مع تاليه العلامة المجلسي في البحار ٣٧-٨٢ انتهى. ورواه ابن شاذان في المنقب السابعة عشرة من مناقب علي ٧. ورواه المجلسي في بحار الأنوار: ١٥/٢٤٧ وج ٢٦/٣٠١ ١٨:١٨/٢٩٧

محاولتهم التخلص من الوعد النبوي لبني هاشم

وجد المفسرون للثقافة القرشية أن أحسن طريقةً للتخلص من الوعد النبوي الذي انتشرت روايته في الناس، أن يبعده عن الآخرة كلياً، ويقولوا إنه ليس وعداً بالشفاعة!

قال ابن الأثير في النهاية: ١/١٥٣: سأبلها ببلالها: أي أصلكم في الدنيا ولا أغني عنكم من الله شيئاً، والبلال جمع بلل. انتهى. ولكن ذلك لا يصح:

أولاً، لأنه ورد في سياق حديث النبي صلى الله عليه وآله عن الآخرة وإنقاذ النفس من النار فالأصل أن يكون هذا استثناءً متصلًا من موضوع الحديث ومصبه، لا من خارجه!

وثانياً، أن الحديث في مقام نفع نسبه وسببه صلى الله عليه وآله في الآخرة وقد صح عند الجميع أنه النسب الوحيد الذي لا ينقطع يوم القيامة. وتقدمت روايته عن عمر أن النبي: قال: ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تنفع؟! كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي، فإنها موصولة في الدنيا والآخرة!

وثالثاً، لم يكن النبي يملك دنياً عند نزول أمره تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، حتى يعد أقاربه بها، بل لا معنى لوعده إياهم في ذلك الوقت حتى بالشفاعة في الآخرة، لأنه في مرحلة عرض الإسلام عليهم.. وهذا مما يضعف الرواية بأن هذا الوعد النبوي صدر عند نزول الآية.

ورابعاً، أنهم رَووا هذا الحديث بشأن أبي طالب بعد وفاته كما تقدم في كثر العمال عن ابن عساكر وغيره، فهل وعده النبي بأن يعطيه مالاً بعد وفاته! أم وعد بأن يعطى ذريته ثروة فلم يعطهم وتركهم فقراء!

وخامساً، رَووا في نفس هذا الوعد أن النبي صلى الله عليه وآله خاطب كل قريش ووعدهم ببلال الرحم، فإن قالوا إنه وعدٌ بإعطائهم مالاً في الدنيا دون الآخرة، لزم أن لا تشمل شفاعة النبي صلى الله عليه وآله أحدًا من قريش أبداً، فهل يلتزمون بذلك!

قال النووي في المجموع: ١٥/٣٥٦:

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة واللفظ لمسلم (لما نزلت هذه الآية: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، دعا رسول الله (ص) قريشاً فاجتمعوا، فعم وخص فقال: يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذى نفسك من النار، فإني لا- أملك لكم من الله شيئاً، غير أن لكم رحماً سألها ببلالها) وفي هذا دليل على أن كل من ناداهم النبي (ص) يطلق عليهم لفظ الأقربين، لانه (ص) فعل ذلك ممثلاً لقوله تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، وهو دليل على صحته ما ذهب إليه الشافعي (رض) من دخول النساء لذكره فاطمة، ودخول الكفار. انتهى.

وسادساً، رووا أحاديث عديدة صرحت بالوعد النبوي بالشفاعة في الآخرة، كالذي رواه الحاكم في: ٣/٥٦٨ ورواه مجمع الزوائد: ١/٨٨ وكنز العمال: ١٢/٤١. والذي نفسى بيده لا يؤمن أحدهم حتى يحبكم لحبي! أيرجون أن يدخلوا الجنة بشفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب؟! انتهى.

بل روى في كنز العمال: ١٢/١٠٠ أن شفاعة النبي صلى الله عليه وآله مخصوصة بمن أحب أهل بيته، قال: شفاعتي لامتي، من أحب أهل بيتي وهم شيعتي! انتهى.

وبذلك يتضح أن محاولة إبعاد وعد النبي صلى الله عليه وآله لبني هاشم عن الشفاعة.. محاولة مردودة، بل مشبوهة.

عمل المعروف ينجي الكفار من النار إلا أبا طالب

روى ابن ماجه في سننه: ٢/٤٩٦:

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ص): يُصَفُّ الناس يوم القيامة صفوفًا، وقال ابن نمير أهل الجنة، فيمر الرجل من أهل النار على الرجل فيقول: يا فلان أما تذكر يوم استسقيت فسقيتك شربة؟ قال فيشفع له. ويمر الرجل فيقول: أما تذكر يوم ناولتك طهوراً؟ فيشفع له. قال ابن نمير ويقول: يا فلان أما تذكر يوم بعثتني في حاجة كذا وكذا فذهبت لك؟ فيشفع له. انتهى.

والرجل من (أهل النار) يعني الكافر أو يشمل الكافر الذي قدم خدمته ولو صغيرة للمسلم.. فإذا كانت مكانه المسلم العادي كبيرة عند الله تعالى بحيث يشفعه في من قدم له خدمته ولو بسيطة، فكيف بخدمات أبي طالب لأفضل الخلق صلى الله عليه وآله! ويؤيد حديث ابن ماجه ما رواه السيوطي في الدر المنثور: ٢/٢٤٩: عن ابن مسعود قال قال رسول الله (ص) في قوله: فيوفيه أجورهم ويزيدهم من فضله، قال: أجورهم يدخلهم الجنة، ويزيدهم من فضله الشفاعة فيمن وجبت لهم النار ممن صنع اليهم المعروف في الدنيا.

وما رواه في الدر المنثور: ٣/٢٥٦:

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين، ثم أمر منادياً ينادي: ألا ليقيم أهل المعروف في الدنيا، فيقومون حتى يقفوا بين يدي الله، فيقول الله: أنتم أهل المعروف في الدنيا؟ فيقولون نعم، فيقول وأنتم أهل المعروف في الآخرة، فقوموا مع الأنبياء والرسل فاشفعوا لمن أحببتهم فأدخلوه الجنة حتى تدخلوا عليهم المعروف في الآخرة كما أدخلتم عليهم المعروف في الدنيا!

ويؤيده من مصادرنا ما رواه المجلسي في بحار الأنوار: ٨/٢٨٨

عن ثواب الأعمال للصدوق/١٦٣ قال: أبي، عن سعد، عن النهدي، عن ابن محبوب، عن علي بن يقطين، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل رجلٌ مؤمن وكان له جارٌ كافر فكان يرفق بالمؤمن ويوليه المعروف في الدنيا، فلما أن مات الكافر بنى الله له بيتاً في النار من طين، فكان يقيه حرها ويأتيه الرزق من غيرها، وقيل له: هذا بما كنت تدخل على جارك المؤمن فلان بن فلان من الرفق، وتوليه من المعروف في الدنيا!

وقال المجلسي: هذا الخبر الحسن الذي لا يقصر عن الصحيح، يدل على أن بعض أهل النار من الكفار يرفع عنهم العذاب لبعض أعمالهم الحسنة، فلا يبعد أن يخصص الآيات الدالة على كونهم معذبين فيها لا يخفف عنهم العذاب، لتأييده بأخبار آخر. وفي بحار الأنوار: ٨/٤١ عن ثواب الأعمال أيضاً/١٦٧:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن المؤمن منكم يوم القيامة ليمر به الرجل له المعرفة به في الدنيا وقد أمر به إلى النار والملك ينطلق به، قال فيقول له: يا فلان أغثنى فقد كنت أصنع إليك المعروف في الدنيا وأسعفك في الحاجة تطلبها مني فهل عندك اليوم مكافأة؟ فيقول المؤمن للملك المؤكل به: خلّ سبيله، قال فيسمع الله قول المؤمن فيأمر الملك أن يجيز قول المؤمن، فيخلى سبيله. انتهى. هذه الشفافية في الرحمة الإلهية وإكرامه تعالى لأتباعه وعباده المؤمنين.. تتبخر عند قبائل قريش ورواتهم عندما يصلون إلى أسرة النبي صلى الله عليه وآله!

بل تتحول إلى قسوة وخشونة ينسبوننها إلى الله ورسوله ضد هذه الأسرة التي جعل الله مودتها أجراً لتبليغ الإسلام، لأنه الضمانة الوحيدة لسلامة الإسلام!

احاديث نجت من الرقابة القرشية

مع كل المحاولات المتقدمة بقيت أحاديث عديدة، منها صحيح عندهم، استطاعت أن تعبر نقاط التفتيش، وتنجو من رقابة الثقافة القرشية الحاكمة، وفيما يلي نماذج منها:

تقدمت رواية الهيثمي في مجمع الزوائد: ٨/٢١٦ عن عمر وما قاله لصفية عمه النبي وما أجابه به النبي صلى الله عليه وآله فقد جاء فيها: قال فغضب النبي (ص) وقال: يا بلال هجر بالصلاة فهجر بلال بالصلاة، فصعد المنبر (ص) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما بال أقوام يزعمون أن قرابتى لا تنفع؟! كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى! فإنها موصولة في الدنيا والآخرة! انتهى. وقد حاولت رواية أن تعتذر عن قول الخليفة عمر هذا باتهام أم هانى أخت على عليه السلام بأنها كانت متبرجة، فنهاها عمر عن ذلك، وقال لها ذلك القول! ولكن الظاهر أن حادثة أم هانى حادثة أخرى غير حادثة صفية، وقد كان جواب النبي صلى الله عليه وآله فيها أيضاً حاسماً:

قال في مجمع الزوائد: ٩/٢٥٧:

عن عبد الرحمن بن أبي رافع أن أم هانى بنت أبي طالب خرجت متبرجة قد بدا قرطها، فقال لها عمر بن الخطاب: إعملى فإن محمداً لا يغنى عنك شيئاً، فجاءت إلى النبي (ص) فأخبرته به، فقال رسول الله (ص): ما بال أقوام يزعمون أن شفاعتى لا تنال أهل بيتى؟! وإن شفاعتى تنال حا وحكم!! وحا وحكم قبيلتان. انتهى.

وذكرت مصادرنا كما في بحار الأنوار: ٩٣/٢١٩:

أن عمر قال لها: غطى قرطك فإن قرابتك من رسول الله لا تنفعك شيئاً! فقالت له: هل رأيت لى قرطاً يا ابن اللخنة؟! ثم دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبرته بذلك وبكت، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فنادى الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فقال: ما بال أقوام يزعمون أن قرابتى لا تنفع! لو قمت المقام المحمود لشفعت فى حاء وحكم! لا يسألنى اليوم أحد من أبواه إلا أخبرته! فقام إليه رجل فقال: من أبى يا رسول الله؟ فقال: أبوك غير الذى تدعى له، أبوك فلان بن فلان! فقام آخر فقال: من أبى يا رسول الله؟ قال: أبوك الذى تدعى له! ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما بال الذى يزعم أن قرابتى لا تنفع لا يسألنى عن أبيه؟ فقام إليه عمر فقال: أعوذ بالله يا رسول الله من غضب الله وغضب رسوله، أعف عنى عفا الله عنك...

ونقل البيهقي فى البعث والنشور/٥٩:

حادثة ثالثة: عن أبى هريرة قال كانت امرأه من بنى هاشم تحت رجل من قريش، فكان بينه وبينها شئ فقال لها ستعلمين والله أنه لا

ينفعك قرابتك من رسول الله (ص) شيئاً! فخرج رسول الله مغضباً فقال: ما بال رجال يزعمون أن قرابتي لا تنفع! وإنى لترجو شفاعتى
صدى أو سهلب!

وفى الانساب للسمعاني: ١/٣٠:

عن أبي هريرة وعمار بن ياسر رضى الله عنهما أن النبي (ص) قال: أيها الناس مالي أودى فى أهلى؟! والله إن شفاعتى لتنال حاء وحكم
وسلهب وصداء، تنالها يوم القيامة!

وسلهب فى نسب اليمن من دوس. قال ابن إسحاق: هذا مما يصدق نسابه مضر أن هذه القبائل من معد.

وقال الديلمى فى فردوس الأخبار: ٤/٣٩٩ ح ٤٦٨٣:

أبو سعيد: ما بال أقوام يزعمون أن رحى لا تنفع؟! والله إن رحى لموصولة فى الدنيا والآخرة.

وقال ابن الأثير فى أسد الغابة: ١/١٣٤:

عن شهر بن حوشب قال أقام فلان (يقصد معاوية) خطباء يشتمون علياً رضى الله عنه وأرضاه ويقعون فيه حتى كان آخرهم رجل من
الأنصار أو غيرهم يقال له أنيس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنكم قد أكثرتم اليوم فى سب هذا الرجل وشتمه، وإنى أقسم بالله أنى
سمعت رسول الله (ص) يقول: إنى لاشفع يوم القيامة لأكثر مما على الأرض من مدر وشجر، وأقسم بالله ما أحد أوصل لرحمه منه،
أفترون شفاعته تصل اليكم وتعجز عن أهل بيته؟! ورواه فى مجمع الزوائد: ٩/١٧٠: عن شهر بن حوشب وفيه (أفیرجوها غيره ويقصر
عن أهل بيته)

تاريخ المدينة: ٢/٢٦٤:

حدثنا أبو حذيفة، قال حدثنا سفيان، عن أبيه، عن أبي الضحى، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: جاء العباس إلى رسول
الله (ص) فقال: إنك تركت فىنا ضغائن منذ صنعت الذى صنعت. فقال رسول الله (ص): لن يبلغوا الخير - أو قال: الإيمان - حتى
يحبوكم لله ولقرابتي! أيرجو سؤلهم شفاعتى من مراد، ولا يرجو بنو عبد المطلب شفاعتى! وروى نحوه فى كنز العمال: ١٣/٥١٢ وص

٥١٤

الدر المنثور: ٦/٤٠٩:

وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر وأبى هريرة وعمار بن ياسر رضى الله عنهم قالوا: قدمت درة بنت أبى لهب مهاجرة، فقال لها نسوة
أنت درة بنت أبى لهب الذى يقول الله تبت يدا أبى لهب، فذكرت ذلك للنبي (ص)، فخطب فقال: يا أيها الناس مالي أودى فى أهلى،
فوالله إن شفاعتى لتنال بقرابتي حتى أن حكماً وحاء وصداء وسلهباً تنالها يوم القيامة بقرابتي! ورواه فى كنز العمال: ١٣/٦٤٤ عن فردوس
الديلمى.

مجمع الزوائد: ١٠/٣٨٠:

باب فى أول من يشفع لهم: عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص): أول من أشفع له من أمتى أهل بيتى، ثم الأقرب فالأقرب من قريش
والأنصار. انتهى.

ولو تتبعنا المصادر لوجدنا الكثير من هذه الأحاديث. وهى مليئة بالحقائق والفوائد، ونكتفى منها بما يلى:

أولاً: أن حديث (مالي أودى فى أهل بيتى) أصله هنا، ولكن صار نصه فى الصحاح (مالي أودى فى أهلى) وصار أهله صلى الله عليه
 وآله بمعنى زوجته عائشة، فقد ادعوا أن قصة الافك التى اتهم فيها المنافقون المؤمنة الطاهرة الغافلة مارية القبطية، كانت المتهمه فيها
عائشة ورضوا هنا أن تكون عائشة من (المؤمنات الغافلات) اللواتى ذكرتهم الآية، لكى تكون البراءة النازلة من السماء لها وليس
لمارية، وادعوا أن قول النبي صلى الله عليه وآله: مالي أودى فى أهلى، صدر بتلك المناسبة! وصار المؤذى للنبي صلى الله عليه وآله
علياً بن أبى طالب، الذى زعموا أنه أشار على النبي صلى الله عليه وآله بطلاق عائشة!

ثانياً: أن أذى القرشيين للنبي في آله صلى الله عليه وآله كان كثيراً متكرراً وقد نصت مصادر السنين على عدد من حوادثه كما تقدم في حادثه (برك على قدميه) وتقدم هنا: قول فلان من قريش (كمثل نخلة نبتت في كناسه) وقول عمر لصفية، وقوله لأم هاني وقول (صهر بنى هاشم) الذي لم يصرحوا باسمه، وقصة بنت أبي لهب، وشكوى العباس المتكررة.

كما أن تعدد الايذاء وتعدد جواب النبي صلى الله عليه وآله يفهم من تعدد أسماء القبائل الغريبة البعيدة التي ذكرها النبي صلى الله عليه وآله عمداً، بما آتاه الله من جوامع الكلم لتبقى أسماؤها ترنُّ في الأذان ويبقى حديثه في الأذهان.. الأمر الذي يدل على أن روح الايذاء للنبي في آله صلى الله عليه وآله كانت في القرشيين مرضاً لا عرضاً!

ثالثاً: ينبغي أن يسأل الذين يدافعون عن جميع الصحابة ويقدمونهم، عن حكم هؤلاء الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وآله وأغضبوه مراراً في أهل بيته، فقد ثبت عليهم الحكم الذي نزل به القرآن في حقهم، ولم يثبت أنهم جددوا إسلامهم وخرجوا من تبعات هذا الحكم.

رابعاً: إن هذه الأحاديث وحدها تكفي للمسلم لأن يعرف أن في الأمر شيئاً كبيراً يتعلق بآل النبي صلى الله عليه وآله وأنه يجب إعادة النظر في الروايات التي تنفي أن النبي صلى الله عليه وآله لم يوص لهم، ولم يجعل لهم حقاً على الأمة، ولم يعدهم بشفاعة خاصة.. وتكفيه لأن يحتمل أن تكون رواياتهم في أبي طالب من هذا النوع. وهذا الاحتمال كاف للتوقف عن تصديقها.

بخليهم على أبي طالب و خديجة و سخاؤهم على غيرهم

من ظلامه الخلافة القرشية أنها بخلت على أبي طالب بكلمة شكر، في حين تبنت مشركين في مقابله لم يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله فجعلتهم من أهل الجنة، بل جعلتهم في مرتبة الأنبياء! ومن أبرز هؤلاء ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل.. والنص التالي يبين بعض الرتب التي أعطوها لهؤلاء في الجنة، بالمقاييس إلى الرتبة النازلة التي أعطوها لخديجة أم المؤمنين ورتبة الضحاح لأبي طالب رضوان الله عليهما.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٩/٤١٦:

عن جابر بن عبد الله قال سئل النبي (ص) عن عمه أبي طالب، هل تنفعه نبوتك؟ قال: نعم أخرجته من غمرات جهنم إلى ضحاح منها.

وسئل عن خديجة، لأنها ماتت قبل الفرائض وأحكام القرآن، فقال: أبصرتها على نهر من أنهار الجنة في بيت من قصب، لا صخب فيه ولا نصب.

وسئل عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال: يبعث يوم القيامة أمه وحده، بيني وبين عيسى عليه السلام. رواه أبو يعلى وفيه مجالد، وهذا مما مدح من حديث مجالد، وبقية رجاله رجال الصحيح.

وعن جابر قال سألتنا رسول الله (ص) عن زيد بن عمرو بن نفيل فقالنا: يا رسول الله إنه كان يستقبل القبلة ويقول ديني دين إبراهيم وإلهي إله إبراهيم وكان يصلي ويسجد؟ قال: ذاك أمه وحده، يحشر بيني وبين يدي عيسى بن مريم.

وسئل عن ورقة بن نوفل وقيل: يا رسول الله إنه كان يستقبل القبلة ويقول إل هي إله زيد وديني دين زيد، وكان يتوجه ويقول:

رشدت فأنعمت ابن عمرو فإنما عنيت بتنور من النار حامى

بدينك ديناً ليس دين كمثلته وتركك حنَّ الجبال كما هي

قال: رأيت يمشى في بطنان الجنة، عليه حله من سندس. انتهى.

وإنما جعلوا بيت القصب لخديجة، لأنها بزعمهم توفيت قبل فرائض الصلاة والصوم والزكاة والحج، فهي تستحق درجة سفلى في الجنة وبيتاً عادياً من قصب أو سعف النخل.. أما عائشة المحترمة عند دولة الخلافة فهي في الفردوس في قصر من ياقوت ولؤلؤ!

ويتألم المسلم عندما يرى في المصادر الإسلامية افتراءً على أم المؤمنين خديجة يصل إلى حد اتهامها بأنها كانت تعبد اللات والعزى وتلح على النبي صلى الله عليه وآله أن يعبدهما قبل منامه، فيمتنع عن ذلك!!
فقد روى أحمد في مسنده: ٤/٢٢٢ و: ٥/٣٦٢:

عن عروة بن الزبير يعنى ابن أخت عائشة قال: حدثني جار لخديجة بنت خويلد أنه سمع النبي (ص) وهو يقول لخديجة: أى خديجة والله لا أعبد اللات والعزى، والله لا أعبد أبداً! قال فتقول خديجة: خل اللات خل العزى، قال كانت صنمهم التى كانوا يعبدون ثم يضطجعون!! انتهى.

فكان مدح عائشة يستلزم ذم ضررتها، والتى توفيت قبل أن يتزوج النبي بها! لأن النبي صلى الله عليه وآله كان يذكرها دائماً بالخير، ويباهى بها!!

وأما ورقة المعاصر لأبى طالب أيضاً، فهو فى بطنان الجنة أى فى وسطها، يرفل بالسندس، مع أنه مات بعد البعثة ولم يسلم! والسبب فى استحقاقه الجنة أنه كان يقول: أنا على دين زيد بن نفيلى! بينما ذكروا أن الدليل على كفر أبى طالب أنه كان يقول: أنا على دين عبد المطلب!!

وأما زيد بن نفيلى فقد عاش سنوات بعد البعثة ولم يسلم، ورووا عنه أنه نهى المشركين ذات مرة عن تعذيب بلال، ولكنهم جعلوه فى مرتبة نبي لأنه ابن عم الخليفة عمر.. بل هو بزعمهم أتقى من النبي صلى الله عليه وآله، لأن النبي كان قبل البعثة مشركاً يذبح للأصنام ويأكل مما ذبح على النصب، بينما كان زيد على دين إبراهيم لا يذبح للأصنام ولا يأكل إلا ما ذكر اسم الله عليه، وقد نصح النبي صلى الله عليه وآله ذات مرة أن لا يأكل مما ذبح على النصب فاقتدى النبي به!!

إنها الكارثة الفكرية فى الأمة.. عندما تفضل حكماها وأقاربهم على نبيها سيد الأنبياء، وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام!!

قال فى مجمع الزوائد: ٩/٤١٧: باب ما جاء فى زيد بن عمرو بن نفيلى...

قال فمر زيد بن عمرو بالنبي (ص) وزيد بن حارثة، وهما يأكلان من سفره فذبحاه فقال: يا بن أخى لا آكل ما ذبح على النصب، قال فما روى النبي (ص) يأكل ما ذبح على النصب من يومه ذلك، حتى بعث.

قال: وجاء سعيد بن زيد إلى النبي (ص) فقال: يا رسول الله إن زيدا كان كما رأيت أو كما بلغك، فاستغفر له؟ قال: نعم، فاستغفروا له فإنه يبعث يوم القيامة أمه وحده. رواه الطبرانى والبخارى باختصار عنه، وفيه المسعودى وقد اختلط، وبقية رجاله ثقات.

وعن سعيد بن زيد قال: سألت أنا وعمرو بن الخطاب رسول الله (ص) عن زيد بن عمرو؟ فقال: يأتى يوم القيامة أمه وحده. رواه أبو يعلى وإسناده حسن.

وعن زيد بن حارثة قال: خرجت مع رسول الله (ص) يوماً حاراً من أيام مكة وهو مردفى إلى نصب من الأنصاب! وقد ذبحنا له (أى للصنم) شاء فأنضجناها، قال فلقى زيد بن عمرو بن نفيلى فحياً كل واحد منهما صاحبه بتحية الجاهلية، فقال النبي (ص): يا زيد مالى أرى قومك قد شنفوا لك؟ قال: والله يا محمد ذلك لغير نائلة لى منهم، ولكنى خرجت أبتغى هذا الدين حتى أقدم على أحبار فدك، وجدتهم يعبدون الله ويشركون به، قال قلت ما هذا الدين الذى أبتغى، فخرجت حتى أقدم على أحبار الشام، فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به، قلت ما هذا الدين الذى أبتغى، فقال شيخ منهم إنك لتسأل عن دين ما نعلم أحداً يعبد الله به إلا شيخ بالحيرة، قال فخرجت حتى أقدم عليه فلما رآنى قال ممن أنت؟ قلت من أهل بيت الله، من أهل الشوك والقرظ، فقال إن الدين الذى تطلب قد ظهر ببلادك قد بعث نبي قد ظهر نجمه، وجميع من رأيتهم فى ضلال، فلم أحس بشئ بعد يا محمد!!

قال: وقرب إليه السفارة فقال: ما هذا يا محمد؟ فقال شاء ذبحناها لنصب من الانصاب! فقال: ما كنت لأكل مما لم يذكر اسم الله عليه! قال زيد بن حارثة: فأتى النبي (ص) البيت فطاف به وأنا معه، وبين الصفا والمروة صنمان من نحاس أحدهما يقال له يساف والآخر يقال له نائلة، وكان المشركون إذا طافوا تمسحوا بهما، فقال النبي (ص): لا تمسحهما فإنهما رجس، فقلت فى نفسى لامسهما حتى

أنظر ما يقول النبي(ص)؟ فقال النبي(ص) لزيد: إنه يبعث أمه وحده. رواه أبو يعلى والبخاري إلا أنه قال فيه: فأخبرته بالذي خرجت له فقال: كل من رأيت في ضلال وإنك لتسأل عن دين الله وملائكته، وقد خرج في أرضك نبي أو هو خارج فارجع فصدقه وآمن به. وقال أيضاً فقال زيد إنى لا آكل شيئاً ذبح لغير الله، ورجال أبي يعلى والبخاري وأحد أسانيد الطبراني رجال الصحيح غير محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث.

وعن أسماء بنت أبي بكر قالت: كان زيد بن عمرو بن نفيل في الجاهلية يقف عند الكعبة ويلزق ظهره إلى صفحتها، ويقول: يا معشر قريش ما على الأرض على دين إبراهيم غيرى، وكان يفدى المؤودة أن تقتل، وقال عمرو بن نفيل: عزلت الجن والجنان عنى كذلك يفعل الجلد الصبور رواه الطبراني وإسناده حسن. انتهى.

فقد ثبت عندهم بهذه الأحاديث الصحيحة والحسنة، أن النبي صلى الله عليه وآله كان يعبد الأصنام ويذبح لها! وثبت أن زيد بن عمرو كان موحداً على دين إبراهيم، وكان ينتظر النبوة، وكان أولى بها من محمد، ولكن زيدا إلى تاريخ لقائه بالنبي صلى الله عليه وآله وهو في طريقه إلى الصنم لم يحس بالوحي ولعله أحس به بعد ذلك!!

وقد روت الصحاح افتراءهم على النبي صلى الله عليه وآله بأنه ذبح للصنم وقصة اللحم الذي كان يأكل منه بزعمهم ويعافه ابن نفيل!! فقد رواها البخاري: ٤/٢٣٢ وأضاف فيه

(ثم قال زيد إنى لست آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه، وإن زيد بن عمر كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: الشاء خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الأرض ثم تذبحونها على غير اسم الله!! إنكاراً لذلك وإعظماً له!) انتهى.

وروى نحوها أيضاً فى: ٦/٢٢٥ وكذلك أحمد فى: ١/١٨٩ وج ٢/٦٨ و ٨٩ و ١٢٧

وعلى هذه الروايات الصحاح والحسان! يكون زيد بن عمرو بن نفيل أتقى من محمد صلى الله عليه وآله وأوعى منه، وأولى بالنبوة منه، ولكن الحظ جعلها لمحمد صلى الله عليه وآله.

ولذلك لم يؤمن به زيد عندما بعث لأنه لا يحتاج إلى ذلك!

كما أن ابن عمه عمر يستحق النبوة ولكن الحظ جعلها لمحمد، فقد نسبوا إلى النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: لو لم أبعث لبعث عمر بن الخطاب!! وهذا يعطى الشرعية لكل مناقشات عمر للنبي صلى الله عليه وآله واعتراضاته عليه، بل ومخالفاته له!!

ويلاحظ فى رواياتهم عن زيد بن عمرو، أن عدداً منها عن لسان ولده سعيد وابن عمه عمر، وأنها تريد التأكيد على أن زيدا العدو وحده كان على مله إبراهيم لا عبد المطلب الهاشمي ولا أبو طالب، ولا حتى النبي صلى الله عليه وآله، وهو عمل يقصد منه المساس بشخصية النبي وأجداده صلى الله عليه وآله من أجل تكبير شخصيات مشرقة من أقارب الحكام!!

لكن المتأمل فى رواياتهم يجد فيها حقيقة مهمة، وهى أنهم شهدوا على زيد بن عمرو بن نفيل بأنه لم يسلم ومات كافراً رغم معرفته المزعومة ببعثه النبي صلى الله عليه وآله، ولو أنه أسلم لما سألو النبي صلى الله عليه وآله عنه، ولملاوا الكتب بفضائله ومناقبه! كما ملؤوها بدم أبي طالب وضحاحه!!

أهم الأدلة على إيمان أبي طالب

تكفلت كتب مستقلة بإثبات إيمان أبي طالب رضوان الله عليه.. ومن أشهرها كتاب (أبو طالب مؤمن قريش) لمؤلفه الشيخ عبد الله الخيزي الذى صدره الوهابيون وحسبوا مؤلفه (السعودي) بسببه، وحكموا عليه بالإعدام! ولكن الدولة السعودية خشيت من العواقب فأقنعت مفتيهم بتخفيف الحكم فخففه إلى الحبس والتعزير!!

وقد كتب علماؤنا عن إيمان أبي طالب بحوثاً مستفيضة في مصادر السيرة والعقائد، من أهمها ما كتبه المجلسي في البحار: ٣٥ والاميني في الغدير: ٧ و ٨ والشيخ نجم الدين العسكري في مقام الإمام على عليه السلام والسيد جعفر مرتضى في الصحيح من السيرة: ٣/٢٢٧. ونورد فيما يلي خمسة أدلة على إيمانه مستفادة من المصادر المذكورة وغيرها:

الدليل الأول: النصوص الصريحة الثابتة عندنا عن النبي والأئمة من آل الله عليه وآله وهم الطاهرون المطهرون الصادقون المصدقون، غير المتهمين في شهادتهم لآبائهم وأقربائهم وأنفسهم.

منها: عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: والله ما عبد أبي ولا جدى عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف، صنماً قط. قيل له فما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم متمسكين به. انتهى.

وقال عنه في الغدير: ٧/٣٨٤: رواه شيخنا الصدوق بإسناده في كمال الدين/ ١٠٤ والشيخ أبو الفتوح في تفسيره ٤: ٢١٠ والسيد في البرهان ٣: ٧٩٥

ومنها: ع أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: نزل جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد إن ربك يقرؤك السلام ويقول: إني قد حرمت النار على صلب أنزلك وبطن حملك وحجر كفلك. فالصلب صلب أبيه عبد الله بن عبد المطلب، والبطن الذى حملك آمنه بنت وهب، وأما حجر كفلك فحجر أبي طالب. وزاد في رواية: وفاطمة بنت أسد. انتهى.

وقال عنه في الغدير: روضة الواعظين/ ١٢١. راجع الكافي لثقة الإسلام الكليني/ ٢٤٢، معانى الأخبار للصدوق، كتاب الحجّة السيد فخار بن معد/ ٨، ورواه شيخنا للمفسر الكبير أبو الفتوح الرازى في تفسيره ٤-٢١٠، ولفظه: إن الله عز وجل حرم على النار صلباً حملك وبطناً حملك وتدياً أرضعك وحجراً كفلك.. الخ.

ومنها: ما رواه في مقام الإمام على: ٣/١٤٠: قال السيد الحجّة فخار بن معد في كتابه (الحجّة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب) ١٦/ بالإسناد إلى الكراجكى عن رجاله، عن أبان، عن محمد بن يونس، عن أبيه، عن أبي عبد الله أنه قال: يا يونس ما تقول الناس في أبي طالب؟ قلت جعلت فداك يقولون: هو فى ضحضاح من نار، وفى رجله نعلان من نار تغلى منهما أم رأسه! فقال: كذب أعداء الله! إن أبا طالب من رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

ومنها: فى المصدر المذكور أيضاً، عن على بن حسان، عن عمه عبد الرحمن بن كثير قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام: إن الناس يزعمون أن أبا طالب فى ضحضاح من نار؟ فقال: كذبوا ما بهذا نزل جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله! قلت وبما نزل؟ قال: أتى جبرئيل فى بعض ما كان عليه فقال: يا محمد إن ربك يقرؤك السلام ويقول لك: إن أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشرك فأتاهم الله أجرهم مرتين، وإن أبا طالب أسر الإيمان وأظهر الشرك فأتاه الله أجره مرتين، وماخرج من الدنيا حتى أتته البشارة من الله تعالى بالجنة. ثم قال عليه السلام: كيف يصفونه بهذا وقد نزل جبرئيل ليلة مات أبو طالب فقال: يا محمد أخرج من مكّة فما لك بها ناصر بعد أبى طالب!

ومنها: فى المصدر المذكور أيضاً عن أبى بصير ليث المرادى قال: قلت لابي جعفر: سيدى إن الناس يقولون: إن أبا طالب فى ضحضاح من نار يغلى منه دماغه؟ فقال عليه السلام: كذبوا، والله إن إيمان أبى طالب لو وضع فى كفّة ميزان وإيمان هذا الخلق فى كفّة لرجح إيمان أبى طالب على إيمانهم، ثم قال: كان والله أمير المؤمنين يأمر أن يحج عن أب النبي وأمه صلى الله عليه وآله وعن أبى طالب فى حياته، ولقد أوصى فى وصيته بالحج عنهم بعد مماته. انتهى.

الدليل الثانى: تصريحات أبى طالب رضى الله عليه بصدق النبي صلى الله عليه وآله وأنه رسول رب العالمين.

قال السيد جعفر مرتضى فى الصحيح من السيرة: ٣/٢٣٠:

ويكفى أن نذكر نموذجاً من أشعاره التى عبر عنها ابن أبى الحديد المعتزلى بقوله: إن كل هذه الأشعار قد جاءت مجى التواتر من حيث مجموعها (شرح النهج: ١٤/٧٨) ونحن نذكر هنا اثنى عشر شاهداً من شعره، على عدد الأئمة المعصومين من ولده عليه وعليهم

السلام تيركاً وتيمناً، والشواهد هي:

١ - ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً كموسى خط في أول الكتب

٢ - نبي أتاه الوحي من عند ربه ومن قال لا، يقرع بها سن نادم

٣ - يا شاهد الوحي من عند ربه إنى على دين النبي أحمد

٤ - أنت الرسول رسول الله نعلمه عليك نزل من ذى العزة الكتب

٥ - أنت النبي محمد قرم أغر مسود

٦ - أو تؤمنوا بكتاب منزل عجب على نبي كموسى أو كذى النون

٧ - وظلم نبي جاء يدعو إلى الهدى وأمر أتى من عند ذى العرش قيم

٨ - لقد أكرم الله النبي محمداً فأكرم خلق الله فى الناس أحمد

٩ - وخير بنى هاشم أحمد رسول الاله على فترة

١٠ - والله لا أخذل النبي ولا يخذله من بنى ذو حسب

١١ - وقال رحمه الله يخاطب ملك الحبشة ويدعوه إلى الإسلام:

أتعلم ملك الحسن أن محمداً نبياً كموسى والمسيح ابن مريم

أتى بالهدى مثل الذى أتيا به فكلُّ بأمر الله يهدى ويعصم

وإنكم تتلوتوه فى كتابكم بصدق حديث لا حديث الترجم

فلا تجعلوا لله نداً فأسلموا فإن طريق الحق ليس بمظلم

١٢ - وقال مخاطباً ولده حمزة رحمه الله:

فصبراً أبا يعلى على دين أحمد وكن مظهر للدين وفقص صابر

وحط من أتى بالحق من عند ربه بصدق وعزم لا تكن حمز كافر

فقد سرنى أن قلت إنك مؤمن فكن لرسول الله فى الله ناصر

وباد قريشاً فى الذى قد أتيت به جهاراً وقل ما كان أحمد ساحر

وأشعار أبى طالب الناطقة بإيمانه كثيرة، وقد اقتصرنا منها على هذا القدر لنفسخ المجال لذكر لمحعة عن سائر ما قيل ويقال فى هذا الموضوع. انتهى.

ونضيف إلى ما ذكره صاحب الصحيح ما قاله الطبرسى فى الاحتجاج: ١/٣٤٥: وقد اشتهر عن عبدالله المأمون أنه كان يقول: أسلم أبو طالب والله بقوله:

نصرت الرسول رسول المليك ببيض تلالا كلمع البروق

أذب وأحمى رسول الاله حماية حام عليه شفيق

وما إن أدب لأعدائه ديب البكار حذار الفنيق

ولكن أزيير لهم سامياً كما زار ليث بغيل مضيق

وما ذكره أبو الفداء فى تاريخه: ١/١٧٠ قال: ومن شعر أبى طالب مما يدل على أنه كان مصداقاً لرسول الله (ص) قوله:

ودعوتنى وعلمت أنك صادق ولقد صدقت وكنت ثم أمين

الدليل الثالث: تحليل مقومات شخصية أبى طالب (رض) وعلاقته بالنبي صلى الله عليه وآله منذ أن أوصاه به أبوه عبد المطلب وكفله إياه، ونصرت له من أول بعثته، وفى أصعب مراحلها.. إلى أن توفى فى السنة العاشرة من البعثة.. فإن أى باحث ينظر فى ذلك يقتنع بأن

نصرته وحمايته للنبي صلى الله عليه وآله لا يمكن أن تصدر إلا عن مؤمن قوى الإيمان.

بل لا يحتاج الأمر إلى دراسة مقومات شخصيته وكل حياته، فيكفي دراسة بعض مواقفه لإثبات ذلك.

منها: الموقف الذي رواه في الغدير: ٧/٣٨٨: عن الأصبغ بن نباته قال: سمعت أمير المؤمنين علياً عليه السلام يقول: مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله بنفر من قريش وقد نحروا جزوراً، وكانوا يسمونها الفهيّرة ويذبحونها على النصب، فلم يسلم عليهم. فلما انتهى إلى دار الندوة قالوا: يمر بنا يتيم أبي طالب فلا يسلم علينا! فأيكم يأتيه فيفسد عليه مصلاه؟ فقال عبد الله بن الزبير السهمي: أنا أفعل، فأخذ الفرث والدم فاتتهى به إلى النبي صلى الله عليه وآله وهو ساجدٌ فلما به ثيابه ومظاهرة، فانصرف النبي صلى الله عليه وآله حتى أتى عمه أبا طالب فقال: يا عم من أنا؟ فقال: ولم يا ابن أخي؟! فقص عليه القصة فقال: وأين تركتهم؟ فقال: بالابطح. فنأدى في قومه: يا آل عبد المطلب! يا آل هاشم! يا آل عبد مناف! فأقبلوا إليه من كل مكان ملينين، فقال: كم أنتم؟ قالوا: نحن أربعون، قال: خذوا سلاحكم، فأخذوا سلاحهم وانطلق بهم حتى انتهى إلى أولئك نفر، فلما رأوه أرادوا أن يتفرقوا، فقال لهم: ورب هذه البنية لا يقوم من منكم أحد إلا جللته بالسيف! ثم أتى إلى صفاء كانت بالأبطح فضربها ثلاث ضربات حتى قطعها ثلثة أفعال، ثم قال: يا محمد سألتني من أنت؟ ثم أنشأ يقول ويومى بيده إلى النبي صلى الله عليه وآله:

أنت النبيّ محمّد قَرْمٌ أعزُّ مَسَوْدُ

ثم قال: يا محمد أيهم الفاعل بك؟ فأشار النبي صلى الله عليه وآله إلى عبد الله بن الزبير السهمي الشاعر، فدعاه أبو طالب فوجأ أنفه حتى أدماها! ثم أمر بالفرث والدم فأمر على رؤس الملا كلهم! ثم قال: يا ابن أخ أَرْضِيَتْ؟ ثم قال: سألتني من أنت؟ أنت محمد بن عبد الله ثم نسبه إلى آدم عليه السلام ثم قال:

أنت والله أشرفهم حسباً وأرفعهم منصباً!

يا معشر قريش من شاء منكم يتحرك فليفعل أنا الذي تعرفوني!

رواه السيد ابن معد في الحجّة/١٠٦ و ذكر لِدَه هذه القضية الصفوري في نزهة المجالس ٢: ١٢٢ وفي طبع/٩١، وابن حجّة الحموي في ثمرات الأوراق بهامش المستطرف ٢: ٣ نقلاً عن كتاب الأعلام للقرطبي ١٣ ومنها: الموقف الذي رواه الطبرسي في الإحتجاج: ١/٣٤٥ قال:

لما رأى المشركون موقف أبي طالب من نصره الرسول، وسمعوا أقواله اجتمعوا بينهم، وقالوا ننافى بنى هاشم وكتب صحيفة ونودعها الكعبة، أن لا- نبايعهم، ولا نشاريهم، ولا نحدّثهم، ولا نجتمع معهم في مجمع، ولا نقضى لهم حاجة، ولا نفتضيها منهم، ولا نقتبس منهم ناراً، حتى يسلموا إلينا محمداً، ويخلوا بيننا وبينه أو ينتهي عن تسفيه آباءنا، وتضليل آلهتنا. وأجمع كفار مكة على ذلك.

فلما بلغ ذلك أبا طالب، قال يخبرهم باستمراره على مناصرة الرسول ومؤازرته له، ويحذرهم الحرب، وينهاهم عن متابعة السفهاء:

ألا أبلغا عنى على ذاتِ بينها لؤيًّا وخصًّا من لؤيِّ بنى كعبِ

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً كموسى خُطِّ في أول الكُتُبِ

وأن عليه في العباد محبةً ولا حيفَ فيمن خصَّه الله بالحبِ

وأن الذي لفقتم في كتابكم يكون لكم يوماً كراغية السقبِ

أفيقوا أفيقوا قبل أن تُخفَّرَ الرُّبَى ويصبح من لم يجنِ ذنباً كذى الذنبِ

ولا تتبعوا أمر الغواة وتقطعوا أوامرنا بعد المودة والقربِ

وتستجلبوا حرباً عواناً وربِّماً أمرَّ على من ذاقه حَلْبُ الحربِ

فلسنا وبيتِ الله نسلم أحمداً لعزّاء من عضُّ الزمان ولا حربِ

ولمّا تبين منا ومنكم سوائفٌ وأيد أبيدت بالمهندة الشهبِ

بمعترك ضنك ترى كسر القنا به نوا لضباع العرج تعكف كالسرب
 كأن مجال الخيل في حجراته وغمغمة الأبطال معركة الحرب
 ليس أبونا هاشم شد أزره وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب
 ورواها في البحار: ٣٥/١٦٠ وزاد فيها:

ولسنا نمل الحرب حتى تملنا ولا نشتكى مما ينوب من النكب
 ولكننا أهل الحفاظ والنهي إذا طار أرواح الكمأة من الرعب
 ومنها: إيمانه بمعجزات النبي وكراماته صلى الله عليه وآله، ونظمه إياها شعراً.
 قال الطبرسي في الاحتجاج: ١/٣٤٣:

روى أن أبا جهل بن هشام جاء إلى رسول الله وهو ساجد وبیده حجر يريد أن يرميه به، فلما رفع يده لصق الحجر بكفه فلم يستطع ما
 أراد، فقال أبو طالب:

أفيقوا بني غالب وانتهوا عن الغي من بعض ذا المنطق
 وإلا فإني إذن خائف بوائق في داركم تلتقى
 تكون لغيركم عبرة ورب المغارب والمشرق
 كما نال من كان من قبلكم ثمود وعاد وماذا بقي
 غداة أتاهم بها صرصر وناقذ ذى العرش قد تستقى
 فحل عليهم بها سخطة من الله في ضربه الأزرق
 غداة يعض بعقوبها حساماً من الهند ذا رونق
 وأعجب من ذاك في أمركم عجائب في الحجر الملقق
 بكف الذي قام من خبثه إلى الصابر الصادق المتقى
 فآثبه الله في كفه على رغبة الجائر الأحمق
 أحيق مخزومكم إذ غوى لغى الغواة ولم يصدق

الدليل الرابع: استدل به سبط ابن الجوزي على إيمان أبي طالب، ومفاده: أن خصوم على عليه السلام من الأمويين والزبيريين وغيرهم،
 كانوا حريصين على انتقاصه بأى عيب ممكن في نفسه وأبيه وأمه وعشيرته، وقد سجل التاريخ مراسلات على عليه السلام ومعاوية
 ومناظرات أنصارهم، وقد تضمنت ماذمهم على عليه السلام به وإزراؤه عيهم بكفر آبائهم وأمهاتهم، بل سجل التاريخ أن علياً عليه
 السلام فاخر معاوية بأبي طالب، فكتب له في رسالة (ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا
 المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق) ومع ذلك لم يتكلم معاوية ولا غيره من أعداء على عليه السلام بكلمة ذم في أبي طالب!!
 فلو أنه كان مشركاً ومات على الشرك كما يدعون، لاغتنم أعداء على هذه النقطة ويعيروه بها وشنعوا عليه بها. ولو كان حديث
 ضحضاح أبي طالب صادراً عن النبي صلى الله عليه وآله لسمعت أخباره شعراً ونثراً في صفيين وبعدها..!

وهذا يدل على أن أحاديث شرك أبي طالب وأنه في النار والضحضاح، قد وضعت في عهد الأمويين بعد شهادة على عليه السلام!
 الدليل الخامس: ترحم النبي صلى الله عليه وآله على أبي طالب واستغفاره له، وتسميته عام وفاته ووفاء خديجة رضوان الله عليهما (عام
 الحزن).

قال الأميني في الغدير: ٧/٣٧٢:

أخرج ابن سعد في طبقاته ١: ١٠٥ عن عبيد الله بن أبي رافع عن علي قال: أخبرت رسول الله (ص) بموت أبي طالب فبكى ثم قال:

إذهب فاغسله وكفنه وواره، غفر الله له ورحمه.

وفى لفظ الواقدي: فبكى بكاء شديداً ثم قال: إذهب فاغسله.. الخ. وأخرجه ابن عساكر كما فى أسنى المطالب/٢١ والبيهقى فى دلائل النبوة. وذكره سبط ابن الجوزى فى التذكرة/٦ وابن أبى الحديد فى شرحه ٣-٣١٤ والحلبى فى السيرة ١-٣٧٣ والسيد زينى دحلان فى السيرة هامش الحلبية ١-٩٠ والبرزنجى فى نجاه أبى طالب وصححه كما فى أسنى المطالب/٣٥ وقال: أخرجه أيضاً أبو داود وابن الجاود وابن خزيمة وقال: إنما ترك النبى (ص) المشى فى جنازته اتقاء من شر سفهاء قريش، وعدم صلاته لعدم مشروعية صلاة الجنازة يومئذ.

عن الأسلمى وغيره: توفى أبوطالب للنصف من شوال فى السنة العاشرة من حين نبى رسول الله (ص)، وتوفيت خديجة بعده بشهر وخمسة أيام، فاجتمعت على رسول الله (ص) عليها وعلى عمه حزناً شديداً، حتى سمي ذلك العام عام الحزن. انتهى.

وقد روى الخطيب البغدادي فى تاريخه: ١٣/١٩٦ عن ابن عباس ترحم النبى صلى الله عليه وآله واستغفاره لآبى طالب بعد موته، وكذا الذهبى فى تاريخ الإسلام: ١/٢٣٥، وروى مصادرنا أحاديث كثيرة فى ذلك كما فى مناقب آل أبى طالب: ١/١٥٠ عن آخرين وبحار الأنوار: ١٩/١٥ وص ٢٥ وج ٢٢/٥٣٠

هذا وقد ثبت أن أباطالب كان على دين عبد المطلب، وسوف يتضح لك إيمان عبد المطلب ومقامه، رضوان الله عليهما، فى فصل شفاعة الأنبياء (عليهم السلام).

ولادة المذاهب المنحرفة من أفكار توسيع الشفاعة

عمل اليهود على إسقاط المحرمات من الأديان

كان اليهود أسبق الأمم إلى تحريف قانون العقوبة الإلهى، فقد أسقطوا المحرمات عن أنفسهم تجاه الأمم الأخرى، وخففوا قانون العقوبة الإلهى وشوشوه بالنسبة إلى الجرائم الأخرى التى يرتكبونها! ومن الطبيعى أن يسرى ذلك إلى عقيدتهم بالله تعالى، فصوروه بأنه قاس عصبى المزاج، ولذا فإن عقوباته شديدة وغير منطقية! وذلك واضح لمن قرأ صفحات قليلة من توراتهم.

وقد أخذ المسيحيون هذه الثقافة من اليهود، وما زالوا.. وقد سمعت أن من المسائل الفكرية المطروحة أخيراً عند الكتاب الغربيين، خاصة فى فرنسا، موضوع: هل يجب أن يكون فى الدين الإلهى محرمات، أم لا..

ذلك أن اليهود والكتاب المتأثرين بهم يريدون من الكنيسة المسيحية أن تقدم ديناً بلا محرمات، وتفتى بأن المهم هو الإيمان الذى هو أمرٌ فى القلب، مهما كان عمل الناس!

وهذا بالضبط هو مذهب المرجئة الذى زرعه اليهود فى عقائد المسلمين، عن طريق بعض الصحابة!

أما زارعوه الجدد فليسوا كعب الأبحار ولا وهب بن منبه، بل هم ذرارى النصارى واليهود الصرحاء! والمزروع فيهم ليسوا صحابة، بل هم ذرارى المسلمين المتغربين!

أخبار النبى بظهور المرجئة والقدرية وتحذيره منهم

روت مصادر السنة والشيعه تنبؤ النبى صلى الله عليه وآله بظهور المرجئة والقدرية فى أمته وتحذيره من خطرهم، وأنهم لا- تنالهم شفاعته، لأنهم يحرفون الإسلام ويشوشون أمر الأمة من بعده.

فقد روى الهيثمى فى مجمع الزوائد: ٧/٢٠٧:

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص): صنفان من أمتي لا- يرادا على الحوض ولا- يدخلان الجنة، القدرية والمرجئة. رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى الفروي وهو ثقة. انتهى. وروى الترمذي شبيهاً به في: ٣/٣٠٨ ورواه في كنز العمال: ١/١١٩ عن حلية الأولياء لأبي نعيم عن أنس، وعن مسند الطيالسي، عن واثله عن جابر. وروى نحوه في: ١/٣٦٢ عن السلفي في انتخاب حديث القراء عن علي. ورواه ابن حبان في كتاب المجروحين: ٢/١١٢ عن عكرمة. وفي مجمع الزوائد: ٧/٢٠٣:

عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى عليه وسلم: ما بعث الله نبياً قط إلا وفي أمة قدرية ومرجئة يشوشون عليه أمر أمة. ألا وإن الله قد لعن القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبياً. رواه الطبراني وفيه بقية بن الوليد وهو لين ويزيد بن حصين لم أعرفه. انتهى. ورواه ابن حبان عن أبي هريرة في كتاب المجروحين: ١/٣٦٢ وفيه (أمة من بعده.. سبعين نبياً أنا آخرهم) وفي كتاب الخصال للصدوق: ٧٢:

أخبرني الخليل بن أحمد قال: أخبرنا ابن منيع قال: حدثنا الحسن بن عرفة قال: حدثنا علي بن ثابت عن إسماعيل بن أبي إسحاق، عن ابن أبي ليلى، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب: المرجئة والقدرية. انتهى.

ورواه في ثواب الأعمال: ٢١٢. وقال في صحيفة الرضا/ ٢٧٨: وبإسناده قال قال رسول الله ٩: صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب: المرجئة والقدرية. رواه في ثواب الأعمال: ٢٥٢ ح ٣ بالإسناد رقم ١٠ عنه البحار: ٥-١١٨ ح ٥٢. ورواه الشيخ حسن بن سليمان في المختصر: ١٣٥ بالإسناد رقم ٥٧ والكراچكي في كنزه: ٥١ بالإسناد رقم ١٤ عنه البحار: ٥-٧ ح ٨. ورواه الصدوق في الخصال: ١-٧٢ ح ١١٠ بإسناده عن ابن عمر عن النبي ٩ عنه البحار: ٥-٧ ح ٧. وفي دعائم الإسلام: ٢/٥١١:

وعنه صلى الله عليه وآله أنه قال: لا تجوز شهادة أهل الأهواء على المؤمنين، قال أبو جعفر عليه السلام: لا تجوز شهادة حروري، ولا قدرى ومرجئ، ولا- أموى، ولا ناصب، ولا فاسق، يعنى من باين بذلك وظهرت عداوته ونصبه، فأما من كتم ذلك وأسره فظهر منه الخير وكان عدلاً في مذهبه، جازت شهادته وعلى هذا العمل.

تعريف المرجئة ومذهبهم

قال النووي في شرح مسلم: ١ جزء ١/٢١٨:

قال القاضي عياض: اختلف الناس فيمن عصى الله من أهل الشهادتين فقالت المرجئة: لا تضره المعصية، وقالت الخوارج: تضره ويكفر بها، وقالت المعتزلة: يخلد في النار، وقالت الأشعرية: بل هو مؤمن.

شرح المواقف: ٤ جزء ٨/٣١٢:

في أن الله تعالى يعفو عن الكبائر. الإجماع منعقد على أنه تعالى عفوّ، وأن عفوه ليس في حق الكافر بل في حق المؤمنين، فقالت المعتزلة: هو عفوّ عن الصغائر قبل التوبة، وعن الكبائر بعدها. وقالت المرجئة: عفو عن الصغائر والكبائر مطلقاً!!

تفسير الرازي: ١٦ جزء ٣١/٢٠٣:

قوله تعالى (لا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى) إن المرجئة يتمسكون بهذه الآية في أنه لا وعيد إلا على الكفار! قال القاضي: ولا يمكن إجراء هذه الآية على ظاهرها، ويدل على ذلك ثلاثة أوجه: أحدها أنه يقتضى أن لا يدخل النار إلا الأشقى الذى كذب وتولى... وثانيهما أن هذا إغراء بالمعاصي... وثالثهما... معلوم من حال الفاسق أنه ليس بأتقى... الخ.

وقال في هامش بحار الأنوار: ٨/٣٦٤:

الوعيدية: فرقة من الخوارج يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفرٌ يخرج به عن الملة، ويقابلهم المرجئة وهم يقولون: إنه لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وليس العمل على مذهبهم، وإن كان من الإيمان. فعليه معنى الأرجاء تأخير العمل عن النية والعقد.

وروى في الكافي: ١/٤٠٣:

محمد بن الحسن، عن بعض أصحابنا، عن علي بن الحكم، عن الحكم بن مسكين، عن رجل من قريش من أهل مكة قال: قال سفيان الثوري: إذهب بنا إلى جعفر بن محمد، قال فذهبت معه إليه فوجدناه قد ركب دابته، فقال له سفيان: يا أبا عبد الله حدثنا بحديث خطبه رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد الخيف، قال: دعني حتى أذهب في حاجتي فإني قد ركبت فإذا جئت حدثتك، فقال: أسألك بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله لما حدثتني، قال: فنزل فقال له سفيان: مر لي بدواة وقرطاس حتى أثبتته، فدعا به ثم قال: أكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد الخيف: نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، وبلغها من لم يبلغه.

يا أيها الناس ليبلغ الشاهد الغائب، فرب حامل فقه ليس بفقير، ورب حامل فقه إلى من هو أفقر منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسلمين، واللزوم لجماعتهم، فإن دعوتهم محيطَةٌ من ورائهم، المؤمنون إخوةٌ تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، يسعى بذمتهم أدناهم.

فكتبه سفيان ثم عرضه عليه، وركب أبو عبد الله عليه السلام. وجئت أنا وسفيان، فلما كنا في بعض الطريق قال لي: كما أنت حتى أنظر في هذا الحديث، قلت له: قد والله أزم أبو عبد الله رقتك شيئاً لا يذهب من رقتك أبداً!
فقال: وأي شيء ذلك؟

فقلت له: ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، قد عرفناه، والنصيحة لأئمة المسلمين، من هؤلاء الأئمة الذين يجب علينا نصيحتهم؟ معاوية بن أبي سفيان ويزيد بن معاوية ومروان بن الحكم؟ وكل من لا تجوز الصلاة خلفهم؟! وقوله: واللزوم لجماعتهم، فأى الجماعة؟ مرجئ يقول: من لم يصل ولم يصم ولم يغتسل من جنابةً وهدم الكعبة ونكح أمه فهو على إيمان جبرئيل وميكائيل؟! أو قدرى يقول: لا يكون ما شاء الله عز وجل ويكون ما شاء إبليس؟! أو حرورى يتبرأ من على بن أبي طالب ويشهد عليه بالكفر؟! أو جهمي يقول إنما هي معرفة الله وحده ليس الإيمان شيء غيرها؟!

قال: ويحك وأي شيء يقولون؟!

فقلت يقولون: إن على بن أبي طالب والله الإمام الذي وجب علينا نصيحتته، ولزوم جماعتهم: أهل بيته. قال: فأخذ الكتاب فخرقه، ثم قال: لا تخبر بها أحداً.

المرجئة ولدوا من عهد الخليفة عمر

رأينا كيف وسعت دولة الخلافة القرشية شفاعاً النبي صلى الله عليه وآله حتى شملت كل من يشهد بالتوحيد فقط ولو لم يشهد بالنبوة..

ثم وسعتها إلى جميع الخلق، كما تقدم من رواياتهم وكلام ابن تيمية.

ثم استغنت عن شفاعة الأنبياء جميعاً، وأوجبت الجنة بأعمال وكلمات بسيطة.

ثم استغنت عن كل ذلك، وقالت بفناء النار ونقل أهلها إلى الجنة!!

ولعل الخليفة عمر وكعب الأجباز رائدي هذه الافكار ومن تابعهم عليها لم يلتفتوا إلى خطورتها الزائدة، وأنها تمثل مشروعاً خطيراً لإسقاط كل المحرمات وتعويم الإيمان، في أمة نهضت بالإسلام والإيمان وأخذت تفتح بلاد الإمبراطورية الفارسية والرومانية، بلداً

بعد آخر.. وهي بأمر الحاجة إلى حفظ شخصية جنودها وجديتهم، وعدم التساهل في مفاهيم إيمانهم. على أي حال فالذي وقع في حياة الأمة، أن هذه الأفكار بمساعدة فكرة الجبر وأن الله تعالى قد فرغ من الأمر وكتب كل شيء وانتهى الأمر ولا بداء.. سرعان ما أثمرت مذهبين عقائديين موالين للسلطة هما: المرجئة والقدرية، وقد تبنتهما السلطة وأيدت علماءهما وهيأت لهم الظروف لنشر أفكارهم في الأمة.

ويتلخص مذهب المرجئة بمقولتهم المشهورة (الإيمان لا تضر معه معصية) فالإيمان عندهم مجرد القول بالشهادتين، وبذلك يضمن الإنسان دخول الجنة مهما كان عمله!!

ويتلخص مذهب القدرية أو الجبرية: بأن مسؤولية الإنسان عن أعماله وجرائمه محدودة أو منتفية، لأن الخير والشر من الله تعالى، وكل شيء مكتوب ومقدر منه تعالى!!

ومن الواضح أن هذين المذهبين هما نفس الأفكار والأحاديث التي رأيناها في توسيع الشفاعة وتوسيع دخول الجنة، لكن بصيغة (ممذوبة).

كما أن أحدهما مكمل للآخر في تخفيف مسؤولية الإنسان، لأن جوهرهما واحد وهو (تعويم) قانون العقوبة الإلهي، بل تطمين الناس بأنه قد تم شطبه!!

وقد مر معنا في بحث توسيعات الشفاعة ما رواه السيوطي في الدر المنثور: ٢/١١٦ عن البيهقي، وادعاهم أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعمر: يا عمر إنك لا تسأل عن أعمال الناس، ولكن تسأل عن الفطرة! وهذا نفس ما يقوله المرجئة! وفي سنن الترمذي: ٣/٨٧:

أن النبي صلى الله عليه وآله سمع ذات يوم رجلاً يقول: الله أكبر الله أكبر، فقال: على الفطرة. فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: خرجت من النار! انتهى. ونحوه في صحيح مسلم ج ٢/٤ ومسند أحمد: ٣/٢٤١ وكنز العمال: ٨/٣٦٦

بل وجدنا نفس تعبير (الإيمان لا تضر معه خطيئة) في عدة روايات في مسند أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص: ٢/١٧٠ قال: قال رسول الله (ص): من لقي الله لا يشرك به شيئاً لم تضره معه خطيئة! انتهى.

وقال عنه في مجمع الزوائد: ١/١٩: رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح ما خلا التابعي فإنه لم يسم، ورواه الطبراني فجعله من رواية مسروق عن عبد الله بن عمرو. وقال في كنز العمال: ١/٨١ إنه صحح! انتهى.

ومصدر ابن عمرو إما أن يكون الخليفة عمر، وإما أن يكون أخذه من أحاديث (العدلين) أي الكيسين الكبيرين اللذين أخذهما بعد معركة اليرموك من الشام من رايات اليهود وكتبهم، وكان يحدث المسلمين منهما!

اول من تصدى لمذهب المرجئة على

روى الصدوق في علل الشرائع: ٢/٦٠٢:

حدثنا الحسين بن أحمد رحمه الله عن أبيه عن محمد بن أحمد قال: حدثنا أبو عبد الله الرازي، عن علي بن سليمان بن راشد، بإسناده رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: يحشر المرجئة عمياناً، إمامهم أعمى، فيقول بعض من يراهم من غير أمتنا: ماتكون أمة محمد إلا عمياناً! فأقول لهم: ليسوا من أمة محمد، لأنهم بدلوا فبدل ما بهم، وغيروا فغير ما بهم.

وروى في الخصال/٦١١:

حدثنا أبي (رض) قال: حدثنا سعد بن عبد الله قال: حدثني محمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني، عن القاسم بن يحيى، عن جده الحسن بن راشد، عن أبي بصير ومحمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: حدثني أبي عن جدي عن آبائه (عليهم السلام) أن أمير المؤمنين عليه السلام علم أصحابه في مجلس واحد أربع مائة باب مما يصلح للمسلم في دينه ودنياه.

قال عليه السلام: إن الحجامة تصحح البدن وتشد العقل، والطيب في الشارب من أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وكرامة الكاتبين، والسواك من مرضات الله عز وجل وسنة النبي صلى الله عليه وآله ومطيبه للفم، والدهن يلين البشرة ويزيد في الدماغ ويسهل مجارى الماء ويذهب بالقشف ويسفر اللون، وغسل الرأس يذهب بالدرن وينفى القذاء، والمضمضة والاستنشاق سنه وطهور للفم والانف، والسعوط مصححة للرأس وتنقيه للبدن وسائر أوجاع الرأس، والنورة نشره وطهور للجسد، واستجادة الحذاء وقاية للبدن وعون على الطهور والصلاة. وتقليم الاظفار يمنع الداء الأعظم... الخ.

وهو حديث طويل فيه تعليمات هامة دينية ودنيوية، وقد جاء فيه عن المرجئة: علموا صبيانكم ما ينفعهم الله به، لا تغلب عليهم المرجئة برأيها... انتهى.

وقال في هامشه: قال العلامة المجلسي رحمه الله: أعلم أن أصل هذا الخبر في غاية الوثاقه والإعتبار على طريقة القدماء، وإن لم يكن صحيحاً بزعم المتأخرين، واعتمد عليه الكليني رحمه الله وذكر أكثر أجزائه متفرقة في أبواب الكافي، وكذا غيره من أكابر المحدثين. أقول: عدم صحه السند عند المتأخرين لمقام القاسم بن يحيى، والظاهر أن أصل الرواية في كتابه، قال الشيخ في الفهرست: القاسم بن يحيى الراشدي له كتاب فيه آداب أمير المؤمنين عليه السلام، والراشدي نسبة إلى جده الحسن بن راشد البغدادى مولى المنصور الدوانيقى الذى كان وزيراً للمهدى وموسى وهارون الرشيد. قال ابن الغضائرى: ضعيف. وقال البيهاني في التعليق: لا وثوق بتضعيف ابن الغضائرى إياه، ورواية الاجلة سيما مثل أحمد بن محمد بن عيسى عنه تشير إلى الاعتماد عليه، بل الوثاقه وكثرة رواياته والافتاء بمضمونها يؤيده. ويؤيد فساد كلام ابن الغضائرى فى المقام، عدم تضعيف شيخ من المشايخ العظام الماهرين بأحوال الرجال إياه، وعدم طعن من أحد ممن ذكره فى ترجمته وترجمه جده وغيرها، والعلامة رحمه الله تبع ابن الغضائرى بناء على جواز عثوره على ما لم يعثروا عليه، وفيه ما فيه. انتهى. ورواه ابن شعبه الحراني مرسلأ فى تحف العقول/١٠٤

هذا وقد صرح القاضى النعمانى المغربى المتوفى سنة ٣٦٣ بأن اسم المرجئة أول ما أطلق على المتخلفين عن بيعة على عليه السلام ونصرته على الفئة الباغية، وهو يدل على أن بعض الصحابة تمسكوا بفكرة كعب وعمر التى تكتفى لدخول الجنة بالتوحيد بدون عمل، فيكون مذهب المرجئة قد تمت ولادته بعد وفاة عمر بقليل وفى حياة كعب الأخبار! قال القاضى النعمانى فى شرح الأخبار: ٢/٨٢:

فأما المتخلفون عن الجهاد مع على صلوات الله عليه، وقتال من نكث بيعته ومن حاربه وناصبه، فإنه تخلف عنه فى ذلك من المعروفين من الصحابة: سعد بن أبى وقاص وكان أحد الستة الذين سماهم عمر للشورى، وعبدالله بن عمر بن الخطاب، ومحمد بن سلمة، واقتدى بهم جماعة فقعدوا بقعودهم عنه، ولم يشهدوا شيئاً من حروبه معه ولا مع من حاربه. وهذه الفرقة هم أصل المرجئة وبهم اقتدوا، وذهب إلى ذلك من رأيهم جماعة من الناس وصوبوهم فيه وذهبوا إلى ما ذهبوا إليه، فقالوا فى الفريقين فى على عليه السلام ومن قاتل معه وفى الذين حاربوه وناصبوه ومن قتل من الفريقين: إنهم يخافون عليهم العذاب ويرجون لهم الخلاص والثواب، ولم يقطعوا عليهم بغير ذلك وتخلفوا عنهم. والإرجاء فى اللغة التأخير فسموا مرجئة لتأخيرهم القول فيهم، وتأخرهم عنهم ولم يقطعوا عليهم بثواب ولا عقاب، لأنهم زعموا أنهم كلهم موحدون ولا عذاب عندهم على من قال: لا إله إلا الله، فقدموا المقال وأخروا الأعمال فكان هذا أصل الإرجاء ثم تفرق أهله فرقاً إلى اليوم يزيدون على ذلك من القول وينقصون. انتهى.

وقال فى شرح الأخبار: ١/٣٦٥:

ثم هذه الفرق التى ذكرناها تتشعب ويحدث فى أهلها الاختلاف إلى اليوم وأصلها ست فرق: شيعه وعامه وخوارج ومعتزله ومرجئة وحشوية.

فالشيعه: هم شيعه على صلوات الله عليه القائلون بإمامته، وهم أقدم الفرق وأصلها الذى تفرعت عنه، ورسول الله صلوات الله عليه وآله سماها بهذا الاسم. وقال: شيعه على هم الفائزون. وقال لعلى عليه السلام: أنت وشيعتك.. فى آثار كثيرة رويت عنه. وسنذكر فى هذا

الكتاب ما يجرى ذكره إن شاء الله تعالى. وغير ذلك من الفرق محدثة أحدثت بعد النبي صلوات الله عليه وآله. انتهى.

ويدل النصان التاليان على وجود المرجئة على شكل مذهب متكامل في عصر الإمام الباقر عليه السلام المتوفى سنة ٩٤ هجرية، أي في الجيل الأول من التابعين بعد الصحابة مباشرة.

قال الصدوق في ثواب الأعمال/٢١٣:

وحدثني محمد بن موسى بن المتوكل قال: حدثني محمد بن جعفر قال: حدثني أحمد بن محمد العاصمي قال: حدثني علي بن عاصم الهمداني، عن محمد بن عبد الرحمن المحرري، عن يحيى بن سالم، عن محمد بن سلمة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما الليل بالليل ولا النهار بالنهار أشبه من المرجئة باليهود، ولا من القدرية بالنصرانية.

وفي علل الشرائع: ٢/٥٢٨:

وبهذا الإسناد عن محمد بن أحمد، عن ابن عيسى، عن عثمان بن سعيد قال: حدثنا عبد الكريم الهمداني، عن أبي ثمامة قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام وقلت له: جعلت فداك إني رجل أريد أن ألزم مكة وعلني دين للمرجئة فما تقول؟ قال: قال إرجع (وَأد) دينك وانظر أن تلقى الله تعالى وليس عليك دين، فإن المؤمن لا يخون. انتهى.

أما في عصر الإمام الصادق عليه السلام وما بعده فقد كان للمرجئة وجود واسع وصولاً، وانتشر مذهبهم حتى شمل أكثر الرواة وعلماء الدولة.. كما اتسع تصدى أهل البيت (عليهم السلام) لأفكارهم، ففي دعائم الإسلام للقاضي النعمان: ١/٣ قال: روينا عن جعفر بن محمد أنه قال: الإيمان قول باللسان وتصديق بالجان وعمل بالأركان، وهذا الذي لا يصح غيره، لا كما زعمت المرجئة أن الإيمان قول بلا عمل، ولا كالذي قالت الجماعة من العامة إن الإيمان قول وعمل فقط، وكيف يكون ما قالت المرجئة إنه قول بلا عمل وهم الأمة مجمعون على أن من ترك العمل بفريضة من فرائض الله عز وجل التي افترضها على عباده منكرًا لها أنه كافر حلال الدم ما كان مصرًا على ذلك، وإن أقر بالله ووحده وصدق رسوله بلسانه، إلا أنه يقول هذه الفريضة ليست مما جاء به، وقد قال الله عز وجل: **وَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ**، فأخرجهم من الإيمان بمنعهم الزكاة، وبذلك استحلت القوم أجمعون بعد رسول الله صلى الله عليه وآله دماء بني حنيفة وسبي ذراريهم، وسموهم أهل الردة إذ منعهم الزكاة. انتهى.

قال الكليني في الكافي: ٢/٤٠:

محمد بن الحسن، عن بعض أصحابنا، عن الأشعث بن محمد، عن محمد بن حفص بن خارجة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: وسأله رجل عن قول المرجئة في الكفر والإيمان، وقال إنهم يحتجون علينا ويقولون كما أن الكافر عندنا هو الكافر عند الله، فكذلك نجد المؤمن إذا أقر بإيمانه أنه عند الله مؤمن! فقال: سبحان الله وكيف يستوى هذان؟! والكفر إقرارًا من العبد، فلا يكلف بعد إقراره ببينه، والإيمان دعوى لا يجوز إلا ببينه، وبينته عمله ونيته، فإذا اتفقا فالعبد عند الله مؤمن. والكفر موجود بكل جهة من هذه الجهات الثلاث من نية أو قول أو عمل، والأحكام تجري على القول والعمل، فما أكثر من يشهد له المؤمنون بالإيمان ويجري عليه أحكام المؤمنين وهو عند الله كافر، وقد أصاب من أجرى عليه أحكام المؤمنين بظاهر قوله وعمله.

وقال في الايضاح/٤٤:

ومنهم المرجئة الذين يروى عنهم أعلامهم مثل إبراهيم النخعي وإبراهيم بن يزيد التيمي، ومن دونهما مثل سفيان الثوري وابن المبارك ووكيع وهشام وعلي بن عاصم، عن رجالهم أن النبي صلى الله عليه وآله قال: صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب: القدرية والمرجئة. فقيل له: ما المرجئة قالوا: الذين يقولون: الإيمان قول بلا عمل. وأصل ما هم عليه أنهم يدينون بأن أحدهم لو ذبح أباه وأمه وابنه وبنته وأخاه وأخته وأحرقهم بالنار أو زنى أو سرق أو قتل النفس التي حرم الله أو أحرق المصاحف أو هدم الكعبة أو نبش القبور أو أتى أي كبيرة نهى الله عنها.. أن ذلك لا يفسد عليه إيمانه ولا يخرج منه، وأنه إذا أقر بلسانه بالشهادتين أنه مستكمل الإيمان إيمانه كإيمان جبرئيل وميكائيل صلى الله عليهما، فعل ما فعل وارتكب ما ارتكب ما نهى الله عنه!

ويحتجون بأن النبي صلى الله عليه وآله قال: أمرنا أن نقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. وهذا قبل أن يفرض سائر الفرائض وهو منسوخ. وقد روى محمد بن الفضل، عن أبيه، عن المغيرة بن سعيد، عن أبيه، عن مقسم، عن سعيد بن جبير قال: المرجئة يهود هذه الأمة. وقد نسخ احتجاجهم قول النبي صلى الله عليه وآله حين قال: بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم شهر رمضان.

كان المرجئة خداما لبني أمية و مبررين لجرائهم

الكافي: ٢/٤٠٩:

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن مروك بن عبيد، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لعن الله القدرية، لعن الله الخوارج، لعن الله المرجئة، لعن الله المرجئة. قال قلت: لعنت هؤلاء مرة مرة ولعنت هؤلاء مرتين! قال: إن هؤلاء يقولون: إن قتلنا مؤمنون! فداؤنا متلطحه بثيابهم إلى يوم القيامة، إن الله حكى عن قوم في كتابه: لن تؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار، قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين.. قال كان بين القاتلين والقاتلين خمسمائة عام فألزمهم الله القتل برضاهم ما فعلوا. انتهى.

ومعنى كلام الإمام الصادق عليه السلام: أن المرجئة زعموا أن قتله الإمام الحسين عليه السلام مؤمنون من أهل الجنة ولا يعاقبون على جريمتهم! وبذلك صار المرجئة شركاء لبني أمية في الجريمة، لأن من رضى بعمل قوم فقد شركهم فيه! ويدل النص التالي على أن المرجئة كانوا يجادلون المعارضين لبني أمية ليأخذوا عليهم مستمسكاً للخليفة لكي يضطهدهم! - وقال الكليني في الكافي: ٨/٢٧٠:

عن عبد الحميد بن أبي العلاء قال: دخلت المسجد الحرام فرأيت مولى لابي عبد الله عليه السلام فملت إليه لأسأله عن أبي عبد الله، فإذا أنا بأبي عبد الله ساجداً فانتظرت طويلاً فطال سجوده عليّ، فقممت وصليت ركعات وانصرفت وهو بعد ساجد، فسألت مولا متى سجد؟ فقال: قبل أن تأتينا، فلما سمع كلامي رفع رأسه ثم قال: أبا محمد أدن منى فدنوت منه فسلمت عليه، فسمع صوتاً خلفه فقال: ما هذه الاصوات المرتفعة؟ فقلت: هؤلاء قوم من المرجئة والقدرية والمعتزلة، فقال: إن القوم يريدونى فقم بنا، فقممت معه فلما أن رأوه نهضوا نحوه فقال لهم: كفوا أنفسكم عنى ولا تؤذونى وتعرضونى للسلطان، فإنى لست بمفت لكم، ثم أخذ بيدي وتركهم ومضى، فلما خرج من المسجد قال لى يا أبا محمد والله لو أن إبليس سجد لله عز ذكره بعد المعصية والتكبر عمر الدنيا ما نفعه ذلك ولا قبله الله عز ذكره ما لم يسجد لادم، كما أمره الله عز وجل أن يسجد له.

وكذلك هذه الأمة العاصية المفتونة بعد نبينا صلى الله عليه وآله وبعد تركهم الإمام الذى نصبه نبينهم صلى الله عليه وآله لهم فلن يقبل الله تبارك وتعالى لهم عملاً ولن يرفع لهم حسنة حتى يأتوا الله عز وجل من حيث أمرهم، ويتولوا الإمام الذى أمروا بولايته ويدخلوا من الباب الذى فتحه الله عز وجل ورسوله لهم.

يا أبا محمد إن الله افترض على أمة محمد صلى الله عليه وآله خمس فرائض: الصلاة والزكاة والصيام والحج وولايتنا، فرخص لهم فى أشياء من الفرائض الأربعة، ولم يرخص لاحد من المسلمين فى ترك ولايتنا، لا والله ما فيها رخصة.

تورط أصحاب المذاهب الأربعة فى الإرجاء

للمرجئة فى المذاهب الأربعة وفى الصحاح الستة مكانة محترمة حتى أن بعض أئمة المذاهب أنفسهم اتهموا بأنهم مرجئة.. قال فى هامش كتاب المجروحين: ٣/٦٣: هناك تعليقات كثيرة على المخطوطة هاجمت ابن حبان لتحامله على أبي حنيفة، ومما هوجم من أجله والد أبي حنيفة بأنه كان خبازاً واعتبر المعلق ذلك غيبة تخرج عن حد الرأى فى المحدث.

ونشير هنا إلى أن جد أبي حنيفة كان أحد أمراء بلاد الافغان (مرزبان) واختلفت أقوال حفيده في مسألة أسر جده ثم عتقه، قال أحدهما: والله ما وقع لنا رقُّ قط.

يراجع الإمام الاعظم: اتهام أبي حنيفة بالإرجاء وأنه داعية إلى البدع، غير مقبول من ابن حبان ومن شاركه هذا القول على إطلاقه، ونلخص القول في ذلك بما جاء في كتاب اللكنوى (الرفع والتكميل ١٥٤):

جملة التفرقة بين اعتقاد أهل السنة وبين اعتقاد المرجئة: أن المرجئة يكتفون في الإيمان بمعرفة الله ونحوه ويجعلون ما سوى الإيمان من الطاعات وما سوى الكفر من المعاصي غير مضرّة ولا نافعة ويتشبثون بظاهر حديث: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة. وأهل السنة يقولون: لا تكفى في الإيمان المعرفة، بل لا بد من التصديق الإختياري مع الإقرار اللساني، وأن الطاعات مفيدة والمعاصي مضرّة مع الإيمان توصل صاحبها إلى دار الخسران.

والذي يجب علمه على العالم المشتغل بكتب التواريخ وأسماء الرجال أن (يعرف أن) الإرجاء يطلق على قسمين: أحدهما الإرجاء الذي هو ضلال. وثانيهما الإرجاء الذي ليس بضلال، ولا يكون صاحبه عن أهل السنة والجماعة خارجاً. ولهذا ذكروا أن المرجئة فرقتان: مرجئة الضلالة، ومرجئة أهل السنة. وأبو حنيفة وتلامذته وشيوخه وغيره من الرواة الإثبات إنما عدوا من مرجئة أهل السنة لا من مرجئة الضلالة.

ثم يقول أيضاً في ختام مناقشته لهذا الموضوع ١٦١: وخلاصة المرام في هذا المقام أن الإرجاء: قد يطلق على أهل السنة والجماعة من مخالفهم المعتزلة الزاعمين بالخلود الناري لصاحب الكبيرة، وقد يطلق على الأئمة القائلين بأن الأعمال ليست بداخله في الإيمان وبعدم الزيادة فيه والنقصان - وهو مذهب أبي حنيفة وأتباعه - من جانب المحدثين القائلين بالزيادة والنقصان وبدخول الأعمال في الإيمان. وهذا النزاع وإن كان لفظياً كما حققه المحققون من الأولين والآخرين لكنه لما طال وآل الأمر إلى بسط كلام الفريقين من المتقدمين والمتأخرين، أدى ذلك إلى أن أطلقوا الإرجاء على مخالفهم وشنعوا بذلك عليهم، وهو ليس بطعن في الحقيقة، على ما لا يخفى على مهرة الشريعة.

أقول: إذا عرفت هذا علمت أن قول ابن حبان في إطلاقه الإرجاء على أبي حنيفة وأصحابه فيه اتهام غير محدد وتعمية تضلل الباحث، وهو يقصد إلى ذلك قصداً ما كان يجدر به أن يقع في مثل ذلك. انتهى.

ولا كلام لنا في دفاعهم عن نسب أبي حنيفة وحسبه، فقد كان على أتباعه أن يجعلوه من ملوك الأفاغنة وأبناء المرازبة أو الأكاسرة، حتى يواجهوا به مذهب أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ونسبهم الشامخ من علياً قريش وذروة بني هاشم..

ولكننا نسأل: من أين جاؤوا بهذا التقسيم للمرجئة إلى مرجئة من أهل السنة ومرجئة ضلالة، وحكموا بأن أبا حنيفة من النوع الجيد لا الردئ!! فما هو الفرق العلمي والعقائدي بين هذين النوعين حثينقبل الجيد وترك الردئ!؟

وهل يكفي التخلص اللفظي من مذهب المرجئة بمثل قول اللكنوى المتقدم بأن مذهب أهل السنة (أن الطاعات مفيدة والمعاصي مضرّة مع الإيمان توصل صاحبها إلى دار الخسران) مع أن الأحاديث التي تشبث بها المرجئة على حد تعبيره ثابتة وصحيحة عندهم!

تورط أصحاب الصحاح السنة في الإرجاء

أما إذا نظرت إلى الصحاح فإأخذك العجب عندما تجد نسبة كبيرة من رواها المحترمين مرجئة!! وهو موضوع يحتاج إلى دراسة مستقلة ولا يتسع المجال لأكثر من إشارة إلى بعضهم:

فمنهم: الفأفاء، وهو رأس في المرجئة متعصب لبني أمية مبغض لعلي عليه السلام بل مبغض للنبي صلى الله عليه وآله! وكان يقرأ لخلفاء بني أمية القصائد في هجاء النبي! وقد قتله العباسيون في ثورتهم.. ومع ذلك فهو معتمد عند ابن المديني شيخ البخاري ويقول عنه قتل مظلوماً، ومعتمد عند البخاري فقد روى عنه في الأدب المفرد وكذلك عند مسلم والنسائي وابن ماجه والترمذي وأبي داود!

قال في تهذيب التهذيب: ٣/٨٣: خالد بن سلمة بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي أبو سلمة، ويقال أبو المقسم المعروف بالفأفأ الكوفي، أصله حجازي، روى عن عبدالله البهي وعيسى وموسى ابني طلحة بن عبيد الله، وسعيد بن المسيب وأبي بردة بن أبي موسى والشعبي وغيرهم. وعنه أولاده عكرمة ومحمد وعبد الرحمن، والسفيانان، وشعبة، ومسعر، وزائدة، وزكرياء بن أبي زائدة وابنه يحيى بن زكرياء، وحامد بن زيد، وغيرهم.. وحدث عنه عمرو بن دينار، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وهما أكبر منه.

قال البخاري عن ابن المديني له نحو عشرة أحاديث.

وقال أحمد وابن معين وابن المديني ثقة، وكذا قال ابن عمار ويعقوب بن شيبة والنسائي.

وقال أبو حاتم شيخ يكتب حديثه.

وقال ابن عدى: هو في عداد من يجمع حديثه، ولا أرى بروايته بأساً.

وذكره ابن حبان في الثقات.

وقال ابن سعد: هرب من الكوفة إلى واسط لما ظهرت دعوة بني العباس، فقتل مع ابن هبيرة.

وقال محمد بن حميد عن جرير: كان الفأفأ رأساً في المرجئة، وكان يبغض علياً.

وقال يعقوب بن شيبة: يقال إن بعض الخلفاء قطع لسانه ثم قتله، ذكره علي بن المديني يوماً فقال: قتل مظلوماً.

وقال أبو داود عن الحسن بن علي الخلال: سمعت يزيد بن هارون يقول دخلت المسودة واسط سنة ١٣٢ فنادى مناديتهم بواسط: الناس

آمنون إلا- ثلاثة: العوام بن حوشب، وعمر بن ذر، وخالد بن سلمة المخزومي. فأما خالد فقتل، وأما العوام فهرب وكان يحرض على

قتالهم، وكان عمر بن ذر يقص بهم ويحرض على قتالهم عندنا بواسط. له عند مسلم حديث واحد.

قلت: وقع في صحيح البخاري ضمناً حيث قال في الحيض وقالت عائشة كان رسول الله (ص) يذكر الله على كل أحيانه، فإن مسلماً

أخرجه من طريق خالد بن سلمة.

هذا وذكر ابن المديني في العلل الكبرى أن الفأفأ لم يسمع من عبد الله بن عمر، وذكر ابن عائشة: أنه كان ينشد بني مروان الأشعار

التي هجى بها المصطفى (ص)!! انتهى.

ومنهم: الحمانى، الذى روى عنه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه.. قال فى تهذيب التهذيب: ٦/١٠٩: عبد الحميد بن

عبد الرحمن الحمانى أبو يحيى الكوفى ولقبه بشمين. أصله خوارزمى. روى عن يزيد بن أبى بردة، والأعمش، والسفيانين، وأبى حنيفة

وجماعه. وعنه أبو بكر ومحمد بن خلف الحدادى، والحسن بن على الخلال، وأحمد بن عمر الوكيعى، وأبو كريب، وموسى بن عبد

الرحمن المسروقى، وأبو بكر وعثمان ابنا أبى شيبة، وسفيان بن وكيع، والحسين بن يزيد الكوفى، ومحمد بن عبد بن ثعلبة، ويحيى بن

موسى خت، وعمرو بن على الفلاس، وأبو سعيد الأشج، والحسن بن على بن عفان العامرى، وغيرهم. قال ابن معين: ثقة.

وقال أبو داود: كان داعية فى الإرجاء!!

وقال النسائى: ليس بقوى، وقال فى موضع آخر: ثقة، وذكره ابن حبان فى الثقات. وقال ابن عدى: هو وابنه ممن يكتب حديثه. قال

هارون الحمال مات سنة اثنتين ومائتين. قلت: وفيها أرخه ابن قانع وزاد فى جمادى الأولى وهو ثقة.

وقال ابن سعد وأحمد: كان ضعيفاً. وقال العجلي: كوفى ضعيف الحديث مرجئ. وقال البرقى: قال ابن معين: كان ثقة، ولكنه ضعيف

العقل!! انتهى.

ومنهم: شعيب بن اسحاق مولى بنى أمية الذى روى عنه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه.. قال فى تهذيب

التهذيب: ٤/٣٠٤: شعيب بن إسحاق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن راشد الدمشقى الأموى، مولى رملة بنت عثمان، أصله من البصرة.

روى عن أبيه وأبى حنيفة وتمذهب له، وابن جريج والأوزاعى، وسعيد بن أبى عروبة، وعبيد الله بن عمرو، وهشام بن عروة، والثورى

وغيرهم. وعنه ابن ابنه عبد الرحمن بن عبد الصمد بن شعيب، وداود بن رشيد، والحكم بن موسى، وأبو النضر الفراديسى، وعمرو بن

عون، وإبراهيم بن موسى الرازي، وإسحاق بن راهويه، وسويد بن سعيد، وأبو كريب محمد بن العلاء، وهشام بن عمار، وغيرهم. وحدث عنه الليث بن سعد، وهو في عداد شيوخه. قال أبو طالب عن أحمد: ثقة ما أصح حديثه وأوثقه. وقال أبو داود: ثقة وهو مرجئ، سمعت أحمد يقول: سمع من سعيد بن أبي عروبة بآخر رمق. وقال هشام بن عمار عن شعيب: سمعت من سعيد سنة ١٤٤ وقال ابن معين ودحيم والنسائي: ثقة. وقال أبو حاتم: صدوق. وقال الوليد بن مسلم: رأيت الأوزاعي يقربه ويدنيه.

قال دحيم: ولد سنة ١٨ ومات سنة ١٨٩ وكذا أرخه ابن مصفى وزاد في رجوبها أرخه غير واحد. ووقع في الكمال سنة ٩٨ وهو وهم. قلت: وفي سنة ٨٩ أرخه ابن حبان في الثقات، ونقل أبو الوليد الباجي عن أبي حاتم قال: شعيب ابن اسحاق ثقة مأمون. انتهى. ومنهم: الغنوي الذي روى عنه مسلم والأربعة.. قال في تهذيب التهذيب: ١/٤١١: بشير بن المهاجر الغنوي الكوفي، رأى أنس بن مالك، وروى عن عبد الله بن بريدة والحسن البصري وعكرمة وغيرهم. وعنه ابن المبارك، ووكيع، وابن نمير، والثوري، وجعفر بن عون، وأبو نعيم، وخلاد بن يحيى، وغيرهم... وقال العجلي: كوفي ثقة، وقال العجلي: مرجئ متهم متكلم فيه. وقال الساجي: منكر الحديث عنده. انتهى.

وقد سجل ابن شاذان هذا التناقض على أصحاب الصحاح فقال في الإيضاح ٥٠٢: ومن جهة أخرى تروون عن المرجئة ويروون عنكم وتروون عن القدرية ويروون عنكم وتروون عن الجهمية ويروون عنكم فتقبلون منهم بعض أقاويلهم وتردون عليهم بعضها، فلا الحق أنتم منه على ثقة، ولا الباطل أنتم منه على يقين وأنتم عند أنفسكم أهل السنة والجماعة.

حب المستشرقين للمرجئة و حزنهم عليهم

قال الدكتور حسن إبراهيم في كتابه تاريخ الإسلام: ١/٤١٦ عن المرجئة:

وهي طائفة المرجئة التي ظهرت في دمشق حاضرة الأمويين بتأثير بعض العوامل المسيحية خلال النصف الثاني من القرن الأول الهجري.

وقد سميت هذه الطائفة المرجئة من الإرجاء هو التأخير، لأنهم يرجئون الحكم على العصاة من المسلمين إلى يوم البعث. كما يتخرجون عن إدانته أي مسلم مهما كانت الذنوب التي اقترفها....

وهؤلاء هم في الحقيقة كتلة المسلمين التي رضيت حكم بني أمية، مخالفتين في ذلك الشيعة والخوارج. ومع هذا فإنهم يتفقون في العقيدة إلى حد ما مع طائفة المحافظين وهي أهل السنة، وإن كانوا - كما يرى فون كريمر - قد ألانوا من شدة عقائد هؤلاء السنيين باعتقادهم (أنه لا يخلد مسلم مؤمن في النار) وعلى العموم فهم يضعون العقيدة فوق العمل.

وكانت آراؤهم تتفق تماماً مع رجال البلاط الأموي ومن يلوذ به، بحيث لا يستطيع أحد من الشيعة أو الخوارج أن يعيش بينهم، في الوقت الذي تمكن فيه المسيحيون وغيرهم من المسلمين أن ينالوا الحظوة لديهم، أو يشغلوا المناصب العالية! انتهى.

ويمكنك ملاحظة التناقض بين ما ذكره الدكتور والمستشرقون عن تقوى المرجئة و تحرجهم عن إدانته أي مسلم مهما كانت الذنوب التي اقترفها وحكمهم عليه بأنه من أهل الجنة بحكم عقيدتهم، وبين تقواهم في أنهم كانوا يتعايشون مع الحكام الأمويين والنصارى واليهود ولا يتعايشون مع من خالفهم من المسلمين.

ولعل السبب في ذلك أن الحكام الأمويون أساندتهم في عملية إسقاط المحرمات، بينما اليهود والنصارى أساندتهم في نظرية إسقاط

المحرمات!!

ثم قال الدكتور حسن إبراهيم:

وبزوال الدولة الأموية أفل نجم طائفة المرجئة ولم تصبح بعد حزباً مستقلاً، ومع ذلك فقد ظهر من بينهم أبو حنيفة صاحب المذهب المشهور. انتهى.

ولكن حكمه بزوال المرجئة مع أسيادهم الأمويين غير دقيق، لانهم سقطوا سياسياً لا ثقافياً، فقد بقيت أفكارهم ورواياتهم وعقائدهم في مصادر المسلمين.. ويكفي دليلاً على ذلك اتهام أبي حنيفة وغيره بأنهم منهم.. فإن خط المرجئة عاد إلى النفوذ والحكم بقرار من الدولة العباسية لكي تواجه به أهل البيت (عليهم السلام)

غاية الأمر أن اسمهم صار الأشعرية والحنابلة وأهل الحديث وأهل السنة، فإن أكثرية هؤلاء من المرجئة!

ويكفي دليلاً على ذلك أن كبار علمائهم لا يستطيعون التفريق بين رأيهم في الشفاعة وبين رأي المرجئة، وأن إطاعتهم للعباسيين كإطاعة المرجئة للأمويين!

بل يمكن القول إنه بعد زوال العباسيين وكثير من الفرق لم ينته المرجئة، لأن أساس مذهبهم ومنع أفكارهم الأحاديث التي دخلت الصحاح كما رأيت، ومن أراد أن يأخذ بها ويلتزم بلوازمها فلا بد له أن يكون مرجئاً ويقول بسقوط المحرمات عملياً، ويكتفي بالشهادتين كما مر في توسيع الشفاعة!!

وأخيراً فقد نقل الدكتور المذكور تأسف المستشرق فون كريمر على ضياع تاريخ المرجئة بعد زوالهم قال في: ١/٤١٨:

ويقول فون كريمر: ومما يؤسف له كثيراً أنه ليس لدينا غير القليل من الأخبار الصحيحة عن هذه الطائفة، فقد استمروا طوال ذلك العصر وذاقوا حلوه ومره، وقد ضاعت جميع المصادر التاريخية العربية عن الأمويين، حتى أن أقدم المصادر التاريخية التي وصلت إلينا إنما ترجع إلى عهد العباسيين، ومن ثم كان لزوماً علينا أن نستقي معلوماتنا عن المرجئة من تلك الشذرات المبعثرة في مؤلفات كتاب العرب في ذلك العصر الثاني. انتهى.

وهو تأسف ظاهره علمي وواقعه البكاء على المرجئة لما اشتهر عنهم وعن الأمويين من تفضيلهم التعايش مع المسيحيين واليهود على التعايش مع من خالفهم من المسلمين.. وهو تأسف يجعلنا نلمس صدق قول الإمام محمد الباقر عليه السلام عن المرجئة بأنهم أشبه باليهود من الليل بالليل، وذلك لجرأتهم على إسقاط قانون العقوبة الإلهي، وقولهم إن المسلم مهما ارتكب من جرائم فلن تمسه النار حتى أياماً معدودة، فليس غريباً أن يحبهم ويتأسف عليهم المستشرقون من اليهود والنصارى!

المرجئة والجبرية شقيقان لآب وأم

مع أن مذهب المرجئة مذهب في الثواب والعقاب ولا علاقة له بالقضاء والقدر والجبر والتفويض.. ومع أن النسبة بين المرجئة وبين القدرية والمفوضة عموم من وجه، لأن المرجئ في الأعمال قد يكون مفوضاً أو قديراً، كما أن القدرى والمفوض قد يكون مرجئاً أو غير مرجئ..

ولكن ذلك كله في مقام الإثبات والنظرية، أما في مقام الثبوت والتطبيق فالأعم الأغلب في المرجئة أنهم قدرية جبرية، والسبب في ذلك أن الأحاديث التي استندوا إليها في القول بالإرجاء أو (تشبثوا) بها على حد تعبير اللكنوى رافقتها أحاديث الجبر التي تنسب أفعال الإنسان إلى الله تعالى وتحمله مسؤوليتها، لكي ترفعها عن الإنسان، كما رأيت في أحاديث توسيع الشفاعة وفناء النار!

وبما أن مسائل القضاء والقدر متعددة، لذا نكتفي هنا بإعطاء تصور كلي عنها ليتضح ارتباطها بموضوع الشفاعة والإرجاء فنقول:

ورد تعريف القدر الإلهي في نص بديع عن الإمام الرضا عليه السلام بأنه (الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء) كما سيأتي. وقد وقع الخلاف بين المسلمين في مسائله العديدة، وتكونت على أساس آرائهم مذاهبهم العقائدية.

قال السيد الطباطبائي في هامش الكافي: ١/١٥٧:

واعلم أن البحث عن القضاء والقدر كان في أول الأمر مسألة واحدة ثم تحول ثلاث مسائل أصلية الأولى: مسألة القضاء وهو تعلق الإرادة الإلهية الحتمية بكل شئ والأخبار تقضى فيها بالإثبات...

الثانية: مسألة القدر وهو ثبوت تأثير ماله تعالى في الأفعال والأخبار تدل فيها أيضاً على الإثبات.

الثالثة: مسألة الجبر والتفويض والأخبار تشير فيها إلى نفي كلا القولين وتثبت قولاً ثالثاً وهو الأمر بين الأمرين لا ملكاً لله فقط من غير ملك للإنسان ولا بالعكس بل ملكاً في طول ملك وسلطنه في ظرف سلطنه.

واعلم أيضاً أن تسميته هؤلاء بالقدرية مأخوذة مما صح عن النبي صلى الله عليه وآله (إن القدرية مجوس هذه الأمة الحديث) فأخذت المجبرة تسمى المفوضة بالقدرية لأنهم ينكرون القدر ويتكلمون عليه والمفوضة تسمى المجبرة بالقدرية لأنهم يثبتون القدر. والذي يتحصل من أخبار أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أنهم يسمون كلتا الفرقتين بالقدرية ويطلقون الحديث النبوي عليهما.

أما المجبرة فلأنهم ينسبون الخير والشر والطاعة والمعصية جميعاً إلى غير الإنسان كما أن المجوس قائلون بكون فاعل الخير والشر جميعاً غير الإنسان وقوله عليه السلام في هذا الخبر مبنى على هذا النظر.

وأما المفوضة فلأنهم قائلون بخالقين في العالم هما الإنسان بالنسبة إلى أفعاله والله سبحانه بالنسبة إلى غيرها كما أن المجوس قائلون بإله الخير وإله الشر وقوله عليه السلام في الروايات التالية (لا جبر ولا قدر) ناظر إلى هذا الاعتبار. انتهى.

ونضيف إلى ما ذكره السيد الطباطبائي رحمه الله: مسألة البداء، وهي هل أن تقدير الله تعالى في كل الأمور حتمي عليه، فلا يمكنه تغيير شئ منه، لأنه فرغ من الأمر على حد تعبير بعض المسلمين، أو لأن يده مغلولة على حد تعبير اليهود.. أم أن القدر مفتوح له تعالى، وله الحق والقدرة على البداء والتغيير كما يشاء، لأنه فرغ من الأمر ولم يفرغ منه على حد تعبير أهل البيت (عليهم السلام).

القدرية المفوضة (الذين ينفون القدر)

محور الخلاف في مسألة القدر هو: سلطة الله تعالى على أفعال الإنسان وحركة الطبيعة والكون، وفعله فيها.

فالذين ينفون هذه السلطة يسمون (المفوضة) لأنهم يزعمون أن الإنسان مفوض في أعماله، ولا دخل لله تعالى ولا لسلطته فيها.

وقد يكون المفوضة مؤمنين بوجود الله تعالى، ولكنهم يقولون إنه فوض ذلك إلى الإنسان وقوانين الطبيعة..

وقد يكونون ملحدين دهرين أو مشككين، ويعبر عنهم بالمفوضة أيضاً، لأنهم ينفون سلطة الله تعالى وفاعليته في أفعال الإنسان وحركة الطبيعة.

وهم في عصرنا فئات الماديين من الملحدين والطبيعيين وأكثر العلمانيين، وبعض المتأثرين بالثقافة الغربية من المسلمين.

والتفويض في القدر مرفوض كلياً عند أهل البيت (عليهم السلام) ومنه التفويض الذي يذهب إليه أكثر المعتزلة أيضاً. قال في شرح

المواقف: ٨/١٤٦: وقالت المعتزلة أي أكثرهم: هي (الأفعال الإختيارية) واقعة بقدرة العبد وحدها على سبيل الإستقلال بلا إيجاب بل باختيار.

وقال الكليني في الكافي: ١/١٥٧:

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن إسماعيل بن مرار، عن يونس بن عبد الرحمن قال: قال لي أبو الحسن الرضا عليه السلام:

يا يونس، لا تقل بقول القدرية فإن القدرية لم يقولوا بقول أهل الجنة، ولا بقول أهل النار، ولا بقول إبليس!

فإن أهل الجنة قالوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

وقال أهل النار: ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين.

وقال إبليس: رب بما أغويتني.

فقلت: والله ما أقول بقولهم ولكنى أقول: لا يكون إلا بما شاء الله وأراد وقدر وقضى.

فقال: يا يونس ليس هكذا، لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى.

يا يونس تعلم ما المشيئة؟

قلت: لا.

قال: هي الذكر الأول.

فتعلم ما الإرادة؟

قلت: لا.

قال: هي العزيمة على ما يشاء.

فتعلم ما القدر؟

قلت: لا.

قال: هو الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء.

قال ثم قال: والقضاء هو الإبرام وإقامة العين.

قال: فاستأذنته أن أقبل رأسه وقلت: فتحت لى شيئاً كنت عنه فى غفلة. انتهى.

وفى مجمع الزوائد: ٧/٢٠٥:

عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص): القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم. رواه الطبراني فى الأوسط وفيه زكريا بن منظور وثقه أحمد بن صالح وغيره وضعفه جماعة. انتهى. ورواه البيهقي فى سننه: ١٠/٢٠٢ وقال: أخرجه أبو داود فى كتاب السنن هكذا. انتهى.

فهذان النصان يردان على القدرية المفوضة.

وينبغى الالتفات إلى أن اسم المرجئة لا يستعمل فى الأحاديث فى ضد معناه، بينما يستعمل اسم القدرية للمؤمن بالقدر ولمنكر القدر.. ويعرف ذلك من سياق الكلام.

القدرية الجبرية (الذين يثبتون القدر)

أما الذين يثبتون فعل الله تعالى فى حركة الكون وأفعال الإنسان فيسمون (القدرية) لانهم يؤمنون بوجود سلطة الله تعالى على أفعال الإنسان وحركة الطبيعة بشكل من الأشكال، وهؤلاء منهم من يفرط فى إثبات الفعل الإلهي فى أفعال الإنسان فينسبون أفعال الإنسان إلى الله تعالى نسبة كاملة فيسمون (الجبرية) وهم أكثر المرجئة، ولعلمهم أكثر إخواننا السنة، وإن لم يصرحوا بذلك.. والسبب فى ذلك وجود أحاديث ثبتت عندهم عن الخليفة عمر ومن تبعه من الصحابة توجب القول بذلك، وهى نقطة التقاء شديدة بينهم وبين المرجئة وقد أشرنا إلى أن السبب فى جبرية المرجئة أن أحاديث الارحاء التى صحت عندهم رافقتها أحاديث الجبر مرافقة الأخت لأختها، بل كانت نفسها فى بعض الأحيان..ومن هنا قلنا إن الارحاء والجبر أخوان شقيقان لأب وأم.

قال فى شرح المواقف: ٨/١٤٦:

المقصد الأول فى أن أفعال العباد الإختيارية واقعة بقدره الله سبحانه وتعالى وحدها، وليس لقدرتهم تأثير فيها بل الله سبحانه أجرى عادته بأن يوجد فى العبد قدرة واختياراً، فإذا لم يكن هناك مانع أوجد فيه فعله المقدر مقارناً لهما، فيكون فعل العبد مخلوقاً لله إبداعاً وإحداثاً، ومكسوباً للعبد، والمراد بكسبه إياه مقارنته لقدرته وإرادته من غير أن يكون هناك منه تأثير أو مدخل فى وجوده سوى كونه محلاً له! وهذا مذهب الشيخ أبى الحسن الأشعري. انتهى.

وأقدم الأحاديث في الجبر مروية عن الخليفة عمر وكعب الأحمار، وقد تقدم عدد منها في توسيع الشفاعة وفناء النار، ونذكر فيما يلي بعضها:

روى أحمد في مسنده: ١/٢٩:

عن ابن عمر عن عمر رضي الله عنهما أنه قال للنبي (ص): أرأيت ما نعمل فيه أقد فرغ منه أو في شيء مبتدأ أو أمر مبتدع؟ قال: فيما قد فرغ منه. فقال عمر ألا نتكل؟ فقال: إعمل يا ابن الخطاب فكل ميسر، أما من كان من أهل السعادة فيعمل للسعادة، وأما أهل الشقاء فيعمل للشقاء!

ورواه في: ٢/٧٧، ونحوه في الترمذي: ٤/٣٥٢ ونحوه الحاكم: ٢/٤٦٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

ورواه في مجمع الزوائد: ٧/١٩٤ عن أبي بكر وعن عمر وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح. ورواه في كنز العمال بعدة روايات في: ١/١٢٨ وص ٣٣٩

ورواه البخاري بصيغة أخرى تذكر أن الله تعالى يتحمل مسؤوليته خطيئة آدم عليه السلام، عيناً كما في التوراة!.. قال في صحيحه: ٤/١٣١ عن أبي هريرة: قال قال رسول الله (ص): احتج آدم وموسى فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة؟ فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ثم تلومني على أمر قدر على قبل أن أخلق؟ فقال رسول الله (ص): فحج آدم موسى مرتين! انتهى.

ورواه بصيغة أخرى أيضاً فيها تعين لادم قال في: ٧/٢١٤ فيها (فقال له موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة)، وروى نحوه أيضاً في: ٨/٢٠٣

فهذه النصوص الصحيحة عندهم تقول بالجبر في أفعال الإنسان، وفي تكوين الكون معاً.

القدر عند أهل البيت: لا جبر ولا تفويض

أما مذهب أهل البيت (عليهم السلام) فهو يثبت القدر ويؤمن بسلطة الله تعالى على أفعال الإنسان وفعله فيها، ولكنه يقول لا تصح نسبة المعصية إليه تعالى وإن كان الأقدار عليها منه تعالى، أما نسبتها التي تستلزم تحمل مسؤوليتها فهي لفاعلها الذي هو الإنسان.. فالإنسان في هذا المذهب ليس مجبوراً في أفعاله الاختيارية ولا مفوضاً إليه، ولا مجرد مجرى لأفعاله كمجرى النهار، بل حاله من نوع آخر يوجد فيه القدر الالهي بشكل كامل لصغير الأمور وكبيرها ويوجد فيه حرية الإنسان ومسؤوليته. وهذا معنى (لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين).

وقد أكد أهل البيت (عليهم السلام) على هذا النوع من القدر، وقاوموا المفوضة لإنكارهم سلطان الله تعالى على صغير الأمور وكبيرها. كما قاوموا القائلين بالجبر في أفعال الإنسان لانهم ينسبون المعاصي إلى الله تعالى، وينسبون إليه الظلم بمجازاة الإنسان عليها! وكذلك القائلين بالجبر في الخلق والتكوين والتخطيط، لأنهم يريدون تصوير الكون بأنه آله وضع الله مخططها وأطلقها ولا يمكنه البداء والتغيير والتبديل فيها وهم اليهود الذين قالوا (يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ) والمسلمون الذين قلدوهم فقالوا (فرغ من الأمر).

روى الصدوق في معاني الأخبار/١٨:

عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال في قول الله عز وجل: وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ، لم يعنوا أنه هكذا ولكنهم قالوا: قد فرغ من الأمر فلا يزيد ولا ينقص، فقال الله جل جلاله تكديماً لقولهم: غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء. ألم تسمع الله عز وجل يقول: يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ.

وقال الحويزي في تفسير نور الثقلين: ٢/٥١٤:

في عيون الأخبار في باب مجلس الرضا عليه السلام مع سليمان المروزي قال الرضا عليه السلام بعد كلام طويل لسليمان: ومن أين

قلت ذلك وما الدليل على أن إرادته علمه؟ وقد يعلم ما لا يريد أبدأً وذلك قوله تعالى: وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ فَهُوَ يَعْلَمُ كَيْفَ يَذْهَبُ بِهِ وَلَا يَذْهَبُ بِهِ أَبَدًا؟

قال سليمان: لأنه قد فرغ من الأمر فليس يزيد فيه شيئاً.

قال الرضا عليه السلام: هذا قول اليهود، فكيف قال: أدعوني أستجب لكم؟

قال سليمان: إنما عنى بذلك أنه قادر عليه!

قال: أفيعد بما لا يفى به؟! فكيف قال: يزيد في الخلق ما يشاء؟ وقال عز وجل: يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ، وقد فرغ من الأمر؟! فلم يحز جواباً.

وفي هذا المجلس أيضاً قال الرضا عليه السلام:

يا سليمان إن من الأمور أموراً موقوفة عند الله تعالى، يقدم منها ما يشاء ويؤخر ما يشاء.

يا سليمان إن علياً عليه السلام كان يقول: العلم علمان، فعلم علمه الله ملائكته ورسله فإنه يكون ولا يكذب نفسه ولا ملائكته ورسله.

وعلم عنده مخزون لم يطلع عليه أحداً من خلقه، يقدم منه ما يشاء ويؤخر ما يشاء، ويمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء. انتهى.

وبذلك يتضح أن البداء الذي يؤكد أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله على أنه جزء من الإسلام، وأنه ما عبد الله بشئ كما عبد به،

إنما هو نفى الجبرية على الله تعالى، ونفى زعم اليهود أن يده مغلولة بحجة أنه فرغ من الأمر!

ويتضح منه أن الذين يشنعون على الشيعة بعقيدة البداء.. لم يفهموها!

ردة فعل الخوارج على توسيع الدولة للشعاعة

من الواضح للباحث أن بذور تفكير الخوارج ولدت في عهد الخليفة عمر، وكانت تأخذ شكل اعتراضات على عدم تطبيق الخليفة

للقرآن، كما نلاحظ في أسئلة الوفد المصري (الدر المنشور: ٢/١٤٥)

ثم نمت في عهد الخليفة عثمان..

ثم أخذت شكل اتجاه فكري في فهم الدين، وشكل حزب سياسي معارض في عهد الإمام علي عليه السلام ثم استمرت مذهباً وحزباً

مسلحاً في معارضة الأمويين والعباسيين وتكفيرهم وقتالهم..

ومن أبرز صفات الخوارج الفكرية: جمودهم في فهم الدين، وميلهم إلى إصدار الأحكام الكلية بدون شروط ولا-تفاصيل ولا

استثناءات، وتكفيرهم من خالفهم من فرق المسلمين، وفتواهم بهدر دمائهم ووجوب جهادهم.

وهذا المنحى الذهني يقع في الجهة المضادة لمذهب المرجئة الذي تتبناه السلطة، المنحى المتساهل في أداء الواجبات وترك

المحرمات، المفرط في تأميل الناس بالشعاعة والجنة مهما عصوا.. ماعدا المعارضين للدولة طبعاً.

لقد ساعد مذهب الإرجاء الدولة وأتباعها في تخفيف المسؤولية المشددة في القرآن و السنة على الحكام، ولكنه سبب ردات فعل في

الأمم فظهرت فئات تنكر أصل الشعاعة التي تتذرع بها الدولة، وتكذب كل أحاديثها وتؤول كل آياتها.. ولم يكن ذلك منحصرأ

بالخوارج، وإن اشتهروا به.

بل تدل روايات السنيين على أن ردود الفعل على توسيع الشعاعة بدأت من زمن الخليفة عمر، ولكنه لم يستطع أن يؤدب أصحابها

بالسوط، إما لأنه لم يعرفهم بالضبط، أو لسبب آخر، فخطب محذراً منهم بشدة!

قال في مجمع الزوائد: ٧/٢٠٧:

عن ابن عباس قال: خطب عمر بن الخطاب فحمد الله وأثنى عليه فقال: ألا إنه سيكون من بعدكم قوم يكذبون بالرجم وبالرجال

وبالشفاعة!

وروى نحوه في مسند أحمد: ١/٢٣ وفي الدر المنثور: ٣/٦٠. عن سعيد بن منصور والبيهقي عن ابن عباس وفي كنز العمال: ١/٣٨٧ وج ٥/٤٢٩ وص ٤٣١ وفيه (قال أمر عمر بن الخطاب منادياً فنادى أن الصلاة جامعة، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال...).
ويظهر من النص التالي أن بنى أمية أفرطوا في التأكيد على الشفاعة أيضاً، ففي فردوس الأخبار للديلمى: ١/١١٦ ح ٢٥٤: عن معاوية: إشفعوا إلى تؤجروا، فإن الرجل ليسألني الحاجة فأرده كي تشفعوا له فتؤجروا! انتهى.

أما الخوارج فقد ثبت أنهم كانوا يقولون: إن مرتكب المعصية الكبيرة أو الصغيرة كافر، وإذا مات ولم يتب فهو مخلد في النار، وأنه لا شفاعة لاحد أبداً ولا خروج من النار!

وأول من تصدى لرد مقولتهم الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) ثم تبعهم غيرهم.

قال البرقي في المحاسن: ١/١٨٤:

عن علي بن أبي حمزة قال: قال رجل لابي عبد الله عليه السلام: إن لنا جاراً من الخوارج يقول: إن محمداً صلى الله عليه وآله يوم القيامة همه نفسه فكيف يشفع؟! فقال أبو عبد الله عليه السلام: ما أحد من الأولين والآخرين إلا وهو يحتاج إلى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله يوم القيامة.

وقال العياشي في تفسيره: ٢/٣١٤:

عن عبيد بن زرارة قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن المؤمن هل له شفاعة؟ قال: نعم، فقال له رجل من القوم: هل يحتاج المؤمن إلى شفاعة محمد يومئذ؟ قال: نعم إن للمؤمنين خطايا وذنوباً، وما من أحد إلا ويحتاج إلى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله يومئذ.
قال: وسأله رجل عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا سيد ولد آدم ولا فخر؟ قال: نعم، يأخذ حلقه باب الجنة فيفتحها فيخر ساجداً فيقول الله: إرفع رأسك إشفع تشفع أطلب تعط، فيرفع رأسه ثم يخر ساجداً فيقول الله: إرفع رأسك إشفع تشفع واطلب تعط، ثم يرفع رأسه فيشفع فيشفع، ويطلب فيعطى.

وفي تفسير القمي: ٢/٢٠١:

قال: حدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، عن أبي العباس المكبر قال: دخل مولى لامرأة علي بن الحسين عليه السلام على أبي جعفر عليه السلام يقال له أبو أيمن فقال: يا أبا جعفر يغرون الناس ويقولون شفاعة محمد شفاعة محمد؟!!

فغضب أبو جعفر عليه السلام حتى تربد وجهه، ثم قال: ويحك يا أبا أيمن! أغرك أن عف بطنك وفرجك؟! أما لو قد رأيت أفزاع القيامة لقد احتجت إلى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله! ويلك! فهل يشفع إلا لمن وجبت له النار؟!!

ثم قال: ما أحد من الأولين والآخرين إلا وهو محتاج إلى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله يوم القيامة.

ثم قال أبو جعفر عليه السلام: إن لرسول الله صلى الله عليه وآله الشفاعة في أمته، ولنا الشفاعة في شيعتنا، ولشيعتنا الشفاعة في أهلهم.
ثم قال: وإن المؤمن ليشفع في مثل ربيعة ومضمر، فإن المؤمن ليشفع حتى لخدمته ويقول: يارب حق خدمتي كان يقيني الحر والبرد.

ورواه في بحار الأنوار: ٨/٣٨ وفي تفسير نور الثقلين: ٤/١٠٢ و ٣٣٤

وفي الأدب المفرد للبخاري: ٢٢٤:

عن طلق بن حبيب قال: كنت أشد الناس تكديماً بالشفاعة فسألت جابراً فقال: يا طلق سمعت النبي يقول: يخرجون من النار بعد الدخول.

وقال السيوطي في الدر المنثور: ٦/٢٨٦:

وأخرج ابن مردويه عن صهيب الفقير قال: كنا بمكة ومعى طلق بن حبيب، وكنا نرى رأى الخوارج، فبلغنا أن جابر بن عبد الله يقول في الشفاعة فأتيناه فقلنا له: بلغنا عنك في الشفاعة قول الله مخالف لك فيها في كتابه! فنظر في وجوهنا فقال: من أهل العراق أنتم؟!!

قلنا نعم، فتبسم وقال: وأين تجدون في كتاب الله؟ قلت: حيث يقول: ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيت، ويريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها، وكلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها، وأشبه هذا من القرآن. فقال: أنتم أعلم بكتاب الله أم أنا؟ قلنا بل أنت أعلم به منا. قال: فوالله لقد شهدت تنزيل هذا على عهد رسول الله (ص) وشفاعة الشافعين، ولقد سمعت تأويله من رسول الله (ص) وإن الشفاعة لنيبه في كتاب الله، قال في السورة التي تذكر فيها المدثر: مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ؟ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ الْآيَةَ. ألا ترون أنها حلت لمن مات لم يشرك بالله شيئاً! وفي تفسير الطبري: ٤/١٤١:

عن الأشعث الحملي قال قلت للحسن: يا أبا سعيد أرأيت ما تذكر من الشفاعة حق هو؟ قال: نعم حق. وفي فتح القدير للشوكاني: ٥/٥٦٧:

وأخرج بن المنذر عن طريق حرب بن شريح قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين: أرأيت هذه الشفاعة التي يتحدث بها أهل العراق أحق هي؟ قال: إي والله. وفي دلائل النبوة للبيهقي: ١/٢٥:

عن شبيب بن أبي فضالة المالكي: لما بنى مسجد الجامع ذكروا عند عمران بن حصين الشفاعة فقال رجل من القوم: إنكم تحدثونا بأحاديث لم نجد لها أصلاً في كتاب الله، وعمران يقول أنتم أخذتم هذا الشأن منا، وأخذنا نحن عن نبي الله. وفي الجواهر الحسان للتحالي: ١/٣٥٦:

قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ... قالت المعتزلة: إذا كان صاحب كبيرة فهو في النار ولا بد، وقالت الخوارج إذا كان صاحب كبيرة أو صغيره فهو في النار مخلد. وفي تطهير الجنان لابن حجر: ٣٨:

إن قلت: في هذا الحديث (كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا رجل يموت كافراً أو يقتل مؤمناً متعمداً) دليل للمعتزلة والخوارج قبحهم الله تعالى على أن الكبيرة لا تغفر؟

قلت: لا دليل لهم فيها أبداً، لقوله تعالى: وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا، لوجوب حملها على المستحل... بدليل قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ، وهو مخصص أيضاً بقوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا... قد ضل... فرق من فرق الضلالة القائلون بأن مرتكب الكبيرة إذا مات بلا توبة يخلد، وهؤلاء المعتزلة والخوارج، والفرق بينهما إنما هو من حديث إن الميت فاسقاً هل هو كافر أو لا مؤمن ولا كافر؟ فالخوارج على الأول والمعتزلة على الثاني.

وفي مقالات الإسلاميين للأشعري: ١/١٢٤:

وأما الوعيد فقول المعتزلة فيه وقول الخوارج قول واحد، لأنهم يقولون أن أهل الكبائر الذين يموتون على كبائرهم في النار خالدون. وفي مقالات الإسلاميين: ١/٨٦ - ٨٧:

وأجمعوا (الخوارج) على أن كل كبيرة كفر إلا النجذات، فإنها لا تقول ذلك. وأجمعوا أن الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذاباً دائماً إلا النجذات.

والأزارقة (من الخوارج) تقول إن كل كبيرة كفر، وإن الدار دار كفر يعنون دار مخالفيهم، وإن كل مرتكب معصية كبيرة ففي النار خالداً مخلداً، ويكفرون علياً (رض) في التحكيم.

وقال في شرح المواقيف: ٤ جزء ٨/٣٣٤:

إن مرتكب الكبيرة من أهل الصلاة... مؤمن... ذهب الخوارج إلى أنه كافر، والحسن البصري إلى أنه منافق، والمعتزلة إلى أنه مؤمن ولا كافر.

وقال الرازي في تفسيره: ١ جزء ٣/٢٣٨:

إن المعصية عند المعتزلة وعندنا لا توجب الكفر، أما عندنا فلان صاحب الكبيرة مؤمن، وأما عند المعتزلة فلانه وإن خرج عن الإيمان فلم يدخل في الكفر، وأما عند الخوارج فكل معصية كفر.

وقال الرازي في تفسيره: ٦ جزء ١٢/٥:

قالت الخوارج: كل من عصى الله فهو كافر... احتجوا بهذه الآية (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ...) وقالوا إنها نص في أن كل من حكم بغير ما أنزل الله فهو كافر، وكل من أذنب فقد حكم بغير ما أنزل الله، فوجب أن يكون كافرًا.

وقال الرازي في: ١٥ جزء ٣٠/٢٣٩:

إن الخوارج احتجوا بهذه الآية (إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) على أنه لا واسطة بين المطيع والكافر قالوا: لأن الشاكر هو المطيع والكفور هو الكافر، والله تعالى نفى الواسطة وذلك يقتضى أن يكون كل ذنب كفرًا.

وقال النووي في شرح مسلم: ١ جزء ١/٢١٨:

قال القاضي عياض: اختلف الناس فيمن عصى الله من أهل الشهادتين، فقالت المرجئة: لا تضره المعصية، وقالت الخوارج: تضره ويكفر بها، وقالت المعتزلة: يخلد في النار، وقالت الأشعرية: بل هو مؤمن..

وقال المجلسي في بحار الأنوار: ٨/٦٢:

وقال النووي في شرح صحيح مسلم: قال القاضي عياض: مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً، ووجوبها سمعاً بصريح الآيات وبخبر الصادق، وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبى المؤمنين، وأجمع السلف الصالح ومن بعدهم من أهل السنة عليها. ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها، وتعلقوا بمذاهبهم في تخليد المذنبين في النار، واحتجوا بقوله تعالى: فَمَا تَتَفَعَّلُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ وأمثاله وهي في الكفار.

وأما تأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات فباطل، وألفاظ الأحاديث في الكتاب وغيره صريحة في بطلان مذهبهم وإخراج من استوجب النار.

(راجع شرح مسلم للنووي: ٢ جزء ٣/٣٥)

وفي شرح مسلم للنووي: ٢ جزء ٣/٥٠:

رأى الخوارج.. أنهم يرون أن أصحاب الكبائر يخلدون في النار.

وفي إرشاد السارى للقسطلانى: ١/١١٥:

لا- ينسب إلى الكفر باكتساب المعاصى والإتيان بها إلا- بالشرك أى بارتكابه، خلافاً للخوارج القائلين بتكفيره بالكبيرة، والمعتزلة القائلين بأنه لا مؤمن ولا كافر.

وفي فتاوى ابن باز: ٢/٢٧:

وذهب الخوارج إلى أن صاحب المعصية مخلد في النار وهو بالمعاصى كافر أيضاً ووافقهم المعتزلة بتخليده في النار.

وفي فتاوى ابن باز: ٣/٣٦٧:

قول أهل السنة والجماعة خلافاً للخوارج والمعتزلة... المعاصى التي دون الشرك لا تحبط الأعمال الصالحة ولا تبطل ثوابها..

وفي بحار الأنوار: ٨/٣٦٤:

قال العلامة رحمه الله في شرحه على التجريد: أجمع المسلمون كافة على أن عذاب الكافر مؤبد لا ينقطع، واختلفوا في أصحاب الكبائر من المسلمين، فالوعيدية على أنه كذلك، وذهبت الإمامية وطائفة كثيرة من المعتزلة والأشاعرة إلى أن عذابه منقطع. والحق أن عقابهم منقطع لوجهين:

الأول، أنه يستحق الثواب بإيمانه لقوله تعالى: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ.

والإيمان أعظم أفعال الخير فإذا استحق العقاب بالمعصية فإما يقدم الثواب على العقاب وهو باطل بالإجماع، لأن الثواب المستحق بالإيمان دائم على ما تقدم، أو بالعكس وهو المراد، والجمع محال.

الثاني، يلزم أن يكون من عبد الله تعالى مدة عمره بأنواع القربات إليه ثم عصى في آخر عمره معصية واحدة مع بقاء إيمانه مخلداً في النار كمن أشرك بالله مدة عمره، وذلك محال لقبحه عند العقلاء. انتهى.

وفي بحار الأنوار: ٨/٣٧٠:

وقال شارح المقاصد: اختلف أهل الإسلام فيمن ارتكب الكبيرة من المؤمنين ومات قبل التوبة، فالمذهب عندنا عدم القطع بالعمو ولا بالعقاب بل كلاهما في مشيئة الله تعالى، لكن على تقدير التعذيب نقطع بأنه لا يخلد في النار بل يخرج البتة، لا بطريق الوجوب على الله تعالى، بل مقتضى ما سبق من الوعد وثبت بالدليل كتخليد أهل الجنة.

وعند المعتزلة القطع بالعذاب الدائم، من غير عفو ولا إخراج من النار، وما وقع في كلام البعض من أن صاحب الكبيرة عند المعتزلة ليس في الجنة ولا في النار فغلط نشأ من قولهم: إن له المنزلة بين المنزلتين، أى حاله غير الإيمان والكفر.

وأما ما ذهب إليه مقاتل بن سليمان وبعض المرجئة من أن عصاة المؤمنين لا يعذبون أصلاً وإنما النار للكفار تمسكاً بالآيات الدالة على اختصاص العذاب بالكفار مثل: قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى، إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين.

فجوابه: تخصيص ذلك العذاب بما يكون على سبيل الخلود.

وأما تمسكهم بمثل قوله عليه السلام: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق، فضعيف، لأنه إنما ينفي الخلود لا الدخول. لنا وجوه: الأول، وهو العمدة: الآيات والأحاديث الدالة على أن المؤمنين يدخلون الجنة البتة، وليس ذلك قبل دخول النار وفاقاً، فتعين أن يكون بعده وهو مسألة انقطاع العذاب، أو بدونه وهو مسألة العفو التام، قال الله تعالى: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ.

تبادل المواقع بين الخوارج والمرجئة

يحسن هنا أن نسجل أمراً طريفاً نلاحظه في عصرنا، وهو تبادل المواقع بين ورثة الخوارج، وورثة الخلافة الأمويين والمرجئة! فورثة الخوارج (الأباضيون) تنازلوا عن العنف الفكرى وسجلوا ليونتهم العقائدية والفقهيّة تجاه فرق المسلمين..بينما ورثة الخلافة الأموية (التكفير والهجرة والوهابيون) تخلوا عن أفكار الليونة والتسامح، وتبنوا مذهب العنف والشدة، وأفتوا بكفر كل فرق المسلمين، ماعدا فرقتهم! ولعلمهم يتخلون أيضاً عن شمول الشفاعة لكل المسلمين ويحصرونها بفرقتهم.. كما يشم ذلك من فكرهم! وهكذا تتغير المواقع الفكرية والسياسية مع العصور من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار.. وسبحان من لا يتغير.

المعتزلة متفقون متوسطون بين الدولة والخوارج

قال ابن ناصر الدين في توضيح المشتبه: ٨/٢٠٤:

ولد واصل سنة ثمانين بالمدينة وكان يجلس إلى الحسن البصرى، فلما ظهر بين أهل السنة القول من الخوارج بتكفير أهل الكباثر، ومن المرجئة بجعلهم إيمان أهل الكباثر كإيمان جبرئيل وميكائيل، أبدع واصل (بن عطاء مولى بنى ضبة) قوله في المنزلة بين المنزلتين... مات واصل سنة إحدى وثلاثين ومئة.

الصغائر تغفر والكباثر لا تغفر إلا بالتوبة

مقالات الإسلاميين للأشعري: ١/٢٧٠:

واختلفت المعتزلة.. في الصغائر والكبائر.. فقال قائلون منهم: كل ما أتى فيه الوعيد فهو كبير، وكل ما لم يأت فيه الوعيد فهو صغير.. وقال جعفر بن ميثر: كل عمد كبير وكل مرتكب لمعصية متعمداً لها فهو مرتكب لكبيرة... واختلفت المعتزلة في غفران الصغائر... فقال قائلون: إن الله سبحانه يغفر الصغائر إذا اجتنبت الكبائر تفضلاً.. وقال قائلون: لا يغفر الصغائر إلا بالتوبة.

وقال في شرح المواقف: ٨/٣٠٣:

أوجب جميع المعتزلة والخوارج عقاب صاحب الكبيرة إذا مات بلا توبة، ولم يجوزوا أن يعفو الله عنه، لوجهين: الأول أنه تعالى أوعد بالعقاب على الكبائر وأخبر به أي بالعقاب عليها، فلو لم يعاقب على الكبيرة وعفا لزم الخلف في وعيده والكذب في خبره، وإنه محال. الجواب: غايته وقوع العقاب فأين وجوبه الذي كلامنا فيه، إذ لا شبهة في أن عد الوجوب مع الوقوع لا يستلزم خلفاً ولا كذباً. قالت المعتزلة والخوارج: صاحب الكبيرة إذا لم يتب عنها مخلد في النار ولا يخرج منها أبداً. وعمدتهم في إثبات ما ادعوه دليل عقلي هو أن الفاسق يستحق العقاب بنفسه، واستحقاق العقاب بل العقاب مضره خالصه لا يشوبها ما يخالفها دائماً لا تنقطع أبداً. واستحقاق الثواب بل الثواب منفعه خالصه عن الشوائب دائماً. والجمع بينهما أي بين استحقاقهما محال، كما أن الجمع بينهما محال.

وقال في شرح المواقف: ٨/٣٣٤:

مرتكب الكبيرة من أهل الصلاة أي من أهل القبلة مؤمن، وقد تقدم بيانه في مسألة حقيقة الإيمان وغرضنا هاهنا ذكر مذهب المخالفين والجواب عن شبهتهم: ذهب الخوارج إلى أنه كافر، والحسن البصري إلى أنه منافق، والمعتزلة إلى أنه لا مؤمن ولا كافر. حجة الخوارج وجوه: الأول قوله تعالى: وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ، فإن كلمه (من) عامه في كل من لم يحكم بما أنزل، فيدخل فيه الفاسق المصدق. وأيضاً فقد علل كفرهم بعدم الحكم، فكل من لم يحكم بما أنزل الله كان كافراً، والفاسق لم يحكم بما أنزل الله.

قلنا: الموصولات لم توضع للعموم، بل هي للجنس تحتل العموم والخصوص.

وفي ثمرات الأوراق بهامش المستطرف/١٣:

المعتزلة طائفة من المسلمين يرون أن أفعال الخير من الله وأفعال الشر من الإنسان وأن القرآن مخلوق محدث ليس بقديم وان الله تعالى غير مرئي يوم القيامة، وأن المؤمن إذا ارتكب الذنب مثل الزنا وشرب الخمر كان في منزلة بين منزلتين. تأويلات أهل السنة للحنفى: ١/٦٣٠:

وقوله تعالى: وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ، فيه دليل على أن من السيئات ما يكفرها الصدقة... وهو نقض على المعتزلة لأنهم لا يرون تكفير الكبائر بغير التوبة عنها، ولا التعذيب على الصغائر. فأما إن كانت الآية في الكبائر فبطل قولهم (لا يكفر بغير التوبة) أو في الصغائر يبطل قولهم إنها مغفورة، إذ وعدت بالصدقة لأنهم يخلدون صاحب الكبيرة في النار، والله تعالى أطمع له تكفير السيئات بالصدقة.

وصاحب الكبيرة في النار ولا تشمل الشفاعة

شرح المواقف: ٤ جزء ٨/٣١٢:

أجمعت الأمة على ثبوت أصل الشفاعة المقبولة له عليه الصلاة والسلام، ولكن هي عندنا لأهل الكبائر من الأمة في إسقاط العقاب عنهم... وقالت المعتزلة: إنما هي لزيادة الثواب لا لدرأ العقاب، لقوله تعالى: وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ، وهو عام في شفاعه النبي عليه الصلاة والسلام وغيره.

الجواب: أنه لا عموم له في الاعيان، لأن الضمير لقوم معينين هم اليهود، فلا يلزم أن لا تنفع الشفاعة غيرهم.

تأويلات أهل السنة: ١/٥٩٠:

قال المعتزلة: لا تكون الشفاعة إلا لأهل الخيرات خاصة، الذين لا ذنب لهم أو كان لهم ذنب فتابوا عنه.

تفسير الرازي ١١ جزء ٢٢/١٦٠:

احتجت المعتزلة بقوله تعالى: وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى، على أن الشفاعة في الآخرة لا تكون لأهل الكبائر، لأنه لا يقال في أهل الكبائر إن الله يرتضيهم.

تفسير الرازي ١١ جزء ٢٢/١١٨:

المعتزلة قالوا: الفاسق غير مرضى عند الله تعالى، فوجب أن لا يشفع الرسول (ص) في حقه لأن هذه الآية (يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ) دلت على أن المشفوع له لا بد وأن يكون مرضياً عند الله.

تفسير الرازي: ١٢ جزء ٢٣/٦٦:

أما قوله (وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ) احتجت المعتزلة بهذه الآية في نفى الشفاعة.

وقال في: ١٤ جزء ٢٧/٣٣:

احتج الكعبي بهذه الآية على أن تأثير الشفاعة في حصول زيادة الثواب للمؤمنين، لا في إسقاط العقاب عن المذنبين.

وقال في: ٤ جزء ٧/١٠:

قال القفال: إنه لا يأذن في الشفاعة لغير المطيعين... وأقول إن هذا القفال عظيم الرغبة في الاعتزال... ومع ذلك فقد كان قليل الاحاطة بأصولهم. وذلك لأن من مذهب البصريين أن العفو عن صاحب الكبيرة حسن في العقول.. إلا- أن السمع دل... لا- يقع، وإذا كان كذلك كان الاستدلال العقلي على المنع من الشفاعة في حق العصاة خطأ على قولهم.

وفي إرشاد الساري للقسطلاني: ٨/٣٤٠:

قوله تعالى: مَنْ يَعْمَلْ سُوءً يُجْزَ بِهِ، استدل بهذه الآية المعتزلة على أنه تعالى لا يعفو عن شيء من السيئات.

وفي إرشاد الساري: ٩/٤٤٧:

المعصية لا تخرج المسلم عن الإيمان، خلافاً للمعتزلة المكفرين بالذنب، القائلين بتخليد العاصي بالنار.

وفي معجم الادباء للحموي: ٩ جزء ١٧/٨١:

قال عبدالعزيز بن محمد الطبري: كان أبو جعفر (الطبري) يذهب في جل مذاهبه إلى ما عليه الجماعة من السلف... وكان يذهب إلى مخالفة أهل الاعتزال في جميع ماخالفوا فيه الجماعة، من القول بالقدر وخلق القرآن وإبطال رؤية الله في القيامة، وفي قولهم بتخليد أهل الكبائر في النار، وإبطال شفاعة رسول الله (ص)، وفي قولهم إن استطاعة الإنسان قبل فعله.

وفي طبقات الشافعية للسبكي: ٣/٣٤٧:

يصف تحول الأشعري من الاعتزال إلى خط الدولة (أهل السنة والجماعة) قام على بن اسماعيل بن أبي بشر على الاعتزال أربعين سنة حتى صار للمعتزلة إماماً... وهو الذي قال: تكافأت عندي الأدلة ولم يترجح عندي شيء على شيء فاستهديت الله فهداني إلى اعتقاد ما أودعته في كتبي هذه وانخلعت من جميع ما كنت أعتقد.. ودفع الكتب التي ألفها على مذاهب أهل السنة للناس.. وأخذ في نصره الأحاديث في الرؤية والشفاعة. انتهى.

هذا وقد تقدمت نصوص عن رأى المعتزلة في آراء المرجئة والخوارج في هذا الفصل وفي تعريف الشفاعة في الفصل الأول.

المزيد من تأثير الإسرائيليات على أحاديث الشفاعة

اتفق الجميع نظرياً على أن الشفاعة من مختصات نبينا

قد يستشكل على أحاديث اختصاص الشفاعة بنينا صلى الله عليه وآله الواردة في مصادر الفريقين، بأنها تنافي الأحاديث الصحيحة التي ثبتت الشفاعة لغير نبينا صلى الله عليه وآله.

والجواب: أن وجه الجمع بين الأحاديث أن باب الشفاعة إنما يفتح يوم القيامة إكراماً لنبينا صلى الله عليه وآله.. وكل من يشفع من الملائكة والأنبياء والأوصياء والعلماء والشهداء والمؤمنين، فإنما يشفع بإجازته وبالسهم الذي يعطيه إياه شفيع المحشر صلى الله عليه وآله!

فلا منافاة بين أحاديث اختصاصه بالشفاعة صلى الله عليه وآله وبين ما دل على ثبوتها لغيره من الأنبياء (عليهم السلام) إلا ما دل منها على أن لغيره شفاعته مستقلة أو أنه يشفع قبله كما في أحاديث الإسرائيليات الآتية.
من لا يحضره الفقيه: ١/٢٤٠:

قال النبي صلى الله عليه وآله: أعطيت خمساً لم يعطها أحد قبلي: جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً، ونصرت بالرعب، وأحل لى المغنم، وأعطيت جوامع الكلم، وأعطيت الشفاعة. ورواه فى وسائل الشيعة: ٢/٤٣٨ وفى سائل الشيعة: ٣/٤٢٢ وفى مستدرک الوسائل: ٢/٥٢٩
علل الشرائع: ١/١٢٧:

حدثنا أبو الحسين محمد بن على بن الشاه قال: حدثنا أبو بكر محمد بن جعفر بن أحمد البغدادي بآمد قال: حدثنا أبى قال: حدثنا أحمد بن السخت قال: حدثنا محمد بن الأسود الوراق عن أيوب بن سليمان عن حفص بن البخترى عن محمد بن حميد عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله:
أنا أشبه الناس بآدم وإبراهيم أشبه الناس بى خلقه وخلقه.

وسماني الله من فوق عرشه عشرة أسماء وبين الله وصفى وبشرنى على لسان كل رسول بعثه الله إلى قومه.
وسماني ونشر فى التوراة باسمى وبث ذكرى فى أهل التوراة والإنجيل وعلمنى كتابه ورفعنى فى سمائه وشق لى إسماً من أسمائه فسماني محمداً وهو محمود.

وأخرجنى فى خير قرن من أمتى وجعل اسمى فى التوراة أحيدهم فالتوحيد حرم أجساد أمتى على النار.
وسماني فى الانجيل أحمد فأنا محمود فى أهل السماء.

وجعل أمتى الحامدين وجعل اسمى فى الزبور ماحى محى الله عز وجل بى من الأرض عبادة الأوثان.
وجعل اسمى فى القرآن محمداً فأنا محمود فى جميع القيامة فى فصل القضاء لا يشفع أحد غيرى.

وسماني فى القيامة حاشراً يحشر الناس على قدمى.

وسماني الموقف أوقف الناس بين يدي الله عز وجل.

وسماني العاقب أنا عقب النبيين ليس بعدى رسول.

وجعلنى رسول الرحمة ورسول الملاحم والمقتضى فقيت النبيين جماعة وأنا المقيم الكامل الجامع ومن على ربي وقال لى يا محمد صلى الله عليك فقد أرسلت كل رسول إلى أمتة بلسانها وأرسلتلك إلى كل أحمر وأسود من خلقى ونصرتك بالرعب الذى لم أنصر به أحداً وأحللت لك الغنيمه ولم تحل لاحد قبلك وأعطيتك لك ولأمتك الأرض كلها مسجداً وترابها طهوراً وأعطيتك ولأمتك التكبير وقرنت ذكرك بذكرى حتى لا يذكرنى أحد من أمتك إلا ذكرك مع ذكرى فطوبى لك يا محمد ولأمتك.

تفسير القمى: ١/١٩٤:

ثم قال حكاية عن قريش: وقالوا لولا أنزل عليه ملك، يعنى رسول الله صلى الله عليه وآله، ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر ثم لا ينظرون، فأخبر عز وجل أن الآية إذا جاءت والملك إذا نزل ولم يؤمنوا هلكوا، فاستعفى النبي صلى الله عليه وآله من الآيات رافهً ورحمةً على

أمته، وأعطاه الله الشفاعة.

صحيح البخارى: ١/٨٦:

جابر بن عبد الله أن النبي (ص) قال: أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً، فأيا رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة.

ورواه أيضاً فى ص: ١ جزء ١/١١٣ وج ٢ جزء ٢/١٠٥ ونحوه فى مسلم: ٢/٦٣ وفى سنن النسائى: ١/٢٠٩ وفى سيرة ابن هشام: ٢/٢٣٤ وفى مسند أحمد: ٥/١٤٩.

وفى: ٤/٤١٧ منه:

عن أبى موسى قال قال رسول الله (ص): أعطيت خمساً: بعثت إلى الأحمر والأسود، وجعلت لى الأرض طهوراً ومسجداً، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لمن كان قبلي، ونصرت بالرعب شهراً، وأعطيت الشفاعة وليس من نبى إلا وقد سأل شفاعة وإنى أخبات شفاعتى ثم جعلتها لمن مات من أمتى لم يشرك بالله شيئاً. ونحوه فى: ١/٣٠١ وفى الدر المنثور: ٣ ص ٢٠٤ وج ٥/٢٣٧ وسنن الدارمى: ١/٣٢٢ وسنن البيهقى: ٩/٤ وتفسير الطبرى: ٣/٢ وصفه الصفوة لابن الجوزى جزء ١ و ٢/٧٤ وتفسير المنار لرشيد رضا: ٩/٣٠٠

ولكن الهيمى ضعف روايته فى مجمع الزوائد: ٨/٢٥٩ فقال:

ابن يزيد قال قال رسول الله (ص): فضلت على الأنبياء بخمس: بعثت إلى الناس كافة، ودخرت شفاعتى لأمتى، ونصرت بالرعب شهراً أمامى وشهراً خلفى، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلي. رواه الطبرانى وفيه إسحاق بن عبد الله بن أبى فروة وهو متروك.

نبينا أول شافع يوم القيامة

فى مصادرنا نصوص واضحة صريحة فى أن نبينا صلى الله عليه وآله هو خطيب المحشر والشفيع الأول قبل الأنبياء، بل هو شفيع الأنبياء صلوات الله عليهم جميعاً.. وقد تقدم بعضها آنفاً وفى تفسير قوله تعالى (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا) وفى بعضها أن الله تعالى قد أذن لنبينا صلى الله عليه وآله بالشفاعة وهو فى الدنيا فلا يحتاج إلى إذن يوم القيامة.

فى تفسير القمى: ٢/٢٠١:

قال: حدثنى أبى، عن ابن أبى عمير، عن معاوية بن عمار، عن أبى العباس المكبر قال: دخل مولى لامرأة على بن الحسين عليه السلام على أبى جعفر عليه السلام يقال له أبو أيمن فقال: يا أبا جعفر يغرون الناس ويقولون شفاعة محمد شفاعة محمد فغضب أبو جعفر عليه السلام حتى تبرد وجهه ثم قال: ويحك يا أبا أيمن أغرك أن عف بطنك وفرجك! أما لو قد رأيت أفراع القيامة لقد احتجت إلى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله! ويلك فهل يشفع إلا لمن وجبت له النار ثم قال: ما أحد من الأولين والآخرين إلا وهو محتاج إلى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله يوم القيامة.

ثم قال أبو جعفر عليه السلام: إن لرسول الله صلى الله عليه وآله الشفاعة فى أمته ولنا الشفاعة فى شيعتنا ولشيعتنا الشفاعة فى أهاليهم. ثم قال: وإن المؤمن ليشفع فى مثل ربيعه ومضر فإن المؤمن ليشفع حتى لخادمه ويقول: يا رب حق خدمتى كان يقينى الحر والبرد. ورواه فى بحار الأنوار: ٨/٣٨ وفى تفسير نور الثقلين: ٤/٣٣٤، وقد تقدم ذلك فى الرد على الخوارج.

الصحيفة السجادية: ٢/٢٩٠:

اللهم أنزل محمداً فى أشرف منازل الأيرار، اللهم اجعل محمداً أول شافع وأول مشفع، وأول قائل وأنجح سائل... اللهم أحسن عنا جزاءه، وعظم حباؤه، وأكرم مثواه، وتقبل شفاعته فى أمته، وفى من سواهم من الأمم، واجعلنا ممن تشفعه فيه، واجعلنا برحمتك ممن

يرد حوضه يوم القيامة. ونحوه في المقنعة/٤١١

الصحيفة السجادية: ٢/٣٠:

اللهم فارفعه بما كدح فيك إلى الدرجة العليا من جنتك، حتى لا يساوى في منزلة، ولا يكافأ في مرتبة، ولا يوازيه لديك ملك مقرب، ولا- نبي مرسل، وعرفه في أهله الطاهرين وأمه المؤمنين من حسن الشفاعة أجل ما وعدته، يا نافذ العدة، يا وافي القول، يا مبدل السيئات بأضعافها من الحسنات، إنك ذو الفضل العظيم. ونحوه في المقنعة/١٢٥

تهذيب الأحكام: ٣/١٢١:

اللهم إنى أسألك من فضلك بأفضله. اللهم واجعل محمداً صلى الله عليه وآله أدنى المرسلين منك مجلساً، وأفسحهم في الجنة عندك منزلاً، وأقربهم اليك وسيلة، واجعله أول شافع وأول مشفع، وأول قائل وأنجح سائل، وابعثه المقام المحمود الذى يغبطه به الأولون والآخرين يا أرحم الراحمين.

تأويل الآيات: ٢/٣٧:

قال على بن إبراهيم: روى عن أبى عبد الله عليه السلام أنه قال: لا يقبل الله الشفاعة يوم القيامة لأحد من الأنبياء والرسل حتى يأذن فى الشفاعة لرسول الله صلى الله عليه وآله فإن الله قد أذن له فى الشفاعة من قبل يوم القيامة فالشفاعة له ولأمير المؤمنين وللائمة من ولده ثم بعد ذلك للأنبياء (عليهم السلام) أجمعين. (ورواه فى تفسير القمى: ٢/٢٠١ ونحوه فى تفسير نور الثقلين: ٤/٣٣٤).

بحار الأنوار: ١٦/٣٢٦:

الأمالى: أبو عمرو عبد الواحد بن محمد بن مهدى، عن ابن عقدة، عن الحسن بن جعفر بن مدرار، عن عمه طاهر، عن الحسن بن عمار، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن الحارث، عن على عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من تنشق الأرض عنه ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع (أمالى ابن الشيخ ١٧٠).

بحار الأنوار: ١٦/٣٠٤:

عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا. عسى من الله واجبة، والمقام بمعنى البعث فهو مصدر من غير جنسه، أى يبعثك يوم القيامة بعثاً أنت محمود فيه، ويجوز أن يجعل البعث بمعنى الإقامة أى يقيمك ربك مقاماً يحمدك فيه الأولون والآخرين، وهو مقام الشفاعة يشرف فيه على جميع الخلائق يسأل فيعطى ويشفع فيشفع، وقد أجمع المفسرون على أن المقام المحمود هو مقام الشفاعة وهو المقام الذى يشفع فيه للناس، وهو المقام الذى يعطى فيه لواء الحمد فيوضع فى كفه وتجتمع تحته الأنبياء والملائكة، فيكون صلى الله عليه وآله أول شافع وأول مشفع.

بحار الأنوار: ٨/٤٧:

تفسير العياشى: عن عيص بن القاسم عن أبى عبد الله عليه السلام إن أناساً من بنى هاشم أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه أن يستعملهم على صدقات المواشى وقالوا: يكون لنا هذا السهم الذى جعله للعاملين عليها فنحن أولى به فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بنى عبد المطلب إن الصدقة لا تحل لى ولا لكم، ولكنى وعدت الشفاعة - ثم قال: والله أشهد أنه قد وعدنا - فما ظنكم يا بنى عبد المطلب إذا أخذت بحلقه الباب أترونى مؤثراً عليكم غيركم؟ ثم قال: إن الجن والإنس يجلسون يوم القيامة فى صعيد واحد، فإذا طال بهم الموقف طلبوا الشفاعة فيقولون: إلى من؟ فيأتون نوحاً فيسألونه الشفاعة فقال: هيهات قد رفعت حاجتى، فيقولون: إلى من؟ إلى إبراهيم، فيأتون إلى إبراهيم فيسألونه الشفاعة فيقول: هيهات قدر رفعت حاجتى، فيقولون: إلى من؟ فيقال: إيتوا موسى فيأتونه فيسألونه الشفاعة فيقول: هيهات قد رفعت حاجتى، فيقولون: إلى من؟ فيقال: إيتوا محمداً، فيأتونه فيسألونه الشفاعة فيقوم مدلاً حتى يأتى باب الجنة فيأخذ بحلقه الباب ثم يقرعه، فيقال: من هذا؟ فيقول: أحمد فيرحبون ويفتحون الباب، فإذا نظر إلى الجنة خر ساجداً يمجده بالعظمة، فيأتيه ملك فيقول: إرفع رأسك وسل تعطى واشفع تشفع، فيرفع رأسه، فيدخل من باب الجنة فيخر ساجداً ويمجده ويعظمه

فيأتيه ملك فيقول: إرفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع، فيقوم فما يسأل شيئاً إلا أعطاه إياه. انتهى.
وقد تقدمت الأحاديث بهذا المضمون، وهي محل اتفاق في مصادر الطرفين، وفيها دلالة على أن نبينا صلى الله عليه وآله هو أول من يتقدم للشفاعة يوم القيامة.

الإحاديث الموافقة لمذهبنا في مصادر السنين

في مصادر السنين نوعان من الأحاديث في هذا الموضوع: فمنها ما يوافق مصادرنا، وقد روته صحاحهم كالذي رواه ابن ماجه: ٢/٧٢٤:
عن الطفيل بن أبي بن كعب، عن أبيه أن رسول الله (ص) قال: إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم، غير فخر.

والذي رواه مسلم في: ١/١٣٠:

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص): أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً...

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص): أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة...

أنس بن مالك قال النبي (ص): أنا أول شفيع في الجنة، لم يصدق نبى من الأنبياء ما صدقت، وإن من الأنبياء نبياً ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد.

وروى في: ٧/٥٩:

عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص): أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع. انتهى.

وفي سنن الترمذي: ٥/٢٤٨:

عن ابن عباس قال: جلس ناسٌ من أصحاب رسول الله (ص) ينتظرونه قال فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم: عجباً إن الله اتخذ من خلقه خليلاً اتخذ من إبراهيم خليلاً. وقال آخر: ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليماً. وقال آخر: فعيسى كلمه الله وروحه. وقال آخر: آدم اصطفاه الله. فخرج عليهم فسلم وقال: قد سمعت كلامكم وعجبكم، إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى نجى الله وهو كذلك، وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر. هذا حديث غريب. انتهى. وروى نحوه ابن ماجه: ٢/١٤٤٠ وأحمد في: ٣/٢

وفي سنن الدارمي: ١/٢٤:

عن أنس قال قال رسول الله (ص): أنا أولهم خروجاً، وأنا قائدهم إذا وفدوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وأنا مشفعهم إذا حبسوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا. الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي.

وفي فردوس الأخبار: ١/٨٠ ح ١٢٤:

أنس بن مالك: أنا أول شفيع يوم القيامة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، إن من الأنبياء لمن يأتي يوم القيامة ما معه مصدق غير واحد. انتهى.

وفي شعب الإيمان للبيهقي: ٢/١٣٢ وص ١٧٩:

أبو هريرة قال قال رسول الله (ص): أنا سيد ولد آدم، وأول شافع وأول مشفع.

وفي شعب الإيمان/ ١٨١:

عن أنس قال: سمعت النبي (ص) يقول: إنى أول الناس تنشق الأرض عن جمعتمى يوم القيامة، وأنا أول من يدخل الجنة... ونحوه فى

تهذيب الكمال: ١٥/٤٢٥ وج ٢٢/٥٥١ وسير أعلام النبلاء: ٨/٢٩٣ وكنز العمال: ١١/٤٠٤ فما بعدها بروايات متعددة، وفي: ١٤/٣٩٣ فما بعدها. وفيه في: ١١/٤٣٥: أنا سيد المرسلين إذا بعثوا وسابقهم إذا وردوا، ومبشرهم إذا أسوا، وإمامهم إذا سجدوا، وأقربهم مجلساً إذا اجتمعوا، أتكلم فيصدقني، وأشفع فيشفعني، وأسأل فيعطيني.
وفي الدر المنثور: ٤/٩٣:

وأخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك (رض) قال وأول ما يأذن الله عز وجل له يوم القيامة في الكلام والشفاعة محمد (ص) فيقال له قل تسمع وسل تعطه قال: فيخر ساجداً فيثنى على الله ثناء لم يثن عليه أحد فيقال إرفع رأسك...
وفي سيرة ابن كثير: ١/١٩٥:

فروى الحافظ أبو القاسم بن عساكر من طريق أبي الحسن بن أبي الحديد... عن ابن عباس قال: سألت رسول الله (ص) فقلت: فداك أبي وأمي أين كنت وآدم في الجنة؟ قال: فتبسم حتى بدت نواجذه، ثم قال: كنت في صلبه وركب بي السفينة في صلب أبي نوح، وقذف بي في صلب أبي إبراهيم، لم يلتق أبواي على سفاح قط، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الحسيبة إلى الأرحام الطاهرة، صفيماً مهذباً، لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما، وقد أخذ الله بالنبوة ميثاقى وبالإسلام عهدي، ونشر في التوراة والانجيل ذكرى، وبين كل نبي صفتي تشرق الأرض بنوري والغمام بوجهي، وعلمني كتابه وزادني شرفاً في سمائه، وشق لي اسماً من أسمائه فذو العرش محمود وأنا محمد وأحمد، ووعدني أن يحبوني بالحوض والكوتر، وأن يجعلني أول شافع وأول مشفع، ثم أخرجني من خير قرن لامتي، وهم الحمادون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.
فتاوى ابن باز: ١/١٨٧:

قال رسول الله: أنا أول من ينشق عنه القبر يوم القيامة، وأنا أول شافع وأول مشفع. انتهى.

الإحاديث المتأثرة بالاسرائيليات في مصادر السنين

والنوع الثاني من أحاديث السنين: أحاديث تجعل الشفاعة أولاً لابراهيم، ثم لموسى، ثم لعيسى (عليهم السلام) وتجعل نبينا الشفيع الرابع عليهما السلام!!

روى الحاكم في المستدرک: ٤/٤٩٦ حديثاً طويلاً عن الدجال وأجوج ومأجوج وأشرار الساعة والقيامة والشفاعة، وصححه على شرط الشيخين، وفيه أمورٌ وتفصيلاتٌ غير معقولة، جاء فيه:

عن أبي الزعراء قال كنا عند عبد الله بن مسعود (رض) فذكر عنده الدجال فقال عبد الله بن مسعود: تفترقون أيها الناس لخروجه على ثلاث فرق، فرقة تتبعه وفرقة تلتحق بأرض آبائها بمنابت الشيخ، وفرقة تأخذ شط الفرات يقاتلهم ويقاتلونه حتى يجتمع المؤمنون بقرى الشام، فيبعثون اليهم طليعة فيهم فارس على فرس أشقر وأبلق قال فيقتتلون فلا يرجع منهم بشر...
قال: ثم تقوم الساعة على شرار الناس ثم يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض فينفخ فيه. والصور قزْن، فلا يبقى خلق في السموات والأرض إلا مات إلا من شاء ربك...

قال: ثم يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض فينفخ فيه فينطلق كل نفس إلى جسدها حتى يدخل فيه ثم يقومون فيحيون حياة رجل واحد قياماً لرب العالمين. قال: ثم يتمثل الله تعالى إلى الخلق فيلقاهم فليس أحد يعبد من دون الله شيئاً إلا وهو مرفوع له يتبعه، قال فيلقى اليهود فيقول من تعبدون؟ قال فيقولون نعبد عزيراً قال هل يسركم الماء؟ فيقولون نعم، إذ يريهم جهنم كهيئة السراب! قال ثم قرأ عبد الله: وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً، قال ثم يلقي النصارى فيقول من تعبدون؟ فيقولون المسيح، قال فيقول هل يسركم الماء؟ قال فيقولون نعم، قال فيريهم جهنم كهيئة السراب! ثم كذلك لمن كان يعبد من دون الله شيئاً. قال: ثم قرأ عبد الله: وقفوههم إنهم مسؤولون.

قال: ثم يتمثل الله تعالى للخلق حتى يمر على المسلمين قال فيقول من تعبدون؟ فيقولون نعبد الله ولا نشرك به شيئاً، فينتهرهم مرتين أو ثلاثاً فيقول من تعبدون؟ فيقولون نعبد الله ولا نشرك به شيئاً. قال فيقول هل تعرفون ربكم؟ قال فيقولون سبحانه إذا اعترف لنا عرفناه! قال فعند ذلك يكشف عن ساق فلا يبقى مؤمن إلا خر لله ساجداً، ويبقى المنافقون ظهورهم طبقاً واحداً كأنما فيها السفايد! قال فيقولون: ربنا فيقول قد كنتم تدعون إلى السجود وأنتم سالمون.

قال ثم يأمر بالصراف فيضرب على جهنم فيمر الناس كقدر أعمالهم زمراً كدمج البرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير ثم كأسرع البهائم، ثم كذلك حتى يمر الرجل سعيماً ثم مشياً، ثم يكون آخرهم رجلاً يتلبط على بطنه! قال فيقول أى رب لماذا أبطأت بي؟ فيقول لم أبطأ بك، إنما أبطأ بك عملك.

قال ثم يأذن الله تعالى في الشفاعة فيكون أول شافع روح القدس جبريل عليه الصلاة والسلام، ثم إبراهيم خليل الله، ثم موسى، ثم عيسى عليهما الصلاة والسلام قال: ثم يقوم نبيكم رابعاً، لا يشفع أحد بعده فيما يشفع فيه، وهو المقام المحمود الذى ذكره الله تبارك وتعالى: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا.

قال فليس من نفس إلا وهى تنظر إلى بيت فى الجنة أو بيت فى النار...

قال: ثم يشفع الملائكة والنبون والشهداء والصالحون والمؤمنون فيشفعهم الله.

قال ثم يقول الله: أنا أرحم الراحمين فيخرج من النار أكثر مما أخرج من جميع الخلق برحمته، قال ثم يقول: أنا أرحم الراحمين، قال ثم قرأ عبد الله: مَا سَيْلَكُمْ فِي سَيِّقَرَمَ؟ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَيِّلِينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَحْوُصُ مَعَ الْخَائِضِينَ، وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ، قال فعقد عبد الله بيده أربعاً ثم قال: هل ترون فى هؤلاء من خير؟ ما ينزل فيها أحد فيه. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. انتهى.

ورواه البيهقي فى البعث والنشور/٣٢٤ والديلمى فى فردوس الأخبار: ١/٥٤ وص ٨٠ والنيسابورى فى الوسيط ج ٤/٣٨٧ وابن منظور فى مختصر تاريخ دمشق: ١ جزء ٢/١٧٠ وغيرهم.

أما الهيثمى فقد روى فى مجمع الزوائد: ٩/٣١ حديث أنه صلى الله عليه وآله أول شافع، ووصفه لأنه موضوع، وقال عن بعض طرقه فى: ٨/٢٥٤ (وفيه صالح بن عطاء بن خباب ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات)

ولكنه فى نفس الوقت ردّ الحديث الذى صححه الحاكم على شرط الشيخين فى ج ١٠/٣٣٠ وقال (رواه الطبرانى وهو موقوف، مخالف للحديث الصحيح وقول النبى: أنا أول شافع)! فيبدو أنه اطلع على طريق آخر صحيح للحديث، غير الطريقتين اللذين ضعفهما. ولكننا لم نطلع عليه.

البخارى يفضّل أنبياء بنى إسرائيل على نبينا

أما البخارى فقد روى فى تاريخه الذى ألفه قبل صحيحه أن نبينا صلى الله عليه وآله هو الشفيع الأول، وتوقف فى روايته أنه الشفيع الرابع، لوجود ما يعارضها.

قال فى تاريخه: ٤/٢٨٦:

عن جابر بن عبد الله: قال النبى (ص): أنا قائد المسلمين، ولا فخر، وأنا خاتم النبیین ولا فخر، وأنا أول شافع وشفيع ولا فخر.

وقال فى تاريخه: ٥/٢٢١:

عبد الله بن هانى أبو الزعراء الكوفى سمع ابن مسعود (رض) سمع منه سلمة بن كهيل يقال عن أبى نعيم إنه الكندى روى عن ابن مسعود (رض) فى الشفاعة: ثم يقوم نبيكم رابعهم والمعروف عن النبى (ص): أنا أول شافع. ولا يتابع فى حديثه. انتهى.

ولكنه فى صحيحه لم يرو هذه الرواية ولا غيرها مما ينص على أن نبينا صلى الله عليه وآله أول شافع!

نعم، روى أن الشفاعة من مختصات نبينا صلى الله عليه وآله دون الأنبياء (عليهم السلام):

قال في: ١/١١٣:

جابر بن عبد الله قال قال رسول الله (ص): أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة. انتهى.

وروى في: ٥/٢٢٦:

رواية الشفاعة المعروفة في المصادر وأن الأنبياء (عليهم السلام) يهابون التقدم للشفاعة للخلق، ويطلبون من نبينا صلى الله عليه وآله أن يشفع إلى الله تعالى فيتقدم ويشفع.. وهي تدل على أنه صلى الله عليه وآله الشفيح الأول، قال فيها: إذهبوا إلى محمد فيأتون محمداً فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، إشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى مانحن فيه! فأنتلق فأتى تحت العرش فأقع ساجداً لربي عز وجل ثم يفتح الله عليّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال يا محمد إرفع رأسك، سل تعطه واشفع تشفع. انتهى.

والى هنا يبدو أنه لا مشكلة..

ولكن البخارى روى في صحيحه ما يعارض ذلك، ويجعل درجة نبي الله موسى عليه السلام في درجة نبينا صلى الله عليه وآله أو أفضل منه! فقد روى أن النبي صلى الله عليه وآله نهى المسلمين أن يفضلوه على موسى، وقال إنه عندما يبعث من قبره يجد موسى جالساً عند العرش قبله!!

قال البخارى في صحيحه: ٧/١٩٣:

عن أبي هريرة قال: استب رجلان، رجل من المسلمين ورجل من اليهود، فقال المسلم: والذي اصطفى محمداً على العالمين، فقال اليهودى والذي اصطفى موسى على العالمين، قال فغضب المسلم عند ذلك فلطم وجه اليهودى، فذهب اليهودى إلى رسول الله (ص) فأخبره بما كان من أمره وأمر المسلم، فقال رسول الله (ص): لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان موسى فيمن صعق فأفاق قبلي؟ أو كان ممن استثنى الله؟! انتهى.

ورواه في صحيحه في سبعة مواضع أخرى على الأقل! في: ٣/٨٩، و٤/١٢٦، و٥/١٩٦، و٦/٣٤، و٨/٤٨، و١٧٧، و١٩٢، وهي روايات متفاوتة في دلالتها على تفضيل موسى، ولكن مجموعها كاف في الدلالة عليه، مهما حاول الشراح تأويلها!

فقد نصت الرواية المذكورة كما رأيت على نهى النبي صلى الله عليه وآله عن تفضيله على موسى، ووردت هذه العبارة (لا تخيروني على موسى) في رواية البخارى الأخرى: ٧/١٩٣ وفي: ٨/١٩٢ وكذا في مسلم: ٧/١٠١، وسنن أبي داود: ٢/٤٠٧، وأحمد: ٢/٢٦٤. وورد في رواية: ٥/١٩٦ (قال لا تخيروني من بين الأنبياء)

كما نصت على أن موسى عليه السلام مستثنى دون نبينا صلى الله عليه وآله من الصعقة التي يقول الله تعالى عنها: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ. الزمر: ٦٨، وهذا امتياز له على جميع الأنبياء! وروى مثلها في: ٨/١٩٢.

وجاء في: ٨/١٧٧:

(فإذا أنا بموسى آخذ بقائمه من قوائم العرش) وزاد في: ٥/١٩٦ و٨/٤٨ (فلا أدري أفاق قبلي، أم جزي بصعقة الطور)

وفي: ٥/١٩٦:

(قال إنى أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة، فإذا أنا بموسى متعلق بالعرش) وفي رواية أخرى في غير البخارى أن النبي صلى الله عليه وآله أول ما ينفض رأسه من التراب يرى موسى جالساً عند العرش!!

قد يقال: إن رواية البخارى لا تدل على أن موسى أفضل من نبينا صلى الله عليه وآله لأنها تنص على أن استثناءه من الصعقة إنما هو بسبب صعقته في الطور ولا علاقة له بالأفضلية.

والجواب: أن الرواية واردة أساساً في مقام بيان أفضلية موسى، أو بالأقل عدم أفضلية نبينا عليه، فهذا هو موضوع الخلاف بين المسلم واليهودى، وهو موضوع الحديث، وموضوع النهى المزعوم من النبى صلى الله عليه وآله عن تفضيله على موسى!! وقد يقال: لو سلمنا أن الرواية تدل على مساواة موسى لنبينا صلى الله عليه وآله أو أفضليته عليه، فهي لا تدل على أن موسى هو الشفيح الأول.

والجواب: أن مقام الشفاعة الأول إنما أعطى لنبينا صلى الله عليه وآله بسبب أنه أفضل الأنبياء صلوات الله عليهم جميعاً، فإذا ثبت أن موسى أفضل منه، فلا يبعد أن يكون هو رئيس المحشر وشفيعه.. الخ.

وقد حاولت بعض الروايات أن تحل المسألة مع الإسرائيليات حلاً سلمياً، فتجعل الأفضلية لموسى، وتحفظ بدرجته الشفيح الأول لنبينا صلى الله عليه وآله كالتى رواها الطبرى في تفسيره: ٢٤/٢٠ قال: عن قتادة قال: ذكر لنا أن نبى الله قال: أتانى ملكٌ فقال يا محمد إخترب نبياً ملكاً أو نبياً عبداً، فأوماً اللى أن تواضع، قال نبياً عبداً، قال فأعطيت خصلتين: أن جعلت أول من تشق عنه الأرض، وأول شافع، فأرفع رأسى فأجد موسى آخذاً بالعرش، فالله أعلم أصعب بعد الصعقة الأولى، أم لا. انتهى.

ولكنها على أى حال محاولاتٌ في مصلحة تصديق الإسرائيليات التى لا تنق بها!

ومن جهة أخرى.. فإن تأويل الروايات الواردة في موسى على نبينا وآله وعليه السلام حتى لو أمكن فهو لا يحل المشكلة، لأنه توجد في صحاح إخواننا ومصادرهم روايات مشابهة عن كبار أنبياء بنى إسرائيل، فهي تفضلهم على نبينا صلى الله عليه وآله أو تجعلهم في درجته، فلا بد من معالجتها جميعاً!

ويحاول العلماء السنيون حل المشكلة بالتأويلات والإحتمالات البعيدة، حتى لا يقعوا في محذور رد الأحاديث الصحيحة أو تكذيب روايتها.. والدخول في هذا البحث يخرجنا عن موضوعنا، وإن كان من بحوث السيرة المهمة، لكن نكتفى بذكر نماذج من هذه الأحاديث:

فمنها حديث الحاكم المتقدم الصحيح على شرط الشيخين، الذى يعطى الشفاعة في الموحدين ليعقوب عليه السلام قبل نبينا صلى الله عليه وآله بحجة أن يعقوب هو الذبيح!!

ومنها حديث البخارى المتقدم في: ٤/١٣٣ حيث جاء فيه (فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث، فإذا موسى آخذاً بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور، أم بعث قبلى. ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس بن متى!) ومثله في مسلم: ٧/١٠٠

وفي البخارى: ٤/١٢٥:

عن ابن عباس عن النبى (ص) قال: لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى، ونسبه إلى أبيه.

وفي: ٤/١٣٢:

عن ابن عباس أيضاً، عن النبى (ص) قال: لا يقولن أحدكم إنى خير من يونس، زاد مسدد يونس بن متى. ونحوه في: ٤/١٣٢ و: ٤/١٣٣

و: ٥/١٨٥ وص ١٩٣ بروايتين، وفي: ٨/٢١٣

وقد صرحت رواية مسلم: ٧/١٠٢ بأنه حديث قدسى!! وأنه يشمل كل الناس حتى نبينا صلى الله عليه وآله قال:

عن النبى (ص) أنه قال يعنى الله تبارك وتعالى: لا ينبغي لعبد لى - وقال ابن المثنى لعبدى - أن يقول أنا خير من يونس بن متى عليه السلام! وروى نحوه في: ١٠٣/

أما ابن ماجه فقد شدد على الموضوع فروى في: ٢/١٤٢٨ عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال (ومن قال: أنا خير من يونس بن متى فقد

كذب!. في الزوائد: إسناده صحيح رجاله ثقات.

وروى نحو ما في البخارى أبو داود فى سننه: ٢/٤٠٦ والترمذى ج ١/١١٨ وج ٥/٥١

وعلل أفضلية يونس فى كنز العمال: ١٢/٤٧٦:

فروى عن عدة مصادر، عن على، عن النبى (ص) قال: لا ينبغى لأحد - وفى لفظ لعبد - أن يقول أنا خيرٌ من يونس بن متى، سبح الله فى الظلمات!

أما رواياتهم عن نبى الله داود عليه السلام فقد تكون أكثر صراحةً بتفضيله على نبينا صلى الله عليه وآله!!

فى مجمع الزوائد: ٨/٢٠٦:

عن أبى الدرداء قال: وكان رسول الله (ص) إذا ذكر داود (ص) قال: كان أعبد البشر. رواه البزار فى حديث طويل وإسناده حسن.

وفى كنز العمال: ١٢/٤٧٦:

عن ابن عساكر، عن أنس أن رجلاً قال للنبى (ص): يا خير الناس، قال: ذاك إبراهيم! قال: يا أعبد الناس، قال: ذاك داود!!

وفى: ٣/٦٧١ (إن أخى داود كان أعبد البشر)

وفى صحيح البخارى: ٦/٣١ ونحوه فى: ٤/١٣٥:

قال سألت مجاهدًا عن سجدة (سورة) (ص) فقال سألت ابن عباس: من أين سجدت (يعنى لماذا) فقال: أو ما قرأ: ومن ذريته داود

وسليمان أولئك الذين هدى الله فهداهم اقتده، فكان داود ممن أمر نبيكم (ص) أن يقتدى به، فسجدها رسول الله (ص)!!

ونفس المشكلة تجدها فى رواياتهم عن يحيى عليه السلام، فقد روى الهنذى فى كنز العمال: ١١/٥٢١ عن مسند أحمد وطبقات ابن

سعد وغيرهما، عن ابن عباس: ما من أحد من ولد آدم إلا وقد أخطأ أو هم بخطيئته، إلا يحيى بن زكريا، فإنه لم يهم بها ولم يعملها)

وفى كنز العمال: ١١/٥٢٢ عن ابن عساكر: لا- ينبغى لأحد أن يقول أنا خير من يحيى بن زكريا، ما هم بخطيئته ولا جالت فى صدره

امرأة.

والنتيجة: أنه لا بد للباحث من القول بأن روايات بنى اسرائيل وجدت طريقها إلى مصادر إخواننا السنين فى عقيدة الشفاعة، وبقيت

ضعيفة فى بعض الحالات، ولكنها فى حالات أخرى صارت إلى صف الروايات الإسلامية وبستواها من الصحة.. وأحياناً صارت أقوى

منها وحلت محلها!!

احسن تصور فى مصادر السنين عن شفاعه نبينا

حاول القاضى عياض فى كتابه (الشفاء) أن يقدم أفضل صورة عن شفاعه النبى صلى الله عليه وآله ولذلك لم يتقيد بروايات الصحاح،

وجمع روايات لم يصححوها وجردها من كثير من الإسرائيليات التى تفضل أنبياء بنى اسرائيل على نبينا، كما جرّد بعض رواياتها من

تجسيم الإسرائيليات، وبقي فى بعضها، ولم يجردها من التهم التى تضمنتها لادم وإبراهيم وموسى وعيسى (عليهم السلام) عندما يطلب

الناس منهم الشفاعة يوم القيامة فيتكلمون عن خطاياهم وجرائمهم التى لم تغفر! فجاءت صورة عياض قريبة إلى أحاديث أهل البيت

(عليهم السلام)، وكانت أحسن تصور قدمها عالم سنّى عن شفاعه النبى صلى الله عليه وآله.

وفيما يلى مقتطفات من كلامه من ٢١٦ وما بعدها:

وعن أبى هريرة سئل عنها رسول الله (ص) يعنى قوله: عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا، فقال: هى الشفاعة.

وروى كعب بن مالك عنه (ص): يحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتى على تل، ويكسونى ربي حلة خضراء، ثم يؤذن لى فأقول

ما شاء الله أن أقول، فذلك المقام المحمود.

وعن ابن عمر رضى الله عنهما وذكر حديث الشفاعة قال: فيمشى حتى يأخذ بحلقه الجنة، فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذى وعده.

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله (ص): إني لقائم المقام المحمود، قيل وما هو؟ قال: ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى على كرسيةه...!

وقال جابر بن عبد الله ليزيد الفقير: سمعت بمقام محمد يعنى الذى يبعثه الله فيه: قال قلت نعم، قال: فإنه مقام محمد المحمود، الذى يخرج الله به من يخرج يعنى من النار، وذكر حديث الشفاعة فى إخراج الجهنميين.

وفى رواية أنس وأبى هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم فى حديث بعض قال (ص): يجمع الله الأولين والآخريين يوم القيامة فيلهمون فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا. ومن طريق آخر عنه ماج الناس بعضهم فى بعض، وعن أبى هريرة: وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقولون ألا تنظرون من يشفع لكم فيأتون آدم فيقولون....

وفى رواية: فأتى تحت العرش فأخر ساجداً، وفى رواية فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليها، إلا أنه يلهمنيها الله، وفى رواية: فيفتح الله عليّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلى...

وفى رواية قتادة عنه قال فلا أدرى فى الثالثة أو الرابعة فأقول يا رب ما بقى فى النار إلا من حبسه القرآن أى من وجب عليه الخلود... ومن طريق زياد النميرى عن أنس أن رسول الله (ص) قال: أنا أول من تغلق الأرض عن جمجمته ولا فخر، وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر، ومعنى لواء الحمد يوم القيامة، وأنا أول من تفتح له الجنة ولا فخر، فأتى فأخذ بحلقه الجنة، فيقال من هذا؟ فأقول محمد، فيفتح لى فيستقبلنى الجبار تعالى! فأخر ساجداً...

وفى رواية أنس سمعت رسول الله (ص) يقول: لاشفعن يوم القيامة لأكثر مما فى الأرض من حجر وشجر.

فقد اجتمع من اختلاف ألفاظ هذه الآثار أن شفاعة (ص) ومقامه المحمود من أول الشفاعات إلى آخرها، من حين يجتمع الناس للحشر وتضييق بهم الحاجر، ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه، وذلك قبل الحساب، فيشفع حينئذ لراحة الناس من الموقف، ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء فى الحديث عن أبى هريرة وحذيفه، وهذا الحديث أتقن، فيشفع فى تعجيل من لا حساب عليه من أمتة إلى الجنة...

ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسبما تقتضيه الأحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا- إله إلا- الله. وليس هذا لسواه (ص)...

وفى/ ٢٠٧:

أورد القاضى عياض أحاديث فى أن نبينا صلى الله عليه وآله هو الشفيع الأول قبل غيره من الأنبياء منها:

أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وأنا قائدهم إذا وفدوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وأنا شفيعهم إذا حبسوا، وأنا مبشرهم إذا أبلسوا، لواء الكرم بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر، ويطوف عليّ ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون.

وعن أبى هريرة: وأكسى حلة من حلال الجنة، ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى.

وعن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله (ص): أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، ويدي لواء الحمد ولا فخر، وما نبى يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائى، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما: أنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح لى فأدخلها فيدخل معى فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخريين ولا فخر.

وعن أنس (رض) قال قال النبى (ص): أنا سيد الناس يوم القيامة، وتدرون لم ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخريين.. وذكر حديث الشفاعة.

وفى حديث آخر: أما ترضون أن يكون إبراهيم وعيسى فيكم يوم القيامة، ثم قال إنهما فى أمتى يوم القيامة، أما إبراهيم فيقول أنت دعوتى وذريتى فاجعلنى من أمتك، وأما عيسى فالأنبياء إخوة بنو علات أمهاتهم شتى، وإن عيسى أخى ليس بينى وبينه نبى، وأنا

أولى الناس به...

قوله أنا سيد الناس يوم القيامة: هو سيدهم في الدنيا ويوم القيامة ولكن أشار (ص) لإنفراده فيه بالسؤدد والشفاعة دون غيره، إذ لجأ الناس إليه في ذلك فلم يجدوا سواه. والسيد هو الذى يلجأ الناس إليه فى حوائجهم، فكان حينئذ سيداً منفرداً من بين البشر لم يزاحمه أحد فى ذلك ولا ادعاه. انتهى.

والنتيجة أن روايات الشفيح الأول فى مصادر السنين متعارضة بشكل لا يمكن الجمع بينها فلا بد من ترجيح طائفة منها وإسقاط الأخرى، ولا شك فى أن الأرجحية للطائفة الموافقة لأحاديث أهل البيت (عليهم السلام) وللعقل، المخالفة لليهود.

مسألة: الذبيح و أول من يكسى كسوة الجنة يوم القيامة

يوجد مسألان على الأقل ترتبطان بمسألة الشفيح الأول، تغلب فيهما الإسرائيليات فى مصادر السنين يناسب أن نتعرض لهما باختصار، خاصة أن شفاعته إسحاق وإبراهيم (عليهما السلام) وردت فى رواياتهما:

الأولى منهما فى تعيين الذبيح المذكور فى القرآن، وهل هو إسحاق أو إسماعيل؟

والثانية فى أول من يكسى كسوة الجنة يوم القيامة، هل هو إبراهيم أم نبينا صلى الله عليهما وآلهما!

المسألة الأولى

رأى الشيعة أن الذبيح هو اسماعيل عليه السلام كما سيأتى.

وقالت اليهود إن الذبيح هو إسحاق وليس اسماعيل.

قال السيد جعفر مرتضى فى (الصحيح) من السيرة: ٢/٤٧:

السؤال الذى يلح فى طلب الإجابة عليه هو: من أين جاء هذا الأمر الغريب: أن الذبيح هو إسحاق؟

والجواب: هو ما قاله ابن كثير وغيره (إنما أخذوه والله أعلم من كعب الأخبار أو من صحف أهل الكتاب، وليس فى ذلك حديث صحيح عن المعصوم حتى نترك من أجله ظاهر الكتاب. [١].

فاليهود إذن قد أرادوا ترويح عقيدتهم بين المسلمين، وتخصيص هذه الفضيلة بجدهم إسحاق حسب زعمهم. ولكن اليهود أنفسهم قد فاتهم أن التوراة المتدواله نفسها متناقضة فى هذا الأمر، فإنها فى حين تقول (خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحاق. وإذهب إلى أرض المريا وأصعده هناك محرقة على.. الخ. [٢] فقد عبرت هنا بكلمة وحيدك الدالة على أن إسحاق هو أكبر ولد إبراهيم، ولكنها تعود فتكذب نفسها وتنص على أن إسحاق لم يكن وحيداً وإنما ولد وعمر إسماعيل أربعة عشر سنة. انتهى.

أما السنون فقد تحيروا تحيراً شديداً فى من هو الذبيح، وروت مصادرهم روايات (صحيحة) متناقضة! فقد روى الحاكم مثلاً عدة روايات فى أن الذبيح المذكور فى القرآن هو اسماعيل، وصحح بعضها على شرط الشيخين!

قال الحاكم فى: ٢/٤٣٠:

عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله عز وجل: وَإِنَّ مِنْ شَيْعَتِهِ لِابْرَاهِيمَ، قال من شيعة نوح إبراهيم على منهاجه وسنته. بلغ معه السعى: شب حتى بلغ سعيه إبراهيم فى العمل. فلما أسلما: ما أمرا به.

وتله للجبين: وضع وجهه إلى الأرض فقال لا- تدبحنى وأنت تنظر عسى أن ترحنى فلا- تجهز على، إربط يدي إلى رقبتي ثم ضع وجهي على الأرض، فلما أدخل يده ليدبجه فلم يحرك المديئة حتى نودى: أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا فأمسك يده ورفع.

قوله فديناه بذبح عظيم: بكبش عظيم متقبل. وزعم ابن عباس أن الذبيح اسمعيل، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. انتهى.

وقال فى: ٢/٥٥٤:

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: الذبيح اسمعيل. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. انتهى.

وروى فى الصفحة التى بعدها:

عن عطاء بن أبى رباح عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال: المفدى اسمعيل، وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود. انتهى.

ثم روى الحاكم عدة روايات فى أن الذبيح هو إسحاق، وأنه هو الذى يشفع للموحدين! ولم يذكر فيها شيئاً عن شفاعته نبينا صلى الله عليه وآله وصحبه أيضاً على شرط الشيخين! قال فى: ٢/٥٥٧ عن إحدى رواياته: قال الحاكم: سياقه هذا الحديث من كلام كعب بن ماع الأخبار، ولو ظهر فيه سندٌ لحكمتُ بالصحة على شرط الشيخين، فإن هذا إسنادٌ صحيحٌ لا غبار عليه! وقال فى: ٥٥٩:

حدثنا إسماعيل بن الفضل بن محمد الشعرانى، ثنا جدى، ثنا سنيد بن داود، ثنا حجاج بن محمد، عن شعبة، عن أبى إسحاق، عن أبى الاحوص، عن عبد الله قال عبد الله قال: الذبيح إسحاق. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وحدثنا محمد بن عمرو الأويسى، عن أبى الزبير، عن جابر (رض) قال: لما رأى إبراهيم فى المنام أن يذبح إسحاق أخذ بيده. فذكره بطوله... قال الحاكم: وقد ذكره الواقدي بأسانيد. وهذا القول عن أبى هريرة، وعبد الله بن سلام، وعمير بن قتادة الليثى، وعثمان بن عفان، وأبى بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، والله أعلم. وقد كنت أرى مشائخ الحديث قبلنا وفى سائر المدن التى طلبنا الحديث فيها، وهم لا- يختلفون أن الذبيح إسماعيل، وقاعدتهم فيه قول النبى (ص): أنا ابن الذبيحين، إذ لا خلاف أنه من ولد إسماعيل، وأن الذبيح الآخر أبوه الأدنى عبد الله بن عبد المطلب. والان فإنى أجد مصنفى هذه الأدلة يختارون قول من قال إنه إسحاق. انتهى.

فقد بين الحاكم أنه يوجد عند السنين اتجاهان فى تعيين الذبيح: قول بأنه اسماعيل، وهو الاتجاه الشعبى عند الناس وعند مشايخ الحديث الاكثر تقديساً للنبى صلى الله عليه وآله واختلاطاً بالناس، ولم يكن عندهم شكٌ ولا خلافٌ بأن الذبيح اسماعيل. وقول بأنه إسحاق، وهو اتجاه (مصنفى هذه الأدلة) أى مجموعات الأحاديث التى أمرت دولة الخلافة بتصنيفها، وكانت تكتبها على دفاتر وتبعث بها إلى الآفاق، ومن راجع قصص دفاتر الزهرى والعلماء الذين صنفوا الحديث برعاية الدولة، يعرف أن مقصود الحاكم هؤلاء المصنفين! ثم أشار الحاكم إلى أن هذه الأحاديث أوجب عليه أن يتوقف فيما هو مشهور عند مشائخ الحديث، وأن يميل إلى اتجاه المصنفين، وأن الذبيح إسحاق وليس إسماعيل!

ثم أورد رواية عن وهب ابن منبه (اليهودى المقبول فى مصادرهم) تؤكد أن الذبيح إسحاق وأنه هو شفيع الموحدين!! قال الحاكم: عن وهب بن منبه قال: حديث إسحاق حين أمر الله إبراهيم أن يذبحه: وهب الله لإبراهيم إسحاق فى الليلة التى فارقت الملائكة، فلما كان ابن سبع أوحى الله إلى إبراهيم أن يذبحه ويجعله قرباناً، وكان القربان يومئذ يتقبل ويرفع، فكنتم إبراهيم ذلك إسحاق وجميع الناس وأسره إلى خليل له، فقال العازر الصديق وهو أول من آمن بإبراهيم وقوله، فقال له الصديق: إن الله لا يتلى بمثل هذا مثلك ولكنه يريد أن يجربك ويختبرك، فلا- تسوأن بالله ظنك فإن الله يجعلك للناس إماماً ولا حول ولا قوة لإبراهيم وإسحاق إلا بالله الرحمن الرحيم. فذكر وهب حديثاً طويلاً إلى أن قال وهب: وبلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لقد سبق إسحاق الناس إلى دعوة ما سبقها إليه أحد! ويقومون يوم القيامة فليشفعن لأهل هذه الدعوة، وأقبل الله على إبراهيم فى ذلك المقام فقال:

إسمع منى يا إبراهيم أصدق الصادقين. وقال لاسحاق: إسمع منى يا أصبر الصابرين، فإنى قد ابتليتكما اليوم بلاء عظيم لم أبتل به أحداً من خلقى، ابتليتك يا إبراهيم بالحريق فصبر صبراً لم يصبر مثله أحد من العالمين، وابتليتك بالجهاد فى أنت وحيدٌ وضعيفٌ فصدقت وصبرت صبراً وصدقاً لم يصدق مثله أحد من العالمين، وابتليتك يا إسحاق بالذبح فلم تبخل بنفسك ولم تعظم ذلك فى طاعة أبىك، ورأيت ذلك هنيئاً صغيراً فى الله كما يرجو من أحسن ثوابه ويسر به حسن لقائه، وإنى أعاهدكما اليوم عهداً لا أحسن

به: أما أنت يا إبراهيم فقد وجبت لك الجنة عليّ فأنت خليلي من بين أهل الأرض دون رجال العالمين، وهي فضيلة لم ينلها أحد قبلك ولا أحد بعدك، فخرّ إبراهيم ساجداً تعظيماً لما سمع من قول الله متشكراً لله.

وأما أنت يا إسحاق فتمنّ عليّ بما شئت، وسلني واحتكم، أوتك سؤلك.

قال: أسألك يا إلهي أن تصطفيني لنفسك، وأن تشفعني في عبادك الموحدين، فلا يلقاك عبداً لا يشرك بك شيئاً إلا أجرته من النار.

قال له ربه: أوجبت لك ما سألت وضمنت لك ولأبيك ما وعدتكما على نفسي، وعداً لا أخلفه، وعهداً لا أحسن به، وعطاء هنيئاً ليس بمردود. انتهى.

والنتيجة أن الحاكم يشهد بأن الروايات القائلة بأن الذبيح اسماعيل صحيحة ومشهورة عند مشايخ الحديث وعامة الناس.

ويشهد أيضاً بأن الروايات القائلة بأن الذبيح إسحاق صحيحة أيضاً عند أهل المصنفات، وهو يرجحها مع أنها مخالفة للمشهور!

لكن يبقى السؤال: من أين جاء هذان الاتجاهان في المسألة!

أما البخاري فقد تهرب في صحيحه من تعيين الذبيح ولكنه اختار في تاريخه أنه إسحاق وليس إسماعيل رغم وجود عدة روايات صحيحة على شرطه تقول إنه اسماعيل ومن البعيد جداً أنه لم يرها!

قال السيوطي في الدر المنثور: ٥/٢٨٢:

وأخرج عبد بن حميد والبخاري في تاريخه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن العباس بن عبد المطلب قال: الذبيح إسحاق. انتهى.

بل يمكن القول إن البخاري اختار في صحيحه أيضاً أن الذبيح إسحاق لأن الرواية اليتيمة التي رواها عن الموضوع اقتطعها وانتقاها من رواية مجاهد المتقدمة في مستدرك الحاكم، وقد حذف منها أن الذبيح اسماعيل!!

قال البخاري في صحيحه: ٨/٧٠:

باب رؤيا إبراهيم وقوله تعالى: فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبُحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى... قال مجاهد: أسلما: سلما ما أمرا به، وتله: وضع وجهه بالأرض. انتهى.

ولابد أن البخاري لم يرتض رأى مجاهد في أصل هذه الرواية وغيرها بأن الذبيح اسماعيل، ولذلك حذفه من تفسيره للآيات الذي نقله عنه! ولكنه لم يشير إلى ما فعل مع الأسف!

ووما يدل على أن رأى مجاهد القاطع بأن الذبيح اسماعيل: ما رواه السيوطي في الدر المنثور: ٥/٢٨٠ قال:

وأخرج سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق مجاهد ويوسف بن ماهك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الذبيح اسمعيل عليه السلام.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير من طريق يوسف بن مهران وأبي الطفيل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الذبيح اسمعيل عليه السلام.

وأخرج عبد بن حميد عن سعيد بن المسيب وسعيد بن جبيرة قالوا: الذي أراد إبراهيم عليه السلام ذبحه اسمعيل عليه السلام.

وأخرج ابن جرير عن الشعبي ومجاهد والحسن ويوسف بن مهران ومحمد بن كعب القرظي مثله. انتهى.

وأما مسلم، فلم نجد فيه رواية تعين الذبيح! ولو كان يرى أنه إسماعيل لذكره، لوجود روايات عديدة صحيحة على شرطه في ذلك، ومن البعيد أنه لم يرها! فلا بد أنه كالبخاري والحاكم رجح أن الذبيح إسحاق.

أما لماذا فعل أصحاب المصنفات والصحاح ذلك؟

ولماذا أسقطوا الأحاديث الصحيحة بأن الذبيح اسماعيل!

فالجواب: أنهم فعلوه لحاجة في نفس يعقوب!!

والحاجة التي في نفس يعقوب هنا: أن قريشاً تبنت القول بأن الذبيح هو إسحاق حتى لا- تضطر إلى الاعتراف بحديث (أنا ابن الذبيحين) لأن هذا الحديث يعطى لعبد المطلب مقاماً شبيهاً بمقام إبراهيم عليه السلام وأنه كان ولياً ملهماً كالأنبياء وأن الله تعالى امتحنه فأمره بذبح أحد أبنائه.. وإذا اعترفت بذلك، فإن حق الحكم بعد النبي يجب أن يكون في ذرية عبد المطلب دون غيرهم من بيوتات قريش وقبائلها!!

فالأفضل للقرشيين في تصورهم أن يقولوا إن عبد المطلب وأبا طالب وكل أسرة النبي الماضين، كانوا كفاراً وأنهم في النار، وأن ورثة سلطان النبي صلى الله عليه وآله هم جيل قريش الذين عاصروه من جميع قبائل قريش الثلاث والعشرين!

ولهذا نجد أن شخص (الخليفة) يتدخل في هذا الموضوع ويصير راوياً، ويقول إن النبي لم يقل إنه ابن الذبيحين، ولكن بدوياً فقيراً تقرب إليه بهذه العبارة، فتبسم لها النبي صلى الله عليه وآله! وقد كان تبسمه اشتهاهاً ورأياً رآه من عنده ولم ينزل عليه به وحى!!

روى الحاكم في المستدرک: ٢/٥٥٤ عن: عبد الله بن سعيد الصنابحي قال: حضرنا مجلس معاوية بن أبي سفيان فتذاكر القوم اسمعيل وإسحاق بن إبراهيم فقال بعضهم: بل إسحاق الذبيح فقال معاوية: سقطتم على الخير كنا عند رسول الله فأتاه الاعرابي فقال: يا رسول الله خلفت البلاد يابساً والماء يابساً هللك المال وضاع العيال فعد على بما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله ولم ينكر عليه!!

فقلنا يا أمير المؤمنين وما الذبيحان قال إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر الله إن سهل الله أمرها أن ينحر بعض ولده فأخرجهم فأسهم بينهم فخرج السهم لعبد الله فأراد ذبحه فمنعه أخواله من بني مخزوم وقالوا: أرض ربك وافد ابنك. قال ففداه بمائة ناقة فهو الذبيح واسمعيل الثاني. انتهى.

وفي ظني أن الراوي تصرف في القسم الأخير من كلام معاوية، لأنه في القسم الأول نفى مسألة الذبيح من أصلها! ولا بد أن تكون بقیة حديث معاوية في نفی الذبيحين بلسان معاوية أو عن لسان النبي صلى الله عليه وآله!

لقد التقت مصلحة القرشيين في هذه المسألة مع مصلحة اليهود! وكعب الأبحار وجماعته حاضرون لاغتنام هذه الفرصة، ليشبوا أن الذبيح اسحاق، وليس إسماعيل، ويتقصوا على الشفاعة للموحدين فيأخذوها من النبي صلى الله عليه وآله، ويجعلوها لاسحاق!!

ويتضح عمل كعب في الموضوع من الرواية التالية التي رواها عبد الرزاق في تفسيره: ٢/١٢٣ عن الزهري عن القاسم بن محمد في قوله: إني أرى في المنام أني أذبحك، قال: اجتمع أبو هريرة وكعب فجعل أبو هريرة يحدث كعباً عن النبي (ص) وجعل كعب يحدث أبا هريرة عن الكتب! فقال: أبو هريرة قال النبي (ص): إن لكل نبي دعوة مستجابة وإني خبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة فقال له كعب: أنت سمعت هذا من رسول الله! قال نعم.

قال كعب: فداه أبي وأمي أفلا أخبرك عن إبراهيم إنه لما رأى ذبح ابنه إسحاق قال الشيطان: إن لم أفتن هؤلاء عند هذه لم أفتنهما أبداً فخرج إبراهيم بابنه ليذبحه فذهب الشيطان فدخل على سارة فقال: أين ذهب إبراهيم بابنك قالت: غدا به لبعض حاجته فقال: إنه لم يغد به لحاجة إنما ذهب ليذبحه. قالت: ولم يذبحه! قال: يزعم أن ربه أمره بذلك! قالت: فقد أحسن أن يطيع ربه في ذلك فخرج الشيطان في أثرهما فقال للغلام أين يذهب بك أبوك قال لحاجته قال إنما يذهب بك ليذبحك! قال لم يذبحني قال يزعم أن ربه أمره بذلك! قال والله لئن كان أمره بذلك ليفعلن. قال فتركه ولحق بإبراهيم فقال: أين غدوت بابنك فقال لحاجة قال: فإنك لم تغد به لحاجة إنما غدوت لتذبحه! قال ولم أذبحه قال تزعم أن ربك أمرك بذلك! قال: فوالله لئن كان أمرني بذلك لافعلن. قال: فتركه ويئس أن يطاع. انتهى.

وروى الطبري في تاريخه: ١/١٨٧:

رواية معاوية وعدة روايات عن كعب الأبحار في أن الذبيح إسحاق، ومنها رواية عبد الرزاق بألفاظ مشابهة وزاد فيها: فلما أخذ

إبراهيم إسحاق ليذبحه وسلم إسحاق أعفاه الله وفداه بذبح عظيم قال إبراهيم لإسحاق قم أي بني فإن الله قد أعفأك فأوحى الله إلى إسحاق إنى أعطيك دعوة أستجيب لك فيها قال إسحاق: اللهم فإنى أدعوك أن تستجيب لى أيما عبد لقيك من الأولين والآخرين لا يشرك بك شيئاً فأدخله الجنة. انتهى.

وبذلك يقول لنا كعب: إن الذبيح هو إسحاق جد اليهود وليس جد العرب، ثم إنكم تزعمون أن محمداً يشفع فى الموحدين، وقد سبقه إلى ذلك إسحاق فلم يبق معنى لشفاعته نبيكم!

وقال السيوطى فى الدر المنثور: ٥/٢٨٢:

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والحاكم وصححه والبيهقى فى شعب الإيمان عن كعب (رض) أنه قال لابى هريرة: ألا أخبرك عن إسحاق قال بلى قال: لما رأى إبراهيم أن يذبح إسحاق... وذكر شفاعته إسحاق للموحدين بنحو رواية الطبرى المتقدمة!

وقال ابن خلدون فى تاريخه: ٢/٣٨:

واختلف فى ذلك الذبيح من ولديه، فقيل اسمعيل وقيل إسحاق وذهب إلى كلا القولين جماعة من الصحابة والتابعين فالقول باسمعيل لابن عباس وابن عمر والشعبى ومجاهد والحسن ومحمد بن كعب القرظى وقد يحتجون له بقوله صلى الله عليه وسلم: أنا ابن الذبيحين ولا تقوى الحجّة به لأن عم الرجل قد يجعل أباه بضرب من التجوز لا سيما فى مثل هذا الفخر!! ويحتجون أيضاً بقوله تعالى: فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ولو كان ذبيحاً فى زمن الصبا لم تصح البشارة بابن يكون له لأن الذبيح فى الصبا ينافى وجود الولد ولا تقوم من ذلك حجّة لأن البشارة إنما وقعت على وفق العلم بأنه لا يذبح وإنما كان ابتلاء لإبراهيم.

والقول بإسحاق للعباس وعمر وعلى وابن مسعود وكعب الأحبار وزيد بن أسلم ومسروق وعكرمة وسعيد بن جبيرة وعطاء والزهرى ومكحول والسدى وقتادة. انتهى.

وينبغى الإلتفات هنا إلى أن أصل القول بأن الذبيح إسحاق من شخصين حسب رواية ابن خلدون وغيره:

الأول: الخليفة عمر مؤسس الخلافة القرشية وصاحب مشروع عزل بنى هاشم عن الخلافة.

والثانى: كعب الأحبار حامل راية الثقافة الإسرائيلية.

وقد ذكر الرواة المؤيدون للخلافة القرشية اسم على والعباس، ورووا عنهما أن الذبيح إسحاق لأنهما من أولاد عبد المطلب، ومن المناسب الإحتجاج بشهادتهما لسلب هذه المنقبة العظيمة عن عبد المطلب، التى تجعله بنص الرسول صلى الله عليه وآله إبراهيم الثانى! ويظهر أن قريشاً وكعباً لم يستطيعوا إقناع جمهور المسلمين بمقولتهم المخالفة لظاهر القرآن، ولا إسكات بنى هاشم ومنهم ابن عباس بأن الذبيح هو إسحاق، وإن رووا ذلك عنهم، فقد بقى عوام المسلمين مع ظاهر القرآن وفطرتهم، وبقيت روايات أهل البيت الصريحة، وروايات ابن عباس التى تقدمت فى مستدرك الحاكم: ٢/٥٥٥: قال: المفدى إسمعيل وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود. انتهى. بقى كل ذلك يتحدى رواة الخلافة القرشية واسرائيلياتها!

[١] البداية والنهاية: ١/١٦١ و ١٥٩ وراجع السيرة الحلبية: ١/٣٨ عن ابن تيمية.

[٢] سفر التكوين: الإصحاح ٢٢ الفقرة ١ - ٣٣ ولترجع سائر فقرات الإصحاح أيضاً.

رأى أهل البيت

تؤكد مصادر أهل البيت (عليهم السلام) أن الذبيح هو اسماعيل عليه السلام وقد قوى العلماء رواياته وضعفوا رواية أن الذبيح إسحاق حتى صار ذلك من مختصات مذهبنا.. ففى تفسير القمى: ٢/٢٢٦: قال: وحدثنى أبى عن صفوان بن يحيى وحماة عن عبد الله بن

المغيرة عن ابن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال سألتناه عن صاحب الذبح فقال: اسماعيل. وروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: أنا ابن الذبيحين يعني اسماعيل وعبد الله بن عبد المطلب.

وفي تفسير التبيان: ٨/٥١٧:

واختلفوا في الذبيح فقال ابن عباس وعبد الله بن عمر ومحمد بن كعب القرظي وسعيد بن المسيب والحسن في إحدى الروايتين عنه والشعبي: إنه كان إسماعيل وهو الظاهر في روايات أصحابنا ويقويه قوله بعد هذه القصة وتامها: وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين فدل على أن الذبيح كان اسماعيل. ومن قال: إنه بشر بنو إسرائيل دون مولده فقد ترك الظاهر لأن الظاهر يقتضي البشارة بإسحاق دون نبوته.

ويدل أيضاً عليه قوله: فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ولم يذكر اسماعيل. فدل على أنه كان مولوداً قبله. وأيضاً فإنه بشره بإسحاق وأنه سيولد له يعقوب فكيف يأمره بذبحه مع ذلك؟ وأجابوا عن ذلك بأن الله لم يقل إن يعقوب يكون من ولد إسحاق.

وقالوا أيضاً يجوز أن يكون أمره بذبحه بعد ولادة يعقوب. والأول هو الأقوى على ما بيناه. وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: أنا ابن الذبيحين ولا خلاف أنه كان من ولد اسماعيل والذبيح الآخر عبد الله أبوه. انتهى.

وفي تفسير نور الثقلين: ٤/٤٢١:

في أمالي شيخ الطائفة قدس سره بإسناده إلى سليمان بن يزيد قال: حدثنا علي بن موسى قال: حدثني أبي عن أبيه عن أبي جعفر عن أبيه عن آبائه (عليهم السلام) قال: الذبيح اسماعيل عليه السلام.

وفي مهج الدعوات في دعاء مروى عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله: يا من فدى اسماعيل من الذبح. وفي مستدرک الوسائل: ١٦/٩٨:

وفي العيون: عن أحمد بن الحسن القطان عن أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي عن علي بن حسن بن فضال عن أبيه قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن معنى قول النبي صلى الله عليه وآله: أنا ابن الذبيحين قال: يعني إسماعيل بن إبراهيم الخليل (عليهما السلام) وعبد الله بن عبد المطلب... إلى أن قال: وأما الآخر فإن عبد المطلب كان تعلقاً بحلقة باب الكعبة ودعا الله عز وجل أن يرزقه عشرة بنين ونذر لله عز وجل أن يذبح واحداً منهم متى أجاب الله دعوته فلما بلغوا عشرة قال: قد وفى الله تعالى لى فلانين لله عز وجل فأدخل ولده الكعبة وأسهم بينهم فخرج سهم عبد الله.. الخبر.

ابن شهر آشوب في المناقب: تصور لعبد المطلب أن ذبح الولد أفضل قربه لما علم من حال اسماعيل فنذر أنه متى رزق عشرة أولاد ذكوراً أن ينحر أحدهم في الكعبة شكراً لربه فلما وجدهم عشرة قال لهم: يا بني ما تقولون في نذري فقالوا: الأمر إليك ونحن بين يديك.. الخبر. انتهى.

بحث في إيمان عبد المطلب ورواية أنا ابن الذبيحين

نظراً لأهمية هذه المسألة وارتباطها بشفاعته النبي وشخصية أبيه وجده صلى الله عليه وآله.. نستعرضها بشكل موجز، ونبين ظلامه عبد المطلب في مصادر السنيين:

فقد روت مصادرهم بأسانيد صحيحة عن لسان أصدق الصادقين الناطق بإلهام رب العالمين صلى الله عليه وآله، نقاطاً ملفته في مدح عبد المطلب، توجب الاعتقاد بأن شخصيته شخصية ربانية، وتوجب رفض الروايات التي تعارضها وتتهمه بالشرك وعبادة الأصنام! فمن هذه الأحاديث:

أنه عندما انهزم المسلمون في حنين وتركوا نبيهم صلى الله عليه وآله بين سهام الكفار ورماحهم وسيوفهم في أشد ظروف الخطر، ولم

يبقى معه إلا- الملائكة وعلى وبعض بنى هاشم.. ترجل صلى الله عليه وآله للحرب وافتخر على الكفار بأمرين: نبوته، وأنه ابن عبد المطلب وباهاهم بذلك بين يدي الله تعالى وقتلهم!

والنبي العادي لا يفتخر بجده وآبائه إذا كانوا كفاراً، فكيف بسيد الأنبياء والمرسلين وأتقى الموحدين صلى الله عليه وآله!
قال البخارى فى صحيحه: ٥/٩٨:

عن أبى إسحاق قال سمعت البراء وجاءه رجل فقال: يا أبا عماره أتوليت يوم حنين! فقال أما أنا فأشهد على النبى (ص) أنه لم يول ولكن عجل سرعان القوم فرشقتهم هوازن وأبو سفيان بن الحرث (بن عبد المطلب) آخذ برأس بغلته البيضاء (وهو) يقول:
أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب
وقال البخارى فى: ٣/٢٢٠:

قال: لا والله ما ولى النبى (ص)، ولكن ولى سرعان الناس، فلقبهم هوازن بالنبل، والنبى (ص) على بغلته البيضاء، وأبو سفيان بن الحرث آخذ بلجامها، والنبى (ص) يقول:
أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب
وقال فى: ٤/٢٨:

فلما غشيه المشركون نزل فجعل يقول:

أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب

قال: فما روى من الناس يومئذ أشد منه! ورواه مسلم فى: ٥/١٦٨ و ١٦٩
وقال البخارى فى صحيحه: ٤/١٦١:

باب من انتسب إلى آبائه فى الإسلام والجاهلية. وقال ابن عمرو وأبو هريرة عن النبى (ص): إن الكريم ابن الكريم بن الكريم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله. وقال البراء عن النبى (ص): أنا ابن عبد المطلب.
ومن هذه الأحاديث:

ما دل أن الله تعالى جعل فى شريعته الخالدة مالية خاصة لأبناء عبد المطلب إلى يوم القيامة، فحرم عليهم الصدقات لأنها أوساخ الناس، وجعل لهم بدلها الخمس. وإن شخصاً يكون فى ذريته أبرار وأخيار بهذا المستوى إلى يوم القيامة، يستبعد أن يكون مشركاً عابداً للأصنام!

قال النسائى فى سننه: ٧/١٣٤:

عن مجاهد قال الخمس الذى لله وللرسول كان للنبى (ص) وقربته لا يأكلون من الصدقة شيئاً... قال الله جل ثناؤه: واعلموا أنما غنمتم من شئ فإن لله خمسته وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل.
وقال أبو داود فى سننه: ٢/٢٦:

حدثنا حسين بن على العجلي، ثنا وكيع، عن الحسن بن صالح، عن السدى، فى ذى القربى قال: هم بنو عبد المطلب.
وقال النسائى: ٥/١٠٥:

باب استعمال آل النبى (ص) على الصدقة... أخبرنا عمرو بن سواد بن الأسود بن عمرو عن ابن وهب قال حدثنا يونس عن ابن شهاب عن عبد الله بن الحرث بن نوفل الهاشمى أن عبد المطلب بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب أخبره أن أباه ربيعة بن الحرث قال لعبد المطلب بن ربيعة بن الحرث والفضل بن العباس بن عبد المطلب اثنتا عشرة مرة رسول الله (ص) فقالوا له استعملنا يا رسول الله على الصدقات، فأتى على بن أبى طالب ونحن على تلك الحال فقال لهما: إن رسول الله (ص) لا يستعمل منكم أحداً على الصدقة، قال عبد المطلب: فانطلقت أنا والفضل حتى أتينا رسول الله (ص)، فقال لنا: إن هذه الصدقة إنما هى أوساخ الناس، وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد!

وفي صحيح مسلم: ٣/١١٨:

عن النبي صلى الله عليه وآله قال: إن الصدقة لا تنبغى لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس... وقال أيضاً: ثم قال رسول الله (ص): أدعوا لى محميه بن جزء، وهو رجل من بنى أسد كان رسول الله (ص) استعمله على الأخماس. انتهى.

ونحوه فى سنن أبى داود: ٢/٢٨ ومسنده أحمد: ٤/١٦٦ والبيهقى فى سننه: ٧/٣١ - وشبهه فى: ٦/٣٣٨

وروى إحدى رواياته الحاكم فى المستدرک: ٣/٤٨٤ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وروى نحوه فى كنز العمال: ٦/٤٥٨ بعدة روايات.

ومعنى قوله ادعوا لى محميه: ادعوا لى المسؤول عن الأخماس التى هى شرعاً لبنى عبد المطلب، حتى أعطى هؤلاء منها. وهو يدل على أن النبى صلى الله عليه وآله نفذ فى حياته الحكم الشرعى فى الخمس، وجعل له مسؤولاً هو محميه بن جزء، ولكن ذلك انتهى بوفاة، ولم يبق له أثرٌ عند خلفاء قريش!

وقد يشكل على هذا التشريع الإسلامى: بأنه قد أسس الطبقيه فى المجتمع الإسلامى، وجعل أسرة النبى صلى الله عليه وآله من بنى هاشم وعبد المطلب، أسرة مميزة اجتماعياً ومالياً، بل ومترفعه على غيرها، فهى لا تأكل من أموال بيت المال التى تتجمع من الزكوات والضرائب لأنها أوساخ الناس، بل لها ماليتها الخاصه فى موارد الدولة.

وقد اختلف الفقهاء فى موارد مالیه بنى عبد المطلب هذه، فحصرها فقهاء الخلافة القرشيه بغنائم الحرب وجعلوا خمسها لذوى قري النبى من بنى هاشم.. وعممها فقهاء الشيعة لكل ما ينعلم فى الحرب والكسب، مما زاد على مصارف المسلم السنويه.. فقد يقال إن هذه الاموال تشكل ميزانية دولة فكيف يجعلها الله تعالى لاسرة النبى صلى الله عليه وآله؟! والجواب: أولاً، أن الخمس ليس لأغنياء بنى هاشم، بل هو مختص بفقرائهم المؤمنين.

وثانياً، إن الاهتمام بالفقراء من أسر الأنبياء والنابعين أمر حضارى، فلو أن مجلس العموم البريطانى مثلاً أقرَّ قانوناً بإعطاء أبناء آينشتاين من أموال الدولة ما يكفى لمعيشة فقراءهم، بسبب أنهم من ذرية عالم نابغ، ويؤمل أن ينبغ منهم آخرون.. لرأى فيه المعترضون على الخمس الإسلامى عملاً عصرياً صحيحاً، واهتماماً جيداً من دولة متحضرة!

فما هو الإشكال فى أن تهتم الشريعة الخاتمة بذرية سيد الأنبياء وأسرته صلى الله عليه وآله وتجعل لهم ميزانية من أزكى الموارد، لمن كان منهم مؤمناً محتاجاً.

وثالثاً، إن الذى يشكل على تشريع الخمس لآل النبى صلى الله عليه وآله عليه أن يرجع إلى القرآن ليرى ما هو أعظم من الخمس، فإن نبينا صلى الله عليه وآله هو الوحيد من بين الأنبياء الذى أوجب الله تعالى على أمته إعطاءه أجراً على تبليغ الرسالة، وجعل هذا الأجر: مودة آله فقال (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) ولذا أفتى كل فقهاء المذاهب بنفاق الناصبى الذى يكره آل النبى صلى الله عليه وآله، وأفتى بعضهم بكفره!

إن المتأمل فى آيات القرآن وتاريخ الأديان، لا- مفر له من القول بأن الله تعالى من الأصل قد اختار الأنبياء وأسره لتبليغ الدين الإلهى، وإقامة الحكم به فى المجتمعات البشرية. فالاسرة المختارة أساس فى نظام الدين الإلهى، ولكنها أسرة مصطفىاه من الله العليم بشخصيات عباده، الحكيم فى اختيار أنبيائه وأوليائه.. لا- كالاسر التى يختارها الناس بأهوائهم، أو بعلمهم المحدود، أو الأسر التى تتسلط بالقوة وتفرض نفسها على الناس!

قال الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ. ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. آل عمران ٣٣

_ ٣٤

وقال عن جمهرة أسر الأنبياء:

وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا

مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكَوْنًا. فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ. وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبَطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِكَافِرِينَ. الأنعام: ٨٣ - ٨٩

وقال عن دعاء زكريا بالذرية الطيبة:

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ. آل عمران: ٣٨

وقال عن ذرية نبينا صلى الله عليه وآله وكثرتهم:

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَنْ تَتَّبِعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ. وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٍ. الرعد: ٣٧ - ٣٨

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ. الكوثر: ١-٣

وقال عن دعاء الملائكة للذريات المؤمنة:

الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ. رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. غافر: ٧ - ٩

وقال عن نظام الذرية والاسر في الآخرة أيضاً:

وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ. جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ. سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ. الرعد: ٢٢-٢٤

مُتَّكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ. الطور: ٢٠ - ٢١ انتهى.

فنظام الأسرة والذرية نظام طبيعي في بنى آدم، وقد أقره الله تعالى واستفاد منه في الدين الإلهي.

وإذا كانت البشرية قد عانت الويلات والمآسى وأنواع الظلم والاضطهاد من نظام الاسر الفاسدة المتجبرة.. فإن ذلك يرجع إلى فساد تلك الاسر ولا يصح أن يكون سبباً لرفض بنى الأسرة وفكرتها.. فهذه البنية تختزن إيجابيات كبرى لحمل الرسالة واستمرارها كما أن فيها خطر سلبيات كبرى أيضاً وأن تتحول إلى ملك عضوض.. وقد تحدث القرآن عن الأجيال التي فسدت من أسر الأنبياء وأتباعهم فقال تعالى:

أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا. فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا. إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا. مريم: ٥٨ - ٦٠

لكن عندما يختار الله تعالى أسرة كأسرة نبينا صلى الله عليه وآله ويصطفئها فليس معناه أنه يختار كل أفرادها على علاقتهم بل معناه أنه يختارها بصورة عامة بسبب علمه بأنه سيوجد منها أفراد معصومون يختارهم لهداية الأمة وقيادتها.

ولو فكرت فيما نقلته الصحاح من قول النبي صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين (ولقد أخبرني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض) لما وجدت له معنى إلا- أن الله تعالى أخبر نبيه بأنه سيكون من عترته شخص معصوم يواصل خط نبوته في كل عصر إلى يوم القيامة! فالاختيار لبني عبد المطلب كلتي عام لانهم معدن النبي صلى الله عليه وآله ومعدن الأئمة من عترته (عليهم

(السلام) ولأنهم الأفضل بالمقاييسه مع غيرهم من الأسر، فهي أقلهم سلبيات وأكثرهم إيجابيات.. وهو اختيار ترافقه تشريعات حازمه شرعها الله تعالى بشأنهم تتلخص بما يلي:

أن الموده والاحترام لجميع بنى هاشم، بشرط الإسلام والإيمان.

أن الخمس لفقرائهم المؤمنين بمقدار كفايتهم وتمشيئه أمور معيشتهم.

أن وجوب الإطاعة فقط لاولى الأمر المعصومين منهم (عليهم السلام) الذين هم الأئمة الإثنا عشر لاغير.. وقد تقدم فى الفصل الثامن تفسير آيه المصطفين الذين أورثهم الله الكتاب بعد نبينا صلى الله عليه وآله، وأنهم محصورون فى ذريه فاطمه الزهراء عليها السلام، وأن الصالحين منهم ثلاثة أنواع: سابق بالخيرات وهم الأئمة (عليهم السلام) ومقتصد وظالم لنفسه.

ومن الأمور الطريفه أن الذين ينتقدون الشيعة لتمسكهم بموده أهل البيت وولايتهم (عليهم السلام) ويقولون إن مذهب التشيع مذهب أسرى، ينسون أنهم أسريون أكثر منا! فنحن نعتقد أن الخلافة فى هذه الأئمة إلى يوم القيامة مخصوصه فى ذريه النبى عملاً بنصه صلى الله عليه وآله.. بينما هم يقولون إن النبى صلى الله عليه وآله لم ينص على أحد، وبعضهم يقول إنه على أن الخلافة فى قريش إلى يوم القيامة، لأنهم قبيله النبى صلى الله عليه وآله.

فنحن أسريون بالنص، وهم قبلون بغير نص، أو بنص!

ونطاق ولائنا نحن لبنى هاشم وعبد المطلب بصورة عامه، ولإثنى عشر إماماً منهم بصورة خاصه.. بينما نطاق ولائهم لضع وعشرين قبيله، هم مجموعه قبائل قريش، ومنهم أئمة الشرك، والكفر، والنفاق!

وقد روينا ورووا أن علياً عليه السلام بعد أن فرغ من مراسم تغسيل النبى والصلاة عليه ودفنه صلى الله عليه وآله بلغه أن بعض زعماء قريش ذهبوا إلى السقيفه حيث كان رئيس الأنصار مريضاً، واحتجوا على الأنصار بأنهم قوم النبى صلى الله عليه وآله وعشيرته وأولى منهم بسلطانه! فقال على عليه السلام فيما قال: احتجوا بالشجره وأضاعوا الثمره!!

وغرضنا هنا أن نوضح أن جميع المسلمين ماعدا من شذ قد أجمعوا على أن نظام الحكم فى الإسلام بعد النبى صلى الله عليه وآله إما أن يكون أسرياً مخصوصاً بعترته عليهما السلام، أو قبلياً مخصوصاً بقبائل قريش الثلاث والعشرين أو الخمس والعشرين.

فنحن نقول إنه نظام أسرى بالنص واختيار الله تعالى كما قال (ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ)، والسنة يقولون إنه نظام قبلى باختيار الناس لكن من داخل قريش، ولا يجب أن يكون الحاكم عندهم من أسره النبى عليه السلام، بل لعله يستحبون أن يكون من غيرها!

ومن الأحاديث والنصوص الداله على إيمان عبد المطلب:

ما ثبت فى الحديث والتاريخ من كرامات بل معجزات لعبد المطلب، فى حمله أبرهه لهدم الكعبه تدل على توحيده وإيمانه ويقينه، وعلى أنه كان يعرف أن الله تعالى سيرسل عليهم طيراً أبابيل، وكان يرسل بعض أولاده إلى الجبل لينظروا هل جاء سرب الطيور من قبل البحر!

وروا كذلك مخاطبته للفيل وجواب الفيل له بالاشارة بأنه لن يدخل إلى محيط الكعبه... إلى آخر ما اتفق عليه المؤرخون والمحدثون مما لا يمكن أن يصدر إلا عن ولى مقرب!

ومن هذه الأحاديث والنصوص:

ما دل على الكرامه التى أكرمه الله بها بأن أعاد نبع زمزم على يده وما رافق ذلك من آيات فقد كان الله تعالى أكرم بهذا النبع جده اسماعيل وأمه هاجر ثم نصب وعفى على مر الزمن حتى أعاده الله تعالى على يد عبد المطلب عن طريق الرؤيا الصادقه التى لا تكون إلا للأنبياء والاوصياء وكبار الأولياء.

ومن هذه الأحاديث والنصوص:

ما دل على معرفته بنبوئه حفيده صلى الله عليه وآله، واهتمامه الخاص به ورعايته المميزه له فى طفولته وصباه، وتوصيته به إلى أرشد

أبنائه أبي طالب، وإخباره إياه بأمره... إلى آخر ما اتفق عليه المؤرخون والمحدثون، مما لا يمكن أن يصدر إلا عن ولي مقرب! ومن هذه الأحاديث والنصوص:

ما دل على المكانة الدينية التي كانت لعبد المطلب في قلوب قبائل العرب وجماهيرها والتي لم يكن لاحد مثلها حتى لرؤساء قبائلهم... كل ذلك مع حسد قريش له وعمل رؤسائها للحط من مكانته خاصة بنو عبد الدار أصحاب لواء قريش الذين قادوا معركة بدر وبنو المغيرة الذين كان يرأسهم أبو جهل وبنو أمية الذين كان يرأسهم صخر.

وقد نصت مصادر التاريخ على هذه المكانة وأن طابعها كان تقديساً دينياً غير وثني بل مرتبطاً بالكعبة وزمزم وإسماعيل وإبراهيم (عليهم السلام). ويلاحظ ذلك من مواقف عقلاء العرب وأصحاب الأذهان الحرة منهم واحترامهم للنبي صلى الله عليه وآله باعتباره ابن عبدالمطلب لأن عبد المطلب عندهم وارث أمجاد اسماعيل وإبراهيم وبركتهما!
روى النسائي في سننه: ٤/١٢٤:

عن أبي هريرة قال بينما النبي (ص) مع أصحابه (إذ) جاء رجل من أهل البادية قال: أيكم ابن عبد المطلب قالوا: هذا الامغر المرتفق. قال حمزة: الامغر الأبيض مشرب حمرة.

فقال: إني سائلك فمشتد عليك في المسألة.

قال: سل عما بدا لك.

قال: أسألك بربك ورب من قبلك ورب من بعدك الله أرسلك.

قال: اللهم نعم.

قال: فأنتشرك به الله أمرك أن تصلي خمس صلوات في كل يوم وليلة.

قال: اللهم نعم.

قال: فأنتشرك به الله أمرك أن تأخذ من أموال أغنيائنا فترده على فقرائنا.

قال: اللهم نعم.

قال: فأنتشرك به الله أمرك أن تصوم هذا الشهر من إثني عشر شهراً.

قال: اللهم نعم.

قال: فأنتشرك به الله أمرك أن يحج هذا البيت من استطاع إليه سبيلاً.

قال: اللهم نعم.

فقال: فإني آمنت وصدقت وأنا ضمام بن ثعلبة. انتهى.

ورواه البخارى مختصراً في صحيحه: ١/٢٣ وأبوداود في سننه: ١/١١٧-١١٨ ويفهم من هذا النص أن لعبدالمطلب وأولاده مكانة خاصة في قلوب المتفكرين من العرب.. بل يشير النص التالي في صحيح البخارى إلى أن أولاد بنى عبد المطلب لهم مميزات نورانية خاصة. ففي: ٥/١٤٠: أن على بن أبي طالب (رض) خرج من عند رسول الله (ص) في وجعه الذي توفي فيه فقال الناس: يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله (ص) فقال أصبح بحمد الله بارئاً فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا وإنى والله لارى رسول الله (ص) سوف يتوفى من وجعه هذا إنى لأعرف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت...!! ورواه البخارى أيضاً في: ٧/١٣٦
ومن هذه الأحاديث والنصوص:

ما دل على العاطفة النبوية الجياشة التي كانت تفيض من قلب نبينا صلى الله عليه وآله على بنى هاشم وبنى عبد المطلب وذريتهما وأحاديث ذلك كثيرة صحيحة مليئة بالدلالات لمن تأملها ووجد ذهنه عن ستار التلقين القرشى ضد عبد المطلب.

قال البخارى في صحيحه: ٢/٢٠٤:

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما قدم النبي (ص) مكة استقبله أغيلمه بنى عبد المطلب فحمل واحداً بين يديه وآخر خلفه.. ورواه فى: ٧/٦٧

فهل كانت هذه العاطفة النبوية والحفاوة المحمدية بأطفال كافرين! أم بأطفال آباؤهم طلقاء أسلموا لتوهم تحت السيف! كلا بل كانت عاطفة على غصون شجرة مباركة يحملون إرث أجدادهم الأنبياء والأوصياء، ولم يظهر منهم إلى الآن انحراف عنها!! وروى البخارى أن النبي صلى الله عليه وآله تعمد فى حجة الوداع أن يوعى الأمة على ظلم قريش للنبوة، ولكل بنى هاشم وعبد المطلب!

قال البخارى فى: ٢/١٥٨:

عن أبى هريرة (رض) قال قال النبي (ص) من الغد يوم النحر وهو بمنى: نحن نازلون غدا بخيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر. يعنى بذلك المحصب، وذلك أن قريشاً وكنانة تحالفت على بنى هاشم وبنى عبد المطلب أو بنى المطلب، أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم النبي (ص). انتهى.

ثم لاحظ ذلك التعبير النبوى الملى بالعاطفة والحنان والإيمان بنوعيه أبناء عبدالمطلب المميزة حيث قال صلى الله عليه وآله كما حديث الكافى الآتى (فما ظنكم يا بنى عبدالمطلب إذا أخذت بحلقه باب الجنة أترونى مؤثراً عليكم غيركم!). ويؤيده ما رواه ابن شبة فى تاريخ المدينة: ٢/٢٦٤ قال:

حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا سفيان عن أبيه عن أبى الضحى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: جاء العباس (رض) إلى رسول الله (ص) فقال: إنك تركت فينا ضغائن منذ صنعت الذى صنعت! فقال رسول الله (ص): لن يبلغوا الخير أو قال الإيمان حتى يحبوكم لله ولقرايتى أيرجو سؤلهم شفاعتى عن مراد ولا يرجو بنو عبد المطلب شفاعتى انتهى. وروى نحوه غيره. ومن هذه الأحاديث:

ما دل على أن أولاده سادة أهل الجنة هم بنو عبد المطلب السبعة من بنى عبدالمطلب! فقد روى ابن ماجه فى سننه: ٢/١٣٦٨: حدثنا هدية بن عبد الوهاب ثنا سعد بن عبد الحميد بن جعفر عن على بن زياد اليمامى عن عكرمة بن عمار عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة: أنا وحمزة وعلى وجعفر والحسن والحسين والمهدى. انتهى. وهو حديث صحيح عند إخواننا السنة وقد أورنا مصادر وطرقه العديدة فى معجم أحاديث الإمام المهدى عليه السلام فزادت على مئة مصدر. وصحح العديد منها علماء الجرح والتعديل.

إن المجموعة الواحدة من هذه النصوص تكفى الباحث السوى الذهن، لأن يعيد النظر فى الأحكام التى أصدرتها الخلافة القرشية وفقهاؤها على عبد المطلب..! فكيف بهذه المجموعات الثمانية مجتمعة، ومثلها معها! وإذا أنهار البناء القرشى ضد عبد المطلب، انهارت الجدران القرشية الأخرى وانكشفت محاصرته الجديدة لبنى هاشم وبنى عبد المطلب.. التى أحكموها أكثر من محاصرته لهم فى شعب أبى طالب، لانهم فعلوها هذه المرة باسم الإسلام فطالت قروناً، وعمت أجيالاً، إلا من رحم ربك من أصحاب البصائر!

عبدالمطلب عليه سيماء الأنبياء و بهاء الملوك

اتفقت أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) على أن عبد المطلب رضوان الله عليه مؤمن بالله الواحد الاحد على مله جده إبراهيم ولى من أولياء الله ملهم بواسطة الملائكة والرؤية الصادقة.. بل يحتمل الناظر فى هذه الأحاديث أن عبد المطلب كان من الأنبياء وأنه كان مأموراً أن يعبد ربه على دين إبراهيم ويأمر أولاده بذلك.

وقد روت ذلك مصادرنا وبعض مصادر السنين قال السيوطى فى الدر المنثور: ٥/٩٨: وأخرج ابن أبى عمر العدنى فى مسنده واليزار

وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن مجاهد في قوله: وتقلبك في الساجدين قال: من نبي إلى نبي حتى أخرجت نبياً. انتهى.

قال المجلسي في بحار الأنوار: ٣١/١٥٥:

روى عن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: يبعث الله عبد المطلب يوم القيامة وعليه سيماء الأنبياء وبهاء الملوك. وروى الكليني في الكافي: ٤/٥٨:

عن أحمد بن إدريس عن محمد بن عبد الجبار ومحمد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان جميعاً عن صفوان بن يحيى عن عيص بن القاسم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن أناساً من بني هاشم أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه أن يستعملهم على صدقات المواشي وقالوا: يكون لنا هذا السهم الذي جعله الله للعاملين عليها فنحن أولى به فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بني عبد المطلب إن الصدقة لا تحل لي ولا لكم ولكني قد وعدت الشفاعة - ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: والله لقد وعدتها - فما ظنكم يا بني عبد المطلب إذا أخذت بحلقه باب الجنة أتروني مؤثراً عليكم غيركم!

ثم قال: إن الجن والإنس يجلسون يوم القيامة في صعيد واحد فإذا طال بهم الموقف طلبوا الشفاعة فيقولون: إلی من فیأتون نوحاً فيسألونه الشفاعة فيقول: هيات قد رفعت حاجتي فيقولون إلی من فيقال: إلی إبراهيم فيأتون إلی إبراهيم فيسألونه الشفاعة فيقول: هيات قد رفعت حاجتي فيقولون إلی من فيقال: إيتوا عيسى فيأتونه ويسألونه الشفاعة فيقول: هيات قد رفعت حاجتي فيقولون: إلی من فيقال: إيتوا موسى فيأتونه فيسألونه الشفاعة فيقول: هيات قد رفعت حاجتي فيقولون: إلی من فيقال: إيتوا محمداً فيأتونه فيسألونه الشفاعة فيقوم مدلاً حتى يأتي باب الجنة فيأخذ بحلقه الباب ثم يقرعه فيقال: من هذا؟ فيقول: أحمد فيرحبون ويفتحون الباب فإذا نظر إلی الجنة خر ساجداً يمجده ربه ويعظمه فيأتيه ملك فيقول: إرفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع فيرفع رأسه فيدخل من باب الجنة فيخر ساجداً ويمجده ربه ويعظمه فيأتيه ملك فيقول: إرفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع فيقوم فما يسأل شيئاً إلا أعطاه إياه. ورواه في تهذيب الأحكام: ٤/٥٨ وتفسير العياشي: ٢/٩٣ وتفسير نور الثقلين: ٢/٢٣٥ ووسائل الشيعة: ٦/١٨٥ ومستدرک الوسائل: ٧/١١٩ وتفسير نور الثقلين: ٣/٢١٠

هذا وقد تكفلت مصادر الحديث والتفسير عندنا بإثبات إيمان عبد المطلب وجميع آباء النبي صلى الله عليه وآله، وقد وافقنا على ذلك عدد من العلماء السنيين منهم السيوطي والفخر الرازي والشعراني.. وغيرهم.

آراء شيعية مخالفة للمشهور في الذبيح

رأى الشيخ الصدوق بأن إسحاق ذبيح أيضاً

من لا يحضره الفقيه: ٢/٢٣٠: وسئل الصادق عليه السلام عن الذبيح من كان فقال: إسماعيل عليه السلام لأن الله عز وجل ذكر قصته في كتابه ثم قال: وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين.

وقد اختلفت الروايات في الذبيح فمنها ما ورد بأنه إسماعيل ومنها ما ورد بأنه إسحاق ولا سبيل إلى رد الأخبار متى صح طرقها وكان الذبيح إسماعيل لكن إسحاق لما ولد بعد ذلك تمنى أن يكون هو الذي أمر أبوه بذبحه وكان يصبر لأمر الله عز وجل ويسلم له كصبر أخيه وتسليمه فينال بذلك درجته في الثواب فعلم الله عز وجل ذلك من قبله فسماه بين ملائكته ذبيحاً لتمنيه لذلك وقد ذكرت إسناده ذلك في كتاب النبوة متصلاً بالصادق عليه السلام. انتهى.

وقال الجزائري في هامش تفسير القمي: ١/٣٥١:

قال جدى السيد الجزائري رحمه الله في قصص الأنبياء: اختلف علماء الإسلام في تعيين الذبيح هل هو إسماعيل أو إسحاق فذهبت

الطائفة المحقة من أصحابنا وجماعة من العامة إلى أنه اسماعيل والأخبار الصحيحة دالة عليه مع دلالة غيرها من الآيات ودلائل العقل. وذهبت طائفة من الجمهور إلى أنه إسحاق وبه أخبار واردة من الطرفين وطريق تأويلها إما أن تحمل على التقيّة وأما حملها على ما قاله الصدوق صار ذبيحاً بالنية والتمنى... حمل رحمه الله قول النبي صلى الله عليه وآله (أنا ابن الذبيحين) على ذلك.

أقول: إن بعض الروايات المعتبرة كرواية هذا التفسير وغيره آتية عن الحمل فإنها مصرحةً بذبح إسحاق حقيقة لا مجازاً وفداه بكبش فعليه لا مجال إلى ما ذهب إليه الصدوق رحمه الله من الحمل فإما أن تحمل هذه الروايات كما قال جدى رحمه الله على التقيّة أو على تعدد الواقعة. انتهى.

ملاحظة: إن الشيخ الصدوق رحمه الله صحت عنده رواية أن الذبيح هو إسماعيل ورواية أنه إسحاق بالمجاز وصحت عنده رواية نذر عبد المطلب ذبح ولده عبد الله وقول النبي صلى الله عليه وآله (أنا ابن الذبيحين) ففسره بأنه ابن الذبيحين من وجهين: أى من جهة عبد الله واسماعيل ومن جهة اسماعيل وإسحاق. وقد صرح بذلك في آخر كلامه في الخصال. ولكن كلامه جاء متداخلاً فالتبس الأمر على الجزائري وعلى الغفارى وتصوراً أنه يفسره بالوجه الثانى فقط ويرفض الوجه الأول!

وروايته التى استند عليها فى أن إسحاق ذبيح مجازى رواية عامية من نوع روايات معاصره الحاكم النيسابورى. ولو صحت لتعين ترجيح الموافق لمذهب أهل البيت (عليهم السلام) على الموافق لليهود والنواصب. أو حملها كما ذكر السيد الجزائرى على التقيّة من الحكام خاصة أن المسألة كانت مطروحة فى دار الخلافة فى المدينة وفى قصور الخلافة فى الشام كما رأيت من رواياتها.

محاولة أحد المعاصرين تفسير الذبيحين بإسماعيل وإسحاق

من لا يحضره الفقيه: ٣/٨٩:

روى حماد بن عيسى عن ابن جعفر عن حريز عن أبي جعفر عليه السلام قال: أول من سوهم عليه مريم بنت عمران وهو قول الله عز وجل: وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ أَقلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ والسهم سته ثم استهموا فى يونس عليه السلام لما ركب مع القوم فوقت السفينة فى اللجة فاستهموا فوقع السهم على يونس ثلاث مرات قال: فمضى يونس عليه السلام إلى صدر السفينة فإذا الحوت فاتح فاه فرمى نفسه.

ثم كان عند عبد المطلب تسعة بنين فنذر فى العاشر إن رزقه الله غلاماً أن يذبحه فلما ولد عبد الله لم يكن يقدر أن يذبحه ورسول الله صلى الله عليه وآله فى صلبه فجاء بعشر من الإبل فساهم عليها وعلى عبد الله فخرجت السهم على عبد الله فزاد عشرأ فلم تزل السهم تخرج على عبد الله ويزيد عشرأ فلما أن خرجت مائة خرجت السهم على الإبل فقال عبد المطلب: ما أنصفت ربي فأعاد السهم ثلاثاً فخرجت على الإبل فقال: الآن علمت أن ربي قد رضى فنحرها. انتهى.

وقال الأستاذ على أكبر غفارى فى تعليقه على هذا الحديث:

جاءت هذه القصة فى كثير من كتب الحديث من الطريقتين، واشتهرت بين الناس وأرسلها جماعة من المؤلفين إرسال المسلمات، ونقلوها فى مصنفاتهم دون أى تكبير، وهى كما ترى تضمنت أمراً غريباً بل منكرأ لا يجوز أن ينسب إلى أحد من أوساط الناس والسذج منهم، فضلاً عن مثل عبدالمطلب الذى كان من الأصفياء وهو فى العقل والكياسة والفتنة على حد يكاد أن لا يدانيه أحد من معاصريه، وقد يفتخر النبي صلى الله عليه وآله مع مقامه السامى بكونه من أحفاده وذريته وبياهى به القوم ويقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وفى الكافى روايات تدل على عظمته وجلالته وكمال إيمانه وعقله ودرأته وراثته فى قومه، وفى المجلد الأول منه/٤٤٦ فى الصحيح عن زرارة عن أبى عبد الله عليه السلام قال: يحشر عبد المطلب يوم القيامة أمه وحده، عليه سيماء الأنبياء وهيبه الملوك. يعنى إذا حشر الناس فوجاً فوجاً يحشر هو وحده، لأنه كان فى زمانه منفرداً بدين الحق من بين قومه، كما قاله العلامة المجلسى رحمه الله. وفى

حديث آخر رواه الكليني أيضاً مسنداً عن الصادق عليه السلام قال: يبعث عبد المطلب أمه وحده عليه بهاء الملوك وسيماء الأنبياء، وذلك أنه أول من قال بالبداء.

وفى الحسن كالصحيح عن رفاعه عن أبي عبد الله عليها السلام قال: كان عبدالمطلب يفرش له بفناء الكعبة لا يفرش لاحد غيره، وكان له ولد يقومون على رأسه فيمنعون من دنا منه... إلى أمثالها الكثير الطيب كلها تدل على كمال إيمانه وعقله وحصافة رأيه.. وإن أردت أن تحيط بذلك خبراً فانظر إلى تاريخ اليعقوبى المتوفى فى أواخر القرن الثالث، وما ذكر من سننه التى سننها وجاء بها الإسلام مثل تحريمه الخمر، والزنا، ووضع الحد عليه، وقطع يد السارق، ونفى ذوات الرايات، ونهيه عن قتل المؤودة، ونكاح المحارم، وإتيان البيوت من ظهورها، وطواف البيت عرباناً وحكمه بوجوب الوفاء بالندى، وتعظيم الأشهر الحرم، وبالمباهلة بمائه إبل فى الديه. ثم تأمل كيفية سلوكه مع أبرهه صاحب الفيل فى تلك الغائلة المهلكة المهدمه، كيف حفظ بحسن تدبيره وسديد رأيه قومه ودماهم وأموالهم من الدمار والوبار، دون أى مؤونه، وقال: أنا رب الإبل ولهذا البيت رب يمنعه، مع أن الواقعة موحشه بحيث تضطرب فى أمثالها قلوب أكثر السائسين.

فإذا كان الأمر كذلك فكيف يصح أن يقال: إنه نذر أن يذبح سليله وثمره مهجته وقره عينه قربته إلى الله سبحانه، وأن يتقرب بفعل منهى عنه فى جميع الشرايع، والقتل من أشنع الأمور وأقبحها، والعقل مستقل بقبحه بل يعده من أعظم الجنايات، مضافاً إلى كل ذلك أن النذر بذبح الولد قرباناً للمعبود من سنن الوثنيين والصابئين، وقد ذكره الله تعالى فى جملة ما شنع به على المشركين، وقال فى كتابه العزيز بعد نقل جمل من بدعهم ومفتريانهم: **وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ لِيُزْودُوهُمْ وَلِيُبْسِئُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُّهُمْ وَ مَا يَقْتُرُونَ. الأنعام: ١٣٧**

وهذا غير مسألة الواد المعروف الذى كان بنو تميم من العرب يعلمون به، فإن المفهوم من ظاهر لفظ الأولاد أعم من المذكور منهم والبنات، والواد مخصوص بالبنات، وأيضاً غير قتلهم أولادهم من إملاق أو خشيته، بل هو عنوان آخر يفعلونه على سبيل التقرب إلى الإلهة.

فإن قيل: لعله كان مأموراً من جانب الله سبحانه كما كان جده إبراهيم عليه السلام مأموراً؟ قلنا: هذا التوجيه مخالف لظاهر الروايات، فإنه صرح فى جميعها بأنه نذر مضافاً إلى أنه لو كان مأموراً فلا محيص له عنه ويجب عليه أن يفعله كما أمر، فكيف فداه بالابل ولم لم يقل فى جواب من منعه كما فى الروايات: إنى مأمور بذلك.

وبالجملة فى طرق هذه القصة وما شاكلها مثل خبر (أنا ابن الذبيحين) رواه جماعة كانوا ضعفاء أو مجهولين أو مهملين، أو على غير مذهبنا مثل أحمد بن سعيد الهمداني المعروف بابن عقدة، وهو زيدى جارودى أو أحمد بن الحسن القطان، وهو شيخ من أصحاب الحديث عامى ويروى عنه المؤلف فى كتبه بدون أن يردفه بالترضية، مع أن دأبه أن يتبع مشايخه بها إن كانوا إمامية، وكذا محمد بن جعفر بن بطه الذى ضعفه ابن الوليد وقال: كان مخطئاً فيما يسنده، وهكذا عبد الله بن داهر الأحمري وهو ضعيف كما فى الخلاصة والنجاشى، وأبو قتادة ووكيع بن الجراح وهما من رجال العامة ورواتهم ولا يحتج بحديثهم إذا كان مخالفاً لاصول المذهب، وإن كانوا يسندون خبرهم إلى أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

وإنك إذا تتبعت أسانيد هذه القصة وما شابهها ما شككت فى أنها من مفتعلات القصاصين ومخترعاتهم نقلها المحدثون من العامة لجرح عبد المطلب ونسبه الشرك والعياذ بالله إليه، رغماً للإمامية حيث أنهم نزهوا آباء النبي صلى الله عليه وآله عن دنس الشرك. ويؤيد ذلك أن كثيراً من قدماء مفسريهم كالزمخشري والفخر الرازى والنیشابورى وأضرابهم، والمتأخرين كالمراغى وسيد قطب وزمرة كبيرة منهم، نقلوا هذه القصة أو أشاروا إليها عند تفسير قوله تعالى: **وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ، وجعلوا عبد المطلب مصداقاً للآية انتصاراً لمذهبهم الباطل فى اعتقاد الشرك فى آباء النبي صلى الله عليه وآله وأجداده.**

قال العلامة المجلسى رحمه الله: اتفقت الإمامية رضوان الله عليهم على أن والدى الرسول صلى الله عليه وآله وكل أجداده إلى آدم

عليه السلام كانوا مسلمين بل كانوا من الصديقين إما أنبياء مرسلين أو أوصياء معصومين ثم نقل عن الفخر الرازي أنه قال: قالت الشيعة إن أحداً من آباء الرسول صلى الله عليه وآله وأجداده ما كان كافراً. ثم قال: نقلت ذلك عن إمامهم الرازي ليعلم أن اتفاق الشيعة على ذلك كان معلوماً بحيث اشتهر بين المخالفين.

وإن قيل: لا ملازمة بين هذا النذر وبين الشرك، ويمكن أن يقال إن نذر عبدالمطلب كان لله، وأما المشركون فنذروا لالهتهم. قلت: ظاهر الآية أن النذر بذبح الولد من سنن المشركين دون الموحدين، فالناذر إما مشرك أو تابع لسنن الشرك وجلت ساحة عبد المطلب أن يكون مشركاً والعياذ بالله أو تابعاً لسنن المشركين، والإصرار بتصحيح أمثال هذه القصص مع نكارتها كثيراً ما يكون من الغفلة عما جنته يد الإفتعال.

ثم اعلم أن المصنف رضوان الله تعالى عليه لم يحتج بهذا الخبر في حكم من الأحكام، إنما أورده في هذا الكتاب طرداً للباب، ويكون مراده جواز القرعة فقط وهو ظاهر من الخبر. انتهى.

ثم كرر الاستاذ الغفاري رأيه في: ٤/٣٦٨ فقال:

قال المصنف رحمه الله في الخصال (٢٧/ باب الإثنين) قد اختلفت الروايات في الذبيح، فمنها ما ورد بأنه اسماعيل لكن إسحاق لما ولد بعد ذلك تمنى أن يكون هو الذي أمر أبوه بذبحه فكان يصبر لأمر الله ويسلم له كصبر أخيه وتسليمه، فينال بذلك درجته في الثواب، فعلم الله عز وجل ذلك من قلبه فسماه بين الملائكة ذبيحاً، لتمنيه لذلك. انتهى.

أقول: على هذا فالمراد بالذبيحين إسماعيل وإسحاق: أحدهما ذبيح بالحقيقة والآخر ذبيح بالمجاز، مع أن كليهما لم يذبحا بعد. وتقدم فيه كلام: ٣/٨٩ والإشكال بأن إسحاق كان عما له دون أب ممنوع لأن إطلاق الاب على العم شايح، وفي رواية سليمان بن مهران عن الصادق عليه السلام في قول النبي صلى الله عليه وآله: أنا ابن الذبيحين يريد بذلك العم، لأن قد سماه الله عز وجل أباً في قوله: أم كُتِّمُ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ. وكان اسماعيل عم يعقوب فسماه الله في هذه الموضع أباً، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: العم والد. فعلى هذا الأصل أيضاً يطرد قول النبي صلى الله عليه وآله: أنا ابن الذبيحين أحدهما ذبيح بالحقيقة والآخر ذبيح بالمجاز. انتهى.

والجواب على ما ذكره الأستاذ الغفاري:

أولاً: أن الرواية التي استدلت بها الصدوق على أن إسحاق ذبيح أيضاً مجازاً، عامية ضعيفة، وقد ضعف سندها الأستاذ الغفاري نفسه من حيث لا يدري كما ستري!

ثم إن إطلاق العم على الأب في اللغة وإن كان أمراً شائعاً، ولكن لا ينطبق على قول القائل (أنا ابن فلان) مفتخراً أو مباحياً، لأن المتبادر منه الإفتخار بعمود نسبه من آبائه وأن منهم ذبيحين قربانين لله تعالى، لا من أعمامه، وإلا لقال: أنا من قوم فيهم ذبيحان أو من آل إبراهيم آل الذبيحين.

كما أن إطلاق اسم الذبيح المجازي على إسحاق أيضاً ضعيف لغو، لأن كلمة (الذبيح) لا تصدق إلا على من قصدوا ذبحه لله تعالى قصداً عملياً حقيقياً ورضى به، ولو كان يكفي لإطلاقها مجازاً أن الشخص قد أحب ذلك ونواه كما في إسحاق، لصح أن تطلق على كل آباء النبي أو جدهم، بل على كثير من المؤمنين، لأن أكثر الأنبياء والأوصياء والمؤمنين يحبون مقام إسماعيل وينوون أن لو كانوا مكانه لقبوا بما قبل به.

فارتكاب المجاز في معنى الإبن وجعله العم، ثم ارتكاب المجاز في الذبيح وجعله من يحب أن يكون ذبيحاً.. خلاف الظاهر جداً، وهو يكاد يفرغ الكلمة من هدفها بل من معناها!

ثانياً: لعل الغفاري لم يطلع على تاريخ قربان لله تعالى في الشرائع الإلهية السابقة، فقد كان عامة الناس يقدمون قربانين من الانعام، وكان من المشروع أن يقدم كبار المؤمنين أحد أولاده قرباناً لله تعالى، وعلى أساسه كان منام إبراهيم صلى الله عليه وآله.. ولم يثبت

نسخ هذا التشريع قبل الإسلام.

فالمشركون لم يخترعوا القربان لأوثانهم، وإنما أخذوه من الأديان وجعلوه لآلهتهم المزعومة بدل الله تعالى. وما عابه الله تعالى عليهم من قتلهم أولادهم وتقديمهم إياهم قرايين لآلهتهم، إنما عاب فيه شركهم وتقربهم للأوثان.

ثالثاً: إن وجود عبد المطلب في مجتمع وثني يتقرب إلى الأصنام بالقرايين وقد يذبح أحدهم ولده قرباناً لصنمه.. وإعلان عبد المطلب أنه على ملة أبيه إبراهيم صلى الله عليه وآله، وإحيائه عدداً من سننها، وما جرى في عهده من حفظ الله تعالى لكعبة إبراهيم في حادثة الفيل، وإعادة ماء زمزم المفقود على يده... كل ذلك يساعد على فهم نذر عبد المطلب أنه إذا رزقه الله عشرة أولاد أن يذبح أحدهم قرباناً لله تعالى على ملة إبراهيم، ويجعل هذا النذر أمراً طبيعياً مشروعاً في ذلك الوقت، بل دعوةً لعبادة الأصنام أن يعبدوا رب البيت رب إبراهيم، ويقدموا له قرايينهم، ولا يقدموها لأصنامهم.

أما لماذا نذر عبد المطلب ذلك، ولماذا عزم على تنفيذ نذره جدياً فشاورة أولاده فأطاعوه، وأقرع بينهم فرست القرعة على عبد الله، وقال لأبيه كما قال إسماعيل.. ثم كيف تحلل من عبد المطلب من نذره بطريقة القرعة بين ذبح ولده أو نحر الإبل.. فهي إشكالات واردة. وجوابها: أنها واردة على شريعتنا لا على شريعة إبراهيم وعبد المطلب. وهي واردة عندنا لعدم معرفتنا بتفاصيل الحادث وبالمستند الشرعي الذي استند عليه عبد المطلب في نذره وطريقة وفائه به.

ولكن معرفتنا بشخصية عبد المطلب وإيمانه العميق، تكفي للقول بأنه لم يكن يقدم على نذره ثم على التحلل منه بالقرعة إلا بحجة بينة من ربه تعالى.

ويكفي لإثبات هذه الصفة في شخصيته، حادثتا زمزم والفيل حيث ظهر للناس على نحو اليقين أنه كان يتلقى أوامره من ربه عز وجل! فما المانع أن تكون قصة نذر ولده من هذه الإلهامات، خاصة أن الولد الذي رست عليه القرعة هو والد النبي صلى الله عليه وآله الذي أعطاه الله تعالى ما أعطى جده إسماعيل من شرف الرضا بأن يذبحه أبوه قرباناً لله تعالى، ثم فداه الله بطريقة ألهمها لأبيه ليعطيه شرف أبوة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله.

هذا، وقد روى الدكتور شوقي ضيف في تاريخ الأدب العربي/٤١ ط دار المعارف المصرية، أن المنذر بن ماء السماء ملك المناذرة المعاصر لعبد المطلب، والذي كان أعظم ملك وثني في العرب، قد أسر ابن الحارث بن شمر ملك الغساسنة النصراني في حربه معه، فذبحه قرباناً للعزى!!

فعل نذر عبد المطلب أن يذبح واحداً من أولاده لرب البيت سبحانه، كان تعزيراً لدين إبراهيم، ورداً على عمل المنذر، وإبطالاً لتأثير عمله في تعزيز مكانة صنم العزى!

وأخيراً، فإن نذر عبد المطلب رضوان الله عليه لم يكن ارتجالاً بل امتد وقته طويلاً فقد ذكرت الروايات أنه كان في أيام رؤيته الصادقة في حفر زمزم، وكان له ولدٌ واحدٌ، فنذر إن رزقه الله عشرة أولاد وكبروا أن يذبح واحداً منهم قرباناً لله تعالى.. وقد يكون نذره تحقق بعد عشرين سنة أو ثلاثين!

رابعاً: إن خصوم عبد المطلب أحرص الناس على أن يجدوا له مذمة أو منقصة، وقد رأيت في رواية الحاكم المتقدمة أن معاوية ذكر نذر عبد المطلب، وأنه كان نذراً لله تعالى مرتبطاً بأمر الله له بحفر زمزم (قال إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل الله أمرها أن ينحر بعض ولده فأخرجهم فأسهم بينهم فخرج السهم لعبد الله، فأراد ذبحه فمنعه أخواله من بني مخزوم وقالوا: أرض ربك وافد ابنك).

فقد كان الأمر بحفر زمزم أمراً من الله تعالى وقد انكشفت صحته.. وهذا يقرب أن يكون النذر لله تعالى بأمره سبحانه، ويشير إليه أن عبد المطلب أخذ أولاده العشرة إلى داخل الكعبة وأقرع بينهم فخرجت القرعة على عبد الله ورضى عبد الله بها واستعد للذبح مختاراً، وقرر عبد المطلب تنفيذ ذلك كما قرر جده إبراهيم.. ولكن أسرته ومحبيه من قريش وأخوال عبد الله طلبوا منه أن يرضى ربه بفدائه،

فترث عبد المطلب يومه حتى أمره الله بطريقته التي كان يتلقى بها أن يقرع بين عبد الله وبين فدائه من الإبل، ويزيد في عدد الفداء حتى تخرج القرعة عليه فيفديه به.

إنه لو كان في عمل عبد المطلب منقصه لشنعوا بها عليه، ولكنها كرامة زادت من مكانته في حياته، وذكرت له باحترام وإجلال حتى من أعدائه بعد وفاته.

بل زادت من تفكير الناس الوثنيين بإله إبراهيم وعبد المطلب، وهياتهم للدعوة إلى عبادته بدل أصنامهم.

خامساً: لقد وقع الغفاري في اشتباهين كبيرين: أولهما أنه جعل سند رواية الذبيح المجازي لرواية نذر عبد المطلب وضعفها بسببه! فإن ابن داهر وأبا قتادة ووكيع لم يردوا في سند رواية النذر عن الإمام الرضا عليه السلام، بل وردوا في رواية أن الذبيح المجازي إسحاق! وقد التبس الأمر عليه لأن الصدوق ذكر مضمونها قبل سندها، فيكون الأستاذ الغفاري قد ضعف دليبه متصوراً أنه ضعف رواية نذر عبد المطلب! وليس في رواية النذر ممن ضعفهم الغفاري إلا القطان الذي قال فيه (ويروى عنه المؤلف في كتبه بدون أن يردفه بالترضية) فإن كان هذا مستنده في التضعيف فقد قال في طرائف المقال/١٥٥ عن القطان هذا (كثيراً ما يروى عنه الصدوق مترضياً!) ولو سلمنا ضعفه، فإن روايته المعتضدة بالشهرة التي سنذكر طرفاً منها والمخالفة لليهود والخط القرشي المعادي لعبد المطلب، والمؤيدة بتصحيح عدد من العلماء منهم الصدوق.. لهي جديرة بالقبول.

والإشتباه الثاني الذي وقع فيه الاستاذ الغفاري أنه حسب أن رواية الإمام الصادق عليه السلام تتعلق بإطلاق الاب على العم وترتبط بموضوع الذبيحين، مع أنها لا علاقة لها بالعم والأب، وإنما استشهد الصدوق على ذلك بالآية بقول النبي صلى الله عليه وآله: العم أب. ويتضح الأمر من ملاحظة النص بتمامه وهو في الخصال للصدوق كما يلي:

قول النبي صلى الله عليه وآله: أنا ابن الذبيحين حدثنا أحمد بن الحسن القطان قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي قال: حدثنا علي بن الحسن بن علي بن فضال عن أبيه قال: سألت أبا الحسن علي بن موسى الرضا (عليهما السلام) عن معنى قول النبي صلى الله عليه وآله: أنا ابن الذبيحين قال: يعني إسماعيل بن إبراهيم الخليل (عليهما السلام) وعبد الله بن عبد المطلب. أما إسماعيل فهو الغلام الحليم الذي بشر الله به إبراهيم: فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر (ولم يقل له يا أبت افعل ما رأيت) ستجدني إن شاء الله من الصابرين فلما عزم على ذبحه فداه الله بذبح عظيم بكبش أملح يأكل في سواد ويشرب في سواد وينظر في سواد ويمشي في سواد ويبول ويبعر في سواد وكان يرتع قبل ذلك في رياض الجنة أربعين عاماً وما خرج من رحم أثنى وإنما قال الله عز وجل له كن فكان ليفدى به إسماعيل فكل ما يذبح بمنى فهو فدية لإسماعيل إلى يوم القيامة فهذا أحد الذبيحين.

وأما الآخر فإن عبد المطلب كان تعلق بعلقه باب الكعبة ودعا الله عز وجل أن يرزقه عشرة بنين ونذر الله عز وجل أن يذبح واحداً منهم متى أجاب الله دعوته فلما بلغوا عشرة أولاد قال: قد وفي الله لي فلا فين لله عز وجل فأدخل ولده الكعبة وأسهم بينهم فخرج سهم عبد الله أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وكان أحب ولده إليه ثم أجالها ثانية فخرج سهم عبد الله ثم أجالها ثالثة فخرج سهم عبد الله فأخذه وحبسه وعزم على ذبحه فاجتمعت قريش ومنعته من ذلك واجتمع نساء عبدالمطلب يبكين ويصحن فقالت له ابنته عاتكة: يا أبتاه أعذر فيما بينك وبين الله عز وجل في قتل ابنك: قال: فكيف أعذر يا بنية فإنك مباركة قالت: إعمد إلى تلك السوائم التي لك في الحرم فاضرب بالقداح على ابنك وعلى الإبل وأعط ربك حتى يرضى. فبعث عبدالمطلب إلى إبله فأحضرها وعزل منها عشراً وضرب السهام فخرج سهم عبد الله فما زال يزيد عشراً عشراً حتى بلغت مائة فضرب فخرج السهم على الإبل فكبرت قريش تكبيره ارتجت لها جبال تهامة فقال عبد المطلب لا حتى أضرب بالقداح ثلاث مرات فضرب ثلاثاً كل ذلك يخرج السهم على الإبل فلما كان في الثالث اجتذبه الزبير وأبو طالب وإخوانه من تحت رجليه فحملوه وقد انسلخت جلده خده الذي كان على الأرض وأقبلوا يرفعونه ويقبلونه ويمسحون عنه التراب وأمر عبدالمطلب أن تنحر الإبل بالحسرة ولا يمنع أحد منها وكانت مائة.

وكانت لعبد المطلب خمس سنن أجزاها الله عز وجل في الإسلام: حرم نساء الآباء على الأبناء وسن الديه في القتل مائة من الإبل وكان يطوف بالبيت سبعة أشواط ووجد كنزراً فأخرج منه الخمس وسمى زمزم لما حفرها سقايه الحاج ولولا أن عبد المطلب كان حجة وأن عزمه على ذبح ابنه عبد الله شبيه بعزم إبراهيم على ذبح ابنه إسماعيل لما افتخر النبي صلى الله عليه وآله بالانتساب إليهما لأجل أنهما الذبيحان في قوله عليه السلام: أنا ابن الذبيحين.

والعلة التي من أجلها رفع الله عز وجل الذبح عن إسماعيل هي العلة التي من أجلها رفع الذبح عن عبد الله وهي كون النبي صلى الله عليه وآله والأئمة (عليهم السلام) في صلبهما فيبركة النبي والأئمة صلى الله عليه وآله رفع الله الذبح عنهما فلم تجر السنة في الناس بقتل أولادهم ولولا ذلك لوجب على الناس كل أضحى التقرب إلى الله تعالى ذكره بقتل أولادهم وكل ما يتقرب الناس به إلى الله عز وجل من أضحية فهو فداء لإسماعيل إلى يوم القيامة.

قال مصنف هذا الكتاب أدام الله عزه: قد اختلف الروايات في الذبيح فمنها ما ورد بأنه إسماعيل ومنها ما ورد بأنه إسحاق ولا سبيل إلى رد الأخبار متى صح طرقها وكان الذبيح إسماعيل لكن إسحاق لما ولد بعد ذلك تمنى أن يكون هو الذي أمر أبوه بذبحه فكان يصبر لأمر الله ويسلم له كصبر أخيه وتسليمه فينال بذلك درجته في الثواب فعلم الله عز وجل ذلك من قلبه فسماه الله عز وجل بين ملائكته ذبيحاً لتمنيه لذلك. وحدثنا بذلك محمد بن علي البشاري القزويني (رض) قال: حدثنا المظفر بن أحمد القزويني قال: حدثنا محمد بن جعفر الكوفي الأسدي عن محمد بن إسماعيل البرمكي عن عبدالله بن داهر عن أبي قتادة الحراني عن وكيع بن الجراح عن سليمان بن مهران عن أبي عبدالله الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام).

وقول النبي صلى الله عليه وآله: أنا ابن الذبيحين يريد بذلك العم لأن العم قد سماه الله عز وجل أبا في قوله أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وآله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق. وكان إسماعيل عم يعقوب فسماه الله في هذا الموضع أبا وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: العم والد.

فعلى هذا الأصل أيضاً يطرد قول النبي صلى الله عليه وآله: أنا ابن الذبيحين أحدهما ذبيح بالحقيقة والآخر ذبيح بالمجاز واستحقاق الثواب على النية والتمنى فالنبي صلى الله عليه وآله هو ابن الذبيحين من وجهين على ما ذكرناه. انتهى.

وأورده في البحار: ١٢/٢٢ عن العيون والخصال.

وفي هذا النص أمور متعددة تكفي للرد على رأى الاستاذ الغفارى حفظه الله في إنكار قصة نذر عبد المطلب.. ومن هذه الأمور أن الصدوق حكم بصحة الرواية من عنوانها الذي وضعه لها.

ومنها قوة حجج الإمام الرضا عليه السلام فيها وسنذكر بعضها.

ومنها أن الصدوق قبل تفسير الذبيحين بعبد الله واسماعيل من وجه، ويإسماعيل وإسحاق من وجه آخر، كما صرح في آخر كلامه.

والواقع أن نقطة الضعف الوحيدة فيها هي اعتماد الصدوق رحمه الله على رواية الذبيح بالمجاز العامية.. والتي ضعفها الغفارى، والحمد لله!

سادساً: ولو أن المحقق الغفارى تأمل في قول الإمام الرضا عليه السلام في رواية الصدوق (ولولا أن عبد المطلب كان حجة وأن عزمه على ذبح ابنه عبد الله شبيه بعزم إبراهيم على ذبح ابنه إسماعيل، لما افتخر النبي صلى الله عليه وآله بالانتساب إليهما لأجل أنهما الذبيحان في قوله عليه السلام: أنا ابن الذبيحين.

والعلة التي من أجلها رفع الله عز وجل الذبح عن إسماعيل هي العلة التي من أجلها رفع الذبح عن عبد الله، وهي كون النبي صلى الله عليه وآله والأئمة (عليهم السلام) في صلبهما.. فيبركة النبي والأئمة صلى الله عليه وآله رفع الله الذبح عنهما، فلم تجر السنة في الناس بقتل أولادهم) لعرف أن إشكاله على نذر عبد المطلب يرد بعينه على إبراهيم صلى الله عليه وآله لأنهما عملاقان من نوع واحد، غاية الأمر أن إبراهيم أمر بالذبح في المنام وأمر بالفداء بالوحي. ومادام عبد المطلب لانعرف كيف أمر بنذر الذبح والفداء، ولكن نعرف

أنه حجة وعمله صحيح، ولا بد أنه كان عنده حجة شرعية على نذره وفدائه.

وحيث أن ما يجب به عن عمل إبراهيم، يجب به عن عمل عبد المطلب بلا فرق، فلا معنى لاستظهار أن ذبح الولد كان من عادات المشركين، ولا معنى للقول بأنه لو كان عبد المطلب نذر ذلك فلماذا لم يقدم عليه... الخ.

سابعاً: إن ما ذكره حفظه الله من ملاحظات روائية ليس شاملاً ولا مقنعاً، والظاهر أنه لم يطلع على مصادر رواية (أنا ابن الذبيحين) وطرقها، واشتهارها عند الشيعة من العصر الأول، بل عند السنة أيضاً حتى أن فقهاءهم أخذوا بها، وإن لم يأخذ بها أهل صحاحهم، وممن صححها من الأحناف أبو بكر الكاشاني في بدائع الصنائع: ٥/٨٥ قال (ودليل ما قلنا الحديث وضرب من المعقول. أما الحديث فقول النبي عليه الصلاة والسلام: أنا ابن الذبيحين أراد أول آبائه من العرب وهو سيدنا اسماعيل عليه الصلاة والسلام وآخر آبائه حقيقة وهو عبد الله بن عبد المطلب سماهما عليه الصلاة والسلام ذبيحين ومعلوم أنهما ما كانا ذبيحين حقيقة فكانا ذبيحين تقديراً بطريق الخلافة لقيام الخلاف مقام الأصل. انتهى.

وقال ابن كثير في السيرة النبوية: ١/١٨٤:

(وهو ابن عبد الله وكان أصغر ولد أبيه عبد المطلب وهو الذبيح الثاني المفدى بمائة من الإبل كما تقدم). انتهى.

وفي اطمئناني أن المتتبع يجد لهذا الحديث طرقاً أخرى سواء في مصادرنا أو في مصادر السنين، ويجد المزيد ممن صححه من علماء الفريقين.

اول من يكسى كسوة الجنة

ذكرت بعض الروايات أن الناس يخرجون من قبورهم عرياناً يوم القيامة ثم يكسون على حسب عملهم. ولكن الظاهر أن المقصود بحديث أول من يكسى هنا ليس الكسوة من العرى، بل كسوة الجنة كما ورد في النص.

وقد ادعى اليهود أن إبراهيم أول من يكسى كسوة الجنة يوم القيامة.. ولا أظن أن هذه المسألة كانت مطروحة في ثقافتهم، ولكن لما رأوا المسلمين يروون عن نبيهم صلى الله عليه وآله أنه رئيس المحشر، والشفيع الأول، وخطيب الأنبياء، وأول من يكسى يوم القيامة.. ادعى اليهود أن أول من يكسى إبراهيم، وروى ذلك أحبارهم الذين أسلموا (?) عن رسول الله صلى الله عليه وآله!! وأخذها عنهم من أخذها من الرواة فدخلت في مصادر المسلمين وثقافتهم، وساعد عليها أن إبراهيم هو جد النبي صلى الله عليهما وآلهما، وأن من المعقول أن يكون إكرام الله تعالى للجد قبل إكرام الابن.

وقد اختار البخاري أن أول من يكسى إبراهيم وليس محمداً صلى الله عليهما وآلهما! قال في صحيحه: ٤/١١٠:

ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي (ص) قال: إنكم تحشرون حفاة عراء غرلاً ثم قرأ: كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين. وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم وإن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول أصحابي أصحابي فيقال إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم! فأقول كما قال العبد الصالح: وكنت عليهم شهيداً ما دمت قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم إلى قوله الحكيم. انتهى.

ورواه أيضاً في: ٤/١٤٢ وروته بقية الصحاح وغيرها بألفاظ متقاربة مثل الترمذي في: ٤/٣٨ والنسائي: ٤/١١٧ والدارمي: ٢/٣٢٥ وفيه (فيكون أول من يكسى إبراهيم يقول الله تعالى: إكسوا خليلي فيؤتى بريطين بيضاوين من رباط الجنة ثم أكسى على أثره)

وروى نحوه في أحمد: ١/٣٩٨ ورواه أيضاً موجزاً في: ١/٢٢٣ وص ٢٢٩ ورواه السيوطي في الدر المنثور: ١/١١٦ عن أبي نعيم في الحلية وابن أبي شيبه وأحمد. ورواه في: ٢/٢٣١ عن البيهقي في الأسماء والصفات، وفي: ٤/١٩٧ عن أحمد وابن جرير وابن المنذر والحاكم

وابن مردويه عن ابن مسعود

ورواه في: ٣/٢٨٤:

وفيه من تجسيمات اليهود لله تعالى (قال ذاك يوم ينزل الله فيه على كرسية يثبط فيه كما يثبط الرجل الجديد من تضايقه وهو كسعه ما بين السماء والأرض ويجاء بكم حفاة عراة غرلا فيكون أول من يكسى إبراهيم يقول الله اكسوا خليلي).

وقد حاول القسطلاني في إرشاد الساري: ٥/٣٤٣ أن يخفف من وقع الحديث على المسلمين فقال (ولا يلزم من تخصيص إبراهيم بأولية الكسوة هنا أفضليته على نبينا (ص) لأن حلة نبينا (ص) أعلى وأكمل وكم لنبينا (ص) من فضائل مختصه به لم يسبق إليها ولم يشارك فيها ولو لم يكن له سوى خصوصية الشفاعة العظمى لكفى). انتهى.

ولعل القسطلاني رأى أن اليهود أخذوا الشفاعة في الموحدين من نبينا صلى الله عليه وآله وأعطوها لإسحاق عليه السلام! وصارت حديثاً صحيحاً على شرط الشيخين كما تقدم في مستدرک الحاكم!

ومن المؤكد أنه رأى الأحاديث التي تنفي أن تكون الشفاعة خصوصيةً لنبينا صلى الله عليه وآله، ورأى الروايات التي تفضل أنبياء بني اسرائيل حتى يونس ويحيى على نبينا صلى الله عليه وآله، لأن البخاري رواها وشرحها القسطلاني وفسرها!

والذي يدخل في بحثنا هنا أن نعرف لماذا وافقت الحكومة القرشية اليهود من في تقديمهم إبراهيم على نبينا صلى الله عليه وآله في الكسوة وفي الشفاعة، وتبناها رواتهم؟!

يتوقف الجواب على التأمل في النص الذي روته صحاحهم، فقد تضمن موضوعين: أولهما أن أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم. والثاني أن بعض الصحابة يؤمر بهم إلى النار، لأنهم انحرفوا وكفروا بمجرد وفاة النبي صلى الله عليه وآله. ولم يبين الحديث العلاقة بين الموضوعين! وبما أن النبي صلى الله عليه وآله أفصح من نطق بالضاد وقد أوتى جوامع الكلم، وكلامه دائماً مترابطاً.. فلا بد أن تكون في الحديث حلقة مفقودة.. عن عدم كسوة بعض الصحابة مثلاً فما هي!

هذه الحلقة تجدها في مصادر السنين مجزأة، ولكنك تجدها في أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) مجتمعاً، لأنها تذكر نص النبي صلى الله عليه وآله على أن علياً يوم القيامة هو أول ينشق عنه قبره بعد النبي صلى الله عليه وآله وهو أول من يصافحه، وهو أول من يكسى بعده، وهو حامل لوائه لواء الحمد، وهو وزيره في المحشر، وهو الساقى على حوض النبي صلى الله عليه وآله

قال القاضي النعماني في شرح الأخبار: ٢/٤٧٥:

في حديث وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: يا علي أنا أكرم ولد آدم ولا فخر، وليس بيني وبين ربي حجاب إلا النور، وأول من يكسى كسوة الجنة ولا فخر، وأول من يؤذن له في الكلام ولا فخر، وأول من يؤذن له في السجود ولا فخر، وأول من يؤذن له في الشفاعة ولا فخر، وأول من يسعى نوره أمامه ولا فخر.

وقال الصدوق في من لا يحضره الفقيه: ٤/٣٧٤:

يا علي: إن الله تبارك وتعالى أعطاني فيك سبع خصال: أنت أول من ينشق عنه القبر معي، وأنت أول من يقف على الصراط معي، وأنت أول من يكسى إذا كسيت، ويحيى إذا حييت، وأنت أول من يسكن معي في عليين، وأنت أول من يشرب معي من الرحيق المختوم الذي ختامه مسك. انتهى. ورواه في الخصال/ ٣٤٢

وروى محمد بن عباس في تأويل الآيات: ٢/٦٥٧:

يا علي أول من تنشق عنه الأرض محمد ثم أنت، وأول من يحيى محمد ثم أنت، وأول من يكسى محمد ثم أنت. فانكب على عليه السلام ساجداً وعيناه تذرغان بالدموع. انتهى.

وقال ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب: ٣/٢٦: قال الحميري:

يدعو النبي فيكسوه ويكرمه رب العباد إذا ما أحضر الأمم

ثم الوصي فيكسى مثل حلتته خضراء يرغم منها أنف من رغم

وله أيضاً:

علّي غداً يدعى ويكسوه ربه ويدنوه منه في رفيع مكرم
فإن كنت منه حيث يكسوه راغماً وتبدى الرضى كرهاً من الان فارغم
وقال أعرابي:

إن رسول الله يعطى لواء الحمد علياً حين يلقاه

يدعى فيعطى كسوة المصطفى وعن يمين العرش مثواه. انتهى.

فحديث الكسوة يوم القيامة فيه إذن سهم لعلي عليه السلام، فلا عجب إذا قفزت عنه قبائل قريش.

لكن السهم الأكبر لعلي والآخر خطر على قريش أنه هو الساقى على حوض النبي صلى الله عليه وآله وهو الذى يزود الذين قال عنهم البخارى (وإن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال) وقال عنهم فى: ٨/٨٦ (قال أنا على حوضى انتظر من يرد على فيؤخذ بناس من دونى فأقول أمتى فيقول لا تدرى مشوا على القهقري). انتهى.

وقال عنهم مسلم فى: ٧/٦٨ - ٧٠ (قال رسول الله (ص) أنا فرطكم على الحوض ولأنازعن أقواماً ثم لأغلبن عليهم، فأقول يارب أصحابي أصحابي! فيقال إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك!!! قال لاذودن عن حوضى رجالاً كما تزداد الغريبة من الإبل) ونحوه فى: ٨/١٥٠

وقد صرحت أحاديث أخرى بأن الذائد عن حوض النبي صلى الله عليه وآله هو على عليه السلام، من ذلك ما رواه الحاكم وصححه قال فى: ٣/١٣٨:

عن على بن أبى طلحة قال: حججنا فمررنا على الحسن بن على بالمدينة ومعنا معاوية بن حديج فقبل للحسن إن هذا معاوية بن حديج الساب لعلى فقال على به فاتى به فقال أنت الساب لعلى فقال: ما فعلت فقال والله إن لقيته وما أحسبك تلقاه يوم القيامة لتجده قائماً على حوض رسول الله صلى الله عليه وآله يزود عنه رايات المنافقين بيده عصا من عوسج! حدثنيه الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وقد خاب من افترى. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. انتهى.

وروى الديلمى فى فردوس الأخبار: ٥/٤٠٨ ح ٨٣١٤ عن أبى سعيد:

يا على أنت يوم القيامة بيدك عصاً من الجنة تذود بها المنافقين!!

وروى فى مناقب آل أبى طالب: ٢/١٢-١٤ عن الفائق للمخشرى:

أن النبى قال لعلى: أنت الذائد عن حوضى يوم القيامة، تذود عنه الرجال كما يذاد الأصيد. البعير الصادى أى الذى به الصيد والصيد داء يلوى عنقه.

ونقل فى المناقب قول حسان بن ثابت:

له الحوض لا شك يحبى به فمن شاء أسقى برغم العدى

ومن ناصب القوم لم يسقه ويدعو إلى الورد للأولى

وقول الحميرى:

أؤمل فى حبه شربةً من الحوض تجمع أماناً ورى

إذا ما وردنا غداً حوضه فأدنى السعيد وذاد الشقى

متى يدن مولاه منه يقل رد الحوض واشرب هنيئاً مرى

وإن يدن منه عدوٌ له يذده على مكاناً قصياً. انتهى.

وعلى هذا فذكر كسوة النبى صلى الله عليه وآله أولاً وعلى ثانياً عليه السلام، وأنه يزود الصحابة المنحرفين عن الحوض، حديث ليس فى مصلحة القرشيين، لأن معناه أن موقف على هو الصحيح وموقف من يعارضه خطأ.. فالأسلم لهم الأخذ بحديث يكسى إبراهيم أولاً

والنبي ثانياً، لأنه ليس فيه ذكر لعلي!
وهكذا التقت مصلحة قريش مع مصلحة اليهود.. وصار حديث كعب الأخبار أسلم طريق للتخلص من علي بن أبي طالب حتى لو صححه الحاكم، ولم يروه الشيخان!
وهكذا يدون الخلفاء السنة، كما يكتب الحكام التاريخ!!

شفاعة الملائكة والأنبياء والعلماء والشهداء

من مصادرنا

قال الحميري في قرب الاسناد/٦٤:
عن مسعدة بن صدقة قال: حدثني جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ثلاثة يشفعون إلى اليوم القيامة فيشفعهم: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء. انتهى.
ورواه في مستدرک الوسائل: ١١/٢٠ وتفسير نور الثقلين: ٥/٢٦٤
من لا يحضره الفقيه: ٤/٣٩٩:
إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس في صعيد واحد، ووضعت الموازين فتوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء، فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء.
علل الشرائع للصدوق: ٢/٣٩٤:
عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة بعث الله عز وجل العالم والعابد، فإذا وقفا بين يدي الله عز وجل قيل للعابد: انطلق إلى الجنة، وقيل للعالم قف تشفع للناس بحسن تأديبك لهم.
تفسير الإمام العسكري: ٧/٣٤٤:
وقال علي بن موسى الرضا (عليهما السلام): يقال للعابد يوم القيامة: نعم الرجل كنت، همتك ذات نفسك وكفيت الناس مؤنتك، فادخل الجنة. إلا- إن الفقيه من أفاض على الناس خيره، وأنقذهم من أعدائهم، ووفر عليهم نعم جنان الله، وحصل لهم رضوان الله تعالى. ويقال للفقيه: يا أيها الكافل لأيتام آل محمد الهادي لضعفاء محبيه ومواليه، قف حتى تشفع لكل من أخذ عنك أو تعلم منك، فيقف فيدخل الجنة ومعه فئاماً وفئاماً حتى قال عشراً، وهم الذين أخذوا عنه علومه، وأخذوا عن من أخذ عنه، إلى يوم القيامة، فانظروا كم فرق ما بين المنزلتين!
وروى المجلسي في البحار حديثاً يدل على أن العالم الذي يشفع يوم القيامة ليس من العلماء السبعة المذمومين.. قال في بحار الأنوار ٨/٣٠٧: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن من العلماء من يحب أن يخزن علمه ولا يؤخذ عنه، فذاك في الدرک الاسفل من النار.
ومن العلماء من إذا وعظ أنف، وإذا وعظ عنف، فذاك في الدرک الثاني من النار.
ومن العلماء من يرى أن يضع العلم عند ذوى الثروة، ولا يرى له في المساكين، فذاك في الدرک الثالث من النار.
ومن العلماء من يذهب في علمه مذهب الجابرة والسلطين، فإن رد عليه شئ من قوله أو قصر في شئ من أمره غضب، فذاك في الدرک الرابع من النار.
ومن العلماء من يطلب أحاديث اليهود والنصارى ليغزر به علمه ويكثر به حديثه، فذاك في الدرک الخامس من النار.
ومن العلماء من يضع نفسه للفتيا ويقول: سلوني ولعله لا يصيب حرفاً واحداً والله لا يحب المتكلمين، فذاك في الدرک السادس من النار.

ومن العلماء من يتخذ علمه مروءةً وعقلاً، فذلك في الدرر السابع من النار (نقلاً عن الخصال: ٢/٧).

وفي تفسير التبيان: ٩/٦٥:

وقوله: ما للظالمين من حميم ولا- شفيح يطاع، نفى من الله أن يكون للظالمين شفيح يطاع، ويحتمل أن يكون المراد بالظالمين الكفار فهؤلاء لا يلحقهم شفاعه شافع أصلاً، وإن حملنا على عموم كل ظالم من كافر وغيره جاز أن يكون إنما أراد نفى شفيح يطاع، وليس في ذلك نفى شفيح يجاب، ويكون المعنى: إن الذين يشفعون يوم القيامة من الأنبياء والملائكة والمؤمنين إنما يشفعون على وجه المسألة إليه والاستكانة إليه، لا أنه يجب على الله أن يطيعهم فيه.

تفسير التبيان: ٩/٢٢٩:

قوله تعالى: وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى... يقول الله تعالى مخبراً بأن كثيراً من ملائكة السموات لا تغني شفاعتهم، أي لا تنفع شفاعتهم في غيرهم بإسقاط العقاب عنهم شيئاً، إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء أن يشفعو فيه ويطلق لهم ذلك ويرضى ذلك.

وقيل: إن الغرض بذلك الإنكار على عبدة الأوثان وقولهم إنها تشفع لا الملك، إذا لم تغن شفاعته شيئاً فشفاعه من دونه أبعد من ذلك. وفي ذلك التحذير من الإتكال على الشفاعه لأنه إذا لم تغن شفاعة الملائكة كانت شفاعة غيرهم أبعد من ذلك.

ولا ينافي ما نذهب إليه من أن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة والمؤمنين يشفعون في كثير من أصحاب المعاصي فيسقط عقابهم لمكان شفاعتهم، لأن هؤلاء عندنا لا يشفعون إلا بإذن من الله ورضاه، ومع ذلك يجوز أن لا يشفعو فيه، فالزجر واقع موقعه.

تفسير التبيان: ٧/٢٠٩:

قوله تعالى: يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلا هَمْسًا. يَوْمَئِذٍ لا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا... أخبر الله تعالى أن ذلك اليوم لا تنفع شفاعة أحد في غيره، إلا شفاعة من أذن الله له أن يشفع ورضى قوله فيها، من الأنبياء والأولياء والصديقين والمؤمنين.

مجمع البحرين: ٤/٤٦٧:

وفي الحديث: الساعي بين الصفا والمروة تشفع له الملائكة بالإيجاب، أي القبول، يعني أن الله تعالى يثبت لهم الشفاعه.

دعائم الإسلام: ١/٣٤٣:

روينا عن رسول الله (ص) أنه قال: كل مؤمن من أمتي صديق شهيد، ويكرم الله بهذا السيف من شاء من خلقه، ثم تلا قول الله عز وجل: وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ.

دعائم الإسلام: ١/٢١٧:

وعن علي عليه السلام أنه قال: المريض في سجن الله ما لم يشك إلى عواده، تمحى سيئاته. وأي مؤمن مات مريضاً مات شهيداً، وكل مؤمن شهيد، وكل مؤمنة حوراء، وأي ميتة مات بها المؤمن فهو شهيد، وتلا قول الله جل ذكره: والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم.

من مصادر السنين

تاريخ البخارى: ٩/٣٧:

عن أبي بكره عن النبي (ص) قال: يحمل الناس على الصراط يوم القيامة فيتقاذع بهم جنبنا الصراط تقاذع الفراش في النار: ثم يؤذن للملائكة والنبين والشهداء والصالحين فيشفعون، ويخرجون فيشفعون ويرجون فيشفعون فيجابون.

سنن النسائي: ٢/٢٢٩:

عن عطاء بن يزيد قال كنت جالساً إلى أبي هريرة وأبي سعيد فحدث أحدهما حديث الشفاعة والآخر منصت، قال: فتأتى الملائكة فتشفع وتشفع الرسل، وذكر الصراط قال قال رسول الله (ص): فأكون أول من يجيز، فإذا فرغ الله عز وجل من القضاء بين خلقه، وأخرج من النار من يريد أن يخرج، أمر الله الملائكة والرسل أن تشفع فيعرفون بعلاماتهم أن النار تأكل كل شيء من ابن آدم إلا موضع السجود، فيصب عليهم من ماء الجنة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل.

سنن ابن ماجه: ٢/٧٢٤:

عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله (ص): يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء.

ورواه البيهقي في شعب الإيمان: ٢/٢٦٥ والديلمي في فردوس الأخبار: ٥/٤٢٨ وكنز العمال: ١٠/١٥١ وتهذيب الكمال: ٢٢/٥٥١ وتهذيب التهذيب: ٨/١٩٥ ومجمع الزوائد: ١٠/٣٨١ راجع أيضاً سنن البيهقي: ٩/١٦٤

سنن الترمذي: ٤/٤٦:

عن أبي سعيد أن رسول الله (ص) قال: إن من أمتي من يشفع للفئام من الناس، ومنهم من يشفع للقبيلة، ومنهم من يشفع للعصبة، ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة. هذا حديث حسن.

مسند أحمد: ٣/٢٠:

عن أبي سعيد الخدري عن النبي (ص) قال قد أعطى كل نبي عطية فكل قد تعجلها وإني أخرت عطيتي شفاعاً لأمتي، وإن الرجل من أمتي ليشفع للفئام من الناس فيدخلون الجنة، إن الرجل ليشفع للقبيلة وإن الرجل ليسشفع للعصبة، وإن الرجل ليشفع للثلاثة، وللرجلين، وللرجل.

مجمع الزوائد: ١٠/٣٨٠:

باب شفاعة الصالحين. وعن أبي برزة قال سمعت رسول الله (ص) يقول: إن من أمتي لمن يشفع لأكثر من ربيعه ومضر وإن من أمتي لمن يعظم للنار حتى يكون ركناً من أركانها. رواه أحمد ورجاله ثقات...

وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص): إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة. رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

وعن أنس عن رسول الله (ص) قال: سلك رجلان مفازة أحدهما عابد والآخر به رهق، فعطش العابد حتى سقط فجعل صاحبه ينظر إليه وهو صريع فقال والله لئن مات هذا العبد الصالح عطشاً ومعى ماء لا أصيب من الله خيراً وإن سقيته مائي لأموتن فاتكل على الله وعزم ورش عليه من مائه وسقاه من فضله قال فقام حتى قطع المفازة قال فيوقف الذي به رهق يوم القيامة للحساب فيؤمر به إلى النار فتسوقه الملائكة فيرى العابد فيقول يا فلان أما تعرفني قال فيقول من أنت قال أنا فلان الذي آثرتك على نفسي يوم المفازة قال فيقول بلى أعرفك قال فيقول للملائكة قفوا ويحي حتى يقف ويدعو ربه فيقول يا رب قد تعرف يده عندي وكيف آثرني على نفسه يا رب هبه لي قال فيقول: هو لك ويأخذ بيده فيدخله الجنة. رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير أبي ظلال القسملی قد وثقه ابن حبان وغيره وضعفه غير واحد.

فردوس الأخبار للديلمي: ١/٣٩٦:

ابن عباس: إذا اجتمع العالم والعابد على الصراط قيل للعابد: أدخل الجنة وتنعم بعبادتك، وقيل للعالم هاهنا فاشفع لمن أحببت فإنك لا تشفع لأحد إلا شفعت، فقام مقام الأنبياء. ورواه في كنز العمال: ١٠/١٣٦ وص ١٧٣ وص ٢٥٦

مجمع الزوائد: ٥/٢٩٣:

قال رسول الله (ص): إن للشهيد عند الله عز وجل ست خصال: أن يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلة الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفرع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين إنساناً من أقاربه. رواه أحمد هكذا قال مثل ذلك،

والبزار والطبراني إلا أنه قال سبع خصال وهي كذلك، ورجال أحمد والطبراني ثقات.

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص): الشهيد يغفر له في أول كل دفقة من دمه، ويزوج حوراوين ويشفع في سبعين من أهل بيته، والمرابط إذا مات في رباطه كتب له أجر عمله إلى يوم القيامة، وأتى عليه ريح برزقه، ويزوج سبعين حوراء، وقيل له قف فاشفع إلى أن يفرغ من الحساب - قلت روى ابن ماجه بعضه - رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه بكر بن سهل الدمياطي، قال الذهبي مقارب الحديث وضعفه النسائي. انتهى. وروى عدداً من هذه الروايات في مجمع الزوائد ٢/٩٨ وص ١١٥ وج ٤/٣٩٨ وص ٤٠١ وص ٤٠٥ وص ٤١٠

الدر المنثور: ٦/٢٤:

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد في قوله: ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة، قال: عيسى وعزير والملائكة. إلا من شهد بالحق قال كلمة الإخلاص. وهم يعلمون أن الله حق...

وأخرج عبد بن حميد وعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن قتادة في قوله: إلا من شهد بالحق وهم يعلمون، قال: الملائكة وعيسى وعزير فإن لهم عند الله شفاعة.

الدر المنثور: ٤/٩٤:

وأخرج الحاكم في الكنى عن حماد (رض) قال: سألت إبراهيم عن هذه الآية: ربما يود الذين كفروا كانوا مسلمين، قال: حدثت أن أهل الشرك قالوا لمن دخل النار من أهل الإسلام ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون، فيغضب الله لهم فيقول للملائكة والنبين: اشفعوا لهم فيشفعون لهم فيخرجون حتى أن إبليس ليتناول رجاء أن يدخل معهم، فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين. تفسير الطبري: ٢٥/٦٢:

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم: معنى ذلك ولا يملك عيسى وعزير والملائكة الذين يعبدهم هؤلاء المشركين لشفاعة عند الله لاحد إلا من شهد بالحق فوحده الله وأطاعه... وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبره أنه لا يملك الذين يعبدهم المشركون من الله الشفاعة عنده لأحد، إلا من شهد بالحق.. ويعنى بذلك أنهم يملكون الشفاعة عنده بإذنه لهم بها، كما قال جل ثناؤه: ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، فأثبت جل ثناؤه للملائكة وعيسى وعزير ملكهم من الشفاعة ما نفاه عن الآلهة والأوثان، باستثنائه الذي استثناه.

تفسير الطبري: ٢٧/٣٧:

وقوله: وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً يقول تعالى ذكره: وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً، عند الله لمن شفعا له شيئاً إلا أن يشفعوا له من بعد أن يأذن الله لهم، بالشفاعة لمن يشاء منهم أن يشفعوا له ويرضى، يقول ومن بعد أن يرضى لملائكته الذين يشفعون له أن يشفعوا له، فتنفعه حينئذ شفاعتهم..

تفسير الرازي: ٤ جزء ٧/١١:

هؤلاء المذكورون في هذه الآية (عَلَّمَ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) يحتمل أن يكونوا هم الملائكة وسائر من يشفع يوم القيامة من النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين.

الجواهر الحسان للثعالبي: ١/٣٥١:

فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضه من النار فيخرج منها قوماً لم يعلموا خيراً قط.

الأنساب: ٥/٦٢٣:

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله (ص): سبعة لهم شفاعة كشفاعة الأنبياء: المؤذن، والإمام، والشهيد وحامل القرآن،

والعالم، والمتعلم، والتائب.

ما يوجب أمل المسلم بشفاعته إخوانه المؤمنين له

الكافي: ٢/٢٤٨:

عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن محمد بن عبد الله عن خالد العمى عن خضر بن عمرو عن أبي عبد الله عليه السلام: المؤمن مؤمنان: مؤمن وفي لله بشروطه التي شرطها عليه فذلك مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً وذلك من يشفع ولا يشفع له وذلك ممن لا تصيبه أهوال الدنيا ولا أهوال الآخرة.

ومؤمن زلت به قدم فذلك كخامة الزرع كيفما كفاته الريح انكفاً وذلك ممن تصيبه أهوال الدنيا والآخرة ويشفع له وهو على خير.

وروى نحوه في الكافي: ٢/١٨٨ وفي تفسير نور الثقلين: ١/٥١٤ وج ٤/٢٦٠

الكافي: ٦/٣:

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن يحيى عن طلحة بن زيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن أولاد المسلمين موسومون عند الله شافع ومشفع فإذا بلغوا اثنتي عشرة سنة كانت لهم الحسنات فإذا بلغوا الحلم كتبت عليهم السيئات.

الكافي: ٨/١٠١:

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن علي بن فضال عن علي بن عقبه عن عمر بن أبان عن عبد الحميد الوابشى عن أبي جعفر عليه السلام قال... وإن المؤمن ليشفع لجاره وماله حسنة فيقول: يا رب جارى كان يكف عنى الأذى فيشفع فيه فيقول الله تبارك وتعالى: أنا ربك وأنا أحق من كافى عنك فيدخله الجنة وماله من حسنة! وإن أدنى المؤمنين شفاعته ليشفع لثلاثين إنساناً فعند ذلك يقول أهل النار: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم.

وسائل الشيعة: ٨/٤٠٧:

وعن إبراهيم بن الغفارى عن جعفر بن إبراهيم عن جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال: أكثروا من الأصدقاء فى الدنيا فإنهم ينفعون فى الدنيا والآخرة أما فى الدنيا فحوائج يقومون بها وأما فى الآخرة فإن أهل جهنم قالوا: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ.

وعن أحمد بن إدريس عن أحمد بن محمد عن بعض أصحابه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن دعوة مستجابة وقال: استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعته. وقال: أكثروا من مؤاخاة المؤمنين فإن لهم عند الله يداً يكافئهم بها يوم القيامة.

مستدرک الوسائل: ٨/٣٢٣:

وقال على بن أبى طالب عليه السلام: عليكم بالاخوان فإنهم عدة فى الدنيا والآخرة ألا تسمعون إلى قوله تعالى: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ.

بحار الأنوار: ٨/٤١:

ثواب الأعمال: أبى عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن أبى ولاد عن ميسر عن أبى عبد الله عليه السلام قال: إن المؤمن منكم يوم القيامة ليمر به الرجل له المعرفة به فى الدنيا وقد أمر به إلى النار والملك ينطلق به قال: فيقول له: يا فلان أغثنى فقد كنت أصنع إليك المعروف فى الدنيا وأسعفتك فى الحاجة تطلبها منى فهل عندك اليوم مكافأة فيقول المؤمن للملك المؤكل به: خل سبيل قال: فيسمع الله قول المؤمن فيأمر الملك أن يجيز قول المؤمن فيخلى سبيله. (المصدر/١٦٧)

تاريخ البخارى: ٦/٥٣٣:

روى وكيع عن محمد بن قيس قال: أدنى أهل الجنة منزلة الذى يشفع فى الرجل من أهل بيته.

مسند أبى يعلى: ٢/٢٩٢:

حدثنا أبو بكر حدثنا محمد بن بشر حدثنا زكريا بن أبى زائدة حدثنى عطية عن أبى سعيد عن النبى (ص) قال: من أمتى من يشفع للرجل وأهل بيته فيدخلون الجنة بشفاعته.

فردوس الأخبار للديلمى: ١/١٠٥:

أنس بن مالك: أكثروا من المعارف من المؤمنين، فإن لكل مؤمن شفاعته عند الله يوم القيامة.

الدر المنثور: ٦/٨:

وأخرج ابن جرير من طريق قتادة عن أبى إبراهيم اللخمي فى قوله: وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ قَالَ يَشْفَعُونَ فِي إِخْوَانِهِمْ.

تفسير الطبرى: ٢٥/١٨:

قوله تعالى: وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ... وقيل إن ذلك الفضل الذى ضمن جل ثناؤه أن يزيدهموه هو أن يشفعهم فى إخوان إخوانهم، إذا هم شفَعُوا فى إخوانهم فشفَعُوا فيهم.

تفسير الطبرى: ٢٩/١٠٥:

فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ، يقول فما يشفع لهم الذين شفَعَهُم الله فى أهل الذنوب.. وفى هذه الآية دلالة واضحة على أن الله مشفع بعض خلقه فى بعض.

هامش طبقات المحدثين بأصبهان: ٢/٣٤٦:

عن أبى أمامة عن النبى (ص) قال: إن ذرارى المسلمين يوم القيامة تحت العرش شافع مشفع.

الإيمان لابن تيمية/ ١١٥:

أبو الحسن الأشعري نصر قول جهم فى الإيمان مع أنه نصر المشهور من أهل السنة فى أنه يستثنى فى الإيمان فيقول: أنا مؤمن إن شاء الله لأنه نصر مذهب أهل السنة فى أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة ولا يخلدون فى النار وتقبل منهم الشفاعته ونحو ذلك.

فتاوى الالبانى/ ٢٨٦:

سؤال: هل تارك الصلاة كافر ولا ينفعه أى عمل؟

جواب: نحن قلنا إن إخواننا كانوا يصلون ويصومون إلى آخره، فيأذن الله عز وجل بأن يشفع لهم فيشفعون، ثم يشفعون لوجه أخرى.

شفاعة القرآن، والكعبة، والصجاج، والزوار

و اصناف أخرى من الناس...

وردت فى مصادر الفريقين أحاديث عن شفاعة القرآن، وصرح بعضها بأن القرآن يتجسد يوم القيامة على صورة إنسان وملك نورانى، ويتكلم مع أهل المحشر.

وقد ورد فى أحاديث البعث والقيامة والحساب والجنة والنار، من طرق الجميع ما يدل على تجسد القرآن، وتجسد بعض الأعمال، والأمور والأمكنة والأزمنة..

وقد كان هذا الأمر صعب التصديق بل صعب التصور فى العصور السابقة، أما فى عصر الذرة والجينات فقد عرف الناس حقائق مدهشة من خلق الله تعالى وقوانينه، وصار الإيمان بضبط أعمال الإنسان وتجسدها فى هذه الدنيا أمراً معقولاً فضلاً عن عالم الآخرة!

شفاة القرآن

فى نهج البلاغة: ٢/٩١:

واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذى لا يغش، والهادى الذى لا يضل، والمحدث الذى لا يكذب.

وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة فى هدى أو نقصان فى عمى.

واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقه، ولا لأحد قبل القرآن من غنى، فاستشفوه من أدوائكم، واستعينوا به على لأوائكم، فإن فيه شفاء من أكبر الداء، وهو الكفر والنفاق والغى والضلال.

فأسألوا الله به، وتوجهوا إليه بحبه، ولا تسألوا به خلقه، إنه ما توجه العباد إلى الله بمثله.

واعلموا أنه شافع مشفع، وقائل مصدق، وإنه من شفع له القرآن يوم القيامة شفع فيه، ومن محل به القرآن يوم القيامة صدق عليه، فإنه ينادى مناد يوم القيامة: ألا إن كل حارث مبتلى فى حرثه وعاقبه عمله، غير حرثه القرآن، فكونوا من حرثه وأتباعه، واستدلوه على ربكم، واستنصحوه على أنفسكم، واتهموا عليه آراءكم، واستغشوا فيه أهواءكم. العمل العمل، ثم النهاية النهاية. انتهى.

وفى الكافى: ٢/٥٩٦- كتاب فضل القرآن:

على بن محمد، عن على بن العباس، عن الحسين بن عبد الرحمن، عن سفيان الحريرى، عن أبيه، عن سعد الخفاف، عن أبى جعفر عليه السلام قال: يا سعد تعلموا القرآن، فإن القرآن يأتى يوم القيامة فى أحسن صورة نظر إليها الخلق، والناس صفوف عشرون ومائة ألف صف، ثمانون ألف صف أمه محمد صلى الله عليه وآله وأربعون ألف صف من سائر الأمم، فيأتى على صف المسلمين فى صورة رجل فيسلم، فينظرون إليه ثم يقولون: لا إله إلا الله الحليم الكريم، إن هذا الرجل من المسلمين نعرفه بنعته وصفته، غير أنه كان أشد اجتهاداً منا فى القرآن، فمن هناك أعطى من البهاء والجمال والنور ما لم نعطه، ثم يجاوز حتى يأتى على صف الشهداء، فينظرون إليه ثم يقولون: لا إله إلا الله الرب الرحيم، إن هذا الرجل من الشهداء نعرفه بسمته وصفته، غير أنه من شهداء البحر، فمن هناك أعطى من البهاء والفضل ما لم نعطه، قال: فيتجاوز حتى يأتى على صف شهداء البحر فى صورة شهيد، فينظر إليه شهداء البحر فيكثر تعجبهم يقولون: إن هذا من شهداء البحر نعرفه بسمته وصفته، غير أن الجزيره التى أصيب فيها كانت أعظم هولاً من الجزيره التى أصبنا فيها، فمن هناك أعطى من البهاء والجمال والنور ما لم نعطه، ثم يجاوز حتى يأتى صف النبيين والمرسلين فى صورة نبي مرسل، فينظر النبيون والمرسلون إليه، فيشتد لذلك تعجبهم ويقولون: لا إله إلا الله الحليم الكريم، إن هذا النبي مرسل نعرفه بسمته وصفته، غير أنه أعطى فضلاً كثيراً، قال: فيجتمعون فيأتون رسول الله صلى الله عليه وآله فيسألونه ويقولون: يا محمد من هذا؟ فيقول لهم: أو ما تعرفونه؟ فيقولون ما نعرفه، هذا ممن لم يغضب الله عليه، فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا حجة الله على خلقه.

فيسلم ثم يجاوز حتى يأتى على صف الملائكة فى سورة ملك مقرب، فتنظر إليه الملائكة فيشتد تعجبهم، ويكبر ذلك عليهم لما رأوا من فضله، ويقولون: تعالى ربنا وتقدس إن هذا العبد من الملائكة نعرفه بسمته وصفته، غير أنه كان أقرب الملائكة إلى الله عز وجل، مقاماً، فمن هناك ألبس من النور والجمال ما لم نلبس، ثم يجاوز حتى ينتهى إلى رب العزة تبارك وتعالى، فيخر تحت العرش، فيناديه تبارك وتعالى: يا حجتى فى الأرض وكلامى الصادق الناطق، إرفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع، فيرفع رأسه، فيقول الله تبارك وتعالى: كيف رأيت عبادى؟ فيقول: يا رب منهم من صاننى وحافظ على ولم يضيع شيئاً، ومنهم من ضيعنى واستخف بحقى وكذب بى وأنا حجتك على جميع خلقك، فيقول الله تبارك وتعالى: وعزتى وجلالى، وارتفاع مكانى لاثنين عليك اليوم أحسن الثواب، ولأعاقبن عليك اليوم أليم العقاب. (ورواه فى وسائل الشيعة: ٤/٢١٣)

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلى، عن السكونى، عن أبى عبدالله، عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيها الناس إنكم فى دار هدنة، وأنتم على ظهر سفر، والسير بكم سريع، وقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر بيليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويأتيان بكل موعود، فأعدوا الجهاز لبعث المجاز.

قال: فقام المقداد بن الأسود فقال: يا رسول الله وما دار الهدنة؟ قال: دار بلاغ وانقطاع، فإذا التبت عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع، وما حلُّ مصدق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن، فظاهره حكم وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق، له نجوم وعلى نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائب، فيه مصابيح الهدى، ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة.. فليجُلْ جال بصره، وليبلغ الصفة نظره، ينج من عطب، ويتخلص من نشب، فإن التفكير حياة قلب البصير، كما يمشى المستنير في الظلمات بالنور، فعليكم بحسن التخلص وقله التربص. انتهى.

ورواه في وسائل الشيعة: ٤/٢١٨ وفي تفسير نور الثقلين: ٤/١٣

وفي صحيح مسلم: ٢/١٩٧:

عن أبي أمامة الباهلي قال سمعت رسول الله (ص) يقول: إقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه. إقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير، صواف تحاجان عن أصحابهما. إقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة. قال معاوية بلغني أن البطلة السحرة. انتهى. ورواه أحمد في: ٥/٢٤٨ - ٢٤٩

وفي مستدرک الحاكم: ١/٥٥٤:

عن عبد الله بن عمرو (رض) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: الصيام والقرآن يشفعان للعبد، يقول الصيام رب إنني منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني. هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. انتهى. ورواه أحمد في مسنده: ٢/١٧٤ وقال عنه في مجمع الزوائد: ١٠/٣٨٠: رواه أحمد وإسناده حسن على شعث في ابن لهيعة وقد وثق. وقال في عنه الدر المنثور: ١/١٨٢: وأخرج أحمد وابن أبي الدنيا في كتاب الجوع والطبراني والحاكم وصححه عن عبد الله بن عمرو. ورواه الديلمي في فردوس الأخبار: ٢/٥٦٨ ح ٣٦٣١ وكنز العمال: ٨/٤٤٤

وفي مستدرک الحاكم: ١/٥٦٨:

عن معقل بن يسار (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إعملوا بالقرآن، أحلوا حلاله وحرّموا حرامه، واقتدوا به ولا تكفروا بشئ منه، وما تشابه عليكم منه فردوه إلى الله وإلى أولى الأمر من بعدى كيما يخبروكم.

وآمنوا بالتوراة والإنجيل والزبور، وما أوتى النبيون من ربهم.

وليسعكم القرآن وما فيه من البيان، فإنه شافع مشفع وما حل مصدق. ألا ولكل آية نور يوم القيامة، وإنى أعطيت سورة البقرة من الذكر الأول، وأعطيت طه وطواسين والحواميم من ألواح موسى، وأعطيت فاتحة الكتاب من تحت العرش. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وروى نحوه في: ٣/٥٧٨ ورواه في كنز العمال: ١/١٩٠

وفي مسند أحمد: ٥/٣٤٨:

عن عبد الله بن بريده عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: إن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب، فيقول له هل تعرفني؟ فيقول ما أعرفك! فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول ما أعرفك! فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر، وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيعطى الملك يمينه، والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين، لا يقوم لهما أهل الدنيا، فيقولان بم كسينا هذه؟ فيقال بأخذ ولدكما القرآن! ثم يقال له: إقرأ واصعد في درجة الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلاً. وروى نحوه في الدر المنثور:

٦/٢٧٧: عن ابن أبي شيبه وابن الضريس عن مجاهد

وفي الدر المنثور: ٣/٥٦:

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد، وابن الضريس، ومحمد بن نصر، والطبراني عن ابن مسعود قال: إن هذا القرآن شافع مشفع وماحل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعل خلفه ساقه إلى النار. انتهى. وروى نحوه في كنز العمال: ١/٥٥٢ ونحوه في: ١/٥١٦ و ٢/٢٩٢ عن ابن مسعود وكذا في فردوس الأخبار: ٣/٢٨١ ح ٤٧١٠ وفي المعجم الكبير للطبراني: ٩/١٣٢ وفي كنز العمال: ١٤/٣٩٠:

عن فردوس الأخبار عن أبي هريرة: الشفعاء خمسة: القرآن، والرحم، والأمانة، ونيكم، وأهل بيته. وفي سنن الدارمي: ٢/٤٣٠:

عن أبي هريرة يقول: إقرؤوا القرآن، فإنه نعم الشفيع يوم القيامة، إنه يقول يوم القيامة: يا رب حلّه حليّة الكرامة، فيحلى حليّة الكرامة، يا رب أكسه كسوة الكرامة، فيكسى كسوة الكرامة، يا رب ألبسه تاج الكرامة، يا رب إرض عنه، فليس بعد رضاك شيء. عن ابن عمر قال: يجي القرآن يشفع لصاحبه يقول: يا رب لكل عامل عمالة من عمله، وإنى كنت أمنعه اللذة والنوم فأكرمه، فيقال: أبسط يمينك فيملا- من رضوان الله، ثم يقال أبسط شمالك فيملا من رضوان الله، ويكسى كسوة الكرامة، ويحلى حليّة الكرامة، ويلبس تاج الكرامة.

عن أبي صالح قال: القرآن يشفع لصاحبه فيكسى حلّه الكرامة، ثم يقول: رب زده، فيكسى تاج الكرامة، قال فيقول رب زده فآته فآته، يقول: رضائي.

قال أبو محمد: قال وهيب بن الورد: إجعل قراءة تك القرآن علماً ولا تجعله عملاً. وفي سنن الدارمي: ٢/٤٣٣:

عن ابن مسعود كان يقول: يجيء القرآن يوم القيامة فيشفع لصاحبه، فيكون له قائداً إلى الجنة، ويشهد عليه، ويكون سائقاً به إلى النار. وفي الدر المنثور: ١/١٨:

وأخرج أبو عبيد وأحمد وحميد بن زنجويه في فضائل القرآن ومسلم وابن الضريس وابن حبان والطبري وأبوذر الهروي في فضائله والحاكم والبيهقي في سننه عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: إقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه. انتهى.

ورواه الطبراني في المعجم الكبير: ٨/١١٨

وقد بالغ بعضهم في شفاعته القرآن حتى جعلها أعظم من شفاعته النبي صلى الله عليه وآله! قال السبكي في طبقات الشافعية: ١/٣٠١ نقلًا عن إحياء الدين للغزالي: ما من شفيع أعظم عند الله منزله من القرآن!

شفاعة سور القرآن و آياته

روت مصادر الشيعة والسنة أحاديث كثيرة في فضل سور القرآن وآياته، وشفاعتها لمن قرأها أو حفظها أو علمها أو تعلمها أو عمل بها، أو إعطائه حق الشفاعة بسبب ذلك.. ويطول الكلام لو أردنا استعراض هذه الأحاديث لكثرتها وضعف سند بعضها أو متنها.. لذا نكتفي بتقديم نماذج منها من مصادر الفريقين:

ففي وسائل الشيعة: ٤/١٩٩:

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا تدعوا قراءة سورة الرحمن والقيام بها، فإنها لا تقر في قلوب المنافقين، وتأتي بها يوم القيامة في صورة آدمي في أحسن صورة وأطيب ريح، حتى تقف من الله موقفاً لا يكون أحد أقرب إلى الله منها، فيقول لها: من الذي كان يقوم بك في الحياة الدنيا ويدمن قراءتك؟ فتقول: يا رب فلان وفلان، فتبيض وجوههم، فيقول لهم: إشفعوا فيمن أحببتم، فيشفعون حتى لا يبقى لهم غاية ولا أحد يشفعون له، فيقول لهم: أدخلوا الجنة واسكنوا فيها حيث شئتم.

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من قرأ التغابن في فريضة كانت شفيعة له يوم القيامة، وشاهد عدل عند من يجيز شهادتها، ثم لا يفارقها حتى يدخل الجنة.

وفي تفسير نور الثقلين: ٢/٢:

في كتاب ثواب الأعمال بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: من قرأ سورة الأعراف في كل شهر، كان يوم القيامة من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. فلا تدعوا قراءتها، فإنها تشهد يوم القيامة لمن قرأها.

وفي مصباح الكفعمي عنه صلى الله عليه وآله: من قرأها جعل الله بينه وبين إبليس ستراً، وكان آدم عليه السلام شفيعاً له يوم القيامة.

(ورواه في فردوس الأخبار: ٤/٣٤ ح ٥٥٩٨)

وفي مستدرک الوسائل: ٤/٣٥١:

وعنه صلى الله عليه وآله قال: ومن قرأ سورة الممتحنة، كان المؤمنون والمؤمنات له شفعاء يوم القيامة.

وفي مستدرک الوسائل: ٤/٣٣٥:

وقال صلى الله عليه وآله: من قرأ آية الكرسي مرة، محى اسمه من ديوان الأشقياء، ومن قرأها ثلاث مرات، استغفرت له الملائكة، ومن قرأها أربع مرات شفع له الأنبياء، ومن قرأها خمس مرات كتب الله اسمه في ديوان الأبرار، واستغفرت له الحيتان في البحار ووقى شر الشيطان، ومن قرأها سبع مرات أغلقت عنه أبواب النيران، ومن قرأها ثمانين مرة فتحت له أبواب الجنان، ومن قرأها تسع مرات كفى هم الدنيا والآخرة، ومن قرأها عشر مرات نظر الله إليه بالرحمة، ومن نظر الله إليه بالرحمة فلا يعذبه.

وفي مستدرک الوسائل: ٤/٣٢٣:

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن لكل شئ قلباً وقلب القرآن يس، فمن قرأ يس في نهاره قبل أن يمسي، كان في نهاره من المحفوظين والمرزوقين حتى يمسي، ومن قرأها في ليلة قبل أن ينام وكل به ألف ملك يحفظونه من كل شيطان رجيم، ومن كل آفة وإن مات في يومه أدخله الله الجنة... ثم يقول له الرب تعالى: إشفع عبدى اشفعك في جميع ما تشفع، وسلنى عبدى أعطك جميع ما تسأل، فيسأل ويعطى ويشفع فيشفع، ولا يحاسب فيمن يحاسب، ولا يذل مع من يذل، ولا ييكت بخطيئته ولا بشئ من سوء عمله، ويعطى كتاباً منشوراً فيقول الناس بأجمعهم: سبحان الله ما كان لهذا العبد خطيئة واحدة، ويكون من رفقاء محمد صلى الله عليه وآله.

وفي مستدرک الوسائل: ٦/٣٥٦:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يصلى ليلة السبت أربع ركعات، يقرأ في كل ركعة الحمد مرة وآية الكرسي ثلاث مرات، وقل هو الله أحد مرة، فإذا سلم، قرأ في دبر هذه الصلاة آية الكرسي ثلاث مرات، غفر الله تبارك وتعالى له ولوالديه، وكان ممن يشفع له محمد صلى الله عليه وآله.

وفي سنن ابن ماجه: ٢/٥٢٥:

عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال: إن سورة في القرآن، ثلاثون آية، شفعت لصاحبها حتى غفر له: تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ.

ورواه أبو داود: ١ ص ٣١٦ والترمذى: ٤/٢٣٨ والحاكم: ١/٥٦٥ وأحمد: ٢/٢٩٩ وكنز العمال: ١/٥٨٣ وص ٥٩٤ وفردوس الأخبار: ٢/٤٧٠

ح ٣٣١٨

وفي سنن الدارمي: ٢/٤٥٤:

عن خالد بن معدان قال: إقرأوا المنجية، وهى أ. ل. م. تَنْزِيلُ، فإنه بلغنى أن رجلاً كان يقرأها ما يقرأ شيئاً غيرها، وكان كثير الخطايا، فنشرت جناحها عليه، وقالت: رب اغفر له، فإنه كان يكثر قراءتها، فشفعها الرب فيه وقال: أكتبوا له بكل خطيئة حسنة، وارفعوا له درجة.

وفي سنن الدارمي: ٢/٤٥٩:

عن سعيد بن المسيب يقول إن نبي الله (ص) قال: من قرأ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ عشر مرات بنى له بها قصر في الجنة، ومن قرأها عشرين مرة بنى له بها قصران في الجنة، ومن قرأها ثلاثين مرة بنى له بها ثلاثة قصور في الجنة. فقال عمر بن الخطاب: والله يا رسول الله إذن لنكثرن قصورنا! فقال رسول الله (ص): الله أوسع من ذلك.

وفي الدر المنثور: ٦/٢٤٧:

وأخرج الديلمي عن أنس مرفوعاً قال: يبعث رجل يوم القيامة لم يترك شيئاً من المعاصي إلا ركبها، إلا أنه كان يوحد الله، ولم يكن يقرأ من القرآن إلا -سورة واحدة، فيؤمر به إلى النار، فطار من جوفه شيء كالشهاب، فقالت: اللهم إني مما أنزلت على نبيك (ص)، وكان عبدك هذا يقرؤني، فما زالت تشفع، حتى أدخلته الجنة، وهي المنجية: تبارك الذي بيده الملك.

وفي فردوس الأخبار: ٤/٣٠ ح ٥٥٨٧:

أبو الدرداء: من قرأ مائتي آية في كل يوم، شفع في سبع قبور حول قبره، وخفف الله عز وجل عن والديه، وإن كانا مشركين. ورواه في كنز العمال: ١/٥٣٧ ٢٤٠٨ عن ابن أبي داود في المصاحف والديلمي.

شفاعه القرآن لمن يتعلمه و يعلمه

في سنن ابن ماجه: ١/٧٨:

عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله (ص): من قرأ القرآن وحفظه أدخله الله الجنة، وشفعه في عشرة من أهل بيته، كلهم قد استوجب النار.

ورواه أحمد في مسنده: ١/١٤٨ وفي: ١/١٤٩ عن علي أيضاً، ورواه الترمذي في: ٤/٢٤٥ عن علي عليه السلام أيضاً ورواه البيهقي في شعب الإيمان: ٢/٣٢٨ وص ٣٢٩ وص ٥٥٢ وكنز العمال: ١/٥٢١ وروى الخطيب في تاريخ بغداد: ١١/٣٩٥ نحوه عن عائشة.

وفي مسند أحمد: ٣/٤٤٠:

عن سهل، عن أبيه، عن رسول الله (ص) أنه قال: من قال سبحان الله العظيم نبت له غرس في الجنة. ومن قرأ القرآن فأكمله وعمل بما فيه، ألبس والديه يوم القيامة تاجاً هو أحسن من ضوء الشمس في بيوت من بيوت الدنيا لو كانت فيه، فما ظنكم بالذي عمل به! كما روت المصادر ذم من يتعلم القرآن للدنيا، ففي سنن النسائي: ٦/٢٣:

عن أبي هريرة فقال له قائل من أهل الشام: أيها الشيخ حدثني حديثاً سمعته من رسول الله (ص) قال: نعم سمعت رسول الله (ص) يقول: أول الناس يقضى لهم يوم القيامة ثلاثة: رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت ليقال فلان جرى فقد قيل! ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار!

ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم! وقرأت القرآن ليقال قارئ، فقد قيل! ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار. ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال: ما عملت فيها؟ قال ما تركت من سبيل تحب كما أردت أن ينفق فيها إلا -أنفقت فيها لك. قال كذبت، ولكن ليقال إنه جواد، فقد قيل! ثم أمر به فسحب على وجهه فألقى في النار!

ورواه الحاكم في المستدرک: ١/١٠٧ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقه. انتهى.

شفاعه الكعبه لمن زاره

في الدر المنثور: ١/١٣٧:

وأخرج ابن مردويه والإصبهاني في الترغيب والديلمي عن جابر قال قال رسول الله (ص): إذا كان يوم القيامة زفت الكعبه البيت الحرام

إلى قبري، فتقول: السلام عليك يا محمد، فأقول وعليك السلام يا بيت الله، ما صنع بك أمتي بعدى؟ فتقول: يا محمد من أتاني فأنا أكفيه وأكون له شفيعاً، ومن لم يأتني فأنت تكفيه وتكون له شفيعاً.

وروى في مستدرک الوسائل: ٨/٤٠ رواية أخرى في تجسد الكعبة وشفاعتها أشبه من رواية السيوطي بالإسرائيليات وإن كان موضوعها الكعبة الشريفة! قال:

عن وهب بن منبه أنه قال: مكتوب في التوراة: إن الله تعالى يبعث يوم القيامة سبعمئة ألف ملك، ومعهم سلاسل من الذهب ليأتوا بالكعبة إلى عرصات القيامة، فيأتون بها بسلاسل الذهب إلى موقف القيامة فيقول لها ملك: يا كعبة الله سيرى، فتقول: لا أذهب حتى تقضى حاجتي، فيقول ما حاجتك؟ إلى أن قال ما حاجتك سلى حتى تعطى؟ فتقول: إلهي عبادك العصاة، أتوا إلي من كل فج عميق، شعناً غبراً وخلفوا أهليهم وأولادهم وبيوتهم، وودعوا أحبائهم وأصحابهم لزيارتى وأداء المناسك كما أمرت، إلهي فاشفع لهم لتؤمنهم من الفزع الأكبر، فاقبل شفاعتي واجعلهم في كنفى.

فينادى ملك: إن فيهم أصحاب الكبائر والمصرين على الذنوب، المستحقين النار! فتقول الكعبة: أنا أشفع في أهل الكبائر، فيقول الله تعالى: قبلت شفاعتك وقضيت حاجتك، فينادى ملك: ألا من كان من أهل الكعبة فليخرج من بين أهل الجمع، فيخرج جميع الحاج من بينهم، ويحتوشون الكعبة بيض الوجوه آمنون من الجحيم، يطوفون حول الكعبة، وينادون لييك، فينادى ملك: يا كعبة الله سيرى، فتسير الكعبة وتنادى: لييك اللهم لييك لييك، إن الحمد والملك والنعمة لك لا شريك لك لييك، وأهلها يتبعونها. انتهى.

وقد روت المصادر أحاديث في شفاعته الحجر الأسود أعزه الله تعالى، كالذي في الدر المنثور: ١/١٣٦ عن عائشة: قالت: قال رسول الله (ص): أشهدوا هذا الحجر خيراً، فإنه يأتي يوم القيامة شافع مشفع، له لسان وشفقتان يشهد لمن استلمه. وقد رواه في مجمع الزوائد: ٣/٢٤٢ وفي كنز العمال: ١٢/٢١٧.

وورد في مصادر الطرفين أن الحجر الأسود ملك من ملائكة الجنة، وأنه شهد على ميثاق بني آدم، ثم أنزله الله تعالى مع آدم إلى الأرض، ولا يتسع المجال لبحث ذلك.

شفاعة حجاج بيت الله الحرام

في الكافي: ٤/٢٥٥:

محمد بن يحيى، عن محمد بن أحمد، عن محمد بن عيسى، عن زكريا المؤمن، عن إبراهيم بن صالح، عن رجل من أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الحاج والمعتمر وفد الله، إن سألوه أعطاهم، وإن دعوه أجابهم، وإن شفَعوا شفَعهم، وإن سكتوا ابتدأهم، ويعوضون بالدرهم ألف درهم. (وفي نسخة ألف ألف درهم) ورواه في وسائل الشيعة: ٨/٦٨ وروى أحاديث متعددة عن استحقاق الحاج للجنة.

وفي من لا يحضره الفقيه: ٢/٢١٧:

ومن حج أربعين حجة قيل له: اشفع فيمن أحببت، ويفتح له باب من أبواب الجنة، يدخل منه هو ومن يشفع له.

وفي وسائل الشيعة: ٨/٩٢:

عن زكريا الموصلي كوكب الدم، قال: سمعت العبد الصالح عليه السلام يقول: من حج أربعين حجة، قيل له: اشفع فيمن أحببت، ويفتح له باب من أبواب الجنة، يدخل منه هو ومن يشفع له.

وفي سائل الشيعة: ٩/٥١٢:

وقال علي بن الحسين (عليهما السلام): الساعي بين الصفا والمروة، تشفع له الملائكة، فيشفع فيه بالإيجاب.

وفي مجمع الزوائد: ٣/٢١١:

الحاج يشفع في أربعمئة أهل بيت، أو قال من أهل بيته، ويخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. ورواه في كنز العمال: ٥/١٤ وفي الدر المنثور: ١/٢١٠ وفي ذكر أخبار أصبهان: ١/١٤٨:

عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله (ص): إذا كان عشية يوم عرفه أشرف الرب عز وجل من عرشه إلى عباده فيقول: يا ملائكتي أنظروا إلى عبادي شعثاً غبراً، قد أقبلوا يضربون إلى من كل فج عميق، أشهدكم أني قد شفعت محسنهم في ميسئهم، وأنى قد غفرت لهم جميع ذنوبهم، إلا التبعات التي بينهم وبين خلقي. قال: فإذا أتوا المزدلفة وشهدوا جمعاً، ثم أتوا منى فرموا الجمار وذبحوا وحلقوا ثم زاروا البيت، قال: يا ملائكتي أشهدكم أني قد شفعت محسنهم في ميسئهم، وأنى غفرت لهم جميع ذنوبهم، وأنى قد خلفتهم في عيالاتهم، وأنى قد استجبت لهم جميع ما دعوا به، وأنى قد غفرت لهم التبعات التي بينهم وبين خلقي، وعلى رضاء عبادي. وفي مجمع الزوائد: ٣/٢٧٥:

عن أنس بن مالك قال: كنت قاعداً مع رسول الله (ص) في مسجد منى، فأتاه رجل من الأنصار ورجل من ثقيف فسلما عليه ودعيا له دعاء حسناً فقالا: يا رسول الله جئنا لنسألك، فقال: إن شئتما أخبرتكما بما جئتما تسألاني عنه فعلت، وإن شئتما أسكتت وتسالاني فعلت؟ فقالا: أخبرنا يا رسول الله نردد إيماناً أو يقيناً - الشك من إسماعيل قال لا أدري أيهما قال إيماناً أو يقيناً - فقال الأنصاري للثقيفي: سل رسول الله (ص)، فقال الثقيفي: بل أنت فسله فإنني أعرف لك حقك، فسأله فقال: أخبرني يا رسول الله. قال: جئت تسألني عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام، ومالك فيه، وعن طوافك بالبيت وما لك فيه، وعن ركعتيك بعد الطواف ومالك فيهما، وعن طوافك بالصفة والمروة وما لك فيه، وعن وقوفك عشية عرفه وما لك فيه، وعن رميك الجمار ومالك فيه، وعن نحررك ومالك فيه، وعن حلقك ورأسك ومالك فيه، وعن طوافك بالبيت بعد ذلك يعني طواف الافاضة. قال: والذي بعثك بالحق عن هذا جئت أسألك.

قال: فإنك إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام، لا تضع ناقتك خفاً ولا ترفعه إلا كتب الله لك به حسنة وحط عنك به خطيئة ورفعك درجة، وأما ركعتاك بعد الطواف كعتق رقبة من بني إسماعيل. وأما طوافك بين الصفا والمروة بعد ذلك، كعتق سبعين رقبة. وأما وقوفك عشية عرفه، فإن الله تبارك وتعالى يهبط إلى السماء الدنيا يباهي بكم الملائكة، يقول هؤلاء عبادي جاؤوا شعثاً شفعاء من كل فج عميق، يرجون رحمتي ومغفرتي، فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل وكعدد القطر وكزبد البحر لغفرتها! أفيضوا عبادي مغفوراً لكم ولمن شفعتم له...

وروى بعضه في كنز العمال: ٥/٧١ وروى في ٧٤:

ما من مسلم يقف عشية عرفه بالموقف فيستقبل القبلة ثم يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير، مائة مرة ثم يقرأ أم الكتاب مائة مرة، ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله مائة مرة، ثم يسبح الله مائة مرة فيقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم يقرأ قل هو الله أحد مائة مرة، ثم يقول: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد وعلينا معهم مائة مرة، إلا قال الله تعالى: يا ملائكتي ما جزاء عبادي هذا سبحنى وهللنى وكبرنى وعظمنى ومجدنى ونسبني وعرفني وأثنى على وصلى على نبيي.. إشهدوا يا ملائكتي أني قد غفرت له وشفعته في نفسه، ولو شاء أن يشفع في أهل الموقف لشفعته. (هب وابن النجار والديلمي عن جابر) قال أبو بكر بن مهران الحافظ: تفرد به عبدالرحمن بن محمد المحاربي عن محمد بن سوقة وقال (هب): هذا متن غريب وليس في إسناده من نسب إلى الوضع. انتهى.

وقد أوردنا عدداً من أحاديث عرفه في المجلد الثاني، في أحاديث النزول وغيرها، ونقدنا ما فيها من تجسيد!

شفاعة النبي الخاصة لزوار قبره

في الكافي: ٤/٥٤٨:

أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن أبان عن السدوسي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أتاني زائراً كنت شفيعه يوم القيامة. ورواه في تهذيب الأحكام ج ٦ ص ٤

وفي تفسير نور الثقلين: ١/٥٤١:

علي بن محمد بن بندار عن إبراهيم بن إسحاق عن محمد بن سليمان الديلمي عن أبي حجر الاسلمي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أتاني زائراً ووجبت له شفاعتي ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنة. ورواه في من لا يحضره الفقيه: ٢/٥٦٥ وفي تهذيب الأحكام: ٦/٤ وفي وسائل الشيعة: ١٠/٢٦١

وروى في الوسائل: ١٠/٢٦٣:

عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وآله قال: من زارني حياً أو ميتاً كنت له شافعياً يوم القيامة. وفي المقنعة للمفيد/٤٥٧:

روى عن الصادق عليه السلام، عن آبائه، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من زارني بعد موتي كان كمن هاجر إليّ في حياتي، فإن لم تستطيعوا فابعثوا إليّ بالسلام، فإنه يبلغني. وقال عليه السلام: من أتاني زائراً، كنت شفيعه يوم القيامة.

وفي مستدرک الوسائل: ١٠/١٨٥:

القطب الراوندي في لب الباب: عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: من زار قبري وجبت له شفاعتي، ومن زارني ميتاً فكأنما زارني حياً.

وعنه صلى الله عليه وآله أنه قال: من زار قبري حلت له شفاعتي.

وفي سنن الدار قطنی: ٢/٢٧٨ ح ١٩٤:

عن ابن عمر قال: قال رسول الله (ص): من زار قبري وجبت له شفاعتي.

ورواه الذهبي في تاريخ الإسلام: ١١/٢١٢ ورواه بنص آخر: من زارني بعد موتي وجبت شفاعتي.

وفي هامش طبقات المحدثين بأصبهان: ٢/١٦٧ ونحوه في: ١/٥٥:

عن ابن عمر قال: قال رسول الله (ص): من جاءني زائراً لم تنزعه حاجة إلا زيارتي، كان حقاً على الله أن أكون له شافعياً يوم القيامة. انتهى.

وقد اقتصرنا من أحاديث زيارة قبره صلى الله عليه وآله على ما ورد فيه ذكر الشفاعة، وسنورد بقيه أحاديثها في محلها إن شاء الله

تعالى، مع الجواب على شبهة الوهابيين في تحريمهم زيارة القبور وخيرها وأشرفها قبر سيد المرسلين صلى الله عليه وآله!

هذا وقد تقدم ذكر عدد من الاصناف الذين يستحقون الشفاعة فتشملهم، أو يعطيهم الله تعالى حق الشفاعة بغيرهم ويقبل شفاعتهم، في الفصل السادس (حدود الشفاعة) وهم أنواع عديدة.

وكل هذه الأحاديث تدل على أن شفاعته المؤمنين حقيقة مسلمة عند الجميع، فلا عجب أن تكون شفاعته الأئمة الأطهار من عتره النبي

أعظم من جميع الشفاعات بعد شفاعته جدهم، وأشمل وأكمل، صلى الله عليه وعليهم، ورزقنا شفاعتهم.

تم المجلد الثالث من كتاب العقائد الإسلامية

ويليه المجلد الرابع إن شاء الله تعالى، وأوله بحث شفاعته أهل البيت عليهم السلام

المجلد ٤

فهرست مطالب كتاب: العقائد الإسلامية (المجلد ٤)

- العقائد الإسلامية (المجلد ٤)
 شفاعه أحد شيعه أهل البيت
 اويس القرنى أحد كبار الشفعاء شفيح تشتاق اليه الجنة
 اويس خير التابعين
 خير التابعين صارت: من خير التابعين
 هل أن كلمه (من) إضافة أمويه
 كان أويس أسمر اللون جسيما مهيبا
 صورة من تراحم المسلمين على أويس
 شعاره الصدق والجد في أمر الله تعالى
 وهو صاحب مدرسه في شكر نعم الله تعالى
 زاهد يضرب بزهد المثل
 زاهد يحمل هم الفقراء و يتصدق عليهم حتى بطعامه و ثيابه
 وقد ربي أويس تلاميذ على سيرته
 رأيه في الحكام غير على
 اضطهاد مخابرات الخلافة لاويس
 اويس من شيعه على
 صاحب البصيرة الزاهد، شجاع مجاهد
 نسب أويس القرنى و نسبه
 عشيرة الأويسات أو اللويسات السوريه
 روايات لقائه بعمر و استغفاره له
 روايات توجب الشك في استغفاره لعمر
 من هم الذين خاطبهم النبي في البشارة بأويس؟
 آراء شاذة و أخرى مشبوهة الهدف في أويس
 فقد صرح متعصبوا الحنابلة بتفضيل بعض أصحابهم على أويس القرنى
 و زعم بعضهم أن قبر أويس طار من الأرض
 آراء مضادة مغاليه في أويس القرنى
 صورة عن أويس القرنى من مصادرنا روائح الجنة تفوح من قرن!
 خير التابعين و نفس الرحمن
 كان راعى إبل فصار الشفيح الموعود
 اويس من أركان التشيع لعلى

اويس ختام المسك الموعود في حرب الجمل

اويس ختام المسك الموعود في حرب صفين

متفرقات عن أويس

من الأدعية المروية عن أويس

شفاعه أويس القرني لمئات الألوف أو الملايين

نتيجة

النواصب مطرودون من الشفاعه والجنه

حكم النواصب في الفقه الإسلامى

على ميزان الإسلام والكفر والإيمان والنفاق

محاولة ابن حجر تجريد على من هذه الفضيلة

قصة بريدة وحدها حجة بالغه

من دلالات قصة بريدة

لمحة عن بريدة و أحاديثه في مصادر

والزهراء والحسان جزء من المقياس النبوى أيضا

و كل (أهل البيت) جزء من المقياس النبوى

و ويل لمبغضهم

و ويل للمكذبين بفضلهم

واللعنة على ظالمهم و قاتليهم

و لا يقبل عمل المسلم إلا بحبهم

و الأمة مسؤولة عنهم يوم القيامة

و هذه الأحكام مختصة بهم و لا يقاس بهم أحد

و محبو أهل البيت و شيعتهم جزء من المقياس النبوى

كيف طبقت الخلافة القرشية سنة النبى فيهم

و أجبرت المسلمين على أن يكونوا نواصب

مرسوم آخر لخليفة المسلمين معاوية

مرسوم ثالث لخليفة المسلمين معاوية

مرسوم رابع لخليفة المسلمين معاوية

بعض ما ورد عن المقياس النبوى فى مصادر

بعض ما ورد فى مصادرنا فى عدم شمول الشفاعه للنواصب

بعض ما ورد فى مصادرنا فى أحكام التعامل مع النواصب

النصب يجر إلى التجسيم

فضل العلماء الذين يدفعون شبهات النواصب

شفاعه النبى يوم القيامة بيد أهل بيته

على صاحب لواء النبي يوم القيامة
 ماذا روت الصحاح عن رئاسة المحشر و لواء الحمد؟
 على أمر السقاية على حوض النبي يوم القيامة
 محاولات الأمويين التكذيب بأحاديث الحوض
 ندم أئمة المذاهب على تدوين أحاديث الحوض
 و النتيجة للمتأمل في أحاديث حوض الكوثر
 نماذج من أحاديث الحوض والصحابة المطرودين
 اسس تدوين أحاديث القيامة عند علماء الخلافة
 نتيجة كلية
 احاديث أن عليا هو الساقى على الحوض والذائد عنه
 من أحاديث الحوض في مصادرنا
 اهل البيت و شيعتهم على الحوض
 شعر حوض الكوثر في مصادر الحديث والأدب
 على قسيم الله بين الجنة والنار
 حديث قسيم الجنة والنار في الشعر
 على أول الواردين على النبي عند حوض الكوثر
 لا يعبر إنسان الصراط إلا بجواز من على
 عنوان صحيفة المؤمن يوم القيامة حب على
 من هو المخاطب بقوله تعالى: ألقيا في جهنم كل كفار عنيد
 شفاعه على و الأئمة من ذريته
 احاديث في شفاعه الأئمة من أهل بيت النبي
 احاديث في شفاعه فاطمة الزهراء
 يا فاطمة لا تبكى، على و شيعته غدا هم الفائزون في الجنة
 نماذج من أحاديث شفاعه النبي و آله لزوار مشاهدهم المشرفة
 الشفاعه لمن زار قبر أمير المؤمنين
 الشفاعه لمن زار قبر الإمام الحسين
 الشفاعه لمن زار قبر الإمام الرضا
 ختام في بعض قواعد الشفاعه و أحكامه
 النهى عن الإتكال على الشفاعه
 امل العاصين بشفاعة النبي و آله
 الاولى بشفاعة النبي و آله
 الدعاء للنبي باعطائه الشفاعه
 الدعاء بطلب الشفاعه لوالديه و أقاربه

مسائل حول التوسل

مفردات التوسل

الدعاء والنداء

التوسل في الأديان السابقة

الفرق بين التوسل و أنواع الشرك

الرسول داعى الله

المؤمنون يدعون الله تعالى وحده

الاولياء الشياطين

انكشاف عدم فائدة الأولياء من دون الله فى الآخرة

لا وجود حقيقيا لولى من دون الله

شبهه على أصل التوسل

مسألة التوسل دقيقة و حساسة

تأكيد الأئمة على المحافظة على التوحيد فى التوسل

من هم المتوسل بهم عند المسلمين

التوسل بغير المعصومين عند السنيين

التوسل الواسع فى صلاة الإستسقاء

التوسل العملى بالأعمال الصالحة

التوسل إلى الله فى مصادر السنيين

تعليم النبى التوسل به إلى الله تعالى

توسل عمر بن الخطاب بالعباس عم النبى

توسل الناس فى المحشر واستشفاعهم بالنبى

ما ورد عندهم من الدعاء للنبى بالوسيلة

ما هى الوسيلة التى ورد الدعاء بها للنبى؟

احاديث تفسر الوسيلة فى مصادرنا

خطبة الوسيلة من كتاب الكافى

التوسل إلى الله فى مصادرنا

التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة

التوسل إلى الله بذاته و صفاته عزوجل

الاستشفاع إلى الله تعالى بحبه و معرفته

افتتاح الصلاة بالتوجه إلى الله بالنبى و آله

دلالة استحباب التوسل عند الأذان و افتتاح الصلاة

التوجه بالنبى و آله لدفع شر السلطان

التوجه إلى الله بالنبى و آله عند الحاجة و الشدة

الاستشفاع بالنبي والأئمة عند زيارة قبورهم الشريفة

تفسير الآيات الثلاث في التوسل

الآية ٠١

عمل المفسرين السنيين لإبعاد الوسيلة عن النبي

الآية ٠٢

جاؤوك، تشمل المجئ إلى قبر النبي والمجئ إلى وصيه

الآية ٠٣

تفسيرنا للآيتين الكریمتين

تفسير السنيين للآيتين الكریمتين

مناقشة تفسيرهم للآيات

على أقرب الخلق وسيلة إلى الله

الترابط بين الوسيلة والوصية

الشيعه وسيلة إلى الله يوم القيامة

ما ورد في مصادرهم من تشويش على الأحاديث المتقدمة

آيات مؤيدة لآيات التوسل

شذوذ الوهابيين عن اجماع المسلمين في التوسل والإستشفاع

تليس ابن تيمية لتحريم التوسل والإستشفاع

غرض ابن تيمية من نقل التوسل من فروع الفقه إلى أصول العقائد

هل تراجع ابن تيمية أمام القاضي أو في سجنه عن تحريم التوسل

علماء المذاهب الإسلامية يردون على شذوذ ابن تيمية

نماذج من ردهم على مذهب ابن تيمية

مقتطفات من أهم كتب علماء المذاهب في الرد على ابن تيمية

كتاب (التوسل بالنبي و جهله الوهابيين)

كتاب (شفاء السقام) للإمام السبكي

حديث توسل آدم بالنبي

توسل عيسى بالنبي

توسل نوح و ابراهيم و سائر الأنبياء بنينا

التوسل بالنبي (بعد موته)

كتاب رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة

كتاب (حقيقة التوسل والوسيلة في الكتاب والسنة)

شفاة أحد شيعه أهل البيت

اويس القرني أحد كبار الشفاء شفيح تشتاق اليه الجنة

ثبت في مصادر الطرفين أن النبي صلى الله عليه وآله نص على عدد من الصحابة بأسمائهم، أن لهم مقاماً كبيراً عند الله تعالى، وأن الجنة تشتاق إليهم!

والملاحظ أنهم كلهم من شيعة أهل البيت عليهم السلام.

أما من التابعين فمن المتفق عليه أنه صلى الله عليه وآله أخبر عن أويس القرني وبشر بأنه يأتي بعده، وأنه من كبار أولياء الله تعالى، وأنه مستجاب الدعوة، وأنه يشفع عند الله تعالى لمئات الألوف، أو ملايين الناس!

ولما رأى المسلمون أويساً بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله استبشروا به وتبركوا به، وكانوا يحرصون على الفوز بدعاء منه، ولو بكلمة (غفر الله لك)!

وقد حاول الخلفاء أن يتقربوا إليه، ولكنه هرب منهم، وفضل أن يعيش مغموراً مع الفقراء من شيعة علي عليه السلام، حتى إذا وصلت الخلافة لعلي عليه السلام نهض معه، وشارك في حروبه، واستشهد تحت رايته في صفين.. وقبره هناك إلى جانب قبر عمار بن ياسر، في مدينة الرقة السورية، وقد وفقنا الله لزيارته.

والمأمل في النصوص الواردة في مصادر السنيين في أويس، يلاحظ فيها تناقضاً كثيراً، نشأ من أنهم أرادوا أن يغطوا على فراره من عمر، وامتناعه من الدعاء له والاقامة عنده، فوضعوا أحاديث عن لقائه به، يناقض بعضها بعضاً!

كما أن شهادة أويس في صفين مع علي عليه السلام، كانت حجة لعلي والمسلمين على أن معاوية وحزبه هم أهل الباطل، والفئة الباغية التي أخبر النبي صلى الله عليه وآله أنها تقتل عمار بن ياسر رحمه الله.

لذلك حاول الأمويون وأتباعهم أن ينفوا أصل بشاره النبي صلى الله عليه وآله بأويس، ومكانته المميزة عند الله تعالى!

ثم عندما عجزوا عن ذلك حاولوا أن ينفوا أنه قتل في صفين، وادعوا أنه توفي في طريقه إلى الشام، وجعلوا له في الشام قبراً ومزاراً!!

اويس خير التابعين

روى مسلم في صحيحه: ٧/١٨٨:

عن عمر بن الخطاب قال: إني سمعت رسول الله (ص) يقول: إن خير التابعين رجل يقال له أويس، وله والدَةٌ هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، وكان به بياض فبرئ... وستأتي بقية الحديث.

ورواه أحمد في مسنده: ١/٣٨

وروى ابن سعد الطبقات: ٦/١٦١:

قال أخبرنا مسلم بن إبراهيم قال: حدثنا سلام بن مسكين قال: حدثني رجل قال: قال رسول الله (ص): خليلي من هذه الأمة أويس القرني.

قال أخبرنا عفان بن مسلم قال: حدثنا حماد بن سلمة عن سعيد الجريري، عن أبي نضرة، عن أسير بن جابر أن عمر، أنه قال لأويس: استغفر لي.

قال: كيف أستغفر لك وأنت صاحب رسول الله (ص)؟!؟

قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: إن خير التابعين رجل يقال له أويس.

ورواه الحاكم في المستدرک: ٣/٤٠٢ ورواه الخطيب في الجمع والتفريق: ١/٤٨٠ ورواه ابن معين في تاريخه (رواية الدورى): ١/٣٢٤

ونحوه في الجامع الصغير: ٣ حديث رقم ٤٠٠١

وروى أبو نعيم في حلية الأولياء: ٢/٨٦:

حدثنا أبو بكر بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، ثنا علي بن حكيم، أخبرنا شريك، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الرحمن

بن أبي ليلى قال: نادى رجل من أهل الشام يوم صفين: أفيكم أويس القرني؟

قال: قلنا نعم، وما تريده منه؟

قال: إني سمعت رسول الله (ص) يقول: أويس القرني خير التابعين بإحسان. وعطف دابته فدخل مع أصحاب علي رضي الله تعالى عنهم.

وقال أبو نعيم في الحلية: ٢/٨٢، بعد حديث عن أويس: فهذا ما أتانا عن أويس خير التابعين... انتهى.

وقال في كنز العمال: ١٢/٧٣:

إن خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدته هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، وكان به بياض فبرئ، فمروه فليستغفر لكم (م. عن عمر)...

خير التابعين أويس (ك. عن علي).

خير التابعين أويس القرني (ك عن علي، ق، كر عن رجل). انتهى.

وقد وردت صفة (خير التابعين) في أحاديث أخرى، كما سيأتي.

خير التابعين صارت: من خير التابعين

قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠/٢٢:

عن ابن أبي ليلى قال: نادى رجل من أهل يوم صفين: أفيكم أويس القرني؟

قالوا: نعم.

قال سمعت رسول الله (ص) يقول: من خير التابعين أويس. رواه أحمد، وإسناده جيد. انتهى.

ورواه في تاريخ ابن معين رواية الدوري: ١/٣٢٤

وفي طبقات ابن سعد: ٦/١٦١:

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: نادى رجل من أهل الشام يوم صفين فقال: أفيكم أويس القرني؟ قالوا نعم، قال إني سمعت رسول الله (ص) يقول: إن من خير التابعين أويساً القرني، ثم ضرب دابته فدخل فيهم.

ورواه اللالكائي في كرامات الأولياء/١٠٩، بطريقتين.

وفي كنز العمال: ١٢/٧٣:

إن من خير التابعين أويس القرني (حم، وابن سعد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن رجل من الصحابة، حم، كر، عن رجل). انتهى.

راجع للتدقيق: طبقات ابن سعد: ٦/١١٣، وميزان الاعتدال: ١/٢٧٩ و ٢٨٢، ولسان الميزان: ١/٤٧٢، وسير أعلام النبلاء: ٤/٢١، وتاريخ

الإسلام للذهبي: ٣/٥٥٦، والبداية والنهاية: ٦/٢٢٥.

راجع أيضاً: أسد الغابة: ١/١٥١، وأعلام النبلاء: ٤/٢٠، وكنز العمال: ١٢/٧٤

هل أن كلمة (من) إضافة أموية

من الطبيعي أن تكون قصة الرجل الذي سأل عن أويس في صفين، وشهادة الرسول صلى الله عليه وآله التي رواها في حقه وحق علي عليه السلام، واحدة من الحجج التي استعملها المسلمون لإثبات أن معاوية وأهل الشام على الباطل.

ويبدو أن الأحاديث في عمار بن ياسر وأنه تقتله الفئة الباغية، والأحاديث في أويس، لم يكن لها جواب عند مؤيدي معاوية، ولكن بعد سيطرته على بلاج المسلمين عمل على تضييق هذه الأحاديث وإبطال مفعولها.

ويظهر أن البصريين كانوا أكثر استجابة له من الكوفيين، فقد قال ابن أبي الوفاء في الجواهر المضية في طبقات الحنفية/٤١٩:
أهل المدينة يقولون أفضل التابعين سعيد بن المسيب، وأهل الكوفة أويس القرني، وأهل البصرة الحسن البصري. انتهى.
وقد حاول النووي أن يوفق بين رواية مسلم وبين قول لأحمد بن حنبل! فقال في شرح مسلم - بهامش السارى: ٩/٤٢٩:
قوله (ص) خير التابعين رجل يقال له أويس... وقد يقال: قد قال أحمد بن حنبل وغيره: أفضل التابعين سعيد بن المسيب!
والجواب: أن مرادهم أن سعيد أفضل في العلوم الشرعية.. لا في الخير. انتهى.

وهذا النوع من العمل كثير عند الفقهاء السنيين، فتراهم يتركون الرواية التي صحت عندهم عن نبيهم صلى الله عليه وآله - وهي تقول هنا إن أويساً خير التابعين مطلقاً، ولا تقيد ذلك بناحية دون ناحية - لكي يصححوا قول شخص في مقابل حديث رسول الله صلى الله عليه وآله!!

كان أويس أسمر اللون جسيماً مهيماً

في حلية الأولياء: ٢/٨٢، عن النبي صلى الله عليه وآله:

يا أبا هريرة إن الله تعالى يحب من خلقه الأصفياء الأخفاء الأبرياء، الشعثه رؤوسهم، المغبرة وجوههم، الخمصة بطونهم إلا من كسب الحلال، الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم، وإن خطبوا المتنعمات لم ينكحوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، وإن حضروا لم يدعوا، وإن طلوعوا لم يفرح بطلعتهم، وإن مرضوا لم يعادوا، وإن ماتوا لم يشهدوا.

قالوا: يا رسول الله كيف لنا برجل منهم؟

قال: ذاك أويس القرني.

قالوا: وما أويس القرني؟

قال: أشهل، ذو صهوبة، بعيد ما بين المنكبين، معتدل القامة، آدم شديد الأدمة ضارب بذقنه إلى صدره، رام بذقنه إلى موضع سجوده، واضح يمينه على شماله يتلو القرآن، يبكي على نفسه، ذو طمرين لا- يؤبه له، مترز بإزار صوف ورداء صوف، مجهول في أهل الأرض معروف في أهل السماء، لو أقسم على الله لأبر قسمه.

ألا وإن تحت منكبه الأيسر لمعة بيضاء، ألا وإنه إذا كان يوم القيامة قيل للعباد ادخلوا الجنة، ويقال لأويس قف فاشفع، فيشفع الله عز وجل في مثل عدد ربيعة ومضر.

وفي حلية الأولياء: ٢/٨٤:

عن هرم بن حيان العبدى قال: قدمت الكوفة فلم يكن لي هم إلا أويس، أسأل عنه فدفعت إليه بشاطئ الفرات يتوضأ ويغسل ثوبه، فعرفته بالنعث فإذا رجل آدم مخلوق الرأس كثر اللحية مهيب المنظر، فسلمت عليه ومددت إليه يدي لأصافحه، فأبى أن يصافحني! فخنقتني العبرة لما رأيت من حاله، فقلت: السلام عليك يا أويس، كيف أنت يا أخي؟

قال: وأنت فحياك الله يا هرم بن حيان، من ذلك على؟

قلت: الله عز وجل.

قال: سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً.

قلت: يرحمك الله من أين عرفت اسمي واسم أبي، فوالله ما رأيتك قط، ولا رأيتني!

قال: عرفت روحى روحك، حيث كلمت نفسى، لأن الأرواح لها أنفوس كأنفوس الأجساد وإن المؤمنين يتعارفون بروح الله عز وجل وإن نأت بعد بهم الدار وتفرقت بهم المنازل! انتهى، ونحن نشك في شهادة هرم لنفسه عن لأن أويس!

ورواهما في سير أعلام النبلاء: ٤/٢٨

صورة من نزاحم المسلمين على أويس

روى الحاكم: ٢/٣٦٥، وصححه:

أخبرني الحسن بن حليم المروزي، ثنا أبو الموجه، أنبا عبدان، أنبا عبد الله بن المبارك، أنبا جعفر بن سليمان، عن الجريري، عن أبي نصره العبدى، عن أسير بن جابر قال: قال لى صاحب لى وأنا بالكوفة: هل لك فى رجل تنظر إليه؟ قلت نعم، قال هذه مدرجته وإنه أويس القرنى، وأظنه أنه سيمر الآن. قال: فجلسنا له فمر، فإذا رجل عليه سمل قطيفة، قال والناس يطؤون عقبه، قال وهو يقبل فيغلظ لهم ويكلمهم فى ذلك فلا ينتهون عنه، فمضينا مع الناس، حتى دخل مسجد الكوفة ودخلنا معه، فتنحى إلى سارية فصلى ركعتين، ثم أقبل إلينا بوجهه فقال: يا أيها الناس مالى ولكم، تطؤون عقبى فى كل سكة، وأنا إنسان ضعيف، تكون لى الحاجة فلا أقدر عليها معكم، لا تفعلوا رحمكم الله، من كانت له إلى حاجة فليلقنى هاهنا.

شعاره الصدق والجد فى أمر الله تعالى

فى مستدرک الحاكم: ٣/٤٠٥:

أخبرنا أبو العباس السيارى، ثنا عبد الله بن على، ثنا على بن الحسن، ثنا عبد الله بن المبارك، أنا يزيد بن يزيد البكرى قال: قال أويس القرنى: كن فى أمر الله كأنك قتلت الناس كلهم. انتهى. ومعنى كلامه رحمه الله: أن خوف الله تعالى يجب أن يكون فى نفس المؤمن بدرجة عالية، كأن فى رقبته قتل الناس كلهم، ليكون فى تصرفاته مثل القاتل الملاحق دقيقاً حذراً متقياً، وشعوره بالمسؤولية أمام الله تعالى عميقاً. وروى نحوه البيهقى فى شعب الإيمان: ١/٥٢٤

و هو صاحب مدرسة فى شكر نعم الله تعالى

فى كتاب المجروحين لابن حبان: ٣/١٥١:

أخبرنا رسول الله (ص) أنه سيكون فى التابعين رجل من قرن يقال له أويس بن عامر، يخرج به وضح فيدعو الله أن يذهب عنه فيذهبه فيقول: اللهم دع لى من جسدى ما أذكر به نعمتك على، فيدع الله له ما يذكره نعمته عليه، فمن أدركه منكم فاستطاع أن يستغفر له، فليستغفر له. انتهى. وقد وردت هذه القصة فى أحاديثه، كما سترى.

زاهد يضرب بزهده المثل

فى حلية الأولياء: ٢/٨٧:

عن علقمة بن مرثد قال: انتهى الزهد إلى ثمانية: عامر بن عبد الله بن عبد قيس، وأويس القرنى، وهرم بن حيان، والربيع بن خيثم، ومسروق بن الأجدع، والأسود بن يزيد، وأبو مسلم الخولانى، والحسن بن أبى الحسن. انتهى. وهو يقصد بالأخير الحسن البصرى. وفى سير أعلام النبلاء: ٤/١٩: هو القدوة الزاهد، سيد التابعين فى زمانه، أبو عمرو، أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرنى المرادى اليمانى. وقال فى هامش سير أعلام النبلاء: ١٨/٥٥٨:

ذكر ابن خلكان في الوفيات: ٢/٢٦٣ أن الذي ضرب به الحريري المثل في المقامات هو ديبس بن صدقة بن منصور بن ديبس بن علي بن مزيد الأسدي المتوفى سنة ٥٢٩، من أحفاد المترجم، وقد وهم المؤلف في ذلك، وأورد ذكره الحريري في المقامة التاسعة والثلاثين وهي المقامة العمانية، وفيها يصف كيف أحاطت الجماعة بأبي زيد تثنى عليه، وتقبل يديه، حتى خيل إلى أنه القرنى أويس، أو الأسدي ديبس. انظر مقامات الحريري/٣٤٢ (ط: صادر).

وفي لسان الميزان: ١/٤٧١:

قال ابن عدى ثنا الحسن بن سفيان، ثنا عبد العزيز بن سلام، سمعت اسحاق بن ابراهيم يقول: ما شبهت عدى بن سلمة الجزرى إلا بأويس القرنى تواضعاً. وذكره في ميزان الاعتدال: ١/٢٧٩.

زاهد يحمل هم الفقراء و يتصدق عليهم حتى بطعامه و ثيابه

في مستدرک الحاكم: ٣/٤٠٦:

أخبرني أبو العباس قاسم بن القاسم السيارى بمرو، ثنا عبد الله بن علي، ثنا علي بن الحسن، ثنا عبد الله بن المبارك، أنا سفيان الثوري قال: كان لأويس القرنى رداء إذا جلس مس الأرض، وكان يقول: اللهم إني أعتذر إليك من كل كبد جائع و جسد عار، وليس لي إلا ما على ظهري وفي بطني.

ورواه البيهقي في شعب الإيمان: ١/٥٢٤

وفي حلية الأولياء: ٢/٨٧:

عبيد الله بن عبد الكريم ثنا سعيد بن أسد بن موسى ضمرة بن ربيعة عن أصبغ بن زيد قال: كان أويس القرنى إذا أمسى يقول هذه ليلة الركوع، فيركع حتى يصبح.

وكان يقول إذا أمسى: هذه ليلة السجود، فيسجد حتى يصبح.

وكان إذا أمسى تصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والثياب، ثم يقول: اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذني به، ومن مات عرياناً فلا تؤاخذني به.

وفي سير أعلام النبلاء: ٤/٢٩:

عبد الله بن أحمد: حدثني عثمان بن أبي شيبة، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن مغيرة، قال: إن كان أويس القرنى ليتصدق بثيابه، حتى يجلس عرياناً لا يجد ما يروح فيه إلى الجمعة.

عبد الرحمن بن مهدي: حدثنا عبد الله بن الأشعث بن سوار، عن محارب بن دثار قال قال النبي (ص): إن من أمتي من لا يستطيع أن يأتي مسجده أو مصلاه من العري يحجزه إيمانه أن يسأل الناس، منهم أويس القرنى، وفرات بن حيان.

(ورواه في كنز العمال: ١٢/٧٤ وقال: حم، في الزهد، حل عن محارب بن دثار وعن سالم بن أبي الجعد).

أبو نعيم: حدثنا مخلد بن جعفر، حدثنا ابن جرير، حدثنا محمد بن حميد، حدثنا زافر بن سليمان، عن شريك عن جابر، عن الشعبي قال: مر رجل من مراد علي أويس القرنى فقال: كيف أصبحت؟

قال: أصبحت أحمد الله عز وجل.

قال: كيف الزمان عليك؟

قال: كيف الزمان علي رجل إن أصبح ظن أنه لا يمسي، وإن أمسى ظن أنه لا يصبح، فمبشر بالجنة أو مبشر بالنار. يا أخا مراد إن الموت لم يترك لمؤمن فرحاً... لم يترك له صديقاً... الخ.

وكان إذا أمسى تصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والشراب، ثم قال: اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذني به، ومن مات عرياناً فلا

تؤاخذني به. (الحلية ٢/٨٣)

وفي حلية الأولياء: ٢/٨٤:

حدثنا أبو بكر بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي وعبيد الله بن عمر قالوا: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، ثنا عبد الله بن الأشعث بن سوار، عن محارب بن دثار قال: قال رسول الله (ص): إن من أمتي من لا يستطيع أن يأتي مسجده أو مصلاه من العري، يحجزه إيمانه أن يسأل الناس! منهم أويس القرني وقرات بن حيان.

حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، ثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا أبو بكر بن عياش، عن مغيرة قال: وكان أويس القرني ليتصدق بثيابه حتى يجلس عرياناً لا يجد ما يروح فيه. أي إلى الجمعة.

وفي كتاب الزهد للشيباني/٣٤٦:

حدثنا عبد الله، حدثني عثمان بن أبي شيبة، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن مغيرة قال: إن أويس القرني ليتصدق بثيابه حتى يجلس عرياناً لا يجدها يروح فيه إلى الجمعة.

وفي لسان الميزان: ١/٤٧٤:

سفيان الثوري: حدثني قيس بن يسير بن عمرو، عن أبيه أن أويساً القرني عرى غير مرة فكساه أبي، قال وكان أويس يقول: اللهم لا تؤاخذني بكبد جائعة، أو جسد عار.

وفي صفحة ٢٨٠: وقال ضمرة بن ربيعة، عن عثمان بن عطاء الخراساني، عن أبيه، قال: كان أويس يجالس رجلاً من فقهاء الكوفة يقال له يسير ففقدته، فإذا هو في خص له قد انقطع من العري... وذكره في ميزان الاعتدال: ١/٢٨٢، وفي سير أعلام النبلاء: ٢٩٤ - ٣٣. انتهى.

وهذه النصوص تكشف عن الفقر الشديد الذي كانت تعيشه طبقة واسعة من المجتمع الإسلامي، وأن أموال الفتوحات صرفت في

الطريق قبل أن تصل إليها، فكان بعضها لا يملك حتى ثوبين مناسبين يتستر بهما، بل كان فيهم من يموت من الجوع!!

ولذلك كان أويس يدعو الله تعالى أن لا يؤاخذ به عري العارين، وجوع الجائعين، لأنه لا يملك إلا ثوبيه اللذين يلبسهما، ولا يملك إلا ما في بطنه من طعام، وكل ما يحصل عليه من عمله ومن هدايا الناس، كان يعطيه لهؤلاء للفقراء!!

وهي تدل أيضاً على أن زهد أويس كان زهداً واعياً يحمل هم الفقراء، وكان يحمل مسؤولية فقرهم وبؤسهم للخليفة والدولة، والطبقة المترفة التي كونت ثروتها من الفتوحات، وكانت تنقم من أويس أنه يهتم بهم، ويأمر من أجلهم بالمعروف وينهى عن المنكر، وسيأتي رأيه في الخلفاء غير علي عليه السلام وما لاقاه منهم!

و قد ربي أويس تلاميذ علي سيرته

في مستدرک الحاكم: ٣/٤٠٨:

حدثني أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه، ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، ثنا يحيى بن معين، حدثني أبو عبيدة الحداد، ثنا أبو مكين قال: رأيت امرأة في مسجد أويس القرني قالت: كان يجتمع هو وأصحاب له في مسجدهم هذا، يصلون ويقرؤون في مصاحفهم فأتى غداءهم وعشاءهم هاهنا، حتى يصلوا الصلوات، قالت: وكان ذلك دأبهم ما شهدوا حتى غزوا، فاستشهد أويس وجماعته من أصحابه في الرجالة بين يدي علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

رأيه في الحكام غير علي

قال الشاطبي في الإعتصام: ١/٣٠:

نقل عن سيد العابدين بعد الصحابة أويس القرني أنه قال: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يدع للمؤمن صديقاً، تأمرهم بالمعروف فيشتمون أعراضنا!! ويجدون على ذلك أعواناً من الفاسقين!!
وفي مستدرک الحاكم: ٣/٤٠٥:

حدثنا أحمد بن زياد الفقيه الدامغاني، ثنا محمد بن أيوب، أنا أحمد بن يونس، ثنا أبو الأحوص، حدثني صاحب لنا قال: جاء رجل من مراد إلى أويس القرني فقال السلام عليكم، قال وعليكم.

قال: كيف أنتم يا أويس؟

قال: الحمد لله.

قال: كيف الزمان عليكم؟

قال: لا تسأل! الرجل إذا أمسى لم ير أنه يصبح، وإذا أصبح لم ير أنه يمسي!

يا أخا مراد، إن الموت لم يبق لمؤمن فرحاً.

يا أخا مراد، إن عرفان المؤمن بحقوق الله لم تبق له فضة ولا ذهباً.

يا أخا مراد، إن قيام المؤمن بأمر الله لم يبق له صديقاً! والله إنا لتأمرهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر فيتخذوننا أعداء، ويجدون على ذلك من الفاسقين أعواناً، حتى والله لقد يقذفوننا بالعظائم، والله لا يمنعني ذلك أن أقول بالحق!! انتهى.

وفي بحار الأنوار: ٦٨/٣٦٧:

أعلام الدين: روى عن أويس القرني رحمه الله قال لرجل سأله كيف حالك؟

فقال: كيف يكون حال من يصبح يقول: لا أمسى، ويمسي يقول: لا أصبح، يبشر بالجنة ولا يعمل عملها، ويحذر النار ولا يترك ما يوجبها.

والله إن الموت وغصصه وكرباته وذكر هول المطلع وأهوال يوم القيامة، لم تدع للمؤمن في الدنيا فرحاً، وإن حقوق الله لم تبق لنا ذهباً ولا فضة، وإن قيام المؤمن بالحق في الناس لم يدع له صديقاً، تأمرهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر فيشتمون أعراضنا، ويرموننا بالجرائم والمعائب والعظائم، ويجدون على ذلك أعواناً من الفاسقين!! إنه والله لا يمنعنا ذلك أن نقوم فيهم بحق الله!

اضطهاد مخبرات الخلافة لاويس

يفهم من نصوص أويس أن سلطة الخلافة لم تتحمل منه ابتعاده عن الحكام وامتناعه أن يستغفر لهم ثم أمره إياهم بالمعروف ونهيه عن المنكر، وتعريضه وإعلانه بسيرته ودعائه كل يوم أنهم مسؤولون عن جوع الجائعين وعرى العارين.. وكأنه بذلك يقول للناس إنهم لا يصلحون للحكم باسم رسول الله صلى الله عليه وآله!!

لقد عبر هذا الولي الذي هو آية من آيات الله تعالى، ومعجزة من معجزات رسوله بكلماته القليلة عن محنته ومعاناته من مخبرات السلطة في زمن عمر وأبي بكر وعثمان، ولم يكن ذنبه أنه نافس أحداً في سلطان، ولا جمع حوله قبيلته قرن وكون منهم قوة سياسية تطالب بحصة من أموال الفتوحات.. بل كان يعيش عيشة الفقراء مع الفقراء، ويعبد ربه عز وجل، ويأمر بالمعروف وينهى المنكر..

ولكن السلطة مع ذلك لم تتركه، فاتخذته عدواً! وسلطت عليه الفساق واتهمته بالعظائم والجرائم والمعائب، على حد تعبيره!!

ولهذا ينبغي أن نبحت عن السلطة وراء كل ما نشك فيه من روايات أويس، ومن أولها الروايات التي تقول أن القرنين سئلوا عنه فلم يعرفوه، والتي احتج بها البخاري على تضعيف أويس، وعدم قبول روايته!!

فكيف يتعقل إنسان أن شخصية بمستوى أويس، كان يبحث عنه الخليفة عمر، وكل أمله أن ينطق له بكلمة (غفر الله لك) لأن الرسول صلى الله عليه وآله قال له إن استطعت أن تستغفر لك فهنيئاً لك!! ثم لا يكون معروفاً عند القرنين وكل اليمانيين وموضع افتخارهم؟!!

إن نفى القرنين لمعرفةهم بأويس وتشكيكهم بنسبه، إما أن يكون مكذوباً، وإما أن تكون السلطة قد شوهدت سمعةً أويس وعزلته، حتى اضطر بعض القرنين من قبيلته الصغيرة أن ينكروا أنه منهم!!

وتدل الروايات على أن سلطة الخلافة لم تستطع الانتقام من أويس مباشرة، بسبب مكانته في قلوب المسلمين.. ولذلك اتبعت أسلوب إيذائه وتحقيره، ووكلت به رجلاً حكومياً من عشيرته، يؤذيه ويشيع التهم حول شخصيته ونواياه، وأنه رجل مراء ومجنون!!

فابن عمه الذي ورد أنه كان من رجال حاكم الكوفة، وكان مولعاً بأويس يشتمه ويؤذيه.. كان واحداً من عملاء السلطة المكلفين بتحقيق أويس وأذيته، لاسقاط شخصيته ومنع تأثيره على المسلمين!

فقد روى الحاكم في المستدرک: ٣/٤٠٤ عن أسير بن جابر، قال:

فكنا نجتمع في حلقة فنذكر الله، وكان يجلس معنا، فكان إذا ذكرهم وقع حديثه من قلوبنا موقعاً لا يقع حديث غيره، ففقدته يوماً فقلت لجليس لنا: ما فعل الرجل الذي كان يقعد الينا، لعله اشتكى؟

فقال: الرجل من هو؟

فقلت: من هو؟

قال: ذاك أويس القرني.

فدللت على منزله فأتيته فقلت يرحمك الله أين كنت، ولم تركتنا؟

فقال: لم يكن لي رداء، فهو الذي منعي من إتيانكم!

قال: فألقيت إليه ردائي، فخذفه إلي!

قال فتخاليت ساعة، ثم قال:

لو أني أخذت رداءك هذا فلبسته فرآه على قومي قالوا انظروا إلى هذا المرائي لم يزل في الرجل حتى خدعه وأخذ رداءه!!

فلم أزل به حتى أخذه، فقلت: انطلق حتى أسمع ما يقولون!

فلبسه فخرجنا، فمر بمجلس قومه فقالوا: انظروا إلى هذا المرائي لم يزل بالرجل حتى خدعه وأخذ رداءه!!

فأقبلت عليهم فقلت: ألا تستحيون؟! لم تؤذونه؟! والله لقد عرضته عليه فأبى أن يقبله.

وروى ابن حبان في المجروحين: ٣/١٥١:

عن صعصعة بن معاوية قال: كان أويس بن عامر رجلاً من قرن، وكان من أهل الكوفة وكان من التابعين، فخرج وبه وضح، فدعا الله

أن يذهب عنه فأذهب فقال: اللهم دع في جسدي ما أتذكر به نعمتك. فترك الله منها ما يذكر به نعمته عليه، وكان رجلاً يلازم المسجد

في ناس من أصحابه، وكان ابن عم له يلزم السلطان تولع به، فإن رآه مع قوم أغنياء قال ما هو إلا يشاكلهم! وإن رآه مع قوم فقراء، قال

ما هو إلا يخدعهم!

وأويس لا يقول في ابن عمه إلا خيراً!! غير أنه إذا مر به استتر منه مخافةً أن يأثم في سبه! انتهى.

وستأتي بقيته في روايات لقائه بعمر بن الخطاب.

أويس من شيعة علي

في مسند أحمد: ٣/٤٨٠:

حدثنا عبد الله، حدثني أبي، ثنا أبو نعيم قال: ثنا شريك، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: نادى رجل من أهل

الشام يوم صفين:

أفيكم أويس القرني؟

قالوا: نعم.

قال: سمعت رسول الله (ص): إن من خير التابعين أويساً القرنى. انتهى. وقد رواه أبو نعيم فى الحلية: ٢/٨٦ وقال فى مجمع الزوائد: ١٠/٢٢: رواه أحمد وإسناده جيد ورواه ابن سعد فى الطبقات: ٦/١٦٣ واللالكائى فى كرامات الأولياء/١٠٩ وابن معين فى تاريخه (رواية الدورى): ١/٣٢٤ واللواتى فى تحفة النظار: ٢/١٩٠

ورواه أبو نعيم فى الحلية: ٢/٢٢١، وقال بعده:

ورواه جماعة عن شريك، وقال ابن عمار الموصلى: ذكر عند المعافى بن عمران أن أويساً قتل فى الرجالة مع على بصفين، فقال معافى: ما حدث بهذا إلا الأعرج! فقال له عبد ربه الواسطى: حدثنى به شريك، عن يزيد، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى! قال: فسكت!! انتهى.

ورواه كذلك فى الإصابة: ١/٢٢١:

وقد تقدمت روايته عند الحاكم عن أبى مكين.

ورواه أبو نعيم أيضاً بذلك فى صفحة ٢٢٢، ثم قال:

ومن طريق الأصمغ بن نباتة قال: شهدت علياً يوم صفين يقول من يبايعنى على الموت، فبايعه تسعة وتسعون رجلاً فقال: أين التمام؟ فجاءه رجل عليه أطمار صوف، مخلوق الرأس فبايعه على القتل، فقيل: هذا أويس القرنى، فما زال يحارب حتى قتل.

ورواه الحاكم فى: ٣/٤٠٢، فقال:

حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا العباس بن محمد الدورى، ثنا أبو نعيم، ثنا شريك، عن يزيد بن أبى زياد، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال: لما كان يوم صفين نادى مناد من أصحاب معاوية أصحاب على: أفيكم أويس القرنى؟ قالوا: نعم.

فضرب دابته حتى دخل معهم، ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: خير التابعين أويس القرنى. انتهى.

ورواه الذهبى فى تاريخ الإسلام: ٣/٥٥٦، بنحو رواية أحمد، قال:

عن ابن أبى ليلى قال: إن أويساً شهد صفين مع على، ثم روى عن رجل أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أويس خير التابعين بإحسان.

ورواه فى سير أعلام النبلاء: ٤/٣١، بنحو رواية الحاكم، قال:

شريك، عن يزيد بن أبى زياد، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال: نادى رجل من أهل الشام يوم صفين: أفيكم أويس القرنى؟ قلنا نعم وما تريد منه؟

قال: إنى سمعت رسول الله (ص) يقول: أويس القرنى خير التابعين بإحسان، وعطف دابته فدخل مع أصحاب على (رض). رواه عبد الله بن أحمد، عن على بن حكيم الأودى، أنبأنا شريك. وزاد بعض الثقات فيه عن يزيد، عن ابن أبى ليلى، قال: فوجد فى قتلى صفين.

وكذا رواه فى أسد الغابة: ٥/٣٨٠ وروته مصادرنا بنحوه فى اختيار معرفة الرجال: ٣١٤١، وشرح الأخبار: ٢/٣، ومعجم رجال الحديث: ٤/١٥٤، وجامع الرواة: ١/١١٠، وغيرها.

صاحب البصيرة الزاهد، شجاع مجاهد

فى ميزان الاعتدال: ١/٢٨١:

وقال فضيل بن عياض: أخبرنا أبو قرعة السدوسى، عن سعيد بن المسيب قال: نادى عمر بمنى على المنبر: يا أهل قرن، فقام مشايخ، فقال: أفيكم من اسمه أويس؟

فقال شيخ: يا أمير المؤمنين ذاك مجنون يسكن القفار والرمال.

قال: ذاك الذى أعنيه، إذا عدتم فاطلبوه وبلغوه سلامى.

فعادوا إلى قرن، فوجدوه فى الرمال، فأبلغوه سلام عمر وسلام رسول الله (ص)، فقال: عرفنى أمير المؤمنين، وشهر اسمى، ثم هام على وجهه، فلم يوقف له بعد ذلك على أثر دهر، ثم عاد فى أيام على فقاتل بين يديه فاستشهد بصفين، فنظروا فإذا عليه نيف وأربعون جراحة. انتهى.

راجع أيضاً: لسان الميزان: ١/٤٧٤، وتاريخ الإسلام للذهبي: ٣/٥٥٨، وسير أعلام النبلاء: ٤/٣٢

وفى مستدرک الحاكم: ٢/٣٦٥:

قال ثم قال أويس: إن هذا المجلس يغشاه ثلاثة نفر: مؤمن فقيه، ومؤمن لم يتفقه ومنافق... لم يجالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه زيادة أو نقصان، ففضاء الله الذى قضى شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً. اللهم ارزقنى شهادة تسبق كسرتها أذاها، وأمنها فزعها، تؤوب الحياة والرزق. ثم سكت.

قال أسير فقال لى صاحبي: كيف رأيت الرجل؟

قلت ما ازددت فيه إلا رغبة، وما أنا بالذى أفارقه، فلزمانه فلم نلبث إلا يسيراً حتى ضرب على الناس بعث أمير المؤمنين على (رض)، فخرج صاحب القطيفة أويس فيه، وخرجنا معه فيه، وكنا نسير معه وننزل معه، حتى نزلنا بحضرة العدو.

قال ابن المبارك: فأخبرنى حماد بن سلمة، عن الجريري، عن أبى نضرة، عن أسير بن جابر قال: فنادى على (رض): يا خيل الله اركبى وأبشرى.

قال فصف الثلثين لهم، فانتضى صاحب القطيفة أويس سيفه حتى كسر جفنه فألقاه، ثم جعل يقول:

يا أيها الناس: تموا تموا، ليتمن وجوه ثم لا تنصرف حتى ترى الجنة.

يا أيها الناس تموا تموا، جعل يقول ذلك ويمشى وهو يقول ذلك ويمشى إذ جاءته رمية فأصابت فؤاده فبرد مكانه، كأنما مات منذ دهر.

قال حماد فى حديثه فواريناه فى التراب. هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه السياقة.

نسب أويس القرنى و نسبه

قال الطبرى فى تاريخه: ١٠/١٤٥:

وأويس القرنى من مراد، وهو يحابر بن مالك بن مذحج، وهو أويس بن عامر بن جزء بن مالك بن عمرو بن سعد بن عصوان بن قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد، وهو يحابر بن مالك.

وقال الجوهرى: ٦/٢١٨١:

والقرن: موضع، وهو ميقات أهل نجد، ومنه أويس القرنى.

وقال فى هامشه: القرن هنا بتسكين الراء، وأما أويس القرنى فليس منسوباً إلى ميقات أهل نجد، وإنما نسبه إلى بنى قرن، بطن من مراد من اليمن.

وقال الخليل فى كتاب العين: ٥/١٤٢:

وقرن: حى من اليمن، منهم أويس القرنى.

وقال السمعانى فى الانساب: ٤/٤٨١:

القرنى: بفتح القاف والراء وكسر النون.. هذه النسبة إلى قرن، وهو بطن من مراد، يقال له قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد، نزل اليمن،

والمشهور بهذه النسبة المعروف في الأقطار: أويس بن عامر القرني، وقصته في الزهد معروفة، وقال الدار قطنى: قرن، بفتحيتين، فهو فيما ذكر ابن حبيب، قال: فى مراد، قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد، قوم أويس بن عامر القرني الزاهد. والموضع الذى يحرم منه أهل نجد يقال له: قرن المنازل، بسكون الراء. وأويس سكن الكوفة، وكان عبداً زاهداً. وفى أسد الغابة: ١/١٥١:

أويس بن عامر بن جزء بن مالك بن عمرو بن مسعدة بن عمرو بن سعد بن عصوان بن قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد المرادى ثم القرني، الزاهد المشهور، هكذا نسبة ابن الكلبي، أدرك النبي (ص)، ولم يره، وسكن الكوفة وهو من كبار تابعيها. وفى إكمال الكمال: ٧/١١٣:

أما قرن بفتح القاف والراء ففى مراد، قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد. منهم أويس بن عمرو القرني الزاهد وغيره. وفى صفحة ١٤٢: أويس بن عمرو القرني، ويقال ابن عامر.

وفى تهذيب التهذيب: ١/٣٣٧:

(مسلم) أويس بن عامر القرني المرادى سيد التابعين.

وفى هامشه: قال فى التقريب المغنى: القرني بفتح القاف والراء بعدها نون، نسبة إلى قرن بن رومان، والمرادى بمضمومة وخفة راء ودال مهملة، نسبة إلى مراد. اسمه يحابر بن مالك. اه.

وفى سير أعلام النبلاء: ٤/١٩:

أويس القرني، هو القدوة الزاهد، سيد التابعين فى زمانه، أبو عمرو، أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني المرادى اليماني. وقرن بطن من مراد. انتهى.

وبذلك يتضح أن نسبته (القرني) بفتح الراء إلى قبيلة يمانية، وليس إلى قرن المنازل بسكون الراء، وقد اشتبه ذلك على الجوهري وغيره، كما نص عليه ابن الأثير وغيره.

راجع أيضاً: اختيار معرفة الرجال/٣١٤، والتحرير الطاووسى/٧٤، وطرائف المقال: ٢/١٩٢، ومجمع البحرين: ١/١٣١، والأعلام: ١/٣٧٥، والبداية والنهاية: ٦/٢٢٥.

وبهذا يتضح أن أويساً عربى يمانى، ومن الطبيعى أن يكون أسمر اللون، ولكن بعض الروايات تذكر أنه كان آدم شديد الادمه، وكأنها تريد القول إنه كان أفريقيا أسوداً! فى محاولة لدم أويس فى ذلك المجتمع الأموى المتعصب ضد الأفارقة.

عشيرة الأويسات أو اللويسات السورية

فى معجم قبائل العرب: ٣/١٠١٩

اللويسات: من عشائر سهل الغاب بجسر الشغور، أحد أقضية محافظة حلب. ينتسبون إلى أويس القرني، وقد قطنوا الغاب فى القرن الحادى عشر، وقريتهم الحويجة، ويعدون ٣٢ بيتاً.

روايات لقائه بعمر و استغفاره له

قال مسلم فى صحيحه: ٧/١٨٨

عن عمر بن الخطاب قال: إني سمعت رسول الله (ص) يقول: إن خير التابعين رجل يقال له أويس، وله والده هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، وكان به بياض فبرئ، فمروه فليستغفر لكم...

كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم: أفياكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس فقال: أنت أويس بن عامر؟

قال: نعم.

قال: من مراد، ثم من قرن؟

قال: نعم.

قال: فكان بك برص فبرئت منه، إلا موضع درهم؟

قال: نعم.

قال: لك والدة؟

قال: نعم.

قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم. له والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل، فاستغفر لي، فاستغفر له...

عن أسير بن جابر أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس، فقال عمر: هل ها هنا أحد من القرنين؟ فجاء ذلك الرجل فقال عمر: إن رسول الله (ص) قد قال: إن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له أويس، لا يدع باليمن غير أم له، قد كان به بياض فدعا الله فأذهب عنه إلا موضع الدينار أو الدرهم، فمن لقيه منكم فليستغفر لكم.

وروى أحمد: ١/٣٨، رواية مسلم المطولة، وفيها:

قال له عمر (رض): استغفر لي.

قال: أنت أحق أن تستغفر لي، أنت صاحب رسول الله (ص).

فقال عمر (رض): إني سمعت رسول الله (ص) يقول: إن خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة وكان به بياض فدعا الله عز وجل فأذهب عنه إلا موضع الدرهم في سرتة، فاستغفر له ثم دخل في غمار الناس، فلم يدر أين وقع! قال: فقدم الكوفة قال وكنا نجتمع في حلقة فنذكر الله، وكان يجلس معنا، فكان إذا ذكر هو وقع حديثه من قلوبنا موقعا لا يقع حديث غيره. انتهى.

ورواه الحاكم في: ٣/٤٠٤، والبيهقي في الدلائل: ٦/٣٧٦، والذهبي في سير أعلام النبلاء: ٤/٢٠

وقال الحاكم في: ٣/٤٠٣:

وقد صحت الرواية بذلك عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) عن رسول الله صلى الله عليه وآله. أخبرناه أبو عبد الله محمد بن يعقوب الشيباني... فلما كان في العام المقبل حج رجل من أشرافهم فسأل عمر عن أويس كيف تركته؟ فقال: تركته رث البيت قليل المتاع، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل.

فلما قدم الرجل أتى أويساً فقال استغفر لي فقال: أنت أحدث الناس بسفر صالح فاستغفر لي.

فقال: لقيت عمر بن الخطاب؟

فقال: نعم.

قال فاستغفر له، قال ففطن له الناس، فانطلق على وجهه.

قال أسير: فكسوته برداً، فكان إذا رآه عليه إنسان قال من أين لاويس هذا؟!

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذه السياقة.

وروى نحوه في: ٣/٤٠٤، والذهبي في سير أعلام النبلاء: ٤/٢٠.

وفي طبقات ابن سعد: ٦/١١٣

عن أسير بن جابر قال: كان عمر بن الخطاب إذا أتت عليه أمداد اليمن سألهم أفيكم أويس بن عامر؟ فلما كان من العام المقبل حج

رجل من أشرفهم فوافق عمر فسأله عن أويس القرني، قال: سمعت رسول الله يقول يأتي عليك أويس بن عامر من أمداد أهل اليمن من مراد.. بر لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن تستغفر لك فافعل.. ورواه في سير أعلام النبلاء: ٤/٢٠ والبيهقي في شعب الإيمان: ٥/٣١٩، وابن كثير في البداية والنهاية: ٦/٢٢٥ وفي المجروحين لابن حبان: ٣/١٥١:

وكان عمر بن الخطاب يسأل الوفود إذا قدموا من الكوفة: هل تعرفون أويس بن عامر القرني؟ فيقولون: لا، فقدم وفد من أهل الكوفة فيهم ابن عمه فقال عمر: هل تعرفون أويس بن عامر القرني؟

فقال ابن عمه: يا أمير المؤمنين هو ابن عمي وهو رجل فاسد، لم يبلغ ما أن تعرفه أنت يا أمير المؤمنين!! فقال له عمر: ويلك هلكت ويلك هلكت، إذا أتيت فاقرئه مني السلام، ومره فليقدم إلي، فقدم الكوفة فلم يضع ثياب سفره عنه حتى أتى المسجد قال: فرأى أويساً فسلم به وقال: استغفر لي يا ابن عمي!

قال: غفر الله لك يا ابن عمي!

قال: وأنت يا أويس يغفر الله لك، أمير المؤمنين يقرئك السلام.

قال: ومن ذكرني لأمير المؤمنين؟

قال: هو ذكرك وأمرني أن أبلغك أن تفد إليه.

فقال: سمعا وطاعة لأمير المؤمنين! فوفد إليه حتى دخل على عمر فقال:

أنت أويس بن عامر؟

قال: نعم.

قال: أنت الذي خرج بك وضح فدعوت الله أن يذهب عنك فأذهبه فقلت: اللهم دع لي من جسدي ما أذكر به نعمتك؟

قال: نعم.

قال: أخبرنا رسول الله (ص) أنه سيكون في التابعين رجل من قرن يقال له أويس بن عامر، يخرج به وضح فيدعو الله أن يذهب عنه فيذهب، فيقول: اللهم دع لي من جسدي ما أذكر به نعمتك علي، فيدع الله له ما يذكره نعمته عليه، فمن أدركه منكم فاستطاع أن يستغفر له فليستغفر له. استغفر لي يا أويس بن عامر، فقال: غفر الله لك يا أمير المؤمنين.

قال آخر: استغفر لي يا أويس، وقال آخر: استغفر لي يا أويس، فلما أكثروا عليه انساب فذهب! فما رؤى حتى الساعة.

راجع أيضاً: الطبقات الكبرى ١١١/٦، الميزان ٤/٤٩٢، سير أعلام النبلاء: ٤/٢٥، كنز العمال: ١٤/١٠، الموضوعات لابن الجوزي ٤٣/٢. انتهى.

فهذه الروايات تدل على أن أويساً جاء من اليمن إلى الكوفة وسكن بها، قبل أن يعرفه عمر، مع أن طريقه تمر على الحجاز.

وتدل على أن ائداء السلطة له في الكوفة كان قبل مجيئه إلى المدينة، إلى عمر.

ومن البعيد أن حاكم الكوفة كان يجرو على مضايقة شخصية مثل أويس بدون رأى عمر، وإذا صحت رواية استدعائه له، فقد يكون الغرض محاولة كسبه، وأنها فشلت، لأنه أنسل من المدينة وهرب راجعاً إلى الكوفة بدون رضا عمر!

ولا بد أن مشكلته مع حاكم الكوفة ورجاله قد زادت أو بقيت على حالها!

وفي كنز العمال: ١٤/١٠:

عن صعصعة بن معاوية قال: كان عمر بن الخطاب يسأل وفد أهل الكوفة إذا قدموا عليه: تعرفون أويس بن عامر القرني؟ فيقولون: لا. وكان أويس رجلاً يلزم المسجد بالكوفة فلا يكاد يفارقه، وله ابن عم يغشى السلطان ويؤذى أويساً، فوفد ابن عمه إلى عمر فيمن وفد من أهل الكوفة، فقال عمر: أتعرفون أويس بن عامر القرني؟ فقال ابن عمه: يا أمير المؤمنين إن أويساً لم يبلغ أن تعرفه أنت، إنما هو

إنسان دون، وهو ابن عمي...

فقال له عمر: ويلك هلكت! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أنه سيكون في التابعين رجل يقال له أويس بن عامر القرني، فمن أدركه منكم فاستطاع أن يستغفر له فليفعل، فإذا رأيته فأقرئه مني السلام، ومره أن يفد إلى، فوفد إليه، فلما دخل عليه قال: أنت أويس بن عامر القرني؟ أنت الذي خرج بك وضح من برص فدعوت الله أن يذهب عنك فأذهب، فقلت اللهم أبق لي منه في جسدي ما أذكر به نعمتك؟ قال: وأنى دريت يا أمير المؤمنين؟ والله إن أطلعت على هذا بشراً! قال: أخبرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سيكون في التابعين رجل يقال له أويس بن عامر القرني، يخرج به وضح من برص فيدعو الله أن يذهب عنه فيفعل، فيقول: اللهم اترك في جسدي ما أذكر به نعمتك، فيفعل، فمن أدركه فاستطاع أن يستغفر له فليفعل، فاستغفر لي يا أويس. قال: غفر الله لك يا أمير المؤمنين! قال: ولك يغفر الله يا أويس بن عامر. فقال الناس: استغفر لنا يا أويس، فراغ، فما رئي حتى الساعة (ع، وابن منده، كر). وفي هامشه: راغ إلى كذا: مال إليه سرا وحاد (ع، وابن منده، كر) انتهى.

وفي هامشه: راغ إلى كذا: مال إليه سرا وحاد).

وقد روى قوله (فراغ فما رئي حتى الساعة) ابن حبان في المجروحين: ٣/١٥١، وفي لسان الميزان: ١/٤٧١..

روايات توجب الشك في استغفاره لعمر

الأمر الثابت في الروايات، والمنطقي أيضاً، أن عمر كان يبحث عن أويس لكي يستغفر له، كما تقدم.

بل في بعضها أنه كان يبحث عنه إلى آخر سنة من خلافته..

ففي طبقات ابن سعد: ٦/١١٣:

قال بن عون عن محمد قال: أمر عمر أن نرى رجلاً من التابعين أن يستغفر له، قال محمد: فأنبئت أن عمر كان ينشده في الموسم، يعنى أويساً.. انتهى.

وتدل الرواية التالية على أن أويساً لم ير عمر أبداً، وأنه بقي في اليمن إلى خلافة علي عليه السلام، ولم يقبل دعوة عمر للمجيء إلى المدينة!! وعندما وجدوه في اليمن وبلغوه سلام عمر وسلام الرسول صلى الله عليه وآله فقال له عمر: ويلك هلكت! إن رسول الله (ص) حدثنا أنه سيكون في التابعين رجل يقال له أويس بن عامر القرني، فمن أدركه منكم فاستطاع أن يستغفر له فليفعل، فإذا رأيته فاقراءه مني السلام، ومره أن يفد إلى، فوفد إليه، فلما دخل عليه قال:

أنت أويس بن عامر القرني؟ أنت الذي خرج بك وضح من برص فدعوت الله أن يذهب عنك فأذهب، فقلت اللهم أبق لي منه في جسدي ما أذكر به نعمتك؟ قال: وأنى دريت يا أمير المؤمنين؟ والله إن أطلعت على هذا بشراً!

قال: أخبرني به رسول الله (ص) أنه سيكون في التابعين رجل يقال له أويس بن عامر القرني، يخرج به وضح من برص فيدعو الله أن يذهب عنه فيفعل، فيقول: اللهم اترك في جسدي ما أذكر به نعمتك، فيفعل، فمن أدركه فاستطاع أن يستغفر له فليفعل، فاستغفر لي يا أويس. قال: غفر الله لك يا أمير المؤمنين! قال: ولك يغفر الله يا أويس بن عامر. فقال الناس: استغفر لنا يا أويس. رد على سلام الرسول وآله، ولم يرد سلام عمر!!

وفي كنز العمال: ١٤/١٠:

عن سعيد بن المسيب قال: نادى عمر بن الخطاب وهو على المنبر بمنى:

يا أهل قرن! فقام مشايخ فقالوا: نحن يا أمير المؤمنين!

قال: أفي قرن من اسمه أويس؟

فقال شيخ: يا أمير المؤمنين ليس فينا من اسمه أويس إلا مجنون يسكن القفار والرمال ولا يألف ولا يؤلف!

فقال: ذاك الذى أعنيه، إذا عدتم إلى قرن فاطلبوه وبلغوه سلامى وقلوا له: إن رسول الله (ص) بشرنى بك، وأمرنى أن أقرأ عليك سلامه.

فعادوا إلى قرن فطلبوه فوجدوه فى الرمال، فأبلغوه سلام عمر وسلام رسول الله (ص)، فقال: أعربنى أمير المؤمنين وشهر باسمى؟! السلام على رسول الله، اللهم صل عليه وعلى آله، وهام على وجهه فلم يوقف له بعد ذلك على أثر دهرًا ثم عاد فى أيام على فقاتل بين يديه، فاستشهد فى صفين (كر).

وكذا فى سير أعلام النبلاء: ٤/٣٢

فهذه الروايات تدل على أنه بقى فى اليمن، ولم ير عمر أصلاً!!

بينما تقول لرواية أخرى إنه قدم من اليمن على عمر فى المدينة، ولكنه لم يستغفر له، وهرب منه!

فى سير أعلام النبلاء: ٤/٢٤

قال عمر: فقدم علينا ها هنا فقلت: ما أنت؟ قال: أنا أويس.

قلت: من تركت باليمن؟

قال: أما لى.

قلت: هل كان بك بياض فدعوت الله فأذهبه عنك؟

قال: نعم.

قلت: استغفر لى.

قال: يا أمير المؤمنين يستغفر مثلى لمثلك؟!!

قلت: أنت أخى لا تفارقنى. فانملس منى، فأنبئت أنه قدم عليكم الكوفة. انتهى.

وقال فى صفحة ٢٧: وفى لفظ: أو يستغفر لمثلك؟!!

وروى نحواً من ذلك عثمان بن عطاء الخراسانى عن أبيه!! انتهى.

وفى دلائل النبوة لليهقى: ٦/٣٧٦:

لما أقبل أهل اليمن جعل عمر (رض) يستقريء فيقول هل فيكم أحد من قرن؟... فوقع زمام عمر أو زمام أويس... فناوله عمر فقال له:

ما اسمك؟

قال: أويس.

فقال له عمر: استغفر لى.

قال: أنت أحق أن تستغفر لى.

ونحوه فى مسند أحمد: ١/٣٨، وسير أعلام النبلاء: ٤/٢٠

وفى مستدرک الحاكم: ٣/٤٠٤

عن أسير بن جابر قال لما أقبل أهل اليمن جعل عمر (رض) يستقريء الرفاق فيقول: هل فيكم أحد من قرن؟ حتى أتى عليه قرن فقال:

من أنتم؟

قالوا: قرن.

فرفع عمر بزمامه أو زمام أويس فناوله عمر فعرفه بالنعته، فقال له عمر:

ما اسمك؟ قال أنا أويس. قال: هل كان لك والده؟ قال: نعم. قال: هل بك من البياض؟ قال: نعم، دعوت الله تعالى فأذهبه عنى إلا

موضع الدرهم من سرتى لاذكر به ربي. فقال له عمر: إستغفر لى. قال: أنت أحق أن تستغفر لى، أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه

وآله. انتهى.

وروى الذهبي في سير أعلام النبلاء: ٤/٢٧، نصاً طريفاً عن أبي هريرة، ورده، وقد جاء فيه:

فلما كان في آخر السنة التي هلك فيها عمر، قام على أبي قبيس فنأدى بأعلى صوته:

يا أهل الحجيج من أهل اليمن، أفيكم أويس من مراد؟

فقام شيخ كبير فقال: إننا لا ندرى من أويس، ولكن ابن أخ لي يقال له أويس وهو أخمل ذكراً وأقل مالاً وأهون أمراً من أن نرفعه

إليك، وإنه ليرعى إبلنا بأراك عرفات فذكر اجتماع عمر به وهو يرعى فسأله الاستغفار، وعرض عليه مالاً، فأبى. انتهى.

ثم قال الذهبي: وهذا سياق منكر لعله موضوع. انتهى.

وسبب حكمه عليه بالوضع أنه ينص على امتناع أويس من الاستغفار لعمر، وأنه لم يلقه إلا في آخر سنة من عمره!

ولكن لو صح إشكال الذهبي على هذا النص، فإن تعارض الروايات الصحيحة عندهم في القول بأنه استغفر لعمر أو لم يستغفر له،

ورفضه أن يأخذ منه شيئاً مادياً أو معنوياً، وهروبه منه.. كل ذلك يؤيد مانص منها على أنه رفض الاستغفار له!

ويؤيد ذلك: أن التاريخ لم يذكر أن أويساً بايع أبا بكر ولا عمر ولا عثمان، ولا شارك في حروب الفتح تحت إمرة أمرائهم، بل لم

تذكر عنه شيئاً طيلة خلافتهم التي امتدت ربع قرن، حتى ظهر مع علي عليه السلام، وبايعه، وشارك في حروبه.

ويؤيده: أن روايات ذكرت أن عمر طلب منه أن يبقى عنده وقال له (أنت أخي لا تفارقني) فلم يقبل أويس وهرب منه، ولا تفسير

لهروبه إلا أنه خاف أن يخرجه عمر في كلام، أو يصر عليه أن يوليه عملاً في دولته!

ويؤيده: أن عمر كان مركزياً شديداً المركزي في إدارته، وكان أويس معروفاً في الكوفة، فلا يمكن القول بأن اضطهاد حاكم الكوفة

لاويس كان بدون أمر من عمر! وبذلك يكون إحضاره إلى المدينة إن صح، محاولة من عمر لاستمائه، وقد فشلت!

ويؤيد أيضاً: تعارض الروايات في وقت لقائه بعمر!

فبعضها يقول إنه كان يبحث عنه في موسم الحج، كما في كثر العمال: ١٤/٧، عن محمد بن سيرين قال: أمر عمر بن الخطاب إن لقي

رجلاً من التابعين أن يستغفر له قال محمد: قال فأنبت أن عمر كان ينشده في الموسم يعني أويساً (ابن سعد، كر).

وبعضها: يقول إنه وفد عليه من اليمن، كما في أسد الغابة: ١/١٥١:

قال فقال عمر إن رسول الله (ص) قد قال إن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له أويس لا يدع باليمن غير أم... فقال له عمر: أين تريد؟ قال:

الكوفة، قال ألا- أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غبراء الناس أحب إلي... ونحوه في كثر العمال: ١٤/٥، وتاريخ الإسلام:

٣/٥٥٦..

وبعضها: ينص على أنه كان في آخر سنة من خلافته يبحث عنه! كالتى تقدمت من كثر العمال، وسير أعلام النبلاء: ٤/٢٧، عن أبي

هريرة...

ويؤيد ذلك أيضاً: تناقضات أسير بن جابر راوى لقاء أويس بعمر، ففي رواية الحاكم المتقدمة عنه (: ٢/٣٦٥) أن أسيراً لم يعرف

أويساً إلا في الكوفة في خلافة علي عليه السلام، وأن أويساً لم يلبث بعد معرفته به إلا قليلاً حتى ذهب إلى صفين!

ورواياته الأخرى تقول إنه عرفه من عهد عمر، أى قبل بضع عشرة سنة من خلافة علي عليه السلام.

هذا، مضافاً إلى تناقض الأحداث والمضامين التي رواها أسير، والصورة الساذجة التي أعطاها لهذا الولي الواعي، والدور الذي أعطاه

لنفسه في حياة أويس، كأنه ولي نعمته!

والمأمل في روايات أسير يلاحظ أن همه أن يبرز دوره ودور عمر في حياة أويس!

وقد قال عنه الحاكم في المستدرک: ٢/٣٦٥ (وأسير بن جابر من المخضرمين ولد في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله. وهو من كبار

أصحاب عمر (رض)). انتهى.

وقد جرح صعصعة بن معاوية في أسير هذا، وصعصعة هو عم الأحنف بن قيس وقد وثقه النسائي وابن حبان، وشهد صعصعة بأن أسيراً كان من شرطة دار الإمارة بالكوفة وكان عمله إيذاء أويس (يغشى السلطان ويؤذى أويساً)!

وقد اعترف أسير بذلك ولكنه ادعى أنه تاب، وأن أويساً استغفر له!!

وإقراره على نفسه حجة، وادعاؤه التوبة دعوى تحتاج إلى دليل.

أما رواية صعصعة بن معاوية عن لقائه بعمر، التي رواها كنز العمال: ١٢/١٠، ورواها أبو يعلى في مسنده: ١/١٨٧ ح ٢١٢، فهي مقطوعة، لأن صعصعة لم يدرك عمر، ولم يذكر ممن سمعها، وقد ذكروا أن صعصعة أدرك أبا ذر ورآه، وأنه كان حياً في زمن الحجاج، ولا يعلم متى قال هذا الكلام، ولعله بعد زمن على عليه السلام.

من هم الذين خاطبهم النبي في البشارة بأويس؟

تعارض الروايات في تعيين المخاطبين في البشارة بأويس.. فبعضها تقول إن المخاطب بذلك هم المسلمون، بدون تحديد شخص أو أشخاص.

وروايات أسير بن جابر تقول إن النبي صلى الله عليه وآله خاطب بذلك عمر بن الخطاب، فهو يزعم أن ذلك إخبار غيبي بخلافة عمر، أو نوع من الوصية له، مع أن خلافة أبي بكر وعمر قامت على أساس أن النبي صلى الله عليه وآله لم يوص لاحد، وأن عشائر قريش الثلاث والعشرين كلها ترث ملكه صلى الله عليه وآله لأنه ابن قريش!

وبعض الروايات، كما في سير الذهبى: ٤/٢٤، تقول إن المخاطب هما عمر وعلى (يا عمر ويا على إذا رأيتما، فاطلبا إليه يستغفر لكما، يغفر الله لكما. فمكثا يطلبانه عشر سنين لا يقدران عليه). انتهى.

ومن الطبيعي أن هذه الرواية تريد تلطيف رواية أن المخاطب بذلك عمر وحده، لأن أويساً كان من شيعة على ولم يكن من شيعة عمر، فجعلت الخطاب لهما معاً!

أما ابن سلام الأباظى فقد ذكر في كتابه بدء الإسلام/٧٩، أن المخاطب بذلك هما أبو بكر وعمر...

ولعل بعضهم روى أن المخاطب بذلك عثمان بن عفان، مع أن اسم عثمان غائب عن أحاديث أويس كلياً، رغم أن خلافته امتدت بضع عشرة سنة!

فهذا الاضطراب في تسمية الذين خاطبهم النبي صلى الله عليه وآله في أمر أويس، يقوى ما ورد في مصادرنا من أن النبي صلى الله عليه وآله خاطب المسلمين عامة، وخاطب علياً عليه السلام خاصة، بأن أويساً سيبيعه ويقتل معه، فجعل الرواة هذه الفضيلة للخلفاء قبله، كما هو دأبهم في مصادرة فضائل على عليه السلام وتليسيها لغيره!

ولا يتسع البحث للافاضة في هذا الموضوع.

قال المفيد في الإرشاد: ١/٣١٥:

في حديث عن على عليه السلام أنه قال: الله أكبر أخبرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله أنه أدرك رجلاً من أمته يقال له أويس القرني يكون من حزب الله ورسوله، يموت على الشهادة، يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر. انتهى.

ونحوه في الخرائج والجرائح: ١/٢٠٠، وإعلام الوري: ١٧٠/، والثاقب في المناقب/٢٦٦، وبحار الأنوار: ٣٧/٢٩٩ و٣٨/١٤٧.

آراء شاذة وأخرى مشبوهة الهدف في أويس

١ - حاولوا إعطاء شخصية أويس لعدوى وأموى

مع كثرة الأحاديث والروايات الصحيحة في مصادر الشيعة والسنة حول أويس، ومع أن اسمه مميز لا يختلط بغيره.. إلا أن بعضهم

حاول أن يجعل الشخص الذي بشر النبي صلى الله عليه وآله بشفاعته شخصاً آخر غير أويس!!

قال ابن الأثير في أسد الغابة: ٣/٢٩:

صلة بن أشيم العدوي من عدى بن الرباب وهو عدى ابن عبد مناة بن أد بن طابخة، وأورده سعيد القرشي... صلة هذا قتل بسجستان سنة خمس وثلاثين، وكان عمره ثلاثين ومائة سنة، وقد ذكر النبي (ص) صلة فقال فيما روى يزيد بن جابر قال: بلغنا أن النبي (ص) قال: يكون في أمتي رجل يقال له صلة، يدخل الجنة بشفاعته كذا وكذا. أخرجه أبو موسى.

روى يزيد عن جابر قال: بلغنا أن النبي قال: يكون في أمتي رجل يقال له صلة (بن أشيم) يدخل الجنة بشفاعته كذا وكذا. انتهى.

ورواه الذهبي في تاريخ الإسلام: ٥/١٢٧

وترجم الذهبي في سير أعلام النبلاء: ٣/٤٩٧، لصلة هذا باحترام كبير فقال:

صلة بن أشيم الزاهد العابد القدوة، أبو الصهباء العدوي البصري زوج العالممة معاذة العدوية، ما علمته روى سوى حديث واحد عن ابن عباس.

حدث عنه أهله معاذة، والحسن، وحميد بن هلال، وثابت البناني، وغيرهم.

ابن المبارك في الزهد: عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، قال: بلغنا أن النبي (ص) قال: يكون في أمتي رجل يقال له صلة، يدخل الجنة بشفاعته كذا وكذا. هذا حديث معضل. انتهى. ثم ذكر الذهبي أنه استشهد في سجستان سنة اثنين وستين.

وقال في هامشه عن معاذة زوجة صلة: من رجال التهذيب، وحديثها في الكتب الستة. وقال عن الحديث: إسناده ضعيف لأعضاله كما قال المؤلف، والحديث المعضل هو الذي سقط من إسناده اثنان على التوالي.

والخبر في حلية الأولياء ٢/٢٤١ من طريق ابن المبارك. انتهى.

وكفى الله المؤمنين هذا الحديث حيث ضعفه ناقلوه.. لكن تبقى دلالتة على أن وجود أويس كان ثقیلاً على السلطة وخاصة الأموية، لأنه شهادة نبوية حية على أن الحق مع على عليه السلام ولذلك حاولوا التخلص منه تارة بإنكار وجود أويس من الأساس! أو بتضعيفه، أو بإعطاء شخصيته لشخص عدوي قريب من الخليفة عمر.

وبعضهم سلم بوجود أويس لكن ادعى أنه قتل في سجستان أو آذربيجان، ولم يقتل مع على في صفين!!

وأخيراً.. حاول بعضهم أن يعطى شفاعته أويس لعثمان بن عفان! فقال في تذكرة الموضوعات/٩٤: في المختصر (يدخل الجنة بشفاعته رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر) قيل هو أويس، والمشهور أنه عثمان بن عفان. انتهى.

ومعنى قوله (والمشهور) أنه يريد أن يجعله مشهوراً، وإن لم يكن كذلك حتى بين السنين المحيين لعثمان!!

٢ - والبخارى ضعف أويساً ولم يقبل روايته!

في ميزان الاعتدال: ١/٢٧٨ ولسان الميزان: ١/٤٧١:

أويس بن عامر، ويقال ابن عمرو القرني اليمنى العابد نزير الكوفة، قال البخارى يمانى مرادى، فى إسناده نظر فيما يرويه! وقال البخارى أيضاً فى الضعفاء: فى إسناده نظر: يروى عن أويس فى إسناده ذلك.

قلت هذه عبارته! يريد أن الحديث الذى روى عن أويس فى الإسناد إلى أويس نظر، ولولا أن البخارى ذكر أويساً فى الضعفاء لما ذكرته أصلاً، فإنه من أولياء الله الصادقين، وما روى الرجل شيئاً فيضعف أو يوثق من أجله!

وقال أبو داود: حدثنا شعبه قال: قلت لعمر بن مرة: أخبرني عن أويس، هل تعرفونه فيكم؟ قال: لا.

قلت: إنما سألت عمرًا عنه لأنه مرادى، هل تعرف نسبه فيكم؟ فلم يعرف. ولولا الحديث الذى رواه مسلم فى فضل أويس لما عرف، لأنه عبد الله تقى خفى، وما روى شيئاً، فكيف يعرفه عمرو، وليس من لم يعرف حجة على من عرفه! انتهى.

وشبيه به فى سير أعلام النبلاء: ٤/١٩، قال:

أويس القرني. هو القدوة الزاهد، سيد التابعين في زمانه، أبو عمرو، أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني المرادي اليماني. وقرن بطن من مراد.

وفد على عمر وروى قليلاً عنه، وعن علي.

روى عنه يسير بن عمرو، و عبد الرحمن بن أبي ليلى، وأبو عبد رب الدمشقي وغيرهم، حكايات يسيرة، ما روى شيئاً مسنداً ولا تهيأ أن يحكم عليه بلين، وقد كان من أولياء الله المتقين ومن عباده المخلصين. انتهى.

وقال الجرجاني في الكامل: ١/١٢، بعد أن أورد عدداً من أحاديث أويس: قال الشيخ: وهذا الحديث معروف لأويس يرويه معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة وليس لأويس من الرواية شيء، وإنما له حكايات وتنف وأخبار في زهده، وقد شك قوم فيه، إلا أنه من شهرته في نفسه وشهره أخباره لا يجوز أن يشك فيه، وليس له من الأحاديث إلا القليل، فلا يتهيأ أن يحكم عليه بالضعف، بل هو صدوق ثقة مقدار ما يروى عنه. انتهى.

والذي يقرأ البخاري في صحيحه وتاريخه وبقية مؤلفاته، يراه حريصاً على الخط المتشدد لمذهب عمر وآرائه، ولذا فإن موقفه السلبي من أويس يمثل ما كان في عصره من التهوين من شخصيته.. وهو دليل كاف على أن صلته أويس بعمر لم تكن كما يحبون.

٣ - ومتشدة الحنابلة قللوا من مقام أويس!

فقد صرح متعصبوا الحنابلة بتفضيل بعض أصحابهم على أويس القرني

قال أبو يعلى في طبقات الحنابلة: ٢/٦٣:

فقال البربهاري إذا كان أويس القرني يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر، فكم يدخل في شفاعته أبي الحسن بن بشار؟! قال أحمد البرمكي: صدق البربهاري لأن أويساً كان من الأبدال، وأبا الحسن كان من المستخلفين، والمستخلف أجل من البدل وأفضل عند الله، لأن المستخلف في الأرض مقامه مقام النبيين (عليهم السلام)!! لأنه يدعو الخلق إلى الله، فبركته عائدة عليه وعلى كافة الخلق، وبركة البدل عائدة على نفسه!! انتهى.

لكننا نسأل البرمكي والبربهاري وأبا يعلى الذي ارتضى كلامهما: إن درجات الناس ومقامهم عند الله وتفاضلهم غيب لا سبيل إلى العلم به إلا من الذي له نافذة على الغيب! وقد عرفنا مقام أويس من شهادة الرسول صلى الله عليه وآله، فمن أين عرفتم مقام صاحبكم!! وأن الله تعالى جعله خليفته في أرضه! وجعله في رتبة الأنبياء صلوات الله عليهم!؟

إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً!؟

أما الذهبي فقد قيد قول النبي صلى الله عليه وآله المطلق في أويس! وقال إنه أفضل التابعين في عصره فقط.. ويقصد أنه بعد عصره يوجد كثيرون أفضل منه!!

قال في سير أعلام النبلاء: ٤/١٩:

أويس القرني، هو القدوة الزاهد، سيد التابعين في زمانه، أبو عمرو، أويس... انتهى.

وأما ابن تيمية، فقد تناول أويساً من جهة أخرى قد تكون هي السبب في حساسية بعضهم منه، فقد أكد على أن أمر الرسول صلى الله عليه وآله لعمر أن يطلب من أويس أن يستغفر له، لا يدل على أن أويساً أفضل من عمر!

قال في التوسل والوسيلة/ ٣٢٧:

وحتى أمر النبي (ص) أن يطلب من أويس القرني أن يستغفر للطالب، وإن كان الطالب أفضل من أويس بكثير.

وقد قال النبي (ص) في الحديث الصحيح: إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا على، فإنه من صلى على مرة صلى الله عليه عشرًا... انتهى.

فمن أين عرف ابن تيمية أفضلية عمر على أويس؟! وكيف جعل طلب الاستغفار كطلب الدعاء؟! وكيف شبه أمر النبي لعمر أن يطلب الاستغفار من أويس، بطلب الرسول منا أن نصلى عليه صلى الله عليه وآله؟! مع الفارق الكبير بينهما؟!!

فطلب الرسول منا أن ندعو له بالصلاة عليه إنما هو من أجلنا، ولم يستمد منا المساعدة! أما توجيهه أحداً أن يطلب الاستغفار من أحد، فلا يكون إلا إذا كان للثاني مقام عند الله تعالى يؤمل به أن ينفع الأول!! فهو من قبيل قوله تعالى (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ...).

٤ - وفضلوا أمويًا على أويس القرني!

في حلية الأولياء: ٩/٢٢٣:

قال وسمعت أبا سليمان وأبا صفوان يتناظران في عمر بن عبد العزيز وأويس، فقال أبو سليمان لأبي صفوان: كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس!

فقال له: ولم؟

قال: لأن عمر بن عبد العزيز ملك الدنيا فزهد فيها.

فقال له أبو صفوان: وأويس لو ملكها لزهد فيها مثل ما فعل عمر!

فقال أبو سليمان: أتجعل من جرب كمن لا يجرب، إن من جرت الدنيا على يديه ولم يكن لها في قلبه موقع.

وقال في البداية والنهاية: ٩/٢٣٣:

قال أبو سليمان الداراني: كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس القرني، لأن عمر ملك الدنيا بحذاقها وزهد فيها، ولا ندرى حال أويس لو ملك ما ملكه عمر كيف يكون؟! ليس من جرب كمن لم يجرب! انتهى.

فهل تعامى الداراني وأبو نعيم وابن كثير أن أويساً شهد له سيد المرسلين صلى الله عليه وآله بأنه من كبار أولياء الله تعالى، والشفعاء عنده يوم القيامة، وأن معنى ذلك أن الملك والخلافة ومغريات الدنيا لو عرضت له وقبلها فسوف لا تغير منه شيئاً!

بينما لم يشهد صلى الله عليه وآله لعمر بن عبد العزيز بحرف من ذلك!

فتفضيله على أويس وجعله في درجته، ماهو إلا الظن والتعصب لبني أمية!

٥ - ثم حاولوا إنكار شهادة أويس في صفين

في سير أعلام النبلاء: ٤/٢٥:

وروى نحوه من ذلك عثمان بن عطاء الخراساني عن أبيه، وزاد فيها: ثم إنه غزا أذربيجان فمات، فتنافس أصحابه في حفر قبره. انتهى.

وقد حاول المعلق على سير الذهبي أن يؤكد الشك في شهادة أويس في صفين، فقال في هامشه: هناك أخبار مختلفة حول موته

والمكان الذي دفن فيه، ذكرها أبو نعيم في الحلية ٢/٨٣، وابن عساكر في تاريخه ٣/١١٠، وما بعدها.

وفي حلية الأولياء: ٢/٨٤:

حدثنا أبو بكر بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد، حدثني زكريا بن يحيى ابن زحمويه، ثنا الهيثم بن عدى، ثنا عبد الله بن عمرو بن مرة،

عن أبيه، عن عبد الله بن سلمة، قال غزونا أذربيجان زمن عمر بن الخطاب، ومعنا أويس القرني، فلما رجعنا مرض علينا - يعني أويس

- فحملناه، فلم يستمسك فمات، فنزلنا فإذا قبر محفور وماء مسكوب، وكفن وحنوط، فغسلناه وكفناه!!

وفي لسان الميزان: ١/٤٧٣:

وأخرج مسلم... عن أسير بن جابر فذكر اجتماع عمر (رض) بأويس، وفيه:

قال: أين تريد؟

قال: الكوفة.

قال: ألا أكتب لك إلى عاملها فيستوصى بك؟

قال: لا، بل أكون في غيرات الناس أحب إلي.. الحديث، وفي آخره أنه مات بالحيرة. انتهى.

وإذا كان يقصد أن الحديث الآخر في مسلم، فلم نجد فيه ذكراً لموته في الحيرة! وهذا يوجب الشك في أن نسخ صحيح مسلم متفاوتة، وأنه أضيف إلى بعضها أنه مات بالحيرة!

وفي لسان الميزان: ١/٤٧٥:

وقال ابن حبان في ثقات التابعين: أويس بن عامر القرني من اليمن، من مراد سكن الكوفة، وكان زاهداً عابداً، يروى عن عمر، اختلفوا في موته، فمنهم من يزعم أنه قتل يوم صفين في رجالة علي (رض)، ومنهم من يزعم أنه مات على جبل أبي قبيس بمكة، ومنهم من يزعم أنه مات بدمشق، ويحكون في موته قصصاً تشبه المعجزات التي رويت عنه.

وقد كان بعض أصحابنا ينكر كونه في الدنيا، حدثني عبد الله بن الحسين الرحبي ثنا عباس بن محمد قراد أبو نوح، فذكر ما تقدم، والأثر الذي تقدم عن لوين أخرج أحمد في مسنده عن أبي نعيم عن شريك به، وفي آخره سمعت رسول الله (ص) يقول: إن من خير التابعين أويساً القرني (رض). انتهى.

وفي تاريخ الطبري: ١٠/١١٦:

(ذكر من هلك من التابعين سنة ٣٢)

ومنهم أويس بن الخليص القرني. كذلك ذكر ضمرة بن ربيعة عن عثمان بن عطاء الخراساني عن أبيه قال: سمعت من رجل من قومي يعني من قوم أويس وأنا أحدث بحديثه، فقال تدرى يا أبا عثمان أويس ابن من؟ قلت: لا.

قال: أويس بن الخليص.

وأما يحيى بن سعيد القطان فإنه قال: حدثنا يزيد بن عطاء، عن علقمة بن مرثد بأنه قال: أويس بن أنيس القرني.

واختلف في وقت مهلكه فقال بعضهم: قتل مع علي عليه السلام بصفين، روى محمد بن أبي منصور قال: حدثنا الحماني قال: حدثنا شريك، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبدالرحمن بن أبي ليلي قال: نادى منادى علي عليه السلام يوم صفين: ألا اطلبوا أويساً القرني بين القتلى، فطلبوه فوجدوه فيهم. أو كلاماً هذا معناه. انتهى.

وفي تاريخ الطبري: ١٠/١٤٥:

وأويس القرني، من مراد وهو يحابر بن مالك بن مذحج، وهو أويس بن عامر بن جزء بن مالك بن عمرو بن سعد بن عصوان بن قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد وهو يحابر بن مالك.

وكان ورعاً فاضلاً روى أنه قتل يوم صفين: حدثنا أبو كريب قال: حدثنا أبو بكر قال: حدثنا هشام عن الحسن قال: قال رسول الله (ص): ليدخلن الجنة بشفاعه رجل من أمتي مثل ربيعة ومضر. قال هشام فأخبرني حوشب أنه قال هو أويس القرني.

وفي وقعة صفين لنصر بن مزاحم/٣٢٤:

نصر، عن حفص بن عمران البرجمي، عن عطاء بن السائب، عن أبي البختری قال: أصيب أويس القرني مع علي بصفين.

وفي أنساب الاشراف/٣٢٠:

وبعض الرواة يزعم أن أويساً القرني العابد، قتل مع علي بصفين. ويقال: بل مات بسجستان. قالوا: وكان علي بصفين في خمسين ألفاً، ويقال: بل في مئة ألف. وكان معاوية رحمه الله!! في سبعين ألفاً، ويقال: في مائة ألف، فقتل من أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً، ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً، والله أعلم.

وقال في هامشه:

وهذا هو الشائع المعروف بين العلماء، لم يتردد فيه إلا بعض النواصب، وقد ذكر الكثيرون من منصفى أهل السنة استشهاد أويس بصفين، وذكره ابن عساكر بطرق في ترجمة أويس من تاريخ دمشق: ٦/٦٩، وفي ترجمة زيد بن صوحان: ١٩/١٣١، وفي تهذيبه: ٦/١٤.

قال في مجمع الزوائد: ١٠/٢٢: وعن ابن أبي ليلي قال: نادى رجل من أهل الشام يوم صفين أفيكم أويس القرني؟ قالوا: نعم.

قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: من خير التابعين أويس. رواه أحمد بن حنبل وإسناده جيد.

وقال ابن مسكويه في الحكمة الخالدة/١٣٤: وذكر ابن أبي ليلي الفقيه أن أويساً وجد في قتلى رجاله علي بن أبي طالب يوم صفين. وقال الحاكم في ترجمة أويس من المستدرک: ٣/٤٠٢:

سمعت أبا العباس محمد بن يعقوب قال: سمعت العباس بن محمد الدوري يقول: سمعت يحيى بن معين يقول: قتل أويس القرني بين يدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يوم صفين.

وبالسند المتقدم عن أبي العباس محمد بن يعقوب، عن عباس بن الدوري، حدثنا أبو نعيم، حدثنا شريك، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الرحمان بن أبي ليلي قال: ولما كان يوم صفين نادى مناد من أصحاب معاوية أصحاب علي: أفيكم أويس القرني؟ قالوا: نعم فضرب دابته حتى دخل معهم ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: خير التابعين أويس القرني. وأخبرني أحمد بن كامل القاضي ببغداد، حدثنا عبدالله بن روح المدائني، حدثنا عبيد الله ابن محمد العبسي، حدثني إسماعيل بن عمرو البجلي، عن حبان بن علي العزري عن سعد بن طريف، عن الأصمغ بن نباتة قال:

شهدت علياً (رض) يوم صفين وهو يقول:

من يبايعني على الموت؟ - أو قال: على القتال؟

فبايعه تسع وتسعون قال: فقال:

أين التمام؟ أين الذي وعدت به؟

قال: فجاء رجل عليه أظمار صوف مخلوق الرأس فبايعه على الموت والقتل [كذا] قال فقيل: هذا أويس القرني. فما زال يحارب بين يديه حتى قتل (رض).

وقال في تاريخ الخميس: ٢/٢٧٧: وقتل مع علي خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وأويس القرني زاهد التابعين.

وقال في المختصر الجامع: قتل من أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً، منهم عمار بن ياسر، وأويس القرني، وخمسة وعشرون بدرية.

وقال ابن عساكر قبل ختام ترجمة أويس بحديث: أنبأنا أبو الغنائم محمد بن علي [كذا] ابن الحسن الحسيني، حدثنا القاضي محمد بن عبدالله الجعفي، حدثنا الحسين بن محمد ابن الفرزدق، أنبأنا الحسن بن علي بن بزيع، حدثنا محمد بن عمر، حدثنا إبراهيم بن إسحاق، حدثنا عبدالله بن أذينة البصري، عن أبان بن أبي عباس عن سليمان [كذا] ابن قيس العامري: قال رأيت أويساً القرني بصفين صريعاً بين عمار وخزيمة بن ثابت.

وتقدم في تعليق الحديث (٣٤٧) في صفحة ٢٨٦ عن ترجمة زيد بن صوحان من تاريخ دمشق: ١٩/١٣٠، وفي تهذيبه: ٦/١٤، بسند آخر أن أويس القرني قتل في رجاله يوم صفين. انتهى.

وكان ينبغي لهؤلاء المؤرخين أن يتقيدوا بمنهجهم في الأخذ بالأحاديث الصحيحة التي نصت على شهادة أويس مع علي عليه السلام في صفين، وأن لا يشككوا الناس بسرد أحاديث ضعيفة في مقابلها.

ولكن بغضهم لعلي عليه السلام يدفعهم دائماً إلى ترك منهجهم والتشبث بالطحلب لكي يتخلصوا من أويس، هذه الآية الربانية النبوية

التي شهدت على حق على عليه السلام وباطل خصومه ومقاتليه، وحكمت عليهم بنصوص صحيحة عندهم بأنهم الفئة الباغية المحاربة لله ورسوله!!

ترى أحدهم لا يشهد بأن الحق مع على عليه السلام إلا مجبوراً، كأنه يساق إلى الموت!! ويبقى قلبه مشرباً بحب أعداء على ومقاتليه، وكأنه يقول لهم (أحستم وتقبل الله جهادكم وطاعاتكم)!!
قال الحاكم في المستدرک: ٣/٤٠٢:

ذكر مناقب أويس بن عامر القرني (رض).

أويس راهب هذه الأمة ولم يصحب رسول الله صلى الله عليه وآله إنما ذكره رسول الله صلى الله عليه وآله ودل على فضله، فذكرته في جملة من استشهد بصفين بين يدي أمير المؤمنين على بن أبي طالب (رض).

سمعت أبا العباس محمد بن يعقوب يقول: سمعت العباس بن محمد الدوري يقول: سمعت يحيى بن معين يقول: قتل أويس القرني بين يدي أمير المؤمنين على بن أبي طالب يوم صفين.

حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا العباس بن محمد الدوري، ثنا أبو نعيم، ثنا شريك، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لما كان يوم صفين نادى مناد من أصحاب معاوية أصحاب على أفيكم أويس القرني؟ قالوا: نعم، فضرب دابته حتى دخل معهم، ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: خير التابعين أويس القرني.

أخبرني أحمد بن كامل القاضي ببغداد، ثنا عبد الله بن روح المدائني، ثنا عبيد الله بن محمد العباسي، حدثني اسمعيل بن عمرو البجلي، عن حبان بن علي العزري، عن سعد بن طريف عن الأصبع بن نباتة قال: شهدت علياً (رض) يوم صفين وهو يقول: من يبايعني على الموت، أو قال على القتال؟ فبايعه تسع وتسعون.

قال فقال: أين التمام أين الذي وعدت به؟

قال فجاء رجل عليه أطمار صوف، محلوق الرأس، فبايعه على الموت والقتل، قال فقيل هذا أويس القرني، فما زال يحارب بين يديه حتى قتل (رض).

حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا العباس بن محمد الدوري، ثنا علي بن حكيم، ثنا شريك قال ذكروا في مجلسه أويس القرني فقال: قتل مع على بن أبي طالب (رض) في الرجالة. انتهى.

وقد تقدم من صحيح مسلم وغيره أن أويساً كان في صفين.

راجع أيضاً: طبقات ابن سعد: ٦/١١٣ - ١١٤، وغيره.

٦ - وجعلوا له قبرين في الشام ليعدوه عن صفين

في رحلة ابن بطوطة: ١/٩٣:

أن جماعه من الصحابة صحبهم أويس القرني من المدينة إلى الشام، فتوفى في أثناء الطريق في بركة لا عمارة فيها ولا ماء، فتحيروا في أمره فنزلوا فوجدوا حنوطاً وكفنوا وماء ففجوا من ذلك وغسلوه وكفونوه...

بعض المشاهد والمزارات بها (الشام): فمنها بالمقبرة التي بين باب الجابية والباب الصغير... وقبر بلال مؤذن رسول الله (ص)، وقبر أويس القرني، وقبر كعب الأخبار. انتهى.

أما ابن تيمية الذي مذهبه تحريم زيارة القبور، فقد صرح بأن قبر أويس الذي في الشام لا أصل له، قال في كتابه زيارة القبور/٤٤٦: أما هذه المشاهد المشهورة فمنها ما هو كذب قطعاً مثل المشهد الذي بظاهر دمشق المضاف إلى أبي بن كعب، والمشهد الذي بظاهرها المضاف إلى أويس القرني، والمشهد الذي بمصر المضاف إلى الحسين (رض)، إلى غير ذلك من المشاهد التي يطول ذكرها بالشام والعراق ومصر وسائر الأمصار، حتى قال طائفة من العلماء منهم عبد العزيز الكناني كل هذه القبور المضافة إلى الأنبياء لا يصح شيء

منها إلا قبر النبي (ص)، وقد أثبت غيره أيضاً قبر الخليل عليه السلام!!

و زعم بعضهم أن قبر أويس طار من الأرض

قال حلية الأولياء: ٢/٨٤:

حدثنا أبو بكر بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد، حدثني زكريا بن يحيى بن زحمويه، ثنا الهيثم بن عدى، ثنا عبد الله بن عمرو بن مرة، عن أبيه عن عبد الله بن سلمة، قال غزونا أذربيجان زمن عمر بن الخطاب ومعنا أويس القرني، فلما رجعنا مرض علينا - يعنى أويس - فحملناه فلم يستمسك فمات، فنزلنا فإذا قبر محفور وماء مسكوب وكفن وحنوط، فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه!

فقال بعضنا لبعض: لو رجعنا فعلنا قبره، فرجعنا فإذا لا قبر ولا أثر!!

وقال اللواتي في تحفة النظار في غرائب الأمصار: ١/٥٥:

فمن بعض المشاهد والمزارات بدمشق التي بين باب الجابية والباب الصغير قبر أم حبيبة بنت أبي سفيان أم المؤمنين، وقبر أخيها أمير المؤمنين معاوية، وقبر بلال مؤذن رسول الله (ص)، رضى الله عنهم أجمعين، وقبر أويس القرني وقبر كعب الأبحار رضى الله عنهما. ووجدت في كتاب المعلم في شرح صحيح مسلم للقرطبي أن جماعة من الصحابة صحبهم أويس القرني من المدينة إلى الشام فتوفى في أثناء الطريق في بريدة لا- عماره فيها ولا ماء، فتحيروا في أمره فنزلوا فوجدوا حنوطاً وكفنوا وماء، ففعلوا من ذلك وغسلوه وكفوه وصلوا عليه ودفنوه، ثم ركبوا فقال بعضهم: كيف نترك قبره بغير علامة، فعادوا للموضع فلم يجدوا للقبر من أثر. انتهى.

ومن الواضح أنهما روايتان أمويتان تريان إبعاد قبر أويس عن صفين، وتنفيان استشهاده مع علي عليه السلام!!

٧- ورووا عن مالك أنه أنكر وجود أويس

في سير أعلام النبلاء: ٤/٣٢:

قال أبو أحمد بن عدى في الكامل: أويس ثقة صدوق، ومالك ينكر أويساً! ثم قال: ولا يجوز أن يشك فيه. أخبار أويس مستوعبة في تاريخ الحافظ أبي القاسم ابن عساكر.

ميزان الاعتدال: ١/٢٧٩:

قال ابن عدى: ليس لأويس من الرواية شيء، إنما له حكايات ونتف في زهده، وقد شك قومه فيه، ولا يجوز أن يشك فيه لشهرته ولا يتهاى أن يحكم عليه بالضعف، بل هو ثقة صدوق. قال: ومالك ينكر أويساً يقول: لم يكن. انتهى.

ولعل إنكار مالك لوجوده فيه إن صح مبنى على أن القرنين قالوا لا نعرف نسبه فينا، أو شككوا في وجوده بينهم!

وقد تقدم أن مخبرات الخلافة كلفت ابن عمه بأذاه وتسقيط شخصيته، فلا يبعد أن تكون هذه الشائعه من صنعهم.

كما تقدم قول أويس عن رد فعل الخلفاء وعمالهم على نصحه لهم (حتى والله لقد يقذفوننا بالعظام، والله لا يمتنعني ذلك أن أقول بالحق).

وقوله (نأمرهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر، فيشتمون أعراضنا، ويرموننا بالجرائم والمعائب والعظام، ويجدون على ذلك أعواناً من الفاسقين، إنه والله لا يمنعنا ذلك أن نقوم فيهم بحق الله)!

ومن المعروف للجميع أن الخلفاء (ماعداء على عليه السلام) لم يكن يتسع صدرهم للانتقاد، وأن سياستهم قامت على أن المنتقد عدو، بل الممتنع عن البيعة عدو.. وقد أرادوا قتل سعد بن عباد في السقيفة، وأشعلوا الحطب في اليوم الثاني لوفاء النبي صلى الله عليه وآله في دار علي وفاطمة ليحرقوه بمن فيه! إن لم يبايعوا!! الخ.

وعندما يكون منتقد للخليفة شخصية مهمة مبشراً به مشهوداً له من النبي صلى الله عليه وآله فإن جرمه يكون أكبر، لأن كلامه يكون مؤثراً في الناس أكثر!

وعليه فليس بعيداً أن تكون السلطة طلبت من القرنين إنكار أويس، أو تبرعوا هم بإنكاره خوفاً من تحميلهم مسؤولية معارضته! وهو عمل مألوف حتى في عصرنا من العشيرة التي لا تريد أن تتحمل مسؤولية ابنها المعارض للسلطة. ويؤيد ذلك سلوك أويس الفريد في العناية بالفقراء، وتربيته مجموعة من الزهاد السائرين على نهجه، وكان مركزهم في مسجد بالكوفة.. وأنه ورد عنه أنه كان يكرر (ماذا لقيت من عمر) وهو شبيه بالكلام الذي كانت تكرر فاطمة الزهراء عليها السلام.. هذا، ومن المحتمل أن محبى بنى أمية أشاعوا عن مالك تشكيكه في وجود أويس القرنى، لأن أويساً كعمار بن ياسر رضى الله عنهما ظل شهادة صارخة من النبي صلى الله عليه وآله على أهل الباطل!

ومن طريف ماجرى في عصرنا أن الإيرانيين بنوا في صفين (الرقعة) مسجداً كبيراً ضمنونه قبر عمار بن ياسر وأويس القرنى رضى الله عنهما، وعندما كمل المشروع أقاموا لافتتاحه احتفالاً ودعوا بعض العلماء والمؤرخين لالقاء خطبهم فيه، ومنهم الدكتور سهيل زكار المحب للأمويين، فتكلم في افتتاح مسجد أويس، وأنكر وجود شخصيته من أساسها!! والطريف أن الملحقية الثقافية الإيرانية نشرت خطابه في مجلتها!!

فإذا كنا إلى الآن نرى أن المتعصبين لبني أمية مثل الدكتور زكار، يثقل عليهم وجود أويس القرنى، ويحاولون إنكاره، فإن أسلافهم الذين عاصروه أو رأوا تأثيره العميق على الأمة، أجدر من المتأخرين بإنكار وجوده للتخلص منه!

آراء مضادة مغالبة في أويس القرنى

من جهة أخرى غالى بعضهم في أويس وجعلوه خليل رسول الله صلى الله عليه وآله ففي طبقات ابن سعد: ٦/١٦٣:

أخبرنا مسلم بن إبراهيم قال: حدثنا سلام بن مسكين قال: حدثني رجل قال: قال رسول الله (ص): خليلي من هذه الأمة أويس القرنى. ورواه في الجامع الصغير: ٣/٢٩٨، برقم ٣٩٤٢ وفي مختصر تاريخ دمشق: ٣ جزء ٨٩٥ وفي كنز العمال: ١٢/٧٤. انتهى.

وهذه الرواية لا تصح عندنا ولا عند غيرنا.

أما عندنا فلانه ثبت أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعلى عليه السلام: أنت أخي، وخليلى، وأول من يصفحني يوم القيامة. وأما عندهم، فلانهم رووا حديثاً ينفي وجود خليل للنبي صلى الله عليه وآله وأنه لو كان متخذاً خليلاً لاتخذ أبا بكر خليلاً! وحديثهم عن ابى بكر كحديثهم عن أويس يراجح بهما نفى أن يكون خليل النبي عليه السلام! كما وضعوا حديث أن عمر أول من يصفح الرحمن يوم القيامة، مقابل حديث أن يكون علياً أول من يصفح النبي صلى الله عليه وآله يوم القيامة!

قال أحد العلقين في هامش المجروحين لابن حبان: ٣/١٥١:

وأخبار أويس أورد الكثير منها ابن سعد في الطبقات، وأورد ابن الجوزى خبراً منها ثم قال: قد وضعوا خبراً طويلاً في قصة أويس من غير هذه الطريق. وإنما يصح في الحديث عن أويس كلمات يسيرة جرت له مع عمر، وأخبره رسول الله (ص) فقال: يأتي عليكم أويس فإن استطعت أن تستغفر لك فافعل. فأطال القصاص وعرضوا في حديث أويس بما لا فائدة في الإطاله بذكره. انتهى.

وقد حصر هذا المحشى سبب الوضع في أحاديثه بالقصاص، ولكن عرفت مشكلة الخلافة والأمويين مع أويس، وهى دواع للإنكار والوضع معاً!!

٨ - ورووا أنه أوصى إلى هرم بن حيان وبكى على عمر

في مستدرک الحاكم: ٣/٤٠٦.

أخبرنا أبو العباس القاسم بن القاسم بن عبد الله بن معاوية السيارى شيخ أهل الحقائق بخراسان قال: أنا أبو الموجه محمد بن عمرو بن الموجه الفزارى، أنا عبدان بن عثمان، أنا عبد الله بن الشميظ بن عجلان، عن أبيه أنه سمع أسلم العجلي يقول: حدثني أبو الضحاك

الجرمي، عن هرم بن حيان العبدى قال:

قدمت الكوفة فلم يكن لى بها هم إلا أوبس القرنى أطلبه وأسأل عنه حتى سقطت عليه جالساً وحده على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه، فعرفته بالنتع فاذا رجل لحم آدم شديد الادمه، أشعر محلوق الرأس يعنى ليس له جمه، كث اللحية عليه ازار من صوف ورداء من صوف بغير حذاء، كبير الوجه مهيب المنظر جداً، فسلمت عليه فرد على، ونظر الى فقال: حياك الله من رجل، فمددت يدي إليه لاصافحه فأبى أن يصافحني وقال: وأنت فحياك الله.

فقلت رحمك الله يا أوبس وغفر لك، كيف أنت رحمك الله؟

ثم خنقتنى العبرة من حبي إياه ورقتي له، لما رأيت من حاله ما رأيت حتى بكيت وبكى. ثم قال: وأنت فرحمك الله يا هرم بن حيان، كيف أنت يا أخى، من ذلك على؟ قلت: الله قال: لا اله إلا الله سبحانه ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً، حين سماني والله ما كنت رأيت قط ولا رأني.

ثم قلت: من أين عرفتنى وعرفت اسمى واسم أبى؟ فوالله ما كنت رأيتك قط قبل هذا اليوم!

قال: نبأني العليم الخبير، عرفت روحى وروحك حيث كلمت نفسى نفسك. إن الأرواح لها أنفوس الأحياء، إن المؤمنين يعرف بعضهم بعضاً ويتحدثون بروح الله وإن لم يلتقوا، وإن لم يتكلموا ويتعارفوا، وإن نأت بهم الديار وتفرقت بهم المنازل.

قال قلت: حدثني عن رسول الله صلى الله عليه وآله بحديث أحفظه عنك.

قال: إنى لم أدرك رسول الله صلى الله عليه وآله ولم تكن لى معه صحبه، ولقد رأيت رجلاً قد رأوه وقد بلغنى من حديثه كما بلغكم، ولست أحب أن أفتح هذا الباب على نفسى أن أكون محدثاً أو قاضياً ومفتياً. فى النفس شغل يا هرم بن حيان.

قال فقلت: يا أخى اقرأ على آيات من كتاب الله أسمعهن منك فإنى أحبك فى الله حباً شديداً، وادع بدعوات وأوص بوصيه أحفظها عنك.

قال فأخذ بيدي على شاطئ الفرات وقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم، قال فشهو شهقه ثم بكى مكانه، ثم قال قال ربي تعالى ذكره وأحق القول قوله وأصدق الحديث حديثه وأحسن الكلام كلامه: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا لَاعِينٍ، مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ.. حتى بلغ إلى من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم. ثم شهق شهقه ثم سكت، فنظرت إليه وأنا أحسبه قد غشى عليه، ثم قال: يا هرم بن حيان، مات أبوك، وأوشك أن تموت ومات أبو حيان. فإما إلى الجنة وإما إلى النار. ومات آدم ومات حواء.

يا ابن حيان ومات نوح و ابراهيم خليل الرحمن.

يا ابن حيان ومات موسى نجى الرحمن.

يا ابن حيان ومات داود خليفه الرحمن.

يا ابن حيان ومات محمد رسول الرحمن.

ومات أبو بكر خليفه المسلمين.

يا ابن حيان ومات أخى وصفيى وصديقى عمر بن الخطاب.

ثم قال: واعمره، رحم الله عمر وعمر يومئذ حى!! وذلك فى آخر خلافته.

قال فقلت له: رحمك الله إن عمر بن الخطاب بعد حى!

قال: بلى إن تفهم فقد علمت ما قلت! وأنا وأنت فى الموتى. وكان قد كان ثم صلى على النبى صلى الله عليه وآله ودعا بدعوات خفاف ثم قال:

هذه وصيتى اليك يا هرم بن حيان: كتاب الله واللقاء بالصالحين من المسلمين والصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وآله، ولقد

نعيت على نفسى ونعيتك، فعليك بذكر الموت، فلا يفارقن عليك طرفه، وأنذر قومك إذا رجعت اليهم، وانصح أهل ملتك جميعاً وادكح لنفسك، وإياك أن تفارق الجماعة فتفارق دينك وأنت لا تعلم، فتدخل النار يوم القيامة!

قال ثم قال: اللهم إن هذا يزعم أنه يحبني فيك وزارني من أجلك، اللهم عرفني وجهه في الجنة، وأدخله على زائر آ في دارك دار السلام، واحفظه مادام في الدنيا حيث ما كان، وضم عليه ضيعته ورضه من الدنيا باليسير، وما أعطيته من الدنيا فيسر له، واجعله لما تعطيه من نعمتك من الشاكرين، واجزه خير الجزاء.

استودعتك الله يا هرم بن حيان، والسلام عليك ورحمة الله.

ثم قال لى: لا أراك بعد اليوم رحمك الله فإني أكره الشهرة والوحدة أحب الى لأنى شديد الغم كثير الهم مادمت مع هؤلاء الناس حياً فى الدنيا، ولا- تسأل عنى ولا- تطلبنى. واعلم أنك منى على بال ولم أرك ولم ترنى!! فاذكرنى وادع لى فانى سأذكرك وأدعو لك إن شاء الله تعالى.

انطلق ها هنا حتى آخذها هنا.

قال فحرصت على أن أسير معه ساعة فأبى على، ففارقته يبكى وأبكى!

قال فجعلت أنظر فى قفاه حتى دخل فى بعض السكك، فكم طلبته بعد ذلك وسألت عنه فما وجدت أحداً يخبرنى عنه بشئ، فرحمه الله وغفر له.

وما أتت على جمعة إلا وأنا أراه فى منامى مرة أو مرتين! أو كما قال.

وفى سير أعلام النبلاء: ٤/٢٨:

أخبرنا إسحاق بن أبى بكر، أنبأنا يوسف بن خليل، أنبأنا أبو المكارم المعدل، أنبأنا أبو على الحداد، أنبأنا أبو نعيم الحافظ، حدثنا حبيب بن الحسن، حدثنا أبو شعيب الحرانى، حدثنا خالد بن يزيد العمرى، حدثنا عبد العزيز بن أبى رواد، عن علقمة بن مرثد، قال: انتهى الزهد إلى ثمانية: عامر بن عبد الله بن عبد قيس، وأويس القرنى، وهرم بن حيان، والربيع بن خثيم، ومسروق بن الأجدع، والأسود بن يزيد، وأبى مسلم الخولانى، والحسن بن أبى الحسن.

وروى عن هرم بن حيان، قال: قدمت الكوفة، فلم يكن لى هم إلا أويس أسأل عنه، فدفعت إليه بشاطئ الفرات يتوضأ ويغسل ثوبه، فعرفته بالنعث... إلى آخر القصة، وقال: أوردها أبو نعيم فى الحلية، ولم تصح، وفيها ما ينكر. انتهى.

ويكفى لرد هذه القصة أنها تنسب إلى أويس أن الله تعالى نعى إليه عمر، وأنه لو صح أنه أخبر بوفاة عمر فى الكوفة قبل أن يعرف الناس لشاع ذلك ورواه غير هرم. مضافاً إلى تعارض ما فيها، وما يعارضها من أن هرما هذا كان يبحث عن أويس ولم يجده.

ثم إن هذه القصة شهادة من هرم لنفسه بأنه الوارث الشرعى لزهد أويس، وكان ينبغى أن يشهد له بذلك غيره، كما شهد النبى صلى الله عليه وآله والمسلمون لأويس.

وأخيراً، فإن الكرامات الباطلة التى رووها عن هرم توجب الشك فى اصل تدينه وفى كل ما روى عنه وله.. فقد رووا أنه سمي هرما لأنه هرم فى بطن أمه وبقي حملاً لمدة سنتين، أو أربع سنين!! قال الذهبى فى سير أعلام النبلاء: ٤/٤٨:

وقيل: سمي هرماً لأنه بقى حملاً سنتين حتى طلعت أسنانه!

قال أبو القاسم ابن عساكر: قدم هرم دمشق فى طلب أويس القرنى. انتهى.

وقال فى اختيار معرفة الرجال: ١/٣١٣:

قال القتيبي: وإنما سمي هرماً لأنه بقى فى بطن أمه أربع سنين. انتهى.

فهذا هو هرم الذى هرموه، وكبروه على حساب أويس!

٩ - وادعوا أن أويساً ورث خرقة التصوف ثم ورثها لموسى الراعى

في طرائف المقال: ٢/٥٩٤:

عن تذكرة الأولياء أن علياً عليه السلام وعمر أعطيا خرقه النبي صلى الله عليه وآله حسب الوصية أويماً فلما رآه الثاني أن ثوبه وكساه شعر الابل ووبره، ورأسه ورجليه مكشوفان، وكان له رئاسة الدنيا والدين تغير حاله فقال عمر: من يشتري الخلافة مني برغيف من الخبز؟

وفي لسان الميزان: ٦/١١٧:

(موسى) بن زيد الراعى أبو عمران الديلمى نزيل بلخ.

لم أجد له ذكراً، وأظن أن بعض من فى إسناد خبره اختلقه، فإنه أسندت عنه خرقه التصوف، فزعم أو من اختلقه أن أويماً القرنى ألبسه الخرقه لما قدم بلاد الديلم، ومات بها، وأن عمر ألبسه قميصه بعرفات بحضور على، وأن علياً ألبسه رداء ثم ألبسه قميصه بصفين، وهما لبسا من النبي صلى الله عليه وآله.

ذكره الفخر الفارسي، وهو محمد بن ابراهيم الذى تقدمت ترجمته عن أبيه، عن نصر بن خليفة البيضاوى، عن ابراهيم بن شهریار، عن أبى محمد الحسن الآبار الشيرازى، عن محمد بن خفيف، عن ابن عمر الإصطخرى، عن أبى تراب النخشبى، عن أبى عمران المذكور. وفى السياق أن كلا من هؤلاء ألبس الذى دونه.

وهذا خبر باطل مشوش. وأويس قتل بصفين كما ذكرته فى ترجمته، وقيل مات قبل ذلك، فالله أعلم. انتهى.

وهذه الروايات وغيرها من الإدعاءات الباطلة، تدل على المكانة التى كانت لأويس (رض) فى وجدان المسلمين، وعلى تأثير شخصيته ومسلكه فى نفوسهم، حتى كثرت الأحاديث عنه، وادعى كثير الارتباط به والقرب منه، أو ادعوا قربه من أئمتهم الذين يحبونهم! وهو أمر يزيد من التأكيد على وجود شخصيه أويس، وتأثير سيرته تأثيراً عميقاً فى أجيال المسلمين ومتدنيهم.. رضوان الله عليه.

صورة عن أويس القرنى من مصادرنا روائح الجنة تفوح من قرن!

فى الفضائل/١٠٧:

مما روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول: تفوح روائح الجنة من قبل قرن الشمس، واشوقاه اليك يا أويس القرنى، ألا من لقيه فليقرأه عنى السلام.

ف قيل: يا رسول الله ومن أويس القرنى؟

فقال صلى الله عليه وآله: إن غاب لم يفقدوه، وإن ظهر لم يكثر ثوا له، يدخل فى شفاعته إلى الجنة مثل ربيعة ومضر، آمن بى ومارأتى، ويقتل بين يدى خليفتى على بن أبى طالب فى صفين. انتهى. ورواه فى بحار الأنوار: ٣٨/١٥٥

وفى شرح الأخبار: ٢/٣٥:

وأويس بن عامر القرنى، قتل مع على صلوات الله عليه بصفين، وهو الذى قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن من بعدى رجل يقال له: أويس به شامة بيضاء، من لقيه فليبلغه منى السلام، فإنه يشفع يوم القيامة لكذا وكذا من الناس.

خير التابعين ونفس الرحمن

فى هامش مجمع البحرين: ٣/٤٩٨:

هو من التابعين الاخير، ممن كانوا على الهدى وثبتوا عليه.

شهد مع على عليه السلام حرب صفين، واستشهد فى سبيل حقه. ووصفه المؤرخون بأنه من خواص أمير المؤمنين وحواريه، وورد فى شأنه مدح كثير وثناء من النبي صلى الله عليه وآله، قال صلى الله عليه وآله فى وصفه: إنه نفس الرحمن وخير التابعين.

كان راعي إبل فصار الشيع الموعود

في طرائف المقال: ٢/٥٩٧:

وروى ضمرة عن أصبغ بن زيد قال: أسلم أويس على عهد النبي صلى الله عليه وآله لكن منعه من القدوم بره بأمه. واستشهد أويس وجماعته من أصحابه في الرجال بين يدي على عليه السلام، وقد ذكرنا أن أويساً كان راعياً للابل ويأخذ الاجرة على الرعي، ويصرفها لأمه الصالحة الصادقة. فذات يوم استأذن من أمه أن يذهب إلى زيارة النبي صلى الله عليه وآله، فأذنت له لكن إن لم يكن النبي صلى الله عليه وآله في بيته فلا- تتوقف وارجع معجلاً فلما ذهب إلى زيارته ولم يكن في البيت رجوع إلى اليمن، فلما أتى صلى الله عليه وآله إلى بيته فرأى نوراً لم ير مثله، فسأل أنه هل أتى في درب البيت أحد؟ فأجيب جاء أحد من اليمن اسمه أويس، فحيا وذهب. فقال صلى الله عليه وآله: نعم هذا نور أويس، جعله هدية في بيتنا. راجع أيضاً: سير أعلام النبلاء: ٤/٢٧

اويس من أركان التشيع لعلی

في الاختصاص/٦: ذكر السابقين المقربين من أمير المؤمنين عليه السلام:

حدثنا جعفر بن الحسين، عن محمد بن جعفر المؤدب: الاركان الاربعة: سلمان، والمقداد، وأبو ذر، وعمار، هؤلاء الصحابة. ومن التابعين: أويس بن أنيس القرني، الذي يشفع في مثل ربيعة ومضر...

وفي الإختصاص/٨١:

أحمد بن هارون الفامي، عن محمد بن الحسن، عن محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أبي عبد الله محمد بن خالد البرقي، عن أحمد بن النضر الخزاز، عن عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: شهد مع علي بن أبي طالب عليه السلام من التابعين ثلاثة نفر بصفين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالجنة ولم يرههم: أويس القرني، وزيد بن صوحان العبدی، وجندب الخير الأزدي، رحمه الله عليهم. انتهى. ورواه في بحار الأنوار: ٢٩/٦١٨.

وفي اختيار معرفة الرجال: ١/٣١٤:

وكان أويس من خيار التابعين لم ير النبي صلى الله عليه وآله ولم يصحبه، فقال النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم لاصحابه: أبشروا برجل من أمتي يقال له أويس القرني، فإنه يشفع لمثل ربيعة ومضر.

روى يحيى بن آدم، عن شريك، عن ابن زياد، عن ابن أبي ليلى عبد الرحمن، قال: خرج رجل بصفين من أهل الشام، فقال: فيكم أويس القرني؟ قلنا نعم. قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: خير التابعين، أو من خير التابعين أويس القرني، ثم تحول إلينا. انتهى.

وروى الأول في روضة الواعظين/٢٨٩، وبحار الأنوار: ٣٨/١٥٦، وجامع الرواة: ١/١١٠، ووسائل الشيعة: ٢٠/١٤٤، ومعجم رجال الحديث: ٤/١٥٤

وفي طرائف المقال: ٢/٥٩٢

وعن غوث المتأخرين السيد محمد النور بخشي نور الله مرقدته في شجرة الأولياء قال: أويس القرني المجذوب قدس سره، هو الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وآله بالولاية، وقال: إني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن.

وفيه أيضاً في أوائل الكتاب: محمد بن قولويه، عن سعد بن عبد الله، عن علي بن سليمان بن داود الرازي، عن علي بن أسباط، عن أبيه أسباط بن سالم، قال قال أبو الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام): إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين حوارى محمد بن عبد الله الذين لم ينقضوا العهد ومضوا إليه؟

فيقوم سلمان والمقداد وأبو ذر.

ثم ينادى المنادى: أين حواري على بن أبي طالب عليه السلام وصي رسول الله صلى الله عليه وآله، فيقوم عمرو بن الحمق، ومحمد بن أبي بكر، وميثم التمار مولى بنى أسد، وأويس القرني... الحديث. راجع أيضاً: معجم رجال الحديث: ٤/١٥٤.

وقد نقل عن أويس أنه في بعض الليالي يقول: هذه ليلة الركوع ويتم الليلة بركوع واحد، وفي الليلة الأخرى يقول: هذه ليلة السجود ويتمها بسجدة، فقيل له: يا أويس كيف تطيق على مضي الليالي الطويلة على منوال واحد؟ فقال أويس: أين الليلة الطويلة؟ فياليت كان من الأزل إلى الأبد ليلة واحدة حتى تتمها بسجدة واحدة، وتتوفر على الأنين والبكاء إلى آخرها.

أويس ختام المسك الموعود في حرب الجمل

قال المفيد في الإرشاد: ١/٣١٥:

نقلًا عن ابن عباس أن أمير المؤمنين عليه السلام جلس بذي قار لأخذ البيعة فقال: يأتيكم من قبل الكوفة ألف رجل لا يزيدون رجلاً ولا ينقصون رجلاً يبايعونني على الموت.

قال ابن عباس: فجذعت لذلك أن ينقص القوم عن العدد أو يزيدون عليه، فيفسد الأمر علينا، ولم أزل مهموماً دأبى إحصاء القوم، حتى ورد أوائلهم فجعلت أحصيتهم فاستوفيت عددهم تسعمائة وتسعة وتسعون رجلاً ثم انقطع مجئ القوم فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ماذا حمله على ما قال؟!

فبينما أنا مفكر في ذلك إذ رأيت شخصاً قد أقبل، حتى إذا دنا وإذا هو رجل عليه قباء صوف معه سيفه وترسه وإداوته، فقرب من أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: أمدد يدك أبايعك، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: على م تبايعني؟ قال: على السمع والطاعة، والقتال بين يديك حتى أموت، أو يفتح الله عليك.

فقال له: ما اسمك؟

قال: أويس.

قال: أنت أويس القرني؟

قال: نعم.

قال: الله أكبر، أخبرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله أني أدرك رجلاً من أمته يقال له أويس القرني، يكون من حزب الله ورسوله، يموت على الشهادة، يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر.

قال ابن عباس: فسرى والله عنى. انتهى.

ورواه في الخرائج والجرائح: ١/٢٠٠، وإعلام الوري: ١٧٠/، والثاقب في المناقب/٢٦٦، وبحار الأنوار: ٣٧/٢٩٩

وفي مناقب آل أبي طالب: ٢/١٠٤:

ابن عباس أنه قال عليه السلام يوم الجمل: لنظهن على هذه الفرقة، ولنقتلن هذين الرجلين. وفي رواية: لنفتحن البصرة وليأتينكم اليوم من الكوفة ثمانية آلاف رجل وبضع وثلاثون رجلاً، فكان كما قال. وفي رواية سته آلاف وخمسة وستون.

وقال المفيد في الجمل/٤٩:

ونحن نذكر الان جملة من بايع أمير المؤمنين عليه السلام الراضين بإمامته الباذلين أنفسهم في طاعته بعد الذي أجملناه من الخبر عنهم ممن يعترف المنصف بوقوفه على أسمائهم تحقيق ما وصفناه، من غنايتهم في الدين وتقدمهم في الإسلام، ومكانهم من نبي الهدى، وأن الواحد منهم لو ولى العقد لامام لانعقد الأمر به، خاصة عند خصومنا فضلاً عن جماعتهم، وعلى مذهبهم فيما يدعونه من ثبوت

الإمامة بالإختيار وآراء الرجال، وتضمنحل بذلك عنده شبهات الأموية فيما راموه من القدح في دليلنا، بما ذكروه من خلاف من سموه حسبما قدمنا.

ومن بايع أمير المؤمنين بغير ارتياب ودان بامامته على الإجماع والإتفاق، واعتقد فرض طاعته والتحریم لخالفه ومعصيته، والحاضرون معه في حرب البصرة ألف وخمسائة رجل، من وجوه المهاجرين الأولين والسابقين إلى الإسلام والأنصار البدرين العقبين، وأهل بيعة الرضوان، من جملتهم سبعمائة من المهاجرين وثمانمائة من الأنصار، سوى أبنائهم وحلفائهم ومواليهم، وغيرهم من بطون العرب والتابعين بإحسان، على ماجاء به الثبت من الأخبار... إلى أن قال:
بيعة باقي الشيعة:

ومن يلحق منهم بالذكر من أوليائهم وعليه شيعتهم، وأهل الفضل في الدين والإيمان والعلم والفقہ والقرآن، المنقطعين إلى الله تعالى بالعبادة والجهاد، والتمسك بحقائق الإيمان: محمد بن أبي بكر، ربيب أمير المؤمنين وحيبيه. ومحمد بن أبي حذيفة وليه وخاصته المستشهد في طاعته.

ومالك ابن الحرث الأشتر النخعي، سيفه المخلص في ولايته.

وثابت بن قيس النخعي.

وعبد الله بن أرقم.

وزيد بن الملقق.

وسليمان بن صرد الخزاعي.

وقبيصة وجابر وعبد الله ومحمد بن بديل الخزاعي.

وعبد الرحمن بن عديس السلولي.

وأويس القرني...

اويس ختام المسك الموعود في حرب صفين

في خصائص الأئمة/٥٣:

وبإسناد عن الأصمغ بن نباتة قال: كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام بصفين فبايعه تسعة وتسعون رجلاً، ثم قال: أين تمام المائة؟ فقد عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله (أنه) يبايعني في هذا اليوم مائة رجل!
قال فجاء رجل عليه قباء صوف متقلد سيفين فقال: هلم يدك أبايعك.

فقال: على م تبايعني؟

قال: على بذل مهجة نفسي دونك!

قال: ومن أنت؟

قال: أويس القرني، فبايعه فلم يزل يقاتل بين يديه حتى قتل، فوجد في الرجالة مقتولاً.

وفي اختيار معرفة الرجال: ١/٣١٥:

وروى الحسن بن الحسين القمي، عن علي بن الحسن العرنى، عن سعد بن طريف، عن الأصمغ بن نباتة، قال كنا مع علي عليه السلام بصفين، فبايعه تسعة وتسعون رجلاً، ثم قال: أين المائة لقد عهد الى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبايعني في هذا اليوم مائة رجل.
قال: إذ جاء رجل عليه قباء صوف متقلداً بسيفين فقال: أبسط يدك أبايعك.

قال علي عليه السلام: علي م تبايعني؟ قال: على بذل مهجة نفسي دونك.

قال: من أنت؟ قال: أنا أويس القرني.

قال: فبايعه فلم يزل يقاتل بين يديه حتى قتل، فوجد في الرجالة.

وفي رواية أخرى، قال له أمير المؤمنين عليه السلام: كن أويساً.

قال: أنا أويس.

قال: كن قرنياً قال: أنا أويس القرني.

وإياه يعنى دعبل بن علي الخزاعي في قصيدته التي يفتخر فيها على نزار، وينقض على الكميت بن زيد قصيدته التي يقول فيها:

الأحييت عنا يا مدينا أويس ذو الشفاعة كان من

فيوم البعث نحن الشافعون

راجع أيضاً: الخرائج والجرائح: ١/٢٠٠ والثاقب في المناقب/٢٦٦ وجامع الرواة: ١/١١٠، ومدینه المعاجز: ٢/٢٩٩، ومعجم رجال

الحديث (ط.ج): ٤/١٥٤

وفي بحار الأنوار: ٢٩/٥٨٣

وبرز عبد الله بن جعفر في ألف رجل، فقتل خلقاً حتى استغاث عمرو بن العاص. وأتى أويس القرني متقلداً بسيفين ويقال: كان معه

مرمأة ومخلاة من الحصى، فسلم على أمير المؤمنين عليه السلام وودعه، وبرز مع رجالة ربيعة، فقتل من يومه، فصلى عليه أمير المؤمنين

عليه السلام ودفنه. انتهى.

وفي المناقب/٢٤٩

وفي رواية: قتل من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك اليوم والليل ألفاً رجل وسبعون رجلاً، وفيهم أويس القرني زاهد

زمانه، وخزيمة بن ثابت الأنصاري ذوالشهادتين، وقتل من أصحاب معاوية في ذلك اليوم سبعة آلاف رجل. انتهى.

وتدل هذه النصوص على أن أويساً رضى الله عنه ملهم من الله تعالى، حيث قال في بيعته لأمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل (على

السمع والطاعة، والقتال بين يديك حتى أموت، أو يفتح الله عليك) فكان الفتح.

وقال يوم صفين (على بذل مهجة نفسي دونك) ولم يذكر الفتح!

وتدل على مقادير الله تعالى لهذا الولي الكبير أن يكون تمام الالف في حرب الجمل، ثم تمام المئة في صفين، مبايعاً على الموت في

سبيل الله تعالى.

وتدل هي وغيرها على أنه وجماعته كانوا فوجاً مقاتلاً، وأنهم قاتلوا قتال الأبطال المستميتين، فقد كسر أويس جفن سيفه، ووجد فيه

أربعون طعنة، وصلى عليه ودفنه أمير المؤمنين عليه السلام.

وليس كما ذكر أسير بن جابر أنه سرعان ما جاءه سهم فقتل، وأنه هو دفنه.. الخ.

متفرقات عن أويس

في طرائف المقال: ٢/٥٩٢:

وفي رجال الكشي: علي بن محمد بن قتيبه قال: سئل أبو محمد عن الزهاد الثمانية فقال: الربيع بن خيثم، وهرم بن حيان، وأويس

القرني، وعامر بن عبد قيس، وكانوا مع علي عليه السلام ومن أصحابه، وكانوا زهاداً أتقياء.

وأما أبو مسلم أهبان بن صيفي، فإنه كان فاجراً مرائياً، وكان صاحب معاوية، وهو الذي كان يحث الناس على قتال علي فقال لعلي

عليه السلام: إُدفع إلينا المهاجرين والأنصار حتى نقتلهم بعثمان، فأبى علي ذلك، فقال أبو مسلم: الآن طاب الضراب إنما كان وضع

فخاً ومصيدة.

وأما مسروق، فإنه كان عشاراً لمعاوية، ومات في عمله ذلك بموضع أسفل من واسط على دجلة يقال له الرصافة، وقبره هناك. والحسن كان يلقي كل فرق بما يهون، ويتصنع للرئاسة، وكان رئيس القدرية.

وأويس القرني مفضل عليهم كلهم.

قال أبو محمد: ثم عرف الناس بعد.

وكان أويس من خيار التابعين لم ير النبي صلى الله عليه وآله ولم يصحبه، بل آمن به في الغياب، ولعدم المكنة وتفرق الحال والإشتغال على خدمات أمه لم يدرك صحبته، وكان شغله رعى الجمال وأخذ الاجرة. انتهى.

راجع أيضاً: خلاصة الاقوال/٢٤، والتحرير الطاووسي/٧٤، ووسائل الشيعة: ٢٠/١٤٤، ومعجم رجال الحديث: ٤/١٥٤، ولسان الميزان: ١/٤٧١

وفي بحار الأنوار: ٦٣/٣٩٠:

قال أويس لهرم بن حيان: قد عمل الناس على رجاء، فقال: بل نعمل على الخوف والخوف خوفان ثابت وعارض، فالثابت من الخوف يورث الرجاء، والعارض منه يورث خوفاً ثابتاً.

والرجاء رجاءان: عاكف وباد، فالعاكف منه يقوى نسبة العبد، والبادى منه يصحح أمل العجز والتقصير والحياء.

مستدرك الوسائل: ١٦/٧٣:

مجموعه الشهيد رحمه الله: نقلاً من كتاب قضايا أمير المؤمنين عليه السلام، عن أويس القرني قال: كنا عند أمير المؤمنين إذ أقبلت امرأة متشبهة برجل، وهي تقول: يا أمير المؤمنين لى على هذا الرجل أربعمائه دينار، فقال عليه السلام: للرجل: ما تقول المرأة؟ فقال: ما لها عندي إلا خمسون درهماً مهرها.

فقلت: يا أمير المؤمنين، أعرض عليه اليمين، فقال عليه السلام: تقول باركاً وتشخص ببصرك إلى السماء:

اللهم إن كنت تعلم أن لهذه المرأة شيئاً أريد ذهاب حقها وطلب نشوها وأنكر ما ذكرته من مهرها، فلا استعنت بك من مصيبتها، ولا سألتك فرج كربته، ولا احتجت إليك في حاجة، وإن كنت أعلم أنك تعلم أن ليس لهذه المرأة شيئاً أريد ذهاب حقها فلا تقمى من مقامى هذا حتى تريها نعمتها منك.

فقال: والله يا أمير المؤمنين لا حلفت بهذا اليمين أبداً، وقد رأيت أعرابياً حلف بها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فسلب الله عليه ناراً فأحرقته من قبل أن يقوم من مقامه، وأنا أوفيها ما ادعته على. انتهى.

ورواه في الخرائج والجرائح: ١/٢٠٠، والثاقب في المناقب/٢٦٦، ومدينه المعاجز: ٢/٢٩٩

من الأدعية المروية عن أويس

في مستدرك الوسائل: ٥/٤٨:

السيد رضى الدين على بن طاووس في مهج الدعوات: عن موسى بن زيد، عن أويس القرني، عن على بن أبى طالب عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، في حديث أنه قال: من دعا بهذا الدعاء في منامه، فيذهب به النوم وهو يدعو بها، بعث الله جل ذكره، بكل حرف منه سبعين ألف ملك من الروحانية، وجوههم أحسن من الشمس بسبعين ألف مرة، يستغفرون الله، ويدعون له، ويكتبون له الحسنات... الخبر.

الدعاء: يا سلام المؤمن المهيم، العزيز الجبار المتكبر، الطاهر المطهر، القاهر القادر المقدر، يا من ينادى من كل فج عميق، بألسنة شتى ولغات مختلفة، وحوائح اخرى، يا من لا يشغله شأن عن شأن، أنت الذى لا تغيرك الأزمنة، ولا تحيط بك الأمكنة، ولا تأخذك نوم ولا سنة، يسر لى من أمرى ما أخاف عسره، وفرج من أمرى ما أخاف كربته، وسهل لى من أمرى ما أخاف حزنه، سبحانك لا اله

إلا- أنت، إنى كنت من الظالمين، عملت سوءاً، وظلمت نفسى، فاغفر لى، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. انتهى. ورواه فى بحار الأنوار: ٨٨/٣٩٠ وفى حلية الأولياء: ٨/٥٦:

سفيان الثقفى الكوفى، ثنا أبو على الحسن بن عبد الله الوزان، ثنا أبو سعيد عمران بن سهل، ثنا سليمان بن عيسى، عن سفيان الثورى، عن إبراهيم بن أدهم، عن موسى بن يزيد، عن أويس القرنى عن عمر بن الخطاب عن على بن أبى طالب قال: قال رسول الله (ص): من دعا بهذه الأسماء استجاب الله له دعاءه. والذى بعثنى بالحق لو دعا بهذه الأسماء على صفائح من الحديد لذابت بإذن الله، ولو دعا بها على ماء جار لسكن بإذن الله.

والذى بعثنى بالحق إنه من بلغ إليه الجوع والعطش، ثم دعا بهذه الأسماء أطعمه الله وسقاه، ولو دعا بهذه الأسماء على جبل بينه وبين الموضع الذى يريد الآن الله له شعب الجبل، حتى يسلك فيه إلى الموضع الذى يريد. وإن دعا به على مجنون أفاق من جنونه، وإن دعا به على امرأة قد عسر عليها ولدها هون الله عليها، ولو أن رجلاً دعا به والمدينة تحرق وفيها منزله أنجاه الله ولم يحترق منزله.

وإن دعا أربعين ليلة من لىالى الجمعة غفر الله له كل ذنب بينه وبين الله عز وجل، ولو أن رجلاً دعا على سلطان جائر لخلصه الله من جوره.

ومن دعا بها عند منامه بعث الله إليه بكل اسم منها سبعين ألف ملك مرة يكتبون له الحسنات ومرة يمحوون عنه السيئات، ويرفعون له الدرجات إلى يوم ينفخ فى الصور.

فقال سلمان: يا رسول الله فكل هذا الثواب يعطيه الله؟

قال: نعم يا سلمان، ولولا أنى أخشى أن تتركوا العمل وتقتصروا على ذلك لأخبرتكم بأعجب من هذا!

قال سلمان: علمنا يا رسول الله.

قال: نعم، قل:

اللهم إنك حى لا تموت، وغالب لا تغلب، وبصير لا ترتاب، وسميع لا تشك، وقهار لا تقهر، وأبدي لا تنفد، وقريب لا تبعد، وشاهد لا تغيب، واله لا تضاد، وقاهر لا تظلم، وصمد لا تطعم، وقيوم لا تنام، ومحتجب لا ترى، وجبار لا تضام، وعظيم لا ترام، وعالم لا تعلم، وقوى لا تضعف، وجبار لا توصف، ووفى لا تخلف، وعدل لا تحيف، وغنى لا تفتقر، وكتر لا تنفد، وحكم لا تجور، ومنيع لا تقهر، ومعروف لا تنكر، ووكيل لا تحقر، ووتر لا تستشار، وفرد لا يستشير، ووهاب لا ترد وسريع لا تدهل، وجواد لا تبخل، وعزيز لا تدل، وعليم لا تجهل، وحافظ لا تغفل، وقيوم لا تنام، ومجيب لا تسأم، ودائم لا تبنى، وواحد لا تشبه، ومقتدر لا تنازع.

هذا حديث لا يعرف إلا من هذا الوجه، وموسى بن يزيد ومن دون إبراهيم وسفيان فيهم جهالة.

وفى حلية الأولياء: ١٠/٣٨٠:

ثنا عبد الله بن عبيدة العامرى، ثنا سورة بن شداد الأزهدى، عن سفيان الثورى، هو عن إبراهيم بن أدهم عن موسى بن يزيد عن أويس القرنى عن علز بن أبى طالب، قال قال رسول الله (ص): إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة غير واحد، ما من عبد يدعو بهذه الأسماء إلا وجبت له الجنة، إنه وتر يحب الوتر هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام.. إلى قوله الرشيد الصبور.. مثل حديث الأعرج عن أبى هريرة حديث الأعرج عن أبى هريرة صحيح متفق عليه، وحديث الثورى عن إبراهيم فيه نظر لا صحة له. وقال ابن الجوزى فى الموضوعات: ٣/١٧٥:

دعاء منقول: أنبأنا أبو سعد أحمد بن محمد البغدادي، أنبأنا عبد الوهاب بن أبى عبد الله بن مندة، أنبأنا أبى، أنبأنا إبراهيم بن محمد بن رجاء الوراق، حدثنا إبراهيم بن محمد بن يزيد بن خالد المروزي، حدثنا محمد بن موسى السلمى، حدثنا أحمد بن عبد الله

النيسابوري، عن شقيق البلخي، عن إبراهيم بن أدهم، عن موسى بن يزيد، عن أويس القرني، عن عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهما قالاً: قال رسول الله (ص): من دعا بهذه الأسماء استجاب الله له:

اللهم أنت حي لا- تموت، وخالق لا- تغلب، وبصير لا ترتاب، وسميع لا تشك، وصادق لا تكذب، وقاهر لا تغلب، وأبدى لا تنفذ، وقريب لا تبعد، وغافر لا تظلم، وصدق لا تطعم، وقيوم لا تنام، وجبار لا تقهر، وعظيم لا ترام، وعالم لا تعلم، وقوي لا تضعف، وعليم لا- توصف، ووفى لا- تخلف، وعدل لا- تحيف، وغنى لا- تفتقر، وحكيم لا- تجور، ومنيع لا- تقهر، ومعروف لا تنكر، ووكيل لا تحقر، وغالب لا تغلب، ووتر لا تستأمر، وفرد لا تستشير، ووهاب لا تمل، وسريع لا تذهل، وجواد لا تبخل، وعزيز لا تذلل، وحافظ لا تغفل، وقائم لا تنام، ومحتجب لا ترى، ودائم لا تفنى وباق لا تبلى، وواحد لا تشبه ومقتدر لا تنازع.

قال رسول الله (ص): والذي بعثني لو دعى بهذه الدعوات والأسماء على صفائح الحديد لذابت، ولو دعى بها على ما جار لسكن، ومن أبلغ إليه الجوع والعطش ثم دعا به أطعمه الله وسقاه، ولو أن بينه وبين موضع يريد به جبل لانشعب له الجبل حتى يسلكه إلى الموضع الذي يريد، ولو دعى به على مجنون لفاق، ولو دعى على امرأة قد عسر عليها ولدها، ولو دعا بها والمدينة تحترق وفيها منزله لنجا ولم يحترق منزله، ولو دعى بها أربعين ليلة من ليالي الجمعة غفر له كل ذنب بينه وبين الله عز وجل، ولو أنه دخل على سلطان جائر ثم دعى بها قبل أن ينظر السلطان إليه لخلصه الله من شره، ومن دعى بها عند منامه بعث الله عز وجل بكل حرف منها سبعمائة ألف ملك من الروحانيين، وجوههم أحسن من الشمس والقمر، يسبحون له ويستغفرون له ويدعون ويكتبون له الحسنات ويمحون عنه السيئات ويرفعون له الدرجات.

فقال سلمان: يا رسول الله أعطى الله بهذه الأسماء كل هذا الخير؟ فقال: لا تخبر به الناس حتى أخبرك بأعظم منها، فإني أخشى أن يدعوا العمل ويقتصروا على هذا. ثم قال: من نام وقد دعا بها، فإن مات مات شهيداً وإن عمل الكبائر وغفر لأهل بيته، ومن دعى بها قضى الله له ألف ألف حاجة.

وقد رواه سليمان بن عيسى عن سفيان الثوري، عن إبراهيم بن أدهم إلا أن الألفاظ تختلف. ورواه مختصراً الحسين بن داود البلخي، عن شقيق بن إبراهيم.

هذا حديث موضوع على رسول الله (ص)، وفي طرقة كلمات ركيكة يتنزه رسول الله (ص) عن مثلها وأسماء الله يتعالى الحق عنها، ولم نر التطويل بذكر الطرق لأنها من جنس واحد.

وفي الطريق الأول أحمد بن عبد الله وهو الجويباري.

وفي الطريق الثاني سليمان بن عيسى.

وفي الثالث الحسين بن داود، وثلاثتهم كانوا يضعون الحديث، والله أعلم أنهم ابتدوا بوضعه، ثم سرقه الآخرون وبدلاً فيه وغيره.

وقد روى لنا من طريق مظلّم فيه مجاهيل وفيه زيادات ونقصان. انتهى.

ونحن لا نحكم بصحة الأدعية المروية عن أويس رحمه الله، وهي أكثر من هذه النماذج التي ذكرناها، فرواياتها خاضعة للبحث العلمي وقواعد الجرح والتعديل، ولكنها تدل على المكانة العميقة له رحمه الله في نفوس المسلمين من الشيعة والسنة، وأنه ثبت عندهم أن أويساً من أولياء الله الخاصين النادرين، كما ثبتت عندهم أحاديث شفاعته الواسعة..

جعلنا الله ممن تشملهم شفاعته النبي وآله، وشيعتهم المقربين.

شفاعة أويس القرني لمئات الألوف أو الملايين

تقدم ذكر شفاعة أويس القرني رحمه الله في أحاديث عديدة، ومنها أحاديث صحيحة من الدرجة الأولى عند الطرفين، ونورد هنا ما يلي:

في مستدرک الحاكم: ٣/٤٠٨

حدثنا أبو زكريا يحيى بن محمد العنبري، ثنا محمد بن عبد السلام، ثنا اسحاق بن ابراهيم، ثنا عبد الوهاب الثقفي، ثنا خالد الحذاء، عن عبد الله بن شقيق، عن عبد الله بن أبي الجداء أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يدخل الجنة بشفاعته رجل من أمتي أكثر من بني تميم.

قال الثقفي قال هشام: سمعت الحسن يقول إنه أويس القرني. صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ورواه في سير أعلام النبلاء: ٤/٣٢. وفي مستدرک الحاكم: ٣/٤٠٥.

حدثنا أبو العباس احمد بن زياد الفقيه بالدامغان، ثنا محمد بن أيوب، أنا أحمد بن عبد الله بن يونس، ثنا أبو بكر بن عياش، عن هشام عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يدخل الجنة بشفاعته رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر. قال هشام: فأخبرني حوشب عن الحسن أنه أويس القرني.

قال أبو بكر بن عياش: فقلت لرجل من قومه: أويس بأى شئ بلغ هذا؟ قال: فضل الله يؤتیه من يشاء.

وفي تاريخ الطبري: ١٠/١٤٥.

حدثنا أبو كريب قال: حدثنا أبو بكر قال حدثنا هشام، عن الحسن قال قال رسول الله (ص): ليدخلن الجنة بشفاعته رجل من أمتي مثل ربيعة ومضر: قال هشام: فأخبرني حوشب أنه قال: هو أويس القرني. وفي تاريخ الطبري: ١١/٦٦٢.

عن هشام عن الحسن.. قال رسول الله (ص) ليدخلن الجنة بشفاعته رجل من أمتي مثل ربيعة ومضر.. أنه قال هو أويس القرني. وفي كنز العمال: ١٢/٧٣.

سيكون في أمتي رجل يقال له أويس بن عبد الله القرني، وإن شفاعته في أمتي مثل ربيعة ومضر (عد، عن ابن عباس). وفي كنز العمال: ١٢/٧٦.

يدخل الجنة بشفاعته رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر (ش، ك، هق، وابن عساكر عن الحسن مرسلًا، قال الحسن: هو أويس القرني).

وفي كنز العمال: ١٤/٨.

عن الحسن قال قال رسول الله (ص): يدخل بشفاعته رجل من أمتي الجنة أكثر من ربيعة ومضر، أما أسمى لكم ذلك الرجل؟ قالوا: بلى.

قال: ذاك أويس القرني...

وقال: يدخل الجنة بشفاعته رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر، ثم سماك.. الحديث. وروى نحوه في صفحة ١٣. وفي كنز العمال: ١٢/٧٤.

سيقدم عليكم رجل يقال له أويس كان به بياض فدعا الله له فأذهب الله، فمن لقيه منكم فمروه فليستغفر له (ش، عن عمر). وفي كنز العمال: ١٤/٧.

مسند عمر، عن صعصعة بن معاوية قال: كان أويس بن عامر من التابعين رجل من قرن، وإن عمر بن الخطاب قال: أخبرنا رسول الله (ص) أنه سيكون في التابعين رجل من قرن يقال له أويس بن عامر، يخرج به وضح فيدعو الله أن يذهب فيقول: اللهم دع لى فى جسدى منه ما أذكر به نعمتك على، فيدع له فى جسده ما يذكر به نعمته عليه، فمن أدرك منكم فاستطاع أن يستغفر له فليستغفر له (الحسن بن سفيان وأبو نعيم فى المعرفة، ق، فى الدلائل، كر) راجع أيضاً: ١٤/٨ و ١٠. ونحوه فى سير أعلام النبلاء: ٤/٢٦.

وفى سير أعلام النبلاء: ٤/٣٢:

وروى هشام بن حسان عن الحسن قال: يخرج من النار بشفاعه أويس أكثر من ربيعه ومضر.

أبو بكر الأعين: حدثنا أبو صالح، حدثنا الليث، عن المقبري، عن أبي هريرة مرفوعاً: يدخل الجنة بشفاعه رجل من أمتي أكثر من مضر وتميم. قيل: من هو يا رسول الله؟ قال: أويس القرني. هذا حديث منكر تفرد به الأعين، وهو ثقة.

ونحوه فى ميزان الاعتدال: ٢/٤٤٥.

وفى تاريخ الإسلام للذهبي: ٣/٥٥٨:

عن عمر قال: قال رسول الله (ص): يدخل الجنة بشفاعه أويس مثل ربيعه ومضر.

وفى بدء الإسلام لابن سلام الاباضى/٧٩:

أويس القرني... جاء فى الاثر عن النبى (ص) قال لأبى بكر وعمر: أوصيكم أن تقرؤوا منى أويس القرني السلام، يقدم المدينة بعدى... يدخل فى شفاعته يوم القيامة عدد ربيعه ومضر...

وفى ميزان الإعتدال: ١/٢٨٢:

عن الحسن قال: يخرج من النار بشفاعه رجل ليس بنبى، أكثر من ربيعه ومضر.

قال هشام عن الحسن: هو أويس.

وقال عبد الوهاب الثقفى: حدثنا خالد الحذاء، عن عبد الله بن شقيق، عن ابن أبى الجداء: سمع رسول الله (ص) يقول: يدخل الجنة بشفاعه رجل من أمتي أكثر من ربيعه وبنى تميم.

وفى ميزان الإعتدال: ١/٢٨٢ ولسان الميزان: ١/٤٧٤

يونس وهشام عن الحسن قال: يخرج من النار بشفاعه رجل ليس بنبى أكثر من ربيعه ومضر. قال هشام عن الحسن هو أويس.

وقال عبد الوهاب الثقفى ثنا خالد الحذاء، عن عبدالله بن شقيق، عن ابن أبى الجداء سمع رسول الله (ص) يقول: يدخل الجنة بشفاعه رجل من أمتي أكثر من ربيعه وبنى تميم.

وفى لسان الميزان: ١/٤٧٣

وقال أبو صالح: ثنا الليث، حدثنى المقبرى، عن أبى هريرة (رض) أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ليشفعن رجل من أمتي فى أكثر من مضر. قال تميم: ومضر، وأنه أويس القرني. انتهى.

نتيجة

النتيجة التى يخرج منها الباحث فى أحاديث أويس وشفاعته:

أن الله تعالى أعطى هذه الكرامة العظيمة لراعى إبل من جبال اليمن، فجعله بسبب طاعته وإخلاصه له، موعوداً مبشراً به، على لسان أشرف الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وجعل المسلمين يتبركون به ويطمعون منه بكلمة (غفر الله لك) فيدخل بها على أكثرهم! وينطق بها لمن أدركته الرحمة منهم.

ثم جعله يوم القيامة شفيحاً لمئات الألوف أو لملايين المدنيين، يدخلون ببركته جنه النعيم.

وقوله صلى الله عليه وآله (يشفع فى مثل ربيعه ومضر.. أكثر من مضر و تميم.. أكثر من ربيعه وبنى تميم) إنما هو إشارة إلى الكثرة وتفهمها للناس بجمهور قبائل كانت تمثل الكثرة فى ذلك المجتمع.. ولذلك قد يبلغ عدد من يشفع لهم أويس الملايين..

ومما يثير العجب، أن هذا الإنسان الكريم على ربه، صاحب المقام العظيم عنده، الذى لا ينطق بكلمة (غفر الله لك) فى غير محلها..

تراه يقول لعلى عليه السلام: مد يدك أبايحك على بذل مهجة نفسى دونك!!

فما هو مقام علي؟! الذي يتقرب كبار الأولياء إلى الله بالموت دونه، ودون نصره حقه وقضيته!!! وهل يستطيع مسلم بعد هذا أن يشكك في مقام الشفاعة العظيمة لعلی وبقية أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله.. وهو يرى أن أويساً صاحب الشفاعة العظيمة، فدائى لهم!!

وختاماً، فإن شفيع المحشر على الإطلاق، هو رسول الله صلى الله عليه وآله.. بل يفهم من أحاديثنا أن الشفاعة بالأصل إنما هي كرامة من الله تعالى له صلى الله عليه وآله

وأن الأنبياء الآخرين إنما يشفعون بما يعطيهم سيد المحشر وصاحب لوائه مما أعطاه ربه عز وجل!

وهذه الشفاعة العظمى لنبينا صلى الله عليه وآله ملكٌ كبيرٌ.. لا بد له من مدرء ومفوضين يوم القيامة.. وهؤلاء إنما هم عتره النبي الذين نص عليهم أنهم يكونون معه، وهم على وفاطمة والمعصومون من أولادهم، صلى الله عليه وآله وسلم، وعليهم.

ولا بد أن يكون لهم أعوان من الملائكة والصالحين.

وقد خصصنا هذا الفصل بشفاعة أويس رحمه الله، لأنه شيعى ثبتت له هذه الشفاعة العظيمة بإجماع المسلمين، وكفى بها دليلاً على شفاعة أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله.

النواصب مطرودون من الشفاعة والجنة

حكم النواصب في الفقه الإسلامى

عقدنا هذا الفصل لإستعراض الأحاديث التى رواها الجميع فى قرار الحرمان الإلهى من الشفاعة والجنة، لمن أبغض أهل البيت النبوى (عليهم السلام)، أو نصب العداوة والبغضاء لهم أو لمن أحبهم، أو حمل فى نفسه غلاً عليهم، أو كرهاً أو حسداً.. ولو بمقدار ذرة!! فقد اتفقت مذاهب السنيين على أن من يعادى علياً، أو أهل البيت النبوى (عليهم السلام)، فهو منافق.

أما فى فقهننا فمبغض أهل البيت (عليهم السلام) الناصب لهم، كافرٌ نجس..

ويسمى المبغض والمعادى فى الفقه الإسلامى (الناصب والناصبى)

وهو اسم مشتق من: نصب له العداوة، أى أبغضه، وتكلم عليه، أو عمل ضده، شبيهاً بقولك: نصب له الحرب!

والمبغض والمخالف والمعادى والناصب، كلمات متقاربة، ولكنها متفاوتة.. فالمخالف ناظرة إلى مخالفة الشخص فى الرأى والمسلك.

والمبغض ناظرة إلى حالة النفرة النفسية المضادة للحب.

والمعادى ناظرة إلى الموقف النفسى والعملى المضاد.

والناصب تزيد عليهما بأن البغض والعداء يصير هم الناصب!

هذا فى أصل اللغوة، أما فى الشرع فقد وردت استعمالاتها بمعنى واحد وكأن المصطلح الإسلامى للمبغض يشملها جميعاً.

والذى يدخل فى بحثنا من أحكام النواصب، أن الشفاعة النبوية الكبرى على سعتها يوم القيامة لا تنالهم، بل يؤمر بهم إلى النار!! وهذا يعنى أن بغض أهل البيت جريمةٌ كبرى فى نظر الإسلام، جزاؤها الطرد من الرحمة الإلهية والنبوية، واستحقاق العذاب فى جهنم! ونورد فيما يلى عدداً من أحاديث هذه المسألة، وفيها أحاديث صحيحة عند الجميع:

على ميزان الإسلام والكفر والإيمان والنفاق

عن أبي ذر (رض) قال: ما كنا نعرف المنافقين إلا بتكذيبهم الله ورسوله، والتخلف عن الصلوات، والبغض لعلی بن أبی طالب (رض). هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

ورواه أحمد في فضائل الصحابة: ٢/٦٣٩، والدارقطني في المؤلف والمختلف: ١٣٧٦٣، والهيثمي في مجمع الزوائد: ٩/١٣٢ وروى الترمذي: ٤/٣٢٧، و: ٥/٢٩٣ و٢٩٨-باب مناقب علي:

عن أبي سعيد الخدري قال: إن كنا لنعرف المنافقين نحن معشر الأنصار ببغضهم علي بن أبي طالب. هذا حديث غريب. وقد تكلم شعبة في أبي هارون العبدی، وقد روى هذا عن الاعمش عن أبي صالح، عن أبي سعيد.

وروى النسائي في: ٨/١١٥

عن أم سلمة قالت: كان رسول الله (ص) يقول: لا يحب علياً منافق، ولا يبغضه مؤمن. وقال: هذا حديث حسن.

ورواه النسائي أيضاً في خصائص علي ٥/١٣٧

وابن ماجه: ١/٤٢

والترمذي: ٤/٣٢٧ وح ٥/٥٩٤

وأحمد في مسنده: ٢/٥٧٩ وص ٦٣٩ وفي فضائل الصحابة: ٢/٢٦٤

وعبد الرزاق في مصنفه: ١١/٥٥

وابن أبي شيبة في مصنفه: ١٢/٥٦

والحاكم في المستدرک: ٣/١٢٩، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه! ووافقه الذهبي في تلخيص المستدرک.

ورواه الطبراني في الأوسط: ٣/٨٩

والهيثمي في مجمع الزوائد: ١٢٩٩، وقال: رجال أبي يعلى رجال الصحيح.

ورواه الخطيب في تاريخ بغداد عن صحابة متعددين في: ٢/٧٢ و٤/٤١ و١٣/٣٢/١٥٣ و١٤/٤٢٦ و٢/٢٥٥

والبيهقي في سننه: ٥/٤٧

وابن عبد البر في الاستيعاب: ٣/٣٧

وفي الترمذي: ٥/٦٠١

عن الأعمش: إنه لا يحبك إلا مؤمن. وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وفي الطبراني الكبير: ١/٣١٩ و٢٣/٣٨٠

عن أبي الطفيل قال: سمعت أم سلمة تقول: أشهد أني سمعت رسول الله (ص) يقول: من أحب علياً فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله. ورواه الهيثمي في الزوائد: ٩/١٣٢.

وفي فردوس الأخبار: ٣/٦٤

عن ابن عباس أن النبي (ص) قال: علي باب حطه، من دخل منه كان مؤمناً، ومن خرج منه كان كافراً.

عن أبي ذر أن النبي (ص) قال: علي باب علمي ومبين لأمتي ما أرسلت به من بعدى. حبه إيمان، وبغضه نفاق، والنظر إليه رأفة ومودة عبادة.

وفي صحيح مسلم: ١/٦٠، تحت عنوان: باب حب علي من الإيمان.

عن زر بن حبیش قال قال علي عليه السلام: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي (ص) إلي، أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق.

ورواه ابن ماجه: ١/٤٢

والنسائي في سننه: ٨/١١٥ و ١١٧ وفي خصائص علي: ١٣٧٥

وأحمد في مسنده: ١/٨٤ و ٩٥ و ١٢٨ وفي فضائل الصحابة: ٢/٢٦٤

وابن أبي شيبه في المصنف: ١٢/٥٦

وعبد الرزاق في المصنف: ١١/٥٥

وابن أبي عاصم في السنة: ٥٨٤٢

وابن حبان في صحيحه: ٩/٤٠

والخطيب في تاريخ بغداد: ٢/٢٥٥ و: ١٤/٤٢٦

وابن عبد البر في الاستيعاب: ٣/٣٧

وأبو نعيم في حلية الأولياء: ٨/١٨٥

وابن حجر في الإصابة: ٢/٥٠٣

والحاكم في المستدرک: ٣/١٣٩

والبيهقي في سننه: ٥/٤٧

وابن حجر في فتح الباري: ٧/٥٧

وفي مسند أبي يعلى: ١/٢٣٧

عن الحارث الهمداني قال: رأيت علياً جاء حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: قضاء قضاءه الله على لسان نبيكم النبي الامي صلى الله عليه وآله وسلم إلى: إنه لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق، وقد خاب من افتري.

وفي فتح الباري: ٧/٧٢

وفي كلام أمير المؤمنين كرم الله وجهه يقول: لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني، ولو صببت الدنيا بجمانها على المنافق على أن يحبني ما أحبني! وذلك أنه قضى فانقضى على لسان النبي الامي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: يا علي لا يبغضك مؤمن، ولا يحبك منافق.

وهو في نهج البلاغة: ٢/١٥٤، شرح محمد عبده، وقال ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٤٨٥: في الخبر الصحيح المتفق عليه أنه لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق، وحسبك بهذا الخبر، ففيه وحده كفاية:

وقال ابن أبي الحديد في موضع آخر كما في هامش بحار الأنوار: ٣٩/٢٩٤:

قال شيخنا أبو القاسم البلخي: قد اتفقت الأخبار الصحيحة التي لا ريب عند المحدثين فيها أن النبي قال له: لا يبغضك إلا منافق ولا يحبك إلا مؤمن.

وفي بشارة المصطفى للطبري الشيعي/ ١٠٧

أخبرنا الشيخ الفقيه المفيد أبو علي الطوسي رحمه الله بقراءتي عليه في شعبان سنة إحدى عشرة وخمسائة بمشهد مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: أخبرنا السعيد الوالد أبو جعفر محمد بن الحسين الطوسي رحمه الله قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي رحمه الله قال: حدثنا أبو بكر محمد بن عمر الجعابي قال: حدثنا علي بن العباس بن الوليد قال: حدثنا ابراهيم بن بشير بن خالد قال: حدثنا منصور بن يعقوب قال: حدثنا عمرو بن ميمون، عن ابراهيم بن عبد الاعلى، عن سويد بن غفلة قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: والله لو صببت الدنيا على المنافق صباً ما أحبني، ولو ضربت بسيفي هذا خيشوم المؤمن لاحبني، وذلك أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يا علي لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق! انتهى.

ورواه محمد بن سليمان في مناقب أمير المؤمنين (ع): ٢/٤٨٤، والفتال النيسابوري في روضة الواعظين/ ٢٩٥

وفي فردوس الأخبار: ٥/٣١٦

قال النبي (ص): يا علي محبك محبي، ومبغضك مبغضى.

ونحوه في الطبراني في الأوسط: ٣/٨٩، عن عمران بن حصين.

وأحمد في فضائل الصحابة: ٢/٦٣٩، عن جابر بن عبد الله الأنصاري.

والحاكم في: ٣/١٣٠، عن سلمان الفارسي. وفي: ٣/١٢٩، عن أبي ذر الغفاري

والهيثمي في مجمع الزوائد: ٩/١٢٩، عن أبي يعلى، عن أبي رافع.

وفي تاريخ بغداد: ٩/٧٢، وفي: ٤/٤١، وفي: ١٣/٢٣، عن ابن مسعود، وفي صفحة ١٥٣، عن ابن عباس.

- ورواه أيضاً في: ٩/٧٢، وروى فيها: عن عمار بن ياسر قال سمعت رسول الله يقول لعلي: يا علي طوبى لمن أحبك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب فيك.

وروى الحاكم في المستدرک: ٣/١٢٨

عن ابن عباس قال: نظر النبي (ص) الى علي فقال: يا علي أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة، حبيبك حبيبي، وحببي حبيب الله، وعدوك عدوى وعدوى عدو الله، والويل لمن أبغضك بعدى!! صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

ورواه في تاريخ بغداد: ٤/٤١، وفي فردوس الأخبار: ٥/٣٢٤

وفي الطبراني الأوسط: ٣/٨٩

عن عمار بن ياسر قال: سمعت رسول الله (ص) يقول لعلي: إن الله تبارك وتعالى زينك بزينة لم يزين العباد بزينة مثلها! إن الله تعالى حبب اليك المساكين والذنو منهم، وجعلك لهم إماماً ترضى بهم، وجعلهم لك أتباعاً يرضون بك، فطوبى لمن أحبك وصدق عليك، وويل لمن أبغضك وكذب عليك.

فأما من أحبك وصدق عليك فهم جيرانك في دارك، ورفقاؤك من جنتك.

وأما من أبغضك وكذب عليك، فإنه حق على الله عز وجل أن يوقفهم مواقف الكذابين.

وفي مستدرک الحاكم في صفحة ١٣٨ (عن علي بن أبي طلحة قال: حججنا فمررنا على الحسن بن علي بالمدينة، ومعنا معاوية بن خديج، فقيل للحسن: إن هذا معاوية بن خديج الساب لعلي، فقال: علي به، فأتى به فقال: أنت الساب لعلي؟! فقال: ما فعلت! فقال: والله إن لقيته، وما أحسبك تلقاه يوم القيامة، لتجده قائماً على حوض رسول الله صلى الله عليه وآله، يذود عنه رايات المنافقين، بيده عصاً من عوسج.. حدثنيها الصادق المصدوق، وقد خاب من افتري. هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. انتهى.

وفي مسند أبي يعلى: ٦/١٧٤

(عن علي بن أبي طلحة مولى بني أمية قال: حج معاوية بن أبي سفيان وحج معه معاوية بن خديج، وكان من أسب الناس لعلي، قال: فمر في المدينة وحسن بن علي ونفر من أصحابه جالس فقيل له: هذا معاوية بن خديج الساب لعلي! قال: علي الرجل، قال: فأتاه رسوله فقال: أجب.

قال: من؟

قال: الحسن بن علي يدعوك، فأتاه فسلم عليه.

فقال له الحسن: أنت معاوية بن خديج؟

قال: نعم.

فرد ذلك عليه، قال: فأت الساب لعلي بن أبي طالب؟!

قال: فكأنه استحيا.

فقال له الحسن: أما والله لئن وردت عليه الحوض، وما أراك ترده، لتجدنه مشمر الأزار على ساق، يذود عنه المنافقين ذود غريبة الأبل. قول الصادق المصدوق، وقد خاب من افترى.

ورواه أبو يعلى في مسنده: ١٢/١٣٩، والطبراني في الأوسط: ٣/٢٢، وفي الكبير: ٩١٣، وفي مجمع الزوائد: ٩/١٣٠، و٢٧٢ وفيه: قال يامعاوية بن خديج إياك وبغضنا، فإن رسول الله قال: لا يبغضنا ولا يحسدنا أحدٌ إلا ذيد عن الحوض يوم القيامة بسياط من نار.

ورواه في مختصر تاريخ دمشق: ١٢ جزء ٢٤/٣٩٣، وفي كفاية الطالب /٨٩، عن أبي كثير، ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: ٨ جزء ١٥/١٨، عن المدائني.

وفي شواهد التنزيل للحسكاني: ١/٥٥١ ح ٥٨٥

بسنده عن جابر وأنس قالوا قال رسول الله (ص): يا علي، لو أن أمتي أبغضوك لأكبهم الله على مناخرهم في النار.

وفي شواهد التنزيل: ١/٥٥٠ ح ٥٨٣

بسنده عن جابر قال: قال رسول الله (ص) يا علي، لو أن أمتي صاموا حتى صاروا كالأوتاد، وصلوا حتى صاروا كالحنايا، ثم أبغضوك لأكبهم الله على مناخرهم في النار!!

وفي شواهد التنزيل: ١/٤٩٦ ح ٥٢٤

بسنده عن جابر قال: خطبنا رسول الله (ص) فسمعتة يقول: من أبغضنا أهل البيت حشره الله يوم القيامة يهودياً.

وفي شواهد التنزيل: ١/٥٥٠ ح ٥٨٤

بسنده عن أبي سعيد قال: قتل قتيل بالمدينة على عهد النبي (ص)... فقال: والذي نفس محمد بيده لا يبغضنا أهل البيت أحدٌ إلا أكبه الله عز وجل في النار على وجهه.

وفي بشارة المصطفى للطبري الشيعي/٢٠٤

قال حدثنا الهيثم بن حماد، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك قال: رجعنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله قافلين من تبوك فقال في بعض الطريق: ألقوا إلى الأحلاس والأفتاب ففعلوا، فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله فخطب فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: معاشر الناس مالي أراكم إذا ذكر آل إبراهيم تهللت وجوهكم، فإذا ذكر آل محمد كأنما يفتقأ في وجوهكم حب الرمان!! والذي بعثني نبياً لو جاء أحدكم يوم القيامة بأعمال كأمثال الجبال، ولم يجئ بولاية علي بن أبي طالب لأكبه الله عز وجل في النار!!

محاولة ابن حجر تجريد علي من هذه الفضيلة

قال في فتح الباري: ١/٦٣

وقد ثبت في صحيح مسلم عن علي أن النبي (ص) قال له: لا- يحبك إلا- مؤمن ولا يبغضك إلا منافق. وهذا جار باطراد في أعيان الصحابة لتحقق مشترك الإكرام، لما لهم من حسن الغناء في الدين!

قال صاحب المفهم: وأما الحروب الواقعة بينهم، فإن وقع من بعضهم بغض فذاك من غير هذه الجهة، بل للأمر الطارئ الذي اقتضى المخالفة! ولذلك لم يحكم بعضهم على بعض بالنفاق، وإنما كان حالهم في ذاك حال المجتهدين في الأحكام، للمصيب أجران وللمخطئ أجر واحد!! والله أعلم.

وقال في فتح الباري: ٧/٧٢، في شرح رواية البخاري: (١/٥٢٥): لأعطين الراية غدا رجلاً يحب الله ورسوله: وقوله في الحديثين إن علياً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله: أراد بذلك وجود حقيقة المحبة، وإلا فكل مسلم يشترك مع علي في مطلق هذه الصفة.

وفي الحديث تلميح بقوله تعالى: قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله، فكأنه أشار إلى أن علياً تام الإتباع لرسول الله (ص)

حتى اتصف بصفة محبة الله له، ولهذا كانت محبته علامة الإيمان وبغضه علامة النفاق، كما أخرجه مسلم من حديث علي نفسه، قال: والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي (ص) أن لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق. وله شاهد من حديث أم سلمة عند أحمد. انتهى.

فقد حاول ابن حجر أن يميع شهادة النبي صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام فى خير، وشهادته له بأن حبه وبغضه ميزان الإيمان.. ويجعلهما شهادتين عامتين لكل الصحابة!!

أما فى خير فقد حاصر المسلمون خير وفتحوا عددا من حصونها، ولكنهم عجزوا عن فتح أهم حصن فيها (حصن السالم)! وكانت آخر محاولتين لفتحه حملتان، قاد المسلمين فى الأولى منهما أبو بكر، وما أن اقتربوا من الحصن حتى واجهتهم دفاعات اليهود من أعلى الحصن بوابل السهام والأحجار.. فانهمزوا راجعين إلى مقر قيادة النبي صلى الله عليه وآله!!

وفى اليوم التالى قاد الحملة عمر بن الخطاب فتكرر نفس المشهد وأشد، فانهمز المسلمون ورجعوا، وهم يجنبون عمر وهو يجنبهم!! عندها غضب النبي صلى الله عليه وآله وقال كلمته الخالدة (لأعطين الراية غدا رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كرار غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه) وكان على مريضاً برمد العينين، فأحضره النبي صلى الله عليه وآله ومسح بريقه على عينيه فشفاه الله تعالى، وأعطاه الراية، فتقدم على أمام المسلمين وصعد فى جبل الحصن قبلهم، وهو يدفع السهام والأحجار حتى تكسر ترسه، وتمكن من الصعود إلى باب الحصن وبه جراحات، فاستعان بالله تعالى ودحا الباب الحديدى الضخم فانفتح، فدخل عليهم وحده وقتل فارسهم مرحباً، ورفع صوته بالتكبير، ففهم المسلمون أنه النصر، فدخلوا الحصن على أثره وأكملوا تحريره!! فانظر كيف حاول ابن حجر توسيع هذه الشهادة النبوية لتشمل كل الصحابة، ويغض عينيه عن صوصياتها المتعددة، التى لا تنطبق إلا على على؟!!

والأعجب من ذلك أنه عمد إلى الميزان الإلهى لايمان الأمة، والذى هو ميزان منصوص، لشخص مخصوص، فجعله ميزاناً واسعاً ضائعاً مائعاً متناقضاً! فقال:

وهذا جار بأطراد فى أعيان الصحابة، لتحقق مشترك الإكرام، لما لهم من حسن الغناء فى الدين!

يعنى بذلك أن حب كل واحد من الصحابة علامة على الإيمان، وبغض أى واحد منهم علامة على النفاق، لأنهم جميعاً شاركو فى نصره النبي صلى الله عليه وآله!

يفعل ابن حجر ذلك وهو يعلم أن غرض الإسلام من التأكيد على حب على عليه السلام أن يضع للامة خطأ ومقياساً ليعرف به هدى المهتدين به، وكذب المنافقين فى ادعائهم الإسلام.

وكيف يعقل ابن حجر أن يكون الصحابة جميعاً مقياساً لذلك، وعددهم عنده أكثر من مئة ألف، وقد كانوا فى عهد النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله مختلفى المشارب والاتجاهات والمستويات، وصاروا بعده أكثر اختلافاً وعداوةً وبغضاء.. حتى انقسمت الأمة بسببهم إلى محب لهم ومبغض، وقامت بينهم الحروب!!

فلو جعلنا بغضهم مقياساً للنفاق، فقد نفينا وجود منافقين فى الأمة!

لأن المنافقين فى زمنه وبعده، إما صحابة أو يحبون أحداً من الصحابة!

وذلك تكذيب للقرآن حيث أخبرنا بوجود منافقين فى حياة النبي صلى الله عليه وآله

كما أن مقياس ابن حجر يسبب مشكلة عقيدية على الصحابة أنفسهم.. لأنه لا يكاد يوجد صحابى إلا وأبغض صحابياً آخر، فيكونون جميعاً بهذا المقياس (الحجرى) منافقين!!

وقد حاول ابن حجر أن يخلص من هذه الورطة فنقل عن صاحب المفهم كلاماً غير مفهم، مفاده أن الصحابة قد أبغضوا بعضهم، وقد اشتهر بغض معاوية لعلى، ولكن هذا البغض بزعمه ليس نفاقاً! لأن قصد النبي صلى الله عليه وآله أن علامة النفاق هو بغض على بسبب

نصرته للنبي فقط.. وأما بغضه لسبب آخر فهو حلالٌ زلال، لا يوجب نفاقاً ولا من يحزنون!!
وهي حيلةٌ وجدها علماء الخلافة القرشية قبل ابن حجر، فحللوا بها بغض علي، وزعموا أن التأكيد النبوي المطلق مخصوص بمن أبغضه
لنصرته للنبي صلى الله عليه وآله فقط! فلا يشمل الذين يبغضونه لأسباب أخرى غير النصره!!
وقد تشبثوا بتلك الحيلة لرفع حكم النفاق عن معاوية، وتبرير أمره بلعن علي عليه السلام على منابر الإسلام في خطب الجمعة عشرات
السنين، وتشريد أهل بيت النبي ومطاردتهم في كل صقع، وتقتيل شيعتهم وهدم بيوتهم، وتقريب مبغضهم ولاعنيهم، وإعطائهم
مناصب الدولة!!

وقد تمسك بهذه الحيلة بعض فقهاء النواصب في عصر ابن حجر، ودافعوا بها أمام القضاة السنيين، الذين أصدروا حكمهم على ابن
تيمية، بأنه ناصبي منافق مبغض لعلي عليه السلام! فقال المدافعون: إن بغضه لعلي الذي ليس بسبب نصرته للنبي صلى الله عليه وآله!
فهو مثل معاوية يبغض علياً لأسباب أخرى، وبغضه له حلالٌ لا يصير بسببه من المنافقين، كما أن معاوية لم يصر من المنافقين!!
ولكنه منطوق متهافت:

أولاً، لأن كلام النبي صلى الله عليه وآله صريح في الإطلاق والعموم.. فأين دليلهم على التخصيص، وأين المخصص والمقيد من عقل
أو نقل؟

وثانياً، أنهم بذلك جوزوا للمسلمين أن يصيروا كلهم رافضة، وأن يبغضوا الصحابة ويلعنوهم لأسباب أخرى غير نصرتهم للنبي صلى
الله عليه وآله!!

فما دام بغض معاوية والنواصب ولعنهم علياً حلالاً، وهم مصدقون في إدعائهم أن بغضهم له لسبب آخر غير النصره! فكل مسلم يجوز
له أن يبغض من شاء من الصحابة ويلعنهم، ويكفي لتبرئته أن يزعم أن ذلك لسبب آخر غير النصره!!
والواقع أن ابن حجر وأمثاله يعرفون أن علياً هو المقياس النبوي الإلهي للإيمان في الأمة في حياة النبي وبعده، ويروون في الصحاح
قصة بغض بريده وخالد وغيرهما لعلي وغضب النبي صلى الله عليه وآله عليهم لذلك!
ولكن علماء الخلافة يجادلون نبيهم، ويحتالون على أحاديثه تخصيصاً وتوسيعاً وتمييعاً، لمصلحة مبغضى أهل بيت نبيهم من قبائل
قريش الأخرى، التي أشربوا حبها على حساب أهل بيت نبيهم!! والله في خلقه شؤون.

قصة بريده وحدها حجة بالغة

روت الصحاح السنية قصة بريده، ولكنها اختصرتها وحذفت منها!!

وما بقى منها عظيم! وخلصتها:

أن الصحابي بريده الاسلمي اعترف بأنه كان مع عدد من الصحابة القرشيين في زمن النبي صلى الله عليه وآله يبغضون علياً عليه السلام
ويعملون ضده!

وذات يوم أرسل النبي صلى الله عليه وآله جيشين إلى اليمن، أحدهما بقيادة علي، والآخر بقيادة خالد بن الوليد، فاختر بريده أن
يذهب مع جيش خالد، لأن خالداً على خطه في بغض علي عليه السلام.

وتوغل جيش علي داخل اليمن، وأنجز الجيشان مهماتهما العسكرية، كل في جبهته، وانتصرا وغنما ثم التقيا، فصار القائد عليهما على
كما أمر النبي صلى الله عليه وآله.

وكان خالد ومبغضو علي يراقبون حركات علي وسكناته، لعلمهم يجدون عليه مأخذاً ينتقدونه به، ويضعفون شخصيته عند المسلمين، أو
عند النبي صلى الله عليه وآله!

وعندما وزع على الغنائم وعزل منها الخمس للرسول وآله صلى الله عليه وآله، اختار منه جاريةً فقوم قيمتها وحسبها من سهمه من

الخمس، ولعله تزوجها.

فرأى خالد في ذلك نصراً عظيماً على علي بن أبي طالب وكتب رسالة إلى النبي صلى الله عليه وآله وأرسلها مع وفد من ثلاثة أشخاص، وأرسل معهم بريدة شاهداً مصداقاً للرسالة!

ومفاد الرسالة أن علياً خان غنائم المسلمين وأخذ جاريته لنفسه، وتزوج علي بنت النبي صلى الله عليه وآله!

ووصل بريدة إلى المدينة، واتصل بمبغضى علي وبشرهم برسالة خالد ضد علي ففرحوا بها، وأوصوه أن يقدم معها تقريراً شفهيّاً قوياً ضد علي، حتى تسقط مكانته عند النبي صلى الله عليه وآله ويرتاحوا من شره في المستقبل!!

وقام بريدة بالمهمة كما أرادوا، ولكن النتيجة كانت معكوسة عليهم تماماً!

فقد غضب النبي غضباً شديداً من رسالة خالد وتقرير بريدة، ومن حركة الصحابة الذين يقفون وراءها ضد علي.. وكشف لهم حقائق تتعلق بعلي، تضمنتها أحاديث بريدة الصحيحة في مصادر السنة والشيعه، ومن أهم نقاطها ما يلي:

أولاً: أن علياً بأمر الله تعالى خليفة النبي صلى الله عليه وآله وولي المسلمين من بعده.

ثانياً: أنه لا يتصرف من عنده أبداً، حتى عندما يكون في اليمن بعيداً عن النبي صلى الله عليه وآله بل كل تصرفاته إما أن تكون بأمر الرسول، أو بإلهام الله تعالى!!

ثالثاً: أن علياً مع النبي وآله، هم أصحاب الخمس الشرعيون في الغنائم وغيرها، فحق علي في الخمس أكثر من جارية.

رابعاً: أن خبر زواج علي أو تسريه علي زوجته فاطمة الزهراء (عليهما السلام)، خاصة عندما يكون في سفر، لا يؤذيها ولا يؤذي أباهما، لأنهما لا يخالفان شرع الله، ولأنهما علي ثقة منه، ومن مقامه الذي خصه به الله تعالى.

خامساً: أن مبغضى علي إما منافقون أو كفار.. وعلي مبغضيه من الصحابة أن يتوبوا من ذلك ويجددوا إسلامهم، ويستغفروا الله تعالى ويستغفر لهم الرسول صلى الله عليه وآله، عسى أن يغفر نفاقهم أو ارتدادهم، ويقبل توبتهم وإسلامهم!!

وبالفعل فقد جدد بريدة إسلامه، وتاب من بغض علي وأخذ يحبه، وطلب من النبي صلى الله عليه وآله أن يستغفر له!

أما الباقي فلم نسمع بتوبتهم!

وفيما يلي نستعرض عدداً من نصوص القضية، التي تحتاج من الباحث والقارئ إلى تأمل لكي يفهم مداليلها، ويعرف هدف الرواة من صياغاتهم لها بإشكال مخففة، ويفهم معنى تعليقات الحاكم في مستدركه على رواياتها الصحيحة على شرط البخاري ومسلم، اللذين تجاهلها أو بترها!!

ولنبداً بإحدى روايات مسند أحمد المتعددة، قال في: ٥/٣٥٦

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: بعث رسول الله (ص) بعثين إلى اليمن على أحدهما علي بن أبي طالب وعلي الآخر خالد بن الوليد فقال: إذا التقيتم فعلي على الناس، وإن افرقتما فكل واحد منكما على جنده، فلقينا بني زيد من أهل اليمن فاقتلنا فظهر المسلمون على المشركين، فقتلنا مقاتله وسبينا الذرية فاصطفى عليّ امرأة من السبي لنفسه.

قال بريدة: فكتب معي خالد بن الوليد إلى رسول الله (ص)، يخبره بذلك!

فلما أتيت النبي (ص) دفعت الكتاب فقرئ عليه، فرأيت الغضب في وجه رسول الله (ص)، فقلت: يا رسول الله هذا مكان العائد بعثني مع رجل وأمرتنى أن أطيعه، ففعلت ما أرسلت به.

فقال رسول الله (ص): لا تقع في علي، فإنه مني وأنا منه، وهو وليكم بعدى، وإنه مني وأنا منه، وهو وليكم بعدى!!

وقال الحاكم في المستدرک: ٢/١٢٩

عن عبد الله بن بريدة الأسلمي قال إنني لامشي مع أبي إذ مر بقوم ينقصون علياً (رض) يقولون فيه! فقام فقال: إنني كنت أنال من علي وفي نفسي عليه شيء، وكنت مع خالد بن الوليد في جيش، فأصابوا غنائم، فعمد علي إلى جارية من الخمس فأخذها لنفسه، وكان بين

على وبين خالد شيء، فقال خالد هذه فرصتك! وقد عرف خالد الذي في نفسي على على، قال فانطلق إلى النبي صلى الله عليه وآله فاذا ذكر ذلك له، فأتيت النبي صلى الله عليه وآله فحدثته، وكنت رجلاً مكباً وكنت إذا حدثت الحديث أكبت، ثم رفعت رأسي فذكرت للنبي صلى الله عليه وآله أمر الجيش، ثم ذكرت له أمر على، فرفعت رأسي وأوداج رسول الله صلى الله عليه وآله قد احمرت! قال قال النبي صلى الله عليه وآله: من كنت وليه فإن علياً وليه. وذهب الذي في نفسي عليه.

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة، إنما أخرجه البخاري من حديث علي بن سعيد بن منجوف، عن عبد الله بن بريده، عن أبيه مختصراً، وليس في هذا الباب أصح من حديث أبي عوانة هذا، عن الأعمش، عن سعد بن عبيدة. وهذا رواه وكيع بن الجراح، عن الأعمش، أخبرناه أبو بكر بن اسحاق الفقيه، أنبأ موسى بن اسحاق القاضي، ثنا عبد الله بن أبي شيبة، ثنا وكيع، عن الأعمش، عن سعد بن عبيدة، عن ابن بريده، عن أبيه، أنه مر على مجلس... ثم ذكر الحديث بطوله. انتهى. وقال عنه في مجمع الزوائد: ٩/١٠٨: ورجاله رجال الصحيح. وورد فيه (فقلت لا أسوؤك فيه أبداً).

وروى الحاكم القصة أيضاً: ٣/١١٠

وفيها أن مبغضى على كانوا أربعة، وأنهم تعاقدوا فيما بينهم على شكايته إلى النبي صلى الله عليه وآله، قال الحاكم:

عن عمران بن حصين (رض) قال بعث رسول الله صلى الله عليه وآله سرية، واستعمل عليهم على بن أبي طالب (رض)، فمضى على في السرية فأصاب جارية، فأذكروا ذلك عليه، فتعاقد أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله إذا لقينا النبي صلى الله عليه وآله أخبرناه بما صنع على!

قال عمران: وكان المسلمون إذا قدموا من سفر بدؤوا برسول الله صلى الله عليه وآله، فنظروا إليه وسلموا عليه ثم انصرفوا إلى رحالهم، فلما قدمت السرية سلموا على رسول الله صلى الله عليه وآله فقام أحد الأربعة فقال: يا رسول الله، ألم تر أن علياً صنع كذا وكذا!! فأعرض عنه! ثم قام الثاني فقال مثل ذلك، فأعرض عنه! ثم قام الثالث فقال مثل ذلك، فأعرض عنه! ثم قام الرابع فقال: يا رسول الله ألم تر أن علياً صنع كذا وكذا!! فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله والغضب في وجهه فقال: ما تريدون من علي! إن علياً مني وأنا منه، وولى كل مؤمن. هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. انتهى. وروى نحوه آخر، وصححه على شرط مسلم أيضاً.

أما البخاري فهو على عادته في أمثال هذا الحديث، إما أن يحذفه كلياً، أو يحذف منه ولاية على عليه السلام ويرويه مبتوراً!

قال في صحيحه: ٥/١١٠

عن عبد الله بن بريده عن أبيه (رض) قال: بعث النبي (ص) علياً إلى خالد ليقبض الخمس، وكنت أبغض علياً، وقد اغتسل، فقلت لخالد: ألا ترى إلى هذا؟

فلما قدمنا على النبي (ص) ذكرت ذلك له، فقال: يا بريده أتبغض علياً؟

قلت: نعم. قال: لا تبغضه فإن له في الخمس أكثر من ذلك. انتهى.

بل نلاحظ أن البخاري زهد في بريده بسبب أحاديثه في فضل على، وطبق عليه مذهبه في الاقلال من الرواية عن الصحابة والرواة الذين يحبون علياً، ومنهم بريده الأسلمي!! فقد رووا عنه في الصحاح وغيرها أكثر من مئتي حديث، ولكن البخاري لم يرو منها في صحيحه بعدد أصابع اليد الواحدة!!

كما أنه في تاريخه، ترجم لعشرات النواصب ومدحهم بمدائح كبيرة، ولكنه اختصر في ترجمته بريده جداً، لأنه لا يحبه ولا يحب الإطالة في ترجمته!

والحديث الوحيد الذي ذكره في ترجمته حديث عام سيأتي!

قال البخاري في تاريخه: ٢/١٤١

بريدة بن حصيب الأسلمي له صحبة، نزل البصرة، قال لي عياش: حدثنا عبد الأعلى قال: ثنا الجريري عن أبي نضرة قال: كنت

بسجستان فإذا بريده الأسمى فجلست إليه، قال لى محمد بن مقاتل: أخبرنا معاذ، حدثنا عبد الله بن مسلم السلمى من أهل مرو، سمعت عبد الله بن بريده يقول: مات والدى بمرو وقبره بخصين. وقال: هو قائد أهل المشرق يوم القيامة ونورهم.

وقال ابن بريده: قال النبى (ص): أيما رجل من أصحابى مات ببلده فهو قائدهم ونورهم يوم القيامة، فقال: مات فى خلافة يزيد بن معاوية، ومات بعده الحكم بن عمرو الغفارى، ودفن إلى جنبه. انتهى.

وهذه الترجمة المختصرة من البخارى، لا تناسب شخصية بريده، وكثرة أحاديثه فى المصنفات والصحاح.

بل نلاحظ أن البخارى يروى عن عبد الله بن بريده، ولكن عن غير أبيه.. مع أن روايات عبد الله عن أبيه كثيرة، ومنتشرة فى المصادر!! والسبب فى ذلك: أن عبد الله مقبول عند الخلافة القرشية أكثر من أبيه، وكان قاضياً عندهم على مرو، وكثيراً ما نراه يحذف من أحاديث أبيه بريده ما يتعلق بولاية على عليه السلام وفضائله! وهذا ما يريد البخارى!

وقد وجدت للبخارى رواية واحدة من روايات بريده فى حق على عليه السلام، وهى (فلتة)، ذكرها تاريخه فى ترجمة أبى ربيعة الأيادى!

ولكن البخارى ألف تاريخه فى شبابه قبل صحبته، ولعله كان أحسن حالاً على يومذاك، قال فى: ٩/٣١:

حدثنا محمد بن الطفيل قال: نا شريك، عن أبى ربيعة الأيادى، عن ابن بريده، عن أبيه قال: قال رسول الله (ص): إن الله أمرنى بحب أربعة من أصحابى، وأخبرنى أنه يحبهم.

فقلنا يا رسول الله من هم، فكلنا نحب أن نكون منهم؟

فقال: إن علياً منهم، ثم سكت ساعة، ثم قال: إن علياً منهم، وسلمان الفارسي، وأبا ذر، والمقداد بن الأسود الكندي. انتهى.

وهذا الحديث يدل على أن هؤلاء الأربعة هم صفوة الله تعالى من الصحابة، وهو بالحقيقة اصطفاء لعلى وحده عليه السلام، لأن هؤلاء الثلاثة هم كبار شيعته على وأتباعه فى زمن النبى صلى الله عليه وآله وبعده! خاصة مع ملاحظة تأكيد النبى صلى الله عليه وآله على على من بينهم.

ويدل حديث بريده الذى فلت به قلم البخارى، على أن بقية الصحابة لم يبلغوا مستوى أن يأمر الله تعالى رسوله والمسلمين بحبهم!

وقد روى هذا الحديث الحاكم فى: ٣/١٣٠، وصححه على شرط مسلم، وفى نصه تأكيد أكثر على على، ورواه الترمذى: ٥/٢٩٩ ولا يبعد أن يكون هذا الحديث جزءاً مما قاله النبى صلى الله عليه وآله لبريده عندما جاء بالرسالة من اليمن، أو جواباً نبوياً آخر لخطط مبغضى على التى تواصلت ضده!

كما روى الترمذى حديثاً آخر عن بريده فى: ٥/٣٦٠، جاء فيه أن علياً وفاطمة أحب الناس إلى النبى على الإطلاق.

على أن هناك سبباً آخر لإقلال البخارى من أحاديث بريده، قد لا يقل عند محبى قبائل قريش عن أحاديث بريده فى فضائل على عليه السلام

وهو موقف بريده من السقيفة وبيعة أبى بكر! فقد ذكرت الروايات أنه كان مسافراً إلى الشام، ورجع إلى المدينة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله بقليل، وتفاجأ ببيعة أبى بكر، فأعلن عدم شرعية السقيفة، وذهب إلى قبيلته القريبة من مكة ونصب الراية فى وسطهم، وأعلن الاعتصام والنفير، حتى يأمرهم على بأمره!

فاستجابت له قبيلته، وكانت أول تهديد مسلح ضد أهل السقيفة! ولذلك صرح عمر أنه بقى متخوفاً من عدم نجاح بيعة السقيفة (حتى بايعت أسلم فأيقنت بالنصر!)

وقد استمرت مشكلة بريده وقبيلته حتى أرسل اليهم على عليه السلام أن الوقت فات، وأن أكثر قريش والأنصار قد بايعوا أبى بكر.. والإختلاف والحرب بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله مباشرة، ليس فى مصلحة الإسلام..الى آخره.

هذا، وقد عقد الهيثمى فى مجمع الزوائد فصلاً كاملاً، أورد فيه عدداً من روايات قصة بريده وصحح بعضها، قال فى: ٩/١٢٧:

باب منه جامع فيمن يحبه ومن يبغضه:

عن بريده يعني ابن الحصيبي قال: أبغضت علياً بغضاً لم أبغضه أحداً قط!

قال: وأحببت رجلاً من قريش لم أحبه إلا على بغضه علياً (رض)، قال فبعث ذلك الرجل على جيش فصحبته، ما صحبتته إلا ببغضه علياً (رض).

قال: فأصبنا سبايا، فكتب إلى رسول الله (ص) إبعث إلينا من يخمس، قال: فبعث علياً (رض)، وفي السبي وصيفه هي أفضل السبي، قال: فخمس وقسم، فخرج ورأسه يقطر، فقلنا يا أبا الحسن ما هذا؟

قال: ألم تروا إلى الوصيفة التي كانت في السبي فإني قسمت وخمست فصارت في الخمس، ثم صارت في أهل بيت النبي (ص)، ثم صارت في آل علي، فوَقعت بها.

قال: فكتب الرجل إلى نبي الله (ص)، فقلت: إبعثنى مصداقاً.

قال: فجعلت أقرأ الكتاب وأقول: صدق!

قال: فأمسك يدي والكتاب، وقال: أتبغض علياً؟!

قال: قلت نعم.

قال: فلا تبغضه: وإن كنت تحبه فازدد له حباً، فوالذي نفس محمد بيده لنصيب آل علي في الخمس أفضل من وصيفة!

قال: فما كان أحد من الناس بعد قول رسول الله (ص) أحب إلي من علي.

قال عبد الله يعني ابن بريده: فوالذي لا إله غيره ما بيني وبين النبي (ص) في هذا الحديث إلا أبو بريده.

قلت: في الصحيح بعضه، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، غير عبد الجليل بن عطية وهو ثقة، وقد صرح بالسماع، وفيه لين.

وعن بريده قال: بعث رسول الله (ص) بعثين إلى اليمن، علي أحدهما علي بن أبي طالب (رض) وعلى الآخر خالد بن الوليد، فقال: إذا التقيتم فعلي على الناس، وإن افترقتما فكل واحد منكما على جنده.

قال فلقينا بني زيد من أهل اليمن فافتتلنا، فظهر المسلمون على المشركين فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية، فاصطفى عليّ امرأة من السبي لنفسه.

قال بريده: فكتب معي خالد بن الوليد إلى رسول الله (ص) يخبره بذلك، فلما أتيت النبي (ص) دفعت الكتاب فقرئ عليه، فرأيت الغضب في وجه رسول الله (ص) فقلت:

يا رسول الله هذا مكان العائد، بعثني مع رجل وأمرتنى أن أطيعه، ففعلت ما أرسلت به.

فقال رسول الله (ص): لا تقع في علي، فإنه مني وأنا منه، وهو وليكم بعدى.

قلت: رواه الترمذي باختصار، رواه أحمد والبخاري باختصار، وفيه الاجلح الكندي وثقه ابن معين وغيره، وضعفه جماعة، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح.

وعن بريده قال بعث رسول الله (ص) علياً أميراً على اليمن، وبعث خالد بن الوليد على الجبل، فقال: إن اجتمعتما فعلي على الناس، فالتقوا وأصابوا من الغنائم ما لم يصيبوا مثله، وأخذ علي جارية من الخمس، فدعا خالد بن الوليد بريده فقال: اغتتمها، فأخبر النبي ما

صنع!

فقدت المدينة ودخلت المسجد، ورسول الله (ص) في منزله، وناس من أصحابه على باب، فقالوا: ما الخبر يا بريده؟

فقلت: خيراً فتح الله على المسلمين.

فقالوا: ما أقدمك؟

قلت: جارية أخذها علي من الخمس، فجئت لأخبر النبي (ص).

فقالوا: فأخبر النبي، فإنه يسقط من عين النبي!! ورسول الله يسمع الكلام، فخرج مغضباً فقال:

ما بال أقوام ينتقصون علياً!!

من تنقص علياً فقد تنقصني، ومن فارق علياً فقد فارقني.

إن علياً مني وأنا منه، خلق من طينتي، وخلق من طينه إبراهيم، وأنا أفضل من إبراهيم، ذرية بعضها من بعض، والله سمع عليم.

يا بريده: أما علمت أن لعلى أكثر من الجارية التي أخذ، وأنه وليكم بعدى؟

فقلت: يا رسول الله بالصحة إلا بسطت يدك فبايعتني على الإسلام جديداً!!

قال: فما فارقت حتى بايعته على الإسلام!!

رواه الطبراني في الأوسط، وفيه جماعة لم أعرفهم، وحسين الأشقر ضعفه الجمهور، ووثقه ابن حبان.

وعن عبد الله بن بريده، عن أبيه قال: بعث رسول الله (ص) على بن أبي طالب وخالد بن الوليد، كل واحد منهما وحده، وجمعهما فقال:

إذا اجتمعتما فعليكم على، قال فخذا يميناً ويساراً، فدخل على وأبعد، وأصاب سيئاً، وأخذ جارية من السبي.

قال بريده: وكنت من أشد الناس بغضاً لعلى، قال: فأتى رجل خالد بن الوليد فذكر أنه أخذ جاريته من الخمس، فقال: ما هذا؟!!

ثم جاء آخر ثم جاء آخر، ثم تابعت الأخبار على ذلك، فدعاني خالد فقال:

يا بريده، قد عرفت الذى صنع، فانطلق بكتابى هذا إلى رسول الله!

فكتب إليه فانطلقت بكتابه حتى دخلت على رسول الله (ص)، فأخذ الكتاب بشماله، وكان كما قال الله عز وجل لا يقرأ ولا يكتب،

وكنت إذا تكلمت طأطأت رأسى حتى أفرغ من حاجتى، فطأطأت رأسى فتكلمت فوقع فى على حتى فرغت، ثم رفعت رأسى

فرأيت رسول الله (ص) غضب غضباً لم أره غضب مثله إلا يوم قريظة والنضير!!

فنظر الى فقال: يا بريده أحب علياً، فإنما يفعل ما أمر به!!!

فقمتم وما من الناس أحد أحب إلى منه.

رواه الطبراني في الأوسط، وفيه ضعفاء وثقهم ابن حبان.

وعن أبى سعيد الخدرى قال: اشتكى علياً الناس، فقام رسول الله (ص) فينا خطيباً، فسمعتة يقول:

أيها الناس لا تشكوا علياً، فوالله إنه لاخشن فى ذات الله أو فى سبيل الله.

رواه أحمد.

وعن عمرو بن شاس الأسلمى، وكان من أصحاب الحديدية قال: خرجت مع على عليه السلام الى اليمن فجفاني فى سفرى ذلك، حتى

وجدت فى نفسى عليه، فلما قدمت المدينة أظهرت شكايته فى المسجد، حتى سمع بذلك رسول الله (ص)، فدخلت المسجد ذات

غداة ورسول الله (ص) جالس فى ناس من أصحابه، فلما رآنى أبدى لى عينيه - يقول حدد الى النظر - حتى إذا جلست قال: يا عمرو

والله لقد آذيتنى!!!

قلت: أعود بالله من أذاك يا رسول الله.

قال: بلى، من آذى علياً فقد آذانى.

رواه أحمد والطبراني بإختصار، والبرار أخصر منه، ورجال أحمد ثقات.

وعن أبى رافع قال: بعث رسول الله (ص) علياً أميراً على اليمن، وخرج معه رجل من أسلم يقال له عمرو بن شاس، فرجع وهو يذم علياً

ويشكوه، فبعث إليه رسول الله (ص) فقال:

إخساً يا عمرو!!! هل رأيت من على جوراً فى حكم، أو أثره فى قسمة؟!!

قال: اللهم لا.

قال: فعلام تقول الذى بلغنى؟!!

قال: بغضه، لا أملك.

قال: فغضب رسول الله (ص) حتى عرف ذلك فى وجهه، ثم قال:

من أبغضه فقد أبغضنى، ومن أبغضنى فقد أبغض الله!! ومن أحبه فقد أحبنى ومن أحبنى فقد أحب الله تعالى.

رواه البزار، وفيه رجال وثقوا على ضعفهم.

وعن سعد بن أبى وقاص قال: كنت جالساً فى المسجد أنا ورجلين معى، فلنا من على، فأقبل رسول الله (ص) غضبان يعرف فى وجهه

الغضب، فتعوذت بالله من غضبه فقال:

ما لكم وما لى؟!!

من آذى علياً فقد آذانى!!!

رواه أبو يعلى والبزار باختصار، ورجال أبى يعلى رجال الصحيح، غير محمود بن خدش وقتان، وهما ثقتان.

وعن أبى بكر بن خالد بن عرفطة، أنه أتى سعد بن مالك فقال: بلغنى أنكم تعرضون على سب على بالكوفة، فهل سببته؟!!

قال: معاذ الله، والذى نفس سعد بيده لقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى على شيئاً، لو وضع المنشار على مفرقى ما

سببته أبداً.

رواه أبو يعلى وإسناده حسن.

وعن أبى عبد الله الحدلى قال: دخلت على أم سلمة فقالت لى:

أيسب رسول الله (ص) فيكم؟!!

قلت: معاذ الله، أو سبحان الله، أو كلمة نحوها.

قالت: سمعت رسول الله (ص) يقول: من سب علياً فقد سبنى!!!

رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، غير أبى عبد الله الحدلى وهو ثقة.

وعن أبى عبد الله الحدلى قال: قالت لى أم سلمة:

يا أبا عبد الله، أيسب رسول الله (ص) فيكم؟!!

قلت: أنى يسب رسول الله (ص)؟!!

قالت: أليس يسب على ومن يحبه، وقد كان رسول الله (ص) يحبه!!

رواه الطبرانى فى الثلاثة، وأبو يعلى، ورجال الطبرانى رجال الصحيح، غير أبى عبد الله، وهو ثقة.

وروى الطبرانى بعده بإسناد رجاله ثقات إلى أم سلمة، عن النبى (ص) قال: مثله.

وعن كعب بن عجرة قال: قال رسول الله (ص):

لا تسبوا علياً فإنه ممسوس فى ذات الله.

رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط، وفيه سفيان بن بشر أو بشير، متأخر ليس هو الذى روى عن أبى عبد الرحمن الجبلى، ولم أعرفه،

وبقية رجاله وثقوا، وفى بعضهم ضعف.

وعن أبى كثيرة قال: كنت جالساً عند الحسن بن على فجاءه رجل فقال لقد سب عند معاوية علياً سبا قبيحاً رجل يقال له معاوية بن

خديج... الخ. انتهى.

وقد تقدم ذلك من حديث الإمام الحسن عليه السلام. ورواه الهيثمى هنا بروايتين، وقال:

رواه الطبرانى بإسنادين فى أحدهما على بن أبى طلحة مولى بنى أمية، ولم أعرفه. وبقيه رجاله ثقات، والآخر ضعيف... الخ.

وفى مجمع الزوائد: ٩/١٠٨

عن بريده قال: بعثنا رسول الله (ص) فى سرية فاستعمل علينا علياً، فلما جئنا قال: كيف رأيتم صاحبكم؟
فإما شكوته، وإما شكاه غيرى، قال فرفع رأسه وكنت رجلاً مكباباً فإذا النبى (ص) قد احمر وجهه يقول: من كنت وليه فعلى وليه.
فقلت: لا أسوؤك فيه أبداً.

رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

وعن عمار بن ياسر قال قال رسول الله (ص):

أوصى من آمن بى وصدقنى بولاية على بن أبى طالب.

من تولاه فقد تولانى ومن تولانى فقد تولى الله عز وجل.

ومن أحبه فقد أحببى، ومن أحببى فقد أحب الله تعالى.

ومن أبغضه فقد أبغضنى، ومن أبغضنى فقد أبغض الله عز وجل.

رواه الطبرانى بإسنادين أحسب فيهما جماعة ضعفاء، وقد وثقوا.

وعن وهب بن حمزة قال: صحبت علياً إلى مكة فرأيت منه بعض ما أكره، فقلت لئن رجعت لأشكونك إلى رسول الله (ص)، فلما
قدمت لقيت رسول الله (ص) فقلت: رأيت من على كذا وكذا.

فقال: لا تقل هذا، فهو أولى الناس بكم بعدى.

رواه الطبرانى، وفيه دكين ذكره ابن أبى حاتم، ولم يضعفه أحد، وبقية رجاله وثقوا. انتهى.

وفى الصراط المستقيم للبياضى: ٢/٥٩

وروى ابن حنبل أيضاً أن علياً أخذ فى اليمن جارية فكتب خالد مع بريده إلى النبى صلى الله عليه وآله فأعلمه فغضب وقال: يا بريده
لا تقع فى على فإنه منى وأنا منه.

وأورده ابن مردويه من طرق عدة وفى بعضها أن النبى صلى الله عليه وآله قال لبريدة: إيهأ عنك فقد أكثرت الوقوع فى على، فوالله
إنك لتقع فى رجل أولى الناس بكم بعدى.

وفى بعضها إنه طلب من النبى صلى الله عليه وآله الإستغفار، فقال له: حتى يأتى على، فلما أتى على قال النبى صلى الله عليه وآله لعلى:
إن تستغفر له فاستغفر.

وفى بعضها أن بريده امتنع من بيعه أبى بكر لأجل النص الذى سمعه من النبى صلى الله عليه وآله بالولاية بعده.

وفى بعضها أن بريده بايع النبى صلى الله عليه وآله على الإسلام جديداً، ولولا أن الإنكار على على يوجب تكفيراً لم يكن لبيعه بريده
ثانياً معنى.

وهذا شئ لم يوجد لغيره من أصحابه قطعاً.

فهذه كتب القوم التى هى عندهم صادقة، بولاية على عليه السلام ناطقة، إذ فى جعله من بدنه مثل الراس، دليل تقديمه على سائر
الناس. انتهى.

من دلالات قصة بريده

أولاً: أن الفائدة العملية لهذا الميزان فى حياة النبى صلى الله عليه وآله كانت اختباراً للمسلمين فى قبولهم تحدى الإسلام لقريش
والمشركين الذى مثله على عليه السلام بصفته سيف الله تعالى، وعضد رسوله صلى الله عليه وآله.

كما كانت اختباراً لقبول المسلمين الحقيقى للنبى صلى الله عليه وآله بقبول عترته الذين نص على أنهم إمتداده فى الأمة..

ولكن فائدة هذا الميزان الإلهي كانت في مرحلة ما بعد النبي أكثر منها في حياته! ولهذا ركز عليها صلى الله عليه وآله في أحاديث ومناسبات عديدة!

ثانياً: هذه النصوص النبوية القوية، تجعل المسلم يتيقن بأن الله تعالى جعل حب علي بن أبي طالب ميزاناً للإسلام والكفر، ومقياساً للإيمان والنفاق، وجعل ولايته فريضة مع حب الرسول وولايته صلى الله عليه وآله وهو مقام لم يجعله الله تعالى لأى واحد من الصحابة!!

وبذلك يتضح ضعف محاولة السنين أن يجعلوا ولاية بعض الصحابة غير على جزءاً من الوحي الذي نزل على محمد صلى الله عليه وآله في الوقت الذي ما زالوا متحيرين في العثور على صيغة فقهية تثبت شرعية خلافتهم للنبي صلى الله عليه وآله! بل ما زالوا يبحثون عن نص صحيح يسمح لهم بإدخالهم في صيغة الصلاة على النبي ليجوز لهم القول (عليهما السلام وصحبه) فيضيفون صحبه إلى آله الذين أوجب الله الصلاة عليهم معه!!

ثالثاً: إن هذا المقام الرباني لعلى عليه السلام، وأمره المسلمين بحبه وتحريمه بغضه.. تكليفٌ موجه إلى الصحابة أنفسهم، ومن بعدهم إلى أجيال الأمة.. فحب علي فريضة على الصحابة قبل غيرهم، وميزانٌ لإيمان الصحابي أو نفاقه قبل غيره! وبهذه الأحاديث الصحيحة ينحسم الأمر، ولا يبقى معنى لمقايضة أحد من الصحابة بعلى عليه السلام وهل يقاس الميزان بالموزون؟! والدليل الإلهي بالمدلول عليه؟!

والمنار الرباني بمن يحتاج إلى شهادة على بأن فيه شيئاً من نور الإيمان؟!

وهل يقاس الإنسان الكامل بمن لا تعرف درجة إنسانيته وكماله إلا به؟!

فعلى عليه السلام بنص هذه الصحاح هو: المسلم الرباني الكامل، الذي جعل الله حبه وبغضه، ورضاه وغضبه، مختبراً للأمة، وجعل شخصيته قدوة للعالمين، بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

رابعاً: بعد أن أذعن جميع المسلمين بصحة هذه الأحاديث القاطعة في على عليه السلام فإن قولهم بتفضيل غيره عليه، ونسبتهم ذلك إلى النبي صلى الله عليه وآله، يكون إتهاماً للنبي بالتناقض، وأنه أمر بحب على وجعله ميزاناً، ثم ناقض نفسه وفضل التابع على المتبوع، وجعل غير على أفضل منه، وأوصى الأمة بحبه واتباعه بدل على!!

وهو أمر لا يرتكبه رئيس عادى، ولا أمير قبيلة حكيم، ولا رب أسرة عاقل في أولاده!!

وبعد صحة هذه الأحاديث وصراحتها في مصادر السنين، وعلو حجتها، لا- نحتاج إلى روايتها من مصادرنا، إلا- لتكميل صورة الموضوع، أو لبيان جوانب أخرى لم تتعرض لها النصوص السنية، من قصة هذا الصحابي المؤمن، ورواياته الأخرى لفريضة حب على واتباعه على الأمة، وتحريم كرهه ومخالفته!

لمحة عن بريدة وأحاديثه في مصادر

بريدة الأسلمى صحابى مميّز، بشخصيته وأحاديثه.. لم يعط حقه في مصادر السنين، لأنه أطاع النبي في على وأهل بيته صلى الله عليه وآله.

وبريدة واحدٌ من مجموعة فرسان الصحابة، كان لهم دورٌ ريادى قيادى هام في حروب الردة، ثم في الفتوحات الإسلامية، ولكن جزاءهم كان طمس أدوارهم وإعطاء منجزاتهم إلى أشخاص آخرين، تبتهم السلطة القرشية ثم الأموية، لأنهم أطاعوا الخلافة، ووقفوا في وجه على وأهل البيت النبوى!!

ومن هؤلاء الأبطال الشيعة: عمار بن ياسر، وحذيفة بن اليمان، والمقداد بن عمر وأبو ذر الغفارى، وسلمان الفارسى، وخالد بن سعيد بن العاص، وأخوه أبان، وسعد بن عباد، وابنه قيس بن سعد، وأبو أيوب الأنصارى... وآخرون يصلون إلى نحو مئة صحابى، كان لهم

أدواراً هامة في حروب الردة والفتوحات، وقد وقفوا من أول الأمر مع علي عليه السلام أو انضموا إليه فيما بعد، أو قاتلوا معه في حروبه، واستشهدوا بين يديه، أو ثبتوا بعد شهادته على ولائه..

وكل واحد من هؤلاء يستحق دراسة جادة، لشخصيته وأحاديثه.. فهم ظاهرةٌ يقل مثلها في الأديان الأخرى، تمثل الوجه الآخر لما قالته الحكومات القرشية ودونته عن إجراءات النبي صلى الله عليه وآله وأقواله عن مستقبل الإسلام ومسيرته من بعده.. إلى أن يبعث الله الإمام المهدي الموعود على لسانه بعده.

ونكتفي هنا بإيراد مقتطفات عن بريده من مصادرنا:

قال أبو جعفر الطوسي في أماليه: ١/٢٤٩

أبو العباس قال: حدثنا الحسن بن علي بن عفان قال: حدثنا الحسن - يعني ابن عطية قال: حدثنا سعاد، عن عبد الله بن عطاء، عن عبد الله بن بريده، عن أبيه، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام وخالد بن الوليد كل واحد منهما وحده، وجمعهما فقال: إذا اجتمعتما فعليكم علي.

قال: فأخذنا يميناً أو يساراً.

قال: وأخذ علي فأبعد، فأصاب سيباً فأخذ جاريه من الخمس.

قال بريده: وكنت أشد الناس بغضاً لعلي وقد علم ذلك خالد بن الوليد، فأتى رجل خالداً فأخبره أنه أخذ جارية من الخمس فقال: ما هذا؟ ثم جاء آخر، ثم أتى آخر، ثم تابعت الأخبار على ذلك، فدعاني خالد فقال: يا بريده، قد عرفت الذي صنع، فانطلق بكتابي هذا إلى رسول الله فأخبره، وكتب إليه.

فانطلقت بكتابه حتى دخلت على رسول الله وأخذ الكتاب فأمسكه بشماله، وكان كما قال الله لا يكتب ولا يقرأ، وكنت رجلاً إذا تكلمت طأطأت رأسي حتى أفرغ من حاجتي، فطأطأت وتكلمت، فوقع في علي حتى فرغت، ثم رفعت رأسي فرأيت رسول الله قد غضب غضباً شديداً لم أره غضب مثله قط إلا يوم قريظة والنضير، فنظر إلي فقال:

يا بريده إن علياً وليكم بعدى، فأحب علياً فإنما يفعل ما يؤمر.

قال: فقمتم وما أحد من الناس أحب إلى منه.

وقال عبد الله بن عطاء: حدثت بذلك أبا حرب بن سويد بن غفلة، فقال: كتمك عبد الله بن بريده بعض الحديث أن رسول الله قال له: أنا فقت بعدى يا بريده!!؟

وقال السيد شرف الدين في المراجعات/٢٢١

وكذلك حديث بريده ولفظه في/٣٥٦ من الجزء الخامس من مسند أحمد قال: بعث رسول الله بعثين إلى اليمن... الخ.

ولفظه عند النسائي في/١٧ من خصائصه العلوية: لا تبغضن يا بريده لى علياً، فإن علياً منى وأنا منه، وهو وليكم بعدى.

ولفظه عند ابن جرير: قال بريده: وإذا النبي قد أحمر وجهه، فقال: من كنت وليه فإن علياً وليه، قال: فذهب الذي في نفسى عليه، فقلت لا أذكره بسوء.

والطبراني قد أخرج هذا الحديث على وجه التفصيل، وقد جاء فيما رواه: أن بريده لما قدم من اليمن، ودخل المسجد، وجد جماعة على باب حجره النبي صلى الله عليه وآله، فقاموا إليه يسلمون عليه ويسألونه فقالوا: ما وراءك؟

قال: خير فتح الله على المسلمين.

قالوا: ما أقدمك؟

قال: جارية أخذها علي من الخمس، فجئت لأخبر النبي بذلك.

فقالوا: أخبره أخبره، يسقط علياً من عينه، ورسول الله صلى الله عليه وآله، يسمع كلامهم من وراء الباب، فخرج مغضباً فقال:

مابال أقوام ينتقصون علياً؟ من أبغض علياً فقد أبغضني، ومن فارق علياً فقد فارقني، إن علياً مني وأنا منه، خلق من طينتي، وأنا خلقت من طينه إبراهيم، وأنا أفضل من إبراهيم. ذرية بعضها من بعض، والله سميع عليم.

يا بريده أما علمت أن لعلى أكثر من الجارية التي أخذ. وأنه وليكم بعدى.

وهذا الحديث مما لا يريب في صدوره، وطرقه إلى بريده كثيرة، وهي معتبرة بأسرها، ومثله ما أخرجه الحاكم عن ابن عباس، من حديث جليل، ذكر فيه عشر خصائص لعلى فقال: وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت ولي كل مؤمن بعدى.

ومثله ما أخرجه ابن السكن، عن وهب بن حمزة قال، كما في ترجمته وهب من الإصابة: سافرت مع على فرأيت منه جفاء، فقلت لئن رجعت لاشكونه، فرجعت فذكرت علياً لرسول الله فقلت منه، فقال: لا تقولن هذا لعلى، فإنه وليكم بعدى...

وقال المفيد في الإرشاد: ١/١٤٨

وكان أمير المؤمنين عليه السلام قد اصطفى من السبي جاريه، فبعث خالد بن الوليد بريده الأسلمى إلى النبي صلى الله عليه وآله وقال له:

تقدم الجيش إليه فأعلمه بما فعل على عليه السلام من اصطفائه الجارية من الخمس لنفسه، وقع فيه.

فسار بريده حتى انتهى إلى باب رسول الله صلى الله عليه وآله، فلقى عمر بن الخطاب فسأله عن حال غزوتهم وعن الذى أقدمه؟ فأخبره أنما جاء ليقع فى على عليه السلام، وذكر له اصطفائه الجارية من الخمس لنفسه، فقال له عمر:

إمض لما جئت له، فإنه سيغضب لابنته مما صنع على!

فدخل بريده على النبي صلى الله عليه وآله ومعه كتاب من خالد بما أرسل به بريده، فجعل يقرأه ووجه رسول الله صلى الله عليه وآله يتغير، فقال بريده: يا رسول الله إنك إن رخصت للناس فى مثل هذا ذهب فيؤهم!

فقال له النبي صلى الله عليه وآله: ويحك يا بريده أحدثت نفاقاً!!

إن على بن أبى طالب يحل له من الفئ ما يحل لى، إن على بن أبى طالب خير الناس لك ولقومك، وخير من أخلف بعدى لكافة أمتى.

يا بريده! إحذر أن تبغض علياً فيغضبك الله!

قال بريده: فتمنيت أن الأرض انشقت لى فسخت فيها، وقلت: أعود بالله من سخط الله وسخط رسول الله، يا رسول الله استغفر لى فلن أبغضن علياً عليه السلام أبداً، ولا أقول فيه إلا خيراً، فاستغفر له النبي صلى الله عليه وآله.

وفى الشافى للشريف المرتضى: ٣/٢٤٣

وروى الثقفى قال: حدثنى محمد بن على، عن عاصم بن عامر البجلي، عن نوح بن دراج، عن محمد بن اسحق، عن سفيان بن فروة، عن أبيه قال: جاء بريده حتى ركز رايته فى وسط أسلم، ثم قال: لا أبايع حتى يبايع على، فقال على عليه السلام: يا بريده أدخل فيما دخل فيه الناس، فإن اجتماعهم أحب إلى من اختلافهم اليوم.

وروى إبراهيم، عن يحيى بن الحسن بن الفرات، عن ميسر بن حماد، عن موسى بن عبد الله بن الحسن قال: أبت أسلم أن تبايع وقالوا: ما كنا نبايع حتى يبايع بريده، لقول النبي صلى الله عليه وآله لبريده: على وليكم من بعدى.

فقال على عليه السلام: يا هؤلاء إن هؤلاء خيرونى أن يظلمونى حقى وأبايعهم، أو ارتدت الناس، حتى بلغت الردة أحداً، فاخترت أن أظلم حقى، وإن فعلوا ما فعلوا.

وقال فى هامشه: بريده بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمى، صحابى أسلم هو وقومه - وكانوا ثمانين بيتاً - عند مرور رسول الله صلى الله عليه وآله بهم فى طريقه إلى المدينة، وبقي فى أرض قومه، ثم قدم المدينة بعد أحد، فشهد بقیة المشاهد، وسكن البصرة أخيراً، ثم خرج غازياً إلى خراسان فأقام بمرو، وأقام بها حتى مات، ودفن بها (أسد الغابة ١/١٧٥).

وفى الإحتجاج للطبرسى: ١/٩٧

وعن أبان بن تغلب قال: قلت لابي عبدالله جعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام): جعلت فداك هل كان أحدٌ في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنكر على أبي بكر فعله وجلسه مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال: نعم، كان الذى أنكر على أبي بكر اثنا عشر رجلاً من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص، وكان من بنى أمية، وسلمان الفارسى، وأبوذر الغفارى، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وبريدة الأسلمى.

ومن الأنصار أبو الهيثم بن التيهان، وسهل، وعثمان ابنا حنيف، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وأبى بن كعب، وأبو أيوب الأنصارى. قال: فلما صعد أبو بكر المنبر تشاوروا بينهم، فقال بعضهم لبعض: والله لنأتينه ولنزلنه عن منبر رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقال آخرون منهم: والله لئن فعلتم ذلك إذا أعنتم على أنفسكم، فقد قال الله عزوجل: ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، فانطلقوا بنا إلى أمير المؤمنين عليه السلام لنستشيره ونستطلع رأيه.

فانطلق القوم إلى أمير المؤمنين بأجمعهم، فقالوا يا أمير المؤمنين تركت حقاً أنت أحق به وأولى به من غيرك، لأننا سمعنا رسول الله يقول: على مع الحق والحق مع على يميل مع الحق كيف ما مال.

ولقد هممنا أن نصير إليه فننزل عن منبر رسول الله صلى الله عليه وآله، فجنناك لنستشيرك ونستطلع رأيك فما تأمرنا؟

فقال أمير المؤمنين: وأيم الله لو فعلتم ذلك لما كنتم لهم إلا حرباً، ولكنكم كالملاح فى الزاد وكالكحل فى العين، وأيم الله لو فعلتم ذلك لا تيمونى شاهرين بأسيافكم مستعدين للحرب والقتال، وإذا لاتونى فقالوا لى بايع وإلا قتلناك، فلا بد لى من أذفع القوم عن نفسى، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله أوعز الى قبل وفاته وقال لى: يا أبا الحسن إن الأمة ستغدرك بك من بعدى وتنقض فيك عهدي، وإنك منى بمنزلة هارون من موسى، وإن الأمة من بعدى كهارون ومن اتبعه، والسامرى ومن اتبعه!

فقلت: يارسول الله، فما تعهد الى إذا كان ذلك؟

فقال: إذا وجدت أعواناً فبادر اليهم واجاهدهم، وإن لم تجد أعواناً كف يدك واحقن دمك، حتى تلحق بى مظلوماً... الخ.

فانطلقوا بأجمعهم إلى الرجل فعرفوه ماسمعتم من قول نبيكم، ليكون ذلك أوكد للحجة وأبلغ للعدر، وأبعد لهم من رسول الله صلى الله عليه وآله إذا وردوا عليه.

فسار القوم حتى أحدقوا بمنبر رسول الله صلى الله عليه وآله وكان يوم الجمعة، فلما صعد أبو بكر المنبر، فأول من تكلم به خالد بن سعيد بن العاص... قال: إتق الله يا أبا بكر فقد علمت أن رسول الل قال ونحن محتوشوه يوم بنى قريظة حين فتح الله له... الخ.

ثم قام إليه بريدة الأسلمى فقال:

إنا لله وإنا إليه راجعون، ماذا لقي الحق من الباطل! يا أبا بكر أنسيت أم تناسيت وخذعت أم خدعتك نفسك أم سولت لك الأباطيل، أو لم تذكر ما أمرنا به رسول الله من تسمية على بإمرة المؤمنين والنبي بين أظهرنا، وقوله له فى عدة أوقات: هذا على أمير المؤمنين وقاتل القاسطين؟!

إتق الله وتدارك نفسك قبل أن لا تدركها، وأنقذها مما يهلكها، واردد الأمر إلى من هو أحق به منك، ولا تتماد فى اغتصابه، وراجع وأنت تستطيع أن تراجع، فقد محضتكم النصح، ودللتك على طريق النجاة، فلا تكونن ظهيراً للمجرمين... الخ.

وفى تأويل الآيات/٤٦٥

ويؤيده ما ذكره فى تفسير الإمام أبى محمد الحسن العسكرى عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث جيشاً وأمر عليهم علياً عليه السلام، وما بعث جيشاً قط وفيهم على عليه السلام إلا جعله أميرهم، فلما غنموا رغب على عليه السلام أن يشتري من جملة الغنائم جارية وجعل ثمنها من جملة الغنائم، فكأيد فيها حاطب بن أبى بلتعة وبريدة الأسلمى وزايداه، فلما نظر إليهما يكأيدانه ويزايدانه انتظر إلى أن بلغت قيمتها قيمة عدل فى يومها فأخذها بذلك.

فلما رجعا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله تواطأ على أن يقولاً ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله فوقف بريدة قدام رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: يا رسول الله ألم تر إلى علي بن أبي طالب أخذ جارية من المغنم دون المسلمين؟ فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله، فجاء عن يمينه فقالها، فأعرض عنه، فجاء عن يساره فقالها، فأعرض عنه.
قال: فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله غضباً لم يرقبه ولا بعده غضباً مثله، وتغير لونه وتربد وانتفخت أوداجه، وارتعدت أعضاؤه، وقال:

مالك يا بريدة أذيت رسول الله منذ اليوم!؟

أما سمعت قول الله عز وجل: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا. وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَّا كَتَبْنَا لَهُمْ مَا كَتَبْنَا لَهُمْ فَكَيْفَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَّا كَتَبْنَا لَهُمْ مَا كَتَبْنَا لَهُمْ فَكَيْفَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ. فقال بريدة: ما علمت أني قصدتك بأذى.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أو تظن يا بريدة أنه لا يؤذيني إلا من قصد ذات نفسي؟ أما علمت أن علياً مني وأنا منه، وأن من آذى علياً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فحق على الله أن يؤذيه بأليم عذابه في نار جهنم!
وفي اختيار معرفة الرجال: ١/٣٠٨

وبهذا الإسناد: عن أبان، عن فضيل الرسان، عن أبي داود قال: حضرته عند الموت، وجابر الجعفي عند رأسه، قال فهم أن يحدث فلم يقدر، قال ومحمد بن جابر أرسله، قال فقلت: يا أبا داود حدثنا الحديث الذي أردت.
قال: حدثني عمران بن حصين الخزاعي أن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر فلاناً وفلاناً أن يسلموا على علي عليه السلام بإمره المؤمنين، فقالا: من الله ومن رسوله؟! ثم أمر حذيفة وسلمان فسلما، ثم أمر المقداد فسلم، وأمر بريدة أخى وكان أخاه لأمه.
فقال: إنكم قد سألتموني من وليكم بعدى، وقد أخبرتكم به، وقد أخذت عليكم الميثاق!!

والزهراء والحسان جزء من المقياس النبوي أبيض

روى الترمذى فى: ٤/٣٣١

عن علي بن أبي طالب أن النبي (ص) أخذ بيد حسن وحسين وقال: من أحبني وأحب هذين، وأباهما، وأمهما، كان معي في درجتي يوم القيامة. هذا حديث حسن.

وروى الحاكم فى المستدرک: ٣/١٦٦

عن أبي هريرة قال: خرج علينا رسول الله ومعهم الحسن والحسين، هذا على عاتقه وهذا على عاتقه، وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة، حتى انتهى إلينا، فقال له رجل: يا رسول الله إنك تحبهما؟ فقال: نعم، من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني. ورواه أحمد فى مسنده: ٢/٥٣١، وأبو يعلى فى مسنده: ٥/٤٤٩. وقد صححه الحاكم والذهبي.

وفى الطبرانى فى الكبير: ٣/٤٧

عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال: من أحب الحسن والحسين، فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني. انتهى.

ورواه ابن ماجه: ١/٥١ فى باب: فضل الحسن والحسين.

وفى الطبرانى فى الكبير: ٣/٥٠

عن سلمان قال: قال رسول الله (ص) للحسن والحسين: من أحبهما أحببته، ومن أحببته أحبه الله، ومن أحبه الله أدخله جنات النعيم، ومن أبغضهما أو بغى عليهما أبغضته، ومن أبغضته أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله عذاب جهنم، وله عذاب مقيم!

ونحوه فى: ٦/٢٤١، وفى مستدرک الحاكم فى: ٣/١٦٦، وفردوس الأخبار: ٤/٣٣٦، وتاريخ بغداد: ١٣/٣٢

وفي سنن ابن ماجه: ٢/١٣٦٦

عن عبد الله قال: بينما نحن عند رسول الله (ص) إذ أقبل فتيةٌ من بني هاشم فيهم الحسن والحسين، فلما رأهم النبي (ص) اغرورقت عيناه وتغير لونه! قال: فقلت: ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه؟!

فقال: إنا أهل بيت أختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون بعدى بلاء وتشريداً وتطريداً! حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود، فيسألون الخير، فلا يعطونه، فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه، حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي فيلمؤها قسطاً كما ملؤوها جوراً، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبواً على الثلج.

ورواه ابن أبي شيبة: ١٥/٢٣٥

والبيهقي في الدلائل: ٦ ص ٥١٥

والحاكم في المستدرک: ٤/٤٦٤

والطبراني في الكبير: ١٠/١٠٤ و ١٠٨

ونحوه في فردوس الأخبار: ٥/٤٩٩

والدولابي في الكنى: ٢/٢٦

وابن أبي عاصم في السنة: ٢/٦١٩

وفي الطبراني الكبير: ٤/١٩٢، ومجمع الزوائد: ٩/١٩٤

عن عماره بن يحيى قال: كنا عند أبي (خالد بن عرفطه) يوم قتل الحسين بن علي فقال لنا خالد: هذا ما سمعت من رسول الله (ص) يقول: إنكم ستبتلون في أهل بيتي من بعدى.

وفي الطبراني الكبير: ٢٥/٢٣

في حديث أم الفضل قالت: بينا أنا قاعدة عند رأس رسول الله (ص) وهو مريض، فبكيت فقال: ما يبكيك؟ فقلت: أخشى عليك، فلا ندري ما نلقى بعدك من الناس؟

قال: أنتم المستضعفون بعدى!!

ورواه أحمد: ٦/٣٣٩، ومجمع الزوائد: ٩/٣٤

وقال الفخر الرازي في تفسيره: ٢٥/٣٥

وثبت بالنقل المتواتر أنه (ص) كان يحب علياً والحسن والحسين، وإذا كان ذلك، وجب علينا محبتهم، لقوله فاتبعوه. وكفى شرفاً لآل رسول الله (ص) فخراً ختم التشهد بذكرهم والصلاة عليهم في كل صلاة. انتهى.

و كل (أهل البيت) جزء من المقياس النبوي

في سنن الترمذی: ٤/٣٤٤

عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص): أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه، وأحبوني بحب الله، وأحبوا أهل بيتي بحبي. وقال العزیزی في السراج المنیر: ١/٥٧: هذا حديثٌ صحيح من طريق ابن عباس، وأخرجه الحاكم والترمذی. انتهى

ورواه الطبراني في الكبير: ٣/٤٦ و ٢٨١/ ١٠

والحاكم في المستدرک: ٣/١٥٠

والخطيب في تاريخ بغداد: ١٦٠/ ٤

وأحمد في فضائل الصحابة: ٢/٩٨٦

وفى الطبراني الأوسط: ٣/٢٠٣

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه قال قال رسول الله (ص): لا يؤمن عبدٌ حتى أكون أحب إليه من نفسه، وأهلى أحب إليه من أهله، وعترتي أحب إليه من عترته، وذاتي أحب إليه من ذاته. انتهى.

فقال رجلٌ من القوم: يا أبا عبد الرحمن: ما تزال تجيء بالحديث يحيى الله به القلوب! انتهى.

ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد: ١/٢٦٤

وفى الطبراني الكبير: ٣/٣٩

عن سلمان الفارسي قال: أنزلوا آل محمد (ص) بمنزلة الرأس من الجسد، وبمنزلة العين من الرأس، فإن الجسد لا يهتدى إلا بالرأس، وإن الرأس لا يهتدى إلا بالعينين.

ورواه الهيثمي: ٩/١٧٢

وفى سنن الترمذي: ٤/٣٣٧

أن العباس بن عبد المطلب دخل على رسول الله (ص) مغضباً وأنا عنده فقال: ما أغضبك؟

قال: يارسول الله ما لنا ولقريش! إذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة، وإذا لقونا بغير ذلك!!

قال: فغضب رسول الله (ص) حتى احمر وجهه ثم قال: والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحكم الله ولرسوله. هذا حديث حسن صحيح.

ورواه الطبراني في الكبير: ١١/٤٣٣

والخطيب: ٥/٣١٧

ورواه أحمد في مسنده: ١/٢٠٧

وروى نحوه في: ٤/١٦٥، بعدة روايات، منها:

عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب قال: أتى ناسٌ من الأنصار النبي (ص) فقالوا: إنا لنسمع من قومك حتى يقول القائل منهم: إنما مثل محمد مثل نخلة نبتت في كباء! قال حسين الكباء الكناسة!

فقال رسول الله (ص): أيها الناس من أنا؟

قالوا: أنت رسول الله (ص).

قال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب - قال فما سمعناه قط ينتمى قبلها - ألا إن الله عز وجل خلق خلقه فجعلني من خير خلقه، ثم فرقهم فرقتين فجعلني من خير الفرقتين، ثم جعلهم قبائل فجعلني من خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني من خيرهم بيتاً، وأنا خيركم بيتاً وخيركم نفساً!!

وروى نحوه ابن ماجه: ١/٥٠، وقال بعده: في الزوائد: رجال إسناده ثقات.

إلا أنه قيل: رواية محمد بن كعب عن العباس مرسله.

ونحوه في الترمذي: ٥/٣١٧، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ورواه الحاكم في مستدرک: ٣/٣٣٣ وص ٥٦٨ و٤/٧٥، بعدة روايات.

والهيثمي في مجمع الزوائد: ١/٨٨، بعدة روايات.

والخطيب في تاريخ بغداد: ٥/٣١٧

وكنز العمال: ١١/٧٠٠ (حم، ت، ك - عن عبد المطلب بن ربيعة، ك - عن العباس) وفي: ١٢/٤١ (طس، ك عن عبد الله بن جعفر)

(ط، عن عبد الله بن جعفر) (خط، كر، عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة، وقال الخطيب: غريب والمحمفوظ عن أبي الضحى عن

ابن عباس، وقال: ورواه جماعة عن أبي الضحى مرسلًا).

وفى ٩٧/ (هعن العباس بن عبد المطلب) (حم، ت عن علي). انتهى.

وفى الترمذى: ٤/٢٩٢

عن المطلب بن أبي وداعة، قال: جاء العباس إلى رسول الله (ص) وكأنه سمع شيئاً فقام النبي (ص) على المنبر فقال: من أنا؟ فقالوا: أنت رسول الله عليك السلام.

قال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب: إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم، ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً. هذا حديث حسن. وقال العزيزى فى السراج المنير: ١/٣٦٤: هذا حديث صحيح.

وروى الحاكم: ٣/٣١١، وصححه على شرط مسلم قال:

عن أبي هريرة: خيركم خيركم لأهلى من بعدى.

ورواه الديلمى: ٢/١٧٠، والهيشمى: ٩/١٧٤، عن أبي يعلى، وقال: رجاله ثقات.

وفى الصواعق المحرقة/١٧٦

أخرج الديلمى... من أراد التوسل إلى، وأن يكون له عندى يد أشفع له بها يوم القيامة، فليصل أهل بيتى.

وويل لمبغضهم

فى فردوس الأخبار: ٣/٥٠٨

عن النبى (ص) أنه قال: من مات وفى قلبه بغض على بن أبى طالب، فليمت يهودياً أو نصرانياً!!

وفى فردوس الأخبار: ٢/٨٥

عن جابر بن عبد الله عن النبى (ص): ثلاثٌ من كن فيه فليس منى ولا أنا منه: بغض على، ونصب أهل بيتى، ومن قال الإيمان كلام.

وفى الطبرانى الكبير: ١١/١٤٦

عن ابن عباس قوله: أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله. قال ابن عباس: نحن الناس دون الناس.

عن عطاء بن أبى رباح، عن عبد الله بن عباس أن رسول الله (ص) قال: بغض بنى هاشم والأنصار كفر، وبغض العرب نفاق.

ورواه فى مجمع الزوائد: ٩/١٧٢

وفى تاريخ بغداد: ٣/٢٩٠

عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله (ص): رجل من أمتى يبغض عترتى، لا تناله شفاعتى.

وفى ميزان الاعتدال: ٢/٤١٠

عن أنس (رض) مرفوعاً: من أحببني فليحب علياً، ومن أبغض أحداً من أهل بيتى حرم شفاعتى.. الحديث. وذكره فى لسان الميزان:

٣/٢٧٦

وفى مجمع الزوائد: ٧/٥٨٠

عن النبى (ص) قال.. لا يبغضنا أهل البيت أحدٌ إلا أكبه الله فى النار..

ورواه الدهلوى فى حياة الصحابة: ٢/٣٦٩

وفى فردوس الأخبار: ٣/٦٢٦

عن على عليه السلام (عن النبى): من لم يعرف حق عترتى فهو لحدى ثلاث: إما منافق وإما لزنية، وإما امرؤ حملت به أمه بغير طهر.

وفى بشاره المصطفى للطبرى الشيعى / ١٥٠

قال أبو جعفر محمد بن على بن الحسين بن موسى، أخبرنا الحسين بن موسى، أخبرنا الحسين بن إبراهيم بن بابويه، أخبرنا على بن إبراهيم بن همام، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن ابن زياد، عن عبيد الله بن صالح، عن زيد بن على، عن أبيه على بن الحسين بن على، عن أبيه على بن أبي طالب (عليهم السلام) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا على من أحبني وأحبك وأحب الأئمة من ولدك، فليحمد الله على طيب مولده، فإنه لا يحبنا إلا من طابت ولادته، ولا يبغضنا إلا من خبثت ولادته!!

و ويل للمكذبين بفضلهم

وفى كنز العمال: ١٢/١٠٣

من سره أن يحيا حياتى ويموت مماتى ويسكن جنه عدن التى غرسها ربى، فليوال علياً من بعدى، وليوال وليه، وليقتد بأهل بيتى من بعدى، فإنهم عترتى، خلقوا من طينتى، ورزقوا فهمى وعلمى، فويل للمكذبين بفضلهم من أمتى، القاطعين فيهم صلتى، لا أنالهم الله شفاعتى (الخطيب، والرافعى، عن ابن عباس).

ورواه الكنجدى فى كفاية الطالب/٢١٤، عن ابن عباس عن النبى (ص).

ورواه فى مناقب آل أبى طالب: ١/٢٥١

واللعنة على ظالمهم وقاتليهم

فى مستدرک الحاكم: ٢/٥٢٥

عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن موهب قال سمعت على بن الحسين يحدث عن أبيه عن جده (رض) قال: قال رسول الله (ص): سته لعنتهم ولعنهم الله وكل نبى مجاب: الزائد فى كتاب الله، والمكذب بقدر الله، والمتسلط بالجبروت ليدل من أعز الله ويعز من أذل الله، والتارك لستى، والمستحل من عترتى ما حرم الله، والمستحل لحرم الله. انتهى.

ثم رواه بسند آخر وصححه، وقال: قد احتج الإمام البخارى بإسحاق بن محمد الفروى وعبد الرحمن بن أبى الرجال فى الجامع الصحيح. وهذا أولى بالصواب من الإسناد الأول. انتهى.

راجع أيضاً: المستدرک: ٣/١٤٩، و: ١/٣٦

ورواه الطبرانى فى الأوسط: ٢/٣٩٨

ومجمع الزوائد: ٩/٢٧٢

وابن أبى عاصم فى السنة: ٢/٦٢٨

والأزرقى فى أخبار مكة: ١ جزء ٢/١٢٥

وفى المعجم الكبير للطبرانى: ١٧/٤٣

عن عمرو بن سعواء الياعى قال قال رسول الله (ص): سبعة لعنتهم.. الزائد فى كتاب الله، والمكذب بقدر الله، والمستحل من عترتى ما حرم الله، والتارك لستى والمستأثر بألقى، والمتجبر بسلطانه.

وفى تاريخ الطبرى: ٥/٤٢٦

عن كثير بن عبد الله.. قال زهير بن القين لشمر: يا بن البوال على عقبيه ما إياك أخاطب، إنما أنت بهيمه! والله ما أظنك تحكم من كتاب الله آيتين...

فقال له شمر: إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة!

قال أقبال الموت تخوفنى.. ثم أقبل على الناس.. فقال: عباد الله لا يغرنكم من دينكم هذا الجلف الجافى.. فوالله لا تنال شفاعته محمد قوماً أراقوا دماء ذريته وأهل بيته!!

و لا يقبل عمل المسلم إلا بحبهم

فى المعجم الكبير للطبرانى: ١١/١٤٢
عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): يا بنى عبد المطلب إني سألت الله لكم ثلاثاً، سألته أن يثبت قائمكم، ويعلم جاهلكم، ويهدى ضالككم... فلو أن رجلاً صفن بين الركن والمقام وصلى وصام، ثم مات وهو مبغض لأهل بيت محمد رضى الله عنهم، دخل النار!!
ورواه الدهلوى فى حياة الصحابة: ٢/٣٦٢
وفى الطبرانى الأوسط: ٣/١٢٢
عن الحسن بن على عليه السلام أن رسول الله (ص) قال: إلزموا مودتنا أهل البيت، فإنه من لقي الله وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا، والذى نفسى بيده لا ينفع عبداً عمله إلا بمعرفة حقنا.
ورواه المفيد فى الامالى/ ١٣/ وص ٤٤،
ورواه فى مجمع الزوائد: ٩/١٧٢
وفى مناقب آل أبى طالب: ٣/٢
كتاب ابن مردويه، بالاسناد عن زيد بن على، عن أبيه، عن جده، عن النبى صلى الله عليه وآله قال: يا على لو أن عبداً عبد الله مثل ما دام نوح فى قومه، وكان له مثل جبل أحد ذهباً فأنفقه فى سبيل الله، ومد عمره حتى حج ألف عام على قدميه، ثم قتل بين الصفا والمروة مظلوماً، ثم لم يوالك يا على، لم يشم رائحة الجنة، ولم يدخلها.
وفى تاريخ النسائى، وشرف المصطفى واللفظ له: قال النبى صلى الله عليه وآله:
لو أن عبداً قام لله تعالى بين الركن والمقام ألف عام، ثم ألف عام، ولم يكن يحبنا أهل البيت، لأكبه الله على منخره فى النار!! انتهى.
وفى فردوس الأخبار: ٢/١٤٢ وص ٢٢٦
عن ابن مسعود عن النبى (ص) قال: حب آل محمد يوماً، خير من عبادة سنة. ومن مات عليه دخل الجنة.

و الأمة مسؤولة عنهم يوم القيامة

فى صحيح مسلم: ٧/١٢٢
عن زيد بن أرقم (قام رسول الله (ص) يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمأ، بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتى رسول ربى فأجيب، وأنا تاركٌ فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال:
وأهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى!!
وفى مجمع الزوائد: ١/١٧٠
عن زيد بن ثابت، عن رسول الله (ص) قال: إني تركت فيكم خليفتين: كتاب الله، وأهل بيتى، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض.
رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله ثقات.
ورواه بنحوه: ٩/١٦٢، وقال: رواه أحمد، وإسناده جيد.
وروى الطبرانى فى الأوسط: ٢/٢٢٦

عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وشبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين كسبه وفيما أنفقه، وعن حينا أهل البيت.

وفي مجمع الزوائد: ١٠/٦٢٦

عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): لا- تزول قدما يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه... وعن حينا أهل البيت. قيل: يارسول الله فما علامة حركم؟ فضرب بيده على منكب علي!

ورواه الكنجي في كفاية الطالب/٣٢٤، عن أبي ذر.

وروى الحسكاني في شواهد التنزيل: ٢/١٠٦

وفي حديث أبي سعيد الخدري، عن النبي (ص): وقفوهم إنهم مسؤولون. عن ولاية علي بن أبي طالب.

و هذه الأحكام مختصة بهم و لا يقاس بهم أحد

في فردوس الأخبار: ٥/٣٤ ح ٧٠٩٤

عن أنس بن مالك عن النبي (ص) قال: نحن أهل بيت لا يقاس بنا أحد. انتهى.

وفي فردوس الأخبار: ٤/٢٨٣

وفي كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: لا يقاس بآل محمد من هذه الأمة أحد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفى الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة. انتهى.

ولا نطيل في استعراض أحاديث المكانة الشرعية المختصة بأهل البيت (عليهم السلام)، فهي في مصادر السنين كثيرة و صريحة، تدل على أن حبهم وولائهم وإطاعتهم بعد النبي صلى الله عليه وآله من أركان الدين.. والإفاضة في ذلك تخرجنا عن غرضنا.

و محبو أهل البيت و شيعتهم جزء من المقياس النبوي

فتح الباري: ١/٤٣١

روى حديث (تقتل عماراً الفئة الباغية) جماعة من الصحابة، منهم قتادة بن النعمان كما تقدم، وأم سلمة عند مسلم، وأبو هريرة عند الترمذي، وعبد الله بن عمرو بن العاص عند النسائي، وعثمان بن عفان، وحذيفة، وأبو أيوب، وأبو رافع، وخزيمة بن ثابت، ومعاوية، وعمرو بن العاص، وأبو اليسر، وعمار نفسه، وكلها عند الطبراني وغيره، وغالب طرقها صحيحة أو حسنة، وفيه عن جماعة آخرين يطول عددهم.

وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة، وفضيلة ظاهرة لعلي ولعمار، ورد على النواصب الزاعمين أن علياً لم يكن مصيباً في حروبه.

وفي رواية ابن مسعود سمعت رسول الله (ص) يقول: إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق.

وقال الحافظ ابن كثير: ومعلوم أن عماراً كان في جيش علي يوم صفين، وقتله أصحاب معاوية من أهل الشام، وكان الذي تولى قتله رجلاً يقال له أبو الفادية، وقيل إنه صحابي! وفي رواية وقاتله في النار، لا أناله الله شفاعتي يوم القيامة!

وفي تاريخ بغداد: ٢/١٤٦

عن علي أن النبي (ص) قال: شفاعتي لأمتي، من أحب أهل بيتي، وهم شيعتي.

وحسنه العزيزي في السراج المنير: ٢/٣٧٠

ورواه في كنز العمال: ١٤/٣٩٨

وروى ابن أبي عاصم في السنة: ١/٣٣٤

عن علي بن أبي طالب قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: أول من يرد على الحوض أهل بيتي، ومن أحبني (أحبهم؟) من أمتي.

كيف طبقت الخلافة القرشية سنة النبي فيهم

جعلت الخلافة لعنهم على المنابر فريضة!

في صحيح مسلم: ٧/١٢٠

عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب؟!

فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله (ص) فلن أسبه! لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم!

سمعت رسول الله (ص) يقول له (وقد) خلفه في بعض مغازيه فقال له علي يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله

(ص): أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدى... الخ...

وذكره فتح الباري: ٧/٦٠، عن مسلم والترمذي وأبي يعلى.

وفي مستدرک الحاكم: ٣/١٢١

عن بن أبي مليكة عن أبيه قال: جاء رجل من أهل الشام فسب علياً عند ابن عباس فحصبه ابن عباس فقال: يا عدو الله آذيت رسول الله

صلى الله عليه وآله. إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً. لو كان رسول الله صلى الله عليه

وآله حياً لآذيته. هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

ورواه الحاكم في: ١/٣٦٦ ورواه الطبراني في الأوسط: ٢/٣٩٨، والصغير: ٣٩٨٢ والديلمي في فردوس الأخبار: ٢/٣٣٣ والهيثمي في

مجمع الزوائد: ١/٤٢٥ و٧/٤١٨ و٥٨٠ - وابن حجر في الصواعق المحرقة/ ١٧٤

وابن العربي في شرح الترمذي: ٤ جزء ٨/٣١٨، وقال: رواه غير واحد عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب، عن علي بن حسين، عن

النبي مرسلًا، وهذا أصح.

ورواه في بحار الأنوار: ٢٧/٢٢٥

و أجبرت المسلمين على أن يكونوا نواصب

في الخطط السياسية للمحامي أحمد حسين يعقوب/ ١٠٧

خليفة المسلمين معاوية يرضى الرواية والرواة:

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: ٣/٥٩٥:

روى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدائني في كتاب الأحداث قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام

الجماعة:

أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب (يعني الإمام علي) وأهل بيته. (يعني أهل بيت النبوة الكرام) فقامت الخطباء في كل

كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً، ويبرؤون منه، ويقعون فيه، وفي أهل بيته، وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة، لكثرة من بها من

شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة، فكان يتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام علي،

فقتلهم تحت كل حجر ومدبر وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشردهم عن

العراق، فلم يبق بها معروف منهم.

مرسوم آخر لخليفة المسلمين معاوية

ويضيف المدائني بالحرف:

وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق أن لا يجيزوا لاحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة!

وكتب إليهم: أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان، ومحبيه وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فأدنوا مجالسهم وقربوهم وأكرمهم، واكتبوا لي بكل ما يروى كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته.

ففعّلوا ذلك حتى أكثروا من فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلوات والكسا والحبا والقطائع، ويفيضة في العرب منهم والموالي، فكثرت ذلك في كل مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجيء أحد من الناس عاملاً من عمال معاوية فيروى في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقربه وشفعه!

فلبثوا بذلك حيناً.

مرسوم ثالث لخليفة المسلمين معاوية

كتب معاوية إلى عماله: إن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر، وفي كل وجه وناحية، فإذا جاكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة، والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب الا وتأتونى بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحب إلي وأقر لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله!

فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجد الناس في روايته ما يجري هذا المجرى، حتى أشاروا بذكر ذلك على المنابر، وألقى إلى معلمى الكتاتيب، فعملوا صبيانهم وغلماهم من ذلك الكثير الواسع، حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علموا بناتهم ونسأهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ماشاء الله.

مرسوم رابع لخليفة المسلمين معاوية

ثم كتب معاوية نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه!

وشفع ذلك بنسخة أخرى: من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره!

فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق، ولا سيما الكوفة، حتى أن الرجل من شيعة علي ليأتيه من يثق به فيدخل بيته، فيلقى إليه سره، ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الإيمان الغليظة ليكتمن عليه، فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر.. ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة!!

وكان أعظم الناس في ذلك بلية القراء المرأون والمستضعفون، الذين يظهرون الخشوع والنسك، فيفتعلون الأحاديث ليحفظوا بذلك عند ولائهم، ويقربوا مجالسهم، ويصيبوا به الاموال والضياع والمنازل، حتى انتقلت تلك الأخبار، والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق! ولو علموا أنها باطله لما رووها ولا تدينوا بها. فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي، فازداد البلاء والفتنة، فلم يبق أحد من هذا القبيل إلا وهو خائف على دمه، أو طريد في الأرض.

تفاهم الأمر:

ويضيف بن أبي الحديد نقلاً عن المدائني: ثم تفاهم الأمر بعد قتل الحسين وولى عبد الملك بن مروان، فاشتد البلاء على الشيعة، وولى عليهم الحجاج بن يوسف، فتقرب إليه أهل النسك والصلاح والدين ببغض علي وموالاة أعدائه! وموالاة من يدعى من الناس أنهم أيضاً من أعدائه، فأكثروا من الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم، وأكثروا من الغضب من علي وعييه والطعن فيه والشتان له، حتى أن انساناً وقف للحجاج ويقال إنه جد الاصمعي عبد الملك بن قريش، فصاح به: أيها الأمير إن أهلي عقونى فسمونى علياً، وإنى فقير

بائس، وأنا إلى صلة الأمير محتاج، فتضحك له الحجاج، وقال: للطف ما توصلت به، قد وليتك كذا!

وتابع ابن أبي الحديد قائلاً: وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه، وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم، في تاريخه ما يناسب هذا الخبر، وقال: إن أكثر الأحاديث الموضوعه في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بنى أمية، تقرباً إليهم بما يظنون أنهم يرغبون به أنوف بنى هاشم!! انتهى.

أما الدولة العباسية فقد واصلت السياسة الأموية في اضطهاد أهل البيت عليهم السلام، واضطهاد محبيهم ورواه فضائلهم، وأعطت للنواصب ووضاعي الأحاديث نفس المكانة المحترمة التي كانت لهم عند الخلافة الأموية!

وثقافة المسلمين السنيين إنما تكونت في ظل هاتين الدولتين.. ولذا صار من المألوف أن تقرأ فيها مثل هذه النص (أسد بن وداعة شامى تابعى ناصبى كان يسب علياً، وكان عابداً، وثقه النسائي!) الغدير: ٥/٢٩٤

وفي النصائح الكافية لمحمد بن عقيل ٢٢/

وهؤلاء هم الذين قال فيهم الإمام أحمد رحمه الله لما سئل عن معاوية: إن قوماً أبغضوا علياً فتطلبوا له عيباً فلم يجدوا، فعمدوا إلى رجل قد ناصبه العداوة فأطروه كيداً لعلى!!

وفي كتاب الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: ٢/٢٧٧

قال الرياشي: سمعت محمد بن عبد الحميد قال: قلت لابن أبي حفصة: ما أغراك بينى على؟!

قال: ما أحد أحب إلى منهم، ولكن لم أجد شيئاً أنفع عند القوم منه! أى من بغضهم والتحامل عليهم! وكان ابن أبي حفصة يتحامل على آل على، ويكثر هجاءهم طمعاً بجوائز العباسيين!! انتهى.

ولا- نطيل بذكر الشواهد الكثيرة على هذه السياسة المؤذية لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وقد أفرد السيد محمد بن عقيل الحضرمى كتاباً لتعصبات علماء الجرح والتعديل ضد أهل البيت (عليهم السلام) ومحبيهم، سماه (العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل).

ولم يؤثر ذلك في كل الناس:

في العقد الفريد لابن عبد ربه: ٥/١٥٦

انتقص ابن حمزة بن عبد الله بن الزبير علياً فقال له أبوه... أما ترى علياً وما يظهر بعض الناس من بغضه ولعنه على المنابر فكأنما والله يأخذون بناصيته رفعاً إلى السماء، وما ترى بنى مروان وما يندبون به موتاهم من المدح... فكأنما يكشفون عن الجيف!!

بعض ما ورد عن المقياس النبوي في مصادر

روى الكليني في الكافي: ٨/٩٣

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: لله عز وجل في بلاده خمس حرم: حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وحرم آل رسول الله عليهم السلام، وحرم كتاب الله عز وجل، وحرم كعبة الله، وحرم المؤمن. انتهى.

وروى نحوه في مجمع الزوائد: ١/٢٦٦، عن أبي سعيد الخدرى، قال قال رسول الله (ص): إن لله عز وجل حرمات ثلاث، من حفظهن حفظ الله له أمر دينه ودنياه، ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله له شيئاً: حرم الإسلام، وحرمتى، وحرمه رحمى.

وفي معاني الأخبار للصدوق ٥٨/

حدثنا أبو العباس محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني رحمه الله قال: حدثنا عبد العزيز بن يحيى الجلودي بالبصرة قال: حدثني المغيرة بن محمد، قال: حدثنا رجاء بن سلمة، عن عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن على (عليهما السلام) قال:

خطب أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله عليه بالكوفة بعد منصرفه من النهروان، وبلغه أن معاوية يسبه ويلعنه ويقتل

أصحابه، فقام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسول الله صلى الله عليه وآله، وذكر ما أنعم الله على نبيه وعليه، ثم قال: لولا- آية في كتاب الله ما ذكرت ما أنا ذاكره في مقامى هذا، يقول الله عز وجل: وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ. اللهم لك الحمد على نعمتك التي لا تحصى، وفضلك الذي لا ينسى.

يا أيها الناس: إنه بلغنى ما بلغنى، وإنى أرانى قد اقترب أجلى، وكأنى بكم وقد جهلتم أمرى، وإنى تارك فيكم ما تركه رسول الله صلى الله عليه وآله: كتاب الله وعترتى، وهى عتره الهادى إلى النجاة خاتم الأنبياء، وسيد النجباء، والنبي المصطفى. يا أيها الناس:

لعلكم لا تسمعون قائلاً يقول مثل قولى بعدى إلا مفتر، أنا أخو رسول الله، وابن عمه، وسيف نعمته، وعماد نصرته وبأسه وشدته. أنا رحى جهنم الدائرة، وأضراسها الطاحنة، أنا موتم البنين والبنات، أنا قابض الأرواح، وبأس الله الذى لا يرده عن القوم المجرمين. أنا مجدل الأبطال، وقاتل الفرسان، ومبير من كفر بالرحمن، وصهر خير الأنام. أنا سيد الأوصياء، ووصى خير الأنبياء، أنا باب مدينة العلم، وخازن علم رسول الله ووارثه، وأنا زوج البتول سيده نساء العالمين فاطمة التقيّة، ومن ولدى مهدي هذه الأمة.

ألا وقد جعلت محتكم.. يبغضى يعرف المنافقون، وبمحبتي امتحن الله المؤمنين هذا عهد النبي الأمى الى أنه لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق.

وأنا صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وآله فى الدنيا والآخرة، ورسول الله فرطى، وأنا فرط شيعتى، والله لا عطش محبى، ولا خاف ولى. وأنا ولى المؤمنين، والله ولى.

حسب محبى أن يحبوا ما أحب الله، وحسب مبغضى أن يبغضوا ما أحب الله.

ألا- وإنه بلغنى أن معاوية سبنى ولعننى. اللهم اشد وطأتك عليه، وأنزل اللعنة على المستحق، آمين رب العالمين، رب إسماعيل وباعث إبراهيم. إنك حميد مجيد.

وفى أمالى الصدوق/٢٦٩

عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا سيد الأنبياء والمرسلين، وأفضل من الملائكة المقربين، وأوصيائى سادة أوصياء النبيين والمرسلين، وذريتى أفضل ذريات النبيين والمرسلين، وأصحابى الذين سلكوا منهاجى أفضل أصحاب النبيين والمرسلين، وابنتى فاطمة سيده نساء العالمين، والطاهرات من أزواجى أمهات المؤمنين، وأمتى خير أمة أخرجت للناس، وأنا أكثر النبيين تبعاً يوم القيامة، ولى حوضٍ عرضه ما بين بصرى وصنعاء، فيه من الأباريق عدد نجوم السماء، وخليفتى على الحوض يومئذ خليفتى فى الدنيا.

فقليل: ومن ذاك يا رسول الله؟

قال: إمام المسلمين وأمير المؤمنين ومولاهم بعدى على بن أبى طالب، يسقى منه أوليائه، ويزود عنه أعداءه كما يزود أحدكم الغريبة من الابل عن الماء.

ثم قال صلى الله عليه وآله: من أحب علياً وأطاعه فى دار الدنيا ورد على حوضى غداً، وكان معى فى درجتى فى الجنة، ومن أبغض علياً فى دار الدنيا وعصاه، لم أره ولم يرنى يوم القيامة، واختلج دونى، وأخذ به ذات الشمال إلى النار.

وفى رواية قال: جاء رجل إلى النبي (ص) فقال: يا رسول الله أكل من قال: لا إله إلا الله مؤمن؟

قال: إن عداوتنا تلحق باليهود والنصارى! إنكم لا تدخلون الجنة حتى تحبونى، وكذب من زعم أنه يحبنى ويبغض هذا، يعنى علياً.

وفى أمالى الصدوق/١٣٤

وفى حديث على بن أبى طالب قال: بينا أنا وفاطمة والحسن والحسين عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ التفت إلينا فبكى فقلت: ما

بيكيك يا رسول الله؟

فقال: أبكى مما يصنع بكم بعدى!

فقلت: وما ذاك يا رسول الله؟

قال: أبكى من ضربتك على القرن، ولطم فاطمة خدها، وطعنه الحسن في الفخذ والسم الذي يسقى، وقتل الحسين!

قال: فبكى أهل البيت جميعاً، فقلت يا رسول الله، ما خلقنا ربنا إلا للبلاء.

قال: أبشر يا علي، فإن الله عز وجل قد عهد إلى أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق.

وفي أمالي الصدوق/ ٨٩

وقوله صلى الله عليه وآله: حرب على حرب الله، وسلم على سلم الله.

وقوله صلى الله عليه وآله: ولي على ولي الله، وعدو على عدو الله.

وقوله صلى الله عليه وآله: على حجة الله، وخليفته على عباده.

وقوله صلى الله عليه وآله: حب على إيمان، وبغضه كفر.

وقوله صلى الله عليه وآله: حزب على حزب الله، وحزب أعدائه حزب الشيطان.

وقوله صلى الله عليه وآله: على مع الحق والحق معه لا يفترقان حتى يردا على الحوض

وقوله صلى الله عليه وآله لعلي: قسيم النار والجنة.

وقوله صلى الله عليه وآله: من فارق علياً فقد فارقتي، ومن فارقتي فقد فارق الله عز وجل.

وقوله صلى الله عليه وآله: شيعه على هم الفائزون يوم القيامة.

وفي أمالي المفيد/ ١٦٩

في حديث أبي ذر الغفاري قال: رأيت رسول الله وقد ضرب كتف علي بن أبي طالب عليه السلام بيده، وقال:

يا علي: من أحبنا فهو العربي، ومن أبغضنا فهو العلي.

شيعتنا أهل البيوتات والمعادن والشرف، ومن كان مولده صحيحاً، وما على مله إبراهيم عليه السلام إلا نحن وشيعتنا، وسائر الناس منها براء!

وإن لله ملائكة يهدمون سينات شيعتنا كما يهدم القدوم البنين.

وفي أمالي المفيد/ ٢١٣

عن الإمام الصادق عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: يا علي أنت مني وأنا منك، وليك ولي وولي

ولي الله، وعدوك عدوى وعدوى عدو الله.

يا علي: أنا حرب لمن حاربك، وسلم لمن سالمك، يا علي لك كنز في الجنة، لا يدخل الجنة إلا من عرفك وعرفته، ولا يدخل النار

إلا من أنكرك وأنكرته.

يا علي: أنت والأئمة من ولدك على الأعراف يوم القيامة تعرف المجرمين بسيماهم والمؤمنون بعلاماتهم.

يا علي: لولاك لم يعرف المؤمنون بعدى.

وفي الغدير: ١٠/١٥٩

لما قدم معاوية المدينة صعد المنبر فخطب ونال من ابن علي ومن علي!

فقام الحسن فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

إن الله عز وجل لم يبعث بعثاً إلا جعل له عدواً من المجرمين، فأنا ابن علي وأنت ابن صخر، وأمك هند وأمي فاطمة، وجدتك قتيلة

وجدتني خديجة، فلعن الله ألامنا حسباً، وأخملنا ذكراً، وأعظمنا كفراً، وأشدنا نفاقاً!

فصاح أهل المسجد: آمين آمين. فقطع معاوية خطبته ودخل منزله!

وفى لفظ: خطب معاوية بالكوفة حين دخلها، والحسن والحسين رضى الله عنهما جالسان تحت المنبر، فذكر علياً عليه السلام فنال منه ثم نال من الحسن، فقام الحسين ليرد عليه، فأخذ الحسن بيده فأجلسه، ثم قام فقال:

أيها النذائر علياً! أنا الحسن وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمي فاطمة وأمك هند، وجدى رسول الله وجدك عتبة بن ربيعة، وجدتي خديجة، وجدتك قتيلة! فلعن الله أخملنا ذكراً، وألامنا حسباً، وشرنا قديماً وحديثاً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً. فقال طوائف من أهل المسجد: آمين.

مقاتل الطالبيين ص ٢٢، وشرح ابن ابى الحديد ج ٤ ص ١٢، وجمهرة الرسائل: ٢/٩ و ٥٠

بعض ما ورد في مصادرنا في عدم شمول الشفاعة للنواصب

في بصائر الدرجات/٥٢

حدثنا سلام بن أبى عمره الخراسانى، عن أبان بن تغلب، عن أبى عبد الله عليه السلام، عن أبيه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

من أراد أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويدخل جنه ربي جنه عدن غرسه ربي، فليتول على بن أبى طالب، وليعاد عدوه، وليأتم بالأوصياء من بعده، فإنهم أئمة الهدى من بعدى، أعطاهم الله فهمى وعلمى، وهم عترتى من لحمى ودمى. إلى الله أشكو من أمتى المنكرين لفضلهم، القاطعين فيهم صلتى!

وأيم الله ليقتلن ابنى -يعنى الحسين- لا أنالهم الله شفاعتى. ورواه فى الإمامة والتبصرة/٤١. وتقدم فى المكذبين بفضلهم.

وفى الطبرانى الكبير: ٥/١٩٤ ومجمع الزوائد: ٩/١٨٠

عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله (ص): من أحب أن يحيا حياتي، ويموت موتتي، ويسكن جنه الخلد التي وعدنى ربي، فإن ربي غرس قصباتها بيده، فليتول على بن أبى طالب، فإنه لن يخرجكم من هدى، ولن يدخلكم فى ضلالة. انتهى.

ولا بد إذا صح الحديث أن يكون قوله (فإن ربي غرس قصباتها بيده) مجازياً لأجل بيان أهمية جنه الخلد، وأنها من خاص عطاء الله تعالى.

وفى المحاسن: ١/١٨٦

عنه، عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن أبى المغراء، عن أبى بصير، عن على الصائغ، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن المؤمن ليشفع لحميمه إلا أن يكون ناصباً، ولو أن ناصباً شفع له كل نبي مرسل وملك مقرب ما شفعاوا.

ورواه فى ثواب الأعمال /٢٠٣، والمحاسن /١٨٤، والبحار: ٨/٤١، ونحوه فى بشارة المصطفى للطبرى الشيعى /٣٨

بعض ما ورد في مصادرنا في أحكام التعامل مع النواصب

فى الكافى: ٥/٣٤٨

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: لا يتزوج المؤمن الناصبة المعروفة بذلك. عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قال له الفضيل: أتزوج الناصبة؟ قال: لا، ولا كرامة.

قلت: جعلت فداك، والله إنى لاقول لك هذا، ولو جاءتنى بيت ملان دراهم ما فعلت.

وفى الكافى: ٥/٣٤٩

عن عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله عن الناصب الذي قد عرف نصبه وعداوته، هل نروجه المؤمنة، وهو قادرٌ على رده، وهو لا يعلم برده؟

قال: لا يزوج المؤمن الناصب، ولا يتزوج الناصب المؤمنة، ولا يتزوج المستضعف مؤمنة.

وفي الكافي: ٥/٣٥١

عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأله أبي وأنا أسمع عن نكاح اليهودية والنصرانية، فقال: نكاحهما أحب إلى من نكاح الناصبية، وما أحب للرجل المسلم أن يتزوج اليهودية ولا النصرانية، مخافة أن يتهود ولده أو يتنصر.

وفي الكافي: ٣/١٣٣

عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن عبد العزيز العبدى، عن ابن أبي يعفور قال: كان خطاب الجهنى خليطاً لنا وكان شديد النصب لآل محمد (عليهم السلام)، وكان يصحب نجدة الحرورى!

قال: فدخلت عليه أعوده للخلطة والتقية، فإذا هو مغمى عليه في حد الموت، فسمعتة يقول: مالى ولك يا على!! فأخبرت بذل أبا عبد الله فقال أبو عبد الله: رآه ورب الكعبة، رآه ورب الكعبة!

وفي الكافي: ٤/٣٠٩

عن وهب بن عبد ربه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيجج الرجل عن الناصب؟

فقال: لا.

فقلت: فإن كان أبى؟

قال: فإن كان أباك فنعلم.

وفي وسائل الشيعة: ١/١٥٨

عن أبي الحسن الرضا عليه السلام (في حديث) قال: من اغتسل من الماء الذى قد اغتسل فيه فأصابه الجذام، فلا يلومن إلا نفسه.

فقلت لابي الحسن عليه السلام: إن أهل المدينة يقولون: إن فيه شفاء من العين، فقال: كذبوا، يغتسل فيه الجنب من الحرام، والزانى، والناصب الذى هو شرهما و (شر) كل من خلق الله، ثم يكون فيه شفاء من العين!!؟

وفي وسائل الشيعة: ١/١٦٥

عن أبي عبد الله عليه السلام أنه كره سؤر ولد الزنا، وسؤر اليهودى والنصرانى، والمشرک وكل من خالف الإسلام، وكان أشد ذلك عنده سؤر الناصب.

وفي الهداية للصدوق/٢٦

إذا صليت على ناصب، فقل بين التكبيرة الخامسة: اللهم اخز عبدك فى عبادك وبلاذك، اللهم أصله أشد نارك، وأذقه حر عذابك، فإنه كان يوالى أعداءك ويعادى أولياءك، ويغض أهل بيت نبيك. فإذا رفع فقل: اللهم لا ترفعه ولا تزكه.

النبب يجر إلى التجسيم

فى تنزيه الأنبياء للشرىف المرتضى/١٧٧

مسألة: فإن قيل: فما معنى الخبر المروى عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال: سترون ربكم كما ترون القمر ليله البدر لا تضامون فى رؤيته. وهذا خبر مشهور لا يمكن تضعيفه ونسبته إلى الشذوذ؟

الجواب: قلنا أما هذا الخبر فمطعون عليه مقدوح فى راويه، فإن راويه قيس بن أبى حازم، وقد كان خولط فى عقله فى آخر عمره مع استمراره على رواية الأخبار، وهذا قدح لا شبهة فيه، لأن كل خبر مروى عنه لا يعلم تاريخه يجب أن يكون مردوداً، لأنه لا يؤمن أن

يكون مما سمع منه في حال الإختلال، وهذه طريقة في قبول الأخبار وردّها ينبغي أن تكون أصلاً ومعتبراً فيمن علم منه الخروج، ولم يعلم تاريخ ما نقل عنه.

على أن قيساً لو سلم من هذا القدح كان مطعوناً فيه من وجه آخر، وهو أن قيس بن أبي حازم كان مشهوراً بالنصب والمعاداة لأمر المؤمنين صلاة الله وسلامه عليه والإنحراف عنه، وهو الذي قال: رأيت علي بن أبي طالب على منبر الكوفة يقول: انفروا إلى بقية الأحزاب، فأبغضته حتى اليوم في قلبي. إلى غير ذلك من تصريحه بالمناسبة والمعاداة. وهذا قاذح لا شك في عدالته.

فضل العلماء الذين يدفعون شبهات النواصب

في الصراط المستقيم للبياضى: ٣/٥٦

عن الهادي عليه السلام: لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم من العلماء الدالين عليه، والداعين إليه، والذابين عن دينه بحجج الله.. ولكنهم الذين يمسون أزمه قلوب ضعفاء الشيعة، كما يمسون صاحب السفينة سكانها، أولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل. (وهو في الإحتجاج للطبرسي: ١/١٥)

وقال علي عليه السلام: من قوى مسكيناً في دينه، ضعيفاً في معرفته، على ناصب مخالف فأفحمه، لقنه الله يوم يدلى في قبره أن يقول: الله ربي، ومحمد نبيي، وعلى وليي، والكعبة قبلتي، والقرآن عدتي، والمؤمنون إخواني.

فيقول الله أدليت بالحجة، فوجبت لك عالي درجات الجنة، فعند ذلك يتحول عليه قبره أنزه رياض الجنة.

وقال الرضا عليه السلام: أفضل ما يقدمه العالم من محبين ليوم فقره ومسكنته أن يعين في الدنيا مسكيناً من يد ناصب عدو الله ورسوله يقوم من قبره والملائكة صفوف إلى محل من الجنان، فيحملونه على أجنحتهم، ويقولون: طوباك طوباك يا دافع الكلاب عن الأبرار، ويا أيها المتعصب للأئمة الأخيار.

وفي الإحتجاج للطبرسي: ١/١٦

وعنه عليه السلام قال: يأتي علماء شيعتنا القوامون بضعفاء محبيننا وأهل ولايتنا يوم القيامة والأنوار تسطع من تيجانهم، على رأس كل واحد منهم تاج بهاء، قد انبثت تلك الأنوار في عرصات القيامة ودورها مسيرة ثلاثمائة ألف سنة، فشعاع تيجانهم ينيث فيها كلها، فلا يبقى هناك يتيم قد كفله ومن ظلمه الجهل علموه ومن حيرة أخرجوه، إلا- تعلق بشعبة من أنوارهم، فرفعتهم إلى العلو حتى تحاذى بهم فوق الجنان، ثم ينزلهم على منازلهم المعدة في جوار أستاذيهم ومعلميهم، وبحضرة أئمتهم الذين كانوا اليهم يدعون. ولا يبقى ناصب من النواصب يصيبه من شعاع تلك التيجان إلا عميت عينه وأصمت أذنه وأخرس لسانه، وتحول عليه أشد من لهب النيران، فيحملهم حتى يدفعهم إلى الزبانية فيدعونهم إلى سواء الجحيم.

شفاعه النبي يوم القيامة بيد أهل بيته

تقدم في الفصول السابقة من السنين عن أويس القرني أنه يشفع لمثل ربيعه ومضر وتميم.

وعرفت أن أويساً ما كان إلا- شيعياً مخلصاً لأهل البيت عليهم السلام، وأنه بايع أمير المؤمنين عليه السلام على بذل مهجته دونه، واستشهد تحت رايته في صفين.

وإذا كان أويس صاحب هذه الشفاعه الكبيرة، فكيف تكون شفاعه علي الذي فداه بنفسه؟!

ثم كيف لا- تكون لأهل البيت عليهم السلام شفاعه مميّزه، وقد نصت الأحاديث الصحيحة على أن الجنة والشفاعة محرمة على مبغضيهم وظالمهم، كما عرفت!

إن الذين يستكثرون الشفاعه على أهل البيت عليهم السلام، إنما يقفلون أعينهم عمداً عن المقام المميز الذي ثبت لهم بالأحاديث

الصحيحة في مصادر الجميع.. أو يحسدون أهل بيت نبيهم على ما فضلهم به ربهم، صلى الله عليه وعليهم. ثم اعجب لهؤلاء المستكثرين للشفاعة على أهل بيت نبيهم، وهم يعلمون أن جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله هو رئيس المحشر يوم القيامة، وصاحب الشفاعة الكبرى فيه وصاحب حوض الكوثر.. وذلك ملكٌ عظيم يحتاج إلى من يديره، وينفذ فيه أوامر النبي وتوجيهاته.. فمن يكون هؤلاء المنفذون غير أهل بيته الأطهار، ومعهم ملائكة الله تعالى؟! وفيما يلي نورد أحاديث تدل على مقامهم وشفاعتهم من مصادر الطرفين:

على صاحب لواء النبي يوم القيامة

روت بعض صحاح إخواننا أحاديث لواء الحمد، وهو لواء رئاسة المحشر، الذي يعطيه الله لرسوله يوم القيامة. ولكن هذا اللواء بقي في الصحاح بلا أحد يحمله! والسبب في ذلك أن حامله على عليه السلام، وأحاديثه تضمنت فضائل له، وتعريضاً بالصحابة، وهي أمورٌ لا يتحملها الخلفاء، فتركها رواة الخلافة!!

ماذا روت الصحاح عن رئاسة المحشر و لواء الحمد؟

أما البخارى فلم يرو أن النبي صلى الله عليه وآله سيد ولد آدم يوم المحشر، ولا أنه يعطى لواء الحمد، ولا أنه يكون أول شافع! فالبخارى قلد كعب الأخبار الذي زعم أن الشافع الأول هو ابراهيم أو اسحاق، كما بينا ذلك في المجلد الثالث! ولذا أعطى مقام الشفاعة الأول لأنبياء اليهود، وأبقى المحشر بلا رئيس ولا لواء! ولعل أمر المحشر عنده يحتاج إلى سقيفة قرشية لإختيار رئيس له!!

وأما مسلم فقد روى في صحيحه: ٧/٥٩

عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص): أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع.

ونحوه في ابن ماجه: ٢/١٤٤٠، وأبي داود: ٢/٤٠٧

وأما الترمذى فروى حديث لواء الحمد في: ٤/٢٩٤:

عن أبي سعيد قال: قال رسول الله (ص): أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، ويبدى لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائى، وأنا أول من تنشق عنه الأرض، ولا فخر.

ورواه بصيغ أخرى في: ٤/٣٧٠، وفي: ٥/٢٤٥ و ٢٤٧ و ٢٤٨

أما أحاديث أن علياً حامل لواء المحشر، وأنه الساقى على حوض النبي صلى الله عليه وآله، فقد صارت من نصيب المصادر البعيدة عن رقابة الخلافة!

ولابأس بذلك، لأن بعض هذه المصادر أقدم من الصحاح الستة، وكل مصنفها محترمون موثقون عند السنين، وبعضهم شيوخ أصحاب الصحاح!

وقد أورد الأمينى فى الغدير: ٢/٣٢١، عدداً من هذه الأحاديث، وذكر فيها لواء الحمد والسقاية على الحوض معاً.. ونحن نورد ما فيه ذكر اللواء، مما ذكره فى الغدير، وغيره:

ففى مناقب الصحابة لاحمد بن حنبل/ ٦٦١

حدثنا محمد بن هشام بن البخترى، ثنا الحسين بن عبيد الله العجلي، ثنا الفضيل بن الإستثناء، عن عطية العوفى، عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله (ص): أعطيت فى على خمساً هن أحب إلى من الدنيا وما فيها:

وأما واحدة: فهو تكأتي إلى بين يدي، حتى يفرغ من الحساب.
وأما الثانية: فلواء الحمد بيده، آدم عليه السلام ومن ولد تحته.
وأما الثالثة: فواقفٌ على عقر حوضي يسقى من عرف من أمتي.
وأما الرابعة: فساطر عورتى ومسلمى إلى ربي.

وأما الخامسة: فلست أخشى عليه أن يرجع زانياً بعد إحصان أو كافراً بعد إيمان.

ورواه أبو نعيم في الحلية: ١٠ ص ٢١١ والطبرى المؤرخ فى الرياض النضرة ٢/٢٠٣ ورواه فى كنز العمال ٦/٤٠٣
وفى مناقب الخوارزمي/٢٠٣: عن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا على؟ سألت ربي عز وجل فيك خمس خصال فأعطاني: أما الأولى: فإني سألت ربي: أن تشق عنى الأرض وانفض التراب عن رأسى وأنت معى، فأعطاني.
وأما الثانية: فسألته أن يوقفنى عند كفة الميزان وأنت معى، فأعطاني.
وأما الثالثة: فسألته أن يجعلك حامل لوائى وهو لواء الله الأكبر، عليه المفلحون والفائزون بالجنة، فأعطاني.
وأما الرابعة: فسألته أن تسقى أمتى من حوضى فأعطاني.
وأما الخامسة: فسألته أن يجعلك قائد أمتى إلى الجنة فأعطاني. فالحمد لله الذى من به على. انتهى.
ورواه فى فرائد السمطين فى الباب الثامن عشر، وفى كنز العمال ٦/٤٠٢.

وفى الدر المنثور: ٦/٣٧٩

أخرج ابن مردويه عن على قال: قال لى رسول الله (ص): ألم تسمع قول الله: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية، أنت وشيعتك وموعدى وموعدكم الحوض إذا جثت الأمم للحساب، تدعون غراً محجلين.

وفى الطبرانى الصغير: ٢/٨٨

عن عبد الله بن عكيم الجهنى قال: قال رسول الله (ص): إن الله عز وجل أوحى إلى فى على بن أبى طالب ثلاثة أشياء ليله أسرى بى: إنه سيد المؤمنين وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين. انتهى. وروى نحوه الحاكم: ٣/١٣٨، عن أسعد بن زرارة، وقال: إسناده صحيح.
ومعنى قائد الغر المحجلين: أن علياً عليه السلام صاحب لواء أهل الجنة.

وفى الطبرانى الكبير: ٢/٢٤٧

عن جابر: قالوا يارسول الله، من يحمل رايتك يوم القيامة؟

قال: من يحسن أن يحملها إلا من حملها فى الدنيا، على بن أبى طالب.

وفى فردوس الأخبار: ٥/٨٣٤٦

عن أبى بن كعب أن النبى (ص) قال لعلى: يا على أنت تغسل جثتى، وتؤدى ذمتى وتوارينى فى حفرتى، وتفى بذمتى، وأنت صاحب لوائى فى الدنيا والآخرة.

وفى كنز العمال: ١٣/١٤٥

عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) لعلى: أنت أمامى يوم القيامة فيدفع إلى لواء الحمد فأدفعه إليك، وأنت تذود الناس عن حوضى (ابن عساكر، وقال: فيه أبو حذيفة إسحاق بن بشر، ضعيف) انتهى. ورواه فى إحقاق الحق: ٦/١٧٩، عن أرجح المطالب/٦٦٢، ط. لاهور.

وفى إحقاق الحق: ٢٧/١٩٩

عن كتاب التبر المذاب لاحمد الحافى الشافعى/٨١:

قال الواقدى وهشام بن محمد: لما رآهم الحسين مصرين على قتله، أخذ المصحف ونشره، ونادى: بينى وبينكم كتاب الله وسنة جدى

رسول الله (ص)، بم تستحلون دمي؟ أأنت ابن بنت نبيكم؟ ألم يبلغكم قول جدى فى وفى أخى: هذان سيدا شباب أهل الجنة؟!... فىم تستحلون دمي وجدى الذائد على الحوض يزود عنه رجلاً كما يذاد البعير الشارد عن الماء، ولواء الحمد بيد أبى يوم القيامة... الخ.

وفى كنز العمال: ١١/٦٢٥ وج ١٣/١٢٩

عن الخطيب والرافعى عن على قال قال رسول الله (ص):

سألت الله يا على فىك خمساً، فمنعنى واحده وأعطانى أربعاً: سألت الله أن يجمع عليك أمتى فأبى على، وأعطانى فىك أنك أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة أنا وأنت معى، ومعك لواء الحمد أنت تحمله بين يدى تسبق به الأولين والآخرين، وأعطانى فىك أنك أولى المؤمنين بعدى.

وروى فى كنز العمال: ١٣/١٥٢، حديثين فى الموضوع جاء فى أولهما:

أن تسقى أمتى من حوضى، وأن يجعلك قائد أمتى إلى الجنة، فأعطانى.

وذكر أن ابن الجوزى والذهبي ضعفا هذا الحديث بعبد الله بن أحمد بن عامر عن أبيه، وقال: ولم أقف لهذا الرجل على ترجمه، وللحديث الأخير شاهد من حديث ابن عباس، إلا أن ابن الجوزى أورده فى الموضوعات، وللحديث الأول شاهد. انتهى.

فقد مال إلى تصحيح الحديثين بشواهدهما، وهو أمر متفق عليه فى علم الحديث وكم من حديث ضعيف عندهم صحوه بشواهد. ولكنه لم يذكر شواهدهما! ومن عادة المعتدلين السنيين أنهم لا يجون أن يفتحوا نقاشاً صريحاً مع المتعصبين.

والأحاديث التى أوردها من مصادرهم كافية للشهادة لهما، وفيها صحيح سالم بشهادتهم!!

ويفهم من كلام صاحب كنز العمال أيضاً أنه لا يأخذ بتضعيفات ابن الجوزى والذهبي لأحاديث فضائل أهل البيت (عليهم السلام).

أما مصادرنا فقد تواترت فيها أحاديث أن لواء الحمد يكون بيد على عليه السلام:

ففى أمالى الصدوق/٦١

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

يا على أنت أخى ووزيرى، وصاحب لوائى فى الدنيا والآخرة، وأنت صاحب حوضى، من أحبك أحبنى ومن أبغضك أبغضنى.

وفى بشارة المصطفى للطبرى الشيعى/١٢٥

بسند عن الحسين بن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا على أنت المظلوم بعدى، فويل لمن قاتلك وطوبى لمن قاتل معك...

يا على أنت أول من تنشق عنه الأرض معى، وأنت أول من يبعث معى، وأنت أول من يجوز الصراط معى...

وأنت أول من يرد حوضى، تسقى منه أولياءك وتزود عنه أعداءك.

وأنت صاحبى إذا قمت المقام المحمود تشفع لمحبتنا فيهم.

وأنت أول من يدخل الجنة ويديك لوائى لواء الحمد، وهو سبعون شقة، الشقة منه أوسع من الشمس والقمر.

وأنت صاحب شجرة طوبى فى الجنة، أصلها فى دارك وأغصانها فى دور شيعتك ومحبيك. انتهى. وروى نحوه فى ٢٢٠

على أمر السقاية على حوض النبى يوم القيامة

حوض النبى صلى الله عليه وآله أو حوض الكوثر، قضية كبيرة يوم القيامة.. فهو عين الحياة فى أرض المحشر، يصب ماؤها من نهريّن من أنهار الجنة، وكل الخلائق يحتاجون إلى الشرب منه، لأنه لا يمكن لاحد أن يدخل الجنة إلا بأن يشرب منه! فى كنز العمال: ١٤

٤٢٠: ما أنتم بجزء من مائة ألف جزء ممن يرد على الحوض -حم، د، ك، عن زيد بن أرقم. انتهى.

والشربة منه تروى الإنسان رياً أبدياً، فلا يظمأ بعدها أبداً.. ويبدو أنها تؤثر على التركيب الفيزيائى لبدن الإنسان، فتجعله صالحاً للحياة

فى الجنة.

وقد خص الله به سيد المرسلين صلى الله عليه وآله، وجعل أمره بيده ويد أهل بيته الطاهرين، فلا يشرب أحد منه إلا ببطاقة منهم!! كما أن أحاديث حوض الكوثر قضية كبيرة أيضاً فى مصادر المسلمين! ونشكر الله أنها بقيت فى الصحاح ولم تحذف منها! لأنها كانت مهددة بالنسيان والحذف!! بسبب أن النبى صلى الله عليه وآله فى آخر سنة من عمره الشريف ركز على العقيدة بالحوض، خاصة فى خطب حجة الوداع، وربطه بوصيته بالقرآن وأهل بيته الطاهرين، وأكد على أن من لا يطيع وصيته فيهم يمنعه الله تعالى من ورود الحوض والشرب منه، وبالتالي من دخول الجنة. وأخبر صلى الله عليه وآله أن أكثر أصحابه سوف يطردون عن الحوض، ولا يسمح لهم بالشرب منه!!! فأحاديث الحوض تتضمن إذن: بيان مقام أهل البيت الطاهرين، والأمر باتباعهم، وأنهم ومحبيهم الواردون على الحوض، والساقون عليه..

كما تتضمن ذم مبغضهم ومخالفهم، وأنهم مطرودون عن الحوض، ممنوعون من الورود عليه والشرب منه، حتى لو كانوا صحابة!!

محاولات الأمويين التكذيب بأحاديث الحوض

من الطبيعى أن ينزعج المنافقون والحاسدون لبنى هاشم من هذا التأكيد النبوى، ولا بد أنهم كانوا يسخرون من عقيدة (حوض محمد وأهل بيته).

ولا نحتاج إلى تتبع سخريتهم فى زمن النبى صلى الله عليه وآله، ولكننا نراها ظاهرة عند ورثتهم من الحكام الكبار فى العهد الأموى، مثل عبيد الله بن زياد، الذى كان الحاكم المطلق للعراق وايران وما وراءها!! ويبدو أنه كان يعمل لحذف عقيدة الحوض من الإسلام.. ولكن المؤمنين وقفوا فى وجهه!

فقد ذكر الحاكم فى المستدرک: ١/٧٥

أن أبا سبرة بن سلمة الهذلى سمع ابن زياد يسأل عن الحوض حوض محمد! فقال: ما أراه حقاً! بعد ما سأل أبا برزة الاسلمى، والبراء بن عازب، وعائذ بن عمرو، قال: ما أصدق هؤلاء!! الخ. وقال فى: ١/٧٨:

عن أنس قال دخلت على عبيد الله بن زياد وهم يتراجعون فى ذكر الحوض، قال فقال جاءكم أنس، قال يا أنس ما تقول فى الحوض؟ قال قلت: ما حسبت أنى أعيش حتى أرى مثلكم يمترون فى الحوض!

لقد تركت بعدى عجائز ما تصلى واحدة منهن صلاة إلا سألت ربها أن يوردها حوض محمد صلى الله عليه وآله!!

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وله عن حميد شاهد صحيح على شرطهما... انتهى. وروى نحوه أبو يعلى فى مسنده: ٦/٩٦

وروى البيهقى فى الإعتقاد والهداية/٨٤: عن أبى حمزة قال: دخل أبو برزة على عبيد الله بن زياد فقال: إن محمدكم هذا لدحداح!!! فقال: ما كنت أرانى أن أعيش فى قوم يعدون صحبة محمد(ص) عاراً!

قالوا: إن الأمير إنما دعاك ليسألك عن الحوض! فقال: عن أى باله: قال: أحق هو:

قال: نعم، فمن كذب به فلا سقاه الله منه!! انتهى.

وقد يدافع النواصب عن هذه الروايات بأنها تتحدث عن حالة شخصية فى ابن زياد، وليس عن اتجاه عند الخلافة الأموية وأنصارها. ولكنه يجد أنها اتجاه وليست حالة شخصية! فهذا عمر بن عبد العزيز، وهو فى مطلع القرن الثانى، أراد أن يتثبت من صحة أحاديث الحوض! أو يقنع بها بنى أمية وأجواءهم فى العاصمة! أو يواصل ما عمله الأمويون.. فأرسل إلى المدينة فى إحضار صحابى كبير

السن، لكي يسمع منه مباشرة حديث الحوض!!

فقد روى البيهقي في شعب الإيمان: ٨/٢٤٣

عن شعبه، أخبرنا أبو بكر بن فورك، أنا عبد الله بن جعفر، ثنا يونس بن حبيب، ثنا أبو داود، ثنا أبو عتبة، عن محمد بن المهاجر، عن عباس بن سالم اللخمي، أن ابن عبد العزيز بعث إلى أبي سلام الحبشي، وحمل على البريد حتى قدم عليه فقال: إني بعثت إليك أشافهك حديث ثوبان في الحوض!

فقال أبو سلام: سمعت ثوبان يقول سمعت رسول الله (ص) يقول: حوضى من عدن أبين إلى عمان البلقاء، أكوازه مثل عدد نجوم السماء، ماؤه أحلى من العسل، أشد بياضاً من اللبن، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، أول من يرد على فقراء أمتي.

فقال عمر: يا رسول الله من هم؟ قال: هم الشعث الرؤوس، الدنس الثياب الذين لا ينكحون المتنعمات، ولا تفتح لهم أبواب السدد.

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء: ٤/٣٥٥

أبو سلام ممتور الحبشي، ثم الدمشقي، الأسود الأعرج... استقدمه عمر بن عبد العزيز في خلافته إليه على البريد، ليشافهه بما سمع من ثوبان في حوض النبي (ص)، فقال له: شقت علي. فاعتذر إليه عمر وأكرمه. توفي سنة نيف ومئة.

ندم أئمة المذاهب على تدوين أحاديث الحوض

بل يدل النص التالي على أن حساسية الدولة من أحاديث الحوض امتدت إلى زمن العباسيين، بسبب أن هذه الأحاديث تتضمن ذم الصحابة!!

فقد أعلن الإمام مالك ندمه على تدوين حديث الحوض في كتابه الموطأ! الذي دونه بأمر المنصور العباسي ليكون الكتاب الرسمي الإلزامي للمسلمين!

وكان الإمام الشافعي يظهر تأسفه أيضاً لتدوين مالك لهذه الأحاديث، ولو كانت صحيحة!!

قال الصديق المغربي في فتح الملك العلي/ ١٥١

حكى عن مالك أنه قال: ما ندمت على حديث أدخلته في الموطأ إلا هذا الحديث!! وعن الشافعي أنه قال: ما علمنا في كتاب مالك حديثاً فيه إزراء على الصحابة إلا حديث الحوض، ووددنا أنه لم يذكره!! انتهى.

ويناسب هنا أن نتوسع قليلاً في سبب ندم الإمام مالك والشافعي:

فقد طلب العباسيون عندما كانوا يخططون لثورتهم من الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) أن يتحالفوا معهم للاطاحة ببني أمية، فلم يستجب لهم الإمام جعفر الصادق عليه السلام، بينما استجاب لهم الحسنيون وتحالفوا معهم، وعينوا لحركتهم إماماً حسنياً، وبدؤوا فعاليتهم ضد الأمويين في الحجاز والعراق وخراسان، بشعار: بالثارات الحسين، والدعوة إلى الخليفة المرضي من آل محمد، والبراءة من غاصبي حقهم من الشيخين والأمويين بعدهم!!

وما أن حققت ثورتهم انتصارات حاسمة على يد أبي مسلم الخراساني، حتى اختلفوا مع حلفائهم الحسنيين، ونشبت بينهم معارك ضارية في الحجاز والعراق، انتصر فيها العباسيون وتفردوا بالحكم..

وهنا بدأ العباسيون بتغيير استراتيجيتهم الفكرية التي أخذوا البيعة عليها من الناس، فاستثنوا الشيخين أبا بكر وعمر من البراءة واللعن، وحصروه ببني أمية بمن فيهم عثمان!

ويدل ندم مالك على وجود ذم الصحابة في كتابه، على أنه ألفه قبل أن يتبلور التحول في خط الخلافة العباسية، ويعدلوا عن البراءة من الشيخين إلى تبني ولايتهما والتأكيد عليها..

ذلك أن العباسيين كانوا سياسيين ولم يكونوا علماء، وكانت المرجعية الدينية للمعارضة في الأئمة من أولاد علي عليه السلام.. فأراد

العباسيون أن يتبنوا مرجعية دينية، غير أموية وغير علوية، فاختار أبو جعفر المنصور الإمام مالك، وطلب منه أن يؤلف كتاباً سهلاً ممهداً موطاً، لينشره في بلاد المسلمين ويلزمهم به، فألف له الموطأ ووضع فيه حديث الحوض الذي يذم الصحابة لأنه ينسجم مع خطهم الفكري، ونشرت الخلافة الكتاب، وأصدر المنصور قراره الذي ذهب مثلاً (لا يفتين أحد ومالك في المدينة). ولكن ندم مالك، والشافعي، والخلافة العباسية لم ينفع، لأن حديث الحوض دخل في كتاب الخلافة الرسمي، وصار شاهداً لأحاديث الحوض الأخرى التي سمعها الناس ورووها ودونها!

بل صار ندمهم شاهداً تاريخياً قوياً على صحة صدور هذه الأحاديث النبوية الخطيرة، وتأكيد خط أهل البيت (عليهم السلام) ومكانتهم في الإسلام!

وإذا لاحظنا أن البخاري ومسلماً قد ألفا صحيحيهما في عصر المتوكل العباسي وبعده، وأن بغض المتوكل لعلي وأهل البيت النبوي كان مشهوراً.. فينبغي أن نشكرهما لأنهما رويَا شيئاً من حديث الحوض الذي فيه إزرء على الصحابة حسب تعبير الشافعي، ولا تكلفهما أن يرويا أن علياً عليه السلام هو الساقى على حوض النبي صلى الله عليه وآله وأنه يذود عنه الكفار والصحابة المطرودين!

و النتيجة للمتأمل في أحاديث حوض الكوثر

أن موقف السلطة الأموية والعباسية لم يمنع من روايتها، ولكنه سبب أن يقلل الرواة منها ويتحاشوا ما كان شديداً على الصحابة!! وقد رأيت أن البخاري ومسلماً لم يرويا حديث أنس مع ابن زياد، وغيره مما هو صحيح على شرطهما!! وبذلك يصح أن تقدر أن ما روته مصادرهم من أحاديث طرد الصحابة الخائنين عن الحوض، ليس إلا جزءاً قليلاً منها! على أن عدداً من المصادر بدلت كلمة أصحابي بكلمة: أمتي، أو بكلمة: الناس! وتحاشت صحاحهم رواية الأحاديث التي تربط حوض الكوثر بأهل البيت النبوي ومحبيهم، وتجعلهم المؤمنين المقبولين، والغر المحجلين، الذين يوافقون النبي على حوضه، ويردون منه ويدخلون الجنة!!

نماذج من أحاديث الحوض والصحابة المطرودين

في البخاري: ٧/٢٠٧

عن عبد الله بن عمرو قال النبي (ص): حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبداً.

وفي البخاري: ٨/٨٦

عن أسماء عن النبي (ص) قال: أنا على حوضي أنتظر من يرد علي، فيؤخذ بناس من دوني فأقول أمتي! فيقول: لا تدري مشوا على القهقري. انتهى.

وفي البخاري: ٢/٩٧٥

عن ابن المسيب أن النبي (ص) قال: يرد علي الحوض رجالاً من أصحابي فيحلون عنه! فأقول: يارب أصحابي؟! فيقول: فإنه لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أعقابهم القهقري.

وفي مسلم: ١/١٥٠

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص): ترد علي أمتي الحوض وأنا أذود الناس عنه. قالوا يا نبي الله أتعرفنا؟ قال: نعم تردون علي غراً محجلين من آثار الوضوء. وليصد عني طائفة منكم فلا يصلون، فأقول يارب هؤلاء من أصحابي؟! فيجيبني

ملكك فيقول: وهل تدري ما أحدثوا بعدك!!؟

وفي مسلم: ٧/٧٠

عن أبي هريره أن النبي (ص) قال: لا ذودن عن حوضى رجلاً كما تزداد الغريبة من الإبل. ورواه أحمد في: ٢/٢٩٨، ورواه في المسند الجامع-تحقيق د. عواد: ٣/٣٤٣ و ٥/١٣٥ و ١٨/ ٤٧١، والبيهقى في البعث والنشور/١٢٥، ومجمع الزوائد: ١٠/٦٦٥ وروى مسلم: ٢/٣٦٩، وأحمد: ٥/٣٩٠: عن عمار بن ياسر قال: أخبرنى حذيفة عن النبي (ص) قال: فى أصحابى اثنا عشر منافقاً، منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط! انتهى.

وقد اهتم ابن حجر بحكم أحواض الإبل التى فى الحديث فقال فى فتح البارى: ٥/٣٣: وقوله لأذودن.. أى لا طردن، ومناسبتة الترجمة من ذكره (ص) أن صاحب الحوض يطرد إبل غيره عن حوضه، ولم ينكر ذلك، فبدل على الجواز. انتهى.

وروى ابن أبى شيبه فى المصنف: ١٥/١٠٩

عن حذيفة قال: المنافقون الذين فيكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله (ص)! قال الراوى هو شقيق، قلت: يا أبا عبد الله وكيف ذاك؟! قال: إن أولئك كانوا يسرون نفاقهم، وإن هؤلاء أعلنوه!! وقال المفيد فى الافصاح/ ٥٠

وقال عليه السلام: أيها الناس، بينا أنا على الحوض إذ مر بكم زمراً، ففرق بكم الطرق فأناديكم: ألا هلموا إلى الطريق، فيناديني مناد من ورائي: إنهم بدلوا بعدك، فأقول: ألا سحقا، ألا سحقا [١].

وقال عليه السلام: ما بال أقوام يقولون: إن رحم رسول الله صلى الله عليه وآله لا تنفع يوم القيامة، بلى والله إن رحمة لموصولة فى الدنيا والآخرة، وإنى أيها الناس فرطكم على الحوض، فإذا جئتم قال الرجل منكم يا رسول الله أنا فلان بن فلان، وقال الآخر: أنا فلان بن فلان، فأقول: أما النسب فقد عرفته، ولكنكم أحدثتم بعدى فارتدتم القهقري [٢].

وقال عليه السلام، وقد ذكر عنده الدجال:

أنا لفتنة بعضكم أخوف منى لفتنة الدجال [٣].

وقال عليه السلام: إن من أصحابى من لا يرانى بعد أن يفارقنى [٤].

فى أحاديث من هذا الجنس يطول شرحها، وأمرها فى الكتب عند أصحاب الحديث أشهر من أن يحتاج فيه إلى برهان.

على أن كتاب الله عز وجل شاهد بما ذكرناه، ولو لم يأت حديث فيه لكفى فى بيان ما وصفناه.

قال الله سبحانه وتعالى: وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم؟! ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين.

فأخبر تعالى عن ردتهم بعد نبيه صلى الله عليه وآله على القطع والثبيت!

وفى فردوس الأخبار: ٣/٤٤٤

عن أنس بن مالك عن النبي (ص) قال: ليرفعن أناس من أصحابى وأنا على الحوض، فإذا عاينونى عرفتهم وأنا على الحوض، قد ذبلت شفاههم فاختلجوا دونى.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله: من أحب علياً وأطاعه فى دار الدنيا ورد على حوضى غداً، وكان معى فى درجتى فى الجنة.

ومن أبعض علياً فى دار الدنيا وعصاه، لم أره ولم يرنى يوم القيامة، واختلج دونى وأخذ به ذات الشمال إلى النار. انتهى.

[١] مسند أحمد ٦: ٢٩٧، ومسند أبى يعلى: ١١/٣٨٧.

[٢] مسند أحمد ٣: ١٨ و ٦٢ قطعة منه.

[٣] كنز العمال: ١٢/٢٨٨١٢/١٤.

[٤] مسند أحمد: ٦/٣٠٧.

اسس تدوين أحاديث القيامة عند علماء الخلافة

ونصل من أحاديث الحوض إلى قضية أوسع تتعلق بموضوعنا، وهى أحاديث مقام النبى صلى الله عليه وآله يوم القيامة.. فإن المتأمل فيها فى مصادر إخواننا السنيين يصل إلى قناعه بأن أحاديثها كانت تتضمن أن أهل بيته معه فى المحشر والجنة، بدليل بقاء ذكرهم وتسميتهم فى عدد منها! وأنها كانت تتضمن بيان المصير الأسود لأكثر الصحابة! وقد رأيت أنهم لم يستطيعوا أن يتخلصوا من الأحاديث التى تنص على أنه لا يرد منهم الحوض ولا ينجو إلا مثل همل النعم! وهمل النعم هى النعاج المفردة الخارجة عن القطيع! وهو يعنى أن أكثرية قطع الصحابة لا ينجو!! وبهذا نعرف الصعوبة فى المهمة التى عهدت بها الخلافة القرشية إلى علماء الحديث، أو تبرعوا هم بها، بتدوين صحاح ترضى عنها وتتبنى نشرها!!

فلا بد أنهم وقفوا طويلاً أمام مشكلة تدوين أحاديث القيامة والآخرة، لأنها تعطى أهل البيت مقاماً إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله.. ولأنها تدم الصحابة وتخبر عن هلاك أكثرهم!! ولا شك أن الذين ألفوا بعد مالك بن أنس واجهوا نفس مشكلته، وخافوا أن يقعوا فى نفس (مزلق) التشيع الذى وقع فيه!! لذا رأوا أنهم مجبرون على إتباع الأسس التالية:

أولاً: أن يختاروا الأحاديث التى ليس فيها ذكر لأهل بيت النبى صلى الله عليه وآله وهى قليلة جداً جداً!!
ثانياً: أن يجردوا الأحاديث من ذكر مقام أهل البيت النبوى مهما أمكن!
ثالثاً: أن يستبدلوا أسماء أهل البيت والكلمات التى استعملها النبى صلى الله عليه وآله فى التعبير عنهم بكلمات عن الأمة والصحابة.
رابعاً: أن يتحاشوا الأحاديث التى فيها ذم الصحابة، أو يحذفوا منها الذم أو يوجهوه إلى آخرين.
خامساً: أن يدونوا الأحاديث الموضوعه فى فضل الصحابة، خاصة الخلفاء الثلاثة، لكى تقابل الأحاديث فى فضائل أهل البيت النبوى!!
وتفصيل هذا الموضوع يخرجنا عن بحثنا، فنكتفى بذكر نماذج صغيرة:

فقد روى الخطيب فى تاريخ بغداد ٩/٤٥٣

عن ابن عباس قال: سمعت النبى (ص) وهو آخذٌ بيد على يقول: هذا أول من يصفحنى يوم القيامة.

وفى الإستيعاب: ٤/١٦٩

عن أبى ليلى الغفارى قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: ستكون بعدى فتنة فإذا كان ذلك فالزموا على بن أبى طالب فإنه أول من يرانى، وأول من يصفحنى يوم القيامة، وهو الصديق الأكبر، وهو فاروق هذه الأمة، يفرق بين الحق والباطل، وهو يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين.

ورواه ابن حجر فى الإصابة: ٤/١٧٠، وضعفه بدون حجة، وكذا فعل ابن كثير فى البداية: ٧/٣٤٨.

وفى سنن ابن ماجه: ١/٤٤

عن عباد بن عبد الله قال: قال على (رض): أنا عبد الله وأخو رسوله، وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدى إلا كذاب! صليت قبل الناس سبع سنين. هذا حديث صحيح.

ورواه العزيزى فى السراج المنير: ٢/٤٠٢، وقال البوصيرى فى الزوائد: صحيح على شرط الشيخين، وتكلم فيه بعضهم لأجل عباد، لكن تابعته عليه معاذة العدوية.

وفى كنز العمال: ١١/٦١٦

إن هذا أول من آمن بي، وأول من يصفحني يوم القيامة، وهذا الصديق الأكبر، وهذا فاروق هذه الأمة، يفرق بين الحق والباطل، وهذا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الظالمين - قاله لعل. (الطبراني عن سلمان وأبي ذر معاً، والبيهقي، وابن سعد، عن حذيفة. انتهى. وقال في هامشه: أوردته الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/١٠٢) وقال رواه الطبراني والبخاري، وفيه عمر بن سعيد المصري وهو ضعيف. انتهى.

وكلام هذا المهمش ليس دقيقاً، لأن رواية كثر العمال عن ثلاثة: سلمان وأبي ذر وحذيفة. ورواية الطبراني والبخاري التي ضعفها الهيثمي بعمر بن سعيد المصري إنما هي عن أبي ذر وحده، وبالتالي فهو لم يضعف رواية سلمان وأبي ذر معاً، ولا رواية حذيفة التي نقلها صاحب كثر العمال عن البيهقي، وعن طبقات ابن سعد! واليك ما قاله في مجمع الزوائد: ٩/١٠٢:

وعن أبي ذر وسلمان قال: أخذ النبي (ص) بيد علي فقال: إن هذا أول من آمن بي، وهذا أول من يصفحني يوم القيامة، وهذا الصديق الأكبر، وهذا فاروق هذه الأمة، يفرق بين الحق والباطل، وهذا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الظالمين. رواه الطبراني والبخاري عن أبي ذر وحده وقال فيه: أنت أول من آمن بي، وقال فيه: والمال يعسوب الكفار. وفيه عمرو بن سعيد المصري وهو ضعيف. انتهى.

ومهما يكن، فإن بعض طرق الحديث صحيحة على مبانهم بدون حاجة إلى شواهد، وبعضها صحيحة بشواهدها. ولكنهم لا يبحثون أسانيد وأسانيد شواهد، ويضعفونه ويحكمون عليه بأنه منكر، لأنه يتضمن شهادة من النبي صلى الله عليه وآله بصفات مهمة لعل عليه السلام، وهي أمر منكر يضر بالخلافة القرشية!!

بل الأحوط عند بعض علماء الخلافة أن يعارضوه بأحاديث تشهد بأن الصفات التي وردت فيه قد ثبتت لخلفاء قريش، وليس لعل!! ونترك لقب الصديق والفاروق فعلاً، ونذكر ما رووه حول: أول من تنشق عنه الأرض مع النبي في يوم المحشر، وأول من يصفح النبي صلى الله عليه وآله، لأنهما من صلب موضوعنا. أما الأول:

فقد روى الحاكم في المستدرک: ٢/٤٦٥، وصححه: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا أول من تنشق الأرض عنه، ثم أبو بكر، ثم عمر، ثم أتى أهل البقيع فيحشرون معي، ثم أنتظر أهل مكة!! وتلا عبد الله بن عمر: يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسيراً! ورواه أيضاً في: ٣/٦٨، وصححه. ورواه في كثر العمال: ١١/٤٠٣

وروى نحوه في ٤٢٦/ و ٤٣٣ (عن الترمذي، وحسنه، وأبي عروبة في الاوائل، والطبراني الكبير، وابن عساكر، وأبي نعيم في فضائل الصحابة، عن ابن عمر. وبآخر عن ابن عساكر، عن أبي هريرة. انتهى.

وتلاحظ في هذه الأحاديث أنها تعطى الأولوية في الحشر ودخول الجنة لأبي بكر وعمر، ثم لأهل البقيع، ثم للقرشيين في مكة! كما يوجد عندهم حديث آخر يميلون إلى قبوله، رواه في كثر العمال: ١٣/٢٣٣ عن علي! قال قال رسول الله (ص): أنا أول من تنشق الأرض عنه ولا فخر، فيعطيني الله من الكرامة ما لم يعطين من قبل. ثم ينادى مناد: يا محمد قرب الخلفاء، فأقول: ومن الخلفاء!؟

فيقول جل جلاله: عبد الله أبو بكر الصديق، فأول من تنشق الأرض عنه بعدى أبو بكر، ويقف بين يدي الله فيحاسب حساباً يسيراً، ويكسى حلتين خضراوين، ثم يوقف أمام العرش. ثم ينادى مناد: أين عمر بن الخطاب؟ فيجئ وأوداجه تشخب دمماً فأقول: عمر! من فعل هذا بك؟! فيقول: مولى المغيرة بن شعبه، فيوقف بين يدي الله فيحاسب حساباً يسيراً، ثم يكسى حلتين خضراوين، ثم يوقف أمام العرش. ثم يؤتى بعثمان بن عفان وأوداجه تشخب دمماً، فأقول: عثمان! من فعل بك هذا؟! فيقول: فلان وفلان، فيوقف بين يدي الله

فيحاسب حساباً يسيراً، ثم يكسى حلتين خضراوين، ثم يوقف أمام العرش.

ثم يؤتى بعلى وأوداجه تشخب دماً فأقول: على! من فعل بك هذا؟!!

فيقول: عبد الرحمن بن ملجم، فيوقف بين يدي الله فيحاسب حساباً يسيراً، ثم يكسى حلتين خضراوين، ثم يوقف أمام العرش مع أصحابه.

الزوزنى، وفيه على بن صالح، قال الذهبي: لا- يعرف، وله خبرٌ باطل، وقال في اللسان ذكره ابن حبان في الثقات وقال: روى عنه أهل العراق، مستقيم الحديث. انتهى.

وهكذا عالج رواة الخلافة أوليةً على التي رواها عن النبي صلى الله عليه وآله! فوضعوا حديثاً على لسان على نفسه! يجعل الأولية لخلفاء قريش بالترتيب، ويجعل علياً الرابع!!

وإذا كلمتهم في السند تراهم يعرضون عن بحث أسانيد الأحاديث التي فيها فضائل على، ويعملون المستحيل لتصحيح الأحاديث التي فيها فضائل غيره، ويمدح ابن حبان واضع الحديث بأنه مستقيم الحديث، أي أن أحاديثه في مدح الخلفاء والأمراء وعمالهم!

وأما حديث أن أول من يصفحه النبي يوم القيامة على.. فقد وجدوا له معالجةً أخرى، فإذا كان على أول شخص يستقبله الرسول صلى الله عليه وآله ويصفحه يوم القيامة، فإن عمر أول شخص يستقبله الله تعالى يوم القيامة ويصفحه!! ويرحب به، ويدخله الجنة!!

فقد روى ابن ماجه في صحيحه: ١/٣٩

حدثنا إسماعيل بن محمد الطلحي، أنبأنا داود بن عطاء المديني، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله (ص): أول من يصفحه الحق عمر، وأول من يسلم عليه، وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة.

ورواه في كتر العمال: ١/٥٧٨ - ه ك - عن أبي. انتهى.

وقد جاءت روايتهم فاقعةً إلى حد أن الذهبي الذي يحب التجسيم ويحب عمر، لم يستطع الدفاع عنها!

وكذلك الألباني، حيث ضعفها على مضع في ضعيفته برقم ٢٢٤٨٥.

نتيجة كلية

والنتيجة الأكيدة عند المتأمل في هذه الأحاديث من مصادر الفريقين:

أن علياً وأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله لهم دورٌ كبير في الشفاعة مع النبي يوم القيامة.. بل إن كل مؤمن مقبول له شفاعته يوم القيامة بحسبه، ولما كان أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله سادة المؤمنين، فشفاعتهم أكبر وأعظم.

أما الصحابة فتدل أحاديث القيامة على أن أكثرهم يكونون مشغولين إلى آخر نفس في معالجة مشكلتهم وتخليص أنفسهم!!

احاديث أن عليا هو الساقى على الحوض والذائد عنه

تقدم في الفصل الخامس عشر تحت عنوان: على ميزان الإسلام والكفر، حديث الإمام الحسن السبط عليه السلام، وقد صححه الحاكم وغيره، وفيه:

(فقال له الحسن: أما والله لئن وردت عليه الحوض، وما أراك ترده، لتجدنه مشمر الإزار على ساق، يذود عنه رايات المنافقين ذود غريبة الإبل! قول الصادق المصدوق، وقد خاب من افترى).

كما تقدمت بعض أحاديثه في حمل لواء المحشر عن أحمد وغيره.

وفي مناقب الصحابة لأحمد/٦٦٧

وفيما كتب إلينا (عبد الله بن غنام) يذكر أن عباد بن يعقوب حدثهم، نا على بن عباس، عن عبد الله عن أبي حرب بن أبي الأسود

الدثلي، قال اشتكى أبو الأسود الفالج فنعت له ثعلب فطلبناها في خرب البصرة، فبينما أنا أطوف إذا أنا برجل يصلي فأشار إلى فأتيته فقال: من أنت؟ فقلت أبو حرب بن أبي الأسود، فقال: أقرئ أباك السلام وقل له عبد الله بن فلان يقرأ عليك السلام ويقول لك: أشهد أني سمعت علياً يقول: لا ذودن بيدي هاتين القصيرتين عن حوض رسول الله رايات الكفار والمنافقين، كما تزداد غريبة الأبل عن حياضها. انتهى.

وفي تاريخ المدينة لابن شبة: ١/٣٧

حدثنا محمد بن بكار قال، حدثنا أبو معشر، عن حرام بن عثمان (عن أبي) عتيق، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أخرج رسول الله (ص) أناساً من المسجد وقال: لا ترقدوا في مسجدي هذا. قال: فخرج الناس، وخرج علي (رض)، فقال: لعلي (رض) إرجع فقد أحل لك فيه ما أحل لي، كأنى بك تذودهم على الحوض، وفي يدك عصا عوسج.

وفي مجمع الزوائد: ٩/١٧٣

وعن أبي هريرة أن علي بن أبي طالب (رض) قال: يا رسول الله، أيما أحب إليك أنا أم فاطمة؟

قال: فاطمة أحب إلي منك، وأنت أعز عليّ منها. وكأني بك وأنت على حوضي تذود عنه الناس، وإن عليه لأباريق مثل عدد نجوم السماء، وإني وأنت والحسن والحسين وفاطمة وعقيل وجعفر في الجنة، إخواناً على سرر متقابلين، أنت معي وشيعتك في الجنة. ثم قرأ رسول الله (ص): إخواناً على سرر متقابلين، لا ينظر أحد في قفا صاحبه.

رواه الطبراني في الأوسط، وفيه سلمى بن عقبه ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. ورواه في تفسير الميزان: ١٢/١٧٦، عن تفسير البرهان عن الحافظ أبي نعيم عن رجاله عن أبي هريرة..

وفي مجمع الزوائد: ٩/١٣٥

عن أبي سعيد قال قال رسول الله (ص): يا علي معك يوم القيامة عصا من عصي الجنة تذود بها المنافقين عن حوضي. رواه الطبراني في الأوسط وفيه سلام بسليمان المدائني وزيد العمي، وهما ضعيفان وقد وثقا، وبقية رجالهما ثقات.

وعن عبد الله بن إجاره بن قيس قال: سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو على المنبر يقول: أنا أذود عن حوض رسول الله (ص) بيدي هاتين القصيرتين الكفار والمنافقين كما تذود السقاء غريبة الإبل عن حياضهم. رواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد ابن قدامة الجوهري، وهو ضعيف.

وعن علي بن أبي طالب قال قال لي رسول الله (ص): ألا ترضى يا علي إذا جمع الله النبيين في صعيد واحد، حفاة عراء مشاة قد قطع أعناقهم العطش فكان أول من يدعى إبراهيم فيكسى ثوبين أبيضين، ثم يقوم عن يمين العرش، ثم يفجر ثعب من الجنة إلى حوضي، وحوضي أبعد مما بين بصري وصنعاء، فيه عدد نجوم السماء قدحان من فضة، فأشرب وأتوضأ وأكسى ثوبين أبيضين، ثم أقوم عن يمين العرش، ثم تدعى فتشرب وتتوضأ وتكسى ثوبين أبيضين، فتقوم معي، ولا أدعى إلى خير إلا دعيت له.

رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عمران بن ميثم، وهو كذاب.

وفي مجمع الزوائد: ١٠/٣٦٦

وعن أبي هريرة وجابر بن عبد الله قالوا: قال رسول الله (ص): علي بن أبي طالب صاحب حوضي يوم القيامة، فيه أكواب كعدد نجوم السماء، وسعة حوضي ما بين الجابية إلى صنعاء. رواه الطبراني في الأوسط، وفيه ضعفاء وثقوا.

وفي الغدير: ١/٣٢١: (أخرج الطبراني بإسناد رجاله ثقات عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي (ص): يا علي معك يوم القيامة عصا من عصي الجنة، تذود بها المنافقين عن الحوض. (الذخاير/٩١، الرياض: ٢/٢١١، مجمع الزوائد: ٩/١٣٥، الصواعق/١٠٤). انتهى. وهو في الطبراني الصغير: ٢/٨٩، وفردوس الأخبار: ٥/٣١٧/٤٠٨، وفي طبعه أخرى من الصواعق/١٧٤

وفي تاريخ دمشق لابن عساكر: ١/٢٦٥:

أخبرنا أبو الحسن السلمى، أنبأنا عبد العزيز التميمي، أنبأنا على بن موسى ابن الحسين، أنبأنا أبو سليمان بن زير، أنبأنا محمد بن يوسف الهروي، أنبأنا محمد بن النعمان بن بشير، أنبأنا أحمد بن الحسين بن جعفر الهاشمي اللهبى، حدثني عبد العزيز بن محمد، عن حرام بن عثمان، عن عبد الرحمن ومحمد ابني جابر بن عبد الله عن أبيهما جابر بن عبد الله الأنصاري قال:

جاءنا رسول الله (ص) ونحن مضطجعون في المسجد، وفي يده عسيب رطب فضربنا، وقال: أترقدون في المسجد، إنه لا يرقد فيه أحد. فأجفلنا وأجفل معنا على بن أبي طالب، فقال رسول الله (ص): يا على إنه يحل لك في المسجد ما يحل لي، يا على ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة.

والذى نفسى بيده إنك لتذودن عن حوضى يوم القيامة رجلاً كما يذاد البعير الضال عن الماء بعضى من عوسج، كأنى أنظر مقامك من حوضى.

قال (و) أخبرناه علياً أبو المظفر بن القشيري وأبو القاسم الشحامى قالوا: أنبأنا محمد بن عبد الرحمن، أنبأنا أبو سعيد محمد بن بشر، أنبأنا محمد بن ادريس، أنبأنا سويد بن سعد، أنبأنا حفص بن ميسرة، عن حزام بن عثمان، عن ابن جابر - أراه عن جابر - قال: جاء رسول الله (ص) ونحن مضطجعون في المسجد، فضربنا بعصف في يده فقال: أترقدون في المسجد إنه لا يرقد فيه.

فأجفلنا فأجفل على، فقال رسول الله (ص): تعال يا على إنه يحل لك في المسجد ما يحل لي، أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة، والذى نفسى بيده إنك لذواد عن حوضى يوم القيامة، تذود كما يذاد البعير الضال عن الماء بعضى لك من عوسج، كأنى أنظر إلى مقامك من حوضى. انتهى. ونقله عنه فى إحقاق الحق: ١٧/٣٧٤، ورواه الخوارزمي فى مناقبه/٦٥

وفى الروض الأنف: ٢/١٤٦: من طريق جابر بن عبد الله أن رسول الله (ص) قال لعلى: والذى نفسى بيده إنك لذائد عن حوضى يوم القيامة، تذود عنه كفار الأمم كما تذاذ الإبل الضالة عن الماء.

وقال السهيلي: إلا أن هذا الحديث يرويه حرام بن عثمان عن جابر عن النبي. وقد سئل مالك عنه فقال: ليس بثقة، وأغلظ فيه الشافعى. انتهى.

وكذلك ضعفه فى تهذيب التهذيب: ٤/٢٨٣.

ولا بد أن مالكا سئل عنه، بعد أن ندم على تدوين حديث الحوض فى موطنه!

وسواء صح ما نقلوه عن الشافعى فى راوى الحديث حرام بن عثمان أم لا، فإن الذين ضعفوا هذا الحديث قد تعصبوا ضد أهل البيت، ودلسوا أيضاً!

ذلك أن القاعدة عند العلماء: أنهم إذا ضعفوا طريقاً لحديث مروى من طرق أخرى صحيحة، أن ينبهوا إلى ذلك، ويذكروا أن له طرقاً أخرى ليس فيها حرام! خاصة أنه حديث مشهور من رواية أهل البيت واحتجاجاتهم من زمن على والحسين (عليهم السلام)، وكذلك فى احتجاج شيعتهم ومحاوراتهم من القرن الأول نثراً وشعراً.

وقد نقلته مصادر السنين بأسانيد صحيحة عن على، وعن الحسن السبط (عليهم السلام)، وقد تقدم فى الفصل الخامس عشر تحت عنوان: على عليه السلام ميزان الإسلام والكفر والإيمان والنفاق، فراجع.

وكذا روته مصادرهم فيما روت من خطب الإمام الحسين عليه السلام ومحاوراته لجيش يزيد فى كربلاء..

ولذلك يعتبر علماء الجرح والتعديل مثل هذا العمل تدليساً، يقصد منه إيهام القارئ بضعف متن هذا الحديث وأسانيده الأخرى!!

وأخيراً، فقد روت مصادر السنين حديثاً غير مفهوم، ورد فيه أن النبي صلى الله عليه وآله يذود عن الحوض لأهل اليمن! فى المسند الجامع - تحقيق الدكتور عواد: ٣/٣٤٣ - ح ٢٠٦٢ - ٤٨: عن ثوبان، أن نبى الله (ص) قال: إني لبعقر حوضى أذود الناس لأهل اليمن أضرب بعضاى حتى يرفض عليهم. فسئل عن عرضه؟ فقال: من مقامى إلى عمان.

وسئل عن شرابه؟ فقال: أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، يغث فيه ميزابان يحدانه من الجنة، أحدهما من ذهب، والآخر من

ورق. انتهى.

وقد وجدنا حديثاً صحيحه في مجمع الزوائد، وهو يعطى ضوءاً على هذا الحديث المبهم، ويدل على أنه نصه كان يرتبط بأهل البيت (عليهم السلام)، فصار لأهل اليمن!!

قال في مجمع الزوائد: ١٠/٣٦٦: وعن ثوبان قال قال رسول الله (ص): حوضى أذود عنه الناس لأهل بيتي إني لأضربهم بعصاي هذه حتى ترفض.

قلت: فذكر الحديث وهو في الصحيح غير قوله (لأهل بيتي).

رواه البزار بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح. انتهى.

ومعنى ذلك أن إحدى روايتي البزاز التي فيها (لأهل بيتي) صحيحة، ولعل أصل الحديث أذود عنه أنا وأهل بيتي، أو أذود من خالف أهل بيتي..

من أحاديث الحوض في مصادرنا

أما مصادرنا فلا مشكلة لها مع أحاديث حوض الكوثر ولا مع غيرها، لذلك تجد أحاديثه صحيحة ومتواترة في مصادرنا، وهي من حججنا على إمامة أهل البيت النبوي الطاهرين (عليهم السلام)..

قال الصدوق في كتاب الإعتقادات/٤٣

إعتقادنا في الحوض: أنه حق، وأن عرضه ما بين أيلة وصنعاء، وهو للنبي صلى الله عليه وآله. الساقى عليه يوم القيامة أمير المؤمنين على بن أبي طالب (عليهم السلام)، يسقى منه أوليائه ويزود عنه أعداءه، ومن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً.

وقال النبي صلى الله عليه وآله: ليختلجن قوم من أصحابي دوني وأنا على الحوض، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأنادى ياربى أصحابى أصحابى، فيقال لى: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك!

وروى في كتاب الخصال/٦٢٤، عن علي عليه السلام:

أنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله، ومعى عترتى وسببى على الحوض، فمن أرادنا فليأخذ بقولنا وليعمل عملنا، فإن لكل أهل بيت نجيب ولنا شفاعتة، ولأهل مودتنا شفاعتة، فتنافسوا فى لقائنا على الحوض، فإنا نذود عنه أعداءنا ونسقى منه أحبنا وأوليائنا، ومن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً.

حوضنا مترع فيه مذهبان ينصبان من الجنة أحدهما من تسنيم، والآخر من معين، على حافتيه الزعفران، وحصاه اللؤلؤ والياقوت، وهو الكوثر.

ورواه في تفسير فرات الكوفى/٣٦٦، وتفسير نور الثقلين: ٥/٥١١

وفى تفسير فرات/١٧٢، من رواية يخبر بها النبي ابنته الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام بما سيحدث لها ولأولادها من بعده، ويعلمها الصبر على أمر الله تعالى، قال:

يا فاطمة بنت محمد... أما ترضين أن يكون أبوك يأتونه يسألونه الشفاعتة.

أما ترضين أن يكون بعلك يزود الخلق يوم العطش عن الحوض فيسقى منه أوليائه، ويزود عنه أعداءه.

أما ترضين أن يكون بعلك قسيم النار، يأمر النار فتطيعه يخرج منها من يشاء ويترك من يشاء.

أما ترضين أن تنظرين إلى الملائكة على أرجاء السماء ينظرون إليك والى ما تأمرين به، وينظرون إلى بعلك قد حضر الخلائق وهو يخاصمهم عند الله!

فما ترين الله صانع بقاتل ولدك وقاتليك؟!!!

وقد أوردنا في معجم أحاديث الإمام المهدي: ١٥٣/ ٣

عن تفسير العياشي: ١/١٤، والكافي: ١/ ٦٢:

عن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبان بن أبي عياش، عن سليم بن قيس الهلالي، قال قلت لأمر المؤمنين عليه السلام: إنني سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر شيئاً من تفسير القرآن وأحاديث عن نبي الله صلى الله عليه وآله غير ما في أيدي الناس، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن نبي الله صلى الله عليه وآله أتم تخالفونهم فيها، وتزعمون أن ذلك كله باطل، أفترى الناس يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدين؟ ويفسرون القرآن بأرائهم؟ قال: فأقبل عليّ فقال: قد سألت فافهم الجواب.

إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعاماً وخاصاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده حتى قام خطيباً فقال: أيها الناس قد كثرت على الكذابة، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوء مقعده من النار! ثم كذب عليه من بعده!

وإنما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس:

رجلٌ منافقٌ يظهر الإيمان، متصنع بالإسلام لا يتأثم ولا يتحرج أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمداً، فلو علم الناس أنه منافقٌ كذاب، لم يقبلوا منه ولم يصدقوه، ولكنهم قالوا هذا قد صحب رسول الله صلى الله عليه وآله ورآه وسمع منه، وأخذوا عنه، وهم لا يعرفون حاله، وقد أخبره الله عن المنافقين بما أخبره ووصفهم بما وصفهم فقال عز وجل: وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ، وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ.

ثم بقوا بعده فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والكذب والبهتان فولوهم الأعمال، وحملوهم على رقاب الناس، وأكلوا بهم الدنيا!

وإنما الناس مع الملوكة والدنيا إلا من عصم الله، فهذا أحد الأربعة.

ورجلٌ سمع من رسول الله شيئاً لم يحمله على وجهه ووهم فيه، ولم يتعمد كذباً فهو في يده، يقول به ويعمل به ويرويه فيقول: أنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله فلو علم المسلمون أنه وهم لم يقبلوه ولو علم هو أنه وهم لرفضه.

ورجلٌ ثالثٌ سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً أمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم، فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ، ولو علم أنه منسوخ لرفضه، ولم يعلم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه.

وآخرٌ رابعٌ لم يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله، مبغض للكذب خوفاً من الله وتعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وآله، لم ينسه، بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمع لم يزد فيه ولم ينقص منه، وعلم الناسخ من المنسوخ، فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ فإن أمر النبي صلى الله عليه وآله مثل القرآن ناسخ ومنسوخ [وخاص وعام] ومحكم ومتشابه قد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله الكلام له وجهان: كلامٌ عام وكلامٌ خاص، مثل القرآن، وقال الله عز وجل في كتابه: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا.

فيشتهه على من لم يعرف ولم يدر ما عنى الله به ورسوله صلى الله عليه وآله. وليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كان يسأله عن الشيء فيفهم! وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه حتى أن كانوا ليحبون أن يجيئ الأعرابي والطارئ فيسأل رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يسمعوا.

وقد كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله كل يوم دخلت وكل ليلة دخلت فيخيلني فيها أدور معه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري، فربما كان في بيتي يأتيني رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر

ذلك في بيتي، وكنت إذا دخلت عليه بعض منازل أخلاقي وأقام عني نساءه، فلا يبقى عنده غيري، وإذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة، ولا أحد من بني، وكنت إذا سأله أجنبي، وإذا سكت عنه وفيت مسائل ابتدأني، فما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله آية من القرآن إلا- أقرأها وأملأها على فكتبتها بخطي، وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا الله أن يعطيني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علماً أملاه على وكتبته، منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك شيئاً علمه الله من حلال ولا حرام، ولا أمر ولا نهى كان أو يكون ولا كتاب منزل على أحد قبله من طاعة أو معصية إلا- علمني وحفظته، فلم أنس حرفاً واحداً، ثم وضع يده على صدري ودعا الله لي أن يملأ- قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً، فقلت: يا نبي الله بأبي أنت وأمي منذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئاً ولم يفتني شيء لم أكتبه، أفتتخوف على النسيان فيما بعد؟ فقال: لا، لست أتخوف عليك النسيان والجهل. وقد أخبرني ربي أنه قد استجاب لي فيك، وفي شركائك الذين يكونون من بعدك. فقلت: يا رسول الله ومن شركائي من بعدى؟

قال: الذين قرنهم الله بنفسه وبى.

فقال: الأوصياء مني إلى أن يردوا على الحوض، كلهم هاد مهتد لا يضرهم من خذلهم، هم مع القرآن والقرآن معهم، لا يفارقهم ولا يفارقونه، بهم تنصر أمتي وبهم يمطرون، وبهم يدفع عنهم، وبهم استجاب دعاءهم. فقلت: يا رسول الله سمهم لي فقال: ابني هذا، ووضع يده على رأس الحسن، ثم ابني هذا ووضع يده على رأس الحسين، ثم ابن له يقال له علي، وسيولد في حياتك فقرأه مني السلام، ثم تكلمة اثني عشر من ولد محمد. فقلت له: بأبي أنت وأمي فسمهم لي، فسماهم رجلاً رجلاً فيهم والله يا أخا بني هلال مهدي أمه محمد صلى الله عليه وآله الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، والله إنني لأعرف من يبایعه بين الركن والمقام، وأعرف أسماء آبائهم وقبائلهم!! انتهى. ويوجد قسم منه في نهج البلاغة- شرح صبحي الصالح، خطبة ٢١٠، وشرح محمد عبده: ٢١٤. وروى ابن الجوزي قسماً منه في تذكرة الخواص / ١٤٣، مرسلاً عن كميل بن زياد. ورواه النعماني / ٧٥، والطبري الشيعي في المسترشد / ٢٩، والصدوق في كمال الدين: ١ / ٢٨٤، والخصال: ١ / ٢٥٥، والحراني في تحف العقول / ١٩٣، والطبرسي في الاحتجاج: ١ / ٢٦٤، وابن ميثم البحراني في شرح النهج: ٤ / ١٩، والعاملي في إثبات الهداة: ١ / ٦٦٤، والمجلسي في البحار: ٢ / ٢٢٨، و: ٣٦ / ٢٧٣ و ٢٧٦، و: ٩ / ٩٨.

اهل البيت و شيعتهم على الحوض

في مقاتل الطالبين / ٤٣

حدثني محمد بن الحسين الأشناني وعلي بن العباس المقانعي قالاً: حدثنا عباد بن يعقوب قال: أخبرنا عمرو بن ثابت، عن الحسن بن حكيم، عن عدى بن ثابت، عن سفیان بن أبي لیلی، وحدثني محمد بن أحمد أبو عبيد قال: حدثنا الفضل بن الحسن المصري قال: حدثنا محمد بن عمرو قال: حدثنا مكي بن إبراهيم، قال حدثنا السري بن إسماعيل، عن الشعبي، عن سفیان بن أبي لیلی دخل حديث بعضهم في حديث بعض، وأكثر اللفظ لابي عبيدة قال: أتيت الحسن بن علي حين بايع معاوية فوجدته بفناء داره وعنده رهط فقلت:

السلام عليك يا مذل المؤمنين!

فقال عليك السلام يا سفیان، إنزل.

فنزلت فعقلت راحلتي ثم أتيت فجلست إليه، فقال: كيف قلت يا سفیان؟

فقلت: السلام عليك يا مذل رقاب المؤمنين.

فقال: ما جر هذا منك إلينا؟

فقلت: أنت والله-بأبي أنت وأمي - أذلت رقابنا حين أعطيت هذا الطاغية البيعة وسلمت الأمر إلى اللعين بن اللعين بن آكلة الاكباد، ومعك مائة ألف كلهم يموت دونك، وقد جمع الله لك أمر الناس.

فقال: يا سفيان، إنا أهل بيت إذا علمنا الحق تمسكنا به، وإنى سمعت علياً يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا تذهب الليالي والأيام حتى يجتمع أمر هذه الأمة على رجل واسع السرم ضخم البلعوم يأكل ولا يشبع، لا ينظر الله إليه ولا يموت حتى لا يكون له في السماء عاذرٌ ولا في الأرض ناصر، وإنه لمعاوية، وإنى عرفت أن الله بالغ أمره.

ثم أذن المؤذن فقمنا على حالب يحلب ناقه، فتناول الاناء فشرب قائماً ثم سقاني، فخرجنا نمشي إلى المسجد، فقال لى: ما جاءنا بك ياسفيان؟

قلت: حبكم والذى بعث محمداً بالهدى ودين الحق.

قال: فأبشر يا سفيان فإنى سمعت علياً يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله

يقول: يرد على الحوض أهل بيتى ومن أحبهم من أمتى كهاتين، يعنى السبابتين، ولو شئت لقلت هاتين يعنى السبابة والوسطى، إحداهما تفضل على الأخرى.

أبشر يا سفيان فإن الدنيا تسع البر والفاجر، حتى يعث الله إمام الحق من آل محمد صلى الله عليه وآله.

هذا لفظ أبى عبيد وقال (وفى حديث محمد بن الحسين وعلى بن العباس بعض هذا الكلام موقوفاً، عن الحسن غير مرفوع إلى النبى صلى الله عليه وآله، إلا فى ذكر معاوية فقط).

ورواه ابن طاووس فى الملاحم والفتن/١٠٩، ملخصاً عن الفتن للسليلى...

ورواه ابن أبى الحديد: ١٦/ ٤٤، عن أبى الفرج بسنديه بتقديم وتأخير، وفى سنده محمد بن أحمد بن عبيد بدل محمد بن أحمد أبو عبيد. والبصرى بدل المصرى. وابن عمرو بدل محمد بن عمرويه، والأشنادانى بدل الأشنانى.

ورواه فى البحار: ٤٤/ ٥٩، وفى العوالم: ١٦/ ١٧٨، عن ابن أبى الحديد بسنديه.

شعر حوض الكوثر فى مصادر الحديث والأدب

تعتبر مجموعة شعر الكوثر التى نقلتها مصادر الحديث والأدب، من الأدلة العلمية المهمة على صحة أحاديث أن الساقى على الحوض والذائد عنه هو على عليه السلام. وأول شعر نقله الرواة من ذلك رجز أمير المؤمنين فى حرب صفين:

ففى مناقب آل أبى طالب: ١/٢١٩

أنه عليه السلام عندما دعى إلى المبارزة فى صفين قال مرتجزاً:

أنا علئى صاحب الصمصامه وصاحب الحوض لدى القيامة

أخو نبى الله ذى العلامة قد قال إذ عممنى العمامة

أنت أخى ومعدن الكرامه ومن له من بعدى الإمامه. انتهى.

كما روت كتب التاريخ والحديث والعقائد أبياتاً للإمام الحسين عليه السلام، جاءت ضمن خطبته التاريخة فى كربلاء، ذكر فيها الحوض.. كما فى الإحتجاج: ٢/ ٢٦ وتفسير نور الثقلين: ٣/٥٦٥، وغيرهما، منها:

أنا ابن أباء الضيم من آل هاشم كفانى بهذا مفخراً حين أفرخ

وجدى رسول الله أكرم من مشى ونحن سراج الله فى الخلق نزه

ونحن أمان الله للناس كلهم نطول بهذا فى الأنام ونجهر

ونحن ولاة الحوض نسقى محبنا بكأس رسول الله ما ليس ينكر

وشيعتنا في الحشر أكرم شيعه ومبغضنا يوم القيامه،ه يخسر

وفي بشاره المصطفى/١١٢

أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحسيني الجرجاني القاضي، قدم علينا من بغداد، قال: حدثني الشريف أبو محمد الحسن بن أحمد المحمدي النقيب قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عباس الجوهرى قال، حدثنا أحمد بن زياد الهمداني قال: رأيت صبياً صغيراً يكون سباعياً أو ثمانياً بالمدينه، على ساكنها أفضل السلام، ينشد:

لنحن على الحوض ذواده ندود وتسعد وراده

وما فاز من فاز إلا بنا وما خاب من حبا زاده

ومن سرنا نال منا السرور ومن ساءنا ساء ميلاده

ومن كان ظالمنا حقنا فإن القيامه ميعاده

فقلت يا فتى لمن هذه الأبيات؟

فقال: لمنشدها.

فقلت: من الفتى؟

فقال علوي فاطمي، إيهاً عنك. انتهى.

ونسب في رشفه الصادي/١٩٢، هذه الأبيات إلى الإمام محمد الباقر عليه السلام.

وقد ترجم الأميني في الغدير: ٢، لعدد من شعراء الغدير الذين ذكروا الحوض، نذكر بعضهم:

فمن أقدمهم سفيان بن مصعب العبدي الكوفي:

وهو من شعراء أهل البيت عليهم السلام في القرن الثاني، وقد مدحه الإمام الصادق عليه السلام واستنشده شعره في رثاء الإمام الحسين

عليه السلام.. قال العبدي من قصيده طويله:

هل في سؤالك رسم المنزل الخرب برء لقلبك من داء الهوى الوصب

أم حره يوم وشك البين بيرده ما استحدثته النوى من دمعك السرب

يا رائد الحى حسب الحى ما ضمنت له المدامع من ماء ومن عشب

لهفى لما استودعت تلك القباب وما حجبن من قضب عنا ومن كذب

لا شرقن بدمعى إن نأت بهم دارٌ ولم أقض ما فى النفس من إرب

ما هز عطفى من شوق إلى وطنى ولا اعترانى من وجد ومن طرب

مثل اشتياقى من بعد ومنتزح الى الغرى وما فيه من الحسب

يا راكباً جسره تطوى مناسمها ملاءه البيد بالتقريب والجنب

تننى الرياح إذا مرت بغايتها حسرى الطلائح بالغيطان والخرب

بلغ سلامى قبراً بالغرى حوى أوفى البريه من عجم ومن عرب

يا صاحب الكوثر الرقراق زاخره ذود النواصب عن سلساله العذب

قارعت منهم كماء فى هواك بما جردت من خاطر أو مقول ذرب

حتى لقد وسمت كلما جباهم خواطرى بمضاء الشعر والخطب

وقال أيضاً فى مدح على عليه السلام:

أنت عين الاله والجنب من فرط فيه يصلى لظى مذموم

أنت فلک النجاة فينا وما زلت صراطاً إلى الهدى مستقيم
وعليك الورد تسقى من الحوض ومن شئت ينثني محروم
وإليك الجواز تدخل من شئت جناً ومن تشاء جحيم
وقال الأميني في الغدير: ٢/٢٩٦

في مقتضب الاثر عن أحمد بن زياد الهمداني قال: حدثني علي بن إبراهيم بن هاشم قال: حدثني أبي عن الحسن بن علي سجاده، عن
أبان بن عمر ختن آل ميثم قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فدخل عليه سفيان بن مصعب العبدى قال: جعلني الله فداك ما تقول
في قوله تعالى ذكره:

وعلى الأعراف رجالٌ يعرفون كلاً بسماهم؟
قال: هم الأوصياء من آل محمد الإثني عشر، لا يعرف الله إلا من عرفهم وعرفوه.
قال: فما الأعراف جعلت فداك؟

قال: كئائب من مسك، عليها رسول الله والأوصياء يعرفون كلاً بسماهم.
فقال سفيان: أفلا أقول في ذلك شيئاً؟
فقال من قصيدة:

أيا ربهم هل فيك لى اليوم مربع وهل لى لى ليك مرجع
ومنها:

وأنتم ولاة الحشر والنشر والجزا وأنتم ليوم المفزع الهول مفزع
وأنتم على الاعراف وهى كئائب من المسك رباها بكم يتضوع
ثمانية بالعرش إذ يحملونه ومن بعدهم فى الأرض هادون أربع
وروى أبو الفرج فى الاغانى ٧/٢٢، عن أبى داود المسترق سليمان بن سفيان: أن السيد والعبدى اجتمعا فأنشد السيد:

إنى أدين بما دان الوصى به يوم الخريبة من قتل المحلين
وبالذى دان يوم النهروان به وشاركت كفه كفى بصفين
فقال له العبدى: أخطأت، لو شاركت كفك كفه كنت مثله، ولكن قل: تابعت كفه كفى، لتكون تابعا لا شريكاً.
فكان السيد بعد ذلك يقول: أنا أشعر الناس إلا العبدى.

ومن شعراء الكوثر السيد الحميرى، المتوفى ١٧٣:

وهو اسماعيل بن محمد بن يزيد بن وداع الحميرى، الملقب بالسيد.

قال عنه المرزبانى: لم يسمع أن أحداً عمل شعراً جيداً وأكثر غير السيد.

وروى عن عبد الله بن إسحاق الهاشمى قال: جمعت للسيد ألفى قصيدة وظننت أنه ما بقى على شئ، فكنت لا أزال أرى من ينشدنى
ما ليس عندى، فكنت حتى ضجرت، ثم تركت.

وقال: سئل أبو عبيدة من أشعر المولدين؟ قال: السيد وبشار.

ونقل عن الحسين بن الضحاك أنه قال: ذاكرنى مروان بن أبى حفصة أمر السيد بعد موته، وأنا أحفظ الناس بشعر بشار والسيد،
فأنشدته قصيدته المذهبة التى أولها:

أين التطرب بالولاء وبالهورى ألى الكواذب من بروق الخلب؟!

ألى أمية أم إلى شيع التى جاءت على الجمل الخذب الشوقب

حتى أتى على آخرها، فقال لى مروان:

ما سمعت قط شعراً أكثر معاني وألخص منه، وعدد ما فيه من الفصاحة. وكان يقول لكل بيت منها: سبحان الله، ما أعجب هذا الكلام! وروى عن التوزى أنه قال: لو أن شعراً يستحق أن لا ينشد إلا فى المساجد لحسنه لكان هذا، ولو خطب به خاطب على المنبر فى يوم الجمعة لأتى حسناً، ولحاز أجراً.

ووقف السيد على بشار وهو ينشد الشعر فأقبل عليه وقال:

أيها المادح العباد ليعطى إن الله ما بأيدي العباد

فأسأل الله ما طلبت إليهم وارج نفع المنزل العواد

لا تقل فى الجواد ما ليس فيه وتسمى البخيل باسم الجواد

قال بشار: من هذا؟ فعرفه.

ولعل أشهر قصائد السيد الحميرى على الإطلاق، التى مطلعها:

لام عمرو باللوى مربع طامسةً أعلامها بلقع

تروع عنها الطير وحشيه والوحش من خيفته تفرع

ومنها:

غدا يلاقى المصطفى حيدرٌ وراية الحمد له ترفع

مولى له الجنة مأمورةٌ والنار من إجلاله تفرع

إمام صدق وله شيعهٌ يرووا من الحوض ولم يمنعوا

يذب عنه ابن أبى طالب ذبّك جربى إبلٍ تشرع

إذا دنوا منه لكى يشربوا قبل لهم تباً لكم فارجعوا

هذا لمن والى بنى أحمد ولم يكن غيرهم يتبع

بذاك جاء الوحي من ربنا يا شيعه الحق فلا تجزعوا

وله أيضاً:

ولقد عجبت لقائل لى مرة علامه فهم من الفقهاء

سماك قومك سيداً صدقوا به أنت الموفق سيد الشعراء

ما أنت حين تخصص آل محمد بالمدح منك وشاعر بسواء

مدح الملوك ذوى الغنى لعطائهم والمدح منك لهم بغير عطاء

فابشر فإنك فايزٌ فى حبهم لو قد وردت عليهم بجزاء

ما يعدل الدنيا جميعاً كلها من حوض أحمد شربه من ماء

وله أيضاً:

أؤمل فى حبه شربه من الحوض تجمع أمناً ورى

إذا ما وردنا غداً حوضه فأدنى السعيد وذاد الشقى

متى يدن مولاه منه يقل رد الحوض واشرب هنيئاً مرى

وإن يدن منه عدو له يذده على مكاناً قصى

وله أيضاً:

فإنك تلقاه لدى الحوض قائماً مع المصطفى بالجسر جسر جهنم
يجيران من والاهما في حياته الى الروح والظل الظليل المكرم
وله قصيدة مطلعها:

هلا وقفت على المكان المعشب بين الطويلع فاللوى من كبكب
ومنها:

إنا ندين بحب آل محمد ديناً ومن يحبهم يستوجب
منا المودة والولاء ومن يرد بدلا بآل محمد لا يجب
ومتى يمت يرد الجحيم ولا يرد حوض الرسول وإن يرده يضرب
ضرب المحاذر أن تعر ركابه بالسوط سالفه البعير الأجر
وله القصيدة المذهبه، ومنها:

لمن طلل كالوشم لم يتكلم ونؤى وآثار كترقيش معجم؟
ألا أيها العاني الذي ليس في الأذى ولا اللوم عندي في على بمحجم
ستأتيك منى في على مقالة تسوؤك فاستأخر لها أو تقدم
على له عندي على من يعيبه من الناس نصر باليدين وبالفم
متى ما يرد عندي معاديه عيبه يجد ناصراً من دونه غير مفحم
على أحب الناس إلا محمداً إلیّ فدعني من ملامك أولم
على وصى المصطفى وابن عمه وأول من صلى ووجد فاعلم
على هو الهادي الإمام الذي به أنار لنا من ديننا كل مظلم
على ولي الحوض والذائد الذي يذيب عن أرجاءه كل مجرم
على قسيم النار من قوله لها: ذرى ذا وهذا فاشربى منه واطعمى
خذى بالشوى ممن يصيبك منهم ولا تقربى من كان حزبي فتظلمى
على غداً يدعا فيكسوه ربه ويدنيه حقاً من رفيق مكرم
فإن كنت منه يوم يدنيه راغماً وتبدي الرضا عنه من الان فارغم
فإنك تلقاه لدى الحوض قائماً مع المصطفى الهادي النبي المعظم
يجيزان من والاهما في حياته الى الروح والظل الضليل المكمم
على أمير المؤمنين وحقه من الله مفروض على كل مسلم
لان رسول الله أوصى بحقه وأشركه في كل فيٍّ ومغتم
وله أيضاً في تفسير قوله تعالى (وأندر عشيرتك الاقربين):

بأبى أنت وأمى يا أمير المؤمنين

بأبى أنت وأمى وبرهطى أجمعين

وبأهلى وبمالي وبناتى والبنين

وفدتك النفس منى يا إمام المتقين

وأمين الله والوارث علم الأولين

ووصى المصطفى أحمد خير المرسلين
 وولى الحوض والذا ئد عنه المحدثين
 أنت أولى الناس بالناس وخير الناس دين
 كنت فى الدنيا أخاه يوم يدعو الاقربين
 ليجيبوه إلى الله فكانوا أربعين
 بين عم وابن عم حوله كانوا عرين
 فورث العلم منه والكتاب المستبين
 طببت كهلاً وغلاماً ورضيعاً وجنين
 ولدى الميثاق طيناً يوم كان الخلق طين
 كنت مأموناً وجيهاً عند ذى العرش مكين
 فى حجاب النور حياً طيباً للطاهرين
 ومن شعراء الكوثر صاحب بن عباد، وله:

قالت فمن بعده تُصفى الولاء له قلت الوصى الذى أربى على رجل
 قالت فمن ذا غداً باب المدينة قل فقلت من سألوه وهو لم يسئل
 قالت فمن قاتل الأقبام إذ نكثوا فقلت تفسيره فى وقعة الجمل
 قال فمن حارب الارجاس إذ قسطوا فقلت صفين تبدى صفحة العمل
 قالت فمن قارع الانجاس إذ مرقوا فقلت معناه يوم النهروان جلى
 قالت فمن صاحب الحوض الشريف غدا فقلت من بيته فى أشرف الحلل
 قالت فمن ذا لواء الحمد يحمله فقلت من لم يكن فى الروع بالوجل
 قالت أكل الذى قد قلت فى رجل فقلت كل الذى قد قلت فى رجل
 قالت فمن هو هذا الفرد سم لنا فقلت ذاك أمير المؤمنين على
 ومنهم الملك الصالح طلائع بن رزيك، وله:

أنا من شيعه الإمام على حرب أعدائه وسلم الولى
 أنا من شيعه الإمام الذى ما مال فى عمره لفعل دنى
 أنا عبد لصاحب الحوض ساقى من توالى فيه بكأس روى
 أنا عبد لمن أبان لنا المشكل فارتاض كل صعب أبى
 والذى كبرت ملائكة الله له عند صرعه العامرى
 الإمام الذى تخيره الله بلا مريه أخواً للنبي
 قسماً ما وقاه بالنفس لما بات فى الفرش عنه غير على
 ولعمري إذ حل فى يوم خم لم يكن موصياً لغير الوصى
 ومنهم سعيد بن أحمد النيلي المؤدب، قال كما فى الغدير: ٣٩٥ / ٤:
 دع يا سعيد هواك واستمسك بمن تسعد بهم وتراح من آثامه
 بمحمد وبحيدر وبفاطم وبولدهم عقد الولا بتمامه

قوم يسر وليهم في بعثه ويعض ظالمهم على إبهامه
ونرى ولى وليهم وكتابه بيمينه والنور من قدامه
يسقيه من حوض النبي محمد كأساً بها يشفى غليل أوامه
بيدى أمير المؤمنين وحسب من يسقى به كأساً بكف إمامه
ذاك الذى لولاه ما اتضحت لنا سبل الهدى فى غوره وشامه
عبد الاله وغيره من جهله ما زال معتكفاً على أصنامه
ما آصف يوماً وشمعون الصفا مع يوشع فى العلم مثل غلامه
ومنهم ابن العرندس الحلبي:
ذكره فى فى الغدير: ٧/١٤، ومن شعره:
طوايا نظامى فى الزمان لها نشر يعطرها من طيب ذكراكم نشر
قصائد ما خابت لهن مقاصد بواطنها حمد ظواهرها شكر
مطالعها تحكى النجوم طوالها فأخلاقها زهرٌ وأنوارها زهر
عرائس تجلى حين تجلى قلوبنا أكاليلها در وتيجانها تبر
حسان لها حسان بالفضل شاهد على وجهها تبر يزان بها التبر
فيا ساكنى أرض الطفوف عليكم سلام محب ما له عنكم صبر
نشرت دواوين الثنا بعد طيها وفى كل طرس من مديحى لكم سطر
فطابق شعرى فيكم دمع ناظرى فمبيض ذا نظم ومحمر ذا نثر
وقفت على الدارالتى كنتم بها فمغناكم من بعد معناكم فقر
وقد درست منها الدروس وطالما بهادرس العلم الإلهى والذكر
وسالت عليها من دموعى سحائب الى أن تروى البان بالدمع والسدر
فراق فراق الروح لى بعد بعدكم ودار برسم الدار فى خاطرى الفكر
وقد أقلعت عنها السحاب ولم يجد ولا در من بعد الحسين لها در
إمام الهدى سبط النبوة والد الأئمة رب النهى مولى له الأمر
إمام أبوه المرتضى علم الهدى وصى رسول الله والصنو والصهر
وفيه رسول الله قال وقوله صحيح صريح ليس فى ذلك نكر
حُبى بثلاث ما أفاد بمثلها ولئى فمن زيد هناك ومن عمرو
له تربة فيها الشفاء وقبة يجاب بها الداعى إذا مسه الضر
وذرية درية منه تسعة أئمة حق لا ثمان ولا عشر
أيقتل ظماناً حسين بكربلا وفى كل عضو من أنامله بحر
ووالده الساقى على الحوض فى غد وفاطمه ماء الفرات لها مهر
فيالك مقتولاً بكته السما دماً فمغبر وجه الأرض بالدم محمر
ملا بسه فى الحرب حمراً من الدما وهن غداة الحشر من سندس خضر
ولهفى لزين العابدين وقد سرى أسيراً عليلاً لا يفك له أسر

وآل رسول الله تسبى نسائهم ومن حولهن الستر يهتك والخدر
سبانيا بأكوار المطايا حواسراً يلا حظهن العبد في الناس والحر
فويل يزيد من عذاب جهنم إذا أقبلت في الحشر فاطمة الطهر
تنادى وأبصار الانام شواخص وفي كل قلب من مهابتها دعر
وتشكو إلى الله العلي وصوتها على ومولانا على لها ظهر
فلا ينطق الطاغى يزيد بما جنى وأنى له عذر ومن شأنه الغدر
وفي مناقب آل ابى طالب: ٣/٢٨

وقال ابن الحجاج:

أنا مولى لمن لواء الحمد على عاتقه يوم النشور.

إلى آخر ما رووه من شعر حوض الكوثر، وهو يؤكد أن أحاديث النبي صلى الله عليه وآله في أن علياً هو أمر السقاية عليه كانت من خصائصه المعروفة.

على قسيم الله بين الجنة والنار

قال القاضي عياض في الشفا: ١/٢٩٤

(وأخبر النبي)... وما ينال أهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم، وقتل على، وأن أشقاها الذي يخضب هذه من هذه، أى لحيته من رأسه، وأنه قسيم النار، يدخل أولياؤه الجنة، وأعداءه النار...
وقال الكنجى الشافعى فى كفاية الطالب/٧٢
فإن قيل: هذا سند ضعيف:

قلت: قال محمد بن منصور الطوسى: كنا عند أحمد بن حنبل، فقال له رجل:

ما تقول فى هذا الحديث الذى يروى أن علياً قال: أنا قسيم النار؟

فقال أحمد: وما تنكرون من هذا الحديث؟! أليس رويناه أن النبي (ص) قال لعلى: لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق؟ قلنا: بلى.

قال: فأين المنافق؟

قلنا: فى النار.

قال: فعلى قسيم النار!!

ونقل هذه الحكاية عن أحمد، فى إحقاق الحق: ١٧/٢٠٩، عن مجمع الاداب للبخارى الفوطى: ٣/ق ١/٥٩٤ ط. بغداد.

ونقلها فى: ٣٠/٤٠٢، عن مختصر المحاسن المجمع فى فضائل الخلفاء الأربعة، للصفورى/١٦٧ ط. دار ابن كثير، دمشق وبيروت، تحقيق محمد خير المقداد ونقلها فى: ٤/٢٥٩، عن طبقات الحنابلة لابي يعلى: ١/٣٢٠ طبع القاهرة.

وروى الحديث فى صحيفة الإمام الرضا/١١٥، من عدة مصادر، بعدة أسانيد، عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه، عن النبي صلى الله عليه وآله قا: يا على إنك قسيم النار والجنة، وإنك تفرع باب الجنة فتدخلها بلا حساب.

وقال فى هامشه:

أخرجه محب الدين الطبرى فى الرياض النضرة: ٢/١٦٠ وص ٢١١. وذخائر العقبى: ٦١.

وابن المغازلى فى المناقب: ٦٧ ح ٩٧، عنه ابن طاووس فى الطرائف: ٧٦ ح ١٠٠. وعنه البحار: ٣٩/٢٠٩ ح ٣١.

وأخرجه القندوزى فى ينابيع المودة: ٨٤ من طريق ابن المغازلى، عن ابن مسعود وفيه: وتدخلها أحياء ك. وفى ٣٠٣/ وص ٢٥٧ عن على.

ورواه الخوارزمى فى مناقبه: ٢٠٩.

والحموينى فى فرائد السمطين: ١/١٤٢ ح ١٠٥

وقال فى إحقاق الحق: ٧/١٧٢

حديث حذيفة رواه القوم: منهم العلامة الأمر تسرى فى أرجح المطالب/٣٢ ط. لاهور، روى من طريق الديلمى وابن المغازلى والقاضى عياض عن حذيفة قال: قال رسول الله عليه صلى الله عليه وآله: يا على أنت قسيم النار والجنة، وأنت تفرع باب الجنة وتدخلها أحياء ك بغير حساب.

وفى الصواعق المحرقة لابن حجر/١٢٦

عن على الرضا أنه (ص) قال له: أنت قسيم الجنة والنار فى يوم القيامة، تقول النار: هذا لى وهذا لك..

وفى فردوس الأخبار: ٣/٩٠، عن حذيفة: على قسيم النار.

وفى بغية الطلب لابن العديم: ١/٢٨٩

قال الأعمش: وإنما يعنى بقوله أنا قسيم النار: أن من كان معى فهو على الحق.

ورواه فى إحقاق الحق: ٢٠/٢٥١، عن مخطوطة كتاب (آل محمد) لحسام الدين المردى الحنفى صفحة ٣٢، عن أبى سعيد الخدرى.

وأورد فى إحقاق الحق: ٤/٢٥٩، و: ٣٠/٤٠٢، أسماء عدد من المؤلفين السنيين الذين رووا الحديث أو ذكروه فى مؤلفاتهم، منهم:

أحمد بن أبى عبيد العبدى الهروى فى كتابه الغريبين/٣٠٧ فى مادة القاف مع السين مخطوط.

وابن المغازلى فى كتابه مناقب أمير المؤمنين -مخطوط، قال: قال رسول الله (ص) لعلى عليه السلام: إنك قسيم الجنة والنار، وأنت تفرع باب الجنة وتدخلها بغير حساب.

والخوارزمى فى المناقب/٢٣٤ ط. تبريز.

وأبو يعلى الحنبلى فى طبقات الحنابلة: ١/٣٢٠ ط. القاهرة، ذكر حكاية أحمد المتقدمة.

وابن الأثير فى نهاية اللغة: ٣/٢٨٤، قال: فى حديث على: أنا قسيم النار.

والحموينى فى فرائد السمطين، قال:

أخبرنا الشيخ شرف الدين أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الحسن بن عساكر سماعاً عليه قال: أخبرتنا زينب بنت أبى القاسم عبد الرحمان الشعري الجرجاني إجازة، أنا أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي، نبأ أبى أحمد بن عامر بن سليمان، نبأ أبو الحسن على بن موسى الرضا، حدثنى أبى موسى بن جعفر بن محمد، حدثنى أبى على بن أبى طالب قال: قال النبى (ص): يا على إنك قسيم النار، وإنك تفرع باب الجنة فتدخلها بغير حساب.

وقال: أنبأنى أبو الفضل بن أبى العباس مودود بن محمود عبد الله بن محمود الحنفى رحمه الله قال أنا أبو جعفر عمر بن محمد بن معمر بن طرزة الدارمى قال: أنا أبو القاسم بن أبى عبد الرحمان بن أبى نصر المستملى الشحامى إجازة قال: أنبأ أبو بكر بن الحسين الحافظ قال: أنا أبو الحسين بن الفضل القطامى قال: أنا عبد الله بن جعفر قال: ثنا يعقوب: قال حدثنى يحيى بن عبد الحميد قال: ثنا على بن معمر عن موسى بن طريف، عن عباية، عن على قال: أنا قسيم النار، إذا كان يوم القيامة قلت هذا لك وهذا لى.

وابن كثير فى البداية والنهاية/٣٥٥: ٧ ط. مصر، قال: لفظ عبد الله بن أحمد يعقوب بن سفيان: ثنا يحيى بن عبد الحميد، ثنا على بن مسهر، عن الأعمش، عن موسى بن طريف، عن عباية، عن على قال: أنا قسيم النار، إذا كان يوم القيامة، قلت هذا لك، وهذا لى.

والعسقلانى فى لسان الميزان: ٣/٢٤٧ و ٢٤٨ ط. حيدر آباد الدكن، و: ٦ ص ١١٣

والمتمقى الهندي في منتخب كنز العمال (المطبوع بهامش المسند: ٥/٥٢ ط القديم بمصر) قال: عن علي قال: أنا قسيم النار.

والصديقي في مجمع بحار الأنوار (٣/١٤٤ ط نول كشور) قال: وفي الحديث: علي قسيم النار.

والكشفي الترمذي في المناقب المرتضوية/٩١ ط. بمبئي، عن سنن الدارقطني والصواعق المحرقة لابن حجر المكي.

والمناوي في كنوز الحقائق/٩٨، ط. بولاق بمصر، قال: قال رسول الله (ص): علي قسيم النار.

والبدخشي في مفتاح النجا/٤٦ مخطوط، قال: وأخرج الدارقطني عن علي كرم الله وجهه قال: قال رسول الله (ص): يا علي أنت قسيم

النار يوم القيامة.

والزيدي في تاج العروس: ٢/٢٥ ط. القاهرة، ذكر قول علي (رض): أنا قسيم النار.

والقندوزي في ينابيع المودة/٨٤ ط إسلامبول، قال:

وفي جواهر العقدين: قد أخرج الدارقطني، عن أبي الطفيل عامر بن وائل الكناني أن علياً قال حديثاً طويلاً في الشورى، وفيه أنه قال

لأهل الشورى: فأشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت قسيم النار والجنة غيري؟ قالوا: اللهم لا.

وفي صفحة ٨٥:

وفي المناقب عن أبي الطفيل عامر بن وائل، وفيه (يا علي لو أن رجلاً أحبك وأولادك في الله، لحشره الله معك ومع أولادك. وأنتم

معي في الدرجات العلى، وأنت قسيم الجنة والنار، تدخل محبيك الجنة ومبغضيك النار.

والصفوري، في مختصر المحاسن المجتمعة في فضائل الخلفاء الأربعة/١٦٧ ط. دار ابن كثير، دمشق وبيروت.

والعدوي الحمراوي في مشارق الأنوار/١٢٢ ط. مصر، عن جواهر العقدين أن المأمون قال لعلي الرضا... انتهى.

وقال في هامش مناقب أمير المؤمنين (ع): ٢/٥٢٧

وروى ابن قتيبة في آخر غريب كلام أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب غريب الحديث: ٢/١٥٠، ط ١، قال: وقول علي: أنا قسيم

النار، يرويه عبد الله بن داود، عن الأعمش، عن موسى بن طريف.

قال ابن قتيبة: أراد علي أن الناس فريقان: فريق معي فهم على هدى، وفريق علي فهم على ضلال كالخوارج. فأنا قسيم النار، معناه:

نصف الناس في الجنة معي، ونصف في النار. وقسيم: في معنى مقاسم مثل جليس وأكيل وشريب.

وليلاحظ مادة قسم من الغريبين والنهائية والفاثق ولسان العرب.

وروى المرشد بالله يحيى بن الحسن الشجري في فضائل علي عليه السلام كما في ترتيب أماليه/١٣٤، ط. مصر، قال: أخبرنا أبو طاهر

محمد بن علي بن محمد الواعظ المقرئ المعروف بابن العلاء بقراءة علي عليه قال: أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن محمد بن ميشم

قال: أخبرنا أبو أحمد القاسم بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب قال: حدثنا أبي جعفر بن محمد

عن أبيه محمد بن عبد الله، عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه: الحسين بن علي (عليهما السلام) قال: قال لي أبي

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: أنا قسيم النار. فقال عمار بن ياسر: إنما عنى بذلك أن كل من معي فهو على الحق،

وكل من مع معاوية على الباطل ضالاً مضلاً...

ثم قال المرشد بالله يحيى بن الحسين الشجري: أخبرنا أبو الفضل عبيد الله بن أحمد بن علي المقرئ ابن الكوفي بقراءة علي عليه قال:

أخبرنا أبو حفص عمر بن إبراهيم بن أحمد الكناني المقرئ قال: حدثنا أبو الحسين عمر بن الحسن القاضي الأشناني قال: حدثنا

إسحاق بن الحسن الحربي قال: حدثني محمد بن منصور الطوسي قال: كنا عند أحمد بن حنبل فقال له رجل: يا أبا عبد الله ما تقول في

هذا الحديث الذي يروى أن علياً عليه السلام قال: أنا قسيم النار؟

فقال أحمد: وما تنكر من ذا؟! أليس روي أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: لا- يجبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا

منافق؟!... وانظر الحكاية ٧ و ٩ من خاتمة أربعين منتجب الدين. وهذا رواه أيضاً ابن القاضي أبي يعلى الحنفي في كتاب طبقات

الحنابلة: ٣٢٠/١. وقريباً منه رواه أيضاً ابن عساكر في الحديث: ٧٧٥ من ترجمة علي من تاريخ دمشق: ٢/٢٥٣ ط ٢، وفيما قبله وما بعده شواهد جمّة للمقام.

ونقل في إحقاق الحق: ٢٠/٢٥١

عن كتاب (آل محمد) لحسام الدين المردى الحنفى صفحة ٣٢، والنسخة مصورة من مكتبة العلامة المحقق السيد الأشكوري، قال: عن أبي سعيد الخدرى قال: قال رسول الله (ص): إذا سألتم الله عز وجل فاسألوه لى الوسيلة، فسئل عنها فقال: درجة فى الجنة، وهى ألف مرقاة ما بين المرقاء إلى المرقاة يسير الفرس الجواد شهراً، مرقاة زبرجد إلى مرقاة لؤلؤ، إلى مرقاة ينجوج، إلى مرقاة نور، وهكذا من أنواع الجواهر، فهى فى بين النبيين كالقمر بين الكواكب، فينادى المنادى: هذه درجة محمد خاتم الأنبياء، وأنا يومئذ متزى بريطة من نور على رأسى تاج الرسالة واكليل الكرامة، وعلى بن أبى طالب أمامى ويده لوائى وهو لواء الحمد مكتوب عليه لا اله إلا الله، محمد رسول الله، على ولى الله، وأولياء على المفتولون الفائزون بالله.

حتى أصعد أعلى منها وعلى أسفل منى بدرجة ويده لوائى، فلا يبقى يومئذ رسول ونبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن، إلا رفعوا أعينهم ينظرون إلينا ويقولون: طوبى لهذين العبدى ما أكرمهما على الله، فينادى المنادى يسمع نداءه جميع جميع الخلائق: هذا حبيب الله محمد، وهذا ولى الله على.

فيأتى رضوان خازن الجنة فيقول: أمرنى ربى أن آتيتك بمفاتيح الجنة فأدفعها إليك يا رسول الله، فأقبلها أنا فأدفعها إلى أخى على. ثم يأتى مالك خازن النار فيقول: أمرنى ربى أن آتيتك بمقاليد النار فأدفعهما إليك يا رسول الله، فأقبلها أنا فأدفعهما إلى أخى على. فيقف على على غمرة جنهم يأخذ زمامها بيده وقد علا زفيرها واشتد حرها، فتنادى جهنم: يا على ذرنى فقد أطفأ نورك لهبى، فيقول لها على: ذرى هذا ولى، وخذى هذا عدوى، فلجنهم يومئذ أشد مطاوعة لعلى فيما يأمرها به من رق أحدكم لصاحبه، ولذلك كان على قسيم النار والجنة. انتهى.

وقد قوى ابن أبى الحديد المعتزلى حديث قسيم الجنة والنار فى شرح نهج البلاغة: ١٠ جزء ١٩/١٣٩، وفى: ٥ جزء ٩/١٦٥: وقال (وهو ما يطابق الأخبار).

وأخيراً: فإن مما يؤيد صحة حديث (على قسيم النار والجنة) أن مخالفه وضعوا حديثاً بأن أبى بكر قسيم الجنة والنار، وقد شهد محبو أبى بكر بأنه موضوع، فلا بد أن يكون الدافع لوضعه أن يقابلوا به حديثاً معروفاً يحتج به الشيعة..

قال ابن حبان فى المجروحين: ١/١٤٥

أحمد بن الحسن بن القاسم شيخ كوفى: يضع الحديث على الثقات.. روى عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): إذا كان يوم القيامة نادى من تحت العرش: ألا هاتوا أصحاب محمد (ص) فيؤتى بأبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب (رض) قال فيقال لأبى بكر: قف على باب الجنة فأدخل من شئت برحمة الله، وادراً من شئت بعلم الله.. إلخ.

ثم قال ابن حبان: الحديث موضوع لا أصل له. انتهى.

حديث: قسيم النار والجنة، فى مصادرنا

التعبير الأصلى فى مصادرنا عن هذه الصفة لعلى عليه السلام أنه (قسيم الله بين الجنة والنار)، وقد ورد هذا التعبير فى الكافى ١/١٩٦، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال:

وكان أمير المؤمنين صلوات الله عليه كثيراً ما يقول: أنا قسيم الله بين الجنة والنار، وأنا الفاروق الأكبر وأنا صاحب العصا والميسم... إلخ.

وفى الكافى: ١/٩٨

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا قسيم الله بن الجنة والنار، لا يدخلها داخل إلا على حد قسمى، وأنا الفاروق الأكبر، وأنا الإمام لمن

بعدي، والمؤدى عن من كان قبلي، لا يتقدمنى أحدٌ إلا أحمد صلى الله عليه وآله. انتهى.

ونحوه فى علل الشرائع: ١/١٦٤، وفى بصائر الدرجات/٤١٤

وقد جعله الصدوق عنواناً فى علل الشرائع: ١/١٦١، فقال:

قسيم الله بين الجنة والنار:

حدثنا أحمد بن الحسن القطان قال: حدثنا أحمد بن يحيى بن زكريا أبو العباس القطان قال: حدثنا محمد بن إسماعيل البرمكى قال:

حدثنا عبد الله بن داهر قال: حدثنا أبى، عن محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر قال:

قلت لأبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق: لم صار أمير المؤمنين على بن أبى طالب قسيم الجنة والنار؟

قال: لأن حبه إيمان وبغضه كفر، وإنما خلقت الجنة لأهل الإيمان، وخلقت النار لأهل الكفر، فهو عليه السلام قسيم الجنة والنار، لهذه

العلة فالجنة لا يدخلها إلا أهل محبته، والنار لا يدخلها إلا أهل بغضه.

قال المفضل: فقلت يا بن رسول الله فالأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) كانوا يحبونه وأعداؤهم كانوا يبغضونه؟

قال: نعم.

قلت: فكيف ذلك؟

قال: أما علمت أن النبى صلى الله عليه وآله قال يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، ما يرجع حتى

يفتح الله على يديه، فدفعت الراية إلى على ففتح الله تعالى على يديه.

قلت: بلى.

قال: أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أتى بالطائر المشوى قال: اللهم إئتني بأحب خلقك إليك وإلى، يأكل معى من

هذا الطائر، وعنى به علياً؟

قلت: بلى.

قال: فهل يجوز أن لا يحب أنبياء الله ورسله وأوصياؤهم (عليهم السلام) رجلاً يحبه الله ورسوله، ويحب الله ورسوله.

فقلت له: لا.

قال: فهل يجوز أن يكون المؤمنون من أممهم لا يحبون حبيب الله وحبيب رسوله وأنبيائه (عليهم السلام)؟

قلت: لا.

قال: فقد ثبت أن أعدائهم والمخالفين لهم كانوا لهم ولجميع أهل محبتهم مبغضين.

قلت: نعم.

قال: فلا- يدخل الجنة إلا- من أحبه من الأولين والآخرين، ولا يدخل النار إلا من أبغضه من الأولين والآخرين، فهو إذن قسيم الجنة

والنار.

قال المفضل بن عمر: فقلت له يا بن رسول الله فرجت عنى فرج الله عنك، فزدنى مما علمك الله.

قال: سل يا مفضل.

فقلت له: يا بن رسول الله فعلى بن أبى طالب عليه السلام يدخل محبه الجنة وبغضه النار؟ أو رضوان ومالك؟

فقال: يا مفضل أما علمت أن الله تبارك وتعالى بعث رسول صلى الله عليه وآله وهو روح إلى الأنبياء (عليهم السلام)، وهم أرواح قبل

خلق الخلق بألقى عام؟

قال: أما علمت أنه دعاهم إلى توحيد الله وطاعته واتباع أمره، ووعدهم الجنة على ذلك، وأوعد من خالف ما أجابوا إليه وأنكره النار؟

قلت: بلى.

قال: أفليس النبي صلى الله عليه وآله ضامناً لما وعد وأوعد عن ربه عز وجل؟

قلت: بلى.

قال: أوليس على بن أبي طالب خليفته وإمام أمته؟

قلت: بلى.

قال: أو ليس رضوان ومالك من جملة الملائكة والمستغفرين لشيعة الناجين بمحبته؟

قلت: بلى.

قال: فعلى ابن أبي طالب إذن قسيم الجنة والنار عن رسول الله صلى الله عليه وآله، ورضوان ومالك صادران عن أمره، بأمر الله تبارك وتعالى.

يا مفضل خذ هذا، فإنه من مخزون العلم ومكنونه، لا تخرجه إلا إلى أهله.

وفى كفاية الأثر/ ١٥١

أخبرنا القاضي المعافا بن زكريا، قال حدثنا علي بن عتبة، قال حدثني الحسين بن علوان، عن أبي علي الخراساني، عن معروف بن خربوذ، عن أبي الطفيل، عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

أنت الوصي على الأموات من أهل بيتي، والخليفة على الأحياء من أمتي، حربك حربى وسلمك سلمى، أنت الإمام أبو الأئمة الأحد عشر من صلبك، أئمة مطهرون معصومون، ومنهم المهدي الذي يملا الدنيا قسطاً وعدلاً، فالويل لمبغضكم.

يا علي لو أن رجلاً أحب في الله حجراً لحشره الله معه، وإن محبيك وشيعتك ومحبي أولادك الأئمة بعدك يحشرون معك، وأنت معى في الدرجات العلى، وأنت قسيم الجنة والنار، تدخل محبيك الجنة ومبغضيك النار.

وفى مناقب آل أبي طالب: ٢/٩

قال الزمخشري في الفايق: معنى قول علي أنا قسيم النار، أى مقاسمها ومساهمها يعنى أن القوم على شطرين مهتدون وضالون، فكأنه قاسم النار إياهم فشطرها وشطره معه في الجنة.

ولقد صنف محمد بن سعيد كتاب: من روى في علي أنه قسيم النار.

وفى إحقاق الحق: ١٧/١٦٤

عن العدوى الحمراء فى مشارق الأنوار/ ١٢٢ ط. مصر، عن جواهر العقدين أن المأمون قال لعلى الرضا: بأى وجه جدك علي بن أبى طالب قسيم الجنة والنار؟

فقال: يا أمير المؤمنين ألم ترو عن أبيك، عن آبائه، عن عبد الله بن عباس أنه قال سمعت رسول الله (ص) يقول: حب علي إيمان وبغضه كفر.

فقال: بلى.

قال الرضا: فقسمة الجنة والنار إذاً كان على حبه وبغضه.

فقال المأمون: لا أبقانى بعدك يا أبا الحسن، أشهد أنك وارث علم رسول الله (ص).

قال أبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروى: فلما رجع الرضا إلى بيته قلت له: يا بن رسول الله ما أحسن ما أجبته به أمير المؤمنين.

فقال: يا أبا الصلت ما أجبته إلا من حيث هو، ولقد سمعت أبى يحدث عن أبيه، عن علي (رض)، قال: قال لى رسول الله (ص): أنت قسيم الجنة والنار، فيوم القيامة، تقول للنار هذا لى، وهذا لك. انتهى.

وراجع أيضاً: بصائر الدرجات/ ٤١٤، والخصال/ ٩٦، والاحتجاج: ١/١٨٩ و ٤٠٦، وإعلام الورى / ١٨٧، ومناقب آل ابى طالب: ٢/٦،

ومناقب أمير المؤمنين عليه السلام: ٢ / ٤٦٢، والأربعين حديثاً للمتنبج الرازى/ ٨٧

حديث قسيم الجنة والنار في الشعر

في مناقب آل أبي طالب: ٢/٩

قال السيد (الحميري):

ذاك قسيم النار من قبله خذى عدوى وذرى ناصرى

ذاك على بن أبي طالب صهر النبي المصطفى الطاهر

وله أيضاً:

على قسيم النار من قبله ذرى ذا وهذا فاشربى منه واطعمى

خذى بالشوى ممن يصيبك منهم ولا تقربى من كان حزبى فتظلمى

وله أيضاً:

قسيم النار هذا لك وذا لى ذريه إنه لى ذو ووداد

يقاسمها فينصفها فترضى مقاسمته المعادل غير عاد

كما انتقد الدراهم صيرفى ينقى الزايفات من الجياد

وقال العونى:

يسوق الظالمين إلى جحيم فويل للظلم الناصبى

يقول لها خذى هذا فهذا عدوى فى البلاء على الشقى

وخلى من يوالينى فهذا رفيقى فى الجنان وذا وليى

وقال غيره:

وإنى لارجو يا إلهى سلامهً بعفوك من نار تلظى همومه

أبا حسن لو كان حبك مدخلى جهنم كان الفوز عندى جحيمه

وكيف يخاف النار من هو موقنٌ بأن أمير المؤمنين قسيمه

وقال الزاهى:

يا سيدى يابن أبى طالب يا عصمة المعتف والجار

لا تجعلن النار لى مسكناً يا قاسم الجنة والنار

وقال غيره:

على حبه جنة قسيم النار والجنة

وصى المصطفى حقاً إمام الانس والجنة

وفى مناقب آل ابى طالب: ٣/٢٨

وقال الناشئ:

فما لابن أبى طالب المفضل من ند

هو الحامل فى الحشر بكفيه لوا الحمد

قسيم النار والجنة بين الند والضد

وفى ديوان دعبل الخراعى/ ١٢٦

قسيم الجحيم فهذا له وهذا لها باعتدال القسيم
 يزود عن الحوض أعداءه فكم من لعين طريد وكم
 فمن ناكثين ومن قاسطين ومن مارقين ومن مجترم

على أول الواردين على النبي عند حوض الكوثر

وردت أحاديث تنص على أن علياً عليه السلام أول وارد على رسول الله على حوضه يوم القيامة، وقد تعرض لها الأئمة رحمهم الله في الغدير: ٣/٢٢٠، وما بعدها، ونكتفى بذكر نماذج منها، قال:

قال صلى الله عليه وآله: أولكم وارداً وروداً على الحوض: أولكم إسلاماً، علي بن أبي طالب. أخرجه الحاكم في المستدرک ٣/١٣٦، وصححه، والخطيب البغدادي في تاريخه: ٢/٨١، ويوجد في الاستيعاب ٢/٤٥٧، وشرح ابن أبي الحديد ٣/٢٥٨ وفي لفظ: أول هذه الأمة وروداً على الحوض أولها إسلاماً علي بن أبي طالب ٢ - السيرة الحلبية ١/٢٨٥ - سيرة زيني دحلان ١/١٨٨، هامش الحلبية. وفي لفظ: أول الناس وروداً على الحوض أولهم إسلاماً علي بن أبي طالب - مناقب الفقيه ابن المغازلي، مناقب الخوارزمي. انتهى. وفي مناقب أمير المؤمنين (ع): ١/٢٨٠

محمد بن سليمان، عن محمد بن منصور، عن الحكم بن سليمان، عن أبي زكريا السمسار، عن محمد بن عبيد الله بن علي، عن أبيه عن جده، عن أبي ذر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أولكم وروداً على الحوض أولكم إسلاماً علي بن أبي طالب. انتهى.

ورواه في كنز العمال: ١١/٦١٦، وقال عنه (ك). ولم يصححه، والخطيب - عن سليمان. انتهى.

وليس من عادة العمال عندما ينقل حديثاً أن يقول (رواه فلانٌ ولم يصححه) ولكنهم يستعملون هذا التعبير للتبرؤ من تبني الحديث. وبذلك أراد صاحب كنز العمال أن يبعد عن نفسه تهمة التشيع! لأن هذا الحديث يجعل علياً أول من أسلم وليس أبا بكر! وأول من يرد المحشر والحوض، وليس عمر!

وفي مجمع الزوائد: ٩/١٠٢

وعن سلمان قال أول هذه الأمة وروداً على نبيها (ص) أولها إسلاماً علي بن أبي طالب (رض). رواه الطبراني ورجاله ثقات.

وعن ابن عباس قال: أول من أسلم علي (رض). رواه الطبراني، وفيه عثمان الجزري ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

وفي كنز العمال: ١١/٦٠١

السبقت ثلاثة: فالسابق إلى موسى يوشع بن نون، والسابق إلى عيسى صاحب يس والسابق إلى محمد علي بن أبي طالب (طب)، وابن مردويه، عن ابن عباس).

الصديقون ثلاثة: حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبیب النجار صاحب آل يس، وعلي بن أبي طالب. (ابن النجار، عن ابن عباس).

وفي مجمع الزوائد: ٩/١٠٢

عن ابن عباس عن النبي (ص) قال: السبقت ثلاثة، السابق إلى موسى يوشع بن نون، والسابق إلى عيسى صاحب ياسين، والسابق إلى محمد (ص) علي بن أبي طالب (رض).

رواه الطبراني وفيه حسين بن حسن الأشقر، وثقه ابن حبان وضعفه الجمهور، وبقية رجاله حديثهم حسن أو صحيح.

لا يعبر إنسان الصراط إلا بجواز من على

في تاريخ بغداد: ١٠/٣٥٧

عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: إن على الصراط لعقبة لا يجوزها أحد إلا بجواز من على بن أبي طالب.
وفى تاريخ بغداد: ٣/١٦١

وفى حديث ابن عباس قال: قلت للنبي (ص): يارسول الله للنار جواز؟
قال: نعم.

قلت: وما هو؟

قال: حب على بن أبي طالب.

وفى الصواعق المحرقة لابن حجر/١٩٥

عن أبي بكر بن أبي قحافة سمعت رسول الله (ص) يقول: لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له على الجواز.

عنوان صحيفة المؤمن يوم القيامة حب على

في تاريخ بغداد: ٤/٤١٠

عن أنس قال: والله الذي لا إله إلا هو لسمعت رسول الله (ص) يقول: عنوان صحيفة المؤمن حب على بن أبي طالب.

وفى المعجم الكبير للطبراني: ١١/٨٣

عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): لا تزول قدماً عبد يوم القيامة حتى يسأل... وعن حنا أهل البيت.

وفى الفضائل/١١٤

وروى أنس بن مالك قال سمعت أذناى أن رسول الله (ص) يقول فى على بن أبى طالب عليه السلام: عنوان صحيفة المؤمن يوم القيامة حب على.

من هو المخاطب بقوله تعالى: ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد

قال الله تعالى:

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصُرَكُمُ الْيَوْمَ حديدٌ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٍ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلٌّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطَعَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَىٰ وَقَدْ قَدَّمْتُمُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ. ق ٢٠ - ٢٩

والسؤال هنا: من هما المخاطبان بقوله تعالى (ألقيا) المأموران بإلقاء الكفارين العنيدين فى جهنم؟

وقد أجاب أكثر المفسرين بأن المأمور بذلك هو القرين وهو واحد!

لكن الأمر جاء بصيغة المثنى للتأكيد!!!

قال الطبرى فى تفسيره: ٢٧/ ١٠٣ (فأخرج الأمر للقرين وهو بلفظ واحد مخرج الإثنيين، وفى ذلك وجهان من التأويل: أحدهما أن يكون القرين بمعنى الإثنيين... والثانى أن يكون كما قال بعض أهل العربية وهو أن العرب تأمر الواحد والجماعة بما تأمر به الإثنيين. انتهى.

وقال الرازى فى تفسيره: ٢٧/١٦٥

ثم يقال للسائق أو للشهيد: أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلٌّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ فيكون هو أمراً لواحد، وفيه وجهان: أحدهما أنه ثنى تكرر الأمر كما يقال ألق ألق، وثانيهما عادة العرب ذلك. انتهى.

وذكر شبيهاً به بعض مفسرينا، كما في التبيان: ٩/٣٦٦، وإملاء ما من به الرحمن: ٢/٢٤٢! ولكن لا يمكن قبول هذا الرأي: أولاً لأنه يخالف مصداقية النص القرآني الدقيقة دائماً، خاصة أنه تعالى كرر التثنية فقال (فألقياه في العذاب الشديد). فما ذكره الطبري والرازي وغيرهما، مضافاً إلى تهافته، لا يمكن قبوله.

وثانياً: أن الظاهر من الآيات أن القرين ملقى في جهنم أيضاً، وأن تخصصه مع صاحبه داخل جهنم، فكيف يكون مقرباً عند الله تعالى، ومأموراً بإلقاء الكفارين فيها؟! فلم يبق وجه للتثنية إلا أن يكون المخاطبان هما السائق والشهيد.

ولكن يرد عليه: أن الالتقاء في النار عمل آخر غير السوق للمحشر والشهادة في الحساب. وأن المشهد في الآيات لشخصين: شخص كفار عنيد مناع للخير، وقرينه قرين السوء.. الخ. وهي تتناسب مع أمر اثنين بإلقائهما في جهنم!

وهذا يقوى ما ورد في مصادرنا وبعض المصادر السنية من أن المأمورين في الآية هما محمد صلى الله عليه وآله وعلى عليه السلام. وقال في هامش مناقب أمير المؤمنين عليه السلام: ٢/٥٢٧

في مناقب علي المطبوع في خاتمة مناقب ابن المغازلي/٤٢٧ ط ١، قال: حدثنا أبو الأغر أحمد بن جعفر الملقى قدم علينا في سنة سبع وعشرين وثلاث مائة قال: حدثنا محمد بن الليث الجوهري قال: حدثنا محمد بن الطفيل قال: حدثنا شريك بن عبد الله قال: كنت عند الأعمش وهو عليل فدخل عليه أبو حنيفة وابن شبرمة وابن أبي ليلى فقالوا: يا أبا محمد إنك في آخر أيام الدنيا وأول أيام الآخرة، وقد كنت تحدث في علي بن أبي طالب بأحاديث فتب إلى الله منها!!

فقال الأعمش: أسندوني أسندوني. فأسند فقال:

حدثنا أبو المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة قال الله تبارك وتعالى لي ولعلي: ألقيا في النار من أبغضكما، وأدخلا- في الجنة من أحبكما، فذلك قوله تعالى: أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ. فقال أبو حنيفة للقوم: قوموا لا يجئ بشئ أشد من هذا.

ورواه الحافظ الحسكاني في تفسير الآية (٢٣) من سورة (ق) من شواهد التنزيل بسنده عن الكلابي، وبسند آخر، ثم قال: ورواه أيضاً الحماني عن شريك: حدثني أبو الحسن المصباحي، حدثنا أبو القاسم علي بن أحمد بن واصل، حدثنا عبد الله بن محمد بن عثمان، حدثنا يعقوب بن إسحاق من ولد عباد بن العوام، حدثنا يحيى بن عبد الحميد، عن شريك، عن الأعمش قال: حدثنا أبو المتوكل الناجي: عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة قال الله تعالى لمحمد وعلي: أَدْخِلَا الْجَنَّةَ مِنْ أَحْبَبَكُمَا، وَأَدْخِلَا النَّارَ مِنْ أَبْغَضَكُمَا، فَيَجْلِسُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي جَهَنَّمَ يَقُولُ لَهَا: هَذَا لِي وَهَذَا لَكَ! وَهُوَ قَوْلُهُ: أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ. ثم رواه بأسانيد أخر...

ورواه أيضاً الطوسي في الحديث: ٩ - ١١ من أماليه: ١/٢٩٦ ط ٣، قال: قال أبو محمد الفحام: حدثني أبو الطيب محمد بن الفرحان الدوري قال: حدثنا محمد بن علي بن فرات الدهان، قال: حدثنا سفيان بن وكيع، عن أبيه عن الأعمش: عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يقول الله تعالى يوم القيامة لي ولعلي بن أبي طالب: أَدْخِلَا الْجَنَّةَ مِنْ أَحْبَبَكُمَا وَأَدْخِلَا النَّارَ مِنْ أَبْغَضَكُمَا. وذلك قوله تعالى: أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ.

وقريباً منه رواه بسند آخر في الحديث (٣٢) من المجلس ١٣، من: ١/٣٧٨ ورواه أيضاً بسنده عن أبي المفضل الشيباني في الحديث: (٧) من المجلس: (١٢) من أماليه: ٢/٦٣٩ ط. بيروت، قال: قال أبو المفضل: حدثنا إبراهيم بن حفص بن عمر العسكري بالمصيصة قال:

حدثنا عبيد بن الهيثم بن عبيد الله الأنماطي البغدادي بحلب قال: حدثني الحسن بن سعيد النخعي ابن عم لشريك، قال: حدثني شريك بن عبد الله القاضي قال: حضرت الأعمش في علة التي قبض فيها، فبينما أنا عنده إذ دخل عليه ابن شبرمة وابن أبي ليلى وأبو حنيفة فسألوه عن حاله فذكر ضعفاً شديداً، وذكر ما يتخوف من خطيئاته وأدر كته ذممة فبكي.

فأقبل عليه أبو حنيفة فقال: يا أبا محمد اتق الله وانظر لنفسك، فإنك في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة، وقد كنت تحدث في علي بن أبي طالب بأحاديث لو رجعت عنها كان خيراً لك.

قال الأعمش: مثل ماذا يا نعمان؟

قال: مثل حديث عباية: أنا قسيم النار!

قال: أو لمثلي تقول هذا يا يهودي؟!

أقعدوني سندوني أقعدوني! حدثني - والذي مصيري إليه - موسى بن طريف ولم أر أسدياً كان خيراً منه، قال: سمعت عباية بن ربيعي إمام الحنابلة قال: سمعت علياً أمير المؤمنين عليه السلام يقول: أنا قسيم النار، أقول هذا وليي دعيه وهذا عدوي خذييه.

وحدثني أبو المتوكل الناجي علي بن داوود... عن أبي سعيد الخدري (رض) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة يأمر الله عز وجل فأقعد أنا وعلى وعلى الصراط، ويقال لنا: أدخلوا الجنة من آمن بي وأحبكم، وأدخلوا النار من كفر بي وأبغضكم.

ثم قال أبو سعيد: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما آمن بالله من لم يؤمن بي، ولم يؤمن بي من لم يتول - أو قال: لم يحب - علياً، وتلا: أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ. قال: فجعل أبو حنيفة إزاره على رأسه وقال: قوموا بنا لا يجينا أبو محمد بأطم من هذا.

قال الحسن بن سعيد: قال لي شريك بن عبد الله: فما أمسى يعني الأعمش حتى فارق الدنيا رحمه الله.

وقريبا منه رواه أيضاً الشيخ السديد السعيد المفيد أبو سعيد محمد بن أحمد بن الحسين الخزاعي جد الشيخ أبي الفتوح الرازي في الحديث (١٤) من أربعينه قال: وعن محمد بن تميم الواسطي، عن الحمانى عن شريك قال: كنت عند سليمان الأعمش في مرصه... ورواه أيضاً في الحديث العاشر منه بسند آخر وزيادة، ومثله رواه ابن المغازلي في الحديث (٩٧) من مناقب علي/٦٧. انتهى.

وروى فرات هذا المعنى في تفسيره بعدة طرق، قال في/٤٣٩:

حدثني علي بن محمد الزهري معنعناً عن صباح المزني قال: كنا نأتي الحسن بن صالح وكان يقرأ القرآن، فإذا فرغ من القرآن سأله أصحاب المسائل حتى إذا فرغوا قام إليه شاب فقال له: قول الله تعالى في كتابه: أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ؟ فكنت نكتة في الأرض طويلاً ثم قال: عن العنيد تسألني؟ قال: لا، أسألك عن (ألقيا) قال: فمكث الحسن ساعة ينكت في الأرض ثم قال: إذا كان يوم القيامة يقوم رسول الله (ص) وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب علي شفير جهنم، فلا يمر به أحد من شيعته إلا قال: هذا لي وهذا لك).

ورواه في تفسير القمي: ٢/٣٢٤، بسنده عن فرات.

وفي تفسير فرات/٤٣٧

عن جعفر عن أبيه عن آبائه (عليهم السلام) قال قال النبي صلى الله عليه وآله: إن الله تبارك وتعالى إذا جمع الناس يوم القيامة وعدني المقام المحمود وهو واف لي به، إذا كان يوم القيامة نصب لي منبر له ألف درجة، لا - كما راقكم، فأصعد حتى أعلو فوقه فيأتيني جبرئيل بلواء الحمد فيضعه في يدي ويقول: يا محمد هذا المقام المحمود الذي وعدك الله تعالى، فأقول لعلي: إصعد، فيكون أسفل مني بدرجة، فأضع لواء الحمد في يده.

ثم يأتي رضوان بمفاتيح الجنة فيقول: يا محمد هذا المقام المحمود الذي وعدك الله تعالى، فيضعها في يدي فأضعها في حجر علي بن أبي طالب.

ثم يأتي مالك خازن النار فيقول: يا محمد هذا المقام المحمود الذي وعدك الله تعالى، هذه مفاتيح النار، أدخل عدوك وعدو ذريتك وعدو أمتك النار، فأخذها وأضعها في حجر علي بن أبي طالب.

فالنار والجنة يومئذ أسمع لي ولعلي من العروس لزوجها، فهو قول الله تبارك وتعالى في كتابه: أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ. ألق يا

محمد ويا على عدوكما في النار ثم أقوم فأثنى على الله ثناء لم يشن عليه أحد قبلي، ثم أثنى على الملائكة المقربين، ثم أثنى على الأنبياء والمرسلين، ثم أثنى على الأمم الصالحين، ثم أجلس فيثنى الله عليّ، ويثنى عليّ ملائكته، ويثنى عليّ أنبيأؤه ورسله، وتثنى عليّ الأمم الصالحة.

ثم ينادى مناد من بطان العرش: يا معشر الخلائق غضوا أبصاركم حتى تمر بنت حبيب الله إلى قصرها، فتمر فاطمة بنتي عليها ريطان خضراوان حولها سبعون ألف حوراء، فإذا بلغت إلى باب قصرها وجدت الحسن قائماً والحسين قائماً مقطوع الرأس فتقول للحسن: من هذا؟ فيقول هذا أخي، إن أمه أبيك قتلوه وقطعوا رأسه، فيأتيها النداء من عند الله: يا بنت حبيبي إني إنما أريتك ما فعلت به أمه أبيك لأنني ادخرت لك عندى تعزية بمصيبتك فيه إني جعلت لتعزيتك بمصيبتك فيه أنى لا أنظر في محاسبة العباد حتى تدخل الجنة أنت وذريتك وشيعتك، ومن أولاكم معروفاً ممن ليس هو من شيعتك، قبل أن أنظر في محاسبة العباد!

فتدخل فاطمة ابنتي الجنة وذريتها وشيعتها ومن أولها معروفاً ممن ليس هو من شيعتها، فهو قول الله تعالى في كتابه: لا يحزنهم الفزع الأكبر...

وفى تفسير فرات الكوفي/٤٣٨

عن جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال: إذا كان يوم القيامة نصب منبر يعلو المنابر فيتناول الخلائق لذلك المنبر، إذ طلع رجل عليه حلتان خضراوان، مترر بواحدة مترد بأخرى، فيمر بالملائكة فيقولون هذا منا، فيجوزهم، ثم يمر بالشهداء فيقولون هذا منا، فيجوزهم، ويمر بالنبيين فيقولون هذا منا، فيجوزهم حتى يصعد المنبر.

ثم يجيء رجل آخر عليه حلتان خضراوان مترر بواحدة مترد بأخرى فيمر بالشهداء فيقولون هذا منا، فيجوزهم ثم يمر بالنبيين فيقولون هذا منا، فيجوزهم ويمر بالملائكة فيقولون هذا منا، فيجوزهم حتى يصعد المنبر.

ثم يغيبان ما شاء الله، ثم يطلعان فيعرفان: محمد صلى الله عليه وآله وعلى.

وعن يسار النبي ملك وعن يمينه ملك، فيقول الملك الذي عن يمينه: يا معشر الخلائق أنا رضوان خازن الجنان، أمرني الله بطاعته، وطاعة محمد، وطاعة علي بن أبي طالب. وهو قول الله تعالى: أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ، يامحمد ويا على.

ويقول الملك الذي عن يساره: يا معشر الخلائق أنا خازن جهنم، أمرني الله بطاعته، وطاعة محمد، وعلى!

وفى تأويل الآيات لشرف الدين: ٢/٦٠٩

تأويله: ما رواه الحسن بن أبي الحسن الديلمي بإسناده، عن جابر بن يزيد، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله عز وجل: وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ.

قال: السائق: أمير المؤمنين عليه السلام، والشهيد: رسول الله صلى الله عليه وآله. ويؤيد هذا التأويل: قوله تعالى لهما: أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ.

بيان ذلك ما ذكره أبو علي الطبرسي قال: روى أبو القاسم الحسكاني بإسناده عن الأعمش قال: حدثنا أبو المتوكل الناجي، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة يقول الله لي ولعلي: ألقيا في النار من أبغضكما وأدخلا الجنة من أحبكما، وذلك قوله تعالى: أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ.

وذكر الشيخ في أماليه... إلى آخر ما تقدم.

ويؤيده: ما روى بحذف الإسناد عن محمد بن حمران قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قوله عز وجل: أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ؟ فقال:

إذا كان يوم القيامة وقف محمد وعلى صلوات الله عليهما وآلهما على الصراط، فلا يجوز عليه إلا من كان معه براءة.

قلت: وما براءة؟ قال: ولاية علي بن أبي طالب والأئمة من ولده (عليهم السلام).

وينادى مناد: يا محمد يا علي: القيا في جهنم كل كفار بنبو تك عنيد لعلى بن ابى طالب وولده (عليهم السلام).

وذكر في هامشه من مصادره: تفسير البرهان: ٤ / ٢٢٢ ح ٢، عن الحسن بن أبى الحسن الديلمى. وشواهد التنزيل: ٢ / ١٩٠ ح ٨٩٦ ومجمع البيان ٩ / ١٤٧، وعنه البحار: ٣٦ / ٧٥ ونور الثقلين: ٥ / ١١٣ ح ٣٥ عنه البرهان: ٤ / ٢٢٧ ح ٤ والبحار: ٧ / ٣٣٨ ح ٢٦ و: ٣٩ / ٢٥٣ ح ٢٣ و: ٦٨ / ١١٧ ح ٤٣، عن أمالى الطوسى: ١ / ٣٧٨. انتهى.

وفى شواهد التنزيل للحسكاني: ٢ / ٢٦٥

عن على (ع) فى قوله تعالى (أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ...) قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله تبارك وتعالى إذا جمع الناس يوم القيامة فى صعيد واحد، كنت أنا وأنت يومئذ عن يمين العرش، فيقول لى ولك: قوما فألقيا من أبغضكما وخالفكما فى النار.

شفاعه على و الأئمة من ذريته

فى كثر العمال: ١٣ / ١٥٦

عن على قال: قال رسول الله (ص): إن أول خلق الله يكسى يوم القيامة أبى إبراهيم فيكسى ثوبين أبيضين ثم يقام عن يمين العرش، ثم ادعى فأكسى ثوبين أخضرين ثم أقام عن يسار العرش، ثم تدعى أنت يا على فتكسى ثوبين أخضرين ثم تقام عن يمينى، أفما ترضى أن تدعى إذا دعيت وتكسى إذا كسيت وأن تشفع إذا شفعت. الدارقطنى فى العلل، وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات وقال: تفرد به ميسرة بن حبيب النهدي والحكم بن ظهير عنه، والحكم كذاب.

قلت: الحكم روى له الترمذى، وقال فيه البخارى: منكر الحديث، وروى عنه القدماء سفيان الثورى ومالك، وك فصح له، وقد تابع ميسرة عن المنهال عمران بن ميثم، وهو الحديث الذى قبله. انتهى.

ويلاحظ أن المتقى الهندي رد على ابن الجوزى! ووثق الراويين اللذين تعلل بهما ابن الجوزى لتضعيف الحديث، ثم ذكر له متابعا وبذلك يقول لابن الجوزى: إذا أصريت على تضعيفه فهو حسن أو صحيح بمتابعه!

ويقصد بالحديث الذى قبله رقم ٣٦٤٨١، وهو من مسند على قال:

قال لى رسول الله (ص): ألا ترضى يا على إذا جمع الله الناس فى صعيد واحد حفاة عراة مشاة قد قطع أعناقهم العطش، فكان أول من يدعى إبراهيم فيكسى ثوبين أبيضين ثم يقوم عن يمين العرش، ثم يفجر لى مثعب من الجنة إلى حوضى، وحوضى أعرض مما بين بصرى وصنعاء فيه عدد نجوم السماء قدحان من فضة، فأشرب وأتوضأ وأكسى ثوبين أبيضين، ثم أقوم عن يمين العرش، ثم تدعى فتشرب وتتوضأ وتكسى ثوبين أبيضين، فتقوم معى، ولا أدعى لخير إلا دعيت إليه؟ قلت: بلى.

(ابن شاهين فى السنة، طس وأبو نعيم فى فضائل الصحابة، أبو الحسن الميثمى: هذا حديث لا يصح وآفته عمران بن ميثم، وقال عق: عمران بن ميثم من كبار الرافضة يروى أحاديث سوء كذب) انتهى.

ويدل جعل المتقى الهندي لهذا الحديث متابعا ومؤيدا للحديث السابق، يدل على أنه لم يتأثر بما قالوه عن عمران بن ميثم، أو أن المؤيد عنده يتسع ليشمل محتمل الصحة بمطلق الإحتمال.

وفى شرح الأخبار: ٢ / ٢٠١، من حديث عن ابن عباس مع الشامى الناصبى:

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أم سلمة، اسمعى واحفظى واشهدى، هذا أخى فى الدنيا، وقرينى فى الآخرة.

يا أم سلمة، اسمعى واحفظى واشهدى، هذا على عيبه علمى، والباب الذى أوتى من قبله، والوصى على الأحياء من أهل بيتى، وهو معى فى السنام الأعلى، صاحب لوائى، والذائد عن حوضى، وصاحب شفاعتى.

يا أم سلمة، اسمعى واحفظى واشهدى، إن الله عز وجل دافع إلى يوم القيامة لواءين: لواء الحمد ولواء الشفاعه، ولواء الشفاعه بيدي، ولواء الحمد بيد على، وهو واقف على حوضى، لا يسقى من حوضى من شتمه أو شتم أهل بيته، ولا من قتله ولا من قتل أهل بيته.

فقال له الشامي: حسبك يا بن عباس رحمك الله، فرجت عنى كرتبى وأحييتنى وأحييت معى خلقاً، فأحياك الله الحياء الطيبة فى الدنيا والآخرة. أشهد الله وأشهدك ومن حضر أن علياً مولاي ومولى كل مسلم.

ثم انصرف إلى الشام فأعلم الذين أرسلوه بما كان من ابن عباس، فرجع معه خلق من أهل الشام عن سب على عليه السلام. وفى تفسير فرات الكوفى/ ١١٦

عن جعفر بن محمد، عن أبيه (عليهما السلام) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

يا على، إن فيك مثل من عيسى بن مريم قال الله تعالى: وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا. يا على، إنه لا يموت رجل يفترى على عيسى حتى يؤمن به قبل موته، ويقول فيه الحق حيث لا ينفعه ذلك شيئاً، وإنك على مثله لا يموت عدوك حتى يراك عند الموت فتكون عليه غيظاً وحنناً حتى يقر بالحق من أمرك، ويقول فيك الحق ويقر بولايتك حيث لا ينفعه ذلك شيئاً، وأما وليك فإنه يراك عند الموت، فتكون له شفيعاً ومبشراً وقره عين.

وفى بشارة المصطفى/ ١٢٥

أخبرنا الشيخ الرئيس أبو محمد الحسن بن الحسين بن بابويه فى خانقانه بالرى، فى شهر ربيع الأول سنة عشرة وخمسائة، وأخبرنا الشيخ أبو على الحسن بن محمد وأبو عبد الله محمد بن شهر يار الخازن، بمشهد مولانا أمير المؤمنين على بن أبى طالب، قال حدثنا الشيخ السعيد أبو جعفر محمد بن الحسن بن محمد الطوسى رحمه الله قال حدثنا الشيخ المفيد محمد بن محمد، قال حدثنى أبوبكر محمد بن عمر الجعابى، قال حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد، قال حدثنا أبو حاتم، قال حدثنا محمد بن الفرات، قال حدثنا حنان بن سدير، عن أبى جعفر محمد بن على الباقر عليه السلام قال: ما ثبت الله تعالى حب على فى قلب أحد فزلت له قدم إلا ثبت الله له قدما أخرى.

أخبرنا والدى أبو القاسم على بن محمد بن على الفقيه رحمه الله وعمار بن ياسر وولده أبو القاسم سعد بن عمار رحمهم الله جميعاً عن إبراهيم بن نصر الجرجانى، عن السيد الزاهد محمد بن حمزة الحسينى رحمهم الله، عن أبى عبد الله الحسين بن على بن بابويه رحمهم الله، قال حدثنا أبو الحسن على بن عيسى المجاور فى مسجد الكوفة، قال حدثنا اسماعيل بن رزين بن أخى دعبيل الخزاعى، عن أبيه، قال حدثنى على بن موسى الرضا، قال حدثنى أبى موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن على، قال حدثنى أبى الحسين بن على قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا على، أنت المظلوم بعدى فويل لمن قاتلك، وطوبى لمن قاتل معك.

يا على أنت الذى تنطق بكلامى، وتتكلم بلسانى بعدى، فويل لمن رد عليك وطوبى لمن قبل كلامك.

يا على، أنت سيد هذه الأمة بعدى، وأنت إمامها وخليفتى عليها، ومن فارقك فارقنى يوم القيامة، ومن كان معك كان معى يوم القيامة.

يا على، أنت أول من آمن بى وصدقنى، وأول من أعاننى على أمرى وجاهد معى عدوى وأنت أول من صلى معى والناس يومئذ فى غفلة الجهالة.

يا على، أنت أول من تنشق عنه الأرض معى، وأنت أول من يبعث معى، وأنت أول من يجوز الصراط معى، وإن ربى جل جلاله أقسم بعزته لا يجوز عقبه الصراط إلا من كان له براءة بولايتك وولاية الأئمة من ولدك.

وأنت أول من يرد حوضى، تسقى منه أولياءك وتذود عنه أعداءك.

وأنت صاحبى إذا قمت المقام المحمود، تشفع لمحبتنا فيهم.

وأنت أول من يدخل الجنة ويديك لوائى لواء الحمد، وهو سبعون شقة الشقة منه أوسع من الشمس والقمر.

وأنت صاحب شجرة طوبى فى الجنة، أصلها فى دارك، وأغصانها فى دور شيعتك ومحبيك.

في المحاسن ١/١٨٣

عن معاوية بن وهب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: لا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا. قال: نحن والله المأذون لهم في ذلك اليوم، والقائلون صوابًا.

قلت: جعلت فداك، وما تقولون إذا تكلمتم؟

قال: نمجد ربنا ونصلي على نبينا، ونشفع لشيعتنا، فلا يردنا ربنا.

وبإسناده قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قوله: من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم. من هم؟ قال: نحن أولئك الشافعون.

وروى الأخير في تفسير العياشي: ١/١٣٦، وفي تفسير نور الثقلين: ١/٢٥٨ ورواه في البحار: ٨/٤١ عن المحاسن.

وفي بحار الأنوار: ٧/٣٣٥

جاء في روايات أصحابنا رضي الله عنهم مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: إني أشفع يوم القيامة فأشفع، ويشفع علي فيشفع، ويشفع أهل بيتي فيشفعون، وإن أدنى المؤمنين شفاعاً ليشفع في أربعين من إخوانه، كل قد استوجبا النار.

وفي بصائر الدرجات/٤٩٦

حدثنا أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن أبي أيوب، عن بريد العجلي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ؟ قال: أنزلت في هذه الأئمة، والرجال هم الأئمة من آل محمد.

قلت: فالأعراف؟

قال: صراط بين الجنة والنار، فمن شفع له الأئمة منا من المؤمنين المذنبين نجا، ومن لم يشفعوا له هوى.

وفي كفاية الاثر/١٩٤

حدثني علي بن الحسن، قال حدثني هارون بن موسى، قال حدثني أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن شيان القزويني، قال حدثنا أبو عمر أحمد بن علي الفيدي، قال حدثنا سعد بن مسروق، قال حدثنا عبد الكريم بن هلال المكي، عن أبي الطفيل، عن أبي ذر (رض)، قال سمعت فاطمة عليها السلام تقول: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ، قال: هم الأئمة بعدى علي وسبطاي وتسعة من صلب الحسين، هم رجال الأعراف، لا يدخل الجنة إلا من يعرفهم ويعرفونه ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وينكرونها، لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتهم.

وفي تأويل الآيات: ١/٥٥

وقوله تعالى: وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ.

قال الإمام عليه السلام: قال الله عز وجل: وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا:

أى لا تدفع عنها عذاباً قد استحقته عند النزاع.

ولا يقبل منها شفاعاً: من يشفع لها بتأخير الموت عنها.

ولا يؤخذ منها عدل: أى ولا يقبل منها فداء مكانه، يموت الفداء ويترك هو.

قال الصادق عليه السلام: وهذا اليوم يوم الموت فإن الشفاعَةَ والفداء لا تغني منه، فأما يوم القيامة فإننا وأهلنا نجزي عن شيعتنا كل جزء، ليكونن على الأعراف بين الجنة والنار محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، والطيبون من آلهم، فترى بعض شيعتنا في تلك العرصات، فمن كان منهم مقصراً في بعض شئانها فنبعث عليهم خيار شيعتنا كسلمان والمقداد وأبي ذر وعمار ونظائرهم في العصر الذي يليهم، ثم في كل عصر إلى يوم القيامة.. فينقضون عليهم كالبزاة والصقور يتناولونهم، كما تتناول الصقور صيودها، ثم يزفون

إلى الجنة زفأ.

وإننا لنبعث على آخرين من محبيننا من خيار شيعتنا كالحمام فيلتقطونهم من العرصات، كما يلتقط الطير الحب، وينقلونهم إلى الجنان بحضرتنا. انتهى.

وقد يسأل: كيف يكون أصحاب الاعراف هم النبي والأئمة صلى الله عليه وآله، مع أنه تعالى قال عنهم (لم يدخلوها وهم يطمعون)!
والجواب: أن ضمير (لم يدخلوها) لا يعود عليهم، بل على أصحاب الحجاب الذين يعرفونهم بسيماهم، فراجع الآيات ٤٤، وما بعدها من سورة الأعراف، وما ورد في تفسيرها.

وفي تفسير فرات الكوفي/ ١١٦

عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزلت هذه الآية فينا وفي شيعتنا: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ. وَلَا صِدِّيقٍ حَمِيمٍ، وذلك حين باها الله بفضلنا وبفضل شيعتنا حتى إننا لنشفع ويشفعون.

قال: فلما رأى ذلك من ليس منهم قالوا فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ. وَلَا صِدِّيقٍ حَمِيمٍ..

وفي المحاسن: ١/١٨٤

عن عمر بن عبد العزيز، عن مفضل أو غيره، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ. وَلَا صِدِّيقٍ حَمِيمٍ؟
قال: الشافعون الأئمة، والصدّيق من المؤمنين.

ورواه في تفسير نور الثقلين: ٤/٦١

وفي الكافي: ٨/١٠١

محمد بن يحيى، عن ابن عيسى، عن ابن فضال، عن علي بن عقبه، عن عمر بن أبان، عن عبد الحميد الوابشى، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: إن لنا جاراً ينتهك المحارم كلها حتى إنه ليرتك الصلاة فضلاً عن غيرها:

فقال: سبحان الله!! وأعظم ذلك!

ألا أخبركم بمن هو شرُّ منه؟

قلت: بلى.

قال: الناصب لنا شرُّ منه، أما إنه ليس من عبد يذكر عنده أهل البيت فيرق لذكرنا إلا مسحت الملائكة ظهره وغفر له ذنوبه كلها إلا أن يجى بذنوب يخرج من الإيمان، وإن الشفاعة لمقبولة وما تقبل في ناصب، وإن المؤمن ليشفع لجاره وماله حسنه، فيقول: يارب جارى كان يكف عنى الأذى فيشفع فيه، فيقول الله تبارك وتعالى:

أنا ربك وأنا أحق من كافى عنك، فيدخله الجنة وماله من حسنة!

وإن أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع لثلاثين إنساناً فعند ذلك يقول أهل النار: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ. وَلَا صِدِّيقٍ حَمِيمٍ..

وفي تفسير نور الثقلين: ٤/٦٠

عن تفسير على بن ابراهيم: حدثنى أبى، عن الحسن بن محبوب، عن أبى أسامة، عن أبى عبد الله وأبى جعفر (عليهما السلام) أنهما قالوا: والله لنشفعن فى المذنبين من شيعتنا حتى يقول أعداؤنا إذا رأوا ذلك: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ. وَلَا صِدِّيقٍ حَمِيمٍ. فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ.

قال: من المهتدين، قال: لأن الإيمان قد لزمهم بالإقرار.

ورواه فى بحار الأنوار: ٨/٣٦ وقال:

بيان: أى ليس المراد بالإيمان هنا الإسلام، بل الاهتداء إلى الأئمة (عليهم السلام) وولايتهم أو ليس المراد الإيمان الظاهرى.

وفي المحاسن: ١/٦١

عن ليث بن أبي سليمان، عن ابن أبي ليلى، عن الحسن بن علي (عليهما السلام)، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الزموا مودتنا أهل البيت فإنه من لقي الله وهو يودنا أهل البيت دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسى بيده لا ينتفع عبد بعمله إلا بمعرفة حقنا. انتهى. ورواه في شرح الأخبار ٣/٤٨٧، وقد تقدمت روايته عن الطبراني ومجمع الزوائد، وأن ولايتهم (عليهم السلام) شرط لقبول الأعمال. وفي تأويل الآيات: ٢/٣٤٩

وروى عن الصادق عليه السلام في قوله (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ) قال عليه السلام: إذا حشر الله الناس في صعيد واحد أجل الله أشياعنا أن يناقشهم في الحساب، فنقول: إلينا هؤلاء شيعتنا، فيقول الله تعالى: قد جعلت أمرهم إليكم، وقد شفعتكم فيهم وغفرت لمسيئهم، أدخلوهم الجنة بغير حساب. انتهى.

ولا بد أن يكون المقصود هؤلاء: النوع المقبول من شيعتهم وأوليائهم عليهم السلام.

وفي أمالي المفيد/٤٨

قال، أخبرني أبو حفص عمر بن محمد قال: حدثنا أبو عبد الله جعفر بن محمد قال: حدثنا عيسى بن مهران قال: حدثنا مخول قال: حدثنا الربيع بن المنذر، عن أبيه قال: سمعت الحسن بن علي (عليهما السلام) يقول: إن أبا بكر وعمر عمدا إلى هذا الأمر وهو لنا كله فأخذه دوننا، وجعلنا فيه سهماً كسهم الجدة، أما والله لتهنمها أنفسهما يوم يطلب الناس فيه شفاعتنا.

وفي بحار الأنوار: ٨/٣٦

وعن الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يقول: الرجل من أهل الجنة يوم القيامة: أي رب عبدك فلان سقاني شربة من ماء في الدنيا فشغني فيه، فيقول: إذهب فأخرجه من النار، فيذهب فيتجسس في النار حتى يخرج منه.

علل الشرائع: أبي عن محمد العطار، عن جعفر بن محمد بن مالك، عن أحمد بن مدين، عن محمد بن عمار، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: شيعتنا من نور الله خلقوا وإليه يعودون، والله إنكم لملحقون بنا يوم القيامة، وإننا لنشفع فنشفع، والله إنكم لتشفعون فتشفعون، وما من رجل منكم إلا وستره له نارٌ عن شماله وجنّه عن يمينه فيدخل أعباء الجنة، وأعداء النار.

وفي بصائر الدرجات/٦٢

حدثنا عباد بن سليمان عن أبيه قال قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى انتجبنا لنفسه، فجعلنا صفوته من خلقه، وأمناؤه على وحيه، وخزانه في أرضه، وموضع سره، وعيبه علمه، ثم أعطانا الشفاعة، فنحن أذنه السامعة، وعينه الناظرة ولسانه الناطق بإذنه، وأمناؤه على ما أنزل من عذر ونذر وحجة.

احاديث في شفاعتة فاطمة الزهراء

في مسائل علي بن جعفر/٣٤٥

أخبرني أبو عبد الله محمد بن أحمد الصفواني قال: حدثنا أبو أحمد عبد العزيز بن يحيى الجلودي قال: حدثنا محمد بن سهل قال: حدثنا علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين قال: حدثني علي بن جعفر بن محمد، عن أخيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن جده علي بن أبي طالب، عن النبي صلى الله عليه وآله قال:

إذا كان يوم القيامة نادى مناد: يا معشر الخلائق غضوا أبصاركم ونكسوا رؤوسكم حتى تمر فاطمة بنت محمد، فتكون أول من يكسى، وتستقبلها من الفردوس اثنا عشر ألف حوراء، وخمسون ألف ملك، على نجائب من الياقوت، أجنحتها وأزمتها اللؤلؤ الرطب، ركبها من زبرجد، عليها رحل من الدر، على كل رحل نمرقة من سندس حتى يجوزوا بها الصراط، ويأتوا بها الفردوس، فيتباشر بمجيئها أهل الجنان. فتجلس على كرسی من نور ويجلسون حولها، وهي جنة الفردوس التي سقفتها عرش الرحمان، وفيها قصران، قصر

أبيض وقصر أصفر من لؤلؤة على عرق واحد، فى القصر الأبيض سبعون ألف دار، مساكن محمد وآل محمد.

وفى القصر الأصفر سبعون ألف دار، مساكن إبراهيم وآل إبراهيم.

ثم يبعث الله ملكاً لها لم يبعث لأحد قبلها ولا- يبعث لاحد بعدها، فيقول: إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول: سليمانى. فتقول: هو السلام، ومنه السلام، قد أتم على نعمته، وهنأنى كرامته، وأباحنى جنته، وفضلنى على سائر خلقه، أسأله ولدى وذريتى، ومن ودهم بعدى وحفظهم فى. فيوحى الله إلى ذلك الملك من غير أن يزول من مكانه، أخبرها أنى قد شفعتها فى ولدها وذريتها ومن ودهم فيها وحفظهم بعدها، فتقول: الحمد لله الذى أذهب عنى الحزن، وأقر عينى، فيقر الله بذلك عين محمد صلى الله عليه وآله.

ورواه فى تأويل الآيات: ١٧٩ / ٢، عن الإمام الصادق عليه السلام، وقال فى آخره: كان أبى إذا ذكر هذا الحديث تلا هذه الآية: وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ.

وفى علل الشرائع: ١/١٧٩

حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رحمه الله قال: حدثنا سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن سنان، عن عبد الله بن مسكان، عن محمد بن مسلم الثقفى قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لفاطمة عليها السلام وقفه على باب جهنم، فإذا كان يوم القيامة كتب بين عينى كل رجل مؤمن أو كافر، فيؤمر بمحب قد كثرت ذنوبه إلى النار، فتقرأ فاطمة بين عينيه محباً فتقول: إلهى وسيدى سميتنى فاطمة وفطمت بى من تولانى وتولى ذريتى من النار، ووعدك الحق وأنت لا تخلف الميعاد. فيقول الله عز وجل: صدقت يا فاطمة إنى سميتك فاطمة وفطمت بك من أحبك وتولاك وأحب ذريتك وتولاهم من النار، ووعدى الحق، وأنا لا- أخلف الميعاد، وإنما أمرت بعبدى هذا إلى النار لتشفعى فيه فأشفعك، وليتبين لملائكتى وأنبياى ورسلى وأهل الموقف موقفك منى، ومكانتك عندى، فمن قرأت بين عينيه مؤمناً فخذى بيده وأدخله الجنة. انتهى.

ورواه فى البحار: ٨/٥١

وفى تفسير فرات/ ١١٦

عن أبى عبد الله جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال: قال جابر لآبى جعفر عليه السلام: جعلت فداك يا بن رسول الله حدثنى بحديث فى فضل جدتك فاطمة عليها السلام إذا أنا حدثت به الشيعة فرحوا بذلك.

قال أبو جعفر: حدثنى أبى، عن جدى عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا كان يوم القيامة نصب للأنبياء والرسل منابر من نور، فيكون منبرى أعلى منابرهم يوم القيامة، ثم يقول الله: يا محمد أخطب، فأخطب بخطبة لم يسمع أحد من الأنبياء والرسل بمثلها.

ثم ينصب للأوصياء منابر من نور، وينصب لوصى على بن أبى طالب فى أوساطهم منبر من نور، فيكون منبره أعلى منابرهم، ثم يقول الله: يا على أخطب، فيخطب بخطبة لم يسمع أحد من الأوصياء بمثلها.

ثم ينصب لأولاد الأنبياء والمرسلين منابر من نور، فيكون لابنى وسبى وريحانتى أيام حياتى منبران من نور، ثم يقال لهما: أخطبا، فيخطبان بخطبتين لم يسمع أحد من أولاد الأنبياء والمرسلين بمثلهما.

ثم ينادى المنادى وهو جبرئيل عليه السلام:

أين فاطمة بنت محمد؟

أين خديجة بنت خويلد؟

أين مريم بنت عمران؟

أين آسية بنت مزاحم؟

أين أم كلثوم أم يحيى بن زكريا؟

فيقمن، فيقول الله تبارك وتعالى: يا أهل الجمع لمن الكرم اليوم؟

فيقول محمد وعلى والحسن والحسين وفاطمة: لله الواحد القهار.

فيقول الله جل جلاله: يا أهل الجمع إني قد جعلت الكرم لمحمد وعلى والحسن والحسين وفاطمة. يا أهل الجمع طأثوا الرؤوس وغضوا الأبصار، فإن هذه فاطمة تسير إلى الجنة.

فيأتيها جبرئيل بناقة من نوق الجنة مدبجة الجنين، خطامها من اللؤلؤ المحقق الرطب، عليها رحل من المرجان، فتناخ بين يديها فتركبها فيبعث إليها مائة ألف ملك فيصيروا على يمينها، ويبعث إليها مائة ألف ملك يحملونها على أجنحتهم حتى يصيروها على باب الجنة، فإذا صارت عند باب الجنة تلتفت فيقول الله: يا بنت حبيبي ما التفاتك وقد أمرت بك إلى جنتي؟ فتقول: يا رب أحببت أن يعرف قدرى في مثل هذا اليوم. فيقول الله تعالى يا بنت حبيبي ارجعي فانظري من كان في قلبه حب لك أو لاحد من ذريتك خذى فأدخله الجنة.

قال أبو جعفر: والله يا جابر إنها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبيها كما يلتقط الطير الحب الجيد من الحب الردي، فإذا صار شيعتها معها عند باب الجنة، يلقي الله في قلوبهم أن يلتفتوا فإذا التفتوا يقول الله: يا أحبائي ما التفاتكم وقد شفعت فيكم فاطمة بنت حبيبي؟ فيقولون: يا رب أحببنا أن يعرف قدرنا في مثل هذا اليوم، فيقول الله:

يا أحبائي إرجعوا وانظروا من أحبكم لحب فاطمة، أنظروا من أطعمكم لحب فاطمة، أنظروا من كساكم لحب فاطمة، أنظروا من سقاكم شربة في حب فاطمة، أنظروا من رد عنكم غيبة في حب فاطمة.. خذوا بيده وأدخلوه الجنة.

قال أبو جعفر: والله لا يبقى في الناس إلا شاك أو كافر أو منافق.

فإذا صاروا بين الطبقات نادوا كما قال الله تعالى: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم. فيقولون: فلو أن لناكره فنكون من المؤمنين.

قال أبو جعفر: هيهات هيهات، منعوا ما طلبوا (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون).

وفي مناقب أمير المؤمنين لمحمد بن سليمان: ٢/٥٨٩

حدثنا أبو أحمد قال: أخبرنا عبدالله بن عبد الصمد، عن عبد الله بن سوار، عن عباس بن خليفة، عن سليمان الأعمش قال قال: بعث أبو جعفر أمير المؤمنين إلى فأتاني رسوله في جوف الليل فبقيت متفكراً فيما بيني وبين نفسي، فقلت عسى أن يكون بعث إلى أبو جعفر في هذه الساعة ليسألني عن فضائل علي فلعلني إن صدقته صلبني.

قال: فكتب وصيتي ولبست كفتي ودخلت عليه، فإذا عنده عمرو بن عبيد فحمدت الله على ذلك، فقال لي أبو جعفر يا سليمان أذن مني، قال فدنوت منه فاشتم رائحة الحنوط، فقال لي: والله يا سليمان لتصدقني أو لأصلبنيك!

قال قلت: حاجتك يا أمير المؤمنين.

قال: ما لي أراك محنطاً؟

قال قلت: أتاني رسولك أن أجب، فبقيت متفكراً فيما بيني وبين نفسي، فقلت:

عسى أن يكون بعث إلى أبو جعفر في هذه الساعة يسألني عن فضائل علي، فلعلني إن صدقته صلبني!!

قال فاستوى جالساً وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فقال: يا سليمان أسألك بالله كم من حديث ترويه في فضائل علي؟ قلت: ألفي حديث أو يزيد.

قال لي: والله لأحدثنك حديثين ينسيان كل حديث ترويه في فضل علي!

قال: قلت حدثني.

قال: نعم، أيام كنت هارباً من بني مروان أدور البلاد وأتقرب إلى الناس بحب علي وفضله وكانوا يطعموني، حتى وردت بلاد الشام وأنا في كساء خلق ما على غيره، قال: فنودي للصلاة وسمعت الإقامة، فدخلت المسجد وفي نفسي أن أكلم الناس ليطعموني، فلما سلم الإمام إذا رجل عن يميني معه صبيان فقلت: من الصبيان من الشيخ؟

قال: أنا جدهما وليس في هذه المدينة رجل يحب علياً غيري، ولذلك سميت أحدهما حسناً والآخر حسيناً، قال: فقامت إليه فقال: يا شيخ ما تشاء؟

قال قلت: هل لك في حديث أقر به عينك؟

قال: إن أقررت عيني أقررت عينك.

قال قلت: حدثني أبي عن جدى قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم قعدوا إذ أقبلت فاطمة وهي تبكى بكاء شديداً فقال لها النبي صلى الله عليه وآله: ما يبكيك؟

قالت: يا أبتاه خرج الحسن والحسين ولا أدري أين أقاما البارحة؟

فقال لها النبي صلى الله عليه وآله: يا فاطمة لا تبكى فوالله إن الذى خلقهما هو ألطف بهما منك، ثم رفع طرفه إلى السماء، ثم قال: اللهم إن كانا أخذنا براً أو ركبا بحراً فاحفظهما وسلمهما.

فإذا بجبرئيل قد هبط على النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد إن الله يقرئك السلام ويقول: إنك لا تحزن لهما ولا تغتم لهما، فإنهما فاضلان في الدنيا فاضلان في الآخرة، وأبوهما خير منهما، وهما نائمان بحضيرة بنى النجار، قد وكل الله بهما ملكاً يحفظهما.

فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فرحاً مع أصحابه حتى أتى حضيرة بنى النجار، فإذا الحسن معانق الحسين، وإذا ذلك الملك الموكل بهما باسط أحد جناحيه تحتها والآخر قد جللها به، فانكب عليهما النبي صلى الله عليه وآله فقبلهما، حتى انتبها من نومهما

فحملهما النبي صلى الله عليه وآله، وهو يقول: والله لا يبين فيكما كما بين فيكما الله.

فقال له أبو بكر: يا رسول الله ناولنى أحد الصبيين أخفف عنك.

فقال النبي: يا أبا بكر نعم الحامل حاملهما ونعم المحمولان هما، وأبوهما خيرٌ منهما.

فقال عمر: يا رسول الله ناولنى أحد الصبيين أخفف عنك.

فقال: يا عمر نعم الحامل حاملهما، ونعم الراكبان هما، وأبوهما خيرٌ منهما.

فأتى بهما النبي صلى الله عليه وآله إلى المسجد فقال: يا بلال هلم إلى الناس فنادى منادى رسول الله فى المدينة، فاجتمع الناس إلى رسول الله، فقام على قدميه فقال:

يا معشر الناس، ألا أدلكم على خير الناس جداً وجدة؟ قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: الحسن والحسين جدهما رسول الله، وجدتهما خديجة ابنة خويلد سيدة نساء أهل الجنة.

ثم قال: أيها الناس، ألا أدلكم على خير الناس أباً وأماً؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: عليكم بالحسن والحسين، أبوهما شاب يحب الله ورسوله، ويحب الله ورسوله، وأمهما فاطمة ابنة رسول الله.

يا معشر الناس، ألا أدلكم على خير الناس عمّاً وعمّة؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: عليكم بالحسن والحسين، عمهما جعفر بن أبى طالب ذو الجناحين الطيار فى الجنة مع الملائكة، وعمتهما أم هانئ بنت أبى طالب.

ثم قال: يا معشر الناس، ألا أدلكم على خير الناس خالاً وخالة؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: عليكم بالحسن والحسين، فخالهما القاسم بن رسول الله، وخالتهما زينب ابنة رسول الله.

ثم قال: إن الحسن والحسين فى الجنة، وأباهما فى الجنة، وأمهما فى الجنة وعمهما فى الجنة، وعمتهما فى الجنة، وخالهما فى الجنة،

وخالتهما في الجنة.

اللهم إنك تعلم أنه من يحبهما أنه معهما. اللهم إنك تعلم أنه من يبغضهما أنه في النار. فلما قلت ذلك للشيخ، قال: من أنت يا فتى؟ قلت: من أهل الكوفة.

قال: عربى أم مولى؟ قلت: عربى. قال: أنت تحدث بهذا الحديث، وأنت في هذا الكساء؟ قال: فكساني حله وحملنى على بغلته. قال: فبعتهما في ذلك الزمان بمائة دينار.

ثم قال: يا فتى أقررت عيني، والله لا أرشدنك إلى شاب يقر عينك.

قال: قلت نعم أرشدنى.

قال: فقال نعم ههنا رجلان أحدهما إمام والآخر مؤذن، فأما الإمام فهو يحب علياً منذ خرج من بطن أمه، وأما الآخر فقد كان يبغض علياً وهو اليوم يحب علياً.

قال: فأخذ بيدي وأتى بي باب الإمام، فإذا شابٌ صبيح الوجه قد خرج على فعرف الحلء وعرف البلغة وقال: والله يا أخى ما كساك فلان حلته، ولا حملك على بغلته، إلا أنك تحب الله ورسوله وتحب علياً، فحدثنى فى على.

فقلت: نعم حدثنى والذى عن أبيه عن جده قال:

كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم إذ أقبلت فاطمة وهي حامله الحسن والحسين على كتفيها وهي تبكى بكاء شديداً، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: يا فاطمة ما يبكيك؟

قالت: يا رسول الله غيرتنى نساء قريش أن أباك زوجك معدماً لا مال له!

فقال لها رسول الله: يا فاطمة لا تبكى، فوالله ما زوجتك حتى زوجك الله وشهد على ذلك جبرئيل وإسرافيل. ثم اختار من أهل الدنيا فاختر من الخلق أباك فبعته نبياً، ثم اختار من أهل الدنيا فاختر من الخلق علياً فجعله وصياً.

يا فاطمة لا تبكى، فإني زوجتك أشجع الناس قلباً، وأعلم الناس علماً، وأسمح الناس كفاً، وأقدم الناس إسلاماً.

يا فاطمة لا تبكى، ابناه سيدا شباب أهل الجنة، كان اسمهما مكتوبك فى التوراة شبراً وشبيراً ومشبراً.

(وفى مناقب الخوارزمي: ثم إن الله عز وجل أطلع إلى أهل الأرض فاختر من الخلائق أباك فبعته نبياً، ثم أطلع إلى الأرض ثانية فاختر من الخلائق علياً، فزوجك الله إياه واتخذته وصياً، فعلى منى وأنا منه، فعلى أشجع الناس قلباً وأعلم الناس علماً وأحلم الناس حلماً وأقدم الناس سلماً وأسمحهم كفاً وأحسنهم خلقاً.)

يا فاطمة، إنى آخذ لواء الحمد ومفاتيح الجنة بيدي، ثم أدفعها إلى على، فيكون آدم ومن ولده تحت لوائه.

يا فاطمة، إنى مقيم غداً علياً على حوضى، يسقى من عرف من أمتى، والحسن والحسين ابناه سيدا شباب أهل الجنة من الأولين والآخرين، وقد سبق اسمهما فى توراة موسى، وكان اسمهما فى التوراة شبراً وشبيراً، سماهما الله الحسن والحسين لكرامة محمد على الله ولكرامتهما عليه).

يا فاطمة، ألا ترين أنى إذا دعيت إلى رب العالمين دعى على معى، وإذا شفعتنى الله فى المقام المحمود شفع على معى.

يا فاطمة إذا كان يوم القيامة كسى أبوك حلتين، وعلى حلتين، وينادى المنادى فى ذلك اليوم: يا محمد نعم الجد جدك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك على.

يا فاطمة لا تبكى، على وشيعته غدا هم الفائزون فى الجنة

وقال فى هامشه:

١١٠٠ - والحديث رواه الخوارزمي فى أول الفصل (١٩) من كتابه مناقب على عليه السلام بسند آخر عن الأعمش، وبزيادات فى متن

الحديث.

وقد رواه بعدة أسانيد ابن المغازلي الشافعي في الحديث (١٨٨) من كتابه مناقب علي عليه السلام صفحة ١٤٣، قال: أخبرنا أبو طالب محمد بن أحمد بن عثمان بن الفرغ بن الأزهر الصيرفي البغدادي رحمه الله قدم علينا واسطاً، حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين سليمان، حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد الله العكبري، حدثنا أبو القاسم عبد الله بن عتاب العبدى، حدثنا عمر بن شبة بن عبيدة النميري قال: حدثني المدائني قال: وجه المنصور إلى الأعمش يدعوه...

قال: وحدثنا محمد بن الحسن، حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد الله العكبري، حدثنا عبد الله بن عتاب بن محمد، حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا أبو معاوية قال: حدثنا الأعمش قال: أرسل إلى المنصور...

وحدثنا محمد بن الحسن، حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد الله العكبري، حدثنا عبد الله بن عتاب بن محمد العبدى، حدثنا أحمد بن علي العمى، حدثنا إبراهيم بن الحكم قال: حدثني سليمان بن سالم قال: حدثني الأعمش قال: بعث إلى أبو جعفر المنصور..

أقول: ورواه أيضاً شيخ الشيعة وصدوق الشريعة محمد بن علي بن الحسين بأسانيد أربعة في المجلس (٦٧) من أماليه/٣٥٢، قال: وأخبرنا سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي فيما كتب إلينا من إصبهان قال: حدثنا أحمد بن القاسم بن مساور الجوهري سنة ست وثمانين ومائتين قال: حدثنا الوليد بن الفضل العنزي قال: حدثنا مندل بن علي العنزي عن الأعمش.

أقول: وهذا هو السند الثالث من أسانيد الشيخ الصدوق، ومن أحب أن يطلع على جميع أسانيد، ولفظ الحديث فليراجع الأمالي فإنه منشور كثير الوجود، وإنما اخترنا هذا السند لاجل وقوع الحافظ الطبراني فيه وعلو مقامه في الحفاظ غير خفى.

ورواه أبو القاسم الطبري في بشاره المصطفى/١١٤

والمحب الطبري ملخصاً في ذخائر العقبى/١٣٠

والحموي في فرائد السمطين ٢/٩٠ ح ٤٠٦

والخزاعي أبو بكر في أربعينه ح ٢٥

ولاحظ البحار: ٣٧/٨٨.

نماذج من أحاديث شفاعه النبي وآله لزوار مشاهدهم المشرفة

من الثابت في سيرة المؤمنين في كل الأديان، من عهد أبينا آدم عليه السلام إلى ظهور الإسلام، احترام قبور أنبيائهم وأوصيائهم وأوليائهم، وتشبيدها وزيارتها.

بل إن ذلك سيرة عقلائية عند كل الأمم والشعوب، فتراهم يحترمون قبور موتاهم، خاصة المهمين العزيزين عندهم.

وكان ذلك من عادات العرب أيضاً، وكانت الإستجارة بالقبر العزيز على القبيلة وسيلة مهمة للعبو عن استجار به أو تحقيق طلبه.

ولكن في أيام وفاة النبي عليهما السلام والإختلاف الذي وقع بين صحابته وأهل بيته علي خلافته، ادعى بعض الصحابة أنه صلى الله عليه وآله أوصى أن لا يبنى على قبره، ولا يصلى عند قبره، ولا يجتمع المسلمون عند قبره.. الخ.

وقد اهتمت دولة الخلافة بترويج هذه الأحاديث، وتشددت في تنفيذها.

ونحن نعتقد أنها أحاديث غير صحيحة، وأن الدافع لوضعها كان خوف أهل الخلافة الجديدة من أن تستجبر المعارضة خاصة أهل

بيت النبي بقبره صلى الله عليه وآله ويعلنوا مرابطتهم عنده، ومطالبتهم بإرجاع الخلافة إليهم!!

وغرضنا هنا أن نلفت إلى أن تأكيد الأئمة من أهل البيت عليهم السلام على زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وقبورهم الشريفة، كان

استمراراً لسنة الله تعالى في الأنبياء والأوصياء السابقين، كما كان رداً لمقولة السلطة التي عملت لتكريسها على أنها جزء من الدين!

وفيما يلي نماذج من الأحاديث الشريفة، اقتصرنا منها على ما تضمن شمول شفاعه النبي وأهل بيته الطاهرين صلى الله عليه وآله لمن

زار قبورهم الطاهرة.

- ففى علل الشرائع: ٢/٤٦٠.

حدثنا أبي (رض) قال: حدثنا سعد بن عبد الله، عن عباد بن سليمان، عن محمد بن سليمان الديلمي، عن ابراهيم بن أبي حجر الأسلمي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أتى مكة حاجاً ولم يزرنى إلى المدينة جفانى، ومن جفانى جفوته يوم القيامة، ومن جاءنى زائراً وجبت له شفاعتى، ومن وجبت له شفاعتى وجبت له الجنة. قال مصنف هذا الكتاب: العلة فى زيارة النبي صلى الله عليه وآله أن من حج ولم يزره فقد جفاه، وزيارة الأئمة تجرى مجرى زيارته، بما قد روى عن الصادق، وذكرهم فى هذا الباب.

- وفى الكافي: ٤/٥٦٧.

أبو على الأشعري، عن عبد الله بن موسى، عن الحسن بن علي الوشاء قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: إن لكل إمام عهداً فى عنق أوليائه وشيعته، وإن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء: زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبه فى زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه، كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة.

- ورواه فى علل الشرائع: ٢/٤٥٩، وتهذيب الأحكام: ٦/٧٨ و ٩٣، والفقيه: ٢/٥٧٧، والمقنعة/ ٤٧٤.

الشفاعة لمن زار قبر أمير المؤمنين

- فى تهذيب الأحكام: ٦/١٠٧.

وعنه عن محمد بن علي بن الفضل قال: أخبرنى الحسين بن محمد بن الفرزدق قال: حدثنا على بن موسى بن الأحول قال: حدثنا محمد بن أبى السرى إملاءً قال: حدثنى عبد الله بن محمد البلوى قال: حدثنا عمارة بن زيد عن أبى عامر الساجى واعظ أهل الحجاز قال: أتيت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام فقلت له: يابن رسول الله، ما لمن زار قبره؟ يعنى أمير المؤمنين، وعمر تربته؟ قال: يا أبا عامر، حدثنى أبى، عن أبيه، عن جده الحسين بن على، عن على، أن النبى صلى الله عليه وآله قال له: والله لتقتلن بأرض العراق وتدفن بها.

قلت: يا رسول الله ما لمن زار قبورنا وعمرها وتعاهدها؟

فقال لى: يا أبا الحسن، إن الله جعل قبرك وقبر ولدك بقاعاً من بقاع الجنة، وعرضه من عرصاتها، وإن الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوته من عباده تحن إليكم، وتحتمل المذلة والأذى فيكم، فيعمرون قبوركم ويكثرون زيارتها تقرباً منهم إلى الله، مودة منهم لرسوله. أولئك يا على المخصوصون بشفاعتى والواردون حوضى، وهم زوارى غداً فى الجنة.

يا على، من عمر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس.

ومن زار قبوركم عدل ذلك له ثواب سبعين حجّة بعد حجّة الإسلام، وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمه، فأبشر وبشر أولياءك ومحبيك من النعيم وقرّة العين بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ولكن حثالة من الناس يعيرون زوار قبوركم بزيارتكم، كما تعير الزانية بزناها!

أولئك شرار أمتى، لا نالتهم شفاعتى ولا يردون حوضى.

- وفى علل الشرائع: ٢/٥٨٥.

حدثنا محمد بن على ماجيلويه رحمه الله قال: حدثنا على بن ابراهيم عن عثمان بن عيسى عن أبى الجارود رفعه فيما يروى إلى على صلوات الله عليه قال: إن ابراهيم صلى الله عليه مر بيانقيا فكان يزلزل بها، فبات بها فأصبح القوم ولم يزلزل بهم، فقالوا ما هذا وليس حدث؟!

قالوا: نزل هاهنا شيخٌ ومعه غلامٌ له.

قال فأتوه فقالوا له: يا هذا إنه كان يزلزل بنا كل ليلة، ولم يزلزل بنا هذه الليلة فبت عندنا، فبات فلم يزلزل بهم، فقالوا: أقم عندنا ونحن نجرى عليك ما أحببت.

قال: لا، ولكن تبيعونى هذا الظهر، ولا يزلزل بكم.

فقالوا: فهو لك.

قال: لا آخذه إلا بالشراء، فقالوا: فخذ ما شئت فاشتره بسبع نعاج وأربعة أحمره فلذلك سمى بانقيا، لأن النعاج بالنبطية نقيا.

قال: فقال له غلامه يا خليل الرحمن ما تصنع بهذا الظهر ليس فيه زرع ولا ضرع؟!

فقال له: أسكت، فإن الله تعالى يحشر من هذا الظهر سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، يشفع الرجل منهم لكذا وكذا. انتهى.

وبانقيا كما ذكره اللغويون هي أول العراق من جهة الحجاز، وهي منطقة النجف وأبي صخير الفعلية، وقد تشمل كربلاء.

الشفاعة لمن زار قبر الإمام الحسين

في الكافي: ٤/٥٨٢:

محمد بن يحيى، وغيره، عن محمد بن أحمد، ومحمد بن الحسين جميعاً، عن موسى بن عمر، عن غسان البصرى، عن معاوية بن وهب، وعلى بن إبراهيم، عن أبيه، عن بعض أصحابنا، عن إبراهيم بن عقبة، عن معاوية بن وهب قال: استأذنت على أبي عبد الله عليه السلام فقيل لى: أدخل فدخلت فوجدته فى مصلاه فى بيته فجلست حتى قضى صلاته، فسمعتة وهو يناجى ربه ويقول: يا من خصنا بالكرامة وخصنا بالوصية، ووجدنا الشفاعة، وأعطانا علم ما مضى وما بقى، وجعل أفئدة من الناس تهوى إلينا، اغفر لى وإخوانى، ولزوار قبر أبى الحسين عليه السلام.

- وفى تهذيب الأحكام: ٦/١٠٨:

أحمد بن محمد الكوفى قال: أخبرنى المنذر بن محمد عن جعفر بن سليمان عن عبد الله بن الفضل الهاشمى قال: كنت عند أبى عبد الله الصادق جعفر بن محمد صلى الله عليه وآله، فدخل رجل من أهل طوس فقال: يا بن رسول الله ما لمن زار قبر أبى عبد الله الحسين بن على (عليهما السلام)؟ فقال له: يا طوسى من زار قبر أبى عبد الله الحسين بن على (عليهما السلام) وهو يعلم أنه إمام من قبل الله عز وجل مفترض الطاعة على العباد، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقبل شفاعته فى خمسين مذنباً، ولم يسأل الله عز وجل حاجة عند قبره إلا قضاها له.

قال: فدخل موسى بن جعفر وهو صبى فأجلسه على فخذه، وأقبل يقبل ما بين عينيه، ثم التفت الى وقال: يا طوسى إنه الإمام والخليفة والحجة بعدى، سيخرج من صلبه رجلٌ يكون رضاً لله عز وجل فى سمائه ولعباده فى أرضه، يقتل فى أرضكم بالسم ظلماً وعدواناً، ويدفن بها غربياً، ألا فمن زاره فى غربته وهو يعلم أنه امام بعد أبيه مفترض الطاعة من الله عز وجل، كان كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله.

الشفاعة لمن زار قبر الإمام الرضا

- فى من لا يحضره الفقيه: ٢/٥٨٤

وروى الحسن بن على بن فضال، عن أبى الحسن على بن موسى الرضا صلى الله عليه وآله، أنه قال له رجلٌ من أهل خراسان: يا ابن رسول الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله فى المنام كأنه يقول لى: كيف أنتم إذا دفن فى أرضكم بضعتى، واستحفظتم وديعتى، وغيب فى ثراكم نجمى؟

فقال له الرضا عليه السلام: أنا المدفون في أرضكم، أنا بضعة من نبيكم، وأنا الوديعه والنجم، ألا فمن زارني وهو يعرف ما أوجب الله عز وجل من حقي وطاعتي فأنا وآبائي شفعاؤه يوم القيامة، ومن كنا شفعاؤه نجى ولو كان عليه مثل وزر الثقلين الجن والانس، ولقد حدثني أبي عن جدي عن أبيه عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رآني في منامه فقد رآني، لأن الشيطان لا يتمثل في صورتي، ولا في صورة أحد من أوصيائي، ولا في صورة واحد من شيعتهم، وإن الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزء من النبوة.

- وفي من لا يحضره الفقيه: ٢/٥٨٣

وروى البنزطي عن الرضا عليه السلام قال: ما زارني أحد من أوليائي عارفاً بحقي، إلا شفعت فيه يوم القيامة. ورواه في وسائل الشيعة: ٤٣٤ / ١٠

- وفي تهذيب الأحكام: ٦/١٠٨:

أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني قال: أخبرنا علي بن الحسن بن علي بن فضال عن أبيه، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا أنه قال: إن بخراسان لبقعة يأتي عليها زمانٌ تصير مختلف الملائكة، فلا يزال فوجٌ ينزل من السماء وفوجٌ يصعد إلى أن ينفخ في الصور، ف قيل له: يا بن رسول الله، وأيُّ بقعة هذه؟

قال: هي أرض طوس، وهي والله روضة من رياض الجنة. من زارني في تلك البقعة كان كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله، وكتب الله له ثواب ألف حجة مبرورة وألف عمرة مقبولة، وكنت أنا وآبائي شفعاؤه يوم القيامة.

ورواه في من لا يحضره الفقيه: ٢/٥٨٥، وفي وسائل الشيعة: ١٠/٤٤٥

ختم في بعض قواعد الشفاعة و أحكامه

نصيحة المسلم بأن لا يحتاج إلى الشفاعة

وردت أحاديث تنصح المسلم بأن يكون تقياً في سلوكه، ويتوب إلى ربه من سيئاته في الدنيا، حتى يكون من أهل الجنة، ولا يحتاج إلى شفاعة لغفران ذنوبه يوم القيامة.

- ففي نهج البلاغة: ٤/٨٧:

٣٧١ - وقال عليه السلام: لا شرف أعلى من الإسلام، ولا عز أعز من التقوى، ولا معقل أحصن من الورع، ولا شفيع أنجح من التوبة.

- وفي من لا يحضره الفقيه: ٣/٥٧٤:

وقال الصادق عليه السلام: شفاعتنا لأهل الكبائر من شيعتنا، وأما التائبون فإن الله عز وجل يقول: مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ.

النهى عن الإتكال على الشفاعة

- في الكافي: ٨/٤٠٥:

وإياكم ومعاصي الله أن تركبوها، فإنه من انتهك معاصي الله فركبها فقد أبلغ في الإساءة إلى نفسه، وليس بين الإحسان والإساءة منزلة، فلاهل الإحسان عند ربهم الجنة، ولأهل الإساءة عند ربهم النار، فاعلموا بطاعة الله واجتنبوا معاصيه، واعلموا أنه ليس يغني عنكم من الله أحد من خلقه شيئاً، لا ملكٌ مقرب ولا نبيٌ مرسل، ولا من دون ذلك، فمن سره أن تنفعه شفاعة الشافعين عند الله، فليطلب إلى الله أن يرضى عنه.

واعلموا أن أحداً من خلق الله لم يصب رضا الله إلا - بطاعته، وطاعة رسوله، وطاعة ولاة أمره من آله، ولم ينكر لهم فضلاً، وعظم ولا صغر.

وفي الكافي: ٦/٤٠٠:

على بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن الحسن العطار، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا ينال شفاعتي من استخف بصلاته، ولا يرد عليّ الحوض، لا والله! لا ينال شفاعتي من شرب المسكر، ولا يرد عليّ الحوض، لا والله!

أحمد بن محمد، عن محمد بن اسماعيل، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي الحسن عليه السلام قال: إنه لما احتضر أبي عليه السلام قال لي: يا بني إنه لا ينال شفاعتنا من استخف بالصلاة، ولا يرد علينا الحوض من آدم من هذه الأثرية. فقلت: يا أبة، وأي الأثرية؟

فقال: كل مسكر. ورواهما في تهذيب الأحكام: ٩/١٠٦

وفي علل الشرائع: ٢/٣٥٦

أبي رحمه الله قال: حدثنا سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن حديد وعبد الرحمان بن أبي نجران، عن حماد بن عيسى الجهني، عن حريز بن عبد الله السجستاني، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال:

لا تستخفن بالبول ولا تتهاون به، ولا بصلاتك، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال عند موته: ليس مني من استخف بصلاته، لا يرد على الحوض، لا والله، ليس مني من شرب مسكراً لا يرد على الحوض، لا والله. ورواه في المحاسن: ١/٧٩

- وفي الكافي: ٥/٤٦٩

محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن اسماعيل، عن صالح بن عقبه، عن أبي شبل قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: رجلٌ مسلم ابتلى ففجر بجارية أخيه فما توبته؟

قال: يأتيه فيخبره ويسأله أن يجعله من ذلك في حل، ولا يعود.

قال: قلت: فإن لم يجعله من ذلك في حل؟

قال: قد لقي الله عز وجل وهو زان خائن.

قال: قلت: فالنار مصيره؟

قال: شفاعته محمد صلى الله عليه وآله وشفاعتنا تحيط بذنوبكم يا معشر الشيعة، فلا تعودون وتتكلون على شفاعتنا، فوالله ما ينال شفاعتنا إذا ركب هذا حتى يصيبه ألم العذاب ويرى هول جهنم. ورواه في الفقيه: ٤/٣٩

- وفي الصحيفة السجادية: ١/٣٢٤

وسألتك مسألة الحقيير الدليل، البائس الفقير، الخائف المستجير، ومع ذلك خيفةً وتضرعاً وتعوذاً وتلوذاً، لا مستطيلاً بتكبر المتكبرين، ولا متعالياً بدالة المطيعين، ولا مستطيلاً بشفاعة الشافعين، وأنا بعد أقل الاقلين وأذل الأذلين، ومثل الذرة...

- وفي مستدرک الوسائل: ١١/١٧٤

- جامع الأخبار: عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: المؤمن يكون صادقاً في الدنيا، واعى القلب، حافظ الحدود، وعاء العلم، كامل

العقل، مأوى الكرم، سليم القلب، ثابت الحلم، عاطف اليقين، باذل المال، مفتوح الباب للإحسان، لطيف اللسان، كثير التبسم، دائم الحزن، كثير التفكير، قليل النوم، قليل الضحك، طيب الطبع، مميت الطمع، قاتل الهوى، زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة، يحب

الضيف، ويكرم اليتيم، ويلطف الصغير، ويرفق الكبير، ويعطى السائل، ويعود المريض، ويشيع الجنائز، ويعرف حرمة القرآن، ويناجي الرب، ويكي على الذنوب، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، أكله بالجوع، وشربه بالعطش، وحرته بالأدب، وكلامه بالنصيحة، وموعظته بالرفق، ولا يخاف إلا الله، ولا يرجو إلا إياه، ولا يشغل إلا بالثناء والحمد، ولا يتهاون، ولا يتكبر، ولا يفتخر بمال الدنيا، مشغولٌ

بعيوب نفسه، فارغٌ عن عيوب غيره، الصلاة قرء عينه، والصيام حرفته وهمته، والصدق عادته، والشكر مركبه، والعقل قائده، والتقوى زاده، والدنيا حانوته، والصبر منزله، والليل والنهار رأس ماله، والجنة مأواه، والقرآن حديثه، ومحمد صلى الله عليه وآله شفيعه، والله

جل ذكره مؤنسه.

أمل العاصين بشفاعه النبي وآله

- في الصحيفة السجادية: ٣٥٠/ ١

اللهم فصل على محمد وآل محمد، ولا تخيب اليوم ذلك من رجائي، ويا من لا يحفيه سائل ولا ينقصه نائل، فاني لم آتتك ثقة مني بعمل صالح قدمته، ولا شفاعه مخلوق رجوته، إلا شفاعه محمد وأهل بيته، عليه وعليهم سلامك...

- وفي الاعتقادات للصدوق/٤٧:

قال النبي صلى الله عليه وآله: لا يدخل رجل الجنة بعمله، إلا برحمه الله عز وجل.

- وفي بحار الأنوار: ٨/٣٦٢

- العيون: فيما كتب الرضا عليه السلام للمؤمن من محض الإسلام: إن الله لا يدخل النار مؤمناً وقد وعده الجنة، ولا يخرج من النار كافراً وقد أوعده النار والخلود فيها، ومذنبو أهل التوحيد يدخلون النار ويخرجون منها، والشفاعة جائزة لهم.

وهو في عيون أخبار الرضا ٧: ٢٦٨، وفي الخصال: ٢/١٥٤

- وفي تأويل الآيات: ٢/٦٨:

الشيخ رحمه الله في أماليه، عن أبي محمد الفحام، عن المنصوري، عن عم أبيه قال: دخل سماعة بن مهران على الصادق عليه السلام فقال له: يا سماعة من شر الناس عند الناس؟

قال: نحن يا بن رسول الله!

قال: فغضب حتى احمرت وجنتاه، ثم استوى جالساً وكان متكئاً، فقال:

يا سماعة من شر الناس عند الناس؟

فقلت: والله ما كذبتك يا بن رسول الله، نحن شر الناس عند الناس، لأنهم سمونا كفاراً ورافضه.

فنظر الى ثم قال: كيف بكم إذا سيق بكم إلى الجنة، وسيق بهم إلى النار فينظرون إليكم فيقولون: ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار؟

يا سماعة بن مهران، إنه من أساء منكم إساءة مشينا إلى الله تعالى يوم القيامة بأقدامنا فنشفع فيه فنخلصه، والله لا يدخل النار منكم عشرة رجال، والله لا يدخل النار منكم خمسة رجال، والله لا يدخل النار منكم ثلاثة رجال، والله لا يدخل النار منكم رجل واحد، فتنافسوا في الدرجات، وأكمدوا أعداءكم بالورع. انتهى.

ولا بد أن يكون مقصود الإمام الباقر عليه السلام محبى أهل البيت المؤمنين المقبولين عند الله تعالى.

- وفي تأويل الآيات: ٢/١٥٥:

وروى الشيخ أبو جعفر الطوسي قدس الله روحه عن رجاله، عن زيد بن يونس الشحام، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: الرجل من مواليكم عاق يشرب الخمر، ويرتكب الموبق من الذنب نتبراً منه؟

فقال: تبرؤوا من فعله، ولا تتبرؤوا من خيره، وابعضوا عمله.

فقلت: يتسع لنا أن نقول: فاسق فاجر؟

فقال: لا، الفاسق الفاجر الكافر الجاحد لنا ولأوليائنا، أباي الله أن يكون ولينا فاسقاً فاجراً وإن عمل ما عمل، ولكنكم قولوا: فاسق العمل فاجر العمل مؤمن النفس، خبيث الفعل طيب الروح والبدن.

لا والله لا يخرج ولينا من الدنيا إلا والله ورسوله ونحن عنه راضون، يحشره الله على ما فيه من الذنوب، مبيضاً وجهه، مستورة عورته،

آمنة روعته، لا خوف عليه ولا حزن. وذلك أنه لا يخرج من الدنيا حتى يصفى من الذنوب، إما بمصيبة في مال أو نفس أو ولد أو مرض، وأدنى ما يصنع بولينا أن يريه الله رؤيا مهولة فيصبح حزينا لما رآه، فيكون ذلك كفارة له. أو خوفاً يرد عليه من أهل دولة الباطل، أو يشدد عليه عند الموت، فيلقى الله عز وجل طاهراً من الذنوب، آمنة روعته بمحمد وأمير المؤمنين، صلوات الله عليهما. ثم يكون أمامه أحد الأمرين: رحمة الله الواسعة التي هي أوسع من أهل الأرض جميعاً، أو شفاعته محمد وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما، إن أخطأته رحمة الله أدركته شفاعته نبيه وأمير المؤمنين، فعندها تصيبه رحمة الله الواسعة، وكان أحق بها وأهلها، وله إحسانها وفضلها. انتهى. ورواه في أصل زيد الزراد/٥١

ولا بد أن يكون المقصود بوليهم المؤمن المقبول عند الله تعالى.

- وفي بحار الأنوار: ٨/٣٦٢:

تذييل: اعلم أن الذي يقتضيه الجمع بين الآيات والأخبار أن الكافر المنكر لضروري من ضروريات دين الإسلام مخلد في النار، لا يخفف عنه العذاب إلا المستضعف الناقص في عقله، أو الذي لم يتم عليه الحجّة، ولم يقصر في الفحص والنظر، فإنه يحتمل أن يكون من المرجون لأمر الله، كما سيأتي تحقيقه في كتاب الإيمان والكفر. وأما غير الشيعة الإمامية من المخالفين وسائر فرق الشيعة ممن لم ينكر شيئاً من ضروريات دين الإسلام فهم فرقتان:

إحدهما، المتعصبون المعاندون منهم ممن قد تمت عليهم الحجّة فهم في النار خالدون.

والأخرى، المستضعفون منهم وهم الضعفاء العقول مثل النساء العاجزات والبله وأمثالهم، ومن لم يتم عليه الحجّة ممن يموت في زمان الفترة، أو كان في موضع لم يأت إليه خبر الحجّة، فهم المرجون لأمر الله، إما يعذبهم وإما يتوب عليهم، فيرجى لهم النجاة من النار. وأما أصحاب الكبائر من الإمامية فلا خلاف بين الإمامية في أنهم لا يخلدون في النار، وأما أنهم هل يدخلون النار أم لا؟ فالأخبار مختلفة فيهم اختلافاً كثيراً.

ومقتضى الجمع بينها أنه يحتمل دخولهم النار، وأنهم غير داخلين في الأخبار التي وردت أن الشيعة والمؤمن لا يدخل النار، لأنه قد ورد في أخبار آخر أن الشيعة من شايح علياً في أعماله، وأن الإيمان مركب من القول والعمل.

لكن الأخبار الكثيرة دلت على أن الشفاعة تلحقهم قبل دخول النار، وفي هذا التبهيم حكم لا يخفى بعضها على أولى الأبصار.

الاولى بشفاعة النبي وآله

- في مستدرک الوسائل: ٨/٤٤٢:

وبهذا الإسناد: عن علي بن أبي طالب قال: قيل يا رسول الله ما أفضل حال أعطى للرجل؟

قال: الخلق الحسن، إن أدناكم مني وأوجبكم عليّ شفاعته: أصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، وأحسنكم خلقاً، وأقربكم من الناس.

ورواه في صفحة ٤٥٤، وفي ١١/١٧١

- وفي تفسير نور الثقلين: ١/٧٧:

في كتاب الخصال عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ثلاث من كن فيه استكمل خصال الإيمان: من صبر على الظلم وكظم غيظه، واحتسب وعفى وغفر، كان ممن يدخله الله تعالى الجنة بغير حساب، ويشفعه في مثل ربيعه ومضر.

- وفي المقنعة/٢٦٧:

وقال صلى الله عليه وآله: إنني شافع يوم القيامة لأربعة أصناف ولو جاؤوا بذنوب أهل الدنيا: رجل نصر ذريتي، ورجل بذل ماله لذريتي عند الضيق، ورجل أحب ذريتي بالقلب واللسان، ورجل سعى في حوائج ذريتي إذا طردوا وشردوا.

- وفي فردوس الأخبار للديلمى: ٥/١٠٧ ح ٧٣٢٧

أنس بن مالك: وعدنى ربي عز وجل فى أهل بيتى: من أقر منهم بالتوحيد ولى بالبلاغ، أن لا يعذبهم.

- وفى فردوس الأخبار: ١/٥٤ ح ٢٨:

عبد الله بن عمر: أول من أشفع له يوم القيامة من أمتى أهل بيتى ثم الأقرب فالأقرب ثم الأنصار. ثم من آمن بى واتبعنى من اليمن، ثم سائر العرب والأعاجم. ومن أشفع له أولاً أفضل.

وفى الطبرانى الكبير: ١٢/٤٢١

عن ابن عمر قال: قال رسول الله (ص): أول من أشفع له يوم القيامة أهل بيتى، ثم الأقرب فالأقرب من قريش، ثم الأنصار ثم من آمن بى واتبعنى من اليمن، ثم سائر العرب، ثم الأعاجم، وأول من أشفع له أولوا الفضل.

ورواه الهيثمى فى مجمع الزوائد: ١٠/٣٨١

- وفى مجمع الزوائد ج ١٠/٣٨٠:

باب فى أول من يشفع لهم: عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص): أول من أشفع له من أمتى أهل بيتى، ثم الأقرب فالأقرب من قريش والأنصار، ثم آمن بى واتبعنى من أهل اليمن، ثم من سائر العرب، ثم الأعاجم. وأول من أشفع له أولوا الفضل. رواه الطبرانى، وفيه من لم أعرفهم.

الدعاء للنبي باعطائه الشفاعة

- فى الكافى: ٣/١٨٧:

على بن ابراهيم، عن أبيه، عن عبد الله بن المغيرة، عن رجل، عن سليمان بن خالد، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: تقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، اللهم صل على محمد وآل محمد، وتقبل شفاعته، وبيض وجهه، وأكثر تبعه.

وفى الصحيفة السجادية ١/٢٩١:

اللهم اجعل محمداً أول شافع وأول مشفع، وأول قائل، وأنجح سائل.

اللهم صل على محمد وآل محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وأفضل العالمين وخير الناطقين، وقائد الغر المحجلين، ورسول رب العالمين.

اللهم أحسن عنا جزاءه، وعظم جباؤه وأكرم مثواه وتقبل شفاعته فى أمته وفى من سواهم من الأمم، واجعلنا ممن تشفعه فيه، واجعلنا برحمتك ممن يرد حوضه يوم القيامة.

- وفى تهذيب الأحكام: ٦/١٠٠:

وبمؤالاتكم تقبل الطاعة المفترضة، ولكم المودة الواجبة والدرجات الرفيعة، والمكان المحمود والمقام المعلوم عند الله عز وجل، والجاه العظيم، والشأن الكبير والشفاعة المقبولة.

ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين، ربنا لا ترغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك انت الوهاب، سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً.

يا ولى الله إن بينى وبين الله عز وجل ذنوباً لا يأتى عليها إلا رضاكم، فبحق من ائتمنكم على سره، واسترعاكم أمر خلقه، وقرن طاعتكم بطاعته، لما استوهبتم ذنوبى، وكنتم شفعاى، فإنى لكم مطيع.

من أطاعكم فقد أطاع الله، ومن عصاكم فقد عصى الله، ومن أحبكم فقد أحب الله، ومن أبغضكم فقد أبغض الله.

اللهم إنى لو وجدت شفعاء أقرب اليك من محمد وأهل بيته الأخيار الأئمة الأبرار لجعلتهم شفعاى، فبحقهم الذى أوجبت لهم

عليك، أسألك أن تدخلني في جملة العارفين بهم وبحقهم، وفي زمرة المرحومين بشفاعتهم، إنك أرحم الراحمين.

الدعاء يطلب الشفاعة لوالديه وأقاربه

- في الصحيفة السجادية ١/٣٤٧:

اللهم رب هذه الأمكنة الشريفة، ورب كل حرم ومشعر عظمت قدره وشرفته... واغفر لي ولوالدي ولمن ولدني من المسلمين، وارحمهما كما ربياني صغيراً، واجزهما عني خير الجزاء، وعرفهما بدعائي لهما ما يقر أعينهما، فإنهما قد سبقاني إلى الغاية، وخلفتني بعدهما، فشفعني في نفسي وفيهما، وفي جميع أسلافي من المؤمنين والمؤمنات، في هذا اليوم يا أرحم الراحمين. انتهى.

مسائل حول التوسل

مفردات التوسل

وقع خلط في مسائل هذا الباب ومعاني مفرداته، فكان لا بد من تمييزها.

وأهم المفردات المستعملة في التوسل بين الإنسان وربّه عز وجل، هي:

الدعاء، النداء، التوسل، التذرع، الإستشفاع، الإستعانة، الإستغاثة، السؤال به، التوجه به. ويتصل بها: التضرع، والابتهاال، والتبرك.. وقد استعمل الإسلام كلمات: الشفاعة والتوسل والإستشفاع والتوجه إلى الله تعالى، بعمل، أو شخص، أو سؤاله بكرامته عليه، أو حقه، أو جاهه عنده.. الخ. بنفس معناها اللغوي، وهو التوسط إلى الله تعالى بعمل أو بشخص، أو طلب التوسط من ذلك الشخص إلى الله تعالى.

ويتخيل بعضهم أن توسيط شخص إلى شخص أو إلى الله تعالى، يتضمن إشراكه في مقام المتوسط إليه، وهو خطأ لأن التوسيط يدل على أن للواسطة وجاهاً ما، يؤمل بها أن يقبل المتوسط إليه شفاعته.

فمعنى الشراكة في الألوهية معنى آخر لا يأتي من التوسيط، بل قد يكون من عقيدة المتوسط ونيته، وقد لا يكون أصلاً. وسوف تعرف بطلان دعوى ابن تيمية وأتباعه تحريم بعض أنواع التوسيط بحجة أنه يتضمن شركاً بالله تعالى، وأن الشرك لا يأتي من التوسيط بل من خارجه.

ويبدو أن أقوى معاني التوسيط: سؤال الله تعالى بشخص، أو بعمل.. ويأتي بعده في المرتبة: التوسل والتوجه به إلى الله تعالى. ففي روضة الواعظين للنيسابوري/٣٢٧، أن أبا بصير سأل الإمام الصادق عليه السلام: ما كان دعاء يوسف في الجب، فإننا قد اختلفنا فيه؟ قال: إن يوسف لما صار في الجب وآيس من الحياة قال: اللهم إن كانت الخطايا والذنوب قد أخلقت وجهي عندك فلن ترفع لي اليك صوتاً، ولن تستجيب لي دعوة فإنني أسألك بحق الشيخ يعقوب، فارحم ضعفه واجمع بيني وبينه، فقد علمت رفته عليّ وشوقى إليه. قال: ثم بكى أبو عبد الله عليه السلام ثم قال: وأنا أقول:

اللهم إن كانت الخطايا والذنوب قد أخلقت وجهي عندك فلن ترفع لي اليك صوتاً ولن تستجيب دعوة، فإنني أسألك بك فليس كمثلك شيء، وأتوجه اليك بمحمد نبيك نبي الرحمة، يا الله يا الله يا الله.

قال ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: قولوا هذا وأكثر منه، كثيراً ما أقوله عند الكرب العظام. انتهى.

ونلاحظ أن الإمام الصادق عليه السلام أجرى تعديلاً على دعاء نبي الله يوسف عليه السلام، وجعل السؤال فجعله بالله تعالى وحده، وجعل التوجه إليه بنبيه محمد صلى الله عليه وآله.

وهو يدل على أن سؤال الله تعالى بالشئ أعظم من التوجه إليه به.

فالتوجه هو أن يقدم السائل شخصاً له وجهه عند المسؤول.

والسؤال به يشبه المطالبة بحق للمسؤول به على المسؤول.

والإستشفاع قريب من التوجه، وهو توسط من له حق الوساطة.

ولا يبعد أن يكون التوسل أعم منها جميعاً، لأنه توسط من له وجهه عند المسؤول، أو له حق عنده، أو له حق شفاعته ووساطته..

وقد يكون التوسل غير ناظر إلى حق المسؤول به نهائياً بل ناظر إلى ميسر حاجة السائل المتوسل، فيكون التوسل من هذه الناحية على نحو القضية المهملة.

والذي أعتقده أن هذه التعبيرات الأربع (التوجه بشخص أو شيء، والتوسل به، والإستشفاع به، والسؤال به) غير مترادفة، ويتضح ذلك من استعمالات القرآن والنبى وآله لها، وهم أفصح من نطق بالضاد، وأعلم الناس بالله تعالى وأدب سؤاله. وأن مانراه من من ترادفها فهو بالنظره الأولى.

ويحتمل في بعضها أن المعصومين (عليهم السلام) أقرروا ترادفها تخفيفاً على الأمة، أو أن الراوى اشتبه في نقلها لترادفها في ذهنه.

ويؤيد ذلك أن الإمام الصادق عليه السلام قال (وأنا أقول.. وفي رواية ولكنى أقول) وهو بذلك لا خطئ يوسف عليه السلام بسؤاله بأبيه يعقوب، ولكنه ارتقى في أدب الدعاء فسأل الله تعالى به وحده، مشيراً بذلك إلى أن حق يعقوب وحق جميع الرسل والعباد إنما هو تفضل من الله تعالى وليس ذاتياً، فالتوجه بمقام الجاه الذى أعطاهم الله أنسب.

وفي هذا الموضوع بحوث مفيدة لطيفة، يحسن لمن أرادها أن يتأمل في نصوص أدعية الصحيفة السجادية، ففيها أنواع المعرفة بالله تعالى، وأدب سؤاله ودعائه، وفيها خصائص الكلمات العربية، التى ليس فيها مترادف بالمعنى الدقيق!

الدعاء والنداء

توسع العرب فى مادة (دَعَوَ) واستعملوا مشتقاتها فى معان كثيرة، مثل نداء الشخص لأى غرض حتى مجازاً، ودعائه إلى طعام.. ومن

ذلك الدعاء إلى عبادة الله تعالى، أو غيره، كما قال تعالى (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك)!

قال الخليل فى العين: ٢/٢٢١:

(وفلان فى مدعاة إذا دعى إلى الطعام. وتقول دعا دعاء، وفلان داعى قوم وداعية قوم: يدعو إلى بيعتهم دعوة. والجميع: دعاة). انتهى.

- وقال الراغب فى المفردات/١٦٩:

الدعاء كالنداء، إلا أن النداء قد يقال بيا أو أيا ونحو ذلك، من غير أن يضم إليه الإسم، والدعاء لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الإسم نحو يا فلان... ودعوته إذا سألته وإذا استغثته، قال تعالى (قالوا ادع لنا ربك) أى سله.

وقال (قل أرأيتم أن أتاكم عذاب الله أ وأتكم الصاعه أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون) تنبيهاً أنكم إذا أصابكم شدة لم تفرعوا إلا إليه.

وادعوه خوفاً وطمعاً. وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين. وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منياً إليه. وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه.

ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك. انتهى.

- وفى الفروق اللغوية لأبى هلال/٥٣٤:

الفرق بين النداء والدعاء: أن النداء هو رفع الصوت بماله معنى، والعربى يقول لصاحبه ناد معنى ليكون ذلك أندى لصوتنا، أى أبعد له.

والدعاء يكون برفع الصوت وخفضه، يقال دعوته من بعيد ودعوت الله فى نفسى، ولا يقال ناديته فى نفسى. انتهى.

والنتيجة

أن النداء الذى هو أحد معانى الدعاء، يشمل النداء لأى غرض كان، ويشمل النداء الحقيقى والمجازى.. وعليه فلا يصح زعمهم أن قول القائل (يا محمد يا على يا فاطمة) هو حرامٌ وشرك، لأنه دعاء لغير الله تعالى وعبادة له! فإن ذلك يتبع عقيدة المنادى ونيته، فإن كانت نيته عبادتهم والعياذ بالله، فهو شرك أو كفر! أما إذا كان غرضه التوسل بهم إلى الله تعالى، كما هو عقيدة الشيعة وعامة المتوسلين المستغيثين من المسلمين، والمتبادر إلى أذهان عوامهم فضلاً عن علمائهم، فهو عبادةً لله تعالى وتوسلاً إليه بالنبي وآله، الذين شرع التوسل بهم، صلوات الله عليهم. وسيأتى أن الإستعانة والإستغاثة كالتوسل والإستشفاع وبقية ألفاظ التوسيط، معنىً وحكماً.

التوسل فى الأديان السابقة

هل كان مبدأ التوسل والإستشفاع إلى الله تعالى بالأعمال والاشخاص موجوداً فى الدين الإلهى قبل الإسلام؟ والجواب بالإيجاب، لأن قوله تعالى فى آخر سورة نزلت من القرآن:
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. المائدة: ٣٥
ليس دعوةً إلى سنة جديدة، بل إلى سنته سبحانه فى الأديان السابقة.

ولذلك أبقى الوسيلة مطلقاً ولم يبينها، لأنها معهودة فى أذهان المتدينين بأنها التوسل إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة وبرسله وأوصيائهم، وبذلك تكون الآية إذناً للمسلمين بأن يتوسلوا إليه بأعمالهم وبنبييه وأوصيائه، كما كانت السنة فى الأديان السابقة. فإن قلت: مادام الإسلام جاء بمبدأ الواسطة بين الله وعباده، وأمر به، فلماذا كل هذا الإنكار فى القرآن والحديث على المشركين الذين اتخذوا آلهتهم ومعبوديهم وسائط بينهم وبين الله تعالى؟ وماذا يصير الفرق بينهم وبين المؤمنين؟!
والجواب:

أن الفرق بين المؤمنين والمشركين فى كل الأديان: أن المشركين جعلوا الله شركاء وشفعاء لم يأذن بهم، فأشركوهم معه بأنواع من التشريك الذى زعموه.
أما المؤمنون فوحدوا الله وأطاعوه، وهو الذى أمرهم باتخاذ الوسيلة اليه والتوجه اليه بهم وتقديمهم بين يدي دعائهم وأعمالهم.. فالأنبياء والأوصياء وسيلة مشروعة وشفعاء بإذنه.

وبذلك يكون الحد الفاصل بين الشرك والتوحيد فى نوع الواسطة لا فى أصلها: فالواسطة التى أذن بها الله الواحد الأحد سبحانه لا تنافى التوحيد بل تؤكد..
والواسطة التى لم يأذن بها شركٌ يخرج صاحبه عن التوحيد.

والله تعالى يستحيل أن يأذن باتخاذ وسيلة اليه ممن يزعم أن له شراكة معه! ولذا لا يدعى المتوسلون بالرسول والأوصياء عليهم السلام أن لهم شراكة مع الله تعالى ولو بقدر ذرة! بل هم عبادةً مكرمون، شاء الله تعالى أن يجعلهم وسائط لعطائه.

الفرق بين التوسل وأنواع الشرك

تضمنت آيات القرآن الكريم كل المفاهيم اللازمة للبشر، فى تحديد ما هو من دون الله فى العبادة والإطاعة، وما هو من الله. وفيما يلي أهم عناوينها:

١ - الذين هم من دون الله

هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ. لقمان: ١١

أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ. الزمر: ٣٦

٢ - الآلهة من دون الله

قال تعالى عن الأصنام المعبودة عند قوم عاد:

قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ. إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ. مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ. إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. هود: ٥٣ - ٥٦

وقال تعقيباً على إهلاك حضارت عاد وشمود ومصر:

وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْسِبٍ. هود: ١٠١

وقال عن آلهة البابليين:

قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ. قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ. قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ. قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ. قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ. فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ. ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ. قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ. أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ. قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ. قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ. الأنبياء: ٥٩ - ٦٩

وقال عن آلهة الرومان:

وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا. هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا- يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا. وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُغِيدُونَ إِلَّا اللَّهُ فَارْجِعُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا. الكهف: ١٤ - ١٦

وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَشِيْعِي قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ. اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ. وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونَ. إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. يس: ٢٠ - ٢٤

وقال عن تأليه النصارى لعيسى ومريم:

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ آنتَ قُلْتُ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ... المائدة: ١١٦ - ١٢٠

وقال عن آلهة أمم مختلفة:

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا. الفرقان:

٣

وقال عن (الالهة) الذين رضوا بأن يعبدهم الناس:

وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقِّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ. إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ. لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ. الأنبياء: ٩٦ - ٩٩

لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُورًا. وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ. الفرقان: ١٦ - ١٧

هَذَا يَوْمُ الْفَضْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكذَّبُونَ. احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ. مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ. وَقَفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُؤُونَ. مَا لَكُمْ لَا تَنصِرُونَ. بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ. وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ. قَالُوا إِنَّا كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنْ الْيَمِينِ. قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ. وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَآغِينَ. فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَلذَائِقُونَ. فَأَعْوَبْنَاكُمْ أَنَا كُنَّا غَاوِينَ. فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ. الصفات: ٢١ - ٣٣

وقال عن آلهة بعض مشركي العرب:

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا. كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا. مريم: ١٨ - ٨٢
وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ. لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ. فَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسَيِّرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ. يس: ٧٤ - ٧٦

وقال عن آلهة مكذبي الرسل من الأمم السابقة والعرب:

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِي وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ. الأنبياء: ٢٤
وقال عن تأليه الملائكة والأنبياء:

وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ. الأنبياء: ٢٩
وقال عن قوم سبأ:

إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ. وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ. أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ. اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. النمل: ٢٣ - ٢٦

وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ. قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. النمل: ٤٣ - ٤٤
وقال عن آلهة الحضارات التي في الجزيرة العربية وحولها:

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَيَّرْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ. فَلَوْلَا نَصْرُهُمْ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ. الأحقاف: ٢٧ - ٢٨
وقال عن عباد الرحمن الموحدين:

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا.... وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا. الفرقان: ٦٣، ٦٨
٣ - المعبودون من دون الله

قال تعالى عن المعبودين من دون الله عند أمم مختلفة:

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ. يونس: ١٠٤ - ١٠٦

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ. الحج: ٧١

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا. الفرقان: ٥٥

وقال عن عبادة الناس غير الملموسة للحكام الطواغيت:

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ

عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ. وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ. النحل: ٣٥ - ٣٦

وقال عن معبودات البابليين:

قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ. أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ. قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ. قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ. الأنبياء: ٦٦ - ٦٩

وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ. قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاقِبِينَ. قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ. أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ. قَالُوا بَلَى وَحِرْدَانَا أَبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ. قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ. أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ. فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ. الشعراء: ٦٩ - ٧٧

وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ. وَبُرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ. وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ. مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصِتُونَ. فَكُفِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ. وَجُنُودٌ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ. قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ. تَأَلَّهَ إِنْ كُنَّا لِنَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. إِذْ نَسُوا اللَّهَ رَبَّهُمْ أَلْعَالَمِينَ. وَمَا أَضَلُّنَا إِلَّا الْأَمُجْرِمُونَ. الشعراء: ٩٠ - ٩٩

وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. العنكبوت: ١٦ - ١٧

وَإِنَّ مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ. إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ. أَنْفُكَا آلِهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ. فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ. فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ. فَتَوَلَّىٰ إِيَّيَّ سَاقِمِيٍّ. فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ. فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا- تَأْكُلُونَ. مِمَّا لَكُمْ لَا- تَنْطِقُونَ. فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ. فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ. قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ. وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ. الصافات: ٨٣ - ٩٦

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا- أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ. وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَروءَةً بَيْنَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَبَلَعُنْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمِمَّا أُوَكِّمُ النَّارَ وَمِمَّا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ. العنكبوت: ٢٤ - ٢٥

فَلَمَّا اعْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا. مريم: ٤٩

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعِدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدِّهِ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَسْتَ تَعْبُدُونَ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْنِكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. الممتحنة: ٤

وقد تقدمت الآيات ٩٧ - ٩٩ من سورة الأنبياء، والفرقان - ١٧، عن (الآلهة) الذين رضوا بأن يعبدهم الناس.

وقال تعالى عن عبادة النصارى للمسيح ومريم:

مِمَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا- رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤفَكُونَ.

قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. مائدة: ٧٥ - ٧٦

وقال عن عبادة العرب وأمثالهم للالصنام:

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ.

أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ. الزمر: ٢ - ٣

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ.

فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ.

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّْا رِزْقًا حَسِينًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجَّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. النحل: ٧٣ - ٧٦

وقال مقارنة بين عبادة الرسول (ص) وعبادة مكذبيه:

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ.

قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ. قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي. فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ. الزمر: ١١ - ١٥

وقال عن تخويف المشركين للنبي بمعبوداهم:

أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ. وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ.

وَلَيْسَ سِيَآئِلَتُهُمْ مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ. الزمر: ٣٦ - ٣٨

٤ - الأنداد من دون الله

قال تعالى عن الرؤساء المطاعين من دون الله (الأنداد):

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ.

إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ. البقرة ١٦٥ - ١٦٦

وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ. الزمر: ٨

٥ - الشركاء من دون الله

قال تعالى عن الأصنام:

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهُ رَبَّهُمَا لَئِن آتَيْتِنَا صَالِحًا لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ.

فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَ لَهُ شُرَكَاءَ فِي مَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ.

أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ.

وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ.

وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدْعَاؤُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ.

إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَمْثَلُكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظَرُونَ. الأعراف: ١٨٩ - ١٩٥

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

لَا يَشْكُرُونَ.

يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ.

مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. يوسف: ٣٨ - ٤٠

ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ. مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ. غافر: ٧٠ - ٧٤

٦ - المزعومون من دون الله

قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا.

أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا.

وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا. الإسراء: ٥٦ - ٥٨

قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ. سبأ: ٢٢

٧ - المدعومون من دون الله

إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا- إِنَانَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا. لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا تَجِدَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا. وَلَا ضَلَّةَ لَنَّهُمْ وَلَا مَتَّبِعِينَهِمْ وَلَا مَرْبُوهُمْ فَلْيَبْتَئِكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْبُوهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَبْتَغِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرًا مُبِينًا. يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا. النساء: ١١٧ - ١٢٠

قُلْ أَنْدَعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُوهُ إِلَىٰ الْهُدَىٰ اثْبَتْنَا قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. الأنعام: ٧١

وَلَا- تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. الأنعام: ١٠٨

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصَبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ. الأعراف: ٣٧

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ. الرعد: ١٤

أَلَا- إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمِمَّا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا- الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا- يَخْرُصُونَ. يونس: ٦٦

وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ. أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ.

إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا- يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ. لَا- جَزَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا- يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ. النحل: ٢٠ - ٢٣

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا. الإسراء: ٦٧

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَآخَذْنَا هُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ. الأنعام: ٤٠ - ٤٢

قَالَ أَرَأَيْتُمْ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَنْ لَمْ تَنْتَهِ لِأَرْجَمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا. قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا.

وَأَعْتَرِلَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا. مريم: ٤٦ - ٤٨
 وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ. وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ.
 الزخرف: ٨٦ - ٨٧

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسِرَانُ الْمُبِينُ. يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَيًّا - لَا يَضُرُّهُ مَيًّا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ. يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لِبَسِّ الْمَوْلَىٰ وَ لِبَسِّ الْعَشِيرِ. الحج: ١١ - ١٣

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ. الحج: ٦٢
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْأَلُهمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ. مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ. الحج: ٧٣ - ٧٤
 ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ. لقمان: ٣٠
 يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ.

إِنْ تَدْعُوهمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكُمْ مِثْلُ خَبِيرٍ. فاطر: ١٣ - ١٤
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَا إِذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا. فاطر: ٢٠

وَضَلَّ عَنْهمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ. فصلت: ٤٨
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ اتَّوَنَىٰ بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَنَارَهُ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ. وَإِذَا حَشَرَ النَّاسَ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ. الأحقاف: ٤ - ٦

وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ. الزمر: ٣٨

وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ. غافر: ٢٠
 هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. غافر: ٦٥ - ٦٦

وقال تعالى عن اهلاك الحضارات الظالمة:

فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ. مِثْلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنُصْرِهِمُ النَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ. العنكبوت ٤٠ - ٤٣

الرسول داعي الله

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَشْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ. قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أَنْزَلَ مِنْ بَعِيدٍ مَوْسَىٰ مَصِدْقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ. يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَعْفِرْ لَكُمْ مِنْ

ذُنُوبِكُمْ وَيُجِزُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ. وَمَنْ لَا- يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ.

الأحقاف: ٢٩ - ٣٢

قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا. قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا. الجن: ٢٠ - ٢١
قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعْ أَهْوَاءَ كُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ. قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي
وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَشْتَعِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ. الأنعام: ٥٦ - ٥٧
إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ. وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتِطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ. وَإِنْ تَدْعُوهُمْ
إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ. خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ. الأعراف: ١٩٦ - ١٩٩

المؤمنون يدعون الله تعالى وحده

وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا- شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ. وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ
وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ. الأنعام: ٥١ - ٥٢
وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا
قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا. الكهف: ٢٨

٨ - الشفعاء من دون الله والشفعاء من الله

وَدَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَّرَ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ
تَعَدَّلَ كُلٌّ عَدْلًا لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ. قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ
اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَتُرْذَ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ
إِنتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. الأنعام: ٧٠ - ٧١

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُبْتُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
شَيْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ. يونس: ١٨

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ. يُدَبِّرُ
الْأُمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ. السجدة: ٤ - ٥
أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولُو كُنُوفٍ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا- يَعْقِلُونَ. قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ. وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحِيدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا- يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ. الزمر: ٤٣ - ٤٤

٩ - الأرباب من دون الله

قال الله تعالى عن ربوبية الحكام والأخبار عند أهل الكتاب:

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ
تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ. آل عمران: ٦٤

إِتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ.

التوبة: ٣١

وقال تعالى عن المسيح والأنبياء:

مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّائِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ

الْكِتَابِ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ. وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ. آل عمران: ٧٩ - ٨٠
وقال عن أرباب الفراعنة وأتباعهم في مصر:

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ. يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ. مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. يوسف: ٣٨ - ٤٠
هذا وقد تقدم تصنيف آيات الشفاعة في المجلد الثالث.

١٠- الشهداء من دون الله والاشهاد من الله

وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ. البقرة: ٢٣
وَمِنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ. الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ. هود: ١٨ - ١٩

١١ - الصدق عن الله والإفتراء من دون الله

وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا- ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا- يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ. وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَضْمِينًا لِيَدِيكَ وَيَدِيهِ وَقَصْفًا لِيَلِ الْكِتَابِ لَا- رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مِنَ اسْتَعْطَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ. بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَا تَهُم تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ. يونس: ٣٦ - ٣٩

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مِنَ اسْتَعْطَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ. هود: ١٣ - ١٤

١٢ - العاصم من الله والعاصم من دون الله

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تَمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا.
قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا. الأحزاب: ١٦ - ١٧
١٣- الوليعة من دون الله:

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجْهَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ.
التوبة: ١٦

١٤ - الأولياء من دون الله:

وهذا الموضوع أوسع المواضيع في مصطلح (من دون الله القرآني) لأن الأولياء من دونه في المجتمعات البشرية والسلوك الإنساني متنوعون. قال الله تعالى:

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ. البقرة: ١٠٧

الأولياء الشياطين

قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ. فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُهْتَدُونَ. الأعراف: ٢٩ - ٣٠
التأثر بأفكار الناس يجعلهم أولياء من دون الله

فَاشِيقُمْ كَمَا أَمَرْتُمْ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. وَلَا تَزَكُّوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ

مِنْ أَوْلِيَاءِ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ. وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ. وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ. هود: ١١٢ - ١١٥

إَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مَن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ. الأعراف: ٣
لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مَن أَمَرَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مَن وَالٍ. الرعد: ١١

وَلِئَلَّا يَكْفُرُوا فِي كُفْرِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسَدُّدًا. قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مَن وَلِيٌّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا. وَأَنْتَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِّن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مَن دُونِهِ مُلتَحِدًا. الكهف: ٢٥ - ٢٧
وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلِكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ. فَحَسْبُنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضُ فَمَا كَانَ لَهُ مَن فِيهَا يَنْصُرُونَهُ مَن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ. القصص: ٨٠ - ٨١

قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقَ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ. الرعد: ١٦

انكشاف عدم فائدة الأولياء من دون الله في الآخرة

وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعِينَ مِّنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ مِّن طَرَفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ. وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّن أَوْلِيَاءٍ يَنْصُرُونَهُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مَن سَبِيلٍ. اسْتَحْيُوا لِرَبِّكُمْ مَن قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَنِي يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِّنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ. الشورى: ٤٥ - ٤٧

وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا. وَقَالُوا لَا تَنْزُرَنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وُدًّا وَلَا سُوعًا وَلَا يَعُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسِيرًا. وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا. مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أُعْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا. نوح: ٢٢ - ٢٥

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ. الزمر: ٢ - ٣
وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ.

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَن حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ. وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يَدْخُلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مَن وَلِيٌّ وَلَا نَصِيرٍ. أَمْ اتَّخَذُوا مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. الشورى: ٦ - ٩

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تُلَوِّهُهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَىٰ حَيْثُ بَعِدَ اللَّهُ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ. وَإِلَ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ. يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشْرُهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. وَإِذَا عَلِمَ مَن آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوعًا وَأَوْلَيْكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ. مَن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. الجاثية: ٦ - ١٠

لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مَن أَمَرَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مَن وَالٍ. الرعد: ١١

وَإِن تَكذَّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَّم مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ. أَوْ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِيءُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ. قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ. وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مَن وَلِيٌّ وَلَا نَصِيرٍ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَكْفُرُونَ بِرَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. العنكبوت: ١٨ - ٢٣

- وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا. قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا. قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا. وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِّيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّا وَاهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا. الإسراء: ٩٤ - ٩٧

أَوْ يُضَيِّعَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا. وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا. وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا. هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا. الكهف: ٤١ - ٤٤

قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا. فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَبْرًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِم مِّنْكُمْ نُدْفَعُهُ عَذَابًا كَبِيرًا. وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا. الفرقان: ١٨ - ٢٠

لا وجود حقيقيا لولى من دون الله

- إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ. لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ. التوبة: ١١٦ - ١١٧
وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ. وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ. وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ. الشورى: ٢٩ - ٣١
نتيجة

من الآيات المتقدمة، يتضح أن سبب الكفر والشرك والضلال، ثلاثة أمور:

الأول: زعم الألوهية لأحد غير الله تعالى.

والثاني: زعم الشراكة في الألوهية أو في التصرف في الخلق لأحد مع الله تعالى.

والثالث: زعم حق الوسيلة والوساطة لأحد أو شئ لم يأذن به الله تعالى.

أما التوسل إلى الله بمن أذن بالتوسل به، وبدون ادعاء شراكة له مع الله تعالى.. فهو خارج عن هذه الحالات المذمومة كلها، ولا يدخل في شئ من الكفر والشرك والضلال، بل هو إطاعة لله، لأنه اتخاذ وسيلة بأمره، وليس من دونه.

فالميزان في المسألة هو: أن اتخاذ الوسيلة والشفعاء من دون الله تعالى شرك وكفر، واتخاذهم من عنده بإذنه وأمره، إيمان وتقوى.

وشتان بين الأمرين!! فهما وإن تشابها في الظاهر لكن الفرق بينهما هو المسافة بين الكفر والضلال، والهدى والرشاد.

وبذلك تعرف وهن تشبث به ابن تيمية وأتباعه فحكموا على أكثر المسلمين بالكفر بسببه!! واستحلوا بذلك دماءهم وأموالهم!!

شبهة على أصل التوسل

أثار بعضهم اشكالا على مبدأ التوسل، شبيها بما مر في الشفاعة..

والسبب في ذلك أنهم رأوا الشفاعات والوساطات والمحسوبيات السيئة عند الرؤساء والمسؤولين في دار الدنيا، وما فيها من محاباة وإعطاء بغير حق، ولا جهد من المشفوع لهم، أو المتوسط لهم.

وبما أن الله تعالى يستحيل عليه أن يحابي كما يحابي حكام الدنيا، وإنما يعطى جنته وثوابه بالإيمان والعمل الصالح.. فلذا صعب على هؤلاء قبول الشفاعة والوساطة والوسيلة إلى الله تعالى!

ولكنه فات هؤلاء أنه لا- استحقاق في الأصل لمخلوق على الله تعالى، وأن المنشأ الحقوقي الوحيد لحق المخلوق على ربه هو وعده سبحانه إياه بالعطاء، فهو حقٌ مكتسبٌ بالوعد لأن الله تعالى رحيمٌ صادق، وليس حقاً أصلياً للعبد! وفاتهم أيضاً، أن الإستشفاع والتوسل إليه تعالى عملٌ صالح، لأنه تعالى أمرنا أن نبتغى إليه الوسيلة. فاتهم أن الحكمة من جعله تعالى الأنبياء والأوصياء الوسيلة إليه تعالى:

أولاً: أن يعالج مشكلة التكبر في البشر، لأن البشر لا يمكنهم الانتصار على تكبرهم والخضوع لعبودية الله تعالى، إلا إذا انتصروا على ذاتيتهم في مقابل الأنبياء والأوصياء، واعترفوا لهم بالفضل والمكانة المميزة والاختيار الإلهي، وأنهم المبلغون عن الله تعالى.. فهذا الإعراف مطلوب لأنه مقدمة علمية وعملية للإيمان بالله تعالى وممارسة العبودية له.

فبدون الخضوع للأنبياء والأوصياء لا يتحقق خضوع حقيقي لله تعالى، ولا إيمان حقيقي به!! وهذا هو المقصود بقوله تعالى (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ)!!

لقد كان من الممكن أن يقول الله تعالى للناس: آمنوا بي ولا- شغل لكم برسلي وأوليائي، فإنما هم مبلغون لما أرسلتهم به، وإنما (الرسول طارش) كما قال بعض الوهابيين! ولكن ذلك لا يعالج مشكلة الإنسان في التكبر على عباد الله!! وإذا لم تنحل مشكلته هذه، لم تنحل مشكلته في التكبر على ربه وادعاءاته الفارغة بقربه منه وتكريمه له!! فالخضوع العملي للمخلوقين الربانيين الممتازين، هو الطريق الطبيعي الوحيد للخضوع للخالق سبحانه.

وهما نوعان مختلفان من الخضوع، لأن حق الخضوع لله ذاتي، ولأوليائه تبعي جعلي.. بل هما في الحقيقة نوعٌ واحد، لأن الخضوع للأولياء بأمر الله تعالى إنما هو خضوعٌ لله تعالى.

وثانياً: أن جعل الأنبياء والأوصياء وسيلة إلى تعالى ضرورةً ذهنيةً للبشر.. ذلك أن الفاصلة بين ذهن الإنسان المحدود الميال إلى المادية والمحدودية، وبين التوحيد المطلق المطلوب والضروري، فاصلةٌ كبيرة، فهي تحتاج إلى نموذج ذهني حاضر من نوع الإنسان، يمارس التوحيد أمامه ويكون قدوةً له. وبدون هذا النموذج القدوة، يبقى الإنسان في معرض الجنوح في تصوره للتوحيد وممارسته، والجنوح في هذا الموضوع الخطير، أخطر أنواع جنوح الضلال!!

وهذا هو السبب في اعتقادي في أن الله تعالى جعل أنبياءه وأوصيائه حججاً على العباد، وهو السبب في أنه جعلهم من نوع الناس أنفسهم وليس من نوع آخر كالملائكة مثلاً. والنتيجة:

أن وجود الوسيلة بين العباد والله تعالى لو كان أمره يرجع إلينا لصح لنا أن نقول ياربنا نريد أن تجعل كل أنواع ارتباطنا بك مباشراً، فلا تجعل بيننا وبينك واسطه في شيء! كما يميل إليه أهل الإشكال على الشفاعة والتوسل! ولكن الأمر له سبحانه، فالأفضل أن يكون منطلقنا سليماً فنقول:

اللهم لا نقترح عليك، فأنت أعلم بما يصلحنا، وإن أردت أن تجعل أنبياءك وأوصيائك واسطه بيننا وبينك، وحججاً علينا عندك، فنحن مطيعون لك ولهم، ولا اعتراض عندنا..

وهذا هو التسليم المطلق لإرادته تعالى الذي عبر عنه بقوله لرسوله صلى الله عليه وآله في سورة الزخرف: ٨١ - ٨٢: قل إن كان لله ولد فأنا أول العابدين.

ومعناه: أيها الرسول وحد الله تعالى توحيداً بلا شرط، واقبل معه كل شرط حتى لو اتخذ ولداً وأمرك بعبادته!

ثم بين تعالى أن الواقع أنه لم يتخذ ولن يتخذ ولداً فقال:

سبحان الله رب السماوات والأرض، رب العرش، عما يصفون.

فهى مسألة ذات حدين، لابد فيها التوازن والحذر من الإفراط والتفريط!

فلا هؤلاء الوسائط يملكون شيئاً مع الله تعالى.. لأنهم مخلوقون فقراء إليه تعالى.

كما أنه لا غنى للناس عن وساطتهم إلى الله.. لأنهم عباده المكرمون الذين أمر بالتوجه اليه بهم.

والتعادل المطلوب فيها تعادل فكرى وعملى.. لأن الحركة الإنحرافية، ذهنية أو عملية، قد توجب الضلال!!

فالذين ينقصون من دور أنبياء الله وأوصيائه ومقامهم عند الله تعالى، بحجة توحيدهم وإبعاد الشركاء عن ساحته المقدسة، يقعون فى

الضلال والبعد عن الطريق الذى عينه الله لتوحيدهم وطاعته.. وهو طلعتهم، والتوجه اليه بهم!

والذين يزيدون على دورهم المحدد من الله تعالى، ويجعلون لهم معه شراكة فى ملكه أو حكمه أو عبادته، ولو ذرة واحدة، بحجة أنه

جعلهم وسيلة إليه.. يقعون فى الضلال والبعد عن الطريق الذى عينه الله تعالى، والذى هو التوحيد المطلق!

وبسبب هذه الدقة فى العقيدة الإسلامية فى الأنبياء والاصياء نرى أن الآيات والأحاديث الشريفة أكدت على الجانبين معاً!

١ - فهى تؤكد من ناحية على أن طاعته تعالى إنما تكون بطاعتهم وابتغاء الوسيلة إليه عن طريقهم.

٢ - ومن ناحية أخرى تؤكد على بشريتهم، وأن الذين جعلوهم آلهة أو شركاء لله قد ضلوا وكفروا.

وفيما يلى نورد بعض الآيات فى إطاعة الرسول صلى الله عليه وآله، ونلاحظ أن الله جعل طاعة الرسول إيماناً ومعصيته كفراً! وهو مقام

مافوقه مقام لمخلوق أن يجعل الله طاعته طاعته، ومعصيته معصيته!!

قال سبحانه:

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَارْتَابُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ. آل عمران: ٣٢

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا. النساء: ٨٠

وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ

وَكَيْلًا. النساء: ٨١

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَارْتَابُوا الرَّسُولَ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ. وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ. إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ

عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ. وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ. الانفال: ٢٠ - ٢٣

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَارْتَابُوا الرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا. ذَلِكَ

الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا. النساء: ٦٩ - ٧٠

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَارْتَابُوا وَيَخْشَى اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ. وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجْنَ قُلْ لَا تُفْسِدُوا طَاعَةَ

مَعْرُوفَةَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ. النور: ٥٢ - ٥٣

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ.

النور: ٥٤

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَارْتَابُوا فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا.

الأحزاب: ٧٠ - ٧١

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ. محمد: ٣٣

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَارْتَابُوا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّى يَدْعُبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا. الفتح: ١٧

تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَارْتَابُوا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَارْتَابُوا

وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ. النساء: ١٣ - ١٤

ونلاحظ هنا أن نفس فريضة الإطاعة التي فرضها الله لرسوله، فرضها لأولى الأمر من بعده! صلى الله على رسوله وآله، قال تعالى:
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا. النساء: ٥٩
وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا. النساء: ٨٣

ومن الجهة الأخرى قال تعالى في الذين ألهوا الأنبياء والأولياء أو جعلوهم شركاء لله سبحانه:
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ. وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ. لَا يَسْبِقُونَهُ
بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ. يَغْلِبُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ. وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي
إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكُنَّ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ. الأنبياء: ٢٥ - ٢٩
إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا
إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ. لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا
يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ. الزمر: ٢ - ٤

تأكيد الأئمة على المحافظة على التوحيد في التوسل

وذلك في نصوص كثيرة، ومنها نصوص الأدعية والتوسلات التي علمها الأئمة الطاهرون (عليهم السلام) لشيعتهم، كما لاحظت فيما
أوردناه منها.. وهذا نموذج آخر:
- في بحار الأنوار: ٩٨/١٦٨:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا أتيت القبر بدأت فأثنت على الله عز وجل، وصليت على النبي صلى الله عليه وآله، واجتهدت في
ذلك إن شاء الله، ثم تقول: سلام الله وسلام ملائكته فيما تروح وتغدو.

من هم المتوسل بهم عند المسلمين

يكاد يكون التوسل والإستشفاع في مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، محصوراً روايةً وعملاً بمحمد وآله المعصومين صلى الله عليه
وعليهم.

ولم أجد في سيرة أئمتنا (عليهم السلام)، ولا في سلوك المتشرعين من أصحابهم وشيعتهم ذكراً للتوسل بأحد غير المعصومين (عليهم
السلام)! وإن وجد فهو توسل بهم تبعاً للمعصومين أو في موارد خاصة.

نعم ورد في عدد من الأدعية عن أهل البيت (عليهم السلام) تعليم التوسل بالملائكة المقربين والأنبياء السابقين، وكتب الله المنزلة،
وعباد الصالحين، والأعمال الصالحة..

ففي مصباح المتعبد/٣٥٨:

اللهم إني أتقرب اليك بجودك وكرمك، وأتشفع اليك بمحمد عبدك ورسولك، وأتوسل اليك بملائكتك المقربين، وأنبيائك
المرسلين، أن تقبلني عثرتي، وتستر على ذنوبي، وتغفرها لي، وتقبلني بقضاء حاجتي، ولا تعذبني بقبيح كان مني.

يا أهل التقوى وأهل المغفرة، يا بر يا كريم، أنت أبر بي من أبي وأمي، ومن نفسي، ومن الناس أجمعين، بي اليك فاقه وفقر، وأنت
غني عنى...

- وفي مصباح المتعبد/٣٠٢

روى ابراهيم بن عمر الصنعاني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: للأمر المخوف العظيم تصلى ركعتين، وهى التى كانت الزهراء عليها السلام تصليها، تقرأ فى الأولى الحمد، وقل هو الله أحد خمسين مرة، وفى الثانية مثل ذلك، فإذا سلمت صليت على النبى صلى الله عليه وآله، ثم ترفع يديك وتقول:

اللهم انى أتوجه بهم اليك وأتوسل اليك بحقهم العظيم الذى لا يعلم كنهه سواك وبحق من حقه عندك عظيم، وبأسمائك الحسنى وكلماتك التامات، التى أمرتنى أن أدعوك بها.

وأسألك باسمك العظيم الذى أمرت ابراهيم عليه السلام أن يدعو به الطير فأجابته.

وباسمك العظيم الذى قلت للنار كونى برداً وسلاماً على ابراهيم فكانت.

وبأحب أسمائك إليك، وأشرفها عندك، وأعظمها لديك، وأسرعها إجابةً، وأنجحها طلباً، وبما أنت أهله ومستحقه ومستوجبه...

وأسألك بكتبك التى أنزلتها على أنبيائك ورسلك صلواتك عليهم أجمعين من التوراة والإنجيل والقرآن العظيم، من أولها إلى آخرها، فإن فيها اسمك الأعظم. وبما فيها من أسمائك العظمى أتقرب اليك.

التوسل بغير المعصومين عند السنين

سيرة أئمة المذاهب السنية وسلوك أتباعهم حافلة بالتوسل بمن يعتقدون صلاحه من شيوخ العلم والتصوف.

وحتى الحنابلة الذين يدعى ابن تيمية الإنتساب إليهم ويشن باسمهم حملة ضد التوسل والإستشفاع ويكفر بهم المسلمين.. يعتقدون بالتوسل!!

فقد ثبت عن إمامهم أحمد وكبار متقدميهم ومتأخريهم، أنهم كانوا يزورون القبور ويتوسلون إلى الله تعالى بأصحابها!!

وقد بنوا على قبر أحمد بن حنبل مسجداً وقبة! وجعلوه مزاراً يصلون عنده ويتمسحون به ويتوسلون به!!

- ففى وفيات الأعيان لابن خلكان: ١/٦٤:

أحمد بن حنبل... توفى ضحوه الجمعة لثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول.. ودفن بمقبرة باب حرب، وباب حرب منسوب إلى حرب بن عبد الله أحد أصحاب أبى جعفر المنصور، والى حرب هذا تنسب المحلة المعروفة بالحربية، وقبر أحمد بن حنبل مشهور بها يزار.

- وفى مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى/٤٥٤:

حدثنى أبو بكر بن مكارم بن أبى يعلى الحربى وكان شيخاً صالحاً قال: كان قد جاء فى بعض السنين مطراً كثيراً جداً قبل دخول رمضان بأيام، فتمت ليلة فى رمضان فأريت فى منامى كأنى قد جئت على عادتى إلى قبر الإمام أحمد بن حنبل أزور، فأريت قبره قد التصق بالأرض حتى بقى بينه وبين الأرض مقدار ساف أو سافين، فقلت: إنما تم هذا على قبر الإمام أحمد من كثرة الغيث!

فسمعت من القبر وهو يقول: لا، بل هذا من هيبه الحق عز وجل، لأنه عز وجل قد زارنى!! فسألته عن سر زيارته إياى فى كل عام فقال عز وجل: يا أحمد، لأنك نصرت كلامى فهو ينشر ويتلى فى المحاريب. فأقبلت على لحده أقبله ثم قلت: يا سيدى ما السر فى أنه لا يقبل قبر إلا قبرك؟ فقال لى: يا بنى، ليس هذا كرامة لى، ولكن هذا كرامة لرسول الله(ص)! لأن معى شعرات من شعره!!

ألا ومن يحببنى يزورنى فى شهر رمضان! قال ذلك مرتين!!

- وفى طبقات الحنابلة لأبى يعلى: ٢/١٨٦:

سمعت رزق الله يقول: زرت قبر الإمام أحمد صحبه القاضى الشريف أبو على فرأيتة يقبل رجل القبر! فقلت له: فى هذا أثر؟

قال لى: أحمد فى نفسى شئ عظيم، وما أظن أن الله تعالى يؤخذنى بهذا!!

- وفى تاريخ بغداد للخطيب: ٤/٤٢٣:

عن أبي الفرج الهندي يقول: كنت أزور قبر أحمد بن حنبل فتركته مدّة، فرأيت في المنام قائلًا يقول لي: لم تركت زيارة إمام السنة!!

ورواه ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد/٤٨١
- وفي رحله ابن بطوطه: ١/٢٢٠:

قبور الخلفاء ببغداد وقبور بعض العلماء والصالحين بها... وبقرب الرصافه قبر الإمام أبي حنيفة، وعليه قبة عظيمة وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر، وليس بمدينة بغداد اليوم زاوية يطعم الطعام فيها ماعدا هذه الزاوية.
وبالقرب منها قبر الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل، ولا قبة عليه.. ويذكر أنها بنيت على قبره مراراً فتهدمت بقدرة الله تعالى.
وقبره عند أهل بغداد معظم، وأكثرهم على مذهبه، وبالقرب منه قبر أبي بكر الشبلي من أئمة المتصوفة.
- وفي تاريخ الإسلام للذهبي: ٣٨/٢٣:

في عام ٥٥٤ غرقت مقبرة الإمام أحمد وخرجت الموتى على وجه الماء وكانت آية عجيبة.
- وفي عمدة القارى للعيني: ٥ جزء ٩/٢٤١:

سعيد العلاني قال: رأيت في كلام أحمد بن حنبل.. أن الإمام أحمد سئل عن تقبيل قبر النبي (ص) وتقبيل منبره، فقال: لا بأس بذلك.
قال فأريانه للشيخ تقي الدين بن تيمية، فصار يتعجب من ذلك ويقول: عجبت! أحمد عندي جليل، يقول هذا الكلام!
وأى عجب.. وقد روينا عن الإمام أحمد أنه غسل قميصاً للشافعي وشرب الماء الذي غسله به!!
- وفي تاريخ الإسلام للذهبي: ١٤/٣٣٥:

وقال ابن خزيمة: هل كان ابن حنبل إلا غلاماً من غلمان الشافعي؟
- وفي الإعتصام للشاطبي: ١/٢٢٦:

والجواب عن هذا (قول أحمد بن حنبل) أنه كلام مجتهد يحتمل اجتهاده الخطأ والصواب.. وقد كان (ابن حنبل) يميل إلى نفى القياس، ولذلك قال: مازلنا نلعن أهل الرأي ويلعنوننا، حتى جاء الشافعي فخرج بيننا..
- وفي الغدير للأميني: ٥/١٩٤:

قال ابن حجر في (الخيرات الحسان) في مناقب الإمام أبي حنيفة في الفصل الخامس والعشرين: إن الإمام الشافعي أيام كان هو ببغداد كان يتوسل بالإمام أبي حنيفة ويحج إلى ضريحه يزوره فيسلم عليه، ثم يتوسل إلى الله تعالى به في قضاء حاجاته، وقال: قد ثبت أن الإمام أحمد توسل بالإمام الشافعي حتى تعجب ابنه عبد الله بن الإمام أحمد، فقال له أبوه: إن الشافعي كالشمس للناس وكالعافية للبدن. ولما بلغ الإمام الشافعي: أن أهل المغرب يتوسلون بالإمام مالك لم ينكر عليهم.
وفي الغدير: ٥/١٩٨:

قال (ابن الجوزي) في المنتظم: ١٠/٢٨٣:

وفي أوائل جمادى الآخرة سنة ٥٧٤ تقدم أمير المؤمنين بعمل لوح ينصب على قبر الإمام أحمد بن حنبل، فعمل ونقضت السترة جميعها وبنيت بآجر مقطوع جديدة، وبنى له جانبان، ووقع اللوح الجديد وفي رأسه مكتوب: هذا ما أمر بعمله سيدنا ومولانا المستضي بأمر الله أمير المؤمنين.

وفي وسطه: هذا قبر تاج السنة وحيد الأمة العالی الهمة العالم العابد الفقيه الزاهد الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني رحمه الله. وقد كتب تاريخ وفاته وآية الكرسي حول ذلك.

ووعدت بالجلوس في جامع المنصور، فتكلمت يوم الاثنين سادس عشر جمادى الأولى، فبات في الجامع خلق كثير وختمت ختمات، واجتمع للمجلس بكرة ما حزر بمائة ألف، وتاب خلق كثير وقطعت شعور، ثم نزلت فمضيت إلى زيارة قبر أحمد، فتبعني من حزر

بخمسة آلاف.

- وفي الغدير للأميني: ٥/١٩٩:

الحافظ ابن عساكر في تاريخه: ٢/٤٦:

عن أبي بكر بن أزيويع قال: رأيت رسول الله (ص) في المنام معه أحمد بن حنبل فقلت: يا رسول الله من هذا؟

فقال: هذا أحمد ولي الله وولي رسول الله على الحقيقة، وأنفق على الحديث ألف دينار.

ثم قال: من يزوره غفر الله له، ومن يبغض أحمد فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله.

وفي النهاية لابن كثير: ١٢/٣٢٣

وفي صفر سنة ٥٤٢ رأى رجل في المنام قائلاً يقول له: من زار أحمد بن حنبل غفر له. قال: فلم يبق خاص ولا عام إلا زاره وعقدت

يومئذ ثم مجلساً، فاجتمع فيه ألوف من الناس!!

التوسل الواسع في صلاة الإستسقاء

ورد عندنا وعندهم الحث على التوسل في صلاة الإستسقاء بالأخيار والضعفاء والمرضى، ومن ذلك: ما قاله النووي في المجموع:

٥/٦٦:

قال في الأم: ولا أمر بإخراج البهائم. وقال أبو اسحق: استحب إخراج البهائم، لعل الله تعالى يرحمها، لما روى أن سليمان (ص) خرج

ليستسقى فرأى نملة تستسقى، فقال ارجعوا فإن الله تعالى سقاكم بغيركم.

ويكره إخراج الكفار للاستسقاء لأنهم أعداء الله فلا يجوز أن يتوسل بهم إليه، فإن حضروا وتميزوا لم يمنعوا، لأنهم جاؤوا في طلب

الرزق.

وقال في: ٥/٧٠:

يستحب أن يستسقى بالخيار من أقارب رسول الله (ص)، وبأهل الصلاح من غيرهم، وبالشيوخ والضعفاء والصبيان والعجائز وغير ذوات

الهيئات من النساء، ودليله ما ذكره المصنف.

وأيضاً ففي الصحيح أن رسول الله (ص) قال: وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم؟

قال القاضي حسين والرويانى والرافعي وآخرون من أصحابنا: ويستحب أن يذكر كل واحد من القوم في نفسه ما فعله من الطاعة

الجليلة، ويتشفع به ويتوسل.

واستدلوا بحديث ابن عمر في الصحيحين عن رسول الله (ص) في قصة أصحاب الغار الثلاثة الذين أووا إلى غار فأطبقت عليهم صخرة،

فتوسل كل واحد بصالح عمله، فأزال الله عنهم بسؤال كل واحد ثلثاً من الصخرة وخرجوا يمشون. انتهى.

فهذه فتاوى من فقهاء المذاهب الأربعة، تنص على التوسل بالصالحين والضعفاء والمرضى والأعمال والحيوانات، وتنص على أنه

توسل واستشفاع، وهو أوسع من التوسل المتبادر إلى أذهاننا بالنبي وأهل بيته صلى الله عليه وعليهم.

التوسل العملي بالأعمال الصالحة

في بحار الأنوار: ٧٤/٣٩٨:

عن أمالي المفيد، عن أحمد بن الوليد، عن أبيه، عن الصفار، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير،

عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين (عليهم السلام) قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام:

أفضل ما توسل به المتوسلون بالإيمان بالله، ورسوله، والجهاد في سبيل الله، وكلمة الإخلاص فإنها الفطرة، وإقام الصلاة فإنها الملة،

وإيتاء الزكاة فإنها من فرائض الله، وصيام شهر رمضان فإنه جنه من عذاب الله، وحج البيت فإنه ميقات للدين ومدحضة للذنب، وصلة الرحم فإنها مثراة للمال ومنسأة للأجل، والصدقة في السر فإنها تذهب الخطيئة وتطفى غضب الرب، وصنایع المعروف فإنها تدفع ميتة السوء، وتقى مصارع الهوان. ومثله في: ٩٣/١٧٧

ونحوه في: ٧٤/٢٨٩، عن تحف العقول، قال: خطبته عليه السلام المعروفة بالديباج:

الحمد لله فاطر الخلق، وخالق الإصباح، ومنشر الموتى، وباعث من في القبور، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله عباد الله، إن أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله جل ذكره: الإيمان بالله وبرسوله وما جاءت به من عند الله... الحديث، كما تقدم بتفاوت.

- ورواه في: ٧١/٤١٠، عن علل الشرائع عن أبي، عن سعد، عن ابراهيم بن مهزيار، عن أخيه علي، عن حماد عن ابراهيم بن عمر، رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: ان أفضل ما توسل به المتوسلون...

- ورواه في: ٦٢/٣٨٦، عن أمالي المفيد، عن الإمام الصادق عليه السلام، بتفاوت وزيادة في آخره، قال (ألا فاصدقوا فإن الله مع من صدق، وجانبوا الكذب فإن الكذب بجانب الإيمان، ألا وإن الصادق على شفا منجاة وكرامة، ألا وإن الكاذب على شفاء مخزاة وهلكة، ألا- وقولوا خيراً تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، وأدوا الأمانة إلى من ائتمنكم، وصلوا من قطعكم، وعودوا بالفضل عليهم. انتهى.

ولكن التوسل بالأعمال الصالحة لا ينفي التوسل بالنبي وآله صلى الله عليه وآله، فقد ثبت أنه لا يقبل عمل لمسلم إلا بولايتهم، وأنه لا يرفع دعاء إلا بالصلاة عليهم، وهو التوسل بهم! وقد روى ذلك عندنا في مصادر الجميع!

التوسل إلى الله في مصادر السنيين

تعليم النبي التوسل به إلى الله تعالى

روى الترمذى: ٥/٢٢٩ برقم ٣٦٤٩:

حدثنا محمود بن غيلان، أخبرنا عثمان بن عمر، أخبرنا شعبه، عن أبي جعفر، عن عمارة بن خزيمة بن ثابت، عن عثمان بن حنيف: أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي (ص) فقال: أدع الله أن يعافيني.

قال: إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك.

قال: فادعه. قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعوه بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة. يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه في.

هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر، وهو غير الخظمي. انتهى.

- ورواه ابن ماجه في: ١/٤٤١، وقال: قال أبو اسحاق هذا حديث صحيح. انتهى.

- ورواه أحمد: ٤/١٣٨، بروايتين.

- ورواه الحاكم في المستدرک: ١/٣١٣، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. انتهى.

- ورواه في: ١/٥١٩، بسندين آخرين، وقال بعدهما: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

- ورواه في: ١/٥٢٦، وقال: تابعه شيب بن سعيد الحبطي عن روح بن القاسم زيادات في المتن والإسناد والقول...

وقال أيضاً: هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه، وإنما قدمت حديث عون بن عمارة لأن من رسمنا أن نقدم العالى من الأسانيد.

- ورواه الطبراني في كتاب الدعاء/٣٢٠، وما بعدها بعدة طرق، وكذا في المعجم الكبير: ٣١/٩، والصغير: ١/١٨٣، وصححه.

- ورواه في مجمع الزوائد: ٢/٢٧٩، وقال:

قلت: روى الترمذى وابن ماجه طرفاً من آخره خالياً عن القصة، وقد قال الطبرانى عقبه: والحديث صحيح، بعد ذكر طرقة التى روى بها.

- ورواه فى كنز العمال: ٢/١٨١، و٦/٥٢١ (ت، ه، ك، عن عثمان بن حنيف). (حم ت: حسن صحيح غريب هك وابن السنن عن عثمان بن حنيف) ورواه ابن خزيمة فى صحيحه: ٢/٢٢٥ وروى الطبرانى تطبيق عثمان بن حنيف للحديث بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله كما سيأتى.

- وفى السنن الكبرى للنسائى: ٦/١٦٨

أخبرنا محمد بن معمر قال، حدثنا حبان قال، حدثنا حماد قال، أخبرنا جعفر عن عماره بن خزيمة، عن عثمان بن حنيف أن رجلاً أعمى أتى النبى (ص) فقال: يا رسول الله إني رجل أعمى، فادع الله أن يشفينى، قال بل أدعك، قال: أدع الله لى مرتين أو ثلاثاً. قال: توضعاً ثم صل ركعتين ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه اليك نبى محمد نبى الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى الله أن يقضى حاجتى، أو حاجتى إلى فلان، أو حاجتى فى كذا وكذا. اللهم شفّع فى نبى وشفعنى فى نفسى. انتهى. ثم رواه النسائى بروايتين أخريتين.

توسل عمر بن الخطاب بالعباس عم النبى

- روى الحاكم فى المستدرک: ٣/٣٣٤

أخبرنا أبو زكريا يحيى بن محمد العنبرى، ثنا الحسن بن على بن نصر، ثنا الزبير بن بكار، حدثنى ساعده بن عبيد الله المزنى، عن داود بن عطاء المدنى، عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر أنه قال: استسقى عمر بن الخطاب عام الرمادة بالعباس ابن عبد المطلب فقال: اللهم هذا عم نبىك العباس نتوجه اليك به فاسقنا، فما برحوا حتى سقاهم الله. قال فخطب عمر الناس فقال: أيها الناس إن رسول الله كان يرى للعباس ما يرى الولد لوالده، يعظمه ويفخمه ويبر قسمه، فاقتدوا أيها الناس برسول الله فى عمه العباس، واتخذوه وسيلة إلى الله عز وجل فيما نزل بكم! انتهى. وروته عامه مصادرهم.

توسل الناس فى المحشر واستشفاعهم بالنبى

- روى ذلك البخارى فى عدة مواضع، فى صحيحه: ٥/١٤٧

عن أنس (رض) عن النبى (ص) قال:

يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيأتون آدم فيقولون أنت أبو الناس خلقتك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شئ، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول: لست هناكم، ويذكر ذنبه فيستحي ائتوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتونه فيقول لست هناكم... ائتوا إبراهيم... ائتوا موسى... ائتوا عيسى... ائتوا محمداً عبداً غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتونى فأنتلق حتى أستأذن... الخ.

- ونحوه بتفاوت فى: ٢٠٣/٧، و: ٨/١٧٢ و ١٨٣، وروته عامه مصادرهم.

ما ورد عندهم من الدعاء للنبى بالوسيلة

- قال البخارى فى صحيحه: ١/١٥٢:

عن جابر بن عبد الله أن رسول الله (ص) قال: من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة

والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته.. حلت له شفاعتي يوم القيامة.

ورواه البخارى فى: ٥/٢٢٨، وابن ماجه: ١/٢٣٩، وأبو داود: ١/١٢٩، والنسائى: ٢/٢٧، والترمذى: ١/١٣٦، والبيهقى فى السنن: ١/٤١٠، والهيثمى فى الزوائد: ١/٣٣٣ و: ١٠/١١٢، وفى كنز العمال: ٢/٨٠ و: ٧/٦٩٨ و٧٠٣... وغيرها.

هذه هى صيغة البخارى، التى لم يرو فى صحيحه غيرها، وهى تريد الإيحاء بأن الدعاء بالوسيلة دعاءً مستقل يستحب أن يدعو به المسلمون عند سماع الأذان، ولا علاقة لها بصيغة الصلاة على النبى، ولا علاقة لها بآله!!

وقد تبع البخارى محدثون آخرون كما رأيت، ثم تبعهم الفقهاء فافتوا بهذا الدعاء فصار سنةً للسنين فى عملهم ومساجدهم! ولكن وردت لهذا الدعاء صيغةً أخرى صحيحةً عندهم أيضاً، تقول إن هذا الدعاء جزءٌ من صيغة الصلاة على النبى التى علمها للمسلمين، وأمرهم أن يصلوا على آله معه، وأن يختموها بالدعاء له بالوسيلة!!

وفى بعضها أن الدعاء بالوسيلة مقدمةٌ للصلاة عليه وآله!

فلماذا صار دعاء الوسيلة عندهم دعاءً مستقلاً للرسول وحده، بدون آله!!

السبب عندهم: أن الصلاة على آل النبى معه والدعاء لهم معه، أمرٌ ثقيلٌ على الخلافة القرشية، التى فرضت عليهم العزل السياسى والإجتماعى والإقتصادى، لذلك اختار الرواة بدله الدعاء للنبى بالوسيلة، وجعلوه أمراً مستقلاً خاصاً بالنبى دون آله، مما شاء للخلافة القرشية!!

والطريف أنهم رروه عن جابر بن عبد الله الأنصارى رحمه الله، المعروف بأحاديثه القوية فى وجوب ولاية أهل البيت (عليهم السلام)، حتى أنهم رروا عنه أنه كان فى زمن معاوية يتوكأ على عصاه ويدور فى سكك المدينة ويبلغ المسلمين ما قاله النبى صلى الله عليه وآله فى من أبغض علياً وأهل البيت النبوى الطاهرين!

ويلاحظ أن الذى رواه عن جابر عند البخارى هو محمد بن المنكدر، المبغض لأهل البيت (عليهم السلام)!!

ولك أن تقارن بين رواية البخارى، وبين رواية مسلم وغيره لهذا الدعاء!!

- قال مسلم فى صحيحه: ٢/٤:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبى (ص) يقول: إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علىّ فإنه من صلى علىّ صلاةً صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لى الوسيلة، فإنها منزلةٌ فى الجنة لا تنبغى إلا لعباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة!

ورواه النسائى: ٢/٢٥، وأبو داود: ١/١٢٨، والترمذى: ٥/٢٤٧، والبيهقى فى سننه: ١/٤٠٩، والهيثمى فى مجمع الزوائد: ١/٣٣٢.

ورواه أحمد: ٢/١٦٧، ونحوه فى: ٢/٢٦٥، وقال (من صلى علىّ لى لى فى البخارى)!!

- وأفتى به النووى فى المجموع: ٣/١١٦

وقدمه فى تلخيص الحبير: ٣/٢٠٣، على رواية البخارى فقال:

(قوله) من المحبوبات أن يصلى المؤذن وسامعه على النبى (ص) بعد الأذان ويقول: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته. أخرجه مسلم وغيره من حديث عبد الله بن عمرو أنه سمع النبى (ص) يقول: إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علىّ، الحديث.

وأخرج البخارى وأصحاب السنن من حديث جابر مرفوعاً من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة.. الحديث، لكن لى فيه والدرجة الرفيعة. انتهى.

- وقال السيوطى فى الدر المنثور: ٥/٢١٩:

وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود (رض) قال: قلنا يا رسول الله قد عرفنا كيف السلام عليك، فكيف نصلى عليك؟

قال قولوا: اللهم صل على محمد، وأبلغه درجة الوسيلة من الجنة. اللهم اجعل في المصطفين محبته، وفي المقربين مودته، وفي عليين ذكره وداره، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد. انتهى.

فقد نصت هذه الأحاديث الصحيحة عندهم على أن الدعاء له صلى الله عليه وآله بالوسيلة إنما هو جزء من صيغة الصلاة الشرعية عليه، صلى الله عليه وعليهم، فهل يعقل أن يكون أمر باصافه آله معه في الصلاة عليه، ثم أفرد نفسه عنهم في الدعاء!! وبذلك يترجح أن يكون أصل النص النبوي لهذا الدعاء ما روته مصادرنا، وفيه ذكر أهل بيته معه، كما سيأتي.

ما هي الوسيلة التي ورد الدعاء بها للنبي؟

ذكرت بعض المصادر السنية أنها درجة ومنزلة في الجنة، تكون لشخص واحد من الخلق، ولذا طلب من المسلمين أن يدعوا له ليكون هو ذلك الشخص.

ولكن ذلك يشبه كلام التوراء، فكأن درجة الوسيلة موضوع قرعه أو مسابقة بين الأنبياء ولم يعلم صاحبها بعد! فالرسول لله صلى الله عليه وآله يرجو أمته أن يدعوا له أن تكون له! - قال مسلم في صحيحه: ٢/٤:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي (ص) يقول: إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرآ، ثم سلوا الله لى الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة! انتهى.

ورواه أبو داود: ١/١٢٨، والترمذى: ٥/٢٤٧، والبيهقى فى السنن: ١/٤٠٩، وأحمد: ٢/١٦٧ و ١٦٨، وفى: ٢/٢٦٥ و ٣٦٥، عن أبى هريرة، والترمذى: ٥/٤٦٤، عن كعب عن أبى هريرة. وفى مجمع الزوائد: ١/٣٣٢، عن أبى سعيد الخدرى، وأبى هريرة، وفى كنز العمال: ٢/٧٩ و ١٣٤ و ٧/٦٩٨ و ٧٠٠ و ١٤/٤٠٠ و ١/٤٨٩ و ٤٩٤ و ٤٩٧، وفردوس الأخبار: ٥/١٤٧

بينما روت أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) أن أمر الوسيلة مفروغ عنه، وهى أعلى مساكن الفردوس، وأنها للنبي وآله، إلى جانب مساكن ابراهيم وآله صلى الله عليهم. ووافقتها بعض مصادر السنيين:

فقد روى ابن مردويه كما فى كنز العمال: ١٢/١٠٣ و ١٣/٦٣٩: عن النبي صلى الله عليه وآله قال: فى الجنة درجة تدعى الوسيلة، فإذا سألتم الله فسلوا لى الوسيلة.

قالوا: يا رسول الله، من يسكن معك فيها؟

قال: على وفاطمة والحسن والحسين. انتهى.

وهذه هى الصيغة المعقولة لحديث الوسيلة والدعاء بها للنبي صلى الله عليه وآله.. ولكن ذلك ليس فى مصلحة الخلافة القرشية!! ولذا تركوا هذه الصيغة ورووا غيرها!!

احاديث تفسر الوسيلة فى مصادرنا

- قال الصدوق فى معانى الأخبار/١١٦:

١١٦ - حدثنا أبى (رض) قال: حدثنا سعد بن عبدالله قال: حدثنا أحمد ابن محمد بن عيسى قال: حدثنا العباس بن معروف، عن عبدالله بن المغيرة قال: حدثنا أبو حفص العبدى قال: حدثنا أبو هارون العبدى، عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

إذا سألتم الله لى فسلوه الوسيلة. فسألنا النبي صلى الله عليه وآله عن الوسيلة؟ فقال: هى درجتى فى الجنة، وهى ألف مرقة، ما بين المرقة إلى المرقة حضر الفرس الجواد شهراً، وهى ما بين مرقة جوهر إلى مرقة زبرجد، إلى مرقة ياقوت، إلى مرقة ذهب، إلى مرقة فضة.

فيؤتى بها يوم القيامة حتى تنصب مع درجة النبيين، فهى فى درجة النبيين كالقمر بين الكواكب، فلا يبقى يومئذ نبى ولا صديق ولا شهيد إلا قال طوبى لمن كانت هذه الدرجة درجته. فيأتى النداء من عند الله عز وجل يسمع النبيين وجميع الخلق: هذه درجة محمد. فأقبل أنا يومئذ مترراً بريطه من نور، على تاج الملك، واكليل الكرامة، وعلى ابن أبى طالب أمامى، ويده لوائى وهو لواء الحمد، مكتوب عليه (لا اله إلا الله، المفلحون هم الفائزون بالله). فإذا مررنا بالنبيين قالوا: هذان ملكان مقربان لم نعرفهما ولم نرهما. وإذا مررنا بالملائكة قالوا: نبيين مرسلين، حتى أعلو الدرجة وعلى يتبعنى، حتى إذا صرت فى أعلى درجة منها وعلى أسفل منى بدرجة، فلا يبقى يومئذ نبى ولا صديق ولا شهيد إلا قال: طوبى لهذين العبدین ما أكرمهما على الله تعالى!

فيأتى النداء من قبل الله عز وجل يسمع النبيين والصدقيين والشهداء والمؤمنين: هذا حبيبى محمد وهذا وليى على، طوبى لمن أحبه، وويل لمن أبغضه وكذب عليه. فلا يبقى يومئذ أحد أحبك يا على إلا استروح إلى هذا الكلام، ويايأض وجهه وفرح قلبه، ولا يبقى أحد ممن عاداك أو نصب لك حرباً أو جحد لك حقاً، إلا اسود وجهه واضطربت قدماه. فيبنا أنا كذلك إذا ملكان قد أقبلنا الى، أما أحدهما فرضوان خازن الجنة، وأما الآخر فمالك خازن النار، فيدنو رضوان فيقول: السلام عليك يا أحمد.

فأقول: السلام عليك أيها الملك، من أنت؟ فما أحسن وجهك الطيب وأطيب ريحك!

فيقول: أنا رضوان خازن الجنة، وهذه مفاتيح الجنة بعث بها اليك رب العزة فخذها يا أحمد.

فأقول: قد قبلت ذلك من ربى، فله الحمد على ما فضلنى به، ادفعها إلى أخى على بن أبى طالب، فيدفع إلى على.

ثم يرجع رضوان فيدنو مالك فيقول: السلام عليك يا أحمد.

فأقول: عليك السلام أيها الملك، فما أقبح وجهك وأنكر رؤيتك، من أنت؟! فيقول: أنا مالك خازن النار، وهذه مقاليد النار بعث بها اليك رب العزة فخذها يا أحمد.

فأقول: قد قبلت ذلك من ربى، فله الحمد على ما فضلنى به، ادفعها إلى أخى على بن أبى طالب، فيدفعها إليه ثم يرجع مالك.

فيقبل على ومعه مفاتيح الجنة ومقاليد النار، حتى يقف بحجزه جهنم وقد تطاير شررها وعلا زفيرها واشتد حرها، وعلى آخذ بزمامها فتقول له جهنم: جزنى يا على فقد أطفأ نورك لهبى، فيقول لها على: قرى يا جهنم: خذى هذا واتركى هذا! خذى عدوى واتركى وليى.

فَلَجَهْنَمُ يَوْمئِذٍ أَشَدُّ مَطَاوَعَةً لَعَلَى مِنْ غَلَامٍ أَحَدِكُمْ لَصَاحِبِهِ، فَإِنْ شَاءَ يَذْهَبُهَا يَمَنَةً، وَإِنْ شَاءَ يَذْهَبُهَا يَسْرَةً، وَلِجَهْنَمِ يَوْمئِذٍ أَشَدُّ مَطَاوَعَةً لَعَلَى فِيمَا يَأْمُرُهَا بِهِ مِنْ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ. انتهى.

ورواه فى روضة الواعظين/١١٣، وبشارة المصطفى/٢١، وتفسير القمى: ٢/٣٢٤، وفى آخره (وذلك أن علياً يومئذ قسيم الجنة والنار) وفى بصائر الدرجات/٤١٦:

خطبة الوسيلة من كتاب الكافي

روى الكليني رحمه الله خطبة عظيمة خطبها أمير المؤمنين عليه السلام، تسمى خطبة الوسيلة، تتضمن تفصيلاً عن درجة الوسيلة فى الجنة لمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم. ونظراً لأهميتها وفوائدها أوردنا منها أكثر من محل الشاهد.

قال رحمه الله فى الكافي: ٨/١٨:

خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام، وهي خطبة الوسيلة:

محمد بن علي بن معمر، عن محمد بن علي بن عكاية التميمي، عن الحسين بن النضر الفهري، عن أبي عمرو الأوزاعي، عن عمرو بن شمر، عن جابر بن يزيد قال: دخلت على أبي جعفر فقلت: يا بن رسول الله قد أرمضني اختلاف الشيعة في مذاهبها! فقال: يا جابر ألم أففك على معنى اختلافهم من أين اختلفوا، ومن أي جهة تفرقوا؟ قلت: بلى يا ابن رسول الله. قال: فلا تختلف إذا اختلفوا يا جابر، إن الجاحد لصاحب الزمان كالجاحد لرسول الله صلى الله عليه وآله في أيامه، يا جابر إسمع وع. قلت: إذا شئت.

قال: اسمع وع وبلغ حيث انتهت بك راحلتك: إن أمير المؤمنين خطب الناس بالمدينة بعد سبعة أيام من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك حين فرغ من جمع القرآن وتأليفه فقال:

الحمد لله الذي منع الأوهام أن تنال إلا وجوده، وحجب العقول أن تتخيل ذاته، لإمتناعها من الشبهة والتشاكل، بل هو الذي لا يتفاوت في ذاته، ولا يتبعض بتجزئة العدد في كماله، فارق الأشياء لا على اختلاف الاماكن، ويكون فيها لا على وجه الممازجة، وعلمها لا بأداة، لا يكون العلم إلا بها، وليس بينه وبين معلومه علم غيره به كان عالماً بمعلومه.

إن قيل كان، فعلى تأويل أزلية الوجود، وإن قيل لم يزل، فعلى تأويل نفي العدم.

فسبحانه وتعالى عن قول من عبد سواه، واتخذ إليها غيره علواً كبيراً.

نحمده بالحمد الذي ارتضاه من خلقه، وأوجب قبوله على نفسه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، شهادتان ترفعان القول وتضاعفان العمل، خف ميزان ترفعان منه، وثقل ميزان توضعان فيه، وبهما الفوز بالجنة والنجاه من النار، والجواز على الصراط، وبالشهادة تدخلون الجنة وبالصلاة تنالون الرحمة.

أكثروا من الصلاة على نبيكم: إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً.

أيها الناس: إنه لا شرف أعلى من الإسلام، ولا كرم أعز من التقوى، ولا معقل أحرز من الورع، ولا شفيع أنجع من التوبة، ولا لباس أجمل من العافية، ولا وقاية أمتع من السلامة، ولا مال أذهب بالفاقة من الرضى بالقناعة، ولا كثر أغنى من القنوع ومن أقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم الراحة، وتبوء خفض الدعة.

والرغبة مفتاح التعب، والإحتكار مطية النصب، والحسد آفة الدين، والحرص داع إلى التقحم في الذنوب، وهو داع للحرمان، والبغى سائق إلى الحين، والشرة جامع لمساوى العيوب.

رب طمع خائب وأمل كاذب، ورجاء يؤدي إلى الحرمان، وتجارة تؤول إلى الخسران.

ألا ومن تورط في الأمور غير ناظر في العواقب، فقد تعرض لمفضحات النوائب، وبئست القلادة قلادة الذنب للمؤمن.

أيها الناس: إنه لا كثر أنفع من العلم، ولا عز أرفع من الحلم، ولا حسب أبلغ من الادب، ولا نصب أوضع من الغضب، ولا جمال أزين من العقل، ولا سوء أسوأ من الكذب، ولا حافظ أحفظ من الصمت، ولا غائب أقرب من الموت.

أيها الناس: إنه من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره، ومن رضى برزق الله لم يأسف على ما في يد غيره، ومن سل سيف البغى قتل به، ومن حفر لأخيه بئراً وقع فيها، ومن هتك حجاب غيره انكشفت عورات بيته، ومن نسى زلته استعظم زلل غيره، ومن أعجب برأيه ضل، ومن استغنى بعقله زل، ومن تكبر على الناس ذل، ومن سفه على الناس شتم، ومن خالط الأندال حقر، ومن حمل ما لا يطيق عجز.

أيها الناس: إنه لا مال أعود من العقل، ولا فقر أشد من الجهل، ولا واعظ أبلغ من النصيح، ولا عقل كالتدبير، ولا عبادة كالتفكير، ولا مظاهرة أوثق من المشاورة، ولا وحشة أشد من العجب، ولا ورع كاللحم عن المحارم، ولا حلم كالصبر والصمت.

أيها الناس: في الإنسان عشر خصال يظهرها لسانه: شاهدٌ يخبر عن الضمير، حاكمٌ يفصل بين الخطاب، وناطقٌ يرد به الجواب، وشافعٌ

يدرك به الحاجة، وواصفٌ يعرف به الأشياء، وأميرٌ يأمر بالحسن، وواعظٌ ينهى عن القبيح، ومعزٌ تسكن به الأحزان، وحاضرٌ تجلئ به الضغائن، ومونقٌ تلتذ به الاسماع.

أيها الناس: إنه لا خير في الصمت عن الحكم، كما أنه لا خير في القول بالجهل. واعلموا أيها الناس إنه من لم يملك لسانه يندم، ومن لا يعلم يجهل، ومن لا يتحمل لا يحلم، ومن لا يرتدع لا يعقل، ومن لا يعقل يهن، ومن يهن لا يوقر، ومن لا يوقر يتوبخ، ومن يكسب مالاً من غير حقه يصرفه في غير أجره، ومن لا يدع وهو محمود يدع وهو مذموم، ومن لم يعط قاعداً منع قائماً، ومن يطلب العز بغير حق يذل، ومن يغلب بالجور يغلب، ومن عاند الحق لزمه الوهن، ومن تفقه وقر، ومن تكبر حقر، ومن لا يحسن لا يحمده.

أيها الناس: إن المنية قبل الدينه، والتجلد قبل التبلد، والحساب قبل العقاب والقبر خير من الفقر، وغض البصر خير من كثير من النظر، والدهر يومٌ لك ويوم عليك، فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فاصبر، فبكليهما تمتحن.

أيها الناس: أعجب ما في الإنسان قلبه، وله موادٌ من الحكمة، وأضدادٌ من خلافها، فإن سرح له الرجاء أذله الطمع، وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص، وإن ملكه اليأس قتله الأسف، وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ، وإن أسعد بالرضى نسي التحفظ، وإن ناله الخوف شغله الحذر، وإن اتسع له الأمن استلبته الغر، وإن جددت له نعمة أخذته العز، وإن أفاد ما لا أطغاه الغنى، وإن عضته فاقه شغله البلاء، وإن أصابته مصيبة فضحه الجزع، وإن أجهده الجوع قعد به الضعف، وإن أفرط في الشبع كظته البطنة.. فكل تقصير به مضر، وكل إفراط له مفسد.

أيها الناس: إنه من فل ذل، ومن جاد ساد، ومن كثر ماله رأس، ومن كثر حلمه نبل، ومن أفكر في ذات الله تزندق، ومن أكثر من شئ عرف به، ومن كثر مزاحه استخف به، ومن كثر ضحكته ذهبت هيئته، فسد حسب من ليس له أدب، إن أفضل الفعال صيانته العرض بالمال، ليس من جالس الجاهل بذي معقول، من جالس الجاهل فليستعد لقليل وقال، لن ينجو من الموت غنى بماله ولا فقير لإقلاقه.

أيها الناس: لو أن الموت يشتري لا اشتراه من أهل الدنيا الكريم الابليج، واللثيم الملهوج.

أيها الناس: إن للقلوب شواهد تجرى الأنفس عن مدرجة أهل التفريط وفطنة الفهم. للمواعظ ما يدعو النفس إلى الحذر من الخطر، وللقلوب خواطر للهوى، والعقول تزجر وتنهى، وفي التجارب علم مستأنف، والإعتبار يقود إلى الرشاد، وكفاك أدباً لنفسك ما تكرهه لغيرك، وعليك لأخيك المؤمن مثل الذي لك عليه، لقد خاطر من استغنى برأيه، والتدبر قبل العمل، فإنه يؤمنك من الندم، ومن استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ، ومن أمسك عن الفضول عدلت رأيه العقول، ومن حصن شهوته فقد صان قدره، ومن أمسك لسانه أمنه قومه ونال حاجته، وفي تقلب الأحوال علم جواهر الرجال، والأيام توضح لك السرائر الكامنة، وليس في البرق الخاطف مستمتع لمن يخوض في الظلمة، ومن عرف بالحكمة لحظته العيون بالوقار والهيبة، وأشرف الغنى ترك المنى، والصبر جنه من الفاقة، والحرص علامة الفقر، والبخل جلباب المسكنة، والمودة قرابة مستفادة، ووصول معدم خير من جاف مكثر، والموعظة كهف لمن وعاهها، ومن أطلق طرفه كثر أسفه، وقد أوجب الدهر شكره على من نال سؤله، وقل ما ينصفك اللسان في نشر قبيح أو إحسان، ومن ضاق خلقه مله أهله، ومن نال استطلاع، وقل ما تصدقك الامنية، والتواضع يكسوك المهابة، وفي سعة الأخلاق كنوز الأرزاق.

كم من عاكف على ذنبه في آخر أيام عمره، ومن كساه الحياء ثوبه خفى على الناس عيبه، وانح القصد من القول فإن من تحرى القصد خفت عليه المؤمن، وفي خلاف النفس رشدك، من عرف الأيام لم يغفل عن الإستعداد.

ألا وإن مع كل جرعة شرقاً وإن في كل أكلة غصصاً، لا تنال نعمة إلا بزوال أخرى ولكل ذي رفق قوت، ولكل حبة آكل، وأنت قوت الموت.

أعلموا أيها الناس أنه من مشى على وجه الأرض فإنه يصير إلى بطنها، والليل والنهار يتنازعا في هدم الأعمار.

يا أيها الناس: كفر النعمة لؤم، وصحبة الجاهل شؤم، إن من الكرم لين الكلام ومن العبادة إظهار اللسان وإفشاء السلام. إياك والخديعة فإنها من خلق اللثيم، ليس كل طالب يصيب، ولا كل غائب يؤوب. لا ترغب فيمن زهد فيك. رب بعيد هو أقرب من قريب.

سل عن الرفيق قبل الطريق، وعن الجار قبل الدار.

ألا ومن أسرع في المسير أدركه المقييل. أستر عورة أخيك كما تعلمها فيك. اغتفر زلة صديقك ليوم يركبك عدوك.

من غضب على من لا يقدر على ضره، طال حزنه وعذب نفسه. من خاف ربه كف ظلمه، ومن لم ينزغ في كلامه أظهر فخره، ومن لم يعرف الخير من الشر فهو بمنزلة البهيمة.

إن من الفساد إضاعة الزاد. ما أصغر المصيبة مع عظم الفاقة غداً هيئات هيئات. وما تناكرتم إلا لما فيكم من المعاصي والذنوب، فما أقرب الراحة من التعب والبؤس من النعيم، وما شرُّ بشر بعده الجنة، وما خيرٌ بخير بعده النار. كل نعيم دون الجنة محقور، وكل بلاء دون النار عافية، وعند تصحيح الضمائر تبدو الكبائر.

تصفيه العمل أشد من العمل، وتخليص النية من الفساد أشد على العاملين من طول الجهاد. هيئات لو لا التقى لكنت أدهى العرب.

أيها الناس: إن الله تعالى وعد نبيه محمداً صلى الله عليه وآله الوسيلة ووعدته الحق، ولن يخلف الله وعده.

ألا وإن الوسيلة على درج الجنة وذروة ذوائب الزلفة، ونهاية غاية الأمنية، لها ألف مرقاة، ما بين المرقاة إلى المرقاة حضر الفرس الجواد مائة عام. وما بين مرقاة درة إلى مرقاة جوهرة، إلى مرقاة زبرجدة، إلى مرقاة لؤلؤة، إلى مرقاة ياقوته، إلى مرقاة زمردة، إلى مرقاة

مرجانه، إلى مرقاة كافور، إلى مرقاة عنبر، إلى مرقاة يلنجوج، إلى مرقاة ذهب، إلى مرقاة غمام، إلى مرقاة هواء، إلى مرقاة نور!!

قد أنافت على كل الجنان، ورسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ قاعدٌ عليها، مرتد بريطين، ربطة من رحمة الله وربطة من نور الله، عليه تاج النبوة والكيل الرسالة، قد أشرق بنوره الموقف، وأنا يومئذ على الدرجة الرفيعة وهي دون درجته، وعلى ريطتان، ربطة من أرجوان النور، وربطة من كافور.

والرسل والأنبياء، قد وقفوا على المراقى، وأعلام الأزمنة وحجج الدهور، عن أيماننا وقد تجللهم حلل النور والكرامة، لا يرانا ملكٌ مقربٌ ولا نبي مرسل إلا بهت بأنوارنا وعجب من ضيائنا وجلالتنا.

وعن يمين الوسيلة عن يمين الرسول صلى الله عليه وآله غمامة بسطة البصر، يأتي منها النداء:

يا أهل الموقف طوبى لمن أحب الوصى وآمن بالنبي الأُمى العربي، ومن كفر فالنار موعده!

وعن يسار الوسيلة عن يسار الرسول صلى الله عليه وآله ظلة يأتي منها النداء:

يا أهل الموقف طوبى لمن أحب الوصى وآمن بالنبي الأُمى، والذي له الملك الأعلى لا فاز أحد ولا نال الروح والجنة إلا من لقي خالقه بالإخلاص لهما والإقتداء بنجومهما. فأيقنوا يا أهل ولاية الله ببياض وجوهكم، وشرف مقعدكم، وكرم مآبكم وبفوزكم اليوم على سرر متقابلين. ويا أهل الإنحراف والصدود عن الله عز ذكره ورسوله وصراطه وأعلام الأزمنة، أيقنوا بسواد وجوهكم وغضب ربكم جزاءً بما كنتم تعملون.

وما من رسول خلف ولا نبي مضى إلا وقد كان مخبراً أمته بالمرسل الوارد من بعده، ومبشراً برسول الله صلى الله عليه وآله، وموصياً قومه باتباعه ومحله عند قومه، ليعرفوه بصفته ولتبعوه على شريعته، ولثلا- يضلوا فيه من بعده، فيكون من هلك أو ضل بعد وقوع الأعدار والإنذار عن بينه وتعيين حجه، فكانت الأمم في رجاء من الرسل وورود من الأنبياء.

ولئن أصيبت بفقد نبي بعد نبي، على عظم مصائبهم وفجائعها بهم فقد كانت على سعة من الامل، ولا مصيبة عظمت ولا رزية جلت كالمصيبة برسول الله صلى الله عليه وآله، لأن الله ختم به الأندار والأعدار، وقطع به الإحتجاج والعدر بينه وبين خلقه، وجعله باب الذي بينه وبين عبادته، ومهمته الذي لا يقبل إلا به، ولا قربة إليه إلا بطاعته، وقال: في محكم كتابه: من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً. فقرن طاعته بطاعته، ومعصيته بمعصيته، فكان ذلك دليلاً على ما فوض إليه، وشاهداً له على من اتبعه وعصاه، وبين ذلك في غير موضع من الكتاب العظيم فقال تبارك وتعالى في التحريض على اتباعه، والترغيب في تصديقه والقبول لدعوته: قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم. فاتباعه صلى الله عليه وآله محبة الله، ورضاه غفران الذنوب،

وكمال الفوز، ووجوب الجنة.

وفى التولى عنه والإعراض محادة الله وغضبه وسخطه، والبعد منه مسكن النار وذلك قوله: ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده، يعنى الجحود به والعصيان له. فإن الله تبارك اسمه امتحن بى عباده، وقتل بيدي أضداده، وأفنى بسيفى جحاده، وجعلنى زلفه للمؤمنين، وحياض موت على الجبارين، وسيفه على المجرمين، وشد بى أزر رسوله، وأكرمنى بنصره، وشرفنى بعلمه، وحبانى بأحكامه، واختصنى بوصيته، واصطفانى بخلافته فى أمته، فقال صلى الله عليه وآله وقد حشده المهاجرون والأنصار وانغصت بهم المحافل: أيها الناس إن علياً منى كهارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى، فعقل المؤمنون عن الله نطق الرسول، إذ عرفونى أنى لست بأخيه لأبيه وأمه، كما كان هارون أخا موسى لأبيه وأمه، ولا كنت نبياً فاقضى نبوة، ولكن كان ذلك منه استخلاقاً لى، كما استخلف موسى هارون، حيث يقول: أخلفنى فى قومي وأصلح، ولا تتبع سبيل المفسدين، وقوله صلى الله عليه وآله حين تكلمت طائفة فقالت: نحن موالى رسول الله، فخرج رسول الله إلى حجة الوداع، ثم صار إلى غدیر خم فأمر فأصلح له شبه المنبر، ثم علاه وأخذ بعضدى حتى رثى بياض إبطيه رافعاً صوته قائلاً فى محفله: من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.

فكانت على ولايتى ولاية الله، وعلى عداوتى عداوة الله. وأنزل الله عز وجل فى ذلك اليوم: أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتْ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا. فكانت ولايتى كمال الدين ورضا الرب جل ذكره، وأنزل الله تبارك وتعالى اختصاصاً لى وتكرماً نحلني، وإعظماً وتفصيلاً من رسول الله صلى الله عليه وآله منحني، وهو قوله تعالى: ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ. فى مناقب لو ذكرتها لعظم بها الارتفاع فطال لها الإستماع. ولئن تقمصها دونى...

إن القوم لم يزلوا عباد أصنام وسدنة أوثان، يقيمون لها المناسك، وينصبون لها العتائر، ويتخذون لها القربان، ويجعلون لها البحيرة والوصيلة والسائبة والحام، ويستقسمون بالأزلام، عامهين عن الله عز ذكره، حائرين عن الرشاد، مهطعين إلى البعاد، وقد استحوذ عليهم الشيطان، وغمرتهم سوداء الجاهلية، ورضعوا جهالة وانفطموها ضلالة، فأخرجنا الله اليهم رحمة وأطلعنا عليهم رافة، وأسفر بنا عن الحجب نوراً لمن اقتبسه، وفضلاً لمن اتبعه، وتأييداً لمن صدقه، فتبوؤوا العز بعد الذلة، والكثرة بعد القلة، وهابتهم القلوب والأبصار، وأذعنت لهم الجبابة وطوائفها وصاروا أهل نعمة مذكورة، وكرامة ميسورة، وأمن بعد خوف، وجمع بعد كوف، وأضاءت بنا مفاخر معد بن عدنان، وأولجناهم باب الهدى، وأدخلناهم دار السلام وأشملناهم ثوب الإيمان، وفلجوا بنا فى العالمين، وأبدت لهم أيام الرسول آثار الصالحين، من حام مجاهد، ومصل قانت، ومعتكف زاهد، يظهر الأمانة، ويأتون المثابة.

حتى إذا دعا الله عز وجل نبيه ورفع إليه، لم يك ذلك بعده إلا كلمحة من خفقة أو مبيض من برقه، إلى أن رجعوا على العقاب، وانتكصوا على الأدبار، وطلبوا بالأوتار، وأظهروا الكتائب، وردموا الباب، وقلوا الديار، وغيروا آثار رسول الله، ورجعوا عن أحكامه، وبعدوا من أنواره، واستبدلوا بمستخلفه بديلاً، اتخذوه وكانوا ظالمين، وزعموا أن من اختاروا من آل أبى قحافة أولى بمقام رسول الله ممن اختار رسول الله لمقامه، وأن مهاجر آل أبى قحافة خير من المهاجرى والأنصارى الربانى ناموس هاشم بن عبد مناف.

ألا وإن أول شهادة زور وقعت فى الإسلام شهادتهم أن صاحبهم مستخلف رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما كان من أمر سعد بن عبادة ما كان، رجعوا عن ذلك وقالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وآله مضى ولم يستخلف، فكان رسول الله الطيب المبارك أول مشهود عليه بالزور فى الإسلام، وعن قليل يجدون غب ما أسسه الأولون.

ولئن كانوا فى مندوحة من المهل، وشفاء من الاجل وسعة من المنقلب، واستدراج من الغرور، وسكون من الحال، وإدراك من الأمل، فقد أمهل الله عز وجل شداد بن عاد، وثمود بن عبود، وبلعم بن باعور، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة، وأمدهم بالأموال والأعمار، وأتتهم الأرض ببركاتهما ليدركوا آلاء الله، وليعرفوا الإهابة له، والإنابة إليه، ولينتهوا عن الإستكبار، فلما بلغوا المدد، واستتموا الأكلة أخذهم الله عز وجل واصطلمهم، فمنهم من حصب، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من أحرقتة الظلة، ومنهم من أودته الرجفة،

ومنهم من أردته الخسفة: وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

الأ- وإن لكل أجل كتاباً، فإذا بلغ الكتاب أجله لو كشف لك عما هوى إليه الظالمون، وآل إليه الأخرسون، لهربت إلى الله عز وجل مما هم عليه مقيمون، وإليه صاثرون.

الأ وإني فيكم أيها الناس كهارون في آل فرعون، وكباب حطه في بنى إسرائيل، وكسفينه نوح في قوم نوح. إني النبا العظيم، والصديق الأ-كبر، وعن قليل ستعلمون ما توعدون، وهل هي إلا كلعقة الأكل ومدقة الشارب، وخفقة الوسنان، ثم تلزمهم المعرات، خزيًا في الدنيا، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب، وما الله بغافل عما يعملون.

فما جزاء من تنكب محجته، وأنكر حجته، وخالف هدايته، وحاد عن نوره، واقتحم في ظلمه، واستبدل بالماء السراب، وبالنعيم العذاب، وبالغفر الشقاء، وبالسر السراء الضراء، وبالسعة الضنك، إلا جزاء اقترافه وسوء خلافه، فليوقنوا بالوعد على حقيقته، وليستيقنوا بما يوعدون: يوم تأتي الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج. إنا نحن نحیی ونمیت والینا المصیر. يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً... إلى آخر السورة.

العلاقة بين التوسل والإستشفاع وبين درجة الوسيلة في الجنة

لا بد أن يكون اسم (الوسيلة) لتلك المنطقة والدرجة العاليه من الجنة، بسبب أنها مسكن أقرب المخلوقات وسيلةً إلى الله تعالى.

وبذلك تكون الشفاعة التي يعطاها النبي صلى الله عليه وآله، نوعاً من الوسيلة، التي استحقها لأنه أقرب الناس إلى الله صلى الله عليه وآله، واستحق معها مسكن الفردوس والوسيلة، أعلى مراتب الجنة.

التوسل إلى الله في مصادرنا

التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة

تقدم في المسألة السابعة: التوسل العملي إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة وقول أمير المؤمنين عليه السلام: أفضل ما توسل به المتوسلون بالإيمان بالله، ورسوله، والجهد في سبيل الله، وكلمة الإخلاص فانها الفطرة، وأقام الصلاة فانها الملة، وإيتاء الزكاة فإنها من فرائض الله، وصيام شهر رمضان فانه جنه من عذاب الله، وحج البيت فانه ميقات للدين ومدحضة للذنب، وصله الرحم فانها مثرأه للمال، ومنسأه للأجل، والصدقة في السر فانها تذهب الخطيئة وتطفى غضب الرب، وصنایع المعروف فانها تدفع ميتة السوء، وتقى مصارع الهوان. انتهى.

وذكرنا هناك أن التوسل بالأعمال الصالحة لا ينافي التوسل إليه بدعائه بأسمائه وصفاته، وبمن أمر بالتوسل بهم من أنبيائه وأوصيائه.. لأن ذلك من الأعمال الصالحة أيضاً.

التوسل إلى الله بذاته و صفاته عزوجل

- في الكافي: ٤/٧٤:

على، عن أبيه، عن اسماعيل بن مرار، عن يونس، عن ابراهيم، عن محمد بن مسلم والحسين بن محمد، عن أحمد بن اسحاق، عن سعدان، عن أبي بصير قال: كان أبو عبد الله عليه السلام يدعو بهذا الدعاء في شهر رمضان:

اللهم انى بك أتوسل ومنك أطلب حاجتى. من طلب حاجته إلى الناس، فاني لا أطلب حاجتى إلا منك، وحدك لا شريك لك.

وأسألك بفضلك ورضوانك أن تصلى على محمد وأهل بيته وأن تجعل لى فى عامى هذا إلى بيتك الحرام سيلا، حجة مبرورة متقبلة زاكية خالصة لك، تقر بها عينى وترفع بها درجتى، وترزقنى أن أغض بصرى، وأن أحفظ فرجى، وأن أكف بها عن جميع محارمك، حتى لا يكون شئ آثر عندى من طاعتك وخشيتك، والعمل بما أحببت والترك لما كرهت ونهيت عنه.

واجعل ذلك في يسر ويسار وعافية، وأوزعني شكر ما أنعمت به علي.
وأسألك أن تجعل وفاتي قتلاً في سبيلك تحت رايه نبيك مع أوليائك.
وأسألك أن تقتل بي أعدائك وأعداء رسولك.

وأسألك أن تكرمني بهوان من شئت من خلقك ولا تهني بكرامه أحد من أوليائك.
اللهم اجعل لي مع الرسول سبيلاً. حسبى الله، ما شاء الله.

- وفي الصحيفة السجادية: ١ / ٤٠٨:

الهي استشفعت بك اليك، واستجرت بك منك، أتيتك طامعا في احسانك، راغبا في امتنانك، مستسقيا وابل طولك، مستمطرا
غمام فضلك، طالبا مرضاتك، قاصدا جنابك، واردا شريعة رفقك، ملتتمسا سني الخيرات من عندك.

- وفي الصحيفة السجادية: ١ / ١٥١:

دعاؤه عليه السلام في ذكر التوبة وطلبها:

اللهم صل على محمد وآله، وشفع في خطاياي كرمك، وعد على سيناتي بعفوك، ولا تجزني جزائي من عقوبتك، وابسط على
طولك، وجللني بسترك، وافعل بي فعل عزيز تضرع إليه عبد ذليل فرحمه، أو غني تعرض له عبد فقير فنعشه.
اللهم لا خفير لي منك فليخفرني عزك، ولا شفيع لي فليشفع لي فضلك، وقد أوجلتني خطاياي فليؤمني عفوك..

- وفي الصحيفة السجادية: ١ / ٤٠٢:

يا مجيب المضطر، يا كاشف الضر، يا عظيم البر، يا عليما بما في السر، يا جميل الستر استشفعت بجودك وكرمك اليك، وتوسلت
بحنانك وترحمك لديك فاستجب دعائي، ولا تخيب فيك رجائي، وتقبل توبتي، وكفر خطيئتي بمنك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

- وفي الصحيفة السجادية: ١ / ٤٤١:

يا من لا ينقص ملكوته عصيان المتمردين، ولا يزيد جبروته ايمان الموحدين، إليك أستشفع بقديم كرمك، أن لا تسلبني مامنحتني
من جسيم نعمك.

الاستشفاع إلى الله تعالى بحبه و معرفته

- وفي الصحيفة السجادية: ١ / ٢١٦:

فيا من رباني في الدنيا باحسانه وتفضله ونعمه، وأشار لي في الآخرة إلى عفوهِ وكرمه. معرفتي يا م ولأى دلتنى عليك، وحبى لك
شفيعى اليك، وأنا واثق من دليلي بدلالتك، وساكن من شفيعى إلى شفاعتك.

- وفي الصحيفة السجادية: ١ / ٢٤٩:

ياذا المن ولا يمن عليك، يا ذا الطول، ويا ذا الجلال والاکرام، لا إله إلا أنت ظهر اللاجين، وجار المستجيرين، وأمان الخائفين، اليك
فررت بنفسى يا ملجأ الخائفين، لا أجد شافعاً إليك إلا معرفتى بأنك أفضل من قصد إليه المقصرون، وآمل من لجأ إليه الخائفون.

افتتاح الصلاة بالتوجه إلى الله بالنبي و آله

- فى الكافى: ٢ / ٥٤٤:

- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن على بن النعمان، عن بعض أصحابه، عن أبى عبدالله عليه السلام قال: كان أمير
المؤمنين عليه السلام يقول: من قال هذا القول كان مع محمد وآل محمد إذا قام قبل أن يستفتح الصلاة:

اللهم إني أتوجه اليك بمحمد وآل محمد، وأقدمهم بين يدي صلاتي، وأتقرب بهم إليك، فاجعلني بهم وجيها في الدنيا والآخرة

ومن المقربين.

مننت على بمعرفتهم فاختم لى بطاعتهم ومعرفتهم وولايتهم، فانها السعادة، واختم لى بها، فانك على كل شىء قدير.

ثم تصلى فاذا انصرفت قلت:

اللهم اجعلنى مع محمد وآل محمد فى كل عافية وبلاء، واجعلنى مع محمد وآل محمد فى كل مثنوى ومنقلب، اللهم اجعل محياى محياهم، ومماتى مماتهم، واجعلنى معهم فى المواطن كلها، ولا تفرق بينى وبينهم، إنك على كل شىء قدير.

- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن بعض أصحابنا رفعه قال: تقول قبل دخولك فى الصلاة:

اللهم انى أقدم محمدا نبيك صلى الله عليه وآله بين يدى حاجتى، وأتوجه به اليك فى طلبتى، فاجعلنى بهم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين.

اللهم اجعل صلاتى بهم متقبلة، وذنبى بهم مغفورا، ودعائى بهم مستجابا، يا أرحم الراحمين.

- وفى الكافي: ٣/٣٠٩:

وعنه، عن أبيه، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة، عن أبان، ومعاوية بن وهب قالوا: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا قمت إلى الصلاة فقل:

اللهم انى أقدم اليك محمدا صلى الله عليه وآله بين يدى حاجتى وأتوجه به اليك، فاجعلنى به وجيها عندك فى الدنيا والآخرة ومن المقربين.

اجعل صلاتى به مقبولة، وذنبى به مغفورا، ودعائى به مستجابا. انك أنت الغفور الرحيم... ورواه فى تهذيب الأحكام: ٢/٢٨٧، وفى الفقيه: ١/٣٠٢:

- وفى الفقيه: ١/٤٨٣: القول عند القيام إلى صلاة الليل:

قال الصادق عليه السلام: إذا أردت أن تقوم إلى صلاة الليل فقل: اللهم انى أتوجه اليك بنبيك نبي الرحمة وآله وأقدمهم بين يدى حوائجى، فاجعلنى بهم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين، اللهم ارحمنى بهم ولا تعذبني بهم، واهدنى بهم ولا تضلنى بهم، وارزقنى بهم ولا تحرمنى بهم، واقض لى حوائجى للدنيا والآخرة، انك على كل شىء قدير، وبكل شىء عليم.

باب الصلوات التى جرت السنة بالتوجه فيهن:

من السنة التوجه فى ست صلوات وهى أول ركعة من صلاة الليل، والمفردة من الوتر وأول ركعة من ركعتى الزوال، وأول ركعة من ركعتى الإحرام، وأول ركعة من نوافل المغرب، وأول ركعة من الفريضة. كذلك ذكره أبى (رض) فى رسالته الى.

وفى الصحيفة السجادية: ٢/٢٥٨:

أسألك يا سيدى، وليس مثلك شىء بكل دعوة دعاك بها نبي مرسل، أو ملك مقرب، أو مؤمن امتحنت قلبه بالإيمان، واستجبت دعوته، وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، وأقدمه بين يدى حوائجى.

يا رسول الله بأبى أنت وأمى وأهل بيتك الطيبين، إنى أتوجه بك إلى ربك، وأقدمك بين يدى حوائجى.

وفى الصحيفة السجادية: ٢/٣٤٤:

أسألك بحق نبيك محمد صلى الله عليه وآله، وأتوسل اليك بالأئمة (عليهم السلام) الذين اخترتهم لسرك، وأطلعتهم على خفيك، واخترتهم بعلمك، وطهرتهم وأخلصتهم واصطفيتهم وأصفيتهم، وجعلتهم هداة مهدين، واثمنتهم على وحيك، وعصمتهم عن معاصيك، ورضيتهم لخلقك، وخصصتهم بعلمك، واجتبيتهم وحبوتهم، وجعلتهم حججا على خلقك، وأمرت بطاعتهم على من برأت.

وأتوسل اليك فى موقفى اليوم أن تجعلنى من خيار وفدك.

دلالة استحباب التوسل عند الأذان و افتتاح الصلاة

من الأمور التي تهز الإنسان وهو يبحث في آيات التوسل وأحاديثه: أن الله تعالى أنزل آيته الكبرى الأمرة بالتوسل في آخر سورة من قرآنه (المائدة) بعبارة موجزة مقتضبة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ...) ولكن بصيغة قوية أمر فيها المسلمين بالارتفاع بايمانهم إلى نوع راق من السلوك الايماني يتميز بالتعامل اليومي مع النبي وأهل بيته صلى الله عليه وآله على أنهم وسيلة المسلم إلى ربه تعالى!!

ثم بين الرسول للمسلمين كيفية هذا التعامل الذي أراه الله تعالى بأن يصلوا عليه عندما يذكر اسمه.. وعندما يسمعون الأذان بالتوحيد والنبوة.. وعندما يقفون بين يدي ربهم في افتتاح صلاتهم.. وفي ختام صلاتهم، وعندما تمسهم شدة أو حاجة!! وهذا يعني أن يعايش المسلم يومياً وفي أقدس لحظات حياته وأهمها، التوجه إلى الله تعالى بالنبي وآله والتوسل بهم إليه، لانهم الواسطة التي اختارها الله ورضيها وأمر أن يتوسط إليه بها!!

وهي حقيقة كبيرة يفهم منها المسلم أبعاد النبوة وأعماق الولاية، لمحمد وآله الطيبين الطاهرين.. فقد جذر الله تعالى مقامهم في الكون والحياة، حتى قرنه بألوهيته فلم يقبل مدخلا إليه إلا به.. وهو مقام عظيم، وشرف محلق، ما عليه من مزيد!!

التوجه بالنبي وآله لدفع شر السلطان

- في الكافي: ٢/٥٥٨:

وقال أبو عبد الله عليه السلام: من دخل على سلطان يهابه فليقل: بالله أستفتح، وبالله أستنجح، وبمحمد صلى الله عليه وآله أتوجه، اللهم ذل لي صعوبته، وسهل لي حزونه، فانك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أم الكتاب.

- ونحوه في الصحيفة السجادية: ٢/ ٦٥

التوجه إلى الله بالنبي وآله عند الحاجة والشدة

- في الكافي: ٢/٥٥٢:

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أحمد بن محمد بن أبي داود عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله اني ذو عيال وعلى دين، وقد اشتدت حالي، فعلمني دعاء أدعو الله عز وجل به ليرزقني ما أقضى به ديني، وأستعين به على عيالي.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عبد الله توضعاً وأسبغ وضوءك، ثم صل ركعتين تتم الركوع والسجود، ثم قل: يا ماجد يا واحد يا كريم يا دائم، أتوجه اليك بمحمد نبيك نبي الرحمة. يا محمد يا رسول الله اني أتوجه بك إلى الله ربك ورب كل شيء أن يصلي على محمد وأهل بيته.

وأسألك نفعه كريمة من نفحاتك وفتحاً يسيراً ورزقاً واسعاً ألم به شعني، وأقضى به ديني، وأستعين به على عيالي.

- ورواه في الكافي: ٣/٤٧٣، بسنده عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أحمد بن أبي داود، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام...

وروى نحوه في التهذيب: ٣/ ٣١١:

أحمد بن محمد عن احمد بن ابى داود عن ابن ابى حمزة عن ابى جعفر عليه السلام قال: جاء رجل إلى الرضا عليه السلام فقال له: يا بن رسول الله اني ذو عيال وعلى دين، وقد اشتدت حالي، فعلمني دعاء إذا دعوت الله عز وجل به رزقني الله فقال: يا عبدالله توضعاً

واسيغ وضوءك ثم صل ركعتين تتم الركوع والسجود فيهما، ثم قل... وذكره.

وفى الكافي: ٢/٥٨٢: على بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام ابتداء منه: يا معاوية أما علمت أن رجلا أتى أمير المؤمنين صلوات الله عليه فشكى الأبطاء عليه في الجواب في دعائه فقال له: أين أنت عن الدعاء السريع الاجابة؟ فقال له الرجل: ما هو؟

قال قل: اللهم انى أسألك باسمك العظيم الأعظم الأجل الأكرم، المخزون المكنون النور الحق البرهان المبين، الذى هو نور مع نور، ونور من نور، ونور فى نور، ونور على نور، ونور فوق كل نور، ونور يضىء به كل ظلمة، ويكسر به كل شدة، وكل شيطان مرید، وكل جبار عنيد، لا- تقربه أرض، ولا- تقوم به سماء، ويأمن به كل خائف، ويبطل به سحر كل ساحر، وبغى كل باغ، وحسد كل حاسد، ويتصدع لعظمته البر والبحر، ويستقل به الفلك حين يتكلم به الملك، فلا يكون للموج عليه سبيل. وهو اسمك الأعظم الأجل الأجل النور الأكبر الذى سميت به نفسك، واستويت به على عرشك، وأتوجه اليك بمحمد وأهل بيته، أسألك بك وبهم، أن تصلى على محمد وآل محمد، وأن تفعل بى كذا وكذا.

وفى الكافي: ٣/٤٧٦

على بن ابراهيم، عن أحمد بن محمد بن أبي عبد الله، عن زياد القندي، عن عبد الرحيم القصير قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت جعلت فداك إنى اخترعت دعاء، قال: دعنى من اختراعك! إذا نزل بك أمر فافزع إلى رسول الله، وصل ركعتين تهديهما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله. قلت: كيف أصنع؟ قال: تغتسل وتصلى ركعتين تستفتح بهما افتتاح الفريضة، وتشهد تشهد الفريضة، فاذا فرغت من التشهد وسلمت قلت:

اللهم أنت السلام، ومنك السلام، وإليك يرجع السلام، اللهم صل على محمد وآل محمد، وبلغ روح محمد منى السلام، وأرواح الأئمة الصادقين سلامى، واردد على منهم السلام، والسلام عليهم ورحمة الله وبركاته. اللهم إن هاتين الركعتين هدية منى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فأثبنى عليهما ما أملت ورجوت، فيك وفى رسولك، يا ولى المؤمنين.

ثم تخر ساجدا وتقول:

يا حى يا قيوم، يا حى لا يموت، يا حى لا إله إلا أنت، يا ذا الجلال والإكرام، يا أرحم الراحمين. أربعين مرة.

ثم ضع خدك الأيمن فتقولها أربعين مرة.

ثم ضع خدك الأيسر فتقولها أربعين مرة.

ثم ترفع رأسك وتمد يدك وتقول أربعين مرة.

ثم ترد يدك إلى رقبتك وتلوذ بسبابتك وتقول ذلك أربعين مرة.

ثم خذ لحيته بيدك اليسرى وابك أو تباك وقل:

يا محمد يا رسول الله أشكو إلى الله واليك حاجتى، والى أهل بيتك الراشدين حاجتى، وبكم أتوجه إلى الله فى حاجتى.

ثم تسجد وتقول: يا الله يا الله - حتى ينقطع نفسك - صل على محمد وآل محمد وافعل بى كذا وكذا.

قال أبو عبد الله عليه السلام: فأنا الضامن على الله عزوجل أن لا يبرح حتى تقضى حاجته. ورواه فى الفقيه: ١/٥٥٦

وفى الكافي: ٣/٤٧٨

وبهذا الاسناد، عن أبي اسماعيل السراج، عن ابن مسكان، عن شريحيل الكندي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا أردت أمرا تسأله ربك، فتوضأ وأحسن الوضوء ثم صل ركعتين، وعظم الله وصل على النبي صلى الله عليه وآله، وقل بعد التسليم:

اللهم إني أسألك بأنك ملك، وأنك على كل شيء قدير مقتدر، وبأنك ما تشاء من أمر يكون.

اللهم إني أتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة.

يا محمد يا رسول الله إني أتوجه بك إلى الله ربك وربى، لينجح لى طلبتى.

اللهم بنبيك أنجح لى طلبتى بمحمد. ثم سل حاجتك.

ورواه فى تهذيب الأحكام: ٣/٣١٣

وفى الفقيه: ١/ ٥٥٦

روى موسى بن القاسم البجلي، عن صفوان بن يحيى، ومحمد بن سهل عن أشياخهما عن أبى عبد الله عليه السلام قال: إذا حضرت لك حاجة مهمة إلى الله عز وجل فصم ثلاثة أيام متواليه: الأربعاء والخميس والجمعة، فإذا كان يوم الجمعة ان شاء الله تعالى فاغتسل والبس ثوبا جديداً، ثم اصعد إلى أعلى بيت فى دارك وصل فيه ركعتين، وارفع يديك إلى السماء ثم قل: اللهم إني حللت بساحتك لمعرفتى بوحدانيتك وصمدانيتك، وإنه لا قادر على حاجتى غيرك، وقد علمت يارب أنه كلما تظاهرت نعمتك على اشتدت فاقتى إليك، وقد طرقتى هم كذا وكذا وأنت بكشفه عالم غير معلم، واسع غير متكلف فأسألك باسمك الذى وضعته على الجبال فنسفت، ووضعته على السماء فانشقت، وعلى النجوم فانتشرت، وعلى الأرض فسطحت، وأسألك بالحق الذى جعلته عند محمد والائمة عليهم السلام وتسميهم إلى آخرهم، أن تصلى على محمد وأهل بيته، وأن تقضى حاجتى، وأن تيسر لى عسيرها، وتكفينى مهمها، فإن فعلت فلك الحمد، وإن لم تفعل فلك الحمد، غير جائز فى حكمك، ولا متهم فى قضائك، ولا حائف فى عدلك.

وتلصق خدك بالأرض وتقول:

اللهم أن يونس بن متى عبدك دعاك فى بطن الحوت وهو عبدك فاستجبت له، وأنا عبدك أدعوك فاستجب لى.

ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: لربما كانت الحاجة لى فأدعو بهذا الدعاء فأرجع وقد قضيت.

- صلاة أخرى للحاجة: روى سماعه عن أبى عبد الله عليه السلام أنه قال: ان أحدكم إذا مرض دعا الطبيب وأعطاه، وإذا كانت له حاجة إلى سلطان، رشا البواب وأعطاه!

ولو أن أحدكم إذا فدحه أمر فرع إلى الله تعالى، فتطهر وتصدق بصدقه قلت أو كثرت ثم دخل المسجد فصلى ركعتين فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبى وأهل بيته، ثم قال: اللهم إن عافيتنى من مرضى، أو رددتنى من سفرى، أو عافيتنى مما أخاف من كذا وكذا. إلا آتاه الله ذلك.

- وفى الصحيفة السجادية: ١/٢٩٣:

اللهم فانى أتقرب إليك بالمحمدية الرفيعة، والعلوية البيضاء، وأتوجه إليك بهما أن تعيذنى من شر كذا وكذا، فإن ذلك لا يضيق عليك فى وجدك، ولا يتكأذك فى قدرتك وأنت على كل شيء قدير...

وفى الصحيفة السجادية: ٢/ ٢٥٨:

أسألك يا سيدى وليس مثلك شى بكل دعوة دعاك بها نبى مرسل، أو ملك مقرب، أو مؤمن امتحنت قلبه بالإيمان، واستجبت دعوته، وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، وأقدمه بين يدي حوائجى.

يا رسول الله بأبى أنت وأمى وأهل بيتك الطيبين، انى أتوجه بك إلى ربك، وأقدمك بين يدي حوائجى.

يا رباہ يا الله، يا رباہ يا الله، انى أسألك بك فليس كمثلك شى، وأتوجه إليك بمحمد نبي الرحمة وبعترته الطيبين، وأقدمهم بين يدي حوائجى أن تعتنى من النار، وتكفينى وجميع المؤمنين والمؤمنات كل ما أهمنا من أمر الدنيا والآخرة.. انتهى.

والأحاديث فى هذا الباب كثيرة، وفيها صحاح متواترة، تجدها فى أبواب افتتاح الصلاة من الفقه، وأبواب صلاة الحاجة، وفى كتب

المزار والأدعية.

الاستشفاع بالنبي والأئمة عند زيارة قبورهم الشريفة

ستأتي أحاديث الاستشفاع والتوسل بالنبي صلى الله عليه وآله في تفسير قوله تعالى (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ...).

وفي المقتعة/٤٦٣:

وتحول إلى عند الرأس فقف عليه، وقل:

السلام عليك يا وصي الأوصياء، ووارث علم الأنبياء، أشهد لك يا ولي الله بالبلاغ والاداء. أيتك بأبي أنت وأمي زائراً عارفاً بحقك، مستبصراً بشأنك، موالياً لأوليائك، معادياً لأعدائك، متقرباً إلى الله بزيارتك في خلاص نفسي، وفكاك رقبتي من النار، وقضاء حوائجي للآخرة والدنيا، فاشفع لي عند ربك، صلوات الله عليك ورحمة الله وبركاته. وفي الكافي: ٤/٥٦٩:

— عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمد بن أورمه، عن حدثه، عن الصادق وأبي الحسن الثالث (عليهما السلام)، قال يقول: السلام عليك يا ولي الله أنت أول مظلوم، وأول من غضب حقه، صبرت واحتسبت، حتى أتاك اليقين، فأشهد أنك لقيت الله وأنت شهيد، عذب الله قاتلك بأنواع العذاب، وجدد عليه العذاب.

جتتك عارفاً بحقك مستبصراً بشأنك، معادياً لأعدائك ومن ظلمك، ألقى على ذلك ربي ان شاء الله. يا ولي الله: ان لي ذنوباً كثيرة، فاشفع لي إلى ربك، فإن لك عند الله مقاماً محموداً معلوماً، وان لك عند الله جاهاً وشفاعة، وقد قال تعالى: ولا يشفعون إلا لمن ارتضى. ورواه في تهذيب الأحكام: ٢٨ / ٦

— وفي مصباح المتعبد/٦٩٤:

اللهم لا قوة لي على سخطك ولا صبر لي على عذابك ولا غنى لي عن رحمتك تجد من تعذب غيري ولا أجد من يرحمني غيرك ولا قوة لي على البلاء ولا طاقة لي على الجهد، أسألك بحق محمد نبيك صلى الله عليه وآله، وأتوسل اليك بالأئمة الذين اخترتهم لسرك وأطلعتهم على خفيك وأخبرتهم بعلمك وطهرتهم وخلصتهم واصطفيتهم وأصفيتهم وجعلتهم هداة مهديين واثمنتهم على وحيك وعصمتهم عن معاصيك ورضيتهم لخلقك وخصصتهم بعلمك واجتبيتهم وحبوتهم وجعلتهم حججاً على خلقك وأمرت بطاعتهم ولم ترخص لأحد في معصيتهم وفرضت طاعتهم على من برأت، وأتوسل اليك في موقفي اليوم أن تجعلني من خيار وفدك. — وفي بحار الأنوار: ١٦٩ / ٩٩:

ثم قال السيد رحمه الله، دعاء يدعى به عقب الزيارة لسائر الأئمة (عليهم السلام): اللهم إني زرت هذا الإمام مقراً بإمامته، معتقداً لفرض طاعته، فقصدت مشهده بذنوبي وعبوبي، وموبات آثامي، وكثرة سيئاتي وخطاياي، وما تعرفه مني، مستجيراً بعفوك، مستعيذاً بحلمك، راجياً رحمتك، لاجياً إلى ركنك، عائداً برأفتك، مستشفعاً بوليك وابن أوليائك، وصفيك وابن أصفياك، وأمينك وابن أمنائك، وخليفتك وابن خلفائك، الذين جعلتهم الوسيلة إلى رحمتك ورضوانك، والذريعة إلى رأفتك وغفرانك.

وفي بحار الأنوار: ٢٤/٢

٣١٩ — كنز: روى شيخ الطائفة رحمه الله بإسناده إلى الفضل بن شاذان رفعه إلى أبي جعفر عليه السلام قال: ان الله عز وجل يقول: ماتوجه إليّ أحد من خلقي أحب إليّ من داع دعاني يسأل بحق محمد وأهل بيته، وإن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه قال: (اللهم أنت وليي في نعمتي، والقادر على طلبتي، وقد تعلم حاجتي، فأسألك بحق محمد وآل محمد إلا ما رحمتني وغفرت زلتي) فأوحى الله إليه: يا آدم أنا ولي نعمتك، والقادر على طلبتك، وقد علمت حاجتك، فكيف سألتني بحق هؤلاء؟ فقال: يارب انك لما نفخت في

الروح رفعت رأسى إلى عرشك، فإذا حوله مكتوب: لا اله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنه أكرم خلقك عليك، ثم عرضت على الأسماء، فكان ممن مربي من أصحاب اليمين آل محمد وأشياهم، فعلمت أنهم أقرب خلقك اليك، قال: صدقت يا آدم.

تفسير الآيات الثلاث فى التوسل

الآية ٠١

قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. المائدة: ٣٥
فقد أمرت هذه الآية الكريمة باتخاذ (وسيلة) إلى الله تعالى، ولكنها لم تبين ما هى، وهذا يعنى أن الله تعالى ترك بيانها للرسول صلى الله عليه وآله.

عمل المفسرين السنيين لإبعاد الوسيلة عن النبي

يلاحظ الباحث أن الرواة والمفسرين السنيين سعوا حثيثا لإبعاد (الوسيلة المأمور بها فى القرآن) عن النبي صلى الله عليه وآله!!
فمن ناحية، لم يرووا شيئا فى تفسيرها عن النبي وآله، بل تبرعوا بالبيان من عندهم وفسروها بالقربة، وغاية ما رووا فى رواى مقطوعة عن حذيفة تقول أن الوسيلة هى القربة! كما فى مستدرک الحاكم: ٢/٣١٢!

مع أنه لا يعقل أن يكون الأمر الإلهى نزل إلى الأمة بأن يبتغوا إلى ربهم الوسيلة، ولم يبينها لهم الرسول الذى أرسله الله ليبين للناس! أما تفسيرهم لها بالقربة فهو تفسير الماء بالماء! لأن القربة كلمة مجملة تحتاج إلى تفسير كالوسيلة!!
فهل تختص بالأعمال الصالحة، أم تشمل ابتغاء التوسل بالأنبياء والأوصياء والأولياء.. الخ.

قال السيوطى فى الدر المنثور: ٢/٢٨٠

- أخرج عبد بن حميد والفريابى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم فى قوله:

وابتغوا إليه الوسيلة، قال: القربة.

- وأخرج الحاكم وصححه عن حذيفة فى قوله وابتغوا إليه الوسيلة قال: القربة.

- وأخرج عبد ابن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة فى قوله: وابتغوا إليه الوسيلة قال تقربوا إلى الله بطاعته والعمل بما يرضيه.

- وأخرج عبد بن حميد عن أبى وائل قال: الوسيلة فى الإيمان.

- وأخرج الطستى وابن الأنبارى فى الوقف والابتداء عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق قال له: أخبرنى عن قوله عز وجل: وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ، قال: الحاجة. قال وهل تعرف العرب ذلك؟

قال: نعم، أما سمعت عنتره وهو يقول:

إن الرجال لهم اليك وسيلة أن ياخذوك تكحلى وتخضبى. انتهى.

وتفسير ابن عباس للوسيلة بالحاجة ان صح عنه فلا يصح، لأن مقصود عنتره أن يقول لتلك المرأة: ان الرجال سيجدون وسيلة لأخذك ولو بالخطيفة فاستعدى! على أنه لا يبعد أن يكون معنى الحاجة فى زمن ابن عباس هو المعنى الذى يستعمله أهل مصر اليوم، وهو عام يشمل الوسيلة.

وفى حلية الأولياء: ٤/١٠٥

عن منصور عن أبى وائل فى قوله تعالى وابتغوا إليه الوسيلة، قال: القربة فى الأعمال. انتهى.

وهكذا ساروا على ما أسسه المفسرون الأمويون من تفسير الآية بالقربة وابعادها عن النبي وآله صلى الله عليه وآله، الذين هم الوسيلة التى أمر الله بها فى كتابه!

ولم يكتفوا بتفسير الوسيلة المطلقة بالقربة المطلقة، حتى ضيقوا مفهوم القربة وأبعدوه عن كثير من التقربات المرتبطة بشخص النبي صلى الله عليه وآله، وقبورهم الشريفة!!

وسوف ترى أن الإتجاه الأموى أخذ شكلا حادا على يد ابن تيمية واتباعه!

وبذلك اتجه السؤال بالتهمة اليهم بأنهم راعوا سياسة الخلافة القرشية فى تقليدها من حاجة المسلمين إلى النبي صلى الله عليه وآله حتى فى إيمانهم، وخاصة فى الأمور التى لا بد أن تكون ممتدة بعده بأهل بيته الطاهرين.

وفى اعتقادى أن ذلك يرجع إلى يوم أعلنت الخلافة القرشية الأحكام العرفية فى كل ما يتعلق بالقبر النبوى، لأنها خشيت أن يستجير به أهل بيته ويطلبوا بالخلافة! فقد منعت التجمع عنده والصلاة والتوسل والتبرك.. وأكثر مظاهر الإحترام الطبيعية التى تقوم بها الأمم تجاه قبر نبيها!!

فصار ذلك فقها وعقيدة، وقامت الخلافة الأموية بتركيزه وتبريره.. ولم يخرج عنه إلا المتصوفة، ولكنهم حاولوا أن يفسروا الوسيلة إلى الله تعالى بمشايع طرقهم!!

وقد حاول الفخر الرازى أن يستدل على إبعاد الوسيلة عن الوساطة فى تلقى الدين والسلوك الدينى، فقال فى تفسيره: ٦ جزء ١١/٢٢٠: المسألة الثالثة، الوسيلة: فعيلة، من وسل أى تقرب إليه، قال لبيد الشاعر:

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم إلا كل ذى لب إلى الله واسل أى متوسل، فالوسيلة هى التى يتوسل بها إلى المقصود.

قالت التعليميه: دلت الآية على أنه لا سبيل إلى الله تعالى إلا بمعلم معرفته، ومرشد يرشدنا إلى العلم به، وذلك لأنه طلب الوسيلة إليه مطلقاً، والإيمان به من أعظم المطالب وأشرف المقاصد، فلا بد فيه من الوسيلة.

وجوابنا: أنه تعالى أمر بابتغاء الوسيلة إليه بعد الإيمان به، والإيمان به عبارة عن المعرفة به، فكان هذا أمراً بابتغاء الوسيلة إليه بعد الإيمان به ومعرفته، فيمتنع أن يكون هذا أمراً بطلب الوسيلة إليه فى معرفته!

فكان المراد طلب الوسيلة إليه فى تحصيل مرضاته، وذلك بالعبادات والطاعات. انتهى كلام الرازى.

وغرضه أن يقول ان الآية تخاطب المؤمنين بعد إيمانهم بأن يتوسلوا بالطاعات، ولا تطلب من الناس أن يتوسلوا بشخص إلى الإيمان.

ولكنه نسى قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) النساء: ١٣٦

فقد طلب الله من المؤمنين أن يؤمنوا بالله ورسوله! ونسى قوله تعالى (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا) الحجرات - ١٤

فلا مانع أن يخاطب الله تعالى المؤمنين بعد إيمانهم أن يبتغوا إليه الوسيلة عن طريق رسوله!؟

بل حتى لو سلمنا أن الآية ناظرة إلى مرحلة ما بعد إيمانهم، فأى مانع فى أن يطلب الله تعالى منهم أن يرتقوا بإيمانهم إلى درجة أعلى فيجعلوا الرسول قدوتهم ووسيلتهم إلى ربهم!؟

ولكن غرض الرازى أن يحصر الوسيلة المأمور بها بالأعمال، ويبيدها عن شخص النبي وآله صلى الله عليه وآله! كما أن غرض التعليميه الذين ذكروهم الرازى أن يبعدها عن الرسول وآله صلوات الله عليهم، ويثبتوا بها حاجة المسلم فى الإيمان والتدين إلى شيخ

طريقه يكون هو وسيلته إلى ربه!!

أما المفسرون الشيعة فقد تأثر بعضهم بالجو العام للتفسير السنى، ففسروا الوسيلة مثلهم بالقربة بلا تعيين، بينما فسرها بعضهم بما ورد عن أهل البيت (عليهم السلام)، من أن الوسيلة هو النبي أو وصيه من بعده..

- قال الطوسى فى تفسير التبيان: ٣/٥٠٩

خاطب الله فى هذه الآية المؤمنين وأمرهم أن يتقوه، ومعناه أن يتقوا معاصيه ويجتنبوها، ويبتغوا إليه معناه يطلبون إليه، الوسيلة وهى القربة فى قول الحسن ومجاهد وقتادة وعطاء والسدى وابن زيد وعبد الله بن كثير وأبى وابل. وهى على وزن فعيلة، من قولهم: توسلت

اليك، أى تقربت. قال عترة ابن شداد:

إن الرجال لهم اليك وسيلة أن يأخذوك فلجلجي وتخضبي
وقال الآخر:

إذا غفل الواشون عدنا لوصلنا وعاد التصافي بيننا والوسائل

يقال: منه سلت أسال، أى طلبت، وهما يتساولان، أى يطلب كل واحد منهما من صاحبه. والأصل الطلب والوسيلة التى ينبغى أن يطلب مثلها. انتهى.

والظاهر أن منهج الشيخ الطوسى رحمه الله فى تفسير التبيان أن يكتب ما يتحملة القارئ السنى.

وكذا فعل المقداد السيورى فى فقه القرآن: ١/٣٦٩

والبلاغى فى إملاء ما من به الرحمن: ١/٢١٤

أما التفاسير الروائية عن أهل البيت (عليهم السلام)، فقد فسرت الوسيلة التى أمر الله تعالى بها بالنبي والأئمة من بعده صلى الله عليه وعليهم.

ففى تفسير القمى: ١/١٦٨

وقوله (اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) فقال: تقربوا إليه بالإمام. انتهى.

والمأمل فى الآية يلاحظ أنها: أمر الهى نزل فى آخر سورة من القرآن، بعنصر جديد كلف الله به المسلمين هو (البحث.. عن.. الوسيلة)!

وهو أمر مجمل، والمصدر الوحيد لبيانه هو الرسول صلى الله عليه وآله.

أما نحن فنروى أنه بين الوسيلة بأنها هو وأهل بيته، فالأمة مكلفه أن تعبد الله تعالى بمعرفتهم فى كل عصر وإطاعتهم..

بينما لم يرو السنينيون بيانها، ورووا عن غير النبي تفسيرها بالقربه، وهو لا يصح لأنه أولاً تفسير مجمل مثلها! ولأنه ثانياً يلغى العنصر الجديد الذى نزلت به الآية، ويجعل معناها تأكيداً لمثل قوله تعالى (أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ)، وبذلك لا يبقى معنى لإستعمال مصطلح الوسيلة وابتغائها، ولا لنزول الآية!!

الآية ٠٢

قال الله تعالى: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا. النساء: ٦٤

ورد تفسير المجرى إلى الرسول فيها عن أهل البيت (عليهم السلام)، أنه يشمل المجرى إلى الرسول صلى الله عليه وآله فى حياته، والمجرى إلى قبره الشريف بعد وفاته. وقد وافقتهم على ذلك روايات عديدة من مصادر السنين.

ففى الكافى: ٥٥٠/ ٤

عن معاوية بن عمار، عن أبى عبدالله عليه السلام قال: إذا دخلت المدينة فاغتسل قبل أن تدخلها أو حين تدخلها ثم تأتى قبر النبي صلى الله عليه وآله ثم تقوم فتسلم على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم تقوم عند الاسطوانة المقدمه من جانب القبر الأيمن عند رأس القبر عند زاوية القبر وأنت مستقبل القبلة ومنكبك الأيسر إلى جانب القبر ومنكبك الأيمن مما يلى المنبر، فانه موضع رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وتقول:

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأشهد أنك رسول الله، وأشهد أنك محمد بن عبدالله، وأشهد أنك قد بلغت رسالات ربك ونصحت لأمتك، وجاهدت فى سبيل الله، وعبدت الله مخلصاً حتى أتاك اليقين وأدبت الذى عليك من الحق وأنك قد رؤفت بالمؤمنين وغلظت على الكافرين فبلغ الله بك أفضل شرف محل المكرمين، الحمد لله الذى استنقذنا بك من الشرك والضلالة، اللهم فاجعل صلواتك وصلوات ملائكتك المقربين وعبادك الصالحين وأنبيائك المرسلين وأهل السماوات والأرضين ومن سبح لك يا رب العالمين من الأولين والآخرين على محمد عبدك ورسولك ونيبك وأمينك ونجيك

وحبيبك وصفيك وخاصتك وصفوتك وخيرتك من خلقك، اللهم أعطه الدرجة والوسيلة من الجنة وابعثه مقاماً محموداً يغطه به الأولون والآخرون.

اللهم إنك قلت: ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً.

وإني أتيت نبيك مستغفراً تائباً من ذنوبي وإني أتوجه بك إلى الله ربي وربك ليغفر لي ذنوبي.

وإن كانت لك حاجة فاجعل قبر النبي صلى الله عليه وآله خلف كتفيك واستقبل القبلة وارفع يديك واسأل حاجتك فإنك أحرى أن تقضى إن شاء الله.

- ورواه في تهذيب الأحكام: ٥/٦

- ونحوه في من لا يحضره الفقيه: ٢/٥٦٧، وفيه:

اللهم وأعطه الدرجة والوسيلة من الجنة وابعثه مقاماً محموداً يغطه به الأولون والآخرون، اللهم إنك قلت وقولك الحق: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذِ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا.

وإني أتيت نبيك مستغفراً تائباً من ذنوبي، يا رسول الله اني أتوجه بك إلى الله ربي وربك ليغفر لي ذنوبي. انتهى.

- وفي الدر المنثور: ١/٢٣٨:

- وأخرج البيهقي عن أبي حرب الهلالي قال حج أعرابي فلما جاء إلى باب مسجد رسول الله (ص) أناخ راحلته فعقلها ثم دخل المسجد حتى أتى القبر ووقف بحذاء وجه رسول الله (ص) فقال:

بأبي أنت وأمي يا رسول الله، جئتك مثقلاً بالذنوب والخطايا، مستشفعاً بك على ربك، لأنه قال في محكم كتابه: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذِ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا.

وقد جئتك بأبي أنت وأمي مثقلاً بالذنوب والخطايا، أستشفع بك على ربك أن يغفر لي ذنوبي، وأن يشفع في.

ثم أقبل في عرض الناس وهو يقول:

يا خير من دفنت في التراب أعظمه فطاب من طيهن القاع والأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

- ورواه في كنز العمال: ٤/٢٥٨، وقال في هامشه: وذكر ابن كثير في تفسيره: ٢/٣٢٩

وقصة هذا الأعرابي تدل على أن العربي الصافي الفطرة يفهم أن قوله تعالى (جاؤوك) يشمل المجئ إلى الرسول في حياته، وإلى قبره بعد وفاته.

- وقال الشرنبلاني في نور الإيضاح/ ١٥٦

لمسلمين ثم يعود ويقف عند رأس سيدنا النبي صلى الله عليه وآله الشريف مستقبله كالأول ويقول اللهم إنك قلت وقولك الحق وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذِ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا. وقد جئتك سامعين قولك طائعين أمرك مستشفعين بنبيك اليك اللهم ربنا اغفر لنا ولآبائنا) وأمهاتنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا

انك رؤوف رحيم

- وفي الدر المنثور: ٢/٢١٩:

وأخرج عبد بن حميد عن ابن مسعود قال: من قرأ هاتين الآيتين من سورة النساء ثم استغفر غفر له: وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا.

وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذِ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ.. الآية.

- وفي الدر المنثور: ١٧٠/٢:

- وأخرج هناد عن ابن مسعود قال: أربع آيات في كتاب الله عز وجل أحب إلى من حمر النعم وسودها:
في سورة النساء قوله: إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ.. الآية.
وقوله: إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ.. الآية.
وقوله: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ.. الآية.
وقوله: وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ.. الآية.
- وفي الدر المنثور: ٢/ ١٨٠:

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبيرة قال:
الإستغفار على نحوين، أحدهما في القول والآخر في العمل.
فأما استغفار القول فإن الله يقول: ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول.
وأما استغفار العمل فإن الله يقول وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون، فعنى بذلك أن يعملوا عمل الغفران. انتهى.

جاؤوك، تشمل المجئ إلى قبر النبي والمجئ إلى وصيه

في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة خطابات وأحكام خاصة بالنبي صلى الله عليه وآله، فما حكمها بعد وفاته؟
قالت مذاهب الخلافة القرشية: منها ما هو من شأن النبوة وقد انتهى بوفاء النبي، والباقي صار المخاطب به الخليفة الذي حل محل النبي صلى الله عليه وآله! وبدأت الخلافة بتنفيذ ذلك في الخمس والأمور المالية فقالت صار أمرها إلى الخليفة... الخ.
ولكن هذه الخطابات والأحكام أوسع وأعمق من أن ينهض بها أمثال الخلفاء الذين حكموا بعد النبي صلى الله عليه وآله.. وللبحث في هذا الموضوع مكان آخر، ويدخل منه في بحثنا فتح باب الغفران الإلهي بالمجئ إلى النبي صلى الله عليه وآله، فهل هو حكم مستمر بعده في وصيه أم لا؟

دلت أحاديثنا الصحيحة على أن هذا المقام الرباني ثابت للوصي عليه السلام، وهو الذي يساعد عليه استمرار الإسلام، ووراثته الكتاب الإلهي، ونصوص وصية النبي لعترته الطاهرين، صلى الله عليه وعليهم.
- ففي الكافي: ١/٣٩١:

- علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن اذينة، عن زرارة أو بريد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: لقد خاطب الله أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه قال: قلت: في أي موضع؟ قال: في قوله: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا. فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، فيما تعاقدوا عليه لئن أمات الله محمدا ألا يردوا هذا الأمر في بني هاشم، ثم لا يجدوا في أنفسه حرجا مما قضيت، عليهم من القتل أو العفو، ويسلموا تسليما.
- وفي الكافي: ٨/ ٣٣٤:

علي بن ابراهيم، عن أبيه ومحمد بن اسماعيل، وغيره، عن منصور بن يونس عن ابن اذينة، عن عبد الله بن النجاشي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في قول الله عز وجل: أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا. يعني والله فلانا وفلانا.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا. يعني والله النبي صلى الله عليه وآله وعلياً مما صنعوا أي لو جاؤوك بها يا علي فاستغفروا الله مما صنعوا، واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا.

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ. فقال أبو عبد الله: هو والله على بعينه، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت،

على لسانك يا رسول الله يعنى به من ولاية على، ويسلموا تسليمًا، لعلى.

- وفى تفسير القمى: ١٤٢ / ١:

وقوله: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ، فانه حدثنى أبى، عن ابن أبى عمير، عن ابن أذينة، عن زرارة، عن أبى جعفر عليه السلام قال: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا. هكذا نزلت. ثم قال: فَلَا- وَرَبُّكَ لَا- يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ، يا على، فيما شجر بينهم، يعنى فيما تعاهدوا وتعاقدوا عليه من خلافك بينهم وغضبك. ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت، عليهم يا محمد على لسانك من ولايته، ويسلموا تسليمًا، لعلى عليه السلام. انتهى.

ومعنى قول الإمام الباقر عليه السلام (هكذا نزلت) أى هذا هو المعنى المقصود فيها الذى أنزله الله تعالى.

وقد يكون الولى بتعميم الخطاب للوصى ثقيلًا على بعضهم، ولكنه لا بد منه إذا أرنا أن لا نعطل معنى الآيات والأحاديث والأحكام المتعلقة بالنبي صلى الله عليه وآله! مع ما يستلزمه تعطيلها من نقصان الدين بعد كماله وتمامه!!

الآية ٥٣

قال الله تعالى: وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا.

قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا.

أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا. الإسراء: ٥٥

٥٧ -

وهذه الآية تدل على مشروعية التوسل إلى الله تعالى بالأشخاص الأقرب إليه، فمن المتفق عليه بين المفسرين أن قوله تعالى (يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ) مدح لهؤلاء المؤمنين بأنهم يطلبون التوسل إلى الله تعالى.. وإن اختلفوا فى تعيين هؤلاء المتوسلين، والمتوسل بهم. كما سياتى.

تفسيرنا للآيتين الكريمتين

معنى الآيات:

قل لهم فليدعوا الذين يزعمون لكشف الضر عنهم، فلا مجيب!! لأنهم فى الحقيقة لا يدعون شيئاً!

ولكن المؤمنين هم الذين يدعون من هو أهل لكشف الضر سبحانه، فتراهم يبتغون إليه الوسيلة، ويبحثون عن أقرب عباده إليه وسيلة فيتوسلون به إليه، فيستجيب دعاءهم. ف- (أولئك) فى مطلع الآية الثانية إستئناف، والمقصود بهم المؤمنون عبر التاريخ، وقد مدحهم الله تعالى بدعائهم ربهم الحق، وبتوسلهم بمن هو أقرب منهم إليه.. وذلك فى مقابل المشركين الذين يدعون هباء! ويتوسلون بما لم يأذن به الله!!

أما المفسرون السنيون فقد أرجعوا الضمير فى أولئك إلى المعبودين المزعومين من دون الله. وبعضهم كالجبايى أرجعه إلى الأنبياء، ولكنه وافقهم على أن (أيهم أقرب) صفة للمتوسلين، لا للمتوسل بهم، كما سياتى.

وأما المفسرون الشيعة غير المحدثين، فقد راعوا التفسير السنى، ولم يخرجوا عنه إلا قليلاً.

- قال الطوسى فى تفسير التبيان: ٦/٤٩٠:

ثم قال لنبية: قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ، يعنى الذين زعمتم أنهم أرباب وآلهة من دون الله، ادعوهم إذا نزل بكم ضرر، فانظروا هل يقدر على دفع ذلك أم لا.

وقال ابن عباس والحسن: الذين من دونه، الملائكة والمسيح وعزير.

وقال ابن مسعود: أراد به ما كانوا يعبدون من الجن: وقد أسلم أولئك النفر من الجن، لأن جماعة من العرب كانوا يعبدون الجن، فأسلم الجن وبقى الكفار على عبادتهم.

وقال أبو علي: رجع إلى ذكر الأنبياء في الآية الأولى، والتقدير ان الأنبياء يدعون إلى الله يطلبون بذلك الزلفه لديه ويتوسلون به إليه وإلى رضوانه وثوابه، أيهم كان أفضل عند الله، وأشد تقرباً إليه بالأعمال.

ثم قال: فلا يملكون، يعني الذين تدعون من دون الله، كشف الضر، والبلاء عنكم، ولا تحويله إلى سواكم.

ثم قال: أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب.. الآية قوله: أولئك: رفع بالإبتداء، والذين، صفة لهم، ويبتغون إلى ربهم خبر الإبتداء. والمعنى الجماعة الذين يدعون يبتغون إلى ربهم.

أيهم رفع بالإبتداء، وأقرب خبره. والمعنى يطلبون الوسيلة ينظرون أيهم أقرب فيتوسلون به، ذكره الزجاج. وقال قوم: الوسيلة هي القرية والزلفه.

وقال الزجاج: الوسيلة والسؤال والسؤل والطلبه واحد، والمعنى ان هؤلاء المشركين يدعون هؤلاء الذين اعتقدوا فيهم أنهم أرباب وابتغى المدعوون أرباباً إلى ربهم القربة والزلفه لأنهم أهل إيمان به.

والمشركون بالله يعبدونهم من دون الله، أيهم أقرب عند الله بصالح أعماله واجتهاده في عبادته، فهم يرجون بأفعالهم رحمته ويخافون عذابه بخلافهم إياه. إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا. أى متقى. انتهى.

وقد اقتصر الشيخ الطوسي على ذكر أقوال السنيين، كما رأيت.

- وأما الطبرسي في مجمع البيان: ٦/٤٢٢، فقد مال إلى قول أبي علي الجبائي، فقال: ثم قال سبحانه لنبيه (ص):

قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله: أدعوا الذين زعمتم من دونه أنهم آلهة عند ضر ينزل بكم ليكشفوا ذلك عنكم أو يحولوا تلك الحالة إلى حالة أخرى.

فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً، للحالة التي تكرهونها إلى حالة تحبونها يعني تحويل حال الفحط إلى الخصب والفقر إلى الغنى والمرض إلى الصحة.

وقيل معناه لا يملكون تحويل الضر عنكم إلى غيركم، بين سبحانه أن من كان بهذه الصفة فانه لا يصلح للإلهية، ولا يستحق العبادة.

والمراد بالذين من دونه الملائكة والمسيح وعزير عن ابن عباس والحسن، وقيل هم الجن لأن قوماً من العرب كانوا يعبدون الجن عن ابن مسعود، قال وأسلم أولئك النفر من الجن وبقى الكفار على عبادتهم.

قال الجبائي: ثم رجع سبحانه إلى ذكر الأنبياء في الآية الأولى فقال: أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة، ومعناه أولئك الذين يدعون إلى الله تعالى ويطلبون القربة إليه بفعل الطاعات.

أيهم أقرب، أى يظهر أيهم الأفضل والأقرب منزلة منه. وتأويله أن الأنبياء مع علو رتبهم وشرف منزلتهم إذا لم يعبدوا غير الله فأنتم أولى أن لا تعبدوا غير الله. وإنما ذكر ذلك حثاً على الإقتداء بهم.

وقيل ان معناه أولئك الذين يدعون ويعبدونهم ويعتقدون أنهم آلهة من المسيح والملائكة يبتغون الوسيلة والقربة إلى الله تعالى بعبادتهم، ويجتهد كل منهم ليكون أقرب من رحمته، أو يطلب كل منهم أن يعلم أيهم أقرب إلى رحمته أو إلى الاجابة، ويرجون رحمته ويخافون عذابه، أى وهم مع ذلك يستغفرون لأنفسهم فيرجون رحمته أن أطاعوه ويخافون عذابه ان عصوا، ويعملون عمل

العباد. انتهى.

ومع أنه رحمه الله مال إلى تفسير الجبائي، ولكنه لم يخرج عن التفسير الأساسى للمفسرين السنيين، ولم يبحث النسبة بين الآية وبين أحاديث أهل البيت عليهم السلام الصحيحة التي تنص على أن الذين جعلهم الله تعالى وسيلة للناس والأنبياء هم محمد وآله صلى الله

عليهم.

وأما الطباطبائي فقد ذكر أقوال المفسرين السنيين فى الآية، ولم يجزم بشئ منها! قال فى تفسير الميزان: ١٣/١٣٠:
 قوله تعالى: **أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ**، إلى آخر الآية. أولئك مبتدأ، والذين صفة له، ويدعون صلته
 ضميره عائد إلى المشركين. ويبتغون خبر أولئك، وضميره وسائر ضمائر الجمع إلى آخر الآية راجعة إلى أولئك.
 وقوله: **أَيُّهُمْ أَقْرَبُ**، بيان لابتغاء الوسيلة لكون الإبتغاء فحصاً وسؤالاً فى المعنى. هذا ما يعطيه السياق.
 والوسيلة على ما فسروه هى التوصل والتقرب، وربما استعملت بمعنى ما به التوصل والتقرب، ولعله هو الأنسب بالسياق بالنظر إلى
 تعقيبه بقوله: **أَيُّهُمْ أَقْرَبُ**. والمعنى والله أعلم:
 أولئك الذين يدعوهم المشركون من الملائكة والجن والانس يطلبون ما يتقربون به إلى ربهم يستعلمون.
أَيُّهُمْ أَقْرَبُ: حتى يسلكوا سبيله ويقتدوا بأعماله ليتقربوا إليه تعالى كتقربه. ويرجون رحمته. من كل ما يستمدون به فى وجودهم
 ويخافون عذابه فيطيعونه ولا يعصونه.

إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا. يجب التحرز منه والتوسل إلى الله ببعض المقربين إليه - على ما فى الآية الكريمة قريب من قوله: **يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ**، غير ما يرومه المشركون من الوثنيين، فإنهم يتوسلون إلى الله ويتقربون بالملائكة الكرام
 والجن والأولياء من الانس، فيتركون عبادته تعالى ولا يرجونه ولا يخافونه، وإنما يعبدون الوسيلة ويرجون رحمته ويخافون سخطه ثم
 يتوسلون إلى هؤلاء الأرباب والإلهة بالأصنام والتماثيل فيتركونهم ويعبدون الأصنام، ويتقربون اليهم بالقرابين والذبايح.
 وبالجملة يدعون التقرب إلى الله ببعض عباده أو أصنام خلقه، ثم لا يعبدون إلا الوسيلة مستقلة بذلك، ويرجونها ويخافونها مستقلة
 بذلك من دون الله، فيشركون بإعطاء الإستقلال لها فى الربوبية والعبادة.
 والمراد بأولئك الذين يدعون: ان كان هو الملائكة الكرام والصلحاء المقربون من الجن والأنبياء والأولياء من الانس، كان المراد من
 ابتغائهم الوسيلة ورجاء الرحمة وخوف العذاب ظاهره المتبادر.
 وان كان المراد بهم أعم من ذلك حتى يشمل من كانوا يعبدونه من مردة الشياطين وفسقة الإنسان كفرعون ونمرود وغيرهما، كان
 المراد بابتغائهم الوسيلة إليه تعالى ما ذكر من خضوعهم وسجودهم وتسييحهم التكويني (!)
 وكذا المراد من رجائهم وخوفهم ملذواتهم. انتهى.
 ثم ذكر رحمه الله وجوها أخرى فى رجوع الضمائر، ولم يتبن منها شيئاً.

تفسير السنيين للآيتين الكرئمتين

قال المحذوثون والمفسرون السنيون ان المقصود بـ(أولئك) فى الآية، المعبودون المزعومون من دون الله الذين يؤلههم بعض الناس،
 فالمعبودون مؤمنون يعبدون الله تعالى ويبتغون إليه الوسيلة... وعابدوهم مشركون.
 ورووا عن ابن مسعود وابن عباس أن هؤلاء المعبودين من مؤمنى الجن، أو الملائكة، أو أنهم المسيح وعزير والشمس والقمر!
 - قال البخارى فى صحيحه: ٥/٢٢٧:

عن أبى معمر عن عبد الله (ابن مسعود): **إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ**، قال: كان ناس من الانس يعبدون ناساً من الجن، فأسلم الجن وتمسك
 هؤلاء بدينهم. زاد الأشجعى: عن سفيان عن الأعمش: **قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ**.
 باب **أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ.. الآية**:

عن أبى معمر عن عبد الله (رض) فى هذه الايه: **الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ**، قال: ناس من الجن يعبدون، فأسلموا.
 - ورواه مسلم: ٨/٢٤٤، عن عبد الله أيضاً، وفيه قال: كان نفر من الانس يعبدون نفراً من الجن، فأسلم نفر من الجن، واستمسك
 الانس بعبادتهم فنزلت: **أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ**.

- ورواه الحاكم بنحوه: ٢/٣٦٢، عن عبد الله أيضاً.

- وقال السيوطي في الدر المنثور: ١٨٩ / ٤:

أخرج عبدالرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، والبخاري، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم، وابن مردويه، وأبو نعيم في الدلائل، عن ابن مسعود (رض) في قوله: قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا، قال: كان نفر من الإنس يعبدون نفراً من الجن فأسلم النفر من الجن وتمسك الأنسيون بعبادتهم، فأُنزل الله: أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ. كلاهما بالياء.

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقي، معا في الدلائل، عن ابن مسعود (رض) قال: نزلت هذه الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن، فأسلم الجنيون والنفر من العرب لا يشعرون ذلك.

- وقال في الدر المنثور: ٤/١٩٠:

وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود (رض) قال: كان قبائل من العرب يعبدون صنفاً من الملائكة يقال لهم الجن، ويقولون هم بنات الله، فأُنزل الله: أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ.. الآية.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية قال: كان أهل الشرك يعبدون الملائكة والمسيح وعزيراً.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ، قال: عيسى وأمه وعزيز.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ، قال: هم عيسى وعزيز والشمس والقمر. انتهى.

- وقال الفخر الرازي في تفسيره: ٢٠/٢٣١:

فنقول: ان قوما عبدوا الملائكة فنزلت هذه الآية فيهم.

وقيل إنها نزلت في الذين عبدوا المسيح وعزيراً.

وقيل إن قوماً عبدوا نفراً من الجن فأسلم النفر من الجن، فبقى أولئك من الناس متمسكين بعبادتهم، فنزلت هذه الآية. انتهى.

وعلى هذا المنوال نسج المفسرون الباقون.. ومنهم ابن تيمية، الذي أهمل كغيره أن الآية في مدح المتوسلين، وأخذ منها ذم الذين عبدوا المتوسلين!

- قال في رسالته فتياً في نية السفر/ ٤٣٠

فآلية تتناول كل من دعا من دون الله من هو صالح عند الله من الملائكة والإنس والجن! قال تعالى: هؤلاء الذين دعوتهم لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً، أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه، ان عذاب ربك كان محذوراً.

قال أبو محمد عبد الحق بن عطية في تفسيره: أخبر الله تعالى أن هؤلاء المعبودين يطلبون التقرب إليه والتزلف إليه، وأن هذه حقيقة حالهم، والضمير في ربهم للمبتغين أو للجميع، والوسيلة هي القربة، وسبب الوصول إلى البغية، وتوسل الرجل إذا طلب الدنو والنيل لأمراً ما، ومنه قول النبي (ص) من سأل الله لى الوسيلة.. الحديث.

وهذا الذي ذكره ذكر سائر المفسرين نحوه، إلا أنه برز به على غيره فقال: وأيهم ابتداء وخبره أقرب، وأولئك يراد بهم المعبودون، وهو ابتداء وخبره يبتغون. والضمير في يدعون للكفار، وفي يبتغون للمعبودين، والتقدير نظرهم وذكرهم أيهم أقرب!! وهذا كما قال عمر بن الخطاب (رض) في حديث الراية بخير فبات الناس يدعون ليلتهم أيهم يعطاها؟ أي يتبارون في طلب القرب!! قال رحمه الله:

وظف الزجاج في هذا الموضوع فتأمله.

ولقد صدق في ذلك فإن الزجاج ذكر في قوله أيهم أقرب وجهين كلاهما في غاية الفساد. وقد ذكر ذلك عنه ابن الجوزي وغيره، وتابعه المهدي والبغوي وغيرهما، ولكن ابن عطية كان أقعد بالعربية والمعاني من هؤلاء وأخبر بمذهب سيوبة والبصريين، فعرف تطفيف الزجاج مع علمه رحمه الله بالعربية وسبقه ومعرفته بما يعرفه من المعاني والبيان! وأولئك لهم براعة وفضيلة في أمور يبرزون فيها على ابن عطية لكن دلالة الألفاظ من جهة العربية هو بها أخبر، وإن كانوا هم أخبر بشئ آخر من المنقولات أو غيرها!!

وقد بين سبحانه وتعالى أن المسيح وإن كان رسولا كريما فإنه عبد الله، فمن عبده فقد عبد مالا ينفعه ولا يضره!

قال تعالى: لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم، انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار، وما للظالمين من أنصار. انتهى.

مناقشة تفسيرهم للآيات

يلاحظ على تفسيرهم للآيات:

أولاً: أنهم ابتعدوا عن سياق الآية ومصبتها، وهو المقابلة بين المشركين الذين يدعون من يزعمون، وبين المؤمنين الذين يدعون ربهم ويتبعون إليه الوسيلة.. فقد قال سبحانه لرسوله (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا). ثم مدح الذين يقابلونهم فقال (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ)... فالسياق هو تحدى المشركين بأن آلهتهم المزعومة لا تستطيع أن تكشف الضر عنهم، وأنهم بالحقيقة لا يدعون من دون الله شيئاً، بل أوهاماً.. ثم قابلهم بالذين يدعون الله تعالى ويتوسلون إليه، فهؤلاء الذين يدعون الحق بحق، وعبر عنهم بأولئك تعظيماً لهم. أما غيرهم فلا يدعون شيئاً.

وبذلك تتم المقابلة وتكون (أولئك) استثناءً جديداً تاماً، والضمير فيها للشأن، ولا ربط له بالآية السابقة حتى يعود على شئ منها!! أما تفسيرهم فقد جعل التقابل بين المشركين وبين بعض من يعبدونهم من الأنبياء.. وهو تقابل ضعيف بعيد لو سلم من الإشكالات فلا يتبادر إلى الذهن.

وقول الجبائي ان المقصود بـ (أولئك) هم الأنبياء المذكورون في الآية السابقة، أقرب من أقوالهم إلى الصحة، ولكن لفظ (أولئك) مطلق شامل لكل العابدين لله، ولا دليل على حصره بالأنبياء (عليهم السلام)، وإن كانوا سادتهم.

ثانياً: أرجاعهم ضمير (أولئك) إلى المعبودين المزعمين من دون الله خلاف الظاهر، لأن ضمير هؤلاء المزعمين خفي، والضمير البارز فيها ضمير العابدين المخاطبين، فلو كان يريد المزعمين لقال (أولئك الذين تدعونهم أو تزعمونهم) أو ذكر إشارة تدل على قصدهم، وعدم قصد العابدين المخاطبين!

ثالثاً: أن المعبودين المزعمين فيهم الصالح والطالح والجماد، فيهم الأنبياء مثل عزيز وعيسى، وفيهم الملائكة والجن، والشمس والقمر والنجوم والأصنام، وبقية المعبودات.. وصفات المدح لـ (أولئك) تمنع رجوع الضمير إلى المعبودين جميعاً! وكيف يصح عود الضمير على بعض العام المعهود بدون قرينة؟!

ولعمري ان هذا الضعف في ارجاع الضمائر لا وجود له في القرآن؟! وهو كاف لتضعيف ما روى عن ابن مسعود وغيره!

رابعاً: ما روه عن ابن مسعود وغيره من أن قوما من العرب كانوا يعبدون الجن فآمن الجن وبقى عبادهم مشركين.. الخ.. فنزلت الآية.. هذه الوجوه ليست حديثاً بل هي أقوال لو تم سندها لبقى تعارضها!

ولو سلمنا ارتفاع تعارضها، فهي سبب لنزول الآية لا أكثر، والسبب الخاص لا يخص الوارد العام، وصيغة الآية عامة (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ..) وهو يشمل كل الذين زعموا فلا مبرر لتخصيصها ببعضهم!

خامساً: أن ضمير العاقل في (أَيُّهُمْ أَقْرَبُ) ينقض تفسيرهم، فقد جعلوا أيهم بدل جزء من كل من الفاعل، ليعدوه عن المتوسل بهم ويجعلوه صفة للمتوسلين، فصار المعنى عندهم: يتغى الوسيلة منهم من كان أقرب وسيلة إلى ربه، فكيف بالأبعد وسيلة!! وذلك كمن يقول (أولئك يقاتلون عدوهم حقاً أيهم أشجع من غيره!) ويقصد القائل أن الأشجع منهم يقاتل، فكيف بالأضعف!! وهو كلام بعيد عن البلاغة بل عن الفصاحة حتى في كلام المخلوقين، فلا يصح أن ينسوه إلى كلام الخالق سبحانه!! ولعل هذا هو السبب في أن بعض مفسريهم كالفخر الرازي هرب من من تفسير (أَيُّهُمْ أَقْرَبُ) ومر عنها كأنها لا وجود لها!!

سادساً: أن ضمير (أَيُّهُمْ) يعود على (أولئك) وما داموا أرجعوا ضمير أولئك على المعبودين المزعومين، فيجب أن يرجعوا ضمير أيهم إليهم! فيكون المعنى عندهم: أن المتوسل بهم الممدوحين هم من بين المعبودين المزعومين، فيكون التوسل بالأشخاص الممدوحا، ويكون منحصرأ بالأنبياء المعبودين كعيسى وعزير! وهذا خلاف مذهبهم!!

سابعاً: أن فعل (يَبْتَغُونَ) ينقض تفسيرهم، لأنه يدل على البحث والتحرى، ويطلب مفعولاً! و(أَيُّهُمْ أَقْرَبُ) أقرب مفعول إليه، فحق أى أن تكون منصوبة على المفعول، لا مرفوعة بدلاً عن الفاعل بدل جزء من كل كما زعموا!

ولكنهم أغمضوا عيونهم عن يتغى وتركوه بلا مفعول، ليحصروا التوسل بالأعمال دون الذات!! وهكذا.. يتضح لك أن التفسير الذي قدمناه هو الوحيد الخالي عن الإشكال.. وهو نص في مشروعية التوسل بالأشخاص الأقرب وسيلة إلى الله، وأنه من صفات المؤمنين عبر التاريخ وسيرتهم.

وهو يتفق مع أحاديثنا الصحيحة التي تنص على أن الله تعالى جعل الوسيلة إليه في هذه الأمة بل قبلها، محمدا وآله صلى الله عليهم.

على أقرب الخلق وسيلة إلى الله

أقرب الخلق وسيلة إلى الله تعالى هو سيد المرسلين محمد ومعه آله الذين أمرنا بالصلاة عليهم معه، صلى الله عليه وعليهم. ولذلك لا تجد في جميع مصادر الحديث السنية والشيعية أن النبي صلى الله عليه وآله وصف أحدا بأنه أقرب الخلق وسيلة إلى الله تعالى بعده، إلا علياً عليه السلام، وهي حقيقة مهمة! شاء الله تعالى أن ترويه عائشة عن النبي صلى الله وآله!!

قال القاضي النعمان في شرح الأخبار: ١/ ١٤١:

عن مسروق، قال: دخلت على عائشة فقالت لي: يا مسروق: انك من أبر ولدى بي، واني أسألك عن شئ فأخبرني به.

فقلت: سلى يا أماه عما شئت.

قالت: المخدج من قتله؟

قلت: على بن أبي طالب عليه السلام.

قالت: وأين قتله؟

قلت: على نهر يقال لأعلاه تامرا، ولأسفله النهروان بين أحافيف (أخافيق) وطرق.

فقلت: لعن الله فلاناً، تعنى عمرو بن العاص فانه أخبرني أنه قتله على نيل مصر.

قال مسروق: يا أماه فاني أسألك بحق الله وبحق رسوله وبحق فاني ابنك لما أخبرتنى بما سمعت من رسول الله فيهم.

قالت: سمعته يقول فيهم (أهل النهروان): هم شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة، وأقربهم إلى الله وسيلة.

قال مسروق: وكان الناس يومئذ أحماساً، فأتيها بخمسين رجلاً عشرة من كل خمس، فشهدوا لها أن عليا قتله!!

— وفي هامشه:

— وفي المناقب لابن شهر آشوب ٣/٦٧: عن الداري بإسناده عن الأصمغ بن نباتة وعن جميع التميمي كليهما عن عائشة: إنها لما روت هذا الخبر، قيل لها: فلم حاربتيه؟ قالت: ما حاربتيه من ذات نفسي إلا حملني طلحة والزبير. وفي رواية: أمر قدر وقضاء غلب.

- ذكر فضل بن شاذان المتوفى ٢٦٠ هـ في الإيضاح/٨٦: عن أبي خالد الأحمر عن مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت: لعن الله عمرو بن العاص ما أكذبه لقوله: أنه قتل ذا الثدية بمصر.

وروى البحراني في غايه المرام/٤٥١ الباب الأول الحديث ٢١ نقلاً من كتاب صفين للمدائني عن مسروق: أن عائشة قالت له - لما عرفت -: من قتل ذى الثدية؟ لعن الله عمرو بن العاص فانه كتب اليّ يخبرني أنه قتله بالإسكندرية إلا أنه ليس يمنعني ما في نفسي أن أقول ما سمعته من رسول الله، سمعته يقول: يقتله خير أمتي من بعدى.

ورواه في شرح الأخبار: ١/٤٣٠، وفي هامشه:

رواه ابن المغازلي في المناقب/٥٥ عن أحمد بن محمد بن عبد الوهاب بن طاوان عن الحسين بن محمد العلوي، عن أحمد بن محمد الجواربي، عن أحمد بن حازم، عن سهل بعامر الجحلي عن أبي خالد الأحمر، عن مجالد، عن الشعبي، عن مسروق قال:

قالت عائشة: يا مسروق إنك من ولدي، وإنك من أحبهم الي، فهل عندك علم من المخدج؟

قال: قلت: نعم، قتله علي بن أبي طالب على نهر يقال لأعلاه تامرا ولأسفله النهروان، بين أخفاق وطرقاء.

قالت: ابغني علي ذلك بينه، فأتيها بخمسين رجلاً من كل خمسين بعشرة - وكان الناس اذ ذاك أخماساً - يشهدون أن عليا عليه السلام قتله علي نهر يقال لأعلاه تامرا ولأسفله النهروان بين أخفاق وطرقاء.

فقلت: يا أمه، أسألك بالله وبحق رسول الله وبحقي - فإني من ولدك - أي شئ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيه؟

قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: هم شر الخلق والخليقة، يقتلهم خير الخلق والخليقة، وأقربهم إلى الله وسيلة. انتهى.

- ورواه في شرح الأخبار: ٢/٥٩، وفيه:

قال: ثم ذكرت لها أن عليا عليه السلام استخرج ذا الثدية من قتلى أهل النهروان الذين قتلهم، فقالت: إذا أتيت الكوفة فاكتب إلي بأسماء من شهد ذلك ممن يعرف من أهل البلد.

قال: فلما قدمت الكوفة، وجدت الناس أسباعاً، فكتبت من كل سبع عشرة ممن شهد ذلك - ممن نعرفه - فأتيها بشهادتهم.

فقالت: لعن الله عمرو بن العاص، فانه زعم هو قتله علي نيل مصر. انتهى.

- وقال المفيد في الإرشاد: ١/٣١٧

وقال عليه السلام وهو متوجه إلى قتال الخوارج: لولا أني أخاف أن تتكلموا وتتركوا العمل لأخبرتكم بما قضاه الله على لسان نبيه فيمن قاتل هؤلاء القوم مستبصراً بضاللتهم.

وان فيهم لرجلا مودون اليد له ثدى كئدى المرأة، وهم شر الخلق والخليقة وقاتلهم أقرب خلق الله إلى الله وسيلة.

ولم يكن المخدج معروفا في القوم، فلما قتلوا جعل عليه السلام يطلبه في القتلى ويقول: والله ما كذبت ولا كذبت! حتى وجد في

القوم، وشق قميصه وكان على كتفه سلعة كئدى المرأة عليها شعرات إذا جذبت انجذبت كتفه معها، وإذا تركت رجع كتفه إلى

موضعه، فلما وجده كبر وقال: ان في هذا لعبرة لمن استبصر.

- وفي بحار الأنوار: ٣٨/٩

تاريخ الخطيب: روى الأعمش، عن عدى، عن زر، عن عبيد الله، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من لم

يقل علي خير الشر فقد كفر. وعنه في التاريخ بالإسناد عن علقمة عن عبدالله قال: رسول الله صلى الله عليه وآله: خير رجالكم علي بن

أبي طالب، وخير شبابكم الحسن والحسين، وخير نساءكم فاطمة بنت محمد. الطبريان في الولاية والمناقب بإسنادهما إلى مسروق عن

عائشة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: هم شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة وأقربهم إلى الله وسيلة أي

المخدج وأصحابه.

- وفي هامش اختيار معرفة الرجال: ١/٢٣٩

ومن المتفق عليه لدى الجميع أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال في المخدج ذى الشدية: يقتله خير الخلق والخليقة، وفي رواية يقتله خير هذه الأمة. وفي روايات جمّة عن عائشة قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: هم - أى المخدج وأصحابه - شر الخلق والخليقة، يقتله خير الخلق والخليقة، وأقربهم إلى الله وسيلة.

رواه الحافظ نور الدين فى مجمع الزوائد ٦/٢٣٩، راجع فى ذلك:

احقاق الحق: ٨/٤٧٥ - ٥٢٢ ومسلم فى صحيحه ٣/١١٢ طبعه محمد على وأحمد بن حنبل فى مسنده ٥٦/٣ والبخارى فى صحيحه ٤/٢٠٠ الطبعة الأميرية. والنسائى فى الخصائص: ٤٣ طبعه مصر

ومن طرق عديدة عنها صلى الله عليه وآله، هم شر الخلق والخليقة يقتلهم سيد الخلق والخليقة، وفى أخبار كثيرة أنه صلى الله عليه وآله قال لعلى عليه السلام: وانك أنت قاتله يا على.

ثم قد أطبقت الأمة على أن عليا عليه السلام قد قتله يوم النهروان وأخبر الناس بذلك وقد كان عليه السلام يخبر به وبصفته من قبل، ثم استخرجه من تحت القتلى فوجدوه على ما كان يذكر فيه من صفته، فكبر الله وقال: صدق الله ورسوله وبلغ رسوله.

وفى صحيحى البخارى ومسلم وغيرهما من صحاحهم أن النبي صلى الله عليه وآله قال فيه: إن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون الكتاب لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية يخرجون على خير فرقة من الناس. وكان أبو سعيد الخدرى يقول، أشهد انى سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وآله وأشهد أن على بن أبى طالب قاتلهم وقتلهم وأنا معه، ثم من بعد القتال استخرجوا من بين القتلى من هذه صفته فجأؤوا به إليه، فشاهدت فيه تلك الصفات. انتهى.

الترابط بين الوسيلة والوصية

- فى بصائر الدرجات/٢١٦:

حدثنا أبو الفضل العلوى قال: حدثنى سعيد بن عيسى الكربزى البصرى، عن ابراهيم بن الحكم بن ظهير، عن أبيه، عن شريك بن عبد الله، عن عبد الأعلى الثعلبى، عن أبى تمام، عن سلمان الفارسى رحمه الله، عن أمير المؤمنين عليه السلام فى قول الله تبارك وتعالى: قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ، فقال: أنا هو الذى عنده علم الكتاب، وقد صدقه الله وأعطاه. والوسيلة فى الوصية ولا تخلو أمة من وسيلة إلى الله، فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ.

الشيعه وسيلة إلى الله يوم القيامة

- فى علل الشرائع: ٢/٥٦٤:

باب العلة التى من أجلها يكره تكليف المخالفين للحوائج:

حدثنا أبى قال: حدثنا أحمد بن ادريس عن حنان قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لا تسألوهم فتكلفونا قضاء حوائجهم يوم القيامة.

وبهذا الإسناد قال: قال أبو جعفر عليه السلام: لا تسألوهم الحوائج فتكونوا لهم الوسيلة إلى رسول الله يوم القيامة. انتهى.

ورواه فى فى بحار الأنوار: ٨/٥٥:

ما ورد فى مصادرهم من تشويش على الأحاديث المتقدمة

وفى مقابل رواية عائشة عن شهادة النبي صلى الله عليه وآله فى حق على عليه السلام نلاحظ وجود رواية أكثر من نقلها المصادر

السنية تصف عبد الله بن مسعود بأنه أقرب الناس أو من أقربهم وسيلة إلى الله!

ولكنها والحمد لله ليست رواية عن النبي صلى الله عليه وآله، بل عن حذيفة!! وحتى لو صحت عن حذيفة وفسرناها بأى تفسير، فهي لا ترقى إلى معارضة حديث عائشة وغيرها في على عليه السلام.

وان أحسنا الظن بروايتهم عن ابن مسعود فهي تدل على أن مصطلح (الأقرب وسيلة إلى الله تعالى) كان معروفاً بين المسلمين من عصر الرسول صلى الله عليه وآله، وأن حذيفة أو واضع الحديث على لسانه أراد أن يمدح به عبد الله بن مسعود.

وان أسأنا الظن بروايتهم، فهي محاولة للتعتيم على الحديث النبوي البليغ في على عليه السلام، واعطاء هذه الصفة لعبد الله بن مسعود! وطالما فعلتها الخلافة القرشية ورواتها!

- روى أحمد في مسنده: ٥/٣٩٤:

عن شقيق قال كنت قاعداً مع حذيفة فاقبل عبدالله بن مسعود فقال حذيفة إن أشبه الناس هدياً ودلاً برسول الله (ص) من حين يخرج من بيته حتى يرجع فلا- أدرى ما يصنع في أهله كعبد الله بن مسعود والله لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد (ص) ان عبد الله من أقربهم عند الله وسيلة يوم القيامة.

- وروى نحوه الحاكم في: ٢/٣١٢، ورواه في: ٣/٣١٥، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. انتهى.

ومن الملفت في الموضوع أن... نفى القسم الأخير من النص وقال انه لم يسمعه من عبد الرحمن بن يزيد!

قال أحمد في مسنده: ٥/٣٩٥:

ولم نسمع هذا من عبد الرحمن بن يزيد لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد (ص) إن ابن أم عبد من أقربهم إلى الله عز وجل وسيلة!!

- وفي الغدير: ٩/٩:

أخرج الترمذى بإسناد رجاله ثقات من طريق حذيفة بن اليمان: إن أشبه الناس هدياً ودلاً وسمتاً بمحمد (ص) عبد الله.

وفي لفظ البخارى: ما أعرف أحداً أقرب سمتاً وهدياً ودلاً برسول الله (ص) من ابن أم عبد.

وزاد الترمذى: ولقد علم المحفوظون من أصحاب رسول الله (ص) أن ابن أم عبد أقربهم إلى الله زلفى.

وفي لفظ أبى نعيم: إنه من أقربهم وسيلة يوم القيمة.

وفي لفظ أبى عمر: سمع حذيفة يحلف بالله ما أعلم أحداً أشبه دلاً وهدياً برسول الله من حين يخرج من بيته إلى أن يرجع إليه من

عبدالله بن مسعود، ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمد (ص) أنه من أقربهم وسيلة إلى الله يوم القيامة.

وفي لفظ علقمة: كان يشبه بالنبي في هديه ودله وسمته.

راجع صحيح البخارى كتاب المناقب. مسند أحمد ٥: ٣٨٩، المستدرک ٣: ٣١٥، ٣٢٠

حلية الأولياء ١: ١٢٦، ١٢٧،

الاستيعاب ١: ٣٧٢،

مصابيح السنة ٢: ٢٨٣،

صفة الصفوة ١: ١٥٦، ١٥٨،

تاريخ ابن كثير ٢: ١٦٢،

تيسير الوصول ٣: ٢٩٧

الإصابة ٢: ٣٦٩

كنز العمال ٧: ٥٥. انتهى.

وقد ذكرنا أن هذا لنص حتى لو صح عن حذيفه، فهو لا يصلح معارضا ولا مقللا من قيمة الحديث الشريف الذي روته عائشة وغيرها في أن عليا عليه السلام أقرب الخلق وسيلة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

آيات مؤيدة لآيات التوسل

وردت آيات متعددة في طلب المؤمنين من الأنبياء (عليهم السلام) أن يتوسطوا لهم عند الله تعالى، ويدعوه لهم بالمغفرة وبالخير.. وهذا نوع من التوسيط يدل على أن باب الطلب من الله تعالى بواسطة الغير أمر طبيعي في دين الله تعالى وشرائعه! وأنه لو كان التوسيط منافياً للتوحيد كما يزعم ابن تيمية، لوجب أن يطلب كل إنسان لنفسه بنفسه مباشرة، ووجب تحريم كل طلب من الله تعالى بواسطة!! اذ لا فرق في أصل الوساطة بين التوسط والتوسل بدعاء الغير وبين أنواع التوسيط الأخرى! منها، قوله تعالى:

قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ. قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ. يوسف: ٩٨

- وروى الصدوق في علل الشرائع: ٥٤/١:

- حدثنا محمد بن ابراهيم بن اسحاق الطالقاني (رض) قال: حدثنا احمد بن محمد بن سعيد الهمداني مولى بنى هاشم قال: أخبرنا المنذر بن محمد قال: حدثنا اسماعيل بن ابراهيم الخزاز، عن اسماعيل بن الفضل الهاشمي قال: قلت لجعفر بن محمد عليه السلام: أخبرني عن يعقوب لما قال له بنوه: يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين، قال سوف أستغفر لكم ربي، فأخر الإستغفار لهم. ويوسف عليه السلام لما قالوا له: تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين؟ قال: لا تثرِب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين.

قال: لأن قلب الشاب أرق من قلب الشيخ، وكانت جناية ولد يعقوب على يوسف، وجنابتهم على يعقوب انما كانت بجنابتهم على يوسف، فبادر يوسف إلى العفو عن حقه، وأخر يعقوب العفو لأن عفو انما كان عن حق غيره، فأخرهم إلى السحر ليلة الجمعة.

- ورواه وغيره في تفسير نور الثقلين: ٢/٤٦٥

- وفي تفسير التبيان: ٦/١٩٥:

وروى عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: أخرهم إلى ليلة الجمعة. وقال ابن مسعود و ابراهيم التيمي، وابن جريج وعمرو بن قيس: انه أخرهم إلى السحر، لأنه أقرب إلى اجابة الدعاء. انتهى.

- وروى نحوه الترمذى في سننه: ٢٢٣/٥، عن ابن عباس، والحاكم: ١/٣١٦، والدر المنثور: ٤/٣٦، وكنز العمال: ٢/٥٩، وغيرها.

ومنها، قوله تعالى:

وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِإِنَّ كَشَفْتَنَا الرَّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. الأعراف: ١٣٤

وقد قبل موسى عليه السلام طلبهم، ودعا الله لهم، فدل ذلك قبوله على أنه طلبهم بواسطة أمر مشروع إلى آخر الآيات التي والأحاديث التي تدل على توسيط الغير مع الله تعالى.

شذوذ الوهابيين عن اجماع المسلمين في التوسل والإستشفاع

من المسائل التي شذ فيها ابن تيمية وتبعه ابن عبد الوهاب، تحريم السفر لزيارة النبي صلى الله عليه وآله، بل تحريم الزيارة نوى لها السفر!

وكذلك تحريم التوسل والاستشفاع به صلى الله عليه وآله، بحجة أنه ميت ولا يجوز التوسل بالميت.

وكذا تحريم الإستغاثه به صلى الله عليه وآله لأن المستغيث يزعمه يعبد المستغاث به.. الخ!!

- قال الشيخ محمود سعيد ممدوح فى كتابه رفع المناره لتخريج أحاديث التوسل والزيارة - المطبوع فى دار الإمام النووى بعمان - سنة ١٤١٦:

وهو - التوسل - السؤال بالنبي أو بالولى أو بالحق أو بالجاء أو بالحرمة أو بالذات وما فى معنى ذلك.

وهذا النوع لم ير المتبصر فى أقوال السلف من قال بحرمة أو أنه بدعه ضلالة، أو شدد فيه وجعله من موضوعات العقائد، كما نرى الآن.

لم يقع هذا إلا فى القرن السابع وما بعده! وقد نقل عن السلف توسل من هذا القبيل. قال ابن تيمية فى (التوسل والوسيلة) (٩٨/): هذا الدعاء (أى الذى فيه توسل بالنبي(ص)) ونحوه قد روى أنه دعا به السلف ونقل عن أحمد بن حنبل فى منسك المروزي التوسل بالنبي(ص) فى الدعاء. اه، ونحوه فى (١٥٥/١) من الكتاب المذكور.

وقال فى (٦٥/١): (السؤال به (أى بالمخلوق) فهذا يجوز طائفة من الناس، ونقل فى ذلك آثار عن بعض السلف، وهو موجود فى دعاء كثير من الناس). اه.

وذكر أثره فى التوسل بالنبي(ص) لفظه: (اللهم انى أتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة(ص) تسليماً. يا محمد انى أتوجه بك إلى ربك وربى يرحمنى مما بى).

قال ابن تيمية: فهذا الدعاء ونحوه روى أنه دعا به السلف، ونقل عن أحمد بن حنبل فى منسك المروزي التوسل بالنبي(ص) فى الدعاء. اه.

وهذا هو نص عبارة أحمد بن حنبل، فقال فى منسك المروزي بعد كلام مانصه: وسل الله حاجتك متوسلاً إليه بنبيه(ص)، تقضى من الله عز وجل. اه. هكذا ذكره ابن تيمية فى الرد على الأخنائي ١٦٨!!

والتوسل به(ص) معتمد فى المذاهب ومرغب فيه نص على ذلك الأئمة الأعلام، وكتب التفسير والحديث والخصائص ودلائل النبوة والفقهاء طافحة بأدلة ذلك بدون تحريم وهى بكثرة...

كان ابن تيمية يرى منع التوسل بالأنبياء والملائكة والصالحين، وقال: التوسل حقيقته هو التوسل بالدعاء - دعاء الحى فقط - وذكر ذلك فى مواضع من كتابه (التوسل والوسيلة) (١٦٩/١). انتهى كلام الممدوح.

وقال ابن تيمية فى كتابه زوار المقابر/٤٣٣:

قال عامه المفسرين كابن عباس ومجاهد وعطاء والفراء: الوسيلة القربة، قال قتادة: تقربوا إلى الله بما يرضيه.

قال أبو عبيدة: توسلت إليه أى تقربت.

وقال عبد الرحمن بن زيد: تحببوا إلى الله.

والتحجب والتقرب إليه إنما هو بطاعة رسوله، فالإيمان بالرسول وطاعته هو وسيلة الخلق إلى الله، ليس لهم وسيلة يتوسلون بها البتة إلا الإيمان برسوله وطاعته. وليس لأحد من الخلق وسيلة إلى الله تبارك وتعالى إلا بوسيلة الإيمان بهذا الرسول الكريم وطاعته.

وهذه يؤمر بها الإنسان حيث كان من الأمكنة وفى كل وقت. وما خص من العبادات بمكان كالحج، أو زمان كالصوم والجمعة، فكل فى مكانه وزمانه.

وليس لنفس الحجر من داخل فضلا عن جدارها من خارج إختصاص بشئ فى شرع العبادات ولا فعل شئ منها، فالقرب من الله أفضل منه بالبعد عنه باتفاق المسلمين، والمسجد خص بالفضيلة فى حياته(ص)، قبل وجود القبر.

فلم تكن فضيلة مسجده لذلك، ولا أستحب هو(ص) ولا أحد من أصحابه، ولا علماء أمته أن يجاور أحد عند قبر ولا يعكف عليه، لا قبره المكرم ولا قبر غيره، ولا أن يقصد السكنى قريبا من قبر أى قبر كان.

وسكنى المدينة النبوية هو أفضل في حق من تكرر طاعته لله ورسوله فيها أكثر كما كان الأمر لما كان الناس مأمورين بالهجرة إليها فكانت الهجرة إليها والمقام بها أفضل من جميع البقاع مكة وغيرها.

بل كان ذلك واجبا من أعظم الواجبات، فلما فتحت مكة قال النبي (ص) لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وكان من أتى من أهل مكة وغيرهم ليهاجر ويسكن المدينة يأمره أن يرجع! انتهى.

وخلاصه كلامه: أن التوسل محصور بالإيمان بالرسول وطاعته، وبدعائه في حال حياته.

أما التوسل به في حياته وبعد موته، ومجاورة قبره الشريف والعكوف عنده، فليس من الطاعة، لأن الصحابة لم يفعلوه.

والأصل في كل ما لم يفعلوه عدم المشروعية، حتى يقوم عليه دليل!

وهو كما ترى تحكّم لا دليل عليه:

فحصره التوسل بالمأمور به في القرآن بالإيمان بالرسول وطاعته، لا دليل عليه وكذلك لا دليل على ميزانه فيما جعله جزء من الإيمان بالرسول أو نفى جزئيه، وما جعله طاعة للرسول أو نفى كونه طاعة له!

فلماذا لا يكون التوسل بزيارة قبره صلى الله عليه وآله والتبرك به والسكنى عنده من الإيمان به، ومن طاعته صلى الله عليه وآله؟!؟

ثانيا، دعوى أن القاعدة والأصل في الأشياء الحرمه حتى تثبت حليتها، لا دليل عليه أيضاً. بل الأصل في الأشياء الحليه حتى يثبت دليل الحرمه ويصل إلى المكلف، فقد قال الله تعالى (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ).

ثالثاً، دعوى أن كل ما لم يفعله الصحابة فهو حرام حتى يقوم عليه دليل، تحكّم بلا دليل أيضاً، فإن كثيرا من الأمور لم يفعلها الصحابة وهي حلال حتى بفتوى ابن تيمية، كالوسائل المعيشية المتجددة!! وقد ألفت الحافظ الصديق المغربي رساله في عدم دلالة الترك على التحريم، كما ذكر تلميذه الممدوح.

أما عندنا فإن فعل الصحابي ليس حجة إذا لم يكن معصوماً، فضلا عن تركه!

تلبس ابن تيمية لتحريم التوسل والإستشفاع

يفترض ابن تيمية مسبقا أن المتوسل أو المستغيث بالنبي صلى الله عليه وآله (يدعوه) أى يطلب منه، لا من الله تعالى!

وهذا مصادرة على المطلوب وتبطين الحكم المتنازع فيه في لفافه على أنه جزء من مقدمه مسلمه عند الطرف الآخر!

فابن تيمية يقول للمتوسل أو المستغيث: انك اعترفت أنك دعوت الرسول أو الولي بدل الله!! فأنت اذن كافر!!

مع أن المتوسل لم يدع النبي بدل الله تعالى! بل توسل به واستغاث به واستشفع به إلى الله تعالى!!

ومثال ذلك في أمور الدنيا: أن يتوسل شخص إلى رئيس مكتب الملك، ليتوسط له عند الملك!

فيقول له ابن تيمية: انك تعديت على شرعية الملك، وجعلت الملك الشرعي رئيس مكتبه! وهذا خروج على الملك ونظامه، تستحق

به الإعدام!!

وقد حاول ابن تيمية أن يستدلوا على هذه المصادرة المفصوحه فقالوا: ان المستغيث يطلب من الرسول أو الولي ما لا يقدر عليه إلا الله

تعالى، وهذا يستلزم أنه يؤلهه!!

ولكن هذا اللزوم ممنوع.

بل هو على مذهبهم ممنوع حتى لو صحت الملازمه، لانهم يزعمون أن لازم المذهب ليس بمذهب!!

- قال الشيخ سليمان حفيد ابن عبد الوهاب في تيسير العزيز الحميد/٢٠٩:

فحديث الأعمى شئ، ودعاء غير الله تعالى والاستغاثة به شئ آخر.

فليس في حديث الأعمى شئ غير أنه طلب من النبي (ص) أن يدعو له ويشفع له، فهو توسل بدعائه وشفاعته، ولهذا قال في آخره:

اللهم فشفعه في.

فعلم أنه شفع له. وفي رواية أنه طلب من النبي (ص) أن يدعو له. فدل الحديث على أنه (ص) شفع له بدعائه، وأن النبي (ص) أمره هو أن يدعو الله، ويسأله قبول شفاعته.

فهذا من أعظم الأدلة أن دعاء غير الله شرك، لأن النبي (ص) أمره أن يسأل قبول شفاعته، فدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يدعى، ولأنه (ص) لم يقدر على شفاعته إلا بدعاء الله له. فأين هذا من تلك الطوام؟! والكلام إنما هو في سؤال الغائب أو سؤال المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله. أما أن تأتي شخصاً يخاطبك فتسأله أن يدعو لك فلا إنكار في ذلك على ما في حديث الأعمى.

فالحديث سواء كان صحيحاً أو لا، وسواء ثبت قوله فيه يا محمد أو لا، لا يدل على سؤال الغائب ولا على سؤال المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، بوجه من وجوه الدلالات. ومن ادعى ذلك فهو مفتر على الله وعلى رسوله (ص)!! انتهى.

فتراه يشكك في حديث الأعمى الذي صححه علماء المذاهب، وقبله إمامه ابن تيمية، ثم تراه يفترض أن المستشفع (يدعو) النبي صلى الله عليه وآله، ويطلب من النبي نفسه ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى!! كل ذلك ليثبت أن المسلم المستغيث إلى الله برسوله قد كفر واستبدل عبادة الله بعبادة الرسول! ويستحل بذلك دمه وماله!! وإن سألته عن دليله على أن المتوسلين والمستشفعين يدعون الرسول من دون الله.. فانك تطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، وتكون على مذهبه عبدته من دونه تعالى!!!

غرض ابن تيمية من نقل التوسل من فروع الفقه إلى أصول العقائد

ماذا يحدث لو نقلنا مادة جزائية من القانون التجارى إلى مواد القانون الجنائى، أو إلى مواد مخالقات الدستور، ومحكمة أمن الدولة؟ طبعاً سيكون الفرق على مرتكبها كبيراً، لأن التهمة الجنائية أصعب من التهمة الجزائية، وأصعب منهما تهمة الإخلال بالدستور!! ان ما فعله ابن تيمية من اتهام المتوسلين بمخالفة الشرع، شئ لا يذكر أمام نقله تهمتهم إلى الإخلال بأصول الدين وارتكاب الشرك!! وبذلك حكم عليهم بالكفر واستحل قتلهم وأعراضهم وأموالهم!!!

فبدل أن يقول مثلاً أنهم مخلصون ولكنهم يتخيلون أنهم يتقربون إلى الله بالتوسل بالنبي الميت، فهم مخطئون يرتكبون معصية! قال انهم يشركون بالله ويستحقون القتل!!

وهكذا، كانت مسألة التوسل والإستشفاع والاستغاثة لمدة ثمانية قرون مسألة فقهية، وكان فقهاء المذاهب الأربعة، والخمسة والستة، يبحثونها في باب الحج والزيارة، فيذكرون صورها، ويفتى مفتيهم بجواز بعض فروعها وحرمة بعضها، أو التوقف فيه.. حتى عالم حرانى نصبه الحاكم الشركسى المصرى لمدة قليلة شيخاً للإسلام فى الشام، فأبدع فى عمله أيما ابداع، وقدم للأجيال أكبر خدمة، فكفر مسلمى عصره و العصور المتقدمة، لأنهم يتوسلون بنبيهم الميت!!!

هل تراجع ابن تيمية أمام القاضى أو فى سجنه عن تحريم التوسل

المعروف عن ابن تيمية أنه تراجع عن تحريم التوسل، عندما عقدوا له جلسة مع العلماء لمناقشة آرائه الشاذة، ومنها تحريم التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله!!

وقد اعتمد الذين نسبوا إليه هذا القول على أمرين:

الأول، ما اعترف به فى مصر، حيث عرف عنه اعتقاده بعدم جواز التوسل والإستشفاع بالنبي صلى الله عليه وآله فاستنكر المسلمون

ذلك، وعقد القضاء مجلساً للنظر في قوله..

قال السقاف في كتابه (البشارة والإتحاف بما بين ابن تيمية والألباني في العقيدة من الاختلاف)

١٣ - فصل: أما مسألة التوسل فقد اختلف آراء دعاة السلفية فيه بشكل ملحوظ مع أن الموجودين في الساحة منهم اليوم يقولون بأن هذه المسألة من مسائل العقائد، وليست كذلك قطعاً.

أما ابن تيمية فقد أنكر في كتابه (قاعدة جلية في التوسل والوسيلة) التوسل - ومرادنا التوسل بالذوات - ثم رجع عن ذلك كما نقل تلميذه ابن كثير في (البداية والنهاية) (١٤ - ٤٥) حيث قال: (قال البرزالي (١٦): وفي شوال منها شكى الصوفية بالقاهرة على الشيخ تقي الدين - وكلموه في ابن عربي وغيره - إلى الدولة فردوا الأمر في ذلك إلى القاضي الشافعي، فعقد له مجلس وادعى عليه ابن عطاء بأشياء فلم يثبت عليه منها شيء، لكنه قال: لا يستغاث إلا بالله، لا يستغاث بالنبي استغاثه بمعنى العبارة - ولعلها العبادة - ولكن يتوسل به ويتشفع به إلى الله، فبعض الحاضرين قال ليس عليه في هذا شيء، ورأى القاضي بدر الدين بن جماعة أن هذا فيه قلة أدب) انتهى. فتأمل!!

(هو الحافظ ابو محمد القاسم بن البهاء محمد الدمشقي البرزالي ترجم في طبقات الحفاظ للسيوطي - / ٢٥٦).

وأما الشوكاني فقد أجاز التوسل في كتابه (تحفة الذاكرين) كما يعلم ذلك القاصي والداني، ففي صحيفه (٣٧) من كتاب الشوكاني (تحفة الذاكرين طبع دار الكتب العلمية) عقد باباً سماه: (وجه التوسل بالأنبياء وبالصالحين) ثم قال: (قوله ويتوسل إلى الله سبحانه بالأنبياء والصالحين) أقول: ومن التوسل بالأنبياء ما أخرجه الترمذي. انتهى.

وأصرح من هذا ما ذكره الشوكاني (١٣٨) في (باب صلاة الضر والحاجة) حيث قال ما نصه: (وفي الحديث دليل على جواز التوسل برسول الله إلى الله عز وجل مع اعتقاد أن الفاعل هو الله سبحانه وتعالى) انتهى.

وقد نص الشوكاني أيضاً على جواز التوسل، ورد على ابن تيمية في كتابه (الدر النضيد في اخلاص كلمة التوحيد) فليرجع إليه من شاء.

وأما الألباني فمنع ذلك واعتبره من الضلال في كتابه (التوسل أنواعه وأحكامه) كما هو مشهور ومعلوم، مع أنه قال في مقدمه (شرح الطحاوية) (٦٠ الطبعة ٨) أن مسألة التوسل ليست من مسائل العقيدة، وهذا خلاف ما يقوله كثير من أدياء السلفية. فتأملوا يا ذوى الأبصار!! انتهى كلام السقاف.

والأمر الثاني، ما كتبه في رسالته، من سجنه، حيث قال في ١٦:

وكذلك مما يشرع التوسل به في الدعاء كما في الحديث الذي رواه الترمذي وصححه أن النبي (ص) علم شخصاً أن يقول: اللهم إني أسألك وأتوسل اليك بمحمد نبي الرحمة. يا محمد يا رسول الله، إني أتوسل بك إلى ربي في حاجتي ليقضيها. اللهم فشفعه في.

فهذا التوسل به حسن، وأما دعاؤه والاستغاثه به فحرام!

والفرق بين هذين متفق عليه بين المسلمين. المتوسل انما يدعو الله ويخاطبه ويطلب منه لا يدعو غيره إلا على سبيل استحضاره لا على سبيل الطلب منه. وأما الداعي والمستغث فهو الذي يسأل المدعو ويطلب منه ويستغيثه ويتوكل عليه. انتهى.

والذي وصلت إليه أن ابن تيمية لم يغير رأيه في التوسل، ولكنه استعمل عبارات مبهمه ليرضى بها قضاة الدولة والناقمين عليه من الناس!

ومهما يكن، فقد أخطأ ابن تيمية بتحريمه الاستغاثه أيضاً، لأنها معناها طلب الغوث أي العون من شخص، وهو لا يعني أن المستغث به يعبد، فحكمها حكم الاستعانة والنداء والتوسل، بدون فرق!

- قال ابن السكيت في اصلاح المنطق / ٢٩

يقال: قد استغاثني فلان فأغثته، وقد غاث الله البلاد يغيثها غيثاً، إذا أنزل بها الغيث وقد غيشت الأرض تغاث، وهي أرض مغيثه ومغيوثه.
- وقال الراغب في المفردات/٣٧٩
ويقال فرع إليه إذا استغاث به عند الفرع، وفرع له أغاثه. انتهى.

فزع ابن تيمية أنك عندما تقول (يا رسول الله أغثنى) فانك تعبد من دون الله تعالى! تصور باطل، لأن معنى الإستعانة والإستغاثه لا يعطى ذلك، ولا المستعين والمستغيث ينويه، ولا يعتقدده! بل المستغيث كالتوسل ينويان طلب توسط الرسول إلى الله تعالى، فلا فرق بينهما حتى يحل أحدهما ويحرم الآخر!

علماء المذاهب الإسلامية يردون على شدوذ ابن تيمية

رد علماء المذاهب على آراء ابن تيمية في التجسيم وتحريم السفر إلى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله، وتحريم التوسل والإستشفاع به، وألقوا فيها كتباً عديدة، من عصر ابن تيمية إلى عصر ابن عبد الوهاب.. والى يومنا.
ولا يتسع المجال هنا إلا لعرض نماذج مختصرة منها.

نماذج من ردهم على مذهب ابن تيمية

- قال ابن عابدين في حاشية رد المحتار: ٦/٧١٦:

نعم ذكر العلامة المناوي في حديث: اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك نبي الرحمة، عن العز بن عبد السلام أنه ينبغي كونه مقصوراً على النبي (ص) وأن لا يقسم على الله بغيره، وأن يكون من خصائصه.
قال: وقال السبكي يحسن التوسل بالنبي إلى ربه، ولم ينكره أحد من السلف، ولا الخلف إلا ابن تيمية، فابتدع ما لم يقله عالم قبله. اه
ونازع العلامة ابن أمير حاج في دعوى الخصوصية، وأطال الكلام على ذلك في الفصل الثالث عشر، آخر شرحه على المنية، فراجعه.
- وقال الشربيني في معنى المحتاج: ١/١٨٤

خاتمة: سئل الشيخ عز الدين هل يكره أن يسأل الله بعظيم من خلقه كالنبي والملك والولي؟

فأجاب بأنه جاء عن النبي (ص) أنه علم بعض الناس: اللهم انى أقسم عليك بنبيك محمد نبي الرحمة.. الخ. فإن صح فينبغي أن يكون مقصوراً عليه عليه الصلاة والسلام، لأنه سيد ولد آدم، ولا يقسم على الله بغيره من الأنبياء والملائكة، لأنهم ليسوا في درجته، ويكون هذا من خواصه. اه والمشهور أنه لا يكره شئ من ذلك.

- وقال الشرواني في حواشيه: ١٠٨/٢:

خاتمة: سئل الشيخ عز الدين: هل يكره أن يسأل الله بعظيم من خلقه كالنبي والملك والولي؟

فأجاب: بأنه جاء عن النبي (ص) أنه علم بعض الناس: اللهم انى أقسم عليك بنبيك محمد نبي الرحمة.. الخ. فإن صح فينبغي أن يكون مقصوراً عليه عليه الصلاة والسلام، لأنه سيد ولد آدم، ولا يقسم على الله بغيره من الأنبياء والملائكة، لأنهم ليسوا في درجته، ويكون هذا من خواصه. انتهى.

والمشهور أنه لا يكره شئ من ذلك - معنى.

وفى ع ش بعد ذكر كلام الشيخ عز الدين ما نصه: فإن قلت: هذا قد يعارض ما فى البهجة وشرحها لشيخ الإسلام، والافضل استسقاؤهم بالاتقياء لأن دعاءهم أرجى للإجابة الخ.

قلت: لا تعارض لجواز أن ما ذكره العز مفروض فيما لو سأل بذلك على صورة الألازم، كما يؤخذ من قوله: اللهم انى أقسم عليك.. الخ.

وما في البهجة وشرحها محصور بما إذا ورد على صورة الإستشفاع والسؤال، مثل أسألك بركة فلان، أو بحرمة أو نحو ذلك. انتهى.

مقتطفات من أهم كتب علماء المذاهب في الرد على ابن تيمية

كتاب: ارغام المبتدع الغبي بجواز التوسل بالنبي

للحافظ ابن الصديق الغماري الحسني.. الطبعة الثانية - ١٤١٢ - دار الإمام النووي - الأردن، وقد حققه وقدم له السيد حسن السقاف، ومقدمته وتحقيقه لا تقل فائدتهما عن أصل الكتاب.

- قال السقاف في مقدمته:

أما بعد: فالتوسل والإستغاثة والتشفع بسيد الانام، نبينا محمد(ص) مصباح الظلام، من الأمور المندوبات المؤكدات، وخصوصا عند المدلهمات، وعلى ذلك سار العلماء العاملون، والأولياء العابدون، والسادة المحذثون، والأئمة السالفون، كما قال السبكي فيما نقل عند صاحب فيض القدير (٢/١٣٥): ويحسن التوسل والإستعانه والتشفع بالنبي إلى ربه ولم ينكر ذلك احد من السلف ولا من الخلف.. انتهى.

حتى نص السادة الحنابلة في مصنفاتهم الفقهية على استحباب التوسل بسيدنا رسول الله(ص)، ونقلوا ذلك عن الإمام أحمد أنه استجبه كما في كتاب الإنصاف فيما ترجح من الخلاف (٢/٤٥٦) وغيره. ونقل ابن كثير في البداية (١٤/٤٥) أن ابن تيمية أقر أخيراً في المجلس الذي عقده له العلماء العاملون الربانيون المجاهدون بالتوسل وأصر على إنكار الإستغاثة. مع أنه يقول في رسالة خاصة له في الاستغاثة بجوازها بالنبي فيما يقدر عليه المخلوق.

واعتمد الإمام الحافظ النووي استحباب التوسل والإستغاثة في مصنفاته، كما في حاشية الإيضاح على المناسك له (٤٥٠/١) و (٤٩٨/١) من طبعة أخرى وفي شرح المذهب المجموع (٨/٢٧٤) وفي الأذكار (٣٠٧/١) من طبعة دار الفكر، في كتاب أذكار الحج، وص (١٨٤) من طبعة المكتبة العلمية.

وهو مذهب الشافعية، وغيرهم من الأئمة المرضيين، المجمع على جلالتهم ووثقتهم.

واني أود أن أسرد بعض الأدلة من الأحاديث الصحيحة الثابتة عند علماء المسلمين وائمة الحفاظ والمحدثين، والتي لم تضرها محاولة تلاعب المتلاعبين في الطعن في أسانيدها، وغير ذلك من طرق التلاعب والتدليس التي بيئتها، ومثلت عليها في بهجة الناظر في الفصل الرابع.

ولا- يعرف الحق كما هو معلوم بالجمععة وكثرة الكلام، ونفخ الكتب بتكثير عدد الصفحات، وانما يعرف الحق بالبراهين العلمية، والأدلة الواضحة الجلية، وان كانت قليلة العبارات، فهي كثيرة التعبيرات والإشارات.

وقد أرشد إلى ذلك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله (أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام إختصاراً).

واني أبدأ بعرض بعض أدلة التوسل ثم أردفها بأدلة الاستغاثة المندوبة التي أرشدت إليها السنة الغراء فأقول:

أدلة التوسل:

١ - حديث الشفاعة المتواتر والمروي في الصحيحين وغيرهما، من أن الناس يتوسلون بسيد الأنام عند إشتداد الأمر عليهم يوم القيامة ويستغيثون به.

ولو كان التوسل والإستغاثة من الكفر والشرك لم يشفع النبي للناس يومئذ، ولا يأذن الله له بالشفاعة للمشركين والكفار، على زعم من يكفر عباد الله بالألاف، ويحاول تهيج العامة والسذج على من أظهر كفر من قال بقدم العالم، المجمع على كفر قائله ومعتقده.

وأيضاً لو كان التوسل شركاً أو كفراً لبينه سيدنا رسول الله(ص) عندما أخبر أصحابه بحديث الشفاعة. فلما لم يكن كفراً بنص الأحاديث المتواترة كان أمراً مندوباً إليه في الدنيا والآخرة، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. ومن قال أن التوسل والإستغاثة

كفر في الدنيا ليس كفراً في الآخرة، قلنا له: إن الكفر كفر سواء كان في الدنيا أو في الآخرة، والتوسل به قبل موته (ص) وبعد موته لا فرق. وإن ادعت الفرق فأت لنا بدليل شرعي مخصص مقبول معتبر.

٢ - حديث سيدنا عثمان بن حنيف (رض) قال: (إن رجلاً ضريراً أتى النبي (ص) فقال ادع الله أن يعافيني فقال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت وهو خير قال فادعه. فأمره أن يتوضأ ويحسن الوضوء ويدعو بهذا الدعاء:

اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة.

يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى.

اللهم شغعه في.

قال سيدنا عثمان: فعاد وقد أبصر.

رواه الترمذى والنسائى والطبرانى والحاكم وأقره الذهبى والبيهقى بالأسانيد الصحيحة. وللحديث تتمه صحيحة تأتي فى (إرغام المبتدع الغبى).

٣ - حديث سيدنا على رضى الله عنه وكرم وجهه: أن سيدنا النبي (ص) لما دفن فاطمة بنت أسد أم سيدنا على رضى الله عنهما قال: اللهم بحقى وبحق الأنبياء من قبلى اغفر لأمى بعد أمى. رواه الطبرانى، والحاكم مختصراً، وابن حبان وغيرهم، وفى إسناده روح بن صلاح قال الحاكم: ثقة، وضعفه بعضهم، والحديث صحيح.

٤ - وروى الإمام البخارى فى صحيحه: أن سيدنا عمر (رض) استسقى عام الرمادة بالعباس عم النبي (ص) ومن قوله توسلاً به: اللهم إنا كنا نتوسل اليك بنبينا (ص)، وإنا نتوسل اليك بعم نبينا. قال فيسقون. وفى الحديث إثبات التوسل به (ص) وبيان جواز التوسل بغيره، كالصالحين من آل البيت ومن غيرهم. كما قال الحافظ فى فتح البارى (٢/٤٩٧) وأما أدلة الإستغاثه:

١ - فما روى البخارى فى صحيحه وغيره من حديث سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى حديث الشفاعة بلفظ (إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن فينا هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد (ص) فيشفع ليقضى بين الخلق فيمشى حتى يأخذ بحلقه الباب، فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمداه أهل الجمع كلهم).

وهذا صريح فى الإستغاثه، وهى عامه فى جميع الأحوال، مع لفت النظر أنه (ص) حى فى قبره يبلغه سلام من يسلم عليه وكلام من يستغيث به لأن الأعمال تعرض عليه كما صح فيدعو الله لأصحاب الحاجات.

٢ - روى الإمام أحمد بسند حسن كما قال الإمام الحافظ ابن حجر فى الفتح (٨/٥٧٩) عن الحارث بن حسان البكرى (رض) قال: خرجت أنا والعلاء بن الحضرمى إلى رسول الله (ص).. الحديث، وفيه: فقلت أعوذ بالله وبرسوله أن أكون كوافد عاد.

قال أى سيدنا رسول الله - وما وافد عاد؟ وهو أعلم بالحديث ولكنه يستطعمه... الحديث.

وقد استغاث الرجل بالله وبرسوله ولم يكفره سيدنا رسول الله (ص). وقد خالف الألبانى ذلك فكفر كل مستغيث به (ص) كما فى توسله ٧/ الطبعة الثانية، وقلده فى هذه البدعة أصحابه والمتعصبون له، وأنكروا على من كفر من العلماء مثبت قدم العالم نوعاً، ومن قال بالحد والجهة والإستقرار وغير ذلك من طامات! نسأل الله لهم الهداية، وأن يردهم إلى دينه وإلى الحق رداً جميلاً، وأن يخلصهم من أهوائهم وعنادهم الذى بنوه على سوء فهم كبيرهم الذى علمهم السحر، أو فساد قصده وقد يجتمعان.

٣ - قوله (ص) فى حديث الأعمى الصحيح عندما علم الرجل أن يقول: (يا محمد إني أتوجه بك إلى الله). وهذه إستغاثه صريحة، وقد اعتمدها العلماء المحدثون والحفاظ فى كتب السنه فى صلاة الحاجة، حاثين الأمة عليها.

٤ - جاء فى البخارى أن النبي (ص) قص على أصحابه قصة السيدة هاجر هى وابنها فى مكة قبل أن تبنى الكعبة، بعد أن تركهما سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام، وفى ما قصه: أنها لما سمعت صوتا عند الطفل قالت: إن كنت ذا غوث فأغث، فاستغاثت فاذا بجبريل عليه

السلام فغمز الأرض بعقبه فخرجت زمزم. ولم يقل النبي (ص) انها كفرت، كما يزعم الألباني، ولم ينبه أن تلك الإستغاثة منها كفر البتة. وهى تعلم أن صاحب الصوت لن يكون رب العالمين المنزه عن الزمان والمكان. وهناك أدلة كثيرة بجواز التوسل والإستغاثة وندبهما أفردتها برسالة خاصة أسميتها (الإغاثة بأدلة الإستغاثة) وقد اقتصرنا هنا على بعضها، وفيها بيان لمن ألقى السمع وهو شهيد، هذا إذا كان قلبه نظيفاً لا يحب رمى عباد الله بالشرك بمجرد مخالفتهم لمزاجه، وأراد اقتفاء النبي (ص).

وأختم الإستدلال ببيان مسألة هامة جداً وهى إستدلال أخير على التوسل والإستغاثة من أحد الصحابة بعد وفاة النبي (ص)، وإقرار الباقين من الصحابة له وعلى رأسهم سيدنا عمر بن الخطاب (رض)، وهو ما ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني فى فتح البارى (٢/٤٩٥) حيث قال: روى ابن ابى شيبه بإسناد صحيح (وصححه أيضاً ابن كثير فى البداية والنهاية ٧/٩٢ من طريق البيهقي) عن أبى صالح السمان عن مالك الدار، وكان خازن عمر قال: أصاب الناس قحط شديد فى زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبي (ص) فقال يارسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتى الرجل فى المنام فقيل له ائت عمر وأقرئه السلام وأخبره أنهم يسقون. اسناده صحيح.

وقد ضعف هذا الأثر الصحيح الألباني بحجج أوهى من بيت العنكبوت فى توسله (١١٩ - ١٢١) وزعم أن مالك الدار مجهول. ونقل ترجمته من كتاب الجرح والتعديل لابن أبى حاتم فقط، ليوهم قراءة أنه لم يرو عنه إلا رجل واحد وهو أبو صالح السمان، وقد تقرر عند الألباني بما ينقله عن بعض العلماء من غير المتفق عليه أن الرجل يبقى مجهولاً حتى يروى عنه اثنان فأكثر. ثم قال لينصر هواه ان المنذرى والهيثمى لم يعرفا مالك الدار، فهو مجهول، ولا يصح السند لوجود مجهول فيه. ثم تبجح قائلاً: وهذا علم دقيق لا يعرفه إلا من مارس هذه الصناعة.

ونحن نقول له: بل هذا تدليس وغش وخيانه لا يدرىه إلا من امتلأ قلبه حقداً وعداء على السنة والتوحيد وأهلها. وقد تبعه على هذا الغش والتدليس وزاد عليه أحد الاغبياء المتعصبين اللاهثين وراء بريق الدراهم فى كتاب له ملاءه من هذه البضاعة، تخيل فيه أنه رد التوسل وهيهات، وهو لم يقرأ العلوم وخاصة ملحها الإعراب على أحد، ولم يكن له فى حياته أستاذ يهذب أو شيخ يدرّب، إلا التلقى من صفحات دفاتر هذا الألباني. ونقول فى بيان نسف ما قاله الألباني من جهالة مالك الدار: إذا صرح المنذرى والهيثمى بأنهما لا يعرفانه فنقول للباحث عن الحق اذن لم يصرحا بتوثيق له أو تجريح، لأنهما لا يعرفانه.

لكن هناك من يعرفه وهم ابن سعد والبخارى وعلى ابن المدينى وابن حبان والحافظ ابن حجر العسقلاني وغيرهم. فهل يا ألباني ينقل كلام من عرفه أم كلام من جهله؟! العجيب أن الألباني يحبذ كلام من جهل حاله، ويختاره ويفضله على كلام من علم حاله، الذى يستره الألباني ولا يحب أن يطلع عليه أحد!!

وما سأنقله من أقوال الأئمة الحفاظ الذين عرفوه فى توثيقه كاف فى اثبات ما يقوله السيد عبد الله الغمارى وغيره من المحدثين والمشتغلين فى علم الحديث من أن الألباني يعرف الصواب فى كثير من الأمور، لكنه غاش مدلس خائن مضلل لا يؤتمن على حديث واحد.

وقد صرح بذلك كثير من أهل العلم كالسيد أحمد الغمارى والسيد عبد الله والسيد عبد العزيز المحدثون، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة، والمحدث حبيب الرحمن الأعظمى محدث الهند والباكستان، والشيخ اسماعيل الأنصارى، والشيخ محمد عوامه، والشيخ محمود سعيد، والشيخ شعيب الأرنؤوط، وغيرهم عشرات من أهل هذا الفن والمشتغلين به.

فأهل الحديث شهدوا بأن هذا الرجل لا يعتمد كلامه فى التصحيح والتضعيف، لأنه يصحح ويضعف حسب الهوى والمزاج، وليس حسب القواعد العلمية!!

ومن تتبع أقواله وما يكتبه تحقق ذلك.

ويكفينى أن أقول فى مالك الدار ان ابن سعد قال فى الطبقات (٥/١٢): مالك الدار مولى عمر بن الخطاب، روى عن أبى بكر وعمر،

ثم قال وكان معروفاً.

وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة في ترجمته ترجمة رقم (٨٣٥٦):

له ادراك، أى أنه معدود من الصحابة. ويكفيه في ذلك توثيقا، ثم ذكر أنه روى عنه أربعة رجال وهم أبو صالح السمان، وابناه عون وعبد الله ابنا مالك، وعبد الرحمن بن سعيد بن يربوع المخزومي.

ثم قال: قال على بن المديني: كان مالك الدار خازناً لعمره، بمعناه ملخصاً.

وبذلك نعلم أن سيدنا عمر وسيدنا عثمان قد وثقاه اذ قد ولياه بيت مال المسلمين وفي ذلك أقوى توثيق له أيضاً.

وقد نقل الحافظ الخليلي في كتابه الإرشاد الإتفاق على توثيق مالك الدار فقال هناك: متفق عليه أثني عليه التابعون!! فقد ذهب كلام الألباني هباء.

وللموضوع توسع في رسالة لنا خاصة أسميناها بالباهر. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. انتهى.

- وقال الصديق المغربي في كتابه المذكور/١١:

وبعد، فإن الشيخ الألباني سامحه الله تعالى صاحب غرض وهوى، إذا رأى حديثاً أو أثراً لا يوافق هواه فإنه يسعى في تضعيفه بأسلوب فيه تدليس وغش، ليوهم قراءه أنه مصيب، مع أنه مخطئ بل خاطئ غاش، وبأسلوبه هذا ضلل كثيراً من أصحابه الذين يثقون به ويظنون أنه على صواب، والواقع خلاف ذلك.

ومن المخدوعين به من يدعى حمدي السلفي الذي يحقق المعجم الكبير، فقد أقدم بجرأة على تضعيف أثر صحيح لم يوافق هواه كما لم يوافق هوى شيخه، وكان كلامه في تضعيفه هو كلام شيخه نفسه.

فأردت أن أرد الحق إلى نصابه، ببيان بطلان كلام الخادع والمخدوع به، وعلى الله اعتمادى، وإليه تفويضى واستنادى.

روى الطبراني في المعجم الكبير (٩/١٧) من طريق ابن وهب عن شبيب عن روح بن القاسم عن ابى جعفر الخطمي المدني عن ابى أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف (رض): أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان (رض) في حاجة له فكان عثمان لا يلتفت إليه، ولا ينظر في حاجته، فلقى عثمان بن حنيف فشكا إليه ذلك، فقال له عثمان بن حنيف: انت الميضأة فتوضاً ثم انت المسجد، فصل فيه ركعتين، ثم قل: اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنيك محمد(ص) نبي الرحمة، يا محمد انى أتوجه بك إلى ربى فتقضى لى حاجتى، وتذكر حاجتك، ورح إلى حتى أروح معك.

فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثم أتى باب عثمان بن عفان فجاء البواب حتى أخذ بيده، فأدخله على عثمان بن عفان فأجلسه معه على الطنفسة، وقال له ما حاجتك فذكر حاجته، فقضاها له، ثم قال: ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة، وقال: ما كانت لك من حاجة فائتنا.

ثم ان الرجل خرج من عنده فلقى عثمان بن حنيف، فقال له: جزاك الله خيراً، ما كان ينظر فى حاجتى ولا يلتفت الى حتى كلمته فى. فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته، ولكن شهدت رسول الله(ص) وأتاه رجل ضرير فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له النبي (ص): أو تصبر؟ فقال: يا رسول الله انه ليس لى قائد وقد شق على.

فقال له النبي(ص): انت الميضأة فتوضاً ثم صل ركعتين، ثم ادع بهذه الدعوات!

قال عثمان بن حنيف: فوالله ما تفرقتنا وطال بنا الحديث، حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر، قط. صححه الطبراني، وتعقبه حمدي السلفي بقوله: لا شك فى صحة الحديث المرفوع، وإنما الشك فى هذه القصة التى يستدل بها على التوسل المبتدع، وهى انفرد بها شبيب كما قال الطبراني، وشبيب لا بأس بحديثه، بشرطين: أن يكون من رواية ابنه أحمد عنه، وأن يكون من رواية شبيب عن يونس بن يزيد.

والحديث رواه عن شبيب ابن وهب وولداه اسماعيل واحمد، وقد تكلم الثقات فى رواية ابن وهب عن شبيب، فى شبيب، وابنه

اسماعيل لا يعرف، وأحمد وان روى القصة عن أبيه إلا أنها ليست من طريق يونس بن يزيد، ثم اختلف فيها على احمد، ورواه ابن السنن في عمل اليوم والليلة، والحاكم من ثلاثة طرق بدون ذكر القصة، ورواه الحاكم من طريق عون بن عمارة البصرى عن روح بن القاسم به، قال شيخنا محمد ناصر الدين الألبانى: وعون هذا وان كان ضعيفا فروايته أولى من رواية شيبب لموافقها لرواية شعبة وحماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمى. ١٥.

وفى هذا الكلام تدليس وتحريف نبينه فيما يلى:

أولاً: هذه القصة رواها البيهقى فى دلائل النبوة من طريق يعقوب بن سفيان حدثنا أحمد بن شيبب بن سعيد ثنا أبى عن روح بن القاسم عن أبى جعفر الخطمى عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف، أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان (رض)، فذكر القصة بتمامها.

ويعقوب بن سفيان هو الفسوى الحافظ الإمام الثقة، بل هو فوق الثقة، وهذا اسناد صحيح البخارى، ومعنى ذلك أنها صحيحة، وهذا الذى يوافق كلام الحافظ، ويبتل ما استنبطه الألبانى من كلام الحافظ فى مقدمته فتح البارى فليتأمل.

ان الحافظ أيضاً صححوا هذه القصة، كالمندرى فى الترغيب والترهيب (١/٤٧٦) باقراره للطبرانى، والهيثمى فى مجمع الزوائد (٢/٢٧٩) أيضاً، وقبلهما الإمام الحافظ الطبرانى فى معجمه الصغير (١/٣٠٧) الروض الدانى) وغيرهم.

ثانياً: أحمد بن شيبب من رجال البخارى، روى عنه فى الصحيح، وفى الأدب المفرد.

ووثقه ابوحاتم الرازى وكتب عنه هو وأبو زرعة، وقال ابن عدى: وثقه أهل البصرة وكتب عنه على ابن المدينى. وأبوه شيبب بن سعيد التميمى الحبطى البصرى أبو سعيد من رجال البخارى أيضاً، روى عنه فى الصحيح وفى الأدب المفرد.

ووثقه ابوزرعة وأبو حاتم والنسائى والذهلى والدارقطنى والطبرانى فى الأوسط. قال أبو حاتم: كان عنده كتب يونس بن زيد، وهو صالح الحديث لا بأس به. وقال ابن عدى: ولشيبب نسخة الزهرى عنده عن يونس عن الزهرى أحاديث مستقيمة. وقال ابن المدينى: ثقة كان يختلف فى تجارة إلى مصر وكتابه كتاب صحيح، هذا ما يتعلق بتوثيق شيبب، وليس فيه اشتراط صحة روايته بأن تكون عن يونس بن يزيد، بل صرح ابن المدينى بأنه كتبه صحيح. وابن عدى انما تكلم على نسخة الزهرى عن شيبب فقط، ولم يقصد جميع رواياته!!

فما ادعاه الألبانى تدليس وخيانة، يؤكد ذلك أن حديث الضرير صححه الحافظ ولم يروه شيبب عن يونس عن الزهرى!! وانما رواه عن روح بن القاسم!!

ودعواه ضعف القصة بالإختلاف فيها، حيث لم يذكرها بعض الرواة عند ابن السنن والحاكم، لونه آخر من التدليس! لأن من المعلوم عند أهل العلم أن بعض الرواة يروى الحديث وما يتصل به كاملاً، وبعضهم يختصر منه بحسب الحاجة، والبخارى يفعل هذا أيضاً، فكثيراً ما يذكر الحديث مختصراً أو يوجد عند غيره تماماً.

والذى ذكر القصة فى رواية البيهقى امام فذ يقول عنه ابو زرعة الدمشقى: قدم علينا رجلان من نبلأ الناس أحدهما وأرحلها يعقوب بن سفيان يعجز أهل العراق أن يرو مثله رجلاً.

وتقديمه رواية عون الضعيف على من زاد القصة، لونه ثالث من التدليس والغش.

فإن الحاكم روى حديث الضرير من طريق عون مختصراً، ثم قال: تابعه شيبب ابن سعيد الحبطى عن روح بن القاسم زيادات فى المتن والإسناد، والقول فيه قول شيبب فانه ثقة مأمون، هذا كلام الحاكم، وهو يؤكد ما تقرر عند علماء الحديث والأصول أن زيادة الثقة مقبولة، وأن من حفظ حجة على من لم يحفظ!

والألبانى رأى كلام الحاكم لكن لم يعجبه لذلك ضرب عنه صفحاً، وتمسك بأولوية رواية عون الضعيف عنادا وخيانة.

ثالثاً: تبين مما أوردناه وحققناه فى كشف تدليس الالبانى وغشه، أن القصة صحيحة جداً، رغم محاولاته وتدليساته، وهى تفيد جواز

التوسل بالنبي (ص) بعد انتقاله، لأن الصحابي راوى الحديث فهم ذلك، وفهم الراوى له قيمته العلمية، وله وزنه فى مجال الإستنباط. وانما قلنا ان القصة من فهم الصحابي على سبيل التنزل، والحقيقة أن ما فعله عثمان بن حنيف من ارشاده الرجل إلى التوسل، كان تنفيذاً لما سمعه من النبي (ص)، كما ثبت فى حديث الضيرير.

قال ابن أبى خيثمة فى تاريخه: حدثنا مسلم بن ابراهيم ثنا حماد بن سلمة أنا أبو جعفر الخطمى عن عمارة بن خزيمة عن عثمان بن حنيف (رض): أن رجلاً أعمى أتى النبي (ص) فقال: إني أصبت فى بصرى فادع الله لى قال: إذهب فتوضأ وصل ركعتين ثم قل:

اللهم إني أسألك وأتوجه اليك بنبيى محمد نبي الرحمة. يا محمد إني أستشفع بك إلى ربي فى رد بصرى. اللهم فشفعنى فى نفسى، وشفع نبيى فى رد بصرى.

وإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك. إسناده صحيح.

والجملة الأخيرة من الحديث تصرح بإذن النبي (ص) فى التوسل به عند عروض حاجة تقتضيه.

وقد أعل ابن تيمية هذه الجملة بعلل واهية. بينت بطلانها فى غير هذا المحل. وابن تيمية جرى فى رد الحديث الذى لا يوافق غرضه، ولو كان فى الصحيح!!

مثال ذلك: روى البخارى فى صحيحه حديث (كان الله ولم يكن شئ غيره) وهو موافق لدلائل النقل والعقل والإجماع المتيقن، لكنه خالف رأيه فى إعتقاده قدم العالم، فعمد إلى رواية للبخارى أيضاً فى هذا الحديث بلفظ (كان الله ولم يكن شئ قبله) فرجحها على الرواية المذكورة، بدعوى أنها توافق الحديث الآخر (أنت الأول فليس قبلك شئ).

قال الحافظ ابن حجر: مع أن قضية الجمع بين الروايتين تقتضى حمل هذه الرواية على الأولى لا العكس، والجمع مقدم على الترجيح بالإتفاق.

قلت: تعصبه لرأيه أعماه عن فهم الروايتين اللتين لم يكن بينهما تعارض...

مثال ثان: حديث أمر رسول الله (ص) بسد الأبواب الشارعة فى المسجد، وترك باب على عليه السلام، حديث صحيح، أخطأ ابن الجوزى بذكره فى الموضوعات. ورد عليه الحافظ فى القول المسدد.

وابن تيمية لإنحرافه عن على عليه السلام كما هو معلوم، لم يكفه حكم ابن الجوزى بوضعه، فزاد من كيسه حكاية اتفاق المحدثين على وضعه!!

وأمثله رده للأحاديث التى يردّها لمخالفة رأيه كثيرة، يعسر تتبعها.

رابعاً: ونقول على سبيل التنزل: لو فرضنا أن القصة ضعيفةً تطيبها لخطر الألبانى، وأن رواية ابن أبى خيثمة معلولة كما فى محاولة ابن تيمية، قلنا: فى حديث توسل الضيرير كفاية وغناء، لأن النبي حين علم الضيرير ذلك التوسل، دل على مشروعيته فى جميع الحالات. ولا يجوز أن يقال عنه: توسل مبتدع! ولا يحوز تخصيصه بحال حياته (ص)، ومن خصصه فهو المبتدع حقيقةً، لأنه عطل حديثاً صحيحاً وأبطل العمل به، وهو حرام.

والألبانى عفا الله عنه جرى على دعوى التخصيص والنسخ لمجرد خلاف رأيه وهواه. فحديث الضيرير لو كان خاصاً به، لبينه النبي (ص)، كما بين لأبى بردة أن الجذعة من المعز تجزىه فى الأضحى، ولا تجزى غيره، كما فى الصحيحين. وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز.

اعتذار وجوابه:

قد يقال: الداعى إلى تخصيص الحديث بحال حياة النبي صلى الله عليه وآله ما فيه من ندائه، وهو عذر مقبول.

والجواب: أن هذا اعتذار مردود، لأنه تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم تعليم التشهد فى الصلاة، وفيه السلام عليه بالخطاب ونداؤه

(السلام عليك أيها النبي) وبهذه الصيغة علمه على المنبر النبوي أبو بكر وعمر، وابن الزبير، ومعاوية، واستقر عليه الإجماع، كما يقول ابن حزم، وابن تيمية!

والألباني لإبتداعه خالف هذا كله، وتمسك بقول ابن مسعود، فلما مات قلنا السلام على النبي، ومخالفة التواتر والإجماع، هي عين الإبتداع.

مع أنه صح عن النبي(ص) أن أعمالنا تعرض عليه، وكذلك صلاتنا عليه(ص)، تعرض عليه. وثبت أن الله ملائكة سياحين في الأرض يبلغونه سلام أمته.

وثبت بالتواتر والإجماع أن النبي(ص) حي في قبره، وأن جسده الشريف لا يبلى، فكيف يمتنع مع هذا نداؤه في التوسل به، وهل هو إلا مثل ندائه في التشهد؟!!

ولكن الألباني عنيد شديد العناد، والألبانيون عندهم عناد، وصلابة في الرأي، أخبرني بذلك عالم ألباني حضر على في تفسير البيضاوي وشرح التحرير لابن أمير الحاج، وكان وديعا هادئ الطبع، وهو تلميذ لي.

هذا موجز ردنا لدعوى الألباني. أما من يدعى حمدي السلفي فليس هناك، وإنما هو مجرد مخدوع يردد الصدا. الحاق: قال الدرامي في سننه:

حدثنا أبو النعمان ثنا سعيد بن زيد ثنا عمرو بن مالك النكري حدثنا ابوالجوزاء اوس بن عبد الله قال: قحط أهل المدينة قحطاً شديداً، فشكوا إلى عائشة، فقالت انظروا قبر النبي(ص) فافتحوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا. فمطرنا مطراً حتى نبت العشب وسمت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمى عام الفتق.

ضعف الألباني هذا الأثر بسعيد بن زيد، وهو مردود لأن سعيداً من رجال مسلم ووثقه يجيى بن معين وضعفه أيضاً باختلاط ابى النعمان، وهو تضعيف غير صحيح لأن إختلاط أبى النعمان لم يؤثر في روايته، قال الدارقطني: تغير بأخرة. وما ظهر له بعد اختلاط حديث منكر، وهو ثقة. وقول ابن حبان: وقع في حديثه المناكير الكثير بعد إختلاطه، رده الذهبي فقال: لم يقدر ابن حبان أن يسوق له حديثاً منكراً والقول فيه ما قال الدارقطني (٤٥)، وابن تيمية كذب أثر عائشة، ولا عبرة به لجرأته على تكذيب ما يخالف هواه. والحمد لله رب العالمين. انتهى.

كتاب (التوسل بالنبي و جهلة الوهابيين)

تأليف أبى حامد المرزوق - طبعه مكتبة ايشيق في إستانبول

قال في ٢٤:

وانما جر هذا المبتدع ومن انخدع بأباطيله هذه، أنه لم يحقق معنى العبادة شرعاً كما يدل عليه استقراء موارد هذه اللفظة في كلام الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم، فظن أن التوسل برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الصالحين والإستغاثه بهم، مع استقرار القلب على أنهم أسباب لا إستقلال لهم بنفع ولا ضرر، وليس لهم من الربوبية شئ، ولكن الله جعلهم مفاتيح لخيره ومنابع لبره وسحبا يمطر منها على عباده أنواع خيره.. ظن أن ذلك وما إليه من الشرك المخرج عن الملة.

ومن رافقه التوفيق وفارقه الخذلان ونظر في المسألة نظر الباحث المنصف علم يقينا لا تخالطه ريبه أن مسمى العبادة شرعاً لا يدخل فيه شئ مما عده من توسل واستغاثه وغيرهما، بل لا يشته بالعبادة أصلاً فإن كل ما يدل على التعظيم لا يكون من العبادة إلا إذا اقترن به اعتقاد الربوبية لذلك المعظم، أو صفة من صفاتها الخاصة بها. ألا ترى الجندی يقوم بين يدي رئيسه ساعة وساعات احتراماً له وتأديباً معه، فلا- يكون هذا القيام عبادة للرئيس شرعاً ولا لغةً، ويقوم المصلى بين يدي ربه في صلاة بضع دقائق أو بعضها، قدر ما يقرأ الفاتحة، فيكون هذا القيام عبادة شرعاً؟! وسر ذلك أن هذا القيام وإن قلت مسافته مقترن باعتقاد القائم ربوبية من قام له، ولا يقارن

ذاك القيام هذا الاعتقاد. اهـ

وقد اطلعت على كلام لابن تيمية في توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية مفرق في أربعة مواضع من كتبه، أذكره كله ليراه القراء، ثم أبطله:

١ - قال في الجزء الأول من فتاواه/٢١٩، في تفسير قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: (ولا ينفع ذا الجد منك الجد) والمعنى أن صاحب الجد لا ينفعه منك جده، ألا ينجيه ويخلصه منك جده، وإنما ينجيه الإيمان والعمل الصالح، والجد هو الغنى وهو العظمة وهو المال، (إلى أن قال) فبين في هذا الحديث أصليين عظيمين أحدهما، توحيد الربوبية، وهو أن لا- معطى لما منع الله ولا مانع لما أعطاه ولا يتوكل إلا عليه ولا يسأل إلا هو.

والثاني، توحيد الإلهية، وهو بيان ما ينفع وما لا ينفع، وأنه ليس كل من أعطى مالا أو دنيا أو رئاسة، كان ذلك نافعاً عند الله منجياً له من عذابه، فإن الله تعالى يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطى الإيمان إلا من يحب (إلى أن قال): وتوحيد الإلهية أن يعبد الله ولا يشرك به شيئاً فيطيعه ويطيع رسله ويفعل ما يحبه ويرضاه.

وأما توحيد الربوبية فيدخل ما قدره وقضاه، وان لم يكن مما أمر به وأوجه أرضاه، والعبد مأمور بأن يعبد الله ويفعل ما أمر به وهو توحيد الإلهية ويستغفر الله على ذلك وهو توحيد له فيقول: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) اهـ.

٢ - وقال في الجزء الثاني من فتاواه/٢٧٥:

فإن المقصود هنا بيان حال العبد المحض لله تعالى الذى يعبده ويستعينه فيعمل له ويستعينه، ويحقق قوله (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، وان كانت الإلهية تتضمن الربوبية والربوبية تستلزم الإلهية فإن أحدهما إذا تضمن الآخر عند الأفراد لم يمنع أن يختص بمعنى عند الإقتران، كما فى قوله: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ. الخ) فجمع بين الإسمين، فإن الإله هو المعبود الذى يستحق أن يعبد، والرب هو الذى يرب عبده اهـ.

٣ - وقال فى الجزء الثانى من منهاج السنه/٦٢، بعد ثرته ذم فيها جميع فرق المسلمين من المتكلمين، مصرحاً بأنهم عبدوا غير الله لجهلهم توحيد الألوهية وإثبات حقائق أسماء الله، ما نصه:

فانهم قصرُوا عن معرفة الأدلة العقلية التى ذكرها الله فى كتابه فعدلوا عنها إلى طرق أخرى مبتدعة فيها من الباطل ما لأجله خرجوا عن بعض الحق المشترك بينهم وبين غيرهم، ودخلوا فى بعض الباطل المبدع، وأخرجوا من التوحيد ما هو منه كتوحيد الإلهية، واثبات حقائق أسماء الله وصفاته، ولم يعرفوا من التوحيد إلا توحيد الربوبية، وهو الإقرار بأن الله خالق كل شئ وهذا التوحيد كان يقر به المشركون الذين قال الله عنهم (وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَيَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ)، وقال تعالى: (قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّنِعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. سَيَقُولُونَ لِلَّهِ، الآيات). وقال عنهم: (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ). فالطائفة من السلف تقول لهم من خلق السموات والأرض فيقولون الله، وهم مع ذلك يعبدون غيره، وإنما التوحيد الذى أمر الله به العباد هو توحيد الألوهية المتضمن توحيد الربوبية، بأن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، فيكون الدين كله لله اهـ.

٤ - وقال فى رساله أهل الصفه/٣٤: توحيد الربوبية وحده لا ينفى الكفر ولا يكفى اهـ.

أقول: قد لبس ابن تيمية فى تأليفه على العامة وأشباههم من المتفقه كثيراً بالسلف الصالح والكتاب والسنة، لترويج هواه فى سوقهم! ولكنه فى هذا الكلام صرح بهواه ولم يلصقه بهما ولا بالسلف، وإنى بحول الله وتوفيقه أكيل له بصاعه الذى لبس به على البسطاء كيلاً حقيقياً وافياً، مبرهننا فأقول:

كلامه هذا فى الأربعة المواضع بالطل باثنين وثلاثين وجهاً.

الوجه الأول: لم يقل الإمام احمد بن حنبل الذى انتسب إليه كذباً لأصحابه ان التوحيد قسمان: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وان من لم يعرف توحيد الألوهية لا تعتبر معرفته لتوحيد الربوبية لأن هذا يعرفه المشركون، وهذا عقيدة الإمام أحمد مدونة فى مصنفات

أتباعه في مناقبه لأبن الجوزى وفي غيره ليس فيه هذا الهديان.

الوجه الثاني: لم يقل أى واحد من أتباع التابعين لأصحابه ان التوحيد قسمان: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وان من لم يعرف توحيد الألوهية لا يعتد بمعرفته لتوحيد الربوبية، فلو اجتمع معه الثقلان على إثباته عن أى واحد منهم لا يستطيعون.

الوجه الثالث: لم يقل أى واحد من التابعين لأصحابه ان التوحيد ينقسم إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، فلو اجتمع معه الثقلان على إثباته عن أى واحد منهم لا يستطيعون.

الوجه الرابع: لم يقل أى صحابي من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ورضى عنهم ان التوحيد ينقسم إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وأن من لم يعرف توحيد الألوهية لا يعتد بمعرفته لتوحيد الربوبية لأن هذا يعرفه المشركون، وإنى اتحدى كل من له المام بالعلم أن ينقل لنا هذا التقسيم المخترع عنهم، ولو برواية واهية.

الوجه الخامس: لم يأت فى سنة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الواسعة التى هى بيان لكتاب الله عز وجل من صحاح وسنن ومسانيد ومعاجم، أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول لأصحابه ويعلمهم أن التوحيد ينقسم إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وان من لم يعرف توحيد الألوهية لا يعتد بمعرفته لتوحيد الربوبية، لأن هذا يعرفه المشركون، فلو اجتمع معه الثقلان على اثبات هذا الهديان عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باسناد ولو واهياً لا يستطيعون.

الوجه السادس: بل كتب السنة طافحة بأن دعوته (ص) الناس إلى الله كانت إلى شهادة ان لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله وخلع عبادة الأوثان، ومن أشهرها حديث معاذ بن جبل لما أرسله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلى اليمن فقال له: (ادعهم إلى شهادة أن لا اله إلا الله وان محمدا رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأخبرهم أن عليهم خمس صلوات فى اليوم والليلة - الحديث).

وروى الخمسة وصححه ابن حبان أنه (ص) أخبره أعرابي برؤية الهلال، فأمر بالصيام ولم يسأله النبي (ص) إلا عن الإقرار بالشهادتين، وكان اللازم على هديانه هذا أن يدعو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جميع الناس إلى توحيد الألوهية الذى جهلوه، وأما توحيد الربوبية فقد عرفوه! ويقول لمعاذا ادعهم إلى توحيد الألوهية! ويقول للأعرابي الذى رأى هلال رمضان هل تعرف توحيد الألوهية؟! الوجه السابع: لم يأمر الله فى كتابه العزيز الذى لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه عباده بتوحيد الألوهية، ولم يقل لهم ان من لم يعرفه لا يعتد بمعرفته لتوحيد الربوبية، بل أمر وهو:

الوجه الثامن: بكلمة التوحيد مطلقة، قال الله تبارك وتعالى مخاطبا نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (فاعلم أنه لا اله إلا الله) وهكذا جميع آيات التوحيد المذكورة فى القرآن، مع سورة الإخلاص التى تعدل ثلث القرآن.

الوجه التاسع: يلزم على هذا الهديان على الله تبارك وتعالى لعباده حيث عرفوا كلهم توحيد الربوبية ولم يعرفوا توحيد الألوهية - أن يبينه لهم ولا- يضلهم ولا- يعذبهم على جهلهم نصف التوحيد ولا- يقول لهم: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) نعوذ بالله من زلقات اللسان وفساد الجنان.

الوجه العاشر: الإله هو الرب والرب هو الإله، فهما متلازمان يقع كل منهما فى موضع الآخر، وكتاب الله تعالى طافح بذلك، وكذلك سنته عليه الصلاة والسلام، قال الله تبارك وتعالى: (يَأْتِيهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) وكان اللازم - على زعمه - حيث كانوا يعرفون توحيد الربوبية ولا يعرفون توحيد الألوهية أن يقول الله: (إعبدوا الهكم)!!

وقال الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ - الآيه)، وكان اللازم - على زعمه حيث كان النمرود يعرف توحيد الربوبية ويجهل توحيد الألوهية - أن يقول الله تعالى: (ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى إلهه)!!

وكان اللازم على زعمه أن يقول الله فى قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) اتقوا إلهكم!! وكان اللازم على زعمه أن يقول الله فى قوله تعالى: (إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ نَسِيتَ طَبْعَ رَبِّكَ أَنْ نُنزَلَ عَلَيْنا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ)، هل يستطيع إلهك، وكان اللازم على زعمه أن يقول الله فى قوله تعالى: (ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) ثم الذين كفروا

بالههم يعدلون! لأن الرب يعرفونه، وهو شئ كثير فى القرآن...

الوجه الثلاثون: جعله التوسل والإستغاثه عباده للمتوسل به والمستغاث به والمستعان به!!...

قوله (وهم مع ذلك يعبدون غيره) فاسد أيضاً ومعناه يقول أحمد بن تيمية الملبس بلفظ (الطائفه) والملبس أيضاً المدعى أنه (من السلف) للمالكية والشافعية والحنفية ومستقیمی العقيدة من الحنابلة (من خلق السموات والأرض فيقولون الله) وهم مع إعترافهم بتوحيد الربوبية مشركون فى رأيه لأنهم (يعبدون غيره)، أى يتوسلون بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبالصالحين من أمته ويستغيثون ويستعينون بهم، وكل من التوسل والإستعانة والإستغاثه عباده غير الله تعالى فى زعمه!!

وقد اعتمد فى تكفير المسلمين بهذه الالفاظ على إرادة نفع جاه المتوسل به أو المستغاث به مثلاً، قياساً على عبده الأوثان بجامع الإرادة المذكورة فى كل، وهو قياس فاسد من ستة أوجه:

الأول: جهله حقيقة العبادة، فإن العبادة لغه: أقصى نهاية الخضوع والتذلل بشرط نية التقرب، ولا يكون ذلك إلا لمن له غاية التعظيم، فقد تبين منه أن العبادة لغه لا تطلق إلا على العمل الدال على الخضوع المتقرب به لمن يعظمه بإعتقاد تأثيره فى النفع والضرر، أو اعتقاد الجاه العظيم الذى ينفعه فى الدنيا والآخرة، وهى التى نهى الله سبحانه وتعالى عن أن تقع لغيره، وكفر من لم ينته عنها، وما قصر عن هذه المرتبة لا يقال فيه عبادة لغير الله.

وشرعاً: إمتثال أمر الله كما أمر على الوجه المأمور به من أجل أنه أمر، مع المبادرة بغاية الحب والخضوع والتعظيم، فاعتبر فيها ما اعتبر فى اللغوئية من الخضوع والتذلل والتعظيم.

فاللغوئية غير مقيدة بعمل مخصوص والشرعية مقيدة بالأعمال المأمور بها فكانت جارية على الأعم الأغلب فى الحقائق الشرعية من كونها أخص من اللغوئية.

ومن أجل اختصاصها بالمأمور به خرجت عبادة اليهودى مثلاً، لأنه وإن تمسك بشريعة إلا أنها لما كانت منسوخة كانت كأن لم تكن، وعبادة المبتدع فى الدين ما ليس منه، فالله سبحانه لما نهى الكفار عما هم مشغولون به من عبادة غيره، ووبخهم على وضع الشئ فى غير محله وتعظيمهم غير أهله، وبين لهم بالدلائل الواضحة عدم صلوحية ما اتخذوه من دونه لما اتخذوه إليه، وكان الحامل لهم على ذلك اتباع أهوائهم، والإسترسال مع أغراضهم، وذلك مناف لعبوديتهم، إذا العبد لا يتصرف فى نفسه بمقتضى شهوته وغرضه، وإنما يتصرف على مقتضى أمر سيده ونهيه، قصد سبحانه أن يخرجهم عن داعية أهوائهم واتباع أغراضهم، حتى يكونوا عبيداً لله تعالى، اختياراً كما هم عبيد له اضطراراً، فوضع لهم الشريعة المطهرة وبين لهم الأعمال التى تعبدهم بها، والطرق التى توصلهم إلى منافعهم ومصالحهم على الوجه الذى ارتضاه لهم، ونهاهم عن مجاوزة ما حد لهم...

وعلى هذا فشرط كونها عبادة نية التقرب للمعبود، فالسجود لا يكون عبادة ولا كفراً إلا تبعاً للنية، فسجود الملائكة عليهم الصلاة والسلام لآدم عليه الصلاة والسلام عبادة لله لأنه امتثال لأمره وتقرب وتعظيم له، والسجود للصنم كفر إذا قصد به التقرب إليه اذ هو عبادة لغير الله، وكذا يحكم عليه به عند جهل قصده أو إنكاره لأنه علامة على الكفر.

والسجود للتحية معصية فقط فى شرعنا، وقد كان سائغاً فى الشرائع السابقة بدليل سجود يعقوب وبنيه ليوסף عليهم الصلاة والسلام. فتحقق من تعريفى العبادة لغه وشرعاً أن العبادة التذلل والتعظيم للمعبود، وعليه فليس كل تعظيم عبادة، وأن ضابط التعظيم المقتضى للعبادة هو أن يعتقد له التأثير فى النفع والضرر، أو يعتقد له الجاه التام والشهادة المقبولة بحيث ينفع فى الآخرة ويستنزل به النصر والشفاء فى الدنيا.

والتوسل لا يسمى عبادة قطعاً ولا يقال فيه عبادة وإنما هى وسيلة إليها، وسيلة الشئ غيره بالضرورة.

الثانى: الوسيلة لغه كل ما يتقرب به إلى الغير، وسل إلى الله تعالى توسيلاً عمل عملاً تقرب به إليه، فتحقق منه أن التوسل لا يسمى عبادة قطعاً، ولا يقال فيه عبادة وإنما هو وسيلة إليها، ووسيلة الشئ غيره بالضرورة وهو واضح، فإن التوسل لا تقرب فيه للمتوسل به ولا

تعظيمه غاية التعظيم، والتعظيم إذا لم يصل إلى هذا الحد لا- يكون الفعل المعظم به عبادة، فلا- يطلق إسم العبادة على ما ظهر من الإستعمال اللغوي إلا- على ما كان بهذه المثابة من كون العمل دالاً- على غاية الخضوع منويًا به التقرب للمعبود تعظيمًا له بذلك التعظيم التام، فإذا اختل شئ منها منع الإطلاق، أما الدلالة على نهاية الخضوع فظاهر، لأن مناط التسمية لم يوجد، ولأن الناس من قديم الزمان إلى الآن يخضعون لكبرائهم ورؤسائهم بما يقتضيه مقامه الدنيوي عندهم ويحيونهم بأنواع التحيات، ويتذللون بين أيديهم ولا يعدون ذلك قرينة ولا يطلقون عليه اسم العبادة، وإنما يرونه من باب الأدب، وما ذاك إلا لكون ذلك الخضوع لم يبلغ نهايته والعظيم الناشئ عنه لم يبلغ غايته، وبهذا ظهر الفرق بين التوسل والعبادة. على أن عبد يتعدى بنفسه وتوسل يتعدى بحرف الجر.

وقد أوغل ابن تيمية في بيداء القياس الفاسد دفعتين، قياسه معاني هذا الألفاظ، توسل استعان، استغاث، تشفع، على العبادة، وقياسه المؤمنين المتوسلين بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم مثلاً على عبدة الأوثان من دون الله بجامع أرادة الجاه في كل.

فلينظر اللبيب إلى أين رماه جهله باللغّة العريية، فانه لو تأمل في قول القائل: اللهم انى أتوسل اليك بفلان، وأجراه على ما تدل عليه اللغة لوجد معناه، اللهم انى أتقرب اليك وأتجنب اليك، فهو دال بجوهره على أن التقرب لله لا لمن يراد جاهه!!

ومن جهل الفرق بين عبد وتوسل، كيف يصح له القياس في دين الله والحق بعض الفروع ببعض، والقياس أصعب أنواع الإجتهد، لكثرة ما يعتبر في أركانه من الشروط، وما يرد عليه من المعارضات والمناقضات وغير ذلك من أنواع الاعتراضات، فلا يصفو مشربه إلا لأهل الاجتهاد ومن أحاط بمداركهم على اختلاف مراتبهم، ومن قصر عن تلك المراتب لا يسوغ له الجزم بالحكم المأخوذ منه في دائق، فكيف بالحكم المأخوذ منه في تكفير المسلمين؟!

الثالث: وحيث تحقق الفرق بين العبادة والتوسل، فالعبادة فيها معنى زائد يناسب اناطة الحكم به، وهو اشتمالها على الأعراض عن الله واطلاق الإلهية على غيره وإقامته مقامه وخدمته بما يستحق أن يخدم، وقد أشار إلى هذا المعنى بعض فضلاء أهل السنة، وملخص كلامه: أن الشبهة الحاملة لعبدة الأوثان على عبادتها هي أنهم استصغروا أنفسهم فاستعظموا أن يعبدوا الله مباشرة، ورأوا من سوء الأدب أن يشتغل الحقير من أول وهلة بخدمة العظيم، وقربوا ذلك بأمر مستحسن في العادة، وهو أن الحقير لا ينبغي له أن يخدم الملك حتى يخدم عماله إلى أن يترقى لخدمته، وقال: وهذه هي الحاملة على التوسل إلى الله تعالى بمن له جاه عنده، إلا أن الشرع أذن في التوسل ولم يأذن في العبادة، فكانت حاجة الكفار تندفع بما شرعه الله، إلا أن الله تعالى أعمى بصائرهم، ولو تنبهوا لأمر عادى آخر لأرشدتهم، فإن الملك من ملوك الدنيا إذا استجابه له أحد بعظيم من وزرائه وتشفع له بذلك، ربما أقبل عليه وأخذ بيديه وقضى ما أراده منه. أما إذا عظم ذلك الوزير بما يعظم به الملك وعامله بمعاملته وأقامه في مقامه فيما يختص به الملك عن غيره، رجاء أن يقضى ذلك الوزير حاجته من الملك، فإن الملك إذا علم بصنيعه يغضب أشد الغضب، ولا يقتصر في العقوبة على قطع الرجاء من الحاجة، بل يفتك به وبالوزير ان أحب ذلك!

فمثال التوسل الأول ومثال العبادة الثاني فتأمل هذا المثال فانه واف بواقعة الحال، وبالله التوفيق والإعتصام.

الرابع: القاعدة المشهورة المطردة وهي: أن استواء الفعلين في السبب الحامل على الفعل لا يوجب استواءهما في الحكم، يدل على هاته القاعدة دلالة قطعية، أنه لو لم يكن الأمر كذلك بأن كان الاستواء في الحامل يوجب الإستواء في الحكم = كما ادعاه ابن تيمية وقرره في قياسه التوسل على العبادة والمتوسل على عابد الوثن، للزم ابطال الشريعة وتساوى الأعمال في الأحكام، واللازم باطل بالاتفاق، وهو ضرورى غنى عن الإستدلال!!

- وقال في ٩٦:

وقد انتهت بتوفيق الله من ابطال كثير من كلام ابن تيمية وابن القيم وبعض كلام ابن عبد الوهاب، في توحيد الربوبية والألوهية والعبادة وملحقاتهما في هذا الفصل، وأختمه بما كتبه العلامة المحقق المرحوم الشيخ (يوسف الدجوى) المتوفى سنة خمس وستين وثلاثمائة وألف في توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية قال رحمه الله: جاءتنا رسائل كثيرة يسأل مرسلوها عن توحيد الألوهية وتوحيد

الربوبية ما معناهما، وما الذى يترتب عليهما ومن ذا الذى فرق بينهما؟ وما هو البرهان على صحة ذلك أو بطلانه؟ فنقول وبالله التوفيق: ان صاحب هذا رأى هو ابن تيمية الذى شاد بذكره قال: ان الرسل لم يبعثوا إلا لتوحيد الألوهية، وهو إفراد الله بالعبادة، وأما توحيد الربوبية وهو اعتقاد أن الله رب العالمين المتصرف فى أمورهم فلم يخالف فيه أحد من المشركين والمسلمين بدليل قوله تعالى: (وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ).

ثم قالوا: إن الذين يتوسلون بالأنبياء ويتشفعون بهم وينادونهم عند الشدائد هم عابدون لهم قد كفروا باعتقادهم الربوبية فى تلك الأوثان والملائكة والمسيح سواء بسواء، فانهم لم يكفروا باعتقادهم الربوبية فى تلك الأوثان وما معها بل بتركهم توحيد الألوهية بعبادتها، وهذا ينطبق على زوار القبور المتوسلين بالأولياء المنادين لهم المستغيثين بهم الطالبين منهم ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى!! بل قال محمد بن عبد الوهاب: (ان كفرهم أشنع من كفر عباد الأوثان، وإن شئت ذكرت لك عبارته المحزنة الجريئة) فهذا ملخص مذهبهم مع الإيضاح، وفيه عدة دعاوى...

- وقال فى /١٠٠:

ولكن نقول لهم بعد هذا على فرض أن هناك فرقاً بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية كما يزعمون، فالتوسل لا ينافى توحيد الألوهية فانه ليس من العبادة فى شئ لا لغة ولا شرعاً ولا عرفاً، ولم يقل أحد ان النداء أو التوسل بالصالحين عبادة، ولا أخبرنا الرسول صلى الله تعالى وسلم بذلك!!

ولو كان عبادة أو شبه عبادة لم يجز بالحى ولا بالميت.

ومن المعلوم أن المتوسل لم يطلب إلا- من الله تعالى بمنزلة هذا النبى أو الولي، ولا شك فى أن لهما منزلة عند الله تعالى فى الحياة وبعد الممات.

فإن تشبث متشبث بأن الله أقرب إلينا من جبل الوريد فلا يحتاج إلى واسطة.

قلنا له: (حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء...)، فإن رأيك هذا يلزمه ترك الأسباب والوسائط فى كل شئ، مع أن العالم مبنى على الحكمة التى وضعت الأسباب والمسببات فى كل شئ!!

ويلزمه عدم الشفاعة يوم القيامة وهى معلومة من الدين بالضرورة، فانها على هذا رأى لا حاجة إليها، اذ لا يحتاج سبحانه وتعالى إلى واسطة فانه أقرب من الواسطة. ويلزم خطأ عمر بن الخطاب فى قوله: (إنا نتوسل اليك بعم نبيك العباس الخ...!!)

وعلى الجملة يلزم سد باب الأسباب والمسببات والوسائل والوسائط، وهو خلاف السنة الإلهية التى قام عليها بناء هذه العوالم كلها من أولها إلى آخرها، ولزمهم على هذا التقدير أن يكونوا داخلين فيما حكموا به على المسلمين، فانه لا يمكنهم أن يدعوا الأسباب أو يتركوا الوسائط بل هم أشد الناس تعلقاً واعتماداً عليها.

ولا يفوتنا أن نقول: ان التفرقة بين الحى والميت فى هذا المقام لا معنى لها، فإن المتوسل لم يطلب شيئاً من الميت أصلاً، وانما طلب من الله متوسلاً إليه بكرامة هذا الميت عنده أو محبته له أو نحو ذلك، فهل فى هذا كله تأليه للميت أو عبادة له، أم هو حق لا مريه فيه، ولكنهم قوم يجازفون ولا يحققون!! كيف وجواز التوسل بل حسنه معلوم عند جميع المسلمين.

وانظر كتب المذاهب الأربعة (حتى مذهب الحنابلة) فى آداب زيارته(ص) تجدهم قد استحبوا التوسل به إلى الله تعالى، حتى جاء ابن تيمية فخرق الإجماع وصادم المراكز فى الفطر مخالفاً فى ذلك العقل والنقل. انتهى.

كتاب (شفاء السقام) للإمام السبكي

وهو من كبار علماء مصر المعاصرين لابن تيمية، وذكروا أن ابن تيمية كان يحترمه كثيراً، ولعله كان يهابه فلم يرد على كتابه!! وقد طبع الكتاب مرات فى مصر، ثم نشرته مكتبة ايشيق فى استانبول، وحققه أخيراً ونشره العلامة السيد محمد رضا الجلالى.

والمحور الأصلي للكتاب هو رد بدعة ابن تيمية في تحريم زيارة النبي صلى الله عليه وآله، وفيه فصل في رد تحريمه التوسل والإستشفاع والإستغاثة بالنبي صلى الله عليه وآله.

- قال السبكي في ٥٩/ من كتابه المذكور:

أما بعد، فهذا كتاب سميته (شفاء السقام في زيارة خير الأنام) ورتبته على عشرة أبواب:

الأول: في الأحاديث الواردة في الزيارة.

الثاني: في الأحاديث الدالة على ذلك وان لم يكن فيها لفظ (الزيارة).

الثالث: فيما ورد في السفر إليها.

الرابع: في نصوص العلماء على إستحبابها.

الخامس: في تقرير كونها قربة.

السادس: في كون السفر إليها قربة.

السابع: في دفع شبه الخصم وتتبع كلماته.

الثامن: في التوسل والإستغاثة.

التاسع: في حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

العاشر: في الشفاعة، لتعلقها بقوله: (من زار قبري وجبت له شفاعتي).

وضمنت هذا الكتاب الرد على من زعم: أن أحاديث الزيارة كلها موضوعة! وأن السفر إليها بدعة غير مشروعة!

وهذه المقالة أظهر فساداً من أن يرد العلماء عليها، ولكنني جعلت هذا الكتاب مستقلاً في الزيارة وما يتعلق بها، مشتملاً من ذلك على

جملة يعز جمعها على طالبها.

- وقال في ٢٩١:

اعلم أنه يجوز ويحسن التوسل، والإستغاثة، والتشفع بالنبي (ص) إلى ربه سبحانه وتعالى.

وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعلومة لكل ذي دين، المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين، وسير السلف الصالحين، والعلماء والعوام من المسلمين.

ولم ينكر أحد ذلك من أهل الأديان، ولا سمع به في زمن من الأزمان، حتى جاء ابن تيمية، فتكلم في ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء الأغمار، وابتدع ما لم يسبق إليه في سائر الأعصار.

وحسبك أن إنكار ابن تيمية للإستغاثة والتوسل قول لم يقله عالم قبله وصار بين أهل الإسلام مثله!!

وقد وقفت له على كلام طويل في ذلك رأيت من الرأي القويم أن أميل عنه إلى الصراط المستقيم ولا أتبعه بالنقض والأبطال، فإن دأب العلماء القاصدين لإيضاح الدين وإرشاد المسلمين تقرب المعنى إلى أفهامهم وتحقيق مرادهم وبيان حكمه، ورأيت كلام هذا الشخص بالصد من ذلك، فالوجه الأضراب عنه.

وأقول: أن التوسل بالنبي (ص) جائز في كل حال: قبل خلقه وبعد خلقه، في مدة حياته في الدنيا، وبعد موته، في مدة البرزخ وبعد البعث في عرصات القيامة والجنة وهو على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: أن يتوسل به، بمعنى أن طالب الحاجة يسأل الله تعالى به أو بجاهه أو ببركته.

فيجوز ذلك في الأحوال الثلاثة، وقد ورد في كل منها خبر صحيح:

أما الحالة الأولى: قبل خلقه فيدل على ذلك آثار عن الأنبياء الماضين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، اقتصرنا منها على ما تبين لنا صحته وهو ما رواه الحاكم أبو عبدالله بن البيع في (المستدرک على الصحيحين أو أحدهما) (١) قال: ثنا أبو سعيد عمرو بن محمد بن منصور العدل (١) ثنا أبو الحسن محمد بن اسحاق ابن ابراهيم الحنظلي ثنا أبو الحارث عبدالله بن مسلم الفهرى ثنا اسماعيل ابن مسلمة أنا عبدالرحمان بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب (رض) قال: قال رسول الله (ص): (لما اقترف (٢) آدم عليه السلام الخطيئة (٣) قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي.

فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقك؟

قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك، ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا: لا إله إلا الله محمد رسول الله فعرفت أنك لم تضيف إلي اسمك إلا أحب الخلق إليك.

فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق الي اذ سألتني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك).

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمان بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب.

ورواه البيهقي أيضاً في (دلائل النبوة) وقال: تفرد به عبد الرحمان.

وذكره الطبراني وزاد فيه (وهو آخر الأنبياء من ذريتك).

توسل عيسى بالنبي

وذكر الحاكم مع هذا الحديث أيضاً... عن ابن عباس قال: أوحى الله إلى عيسى عليه السلام: يا عيسى آمن بمحمد وأمر من أدركه من امتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولولاه ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه: لا إله إلا الله فسكن. قال الحاكم: هذا حديث حسن صحيح الإسناد ولم يخرجاه، انتهى ما قاله الحاكم.

والحديث المذكور لم يقف عليها بن تيمية بهذا الإسناد ولا بلغه أن الحاكم صححه. فانه قال أعنى ابن تيمية: أما ما ذكره في قصة آدم من توسله فليس له أصل ولا نقله أحد عن النبي (ص) باسناد يصلح الإعتماد عليه، ولا الإعتبار ولا الإستشهاد).

ثم ادعى ابن تيمية أنه كذب، وأطال الكلام في ذلك جدا بما لا- حاصل تحته بالوهم والتخرص!.. ونحن نقول: قد اعتمدنا في تصحيحه على الحاكم وأيضاً: عبدالرحمان بن زيد بن أسلم لا يبلغ في الضعف الى الحد الذي ادعاه.

وكيف يحل لمسلم أن يتجاسر على منع هذا الأمر العظيم الذي لا يردده عقل ولا شرع؟ وقد ورد فيه هذا الحديث؟!

توسل نوح و ابراهيم و سائر الأنبياء بنبي

وأما ما ورد من توسل نوح وإبراهيم وغيرهما من الأنبياء: فذكره المفسرون، واكتفينا عنه بهذا الحديث لجودته وتصحيح الحاكم له. ولا- فرق في هذا المعنى بين أن يعبر عنه بلفظ (التوسل) أو (الاستغاثة) أو (التشفع) أو (التجوه). والداعي بالدعاء المذكور وما في معناه: متوسل بالنبي (ص)، لأنه جعله وسيلة لإجابة الله دعاءه. ومستغث به والمعنى أنه استغاث الله به على ما يقصده فالباء ها هنا للسببية، وقد ترد للتعدي، كما تقول: (من استغاث بك فأغثه). ومستشفع به. ومتجوه به، ومتوجه، فإن التجوه والتوجه راجعان إلى معنى واحد.

فإن قلت: المتشفع بالشخص من جاء به ليشفع فكيف يصح أن يقال: يتشفع به؟

قلت: ليس الكلام في العبارة وإنما الكلام في المعنى وهو سؤال الله بالنبي (ص) كما ورد عن آدم، وكما يفهم الناس من ذلك، وإنما يفهمون من التشفع والتوسل والاستغاثة والتجوه ذلك، ولا مانع من اطلاق اللغة بهذه الألفاظ على هذا المعنى.

والمقصود جواز أن يسأل العبد الله تعالى بمن يقطع أن له عند الله قدراً أو مرتبة.

ولا شك أن النبي (ص) له عند الله قدر على ومرتبة رفيعة وجاه عظيم. وفي العادة أن من كان له عند الشخص قدر بحيث أنه إذا شفع عنده قبل شفاعته، فإذا انتسب إليه شخص في غايته وتوسل بذلك وتشفع به، فإن ذلك الشخص يجيب السائل إكراماً لمن انتسب إليه وتشفع به وان لم يكن حاضراً ولا شافعاً.

وعلى هذا التوسل بالنبي (ص) قبل خلقه.

ولسنا في ذلك سائلين غير الله تعالى ولا داعين إلا إياه، ويكون ذكر المحبوب أو العظيم سبباً للإجابة. كما في الأدعية الصحيحة المأثورة (أسألك بكل اسم لك وأسألك بأسمائك الحسنى وأسألك بأنك أنت الله، وأعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك).

وحديث الغار الذي فيه الدعاء بالأعمال الصالحة وهو من الأحاديث الصحيحة المشهورة.

فالمسؤول في هذه الدعوات كلها هو الله وحده لا شريك له والمسؤول به مختلف ولم يوجب ذلك اشراكاً، ولا سؤال غير الله.

كذلك السؤال بالنبي (ص) ليس سؤالاً للنبي بل سؤال لله به.

وإذا جاز السؤال بالأعمال وهي مخلوقة فالسؤال بالنبي (ص) أولى.

ولا يسمع الفرق بأن الأعمال تقتضى المجازاة عليها، لأن استجابة الدعاء لم تكن عليها، وإلا لحصلت بدون ذكرها وانما كانت على الدعاء بالأعمال.

وليس هذا المعنى مما يختلف فيه الشرائع حتى يقال: إن ذلك شرع من قبلنا فإنه لو كان ذلك مما يخل بالتوحيد لم يحل في ملء من الملل، فإن الشرائع كلها متفقة على التوحيد. وليت شعري ما المانع من الدعاء بذلك؟!

فإن اللفظ انما يقتضى أن للمسؤول به قدرا عند المسؤول. وتارة يكون المسؤول به أعلى من المسؤول: اما البارئ سبحانه وتعالى كما في قوله (من سألكم بالله فأعطوه) وفي الحديث الصحيح في حديث أبرص وأقرع وأعمى (أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن) الحديث.. وهو مشهور.

وأما بعض البشر، ويحتمل أن يكون من هذا القسم قوله عائشة لفاطمة: أسألك بما لى عليك من الحق.

وتارة: يكون المسؤول أعلى من المسؤول به، كما في سؤال الله تعالى بالنبي (ص)، فانه لا شك أن للنبي قدرا عنده. ومن أنكر ذلك فقد كفر.

فمتى قال: (أسألك بالنبي (ص)) فلا شك في جوازه.

وكذا إذا قال (بحق محمد) والمراد بالحق الرتبة والمنزلة. والحق الذى جعله الله على الخلق أو الحق الذى جعله الله بفضله له عليه، كما في الحديث الصحيح قال: فما حق العباد على الله؟

وليس المراد بالحق الواجب، فانه لا يجب على الله شئ، وعلى هذا المعنى يحمل ما ورد عن بعض الفقهاء فى الإمتناع من اطلاق هذه اللفظة.

الحالة الثانية: التوسل به بذلك النوع بعد خلقه (ص) فى مدة حياته: فمن ذلك ما رواه أبو عيسى الترمذى فى جامعه فى كتاب الدعوات، قال... عن عثمان بن حنيف: أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي (ص) فقال... وقد كفانا الترمذى والبيهقى رحمهما الله بتصحيحهما مؤنة النظر فى تصحيح هذا الحديث، وناهيك به حجة فى المقصود.

فإن اعترض معترض: بأن ذلك انما كان لأن النبي (ص) شفع فيه فلماذا قال له أن يقول (انى توجهت اليك بنبيك).

قلت: الجواب من وجوه:

أحدها: سيأتى أن عثمان بن عفان وغيره استعملوا ذلك بعد موته (ص) وذلك يدل على أنهم لم يفهموا اشتراط ذلك.

الثانى: أنه ليس فى الحديث أن النبي (ص) بين له ذلك.

الثالث: أنه ولو كان كذلك لم يضر في حصول المقصود وهو جوار التوسل إلى الله بغيره بمعنى السؤال به كما علمه النبي (ص) وذلك زيادة على طلب الدعاء منه فلو لم يكن في ذلك فائدة لما علمه النبي (ص) وأرشده إليه، ولقال له: إني قد شفعت فيك، ولكن لعله (ص) أراد أن يحصل من صاحب الحاجة التوجه بذل الإضطرار والإفتقار والإنكسار ومستغيثاً بالنبي (ص) فيحصل كمال مقصوده. ولا شك أن هذا المعنى حاصل في حضرة النبي (ص) وغييبته وفي حياته وبعد وفاته فإننا نعلم شفقتة (ص) على أمته ورفقه بهم ورحمته لهم واس تغفاره لجميع المؤمنين وشفاعته فإذا انضم إليه توجه العبد به حصل هذا الغرض الذي أرشد النبي (ص) الأعمى إليه.

التوسل بالنبي (بعد موته)

الحالة الثالثة: أن يتوسل بذلك بعد موته (ص) لما رواه الطبراني رحمه الله في المعجم الكبير في ترجمة عثمان بن حنيف... أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان... ورواه البيهقي بإسناده عن أبي جعفر المدني عن أبي امامة بن سهل بن حنيف... والإحتجاج من هذا الأثر لفهم عثمان (رض) ومن حضره الذين هم أعلم بالله ورسوله وفعله.

النوع الثاني: التوسل به بمعنى طلب الدعاء منه وذلك في أحوال:

إحداها: في حياته (ص)، وهذا متواتر والأخبار طافحة به، ولا يمكن حصرها، وقد كان المسلمون يفرعون إليه ويستغيثون به في جميع ما نابهم كما في الصحيحين... والأحاديث والآثار في ذلك أكثر من أن تحصى، ولو تتبعتها لوجدت منها ألواناً. ونص قوله تعالى: **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ... الآية صريح في ذلك.** وكذلك يجوز ويحسن مثل هذا التوسل بمن له نسبة من النبي (ص) كما أن عمر ابن الخطاب (رض) إذا قحط استسقى بالعباس بن عبدالمطلب (رض) ويقول: اللهم انا كنا إذا قحطنا توسلنا بنبينا فستقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا محمد (ص) فاسقنا. وكذلك يجوز مثل هذا التوسل بسائر الصالحين وهذا شيء لا ينكره مسلم بل متدين بملء من الملل.

فإن قيل: لم توسل عمر بن الخطاب بالعباس ولم يتوسل بالنبي (ص) أو بقبره؟

قلنا: ليس في توسله بالعباس إنكار للتوسل بالنبي (ص) أو بالقبر. وقد روى عن أبي الجوزاء قال: قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة رضي الله عنها فقالت: فانظروا قبر النبي (ص) فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف. ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمن الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمى (عام الفتق)...

فإن قال المخالف: أنا لا أمتع التوسل والتشفع لما قدمتم من الآثار والأدلة وإنما أمتع اطلاق (التجوه) و(الإستغاثه) لأن فيهما إيهام أن المتجوه به والمستغاث به أعلى من المتجوه عليه والمستغاث عليه.

قلنا: هذا لا يعتقده مسلم ولا يدل لفظ (التجوه) و (الإستغاثه) عليه.

فإن (التجوه) من الجاه والوجه ومعناه علو القدر والمنزلة وقد يتوسل بذي الجاه إلى من هو أعلى جاهاً منه.

و (الإستغاثه) طلب الغوث فالمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث من غيره وإن كان أعلى منه.

فالتوسل والتشفع والتجوه والإستغاثه بالنبي (ص) وسائر الأنبياء والصالحين ليس لها معنى في قلوب المسلمين غير ذلك، ولا يقصد بها أحد منهم سواه، فمن لم ينشرح صدره لذلك فليتك على نفسه، نسأل الله العافية.

وإذا صح المعنى فلا عليك في تسميته (توسلاً) أو (تشفعاً) أو (تجوهاً) أو (إستغاثه).

ولو سلم أن لفظ (الإستغاثه) تستدعي النصر على المستغاث منه فالعبد يستغيث على نفسه وهواه والشيطان وغير ذلك مما هو قاطع له عن الله تعالى بالنبي (ص) وغيره من الأنبياء والصالحين متوسلاً بهم إلى الله تعالى ليغيثه على من استغاث منه من النفس وغيرها، والمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى والنبي (ص) واسطة بينه وبين المستغيث.

وإذ قد تحررت هذه الأنواع والأحوال في الطلب من النبي (ص) وظهر المعنى فلا عليك في تسميته (توسلاً) أو (تشفعاً) أو (إستغاثه) أو

(تجوها) أو (توجهاً) لأن المعنى في جميع ذلك سواء:

أما التشفع: فقد سبق في الأحاديث المتقدمة قول وفد بنى فزاره للنبي (ص): تشفع لنا الى ربك وفي حديث الأعمى ما يقتضيه أيضاً. والتوسل: في معناه.

وأما التوجه والسؤال: ففي حديث الأعمى.

والتوجه: في معنى التوجه قال تعالى في حق موسى عليه السلام: وكان عند الله وجهاً. وقال في حق عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام: وجهها في الدنيا والآخرة. وقال المفسرون) وجهها (أى ذا جاه ومنزلة عنده. وقال الجوهري في فعل (وجه): وجه إذا صار وجهها ذا جاه وقدر. وقال الجوهري أيضاً في فعل (جوه): الجاه القدر والمنزلة وفلان ذو جاه وقد أوجهته ووجهته أنا أى جعلته وجهياً (١). وقال ابن فارس: فلان وجهه ذو جاه (٢).

إذا عرف ذلك فمعنى (تجوه) توجه بجاهه وهو منزلته وقدره عند الله تعالى إليه.

وأما الإستغاثه: فهي طلب الغوث. وتارة يطلب الغوث من خالقه وهو الله تعالى وحده كقوله تعالى: إِذِ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ.

وتارة يطلب ممن يصح اسناده إليه على سبيل الكسب، ومن هذا النوع الإستغاثه بالنبي (ص) في هذين القسمين.

وتعدى الفعل تارة بنفسه، كقوله تعالى: إِذِ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ. فاستغاثه الذى من شيعته. وتارة بحرف الجر، كما في كلام النحاه في المستغاث به، وفي كتاب سيبويه رحمه الله: فاستغاث بهم ليشتروا له كليباً.

فيصح أن يقال: استغثت النبي (ص)، وأستغيت بالنبي بمعنى واحد، وهو طلب الغوث منه بالدعاء ونحوه، على النوعين السابقين في التوسل من غير فرق، وذلك في حياته وبعد موته.

ويقول: استغثت الله، وأستغيت بالله، بمعنى طلب خلق الغوث منه، فالله تعالى مستغاث. فالغوث منه خلقاً وإيجاداً، والنبي (ص) مستغاث والغوث منه تسبباً وكسباً.

ولا فرق في هذا المعنى بين أن يستعمل الفعل متعدياً بنفسه أو لازماً أو متعدياً بالباء.

وقد تكون الإستغاثه بالنبي (ص) على وجه آخر، وهو أن يقول: استغثت الله بالنبي (ص)، كما يقول: سألت الله بالنبي (ص)، فيرجع إلى النوع الأول من أنواع التوسل، ويصح قبل وجوده وبعد وجوده.

وقد يحذف المفعول به ويقال: استغثت بالنبي (ص)، بهذا المعنى.

فصار لفظ الإستغاثه بالنبي (ص) له معنيان:

أحدهما: أن يكون مستغاثاً.

والثاني: أن يكون مستغاثاً به، والباء للإستعانة.

فقد ظهر جواز إطلاق (الإستغاثه) و (التوسل) جميعاً وهذا أمر لا يشك فيه، فإن (الإستغاثه) في اللغة طلب الغوث وهذا جائز لغة وشرعاً من كل من يقدر عليه بأى لفظ عبر عنه كما قالت أم إسماعيل: أغث ان كان عندك غوث.

- وقال في ٣١٩:

قد تضمنت الأحاديث المتقدمة أن روح النبي (ص) قد قيل في ذلك بالنسبة الى الأنبياء وسائر الموتى وقد رتبنا الكلام في هذا الباب على فصول:

الفصل الأول: فيما ورد في حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام صنف الحافظ أبو بكر البيهقي رحمه الله في ذلك جزء وروى فيه أحاديث منها: (الأنبياء صلوات الله عليهم أحياء في قبورهم يصلون).

ورواه ابن عدى في (الكامل) أنا غير واحد أذناً عن ابن المقير عن ابن الشهرزورى أنا اسماعيل بن مسعدة أنا حمزة بن يوسف أنا أحمد بن عدى الحافظ قال: ثنا قسطنطين بن عبدالله الرومى مولى المعتمد على الله أمير المؤمنين ثنا الحسين بن عرفه حدثنى الحسن بن قتيبة

المدائني ثنا المتسلم بن سعيد الثقفي عن الحجاج الأسود عن ثابت البناني عن أنس قال: قال رسول الله (ص): (الأنبياء صلوات الله عليهم أحياء في قبورهم يصلون).

قال ابن عدى: وللحسن بن قتيبة هذا أحاديث غرائب حسان فأرجو أنه لا بأس به.

ومما يدل على ذلك ما ساق اسناده الى أوس بن أوس قال: قال رسول الله (ص): (أفضل أيامكم يوم الجمعة وفيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا عليّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة).

قالوا: وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ - يقولون: بليت - فقال: إن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء أخرج أبو داود.

قال البيهقي: وله شواهد منها:

ما أنا أبو عبدالله أنا ابن اسحاق الفقيه أنا الآبار ثنا أحمد بن عبدالرحمان ثنا الوليد ثنا أبو رافع عن سعيد المقبري عن أبي مسعود الأنصاري عن النبي (ص) أنه قال: (أكثروا الصلاة على في يوم الجمعة فانه ليس يصلى على أحد يوم الجمعة إلا عرضت على صلاته).

وحدیث: (ما من أحد يسلم على إلا رد الله على روحى حتى أرد).

قال البيهقي وانما أراد - والله أعلم - إلا وقد رد الله على روحى حتى أرد عليه.

وقد ثبت في الصحيح في حديث الإسراء: أنه (ص) وجد آدم في السماء الدنيا وقال فيه: (إذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى فقال: مرحبا بالنبي الصالح والإبن الصالح)

ومن الأحاديث الصحيحة المتفق عليها نداؤه (ص) أهل البئر وقوله: (ما أنتم بأسمع لما أقول منهم).

وأما الإدراك: فيدل له مع ذلك الأحاديث الواردة في عذاب القبر وهي أحاديث صحيحة متفق عليها رواها البخاري ومسلم وغيرهما وأجمع عليها وعلى مدلولها أهل السنة والأحاديث في ذلك متواترة.

ومن أحسنها ما رواه أبو داود الطيالسي أنا أبو العباس أحمد بن محمد الدشتي بقراءتي عليه بالشام في سنة سبع وسبعمائه قال: أنا الحافظ ابن خليل أنا اللبان أنا الحداد أنا أبو نعيم أنا ابن فارس ثنا يونس بن حبيب ثنا أبو داود الطيالسي ثنا الأسود بن شيبان عن بحر

بن مرار (١) عن أبي بكره قال: بينما أنا أمشي مع رسول الله (ص) ومعى رجل ورسول الله (ص) في مشى بيننا إذ أتى على قبرين فقال رسول الله (ص): (إن صاحبي هذين القبرين ليعذبان الآن في قبورهما فأيكما يأتيني من هذا النخل بعسيب؟).

فاستبقت أنا وصاحبي فسبقته وكسرت من النخل عسيباً فأتيت به النبي (ص) فشقه نصفين من أعلاه فوضع على أحدهما نصفاً وعلى الآخر نصفاً وقال: (إنه يهون عليهما ما دام فيهما من بلوتهما شئ إنهما يعذبان في الغيبة والبول... وفي هذه الرواية النص على أن

العذاب الآن وأنه في القبور.

وقد أجمع أهل السنة على إثبات الحياة في القبور قال إمام الحرمين في الشامل: إتفق سلف الأمة على إثبات عذاب القبر وإحياء الموتى في قبورهم ورد الأرواح في أجسادهم.

وقال الفقيه أبو بكر بن العربي في (الأمم الأقصى في تفسير أسماء الله الحسنى):

إن أحياء المكلفين في القبر وسؤالهم جميعاً لا خلاف فيه بين أهل السنة.

وقال سيف الدين الآمدي في كتاب أبكار الأفكار:

اتفق سلف الأمة قبل ظهور المخالف وأكثرهم بعد ظهوره على إثبات إحياء الموتى في قبورهم ومسألة الملكين لهم، وإثبات عذاب القبر للمجرمين والكافرين...

وقال القرطبي: إن الإيمان به مذهب أهل السنة والذي عليه الجماعة من أهل الملّة ولم يفهم الصحابة الذين نزل القرآن بلسانهم ولغتهم من نبيهم عليه السلام غير ذلك وكذلك التابعون بعدهم وذوهم بعض المعتزلة إلى موافقة أهل السنة على ذلك.

وذهب صالح قبه والصالحى وابن جرير إلى أن الثواب والعقاب ينال الميت من غير حياة وهذا مكابرة للعقول... وقد تلخص من هذا: أن الروح تعاد إلى الجسد ويحيا وقت المسألة وأنه ينعم أو يعذب من ذلك الوقت إلى يوم البعث إما متقطعاً أو مستمراً على ما سبق.

وهل ذلك من بعد وقت المسألة إلى البعث للروح فقط أو لها مع الجسم؟
يترتبان على أن الجسم هل يفنى أو يتفرق وكلا- الأمرين جائز عقلاً- وفي الواقع منه قولان للمتكلمين ولم يرد في الشرع ما يمكن التمسك به في ذلك إلا قوله (ص): (كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب).
فحيث يكون الجسم أو بعضه باقياً فلا امتناع من قيام الحياة به وحيث يعدم بالكلية يتعين القول بالروح فقط...
وبالجملة: كل أحد يعامل بعد موته كما كان يعامل في حياته ولهذا يجب الأدب مع النبي (ص) بعد موته كما كان في حياته.
وقد روى عن أبي بكر الصديق (رض) قال: لا ينبغي رفع الصوت على نبي حيا ولا ميتاً.
وروى عن عائشة رضی الله عنها: أنها كانت تسمع صوت الوتد يوتد والمسمار يضرب في بعض الدور المطيفة بمسجد رسول الله (ص) فترسل إليهم: لا تؤذوا رسول الله (ص)...
وعن عروة قال: وقع رجل في علي عند عمر بن الخطاب فقال له عمر بن الخطاب: قبحك الله لقد آذيت رسول الله (ص) في قبره.

كتاب رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة

للشيخ محمود سعيد ممدوح - طبعه دار الإمام النووي - الأردن ١٤١٦
قال في ٥/:

وبعد.. فإن مسألتى التوسل والزيارة من المسائل التي شغلت الناس كثيراً، وصنفت فيهما - خاصة مسألة التوسل - مصنفات متعددة، وحصل أخذ ورد وجدل، وتزيد! وتاجر بهما سماسرة الإختلاف بين المسلمين!
ومما زاد الطين بله أن سبكهما المتشددون في مسائل الاعتقاد...!!
وقد حصل بسببهما الخوض في أعراض كثير من أئمة الدين، وتناول في أعراض جماهير المسلمين. ومن أحاط علماً بما ذكرت علم كم سحب ذلك من النهي الشديد والتخويف والتهديد، وقد تلاحقت أقلام في ذلك كان من آخرها رسالة باسم (الأخطاء الأساسية في توحيد الألوهية الواقعة في فتح الباري) شنع فيها صاحبها على الحافظ ابن حجر لتجويزه التوسل، وقوله بإستحباب الزيارة! وهذا غاية في الغلو والتعصب والجهل! فيا للعار والشار: قاضى قضاء المسلمين وشيخ المحدثين وامامهم، ومفخرة المسلمين، أحمد بن حجر العسقلاني (رض) تصنف - بدون حياء - رسالة تحوى هذا المعنى الذي لا يدل إلا على مبلغ إنحراف مصنفها المسكين...
والغرض من هذا المصنف بعد بيان الحق في الأحاديث، هو أن الخلاف في مسألة التوسل هو خلاف في الفروع، ومثله لا يصح أن يشنع أخ به على أخيه أو يعيبه به، وأن من قال به - وهو التوسل بالأنبياء والأولياء - متمسك بأدلة ثابتة ثبوت الجبال الرواسى وردّها لا يجئ إلا من متعنت أو مكابر.

وأما المقصود في مسألة الزيارة فهو اثبات اطباق فقهاء الأمة على أستحباب أو وجوب زيارة المصطفى صلى الله عليه وآله، بشد رحل أو بدون، وأن من قال بتحريم الزيارة المستوجبة لشد الرحل قد ابتدع وخالف النصوص الصريحة، واطباق فقهاء مذهبه، فضلاً عن المذاهب الأخرى.

فأولى بأولى النهى ترك الشاذ من القول، والتسليم بالمعروف المشهور الذي أطبقت الأمة على العمل به، والله المستعان.
أما من تعود أن يقول: عنزة ولو طارت، أو يا داخل مصر مثلك كثير، فهو مكابر أو متعنت، فلا كلام لنا معه، فقد خالف صريح الدليل وخالف أعيان الأئمة وسرج الأمة...
والله المستعان.

- وقال في ١٣/:

وكون الوسيلة هي القربة لا خلاف بين المفسرين في ذلك، كما صرح به ابن كثير في تفسيره (٣/٩٧) وقال (الوسيلة هي ما يتوصل بها إلى تحصيل المطلوب). اهـ.

فقول بعضهم: إن التوسل هو اتخاذ واسطة بين العبد وربّه، خطأ محض! فالتوسل ليس من هذا الباب قطعاً، فالتوسل لم يدع إلا الله وحده، فالله وحده هو المعطى والمنافع والضار، ولكنه اتخذ قربة رجاء قبول دعائه، والقربة في الدعاء مشروعاً بالإتفاق.

وترد الوسيلة بمعنى المنزلة كما في الحديث الصحيح المشهور: سلوا الله لي الوسيلة.. الحديث...

والتوسل على نوعين: أحدهما ما اتفق عليه. وترك الخوض فيه صواب، لأنه تكرار وتحصيل حاصل.

ثانيهما: ما اختلف فيه، وهو السؤال بالنبى أو بالولى أو بالحق أو بالجاه أو بالحرمة أو بالذات، وما في معنى ذلك.

وهذا النوع لم ير المتبصر في أقوال السلف من قال بحرمته، أو أنه بدعة ضلالة أو شدد فيه وجعله من موضوعات العقائد، كما نرى الآن.

لم يقع هذا إلا في القرن السابع وما بعده!

وقد نقل عن السلف توسل من هذا القبيل...

- وقال في ١٥/:

وقد أكثر ابن تيمية من بحث النوع الثاني من التوسل في مصنفاته قائلاً بمنعه، وقلده وردد صدى كلامه آخرون. ويحسن ذكر كلام ابن تيمية مع بيان ما فيه، واقتضارى على كلامه فقط هو الأولى، لأن من تشبث بكلامه لا يزيد عن كونه متشبعاً من موائده، دائراً في فلكه، والله المستعان:

كان ابن تيمية يرى منع التوسل بالأنبياء والملائكة والصالحين، وقال: التوسل حقيقته هو التوسل بالدعاء - دعاء الحى فقط - وذكر ذلك في مواضع من كتابه (التوسل والوسيلة) (١٦٩/).

وقال ابن تيمية (٦٥/) وهو الإعتراض الأول:

السؤال به (أى بالمخلوق) فهذا يجوز طائفة من الناس، لكن ما روى عن النبى (ص) فى ذلك كله ضعيف بل موضوع، وليس عنه حديث ثابت قد يظن أن لهم فيه حجة، إلا حديث الأعمى ولا حجة لهم، فانه صريح فى أنه انما توسل بدعاء النبى (ص) وشفاعته، وهو طلب من النبى (ص) الدعاء، وقد أمره النبى أن يقول: اللهم شفعة فى، ولهذا رد الله عليه بصره لما دعا له النبى، وكان ذلك مما يعد من آيات النبى (ص)، ولو توسل غيره من العميان الذين لم يدع لهم النبى (ص) بالسؤال به لم تكن حالهم كحاله. اهـ.

قلت: قوله كله ضعيف بل موضوع وليس عنه حديث ثابت قد يظن أن لهم فيه حجة إلا.. سيأتى ان شاء الله تعالى الرد على هذا الكلام فى تخريج الأحاديث، ففيها الصحيح والحسن والضعيف عند أئمة هذا الشأن، ووفق قواعد الفن.

أما قوله: إلا- حديث الأعمى لا حجة لهم فيه، فانه صريح فى أنه انما توسل بدعاء النبى (ص) وشفاعته... وكلامه فيه نظر ظاهر، لأن الناظر فى حديث توسل الأعمى يجد فيه الآتى:

١ - جاء الأعمى للنبى (ص) فقال له: ادع الله أن يعافينى، فالأعمى طلب الدعاء.

٢ - فأجابه النبى (ص) قائلاً: إن شئت أخرت ذلك وهو خير، وإن شئت دعوت. فخير رسول الله (ص) وبين له أن الصبر أفضل.

٣ - ولكن لشدة حاجة الأعمى، التمس الدعاء من النبى (ص).

٤ - عند ذلك أمره النبى (ص) أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويصلى ركعتين.

٥ - وزاد على ذلك هذا الدعاء: اللهم إنى أسالك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة. يا محمد إنى توجهت بك إلى ربى فى حاجتى فتقضى لى.

فدعا النبي (ص) بهذا الدعاء، كما طلب الأعمى في أول الحديث، ودعا الأعمى بهذا الدعاء كما علمه النبي (ص).

٦ - فعلمه النبي (ص) دعاء هو توسل به، وهو نص في التوسل به (ص)، لا يحتمل أى تاويل، وكيف يحتمل غير التوسل به وفيه (أتوجه إليك بنيك.. إني توجهت بك. ومن رأى غير ذلك فقد استعجم عليه الحديث. وابتهج الألباني في توسله بكلام ابن تيمية فردده قائلاً (٧٢/): وعلى هذا الحادثه كلها تدور حول الدعاء - كما هو ظاهر - وليس فيها ذكر شئ مما يزعمون. اهـ.

قلت: هذه مصادرة للنص وتعمية على القارئ!

كيف لا يكون كذلك والنبي (ص) علم الرجل دعاء فيه السؤال بالنبي (ص).

نعم، الحادثه تدور حول الدعاء، ولكن السؤال هنا ما هو الدعاء الذى دعا به النبي (ص)؟ وما هو الدعاء الذى علمه للرجل الأعمى؟ لا- يستطيع أى منصف إلا- الإجابة بأن هذا الدعاء هو الذى فيه نص بالتوسل به (ص)، فالأعمى جاء يطلب مطلق الدعاء برد بصره، وعلمه (ص) وأمره بالتوسل به ليتحقق المطلوب.

٧ - ثم قال (ص): اللهم شفعه فى وشفعنى فى نفسى، أى تقبل شفاعته أى دعاءه فى وتقبل دعائى فى نفسى.

وهنا سؤال: أى دعاء هنا الذى يطلب قبوله؟ لا شك أن الإجابة عليه ترد بداهة فى ذهن أى شخص، إنه الدعاء المذكور فيه التوسل به (ص)، وهذا لا يحتاج لأعمال فكر أو اطالة نظر وتأمل، وهو واضح وضوح الشمس فى رابعة النهار. ويمكن أن يقال: إن سؤال قبول الشفاعة هو توسل بدعائه (ص)، مع التوسل بذاته وهذا منتهى ما يفهم من النص، والله أعلم.

٨ - فسبب رد بصر الأعمى هو توسله بالنبي (ص)، وهذا ما فهمه الأئمة الحفاظ الذين أخرجوا الحديث فى مصنفاتهم، فذكروا الحديث على أنه من الأدعية التى تقال عند الحاجات. فقال البيهقى فى دلائل النبوة (٦/١٦٦) باب: ما جاء فى تعليمه الضرير ما كان فيه شفاؤه حين لم يصبر، وما ظهر فى ذلك من آثار النبوة. اهـ.

ولا يخفى أن تعليمه للضرير هو الدعاء الذى فيه التوسل بالذوات، وعبارة البيهقى واضحة جدا. والبيهقى حافظ فقيه.

وهكذا ذكره النسائي، وابن السنى فى عمل اليوم والليلة، والترمذى فى الدعوات والطبرانى فى الدعاء، والحاكم فى المستدرک، والمنذرى فى الترغيب والترهيب، والهيثمى فى مجمع الزوائد فى صلاة الحاجة ودعائها، والنووى فى الأذكار على أنه من الأذكار التى تقال عند عروض الحاجات، وابن الجزرى فى العدة فى باب صلاة الضر والحاجة (١٦١).

وقال القاضى الشوكانى فى تحفة الذاكرين (١٦٢/): وفى هذا الحديث دليل على جواز التوسل برسول الله (ص) الى الله عز وجل، مع اعتقاد أن الفاعل هو الله سبحانه وتعالى، وأنه المعطى المانع، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. اهـ.

واستقصاء الحفاظ الذين فهموا أن الحديث على عمومته، وإستعمال الدعاء الوارد فيه الذى فيه التوسل به (ص)، يطول.

٩ - إن عثمان بن حنيف (رض) وهو راوى الحديث فهم من الحديث العموم، فقد وجه رجلا يريد أن يدخل على عثمان بن عفان (رض) إلى التوجه بالدعاء المذكور فى الحديث الذى فيه التوسل بالنبي (ص)، إسناده صحيح سيأتى إن شاء الله تعالى. وفهم الصحابى الجليل عثمان بن حنيف (رض)، هو ما لا يستقيم فهم الحديث إلا به.

١٠ - إن رواية ابن أبى خيثمة للحديث من طريق حماد بن سلمة الحافظ الثقة فيها (فإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك) وهى زيادة ثقة حافظ، فهى صحيحة مقبولة، كما هو معلوم ومقرر فى علوم الحديث. وهذه الرواية تدل على العموم وطلب العمل بالحديث فى الحياة وبعد الممات، إلى قيام الساعة.

ثم قال ابن تيمية: ولو توسل غيره من العميان الذين لم يدع لهم النبي فى بالسؤال به لم تكن حالهم كحاله. اهـ.

وقال ابن تيمية فى موضع آخر: وكذلك لو كان أعمى توسل به (ص) ولم يدع له الرسول (ص) بمنزلة ذلك الأعمى، لكان عميان الصحابة أو بعضهم يفعلون مثل ما فعل الأعمى، فعدولهم عن هذا إلى هذا دليل على أن المشروع ما سأله دون ما تركوه. اهـ.

قلت: الجواب عليه سهل ميسور، وكنت أود أن لا أرد هذا الإيراد، لكنني رأيت جماعة أخذوا هذا الإيراد ونسبوه لأنفسهم، وكان الصواب ألا يذكر لفساده، أو يذكر مع نسبه لقائله!

ومن الذين نسبوه لأنفسهم الألباني فإنه قال في توسله (٧٦/):

لو كان السر في شفاء الأعمى أنه توسل بجاه النبي (ص) وقدره وحقه كما يفهم عامة المتأخرين، لكان المفروض أن يحصل هذا الشفاء لغيره من العميان الذين يتوسلون بجاهه (ص)، بل ويضمون إليه أحياناً جاه جميع الأنبياء المرسلين، وكل الأولياء والشهداء والصالحين، وجاه كل من له جاه عند الله من الملائكة والإنس والجن أجمعين.

ولم نعلم ولا نظن أحداً قد علم حصول مثل هذا خلال هذه القرون الطويلة بعد وفاته (ص) إلى اليوم. اهـ

وذكر نحو هذا الإيراد صاحب (التوصل إلى حقيقة التوسل) (٢٤٣/)، وكذا المتعالم صاحب (هذه مفاهيمنا) (٣٧/).

والجواب على هذا الإيراد بالآتي:

١ - إجابة الدعاء ليست من شروط صحة الدعاء، وقد قال الله تعالى (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) ونحن نرى بعض المسلمين يدعون فلا يستجاب لهم، وهذا الإيراد يأتي على الدعاء كله، فانظر إلى هذا الإيراد أين ذهب بصاحبه؟

٢ - هذا الإيراد يرد عليه احتمال أقوى منه وحاصله: أن عدم توسل عيمان الصحابة وغيرهم احتمال فقط لا يؤيده دليل، وهم إما توسلوا فاستجيب لهم، أو تركوا رغبة في الآجر، أو توسلوا وادخر ذلك أجراً لهم، أو تعجلوا فما استجيب لهم.

وقد صح أن رسول الله (ص) قال (يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: قد دعوت فلم يستجب لي) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

وكم من داع متوسلاً لله بأسمائه وصفاته ولم يستجب له، ويلزم هؤلاء إشكال وهو أننا نرى من يدعو ويتوسل بأسماء الله وصفاته أو بعمله الصالح أو بدعاء رجل صالح ولم تر إجابة الدعاء.

هذا من تمام الحجة عليهم ونقض إيرادهم! فلا تلازم بين الدعاء والإجابة. والله أعلم بالصواب.

على أن قول الألباني: لا نعلم ولا نظن أحداً.. إلخ. تهافت وشهادة على نفي لا ينخدع بها إلا مسلوب العقل.

تذنيب مفيد لكل لبيب:

بعد أن تبين لك دلالة الحديث الواضحة على التوسل بالنبي (ص)، وأن المخالف متسنم بيتا من بيوت العنكبوت.. تجد أن من هؤلاء المخالفين من لم يستطع تحت قوة الدليل إلا الاعتراف بجواز هذا التوسل، وأنه لا غبار عليه فشكك في شبهاته وأسقط كلامه!!

إنه الألباني الذي قال في توسله (٧٧/):

على أنني أقول: لو صح أن الأعمى انما توسل بذاته (ص) فيكون حكماً خاصاً به (ص)، لا يشاركه فيه غيره من الأنبياء والصالحين، وإلحاقهم به مما لا يقبله النظر الصحيح، لأنه (ص) سيدهم وأفضلهم جميعاً، فيمكن أن يكون هذا مما خصه الله به عليهم، ككثير مما يصح به الخير، وباب الخصوصيات لا تدخل فيه القياسات، فمن رأى أن توسل الأعمى كان بذاته (ص) فعلياً أن يقف عنده ولا يزيد عليه، كما نقل عن الإمام أحمد والشيخ العز بن عبد السلام رحمهما الله تعالى. هذا هو الذي يقتضيه البحث العلمي مع الإنصاف والله الموفق للصواب). اهـ

فقل لي بربك لماذا كان كل هذا المرء من أساسه، وترك الدليل إلى التقليد؟

بيد أن عبارته فيها هنات لا تخفى، فقصره بالتوسل بالنبي (ص) فقط لا دليل عليه، وهو تخصيص بدون مخصص، فالخصوصية لا تثبت إلا بدليل.

وإذا كان الإمام أحمد رحمه الله يجوز التوسل بالنبي (ص)، فلم ينقل عنه المنع من التوسل بغيره، ومن نقل عنه ذلك يكون قد افتأت عليه، والحنابلة وهم أعرف بامامهم لم يذهبوا إلى القصر الذي ادعاه الألباني! فيقول ابن مفلح الحنبلي في الفروع (١/٥٩٥): (ويجوز التوسل بصالح وقيل يستحب قال أحمد في منسكه الذي كتبه للمروزي انه يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسله في دعائه، وجزم به في

المستوعب وغيره). اه.

وقال في ٣١:

وقال عمر بن حمزة: حدثنا سالم عن أبيه: ربما ذكرت قول الشاعر وأنا انظر إلى وجه النبي (ص) يستسقى، فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب: وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل وهو قول أبي طالب والشاهد فيه قوله: (يستسقى الغمام بوجهه) فتمثل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بقول أبي طالب، وتذكره له مع النظر للنبي (ص)، يدل على توسله بالنبي (ص) في الاستسقاء، وهو نص لا يحتمل غيره.

وقد أجاب الشيخ بشير السهسواني على هذا النص الصريح اجابة مندفة فقال (٣٧٣/): فإن قلت: لفظ (يستسقى الغمام بوجهه) يدل على أن التوسل بالذوات الفاضلة جائز؟

قلت: المكروه من التوسل هو أن يقال أسألك بحق فلان أو بحرمة فلان، وأما احضار الصالحين في مقام الاستسقاء، أو طلب الدعاء منهم فهو ليس من المكروه في شيء، بل هو ثابت بالسنة الصحيحة. اه.

وقال في موضع آخر (٢٧٤/): وإذا كان حضور الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والضعفاء سببا للنصر والفتح، فما ظنك بحضور سيد ولد آدم (ص)؟ اه.

ثم قال في (٢٧٥/): فالمراد بوجهه في قول أبي طالب: (يستسقى بوجهه) بركة حضور ذاته أو بدعائه. اه.

قلت وبالله التوفيق: صرف السهسواني هذا التوسل إلى التبرك بالذات أو الدعاء فيه نظر، أما الدعاء فظاهر أن كون المراد يستسقى بوجهه بركة حضوره فيمكن أن يكون كذلك ان كان التبرك والتوسل عنده مترادفان وهو الصواب، وهو ما صرح به البدر العيني فقال في عمدة القاري (٧/٣٠):

معنى قول أبي طالب هذا في الحقيقة توسل إلى الله عز وجل بنبيه، لأنه حضر استسقاء عبد المطلب والنبي (ص) معه، فيكون استسقاء الناس الغمام في ذلك الوقت بركة وجهه الكريم. اه.

وإن لم يكن، فلفظة (يستسقى الغمام بوجهه) هو عين التوسل، ولا بد من حمل النص على ظاهره، ولا يصرف إلا بدليل ولا صارف هنا. والله أعلم.

وللعلامة محمد بن علي الشوكاني كلمة في جواز التوسل بالأنبياء وغيرهم من الصالحين رد فيها على من منعه وفند ايراداته، فقال رحمه الله في كتابه (الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد) ما نصه:

أما التوسل إلى الله سبحانه وتعالى بأحد من خلقه في مطلب يطلبه العبد من ربه، فقد قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام انه لا يجوز التوسل إلى الله تعالى إلا بالنبي (ص) ان صح الحديث فيه.

ولعله يشير إلى الحديث الذي أخرجه النسائي في سننه، والترمذي وصححه، وابن ماجه، وغيرهم، أن أعمى أتى النبي...

وعندي أنه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبي (ص) كما زعمه الشيخ عز الدين بن عبد السلام لأمرين: الأول، ما عرفناك به من إجماع الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

والثاني، ان التوسل إلى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة، إذ لا يكون فاضلاً إلا بأعماله، فاذا قال القائل: اللهم إني أتوسل اليك بالعالم الفلاني فهو بإعتبار ما قام به من العلم. وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن النبي (ص) حكى عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة أن كل واحد منهم توسل...

فلو كان التوسل بالأعمال الفاضلة غير جائز، أو كان شركا كما زعمه المتشددون في هذا الباب كابن عبد السلام ومن قال بقوله من أتباعه، لم تحصل الإجابة لهم ولا سكت النبي (ص) عن إنكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم!

وبهذا تعلم أن ما يورده المانعون من التوسل بالأنبياء والصلحاء من نحو قوله تعالى (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) ونحو قوله

تعالى (فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا)، ونحو قوله تعالى (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ) ليس بوارد، بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو أجنبي عنه... وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله (ص) لما نزل قوله تعالى (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) يا فلان ابن فلان لا أملك لك من الله شيئاً، يا فلانة بنت فلان لا أملك لك من الله شيئاً، فإن هذا ليس فيها إلا التصريح بأنه (ص) لا يستطيع نفع من أراد الله ضرره ولا ضرر من أراد الله تعالى نفعه، وأنه لا يملك لأحد من قرابته فضلاً عن غيرهم شيئاً من الله. وهذا معلوم لكل مسلم، وليس فيه أنه لا يتوسل به إلى الله، فإن ذلك هو طلب الأمر ممن له الأمر والنهي، وإنما أراد الطالب أن يقدم بين يدي طلبه ما يكون سبباً للإجابة ممن هو المنفرد بالعطاء والمنع، وهو مالك يوم الدين. انتهى كلام الشوكاني رحمه الله.

- وقال الآلوسي: أنا لا أرى بأساً في التوسل إلى الله تعالى بجاه النبي (ص) عند الله تعالى حياً وميتاً، ويراد بالجاه معنى يرجع إلى صفة من صفاته تعالى مثل أن يراد به المحبة التامة المستدعية عدم رده وقبول شفاعته فيكون معنى قول القائل: إلهي أتوسل اليك بجاه نبيك صلى الله تعالى عليه وسلم أن تقضى لي حاجتي، الهى اجعل محبتك له وسيلة في قضاء حاجتي.

ولا فرق بين هذا وقولك: إلهي أتوسل اليك برحمتك أن تفعل كذا، إذ معناه أيضاً الهى اجعل رحمتك وسيلة في فعل كذا. انتهى من جلاء العينين (٥٧٢/).

وقال في ٣٧:

التوسل ليس من مباحث الاعتقاد:

التوسل من موضوعات الفروع، لأن حقيقته اتخاذ وسيلة، أى قربته إلى الله تعالى. قال الله عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ).

والتوسل على أنواع، وأمره يدور بين الجواز والندب والحرمة، وما كان أمره كذلك فهو من الأحكام الشرعية التي موضوعها علم الفقه. واقحام موضوعات الفقه في التوحيد والعقائد خطأ يجب مجانبته، حتى ينزل كل بحث منزلته.

وهذا الإمام أبو حنيفة يقول: ويكره أن يقول الرجل في دعائه: أسألك بمعقد العز من عرشك. اهـ (الجامع الصغير للإمام محمد/٣٩٥ مع النافع الكبير) فعبّر الإمام أبو حنيفة رحمه الله بقوله (يكره) فدار الأمر بين الكراهة التنزيهية أو التحريمية، كما قرره أصحابه في كتاب (الكراهية) أو الحظر والإباحة من مصنفاتهم الفقهية.

والسادة الفقهاء يذكرون التوسل في باب الإستسقاء، وعند زيارة قبر النبي (ص).

أما سلك بحث التوسل في العقائد وجعله وسيلة من وسائل الشرك، فبدعة قد حلت بالمسلمين ومسلك قد زرع العداوة بينهم، ونفخ في بوق الخلاف بين الأخ وأخيه والأب وابنه.

ومن قلب النظر في عشرات الكتب والرسائل التي يصنفها بعض المعاصرين التي تتحدث عن (منهج أهل السنة والجماعة) و (أصول أهل السنة) و (عقيدة الفرق الناجية) أو (العقيدة الصحيحة) و (مجمل أصول أهل السنة والجماعة). وخصائص... و مميزات... لرأى الهول والجهل معا ووقف على أنواع من التشدد كادت أن تأتي على الأخضر واليابس.

وينبغي على العقلاء كشف أضرار وأخطار هؤلاء الجهلة، ومن على شاكلتهم من المتاجرين بالخلاف بين المسلمين.

وإن المرء لا يعجب ممن يأخذ بأحد الرأيين، ولكنه لا ينقضى عجبه ممن يتبع أحد هذين الرأيين، ثم يجعل ما اتبعه هو الحق الذي يجب المصير إليه ويجعل من اختيار الآخرين للرأى الآخر برهان كونهم مبتدعة يجب مفارقتهم ويجب... ويجب... فقل لي بربك أى عالم من علماء الأمة يقر هذا المسلك المتخلف العجيب!

ولطالما اتهم كثير من عباد الله الصالحين بالإبتداع وغيره، وعند المحققة تجد الحق معهم والجهل مع غيرهم، فإلى الله المشتكى مما إليه أمر المسلمين.

وقال في ٤١:

ولا بأس أن ألفت نظر القارئ الكريم لنوع من رسائل التهويل والتضليل والتعدى على المسلمين، وما أكثرها.

من هذه الرسائل رسالة باسم (وقفات مع كتاب للدعاء فقط) يعيب المؤلف فيها على صاحب كتاب (للدعاء فقط) مسائل منها قول الإمام حسن البنا رحمه الله: (والدعاء إذا قرن بالتوسل إلى الله تعالى بأحد من خلقه خلاف فرعى في كيفية الدعاء، وليس من مسائل العقيدة). اهـ (٢٥/).

وهذا حق لا مريء فيه، ومنكره منكر للمحسوس ومكابر في الضروريات، ولأن صاحب الرسالة المذكورة وقف على بعض الرسائل التي ترشح بالتهويل والتضليل وتعميق الخلاف بين المسلمين، جرى المسكين في فلك هذه الرسائل فأبرق لمن يفتيه وفق مراده، فأفاده بعضهم بقوله المضحك المبكى (هو صالح الفوزان):

التوسل في الدعاء بذوات الصالحين أو حقهم أو جاههم يعتبر أمراً مبتدعاً ووسيلة من وسائل الشرك، والخلاف فيه يعتبر خلافاً في مسائل العقيدة لا في مسائل الفروع، لأن الدعاء فيه أعظم أنواع العبادة، ولا يجوز فيه إلا ما ورد في الكتاب والسنة... الخ (٣١/ - ٣٢/).

قلت: لا يخفى أن الأحاديث والآثار الصحيحة والحسنة ترد قوله، ولو استحضر هذا المجيب حديثاً واحداً منها، وليكن حديث توسل الأعمى بالنبي (ص) واستعمال عثمان بن حنيف له، وزيادة حماد بن سلمة الصحيحة، وكان مع استحضاره منصفاً وترك تقليد غيره، لأعرض عما تفوه به، فإن أبي ترك التقليد فأولى به تقليد إمامه في توسله بالنبي (ص)، وجماعه من السلف، كما نقله ابن تيمية في التوسل والوسيلة/٦٥، ٩٨!

فإذا كان أحمد وجماعه من السلف لا يعرفون الشرك ووسائله، وعرفه هذا المستدرک عليهم، فليكن ماعرفه هو سب السلف وأئمة الدين ورميهم بالعظائم لا غير.

نعم الدعاء من أعظم أنواع العبادة، كلمه حق أريد بها باطل، لكن المتوسل لا يدعو إلا الله جل وعز، ولكنه اتبعا لقول بقول الله تعالى (وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) توسل في دعائه. وهذه الوسيلة مختلف في بعض أنواعها منها ما يجوز، ومنها ما لا يجوز.

فالأمر فيه خلاف وهو ضعيف، ومحل هذا الخلاف موضوع علم الفقه، أما علم العقيدة أو التوحيد فيتكلم في الإلهيات والنبويات والسمعيات، فلا معنى لإدخال بحث التوسل في العقيدة، وبون كبير بين العالمين!

وقال في ٤٧/:

وإذا كان صاحب رسالة (وقفات مع كتاب للدعاء فقط) قد اعتمد على غيره، فإن أبا بكر الجزائري قد اعتمد على نفسه، فزاد الطين بلة، وكفر قسطاً وافرأ من المسلمين فقال ما نصه:

إن دعاء الصالحين والإستغاثه بهم والتوسل بجاههم لم يكن في دين الله تعالى قرينة ولا عملاً صالحاً فيتوسل به أبداً، وإنما كان شركاً في عبادة الله محرماً يخرج فاعله من الدين ويوجب له الخلود في جهنم. انتهى بحروفه من كتابه (عقيدة المؤمن) (١٤٤/).

والصحيح أن المؤمن لا يعتقد ذلك في اخوانه المؤمنين الذين يعتقدون ألا- مؤثر إلا الله عز وجل، وغاية عملهم أنهم علموا منزلة النبي (ص) عند ربه فتوسلوا به واتبعوا الأدلة الصحيحة، وقد تأسوا في ذلك بالصحابه رضوان الله عليهم.

وقد أخطأ أبو بكر الجزائري فكفر عباد الله الصالحين، وهذا التكفير الجراف لا ارتباط له بكتاب أو سنه، ولا بما عليه السواد الأعظم، ولم يقل ذو عقل ودين بمقولته الفاسدة إلا من كان على رأى الخوارج!! نسأل الله العافية.

وللأسف قد طبع كتابه مرات، وليتأمل القارئ المنصف كم من المسلمين فتنوا بهذا الباطل! والله المستعان.

وقال في ٤٨/:

وإذا كان أبو بكر الجزائري قد تفوه بالتكفير، فهناك آخر هو محمد صالح العثيمين الذي أصر على اعتبار التوسل من مباحث الإعتقاد واستدل على مقولته بما لم يصرح به مسلم فقال:

وبالنسبة للتوسل فهو داخل في العقيدة لأن المتوسل يعتقد أن لهذه الوسيلة تأثيراً في حصول مطلوبه ودفع مكروهه، فهو في الحقيقة

من مسائل العقيدة، لأن الإنسان لا يتوسل بشيء إلا وهو يعتقد أن له تأثيراً فيما يريد. اه
من فتاوى ابن عثيمين (٣/١٠٠) كما نقله عنه جامع (فتاوى مهمه لعموم الأمة).

قلت: أثبت العرش ثم انقش، فمن الذى أطلعك على ما فى صدور المتوسلين حتى تصرح بهذه المقولة الشيعية.

إن ما قاله مناف للإعتقاد تماماً، فكل مسلم يعتقد اعتقاداً جازماً أن الله جل وعز هو النافع وهو الضار، وأن المؤثر الحقيقى هو الله، وأنه وحده مسبب لأسباب، فلا فاعل إلا الله، ولا خالق سواه، وإليه يرجع الأمر كله.

وغايته ما فى المتوسل أن يقول: اللهم إني أسالك أو أتوسل اليك بنبيك (ص) مثلاً.

فالتوسل سأل الله تعالى ولم يسأل سواه، ولم ينسب إلى المتوسل به تأثيراً أو فعلاً أو خلقاً، وإنما أثبت له القربة والمنزلة عند الله تعالى، وتلك المنزلة ثابتة له فى الدنيا والآخرة، وإليه نذهب يوم القيامة طلباً للشفاعة.

ومن اعتقد أن إخوانه المسلمين يعتقدون أن المتوسل به له تأثير، فيكون قد كفرهم، ووضع نفسه مقام العارف بما فى الصدور!

وهذه فتاوى يضحك بها هؤلاء على البسطاء ليوضحوا لهم أن المتوسلين من جلده أخرى! وكلام العثيمين ينسحب إلى التوسل كله.

والحق يقال: انه كلام لا-علاقة له بالعلم، وكم من حوادث وفتن تتبع هذه الفتاوى، وكم من جاهل كفر أبويه أو أهل خطته بسبب اغتراره بمثل هذه الفتاوى، ولو تمهل المفتى وفكر قليلاً لأدرك سخف مقولته.

والعجب أنه أطلق وما قيد، فهل للعمل الصالح المتوسل به تأثيراً بذاته. ومحال أن الصحابة اعتقدوا هذا الإعتقاد فى النبي (ص)، والعباس ويزيد عندما توسلوا بهم، ومحال أن يعتقد السلف، ومنهم الإمام أحمد الذين توسلوا بالنبي (ص) (كما صرح به ابن تيمية فى التوسل والوسيلة/٩٨) هذا الإعتقاد الفاسد.

والحنابلة يجوزون أو يستحبون التوسل بالنبي (ص) كما صرح إمامهم ابن قدامة بذلك فى المغنى، فهل يراهم يعتقدون مثل هذا الإعتقاد؟!؟

إن من الآفات المردية التسرع فى رمى العباد بالعظائم.

والحاصل أن ما قاله العثيمين لا يصلح دليلاً على ما ادعى، بل هو مما يدوم ضرره، لأن آثاره نراها دارجة تفرق بين المسلمين! نسأل الله لنا جميعاً الهداية والتوفيق، ولو حسن الظن باخوانه المسلمين لكان له موقف آخر.

كتاب (حقيقة التوسل والوسيلة فى الكتاب والسنة)

والوسيلة ما يتقرب به إلى الغير. والجمع الوسل، والوسائل، والتوسيل والتوسل واحد، يقال: وسل فلان إلى ربه وسيلة، وتوسل إليه بوسيلة، إذا اقترب إليه بعمل.

وهى أيضاً: كل ما جعله الله سبباً فى القربى عنده، ووصله إلى قضاء الحوائج منه، والمدار فيها على أن يكون للوسيلة قدر وحرمة عند المتوسل إليه.

ولفظ الوسيلة عام فى الآيتين، فهو شامل للتوسل بالذوات الفاضلة من الأنبياء والصالحين، فى الحياة وبعد الممات، وباتيان الأعمال الصالحة على الوجه المأثور به وللتوسل بها بعد وقوعها.

أخرج الطبرانى فى معجمه الكبير والأوسط بسند رجاله رجال الصحيح، وابن حبان والحاكم عن أنس أنه قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد أم على رضى الله عنهما، دخل عليها رسول الله.. الحديث، وفى آخره: أنه لما فرغ من حفر لحدها دخل رسول الله فاضطجع فيه وقال: الله الذى يحيى ويميت، وهو حى لا يموت، اغفر لأمى فاطمة بنت أسد، ولقنها حجتها، ووسع عليها مدخلها، بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى فانك أرحم الراحمين.

ففى هذا الحديث الثابت، توسله عليه الصلاة والسلام إلى ربه بذاته، التى هى أرفع الذوات قدراً، وباخوانه من النبيين، وجلهم موتى

عليهم جميعاً الصلاة والسلام.

فالتوسل بسيدنا رسول الله، والتوسل بسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والتوسل بالصالحين من عباد الله سبحانه، والإستغاثة بهم جميعاً، على النحو الذى عليه الأمة، من اعتقاد أنهم عباد مكرمون مقبولو الشفاعة، عند الله تعالى بفضلله، هو مما أجمعت عليه الأمة، ودل عليه الكتاب، ونطقت به صحاح السنة، وأقوال العلماء.

وجواز التوسل وحسنه يعد بحق من الأمور المعلومة لكل ذى دين، المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين، وسير السلف الصالحين والعلماء العوام من المسلمين.

وحسبك من انكار المنكر للإستعانة والتوسل، قول لم يقله عالم قبله، وقد وقفت له على كلام طويل فى ذلك، رأيت أن أميل عنه ولا أتبعه بالنقض والأبطال، فإن دأب القاصدين لإيضاح الدين وإرشاد المسلمين، تقريب المعنى إلى أفهامهم، وتحقيق مرادهم وبيان حكمه وأحكامه.

وعلى أى حال من الأحوال، ومهما بلغ قول المنكر من الإنكار، فإن التوسل بالنبي جازر فى كل حال، قبل خلقه، وبعد خلقه، فى مدة حياته فى الدنيا، وبعد موته فى مدة البرزخ، وبعد البعث فى عرصات القيامة، والجنة. وهو على ثلاثة أنواع:

١ - النوع الأول: أن التوسل به بمعنى أن طالب الحاجة يسأل الله تعالى به، أو بجاهه أو ببركته. وله ثلاث حالات:

أما الحالة الأولى: قبل خلقه فيدل على ذلك آثار عن الأنبياء الماضين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، اقتصرنا منها على بعض ما تبين لنا صحته، وهو ما رواه الحاكم أبو عبد الله فى المستدرک على الصحيحين، وعبد الرزاق فى مصنفه، وابن أبى شيبة فى مسنده: عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: أوحى الله إلى عيسى يا عيسى آمن بمحمد، وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به، فلولا محمد ما خلقت آدم، ولولا ما خلقت الجنة والنار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فسكن.

وأما ما ورد من توسل نوح، وإبراهيم، وغيرهما من الأنبياء (عليهم السلام)، فذكره المفسرون، واكتفينا عنه بهذا الحديث لجودته وتصحيح الحاكم له.

ولا فرق فى هذا المعنى بين أن يعبر عنه بلفظ التوسل، أو الإستعانة، أو التشفع أو التجوه. ولسنا فى ذلك سائلين غير الله تعالى، ولا داعين إلا إياه، ويكون ذكر المحبوب أو التعظيم سبباً فى ذلك للإجابة، كما فى الأدعية الصحيحة المأثورة: أسألك بكل اسم لك، وأسألك بأسمائك الحسنى، وأسألك بأنك أنت الله، وأعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك...

أما عن التوسل بدعاء الرسول وشفاعته، فيدل عليه قوله تعالى: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا.

وفى الحديث الصحيح عن أنس بن مالك (رض)، أن رجلاً دخل يوم الجمعة من باب كان وجه المنبر ورسول الله قائم يخطب، فاستقبل رسول الله قائماً، قال: يا رسول الله، هلكت المواشى، وانقطعت السبل فادع الله أن يعيشتنا. قال: فرفع رسول الله يديه فقال: اللهم اسقنا، اللهم اسقنا...

فالنبي أقر هذا الأعرابي على التوسل به، وسعى فى تحقيق ما توسل إليه...

الحالة الثانية: التوسل به بذلك النوع، بعد خلقه، فى مدة حياته، فمن ذلك ما رواه أبو عيسى الترمذى فى جامعه فى كتاب الدعوات: عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي فقال: ادع الله أن يعافى...

والحالة الثالثة: أن يتوسل به بعد موته، لما رواه الطبرانى فى معجمه الكبير: عن عثمان بن حنيف أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان فى حاجة له فكان عثمان لا يلتفت إليه، ولا ينظر فى حاجته، فلقي ابن حنيف فشكا ذلك إليه فقال له عثمان بن حنيف: ايت

الميضأة فتوضأ، ثم أيت المسجد فصل فيه ركعتين، ثم قل: «اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنينا محمد نبى الرحمة، يا محمد انى أتوجه بك إلى ربك فيقضى حاجتى وتذكر حاجتك...»

والإحتجاج بهذا الأثر فهم عثمان بن حنيف (رض) ومن حضره ممن هم أعلم بالله ورسوله.

٢ - النوع الثانى: التوسل به بمعنى طلب الدعاء منه، وذلك فى أحوال: الحالة الأولى: فى حياته وهذا متواتر...

ولا يصح أن يقول مانع التوسل: أنا لا أمانع التوسل والتشفع لما قدمتم من الآثار والأدلة وإنما أمانع إطلاق التوجه والإستغاثه لأن فيهما إبهام وهو أن المتوجه به، والمستغاث به أعلى من المتوجه عليه والمستغاث عليه.

وهذا لا يعتقدده مسلم، ولا يدل لفظ التوجه والإستغاثه عليه فإن التوجه من الجاه والوجهة، ومعناه: علو القدر والمنزلة.

وقد يتوسل بذى جاه إلى من هو أعلى جاها منه.

الحالة الثانية: بعد موته فى عرصات القيامة بالشفاعة منه، وذلك مما قام الإجماع عليه وتواترت الأخبار به.

الحالة الثالثة: المتوسطة فى مدة البرزخ، ولا مانع من ذلك، فإن دعاء النبى لربه تعالى فى هذه الحالة غير ممتنع، وقد وردت الأخبار

على ما ذكرنا من قبل، ونذكر طرفا منه باثبات علمه بسؤال من يسأله، فلا مانع من أن يسأل به الإستسقاء كما كان يسأله فى الدنيا.

٣ - النوع الثالث: من التوسل أن يطلب منه ذلك الأمر المقصود، بمعنى أنه (ص) قادر على التسبب فيه بسؤاله ربه وشفاعته إليه، فيعود

إلى النوع الثانى فى المعنى، وإن كانت العبارة مختلفة، ومن هذا قول القائل للنبى: أسألك مرافقتك فى الجنة، فقال له (ص): أعنى

على نفسك بكثرة السجود.

والآثار فى ذلك كثيرة، ولا يقصد الناس بسؤالهم ذلك إلا- كون النبى (ص) سبباً وشافعاً، وليس المراد نسبة النبى إلى الخلق

والإستقلال بالأفعال، فإن هذا لا يقصده مسلم. فصرف الكلام إليه ومنعه من باب التلبس فى الدين والتشويش على عوام الموحدين!!

وأما الإستغاثه فهى طلب الغوث. وتارة يطلب الغوث من خالقه وهو الله تعالى وحده، كقوله تعالى: إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبْ لَكُمْ.

وتارة يطلب ممن يصح إسناده إليه، على سبيل الكسب، ومن هذا النوع الإستغاثه بالنبى (ص) فى هذين القسمين فيصح أن يقال:

استغثت بالنبى، وأستغيت بالنبى، بمعنى واحد، وهو طلب الغوث منه بالدعاء ونحوه على النوعين السابقين فى التوسل من غير فرق،

وذلك فى حياته وبعد موته، ويقول: استغثت الله، وأستغيت الله بمعنى طلب خلق الغوث منه.

فالله تعالى مستغاث، والغوث منه خلقاً وإيجاداً، والنبى (ص) مستغاث، والغوث منه تسبباً وكسباً.

وقد تكون الإستغاثه بالنبى على وجه آخر، وهو أن يقول: استغثت بالنبى كما يقول: سألت الله بالنبى، فيرجع إلى النوع الأول من أنواع

التوسل، ويصح قبل وجوده وبعد وجوده.

والحاصل أن مذهب أهل السنة والجماعة صحة التوسل، وجوازه بالنبى (ص)، فى حياته وبعد وفاته، وكذا بغيره من الأنبياء والمرسلين،

والأولياء الصالحين، كما دلت عليه الأحاديث السابقة.

ومعاشر أهل السنة لا يعتقدون خلقاً ولا إبداعاً، ولا إعداماً إلا لله تعالى وحده لا شريك له. فلا فرق فى التوسل بالنبى وغيره من الأنبياء

والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين. وكذلك بالأولياء والصالحين، لا- فرق بين كونهم أحياءً أو أمواتاً، لأنهم لا

يخلقون شيئاً، وإنما يتبرك بهم لكونهم أحياء الله تعالى، والخلق والإيجاد لله وحده لا شريك له.

شبهة إنكار التوسل والإستغاثه والرد عليها:

من شبهات الخصم التى يدلس فيها ويموه بها:

١ - الإنكار على المتوسلين والمستغِيثين، وتكفيرهم وعدهم مشركين، كعباد الأوثان، بل وجعلهم أسوأ حالاً منهم، واتهامهم أنهم

يعتقدون التأثير لغير الله تعالى.

٢ - الإنكار على المستغِيثين بالموتى.

٣ - إنكار زيارة قبور الأنبياء والصالحين، وبالأخص سيد المرسلين والإستغاثة به (ص)، إلى رب العالمين.

٤ - إنكار الصلاة في المساجد التي بها قبور، وعد ذلك من الشرك، ولا ذريعة إلى الشرك.

٥ - إنكار وصول ثواب قراءة القرآن والدعاء والإستغفار للموتى. وغير ذلك مما اعتبره الخصم من أنواع الشرك.

ولتفنيد شبهات الخصم سالفه الذكر هذه، فقد أوردنا لكل شبهة فصلاً مستقلاً تناولنا فيه الرد عليها.

أما الشبهة الأولى فقد استقصينا كلام الخصم، فوجدناه مفتتحاً إظهار دعوة مخالفة لأهل الأرض والسماء وهو عارف بضعف حاله، فإن تكفيره لمن خالف بدعته من جميع المسلمين، ونسبتهم إلى الشرك الأكبر، واتخاذ هذا الإتهام ذريعة لتكفيرهم لا دليل له عليه.

هذه الذريعة التي اتخذها هي قوله: إن المشركين السابقين كانوا مشركين في الألوهية فقط، وأما مشركو المسلمين فنحنى بهم من أشركوا في الألوهية والربوبية. وقال أيضاً: إن الكفار في زمن رسول الله لا يشركون دائماً، بل تارة يشركون، وتارة يوحدون، ويتركون دعاء الأنبياء والصالحين، وذلك أنهم إذا كانوا في السراء دعوهم واعتقدوا بهم، وإذا أصابهم الضر والشدائد تركوهم وأخلصوا الله الدين، وعرفوا أن الأنبياء والصالحين لا يملكون ضرراً ولا نفعاً.

قال الخصم هذا، وحمل تأويل جميع الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على الموحد من أمه محمد وتمسك بها في تكفيرهم.

مجمل القول في رد هذه الشبهة: أن التوسل والتشفع والإستغاثة كلها بمعنى واحد، وليس لها في قلوب المؤمنين معنى إلا التبرك بذكر أحباب الله تعالى، لما ثبت أن الله يرحم العباد بسببهم، سواء أكانوا أحياء أم أمواتاً. فالمؤثر والموجد حقيقة هو الله تعالى، وهؤلاء سبب عادي في ذلك، لا تأثير لهم، وذلك مثل السبب العادي فانه لا تأثير له.

فالمسلم الموحد متى صدر منه اسناد الشيء لغير من هو له، يجب حمله على المجاز العقلي، واسلامه وتوحيده، قرينه على ذلك، كما نص على ذلك علماء المعاني في كتبهم، وأجمعوا عليه.

وأما منع التوسل مطلقاً فلا وجه له مع ثبوته في الأحاديث الصحيحة، ومع صدوره من النبي (ص)، وأصحابه، وسلف الأمة وخلفها. والمنكرون للتوسل، والمانعون منه، منهم من يجعله حراماً، ومنهم من يجعله كفراً وإشراكاً! وكل ذلك باطل، لأنه يؤدي إلى اجتماع معظم الأمة على الحرام والإشراك، لأن من تتبع كلام الصحابة والعلماء من السلف والخلف يجد التوسل صادراً منهم، بل ومن كل مؤمن في أوقات كثيرة، وإجماع أكثرهم على الحرام أو الإشراك لا يجوز، لقوله (ص) في الحديث الصحيح: لا تجتمع أمتي على ضلالة.

كما أن المنع من التوسل والإستغاثة بالكلية مصادم للأحاديث الصحيحة، ولفعل السلف والخلف، فعليك باتباع الجمهور والسواد الأعظم. يقول سبحانه وتعالى: وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصِِّلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا.

يقول رسول الله (عليهما السلام): عليكم بالسواد الأعظم فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

هؤلاء المنكرون للتوسل والزيارة، فارقوا الجماعة والسواد الأعظم، وعمدوا إلى آيات كثيرة من آيات القرآن التي نزلت في المشركين، فحملوها على المؤمنين الذين تقع منهم الزيارة والتوسل، وتوصلوا بذلك إلى تكفير أكثر الأمة من العلماء والصلحاء والعباد والزهاد وعوام الخلق، والحق على خلاف ما يقولون ويزعمون.

أما تخيلهم أن منع التوسل والزيارة من المحافظة على التوحيد، وأن فعل ذلك مما يؤدي إلى الشرك، فهو تخيل فاسد باطل. فالتوسل والزيارة إذا فعل كل منهما مع المحافظة على آداب الشريعة الغراء لا يؤدي إلى محذور البتة.

والقائل بمنع ذلك سدا للذريعة متقول على الله، وعلى رسوله (ص)، وكأن هؤلاء المانعين للتوسل والزيارة يعتقدون أنه لا يجوز تعظيم النبي (ص)، فحيثما صدر من أحد تعظيم له حكموا على فاعله بالكفر والإشراك، وليس الأمر كما يقولون، فإن الله تعالى عظم النبي

فى القرآن الكرىم بأعلى أنواع التعظيم، فىجب علينا أن نعظم من عظمه الله تعالى وأمر بتعظيمه.

الفصل الثانى شبهة إنكار الإستغائة بالموتى والرد عليها:

كثر الخوض، واشتد الجدال، وحدث الإنكار، ضد الإستغائة بالموتى، ومنع النداء لهم، ظنا من المنكرين، أن سائر الموتى من الأنبياء، والمرسلين، والأولياء الصالحين، وعامة المؤمنين لمجرد انتقالهم من دار الحياة الدنيا، صاروا ترابا لا بقاء لهم فى قبورهم، لا يسمعون ولا يدركون. بيد أن الحق على خلاف ما يزعمون، والصواب على غير ما يعتقدون.

والسنة الشريفة ترد عليهم زعمهم فى صراحة قوية، وتبطل قولهم فيما جاء بها من أحاديث صحيحة.

أخرج البخارى ومسلم، وأصحاب السنن، من حديث ابن عمر قال: اطلع رسول الله (ص) على أهل القليب فقال: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا...
وقال الله تعالى: وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ. فإذا ثبت هذا فى الشهداء وهم من سائر الأمة فى كل زمان، فلا شك أن الأنبياء من باب أولى.

وفى الحديث الصحيح: ما من أحد يسلم على إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام. فظاهره يقتضى أن روحه الشريفة تفارق جسده الشريف وأنها بالسلام ترد...
يؤيد ذلك ما صح عنه (ص) من قوله: حياتى خير لكم، تحدثون ويحدث لكم، ووفاتى خير لكم تعرض على أعمالكم، ما رأيت من خير حمدت الله، وما رأيت من شر استغفرت لكم. وفى هذا الباب آثار كثيرة.

وأما شبهتهم فى المنع من النداء لهم فقالوا: إن النداء والخطاب للجمادات، والغائبين، والاموات، من الشرك الذى يباح به الدم والمال، ولا حجة لهم فى ذلك، فإن الأحاديث الصحيحة صريحة فى بطلان قولهم هذا.

إنهم زعموا أن النداء للاموات والغائبين والجمادات يسمى دعاء، وأن الدعاء عبادة، بل هو مخ العبادة. وحملوا كثيرا من الآيات القرآنية التى نزلت فى المشركين على الموحدين، وقد تقدم ذكر كثير من تلك الآيات ورد زعمهم فيها.

وهذا كله منهم تلييس فى الدين، فانه وان كان النداء قد يسمى دعاء كما فى قوله تعالى: لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا. لكن ليس كل نداء عبادة، ولو كان كل نداء عبادة لشمى ذلك نداء الأحياء والاموات، فىكون كل نداء ممنوعاً مطلقاً، وليس الأمر كذلك، وإنما النداء الذى يكون عبادة هو نداء من يعتقدون ألوهيته واستحقاقه العبادة فيرغبون إليه ويخضعون بين يديه. الذى يوقع فى الإشراك هو إعتقاد ألوهية غير الله تعالى، وأما مجرد النداء لمن لا يعتقدون ألوهيته ولا تأثيره فانه ليس عبادة...

المجلد ٥

فهرست مطالب كتاب: العقائد الإسلامية (المجلد ٥)

العقائد الإسلامية (المجلد ٥)

مقدمة

عقيدة اليهود نفى الحكمة عن الله تعالى و نفى العصمة أنبيائه

لماذا يحسد اليهود الشعوب التى عندها مقدسات

لم يكن اليهود موحدين حتى فى عصور أنبيائهم

الالحاد الصريح فى اليهود الماضين والمعاصرين

افتراء اليهود على الله تعالى و نفىهم عنه العلم والعدل

وصفوا الله تعالى بأنه لا يعلم ما خلق
و وصفوه بالطيش والغضب والظلم
و افتروا على الله تعالى بأنه ينسى عهده ثم يتذكره
و زعموا أن يعقوب صارح الله تعالى فعجز الله أن يغلبه
و وصفوا معبودهم بأنه موجود مادي يسكن في السماء
و وصفوه بأن له سبعة أرواح كالقطط
من إهانات اليهود لأنبيائهم و افتراءاتهم عليهم
افتروا على ابراهيم بأنه كان قبل نبوته يعبد الأوثان
و اتهموا ابراهيم بأنه تزوج سارة و هي أخته
و اتهموه بأنه كذب على الحاكم القبطى بأن سارة أخته
و اتهموا نبي الله إسحاق بنفس التهمة
و اتهموا ابراهيم و بقيه الأنبياء بأنهم كانوا يشربون الخمر
و زعموا أن لوطا سكن في سدوم اختلافة مع ابراهيم
و نسبوا إلى سارة رضى الله عنها الظلم والقسوة
و اتهموا ابراهيم بأنه أطاع سارة و طرد هاجر و ابنها إسماعيل
اما مصادرنا فتبرئ ابراهيم و عترته من الظلم والمعصية
و اتهموا نبي الله هارون و موسى بالشرك والمعاصي
و اتهموا أنبياء الله بالحيل والدجل والبلاهة
و اتهموا يوشع بأنه ختن اليهود بسكاكين من حجر الصوان
و افتروا على سليمان أنه أشرك بالله تعالى
النتائج الخطيرة لتخريب اليهود لعقيدة العدل والعصمة
امتياز الشيعة عن اليهود والسنة بعقيدة العصمة التامة
نؤمن بالعدالة المطلقة لله تعالى والعصمة التامة للأنبياء والأئمة
من أحاديث الشيعة في عصمة الأنبياء والأئمة عصمة تامة
من شرائع ديننا عصمة الأنبياء والأوصياء
وجوب طاعة الأنبياء والأوصياء تستوجب عصمتهم
ضرورة بعثة الأنبياء تستوجب عصمتهم
العصمة من أول صفات الإمام
احاديث نصت على إمامة الأئمة الإثني عشر و عصمتهم
كتاب كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الإثني عشر
العصمة التامة هي الوسطية بين الغلو والتقصير
من كلمات علماء الشيعة في عصمة الأنبياء والأئمة
الانبياء معصومون مطهرون كاملون

العصمة عن الذنوب، والغلط، والردائل، وما ينفر

جليلنا

اصل الأدلة عندنا على العصمة التامة: الدليل العقلي

العصمة لاتعنى الإجبار، و لا تنافى الإختيار

دفاع أهل البيت و شيعتهم عن عصمة الأنبياء

الامام الصادق يتألم لظلم الناس للأنبياء والأوصياء

ملاحظة

استغفار الأنبياء والأوصياء وابتلاؤهم لم يكن بسبب الذنوب

ملاحظة

هشام بن الحكم يدافع عن عصمة الأنبياء والأئمة تحت سيف هارون الرشيد

مرجع الشيعة الشيخ المفيد رحمه الله يدافع عن عصمة نبينا

مرجع الشيعة السيد المرتضى قدس سره يؤلف كتابا في تنزيه الأنبياء

مقتطفات من كتاب تنزيه الأنبياء

بيان الخلاف في نزاهة الأنبياء عن الذنوب

تنزيه آدم عن الغواية

تنزيه نوح عما لا يليق به

تنزيه إبراهيم عن الكفر والعصيان

تنزيه إبراهيم عن الشك في الله تعالى

تنزيه إبراهيم عن الاستغفار للكفار

تنزيه يعقوب عن إيقاع التحاسد بين بنيه

تنزيه يعقوب عن الحزن المكروه

تنزيه يوسف عن الصبر على الاستعباد

تنزيه يوسف عن الهم بالمعصية

في أن أيوب ابتلى امتحانا لا عقابا

تنزيه موسى عن العصيان بالقتل

تنزيه يونس عن الظلم والمعصية بمغاضبته قومه

معركة تنزيه الأنبياء بين الشيعة و مخالفيهم

موقف علماء الشيعة الثابت: تأويل الآيات التي يبدو منها...

لا عصمة للأنبياء عند السنيين لكن الصحابة عندهم معصومون

نماذج من آراء علمائهم في عصمة الأنبياء

رأى الغزالي

رأى الأمدى

رأى القاضي عياض

رأى الفخر الرازى

ملاحظات على كتاب عصمة الأنبياء للفخر الرازى

الملاحظة ٠١

الملاحظة ٠٢

رأى ابن تيمية و مشبهه الحنابلة فى عصمة الأنبياء

ابن تيمية يهاجم الشيعة لقولهم بعصمة الأنبياء

السبب الغريب لهجوم ابن تيمية على العصمة

دفاع ابن تيمية عن اليهود و عن أسطورة الغرائق

ابن تيمية يجوز أن يكون النبى كافرا فاسقا شريرا

البخارى ينقض عصمة الأنبياء و يفترى عليهم

صحيح البخارى مشحون بالإسرائيليات التى تطعن فى الأنبياء و أسوأ منها القرشيات التى تطعن فى نبينا

نبى الله إبراهيم يكذب

نبى الله موسى غضوب بطاش

نبى الله موسى يركض عاريا وراء ثيابه

نبى الله سليمان مفرط فى الجنس، معرض عن ذكر الله

البخارى يروى تفضيل نبينا على الرسل والبشر

ثم يتراجع البخارى و يفضل نبى الله موسى على نبينا لكنه يفضل قريشا على اليهود

و يفضل عيسى على نبينا

و يروى النهى عن تفضيل الأنبياء على بعضهم

الانبياء عند البخارى عصبيون كما فى التوراة

قرشيات البخارى فى الطعن بنبينا أسوأ من إسرائيلياته

روايات البخارى المشينة فى سلوك نبينا

البخارى يفتتح صحيحه بالطعن فى نبوة نبينا

غرائق قريش و محاولات التغطية على البخارى

البخارى يروى فرية الغرائق فى ست مواضع

تناقض الفخر الرازى فى حديث الغرائق

القاضى عياض أكثر علماء السنة اعتدالا فى عصمة نبينا

غرائق قريش يتصيدا بروكلمان و مونتغمرى

ملاحظات على قصة الغرائق

عمر عندهم معصوم و أفضل من جميع الأنبياء

النبى معصوم نظريا، و أبوبكر و عمر معصومان عمليا

مقولة عدالة الصحابة سياج لعصمة أبى بكر و عمر

اضطراهم لتضييق سياج الصحابة بأهل بدر و بيعه الرضوان

عصمة عمر عندهم أعلى من عصمة جميع الأنبياء
النبي عندهم أضعف من عمر أمام شيطانه
و زعموا أن الله تعالى يتكلم بلسان عمر
و زعموا أن الملائكة تحدث عمر
و الفوا مؤلفات في الأخطاء النبوية والتصحيحات العمريه
و اخترع الذهبي قاعدة خاصة لعصمة عمر و أبي بكر
و غيروا إسم العصمة لإثباتها لعمر و أبي بكر
و من لعبهم بالألفاظ و ادعائهم الأدب مع النبي
و منهم أخذ الصوفيون عصمة الأقطاب و حفظ الأولياء
رأى التفتازاني: في عصمة أبي بكر و عمر و عدالة باقي الصحابه
نقد منطق التفتازاني في العصمة في مسائل

المسألة ٠١

المسألة ٠٢

المسألة ٠٣

المسألة ٠٤

ابوبكر و عمر معصومان عند الغزالي، لكن لا يجب تقليدهما
هل تشيع الغزالي في آخر عمره؟

النقد الذاتي قليل نادر في علمائهم

السلطة القرشية تتبع اليهود حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل

تقليد اليهود.. من مصادرة الخلافة الى.. ترك الصلاة

اعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر و أبي بكر

بدأ نشاطهم بعد النبي واستمر إلى يومنا هذا

حملوا آيات مدح الصحابه أكثر مما تحتمل

غيبوا الآيات الصريحة في نقد الصحابه و ذمهم

لابد من ميزان لتقييم الصحابه

وضعوا أحاديث في مدح الصحابه و عصمتهم

ليقابلوا بها أحاديث عصمة العترة

نقد حديث: خير القرون قرني

و معناه أن التاريخ الإسلامي يسير إلى الإنحدار، والأمة إلى الزوال

الخط البياني للأمة.. نزول ثم صعود

تخبط الشراح في حديث خير القرون قرني

ردهم شهادات النبي في انحراف الصحابه بعده

الامام مالك يعرض يديه ندما لروايته أحاديث الحوض

قرونا الصحابة بالنبي في الصلاة عليه من أجل عمر
من الذي حذف الصلاة على آل النبي؟! ومن أين جاء قولهم، أو عليه وآله صحبه و سلم؟
من الذي وضع الصلاة على الصحابة بدل الآل أو معها؟
عصموا البخارى من أجل عصمة عمر
مات البخارى قبل أن يكمل كتابه، فأكملة جماعة المتوكل
السرف في تبنيهم كتاب البخارى
هل أن تبني البخارى عمل علمى أم ضد العلم؟
نظرية إجماع العوام بيد السلطة و رجال الدين
إجماع العوام عن قبول شهادة الصحابة بحق أنفسهم
إجماع العوام عن قبول إقرار بعض الصحابة بالمعصية
إجماع العوام عن قبول شهادة النبي لقاتل عمار بالنار
ابن حنبل يقول: صحابى فى النار
إجماع العوام عن قبول شهادة ثقة و أمين أسرار
إجماع العوام لتغطية مؤامرة خير القرون لقتل النبي
إجماع العوام لتغطية اضطهاد خير القرون لأهل بيت نبينهم
إجماع العوام عن تصديق القرآن بأن أكثرية خير القرون لن يؤمنوا
من أساليبهم فى إجماع العوام
تميع الحقائق و حلف الإيمان
تعليم العوام إنكار الحقائق نهارا جهارا
إجماع أطفال المسلمين بتريبتهم على عصمة عمر
إجماع العوام باستخدام وسائل الإعلام
العصمة والمعصومون فى القرآن
المعصومون ثمرة الوجود البشرى
آيات العصمة فى القرآن
آيات الإستخلاف
لا يكون خليفة الله فى الأرض إلا معصوما
تكريم بنى آدم لا يعنى استخلافهم لأنه تكريم تكوينى و اقتضائى
خلفاء الله فى الأرض ليس بالضرورة أن يكونوا حكاما
تعليم آدم الأسماء دليل على عصمة خلفاء الله تعالى
آيات الإصطفاء الإلهى
آيات الإصطفاء الإلهى
معنى الإصطفاء و أنواعه
تفسير آية: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفين

الآية من متشابهات القرآن
القرطبي يرفض التفسير الرسمي
تفسير أهل البيت
اختصاص أهل البيت بعلم الكتاب لا يلغى حجته
ابناء فاطمة و أتباع أهل البيت ورثة مجازيون للكتاب
الظالم لنفسه درجات متفاوتة
رأى علماء الشيعة
بعض مفسرى الشيعة وافق على تفسير عمر و كعب
اهم الإشكالات على التفسير الحكومى
التوريث الإلهى للكتاب مقام عظيم
آيات الإستخلاص والإجتباء الإلهى
اخلاص الدين لله تعالى
دعاء الله بانقطاع و إخلاص
المخلصون المستخلصون
المخلصون ناجون من الضلال والهلاك
المخلصون مقربون من الله و ليسوا أبناءه
المخلصون ناجون من العذاب مكرمون فى الجنة
يتمنى غير المخلصين أن يكونوا منهم
معنى الإخلاص والمخلص
دلالة الإستخلاص الإلهى على العصمة
آيات الإجتباء تشبه آيات الإستخلاص
آيات نفى سلطان الشيطان على المخلصين
وجه دلالتها على العصمة
الحكمة من نزول آيات متشابهة فى عصمة الأنبياء
معجزة الجغرافية القرآنية
العصمة و قاعدة اللطف
معنى العصمة فى القرآن واللغة والحديث
من تعريفات المتكلمين للعصمة
قاعدة اللطف الإلهى التى استدلت بها علماءنا على العصمة
قاعدة اللطف عقلياً و شرعياً
اللطف الإلهى فى القرآن
اللطف فى أحاديث النبى و آله
من كلمات علمائنا فى قاعدة اللطف

رد الفقهاء للإستدلال بقاعدة اللطف في الفقه
 ضرر الإغراق في التأصيل بقاعدة اللطف
 كيف يلفظ الله تعالى بالمعصوم
 درجات العصمة واللطف بالمعصومين
 عصمة نبينا وآله أرقى أنواع العصمة
 النبي و عترته المعصومون منظومة خاصة لا يقاس بهم أحد
 درجة شيعة النبي وآله في أحاديث الطرفين
 زيادة رزين العبدري عن أبي داود

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم السلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين
 وبعد، فإن عصمة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام من العقائد المركزية في الأديان الإلهية، وقد اهتم بها علماء المسلمين، خاصة علماء
 مذهب أهل البيت عليهم السلام، وبحثوا مسائلها بإجمال وتفصيل، وسلخوا المنهج الكلامي الذي يغلب عليه الطابع العقلي، أو المنهج
 الحديثي الذي يغلب عليه الطابع النقلى، وإن كانت عملية الإستدلال عملية عقلية دائماً، لأنها ترتب مقدمات للإنتقال بها إلى نتيجة
 سواءً كانت مقدماتها عقلية أو نقلية، أو مركبة.

وقد اخترنا لسلسلة العقائد الإسلامية المنهج الحديثي المقارن، وتوسعنا في هذا المجلد في بحثين من بحوث العصمة:

الأول: العصمة في القرآن، فبحثنا طوائف من الآيات الكريمة لا يمكن تفسيرها إلا بالمعصومين من الأنبياء وأوصيائهم عليهم السلام.

والثاني: مقارنة عقيدة العصمة بين الإسلام واليهودية، لبيان دور اليهود في تخريب عقيدة عصمة الأنبياء عليهم السلام وتأثر المسلمين
 بهم! فاليهود هم الذين فتحوا باب التنقيص من مقام الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، وطوّّلوا ألسنتهم عليهم، واتهموهم بارتكاب أخطاء
 ومعاصي وأفعال مشينة، حتى الكفر بالله تعالى!

ومن المؤسف أن النصارى تبعوهم في ذلك، ولم يستثنوا إلا نبي الله عيسى عليه السلام فقط. ثم تبعهم جمهور المسلمين فاستوردوا
 منهم أكثر اتهاماتهم للأنبياء عليهم السلام وافتراءاتهم عليهم، وكان السبب الأكبر في ذلك أن الخلافة القرشية قامت على سياسة منع
 المسلمين من التحديث بأحاديث نبيهم صلى الله عليه وآله، وقربت عدداً من حاخامات اليهود وقساوسة النصارى، وأطلقت ألسنتهم في
 نشر ثقافتهم بين المسلمين فنشروها بإسم الإسلام، وغرسوا في أذهان المسلمين التصور اليهودي الظالم للأنبياء والأوصياء عليهم
 السلام، ودخل كل ذلك في كتب الصحاح والتفسير والسير، وورثت ذلك أجيال المسلمين على أنه حقائق دينية!

ولولا وقوف أهل البيت عليهم السلام وعلماء مذهبهم في مقابل موجة الثقافة اليهودية، لاتسعت زاوية الإنحراف، وتضاعف الإفتراء
 على الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، بل على الله نفسه تبارك وتعالى، ولم يبقَ من يعتقد بعصمة الله وأوليائه، ويدفع عنهم افتراءات
 اليهود والمتهوكين!

إن النص التالي يصور لنا عمق الفاجعة التي حلت بثقافة الأمة الإسلامية من تبنى السلطة القرشية للإسرائيليات، ويكشف نوع عمل
 الأئمة عليهم السلام في معالجتها:

قال الصدوق رحمه الله في عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/١٧٠: (باب ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون مع أهل الملل
 والمقاتلات، وما أجاب به على بن محمد بن الجهم في عصمة الأنبياء سلام الله عليهم أجمعين:

حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني (رض) والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتب، وعلى بن عبد الله الوراق رضى الله عنهم قالوا: حدثنا على بن إبراهيم بن هاشم قال: حدثنا القاسم بن محمد البرمكي قال: حدثنا أبو الصلت الهروي قال: لما جمع المأمون لعلى بن موسى الرضا عليه السلام أهل المقالات من أهل الإسلام والديانات من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين وسائر المقالات، فلم يبق أحد إلا وقد أئزمه حجته كأنه ألقم حجراً، قام إليه على بن محمد بن الجهم فقال له: يا ابن رسول الله أتقول بعصمه الأنبياء عليهم السلام؟ قال عليه السلام: نعم. قال: فما تعمل في قول الله عز وجل: وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى. (طه: ١٢١)، وفي قوله عز وجل: وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ. (الأنبياء: ٨٧) وفي قوله عز وجل في يوسف عليه السلام: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا. (يوسف: ٢٤). وفي قوله عز وجل في داود: قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَىٰ نَعَاجِهِ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ إِنَّمَا فَتَنَّاهُ. (ص: ٢٤)، وقوله تعالى في نبيه محمد صلى الله عليه وآله: وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ. (الأحزاب: ٣٧)

فقال الرضا عليه السلام: ويحك يا على إتق الله ولا تنسب إلى أنبياء الله عليهم السلام الفواحش ولا تتأول كتاب الله برأيك، فإن الله عز وجل قد قال: وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ. (آل عمران: ٧). أما قوله عز وجل في آدم: وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (طه: ١٢١)، فإن الله عز وجل خلق آدم حجة في أرضه وخليفه في بلاده لم يخلقه للجنة، وكانت المعصية من آدم في الجنة لافى الأرض، وعصمته يجب أن تكون في الأرض لتتم مقادير أمر الله، فلما أهبطه إلى الأرض وجعله حجة وخليفه عصمه بقوله عز وجل: أَنْ اللَّهُ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ. (آل عمران: ٣٣) وأما قوله عز وجل: وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ. إنما ظن بمعنى استيقن أن الله لن يضيق عليه رزقه، ألا تسمع قول الله عز وجل: وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ. (الفجر: ١٦) أى ضيق عليه رزقه، ولو ظن أن الله لا يقدر عليه لكان قد كفر.

وأما قوله عز وجل في يوسف: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا، فإنها همت بالمعصية وهم يوسف بقتلها إن أجبرته لعظم ما تداخله فصرف الله عنه قتلها والفاحشة، وهو قوله عز وجل: كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ. (يوسف: ٢٤) يعنى القتل والزنا. وأما داود عليه السلام فما يقول من قبلكم فيه؟

فقال على بن محمد بن الجهم: يقولون إن داود عليه السلام كان في محرابه يصلى فتصور له إبليس على صورة طير أحسن ما يكون الطيور، فقطع داود صلواته وقام ليأخذ الطير فخرج الطير إلى الدار، فخرج الطير إلى السطح، فصعد في طلبه، فسقط الطير في دار أوريا بن حنان، فاطلع داود في أثر الطير بامرأة أوريا تغتسل فلما نظر إليها هواها، وقد أخرج أوريا في بعض غزواته، فكتب إلى صاحبه أن قدم أوريا إمام التابوت، فقدم فظفر أوريا بالمشركين، فصعب ذلك على داود، فكتب إليه ثانياً أن قدمه إمام التابوت فقدم فقتل أوريا، فتزوج داود بامرأته!

قال: فضرب الرضا عليه السلام بيده على جبهته وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! لقد نسبتم نبياً من أنبياء الله عليهم السلام إلى التهاون بصلاته حتى خرج في أثر الطير، ثم بالفاحشة ثم بالقتل! فقال: يا بن رسول الله فما كان خطيئته؟

فقال: ويحك! إن داود إنما ظن أن ما خلق الله عز وجل خلقاً هو أعلم منه فبعث الله عز وجل إليه الملكين فتسورا المحراب، فقالا: خَصِيْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُهُمَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ. إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً وَلِي نَعَجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ. قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَىٰ نَعَاجِهِ، (ص: ٢٢-٢٤) فعجل داود على المدعى عليه فقال: قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَىٰ نَعَاجِهِ، ولم يسأل المدعى البيئه على ذلك ولم يقبل على المدعى عليه فيقول له: ما تقول؟ فكان هذا خطيئته رسم الحكم لا ما ذهبتم إليه! ألا تسمع الله عز وجل يقول: يَا دَاوُدُ أَنَا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ. (ص: ٢٦).

فقال: يا بن رسول الله فما قصته مع أوريا؟

فقال الرضا عليه السلام: إن المرأة في أيام داود عليه السلام كانت إذا مات بعلمها أو قتل لا تتزوج بعده أبداً، وأول من أباح الله له أن يتزوج بامرأة قتل بعلمها كان داود عليه السلام، فتزوج بامرأة أوريا لما قتل وانقضت عدتها منه، فذلك الذى شق على الناس من قبل أوريا.

وأما محمد صلى الله عليه وآله وقول الله عز وجل: **وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ.** (الأحزاب: ٣٧) فإن الله عز وجل عرف نبيه صلى الله عليه وآله أسماء أزواجه في دار الدنيا وأسماء أزواجه في دار الآخرة وأنهن أمهات المؤمنين، وإحداهن من سمى له زينب بنت جحش، وهى يومئذ تحت زيد بن حارثة، فأخفى إسمها فى نفسه ولم يبد له لكيلا يقول أحد من المنافقين أنه قال فى امرأة فى بيت رجل أنها إحدى أزواجه من أمهات المؤمنين، وخشى قول المنافقين، فقال الله عز وجل: **وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ،** يعنى فى نفسك. وإن الله عز وجل ما تولى تزويج أحد من خلقه إلا تزويج حواء من آدم عليه السلام وزينب من رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: **فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا.** (الأحزاب: ٣٧) وفاطمة من على عليهما السلام.

قال: فبكى على بن محمد بن الجهم وقال: يا بن رسول الله: أنا تائب إلى الله عز وجل من أن أنطق فى أنبياء الله عليهم السلام بعد يومى إلا بما ذكرته). انتهى.

لذلك ركزنا البحث على كشف الجذور التاريخية للشبهات والإفترادات على عصمة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، خاصة ما يتعلق بعصمة نبينا صلى الله عليه وآله، ثم على بحث الأصل القرآنى لعقيدة العصمة، وقاعدة اللطف. والله تعالى ولى التوفيق.

حرره بقم المشرفة فى الثانى والعشرين من رجب الخير ١٤٢٣
على الكورانى العاملى

عقيدة اليهود نفى الحكمة عن الله تعالى و نفى العصمة أنبيائه

لماذا يحسد اليهود الشعوب التى عندها مقدسات

لا تتعجب إذا رأيت اليهودى عنده عقده من كل ما هو مقدس عند الشعوب!
فقد ورث من أجداده التطاول على قداسة الله تعالى وأنبيائه عليهم السلام، فهم أول من فتح باب الجراءة على الله وأنبيائه عليهم السلام، مع أن كل مايزعمونه لأنفسهم من مكانة وامتياز على الشعوب، مبنى على أنهم شعب الله المختار وأتباع أنبيائه عليهم السلام!
وبهذا تفهم سبب نشاطهم فى تخريب مقدسات الأديان الأخرى، لأن الذى يخرب مقدساته، ويجعل معبوده جاهلاً، متعصباً، فظاً، غليظاً، ظالماً، ويجعل أنبياء الله عليهم السلام أنانيين، شهوانيين، خونة! لا يطيق أن يكون للآخرين إله حكيماً، عادلاً، لا يظلم مخلوقاً مثقال ذرة. وأن يكون لهم أنبياء أظهار، معصومون فى كل حياتهم، وجميع أعمالهم، منزهون عن المعاصى والنقائص!
وقد نجح اليهود فى تخريب مقدسات المسيحيين وعقيدتهم، ونفذوا إلى جهازهم الكنسى ونشروا فيه الفساد، وأسقطوا مقام القساوسة عند الناس!

وقد أخبرنى مستشار ثقافى فى مؤسسه اليونسكو أن اليهود هم الذين يقفون وراء طرح التحلل من الدين والمقدسات، الذى ينادى به مثقفون (مسيحيون) ويكتبون مقالات يطالبون فيها البابا والفايكان: نريد ديناً بلا محررات!
وها نحن نرى سعيهم الحثيث لتخريب مقدسات المسلمين، بكل الوسائل!

لم يكن اليهود موحدين حتى فى عصور أنبيائهم

لم يكن جمهور اليهود مخلصاً لتوحيد الله تعالى حتى في عصور أنبيائهم عليهم السلام، رغم تبجحهم بأنهم هم الموحدون، وأنهم أبناء نبي الله إبراهيم صلى الله عليه وآله، الذي قاوم عبادة الأوثان وأرسى أسس التوحيد، هذا إن صحت أنسابهم إليه! ومن أوضح الأدلة على ذلك أنهم بعد أن رأوا المعجزة على يد موسى عليه السلام، وشقَّ الله لهم البحر وجعله طريقاً يسيأً، وعبروا فيه ونجوا من فرعون وجنوده.. قابلوا هذه المعجزة الكبرى بفكرهم الوثني، وطالبوا موسى عليه السلام أن يتخذ لهم إلهاً عاجلاً ليعبدوه! وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَانٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ. إِنْ هَؤُلَاءِ مَثْبُتٌ مِثْلَ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مِثْلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْنِيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (الأعراف: ١٣٨-١٤٠) ويظهر أن سكوتهم يومها كان خوفاً من موسى عليه السلام! فأول ما سنحت لهم الفرصة في غيابه، صنعوا عاجلاً ذهبياً واتخذوه إلهاً! وَاتَّخَذَ قَوْمٌ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلِمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ. وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِيفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ أَنْ الْقَوْمِ اسْتَضَّ عَفْوَنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تَشْمِثْ بِبِي الْأَعْدَاءُ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. أَنْ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتِرِينَ. وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا أَنْ رَبِّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغُفُورٌ رَحِيمٌ. وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبَ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ.

وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا أَنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَابْنُ آدَمَ فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ. وَكَتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ أَنَا هُدًى إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأَمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَا أُمَّهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِذِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. (الأعراف: ١٤٨-١٥٧)

وقال تعالى: وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ. ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ. ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. (البقرة: ٥١-٥٦)

فاليهود لم يخلصوا في تاريخهم لتوحيد الله تعالى فكيف يخلصون لأنبيائه؟! ولهذا أجاب أمير المؤمنين عليه السلام يهودياً عندما سأله: (ما دفتنم نبيكم حتى اختلفتم فيه! فقال له عليه السلام: إنما اختلفنا عنه لا فيه، ولكنكم ماجتت أرجلكم من البحر حتى قلتنم لنيكم: اجعل لنا إلهاً كما لهم إلهة قال إنكم قوم تجهلون). (نهج البلاغة: ٤/٧٥، وأمالى المرتضى: ١/١٩٨، والعرائس للشعالبي ١١٣).

الإلحاد الصريح في اليهود الماضين والمعاصرين

شهد المؤرخ الغربي ول ديورانت في قصة الحضارة (٢/٣٣٨) وغيره، بأن عبادة العجل الذهبي استمرت في بني إسرائيل في زمن نبي الله موسى عليه السلام الى ما بعد سليمان عليه السلام، حيث استبدلوا العجل بأصنام أخرى!! وقد أوردنا في المجلد الثاني من العقائد الإسلامية ص ١٧٧، نصوصاً من توراتهم وإنجيلهم تدل على تأصل المادية والوثنية في تفكيرهم!

قال الدكتور الشلبي في مقارنة الأديان: ١/١٩٢: (على أن مسألة الألوهية كلها، سواء اتجهت للوحدانية أو للتعدد، لم تكن عميقة الجذور في نفوس بني إسرائيل، فقد كانت المادية والتطلع إلى أسلوب نفعي في الحياة من أكثر ما يشغلهم، وإذا تخطينا عدة قرون، فإننا نجد الفكر اليهودي الحديث يجعل لليهود رباً جديداً نفعياً كذلك، ذلك هو: تربة فلسطين وزهر برتقالها! والذى يقرأ رواية (طوبى للخائفين) للكاتبه اليهودية يائيل ديان، ابنة القائد الصهيوني العسكري موشى ديان، يجد أحد أبطالها (إيفرى) ينصح ابنه الطفل بأن يتخلى عن الذهاب للكنيسة، وأن يحول اهتمامه لإلهه الجديد: تراب فلسطين! ونقتبس فيما يلي سطوراً من هذه الرواية:

...الصبي يحب أن يذهب إلى الكنيس مع أمه، ولكنه عندما عاد مرة من المعبد الذى لا يذهب إليه إلا القليلون، ثار أبوه في وجهه بحديث له مغزى عميق قال له: أيام زمان حين كنا يهوداً في روسيا وغيرها، كان من الضروري بالنسبة لنا أن نطيع التعليمات ونحافظ على ديننا، فقد كان الدين اليهودي لنا وسيلتنا لتعاون ونتعاطف ونذود عنا الردى، أما الآن فقد أصبح لدينا شئ أهم هو الأرض، أنت الآن إسرائيلى ولست مجرد يهودى، إنى قد تركت في روسيا كل شئ، ملابسى ومتاعى وأقاربنى وإلهى، وعثرت هنا على رب جديد، هذا الرب الجديد هو خصب الأرض وزهر البرتقال. إلا تحس بذلك؟.... وأخذ إيفرى حفنة من تراب الأرض وسكبها في كف ابنه وقال له: إمسك هذا التراب، إقبض عليه، تحسسه تذوقه، هذا هو ربك الوحيد، إذا أردت أن تصلى للسماء فلا تصل لها لكى تسكب الفضيلة في أرواحنا، ولكن قل لها أن تنزل المطر على أرضنا، هذا هو المهم: إياك أن تذهب مرة أخرى إلى المعبد!!). وقال أيضاً: ١/٢٦٧: (ويقرر التلمود أن الله هو مصدر الشر كما أنه مصدر الخير، وأنه أعطى الإنسان طبيعة رديئة، وسن له شريعة لم يستطع بطبيعته الرديئة أن يسير على نهجها، فوقف الإنسان حائراً بين اتجاه الشر في نفسه، وبين الشريعة المرسومة إليه، وعلى هذا فإن داود الملك لم يرتكب خطيئته بقتله أوريا واتصاله بامرأته، لأن الله هو السبب في كل ذلك!!). (التلمود شريعة إسرائيل ص ١٧).

افتراء اليهود على الله تعالى و نفيهم عنه العلم والعدل

مضافاً إلى فريتهم الكبرى على الله تعالى بأنه جسم متجسد في عجل، من حجر أو ذهب، أو متجسد بصورة إنسان كبير السن، كما فى توراتهم طبعه مجمع الكنائس الشرقية (ص ٤٢٧) قد وصفوا الله تعالى بصفات لا تناسب الإنسان العادى، فضلاً عن رب العالمين الذى ليس كمثل شئ، عز وجل:

وصفوا الله تعالى بأنه لا يعلم ما خلق

جاء فى ص ٦ من توراتهم: (٨. وسمعاً صوت الرب الإله ماشياً فى الجنة عند هبوب ريح النهار. فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله فى وسط شجر الجنة. ٩. فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت. ١٠. فقال سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاخبتأت. ١١. فقال من أعلمك إنك عريان، هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها. ١٢. فقال آدم: المرأة التى جعلتها معى هى أعطتني من الشجرة فأكلت).!!

وصفوه بالطيش والغضب والظلم

قال الدكتور شلبي فى تاريخ الأديان: ١/٢٦٧: (يروى التلمود أن الله ندم لِمَا أنزله باليهود وبالهيكل، ومما يرويه التلمود على لسان الله قوله: تب لى لأنى صرحت بخراب بيتى وإحراق الهيكل ونهب أولادى!! وليست العصمة من صفات الله فى رأى التلمود، لأنه غضب مرة على بنى إسرائيل فاستولى عليه الطيش، فحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية، ولكنه ندم على ذلك بعد أن هدأ غضبه، ولم ينفذ قسمه، لأنه عرف أنه فعل فعلاً ضد العدالة).

وقال ابن حزم فى الفصل: ١/٢٢٢: (ونقل فى توراتهم وكتب الأنبياء بأن رجلاً اسمه إسماعيل كان أثر خراب البيت المقدس، سمع الله يشن كما تشن الحمامة ويبكي وهو يقول: الويل الويل لمن أخرب بيته... وَيَلِي على ما أخربت من بيتي! وَيَلِي على ما فرقت من بني وبناتي)!!

و افتروا على الله تعالى بأنه ينسى عهده ثم يتذكره

فى التوراة والإنجيل ص ٩٩: (٢٣). وبعد مرور حقبه طويله مات ملك مصر وارتفع أمين بنى إسرائيل وصراخهم من وطأه العبوديه، وصعد إلى الله. ٢٤. فأصغى الله إلى أنينهم، وتذكر ميثاقه مع إبراهيم وإسحق ويعقوب. ٢٥. ونظر الله إلى بنى إسرائيل. (ورق لحالهم).

و زعموا أن يعقوب صارع الله تعالى فعجز الله أن يغلبه

قال ابن حزم فى الفصل: ١/١٤١: (ذكر فى هذا المكان (من التوراة) أن يعقوب صارع الله عز وجل... حتى قالوا أن الله عز وجل عجز عن أن يصرع يعقوب! وفيه أن يعقوب قال: رأيت الله مواجهه وسلمت عليه!)

و وصفوا معبودهم بأنه موجود مادي يسكن فى السماء

فى ٥٧٩/ من توراتهم: (١٨). فقال ملك إسرائيل ليهوشافاط أما قلت لك أنه لا يتبأ على خيراً بل شراً. ١٩. وقال فاسمع إذا كلام الرب. قد رأيت الرب جالساً على كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره. ٢٠. فقال الرب من يغوى أخاب فيصعد ويسقط فى راموت جلعاد. فقال: هذا هكذا، وقال: ذاك هكذا).

و وصفوه بأن له سبعة أرواح كالقطط

جاء فى توراتهم طبعه مجمع الكنائس الشرقيه ص ٣٩٩: (١). بعد هذا نظرت وإذا باب مفتوح فى السماء والصوت الأول الذى سمعته كبوق يتكلم معى قائلاً إصعد إلى هنا فأريك ما لا بد أن يصير بعد هذا. ٢. وللوقت صرت فى الروح وإذا عرش موضوع فى السماء وعلى العرش جالس. ٣. وكان الجالس فى المنظر شبه حجر اليشب والعقيق وقوس قزح حول العرش فى المنظر شبه الزمرد. ٤. وحول العرش أربعة وعشرون عرشاً، ورأيت على العروش أربعة وعشرين شيخاً جالسين متسربلين بثياب بيض وعلى رؤوسهم أكاليل من ذهب. ٥. ومن العرش يخرج بروق وعود وأصوات، وإمام العرش سبعة مصابيح نار متقدده هى سبعة أرواح الله!!

من إهانات اليهود لأنبيائهم و افتراءاتهم عليهم

افتروا على ابراهيم بأنه كان قبل نبوته يعبد الأوثان

فى قاموس الكتاب المقدس ص ٥٩٦: (وقد أدرك إبراهيم بالوحى والإلهام وجود إله واحد أبدى خالق السموات والأرض، وسيد الكون. (تك ١٨: ١٩)

وكان إيمان إبراهيم جديداً بالنسبة لأور التى كان يقيم فيها، حيث كانت مركز عبادة القمر، بل أن أبا إبراهيم نفسه كان يخدم آلهة أور الوثنيه (يش ٢: ٢٤).

لذلك هاجر إبراهيم من أور نحو بلاد كنعان حوالى أواخر القرن العشرين قبل الميلاد).

و اتهموا ابراهيم بأنه تزوج ساره و هى أخته

في قاموس الكتاب المقدس ص ٩: (وقد عاش إبراهيم الجزء الأول من حياته مع أبيه وإخوته في أور الكلدانيين، وقد تزوج من سارى وكانت أخته بنت أبيه وليست بنت أمه، كما نعرف ذلك من تك ٢٠: ١٢).

و اتهموه بأنه كذب على الحاكم القبطى بأن ساره أخته

في التوراة والإنجيل ص ٢١ (موقع ١٤): (arabicbible). ولما اقترب أبرام من مصر استرعى جمال ساراي أنظار المصريين، وشاهدها أيضاً رؤساء فرعون فأشادوا بها أمامه. ١٥. فأخذت المرأة إلى بيت فرعون. ١٦. فأحسن إلى أبرام بسببها وأجزل له العطاء من الغنم والبقر والحمير والعييد والإماء والأتن والجمال. ١٧. ولكن الرب ابتلى فرعون وأهله ببلايا عظيمة بسبب ساراي زوجة أبرام. ١٨. فاستدعى فرعون أبرام وسأله ماذا فعلت بي؟ لماذا لم تخبرني أنها زوجتك؟ ١٩. ولماذا ادعت أنها أختك حتى أخذتها لتكون زوجة لي؟ والآن ها هي زوجتك، خذها وامنض في طريقك. ٢٠. وأوصى فرعون رجاله بأبرام فشيّعوه وامرأته، وكل ما كان يملك).

وفي التوراة والإنجيل ص ٣٣: (١). وارتحل إبراهيم من هناك إلى أرض النقب وأقام بين قادش وشور وتغرب، في جرار. ٢. وهناك قال إبراهيم عن ساره زوجته هي أختي. فأرسل أيمالك ملك جرار وأحضر ساره إليه. ٣. ولكن الله تجلى لأيمالك في حلم في الليل وقال له: إنك ستموت بسبب المرأة التي أخذتها، فإنها متزوجه. ٤. ولم يكن أيمالك قد مسها بعد، فقال للرب: أتميت أمه بريئة؟ ٥. ألم يقل لي أنها أختي وهي نفسها ادعت أنه أخوها؟ ما فعلت هذا إلا بسلامه قلبي وطهاره يدي. ٦. فأجابه الرب: أنا أيضاً علمت إنك بسلامه قلبك قد فعلت هذا، وأنا أيضاً منعتك من أن تخطئى إلى ولم أدعك تمسها. ٧. والآن رُد للرجل زوجته فإنه نبي، فيصلى من أجلك فتحيا، وإن لم تردها فإنك وكل من لك حتماً تموتون).

وفي قاموس الكتاب المقدس ص ١٠: (فارتحل من هناك إلى مصر) (تك ١٢: ١٠) وهناك خوفاً على حياته، ذكر لفرعون أن ساراي أخته دون أن يذكر أنها زوجته (تك ١٢: ١١-٢٠) ومن عند بلوطات ممر انتقال إبراهيم إلى أرض الجنوب وهناك أرسل أيمالك ملك جرار وأخذ ساره لأن إبراهيم قال أنها أختي ولكن الرب ظهر لأيمالك في حلم ولم يدعه يمسها، ولما عاقبه الرب على أخذه ساره ردها إلى إبراهيم. وصلّى إبراهيم لأجله ولأجل بيته فرفع الرب العقاب عنه (تك ٢٠). إلا أنه أظهر ضعفاً مرتين عندما لم يقل الحق كله في ذكر علاقته ساره زوجته به! (تك ١٢: ١٨ و ٢٠: ١١).

وفي قاموس الكتاب المقدس ص ٤٤٣: (ساره: إسم عبري معناه: أميرة، وهي زوجة إبراهيم، وكانت في الأصل تدعى ساراي. تزوجت ساره من إبراهيم في أور الكلدانيين وكانت أصغر منه بعشر سنوات (تكوين ١١: ٢٩-٣١ و ١٧: ١٧). وعندما خرج إبراهيم من حاران كان عمر ساره ٦٥ سنة (تكوين ١٢: ٤) ولكنها كانت جميلة بالرغم مما بلغت من العمر، وكانت محتفظة بقوتها وبشبابها. وبعد مغادرة حاران وقبل النزول إلى مصر، تحدث إبراهيم مع ساره وطلب منها أن تخفى أنها زوجته وتقول أنها أخته، وقد كانت بالفعل أخته ابنة أبيه ليست ابنة أمه! (تك ٢٠: ١٢). وكان سبب طلب إبراهيم ذلك خوفه من أن جمال ساره يلفت نظر المصريين إليها، فيقتلونه ويأخذونها، وأطاعت ساره زوجها، فأخذها ملك مصر، ولكن الله منعه من الإقتراب إليها. ووبخ فرعون زوجها عندما أعلن له الله الأمر. وبعد عدة سنين سكن إبراهيم في جرار وقال عن ساره أنها أخته، فطلب أيمالك أن يتزوج منها، ربما لغرض إيجاد تحالف مع الأمير البدوي القوي. وهنا أيضاً منع الله أيمالك من الإساءة إلى ساره!) (تكوين ٢٠: ١-١٨).

أما الرواية الصحيحة للقصة فهي في مصادر أهل البيت عليهم السلام في الكافي: ٨/٣٧٠: (على بن إبراهيم، عن أبيه، وعده من أصحابنا، عن سهل بن زياد، جميعاً عن الحسن بن محبوب، عن إبراهيم بن أبي زياد الكرخي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن إبراهيم عليه السلام كان مولده بكوثي ربا، وكان أبوه من أهلها، وكانت أم إبراهيم وأم لوط ساره وورقه- وفي نسخة رقيه- أختين وهما ابنتان للحاج، وكان لاحق نبياً منذراً ولم يكن رسولاً، وكان إبراهيم عليه السلام في شببته على الفطرة التي فطر الله عز

وجل الخلق عليها، حتى هداه الله تبارك وتعالى إلى دينه واجتباها، وأنه تزوج سارة ابنة لاجج وهي ابنة خالته، وكانت سارة صاحبة ماشية كثيرة وأرض واسعة وحال حسنة، وكانت قد ملكت إبراهيم عليه السلام جميع ما كانت تملكه، فقام فيه وأصلحه، وكثرت الماشية والزرع حتى لم يكن بأرض كوئي ربا رجل أحسن حالاً منه.

وإن إبراهيم عليه السلام لما كسر أصنام نمرود أمر به نمرود فأوثقه وعمل له حيراً وجمع له فيه الحطب وأهلب فيه النار، ثم قذف إبراهيم عليه السلام في النار لتحرقه، ثم اعزلوها حتى خمدت النار، ثم أشرفوا على الحير فإذا هم بإبراهيم عليه السلام سليماً مطلقاً من وثاقه، فأخبر نمرود خبره، فأمرهم أن ينفوا إبراهيم عليه السلام من بلاده، وإن يمنعوه من الخروج بماشيته وماله، فحاجَّهم إبراهيم عليه السلام عند ذلك فقال: إن أخذتم ماشيتي ومالي فإن حقي عليكم أن تردوا علي ما ذهب من عمري في بلادكم! واختصموا إلى قاضي نمرود فقضى على إبراهيم عليه السلام أن يسلم إليهم جميع ما أصاب في بلادهم، وقضى على أصحاب نمرود أن يردوا على إبراهيم عليه السلام ما ذهب من عمره في بلادهم! فأخبر بذلك نمرود، فأمرهم أن يخلوا سبيله وسبيل ماشيته وماله، وأن يخرجوه، وقال: إنه إن بقي في بلادكم أفسد دينكم وأضر بألهتكم، فأخرجوا إبراهيم ولوطاً معه من بلادهم إلى الشام، فخرج إبراهيم ومعه لوط لا يفارقه وسارة، وقال لهم: إني ذاهب إلى ربي سيهدين، يعني بيت المقدس، فتحمل إبراهيم عليه السلام بماشيته وماله وعمل تابوتاً وجعل فيه سارة وشد عليها الأغلاق غيراً منه عليها، ومضى حتى خرج من سلطان نمرود وصار إلى سلطان رجل من القبط يقال له عرارة، فمر بعاشر له فاعترضه العاشر ليُعشر ما معه، فلما انتهى إلى العاشر ومعه التابوت، قال العاشر لإبراهيم عليه السلام: إفتح هذا التابوت حتى نُعشر ما فيه، فقال له إبراهيم عليه السلام: قل ما شئت فيه من ذهب أو فضة حتى نعطي عُشره ولا نفتحها، قال: فأبى العاشر إلا فتحه، قال: وغضب إبراهيم عليه السلام على فتحه، فلما بدت له سارة وكانت موصوفة بالحسن والجمال قال له العاشر: ما هذه المرأة منك؟ قال إبراهيم عليه السلام: هي حرمتي وابنة خالتي فقال له العاشر: فما دعاك إلى أن خبيتها في هذا التابوت؟ فقال إبراهيم عليه السلام: الغيرة عليها أن يراها أحد، فقال له العاشر: لست أدعك تبرح حتى أعلم الملك حالها وحالك قال: فبعث رسولاً إلى الملك فأعلمه، فبعث الملك رسولاً من قبله ليأتوه بالتابوت، فأتوا ليذهبوا به فقال لهم إبراهيم عليه السلام: إني لست أفارق التابوت حتى تفارق روحى جسدى، فأخبروا الملك بذلك فأرسل الملك أن احملوه والتابوت معه، فحملوا إبراهيم عليه السلام والتابوت وجميع ما كان معه حتى أدخل على الملك فقال له الملك: إفتح التابوت، فقال إبراهيم عليه السلام: أيها الملك إن فيه حرمتي وابنة خالتي، وأنا مفتدٍ فتحه بجميع ما معي!

قال: فغضب الملك وأجبر إبراهيم عليه السلام على فتحه، فلما رأى سارة لم يملك حلمه سفهه أن مد يده إليها، فأعرض إبراهيم عليه السلام بوجهه عنها وعنه غيراً منه، وقال: اللهم احبس يده عن حرمتي وابنة خالتي، فلم تصل يده إليها ولم ترجع إليه! فقال له الملك: أن إلهك الذى فعل بي هذا؟ فقال له: نعم، أن إلهي غيور يكره الحرام وهو الذى حال بينك وبين ما أردت من الحرام! فقال له الملك: فادع إلهك يرد علي يدي فإن أجابك لم أعرض لها، فقال: إبراهيم عليه السلام: إلهي رُدَّ عليه يده ليكف عن حرمتي: قال: فردَّ الله عز وجل عليه يده، فأقبل الملك نحوها ببصره ثم أعاد بيده نحوها فأعرض إبراهيم عليه السلام عنه بوجهه غيراً منه وقال: اللهم احبس يده عنها، قال: فبيست يده ولم تصل إليها، فقال الملك لإبراهيم عليه السلام: أن إلهك لغيور وإنك لغيور، فادع إلهك يرد علي يدي فإنه أن فعل لم أعد، فقال له إبراهيم عليه السلام: أسأله ذلك على أنك إن عدت لم تسألني أن أسأله، فقال الملك: نعم، فقال إبراهيم عليه السلام: اللهم إن كان صادقاً فردَّ عليه يده، فرجعت إليه يده! فلما رأى ذلك الملك من الغيرة ما رأى ورأى الآية في يده، عظَّم إبراهيم عليه السلام وهابته وأكرمه واتقاه وقال له: قد أمنت من أن أعرض لها، أو لشيء مما معك فانطلق حيث شئت ولكن لى إليك حاجة، فقال إبراهيم عليه السلام: ما هي؟ فقال له: أحب أن تأذن لى أن أخدمها قبطية عندي جميلة عاقلة تكون لها خادماً، قال: فأذن له إبراهيم عليه السلام فدعا بها فوهبها لسارة، وهي هاجر أم إسماعيل عليه السلام، فسار إبراهيم عليه السلام بجميع مامعه وخرج الملك معه يمشى خلف إبراهيم عليه السلام إعظماً لإبراهيم عليه السلام وهيبته له، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى إبراهيم أن

ها هي جاريتك تحت تصرفك، فافعل بها ما يحلو لك. فأذلتها ساراي حتى هربت منها).

وفى التوراة ص ٣٦: (٩). ورأت سارة أن ابن هاجر المصري الذي أنجبته لإبراهيم يسخر من ابنها إسحق. ١٠. فقالت لإبراهيم: أطرده هذه الجارية وابنها، فإن ابن الجارية لن يرث مع ابني إسحق. ١١. فقبح هذا القول في نفس إبراهيم من أجل ابنه. ١٢. فقال الله له: لا يسوء في نفسك أمر الصبي أو أمر جاريتك، واسمع لكلام سارة في كل ما تشير به عليك لأنه بإسحق يدعى لك نسل. ١٣. وسأقيم من ابن الجارية أمةً أيضاً لأنه من ذريتك. ١٤. فنهض إبراهيم في الصباح الباكر وأخذ خبزاً وقربة ماء ودفعهما إلى هاجر، ووضعهما على كتفيها، ثم صرفها مع الصبي، فهامت على وجهها في بريد بئر سبع. ١٥. وعندما فرغ الماء من القربة طرحت الصبي تحت إحدى الأشجار. ١٦. ومضت وجلست مقابله، على بعد نحو مئة متر، لأنها قالت: لا أشهد موت الصبي. فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت. ١٧. وسمع الله بكاء الصبي، فنادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها: ما الذي يزعجك يا هاجر؟ لا تخافي لأن الله قد سمع بكاء الصبي من حيث هو ملقى. ١٨. قومي واحملي الصبي، وتشبثي به لأنني سأجعله أمة عظيمة. ١٩. ثم فح عينها فأبصرت بئر ماء، فذهبت وملأت القربة وسقت الصبي. ٢٠. وكان الله مع الصبي فكبر، وسكن في صحراء فاران وبرع في رمي القوس. ٢١. واتخذت له أمة زوجة من مصر).

وفى قاموس الكتاب المقدس ص ٩٩٤: (وقد تكلم الرسول بولس عن هاجر وولادتها حسب الجسد ابناً للعبودية! ووصف المؤمنين بالمسيح بأنهم كأولاد الحرة يرثون مع الأب وميلادهم (الثاني) بالموعد مثل إسحاق ابن إبراهيم (غل ٤: ٢١-٣١). وقد جاء في معظم التقاليد أن العرب هم ذرية إسماعيل).

و اتهموا إبراهيم بأنه أطاع سارة و طرد هاجر و ابنها إسماعيل

فى قاموس الكتاب المقدس ص ٤٤٣: (وعندما بلغت سارة سن ٨٩ جاءها الموعد بميلاد إسحق، الذى ولدته بعد سنة. وغيّر الله إسم ساراي إلى سارة فى ذلك الوقت- وقت الموعد). (تك ١٧: ١٥ - ٢٢ و ١٨: ٩ - ١٥ و ٢١: ١ - ٥). وعندما فطم إسحاق أقام والداه وليمة عظيمة... ولاحظت سارة أن إسماعيل يمزح، وقد قيل أنه كان يصوب سهامه على إسحاق مهدداً بقتله من باب التخويف، فطلبت سارة من إبراهيم أن يطرد الجارية مع ابنها! وقد ظن البعض أن ذلك كان قساوة وشرّاً من سارة، غير أن البعض الآخر يعتقد أن سارة لم تطلب طرد هاجر إلا إلى الخيام الأخرى لإبراهيم والتي كان يقيم فيها عبيده الآخرون، أى أن سارة منعت الجارية وابنها من السكن فى خيمة السيد، وجعلتها تأخذ مكانها كجارية فقط، واختلفت الآراء فى سارة، ولكنها كانت فى الحق مؤمنةً فاضلةً وزوجةً أمينةً وأما مثاليةً. وقد ماتت سارة وهى فى سن ١٢٧ سنة، بعد ولادة إسحاق بما يزيد على ٣٦ سنة، ودفنها إبراهيم فى حقل المكفيلة الذى اشتراه لهذا الغرض).

وفى قاموس الكتاب المقدس ص ٧٣: (وقد حثت سارة إبراهيم أن يأخذ أمتها زوجةً لكى يعقب منها نسلًا، لأن سارة كانت عاقراً (تك ١٦: ١ - ٤) وكان هذا النظام فى الزواج معمولاً به فى تلك الأزمنة. وقد دلت الاكتشافات على أنه كان موجوداً فى (نوزى) بالقرب من كركوك فى العراق. أما هذا العمل من ناحية سارة فمصدره ضعف الإيمان بمواعيد الرب لإبراهيم وسارة بأن يكون لهما ابن! وبعد أن حملت سارة نظرت إلى سيدتها باحتقار لأنها كانت عاقراً فطردها سيدتها، ولاقها ملاك الرب فى الطريق وأمرها أن ترجع إلى سيدتها وإلى بيت إبراهيم، ووعدها بأنها ستلد ابناً تسميه إسماعيل، وأنه يكون أباً لجمهور من الناس، وأنه سيسكن البرية كحمار وحشى). (تك ١٦: ٥ - ١٤)

وبعد أن رجعت هاجر ولدت إسماعيل، لما كان إبراهيم ابن ست وثمانين سنةً وبعد أن كان له فى أرض كنعان عشر سنين (تك ١٦: ٣ - ١٦). وقد ختن إسماعيل فى الثالثة عشرة من عمره (تك ١٧: ٢٥) وهى السن التى يختن فيها الأولاد العرب فى الوقت الحاضر. وفى الوليمة التى أقيمت بمناسبة فطام إسحاق، سخر إسماعيل من أخيه الصغير وكان إسماعيل حينئذ قد بلغ السادسة عشرة من عمره.

فألحّت سارة على إبراهيم أن يطرد هاجر وابنها فطردهما (تك ٢١: ٨ - ١٤). فتاهت الأم وابنها في بريبة بئر سبع في جنوب فلسطين، وكانا على وشك الهلاك من الظمأ. فأرى الله هاجر بئر ماء ووعداها ثانية بأن ابنها إسماعيل سيصير مصدر أمه عزيمة. ومنذ ذلك الحين سكن إسماعيل في بريبة فاران في جنوب فلسطين على حدود شبه جزيرة سيناء، وأصبح ماهراً في استعمال القوس. وأخذت له أمه زوجة من بلادها، من مصر (تك ٢١: ١٥ - ٢١) وولد له اثنا عشر ابناً الذين أصبحوا آباء القبائل العربية (أنظر إسماعيليين) وولد له أيضاً ابنة اسمها محلة (تك ٢٨: ٩) أو بسمه (تك ٣٦: ٣) وقد تزوجها عيسو. وقد اشترك إسماعيل مع إسحاق في دفن أبيهما إبراهيم في ممرا بالقرب من حبرون. (تك ٢٥: ٩). وقد مات إسماعيل بعد أن بلغ من العمر ١٣٧ سنة. (تك ٢٥: ١٧).

اما مصادرنا فبرئى إبراهيم وعرته من الظلم والمعصية

ففى المحاسن: ٢/٣٣٧، عن الإمام الصادق عليه السلام: (إن إبراهيم عليه السلام لما خلف هاجر وإسماعيل بمكة عطش إسماعيل فبكى، فخرجت هاجر حتى علّت على الصفا وبالوادي أشجار فنادت: هل بالوادي من أنيس؟ فلم يجبه أحد، فانحدرت حتى علت على المروة، فنادت هل بالوادي من أنيس؟ فلم تزل تفعل ذلك حتى فعلته سبع مرات، فلما كانت السابعة هبط عليها جبرئيل عليه السلام فقال لها: أيتها المرأة من أنت؟ قالت: أنا هاجر أم ولد إبراهيم، قال لها: وإلى من خلفك؟ قالت: أما إذا قلت ذلك، لقد قلت له يا إبراهيم إلى من تخلفنى ههنا؟ فقال: إلى الله عز وجل أخلفك، فقال لها جبرئيل عليه السلام: نعم ما خلفك إليه، ولقد وكلتك إلى كافٍ فارجعي إلى ولدك، فرجعت إلى البيت وقد انبعث زمزم والماء ظاهر يجرى، فجمعت حوله التراب فحبسته! قال أبو عبد الله عليه السلام: ولو تركته لكان سيحاً!

ثم مرّ ركب من اليمن ولم يكونوا يدخلون مكة، فنظروا إلى الطير مقبله على مكة من كل فج، فقالوا: ما أقبلت الطير على مكة إلا وقد رأت الماء، فمالوا إلى مكة حتى أتوا موضع البيت، فنزلوا واستقوا من الماء وتزودوا منه ما يكفيهم وخلفوا عندهما من الزاد ما يكفيهما، فأجرى الله لهم بذلك رزقاً.

وروى محمد بن خلف، عن بعض أصحابه، قال: فكان الناس يمرون بمكة فيطعمونهم من الطعام، ويسقونهم من الماء. (والكافي: ٤/٢٠٢).

وفى الكافي: ٤/٢٠١: (عن الإمام الصادق عليه السلام قال: لما ولد إسماعيل حملة إبراهيم وأمه على حمار، وأقبل معه جبرئيل حتى وضعه في موضع الحجر ومعه شئ من زاد وسقاء فيه شئ من ماء، والبيت يومئذ ربوة حمراء من مَيدَر فقال إبراهيم لجبرئيل عليهما السلام: هاهنا أمرت؟ قال: نعم، قال: ومكة يومئذ سلّم وسَمَر، وحول مكة يومئذ ناسٌ من العماليق).

وروى فى الكافي: ٤/٢٠٢ عن الإمام الصادق عليه السلام رواية تختلف عن المشهور تذكر أن زمزم الأولى شحّت فحفرها إبراهيم عليه السلام، قال: (عن محمد بن يحيى، وأحمد بن إدريس، عن عيسى بن محمد بن أبى أيوب، عن على بن مهزيار، عن الحسين بن سعيد، عن على بن منصور، عن كلثوم بن عبد المؤمن الحراني، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام أن يحج ويحج إسماعيل معه ويسكنه الحرم، فحجّ على جمل أحمر وما معهما إلا جبرئيل عليه السلام، فلما بلغا الحرم قال له جبرئيل: يا إبراهيم إنزلا- فاغتسلا قبل أن تدخلوا الحرم، فنزلا- فاغتسلا، وأراهما كيف يتهيآن للإحرام ففعلا، ثم أمرهما فأهلا بالحج، وأمرهما بالتلييات الأربع التى لبي بها المرسلون، ثم صار بهما إلى الصفا فنزلا وقام جبرئيل بينهما، واستقبل البيت فكبر الله وكبرا، وهلل الله وهللا، وحمد الله وحمدا، ومجّد الله ومجّدا، وأثنى عليه وفعلا مثل ذلك.

وتقدم جبرئيل وتقدما، يثيان على الله عز وجل ويمجدانه، حتى انتهى بهما إلى موضع الحجر فاستلم جبرئيل الحجر وأمرهما أن يستلما، وطاف بهما أسبوعاً، ثم قام بهما فى موضع مقام إبراهيم عليه السلام فصلى ركعتين وصليا، ثم أراهما المناسك وما يعملان به. فلما قضيا مناسكهما أمر الله إبراهيم عليه السلام بالإنصراف وأقام إسماعيل وحده، ما معه أحد غير أمه، فلما كان من قابل أذن الله

لإبراهيم عليه السلام في الحج وبناء الكعبة، وكانت العرب تحج إليه وإنما كان ردماً إلا أن قواعده معروفة، فلما صدر الناس جمع إسماعيل الحجارة وطرحها في جوف الكعبة. فلما أذن الله له في البناء قدم إبراهيم عليه السلام فقال: يا بنى قد أمرنا الله ببناء الكعبة، وكشفا عنها فإذا هو حجر واحد أحمر، فأوحى الله عز وجل إليه ضع بناءها عليه، وأنزل الله عز وجل أربعة أملاك يجمعون إليه الحجارة، فكان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يضعان الحجارة والملائكة تناولهما، حتى تمت اثني عشر ذراعاً، وهيئا له بايين: باباً يدخل منه وباباً يخرج منه، ووضعاً عليه عتياً وشرجاً من حديد على أبوابه.

وكانت الكعبة عريانة فصدر إبراهيم وقد سوى البيت وأقام إسماعيل، فلما ورد عليه الناس نظر إلى امرأة من حمير أعجبه جمالها، فسأل الله عز وجل أن يزوجه إياه، وكان لها بعل فقضى الله على بعلها بالموت وأقامت بمكة حزناً على بعلها، فأسلى الله ذلك عنها، وزوجه إسماعيل.

وقدم إبراهيم الحج وكانت امرأة موفقة، وخرج إسماعيل إلى الطائف يمتار لأهله طعاماً، فنظرت إلى شيخ شعث، فسألها عن حالهم فأخبرته بحسن حال، فسألها عنه خاصة فأخبرته بحسن الدين، وسألها ممن أنت؟ فقالت: امرأة من حمير فسار إبراهيم ولم يلق إسماعيل، وقد كتب إبراهيم كتاباً فقال: ادفعي هذا إلى بعلك، إذا أتى أن شاء الله، فقدم عليها إسماعيل فدفعته إليه الكتاب فقرأه فقال: أتدرين من هذا الشيخ؟ فقالت: لقد رأيتة جميلاً فيه مشابهة منك، قال: ذاك إبراهيم فقالت: واسوء تاه منه فقال: ولم، نظر إلى شئ من محاسنك؟ فقالت: لا ولكن خفت أن أكون قد قصرت! وقالت له المرأة وكانت عاقلة: فهلا تعلق على هذين البابين سترين سترًا من ههنا وسترًا من ههنا؟ فقال لها: نعم فعملا لهما سترين طولهما اثني عشر ذراعاً فعلقا هما على البابين فأعجبهما ذلك، فقالت: فهلاً أحوك للكعبة ثياباً فتسترها كلها فإن هذه الحجارة سمجة؟ فقال لها إسماعيل: بلى، فأسرعت في ذلك وبعثت إلى قومها بصوف كثير تستغزلهم. قال أبو عبد الله عليه السلام: وإنما وقع استغزال النساء من ذلك بعضهن لبعض لذلك، قال: فأسرعت واستعانت في ذلك، فكلما فرغت من شقة علقته فجاء الموسم وقد بقي وجه من وجوه الكعبة، فقالت لإسماعيل: كيف نصنع بهذا الوجه الذي لم تدركه الكسوة، فكسوه خصفاً فجاء الموسم وجاءته العرب على حال ما كانت تأتيه، فنظروا إلى أمر أعجبهم، فقالوا: ينبغي لعامل هذا البيت أن يهدي إليه، فمن ثم وقع الهدى، فأتى كل فخذ من العرب بشئ يحمله من ورق ومن أشياء غير ذلك، حتى اجتمع شئ كثير، فنزعوا ذلك الخصف وأتموا كسوة البيت وعلقوا عليها بايين.

وكانت الكعبة ليست بمسقفه، فوضع إسماعيل فيها أعمدة مثل هذه الأعمدة التي ترون من خشب، وسقفها إسماعيل بالجرائد وسواها بالطين، فجاءت العرب من الحول فدخلوا الكعبة ورأوا عمارتها فقالوا: ينبغي لعامل هذا البيت أن يزداد، فلما كان من قابل جاء الهدى، فلم يدر إسماعيل كيف يصنع، فأوحى الله عز وجل إليه أن انحره وأطعمه الحاج.

قال: وشكا إسماعيل إلى إبراهيم قلة الماء، فأوحى الله عز وجل إلى إبراهيم أن احتفر بئراً يكون منها شراب الحاج فنزل جبرئيل عليه السلام فاحتفر قليبهم يعني زمزم حتى ظهر ماؤها ثم قال جبرئيل عليه السلام: إنزل يا إبراهيم فنزل بعد جبرئيل فقال: يا إبراهيم إضرب في أربع زوايا البئر وقل بسم الله، قال فضرب إبراهيم عليه السلام في الزاوية التي تلى البيت وقال: بسم الله فانفجرت عين ثم ضرب في الزاوية الثانية وقال: بسم الله فانفجرت عين، ثم ضرب في الثالثة وقال: بسم الله فانفجرت عين، ثم ضرب في الرابعة وقال: بسم الله فانفجرت عين.

وقال له جبرئيل: إشراب يا إبراهيم وادع لولدك فيها بالبركة، وخرج إبراهيم عليه السلام وجبرئيل جميعاً من البئر فقال له: أفض عليك يا إبراهيم، وطف حول البيت فهذه سقيا سقاها الله ولد إسماعيل، فسار إبراهيم وشيعة إسماعيل حتى خرج من الحرم، فذهب إبراهيم ورجع إسماعيل إلى الحرم). انتهى.

في قاموس الكتاب المقدس ص ٩٩٥: (غير أن هارون أظهر ضعف إيمان في حالات كثيرة، وكان أولها لما تأخر موسى وهو على الجبل مع الرب. فقد ضج الشعب وارتد عن طاعة الله، وطلب إلى هارون أن يصنع له تماثيل آلهة ليعبدها. فصنع هارون عجل الذهب وبنى له مذبحاً (خر/٣٢). ومع هذا غفر الله له خطأه، وأمر برسمه، هو وذريته، كهنة على بني إسرائيل. (خر ٤٠: ١٢ - ١٥). وبذلك تأسست الكهانة اللاويية، وأصبح هارون أول رئيس كهنة....

وكان الله كثير الإحسان لهارون بالرغم من أخطائه. وكانت آخر أخطائه أنه لم يقدر الرب إمام بني إسرائيل، لا هو ولا موسى، في أواخر رحله بني إسرائيل إلى فلسطين وحينما شعر الشعب بالظماً إمام قادش. فأمر الله بعقابهما، بمنعهما من دخول فلسطين، أي بموتهما قبل الوصول إليها (عد ٢٠: ١ - ١٣).

وغادر بنو إسرائيل قادش وأتوا إلى جبل هور، فأمر الرب موسى أن يأخذ هارون وابنه ألعازار، ويصعد بهما إلى الجبل وهناك يخلع ثياب هارون الكهنوتية ويلبسها لابنه. ولما نفذ هارون ذلك مات هارون، وانضم إلى آباءه وبكاه قومه ثلاثين يوماً (عد ٢٠: ٢٢ - ٢٩ و٣٣: ٣٧ - ٣٩ وتث ١٠: ٦).

وكان عمره عند وفاته مئة وثلاث وعشرين سنة. ولا يزال أثر المكان الذي مات فيه محفوظاً إلى اليوم على إحدى قمتي جبل هور بالقرب من بترا. وسمى هارون (قدس الرب). (مز ١٠٦: ١٦).

وكان اليهود المتأخرون يحفظون ذكره بإكرام. وهم يصومون تذكراً له في اليوم الأول من شهر آب. وظلت رئاسة الكهنوت عند العبرانيين في بيت هارون إلى دمار أورشليم والهيكل في سنة ٧٠م).

و اتهموا أنبياء الله بالحيل والدجل والبلاهة

في التوراة والإنجيل ص ٤٧: (٢٧-١). ولما شاخ إسحق وضعف بصره استدعى ابنه الأكبر عيسو وقال له: يا بني ٢. ها أنا قد شخت ولست أعرف متى يحين يوم وفاتي. ٣. فالآن خذ عدتك: جعبتك وقوسك، وامض إلى البرية واقتنص لي صيداً. ٤. وجهز لي طعاماً شهياً كما أحب وائتني به لآكل، لتباركك نفسى قبل أن أموت. ٥. وسمعت رفقته حديث إسحق لابنه عيسو. فعندما انطلق عيسو إلى البرية ليصطاد صيداً ويأتني به. ٦. قالت رفقته لابنها يعقوب: سمعت أباك يقول لعيسو أخيك ٧. إقتنص لي صيداً، وجهز لي أطمعته شهية لآكل وأباركك إمام الرب قبل موتى. ٨. والأين يا بني أطمع قولى فى ما أمرك به، ٩. واذهب إلى قطيع الماشية، واختر جديين لأجهز لأبيك أطمعته شهية كما يحب! ١٠. تقدمها لأبيك لياكل، فيباركك قبل وفاته. ١١. فقال يعقوب لرفقته أمه: أخى عيسو رجل أشعر، وأنا رجل أملس. ١٢. وقد يجسنى أبى فيتبين خداعى، وأستجلب على نفسى لعنة لا بركة. ١٣. فقالت له أمه: لعنتك علىّ يا بنى، فأطمع قولى فقط، واذهب وأحضر الجديين لى. ١٤. فذهب واختارهما وأحضرهما لأمه، فأعدت رفقته الأطمعته المطيبة كما يحب أبوه ١٥. وتناولت ثياب بكرها عيسو الفاخرة الموجودة عندها فى البيت وألبست يعقوب ابنها الأصغر، ١٦. وكذلك غطت يديه وملاسه عنقه بجلد الجديين. ١٧. وأعطته ما أعدته من الأطمعته الشهية والخبز. ١٨. فأقبل على أبيه وقال: يا أبى. فأجابه: نعم يا ابنى من أنت؟ ١٩. فقال يعقوب: أنا عيسو بكرك. وقد فعلت كما طلبت، والأين قم واجلس وكل من صيدى حتى تباركنى. ٢٠. فقال إسحق: كيف استطعت أن تجد صيداً بمثل هذه السرعة يا ولدى؟ فأجابه: لأن الرب إلهك قد يسر لى ذلك. ٢١. وقال إسحق: إقترب منى لأجسك يا ابنى لأرى أن كنت حقاً ابنى عيسو أم لا. ٢٢. فدنا يعقوب من أبيه إسحق فجسه وقال: الصوت صوت يعقوب، أما اليدان فهما يدا عيسو. ٢٣. ولم يعرفه لأن يديه كانتا مشعرتين كيدى أخيه عيسو، فباركه!! ٢٤. وسأل: هل أنت ابنى عيسو؟ فأجاب: أنا هو. ٢٥. ثم قال: قدم لى من صيدك حتى آكل وأباركك. فأحضر يعقوب إليه الطعام فأكل ثم قدم له خمراً فشرب، ٢٦. فقال له إسحق أبوه: تعال وقبلى يا ولدى. ٢٧. فأقرب منه وقبله، فتنسم رائحة ثيابه وباركه قائلاً: ها أن رائحة ابنى كرائحة حقل باركه الرب، ٢٨. فلينعم عليك الرب من ندى السماء ومن خيرات الأرض، فيكثر لك الحنطة والخمر. ٢٩. لتخدمك الشعوب، وتسجد لك القبائل، لتكن سيداً على

إخوتك. وبنو أمك لك ينحنون. وليكن لاعنوك ملعونين، ومباركوك مباركين.

٣٠. ولما فرغ إسحق من مباركة يعقوب، وخرج يعقوب من عند أبيه، رجع عيسو من صيده، ٣١. فجهز هو أيضاً أطعمته طيبة وأحضرها إلى أبيه وقال: ليقيم أبي ويأكل من صيد ابنه فتباركني نفسك. ٣٢. فقال إسحق: من أنت؟ فأجابه: أنا ابنك بكرك عيسو. ٣٣. فارتعد إسحق بعنف وقال: من هو إذا الذي اصطاد صيداً وأحضره إليّ فأكلت من الكل قبل أن تجيء، وباركته؟ وحقاً يكون مباركاً. ٣٤. فما أن سمع عيسو كلام أبيه حتى أطلق صرخة هائلة ومرّة جداً وقال: باركني أنا أيضاً يا أبي. ٣٥. فأجاب: لقد مكر بي أخوك وسلب بركتك! ٣٦. فقال: ألم يدع اسمه يعقوب؟ لقد تعقبنى مرتين: أخذ بكوريتي، وها هو يسلبني الآن بركتي. ثم قال: أما احتفظت لي ببركة؟ ٣٧. فأجاب إسحق: لقد جعلته سيداً لك، وصيرت جميع إخوته له خداماً، وبالحنطة والخمر أمددته. فماذا أفعل لك الآن يا ولدي؟ ٣٨. فقال عيسو: ألك بركة واحدة فقط يا أبي؟ باركني أنا أيضاً يا أبي. وأجهش عيسو بالبكاء بصوت عال. ٣٩. فأجابه أبوه: ها مسكنك يكون في أرض جدباء لا يهطل عليها ندى السماء. ٤٠. بسيفك تعيش ولأخيك تكون عبداً، ولكن حين تجمع تحطم نيره عن عنقك.

٤١. وحقاً عيسو على يعقوب من أجل ما ناله من بركة أبيه. فنجى نفسه: قريباً يموت أبي، وبعده أقتل أخى يعقوب. ٤٢. فبلغ رفقة وعيد عيسو ابنها الأكبر، فأرسلت واستدعت يعقوب ابنها الأصغر وقالت له: عيسو يخطط لقتلك. ٤٣. والأبن يا ابني إصغ لقولي، وقم اهرب إلى أخى لابان إلى حاران، ٤٤. وامكث عنده أياماً قلائل ريثما يهدأ سخط أخيك. ٤٥. ومتى سكن غضبه ونسى ما صنعت به، عندئذ أبعث إليك لتعود من هناك!!

و اتهموا يوشع بأنه ختن اليهود بسكاكين من حجر الصوان

في قاموس الكتاب المقدس ص ٣٣٧: (٧: ٢٢). والختان من الشعائر المعروفة في اليهودية، وهو قطع لحم غرله كل ذكر ابن ثمانية أيام... وقد ختن إبراهيم وهو في التاسعة والتسعين وإسماعيل وهو في الثالثة عشرة. (تك ١٧: ١١ - ٢٧). ثم تجددت سنة الختان لموسى (لا ١٢: ٣) ففضى أن لا يأكل الفصح رجل أغرل. وكان اليهود يحافظون كل المحافظة على هذه السنة وقد أهملوها أثناء رحلتهم في البرية. على أنه عند دخول الشعب أرض كنعان صنع يشوع سكاكين من الصوان وختن الشعب كله). (يشوع ٥: ٢ - ٩).

و افتروا على سليمان أنه أشرك بالله تعالى

في التوراة/٥٥٤: (٩). فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين ١٠. وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظ ما أوصى به الرب. ١١. فقال الرب لسليمان من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها فإنني أمزق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعدوك). انتهى.

النتائج الخطيرة لتخريب اليهود لعقيدة العدل والعصمة

لهذا العمل اليهودي دلالات مهمة ونتائج خطيرة بل مهولة، في عقائد اليهود وحياتهم، في تعاملهم مع ربهم وأنبيائهم عليهم السلام، ومع الشعوب الأخرى!
فمنها: أنه يكشف سبب التعقيد فيهم، والذي تحول من صفة في الشخص اليهودي المنحرف، إلى صفة في الجماعة اليهودية كلها، إلا من عصم الله.

فإن كنت تعتقد أن رب العالمين خالق السماوات والأرضين، يعامل عباده

بالغضب والظلم والانتقام، ويفتقر إلى العلم المطلق، والحكمة المطلقة، والرحمة المطلقة.. فمن الطبيعي أن تتأصل في نفسك الذاتية، وتشعر أنك موجودٌ في مقابل خالقه، ليس المهم عنده عبادة ربه وطاعته وكسب فيض رحمته، بل المهم أن يستعمل الحيل مع ربه لحماية نفسه منه، وكسب ما يمكنه منه! وهذا هو التعقيد في الشخصية في أعمق حالاته!

وإذا كان رب العالمين معاذ الله كذلك، وكان الأنبياء عليهم السلام جماعةً أنانيين شهوانيين، سيؤون استعمال السلطة والبركة التي أعطاهم إياها! فماذا عسى أن يكون اليهودى العادى!!؟

ومنها: أنه يكشف منشأ نظرتهم الدونية إلى أنفسهم فضلاً عن غيرهم، فعقيدة أنهم شعب الله المختار لا تنقل من عقيدة الدونية! فما دام أنبياء هذا الشعب سيؤون ذميمون، فصفت عامة الشعب أحط منها وأسوأ بكثير!

ومنها: أن نعرف سبب عقيدتهم بدونية الشعوب، فمن كانت هذه عقيدته إلى أنبيائه عليهم السلام ونفسه، فلا عجب أن تكون نظرتهم إلى بقية شعوب العالم بأنهم حمير خلقهم الله ليركبهم أبناء الشعب اليهودى!!؟

ومنها: أنه يكشف سبب حرصهم على نشر النظرة الدونية إلى الإنسان في العالم، التي تزعم أن الإنسان حيوان يحركه الجنس لا أكثر! ولذا كان دارون وفرويد اليهوديان أبطالاً قوميين عند اليهود! لا يتكارهما نظريات تساعد في تركيز النظرة اليهودية في ثقافة شعوب العالم!

ومنها: أنا بذلك نضع يدنا على فعالية أخبار يهود المدينة وخيبر والشام واليمن، وناغتهم كعب الأخبار، في تخريب عقيدة المسلمين في صفات الله تعالى والظعن في عدالته، ونفيهم لعصمة الأنبياء عليهم السلام، وخاصة نبينا صلى الله عليه وآله فإن أول هدف وأهمه عند اليهودى أن يجعلك مثله تنتقد الله تعالى ورسله، وتطول لسانك عليهم، فبذلك تقف معه على الطريق الذى يريده لك!

راجع ما كتبناه في (ألف سؤال وإشكال: ١/٤٨٥) عن دور كعب في تخريب عقائد المسلمين وزرع اليأس في نفوسهم من المستقبل، وزعمه حتمية انتهاء الإسلام وفناء أمته، وهدم الكعبة وخراب مكة، خراباً لا تسكن بعده أبداً!

امتياز الشيعة عن اليهود والسنة بعقيدة العصمة التامة

نؤمن بالعدالة المطلقة لله تعالى والعصمة التامة للأنبياء والأئمة

امتاز الشيعة عن غيرهم من جميع مذاهب المسلمين وأهل الأديان الأخرى بأنهم يعتقدون بالعدالة الكاملة لله تعالى، والعصمة الكاملة للأنبياء وأوصيائه عليهم السلام ويزهونهم عن جميع المعاصى والرذائل، طوال أعمارهم الشريفة، قبل البعثة والإمامة وبعدها، سواء في تبليغ الرسالة وعقائدها وأحكامها، أو في غيره من سلوكهم الشخصى والعام.

وقد عرّف الإمام الصادق عليه السلام العصمة كما في معانى الأخبار للصدوق: ص ١٣٢:

(حدثنا على بن الفضل بن العباس البغدادي بالرى المعروف بأبى الحسن الحنوطى، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عمرو بن أحمد بن سليمان بن الحارث، قال: حدثنا محمد بن على بن خلف العطار قال: حدثنا حسين الأشقر قال: قلت لهشام بن الحكم: ما معنى قولكم: أن الإمام لا يكون إلا معصوماً؟ فقال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن ذلك فقال: المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله، وقال الله تبارك وتعالى: ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم).

وفي معانى الأخبار ص ١٣٢: (حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الرحمن المقرئ قال: حدثنا أبو عمرو محمد بن جعفر المقرئ الجرجاني قال: حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن الموصلى ببغداد، قال: حدثنا محمد بن عاصم الطريفى، قال: حدثنا عباس بن يزيد بن الحسن الكحال مولى زيد بن على قال: حدثنى أبى قال: حدثنى موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن على، عن أبيه على بن الحسين عليهم السلام قال: الإمام منا لا يكون إلا معصوماً، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها، ولذلك لا يكون إلا

منصوصاً.

ف قيل له: يا ابن رسول الله فما معنى المعصوم؟ فقال: هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن لا يفترقان إلى يوم القيامة، والإمام يهدي إلى القرآن والقرآن يهدي إلى الإمام، وذلك قول الله عز وجل: "إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم." (

وفى معانى الأخبار ص ١٣٢: (حدثنا محمد بن علي ماجيلويه - رحمه الله - قال حدثنا علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير قال: ما سمعت ولا استفدت من هشام بن الحكم فى طول صحبتى له شيئاً أحسن من هذا الكلام فى صفه عصمه الإمام، فإنى سألته يوماً عن الإمام أهو معصوم؟ فقال: نعم. فقلت: فما صفه العصمة فيه؟ وبأى شئ تعرف؟ فقال: إن جميع الذنوب لها أربعة أوجه ولا خامس لها: الحرص والحسد والغضب والشهوة، فهذه منفية عنه لا يجوز أن يكون حريصاً على هذه الدنيا وهى تحت خاتمه لأنه خازن المسلمين، فعلى ماذا يحرص؟ ولا يجوز أن يكون حسوداً لأن الإنسان إنما يحسد من فوّه وليس فوّه أحد، فكيف يحسد من هو دونه؟ ولا يجوز أن يغضب لشئ من أمور الدنيا إلا أن يكون غضبه لله عز وجل، فإن الله عز وجل قد فرض عليه إقامة الحدود وأن لا تأخذه فى الله لومة لائم ولا رأفه فى دينه حتى يقيم حدود الله عز وجل، ولا يجوز له أن يتبع الشهوات ويؤثر الدنيا على الآخرة لأن الله عز وجل حبب إليه الآخرة كما حبب إلينا الدنيا فهو ينظر إلى الآخرة كما ننظر إلى الدنيا فهل رأيت أحداً ترك وجهاً حسناً لوجه قبيح وطعاماً طيباً لطعام مر وثوباً لنا لثوب خشن ونعمة دائمة باقيةً لدنيا زائلةً فانيةً). (ورواه فى علل الشرائع: ١/٢٠٤. وأمالى الصدوق/٧٣١: والخصال/٢١٥)

وهذا الإمتياز معروف للجميع عن الشيعة، من عصر النبى والأئمة عليهم السلام.

قال الرازى فى تفسيره: ٣/٧: (واختلف الناس على ثلاثة أقوال:

أحدها: قول من ذهب إلى أنهم معصومون من وقت مولدهم، وهو قول الرافضة.

وثانيها: قول من ذهب إلى عصمتهم وقت بلوغهم، ولم يجوزوا منهم ارتكاب الكفر والكبيرة قبل النبوة، وهو قول كثير من المعتزلة. وثالثها: قول من ذهب إلى أن ذلك (يعنى ارتكاب الكفر والكبيرة) لا يجوز وقت النبوة أما قبلها فجائز، وهو قول أكثر أصحابنا، وقول أبى الهذيل العلاف، وأبى على من المعتزلة).

وقال أيضاً فى عصمة الأنبياء ص ٨: (وقد اختلفوا فيه على خمسة مذاهب:

(الأول): الحشوية وهو أنه يجوز عليهم الإقدام على الكبائر والصغائر.

(الثانى): أنه لا يجوز منهم تعمد الكبيرة البتة، وأما تعمد الصغيرة فهو جائز بشرط أن لا تكون منفراً، وأما أن كانت منفراً فذلك لا يجوز عليهم، مثل التطفيف بما دون الحبة، وهو قول أكثر المعتزلة.

(الثالث) أنه لا يجوز عليهم تعمد الكبيرة والصغيرة، ولكن يجوز صدور الذنب منهم على سبيل الخطأ فى التأويل، وهو قول أبى على

الجبائى

(الرابع): أنه لا يجوز عليهم الكبيرة ولا الصغيرة، لا بالعمد ولا بالتأويل والخطأ. أما السهو والنسيان فجائز، ثم إنهم يعاتبون على ذلك السهو والنسيان لما أن علومهم أكمل، فكان الواجب عليهم المبالغة فى التيقظ، وهو قول أبى إسحاق إبراهيم بن سيار النظام.

(الخامس): أنه لا يجوز عليهم الكبيرة ولا الصغيرة، لا بالعمد ولا بالتأويل، ولا بالسهو والنسيان. وهذا مذهب الشيعة).

وقال فى تفسيره: ١٨/٩: (وعندنا العصمة إنما تعتبر فى وقت النبوة لا قبلها).

وهذه النصوص من عالم سنى مشهود له بالعمق والدقة، تكشف لنا أنه لم ينجح من التأثير بالتهمة اليهودية للأنبياء عليهم السلام إلا الشيعة، أتباع العترة النبوية الطاهرة صلوات الله عليهم.

كما تكشف لنا خريطة التأثير اليهودى بنسب متفاوتة على فئات المسلمين فى تنقيصهم من مقام الأنبياء عليهم السلام، مع الإلتفات إلى أن ما ذكره الرازى هو القدر المتبنى رسمياً فى فتاوى علمائهم وعقائدهم، أما فى مصادرهم الصحيحة فهى حافلة بأنواع الطعن فى

عصمة الأنبياء عليهم السلام وعدالتهم واتهامهم في سلوكهم الشخصي، وحتى في تبليغهم للرسالة! وسبب ذلك ما نشره اليهود فيهم من مفاهيم وقصص انتقاص الأنبياء عليهم السلام! وإن حكومات الخلافة القرشية شجعت تلك الروايات وجعلت مجالسها مجالس رسمية في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وغيره من مساجد المسلمين، وأعطت رواياتها مناصب علياً في الدولة!

كما أنها شجعت على روايات الإنتقاص من نبينا صلى الله عليه وآله لتبرير عمل الخلفاء، ورفعهم إلى صف النبي صلى الله عليه وآله، بل تفضيلهم عليه أحياناً، كما سيأتي!

من أحاديث الشيعة في عصمة الأنبياء والأئمة عصمة تامة

من شرائع ديننا عصمة الأنبياء والأوصياء

في الخصال للصدوق ص ٦٠٣: (حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم العجلي، وأحمد بن الحسن القطان، ومحمد بن أحمد السناني، والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتب، وعبد الله بن محمد الصائغ، وعلى بن عبد الله الوراق رضى الله عنهم قالوا: حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى بن زكريا القطان قال: حدثنا بكر بن عبد الله بن حبيب قال: حدثنا تميم بن بهلول قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال:

(هذه شرائع الدين لمن أراد أن يتمسك بها وأراد الله هداه:

إسباع الوضوء كما أمر الله عز وجل في كتابه الناطق، غسل الوجه واليدين إلى المرفقين، ومسح الرأس والقدمين إلى الكعبين، مرة مرة. ومرتان جائز.... وهو حديث طويل تضمن أهم أحكام الوضوء والأغسال والفرائض والنوافل وصلاة الجماعة، وأحكام الزكاة... وجاء فيه قوله عليه السلام:

وبر الوالدين واجب، فإن كانا مشركين فلا تطعهما ولا غيرهما في المعصية، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. والأنبياء والأوصياء عليهم السلام لا ذنوب لهم، لأنهم معصومون مطهرون... إلى أن قال عليه السلام: ولا يفرض الله عز وجل على عباده طاعة من يعلم أنه يغويهم ويضلهم، ولا يختار لرسالته ولا يصطفى من عباده من يعلم أنه يكفر به ويعبد الشيطان دونه، ولا يتخذ على خلقه حجة إلا معصوماً. والإسلام غير الإيمان وكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمن... الخ).

وفي أمالي الصدوق ص ٧٣٨: (المجلس الثالث والتسعون، مجلس يوم الجمعة الثالث عشر من شعبان سنة ثمان وستين وثلاثمائة:

واجتمع في هذا اليوم إلى الشيخ الفقيه أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (رض)، أهل مجلسه والمشايخ، فسألوه أن يملئ عليهم وصف دين الإمامية على الإيجاز والإختصار، فقال رضى الله عنه:

دين الإمامية هو الإقرار بتوحيد الله تعالى ذكره ونفى التشبيه عنه، وتنزيهه عما لا يليق به، والإقرار بأنبياء الله ورسله وحججه وملائكته وكتبه، والإقرار بأن محمداً صلى الله عليه وآله هو سيد الأنبياء والمرسلين، وأنه أفضل منهم ومن جميع الملائكة المقربين، وأنه خاتم النبيين، فلا نبي بعده إلى يوم القيامة، وإن جميع الأنبياء والرسول والأئمة عليهم السلام أفضل من الملائكة، وأنهم معصومون مطهرون من كل دنس ورجس، لا يهمون بذنوب صغير ولا كبير ولا يرتكبونه، وأنهم أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء.

وإن الدعائم التي بنى الإسلام عليها خمس: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وولاية النبي والأئمة صلوات الله عليهم بعده، وهم اثنا عشر إماماً، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم الباقر محمد بن علي، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم الكاظم موسى بن جعفر، ثم الرضا علي بن موسى، ثم الجواد محمد بن علي، ثم الهادي علي بن محمد، ثم العسكري الحسن بن علي، ثم الحجة بن الحسن بن علي، عليهم السلام، والإقرار بأنهم أولوا الأمر الذين أمر الله عز وجل بطاعتهم،

فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (النساء: ٥٩) وإن طاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصية الله، ووليهم ولي الله، وعدوهم عدو الله عز وجل. ومودة ذرية النبي صلى الله عليه وآله إذا كانوا على منهاج آبائهم الطاهرين فريضة واجبة في أعناق العباد إلى يوم القيامة، وهي أجر النبوة، لقول الله عز وجل: (قُلْ لَا أَشْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (الشورى: ٢٣) والإقرار بأن الإسلام هو الإقرار بالشهادتين، والإيمان هو إقرار باللسان، وعقد بالقلب، وعمل بالجوارح، لا يكون الإيمان إلا هكذا، ومن شهد الشهادتين فقد حقن ماله ودمه إلا بحقتها، وحسابه على الله عز وجل).

وفي التوحيد للصدوق ص ١١٨: (حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رحمه الله قال: حدثنا علي بن الحسين السعد آبادي، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه محمد بن خالد، عن أحمد بن النضر، عن محمد بن مروان، عن محمد بن السائب، عن أبي الصالح، عن عبد الله بن عباس في قوله عز وجل: فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ، قال: يقول سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ من أن أسألك الرؤية وأنا أول المؤمنين بأنك لا ترى.

قال محمد بن علي بن الحسين مصنف هذا الكتاب رضى الله عنه:

إن موسى عليه السلام علم أن الله عز وجل لا يجوز عليه الرؤية، وإنما سأل الله عز وجل أن يريه ينظر إليه عن قومه حين ألحوا عليه في ذلك، فسأل موسى ربه ذلك من غير أن يستأذنه فقال: رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فِي حَالٍ تَزَلُّزُهُ فَسَوْفَ تَرَانِي، ومعناه إنك لا تراني أبداً، لأن الجبل لا يكون ساكناً متحركاً في حال أبداً، وهذا مثل قوله عز وجل: وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ، ومعناه أنهم لا يدخلون الجنة أبداً، كما لا يلج الجمل في سم الخياط أبداً. فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ، أى ظهر للجبل بآية من آياته، وتلك الآية نور من الأنوار التي خلقها ألقى منها على ذلك الجبل جعله ذكاً وحرَّ موسى صعباً، من هول تزلزل ذلك الجبل على عظمه وكبره.

فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ، أى رجعت إلى معرفتي بك عادلاً عما حملني عليه قومي من سؤالك الرؤية، ولم تكن هذه التوبة من ذنب لأن الأنبياء لا يذنبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً، ولم يكن الاستيذان قبل السؤال بواجب عليه، لكنه كان أدباً يستعمله يأخذ به نفسه متى أراد أن يسأله، على أنه قد روى قوم أنه قد استأذن في ذلك فأذن له، ليعلم قومه بذلك أن الرؤية لا تجوز على الله عز وجل. وقوله: وأنا أول المؤمنين، يقول: وأنا أول المؤمنين الذين كانوا معه وسألوه أن يسأل ربه أن يريه ينظر إليه، بأنك لا ترى.

وجوب طاعة الأنبياء والأوصياء تستوجب عصمتهم

في علل الشرائع للصدوق: ١/١٢٣: (حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل (رض) قال: حدثنا علي بن الحسين السعد آبادي، عن أحمد بن أبي عبد الله عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن ابن أذينة، عن أبان بن أبي عياش، عن سليم بن قيس قال سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إنما الطاعة لله عز وجل ولرسوله ولولاة الأمر، وإنما أمر بطاعة أولى الأمر لأنهم معصومون مطهرون لا يأمرهم بمعصيته). وفي الخصال ص ١٣٩: (حدثنا أبي (رض) قال: حدثنا سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن عمر بن أذينة. عن أبان بن أبي عياش، عن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت أمير المؤمنين علياً عليه السلام يقول: إحدروا على دينكم ثلاثة: رجلاً قرأ القرآن حتى إذا رأيت عليه بهجته، اخترط سيفه على جاره ورماه بالشرك! فقلت: يا أمير المؤمنين أيهما أولى بالشرك؟ قال: الرامي.

ورجلاً استخفته الأحاديث، كلما أحدثت أحدثه كذب مدّها بأطول منها!

ورجلاً آتاه الله عز وجل سلطاناً فزعم أن طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله! وكذب لأنه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق، لا ينبغي للمخلوق أن يكون حبه لمعصية الله، فلا طاعة في معصيته ولا طاعة لمن عصى الله، إنما الطاعة لله ولرسوله ولولاة الأمر، وإنما أمر الله عز وجل بطاعة الرسول لأنه معصوم مطهر، لا يأمر بمعصيته، وإنما أمر بطاعة أولى الأمر لأنهم معصومون مطهرون لا يأمرهم بمعصيته).

ضرورة بعثة الأنبياء تستوجب عصمتهم

في الكافي: ١/١٦٨ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (إنما لما أثبتنا أن لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً، لم يجر أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه فيباشروهم، ويحاجهم ويحاجوه، ثبت أن له سفراء في خلقه، يُعبرون عنه إلى خلقه وعباده، ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم، فثبت الأمور والناهون عن الحكيم العليم في خلقه والمعبّرون عنه جلّ وعز، وهم الأنبياء عليهم السلام وصفوته من خلقه، حكماء مؤدبين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للناس - على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب - في شئ من أحوالهم، مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمة. ثم ثبت ذلك في كل دهر وزمان مما أتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين لكي لا تخلو أرض الله من حجة، يكون معه علم يدل على صدق مقالته وجواز عدالته). انتهى.

وقال الوحيد الخراساني في شرح هذا الحديث في منهاج الصالحين: ١/٦٤:

(ومعناه أن كل فعل وترك وحركة وسكون يصدر من الإنسان، إما أن يكون نافعاً لديناه وآخرته، أو ضاراً، أو غير نافع ولا ضار، وعلى كل الفروض يحتاج الإنسان إلى معرفة ما هو النافع وما هو الضار وما هو المصلح والمفسد لديناه وآخرته، وهذه المعرفة لا تيسر إلا من عند من هو خبير بالرابطة التي بين الأفعال والتروك وصلاح الإنسان وفساده، ومحيط بتأثير الحركات والسكنات في حياة الإنسان في الدنيا والآخرة، وإنما هو خالق الإنسان وخالق الدنيا والآخرة سبحانه. ولما كانت حكمته تعالى تستوجب أن يدل عباده على ذلك، وكانت دلالاته عليه بدون واسطة غير ممكنة لتعالیه عن مباشرتهم ومخاطبتهم، فلا بد من سفراء مختارين (يدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم).

وهذا البرهان يمتاز من جهات عما برهن به الفلاسفة على ضرورة النبوة، الذي اعتمد على قاعدة أن الإنسان مدني بالطبع فيحتاج إلى قوانين عادلة لمعاملاته وعلاقاته الاجتماعية، فإن دليلهم مختص بالحياة الاجتماعية على الأرض، بينما دليل الإمام عليه السلام يشمل عموم مصالح الإنسان ومضاره في كل عوالم الوجود).

العصمة من أول صفات الإمام

في الخصال ص ٤٢٨: (حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم العجلي (رض) قال: حدثنا أحمد بن يحيى بن زكريا القطان قال: حدثنا بكر بن عبد الله بن حبيب قال: حدثنا تميم بن بهلول قال: حدثنا أبو معاوية، عن سليمان بن مهران، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام قال: عشر خصال من صفات الإمام: العصمة، والنصوص، وإن يكون أعلم الناس، وأتقاهم الله، وأعلمهم بكتاب الله، وإن يكون صاحب الوصية الظاهرة، ويكون له المعجز والدليل، وتنام عينه ولا ينام قلبه، ولا يكون له في، ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه).

احاديث نصت على إمامة الأئمة الإثني عشر و عصمتهم

في أمالي الصدوق ص ٥٧٤: (حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رحمه الله قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم قال: حدثنا جعفر بن سلمة الأهوازي قال: حدثنا إبراهيم بن محمد الثقفي، عن إبراهيم بن موسى بن أخت الواقدي قال: حدثنا أبو قتادة الحراني، عن عبد الرحمن بن العلاء الحضرمي، عن سعيد بن المسيب، عن ابن عباس قال: أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان جالساً ذات يوم وعنده عليٌّ وفاطمةٌ والحسنُ والحسينُ فقال: اللهم إنك تعلم أن هؤلاء أهل بيتي وأكرم الناس عليّ فأحب من أحبهم وأبغض من أبغضهم، ووال من والأهم وعاد من عاداهم، وأعز من أعانهم. واجعلهم مطهرين من كل رجس، معصومين من كل ذنب، وأيدهم بروح القدس.

ثم قال: يا علي أنت إمام أمتي، وخليفتي عليها بعدى، وأنت قائد المؤمنين إلى الجنة، وكأنى أنظر إلى ابنتي فاطمة قد أقبلت يوم القيامة على نجيب من نور، عن يمينها سبعون ألف ملك، وعن يسارها سبعون ألف ملك، وبين يديها سبعون ألف ملك، وخلفها سبعون ألف ملك، تقود مؤنات أمتي إلى الجنة، فأيا امرأة وصلت في اليوم والليله خمس صلوات، وصامت شهر رمضان، وحجت بيت الله الحرام، وزكت مالها، وأطاعت زوجها، ووالت علياً بعدى، دخلت الجنة بشفاعه ابنتي فاطمة، وإنها لسيدة نساء العالمين.

ف قيل له: يا رسول الله أهى سيدة نساء عالمها؟ فقال النبي: ذاك لمريم بنت عمران، فأما ابنتي فاطمة فهى سيدة نساء العالمين من الأولين والإخريين، وإنها لتقوم فى محرابها فيسلم عليها سبعون ألف ملك من الملائكة المقربين، وينادونها بما نادى به الملائكة مريم فيقولون: يا فاطمة (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ. ثم التفت إلى علي فقال: يا علي، أن فاطمة بضعة منى، وهى نور عيني، وثمره فؤادى، يسوءنى ما ساءها، ويسرنى ما سرها، وإنها أول من يلحقنى من أهل بيتى فأحسن إليها بعدى.

وأما الحسن والحسين فهما ابنائى وريحانائى، وهما سيدا شباب أهل الجنة، فليكرما عليك كسمعك وبصرك. ثم رفع يده إلى السماء، فقال: اللهم إنى أشهدك أنى محب لمن أحبه، ومبغض لمن أبغضه، وسلم لمن سالمه، وحرب لمن حاربهم، وعدو لمن عاداهم، وولى لمن والأهم).

وفى عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/٦٥: (حدثنا على بن عبد الله الوراق الرازى قال: حدثنا سعد بن عبد الله قال: حدثنا الهيثم بن أبى مسروق النهدى، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباته، عن عبد الله بن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة أولاد الحسين، مطهرون معصومون). (ورواه أيضاً فى كمال الدين ص ٢٨٠، وفى كفاية الأثر ص ١٩).

وفى دلائل الإمامة للطبرى الشيعى ص ٥٠٦: (أخبرنى أبو القاسم عبد الباقي بن يزداد بن عبد الله البراز قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد الثعالبي قراءة فى يوم الجمعة مستهل رجب سنة سبعين وثلاثمائة، قال: أخبرنا أبو على أحمد بن محمد بن يحيى العطار، عن سعد بن عبد الله بن أبى خلف القمى، من حديث طويل، قال:

كنت امرءاً لهجاً بجمع الكتب المشتمة على غوامض العلوم ودقائقها، كلفاً باستظهار ما يصح من حقائقها، مغرماً بحفظ مشتبهها ومستغلقها، شحيحاً على ما أظفر به من معاضلها ومشكلاتها، ومتعصباً لمذهب الإمامية، راغباً عن الأمن والسلامة فى انتظار التنازع والتخاصم، والتعدى إلى التباغض والتشاتم، معيباً للفرق ذوى الخلاف، كشافاً عن مثالب أئمتهم، هتاكاً لحجب قادتهم. إلى أن بليت بأشد النواصب منازعة، وأطولهم مخاصمة، وأكثرهم جدالاً، وأفشعهم سؤالاً، وأثبتهم على الباطل قدماً. فقال ذات يوم وأنا أناظره:

تباً لك يا سعد ولأصحابك، إنكم معشر الرافضة تقصدون على المهاجرين والأنصار بالطنن عليهما....

و كنت قد اتخذت طوماراً، وأثبت فيه نيفا وأربعين مسألة من صعاب المسائل التى لم أجد لها مجيباً، على أن أسأل عنها خير أهل بلدى أحمد بن إسحاق صاحب مولانا أبى محمد عليه السلام فارتحلت خلفه، وقد كان خرج قاصداً نحو م ولاى بسر من رأى، فلحقته فى بعض المناهل، فلما تصافحنا قال: لخير لحاقتك بى؟ قلت: الشوق، ثم العادة فى الأسئلة. قال: قد تكافأنا على هذه الخطه الواحدة، فقد برح بى الشوق إلى لقاء مولانا أبى محمد عليه السلام، وأريد أن أسأله عن معاضل فى التأويل ومشاكل من التنزيل، فدونكها الصبحه المباركه، فإنها تقف بك على ضفه بحر لاتنقضى عجائبه، ولا تفنى غرائبه، وهو إمامنا.

فوردنا سر من رأى فانتبهنا منها إلى باب سيدنا عليه السلام، فاستأذنا فخرج إلينا الإذن بالدخول عليه، وكان على عاتق أحمد بن إسحاق جراب قد غطاه بكساء طبرى، فيه ستون ومائة صره من الدنانير والدارهم، على كل صره ختم صاحبها.

قال سعد: فما شبهت مولانا أبى محمد عليه السلام حين غشينا نور وجهه إلا بيدرد قد استوفى من لياليه أربعاً بعد عشر، وعلى فخذه الأيمن غلام يناسب المشتري فى الخلقة والمنظر، على رأسه فرق بين وفرتين، كأنه ألف بين واوين، وبين يدي مولانا عليه السلام

رمانه ذهبية تلمع بدائع نقوشها وسط غرائب الفصوص المركبة عليها، قد كان أهداها إليه بعض رؤساء أهل البصرة، ويده قلم، إذا أراد أن يسطر به على البياض قبض الغلام على أصابعه، وكان مولانا عليه السلام يدحرج الرمانه بين يديه ويشغله بردها لثلا يصده عن كتبه ما أراد، فسلمنا عليه فألطف في الجواب، وأوماً إلينا بالجلوس، فلما فرغ من كتابة البياض الذي كان بيده، أخرج أحمد بن إسحاق جرابه من طي كسائه، فوضعه بين يدي مولانا فنظر أبو محمد عليه السلام إلى الغلام وقال: يا بني، فض الخاتم عن هدايا شيعتك ومواليك.

فقال: يا م ولأى، أيجوز لى أن أمد يداً طاهرة إلى هدايا نجسه، وأموال رجسه قد شيب أحلها بأحرمها؟!!

فقال مولانا عليه السلام: يا بن إسحاق، استخرج ما فى الجراب ليميز بين الأهل منها والأحرم. فأول صرة بدأ أحمد بإخراجها قال الغلام: هذه لفلان بن فلان من محله كذا بقم، تشتمل على اثنين وستين ديناراً، فيها من ثمن حجرة باعها وكانت إرثاً له من أبيه خمسة وأربعون ديناراً، ومن أثمان تسعة أثواب أربعة عشر ديناراً، وفيها من أجره الحوانيت ثلاثة دنانير.

فقال مولانا عليه السلام: صدقت يا بني، دُل الرجل على الحرام منها....

قال أحمد (روى الحديث عن سعد): وكان ذلك الثوب فى حقيبته لى فنسيته. فلما انصرف أحمد بن إسحاق ليأتيه بالثوب نظر إلى مولانا أبو محمد عليه السلام فقال: ما جاء بك يا سعد؟ فقلت: شوقنى أحمد بن إسحاق إلى لقاء مولانا. فقال: والمسائل التى أردت أن تسأله عنها؟ قلت: على حالتها يا مولاي. فقال: سل قره عيني، وأوماً إلى الغلام، عما بدا لك منها.

فقلت: مولانا وابن مولانا، أنا روينا عنكم أن رسول الله صلى الله عليه وآله جعل طلاق نساءه بيد أمير المؤمنين صلوات الله عليه حتى أرسل يوم الجمل إلى عائشه: "إنك قد أرهجت على الإسلام وأهله بفتنتك، وأوردت بنيك حياض الهلاك بجهلك، فإن كفت عنى غربك وإلا طلقتك." ونساء رسول الله صلى الله عليه وآله قد كان طلاقهن بوفاته؟!!

قال عليه السلام: ما الطلاق؟ قلت: تخليه السبيل. قال: فإذا كن بوفاه رسول الله صلى الله عليه وآله قد خلّى سبيلهن، فلم لا يحلّ لهنّ الأزواج؟ قلت: لأن الله حرم الأزواج عليهن قال: كيف وقد خلّى الموت سبيلهن؟ قلت فأخبرنى يا بن م ولأى عن معنى الطلاق الذى فوض رسول الله صلى الله عليه وآله حكمه إلى أمير المؤمنين عليه السلام؟

قال: إن الله تقدس اسمه عظم شأن نساء النبی صلى الله عليه وآله فخصهن بشرف الأمهات، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبا الحسن، إن هذا الشرف باق لهن ما دُمنَ لله على الطاعة، فأيتهن عصت الله بعدى بالخروج عليك، فأطلق لها فى الأزواج وأسقطها من شرف الأمهات ومن شرف أومئه المؤمنين.....

قلت: فأخبرنى يا م ولأى عن العلة التى تمنع القوم من اختيار إمام لأنفسهم؟ قال: مصلح أو مفسد؟ قلت: مصلح. قال: هل يجوز أن تقع خيرتهم على الفساد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد؟

قلت: بلى. قال: فهى العلة أوردتها لك ببرهان ينقاد له عقلك: أخبرنى عن الرسل الذين اصطفاهم الله وأنزل عليهم علمه، وأيدهم بالوحي والعصمة، إذ هم أعلام الأمم، وأهدى إلى الإختيار منهم، مثل موسى وعيسى عليهما السلام، هل يجوز مع وفور عقلمهما وكمال علمهما، إذا هما بالإختيار أن تقع خيرتهما على المنافق، وهما يظنان أنه مؤمن؟ قلت: لا.

قال عليه السلام: فهذا موسى كليم الله مع وفور عقله وكمال علمه، اختار من أعيان قومه ووجوه عسكريه لميقات ربه سبعين رجلاً، ممن لم يشك فى إيمانهم وإخلاصهم، فوعدت خيرته على المنافقين، قال الله عز وجل: **وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا، وَقَوْلُهُ: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ،** فلما وجدنا إختيار من قد اصطفاه الله لنبوته، واقعاً على الأفسد دون الأصلاح، وهو يظن أنه الأصلاح دون الأفسد، علمنا أن لا إختيار إلا لمن يعلم ما تخفى الصدور وتكن الضمائر، وتنصرف عليه السرائر، وإن لاخطر لإختيار المهاجرين والأنصار بعد وقوع خيرة الأنبياء عليهم السلام.... انتهى.

وهو كتاب جليل جمع فيه مؤلفه الخزاز القمي رحمه الله وهو من علماء القرن الرابع، الأحاديث النبوية على إمامة الأئمة الإثني عشر عليهم السلام عن ثلاثين صحابياً من طرق غير أهل البيت عليهم السلام. وقد اقترحنا على بعض الفضلاء تحقيقه وتخريج أحاديثه، وسيصدر في مجلدات إن شاء الله، وهذه بعض أحاديثه في عصمتهم عليهم السلام:

في كفاية الأثر ص ٢٩: (حدثنا علي بن الحسين، قال حدثنا أبو جعفر محمد بن الحسن البرقوي (رض)، قال حدثنا القاضي أبو إسماعيل جعفر بن الحسين البلخي، قال حدثنا شقيق البلخي، عن سماك، عن زيد بن أسلم، عن أبي هرون العبدى، عن سعيد الخدرى قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

أهل بيتي أمانٌ لأهل الأرض كما أن النجوم أمانٌ لأهل السماء.

قيل: يارسول الله فالأئمة بعدك من أهل بيتك؟ قال: نعم الأئمة بعدى اثنا عشر تسعةً من صلب الحسين، أمناء معصومون. ومنا مهدي هذه الأئمة، إلا إنهم أهل بيتي وعترتي من لحمي ودمي، ما بال أقوام يؤذونني فيهم، لا أنا لهم الله شفاعتى).

وفي كفاية الأثر: ص ٣٥: (حدثنا أبو المفضل محمد بن عبد الله الشيباني رحمه الله، قال حدثنا محمد بن رباح الأشجعي، قال حدثنا محمد بن غالب بن الحارث، قال حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلي، قال حدثنا عبد الكريم، عن أبي الحسن، عن أبي الحرث، عن أبي ذر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من أحبني وأهل بيتي كنا نحن وهو كهاتين - وأشار بالسبابة والوسطى - ثم قال: أخى خير الأوصياء، وسبى خير الأسباط، وسوف يخرج الله تبارك وتعالى من صلب الحسين أئمة أبراراً، ومنا مهدي هذه الأمة. قلت: يارسول الله وكم الأئمة بعدك؟ قال: عدد نبياء بنى إسرائيل.

حدثنا القاضي أبو الفرج المعافا بن زكريا البغدادي، قال حدثني محمد بن همام بن سهيل الكاتب، قال حدثني محمد بن معافا السلماسي، عن محمد بن عامر، قال حدثنا عبد الله بن زاهر، عن عبد العدوس، عن الأعمش، عن حبش بن المعتمر قال: قال أبو ذر الغفاري رحمه الله عليه: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الذي توفي فيه، فقال: يا أبا ذر إيتني بابتى فاطمة. قال: فقمتم ودخلت عليها وقلت: يا سيده النسوان أجيبى أباك. قال: فلبت منحلها وأبرزت وخرجت حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما رأت رسول الله صلى الله عليه وآله انكبت عليه وبكت وبكى رسول الله صلى الله عليه وآله لبكائها وضمها إليه، ثم قال: يا فاطمة لا تبكين فداك أبوك، فأنت أول من تلحقين بي مظلومة مغصوبة، وسوف يظهر بعدى حسيكة النفاق وسمل حلاب الدين، وأنت أول من يرد على الحوض.

قالت: يا أبة أين ألقاك؟ قال: تلقيني عند الحوض وأنا أسقى شيعتك ومحبيك وأطرد أعداك ومبغضيك. قالت: يا رسول الله فإن لم ألقك عند الحوض؟ قال تلقيني عند الميزان. قالت: يا أبة وإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: تلقيني عند الصراط وأنا أقول: سلم سلم شيعه على.

قال أبو ذر: فسكن قلبها ثم التفت الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا أبا ذر أنها بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني، إلا أنها سيده نساء العالمين، وبعلمها سيد الوصيين، وإنيها الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وإنيها إمامان أن قاما أو قعدا، وأبوهما خير منهما، وسوف يخرج من صلب الحسين تسعة من الأئمة معصومون قوامون بالقسط، ومنا مهدي هذه الأمة. قال قلت: يا رسول الله فكم الأئمة بعدك؟ قال: عدد نبياء بنى إسرائيل.

وفي كفاية الأثر: ص ٤٤: (حدثنا علي بن الحسين بن محمد قال: حدثنا هارون بن موسى (رض) قال: أحمد بن محمد بن سعيد قال: حدثنا محمد بن عامر بن السائب الثقفي، عن أبيه، عن سلمان الفارسي رحمه الله عليه قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده الحسن والحسين يتغديان والنبى صلى الله عليه وآله يضع اللقمة تارة في فم الحسن وتارة في فم الحسين، فلما فرغا من الطعام أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن على عاتقه والحسين على فخذيه، ثم قال: يا سلمان أتجهم؟ قلت: يا رسول الله كيف لا

أحبهم ومكانهم منك مكانهم؟ قال: يا سلمان من أحبهم فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله. ثم وضع يده على كتف الحسين عليه السلام فقال: أنه الإمام ابن الإمام، تسعة من صلبه أئمة أبرار، أمناء، معصومون، والتاسع قائمهم).

وفي كفاية الأثر: ص ٧٣: (حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عياش الجوهري قال: حدثنا محمد بن أحمد الصفواني قال: حدثنا محمد بن الحسين قال: حدثنا عبد الله بن مسلمة قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحمصي قال: حدثنا بن حماد، عن أنس بن سيرين، عن أنس بن مالك، قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة الفجر، ثم أقبل علينا فقال: معاشر أصحابي من أحب أهل بيتي حشر معنا، ومن استمسك بأوصيائي من بعدى فقد استمسك بالعروة الوثقى.

فقام إليه أبو ذر الغفاري فقال: يا رسول الله كم الأئمة بعدك؟ قال: عدد نساء بني إسرائيل، فقال: كلهم من أهل بيتك؟ قال: كلهم من أهل بيتي، تسعة من صلب الحسين، والمهدي منهم.

حدثنا محمد بن عبد الله الشيباني رحمه الله قال: حدثنا رجا بن يحيى العراني الكاتب قال: حدثنا يعقوب بن إسحق عن محمد بن بشار قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا شعبه، عن هشام بن زيد، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما عرج بي إلى السماء رأيت على ساق العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلي ونصرته. ورأيت اثني عشر اسماً مكتوباً بالنور فيهم على بن أبي طالب وسبطي وبعدهما تسعة أسماء علياً ثلاث مرات، ومحمد ومحمد مرتين، وجعفر وموسى والحسن، والحجة يتلألاً من بينهم، فقلت: يا رب أسامي من هؤلاء؟ فناداني ربي جل جلاله: هم الأوصياء من ذريتك، بهم أئيب وأعاقب).

وفي كفاية الأثر ص ٧٥: وعنه قال: حدثنا أبو مزاحم موسى بن عبد الله بن يحيى بن خاقان المقرئ ببغداد قال: حدثنا أحمد بن الحسن بن الفضل بن ربيع أبو العباس مولى بني هاشم قال: حدثني عثمان بن أبي شيبة في مسند أنس. قال: حدثنا يزيد بن هارون قال حدثنا عبد الله ابن عوف، عن أنس بن سيرين، عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أوصياء الأنبياء الذين بعدهم بقضاء ديونهم وإنجاز عدااتهم ويقاثلون على سنتهم. ثم التفت إلى علي عليه السلام فقال: أنت وصي وأخي في الدنيا والآخرة تقضى ديني وتنجز عداتي، وتقاتل على سنتي، تقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل، فأنا خير الأنبياء وأنت خير الأوصياء وسبطاي خير الأسباط، ومن صلبهما يخرج الأئمة التسعة، مطهرون معصومون قوامون بالقسط، والأئمة بعدى علي عدد نساء بني إسرائيل وحواري عيسى. هم عترتي من لحمي ودمي.

وفي كفاية الأثر ص ٩٨: (حدثنا الحسين بن علي الرازي قال: حدثني إسحاق بن محمد بن خالويه قال: حدثني يزيد بن سليمان البصري قال: حدثني شريك، عن الركين بن الربيع، عن القاسم بن حسان، عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: معاشر الناس ألا أدلكم على خير الناس جداً وجدة؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين، أنا جدتهما وجدتهما خديجة سيدة نساء أهل الجنة.

ألا أدلكم على خير الناس أباً وأماً؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين أبوهما علي بن أبي طالب، وأمهما فاطمة سيدة نساء العالمين.

ألا أدلكم على خير الناس عمّاً وعمّة؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين عمهما جعفر بن أبي طالب، وعمتهما أم هانئ بنت أبي طالب.

أيها الناس إلا أدلكم على خير الناس خالاً وخالة؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين، خالهما القاسم بن رسول الله، وخالتهما زينب بنت رسول الله.

ثم قال: علي قاتلها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وإنه ليخرج من صلب الحسين أئمة أبرار أمناء معصومون قوامون بالقسط، ومنا مهدي هذه الأمة الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه. قلنا: من يا رسول الله؟ قال: هو التاسع من صلب الحسين، تسعة من صلب الحسين أئمة أبرار والتاسع مهديهم يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً).

وفى كفاية الأثر: ص ١٠٠: (حدثنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن سعيد الخزاعي قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن عبد الله الكوفي الأسدي قال: حدثني محمد بن إسماعيل البرمكي قال: حدثني مندل بن علي، عن أبي نعيم عن محمد بن زياد، عن زيد بن أرقم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام: أنت الإمام والخليفة بعدي، وابناك سبطاي وهما سيدا شباب أهل الجنة، وتسعة من صلب الحسين أئمة معصومون، ومنهم قائمنا أهل البيت. ثم قال:

يا علي، ليس في القيامة راكب غيرنا، ونحن أربعة. فقام إليه رجل من الأنصار، فقال: فداك أبي وأمي يا رسول الله ومن هم؟ قال: أنا علي دابة الله البراق، وأخي صالح علي ناقته التي عقرت، وعمي حمزة علي ناقتي العصابة، وأخي علي علي ناقه من نوق الجنة، ويده لواء الحمد، ينادي لا إله إلا الله محمد رسول الله، فيقول الآدميون: ما هذا إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو حامل عرش، فيجيئهم ملك من بطنان العرش: يا معشر الآدميين، ليس هذا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا حامل عرش، هذا الصديق الأكبر علي بن أبي طالب).

وفى كفاية الأثر ص ١١٠: (حدثنا علي بن الحسن بن محمد قال: حدثنا هرون بن موسى قال: حدثنا جعفر بن علي بن سهل الدقاق الدورى قال: حدثنا علي بن الحارث المروزى قال: حدثنا أيوب بن عاصم الهمداني قال: حدثنا حفص بن غياث، عن يزيد بن مكحول، عن وائل بن الأسقع يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لما عرج بي إلى السماء وبلغت سدره المنتهى ناداني ربي جل جلاله فقال: يا محمد. فقلت: لبيك سيدي. قال: اني ما أرسلت نبياً فأنقضت أيامه إلا أقام بالأمر بعده وصيه، فاجعل علي بن أبي طالب الإمام والوصي من بعدك، فإني خلقتكما من نور واحد، وخلقت الأئمة الراشدين من أنوار كما، أتحب أن تراهم يا محمد؟ قلت: نعم يا رب. قال: إرفع رأسك. فرفعت رأسي فإذا أنا بأنوار الأئمة بعدي اثنا عشر نوراً، قلت: يا رب أنوار من هي؟ قال: أنوار الأئمة بعدك أمناء معصومون.

وفى كفاية الأثر ص ١١٣: (أخبرنا أبو المفضل الشيباني قال: حدثني حيدر بن محمد بن نعيم السمرقندي قال: حدثنا محمد بن مسعود، عن يوسف بن السخت، عن سفيان الثوري، عن موسى بن عبيدة أياس بن مسلمة بن الأكوع، عن أبي أيوب الأنصاري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أناسيد الأنبياء، وعلّي سيد الأوصياء، وسبطاي خير الأسباط، ومنا الأئمة المعصومون من صلب الحسين، ومنا مهدي هذه الأمة. فقام إليه أعرابي فقال: يا رسول الله كم الأئمة بعدك؟ قال: عدد الأسباط وحواري عيسى ونقباء بني إسرائيل).

وفى كفاية الأثر ص ١٢٤: (حدثني علي بن الحسن بن محمد قال: حدثنا هارون بن موسى قال: حدثني محمد بن علي بن معمر قال: حدثني عبد الله بن معبد قال: حدثنا موسى بن إبراهيم الممتع قال: حدثني عبد الكريم بن هلال، عن أسلم، عن أبي الطفيل، عن عمار قال: لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاة دعا بعلي عليه السلام، فسارّة طويلاً ثم قال: يا علي أنت وصي ووارثي قد أعطاك الله علمي وفهمي، فإذا متّ ظهرت لك ضغائن في صدور قوم وغضب علي حقد. فبكت فاطمة عليها السلام وبكى الحسن والحسين، فقال لفاطمة: يا سيده النسوان مم بكاؤك؟ قالت: يا أبة أخشى الضيعة بعدك. قال: أبشري يا فاطمة فإنك أول من يلحقني من أهل بيتي، ولا تبكي ولا تحزني فإنك سيده نساء أهل الجنة، وأباك سيد الأنبياء، وابن عمك خير الأوصياء، وابناك سيدا شباب أهل الجنة، ومن صلب الحسين يخرج الله الأئمة التسعة مطهرون معصومون، ومنا مهدي هذه الأمة. ثم التفت إلى علي عليه السلام فقال:

يا علي لا يلبى غسلني وتكفيني غيرك. فقال علي عليه السلام: يا رسول الله من يناولني الماء فإنك رجل ثقيل لا أستطيع أن ألقبك. فقال: أن جبرئيل معك والفضل يناولك الماء وليغطي عينيه فإنه لا يرى أحد عورتى إلا انفقت عيناه.

قال: فلما مات رسول الله صلى الله عليه وآله كان الفضل يناوله الماء وجبرئيل يعاونه، فلما أن غسله وكفنه أتاه العباس فقال: يا علي أن الناس قد أجمعوا أن يدفن النبي صلى الله عليه وآله بالبقيع وإن يؤمهم رجل واحد، فخرج عليّ إلى الناس فقال: أيها الناس أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان إمامنا حياً وميتاً، وهل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله لعن من جعل القبور مصلى، ولعن من جعل

مع الله إلهاً آخر، ولعن من كسر رباعيته وشق لثته.

قال فقالوا: الأمر اليك فاصنع ما رأيت. قال: فإنى أدفن رسول الله صلى الله عليه وآله في البقعة التي قبض فيها. قال: ثم قام على الباب فصلى عليه، وأمر الناس عشراً عشراً يصلون عليه ثم يخرجون).

وفى كفاية الأثر ص ١٣٢: (أخبرنا محمد بن عبد الله بن المطلب، قال حدثنا أبو أسيد أحمد بن محمد بن أسيد المدني بأصبهان، قال حدثنا عبد العزيز بن إسحاق بن جعفر، عن عبد الوهاب بن عيسى المروزي، قال حدثنا الحسين بن علي بن محمد البلوي، قال حدثنا عبد الله بن سحح، عن علي بن هاشم، عن علي بن خرور، عن الأصمغ بن نباتة، قال سمعت عمران بن حصين، يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي: أنت وارث علمي وأنت الإمام والخليفة بعدى، تعلم الناس بعدى ما لا يعلمون، وأنت أبو سبطي وزوج ابنتي، من ذريتكم العترة الأئمة المعصومون. فسأله سلمان عن الأئمة، فقال: عدد نساء بني إسرائيل). (حدثنا علي بن محمد بن الحسن، قال حدثنا هارون بن موسى قال: حدثنا حيدر بن نعيم السمرقندي قال: حدثنا محمد بن زكريا الجوهري قال: حدثنا العباس بن بكار الضبي قال: حدثنا أبو بكر الهذلي، عن أبي عبد الله الشامي، عن عمران بن حصين، وذكر نحوه).

وفى كفاية الأثر ص ١٣٤: (حدثنا محمد بن وهبان بن محمد البصري قال: حدثنا الحسين بن علي البزوفري قال: حدثني عبد العزيز بن يحيى الجلودي بالبصرة قال: حدثني محمد بن زكريا، عن أحمد بن عيسى بن زيد قال: حدثني عمر بن عبد الغفار، عن أبي بصير، عن حكيم بن جبير، عن علي بن زيد بن جذعان، عن سعيد بن المسيب، عن سعد بن مالك أن النبي صلى الله عليه وآله قال: يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبى بعدى، تقضى ديني وتنجز عدااتي، وتقاتل بعدى على التأويل كما قاتلت على التنزيل. يا علي حبك إيمان وبغضك نفاق، ولقد نبأني اللطيف الخبير أنه يخرج من صلب الحسين تسعة من الأئمة معصومون مطهرون، ومنهم مهدي هذه الأمة الذي يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت في أوله).

وفى كفاية الأثر ص ١٥١: (أخبرنا القاضي المعافا بن زكريا قال: حدثنا علي بن عتبة قال: حدثني الحسين بن علوان، عن أبي علي الخراساني، عن معروف بن خربوذ، عن أبي الطفيل، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت الوصي علي الأموات من أهل بيتي، والخليفة علي الأحياء من أمتي، حربك حربي وسلمك سلمى، أنت الإمام أبو الأئمة الأحد عشر، من صلبك أئمة مطهرون معصومون، ومنهم المهدي الذي يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً، فالويل لمبغضكم. يا علي لو أن رجلاً أحب في الله حجراً لحشره الله معه وإن محبيك وشيعتك ومحبي أولادك الأئمة بعدك يحشرون معك. وأنت معي في الدرجات العلى، وأنت قسيم الجنة والنار، يدخل محبيك الجنة ومبغضيك النار).

وفى كفاية الأثر ص ١٨٠: (حدثنا علي بن الحسن بن محمد بن منده قال: حدثنا أبو الحسين زيد بن جعفر بن محمد بن الحسين الخزاز بالكوفة في سنة سبع وسبعين وثلثمائة قال: حدثنا العباس بن الجوهري ببغداد في دار عميرة قال: حدثني عفان بن مسلم قال: حدثني حماد بن سلمة، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن سداد بن أوس، قال: لما كان يوم الجمل قلت: لا أكون مع علي ولا أكون عليه، وتوقفت عن القتال إلى انتصاف النهار فلما كان قرب الليل ألقى الله في قلبي أن أقاتل مع علي، فقاتلت معه حتى كان من أمره ما كان.

ثم إنى أتيت المدينة فدخلت على أم سلمة، قالت: من أين أقبلت؟ قلت: من البصرة. قالت: مع أي الفريقين كنت؟ قلت: يا أم المؤمنين إنى توقفت عن القتال إلى انتصاف النهار وألقى الله عز وجل أن أقاتل مع علي.

قالت: نعم ما عملت، لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من حارب علياً فقد حاربنى، ومن حاربنى فقد حارب الله! قلت: فترين أن الحق مع علي؟ قالت: أي والله، علي مع الحق والحق معه، والله ما أنصف أمة محمد نبيهم إذ قدموا من أخره الله عز وجل ورسوله، وأخروا من قدمه الله تعالى ورسوله، وأنهم صانوا حلالهم في بيوتهم وأبرزوا حليله رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الفناء! والله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لأمتي فرقة وجعلت (وجمعة) فجامعوها إذا اجتمعت، وإذا افترت فكونوا من النمط

الأوسط، ثم ارقبوا أهل بيتي فإن حاربوا فحاربوا، وإن سالموا فسالموا، وإن زالوا فزالوا معهم، فإن الحق معهم حيث كانوا. قلت: فمن أهل بيته؟ قالت: أهل بيته الذين أمرنا بالتمسك بهم، قالت: هم الأئمة بعده كما قال: عدد نقباء بني إسرائيل: عليّ وسبطاه، وتسعة من صلب الحسين، هم أهل بيته، هم المطهرون، والأئمة المعصومون. قلت أنا: لله هلك الناس إذا! قالت: كلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ).

وفي كفاية الأثر: ص ١٨٥: (أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن العياشي قال: حدثني جدي عبيد الله بن الحسن، عن أحمد بن عبد الجبار، قال حدثنا أحمد بن عبد الرحمن المخزومي قال: حدثنا عمر بن حماد قال: حدثنا علي بن هاشم البريدي، عن أبيه قال: حدثني أبو سعيد التميمي، عن أبي ثابت مولى أبي ذر، عن أم سلمة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما أسرى بي إلى السماء نظرت فإذا مكتوب على العرش "لا إله إلا الله محمد رسول الله أيده بعلي ونصرته بعلي"، ورأيت أنوار علي وفاطمة والحسن والحسين وأنوار علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن موسى بن محمد بن علي بن موسى ومحمد بن علي بن علي بن محمد والحسن بن علي، ورأيت نور الحجة يتلأل من بينهم كأنه كوكب دري، فقلت: يا رب من هذا ومن هؤلاء؟ فنوديت: يا محمد هذا نور علي وفاطمة، وهذا نور سبطيك الحسن والحسين، وهذه أنوار الأئمة بعدك من ولد الحسين مطهرون معصومون، وهذا الحجة يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً.

وهذه أم سلمة روى عنها شداد بن أوس والحكم بن قيس وأبو الأسود وأبو ثابت مولى أبي ذر رحمة الله عليه). وفي كفاية الأثر ص ٣٠١: (حدثنا أبو المفضل رحمه الله قال: حدثني محمد بن علي بن شاذان بن حباب الأزدي بالكووفة قال: حدثني الحسن بن محمد بن عبد الواحد قال: حدثنا الحسن ثم الحسين العربي الصوفي قال: حدثني يحيى بن يعلى الأسلمي، عن عمرو بن موسى الوجيهي، عن زيد بن علي عليه السلام قال: كنت عند أبي علي بن الحسين عليه السلام إذ دخل عليه جابر بن عبد الله الأنصاري، فبينما هو يحدثه إذ خرج أخي محمد من بعض الحجر، فأشخص جابر ببصره نحوه ثم قام إليه فقال: يا غلام أقبل فأقبل ثم قال: ادبر فأدبر، فقال: شمائل كشمائيل رسول الله صلى الله عليه وآله ما اسمك يا غلام؟ قال: محمد. قال: ابن من؟ قال: ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قال: أنت إذاً الباقر. قال فأكبي عليه وقبل رأسه ويديه ثم قال: يا محمد إن رسول الله صلى الله عليه وآله يقرؤك السلام. قال: علي رسول الله أفضل السلام وعليك يا جابر بما أبلغت السلام. ثم عاد إلى مصلاه، فأقبل يحدث أبي ويقول: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي يوماً: يا جابر إذا أدركت ولدى الباقر فاقراه مني السلام، فإنه سمّي وأشبه الناس بي، علمه علمي وحكمه حكمي، سبعة من ولده أمناء معصومون أئمة أبرار، والسابع مهديهم الذي يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله: وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ)

وفي كفاية الأثر ص ٣٠٣: (حدثني أبو عبد الله الحسين بن محمد بن سعيد بن علي الخزاعي قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد بالكووفة قال: حدثني جعفر بن علي بن سحاح الكندي قال: حدثني إبراهيم بن محمد بن ميمون قال: حدثني المسعودي أبو عبد الرحمان، عن محمد بن علي الفراري، عن أبي خالد الواسطي، عن زيد بن علي عليه السلام، قال حدثني أبي علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا حسين أنت الإمام وأخ الإمام وابن الإمام. تسعة من ولدك أمناء معصومون والتاسع مهديهم، فطوبى لمن أحبهم، والويل لمن أبغضهم).

وفي كفاية الأثر ص ٢٦١: (عن أبي عبد الله عليه السلام: أن قائمنا يخرج من صلب الحسين والحسين، يخرج من صلب علي، وعلي يخرج من صلب محمد، ومحمد يخرج من صلب علي، وعلي يخرج من صلب ابني هذا، وأشار إلى موسى بن جعفر، وهذا خرج من صلب علي. نحن اثنا عشر، كلنا معصومون مطهرون).

وفي أمالي الصدوق ص ٦٧٩: (حدثنا أحمد بن علي بن إبراهيم بن هاشم (رض) قال: حدثنا أبي، عن أبيه، عن محمد بن علي التميمي

قال: حدثني سيدي علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آباءه، عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: من سره أن ينظر إلى القضيبي الأحمر الذي غرسه الله بيده، ويكون متمسكاً به، فليتول علياً والأئمة من ولده فإنهم خيرة الله عز وجل وصفوته، وهم المعصومون من كل ذنب وخطيئة). (ورواه في عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ٦٢٩).

العصمة التامة هي الوسطية بين الغلو والتقصير

في الكافي: ١/٢٦٩: (محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن البرقي، عن أبي طالب، عن سدير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أن قوماً يزعمون أنكم آلهة، يتلون بذلك علينا قرآناً: وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ! فقال: ياسدير سمعي وبصري وبشري ولحمي ودمي وشعري من هؤلاء براء، وبرئ الله منهم، ما هؤلاء على ديني ولا على دين آبائي! والله لا يجمعني الله وإياهم يوم القيامة إلا- وهو ساخط عليهم! قال قلت: وعندنا قوم يزعمون أنكم رسل، يقرؤون علينا بذلك قرآناً: يَا أَيُّهَا الرَّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ! فقال: ياسدير سمعي وبصري وشعري وبشري ولحمي ودمي من هؤلاء براء، وبرئ الله منهم ورسوله، ما هؤلاء على ديني ولا على دين آبائي والله لا يجمعني الله وإياهم يوم القيامة إلا وهو ساخط عليهم! قال قلت: فما أنتم؟ قال: نحن خُزَّانُ علم الله، نحن تراجمه أمر الله، نحن قومٌ معصومون أمر الله تبارك وتعالى بطاعتنا ونهى عن معصيتنا، نحن الحجَّة البالغة على من دون السماء و فوق الأرض).

وفي علل الشرائع للصدوق: ١/١٧٣: (حدثنا أبو علي أحمد بن يحيى المكتب قال حدثنا أحمد بن محمد الوراق قال حدثنا بشر بن سعيد بن قلوبه المعدل بالرافقه قال حدثنا عبد الجبار بن كثير التميمي اليماني قال سمعت محمد بن حرب الهلالي أمير المدينة يقول: سألت جعفر بن محمد عليه السلام فقلت له يا ابن رسول الله في نفسي مسألة أريد أن أسألك عنها فقال: إن شئت أخبرتك بمسألتك قبل أن تسألني وإن شئت فسل، قال قلت له يا ابن رسول الله وبأى شيء تعرف ما في نفسي قبل سؤالي؟ فقال بالتوسم والتفرس، أما سمعت قول الله عز وجل (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ) وقول رسول الله صلى الله عليه وآله اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، قال قلت له يا ابن رسول الله فأخبرني بمسألتي قال: أردت أن تسألني عن رسول الله صلى الله عليه وآله لم لم يطق حمله على عليه السلام عند حط الأصنام من سطح الكعبة مع قوته وشدته وما ظهر منه في قلع باب القموص بخير والرمي به إلى ورائه أربعين ذراعاً، وكان لا يطيق حمله أربعون رجلاً وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يركب الناقة والفرس والحمار، وركب البراق ليلة المعراج وكل ذلك دون علي في القوة والشدّة؟ قال قلت له: عن هذا والله أردت أن أسألك يا ابن رسول الله، فأخبرني؟ فقال:

إن علياً عليه السلام برسول الله تشرف وبه ارتفع، وبه وصل إلى أن أطفأ نار الشرك، وأبطل كل معبود من دون الله عز وجل، ولو علاه النبي عليهما السلام لحط الأصنام لكان عليه السلام بعلي مرتفعاً وتشريفاً وواصللاً إلى حط الأصنام، ولو كان ذلك كذلك لكان أفضل منه، ألا ترى أن علياً عليه السلام قال: لما علوت ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله شرفت وارتفعت حتى لو شئت أن أنال السماء لنتها، أما علمت أن المصباح هو الذي يهتدى به في الظلمة، وانبعث فرعه من أصله، وقد قال علي عليه السلام أنا من أحمد كالضوء من الضوء، أما علمت أن محمداً وعلياً صلوات الله عليهما كانا نوراً بين يدي الله عز وجل قبل خلق الخلق بألفي عام، وإن الملائكة لما رأت ذلك النور رأت له أصلاً قد تشعب منه شعاع لامع فقالت: إلهنا وسيدنا ما هذا النور؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إليهم هذا نور من نوري أصله نبوة وفرعه إمامة، أما النبوة فلمحمد عبدي ورسولي وأما الإمامة فلعلي حجتي ووليي، ولولاهما ما خلقت خلقي! أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله رفع يد علي عليه السلام بغدير خم حتى نظر الناس إلى بياض إبطيهما فجعله مولى المسلمين وإمامهم، وقد احتمل الحسن والحسين عليهما السلام يوم حزيمة بني النجار، فلما قال له بعض أصحابه ناولني أحدهما يارسول الله قال: نعم الراكبين وأبوهما خير منهما، وأنه كان يصلي بأصحابه فأطال سجدة من سجداته فلما سلم قيل له يارسول الله لقد أطلت هذه السجدة فقال صلى الله عليه وآله لأن ابني ارتحلني فكهرت أن أعاجله حتى ينزل، وإنما أراد بذلك رفعهم وتشريفهم،

فالنبي صلى الله عليه وآله إمام ونبي وعلى عليه السلام إمام ليس بنبي ولا رسول، فهو غير مطبق لحمل أثقال النبوة. قال محمد بن حرب الهلالي: فقلت له زدني يا ابن رسول الله فقال: إنك لأهل للزيادة إن رسول الله صلى الله عليه وآله حمل علياً عليه السلام على ظهره يريد بذلك أنه أبو ولده وإمام الأئمة من صلبه، كما حول رداءه في صلاة الإستسقاء وأراد أن يعلم أصحابه بذلك أنه قد تحول الجذب خصباً، قال: قلت له زدني يا ابن رسول الله، فقال: احتمل رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام يريد بذلك أن يعلم قومه أنه هو الذي يخفف عن ظهر رسول الله ما عليه من الدين والعداء والأداء عنه من بعده، قال: فقلت له يا ابن رسول الله زدني فقال: احتمله ليعلم بذلك أنه قد احتمله وما حمل إلا - لأنه معصوم لا يحمل وزراً فتكون أفعاله عند الناس حكمة وصواباً وقد قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي يا علي أن الله تبارك وتعالى حملني ذنوب شيعتك ثم غفرها لي وذلك قوله تعالى: لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، ولما أنزل الله عز وجل إذا اهتديتم وعليّ نفسي وأخي أطيعوا علياً فإنه مطهر معصوم لا يضل ولا يشقى ثم تلا هذه الآية: قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ.

قال محمد بن حرب الهلالي: ثم قال جعفر بن محمد عليه السلام: أيها الأمير لو أخبرتك بما في حمل النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام عند حط الأصنام من سطح الكعبة من المعاني التي أرادها به، لقلت إن جعفر بن محمد لمجنون! فحسبك من ذلك ما قد سمعت! فقلت إليه وقبلة رأسه وقلت: الله أعلم حيث يجعل رسالته). انتهى.

من كلمات علماء الشيعة في عصمة الأنبياء والأئمة

الانبياء معصومون مطهرون كاملون

قال الصدوق في الاعتقادات في دين الإمامية ص ٧٠: باب الاعتقاد في العصمة: (إعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة والملائكة عليهم السلام أنهم معصومون مطهرون من كل دنس، وأنهم لا يذنبون ذنباً لا صغيراً ولا كبيراً، ولا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون. ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم، ومن جهلهم فهو كافر. واعتقادنا فيهم: أنهم معصومون موصوفون بالكمال والتمام والعلم، من أوائل أمورهم وأواخرها، لا يوصفون في شيء من أحوالهم بنقص ولا عيب ولا جهل). انتهى.

ملاحظة: لا بد أن يكون الكفر في كلام الصدوق رحمه الله بمعناه اللغوي، فلا هو ولا بقية فقهاءنا يكفرون أحداً من أهل القبلة لقوله بالعصمة الناقصة.

وقال المفيد في المقنعة ص ٣٠: (ويجب أن يعتقد التصديق لكل الأنبياء عليهم السلام وأنهم حجج الله على من بعثهم إليه من الأمم، والسفراء بينه وبينهم، وإن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، خاتمهم وسيدهم وأفضلهم، وإن شريعته ناسخة لما تقدمها من الشرائع المخالفة لها، وأنه لانيبي بعده صلى الله عليه وآله ولا شريعة بعده شريعته.

وكل من ادعى النبوة بعده فهو كاذب على الله تعالى، ومن يغير شريعته فهو ضال، كافر من أهل النار، إلا أن يتوب ويرجع إلى الحق بالإسلام فيكفر بالله تعالى حينئذ عنه... بالتوبة ما كان مقرفاً من الآثام.

ويجب اعتقاد نبوة جميع من تضمن الخبر عن نبوته القرآن على التفصيل، واعتقاد الجملة منهم على الإجمال، ويعتقد أنهم كانوا معصومين من الخطأ، موفقين للصواب، صادقين عن الله تعالى في جميع ما أدوه إلى العباد، وفي كل شيء أخبروا به على جميع الأحوال، وإن طاعتهم طاعة لله ومعصيتهم معصية لله، وإن آدم ونوحاً وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف، وإدريس وموسى وهارون وعيسى وداود وسليمان وزكريا ويحيى وإلياس وذا الكفل وصالحاً وشعياً ويونس ولوطاً وهوداً، كانوا أنبياء الله تعالى ورسلاً له صادقين عليه، كما سماهم بذلك وشهد لهم به، وإن من لم يذكر اسمه من رسله على التفصيل كما ذكر ممن سميانه منهم،

وذكرهم في الجملة حيث يقول: وَرَسُولًا قَدْ قَصَصْنَا هُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرَسُولًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ، كلهم أنبياء عن الله صادقون، وأصفياء له منتجبون لديه، وإن محمداً صلى الله عليه وآله سيدهم وأفضلهم، كما قدمناه...

ويجب على كل مكلف أن يعرف إمام زمانه، ويعتقد إمامته وفرض طاعته وأنه أفضل أهل عصره وسيد قومه، وأنهم في العصمة والكمال كالأنبياء عليهم السلام ويعتقد أن كل رسول الله تعالى فهو نبي إمام، وليس كل إمام نبياً ولا رسولاً، وإن الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله حجج الله تعالى وأوليائه، وخاصةً أصفياء الله، أولهم وسيدهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، عليه أفضل السلام، وبعده الحسن والحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي بن الحسين، ثم جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي بن موسى، ثم علي بن محمد بن علي، ثم الحسن بن علي بن محمد، ثم الحجة القائم بالحق ابن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى عليهم السلام. لا إمامة لاحد بعد النبي صلى الله عليه وآله غيرهم، ولا يستحقها سواهم، وأنهم الحجة على كافة الأنام كالأنبياء عليهم السلام وأنهم أفضل خلق الله بعد نبيه عليه وآله السلام، والشهداء على رعاياهم يوم القيامة، كما أن الأنبياء عليهم السلام شهداء الله على أممهم، وأنه بمعرفتهم وولايتهم تُقبل الأعمال، وبعادوتهم والجهل بهم تُستحق النار).

في بحار الأنوار: ١١/٧٢-٩٦: (باب عصمة الأنبياء عليهم السلام وتأويل ما يوهم خطأهم وسهوهم). أورد فيه نحو مجموعة أحاديث وكلمات لعلمائنا رضی الله عنهم في عصمة الأنبياء التامة عليهم السلام.

العصمة عن الذنوب، والغلط، والردائل، وما ينفر

قال المفيد في تصحيح اعتقادات الإمامية/١٢٨:

(العصمة من الله تعالى لحججه هي التوفيق واللفظ، والإعتصام من الحجج بها: عن الذنوب، والغلط في دين الله تعالى. والعصمة تفضل من الله تعالى على من علم أنه يتمسك بعصمته، والإعتصام فعل المعتصم، وليست العصمة مانعة من القدرة على القبيح، ولا مضطرة للمعصوم إلى الحسن، ولا مُلجئة له إليه، بل هي الشئ الذي يعلم الله تعالى أنه إذا فعله بعبد من عبده لم يؤثر معه معصيته له، وليس كل الخلق يعلم هذا من حاله، بل المعلوم منهم ذلك هم الصفوة والإخيار).

جيلنا

وفي الكافي لأبي الصلاح الحلبي/٧٨: (وإذا ثبتت نبوة نبينا صلى الله عليه وآله بالبراهين الواضحة وجب القطع على كونه صلى الله عليه وآله وعلى آلته على الصفات التي يجب كون النبي عليها من العصمة فيما يؤديه، والعصمة من جميع القبائح، وتنزيهه عن كل منفر حسب ما دللنا عليه).

اصل الأدلة عندنا على العصمة التامة: الدليل العقلي

أقول: أصل الدليل في مذهبنا على عقيدة عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام عصمة تامة هو العقل، الذي يحكم بضرورة أن يكون المؤدى للناس عن الله تعالى والمؤدى للناس عن النبي صلى الله عليه وآله معصوماً، وإلا فلا يمكن الوثوق بقوله، وأن عصمته تثبت بنص المعصوم أو بالمعجزة.

وقد حاول غيرنا إثبات العصمة بالنقل لكنه يلزم منه الدور، لأن الوثوق بالنص الذي يثبت العصمة يتوقف عليها، فلا يصح أن تتوقف هي عليه.

وأسوأ من ذلك قول بعضهم بأن الأنبياء عليهم السلام يرتكبون الذنوب والمعاصي حتى في تبليغ الرسالة، لكن الله تعالى لا يقرهم على

الخطأ، فيصح لهم ما عصوا فيه ويتوبون من معصيتهم!

قال ابن تيمية في منهاج سنته: ٢/٤٠٠: (والذنوب إنما تضر أصحابها إذا لم يتوبوا منها، والجمهور الذين يقولون بجواز الصغائر عليهم يقولون إنهم معصومون من الإقرار عليها، وحينئذ فما وصفوهم إلا بما فيه كمالهم، فإن الأعمال بالخواتيم. مع أن القرآن والحديث وإجماع السلف معهم في تقرير هذا الأصل! فالمنكرون لذلك يقولون في تحريف القرآن ما هو من جنس قول أهل البهتان، ويحرفون الكلم عن مواضعه). انتهى.

وقوله: (والجمهور...) يقصد بهم أتباع المذاهب السنية، وتعبيره بالصغائر لكي يجعل آيات الغرائق الشيطانية التي افترها على النبي صلى الله عليه وآله وصحح هو روايتها ودافع عنها، أن يجعلها من المعاصي الصغيرة! مع أنها خيانة للوحي، وكفر بالله العظيم، وعبادة للأصنام وسجود لها!

والوجه في بطلان هذا الكلام أنه يستوجب سلب الثقة بكل كلام النبي عليه السلام فما دام قد يخطئ أو يخون الرسالة ويبلغ الكفر بدل التوحيد! فلا ينفع بعد ذلك أن الله تعالى لا يقره على الخطأ، وأنه ينبه بعد مدة فيقول النبي للناس إن الشيء الفلاني الذي بلغتكم إياه كان خطأ مني أو من شيطاني، وقد نهني إليه جبرئيل وتاب الله عليّ! فخذوا الصحيح ودعوا الخطأ!

فمن أين يثق الناس بأن هذا البديل الذي بلغه الآن ليس منه أو من الشيطان كسابقه؟! فإن من وقع في خطيئة مرة يمكن أن يقع فيها مئة مرة، ومن خان الوحي مرة، قد يخونه مئة مرة!

ونفس هذا الكلام يجرى بطريق أولى في عصمة الإمام المؤدى للأمة عن نبيها صلى الله عليه وآله فإن من يؤدي عن النبي صلى الله عليه وآله لا بد أن يكون عنده العلم القطعي بكتاب الله والسنة، وأن يكون معصوماً لا يحتمل في حقه النسيان والخطأ وارتكاب خيانه، لأن احتمال الكذب والخطأ فيه يسلب الإطمئنان من أجيال الأمة بأن ما أذاه إليها هو مراد الله تعالى من كلامه قطعاً وهو قول النبي صلى الله عليه وآله قطعاً!

قال المحقق الحلبي في المسلك في أصول الدين ص ١٥٤:

(وأما العصمة (للنبي) عن المعاصي فقد اختلفوا، فمنهم من عصمه عن الخلل في التبليغ لا غير، ومنهم من عصمه مع ذلك عن الكبائر. والحق أنه معصوم عن الكل في حال النبوة وقبلها. وهل هو معصوم عن السهو أم لا؟ فيه خلاف بين أصحابنا، والأصح القول بعصمته عن ذلك كله.

لنا: لو جاز شيء من ذلك لجاز تطرقه إلى التبليغ، لكن ذلك محال، ولأنه مع تجويز ذلك يرتفع الوثوق بخبره، فينتقض الغرض المراد بالبعثه.

وأما قبل النبوة فهو معصوم عن تعمد المعصية، صغيرة كانت أو كبيرة، ويدل عليه من القرآن قوله: لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ.

وأما ما تضمنه الكتاب العزيز وكثير من الأخبار من مظاهره وقوع المعصية فمحمول على ضرب من التأويل، لثلاث تناقض الأدلة).

وقاتل العلامة الحلبي في شرح التجريد ص ٣٧٥:

المسألة الثانية: في وجوب العصمة قال: ويجب في النبي العصمة ليحصل الوثوق فيحصل الغرض، ولو جوب متابعتة، وضدها الإنكار عليه.

أقول: اختلف الناس ها هنا، فجماعة المعتزلة جوزوا الصغائر على الأنبياء عليهم السلام أما على سبيل السهو كما ذهب إليه بعضهم، أو على سبيل التأويل كما ذهب إليه قوم منهم، أو لأنها تقع محبطة بكثرة ثوابهم. وذهبت الأشاعرة والحشوية إلى أنه يجوز عليهم الصغائر والكبائر، إلا الكفر والكذب. وقالت الإمامية إنه يجب عصمتهم عن الذنوب كلها، صغيرة كانت أو كبيرة، والدليل عليه بوجوه:

أحدها: أن الغرض من بعثه الأنبياء عليهم السلام إنما يحصل بالعصمة فيجب العصمة تحصيلاً للغرض، وبيان ذلك أن المبعوث إليهم لو جوزوا الكذب على الأنبياء والمعصية جوزوا في أمرهم ونهيتهم وأفعالهم التي أمرهم باتباعهم فيها ذلك، وحينئذ لا ينقادون إلى

امتنال أوامرهم وذلك نقض للغرض من البعثة.

الثاني: أن النبي عليه السلام يجب متابعتة فإذا فعل معصية فإما أن يجب متابعتة أولاً والثاني باطل لانتفاء فائدة البعثة، والأول باطل لأن المعصية لا يجوز فعلها وأشار بقوله لوجوب متابعتة وضدها إلى هذا الدليل، لأنه بالنظر إلى كونه نبياً يجب متابعتة، وبالنظر إلى كون الفعل معصية لا يجوز اتباعه.

الثالث: أنه إذا فعل معصية وجب الإنكار عليه، لعموم وجوب النهي عن المنكر، وذلك يستلزم إيذائه، وهو منهي عنه، وكل ذلك محال).

وفى النافع يوم الحشر للعلامة الحلي ص ٨٤: (والإمامية أوجبوا العصمة مطلقاً عن كل معصية، عمداً وسهواً، وهو الحق لوجهين: الأول: ما أشار إليه المصنف، وتقريره: أنه لو لم يكن الأنبياء عليهم السلام معصومين لانتفت فائدة البعثة، واللازم باطل فالملزوم مثله. بيان الملازمة: أنه إذا جازت المعصية عليهم لم يحصل الوثوق بصحة قولهم لجواز الكذب حينئذ عليهم، وإذا لم يحصل الوثوق لم يحصل الإنقياد لأمرهم ونهيهم، فتنتفى فائدة بعثهم، وهو محال.

الثاني: لو صدر عنهم الذنب لوجب اتباعهم، لدلالة النقل على وجوب اتباعهم، لكن الأمر حينئذ باتباعهم محال لأنه قبيح! فيكون صدور الذنب عنهم محالاً وهو المطلوب....

وأما ما ورد في الكتاب العزيز والأخبار مما يوهم صدور الذنب عنهم فمحمول على ترك الأولى، جمعاً بين ما دل العقل عليه وبين صحة النقل، مع أن جميع ذلك قد ذكر له وجوه ومحامل في مواضعه... وعليك في ذلك بمطالعة كتاب تنزيه الأنبياء عليهم السلام الذي رتبته السيد المرتضى رحمه الله علم الهدى الموسوي وغيره من الكتب، ولولا خوف الإطالة لذكرنا نبذة من ذلك).

وقال في تذكرة الفقهاء (ط.ج): ٩/٣٩٧: (الخامس عشر: أن يكون منزهاً عن القبائح لدلالة العصمة عليه، ولأنه يكون مستحقاً للإهانة والإنكار عليه، فيسقط محله من قلوب العامة فتبطل فائدة نصبه.

وأن يكون منزهاً عن الدنئات والردائل، كاللعب والأكل في الأسواق وكشف الرأس بين الناس، وغير ذلك مما يسقط محله ويوهن مرتبته.

وأن يكون منزهاً عن دناءة الآباء وعهر الأمهات.

وقد خالفت العامة في ذلك كله).

وقال ابن ميثم البحراني في قواعد المرام في علم الكلام ص ١٢٥:

البحث الأول: العصمة صفة للإنسان يمتنع بسببها من فعل المعاصي ولا يمتنع منه بدونها. وعندنا أن النبي معصوم عن الكبائر والصغائر عمداً وسهواً من حين الطفولية إلى آخر العمر. وجوز بعض الخوارج صدور جميع الذنوب عن الأنبياء عليهم السلام، وجوزت المعتزلة والزيدية وقوع الصغائر عنهم فيما يتعلق بالفتوى دون الكبائر. ثم منهم من جوزها سهواً فقط، وهو مذهب الأشعرية. فأما ما يتعلق بأداء الشريعة فأجمعوا على أنه لا يجوز عليهم فيه التحريف والخيانة لا عمداً ولا سهواً، وكذلك أجمعوا على أن وقت العصمة هو وقت النبوة دون ما قبله.

لنا وجوه: أحدها، أن غرض الحكيم من البعثة هداية الخلق إلى مصالحهم وحثهم بالبشارة والندارة وإقامة الحجج عليهم بذلك لقوله تعالى: رَسَلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ. (النساء: ١٦٥) فلو لم يجب في حكمته عصمة النبي لناقض غرضه من بعثه وإرساله، لكن اللازم باطل فالملزوم مثله، فعصمة النبي واجبة في الحكمة.

أما الملازمة فلأنه بتقدير وقوع المعصية منه جاز أن يأمرهم بما هو مفسدة لهم وينهاهم عما هو مصلحة لهم، وذلك مستلزم لإغوائهم وإضلالهم، فكان في بعثه غير المعصوم مناقضة للغرض من بعثه.

وأما بطلان اللازم فلأن مناقضة الغرض يستلزم السفه والعبث، وهما محالان على الحكيم، كما تقدم في باب اللطف.

الثاني، لو جاز صدور المعصية عن النبي لوجب علينا فعل المفسدة أو ترك المصلحة الواجبة، لكن اللازم باطل فالملزوم مثله. بيان الملازمة أنه يجب علينا فعل ما أمرنا به والانتفاء عما نهانا عنه لقوله تعالى: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا. (الحشر: ٧) فبتقدير أن تجوز المعصية عليه جاز أن يوجب علينا ما هو محرم ويحرم علينا ما هو واجب، ويجب علينا اتباعه في ذلك. وأما بطلان اللازم فلأن أمر الحكيم لنا باتباعه مطلقاً يستلزم أمره لنا بفعل القبيح إذن، لكن الأمر بالقبيح قبيح ممتنع عليه تعالى. الثالث، لو جاز صدور المعصية عنهم لكان بتقدير وقوعها منهم لا تقبل شهاداتهم، لقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا. (الحجرات: ٦) لكن اللازم باطل، لأنها إذا لم تقبل في محقرات الأمور فكان أولى أن لا تقبل في الأديان الباقية إلى يوم القيامة).

قال الصدوق رحمه الله في معاني الأخبار ص ١٣٣ بعد إيراد الحديث المتقدم في أماليه:

(قال أبو جعفر مصنف هذا الكتاب: الدليل على عصمة الإمام أنه لما كان كل كلام ينقل عن قائله يحتمل وجوهاً من التأويل، وكان أكثر القرآن والسنة مما أجمعت الفرق على أنه صحيح لم يغير ولم يبدل، ولم يزد فيه ولم ينقص منه، محتملاً لوجوه كثيرة من التأويل، وجب أن يكون مع ذلك مخبراً صادقاً معصوماً من تعمد الكذب والغلط، منبئاً عما عنى الله ورسوله في الكتاب والسنة على حق ذلك وصدقه، لأن الخلق مختلفون في التأويل، كل فرقة تميل مع القرآن والسنة إلى مذهبها، فلو كان الله تبارك وتعالى تركهم بهذه الصفة من غير مخبر عن كتابه صادق فيه لكان قد سوغهم الاختلاف في الدين ودعاهم إليه، إذ أنزل كتاباً يحتمل التأويل، وسن نبيه سنةً تحتمل التأويل، وأمرهم بالعمل بهما، فكانه قال: تأولوا واعملوا. وفي ذلك إباحة العمل بالمتناقضات والإعتماد للحق وخلافه. فلما استحال ذلك على الله عز وجل، وجب أن يكون مع القرآن والسنة في كل عصر من يبين عن المعاني التي عناها الله عز وجل في القرآن بكلامه، دون ماتحتمله ألفاظ القرآن من التأويل، ويبين عن المعاني التي عناها رسول الله في سنته وأخباره دون التأويل الذي تحتمله ألفاظ الأخبار المروية عنه عليه السلام المجمع على صحة نقلها.

وإذا وجب أنه لا بد من مخبر صادق، وجب أن لا يجوز عليه الكذب تعمداً ولا الغلط فيما يخبر به عن مراد الله عز وجل في كتابه، وعن مراد رسول الله في أخباره وسنته. وإذا وجب ذلك وجب أنه معصوم.

ومما يؤكد هذا الدليل أنه لا يجوز عند مخالفتنا أن يكون الله عز وجل أنزل القرآن على أهل عصر النبي صلى الله عليه وآله ولا نبي فيهم ويتعبد لهم بالعمل بما فيه على حقه وصدقه، فإذا لم يجوز أن ينزل القرآن على قوم ولا ناطق به ولا معبر عنه ولا مفسر لما استعجم منه، ولا مبين لوجهه، فكذلك لا يجوز أن نتعبد نحن به إلا ومعه من يقوم فينا مقام النبي صلى الله عليه وآله في قومه وأهل عصره، في التبيين لناسخه ومنسوخه وخاصة وعامه، والمعاني التي عناها الله عز وجل بكلامه دون ما يحتمله التأويل، كما كان النبي صلى الله عليه وآله مبيناً لذلك كله لأهل عصره. ولا بد من ذلك ما لزموا العقول والدين.

فإن قال قائل: إن المؤدى إلينا ما نحتاج إلى علمه من متشابه القرآن ومن معانيه التي عناها الله دون ما يحتمله ألفاظه، هو الأمة.

أكذبه اختلاف الأمة وشهادتها بأجمعها على أنفسها في كثير من أي القرآن لجهلهم بمعناه الذي عناها الله عز وجل!

وفي ذلك بيان أن الأمة ليست هي المؤدية عن الله عز وجل ببيان القرآن، وأنها ليست تقوم في ذلك مقام النبي صلى الله عليه وآله. فإن تجاسر متجاسر فقال: قد كان يجوز أن ينزل القرآن على أهل عصر النبي صلى الله عليه وآله، ولا يكون معه نبي ويتعبد لهم بما فيه مع احتمالها للتأويل.

قيل له: فهب ذلك كان قد وقع من الخلاف في معانيه ما قد وقع في هذا الوقت، ما الذي كانوا يصنعون؟

فإن قال: ما قد صنعوا الساعة.

قيل: الذي فعلوه الساعة أخذ كل فرقة من الأمة جانباً من التأويل وعمله عليه، وتضليل الفرقة المخالفة لها في ذلك، وشهادتها عليها بأنها ليست على الحق.

فإن قال: أنه كان يجوز أن يكون أول الإسلام كذلك وإن ذلك حكمه من الله و عدل فيهم، ركب خطأ عظيماً وما لا أرى أحداً من الخلق يقدم عليه.

فيقال له عند ذلك: فحدثنا إذا تهيأ للعرب الفصحاء أهل اللغة أن يتأولوا القرآن ويعمل كل واحد منهم بما يتأوله على اللغة العربية، فكيف يصنع من لا يعرف اللغة من الناس؟ وكيف يصنع العجم من الترك والفرس؟ وإلى أى شئ يرجعون فى علم ما فرض الله عليهم فى كتابه؟ ومن أى الفرق يقبلون مع اختلاف الفرق فى التأويل؟!

وإباحتك كل فرقة أن تعمل بتأويلها، فلا بد لك من أن تجرى العجم ومن لا يفهم اللغة مجرى أصحاب اللغة من أن لهم أن يتبعوا أى الفرق شاءوا! وإلا- إن أزلت من لا يفهم اللغة اتباع بعض الفرق دون بعض، لزمك أنت تجعل الحق كله فى تلك الفرقة دون غيرها، فإن جعلت الحق فى فرقة دون فرقة نقضت ما بنيت عليه كلامك واحتجت إلى أن يكون مع تلك الفرقة علم وحجة تبين بها من غيرها، وليس هذا من قولك!

ولو جعلت الفرق كلها متساوية فى الحق مع تناقض تأويلاتها، فيلزمك أيضاً أن تجعل للعجم ومن لا يفهم اللغة أن يتبعوا أى الفرق شاءوا، وإذا فعلت ذلك لزمك فى هذا الوقت أن لا تلزم أحداً من مخالفيك من الشيعة والخوارج وأصحاب التأويلات وجميع من خالفك ممن له فرقة ومن مبتدع لفرقة له على مخالفيك ذمًا!! وهذا نقض الإسلام والخروج من الإجماع.

ويقال لك: وما ينكر على هذا الأخطاء أن يتعبد الله عز وجل الخلق بما فى كتاب مطبق لا يمكن أحداً أن يقرأ ما فيه، ويأمر أن يبحثوا ويرتادوا ويعمل كل فرقة بما ترى أنه فى الكتاب.

فإن أجزت ذلك أجزت على الله عز وجل العبث لأن ذلك صفة العايب! ويلزمك أن تجيز على كل من نظر بعقله فى شئ واستحسن أمراً من الدين أن يعتقد! لأنه سواء أباحهم أن يعملوا فى أصول الحلال والحرام وفروعها بأرائهم، وأباحهم أن ينظروا بعقولهم فى أصول الدين كله وفروعه من توحيده وغيره، وإن يعملوا أيضاً بما استحسوه وكان عندهم حقاً!

فإن أجزت ذلك أجزت على الله عز وجل أن يبيح الخلق أن يشهدوا عليه أنه ثانى اثنين، وإن يعتقدوا الدهر، وجحدوا البارئ جل وعز. وهذا آخر ما فى هذا الكلام، لأن من أجاز أن يتعبدنا الله عز وجل بالكتاب على احتمال التأويل ولا مخبر صادق لنا عن معانيه، لزمه أن يجيز على أهل عصر النبي صلى الله عليه وآله مثل ذلك! وإذا أجاز مثل ذلك لزمه أن يبيح الله عز وجل كل فرقة العمل بما رأت وتأولت، لأنه لا يكون لهم غير ذلك إذا لم يكن معهم حجة فى أن هذا التأويل أصح من هذا التأويل.

وإذا أباح ذلك أباح متبعهم ممن لا يعرف اللغة! وإذا أباح أولئك أيضاً لزمه أن يبيحنا فى هذا العصر، وإذا أباحنا ذلك فى الكتاب لزمه أن يبيحنا ذلك فى أصول الحلال والحرام ومقائيس العقول وذلك خروج من الدين كله.

وإذا وجب بما قدمنا ذكره أنه لا بد من مترجم عن القرآن وأخبار النبي صلى الله عليه وآله وجب أن يكون معصوماً ليجب القبول منه، فإذا وجب أن يكون معصوماً بطل أن يكون هو الأمة لما بينا من اختلافاتها فى تأويل القرآن والأخبار، وتنازعها فى ذلك ومن إكفار بعضها بعضاً!!

وإذا ثبت ذلك وجب أن المعصوم هو الواحد الذى ذكرناه وهو الإمام. وقد دللنا على أن الإمام لا يكون إلا معصوماً، وأرى أنه إذا وجبت العصمة فى الإمام لم يكن بد من أن ينص النبي عليه، لأن العصمة ليست فى ظاهر الخلقة فيعرفها الخلق بالمشاهدة فواجب أن ينص عليها علام الغيوب تبارك وتعالى على لسان نبيه، وذلك لأن الإمام لا يكون إلا منصوباً عليه، وقد صح لنا النص بما بيناه من الحجج وبما روينا من الأخبار الصحيحة). انتهى.

وقال الطباطبائي فى تفسير الميزان: ٢/١٣٤: (كلام فى عصمة الأنبياء عليهم السلام:

العصمة على ثلاثة أقسام: العصمة عن الخطأ فى تلقى الوحي، والعصمة عن الخطأ فى التبليغ والرسالة، والعصمة عن المعصية، وهى ما فيه هتك حرمة العبودية ومخالفة مولوته، ويرجع بالآخرة إلى قول أو فعل ينافى العبودية منافاةً ما. ونعنى بالعصمة وجود أمر فى

الإنسان المعصوم يصونه عن الوقوع فيما لا يجوز من الخطأ، أو المعصية.

وأما الخطأ في غير باب المعصية وتلقى الوحي والتبليغ، وبعبارة أخرى: في غير باب أخذ الوحي وتبليغه والعمل به، كالخطأ في الأمور الخارجية نظير الأعلاط الواقعة للإنسان في الحواس وإدراكاتها، أو الإعتباريات من العلوم، ونظير الخطأ في تشخيص الأمور التكوينية من حيث الصلاح والفساد والنفع والضرر ونحوها، فالكلام فيها خارج عن هذا المبحث.

وكيف كان، فالقرآن يدل على عصمتهم عليهم السلام في جميع الجهات الثلاث:

أما العصمة عن الخطأ في تلقي الوحي وتبليغ الرسالة: فيدل عليه قوله تعالى في الآية: كَانِ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ. (البقرة: ٢١٣) فإنه ظاهر في أن الله سبحانه إنما بعثهم بالتبشير والإنذار وإنزال الكتاب، وهذا هو الوحي، لبيئنا للناس الحق في الإعتقاد والحق في العمل. وبعبارة أخرى لهداية الناس إلى حق الإعتقاد وحق العمل، وهذا هو غرضه سبحانه في بعثهم، وقد قال تعالى: لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى. (طه: ٥٢) فيبين أنه لا يضل في فعله ولا يخطئ في شأنه، فإذا أراد شيئاً فإنما يريده من طريقه الموصل إليه من غير خطأ، وإذا سلك بفعل إلى غاية فلا يضل في سلوكه، وكيف لا ويده الخلق والأمر وله الملك والحكم، وقد بعث الأنبياء عليهم السلام بالوحي إليهم وتفهمهم معارف الدين، ولا بد أن يكون، وبالرسالة لتبليغها للناس ولا بد أن يكون. وقال تعالى أيضاً: إِنَّ اللَّهَ بِأَلْعَامِرِ قَدْرٌ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا. (الطلاق: ٣) وقال أيضاً: وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. (يوسف: ٢١) ويدل على العصمة عن الخطأ أيضاً قوله تعالى: عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا، الْأَمْنُ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْمُوكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا. لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا. (الجن: ٢٦-٢٨) فظاهره أنه سبحانه يختص رسله بالوحي فيظهرهم على الغيب ويؤيدهم بمراقبه ما بين أيديهم وما خلفهم، والإحاطة بما لديهم، لحفظ الوحي عن الزوال والتغير بتغيير الشياطين وكل مغير غيرهم، ليتحقق إبلاغهم رسالات ربهم. ونظيره قوله تعالى حكاية عن قول ملائكة الوحي: وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا. (مريم: ٦٤)، دلت الآيات على أن الوحي من حين شروعه في النزول، إلى بلوغه النبي، إلى تبليغه للناس محفوظ مصون عن تغيير أي مغير يغيره).

وقال الوحيد الخراساني في مقدمته منهاج الصالحين ص ٦١:

والأدلة على عصمة الأنبياء عليهم السلام عديدة، نشير إلى بعضها:

الدليل الأول: أن لوصول كل مخلوق إلى كماله الذي خلق له سنناً وقوانين، وقد تبين مما تقدم أن السنة التي توصل الإنسان إلى كماله المقصود من خلقه، إنما هي الهداية الإلهية ودين الحق.

ولما كان تحقق هذا الكمال يتوقف على تبليغ السنة والنظام الإلهي وتنفيذه،

والنبي متكفل لتربية الإنسان وفق هذه السنة والنظام، فلو حصل تخلف في تبليغه أو تنفيذه لكان نقضاً للغرض، ولا يكون تخلف مبلغ الوحي والمرتب بالتربية الإلهية إلا من جهة الخطأ أو الهوى، وأي منهما كان فلا يحصل الغرض الأقصى.

فكمال الهداية الإلهية يتطلب كمال الهدى، وعصمة النظام الإلهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تستلزم عصمة المعلم والمنفذ.

الدليل الثاني: دلّ العقل والنقل على أن الدين جاء ليحيى الإنسان حياة طيبة من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون، وماء الحياة الطيبة للإنسان هو الإيمان والعمل الصالح، وهما يشكّلان مجموعة الدين، ومجرى هذا الماء الطيب وجود النبي عليه السلام، فلو كان مجرى الماء ملوثاً لتلوث الماء ولم يصلح لسقى عقول الناس وقلوبهم، ولا يحصل منه ثمره الحياة الطيبة.

الدليل الثالث: بما أن الغرض من بعثه النبي عليه السلام لا يتحقق إلا بإطاعته في أمره ونهيه، وبما أن إطاعة المخطئ والعاصي لا تجوز، فلو لم يكن النبي عليه السلام معصوماً لم تجب إطاعته، فيلزم نقض الغرض وبطلان نتيجة البعثة.

الدليل الرابع: إذا لم يكن النبي عليه السلام معصوماً، لم يحصل للأمة اليقين بصدقه وصحة قوله في تبليغ الوحي، وإذا لم يكن معصوماً من الذنوب، سقطت مكانته في أعين الناس، وكلام العالم بلا-عمل، والواعظ غير المتعظ لا يؤثر في النفوس، فلا يحصل الغرض المقصود من البعثة.

الدليل الخامس: منشأ الخطأ والذنب ضعف العقل والإرادة، وعقل النبي عليه السلام كامل، لأنه باتصاله بالوحي اتصل بحق اليقين، وصار يرى الأشياء على واقعها كما هي، وإرادته لا تتأثر إلا من إرادة الله سبحانه وتعالى، فلا يبقى في شخصيته مجال للخطأ والذنب. انتهى.

العصمة لاتعني الإجمار، ولا تنافي الاختيار

قال المفيد في رسالة النكت الاعتقادية ص ٤٥:

(فإن قيل: ما حد العصمة؟ الجواب: العصمة لطف يفعله الله بالمكلف بحيث يمنع منه وقوع المعصية وترك الطاعة، مع قدرته عليهما.

فإن قيل: ما الدليل على أنه معصوم من أول عمره إلى آخره؟

والجواب: الدليل على ذلك أنه لو عهد منه السهو والنسيان لارتفع الوثوق منه عند إخباراته. ولو عهد منه خطيئته لتفترت العقول من متابعتها فتبطل فائدة البعثة).

وقال العلامة الحلبي في شرح التجريد/٤٩٤:

قال: ولا تنافي العصمة القدرة.

أقول: اختلف القائلون بالعصمة في أن المعصوم هل يتمكن من فعل المعصية أم لا؟ فذهب قوم منهم إلى عدم تمكنه من ذلك، وذهب آخرون إلى تمكنه منها. أما الأولون فمنهم من قال: أن المعصوم مختص في بدنه أو نفسه بخاصية تقتضي امتناع إقدامه على المعصية، ومنهم من قال: أن العصمة هو القدرة على الطاعة وعدم القدرة على المعصية، وهو قول أبي الحسين البصري. وأما الآخرون الذين لم يسلبوا القدرة فمنهم من فسرها بأنه الأمر الذي يفعله الله تعالى بالعبد من الألفاظ المقربة إلى الطاعات التي يعلم معها أنه لا يقدم على المعصية بشرط أن لا- ينتهي ذلك الأمر إلى اللجوء، ومنهم من فسرها بأنها ملكة نفسانية لا يصدر عن صاحبها معها المعاصي. وآخرون قالوا: العصمة لطف يفعله الله تعالى بصاحبها لا يكون له معه داع إلى ترك الطاعة وارتكاب المعصية، وأسباب هذا اللطف أمور أربعة:

أحدها: أن يكون لنفسه أو لبدنه خاصية تقتضي ملكة مانعة من الفجور وهذه الملكة مغايرة للفعل.

الثاني: أن يحصل له علم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات.

الثالث: تأكيد هذه العلوم بتتابع الوحي والإلهام من الله تعالى.

الرابع: مؤاخذته على ترك الأولى بحيث يعلم أنه لا يترك مهملاً بل يضيق عليه الأمر في غير الواجب من الأمور الحسنه.

فإذا اجتمعت هذه الأمور كان الإنسان معصوماً.

والمصنف رحمه الله اختار المذهب الثاني وهو أن العصمة لا تنافي القدرة بل المعصوم قادر على فعل المعصية، وإلا لما استحق المدح على ترك المعصية ولا- الثواب، ولبطل الثواب والعقاب في حقه، فكان خارجاً عن التكليف! وذلك باطل بالإجماع وبالنقل في قوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ).

وقال العلامة الحلبي في كتاب الألفين/٦٧:

البحث السابع: في عصمة الإمام، وهي ما يتمتع المكلف معه من المعصية متمكناً منها، ولا يتمتع معها مع عدمها. اختلف الناس في ذلك، فذهبت الإمامية والإسماعيلية إليه، ونفاه الباقر، لنا وجوه:

الأول: لو كان غير معصوم لكان محتاجاً إما إلى نفسه أو إلى إمام آخر فيدور أو يتسلسل وهما محالان، وذلك لوجود العلة المحوثة إليه فيه.

لا يقال: المعصوم لا يخلو إما أن يقدر على المعصية أو لا يقدر، فإن قدر فلا يخلو أن يمكن وقوعها منه أو لا يمكن، فإن أمكن فهو كسائر المكلفين في الحقيقة من غير امتياز، وإن لم يمكن فقدرته على ما لا يمكن وقوعه لا يكون قدرة، وإن لم يقدر فهو مجبورٌ وليس ذلك بشرف له.

وأيضاً، إذا جاز أن يتمتع وقوع المعصية من شخص من المكلفين بفعل الله تعالى، ولا يضر ذلك قدرته وتمكنه من الطرفين، فالواجب أن يجعل جميع المكلفين كذلك، إذ كان الغرض من وجودهم إيصال الثواب إليهم دون وقوع المعصية وعقابهم عليها؟

وأيضاً، فلم يجوز أن يكون الإنتهاء في الإحتجاج إلى النبي صلى الله عليه وآله أو القرآن وينقطع التسلسل.

لأننا نجيب عن الأول: بأنه يقدر عليها ولكن لا تقع مقدوره منه، لعدم خلوص داعيه إليها، كما نقول في امتناع وقوع القبائح من الحكيم تعالى، وكما نقول في عصمة الأنبياء عليهم السلام فإن القدرة على ما لا يمكن وقوعه لا اعتبار شيء غير ذاته لا يستنكر، إنما يستنكر القدرة على ما لا يمكن وقوعه لذاته.

وعن الثاني: أنا لا نقول أن الحكيم تعالى جعل شخصاً واحداً بفعله معصوماً من غير استحقاق منه لذلك، لكننا نقول: كل من يستحق الألفاظ الخاصة التي هي العصمة بكسبه، فهو تعالى يخصه بها.

ثم الإمام يجب أن يكون من تلك الطائفة، فالمكلفون بأسرهم لو استحقوا بكسبهم تلك الألفاظ لكانوا كلهم معصومين، فظهر أن الخلل في عدم عصمتهم جميعاً راجع عليهم لا عليه تعالى.

وعن الثالث: أن نسبة غير المعصومين إلى النبي صلى الله عليه وآله القرآن نسبة واحدة، فلو جاز أن يكون النبي الموجود في زمان سابق أو القرآن مُغنياً لمكلف مع جواز خطئه عن الإمام لجاز في الجميع مثل ذلك، وحينئذ لا يجب احتياجهم جميعاً إلى الإمام، وقد سبق فساد اللازم فظهر فساد الملزوم.

الثاني: لما ثبت وجوب نصب الإمام على الله تعالى بالطريق الثاني فنقول: أنا نعلم ضرورة أن الحاكم إذا نصب في رعيته من يعرف منه أنه لا يقوم بمصالحهم ولا يراعى فيهم ما لأجله احتاجوا إلى منصوب قبله، تستقبح العقول منه ذلك النصب وتنفر عنه، ونصب غير المعصوم من الله تعالى داخل في هذه الحكمة، فعلمنا أنه لا ينصب غير المعصوم، فكل إمام ينصبه الله تعالى فهو معصوم). انتهى.

وقال الشريف المرتضى في رسائله: ٣/٣٢٣:

(مسألة في العصمة: ما حقيقة العصمة التي يعتقد وجوبها للأنبياء والأئمة عليه السلام، وهل هو معنى يضطر إلى الطاعة ويمنع من المعصية أو معنى يضام الإختيار؟ فإن كان معنى يضطر إلى الطاعة ويمنع من المعصية، فكيف يجوز الحمد والذم لفاعلهما؟ وإن كان معنى يضام الإختيار، فاذكروه ودُّلُّوا على صحة مطابقتها له، ووجوب اختصاص المذكورين به دون من سواهم، فقد قال بعض المعتزلة: إن الله عصم أنبياءه بالشهادة لهم بالإعتصام، وضلل قوماً بنفس الشهادة عليهم بالضللال، فإن يكن ذلك هو المعتمد، أنعم بذكره ودل على صحته وبطلان ما عساه نعلمه من الطعن عليه، وإن كان باطلاً دل على بطلانه وصحة الوجه المعتمد دون ما سواه؟

الجواب والله التوفيق: أعلم أن العصمة هي اللطف الذي يفعله تعالى، فيختار العبد عنده الإمتناع من فعل القبيح، فيقال على هذا إن الله عصمه، بأن فعل له ما اختار عنده العدول عن القبيح، ويقال إن العبد معتمده، لأنه اختار عند هذا الداعي الذي فعل الإمتناع عن القبيح. وأصل العصمة في وضع اللغة المنع، يقال: عصمت فلاناً من سوء إذا منعت من فعله به. غير أن المتكلمين أجروا هذه اللفظة على من امتنع باختياره عند اللطف الذي يفعله الله تعالى به، لأنه إذا فعل به ما يعلم أن يتمتع عنده من فعل القبيح فقد منعه منه، فأجروا عليه لفظ

المانع قسراً أو قهراً. وأهل اللغة يتصارفون ذلك ويستعملونه، لأنهم يقولون فيمن أشار على غيره برأى فقبله مختاراً، واحتمى بذلك من ضرر يلحقه هو وماله إنه حماه من ذلك الضرر ومنعه وعصمه، وإن كان ذلك على سبيل الإختيار.

فإن قيل: أفتقولون فيمن لطف له بما اختار عنده الإمتناع من فعل واحد قبيح أنه معصوم.

قلنا: نقول ذلك مضافاً ولا نطلقه، فنقول: أنه معصوم من كذا ولا نطلق، فيوهم أنه معصوم من جميع القبائح، ونطلق في الأنبياء والأئمة عليهم السلام العصمة بلا تقييد، لأنهم عندنا لا يفعلون شيئاً من القبائح، دون ما يقوله المعتزلة من نفى الكبائر عنهم دون الصغائر.

فإن قيل: فإذا كان تفسير العصمة ما ذكرتم، أفلا عصم الله جميع المكلفين وفعل بهم ما يختارون عنده الإمتناع من القبائح.

قلنا: كل من علم الله تعالى أن له لطفاً يختار عنده الإمتناع من القبح، فإنه لا بد أن يفعله وإن لم يكن نبياً ولا إماماً، لأن التكليف يقتضى فعل اللطف على ما دل عليه في مواضع كثيرة.

غير أننا لانمنع أن يكون في المكلفين من ليس في المعلوم أن فيه سبباً متى فعل اختار عنده الإمتناع من القبح، فيكون هذا المكلف لاعصمة له في المعلوم ولا- لطف، ولا- يكلف من لا- لطف له بحسن ولا- بقبح، وإنما القبيح منع اللطف فيمن له لطف مع ثبوت التكليف.

فأما قول بعضهم إن العصمة الشهادة من الله تعالى بالإعتصام، فباطل لأن الشهادة لا يجعل الشيء على ما هو به، وإنما يتعلق به على ما هو عليه، لأن الشهادة هي الخبر، والخبر عن كون الشيء على صفة لا يؤثر في كونه عليها، فيحتاج أولاً إلى أن يتقدم إلى العلم بأن زيداً معصوم أو معتصم، ويوضح عن معنى ذلك، ثم تكون الشهادة من بعده مطابقة لهذا العلم، وهذا بمنزلة من سئل عن حد المتحرك، فقال: هو شهادة بأنه متحرك أو العلم بأنه على هذه الصفة. وفي هذا البيان كفاية لمن تأمل).

وقال الطباطبائي في تفسير الميزان: ٢/١٣٨: (فإن قلت: الذي يدل عليه ما مر من الآيات الكريمة هو أن الأنبياء عليهم السلام لا يقع منهم خطأ ولا يصدر عنهم معصية، وليس ذلك من العصمة في شيء، فإن العصمة على ما ذكره القوم قوة تمنع الإنسان عن الوقوع في الخطأ، وتردعه عن فعل المعصية واقتراف الخطيئة، وليست القوة مجرد صدور الفعل أو عدم صدوره، وإنما هي مبدأ نفساني تصدر عنه الفعل كما تصدر الأفعال عن الملكات النفسانية).

قلت: نعم لكن الذي يحتاج إليه في الأبحاث السابقة هو عدم تحقق الخطأ والمعصية من النبي عليه السلام ولا يضر في ذلك عدم ثبوت قوة تصدر عنها الفعل صواباً أو طاعة وهو ظاهر.

ومع ذلك يمكن الإستدلال على كون العصمة مستندة إلى قوة رادعة بما مر في البحث عن الإعجاز من دلالة قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا. (الطلاق: ٣) وكذا قوله تعالى: إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (هود: ٥٦) على أن كلاً من الحوادث يحتاج إلى مبدأ يصدر عنه وسبب يتحقق به، فهذه الأفعال الصادرة عن النبي عليه السلام على وتيرة واحدة صواباً وطاعة تنتهي إلى سبب مع النبي عليه السلام وفي نفسه وهي القوة الرادعة.

وتوضيحه: أن أفعال النبي عليه السلام المفروض صدورها طاعة أفعال اختيارية من نوع الأفعال الإختيارية الصادرة عنا، التي بعضها طاعة وبعضها معصية، ولا شك أن الفعل الإختيارى إنما هو اختيارى بصدوره عن العلم والمشية، وإنما يختلف الفعل طاعة ومعصية باختلاف الصورة العلمية التي يصدر عنها، فإن كان المقصود هو الجرى على العبودية بامتثال الأمر مثلاً تحققت الطاعة، وإن كان المطلوب- أعنى الصورة العلمية التي يضاف إليها المشية- اتباع الهوى واقتراف ما نهى الله عنه تحققت المعصية، فاختلفت أفعالنا طاعة ومعصية لاختلاف علمنا الذي يصدر عنه الفعل، ولو دام أحد العلمين أعنى الحكم بوجود الجرى على العبودية وامتثال الأمر الإلهي، لما صدر إلا الطاعة، ولو دام العلم الآخر الصادر عنه المعصية (والعياذ بالله) لم يتحقق إلا المعصية.

وعلى هذا فصدور الأفعال عن النبي عليه السلام بوصف الطاعة دائماً ليس إلا لأن العلم الذي يصدر عنه فعله بالمشية صورة علمية صالحة غير متغيرة، وهو الإذعان بوجود العبودية دائماً، ومن المعلوم أن الصورة العلمية والهيئة النفسانية الراسخة غير الزائلة، هي

الملكمة النفسانية كملكة العفة والشجاعة والعدالة ونحوها، ففي النبي ملكة نفسانية تصدر عنها أفعاله على الطاعة والإنقياد وهي القوة الرادعة عن المعصية.

ومن جهة أخرى النبي عليه السلام لا يخطئ في تلقي الوحي ولا في تبليغ الرسالة ففيه هيئة نفسانية لا تخطئ في تلقي المعارف وتبليغها، ولا تعصى في العمل. ولو فرضنا أن هذه الأفعال وهي على وتيرة واحدة ليس فيها إلا الصواب والطاعة تحققت منه من غير توسط سبب من الأسباب يكون معه، ولا انضمام من شيء إلى نفس النبي عليه السلام، كان معنى ذلك أن تصدر أفعاله الإختيارية على تلك الصفة بإرادة من الله سبحانه من غير دخالة للنبي عليه السلام فيه، ولازم ذلك إبطال علم النبي عليه السلام وإرادته في تأثيرها في أفعاله، وفي ذلك خروج الأفعال الإختيارية عن كونها اختيارية، وهو يناقض افتراض كونه فرداً من أفراد الإنسان الفاعل بالعلم والإرادة. فالعصمة من الله سبحانه إنما هي بإيجاد سبب في الإنسان النبي يصدر عنه أفعاله الإختيارية صواباً وطاعةً، وهو نوع من العلم الراسخ، وهو الملكة كما مر.

وقال في الميزان: ٥/٧٨، في تفسير قوله تعالى: وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ. (النساء: ١١٣): (ظاهر الآية أن الأمر الذي تتحقق به العصمة نوع من العلم يمنع صاحبه عن التلبس بالمعصية والخطأ. وبعبارة أخرى: علم مانع عن الضلال، كما أن سائر الإخلاق كالشجاعة والعفة والسخاء كل منها صورة علمية راسخة موجبة لتحقق آثارها، مانعة عن التلبس بأضدادها من آثار الجبن والتهور والخمود والشرة والبخل والتبذير.

والعلم النافع والحكمة البالغة وإن كانا يوجبان تنزه صاحبهما عن الوقوع في مهالك الرذائل، والتلوث بأقذار المعاصي، كما نشاهده في رجال العلم والحكمة والفضلاء من أهل التقوى والدين، غير أن ذلك سبب غالبى كسائر الأسباب الموجودة في هذا العالم المادى الطبيعى، فلا تكاد تجد متلبساً بكمال يحجزه كماله من النواقص ويصونه عن الخطأ صوتاً دائماً من غير تخلف، سنه جارية في جميع الأسباب التي نراها ونشاهدها.

والوجه في ذلك أن القوى الشعورية المختلفة في الإنسان يوجب بعضها ذهوله عن حكم البعض الآخر، أو ضعف التفاته إليه، كما أن صاحب ملكة التقوى مادام شاعراً بفضيلة تقواه لا يميل إلى اتباع الشهوة غير المرضية ويجرى على مقتضى تقواه، غير أن اشتعال نار الشهوة وانجذاب نفسه إلى هذا النحو من الشعور، ربما حجبه عن تذكر فضيلة التقوى أو ضعف شعور التقوى، فلا يلبث دون أن يرتكب ما لا ترضيه التقوى، ويختار سفاسف الشرة، وعلى هذا السبيل سائر الأسباب الشعورية في الإنسان.

وإلا فالإنسان لا يحدد عن حكم سبب من هذه الأسباب ما دام السبب قائماً على ساق، ولا مانع يمنع من تأثيره، فجميع هذه التخلفات تستند إلى مغالبة التقوى والأسباب، وتغلب بعضها على بعض.

ومن هنا يظهر أن هذه القوة المسماة بقوة العصمة سبب شعورى علمي غير مغلوب البتة، ولو كانت من قبيل ما نتعارفه من أقسام الشعور والإدراك لتسرب إليها التخلف، وخبطت في أثرها أحياناً، فهذا العلم من غير سنخ سائر العلوم والإدراكات المتعارفة التي تقبل الإكتساب والتعلم. وقد أشار الله تعالى إليه في خطابه الذى خص به نبيه صلى الله عليه وآله بقوله: وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ. (النساء: ١١٣) وهو خطاب خاص لانفقه حقيقته الفقه، إذ لا ذوق لنا في هذا النحو من العلم والشعور.

غير أن الذى يظهر لنا من سائر كلامه تعالى بعض الظهور كقوله: قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيْلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ. (البقرة: ٩٧) (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، (الشعراء: ١٩٥-١٩٦) أن الإنزال المذكور من سنخ العلم، ويظهر من جهة أخرى أن ذلك من قبيل الوحي والتكليم، كما يظهر من قوله: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى، الآية.. (الشورى: ١٣) وقوله: أَنَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ، (النساء: ١٦٣) وقوله: إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا- مَا يُوحَى إِلَيَّ. (الأنعام: ٥٠)، وقوله: إِنَّمَا أَتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيَّ (الأعراف: ٢٠٣) ويستفاد من الآيات على اختلافها أن المراد بالإنزال هو الوحي، وحى الكتاب والحكمة، وهو نوع تعليم إلهي لنبيه

صلى الله عليه وآله.

غير أن الذى يشير إليه بقوله: وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ. (النساء: ١١٣) ليس هو الذى علمه بوحي الكتاب والحكمة فقط، فإن مورد الآية قضاء النبي صلى الله عليه وآله فى الحوادث الواقعة والدعاوى التى ترفع إليه برأيه الخاص، وليس ذلك من الكتاب والحكمة بشئ وإن كان متوقفاً عليهما بل رأيه ونظره الخاص به. ومن هنا يظهر أن المراد بالإنزال والتعليم فى قوله: وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ. (النساء: ١١٣) نوعان اثنان من العلم، أحدهما التعليم بالوحي ونزول الروح الأمين على النبي صلى الله عليه وآله والإيحاء من الإلقاء فى القلب والإلهام الخفى الإلهى من غير إنزال الملك، وهذا هو الذى تؤيده الروايات الواردة فى علم النبي صلى الله عليه وآله.

وعلى هذا فالمراد بقوله: وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ، آتاك نوعاً من العلم لو لم يؤتكَ إياه من لدنه لم يكفك فى إيتائه الأسباب العادية التى تعلم الإنسان ما يكتسبه من العلوم.

فقد بان من جميع ما قدمناه أن هذه الموهبة الإلهية التى نسميها قوة العصمة نوع من العلم والشعور، يغير سائر أنواع العلوم فى أنها غير مغلوبة لشئ من القوى الشعورية البتة، بل هى الغالبة القاهرة عليها المستخدمة إياها، ولذلك كانت تصون صاحبها من الضلال والخطيئة مطلقاً.

وقد ورد فى الروايات أن للنبي والإمام عليهما السلام روحاً تسمى روح القدس تسدده وتعصمه عن المعصية والخطيئة، وهى التى يشير إليها قوله تعالى: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا، (الشورى: ٥٢) بتزليل الآية على ظاهرها من الإلقاء عليه صلى الله عليه وآله ونظيره قوله تعالى: وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ، (الأنبياء: ٧٣) بناء على ما سيجى من بيان معنى الآية إن شاء الله العزيز أن المراد به تسديد روح القدس الإمام بفعل الخيرات وعبادة الله سبحانه. وبأن مما مر أيضاً أن المراد بالكتاب فى قوله: وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ، هو الوحي النازل لرفع اختلافات الناس على حد قوله تعالى: كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ. (البقرة: ٢١٣).

دفاع أهل البيت وشيعتهم عن عصمة الأنبياء

الإمام الصادق يتألم لظلم الناس للأنبياء والأوصياء

إشارة

فى أمالى الصدوق ص ١٦٣: (حدثنا أبى رحمه الله قال: حدثنا على بن محمد بن قتيبة عن حمدان بن سليمان، عن نوح بن شعيب، عن محمد بن إسماعيل، عن صالح، عن علقمة، قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام وقد قلت له: يا بن رسول الله أخبرنى من تقبل شهادته ومن لا تقبل شهادته؟ فقال: (يا علقمة، كل من كان على فطرة الإسلام جازت شهادته. قال فقلت له: تقبل شهادة المقترف للذنوب؟ فقال: يا علقمة لو لم تقبل شهادة المقترفين للذنوب لما قبلت إلا شهادات الأنبياء والأوصياء صلوات الله عليهم، لأنهم هم المعصومون دون سائر الخلق، فمن لم تره بعينك يرتكب ذنباً أو لم يشهد عليه بذلك شاهدان، فهو من أهل العدالة والستر، وشهادته مقبولة، وإن كان فى نفسه مذنباً...

قال علقمة: فقلت للصادق عليه السلام: يا بن رسول الله أن الناس ينسبوننا إلى عظام الأمور، وقد ضاقت بذلك صدورنا. فقال عليه السلام:

يا علقمة أن رضا الناس لا يملك، وألستهم لا تضبط، فكيف تسلمون مما لم يسلم منه أنبياء الله ورسله وحججه عليهم السلام؟!

ألم ينسبوا يوسف إلى أنه هم بالزنا؟! ألم ينسبوا أيوب إلى أنه ابتلى بذنوبه؟!

ألم ينسبوا داود إلى أنه تبع الطير حتى نظر إلى امرأة أوريا فهوها! وأنه قدم زوجها إمام التابوت حتى قتل ثم تزوج بها؟!

ألم ينسبوا موسى إلى أنه عين وآذوه حتى برأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها؟!

ألم ينسبوا جميع أنبياء الله إلى أنهم سحرة طلبه الدنيا؟!

ألم ينسبوا مريم بنت عمران إلى أنها حملت ببعيسى من رجل نجار اسمه يوسف؟!

ألم ينسبوا نبينا محمداً صلى الله عليه وآله إلى أنه شاعر مجنون؟ ألم ينسبوه إلى أنه هوى امرأة زيد بن حارثة فلم يزل بها حتى

استخلصها لنفسه؟ ألم ينسبوه يوم بدر إلى أنه أخذ لنفسه من المغنم قطيفة حمراء! حتى أظهره الله عز وجل على القطيفة وبرأ نبيه من

الخيانة، وأنزل بذلك في كتابه: وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَمَ مَمَّا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ! ألم ينسبوه إلى أنه ينطق عن الهوى في ابن

عمه على حتى كذبهم الله عز وجل، فقال سبحانه: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ؟!

ألم ينسبوه إلى الكذب في قوله: أنه رسول من الله إليهم؟ حتى أنزل الله عز وجل عليه: وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا

كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ؟!

ولقد قال يوماً: عرج بي البارحة إلى السماء. فقيل: والله ما فارق فراشه طول ليلته.

وما قالوا في الأوصياء عليهم السلام أكثر من ذلك! ألم ينسبوا سيد الأوصياء عليه السلام إلى أنه كان يطلب الدنيا والملك وأنه كان

يؤثر الفتنة على السكون، وأنه يسفك دماء المسلمين بغير حلها، وأنه لو كان فيه خير ما أمر خالد بن الوليد بضرب عنقه؟

ألم ينسبوه إلى أنه أراد أن يتزوج ابنة أبي جهل على فاطمة عليها السلام، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله شكاه على المنبر إلى

المسلمين، فقال: أن علياً يريد أن يتزوج ابنة عدو الله على ابنة نبي الله، إلا أن فاطمة بضعه مني، فمن آذاها فقد آذاني، ومن سرها فقد

سرنى، ومن غاظها فقد غاظنى؟

ثم قال الصادق عليه السلام: يا علقمة، ما أعجب أقاويل الناس في علي عليه السلام!

كم بين من يقول: أنه رب معبود، وبين من يقول: أنه عبد عاص للمعبود! ولقد كان قول من ينسبه إلى العصيان أهون عليه من قول من

ينسبه إلى الربوبية.

يا علقمة، ألم يقولوا الله عز وجل: أنه ثالث ثلاثة؟ ألم يشبهوه بخلقه؟ ألم يقولوا أنه الدهر؟ ألم يقولوا: أنه الفلك؟ ألم يقولوا: أنه

جسم؟ ألم يقولوا: أنه صورة؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

يا علقمة، أن الألسنة التي تتناول ذات الله تعالى ذكره بما لا يليق بذاته، كيف تحبس عن تناولكم بما تكرهونه! فاستعينوا بالله واصبروا،

أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. فإن بنى إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام: أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ

مَا جِئْتَنَا، فقال الله عز وجل: قل لهم يا موسى: عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عِيْدُكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ.

(لأعراف: ١٢٩)

الإمام الرضا عليه السلام يدافع عن عصمة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام

في عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/١٧٤: (باب ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون في عصمة الأنبياء عليهم السلام:

(حدثنا تميم بن عبد الله بن تميم القرشي (رض) قال: حدثني أبي عن حمدان بن سليمان النيسابوري عن علي بن محمد بن الجهم قال:

حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا علي بن موسى عليهما السلام فقال له المأمون: يا ابن رسول الله أليس من قولك:

الأنبياء معصومون؟ قال: بلى قال: فما معنى قول الله عز وجل: وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ؟

فقال عليه السلام: أن الله تبارك وتعالى قال لآدم: (اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ،

وأشار لهما إلى شجره الحنطة فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ، ولم يقل لهما: لا تأكلا من هذه الشجرة ولا مما كان من جنسها، فلم يقربا تلك الشجرة ولم يأكلا منها وإنما أكلا من غيرها لَمَّا أن وسوس الشيطان اليهما وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، وإنما نهاكما أن تقربا غيرها ولم ينهكما عن الأكل منها، إلا أن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ، وَقَاسِمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ، ولم يكن آدم وحواء شاهداً قبل ذلك من يحلف بالله كاذباً، فَدَلَاهُمَا بِغُرُورٍ، فأكلا منها ثقته بيمينه بالله. وكان ذلك من آدم قبل النبوة، ولم يكن ذلك بذنب كبير استحق به دخول النار، وإنما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم > فلما اجتباه الله تعالى وجعله نبياً كان معصوماً لا يذنب صغيرة ولا كبيرة، قال الله عز وجل: وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى. وقال عز وجل: أن الله اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ.

فقال له المأمون: فما معنى قول الله عز وجل: فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا؟

فقال له الرضا عليه السلام: < إن حواء ولدت لآدم خمس مائة بطن ذكراً وأنثى، > وإن آدم عليه السلام وحواء عاهدا الله عز وجل ودعوا وقالوا: لئن آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ، فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا من النسل خلقاً سوياً بريئاً من الزمانه والعاهه وكان ما آتاهما صنفين صنفاً ذكراً وصنفاً إناثاً، فجعل الصنفان لله تعالى شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا، ولم يشكراه كشكر أبويهما له عز وجل، قال الله تبارك وتعالى: فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ.

فقال المأمون: أشهد إنك ابن رسول الله حقاً، فأخبرني عن قول الله عز وجل في حق إبراهيم عليه السلام: فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي؟

فقال الرضا عليه السلام: أن إبراهيم عليه السلام وقع إلى ثلاثه أصناف صنف يعبد الزهرة وصنف يعبد القمر وصنف يعبد الشمس، وذلك حين خرج من السرب الذي أخفى فيه فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ فرأى الزهرة قال: هَذَا رَبِّي؟! على الإنكار والاستخبار فَلَمَّا أَفَلَ الكوكب قَالَ لا أحب الآفلين، لأن الأفل من صفات المحدث لا من صفات القدم، فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَارِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي على الإنكار والاستخبار: فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لم يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ، يقول: لو لم يهدني ربي لكنت من القوم الضالين، فلما أصبح رأى الشمس بَارِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ من الزهرة والقمر، على الإنكار والاستخبار لا على الأخبار والإقرار، فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ للأصناف الثلاثة من عبدة الزهرة والقمر والشمس: يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وإنما أراد إبراهيم عليه السلام بما قال أن يبين لهم بطلان دينهم ويثبت عندهم أن العبادة لا- تحقق لما كان بصفه الزهرة والقمر والشمس، وإنما تحقق العبادة لخالقها وخالق السموات والأرض.

وكان ما احتج به على قومه مما ألهمه الله تعالى وآتاه كما قال الله عز وجل: وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ.

فقال المأمون: لله درك يا ابن رسول الله فأخبرني عن قول إبراهيم عليه السلام: رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي؟

قال الرضا عليه السلام: أن الله تبارك وتعالى كان أوحى إلى إبراهيم عليه السلام: إنى متخذ من عبادى خليلاً أن سألنى إحياء الموتى أحبته، فوقع فى نفس إبراهيم أنه ذلك الخليل، فقال: رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي على الخلة، قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِنَّكَ تَمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعِيًّا وَاعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.

فأخذ إبراهيم عليه السلام نسرًا وطاووساً وبطاً وديكاً، فقطعهنَّ وخططنَّ، ثم جعل على كل جبل من الجبل التي حوله وكانت عشرة منهن جزءً وجعل مناقيرهن بين أصابعه، ثم دعاهن بأسمائهن ووضع عنده حباً وماءً، فتطايرت تلك الأجزاء بعضها إلى بعض حتى استوت الأبدان، وجاء كل بدن حتى انضمَّ إلى رقبته ورأسه، فخلَّى إبراهيم عليه السلام عن مناقيرهن فطرنَّ، ثم وقعن فشربن من ذلك الماء، والتقطن من ذلك الحب وقلن: يا نبي الله أحييتنا، أحياك الله. فقال إبراهيم: بل الله يحيى ويميت، وهو على كل شئ قدير.

قال المأمون: بارك الله فيك يا أبا الحسن فأخبرني عن قول الله عز وجل: فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ؟

قال الرضا عليه السلام: أن موسى دخل مدينة من مدائن فرعون عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا، وَذَلِكَ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَفْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شَيْعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَبَغَاهُ الَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ، فَقَضَى مُوسَى عَلَى الْعَدُوِّ، وَبِحُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ فَوَكَرَهُ، فَمَاتَ! قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، يَعْنِي الْإِقْتِتَالَ الَّذِي كَانَ وَقَعَ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، لَا مَا فَعَلَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ قَتْلِهِ. أَنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ، يَعْنِي الشَّيْطَانَ.

فقال المأمون: فما معنى قول موسى: رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي؟

قال: يقول: إني وضعت نفسي غير موضعها بدخولي هذه المدينة، فَاغْفِرْ لِي، أي أسترني من أعدائك لثلاث يظفروا بي فيقتلونني، فَعَفَرَ لَهُ أَنَّهُ هُوَ الْغُفُورُ الرَّحِيمُ، قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ، مِنْ الْقُوَّةِ حَتَّى قَتَلْتُ رَجُلًا بَوَكْرَةً، فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ، بَلْ أَجَاهِدُ سَبِيلَكَ بِهَذِهِ الْقُوَّةِ حَتَّى تَرْضَى.

فَأَصْبَحَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَدِينَةِ حَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَضْرِيهِ عَلَى آخِرِ، قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ، قَاتَلْتَ رَجُلًا بِالْأَمْسِ وَتَقَاتَلَ هَذَا الْيَوْمَ، لِأَوْذِينِكَ، وَأَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِهِ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا وَهُوَ مِنْ شَيْعَتِهِ قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ أَنْ تُرِيدَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُضْلِحِينَ.

قال المأمون: جزاك الله عن أنبيائه خيراً يا أبا الحسن، فما معنى قول موسى لفرعون: فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ؟

قال الرضا عليه السلام: أن فرعون قال: لموسى لما أتاه: وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ، بِي! قَالَ مُوسَى: فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ، عَنِ الطَّرِيقِ بِوَقُوعِي إِلَى مَدِينَةِ مِنْ مَدَائِنِكَ، فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى، يَقُولُ: أَلَمْ يَجِدْكَ وَحِيدًا فَآوَى إِلَيْكَ النَّاسَ. وَوَجَدَكَ ضَالًّا، يَعْنِي عِنْدَ قَوْمِكَ، فَهَدَى، أَي هَدَاهُمْ إِلَى مَعْرِفَتِكَ.

وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى، يَقُولُ: أَغْنَاكَ بِأَنْ جَعَلَ دَعَاءَكَ مُسْتَجَابًا.

قال المأمون: بارك الله فيك يا ابن رسول الله، فما معنى قول الله عز وجل: وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ، كَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كَلِمَ اللَّهِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذَكَرَهُ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الرَّؤْيُ حَتَّى يَسْأَلَهُ هَذَا السُّؤَالُ؟

قال الرضا عليه السلام: أن كليم الله موسى بن عمران عليه السلام علم أن الله تعالى أعز من أن يرى بالأبصار، ولكنه لما كلمه الله عز وجل وقربه نجياً، رجع إلى قومه فأخبرهم أن الله عز وجل كلمه وقربه وناجاه، فقالوا: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَسْمَعَ كَلَامَهُ كَمَا سَمِعْتَ، وَكَانَ الْقَوْمُ سَبْعِمِائَةَ أَلْفٍ رَجُلٍ، فَاخْتَارَ مِنْهُمْ سَبْعِينَ أَلْفًا ثُمَّ اخْتَارَ مِنْهُمْ سَبْعَةَ أَلْفٍ، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْهُمْ سَبْعِمِائَةَ، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْهُمْ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِ رَبِّهِمْ، فَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى طُورِ سَيْنَاءَ فَأَقَامَهُمْ فِي سَفْحِ الْجَبَلِ وَصَعِدَ مُوسَى إِلَى الطُّورِ، وَسَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَكَلِّمَهُ وَيَسْمَعَهُمْ كَلَامَهُ فَكَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ وَسَمِعُوا كَلَامَهُ مِنْ فَوْقِ وَأَسْفَلَ وَيَمِينًا وَشِمَالًا وَوَرَاءَ وَإِمَامًا، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَحْدَثَهُ فِي الشَّجَرَةِ، وَجَعَلَهُ مِنْبَعًا مِنْهَا حَتَّى سَمِعُوهُ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، فَقَالُوا: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ بِأَنَّ هَذَا الَّذِي سَمِعْنَاهُ كَلَامَ اللَّهِ: حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً، فَلَمَّا قَالُوا هَذَا الْقَوْلَ الْعَظِيمَ وَاسْتَكْبَرُوا وَعَتَوْا بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ صَاعِقَهُ فَأَخَذَتْهُمْ بِظُلْمَتِهِمْ فَمَاتُوا، فَقَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ مَا أَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِذَا رَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَقَالُوا: إِنَّكَ ذَهَبْتَ بِهِمْ فَقَتَلْتَهُمْ، لِأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ صَادِقًا فِيمَا ادَّعَيْتَ مِنْ مَنَاجَاةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْكَ، فَأَحْيَاهُمُ اللَّهُ وَبَعَثَهُمْ مَعَهُ فَقَالُوا: إِنَّكَ لَوْ سَأَلْتَ اللَّهَ أَنْ يَرِيكَ نَظَرَ إِلَيْهِ لِأَجَابِكَ، وَكُنْتَ تَخْبِرُنَا كَيْفَ هُوَ فَنَعْرِفُهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ؟ فَقَالَ مُوسَى: يَا قَوْمَ أَنْ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَرَى بِالْأَبْصَارِ وَلَا- كَيْفِيهِ لَهُ وَإِنَّمَا يَعْرِفُ بِآيَاتِهِ وَيَعْلَمُ بِأَعْلَامِهِ فَقَالُوا: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَسْأَلَهُ، فَقَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ إِنَّكَ قَدْ سَمِعْتَ مَقَالَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِصَلَاتِهِمْ فَأَوْحِ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: يَا مُوسَى سَلْنِي مَا سَأَلُوكَ فَلَنْ أُؤَاخِذَكَ بِجَهْلِهِمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقْرَرَّ مَكَانَهُ وَهُوَ يَهْوَى فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ بِآيَةٍ مِنْ آيَاتِهِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَرِيعًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ يَقُولُ: رَجَعْتُ إِلَى مَعْرِفَتِي بِكَ عَنِ جَهْلِ قَوْمِي

وأنا أول المؤمنين منهم بأنك لا ترى.

فقال المأمون لله درك يا أبا الحسن فأخبرني عن قول الله عز وجل: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ؟ قال الرضا عليه السلام: لقد همت به ولولا- أن رأى برهان ربه لهم بها كما همت، لكنه عليه السلام كان معصوماً والمعصوم لا يهيم بذنب ولا يأتيه، ولقد حدثني أبي عن أبيه الصادق عليهما السلام أنه قال: هَمَّتْ أَنْ تَفْعَلَ، وَهَمَّ أَنْ لَا يَفْعَلَ.

فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن فأخبرني عن قول الله عز وجل: وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ؟ فقال الرضا عليه السلام: ذاك يونس بن متى عليه السلام ذهب مغاضباً لقومه فظن بمعنى استيقناً لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ أى لن نضيق رزقه، ومنه قوله عز وجل: وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، أى ضيق وقتراً. فَذَاذَى فِي الظُّلُمَاتِ، أى ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت أن لا إله إلا أنت شَيْحَانِكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، بتركي مثل هذه العبادة التي قد فرغتنى لها في بطن الحوت، فاستجاب الله وله وقال عز وجل: فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ.

فقال المأمون: لله درك أبا الحسن فأخبرني عن قول الله عز وجل: حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا؟ قال الرضا عليه السلام يقول الله عز وجل: حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ مِنْ قَوْمِهِمْ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوا، جاء الرسل نصرنا. فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن، فأخبرني قول الله عز وجل: لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قال الرضا عليه السلام: لم يكن أحد عند مشركي أهل مكة أعظم ذنباً من رسول الله صلى الله عليه وآله لأنهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاث مائة وستين صنماً فلما جاءهم صلى الله عليه وآله بالدعوة إلى كلمة الإخلاص كبر ذلك عليهم وعظم وقالوا: أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا أَنْ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ. وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ أَنْ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ. مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ أَنْ هَذَا إِلَّا خِتْلَاقٌ. فلما فتح الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وآله مكة قال له يا محمد: أَنَا فَتَحْنَا لَكَ < مكة فَتَحْنَا مِيسِنًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، عند مشركي أهل مكة بدعائك إلى توحيد الله فيما تقدم. وَمَا تَأَخَّرَ، لأن مشركي مكة أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكة ومن بقي منهم لم يقدر على إنكار التوحيد عليه إذا دعا الناس إليه، فصار ذنبه عندهم ذلك مغفوراً بظهوره عليهم.

فقال المأمون: لله درك أبا الحسن، فأخبرني عن قول الله عز وجل: عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ؟ قال الرضا عليه السلام: هذا مما نزل بإياك أعنى واسمعى يا جاره، خاطب الله عز وجل بذلك نبيه وأراد به أمته وكذلك قوله: تَعَالَى: لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ، وقوله عز وجل: وَلَوْلَا أَنْ تَبَتَّنَاكَ لَقَدِ كَذَّبْتَ تَوَكَّنْ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً.

قال صدقت يا ابن رسول الله فأخبرني عن قول الله عز وجل: وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ؟

قال الرضا عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قصد دار زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبى فى أمر أراد فرأى امرأته تغتسل فقال لها: سبحان الذى خلقك، وإنما أراد بذلك تنزيه البارى عز وجل عن قول من زعم أن الملائكة بنات الله، فقال الله عز وجل: أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالنِّسْبِ وَأَتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيماً، فقال النبى صلى الله عليه وآله: لما رآها تغتسل: سبحان الذى خلقك أن يتخذ له ولداً يحتاج إلى هذا التطهير والإغتسال، فلما عاد زيد إلى منزله أخبرته امرأته بمجئى رسول الله صلى الله عليه وآله وقوله لها: سبحان الذى خلقك! فلم يعلم زيد ما أراد بذلك وظن أنه قال ذلك لما أعجبه من حسننها > فجاء إلى النبى صلى الله عليه وآله وقال له: يارسول الله أن امرأتى فى خلقها سوء وإنى أريد طلاقها فقال النبى صلى الله عليه وآله: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ، وقد كان الله عز وجل عرّفه عدد أزواجه وإن تلك المرأة صلى الله عليه وآله ومنهن، فأخفى ذلك فى نفسه، ولم يبه لزيد، وخشى الناس أن يقولوا أن محمداً يقول لمولاه: أن امرأتك ستكون لى زوجة، يعيونه بذلك، فأنزل الله عز وجل: وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَعْنِي بِالْعَتَقِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ.

ثم أن زيد بن حارثة طلقها واعتدت منه فزوجها الله عز وجل من نبيه محمد صلى الله عليه وآله وأنزل بذلك قرآناً فقال عز وجل: فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكُنِيَ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا. ثم علم الله عز وجل أن المنافقين سعييون بتزويجها فأنزل الله تعالى: مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سِنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا.

فقال المأمون: لقد شفيت صدرى يا ابن رسول الله وأوضحت لى ما كان ملتبساً علىّ، فجزاك الله عن أنبيائه وعن الإسلام خيراً.
قال على بن محمد بن الجهم: فقام المأمون إلى الصلاة وأخذ بيد محمد بن جعفر بن محمد صلى الله عليه وآله وكان حاضر المجلس وتبعتهما، فقال له المأمون: كيف رأيت ابن أخيك؟ فقال له: عالم ولم نره يختلف إلى أحد من أهل العلم!
فقال المأمون: أن ابن أخيك من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله الذين قال فيهم النبي:
إلا- أن أبرار عترتى وأطايب أرومتى أحلم الناس صغاراً، وأعلم الناس كباراً، فلا تعلموهم فإنهم أعلم منكم، لا يخرجونكم من باب هدى، ولا يدخلونكم فى باب ضلالة.
وانصرف الرضا عليه السلام الى منزله، فلما كان من الغد غدوت عليه وأعلمته ما كان من قول المأمون وجواب عمه محمد بن جعفر له، فضحك عليه السلام ثم قال: يا ابن الجهم لا يغرنك ما سمعته منه فإنه سيغتنى، والله تعالى ينتقم لى منه!
قال مصنف هذا الكتاب: هذا الحديث غريب من طريق على بن محمد بن الجهم مع نصبه وبغضه وعداوته لأهل البيت عليهم السلام). انتهى. (ورواه الصدوق أيضاً فى التوحيد/٧٤: و/١٢١)

ملاحظة

اعتبر السيد الخوئى قدس سره على بن الجهم وعلى بن محمد بن الجهم، شخصاً واحداً، قال فى معجم رجال الحديث: ١٢/٣٢٣: (على بن الجهم: عن مروج الذهب أنه بلغ من نصب على بن الجهم أنه كان يلعن أباه فسئل عن ذلك فقال: بتسميتى علياً! قال ابن شهر آشوب: قال أبو العيناء لعلى بن الجهم: إنما تبغض علياً لأنه كان يقتل الفاعل والمفعول، وأنت أحدهما! فقال له: يا مخنث! فقال أبو العيناء: وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ!!

وقال فى: ١٣/١٤٢: (على بن محمد بن الجهم: روى الصدوق بإسناده عنه فى حديث ذكر فى آخره أن المأمون سأل محمد بن جعفر بن محمد وقال: كيف رأيت ابن أخيك (الرضا عليه السلام)؟ فقال: عالم، ولم نره يختلف إلى أحد من أهل العلم... الخ. ثم قال السيد الخوئى رحمه الله: أقول: كأن على بن محمد بن الجهم، هو على بن الجهم المتقدم). انتهى.

لكنَّ على بن محمد بن الجهم إسم لعديد من الرواة، وقد ميزوا بعضهم بالسمرى، وبعضهم بالكاتب، وبعضهم بالسائى، وبعضهم بكنية أبى طالب... (راجع كفاية الخطيب ص ٩٠ قال: أنا أبو طالب على بن محمد بن الجهم الكاتب، قال ثنا صالح بن أحمد بن حنبل...).

وميزه الكلbasى فى سماء المقال: ١/٨: فقال: (على بن الجهم بن بدر السائى: كان أكذب خلق الله، مشهوراً بالنصب كثير الحط على على وأهل البيت عليهم السلام وقيل إنه كان يلعن أباه لم سماه علياً).

أما الحسكاني فى شواهد التنزيل: ١/٤٢، فروى عن أبى الفضل جعفر بن الفضل الوزير بمكة، قال: حدثنا على بن محمد بن الجهم.. وروى عنه فضيلة لأمير المؤمنين عليهم السلام)

كما روى الزرندى فى نظم درر السمطين: ص ٢٤٢، عن على بن الجهم معجزة الإمام الهادى عليه السلام مع المتوكل.
ولعل الذى روى عنه الصدوق غير الذين ترجموا لهم بهذا الإسم، لاسيما أن رواية أبى الصلت التى نقلناها فى مقدمة الكتاب عن العيون: ٢/١٧٠، تدل على أنه كان من العلماء الذين اختارهم المأمون لمناظرة الإمام الرضا عليه السلام وأنه لم يكن معانداً بل كان مؤدباً مخبتاً مطيعاً للحق، فقد جاء فى آخرها:

(وفي آخرها: فبكى على بن محمد بن الجهم وقال: يا ابن رسول الله، أنا تائب إلى الله عز وجل من أن أنطق في أنبياء الله عليهم السلام بعد يومى إلا بما ذكرته).

فمن المحتمل أنه اهتدى بعد مناظرته مع الإمام الرضا عليه السلام ولم يطلع الصدوق على ذلك.

لكن الإشكال الأهم من إسم ابن الجهم، متن روايته، ففيها تنزيهٌ للأنبياء عليهم السلام يتفق مع مذهبنا، وفيها ما يخالف عصمتهم التامة قبل البعثة، ولذا قال صاحب الميزان: ١/١٤٦: (أقول: قال الصدوق رحمه الله بعد نقل الحديث على طوله: والحديث عجيب من طريق علي بن محمد بن الجهم مع نصبه وبغضه وعداوته لأهل البيت عليهم السلام. انتهى. وما أعجبه منه إلا ما شاهده من اشتماله على تنزيه الأنبياء عليهم السلام من غير أن يمعن النظر في الأصول المأخوذة فيه، فما نقله من جوابه عليه السلام في آدم لا يوافق مذهب أئمة أهل البيت المستفيض عنهم من عصمة الأنبياء من الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها.

على أن الجواب مشتمل على تقدير في قوله تعالى: مَا نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا...، إلى مثل قولنا: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة وإنما نهاكما عن غيرها، وما نهاكما عن غيرها إلا أن تكونوا.. الخ). انتهى.

فالرواية مضافاً إلى الجهالة في سندها، فيها إشكالات تتعلق بالعصمة، وقد وضعنا أهم فقراتها بين قوسين. < >

لكنها بقرينة الشواهد الأخرى الصحيحة، تدل على أن الإمام الرضا عليه السلام قد أجاب المأمون على تمسك العامة بالمشابهات وشبهات اليهود على عصمة الأنبياء التامة عليهم السلام، وشبهات قريش على عصمة نبينا صلى الله عليه وآله، وإن كان الرواي ابن الجهم أو غيره رواها متأثرةً بتصوره، ولم يحفظها بدقة!

استغفار الأنبياء والأوصياء وابتلاؤهم لم يكن بسبب الذنوب

إشارة

في الخصال للصدوق ص ٣٩٩: (حدثنا أبي (رض) قال: حدثنا سعد بن عبد الله قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن علي الخزاز، عن فضل الأشعري، عن الحسين بن المختار، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ابتلى أيوب عليه السلام سبع سنين بلا ذنب.

حدثنا أحمد بن الحسن القطان قال: حدثنا الحسن بن علي السكري قال: حدثنا محمد بن زكريا الجوهري قال: حدثنا جعفر بن محمد بن عماره، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام قال: أن أيوب عليه السلام ابتلى من غير ذنب، وإن الأنبياء لا يذنبون لأنهم معصومون مطهرون، لا يذنبون ولا يزيغون ولا يرتكبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً.

وقال عليه السلام: إن أيوب عليه السلام مع جميع ما ابتلى به لم ينتن له رائحة، ولا قبحت له صورة، ولا خرجت منه مدة من دم ولا قيح، ولا استقدره أحد رآه، ولا استوحش منه أحد شاهده، ولا يدود شئ من جسده، وهكذا يصنع الله عز وجل بجميع من يبتليه من أنبيائه وأوليائه المكرمين عليه. وإنما اجتنبه الناس لفقره وضعفه في ظاهر أمره، لجهلهم بما له عند ربه تعالى ذكره من التأييد والفرج، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: أعظم الناس بلاه الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، وإنما ابتلاه الله عز وجل بالبلاء العظيم الذي يهون معه على جميع الناس، لثلاث يدعوا له الربوبية إذا شاهدوا ما أراد الله أن يوصله إليه من عظام نعمه متى شاهدوه، ليستدلوا بذلك على أن الثواب من الله تعالى ذكره على ضربين: استحقاق واختصاص، ولثلاث يحتقروا ضعيفاً لضعفه، ولا فقيراً لفقره ولأمرضاً لمرضه، ولتعلموا أنه يسقم من يشاء ويشفى من يشاء، متى شاء كيف شاء بأى سبب شاء، ويجعل ذلك عبرة لمن يشاء وشقاوة لمن يشاء وسعادة لمن يشاء، وهو في جميع ذلك عدل في قضائه وحكيم في أفعاله، لا يفعل بعباده إلا الأصلاح لهم، ولا قوة لهم إلا به).

وفي معاني الأخبار/ ٣٨٣: (حدثنا أبي رحمه الله قال: حدثنا سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب،

عن علي بن رثاب، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ، أَرَأَيْتَ مَا أَصَابَ عَلِيًّا وَأَهْلَ بَيْتِهِ هُوَ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ، وَهُمْ أَهْلُ بَيْتِهِ طَهَارَةٌ مَعْصُومُونَ؟ فقال: أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتوب إلى الله عز وجل ويستغفره في كل يوم وليلة مائة مرة من غير ذنب. أن الله عز وجل يخص أوليائه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب). (ورواه في الكافي: ٢/٤٥٠)

وفي الكافي: ٢/٤٥٠: (علي بن إبراهيم، رفعه قال: لما حمل علي بن الحسين إلى يزيد بن معاوية فأوقف بين يديه، قال يزيد: وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم، فقال علي بن الحسين: ليست هذا الآية فينا أن فينا قول الله عز وجل: مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا أَنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ).

ملاحظة

إن نفي الذنوب عن الأنبياء والأوصياء عليهم السلام والإعتقاد بأنهم مطهرون منها، كما في الخصال ص ٦٠٣ وأمالى الصدوق ص ٧٣٨ لا ينافيه وجود آيات تنسب اليهم الذنوب عليهم السلام، لأنها ذنوب من مستواهم وليست من نوع ذنوبنا، فيصح إطلاق الذنوب عليها بلحاظ، ونفي كونها ذنوباً بلحاظ آخر، كما لو دخل شخص مجلساً ولم يسلّم على أهله، فقلت له هذا ذنب لا يناسب أخلاقك العالية، ثم قلت له: لكن لا بأس فهو ليس ذنباً شرعياً.

هشام بن الحكم يدافع عن عصمة الأنبياء والأئمة تحت سيف هارون الرشيد

في كمال الدين للصدوق ص ٣٦٢: (حدثنا أحمد بن زياد الهمداني، والحسين بن إبراهيم بن ناتانة رضى الله عنهما قالاً: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير قال: أخبرني علي الأسواري قال: كان ليحيى بن خالد مجلس في داره يحضره المتكلمون من كل فرقة وملء يوم الأحد فيتناظرون في أديانهم، يحتج بعضهم على بعض، فبلغ ذلك الرشيد، فقال ليحيى بن خالد: يا عباسي ما هذا المجلس الذي بلغني في منزلك يحضره المتكلمون؟ قال: يا أمير المؤمنين ما شيء مما رفعتي به أمير المؤمنين وبلغ بي من الكرامة والرفعة أحسن موقعاً عندي من هذا المجلس، فإنه يحضره كل قوم مع اختلاف مذاهبهم، فيحتج بعضهم على بعض ويعرف المحق منهم، ويتبين لنا فساد كل مذهب من مذاهبهم.

فقال له الرشيد: أنا أحب أن أحضر هذا المجلس وأسمع كلامهم على أن لا يعلموا بحضورى فيحتشموني ولا يظهروا مذاهبهم، قال: ذلك إلى أمير المؤمنين متى شاء، قال: فضع يدك على رأسى أن لا تعلمهم بحضورى، ففعل، وبلغ الخبر المعتزلة، فتشاوروا بينهم وعزموا على أن لا يكلموا هشاماً إلا في الإمامة لعلمهم بمذهب الرشيد وإنكاره على من قال بالإمامة.

قال: فحضروا وحضر هشام، وحضر عبد الله بن يزيد الإباضى وكان من أصدق الناس لهشام بن الحكم، وكان يشاركه في التجارة، فلما دخل هشام سلم على عبد الله بن يزيد من بينهم، فقال يحيى بن خالد لعبد الله بن يزيد: يا عبد الله كلم هشاماً فيما اختلفتم فيه من الإمامة.

فقال هشام: أيها الوزير ليس لهم علينا جواب ولا مسألة إن هؤلاء قوم كانوا مجتمعين معنا على إمامة رجل، ثم فارقونا بلا علم ولا معرفة، فلا حين كانوا معنا عرفوا الحق، ولا حين فارقونا علموا على ما فارقونا، فليس لهم علينا مسألة ولا جواب.

فقال بيان، وكان من الحرورية: أنا أسألك يا هشام، أخبرني عن أصحاب علي يوم حكموا الحكمين أكانوا مؤمنين أم كافرين؟ قال هشام: كانوا ثلاثة أصناف: صنف مؤمنون، وصنف مشركون، وصنف ضلال، فأما المؤمنون فمن قال مثل قولى إن علياً عليه السلام إمام من عند الله عز وجل ومعاوية لا يصلح لها، فأمنوا بما قال الله عز وجل في علي عليه السلام وأقروا به. وأما المشركون فقوم قالوا: علي إمام، ومعاوية يصلح لها، فأشركوا إذ أدخلوا معاوية مع علي عليه السلام. وأما الضلال: فقوم خرجوا على الحمية والعصية

للقبائل والعشائر لم يعرفوا شيئاً من هذا وهم جهال.

قال: فأصحاب معاوية ما كانوا؟ قال: كانوا ثلاثة أصناف: صنف كفرون، وصنف مشركون، وصنف ضلال. فأما الكافرون: فالذين قالوا إن معاوية إمام، وعلى لا يصلح لها، فكفروا من جهتين إذ جحدوا إماماً من الله عز وجل، ونصبوا إماماً ليس من الله. وأما المشركون: فقوم قالوا: معاوية إمام، وعلى يصلح لها، فأشركوا معاوية مع على عليه السلام. وأما الضلال: فعلى سبيل أولئك خرجوا للحمية والعصية للقبائل والعشائر. فانقطع بيان عند ذلك.

فقال ضرار: وأنا أسألك يا هشام في هذا؟ فقال هشام: أخطأت قال: ولم؟ قال: لأنكم كلكم مجتمعون على دفع إمامة صاحبي، وقد سألتني هذا عن مسألة وليس لكم أن تتنوا بالمسألة عليّ حتى أسألك يا ضرار عن مذهبك في هذا الباب؟ قال ضرار: فسل، قال: أتقول إن الله عز وجل عدل لا يجور؟ قال: نعم هو عدل لا يجور تبارك وتعالى.

قال: فلو كلف الله المقعد المشي إلى المساجد والجهاد في سبيل الله، وكلف الأعمى قراءة المصاحف والكتب أترأه كان يكون عادلاً أم جائراً؟ قال ضرار: ما كان الله ليفعل ذلك.

قال هشام: قد علمت أن الله لا يفعل ذلك ولكن ذلك على سبيل الجدل والخصومة أن لو فعل ذلك أليس كان في فعله جائراً إذ كلفه تكليفاً لا يكون له السبيل إلى إقامته وأدائه؟ قال: لو فعل ذلك لكان جائراً.

قال: فأخبرني عن الله عز وجل كلف العباد ديناً واحداً لا اختلاف فيه لا يقبل منهم إلا أن يأتوا به كما كلفهم؟ قال: بلى. قال: فجعل لهم دليلاً على وجود ذلك الدين، أو كلفهم ما لا دليل لهم على وجوده فيكون بمنزلة من كلف الأعمى قراءة الكتب والمعقد المشي إلى المساجد والجهاد؟

قال: فسكت ضرار ساعة، ثم قال: لا بدّ من دليل وليس بصاحبك!

قال: فتبسم هشام وقال: تشيع شطرك وصرت إلى الحق ضرورة ولا خلاف بيني وبينك إلا في التسمية! قال ضرار: فإني أرجع القول عليك في هذا.

قال: هات.. قال ضرار لهشام: كيف تعقد الإمامة؟

قال هشام: كما عقد الله عز وجل النبوة.

قال: فهو إذاً نبي! قال هشام: لا لأن النبوة يعقدها أهل السماء، والإمامة يعقدها أهل الأرض فعقد النبوة بالملائكة، وعقد الإمامة بالنبي، والعقدان جميعاً بأمر الله جل جلاله.

قال: فما الدليل على ذلك؟ قال هشام: الإضطرار في هذا.

قال ضرار: وكيف ذلك؟

قال هشام: لا يخلو الكلام في هذا من أحد الثلاثة وجوه: أما أن يكون الله عز وجل رفع التكليف عن الخلق بعد الرسول صلى الله عليه وآله، فلم يكلفهم ولم يأمرهم ولم ينههم فصاروا بمنزلة السباع والبهائم التي لا تكليف عليها، أفتقول هذا يا ضرار إن التكليف عن الناس مرفوع بعد الرسول صلى الله عليه وآله؟ قال: لا أقول هذا.

قال هشام: فالوجه الثاني ينبغي أن يكون الناس المكلفون قد استحالوا بعد الرسول صلى الله عليه وآله علماء في مثل حد الرسول في العلم حتى لا يحتاج أحد إلى أحد، فيكونوا كلهم قد استغنوا بأنفسهم، وأصابوا الحق الذي لا اختلاف فيه! أفتقول هذا إن الناس

استحالوا علماء حتى صاروا في مثل حد الرسول في العلم بالدين حتى لا يحتاج أحد إلى أحد، مستغنين بأنفسهم عن غيرهم في إصابة الحق؟

قال: لا أقول هذا، ولكنهم يحتاجون إلى غيرهم.

قال: فبقى الوجه الثالث وهو أنه لا بدّ لهم من عالم يقيمه الرسول لهم لا يسهوا ولا يغلط ولا يحيف، معصوم من الذنوب، مبرؤ من الخطايا، يحتاج الناس إليه ولا يحتاج إلى أحد.

قال: فما الدليل عليه؟ قال هشام: ثمان دلالات أربع في نعت نسبه، وأربع في نعت نفسه. فأما الأربع التي في نعت نسبه: فإنه يكون معروف الجنس، معروف القبيلة، معروف البيت، وإن يكون من صالبي الملة والدعوة إليه إشارة، فلم ير جنس من هذا الخلق أشهر من جنس العرب الذين منهم صاحب الملة والدعوة الذي ينادى باسمه في كل يوم خمس مرات على الصوامع " أشهد أن لا إله إلا الله، وإن محمداً رسول الله " فتصل دعوته إلى كل بر وفاجر وعالم وجاهل، مقر ومنكر، في شرق الأرض وغربها، ولو جاز أن تكون الحجة من الله على هذا الخلق في غير هذا الجنس لأتى على الطالب المرتاد دهر من عصره لا يجده، ولجاز أن يطلبه في أجناس من هذا الخلق من العجم وغيرهم، ولكان من حيث أراد الله عز وجل أن يكون صلاح يكون فساد، ولا يجوز هذا في حكمه الله جل وجلاله وعدله أن يفرض على الناس فريضة لا توجد. فلما لم يجز ذلك لم يجز أن يكون إلا في هذا الجنس لا تصاليه بصاحب الملة والدعوة، فلم يجز أن يكون من هذا الجنس إلا في هذه القبيلة لقرب نسبها من صاحب الملة وهي قريش، ولما لم يجز أن يكون من هذا الجنس إلا في هذه القبيلة لم يجز أن يكون من هذه القبيلة إلا في هذا البيت لقرب نسبه من صاحب الملة والدعوة، ولما كثر أهل هذا البيت وتشاجروا في الإمامة لعلوها وشرفها، ادعاها كل واحد منهم فلم يجز إلا أن يكون من صاحب الملة والدعوة إشارة إليه بعينه واسمه ونسبه كيلا يطمع فيها غيره.

وأما الأربع التي في نعت نفسه: فإن يكون أعلم الناس كلهم بفرائض الله وسننه وأحكامه حتى لا يخفى عليه منها دقيق ولا جليل، وإن يكون معصوماً من الذنوب كلها، وإن يكون أشجع الناس، وإن يكون أسخى الناس.

فقال عبد الله بن يزيد الإباضي: من أين قلت: أنه أعلم الناس؟

قال: لأنه أن لم يكن عالماً بجميع حدود الله وأحكامه وشرائعه وسننه لم يؤمن عليه أن يقبل الحدود، فمن وجب عليه القطع حده، ومن وجب عليه الحد قطعه، فلا يقيم الله عز وجل حداً على ما أمر به فيكون من حيث أراد الله صلاحاً يقع فساداً.

قال: فمن أين قلت: أنه معصوم من الذنوب؟ قال: لأنه إن لم يكن معصوماً من الذنوب دخل في الخطأ، فلا يؤمن أن يكتم على نفسه ويكتم على حميمه وقريبه، ولا يحتج الله بمثل هذا على خلقه.

قال: فمن أين قلت: إنه أشجع الناس؟

قال: لأنه فئة للمسلمين الذي يرجعون إليه في الحروب، وقال الله عز وجل: وَمَنْ يُؤَلِّمِهِمْ يُؤَمِّدْ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ، فإن لم يكن شجاعاً فَرَّ فيؤء بغضب من الله، ولا يجوز أن يكون من يبوء بغضب من الله عز وجل حجة الله على خلقه.

قال: فمن أين قلت أنه أسخى الناس؟

قال: لأنه خازن المسلمين فإن لم يكن سخياً تآقت نفسه إلى أموالهم فأخذها فكان خائناً، ولا يجوز أن يحتج الله على خلقه بخائن.

فعند ذلك قال ضرار: فمن هذا بهذه الصفة في هذا الوقت؟

فقال: صاحب القصر أمير المؤمنين! وكان هارون الرشيد قد سمع الكلام كله، فقال عند ذلك: أعطانا والله من جراب النورة، ويحك يا جعفر، وكان جعفر بن يحيى جالساً معه في السترة، مَنْ يعنى بهذا؟

فقال: يا أمير المؤمنين يعنى به موسى بن جعفر، قال: ما عنى بها غير أهلها، ثم عضَّ على شفثيه وقال: مثل هذا حيٌّ ويبقى لى ملكى

ساعة واحدة! فوالله للسان هذا أبلغ في قلوب الناس من مائة ألف سيف!!

وعلم يحيى أن هشاماً قد أتى، فدخل الستر فقال: يا عباسي ويحك من هذا الرجال؟ فقال: يا أمير المؤمنين حسبك، تكفى تكفى! ثم خرج إلى هشام فغزمه، فعلم هشام أنه قد أتى فقام يريهم أنه يبول أو يقضى حاجة، فلبس نعليه وانسل، ومر بيته وأمرهم بالتواري، وهرب ومر من فوره نحو الكوفة، فوافى الكوفة ونزل على بشير النبال- وكان من حملة الحديث من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام - فأخبره الخبر، ثم اعتل عله شديدة فقال له البشير: آتيك بطيب؟ قال: لا أنا ميت، فلما حضره الموت قال لبشير: إذا فرغت من جهازى فاحملنى فى جوف الليل وضعنى بالكناسة واكتب رقعته وقل: هذا هشام بن الحكم الذى يطلبه أمير المؤمنين، مات حتف أنفه. وكان هارون قد بعث إلى إخوانه وأصحابه فأخذ الخلق به، فلما أصبح أهل الكوفة رأوه، وحضر القاضى وصاحب المعونة والعامل والمعدلون بالكوفة، وكتب إلى الرشيد بذلك، فقال: الحمد لله الذى كفانا أمره فخلى عنمن كان أخذ به!!! انتهى. (وعنه فى البحار بتفاوت يسير: ٤٨/١٩٧)

وفى هذا النص دلالات هامة تاريخية وعقيدية، وهو يكشف الحكمه من نهى الإمام الكاظم عليه السلام لهشام رحمه الله نهياً مشدداً عن المشاركة فى ذلك مجلس المناظرات البرمكى! وإن كان زمن هذه القصة بعد وفاة الإمام الكاظم عليه السلام بكثير حيث توفى الإمام الكاظم عليه السلام سنة ١٨٣، وهشام قريب المتئين.

مرجع الشيعة الشيخ المفيد رحمه الله يدافع عن عصمة نبينا

فى مصنفات الشيخ المفيد: ١/٣٠: (فصل: ومن كلام الشيخ أدام الله عزه أيضاً: حضر فى دار الشريف أبى عبد الله محمد بن محمد بن طاهر رحمه الله، وحضر رجل من المتفقهة يعرف بالورثانى وهو من فقهاءهم، فقال له الورثانى: أليس من مذهبك أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان معصوماً من الخطأ، مبراً من الزلل مأموناً عليه من السهو والغلط، كاملاً بنفسه غنياً عن رعيته؟ فقال له الشيخ أيدى الله: بلى كذلك كان صلى الله عليه وآله.

قال له: فما تصنع فى قول الله جل جلاله: **وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**، أليس قد أمره الله بالاستعانة بهم فى الرأى وأفقره إليهم، فكيف يصح لك مادعت مع ظاهر القرآن وما فعله النبى صلى الله عليه وآله؟ فقال له الشيخ أدام الله عزه: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يشاور أصحابه لفقر منه إلى آرائهم ولحاجة دعتهم إلى مشورتهم من حيث ظننت وتوهمت، بل لأمر آخر أنا أذكره لك بعد الإيضاح عما أخبرتك به، وذلك أنا قد علمنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان معصوماً من الكبائر والصغائر، وإن خالفت أنت فى عصمته من الصغائر. وكان أكمل الخلق باتفاق أهل الملء وأحسنهم رأياً وأوفرهم عقلاً وأكملهم تدبيراً، وكانت المواد بينه وبين الله سبحانه متصله والملائكة تتواتر عليه بالتوفيق من الله عز وجل والتهديب، والإنباء له عن المصالح، وإذا كان بهذه الصفات لم يصح أن يدعوه داع إلى اقتباس الرأى من رعيته، لأنه ليس أحد منهم إلا وهو دونه فى سائر ما عددها، وإنما يستشير الحكيم غيره على طريق الاستفادة والاستعانة برأيه إذا تيقن أنه أحسن رأياً منه وأجود تدبيراً وأكمل عقلاً أو ظن ذلك فأما إذا أحاط علماً بأنه دونه فيما وصفناه، لم يكن للإستعانة فى تدبيره برأيه معنى، لأن الكامل لا يفتقر إلى الناقص فيما يحتاج فيه إلى الكمال، كما لا يفتقر العالم إلى الجاهل فيما يحتاج فيه إلى العلم. والآية بيئه يدل متضمنها على ذلك، ألا ترى إلى قوله تعالى: **وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**، فعلق وقوع الفعل بعزمه دون رأيه ومشورتهم).

مرجع الشيعة السيد المرتضى قدس سره يؤلف كتاباً فى تنزيه الأنبياء

ألف السيد المرتضى وهو من أكابر علمائنا رحمه الله توفى سنة ٤٣٦، كتاباً خاصاً سماه "تنزيه الأنبياء"، ليساعد الشيعة فى وقوفهم إمام

ثقافة اليهود التي نشرها الحكام في الأمة، وقد ردّ فيه افتراءهم على الأنبياء عليهم السلام وما تمسكوا به من متشابهات القرآن. وقد تبعت المؤلفات في هذا الموضوع، وأقدم ما رأيته منها كتاب تنزيه الأنبياء عليهم السلام لجعفر بن مبشر الكاتب المعتزلي، ذكره كتابه ابن النديم في الفهرست ص ٢٠٨، وقال الذهبي في ميزان الإعتدال: ١/٤١٤: (جعفر بن مبشر الثقفي، من رؤوس المعتزلة، له تصانيف في الكلام، وهو أخو الفقيه حبيش بن مبشر.... مات سنة أربع وثلاثين ومائتين). انتهى.

وأخوه حبيش هذا من رواة الشيعة وفقهائهم المشهورين في بغداد. كما وجدت إسم كتاب عصمة الأنبياء لأحمد بن سهل أبي زيد البلخي المعتزلي أيضاً، توفي ٣٢٢، ذكره ابن النديم في الفهرست ص ١٥٣، وابن حجر في لسان الميزان: ١/١٨٣.

وهذا يدل على أن المدافعين عن عصمة الأنبياء عليهم السلام كانوا الشيعة وبعض المعتزلة فقط، وإن أتباع الفرق الموالية للحكم القرشي كانوا يقبلون الإسرائيليات فيهم التي تطعن في عصمتهم قبل النبوة وبعدها! أما في القرون المتأخرة فنجد مؤلفات كثيرة في تنزيه الأنبياء عليهم السلام أكثرها لعلماء شيعة، وأقل منها لمعتزلة وقليل منها لصفوية وعلماء سنيين، وأشهرها على الإطلاق كتاب عصمة الأنبياء للفخر الرازي المتوفى ٦٠٦ هجرية، (كشف الظنون: ١/٣٣٣) وهو سني متأثر بالمعتزلة، وسوف نورد فقرات من كتابه.

مقتطفات من كتاب تنزيه الأنبياء

رأينا أن نورد في هذا الكتاب مقتطفات منه أو فهرساً علمياً موسعاً لأهم مسأله، ونضع لها العناوين المناسبة، ونلفت إلى أن العناوين المطبوعة بما فيها المسألة والجواب، ليست من كلام المؤلف، ولا في النسخة الأصلية. قال رحمه الله في ص ١٥: (سألت أحسن الله توفيقك، إملاء كتاب في تنزيه الأنبياء والأئمة عليهم السلام عن الذنوب والقبائح كلها، ما سمي منها كبيرة أو صغيرة والرد على من خالف في ذلك، على اختلافهم وضروب مذاهبهم. وأنا أجيب إلى ما سألت على ضيق الوقت، وتشعب الفكر، وأبتدئ بذكر الخلاف في هذا الباب، ثم بالدلالة على مذهب الصحيح من جملة ما ذكره من المذاهب، ثم بتأويل ما تعلق به المخالف من الآيات والأخبار، التي اشتبه عليه وجهها، وظن أنها تقتضي وقوع كبيرة أو صغيرة من الأنبياء والأئمة عليهم السلام، ومن الله تعالى استمد المعونة والتوفيق، وإياه أسأل التأييد والتسديد.

بيان الخلاف في نزاهة الأنبياء عن الذنوب

اختلف الناس في الأنبياء عليهم السلام، فقالت الشيعة الإمامية، لا يجوز عليهم شئ من المعاصي والذنوب كبيراً كان أو صغيراً، لا قبل النبوة ولا بعدها، ويقولون في الأئمة مثل ذلك. وجوز أصحاب الحديث والحشوية على الأنبياء الكبار قبل النبوة، ومنهم من جوزها في حال النبوة سوى الكذب فيما يتعلق بأداء الشريعة، ومنهم من جوزها كذلك في حال النبوة بشرط الإستسرار دون الإعلان، ومنهم من جوزها على الأحوال كلها. ومنعت المعتزلة من وقوع الكبار والصغائر المستخفة من الأنبياء عليهم السلام قبل النبوة وفي حالها، وجوزت في الحالين وقوع ما لا يستخف من الصغائر، ثم اختلفوا فمنهم من جوز على النبي عليه السلام الإقدام على المعصية الصغيرة على سبيل العمد، ومنهم من منع من ذلك وقال إنهم لا يقدمون على الذنوب التي يعلمونها ذنوباً، بل على سبيل التأويل. وحكى عن النظام، وجعفر بن مبشر، وجماعة ممن تبعهما، أن ذنوبهم لا تكون إلا على سبيل السهو والغفلة، وأنهم مؤخذون بذلك وإن كان موضوعاً عن أمهم لقوة معرفتهم وعلو مرتبتهم.

وجوزوا كلهم ومن قدمنا ذكره من الحشوية وأصحاب الحديث على الأئمة الكبار والصغائر، إلا أنهم يقولون أن وقوع الكبيرة من

الإمام تفسد إمامته ويجب عزله والإستبدال به.....

واعلم أن جميع ما نزه الأنبياء عليهم السلام عنه ونمنع من وقوعه منهم، يستند إلى دلالة العلم المعجز أما بنفسه أو بواسطة. وتفسير هذه الجملة، أن العلم المعجز إذا كان واقعاً موقع التصديق لمدعى النبوة والرسالة، وجارياً مجرى قوله تعالى له: صدقت في إنك رسولى ومؤدّ عني، فلا بد من أن يكون هذا المعجز مانعاً من كذبه على الله سبحانه فيما يؤديه عنه، لأنه تعالى لا يجوز أن يصدق الكذاب، لأن تصديق الكذاب قبيح.....

فإن قيل: لم يبق إلا أن تدلوا على أن تجوز الكبائر يقدح فيما هو الغرض بالبعثه من القبول والامتنال.

قلنا: لاشبهه في أن من نجوز عليه كبائر المعاصي ولا نأمن منه الإقدام على الذنوب، لا تكون أنفسنا ساكنة إلى قبول قوله أو استماع وعظه كسكونها إلى من لانجوز عليه شيئاً من ذلك، وهذا هو معنى قولنا أن وقوع الكبائر منفر عن القبول.....

فإن قيل: أو ليس قد جوز كثير من الناس على الأنبياء عليهم السلام الكبائر مع أنهم لم ينفروا عن قبول أقوالهم والعمل بما شرعوه من الشرايع، وهذا ينقض قولكم أن الكبائر منفرة!

قلنا: هذا سؤال من لا يفهم ما أوردناه، لأننا لم نرد بالتنفير ارتفاع التصديق وإن لا يقع امتثال الأمر جملة، وإنما أردنا ما فسرناه من أن سكون النفس إلى قبول قول من يجوز ذلك عليه لا يكون على حد سكونها إلى من لا يجوز ذلك عليه، وأنا مع تجوز الكبائر نكون أبعد من قبول القول.....

ومما يدل أيضاً على أن الكبائر لا تجوز عليهم، أن قولهم قد ثبت أنه حجة في الشرع.....

فأما ما حكيناه عن النظام وجعفر بن مبشر ومن وافقهما، من أن ذنوب الأنبياء عليهم السلام تقع منهم على سبيل السهو والغفلة، وأنهم مع ذلك مؤاخذون بها فليس بشيء، لأن السهو يزيل التكليف ويخرج الفعل من أن يكون ذنباً مؤاخذاً به، ولهذا لا يصح مؤاخذه المجنون والنائم.

وحصول السهو في أنه مؤثر في ارتفاع التكليف بمنزلة فقد القدرة والآلات والأدلة، فلو جاز أن يخالف حال الأنبياء في صحة تكليفهم مع السهو، جاز أن يخالف حالهم لحال أممهم في جواز التكليف مع فقد سائر ما ذكرناه، وهذا واضح.

فأما الطريق الذى به يعلم أن الأئمة عليهم السلام لا يجوز عليهم الكبائر في حال الإمامة، فهو أن الإمام إنما احتيج إليه لجهته معلومة، وهى أن يكون المكلفون عند وجوده أبعد من فعل القبيح وأقرب من فعل الواجب على ما دللنا عليه في غير موضع، فلو جازت عليه الكبائر لكانت علة الحاجة إليه ثابتة فيه وموجبة وجود إمام يكون إماماً له، والكلام في إمامته كالكلام فيه، وهذا يؤدي إلى وجود ما لا نهاية له من الأئمة وهو باطل، أو الإنتهاء إلى إمام معصوم وهو المطلوب.....

تنزيه آدم عن الغواية

فمما تعلقوا به قوله تعالى فى قصة آدم عليه السلام: (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) (طه: ١٢١) قالوا وهذا تصريح بوقوع المعصية التى لا تكون إلا قبيحة، وأكده بقوله فغوى، وهذا تصريح بوقوع المعصية، والغى ضد الرشده.

يقال لهم: أما المعصية فهى مخالفة الأمر، والأمر من الحكيم تعالى قد يكون بالواجب وبالمندوب معاً، فلا يمتنع على هذا أن يكون آدم عليه السلام مندوباً إلى ترك التناول من الشجرة، ويكون بمواقعتها تاركاً نفلًا وفضلاً وغير فاعل قبيحاً، وليس يمتنع أن يسمى تارك النفل عاصياً كما يسمى بذلك تارك الواجب، فإن تسميته من خالف ما أمر به سواء كان واجباً أو نفلًا بأنه عاص ظاهره، ولهذا يقولون أمرت فلاناً بكذا وكذا من الخير فعصاني وخالفنى، وإن لم يكن ما أمره به واجباً.

وأما قوله فغوى فمعناه أنه خاب، لأننا نعلم أنه لو فعل ما ندب إليه من ترك التناول من الشجرة لاستحق الثواب العظيم.....

فإن قال قائل: فما قولكم فى قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا

خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا- لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الأعراف: ١٨٩-١٩٠)، أوليس ظاهر هذه الآية يقتضى وقوع المعصية من آدم عليه السلام لأنه لم يتقدم من يجوز صرف هذه الكناية في جميع الكلام إليه، إلا ذكر آدم عليه السلام وزوجته....

يقال له: قد علمنا أن الدلالة العقلية التي قدمناها في باب أن الأنبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم الكفر والشرك، والمعاصي غير محتملة، ولا- يصح دخول المجاز فيها، والكلام في الجملة يصح فيه الإحتمال وضروب المجاز، فلا بد من بناء المحتمل على ما لا يحتمل، فلو لم نعلم تأويل هذه الآية على سبيل التفصيل لكننا نعلم في الجملة أن تأويلها مطابق لدلالة العقل. وقد قيل في تأويل هذه الآية ما يطابق دليل العقل، ومما يشهد له اللغة وجوه.

منها، أن الكناية في قوله سبحانه: جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا، غير راجعة إلى آدم عليه السلام وحواء، بل إلى الذكور والإناث من أولادهما....

فأما ما يدعى في هذا الباب من الحديث فلا يلتفت إليه، لأن الأخبار يجب أن تبنى على أدلة العقول، ولا تقبل في خلال ما تقتضيه أدلة العقول. ولهذا لا تقبل أخبار الجبر والتشبيه، ونردها أو نتأولها أن كان لها مخرج سهل. وكل هذا لو لم يكن الخبر الوارد مطعوناً على سنده مقدوحاً في طريقه، فإن هذا الخبر يرويه قتادة عن الحسن عن سمره وهو منقطع، لأن الحسن لم يسمع من سمره شيئاً في قول البغداديين.

وقد يدخل الوهن على هذا الحديث من وجه آخر، لأن الحسن نفسه يقول بخلاف هذه الرواية فيما رواه خلف بن سالم، عن إسحاق بن يوسف عن عوف، عن الحسن في قوله تعالى: فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا، قال: هم المشركون، وبإزاء هذا الحديث ما روى عن سعيد بن جبير وعكرمة والحسن وغيرهم، من أن الشرك غير منسوب إلى آدم وزوجته عليهما السلام وإن المراد به غيرهما، وهذه جملة واضحة.

تنزيه نوح عما لا يليق به

فإن سأل سائل: عن قوله تعالى: (وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ انِّي مِنْ أَهْلِى وَإِنْ وَعَدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ. قَالَ يَا نُوحُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ أَنَّهُ عَمَلٌ غَيْرٌ صَالِحٍ فَلَا تَشْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ). (هود: ٤٥-٤٦) فقال: ظاهر قوله تعالى أنه ليس من أهلك، فيه تكذيب لقوله عليه السلام أن ابني من أهلي، وإذا كان النبي لا يجوز عليه الكذب، فما الوجه في ذلك؟

قيل له: في هذه الآية وجوه، كل واحد منها صحيح مطابق لأدلة العقل:

أولها، أن نفيه لأن يكون من أهله لم يتناول فيه نفي النسب، وإنما نفى أن يكون من أهله الذين وعده الله تعالى بنجاتهم.... الخ.

تنزيه إبراهيم عن الكفر والعصيان

فإن قال قائل: فما معنى قوله تعالى حاكياً عن إبراهيم عليه السلام: فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ. فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ. فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ. (الأنعام: ٧٦-٧٨) أوليس ظاهر هذه الآية يقتضى أنه عليه السلام كان يعتقد في وقت من الأوقات الإلهية للكواكب، وهذا مما قلتم أنه لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام....

قلنا: عن هذا جوابان، أحدهما: أنه لم يقل ذلك مخبراً، وإنما قال فرضاً ومقدراً على سبيل الفكر والتأمل، إلا ترى أنه قد يحسن من أحدنا إذا كان ناظراً في شيء ومتأملاً بين كونه على إحدى صفتيه أن يفرضه على إحداهما لينظر فيما يؤدي ذلك الفرض إليه من

صحة أو فساد، ولا يكون بذلك مخبراً في الحقيقة....

تنزيه إبراهيم عن الشك في الله تعالى

فإن قيل فما معنى قوله تعالى مخبراً عن إبراهيم عليه السلام: (فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ) (الصفافات: ٨٩)

تنزيه إبراهيم عن الإستغفار للكفار

فإن قال قائل: فما معنى قوله تعالى: (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّتْهَا إِيَّاهُ)، (التوبة: ١١٤) وكيف يجوز أن يستغفر لكافر، أو أن يعده بالإستغفار؟ قلنا:.... فكيف يجوز أن يجعل ذلك ذنباً لإبراهيم عليه السلام وقد عذره الله تعالى في أن استغفاره إنما كان لأجل مواعده، وبأنه تبرأ منه لما تبين له منه المقام على عداوة الله تعالى....

تنزيه يعقوب عن إيقاع التحاسد بين بنيه

فإن قيل: فما معنى تفضيل يعقوب ليوسف عليهما السلام على إخوته في البر والتقريب والمحبة، حتى أوقع ذلك التحاسد بينهم وبينه، وأفضى إلى الحال المكروهة التي نطق بها القرآن....
فإن قيل: فلم أرسل يعقوب يوسف عليهما السلام مع إخوته....

تنزيه يعقوب عن الحزن المكروه

فإن قيل: فلم أسرف يعقوب عليه السلام في الحزن والتهالك وترك التماسك حتى ابضت عيناه من البكاء والحزن....

تنزيه يوسف عن الصبر على الإستبعاد

فإن قيل: كيف صبر يوسف عليه السلام، ولم لم ينكرها ويبرأ من الرق، وكيف يجوز على النبي الصبر على أن يستعبد ويسترق....

تنزيه يوسف عن الهم بالمعصية

فإن قيل: فما تأويل قوله تعالى حاكياً عن يوسف عليه السلام وامرأة العزيز: (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ أَنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) (يوسف: ٢٤).... قلنا: يجوز أن يكون لما هم بدفعها وضربها، أراه الله تعالى برهاناً على أنه أن أقدم على من هم به أهلكه أهلها وقتلوه، أو أنها تدعى عليه المرادة على القبيح، وتقذفه بأنه دعاها إليه وضربها لامتناعها منه، فأخبر الله تعالى أنه صرف بالبرهان عنه السوء والفحشاء، اللذين هما القتل والمكروه....
فأما ما يدل من القرآن، على أنه عليه السلام ما هم بالفاحشة ولا عزم عليها فمواضع كثيرة منها قوله تعالى: (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ).....

تنزيه يوسف عليه السلام عن إلحاق الأذى بأبيه. تنزيه يوسف عليه السلام عن الكذب وتهمته إخوته. تنزيه يوسف عليه السلام عن الرضا بالسجود له. تنزيه يوسف عليه السلام عن طاعة الشيطان

في أن أيوب ابتلي امتحانا لا عقابا

فإن قيل: فما قولكم في الأمراض والمحن التي لحقت أيوب عليه السلام أو ليس قد نطق القرآن بأنها كانت جزاء على ذنب في قوله:

أَنْتِي مَسْنِي الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ. (ص: ٤١) والعذاب لا يكون إلا جزاءً كالعقاب. والآلام الواقعة على سبيل الإمتحان لا تسمى عذاباً ولا عقاباً، أو ليس قد روى جميع المفسرين أن الله تعالى إنما عاقبه بذلك البلاء لتركه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقصته مشهورة يطول شرحها؟

قلنا: أما ظاهر القرآن فليس يدل على أن أيوب عليه السلام عوقب بما نزل به من المضار، وليس في ظاهره شيء مما ظنه السائل....
فأما ما روى في هذا الباب من جهلة المفسرين فمما لا يلتفت إلى مثله، لأن هؤلاء لا يزالون يضيفون إلى ربهم تعالى والى رسله عليهم السلام كل قبيح ومنكر، ويقذفونهم بكل عظيم! وفي روايتهم هذه السخيفة ما إذا تأمله المتأمل علم أنه موضوع الباطل مصنوع، لأنهم رويوا أن الله تعالى سلط إبليس على مال أيوب عليهم السلام وغنمه وأهله، فلما أهلكهم ودمر عليهم ورأى من صبره عليه السلام وتماسكه، قال إبليس لربه يا رب أن أيوب قد علم إنك ستخلف عليه ماله وولده فسلطني على جسده، فقال تعالى قد سلطتك على جسده كله إلا قلبه وبصره، قال فأتاه فنفخه من لدن قرنه على قدمه فصار قرحةً واحدة، فقذف على كناسه لبنى إسرائيل سبع سنين وأشهرًا تختلف الدواب على جسده.. إلى شرح طويل نصون كتابنا عن ذكر تفصيله! فمن يقبل عقله هذا الجهل والكفر كيف يوثق بروايته، ومن لا يعلم أن الله تعالى لا يسلم إبليس على خلقه، وإن إبليس لا يقدر على أن يقرح الأجساد ولا يفعل الأمراض كيف تعتمد روايته؟!

تنزيه موسى عن العصيان بالقتل

فإن قيل: فما الوجه في قتل موسى عليه السلام للقطبي وليس يخلو من أن يكون مستحقاً للقتل أو غير مستحق، فإن كان مستحقاً فلا معنى لندمه عليه السلام وقوله: (هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ) وقوله: (رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي)، وإن كان غير مستحق فهو عاص في قتله...

قلنا: مما يجاب به عن هذا السؤال أن موسى عليه السلام لم يعتمد القتل ولا أراده، وإنما اجتاز فاستغاث به رجل من شيعته على رجل من عدوه بغى عليه وظلمه وقصد إلى قتله، فأراد موسى عليه السلام أن يخلصه من يده ويدفع عنه مكروهه، فأدى ذلك إلى القتل من غير قصد إليه، فكل ألم يقع على سبيل المدافعة للظالم من غير أن يكون مقصوداً فهو حسن غير قبيح ولا يستحق عليه العوض به، ولا فرق بين أن تكون المدافعة من الإنسان عن نفسه، وبين أن يكون عن غيره....

ومن العجب، أن أبا علي الجبائي ذكر هذا الوجه في تفسيره، ثم نسب مع ذلك موسى عليه السلام إلى أنه فعل معصية صغيرة، ونسب معصيته إلى الشيطان!!

تنزيه موسى عليه السلام عن الضلالة والاستعفاء من الرسالة. وتنزيهه عن الأمر بالسحر، وعن الخوف الحرام، وعن نسبة الإضلال لله تعالى، وعن سؤال الرؤية لنفسه، وبيان الوجه في أخذ موسى برأس أخيه عليهما السلام يجره، وتنزيهه عن المعصية في مرافقته للخضر عليهما السلام، وتنزيهه عما رموه به من أخذ الحجر لثيابه وركضه عارياً....

تنزيه داود عليه السلام عن المعصية، وتفسير قوله تعالى: وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضَمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ. وتنزيه سليمان عليه السلام عن المعصية، وعن الإفتان. وعن الشح وعدم القناعة في طلبه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده.

تنزيه يونس عن الظلم والمعصية بمغاضبته قومه

تنزيه عيسى عليه السلام عن ادعائه الألوهية، وتفسير قوله تعالى: إِنَّ كُنْتُ لَفُتُّهُ فَفَقَدَ عَلِمَتُهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ.

تنزيه نبينا صلى الله عليه وآله عن الضلال، وتفسير قوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي

أَمِّيَّتِهِ فَيَسْخُ اللَّهُ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.

وقوله تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً.

وقوله تعالى: وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ. لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ.

وقوله تعالى: سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى.

وقوله تعالى: وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى

النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ. وقوله تعالى: مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ

وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.

وقوله تعالى: لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. وقوله تعالى: عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ

صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ.

وقوله تعالى: لِيُعْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُسَمِّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا.

وقوله تعالى: وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ، الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ.

وقوله تعالى: عَبَسَ وَتَوَلَّى، أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى.

وقوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَتَّغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

وقوله تعالى: وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَجْبُطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ. وكيف يوجه هذا

الخطاب إلى من لا يجوز عليه الشرك ولا شيء من المعاصي؟

قد قيل في هذه الآية أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمراد به أمته، فقد روى عن ابن عباس أنه قال: نزل القرآن بإياك أعنى

واسمعي يا جارة.... وليس يمتنع أن يتوعد الله تعالى على العموم. وعلى سبيل الخصوص من يعلم أنه لا يقع منه ما تناوله الوعيد، لكنه

لا بد من أن يكون مقدوراً له وجائزاً بمعنى الصحة لا- بمعنى الشك، ولهذا يجعل جميع وعيد القرآن عاماً لمن يقع منه ما تناوله

الوعيد، ولمن علم الله تعالى أنه لا يقع منه....

والشيعه لها في هذه الآية جواب تنفرد به وهو أن النبي صلى الله عليه وآله لما نص على أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام بالإمامة في

ابتداء الأمر جاءه قوم من قريش فقالوا له: يا رسول الله إن الناس قريبا عهد بالإسلام لا يرضون أن تكون النبوة فيك والإمامة في ابن

عمك على بن أبي طالب! فلو عدلت به إلى غيره لكان أولى. فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله: ما فعلت ذلك برأى فأتخير فيه،

لكن الله تعالى أمرني به... إلى آخر ما أورده الشريف المرتضى رحمه الله.

وقد تعرض المؤلف رحمه الله إلى عدة مسائل في تنزيه الله تعالى عن التجسيم والتشبيه وبحث عدداً من أحاديثهم المروية عن النبي

صلى الله عليه وآله مثل: إن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن.. إن الله خلق آدم على صورته.. إن أحب الأعمال إلى

الله تعالى أدومها وإن قل، فعليكم من الأعمال بما تطيقون فإن الله لا- يمل حتى تملوا.. سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر

لاتضامون في رؤيته!

وقال تعليقا على الأخير: قلنا: أما هذا الخبر فمطعون عليه مقدوح في روايه، فإن روايه قيس بن أبي حازم، وقد كان خولط في عقله في

آخر عمره، مع استمراره على روايه الأخبار! وهذا قدح لاشبهه فيه، لأن كل خبر مروى عنه لا يعلم تاريخه يجب أن يكون مردوداً، لأنه

لا- يؤمن أن يكون مما سمع منه في حال الإختلال. وهذه طريقته في قبول الأخبار وردها ينبغي أن يكون أصلاً ومعتبراً فيمن علم منه

الخروج ولم يعلم تاريخ ما نقل عنه.

على أن قيساً لو سئل من هذا القدح، كان مطعوناً فيه من وجه آخر، وهو أن قيس بن أبي حازم كان مشهوراً بالنصب والمعاداة لأمير

المؤمنين صلاة الله وسلامه عليه والإنحراف عنه، وهو الذي قال: رأيت على بن أبي طالب على منبر الكوفة يقول: إنفروا إلى بقیة

الأحزاب، فأبغضته حتى اليوم في قلبي! إلى غير ذلك من تصريحه بالمناسبة والمعادة. وهذا قادح لاشك في عدالته.

وختم المؤلف رحمه الله كتابه بالإجابة على ما يشكله بعضهم على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام وعصمته، من قبيل إشكالهم وسؤالهم لماذا لم ينازع أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام الذين غضبوا خلافته؟ قال رحمه الله:

إن قال قائل: إذا كان من مذهبكم يا معشر القائلين بالنص أن النبي صلى الله عليه وآله نص على بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة بعده، وفوض إليه أمر أمته، فما باله لم ينازع المتأمرين بعد النبي صلى الله عليه وآله في الأمر الذي وكل إليه وعول في تدبيره عليه، أو ليس هذا منه إغفالاً لواجب لا يسوغ إغفاله؟

فإن قلت إنه لم يتمكن من ذلك فهلا أعذر وأبلى واجتهد، فإنه إذا لم يصل إلى مراده بعد الإعذار والإجتهد كان معذوراً.

أو ليس هو عليه السلام الذي حارب أهل البصرة وفيهم زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله، وطلحة والزبير، ومكانهما من الصحبة والإختصاص والتقدم مكانهما، ولم يحشمه ظواهر هذه الأحوال من كشف القناع في حربهم حتى أتى على نفوس أكثر أهل العسكر؟ وهو المحارب لأهل صفين مرة بعد أخرى مع تخاذل أصحابه وتواكل أنصاره، وإنه كان في أكثر مقاماته تلك وموقفه لا يغلب في ظنه الظفر ولا يرجو لضعف من معه النصر، وكان مع ذلك كله مصمماً ماضياً قدماً...

قلنا: أما الكلام على ما تضمنه هذا السؤال فهو مما يخص الكلام في الإمامة وقد استقصيناه في كتابنا المعروف بالشافى في الإمامة، وبسطنا القول فيه في هذه الأبواب ونظائرهما بسطاً يزيل الشبهة ويوضح الحجة، لكننا لا نخلى هذا الكتاب من حيث تعلق غرضه بهذه المواضيع من إشارة إلى طريقة الكلام فيها، فنقول: قد بينا في صدر هذا الكتاب أن الأئمة عليهم السلام معصومون من كبائر الذنوب وصغائرها، واعتمدنا في ذلك على دليل عقلي لا يدخله احتمال ولا تأويل بشئ، فمتى ورد عن أحدهم عليهم السلام فعل له ظاهر الذنب، وجب أن نصرفه عن ظاهره ونحمله على ما يطابق موجب الدليل العقلي فيهم، كما فعلنا مثل ذلك في متشابه القرآن المقتضى ظاهره ما لا يجوز على الله تعالى، وما لا يجوز على نبي من أنبيائه عليهم السلام.

فإذا ثبت أن أمير المؤمنين عليه السلام إمام فقد ثبت بالدليل العقلي أنه معصوم عن الخطأ والزلل، فلا بد من حمل جميع أفعاله على جهات الحسن، ونفى القبيح عن كل واحد منها. وما كان له منها ظاهر يقتضى الذنب علمنا في الجملة أنه على غير ظاهره، فإن عرفنا وجهه على التفصيل ذكرناه، وإلا كفانا في تكليفنا أن نعلم أن الظاهر معدول عنه، وأنه لا بد من وجه فيه يطابق ما تقتضيه الأدلة.

وهذه الجملة كافية في جميع المشتبه من أفعال الأئمة عليهم السلام وأقوالهم، ونحن نزيد عليها فنقول: إن الله تعالى لم يكلف إنكار المنكر سواءً اختص بالمنكر أو تعداه إلى غيره، إلا بشروط معروفة، أقواها التمكن، وإن لا يغلب في ظن المنكر أن إنكاره يؤدي إلى وقوع ضرر به لا يحتمل مثله، وإن لا يخاف في إنكاره من وقوع ما هو أفحش منه وأقبح من المنكر.

وهذه شروط قد دلت الأدلة عليها، ووافقنا المخالفون لنا في الإمامة فيها. وإذا كان ما ذكرناه مراعى في وجوب إنكار المنكر، فمن أين أن أمير المؤمنين عليه السلام كان متمكناً من المنازعة في حقه والمجادلة، وما المنكر من أن يكون عليه السلام خائفاً متى نازع وحارب، من ضرر عظيم يلحقه في نفسه وولده وشيعته؟! ثم ما المنكر من أن يكون خاف من الإكثار من ارتداد القوم عن الدين وخروجهم عن الإسلام ونبذهم شعار الشريعة، فرأى أن الإغضاء أصلح في الدين، من حيث كان يجر الإنكار ضرراً فيه لا يتلافى...

ثم قد ذكرنا في كتابنا في الإمامة من أسباب الخوف وأمارات الضرر التي تناصرت بها الروايات، ووردت من الجهات المختلفة ما فيه مقنع للمتأمل، وأنه عليه السلام غولط في الأمر وسبق إليه وانتهزت غرته، واغتنمت الحال التي كان فيها متشاعلاً بتجهيز النبي صلى الله عليه وآله، وسعى القوم إلى سقيفة بني ساعدة، وجرى لهم فيها مع الأنصار ما جرى...

وأما حضور مجالسهم، فما كان عليه الصلاة والسلام ممن يتعمدها ويقصدها، وإنما كان يكثر الجلوس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فيقع الاجتماع مع القوم هنا، وذلك ليس بمجلس لهم مخصوص. وبعد، فلو تعمد حضور مجالسهم لينهى عن بعض ما يجرى فيها من منكر، فإن القوم قد كانوا يرجعون إليه في كثير من الأمور، لجاز، ولكان للحضور وجه صحيح له بالدين علقه قوية.

فأما الدخول في آرائهم، فلم يكن عليه السلام ممن يدخل فيها إلا مرشداً لهم، ومنبهاً على بعض ما شذ عنهم، والدخول بهذا الشرط واجب....

فأما الدخول في الشورى، فقد بينا في كتابنا المقدم ذكره الكلام فيه مستقصى، ومن جملته أنه عليه السلام لولا الشورى لم يكن ليتمكن من الإحتجاج على القوم بفضائله ومناقبه، والأخبار الدالة على النص بالإمامة عليه...ومن كان يصغى لولا الشورى إلى كلامه المستوفى في هذا المعنى؟...

فإن قيل: فما الوجه في تحكيمه عليه السلام أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص، وما العذر في أن حكم في الدين الرجال....؟ قلنا: كل أمر ثبت بدليل قاطع غير محتمل فليس يجوز أن نرجع عنه ونتشكك فيه لأجل أمر محتمل، وقد ثبت إمامة أمير المؤمنين عليه السلام وعصمته وطهارته من الخطأ، وبرائه من الذنوب والعيوب، بأدله عقلية وسمعية، فليس يجوز أن نرجع عن ذلك أجمع، ولا عن شئ منه، لما وقع من التحكيم للصواب بظاهره، وقبل النظر فيه كاحتماله للخطأ، ولو كان ظاهره أقرب إلى الخطأ وأدنى إلى مخالفة الصواب.

بل الواجب في ذلك القطع على مطابقتها ما ظهر من المحتمل لما ثبت بالدليل، أو صرف ماله ظاهر عن ظاهره، والعدول به إلى موافقة مدلول الدلالة التي لا يختلف مدلولها ولا يتطرق عليها التأويل.

وهذا فعلنا فيما ورد من أي القرآن التي تخالف بظواهرها الأدلة العقلية مما يتعلق به الملحدون أو المجبرة أو المشبهة. وهذه جملة قد كررنا ذكرها في كتابنا هذا لجلالة موقعها من الحجّة، ولو اقتصرنا في حل هذه الشبهة عليها لكانت مغنية كافية... انتهى.

معرفة تنزيه الأنبياء بين الشيعة ومخالفهم

موقف علماء الشيعة الثابت: تأويل الآيات التي يبدو منها...

موقف علماء الشيعة الثابت: تأويل الآيات التي يبدو منها معصية الأنبياء، ورد الأحاديث التي تزعم ذلك اتضح بما تقدم أن أئمة أهل البيت عليهم السلام رسموا خطأ في تنزيه الأنبياء عليهم السلام والدفاع عنهم، وأن علماء المذهب رضوان الله عليهم اتبعوهم فأجادوا الإتياع والشرح والإستدلال، وكان موقفهم ثابتاً في أن الآيات التي يبدو منها وقوع المعصية من الأنبياء عليهم السلام وأنها ليست على ظاهرها بل يجب اتباع الراسخين في العلم في تأويلها.

واتضح أن الأحاديث الصريحة في ارتكاب الأنبياء عليهم السلام للمعاصي مكذوبة، وأنها من موضوعات رواة السلطة القرشية لتبرير معاصي الخلفاء أو من الإسرائيليات التي ابتليت بها مصادر السنة عندهم، وكلها روايات باطلة يجب التوقف فيها أو تكذيبها، حتى لو تسرب بعضها إلى مصادرنا!

وتشمل هذه القاعدة نفى وقوع المعصية من الأنبياء عليهم السلام وكلّ سلوكٍ أو وضعٍ ينفر الناس منهم، كما تشمل نفى السهو والنسيان عنهم عليهم السلام.

قال العلامة الحلبي في منتهى المطلب: ١/٣٣٥: (احتج المخالف بأن النبي صلى الله عليه وآله صلى بأصحابه فلما أحرم بالصلاة ذكر أنه جنب، فقال لأصحابه: كما أنتم، ومضى ورجع ورأسه يقطر ماء ولم يستخلف، فدل على عدم الجواز.

والجواب: أن هذا عندنا باطل، والخبر كذب إذ الأنبياء عليهم السلام معصومون عن وقوع الذنب عمداً وسهواً). انتهى.

ومن هذا القبيل رد علماء الشيعة لخبر اتهام نبي داود عليه السلام مع أنه ورد في تفسير القمي: ٢/٢٢٩: وجاء فيه: (فلما كان اليوم الذي وعده الله عز وجل اشتدت عبادته وخلا في محرابه وحجب الناس عن نفسه وهو في محرابه يصلي، فإذا طائر قد وقع بين يديه جناحه

من زبرجد أخضر ورجلاه من ياقوت أحمر ورأسه ومنقاره من لؤلؤ وزبرجد، فأعجبه جداً ونسى ما كان فيه، فقام ليأخذه فطار الطائر فوق على الحائط بين داود وبين أوريا بن حنان، وكان داود قد بعث أوريا في بعث فصعد داود عليه السلام الحائط ليأخذ الطير، وإذا امرأة أوريا جالسة تغتسل، فلما رأت ظل داود نشرت شعرها وغطت به بدنهما، فنظر إليها داود فافتتن بها ورجع إلى محرابه ونسى ما كان فيه، وكتب إلى صاحبه في ذلك البعث لما أن يصيروا إلى موضع كيت وكيت يوضع التابوت بينهم وبين عدوهم، وكان التابوت في بني إسرائيل كما قال الله عز وجل: فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ (البقرة: ٢٤٨) وقد كان رفع بعد موسى عليه السلام إلى السماء لما عملت بنو إسرائيل بالمعاصي، فلما غلبهم جالوت وسألوا النبي أن يبعث إليهم ملكاً يقاتل في سبيل الله بعث إليهم طالوت وأنزل عليهم التابوت، وكان التابوت إذا وضع بين بني إسرائيل وبين أعدائهم ورجع عن التابوت إنسان كفر وقتل، ولا يرجع أحد عنه إلا ويقتل. فكتب داود إلى صاحبه الذي بعثه أن ضع التابوت بينك وبين عدوك وقدم أوريا بن حنان بين يدي التابوت، فقدمه وقتل، فلما قتل أوريا دخل عليه الملكان وقعدوا ولم يكن تزوج امرأة أوريا، وكانت في عدتها وداود في محرابه يوم عبادته، فدخل عليه الملكان من سقف البيت وقعدا بين يديه ففرع داود منهما فقالا: لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَعَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ. (ص: ٢٢) ولد داود حينئذ تسع وتسعون امرأة ما بين مهيرة إلى جارية، فقال أحدهما لداود: إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً وَإِلَى نَعَجَتِهِ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ. أى ظلمني وقهرني، فقال داود كما حكي الله عز وجل: قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغَىٰ بَعْضُهُمْ عَلَیْ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ إِنَّمَا فُتِنَاهُ فَأَشْرَىٰ تَغْفِرَ رَبِّهِ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ) (ص: ٢٣-٢٤) قال: فضحك المستعدي عليه من الملائكة وقال: وقد حكم الرجل على نفسه فقال داود: أتضحك وقد عصيت لقد هممت أن أهشم فاك، قال: فرجاء، وقال الملك المستعدي عليه: لو علم داود أنه أحق بهشم فيه مني.

ففهم داود الأمر وذكر الخطيئة فبقى أربعين يوماً ساجداً يبكي ليله ونهاره ولا يقوم إلا وقت الصلاة، حتى انخرق جبينه وسال الدم من عينيه...!! إلى آخر القصة الواردة في مصادر أهل الكتاب ومصادر السنين! وقد ردها علماء الشيعة، وحملها بعضهم على التقية لموافقها مذهب العامة ورواياتهم التي تجوز المعاصي على الأنبياء عليهم السلام. وقد تقدم استنكارها في مقدمة الكتاب في حديث الإمام الرضا عليه السلام.

لا عصمة للأنبياء عند السنين لكن الصحابة عندهم معصومون

المعروف عن المذاهب السنية أنها تعتقد بعصمة الأنبياء عليهم السلام، لكن واقعها العملي عدم الاعتقاد بعصمتهم، لاعتن الصغائر ولا الكبائر ولا ما ينفّر الناس منهم، لا قبل البعثة ولا بعدها، لا في الأمور الشخصية ولا في تبليغ الرسالة! فأئمة المذاهب وعلمائها يقولون نظرياً بعصمة الأنبياء عليهم السلام عصمة غير تامة على اختلاف بينهم فيها، لكنهم عندما يصلون إلى الإسرائيليات، أو إلى القرشيات، يقعون في اتهام الأنبياء عليهم السلام، ويتمسكون بالآيات المتشابهة التي يبدو منها وقوع المعصية منهم عليهم السلام فينفون عنهم العصمة التي أثبتوها لهم آنفاً! بل ينسبون اليهم المنكرات والعظائم، حتى إلى خاتمهم وأفضلهم صلى الله عليه وآله!

من جهة أخرى.. يقول علماء المذاهب السنية إنهم لا يعتقدون بعصمة الصحابة بل بعدلتهم، وقد يفسرون عدالتهم بتصديق روايتهم عن النبي صلى الله عليه وآله.

لكن كلامهم هذا نظري، لأنهم إذا وصلوا إلى أي مسألة تتعلق بأبي بكر وعمر وعثمان، تراهم يدافعون عنهم حتى لو كانت المسألة مقابل النبي صلى الله عليه وآله!

ومعناه أنهم يقولون بعصمة هؤلاء الثلاثة، وبعضهم يقول بعصمة عائشة وحفصة ومعوية معهم، فهم يبررون أخطاءهم، وقد يكفرون

من ينتقدهم!

أما إذا اختلف الصحابة في رأى أو فتوى أو نقل حديث، فهم مجمعون على أن العصمة والحق دائماً مع عمر، وفيما وافق عمر! وقد ناقشنا بعض المتحمسين لعمر وابن تيمية، فقال إنكم تتهموننا زوراً بأننا نعتقد بعصمة عمر وابن تيمية، فنحن لم نقل ذلك؟ فقلنا له إنكم لاتقولون ذلك بل تفعلونه، فإن كنت صادقاً فأعطينا خطأ واحداً تراه لابن تيمية أو لعمر! فغضب وولى! وهذه مفارقة عجيبة أنهم يقولون بعصمة الأنبياء عليهم السلام نظرياً ثم ينقضونها عملياً! ويقولون بعدم عصمة الصحابة نظرياً، ثم يصرون عليها عملياً!

قال العلامة الحلى قدس سره فى نهج الحق وكشف الصدق ص ١٤٢:

(ذهبت الإمامية كافة إلى أن الأنبياء عليهم السلام معصومون عن الصغائر والكبائر، ومنزهون عن المعاصي، قبل النبوة وبعدها، على سبيل العمد والنسيان، وعن كل رذيلة ومنقصة، وما يدل على الخسة والضعف.

وخالفت الأشاعرة فى ذلك وجوزوا عليهم المعاصي، وبعضهم جوزوا الكفر عليهم قبل النبوة وبعدها! وجوزوا عليهم السهو والغلط! ونسبوا رسول الله صلى الله عليه وآله إلى السهو فى القرآن بما يوجب الكفر! فقالوا إنه صلى يوماً وقرأ فى سورة (النجم) عند قوله تعالى: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ: تلك الغرائق العلى، منها الشفاعة ترتجى!!

وهذا اعتراف منه صلى الله عليه وآله بأن تلك الأصنام ترتجى الشفاعة منها! نعوذ بالله من هذه المقالة التى نسبوا النبى صلى الله عليه وآله إليها، وهى توجب الشرك! فما عذرهم عند رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد قتل جماعة كثيرة من أهله وأقاربه على عبادة الأصنام، ولم تأخذه فى الله لومة لائم، و(هم) ينسبون إليه هذا القول الموجب للكفر والشرك!!!

وروا عنه صلى الله عليه وآله أنه صلى الظهر ركعتين، فقال له ذو اليد: أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله؟! فقال: أصدق ذو اليد؟ فقال الناس: نعم، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فصلى اثنتين أخريين، ثم سلم.. الحديث!!

وروا فى الصحيحين أنه صلى الله عليه وآله صلى بالناس صلاة العصر ركعتين، ودخل حجرته، ثم خرج لبعض حوائجه، فذكره بعض فأتّمها!

وأى نسبة أنقص من هذا وأبلغ فى الدناءة! فإنها تدل على إعراض النبى صلى الله عليه وآله عن عبادة ربه وإهمالها والإشتغال عنها بغيرها، والتكلم فى الصلاة، وعدم تدارك السهو من نفسه لو كان! نعوذ بالله من هذه الآراء الفاسدة!

ونسبوا إلى النبى صلى الله عليه وآله كثيراً من النقص! روى الحميدى فى الجمع بين الصحيحين عن عائشة قالت: كنت أعب بالبنات عند النبى (ص) وكانت لى صواحب يلعبن معى وكان رسول الله إذا دخل تقبّع منه، فيشير إليهن فيلعبن معى!

مع أنهم روى فى صحاح الأحاديث: أن الملائكة لاتدخل بيتاً فيه صور مجسمة، أو تماثيل! وتواتر النقل عنه بإنكار عمل الصور والتماثيل، فكيف يجوز لهم نسبة هذا إلى النبى صلى الله عليه وآله وإلى زوجته من عمل الصور فى بيته، الذى أسس للعبادة، وهو محل هبوط الملائكة والروح الأمين فى كل وقت! ولما رأى النبى صلى الله عليه وآله فى الكعبة لم يدخلها حتى محيت، مع أن الكعبة بيت الله تعالى، فإذا امتنع من دخوله مع شرفه وعلو مرتبته، فكيف يتخذ فى بيته، وهو أدون من الكعبة صوراً ويجعله محلاً لها.

وروى الحميدى فى الجمع بين الصحيحين: قالت عائشة: رأيت النبى يسترنى بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون فى المسجد فزجرهم عمر! وروى الحميدى عن عائشة قالت: دخل على رسول الله وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعث، فاضطجع على الفراش وحول وجهه، ودخل أبو بكر فانتهرنى وقال: مزماره الشيطان عند النبى؟! فأقبل عليه رسول الله وقال: دعها فلما غفل غمزتها فخرجتا! وكيف

يجوز للنبى صلى الله عليه وآله الصبر على هذا، مع أنه نص على تحريم اللعب واللهو والقرآن مملوء به، وبالخصوص مع زوجته؟! وهلا دخلته الحمية والغيرة مع أنه صلى الله عليه وآله أعز الناس؟! وكيف أنكر أبو بكر وعمر ومنعهما؟ فهل كانا أفضل منه؟! وكيف أنكر أبو بكر وعمر ومنعهما؟ فهل كانا أفضل منه؟! وكيف أنكر أبو بكر وعمر ومنعهما؟ فهل كانا أفضل منه؟!

وكيف أنكر أبو بكر وعمر ومنعهما؟ فهل كانا أفضل منه؟!

وقد روي عنه صلى الله عليه وآله أنه لما قدم المدينة من سفر، خرجت إليه نساء المدينة يلعبن بالدف فرحاً بقدومه، وهو يرقص بأكمامه!! وهل يصدر مثل هذا عن رئيس، أو من له أدنى وقار، نعوذ بالله من هذه السقطات!

مع أنه لو نُسبَ أحدهم إلى مثل هذا، قابله بالسب والشتم وتبرأ منه، فكيف يجوز نسبة النبي صلى الله عليه وآله إلى مثل هذه الأشياء التي يُتبرأ منها؟!!

وفى الصحيحين أن ملك الموت لما جاء لقبض روح موسى عليهما السلام لطمه موسى فقفاً عينه! فكيف يجوز لعاقل أن ينسب موسى عليه السلام مع عظمته وشرف منزلته وقربه من الله تعالى والفوز بمجاورة عالم القدس، إلى هذه الكراهة؟! وكيف يجوز منه أن يوقع بملك الموت ذلك وهو مأمور من قبل الله تعالى؟!!

وفى الجمع بين الصحيحين: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال في صفة الخلق يوم القيامة: وإنهم يأتون آدم ويسألونه الشفاعة فيعتذر إليهم، فيأتون نوحاً فيعتذر إليهم، فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليه، إشفع لنا إلى ربك أما ترى ما نحن فيه؟! فيقول لهم: إن ربي قد غضب غضباً لم يغضب قبله مثله ولم يغضب بعده مثله! وإنى قد كذبت ثلاث كذبات. نفسى، نفسى،

إذهبوا إلى غيرى! وفى الجمع بين الصحيحين: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لم يكذب إبراهيم النبي إلا ثلاث كذبات!!

كيف يحلُّ لهؤلاء نسبة الكذب إلى الأنبياء عليهم السلام؟! وكيف الوثوق بشريعتهم، مع الإقرار بتعمد كذبهم؟!!

وفى الجمع بين الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وآله قال: نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيُطَمِّئِنَّ قُلُوبِي. ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوى إلى ركن شديد! ولو لبثت في السجن طول لبث يوسف لأجبت الداعي!

كيف يجوز لهؤلاء الإجتراء على النبي صلى الله عليه وآله بالشك في العقيدة؟

وفى الصحيحين قال: بينما الحبشة يلعبون عند النبي صلى الله عليه وآله بحرابهم دخل عمر فأهوى إلى الحصباء فحصبهم بها فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: دعهم يا عمر.

وروى الغزالي في إحياء علوم الدين أن النبي صلى الله عليه وآله كان جالساً وعنده جوار يغنين فجاء عمر فاستأذن فقال النبي صلى الله عليه وآله للجواري: أسكتن فسكتن، فدخل عمر وقضى حاجته ثم خرج، فقال لهن عُدْنَ، فعدن إلى الغناء!

فقلن: يا رسول الله، من هذا الذى كلما دخل قلت أسكتن، وكلما خرج قلت: عدن إلى الغناء؟ قال هذا رجل لا يؤثر سماع الباطل.

كيف يحلُّ لهؤلاء القوم روايته مثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله؟ أترى عمر أشرف من النبي صلى الله عليه وآله؟ حيث لا يؤثر سماع الباطل، والنبي صلى الله عليه وآله يؤثره؟!!

وفى الجمع بين الصحيحين: عن أبي هريرة قال: أقيمت الصلاة، وعدلت الصفوف قياماً قبل أن يخرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله، فخرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله، فخرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما قام فى مصلاه ذكر أنه جنبٌ فقال لنا: مكانكم. فلبثنا على هيئتنا قياماً، فاغتسل، ثم خرج إلينا، ورأسه يقطر، فكبر وصلينا.

فلينظر العاقل: هل يحسن منه وصف أدنى الناس بأنه يحضر الصلاة ويقوم فى الصف وهو جنب! وهل هذا الأمن التقصير فى عبادة ربه وعدم المسارعة إليها وقد قال تعالى: وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ... فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ، فأى مكلف أجدر بقبول هذا الأمر من النبي صلى الله عليه وآله؟!!

وفى الجمع بين الصحيحين عن أبي هريرة قال: صلى النبي صلى الله عليه وآله إحدى صلاتي العشي، قال وأكثر ظنى العصر ركعتين ثم سلم، ثم قال إلى خشبة فى مقام المسجد فوضع يده عليها، وفيهم أبو بكر وعمر فهاباه أن يكلماه، وخرج سرعان الناس فقالوا: أقصرت الصلاة؟ ورجلٌ يدعوه النبي صلى الله عليه وآله ذو اليمين فقال: لم أنس ولم أقصر، قال: بل قد نسيت! فصلى ركعتين ثم سلم!

سلم!

فليُنظر العاقل هل يجوز نسبة هذا الفعل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وكيف يجوز منه أن يقول: ما نسيت؟ فإن هذا سهوٌ في سهو، ومن يعلم أن أبا بكر وعمر حفظا ما نسي رسول الله صلى الله عليه وآله مع إنهما لم يذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وآله؟ وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر أنه كان يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: أنه دعا زيد بن عمرو بن نفيل وذلك قبل أن ينزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله، فقدم إليه رسول الله صلى الله عليه وآله سفره فيها لحم فأبى أن يأكل منها ثم قال: إني لا آكل ما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه!!

فليُنظر العاقل هل يجوز له أن ينسب نبيه إلى عبادة الأصنام، والذبح على الأنصاب ويأكل منه! وإن زيد بن عمرو بن نفيل كان أعرف بالله منه، وأتم حفظاً ورعايةً لجانب الله تعالى؟! نعوذ بالله من هذه الإعتقادات الفاسدة!

وفي الصحيحين عن حذيفة بن اليمان قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وآله فانتهي إلى سباطة قوم فبال قائماً، فتنحيت فقال: أدنه، فدنوت حتى قمت عند عقبيه، فتوضأ فمسح على خفيه! فكيف يجوز: أن ينسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله البول قائماً، مع أن أرذل الناس لو نُسب هذا إليه تبرأ منه؟! ثم المسح على الخفين والله تعالى يقول: وأرجلكم!

فانظروا إلى هؤلاء القوم: كيف يجوزون الخطأ والغلط على الأنبياء عليهم السلام، وإن النبي يجوز أن يسرق درهماً، ويكذب في أخس الأشياء وأحقرها!

وقد لزمهم من ذلك محالات:

منها: جواز الطعن على الشرائع وعدم الوثوق بها، فإن المبلِّغ إذا جَوَّزوا عليه الكذب وسائر المعاصي جاز أن يكذب عمداً أو نسياناً، أو يترك شيئاً مما أوحى إليه، أو يأمر من عنده، فكيف يبقى اعتماداً على أقواله!؟

ومنها: أنه إذا فعل المعصية، فإما أن يجب علينا اتباعه فيها، فيكون قد وجب علينا فعل ما وجب تركه، واجتمع الضدان! وإن لم يجب، انتفت فائدة البعثة.

ومنها: أنه لو جاز أن يعصى لوجب إيذاؤه والتبري منه، لأنه من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن الله تعالى قد نص على تحريم إيذاء النبي صلى الله عليه وآله فقال: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً (الأحزاب: ٥٧) ومنها: سقوط محله ورتبته عند العوام، فلا ينقادون إلى طاعته، فتنتفى فائدة البعثة.

ومنها: أنه يلزم أن يكونوا أدون حالاً من آحاد الأمة، لأن درجات الأنبياء عليهم السلام في غاية الشرف، وكل من كان كذلك كان صدور الذنب عنه أفحش، كما قال تعالى: يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ، (الأحزاب: ٣٠) والمحصن يرجم وغيره يحد، وحد العبد نصف حد الحر. والأصل فيه: أن علمهم بالله تعالى أكثر وأنهم، وهم مهبط وحيه، ومنازل ملائكته، ومن المعلوم أن كمال العلم يستلزم كثرة معرفته والخضوع والخشوع، فينافى صدور الذنب، لكن الإجماع دل على أن النبي صلى الله عليه وآله لا يجوز أن يكون أقل حالاً من آحاد الأمة.

ومنها: أنه يلزم أن يكون مردود الشهادة، لقوله تعالى: إِنَّ حَيَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنِيًّا فَتَبَيَّنُوا، فكيف تقبل شهادته في الوحي ويلزم أن يكون أدنى حالاً من عدول الأمة، وهو باطل بالإجماع.

ومنها: أنه لو صدر عنه الذنب لوجب الإقتداء به لقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ.. لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ... فَاتَّبِعُونِي... والتالي باطل بالإجماع، وإلا اجتمع الوجوب والحرمة). انتهى.

وقال رحمه الله في نهج الحق وكشف الصدق/١٥٩:

(ذهبت الإمامية إلى أن النبي صلى الله عليه وآله يجب أن يكون منزهاً عن دناءة الآباء وعهر الأمهات، بريئاً من الرذائل والأفعال الدالة على الخسة، كالإستهزاء به والسخرية والضحك عليه، لأن ذلك يسقط محله من القلوب، وينفر الناس عن الإنقياد إليه، فإنه من المعلوم بالضرورة الذي لا يقبل الشك والإرتياب.

وخالفت السنة فيه: أما الأشاعرة فباعترار نفى الحسن والقبح، فلزمهم أن يذهبوا إلى جواز بعثه ولد الزنا المعلوم لكل أحد! وإن بفاعلاً لجميع أنواع الفواحش وأبلغ أصناف الشرك! وهو ممن يُسخر به ويضحك عليه ويصنع في الأسواق ويُستهزأ به، ويكون قد ليط به دائماً لأبنة فيه، قواداً، وتكون أمه في غاية الزنا والقيادة والإفتضاح بذلك، لا ترد يد لأمس! ويكون هو في غاية الدناءة والسفالة، ممن قد ليط به طول عمره، حال النبوة وقبلها، ويصنع في الأسواق، ويعتمد المناكير، ويكون قواداً بصاصاً. فهؤلاء يلزمهم القول بذلك حيث نفوا التحسين والتقييح العقليين، وإن ذلك ممكنٌ فيجوز من الله وقوعه، وليس هذا بأبلغ من تعذيب الله من لا يستحق العذاب، بل يستحق الثواب طول الأبد!

وأما المعتزلة، فلأنهم جَوَّزوا صدور الذنب عنهم عليهم السلام، لزمهم القول بجواز ذلك أيضاً، واتفقوا على وقوع الكبائر منهم، كما في قصة إخوة يوسف!

فلينظر العاقل بعين الإنصاف: هل يجوز المصير إلى هذه الأقاويل الفاسدة، والآراء الرديئة؟ وهل يبقى مكلف ينقاد إلى قبول قول من كان يفعل به الفاحشة طول عمره إلى وقت نبوته؟ وأنه يصنع ويستهزأ به حال النبوة؟ وهل ثبت بقول هذا حجة على الخلق؟! واعلم أن البحث مع الأشاعرة في هذا الباب ساقط، وأنهم إن بحثوا في ذلك استعملوا الفضول، لأنهم يجوزون تعذيب المكلف على أنه لم يفعل ما أمره الله تعالى به من غير أن يعلم ما أمره به، ولا أرسل إليه رسولاً البتة! بل وعلى امثال أمره به، وإن جميع القبائح من عنده تعالى، وإن كل ما وقع في الوجود فإنه فعله تعالى وهو حسن، لأن الحسن هو الواقع والقيح هو الذي لم يقع. فهذه الصفات الخسيسة في النبي وأبويه تكون حسنة، لوقوعها من الله تعالى، فأى مانع حينئذ من البعثة باعتبارها؟!

فكيف يمكن للأشاعرة منع كفر النبي عليه السلام وهو من الله وكل ما يفعله تعالى فهو حسن! وكذا أنواع المعاصي! وكيف يمكنهم مع هذا المذهب التنزيه للأنبياء عليهم السلام؟! نعوذ بالله من مذهب يؤدي إلى تحسين الكفر وتقيح الإيمان، وجواز بعثه من اجتمعت فيه كل الرذائل والسقطات.

وقد عرفت من هذا أن الأشاعرة في هذا الباب، قد أنكروا الضروريات!

وقال في منهاج الكرامة ص ٣١، وهو الكتاب الذي حاول ابن تيمية أن يرد عليه في منهاج سنته، قال العلامة: (الفصل الأول: في نقل المذاهب في هذه المسألة:

ذهبت الإمامية إلى أن الله تعالى عدلٌ حكيمٌ لا يفعل قبيحاً ولا يخلُّ بواجب وإن أفعاله إنما تقع لغرض صحيح وحكمة، وأنه لا يفعل الظلم ولا العيب، وأنه رؤوفٌ بالعباد، يفعل بهم ما هو الأصلح لهم والأمنع، وأنه تعالى كلفهم تخيراً لا إجباراً، ووعدهم بالثواب وتوعدهم بالعقاب على لسان أنبيائه ورسله المعصومين، بحيث لا يجوز عليهم الخطأ ولا النسيان ولا المعاصي، وإلا لم يبق وثوقٌ بأقوالهم، فتنتفى فائدة البعثة.

ثم أردف الرسالة بعد موت الرسول بالأمة، فنصب أولياء معصومين عليهم السلام، ليأمن الناس من غلظهم وسهوهم وخطئهم، فينقادون إلى أوامرهم، لئلا يخلي الله تعالى العالم من لطفه ورحمته. وأنه تعالى لما بعث رسوله محمداً صلى الله عليه وآله قام بنقل الرسالة ونصَّ على أن الخليفة بعده عليُّ بن أبي طالب، ثم من بعده ولده الحسن الزكي، ثم على الحسين الشهيد، ثم على بن الحسين زين العابدين، ثم على محمد بن علي الباقر، ثم على جعفر بن محمد الصادق، ثم على موسى بن جعفر الكاظم، ثم على بن موسى الرضا، ثم على محمد بن علي الجواد، ثم على بن محمد الهادي، ثم على الحسن بن علي العسكري، ثم على الخلف الحجة محمد بن الحسن عليهم السلام، وإن النبي صلى الله عليه وآله لم يمت إلا عن وصية بالإمامة.

وذهب أهل السنة إلى خلاف ذلك كله، فلم يثبتوا العدل والحكمة في أفعاله تعالى، وجَوَّزوا عليه فعل القبيح والإخلال بالواجب، وأنه تعالى لا يفعل لغرض بل كل أفعاله لا لغرض من الأغراض ولا لحكمة البتة!

وأه تعالى يفعل الظلم والعيب، وأنه لا يفعل ما هو الأصلح للعباد، بل ما هو الفساد في الحقيقة، لأن فعل المعاصي وأنواع الكفر والظلم

وجميع أنواع الفساد الواقعة في العالم مستندة إليه! تعالى الله عن ذلك، وإن المطيع لا يستحق ثواباً والمعاصي لا يستحق عقاباً، بل قد يعذب المطيع طول عمره، المبالغ في امتثال أوامره تعالى كالنبي عليه السلام ويثيب العاصي طول عمره بأنواع المعاصي وأبلغها كإبليس وفرعون! وإن الأنبياء عليهم السلام غير معصومين بل قد يقع منهم الخطأ والزلل والفسوق والكذب والسهو، وغير ذلك.

وإن النبي صلى الله عليه وآله لم ينص على إمام بينهم، وأنه مات عن غير وصية، وإن الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أبو بكر بن أبي قحافة لمبايعه عمر بن الخطاب له برضا أربعة: أبي عبيدة، وسالم مولى حذيفة، وأسيد بن حضير، وبشر بن سعيد، ثم من بعده عمر بن الخطاب بنص أبي بكر عليه، ثم عثمان بن عفان بنص عمر على ستته هو أحدهم، فاختره بعضهم، ثم على بن أبي طالب عليه السلام لمبايعه الخلق له.

ثم اختلفوا، فقال بعضهم إن الإمام بعده ابنه الحسن عليه السلام، وبعضهم قال: إنه معاوية بن أبي سفيان، ثم ساقوا الإمامة في بني أمية إلى أن ظهر السفاح من بني العباس، فساقوا الإمامة إليه، ثم انتقلت الإمامة منه إلى أخيه المنصور ثم ساقوا الإمامة في بني العباس إلى المعتصم، إلى أربعين!).

وقال الكراچكي رحمه الله في كتابه: التعجب من أغلاط العامة ص ٦٤:

(الفصل السابع في أغلاطهم في العصمة: فمن عجيب أمرهم: أنهم ينكرون عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام عن سائر الأنام، ويقولون إن هذه العصمة إن كانت منهم جاز أن تقع في غيرهم فيساويهم في منزلتهم، وإن كانت من الله سبحانه فقد جبرهم واضطرهم ولم يستحقوا ثواباً على عصمتهم!

وهم مع ذلك معترفون بأن النبي صلى الله عليه وآله معصوم في التادية والتبليغ، ومعصوم عما سوى ذلك من جميع كبائر الذنوب في حال نبوته وقبلها، وأنها عصمة اختيار يستحق عليها الجزاء، ولا يساويه أحد من أمته فيها!

ومن عجيب أمرهم: إنكارهم لعصمة الأئمة وقولهم أنها لا تقتضي الإختيار!

ومن العجب قولهم: إن العصمة ثابتة لجميع الأمة منتفية عن كل واحد منها، مع علمهم بأن آحادهم جماعتها، وأنها إذا كانت مؤمنة بأجمعها كان الإيمان حاصلًا لآحادها، ولو كفر جميعها لكان الكفر حاصلًا مع كل واحد منها.

وقد قال أحد المعتزلة يوماً وقد سمع هذا الكلام: فرق بين العصمة وما ذكرت من الكفر والإيمان، وذلك أن ما ثبت لكل واحد منها فهو ثابت لجماعتها، وليس كلما ثبت لجماعتها ثابتاً لكل واحد منها، فلذلك إذا آمن آحادها كان جميعها مؤمنين، وإذا كفر آحادها كان جميعها كافرين، وليس إذا ثبت العصمة لجماعتها يكون آحادها معصومين.

فقلت له: ما رأيت أعجب من أمرك وانصرافك عن مقتضى قضيتك، إذا كان ما ثبت لكل واحد من الأمة ثابتاً لجميعها فقد ثبت عندى وعندك الحكم على كل واحد منها بجواز الخطأ والنسيان وتعمد الغلط في الأفعال والأقوال، فاحكم بثبوت ذلك لجميعها، وأسقط ما ادعيت من عصمتها! فلم يدر ما يقول بعد هذا!

ومن عجيب أمرهم وطريف رأيهم قولهم: إن الأمة معصومة وقولها حجة، وهي مفتقرة مع ذلك إلى إمام، وإمامها غير معصوم ولا قوله حجة، وليس هو مفتقراً إلى إمام، وهذا من أعجب الأقوال! ومن عجيب المناقضة أن يكون لها إمام ولا يكون ارتفاع العصمة عن الإمام موجباً أن يكون له إمام، ولا يكون أيضاً غناية عن الإمام يقتضى تميزه بالعصمة عن الأنام.

إنهم جعلوا حجتهم في عصمة الأمة وفي أن إجماعها صواب وحجة خبراً نسبوه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو أنه: لا تجتمع أمتي على ضلالة، وهذا الخبر لا يمكنهم على أصلهم أن يدعوا فيه التواتر، إذا كان غير موجب لسامعيه على الضرورة بصحته، فهو لامحالة من أخبار الآحاد، فهم إذاً قد جعلوا دليل الدعوى بأن الأمة لا تجتمع على ضلال قول بعضها، والحجة على عصمتها شهادة واحد منها، ولم يعلموا أن الخلاف في قول جميعها يتضمن الخلاف في قول بعضها، والتخطئة لسائرهما يدخل في التخطئة لواحداهما! وهل هم في ذلك إلا كمن ادعى الحجة بإجماع عشرة من الناس على قول أو فعل، وجعل دليلاً على ذلك قول واحد من العشرة، ولم

يعلم أن المخالف له في الحجّة بإجماع العشرة لم يصر إلى ذلك إلا بعد المخالفة له فيمن دون العشرة! إذ لو سلم الخصم قول بعضها لم يصح خلافه له في قول جميعها!

ولما رأوا أن خبرهم لا يصح كونه في قسم المتواتر على أصلهم، ولا- ينصرف عن إضافته إلى أخبار الآحاد التي لا تثبت بها حجّة لدعواهم، اشتد غلظهم وعظم زللهم، فأدّاهم إلى القول بأنهم علموا صحته بالإجماع! وهذا من أعجب الأقوال! وهو في المناقضة لاحقاً في الهذيان، لأن أصل الخلاف إنما هو في الإجماع وهل هو حجّة أم لا، فكيف يكون الإجماع دليلاً لنفسه، وبرهاناً على ما يدعى من صوابه؟! ولو جاز هذا لكانت الدعوى نفسها برهاناً والفتوى بعينها دليلاً، وهذا ما لا يخفى فساده على العقلاء.

ومما يوضح غلظهم فيه أن الدليل على الشيء يعرف قبل معرفة الشيء، فإذا كانوا لم يعلموا أن الإجماع حجّة، وإن الأمة فيما تخبر به معصومة إلا بالخبر فقد وجب أن يكونوا عالمين بصحته قبل علمهم بأن الإجماع حجّة، وإن الأمة فيما تخبر به معصومة، وإذا كانوا لم يعلموا أن الخبر صحيح إلا بالإجماع، فقد وجب أن يكونوا عالمين بأن الإجماع حجّة قبل علمهم بصحة الخبر، فكيف يتقدم المؤخر ويتأخر المقدم، وهل رؤى قط أعجب من هذا الأمر؟!.

أقول: ما أوردناه من كلام العلامة الحلي والكرجكي رحمهما الله، يكفي لبيان أن مخالفينا ينقضون عملياً عصمة الأنبياء عليهم السلام التي قرروها نظرياً!

نماذج من آراء علمائهم في عصمة الأنبياء

هذه آراء بعض كبار علمائهم في عصمة الأنبياء عليهم السلام، وهي صريحة في سلب قسم من العصمة عنهم عليهم السلام، ثم تراهم يسلبون ما أقروا به منها عندما يصلون إلى الإسرائيليات التي تطعن في عصمتهم وعدالتهم عليهم السلام، والقرشيات التي تطعن في عصمة نبينا وعدالته صلى الله عليه وآله، ويؤيدونها بمتشابه الآيات!

وقد بسطنا الكلام في رأى الفخر الرازى لأنه إمام معترف به عند الأشعرية. وكذا فى رأى ابن تيمية لأنه هاجم الشيعة بسبب قولهم بالعصمة التامة للأنبياء عليهم السلام وادعى إجماع السنين على ارتكاب الأنبياء عليهم السلام للمعاصى الصغيرة والكبيرة حتى فى تبليغ الرسالة، غاية الأمر أن الله تعالى ينههم أو يؤنبهم ويتوب عليهم!!

ولأنه انفرد بالكشف عن السبب الحقيقى لرفضهم عصمة الأنبياء عليهم السلام وهو أنها تستوجب الطعن فى أبى بكر وعمر، وذلك لأن الإرتكاز الذهنى يوجب التجانس بين النبى صلى الله عليه وآله وخليفته، وأبو بكر وعمر قد عبدا الأصنام مدة طويلة، فلو قبلوا أن النبى صلى الله عليه وآله معصوم لما ناسب أن يكونا خليفته، وسترى كلامه!

رأى الغزالي

قال فى المستصفى ص ٢٧٤: (الفصل الأول فى دلالة الفعل ونقدم عليه مقدمة فى عصمة الأنبياء، فنقول: لما ثبت ببرهان العقل صدق الأنبياء وتصديق الله تعالى إياهم بالمعجزات، فكل ما يناقض مدلول المعجزة فهو محال عليهم بدليل العقل، ويناقض مدلول المعجزة جواز الكفر والجهل بالله تعالى وكتمان رسالة الله والكذب والخطأ والغلط فيما يبلغ، والتقصير فى التبليغ والجهل بتفاصيل الشرع الذى أمر بالدعوة إليه.

أما ما يرجع إلى مقارفة الذنب فيما يخصه ولا يتعلق بالرسالة فلا يدل على عصمتهم عنه، عندنا دليل العقل، بل دليل التوقيف والإجماع قد دل على عصمتهم عن الكبائر، وعصمتهم أيضاً عما يصغر أقدارهم من القاذورات، كالزنا والسرقة واللواط.

أما الصغائر فقد أنكرها جماعة وقالوا: الذنوب كلها كبائر فأوجبوا عصمتهم عنها، والصحيح أن من الذنوب صغائر وهى التى تكفرها الصلوات الخمس، واجتناب الكبائر كما ورد فى الخبر، وكما قررنا حقيقته فى كتاب التوبة من كتاب إحياء علوم الدين.

فإن قيل: لِمَ لم تثبت عصمتهم بدليل العقل، لأنهم لو لم يعصموا لَنَفَرَت قلوب الخلق عنهم؟!

قلنا: لا يجب عندنا عصمتهم من جميع ما يَنفَرُ، فقد كانت الحرب سجلاً بينه وبين الكفار، وكان ذلك يَنفَرُ قلوب قوم عن الإيمان ولم يعصم عنه وإن ارتاب المبطلون، مع أنه حفظ عن الخط والكتابة كي لا يرتاب المبطلون. وقد ارتاب جماعة بسبب النسخ، كما قال تعالى: وَإِذَا يَدُّنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ. (النحل: ١٠١) وجماعة بسبب المشابهات فقالوا: كان يقدر على كشف الغطاء لو كان نبياً لَخَلَصَ الخلق من كلمات الجهل والخلاف كما قال تعالى: فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ (آل عمران: ٧) وهذا لأن نفي المنفردات ليس بشرط دلالة المعجزة.

هذا حكم الذنوب، أما النسيان والسهو فلا خلاف في عصمتهم بما يتعلق بتبليغ الشرع والرسالة، فإنهم كلفوا تصديقه جزماً، ولا يمكن التصديق مع تجويز الغلط، وقد قال قوم: يجوز عليه الغلط فيما شرعه بالإجتهد، لكن لا يقَرُّ عليه، وهذا على مذهب من يقول المصيب واحد من المجتهدين، أما من قال: كل مجتهد مصيب فلا يتصور الخطأ عنده في اجتهاد غيره فكيف في اجتهاده). وقال في المنحول ص ٣٠٩: (وقد تقرر بمسلك النقل كونهم معصومين عن الكبائر، وأما الصغائر ففيه تردد العلماء، والغالب على الظن وقوعه، وإليه تشير بعض الآيات والحكايات.

هذا كلام في وقوعه، أما جوازه فقد أطبقت المعتزلة على وجوب عصمة النبي عليه السلام عقلاً عن الكبائر تعويلاً على أنه يورث التنفير وهو مناقض لغرض النبوة، وهذا يبطل بكون الحرب سجلاً بينه وبين الكفار وبه اعتصم بعض اليهود في تكذيبه. والمختار ما ذكره القاضي وهو أنه لا يجب عقلاً عصمتهم إذ لا يستبان استحالة وقوعه بضرورة العقل ولا بنظر العقل، وليس هو مناقضاً لمدلول المعجزة فإن مدلولها صدق اللهجة فيما يخبر عن الله تعالى، فلا جرم لا يجوز وقوع الكذب فيما يخبر به عن الرب تعالى لاعتماداً ولا سهواً، ومعنى التنفير باطل، فإننا نُجَوِّزُ أن ينبئ الله تعالى كافراً ويؤيده بالمعجزة! والمعتزلة يأبون ذلك أيضاً. والذين أوجبوا عصمته عن الكبيرة اختلفوا، فمنهم من قال كل مخالفة كبيرة بالنسبة إلى عظمتها، فلا صغيرة أصلاً وكل مخالفة كبيرة. وهذا كما أن رفع الصوت فوق صوت من يماثل الإنسان، قد يعدُّ صغيرةً وهو بعينه في مجلس الملوك كبيرةً دونه تُحزُّ الرقاب، فلننسبه بعد تأثير في تعظيم أثر المخالفة.

والذين أثبتوا الصغيرة اضطربوا، ومثار الإضطراب في أنه هل يورث التنفير.

أما النسيان فلا يجب كونه عندنا معصوماً عنه في أفعاله وأقواله، إلا- فيما يخبر عن الله تعالى، لأن تجويزه مناقض مدلول المعجزة). انتهى.

أقول: لك أن تلاحظ فظاعة مذهب أتباع الخلافة في قول الغزالي: (ومعنى التنفير باطل، فإننا نُجَوِّزُ أن ينبئ الله تعالى كافراً ويؤيده بالمعجزة)!! ومعناه أن المهم عندهم في العقائد والقيم والشرائع التي يدعو إلى الرسول، هو إبلاغها للناس ليطبّقوها، وليس أن يطبقها هو!

والمهم في شخصية الأنبياء والرسول عليهم السلام ليس إيمانهم بما جاؤوا به ولا تطبيقهم له، بل نقلهم البريدي له! حتيلو كانوا فسقة فجرة كفره، وضربوا بما أوحى إليهم عرض الجدار، فنفر الناس منهم لتناقضهم وفقدانهم المصداقية! وهذا يضع يدنا على تأثير علماء السلطة القرشية بتصور اليهود عن أفعال الله تعالى وفقدانها للحكمة! وتصورهم عن أنبياء الله عليهم السلام، وأن النبوة منصب دنيوي كمنصب قضاة بني إسرائيل، ومنصب الخلافة الأموية والعباسية!

رأى الآمدي

قال في الأحكام في أصول الأحكام: ١/١٦٩:

(المقدمة الأولى: في عصمة الأنبياء عليهم السلام وشرح الإختلاف في ذلك، وما وقع الإتفاق من أهل الشرائع على عصمتهم عنه من

المعاصي وما فيه الاختلاف.

أما قبل النبوة فقد ذهب القاضي أبو بكر وأكثر أصحابنا وكثير من المعتزلة إلى أنه لا يمتنع عليهم المعصية كبيرة كانت أو صغيرة، بل ولا يمتنع عقلاً إرسال من أسلم وآمن بعد كفره.

وذهبت الروافض إلى امتناع ذلك كله منهم قبل النبوة، لأن ذلك مما يوجب هضمهم في النفوس واحتقارهم والنفرة عن اتباعهم، وهو خلاف مقتضى الحكمة من بعثه الرسل، ووافقهم على ذلك أكثر المعتزلة، إلا في الصغائر.

والحق ما ذكره القاضي لأنه لا يمتنع قبل البعثة يدل على عصمتهم عن ذلك والعقل دلالة مبنية على التحسين والتقبيح العقلي، ووجوب رعاية الحكمة في أفعال الله تعالى، وذلك كله مما أبطلناه في كتبنا الكلامية.

وأما بعد النبوة فالإتفاق من أهل الشرائع قاطبة على عصمتهم عن تعمد كل ما يخل بصدقهم فيما دلت المعجزة القاطعة على صدقهم فيه، من دعوى الرسالة والتبليغ عن الله تعالى.

واختلفوا في جواز ذلك عليهم بطريق الغلط والنسيان، فمنع منه الأستاذ أبو إسحاق وكثير من الأئمة، لما فيه من مناقضة دلالة المعجزة القاطعة. وجوزّه القاضي أبو بكر، مصيراً منه إلى أن ما كان من النسيان وفتلات اللسان غير داخل تحت التصديق المقصود بالمعجزة، وهو الأشبه.

وأما ما كان من المعاصي القولية والفعلية التي لادلالة للمعجزة على عصمتهم عنها، فما كان منها ككفر فلا نعرف خلافاً بين أرباب الشرائع في عصمتهم عنه، إلا ما نقل عن الأزارقة من الخوارج أنهم قالوا بجواز بعثه نبي علم الله أنه يكفر بعد نبوته، وما نقل عن الفضلية من الخوارج أنهم قضوا بأن كل ذنب يوجد فهو كفر، مع تجويزهم صدور الذنوب عن الأنبياء فكانت كفراً.

وأما ما ليس بكفر، فما أن يكون من الكبائر أو ليس منها. فإن كان من الكبائر فقد اتفقت الأمة سوى الحشوية ومن جوز الكفر على الأنبياء، على عصمتهم عن تعمد من غير نسيان ولا تأويل، وإن اختلفوا في أن مدرك العصمة السمع، كما ذهب إليه القاضي أبو بكر والمحققون من أصحابنا، أو العقل، كما ذهب إليه المعتزلة.

وأما أن كان فعل الكبيرة عن نسيان أو تأويل خطأ، فقد اتفق الكل على جوازه سوى الرفضة.

وأما ما ليس بكبيرة، فما أن يكون من قبيل ما يوجب الحكم على فاعله بالخسة ودناءة الهمة وسقوط المروءة، كسرقة خبزة أو كسرة، فالحكم فيه كالحكم في الكبيرة. وأما ما لا يكون من هذا القبيل كنظرة أو كلمة سفه نادرة في حالة غضب، فقد اتفق أكثر أصحابنا وأكثر المعتزلة على جوازه عمداً وسهواً خلافاً للشيعه مطلقاً، وخلافاً للجبائي والنظام وجعفر بن مبشر في العمداً. انتهى.

وتلاحظ في رأى الآمدى تصديق قول العلامة الحلى قدس سره في نهج الحق ص ١٥٩:

(واعلم أن البحث مع الأشاعرة في هذا الباب ساقط، وأنهم إن بحثوا في ذلك استعملوا الفضول، لأنهم يجوزون تعذيب المكلف على أنه لم يفعل ما أمره الله تعالى به من غير أن يعلم ما أمره به، ولا أرسل إليه رسولاً البتة!....)

فكيف يمكن للأشاعرة منع كفر النبي عليه السلام وهو من الله وكل ما يفعله تعالى فهو حسن! وكذا أنواع المعاصي! وكيف يمكنهم مع هذا المذهب التنزيه للأنبياء عليهم السلام؟! نعوذ بالله من مذهب يؤدي إلى تحسين الكفر وتقبيح الإيمان، وجواز بعثه من اجتمعت فيه كل الرذائل والسقطات. وقد عرفت من هذا أن الأشاعرة في هذا الباب، قد أنكروا الضروريات). انتهى.

رأى القاضي عياض

قال في كتابه (الشفاء بتعريف حقوق المصطفى): ٢/١٧٢:

(فصل: قد استبان لك أيها الناظر مما قررناه ما هو الحق من عصمته (ص) عن الجهل بالله وصفاته، أو كونه على حالة تنافي العلم شئ من ذلك كله جملة، بعد النبوة عقلاً وإجماعاً، وقبلها سماعاً ونقلًا، ولا بشئ مما قررناه من أمور الشرع، وأداه عن ربه من الوحي، قطعاً

وعقلاً وشرعاً.

وعصمته عن الكذب وخلف القول، منذ نبأه الله وأرسله، قصداً أو غير قصد، واستحالة ذلك عليه شرعاً وإجماعاً ونظراً وبرهاناً، وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعاً، وتنزيهه عن الكبائر إجماعاً، وعن الصغائر تحقيقاً، وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للأمم، وعصمته في كل حالاته من رضاً وغضب، وجد ومزح). انتهى.

أقول: بذل القاضي عياض جهده في كتابه لإظهار النبي صلى الله عليه وآله بمظهر لائق وتنزيهه عما نسبوه إليه من أخطاء ومعاص، لكنه اصطدم دائماً بالقرشيات التي ملأت الصحاح، فحاول معالجتها وتأويلها بما يحفظ رواياتها، ويحفظ مكانة النبي صلى الله عليه وآله فلم يحالفه التوفيق، كما سترى في قصة الغرائق!

رأى الفخر الرازي

قال في المحصول: ٣/٢٢٥: (اختلفت الأمة في عصمة الأنبياء عليهم السلام على قولين: أحدهما، قول من ذهب إلى أنه لا يجوز أن يقع منهم ذنب صغيراً كان أو كبيراً، لا عمداً ولا سهواً ولا من جهة التأويل، وهو قول الشيعة. والآخر: قول من ذهب إلى جوازه عليهم، ثم اختلفوا فيما يجوز من ذلك وما لا يجوز. والاختلاف في هذا الباب يرجع إلى أقسام أربعة:

أحدها، ما يقع في باب الاعتقاد وقد اتفقوا على أنه لا يجوز أن يقع منهم الكفر، وقالت الفضيلية من الخوارج أنه قد وقعت منهم ذنوب وكل ذنب عندهم كفر وشرك. وأجازت الشيعة إظهار الكفر على سبيل التقية. فأما الاعتقاد الخطأ الذي لا يبلغ الكفر، مثل أن يعتقد مثلاً أن الأعراض باقية ولا يكون كذلك، فمنهم من أباه لكونه منفراً، ومنهم من جوزه.

وثانيها، باب التبليغ، واتفقوا على أنه لا يجوز عليهم التغيير، وإلا لزال الوثوق بقولهم. وقال قوم يجوز ذلك من جهة السهو.

وثالثها، ما يتعلق بالفتوى، واتفقوا أيضاً على أنه لا يجوز عليهم الخطأ فيه، وجوزه قوم على سبيل السهو.

ورابعها، ما يتعلق بأفعالهم، واختلفت الأمة فيه على أربعة أقوال:

أحدها: قول من جَوَّز عليهم الكبائر عمداً. وهؤلاء منهم من قال بوقوع هذا الجائر وهم الحشوية، وقال القاضي أبو بكر: هذا وإن جاز عقلاً ولكن السمع منع من وقوعه.

وثانيها: أنه لا يجوز أن يرتكبوا كبيرة ولا صغيرة عمداً، لكن يجوز أن يأتوا بها على جهة التأويل، وهو قول الجبائي.

وثالثها: أنه لا يجوز ذلك لا عمداً ولا من جهة التأويل لكن على سبيل السهو، وهم مؤاخذون بما يقع منهم على هذه الجهة، وإن كان موضوعاً عن أمتهم، لأن معرفتهم أقوى فيقدرون على التحفظ عما لا يتأتى لغيرهم.

ورابعها: أنه لا يجوز أن يرتكبوا كبيرة، وأنه قد وقعت منهم صغائر على جهة العمد والتأويل إلا ما ينفر كالكذب والتطيف، وهو قول أكثر المعتزلة.

والذي نقول به أنه لم يقع منهم ذنب على سبيل القصد لاصغيراً ولا كبيراً، أما السهو فقد يقع منهم لكن بشرط أن يتذكروه في الحال وينبهوا غيرهم على أن ذلك كان سهواً، وقد سقت هذه المسألة في علم الكلام، ومن أراد الاستقصاء فعليه بكتابنا في عصمة الأنبياء، والله أعلم). انتهى.

وقال في عصمة الأنبياء ص ٨:

[الرابع] ما يتعلق بأفعالهم وأحوالهم، وقد اختلفوا فيه على خمسة مذاهب:

الأول: الحشوية وهو أنه يجوز عليهم الإقدام على الكبائر والصغائر.

الثاني: أنه لا يجوز منهم تعمد الكبيرة البتة، وأما تعمد الصغيرة فهو جائز بشرط أن لا تكون منفراً، وأما أن كانت منفراً فذلك لا يجوز عليهم، مثل التطفيف بما دون الحبة، وهو قول أكثر المعتزلة.

الثالث: أنه لا يجوز عليهم تعمد الكبيرة والصغيرة، ولكن يجوز صدور الذنب منهم على سبيل الخطأ في التأويل، وهو قول أبي على الجبائي.

الرابع: أنه لا يجوز عليهم الكبيرة ولا الصغيرة، لا بالعمد ولا بالتأويل والخطأ. أما السهو والنسيان فجائز، ثم إنهم يعاتبون على ذلك السهو والنسيان لما أن علومهم أكمل، فكان الواجب عليهم المبالغة في التيقظ، وهو قول أبي إسحاق إبراهيم بن سيار النظام.

الخامس: أنه لا يجوز عليهم الكبيرة ولا الصغيرة، لا بالعمد ولا بالتأويل، ولا بالسهو والنسيان. وهذا مذهب الشيعة. واختلفوا أيضاً في وقت وجوب هذه العصمة، فقال بعضهم: أنها من أول الولادة إلى آخر العمر، وقال الأكثرون هذه العصمة إنما تجب في زمان النبوة فأما قبلها فهي غير واجبة. وهو قول أكثر أصحابنا رحمهم الله تعالى

والذي نقول: أن الأنبياء عليهم السلام معصومون في زمان النبوة عن الكبائر والصغائر بالعمد، أما على سبيل السهو فهو جائز. ويدل على وجوب العصمة وجوه خمسة عشرة:

الحجة الأولى، لو صدر الذنب عنهم لكان حالهم في استحقاق الدم عاجلاً والعقاب آجلاً أشد من حال عصاة الأمة، وهذا باطل....

الحجة الثانية، لو صدر الذنب عنهم لما كانوا مقبولي الشهادة لقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا....

الحجة الثالثة، لو صدر الذنب عنهم لوجب زجرهم، لأن الدلائل دالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن زجر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام غير جائز، لقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَكَانَ صَدُورُ الذَّنْبِ عَنْهُمْ مَمْتَعاً....

الحجة الرابعة، لو صدر الفسق عن محمد عليه الصلاة والسلام لكننا إما أن نكون مأمورين بالإقتداء به وهذا لا يجوز، أو لآنكون مأمورين بالإقتداء به وهذا أيضاً باطل لقوله تعالى: قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ....

الحجة الخامسة، لو صدرت المعصية عن الأنبياء عليهم السلام لوجب أن يكونوا موعودين بعذاب الله بعذاب جهنم، لقوله تعالى: وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ، ولكانوا ملعونين لقوله تعالى: إِلَّا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ...

الحجة السادسة، إنهم كانوا يأمرون بالطاعات وترك المعاصي، ولو تركوا الطاعة وفعّلوا المعصية لدخلوا تحت قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ. وتحت قوله تعالى: أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ...

الحجة السابعة، قال الله تعالى في صفة إبراهيم وإسحاق ويعقوب: إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ، والألف واللام في صيغة الجمع تفيد العموم فدخل تحت لفظ الخيرات فعل كل ما ينبغي وترك كل ما لا ينبغي، وذلك يدل على أنهم كانوا فاعلين لكل الطاعات وتاركين لكل المعاصي.

الحجة الثامنة، قوله تعالى: إِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُضْطَّعِينَ الْإِحْيَارِ.... فدلّت هذه الآية على أنهم كانوا من المصطفين الإخيار في كل الأمور....

الحجة التاسعة، قوله تعالى حكاية عن إبليس: قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِاعْبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ. استثنى المخلصين من إغوائه وإضلاله. ثم إنه تعالى شهد على إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام أنهم من المخلصين، حيث قال: أَنَا أَخْلَصْنَاَهُمْ بِخَالِصِهِ ذَكَرَى الدَّارِ. وقال في حق يوسف عليه السلام: إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ فلما أقر إبليس أنه لا يغوي المخلصين، وشهد الله بأن هؤلاء من المخلصين، ثبت أن إغواء إبليس ووسوسته ما وصلت إليهم...

الحجة العاشرة، قال الله تعالى: وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِفْرِيْقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فهؤلاء الذين لم يتبعوا إبليس إما أن يقال إنهم الأنبياء أو غيرهم فإن كانوا غيرهم لزم أن يكونوا أفضل منهم....

الحجة الحادية عشرة، أنه تعالى قسم المكلفين إلى قسمين: حزب الشيطان كما قال تعالى: **أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ إِلَّا إِنْ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ**. وحزب الله كما قال تعالى: **أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ إِلَّا إِنْ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**. ولا شك أن حزب الشيطان هو الذي يفعل ما يريد الشيطان ويأمره به، فلو صدرت الذنوب عن الأنبياء لصدق عليهم أنهم من حزب الشيطان، ولصدق عليهم قوله تعالى: **إِلَّا إِنْ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ**، ولصدق على الزهاد من آحاد الأمة قوله تعالى: **إِلَّا إِنْ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**، وحينئذ يلزم أن يكون واحد من آحاد الأمة أفضل بكثير من الأنبياء، ولا شك في بطلانه..

الحجة الثانية عشرة، إن أصحابنا بينوا أن الأنبياء أفضل من الملائكة، وثابت بالدلالة أن الملائكة ما أقدموا على شئ من الذنوب، فلو صدرت الذنوب عن الأنبياء لامتنع أن يكونوا زائدين في الفضل على الملائكة...

الحجة الثالثة عشرة، قال الله تعالى في حق إبراهيم عليه السلام: **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**، والإمام هو الذي يقتدى به، فلو صدر الذنب عن إبراهيم لكان اقتداء الخلق به في ذلك الذنب واجباً. وإنه باطل.

الحجة الرابعة عشرة، قوله تعالى: **لَا يَتَّالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**، فكل من أقدم على الذنب كان ظالماً لنفسه لقوله تعالى: **فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ**. إذا عرفت هذا فنقول: ذلك العهد الذي حكم الله تعالى بأنه لا يصل إلى الظالمين إما أن يكون هو عهد النبوة أو عهد الإمامة، فإن كان الأول فهو المقصود، وإن كان الثاني فالمقصود أظهر، لأن عهد الإمامة أقل درجة من عهد النبوة، فإذا لم يصل عهد الإمامة إلى المذنب العاصي، فبأن لا يصل عهد النبوة إليه أولى.

الحجة الخامسة عشرة، روى أن خزيمة بن ثابت الأنصاري (رض) شهد على وفق دعوى النبي (ص) مع أنه ما كان عالماً بتلك الواقعة فقال خزيمة: **إني أصدقك فيما تخبر عنه من أحوال السماء، أفلا أصدقك في هذا القدر؟! فلما ذكر ذلك صدقه النبي (ص) فيه ولقبه بذي الشهادتين، ولو كان الذنب جائزاً على الأنبياء لكانت شهادة خزيمة غير جائزة....**

ثم قال الرازي: (واعلم أن شبهات المخالفين في هذه المسألة كثيرة، ونحن نذكرها على سبيل الإختصار...). انتهى.

ملاحظات على كتاب عصمة الأنبياء للفخر الرازي

الملاحظة ٠١

أنه تأثر كثيراً بمنهج السيد المرتضى في كتابه تنزيه الأنبياء عليهم السلام الذي ألفه قبله بأكثر من قرن ونصف، بل يمكن القول إن كتاب عصمة الأنبياء عليهم السلام للرازي هو نفس كتاب تنزيه الأنبياء عليهم السلام للسيد المرتضى، مصوغاً بقلم سني!

الملاحظة ٠٢

أن الرازي كغيره من علماء الأشعرية، يجيدون الدفاع عن الأنبياء عليهم السلام عندما يعتمدون العقل والفترة الإنسانية، فيجى دفاعهم قوياً متماسكاً، لكنهم عندما يصطدمون بعشرات الأحاديث الصحيحة عندهم في البخارى ومسلم وغيرهما، ينخث كلامهم ويضطرب! فترى بعضهم يغمض بصره عن تلك الأحاديث، أو يشير إليها إشارة ويردها، وأحياناً أخرى يدافع عنها، فيقع في التناقض!

فالمشكلة الأساسية التي تواجه الباحث منهم ليست الآيات المتشابهة التي يفهم من ظاهرها معصية الأنبياء عليهم السلام وتحتاج إلى تفسير أو تأويل، بل الإسرائيليات التي تثقل كاهل الصحاح في ذم الأنبياء عليهم السلام، ولا يمكن تأويلها!

نعم إن العقبة الكأداء هي القرشيات التي روتها مصادرهم في ذم نبينا صلى الله عليه وآله وربطتها بالآيات المتشابهة وفسرتها بها، أو جعلتها سبباً لتزولها كذباً وزوراً!

وقلما تجد من علمائهم صاحب شجاعه، يتقرب إلى الله تعالى ويتخطى هذه الموانع دفاعاً عن نبينا صلى الله عليه وآله وأنبياء الله عليهم

السلام!

لاحظ ما قاله الرازى فى ص ٧٢، فى قصة نبي الله داود عليه السلام: (فاعلم أن الذى أقطع به عدم دلالة هذه الآية على صدور الكبيرة من داود عليه السلام. وبيانه من وجوه:

الأول، أن الذى حكاه المفسرون عن داود وهو أنه عشق امرأة أوريا فاحتال حتى قتل زوجها فتروجها، لا يليق بالأنبياء، بل لو وصف به أفسق الملوكة لكان منكراً.

الثانى، أن الدخول فى دم أوريا أعظم من التزوج بامرأته، فكيف ترك الله الذنب الأعظم واقتصر على ذكر الإخف؟!

الثالث، أن السورة من أولها إلى آخرها فى محاجة منكرى النبوة، فكيف يلائمها القدح فى بعض أكابر الأنبياء بهذا الفسق القبيح؟!

الرابع، أن الله تعالى وصف داود عليه السلام فى ابتداء القصة بأوصاف حميدة، وذلك ينافى ما ذكره فى الحكاية.....!

فإن قلت: إن كثيراً من المحدثين روى هذه الحكاية!

قلت: هذه الدلائل الباهرة لما أبطلت قولهم وجب القطع بفسادها، فالعجب اتفاق الناس على أن خبر الواحد لا يفيد إلا الظن، والظن إنما ينتفع به فى العمليات وهذه المسألة ليست من العمليات، فصارت روايتهم ساقطة العبرة من كل الوجوه.... وعن سعيد بن المسيب والحارث الأعور أن علياً (رض) قال: من حدثكم بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مأتين وستين وهو حد الفرية على الأنبياء عليهم السلام. وروى أن واحداً ذكر ذلك الخبر عند عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق، فكذب المحدث به وقال: إن كانت القصة على ما فى كتاب الله تعالى فما ينبغى أن نلتمس خلافها، وإن كان على ما ذكرت وكف الله عنها سترأ على نبيه فيما ينبغى إظهار ما عليه. فقال عمر: سماعى هذا الكلام أحب إلى مما طلعت الشمس عليه). انتهى.

فأنت ترى أن الرازى أجاد، لأنه جرى فى كلامه على مقتضى العقل والفطرة، وردّ إسرائيليات رواة السلطة، لأنها تنافى عصمة نبي الله داود عليه السلام.

لكنه لا يملك هذه الشجاعة إذا وصل إلى القرشيات التى يستوجب ردها أن يضرب برواية البخارى عرض الجدار، مع أن البخارى دخل فى الرواة الذين هاجمهم! حيث بنى اتهام رواة إسرائيليات لداود عليه السلام! قال فى: ٤/١٣٤: (وَهَيْلَ أَتَاكَ نَبَأُ الْخُصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ..... إِنَّ هَذَا أَخَى لَهُ تَسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً..... يُقَالُ لِلْمَرْأَةِ نَعْجَةٌ، وَيُقَالُ لَهَا أَيْضاً شَاةٌ... الخ). انتهى.

ومعنى هذا أن البخارى بنى كل إسرائيليات السلطة، لأنها كلها مبنية على أن المقصود بتسع وتسعين نعجة: تسع وتسعون امرأة!! ومن تأثير قداسة البخارى على الرازى أنه قال بتزيه الأنبياء عليهم السلام وساق حججه التى رأيت بعضها، لكنه غض بصره عن أحاديث البخارى وغيره التى تنسبهم إلى المعاصى، ولم يؤولها ولم يردّها!

لقد أطال فى ص ٢٨ وما بعدها فى الدفاع عن نبي الله إبراهيم عليه السلام، فقال عن الآيات التى تمسكوا بها فى اتهامه بالكفر والكذب: (تمسكوا بها من وجوه تسعة: الأولى: قوله تعالى حاكياً عن إبراهيم عليه السلام: قَالَ هَذَا رَبِّي، فلا يخلو إما أن يقال إنه قال هذا الكلام فى النظر والاستدلال أو قبل البلوغ أو بعده....

والأصح من هذه الأقوال أن ذلك على وجه الإعتبار والاستدلال لا على وجه الأخبار، ولذلك فإن الله تعالى لم يذم إبراهيم عليه السلام على ذلك، بل ذكره بالمدح والتعظيم، وأنه أراه ذلك كى يكون من الموقنين، هذا هو البحث المشهور فى الآية، وفيها أبحاث آخر من حيث أن بعض الملاحدة قال إن إبراهيم استدل على الشئ بما لا يدل عليه وذكر أشياء لا تصح، فكان الطعن متوجهاً، ونحن نذكر كل واحد من تلك الأسئلة الأربعة عشرة مع جوابه....). انتهى.

وقد تقدم قول الرازى: (الحجة الثالثة عشرة: قال الله تعالى فى حق إبراهيم عليه السلام: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا، والإمام هو الذى يقتدى به، فلو صدر الذنب عن إبراهيم لكان اقتداء الخلق به فى ذلك الذنب واجباً. وإنه باطل). انتهى.

فهل فاتته أنه بذلك يطعن فيما رواه البخارى عن الأنبياء عليهم السلام؟!

رأى ابن تيمية و مشبهه الحنابلة فى عصمة الأنبياء

ابن تيمية يهاجم الشيعة لقولهم بعصمة الأنبياء

قال فى منهاج سنته: ١/٤٧٣: (وأما الراضية فأشبهوها النصرى، فإن الله تعالى أمر الناس بطاعة الرسل فيما أمروا به، وتصديقهم فيما أخبروا به، ونهى الخلق عن الغلو والإشراك بالله تعالى، فبدلت النصرى دين الله تعالى فغلووا فى المسيح فأشركوا به وبدلوا دينه..... وكذلك الراضية غلوا فى الرسل بل فى الأئمة حتى اتخذوهم أرباباً من دون الله، فتركوا عبادة الله وحده لاشريك له التى أمرهم بها الرسل، وكذبوا الرسل فيما أخبروا به من توبة الأنبياء واستغفارهم!) انتهى.

يقصد بذلك أن الشيعة كذبوا الرسل فى أن الأنبياء عليهم السلام قد ارتكبوا المعاصى وتابوا، وذلك لأن الشيعة يكذبون الإسرائيليات فى مصادر الخلافة القرشية التى تنسب إلى الأنبياء عليهم السلام المعاصى، فتكذيبها عنده يعتبر تكذيباً للرسل وكفراً!!

السبب الغريب لهجوم ابن تيمية على العصمة

كشف ابن تيمية عن سبب حملته على الشيعة لتزبيهم الأنبياء عليهم السلام! فقد تخيل أن غرضهم من ذلك الطعن بأبى بكر وعمر، لأن عقيدة العصمة التامة تجعل المعاصى فضيلة وارتكابها منقصة، وأبو بكر وعمر كانا كافرين قبل الإسلام يرتكبان المعاصى، فيكون ذلك منقصة فيهما، فلا يستحقان مقام الخلافة عن النبى المعصوم عصمة تامة!.

لذا رأى ابن تيمية أنه يجب الدفاع عن أبى بكر وعمر، وذلك برفض عقيدة العصمة التامة للأنبياء عليهم السلام، والقول بأنهم كانوا قبل النبوة مثل أبى بكر وعمر كفاراً يرتكبون المعاصى ثم تابوا، ثم يجعل الكافر ومرتكب المعصية التائب أفضل من غير مرتكبها!! قال فى منهاج سنته: ٢/٤٢٩: (وأما ما تقوله الراضية من أن النبى قبل النبوة وبعدها لا يقع منه خطأ، ولا ذنب صغير وكذلك الأئمة، فهذا مما انفردوا به عن فرق الأمة كلها، وهو مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف، ومن مقصودهم بذلك القدح فى إمامة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما لكونهما أسلما بعد الكفر، ويدعون أن علياً (رض) لم يزل مؤمناً، وأنه لم يخطئ قط ولم يذنب قط، وكذلك تمام الإثنى عشر. وهذا مما يظهر كذبهم وضلالهم فيه لكل ذى عقل يعرف أحوالهم! ولهذا كانوا هم أعلى الطوائف فى ذلك وأبعدهم عن العقل والسمع....

ونكتة أمرهم أنهم ظنوا وقوع ذلك من الأنبياء والأئمة نقصاً، وإن ذلك يجب تزبيهم عنه، وهم مخطئون إما فى هذه المقدمة وإما فى هذه المقدمة.

أما المقدمة الأولى فليس من تاب إلى الله تعالى وأتاب إليه بحيث صار بعد التوبة أعلى درجة مما كان قبلها، منقوصاً ولا مغضوباً منه، بل هذا مفضلٌ عظيمٌ مكرمٌ، وبهذا ينحل جميع ما يوردونه من الشبه). انتهى!!

ثم أفاض ابن تيمية بذكر فضائل من يعصى ويتوب، فقال فى منهاجه ٢/٤٣٠:

(وفى الصحيحين عن النبى (ص) من غير وجه أنه قال: لله أشد فرحاً بتوبته عبده من رجل أضل راحلته بأرض دويبة مهلكة، عليها طعامه وشرابه، فقال (من القيلولة) تحت شجرة ينتظر الموت، فلما استيقظ إذا بدابته عليها طعامه وشرابه! فكيف تجدون فرحه بها؟ قالوا: عظيماً يا رسول الله. قال: لله أشد فرحاً بتوبته عبده من هذا براحلته..... فمن يجعل التائب الذى اجتبه الله وهده منقوصاً بما كان من الذنب الذى تاب منه، وقد صار بعد التوبة خيراً مما كان قبل التوبة، فهو جاهل بدين الله تعالى وما بعث الله به رسوله!!).

ثم تنازل ابن تيمية قليلاً، فقال: (ولسنا نقول إن كل من أذنب وتاب فهو أفضل ممن لم يذنب ذلك الذنب، بل هذا يختلف باختلاف أحوال الناس! فمن الناس من يكون بعد التوبة أفضل، ومنهم من يعود إلى ما كان ومنهم من لا يعود إلى مثل حاله. والأصناف الثلاثة

فيهم من هو أفضل ممن لم يذنب ويتب، وفيهم من هو مثله، وفيهم من هو دونه). انتهى.

ومعنى كلامه أن الكافر مرتكب المعصية إذا تاب، قد يكون أحياناً خيراً ممن لم يكفر ولم يرتكب المعصية!

ثم قال: (بل أقوال هؤلاء الذين غلوا بجهل من الأقوال المبتدعة في الإسلام (بقولهم بالعصمة التامة) وهم قصدوا تعظيم الأنبياء بجهل، كما قصدت النصارى تعظيم المسيح وأحبارهم ورهبانهم بجهل، فأشركوا بهم واتخذوهم أرباباً من دون الله!)
ثم ارتكب ابن تيمية مصادرة واضحة فاستدل على معاصي الأنبياء عليهم السلام بما رووه من الإسرائيليات، وبظواهر بعض الآيات المتقدمة! قال في منهاجه ٢/٤٣٥:

(بل كتب التفسير والحديث والآثار والزهد وأخبار السلف مشحونة عن الصحابة والتابعين بمثل ما دل عليه القرآن (أى ارتكاب الأنبياء للمعاصي!) وليس فيهم من حرّف الآيات كتحرّيف هؤلاء، ولا من كذب بما في الأحاديث كتكذيب هؤلاء، ولا من قال هذا يمنع الوثوق أو يوجب التنفير ونحو ذلك، كما قال هؤلاء!)

وقال: (وأما المسائل المتقدمة فقد شرك غير الإمامية فيها بعض الطوائف إلا غلوهم في عصمة الأنبياء فلم يوافقهم عليه أحد أيضاً، حيث ادعوا أن النبي (ص) لا يسهو، فإن هذا لا يوافقهم عليه أحد فيما علمت، اللهم إلا أن يكون من غلاة جهال النساك، فإن بينهم وبين الرافضة قدراً مشتركاً في الغلو وفي الجهل والإنقياد لما لا يعلم صحته، والطائفتان تشبهان النصارى في ذلك!)
وقال في: ٢/٣٩٣: (فصل: وأما قوله وإن الأنبياء معصومون من الخطأ والسهو والمعصية صغيرها وكبيرها من أول العمر إلى آخره، وإلا لم يبق وثوق بما يبلغونه فانتفت فائدة البعثة ولزم التنفير عنهم.

فيقال: أولاً، إن الإمامية متنازعون في عصمة الأنبياء.... ثم يقال ثانياً قد اتفق المسلمون علياً أنهم معصومون فيما يبلغونه عن الله فلا يجوز أن يقرّهم على الخطأ في شئ مما يبلغونه عنه، وبهذا يحصل المقصود من البعثة، وأما وجوب كونه قبل أن يبعث نبياً لا يخطئ أو لا يذنب، فليس في النبوة ما يستلزم هذا).

لاحظ قوله: (لا يجوز أن يقرّهم على الخطأ في شئ مما يبلغونه عنه) فهو صريح في أن الأنبياء قد يخطئون حتى بعد البعثة في التبليغ عن الله تعالى! غاية الأمر أن الله لا يقرّهم على الخطأ بل يوبخهم ويصحح لهم، وذلك لتبرير زعم قريش أن النبي صلى الله عليه وآله زاد في القرآن وكفر، ومدح الأصنام في سورة النجم بأنهن الغرائق العلى، وشفاعتهن تترجى، فنزل جبرئيل ووبخه وصح له!
ثم قال في: ٢/٣٩٧: (والله تعالى قد أخبر أنه يبذل السيئات بالحسنات للتائب، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح، ومعلوم أن الصحابة رضى الله عنهم من عهد الرسول (ص) وقبل أن يصدر منهم ما يدعونونه من الأحداث، كانوا من خيار الخلق، وكانوا أفضل من أولادهم الذين ولدوا بعد الإسلام). انتهى.

وبذلك كشف ابن تيمية عن هدفه وغرضه، وهو أن يثبت أن كفر أبي بكر وعمر ومعاصيهما قبل الإسلام، وكذا معاصي بعض الصحابة بعد الإسلام، لا تنقص من درجتهم، ولا تجعل درجة عليّ عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله لعصمتها التي يدعيها الشيعة، وعدم عبادتهما للأصنام، أرفع من درجة الصحابة!

ثم تمادى ابن تيمية فاعتبر أن القول بعصمة الأنبياء التامة هو حرمان للأنبياء عليهم السلام من الوقوع في المعاصي والفوز بالتوبة وثوابها العظيم!! قال في نفس الموضوع:

(وأيضاً: فوجوب كون النبي لا يتوب إلى الله فينال محبة الله وفرحه بتوبته وترتفع درجته بذلك، ويكون بعد التوبة التي يحبه الله منه خيراً مما كان قبلها، فهذا مع ما فيه من التكذيب للكتاب والسنة، غض من مناصب الأنبياء وسلبهم هذه الدرجة، ومنع إحسان الله إليهم وتفضله عليهم بالرحمة والمغفرة.

ومن اعتقد أن كل من لم يكفر ولم يذنب أفضل من كل من آمن بعد كفره وتاب بعد ذنبه، فهو مخالف ما علم بالإضطرار من دين الإسلام! فإنه من المعلوم أن الصحابة الذين آمنوا برسول الله (ص) بعد كفرهم وهداهم الله به بعد ضلالهم، وتابوا إلى الله بعد ذنوبهم

أفضل من أولادهم الذين ولدوا على الإسلام!
وهل يُشَبَّهُ بنى الأنصار بالأنصار، أو بنى المهاجرين بالمهاجرين إلا من لا علم له!!..... وقد قال عمر بن الخطاب (رض) إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية!! انتهى.
فالنبي عند ابن تيمية إذا ذاق طعم الكفر والجرائم والمعاصي مثل أبي بكر وعمر، يكون أقرب إلى الله تعالى! والذين يقولون بعصمة النبي عليه السلام وعدم صدور المعاصي منه فقد نقصوه حقه وحرموه من النعمة العظيمة التي لا تتحقق إلا بالكفر أو بالمعاصي وهي فرحة الله بتوبته، والتي فاز بها أبو بكر وعمر!

وهكذا يظهر لك أن مكانة أبي بكر وعمر عنده هي حجر الزاوية في هندسة عقائده (الإسلامية)! وأنه لا يخجل في سلب العصمة عن جميع الأنبياء عليهم السلام ورميهم بالكفر والمعاصي حتى بعد النبوة، من أجل مساواتهم بأبي بكر وعمر! والتفضل عليهم بدرجة التوبة العظيمة التي نالها أبو بكر وعمر بتوبتهما من كفرهما ومعاصيهما!

وقد واصل ابن تيمية خطبة الجمعة في مقام التائبين من جرائمهم، وكيف أن الله تعالى يمحوها بل يبذلها حسنات، ثم قال في: ٢/٤٠٠: (وكذلك من اتفق أن شرب السم فسقى ترياقاً فاروقاً يمنع نفوذ سائر السموم فيه، كان بدنه أصح من بدن من لم يشرب ذلك الترياق. والذنوب إنما تضر أصحابها إذا لم يتوبوا منها. فهذا وأمثاله من خيار تأويلات المانعين لما دل عليه القرآن من توبة الأنبياء من ذنوبهم واستغفارهم، وزعمهم أنه لم يكن هناك ما يوجب توبة ولا استغفار ولا تفضل الله عليه بمحبته وفرحه بتوبتهم ومغفرته ورحمته لهم. فكيف بسائر تأويلاتهم التي فيها من تحريف القرآن وقول الباطل على الله، ما ليس هذا موضع بسطه!

وقال: (والمقصود هنا أن الذين ادعوا العصمة مما يتاب منه، عمدتهم أنه لو صدر منهم الذنب لكانوا أقل درجة من عصاة الأمم، لأن درجتهم أعلى فالذنب منهم أفبح، وأنه يجب أن يكون فاسقاً فلا تقبل شهادته، وأنه حينئذ يستحق العقوبة فلا يكون إيذاؤه محرماً وأذى الرسول محرم بالنص، وأنه يجب الإقتداء بهم ولا يجوز الإقتداء بأحد في ذنب. ومعلوم أن العقوبة ونقص الدرجة إنما يكون مع عدم التوبة، وهم معصومون من الإصرار).

ثم ذكر عدداً من أدعية النبي صلى الله عليه وآله مستدلاً بها على أنها دليل على صدور الذنوب الصغيرة والكبيرة منه صلى الله عليه وآله والعياذ بال له، وإن ذلك لم يكن ينفر المسلمين منه!

ثم ختم كلامه بقوله: ٢/٤٠٨: (وهذا عمر بن الخطاب (رض) قد علم تعظيم رعيته له وطاعتهم، مع كونه دائماً كان يعترف بما يرجع عنه من خطأ، وكان إذا اعترف بذلك وعاد إلى الصواب زاد في أعينهم وازدادوا له محبة وتعظيماً.... فعلم أن التوبة والإستغفار (من المعاصي) لا توجب تنفيراً أو لا تزيل وثوقاً!!

دفاع ابن تيمية عن اليهود وعن أسطورة الغرائق

قال في منهاج سنته: ٢/٤٠٩: (وما أعلم أن بنى إسرائيل قدحوا في نبي من الأنبياء بتوبته في أمر من الأمور! وإنما كانوا يقدحون فيهم بالإفتراء عليهم كما كانوا يؤذن موسى عليه السلام، وإلا فموسى قد قتل القبطى قبل النبوة، وتاب من سؤال الرؤية، وغير ذلك بعد النبوة، وما أعلم أحداً من بنى إسرائيل قدح فيه بمثل هذا. وما جرى في سورة النجم من قوله: (تللك الغرائق العلى وإن شفاعتها لترتجى) على المشهور عند السلف والخلف من أن ذلك جرى على لسانه ثم نسخه الله وأبطله، هو من أعظم (الردود) على قول هؤلاء...

والعصمة المتفق عليها أنه لا يُقَرُّ على خطأ في التبليغ بالإجماع، ومن هذا فلم يعلم أحد من المشركين نفر برجوعه عن هذا، وقوله إن هذا مما ألقاه الشيطان. ولكن روى أنهم نفروا لما رجع إلى ذم آلهم بعد ظنهم أنه مدحها، فكان رجوعهم لدوامه على ذمها، لأنه قال شيئاً ثم قال إن الشيطان ألقاه. وإذا كان هذا لم ينفر، فغيره أولى أن لا ينفر!!

ابن تيمية يجوز أن يكون النبي كافراً فاسقاً شريراً

وأخيراً صرح ابن تيمية بمذهبه وإن لفه بلفافه! فقال بعدم عصمة الأنبياء مطلقاً وأن الله تعالى يمكن أن يبعث نبياً كافراً أو فاسقاً قبل النبوة، أو يصير كافراً فاسقاً بعدها. وهو بذلك يجرى مع رواسب أشعريته في إنكار الحسن والقبح العقليين، وإنكار لزوم الحكمة في أفعال الله تعالى! قال في منهاجه: ٢/٤١٣:

(ومما يبين الكلام في مسألة العصمة أن تعرف النبوة ولو ازمتها وشروطها، فإن الناس تكلموا في ذلك بحسب أصولهم في أفعال الله تعالى، إذ كان جعل الشخص نبياً رسولاً من أفعال الله تعالى، فمن نفى الحكم والأسباب في أفعاله وجعلها معلقةً بمحض المشيئة، وجوز عليه فعل كل ممكن، ولم ينزهه عن فعل من الأفعال، كما هو قول الجهم بن صفوان وكثير من الناس كالأشعري ومن وافقه من أهل الكلام من أتباع مالك والشافعي وأحمد وغيرهم من مثبتة القدر، فهؤلاء يجوزون بعثه كل مكلف! والنبوة عندهم مجرد إعلامه بما أوحاه إليه! والرسالة مجرد أمره بتبليغ ما أوحاه إليه! والنبوة عندهم صفة ثبوتية ولا مستلزمة لصفة يختص بها، بل هي من الصفات الإضافية كما يقولون، مثل ذلك في الأحكام الشرعية. وهذا قول طوائف من أهل الكلام كالجهم بن صفوان والأشعري وأتباعهما، ولهذا من يقول بها كالقاضي أبي بكر وأبي المعالي وغيرهما يقول إن العقل لا يوجب عصمة النبي إلا في التبليغ خاصة، فإن هذا هو مدلول المعجزة! وما سوى ذلك إن دل السمع عليه، وإلا لم تجب عصمته منه.

وقال محققوا هؤلاء كأبي المعالي وغيره إنه ليس في السمع قاطع يوجب العصمة، والظواهر تدل على وقوع الذنوب منهم! وكذلك كالقاضي أبي بكر إنما يثبت ما يثبت من العصمة في غير التبليغ إذا كان من موارد الإجماع، لأن الإجماع حجة، وما سوى ذلك فيقول لم يدل عليه عقل ولا سمع.

وإذا احتج المعتزلة وموافقوهم من الشيعة عليهم بأن هذا يوجب التنفير ونحو ذلك فيجب من حكمه الله منعهم منه، قالوا هذا مبني على مسألة التحسين والتقيح العقليين ونحن نقول لا يجب على الله شيء ويحسن منه كل شيء! وإنما نفى ما نفى بالخبر السمعي، ونوجب وقوع ما يقع بالخبر السمعي أيضاً، كما أوجبنا ثواب المطيعين وعقوبة الكافرين لإخباره أنه يفعل ذلك، ونفينا أن يغفر لمشرك لإخباره أنه لا يفعل ذلك، ونحو ذلك. وكثير من القدرية المعتزلة والشيعة وغيرهم ممن يقول بأصله في التعديل والتجويز، وأن الله لا يفضل شخصاً على شخص إلا بعمله، يقول إن النبوة أو الرسالة جزاءً على عمل متقدم فالنبي فَعَلَ من الأعمال الصالحة ما استحق به أن يجزيه الله بالنبوة، وهؤلاء القدرية في شق، وأؤلئك الجهمية الجبرية في شق). انتهى.

إن اعتراف ابن تيمية هذا، لا يقف عند تجويزه أن يكون النبي كافراً فاسقاً شريراً! بل يصل إلى نفى الحكمة عن الله تعالى في أفعاله وأقواله!

وهذا هو نفس معبود التوراة الذي قال التلمود في وصفه: (سمع الله يئن كما تنن الحمامة ويبكي وهو يقول: الويل الويل لمن أخرج بيته... ويؤلى على ما أخرجت من بيتي! ويؤلى على ما فرقت من بنيّ وبناتي!) (الفصل لابن حزم: ١/١/٢٢٢)

البخارى ينقض عصمة الأنبياء ويفترى عليهم

صحيح البخارى مشحون بالإسرائيليات التي تطعن في الأنبياء وأسوأ منها القرشيات التي تطعن في نبينا

نبي الله إبراهيم يكذب

مضافاً إلى ما تقدم، نورد هنا عدداً من افتراءات البخارى على الأنبياء عليهم السلام!

فقد نسب إلى نبي الله إبراهيم عليه السلام في: ١١٢/٤/١١٣، وكرر ذلك في: ٦/١٢١، أنه كذب ثلاث كذبات، اثنتان لله، وواحدة لغير

الله! قال: (لم يكذب ابراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله عز وجل، قوله: إِنِّي سَيِّئٌ، وقوله: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا! وقال بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له إن ههنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه فسأله عنها فقال من هذه؟ قال: أختي)!

وروى في: ٥/٢٢٦: أن ابراهيم عليه السلام يستحي من ربه يوم القيامة أن يشفع للناس بسبب كذباته الثلاث! وكرر ذلك في: ٥/٢٢٥ و ٧/٢٠٣ و ١٧٢/١٨٣ و ١٩٢، و ٢٠١!!

نبي الله موسى غضوب بطاش

وفي: ٢/٩٢، روى ما يقوله اليهود حرفياً في نبي الله موسى عليه السلام ووضعه على لسان نبينا صلى الله عليه وآله، مثل أن موسى كان قوى الشخصية والبدن وقد غضب على ملك الموت ولطمه ففقأ عينه وأرسله إلى السماء أعور باكياً شاكياً! فعالج الله تعالى وأعاده ليقبض روح موسى عليه السلام! واحتاج عزرائيل إلى استعمال الحيلة مع موسى فأعطاه تفاحة مسمومة، فشمها موسى فمات!! قال البخاري: (باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة... أرسل ملك الموت إلى موسى فلما جاءه صكه! فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت! فرد الله عز وجل عليه عينه وقال: إرجع فقل له يضع يده على متن ثور، فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنة، قال: أي رب ثم ماذا؟ قال: ثم الموت. قال: فالآن. فسأل الله أن يدينه من الأرض المقدسة رمية بحجر، قال قال رسول الله (ص) فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر!) وكرر البخاري هذا الحديث المزعوم في: ٤/١٣٠، فقال: (باب وفاة موسى وذكره بعد... (كذا!) وحذف منه جملة (فقفاً عينه)، التي أثبتتها مسلم: ٧/٩٩!! قال ابن حجر في فتح الباري: ٦/٣١٥: (صكه: أي ضربه على عينه، وفي رواية همام عن أبي هريرة عند أحمد ومسلم: جاء ملك الموت إلى موسى فقال أجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت فقفاها! وفي رواية عمار بن أبي عمار عن أبي هريرة عند أحمد والطبري: كان ملك الموت يأتي الناس عياناً فأتى موسى فلطمه فقفاً عينه..... وفي رواية عمار: فقال يا رب عبدك موسى فقفاً عيني، ولولا كرامته عليك لشقت عليه!!)

نبي الله موسى يركض عارياً وراء ثيابه

روى البخاري قصة (ثوبى حجر) التي يزعم فيها اليهود أن نبي الله موسى عليه السلام كان يغتسل ووضعه ثيابه على حجر، فركض الحجر هارباً بثيابه، وركض موسى وراءه عارياً، ورآه بنو إسرائيل! فغضب موسى على الحجر وأخذ ثيابه منه وضربه بعصاه! وزعموا أن ذلك كان بتدبير الله تعالى لكي يبرئ موسى عليه السلام من اتهام بنى إسرائيل له بأن له أدرة! وكان تبرئة الله تعالى لنبية عليه السلام لاتتم إلا بإهاتته! قال البخاري: ٤/١٢٩: (فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول ثوبى حجر! ثوبى حجر! حتى انتهى إلى ملاء من بنى إسرائيل فأراه عرياناً أحسن ما خلق الله وأبراه مما يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرباً بعضاه! فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً، فذلك قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً). انتهى. وكرره البخاري هذا الحديث على عادته بمثله أو بنحوه في: ٦/٢٨ و ١١/٧٣!!

نبي الله سليمان مفروط في الجنس، معرض عن ذكر الله

وروى البخاري في: ٣/٢٠٩ عن سليمان عليه السلام: (قال سليمان بن داود عليهما السلام لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين

كلهن يأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله فقال له صاحبه: قل إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله! فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل! والذى نفس محمد بيده لوقال إن شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرساناً أجمعون! وكرره البخارى بنحوه: ٤/١٣٦: ١٦/١٦٠!

البخارى يروى تفضيل نبينا على الرسل والبشر

قال فى: ٥/٢٢٥: (قال: أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون ممّ ذلك؟ يجمع الناس الأولين والإخريين فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكره ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، إشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله! ولن يغضب بعده مثله! وإنه نهانى عن الشجرة فعصيته، نفسى نفسى نفسى، إذهبوا إلى غيرى إذهبوا إلى نوح!!

فيأتون نوحاً فيقولون يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبداً شكوراً، إشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟

فيقول: إن ربي عز وجل قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لى دعوة دعوتها على قومى. نفسى نفسى نفسى! إذهبوا إلى غيرى، إذهبوا إلى إبراهيم!!

فيأتون إبراهيم فيقولون يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله! وإنى قد كنت كذبت ثلاث كذبات، فذكرهن أبو حيان فى الحديث، نفسى نفسى نفسى! إذهبوا إلى غيرى إذهبوا إلى موسى!! فيأتون موسى فيقولون يا موسى أنت رسول الله، فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس، إشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنى قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها، نفسى نفسى نفسى! إذهبوا إلى غيرى، إذهبوا إلى عيسى! فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمته، ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس فى المهد صبياً، إشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله!! ولم يذكر ذنباً، نفسى نفسى نفسى! إذهبوا إلى غيرى إذهبوا إلى محمد!!

فيأتون محمداً فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، إشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق فأتى تحت العرش فأقع لربي عز وجل، ثم يفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلى، ثم يقال يا محمد إرفع رأسك سل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسى فأقول أمتى يا رب أمتى يا رب، فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك، من الأبواب ثم قال: والذى نفسى بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير، أو كما بين مكة وبصرى). انتهى.

ونحن نعتقد بتفضيل نبينا وآله صلى الله عليه وآله على الخلق كلهم، لكننا لانقبل حديث أبى هريرة المذكور، لأنه مصوغ من جو الإسرائيليات والمسيحيات عن غضب الله تعالى، وعن اعترافات أنبيائه بمعاصيهم إلا عيسى عليهم السلام!

ونظمتُ بأن البخارى أوردته لا لكى يمدح النبى صلى الله عليه وآله فهو لا يتردد فى تفضيل بقية الأنبياء عليه صلى الله عليه وآله حتى يونس عليه السلام! بل ليثبت فضيلة لأمته التى فى طليعتها طلقاء قريش! وحيثما وجدنا مدحاً لأمة النبى صلى الله عليه وآله فينبغى لنا أن نفحصه حتى لا يكون موضوعاً، أو يكون كلمة حق أريد بها باطل!

ثم يتراجع البخارى و يفضل نبى الله موسى على نبينا لكنه يفضل قريشا على اليهود

روى صحيحه: ٨/٤٨: روى أن نبي الله موسى رغم عيوبه يبقى أفضل من نبينا صلى الله عليه وآله، لأنه يفوق قبله من نفخة الصور يوم القيامة، أو يستثنى منها أصلاً، لأنه أصيب بالصعقة في طور سيناء فكفته عن صعقة الصور!
قال البخارى: (قال (ص): لا تخيرونى من بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفوق، فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا— أدري أفاق قبلى، أم جزي بصعقة الطور)!! انتهى. وكرر ذلك فى: ٣/٨٨، و: ٤/١٢٦ و١٣١ و١٣٣، و: ٥/١٩٦، و: ٦/٣٤، و: ٧/١٩٣، و: ٨/١٧٧!

كما روى سبباً آخر لتفضيل موسى على نبينا صلى الله عليه وآله هو أن موسى عليه السلام كان أوسع صدرًا، فقد تحمل من بنى إسرائيل أكثر مما تحمل نبينا صلى الله عليه وآله من قريش! قال فى: ٤/١٣٠: (قسم النبى (ص) قسماً فقال رجل: إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله، فأتيت النبى (ص) فأخبرته، فغضب حتى رأيت الغضب فى وجهه، ثم قال: يرحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا، فصبر!) وكرره فى: ٥/١٠٦ و٧/٨٧ و٩٦ و١٤٣ و١٥٣!

وبهذا تكون قريش أفضل من اليهود لأنها لم تؤذ نبيها صلى الله عليه وآله كما آذت اليهود موسى عليه السلام! ولهذا يبكى موسى عليه السلام يوم القيامة لتفضيل أمة محمد على أمته!

قال البخارى: ٤/٢٤٩ عن لسان النبى صلى الله عليه وآله يصف معراجه: (فلما خلصت فإذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فردّ ثم قال: مرحباً بالإخ الصالح والنبى الصالح، فلما تجاوزت بكى! قيل له: ما يبكيك؟ قال أبكى لأن غلاماً بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر من يدخلها من أمتي)!

وينبغى أن تعرف أن تعبير (غلاماً) عن النبى صلى الله عليه وآله تعبير يهودى فهم يزعمون أن الله تعالى جعل إسماعيل وذريته عبيداً لأبناء إسحاق!!

وهكذا يحرص البخارى على إرضاء ولى نعمته المتوكل العباسى فى تبرئه القرشيين وتفضيلهم، حتى لو استوجب ذلك تقيص مقام النبى صلى الله عليه وآله!

و بفضل عيسى على نبينا

رواه البخارى مرة واحدة لأن روايته مسيحية وليست إسرائيلية! قال فى: ٤/٩٤: (قال النبى (ص): كل بنى آدم يطعن الشيطان فى جنبه بإصبعه حين يولد، غير عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن فى الحجاب)!! انتهى.

ومعنى هذا الحديث المزعوم غريب قد يعرفه البخارى والقساوسة، فما معنى أن الشيطان يطعن فى جنب المولود، وهل يتسلط عليه بهذه الطعنة بإصبعه؟ وما معنى أنه أراد أن يطعن فى جنبى عيسى عليه السلام فذهبت طعنة إصبعه فى الحجاب، ولم تصل إلى أحد جنبه؟ وما هو ذلك الحجاب، ولماذا خص الله به عيسى من دون الرسل والبشر، حتى نبينا صلى الله عليه وآله؟!

و بروى النهى عن تفضيل الأنبياء على بعضهم

قال الله تعالى: (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ بَعْدَهُمْ لَكِنِ اخْتَلَفُوا مِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ). (البقرة: ٢٥٣)

(وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمه ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أفررتم وأخذتم على ذلکم إصيرى قالوا أفررتنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين). (آل عمران: ٨١) فقد نصت الآيات الكريمة على تفاضل الرسل

عليهم السلام، وأجمع المسلمون على تفضيل نبينا صلى الله عليه وآله على الجميع، ورواه البخارى كما رأيت.

لكن البخارى نقض ما رواه من تفضيل نبينا صلى الله عليه وآله من جهة!

ثم خالف القرآن فروى قاعدة تحريم تفضيل الأنبياء عليهم السلام على بعضهم!

ثم نقض هذه القاعدة فروى تفضيل موسى على نبينا صلى الله عليه وآله كما رأيت!!

قال البخارى: ٤/١٣٢: (عن أبى هريرة قال: بينما يهودى يعرض سلعته، أعطى بها شيئاً كرهه فقال: لا والذى اصطفى موسى على البشر، فسمعه رجل من الأنصار فقام فطم وجهه وقال: تقول والذى اصطفى موسى على البشر، والنبى بين أظهرنا؟! فذهب إليه فقال أبا القاسم إن لى ذمة وعهداً فما بال فلان لطم وجهى؟! فقال: لم لطمت وجهه؟ فذكره، فغضب النبى (ص) حتى روى فى وجهه! ثم قال: لا تفضلوا بين أنبياء الله فإنه ينفخ فى الصور فيصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث، فإذا موسى أخذ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور أم بعث قبلى! ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس بن متى!). انتهى.

فهذا الحديث المزعوم صريح فى أن النبى صلى الله عليه وآله وقف إلى جانب اليهودى الذى زعم أن الله تعالى اصطفى موسى على البشر، وأنه صلى الله عليه وآله خطأ المسلم الذى زعم أن الله اصطفى النبى صلى الله عليه وآله على البشر!! بل زاد فى آخره النهى عن تفضيله صلى الله عليه وآله على نبى الله يونس! وروى بعده مباشرة: (عن النبى (ص) قال: لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى!).

وكرر حديث النهى عن تفضيل أحد على يونس بصيغ مختلفة فى أكثر من عشرة مواضع فى: ٤/١٢٥ و ١٣٢ بروايتين، و: ٥/١٩٣ و: ٦/٣٠ و: ٨/٢١٣ و: ٥/١٨٥ و: ٦/٣١ وفى الإخيرتين: من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب! والمقصود به أن لا يفضل أحد نبينا صلى الله عليه وآله على يونس عليه السلام!

أما السبب فهو تعريف القرشيين بنبينا صلى الله عليه وآله وأنه كيونس لم يصبر على قومه بل ذهب مغاضباً منهم، وهاجر إلى المدينة واستعان عليهم بالأنصار!

وإلا فلا معنى لروايته أصلاً، أو روايته فى سياق تفضيل موسى على نبينا صلى الله عليه وآله!!

الانبياء عند البخارى عصبون كما فى التوراة

روى البخارى أن الأنبياء عليهم السلام غير معصومين عن الغضب المفرط انتقاماً لأنفسهم! فى حديثين فى نبى قرصته نمل، فغضب وأحرق قرية النمل بالنار، قال فى: ٤/٢٢: (قرصت نمل نبياً من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرق، فأوحى الله إليه إن قرصتك نمل أحرق أمه من الأمم تسبح الله!!) وكرره فى: ٤/١٠٠!!

قرشيات البخارى فى الطعن بنبينا أسوأ من إسرائيلياته

عندما يصل البخارى إلى نبينا صلى الله عليه وآله تنضم قرشياته إلى إسرائيلياته، وتتعاونان فى طعن قريش المبطن فى عصمة نبينا صلى الله عليه وآله وشخصيته!!

تزعم هذه القرشية أن النبى صلى الله عليه وآله من الأساس لم يكن على يقين من بعثته، بل كان فى شك وحيرة! ثم لما أطمأن بنبوته وتأخر عليه الوحي، قرر أن ينتحر!!

وهو ثانياً غير معصوم حتى فى تبليغ رسالته ربه، فقد غلبه الشيطان فخان الرسالة وغير القرآن واستبدل ذم أصنام قريش اللات والعزى ومناة بمدحها، وسجد لها هو والمشركون، فعبد الأصنام وكفر برب العالمين!

وهو ثالثاً، ليس أفضل من أنبياء بني إسرائيل، فموسى على عيوبه ومعاصيه أفضل منه، ويونس على تركه لقومه ومغاضبته خير منه، وعيسى خير منه!!

وهو رابعاً، عصبى المزاج سئ الإخلاق مع المسلمين، غير مسدد في منطقته، ولذا ينطق عن الهوى ويسب ويشتم ويلعن بغير حق، وهو غير مسدد في عمله فقد يؤذى ويجلد الناس ظلماً وعدواناً!

وهو خامساً، ساذج ضعيف الشخصية والتدبير، يقع في أخطاء فظيعة، فيصححها له عمر وينزل الوحي موبخاً له مؤيداً لعمر! وهو سادساً، ظلم قريشاً في بدر وأخذ منهم أسرى بغير حق، وأخذ من الأسرى فدية حتى أطلقهم، فعاقبه الله بهزيمته وكسر رباعيته في أحد!

وهو سابعاً، غير مسدد في حكمه وقضائه بين المسلمين، فقد يقضى لشخص بالباطل لأنه حاذق في كلامه!

وهو ثامناً، ينهى عن الأمر ويرتكبه، فقد نهى المسلمين عن التمني وقول (لو) لكنه تمنى وقالها مرات!

وهو تاسعاً، صاحب ذهن عادي، ينسى كثيراً، فقد نسى أنه جُنِبَ لم يغتسل وبدأ في صلاته! وقد نسى عدد ركعات الصلاة ونقص منها! وقد أخطأ في قراءة القرآن في صلاته فصححها له بدوى!

وهو عاشراً، غلب عليه المرض في آخر حياته فأخذ يهذى وطلب من المسلمين أن يأتوه بدواة وقرطاس ليكتب لهم كتاباً يؤمنهم من الاختلاف والضلال إلى يوم القيامة، فرفض ذلك عمر وقال نبيكم غلب عليه الوجد، وأيده أكثر الحاضرين، ومنعوه من كتابته ذلك العهد!

كما كان يغمى عليه في مرضه ويفيق، فأحس بأنهم يريدون أن يسقوه دواء إذا أغمى عليه (يلدوه)، فنهاهم عن ذلك فلم تسمع كلامه عائشة وحفصة كلامه ولدته، فلما أفاق غضب عليهم وأمرهم أن يشربوا من ذلك الدواء كلهم، إلا بنى هاشم!

وأخيراً تقول عائشة إنه سُحِرَ ففقد ذاكرته، وبقي لسته أشهر مسحوراً يخيلُ إليه أنه فعل الشيء وهو لم يفعله، وأنه أتى زوجته ولم يأتها!

روايات البخارى المشينه فى سلوك نبينا

أما إذا وصل الحديث إلى سلوك النبى الشخصى صلى الله عليه وآله، فترى فى البخارى الأعاجيب! فهو مفرط فى الجنس، يأتى نساءه التسعة فى ليلة واحدة، ويباشر زوجته وهى حائض، ويتبدل تبديلاً لا يناسب وجيهاً اجتماعياً عادياً، فيبول وهو واقف، ويستقبل ضيوفه وهو مضطجع، ويستمتع الغناء، ويشرب النبيذ!

أما عمر بن الخطاب فكان محافظاً أكثر منه، حيث قال له أحجب نساءك فلم يفعل، فأنزل الله آية الحجاب، وأمره بما أمره به عمر! وتجد فى البخارى أنه صلى الله عليه وآله كان مغرماً بزوجه له اسمها عائشة، يفضلها على كل زوجاته، فكان يستمتع معها الغناء من جاريتين تغنيان لهما، ويحملها على كتفه ويضع خده على خدها لتشاهد من شباك الغرفة رقص الأحباش، ويأخذها معه فى غزواته، وربما ترك جيشه وسابقها، وقد سبقها مرة وسبقته مرة، فتعادلا!

وقد روت عنه عائشة مئات الأحاديث، فيها قصص حياتهما الشخصية، مما لا يناسب زوجين مسلمين محافظين!!

إلى غير ذلك من مطاعن البخارى فى نبينا صلى الله عليه وآله التى لو أفضنا فيها لخرجنا عن قصد هذا الكتاب، فنكتفى بالتعداد، وتفصيل بعضها!

البخارى يفتح صحيحه بالطعن فى نبوة نبينا

صدر البخارى صحيحه بحديث بدء الوحي وكرره فى أجزاء كتابه مرات، فروى عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وآله لم يبعث نبياً فى جو واضح، ولا رأى جبرئيل بالأفق المبين كما قال تعالى: وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ. وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ. إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ

ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ. مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ. وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ. وَقَدْ رَأَاهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ. وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ. وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ. فَأَيُّنَ تَدَّهَبُونَ. إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ. وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ. (التكوير: ١٧-٢٩)

يقول البخارى كلا! فقد كان الأفق غائماً وكانت النبوة مشكوكه! والذي جاء للنبي صلى الله عليه وآله أشبه بكابوس منه بملكك، وكان تعامله معه وحشياً! فقد أمره أن يقرأ، ولم يقبل عذره بأنه لا يعرف القراءة، فغطه غطاً عنيماً ثلاث مرات!! أى أمسكه، وخبزه بالأرض، وعجنه!!

والأهم من ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله لم يعرف جبرئيل، ولا فهم كلامه ولا ما يريد منه! وعاد إلى منزله في مكة مرعوباً فشكى إلى زوجته خديجة عليها السلام فطمأنته، لكنها بقيت هي في شك! فأخذت زوجها إلى ورقة بن نوفل، وهو قسيس عجوز من قبيلتها بنى زهرة، وعرضت عليه مشكلة زوجها، فسأله ورقة وأجابه، فطمأنه بأن الذي جاءه هو جبرئيل، وأنه فعلاً قد بعث نبياً!!

لكن النبي صلى الله عليه وآله لم يطمئن، خاصة بعد أن انقطع عنه الوحي! فقرر أن يلقي بنفسه من رأس جبل شاهق ويتحرر! وذهب مراراً إلى رؤوس الجبال، لكنه كلما ذهب إلى رأس جبل ليتحرر، كان جبرئيل يأتيه ويمنعه من ذلك!!

قال بخارى في صحيحه: ٨/٦٧: (باب التعبير وأول ما بدئ به رسول الله (ص) من الوحي.. عن عائشة أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها، حتى فجأه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فيه فقال: اقرأ، فقال له النبي (ص): ما أنا بقارئ، قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد! ثم أرسلني فقال: اقرأ! فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد! ثم أرسلني فقال: اقرأ! فقلت: ما أنا بقارئ الثالثة حتى بلغ مني الجهد! ثم أرسلني فقال: اقرأ باسم ربك! ثم أرسلني فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق، حتى بلغ ما لم يعلم.

فرجع بها ترجف بواديه حتى دخل على خديجة فقال: زمّلوني زمّلوني، فزمّلوه حتى ذهب عنه الروع! فقال يا خديجة مالي؟! وأخبرها الخبر وقال: قد خشيت على نفسي! فقالت له: كلا، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهو ابن عم خديجة أخو أبيها، وكان امرأ تنصّر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبري فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمى، فقالت له خديجة: أى ابن عم إسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: ابن أخى ماذا ترى؟ فأخبره النبي (ص) ما رأى فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، يا ليتنى فيها جذعاً أكون حياً حين يخرجك قومك؟ فقال رسول الله: أو مخرجي هم؟ فقال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم ينشب ورقة أن توفي!

وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي (ص) فيما بلغنا حزناً غداً منه مراراً كي يتردى من رؤس شواهد الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقي منه نفسه تبدى له جبريل فقال يا محمد إنك رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غداً لمثل ذلك! فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك!!

نعم لقد افتتح البخارى بهذه الخرافة: ١/٢ وكررها في: ٤/١٢٤، و٦/٨٨!!

غرائق قريش و محاولات التنطية على البخارى

الغرائق جمع غرنوق، وهو طائر أبيض من طيور الماء يشبه الكركى، يعلو في طيرانه. وقد شبهت به قريش أصنامها الخاصة بها: اللات والعزى ومناة، ووصفتها بالغرانيق العلى، لأن مقامها عند الله يزعمهم مقام عال كطائر الغرنوق! (النهاية: ٣/٣٦٤، والعين: ٤/٤٥٨، ولسان العرب: ١٠/٢٨٧).

قال الرازي في تفسيره: ٢٤/١٢: (والغرائق تصعد في الجو جداً عند الطيران، فإن حجب بعضها عن بعض ضباب أو سحاب، أحدثت عن أجنحتها حفيفاً مسموعاً يلزم به بعضها بعضاً، فإذا نامت على جبل فإنها تضع رؤوسها تحت أجنحتها، إلا القائد فإنه ينام مكشوف الرأس، فيسرع انتباهه وإذا سمع جرساً صاح). انتهى.

وقد كان موقف النبي صلى الله عليه وآله من الأصنام من أول بعثته موقفاً صريحاً حاسماً لا مساومة فيه، رافضاً لها كلها، داعياً إلى عبادة رب العالمين وحده لا شريك له، وكانت سور القرآن تتوالى مهاجمة الأصنام وعبادها، مسفهاً أحلامهم، حتى قال القرشيون: إن محمداً قد سب آلهتنا وسفه أحلامنا!

في ذلك الجو نزلت سورة النجم بعد أكثر من عشرين سورة من القرآن، كلها صريحة في رفض الأصنام، ومنها سورة الكافرون، وقل هو الله أحد! لكن سورة النجم تميزت بأنها ذمّت أصنام قريش الثلاثة بأسمائها، فقال الله تعالى: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْاٰخَرَىٰ. أَلَكُمُ الدَّكْرُ وَلَهُ الْاٰثْنَىٰ. تِلْكَ اِذَا قَسَمْتَ ضَيْزَىٰ. اِنْ هِيَ اِلَّا اَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا اَنْتُمْ وَاَبَاؤُكُمْ مَا اَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطٰنٍ اِنْ يَتَّبِعُونَ اِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوٰى الْاَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدٰى. (١٩-٢٣) فكان ذلك إعلاناً بتسفيه أصنام قريش (اللات والعزى ومناة) وإسقاطها إلى الأبد!

ومن الطبيعي أن يكون تأثير ذلك على قريش كبيراً، وأن يثير كبرياءها وردة فعلها العنيف، وهذا ما حدث بالفعل حتى وصلت إلى قرار قتل النبي صلى الله عليه وآله، فأجابه الله بالهجرة.

في هذا السياق القطعي من السيرة لا يمكننا أن نفسر قصة الغرائق إلا بأنها ردة فعل قرشية، وأن أصلها أن أحد المشركين القرشيين أجاب على ذم أصنام قريش في سورة النجم: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْاٰخَرَىٰ، أَلَكُمُ الدَّكْرُ وَلَهُ الْاٰثْنَىٰ، تِلْكَ اِذَا قَسَمْتَ ضَيْزَىٰ، اِنْ هِيَ اِلَّا اَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا اَنْتُمْ وَاَبَاؤُكُمْ مَا اَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطٰنٍ اِنْ يَتَّبِعُونَ اِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوٰى الْاَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدٰى. فقام بتحريفها إلى مدح للأصنام وقال: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ تِلْكَ الْغَرٰنِيقُ الْعَلِىٰ، وَاِنْ شَفَاعَتُهُنَّ لَتَرْجِىٰ! فَأَعْجَبَ ذَلِكَ الْقُرَشِيِّينَ وَتَمَنَوْا لَوْ اَنْ الْقُرْآنَ قَالَ هٰذَا الْمَدِيْحُ فِى اٰلِهَتِهِمْ، بَدَلَ ذَمِّهَا وَذَمِّهَا!

ومن المؤكد أن قصة الغرائق وضعها رواة قريش بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، ولم يكن لها عين ولا أثر في سيرته صلى الله عليه وآله في مكة، وإلا لرفعها المشركون علماً، وطبل بها اليهود وزمروا!

لكن السؤال ما هو غرض طلقاء قريش من ترويح هذه القصة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله ونسبتها اليه مع أن أصنامهم انتهت وهدمت، وتبرؤوا منها ودخلوا في الإسلام تحت السيف ثم رضوا به؟!!

الجواب: أن الغرض منها إثبات أن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن معصوماً عصمة مطلقه حتى تكون كل تصرفاته وأقواله حجة، بل كان يخطئ حتى في تبليغ الوحي! وبذلك يمكن تبرير مخالفة الخلفاء والسلطة لأوامره صلى الله عليه وآله!

فالمهم عندهم تبرير مخالفة النبي صلى الله عليه وآله وليكن ثمن ذلك قصة الغرائق التي تزعم أنه صلى الله عليه وآله ارتكب خيانة في نص القرآن والعياذ بالله، وكفر ومدح أصنام قريش لكي ترضى عنه، وسجد لها وسجد معه مشايخ قريش وكل من كان في المسجد، وزاد البخارى أن كل الإنس والجن سجدوا يومها!!

وزادت الرواية المزعومة أن زعماء قريش طاروا فرحاً بخيانة النبي صلى الله عليه وآله في نص القرآن، وطبعي أن يطير المستشرقون فرحاً بهذه القصة!!

وأخيراً المرتد سلمان رشدي والحكومات الغربية!!

البخارى يروى قرية الغرائق في ست مواضع

روى البخارى: ٢/٣٢: (عن عبد الله (رض) قال قرأ النبي (ص) النجم بمكة فسجد فيها وسجد من معه، غير شيخ أخذ كفاً من حصي أو

تراب ورفعته إلى جبهته وقال يكفيني هذا، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً...

وعن عبد الله (رض) أن النبي (ص) قرأ سورة النجم فسجد بها، فما بقي أحد من القوم إلا سجد، فأخذ رجل من القوم كفاً من حصى أو تراب فرفعه إلى وجهه وقال يكفيني هذا، فلقد رأيته بعد قتل كافراً...

وعن ابن عباس (رض) أن النبي (ص) سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون، والجن والإنس! ورواه ابن طهمان عن أيوب. وفي: ٤/٢٣٩: (عن عبد الله (رض) قال: قرأ النبي (ص) النجم فسجد، فما بقي أحد إلا سجد إلا رجل رأته أخذ كفاً من حصى فرفعه فسجد عليه وقال: هذا يكفيني، فلقد رأيته بعد قتل كافراً بالله). وفي: ٥/٧: بنحوه.

وفي: ٦/٥٢: (قال فسجد رسول الله (ص) وسجد من خلفه إلا رجلاً رأته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً، وهو أمية بن خلف). انتهى. فهذه ست روايات رواها البخاري على الأقل.

ورواه مسلم بنحوه في: ٢/٨٨، ورواه في: ٦/٥٢، وسمى الذي سجد بأنه أمية بن خلف).

وقال الحاكم في المستدرک: ١/٢٢١: (عن عبد الله قال: أول سورة قرأها رسول الله صلى الله عليه وآله على الناس الحج، حتى إذا قرأها سجد فسجد الناس، إلا رجل أخذ التراب فسجد عليه فرأيته قتل كافراً. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين بالإسنادين جميعاً، ولم يخرجاه إنما اتفقا على حديث شعبه عن أبي إسحاق عن الأسود عن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وآله قرأ والنجم، فذكره بنحوه، وليس يعلى أحد الحديثين الإخيرين، فإنني لأعلم أحداً تابع شعبه على ذكره النجم، غير قيس بن الربيع. والذي يؤدي إليه الإجتهد صحة الحديثين، والله أعلم).

ومعنى كلام الحاكم: أنه كان الأولى بالبخاري ومسلم أن يرويا السجود في سورة الحج لأنها أصح، ولكنهما تركاها ورويا السجود في سورة النجم!!

وقال البيهقي في سننه: ٢/٣١٤: (عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي (ص) سجد فيها يعنى والنجم، وسجد فيها المسلمون والمشركون والجن والإنس. رواه البخاري في الصحيح عن أبي معمر وغيره عن عبد الوارث.

وصححه في مجمع الزوائد: ٧/١١٥، قال: (أَفْرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ... عن ابن عباس فيما يحسب سعيد بن جبير، أن النبي (ص) كان بمكة، فقرأ سورة والنجم حتى انتهى إلى: أَفْرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى، فجرى على لسانه: تلك الغرائق العلى الشفاعة منهم ترتجى. قال: فسمع بذلك مشركو أهل مكة فسروا بذلك فاشتد على رسول الله (ص) فأنزل الله تبارك وتعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسِيخُ اللَّهُ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ. رواه البزار والطبراني... ورجالهما رجال الصحيح، إلا أن الطبراني قال: لا أعلمه إلا عن ابن عباس عن النبي (ص) وقد تقدم حديث مرسل في سورة الحج أطول من هذا، ولكنه ضعيف الإسناد).

ويقصد بالحديث المرسل الحديث الذي يضعفه بابن لهيعة وقد وثقه عدد من علمائهم، وله شواهد صحيحة تجعله حسناً، وهو في مجمع الزوائد: ٧/٧٠، وفيه:

(حين أنزل الله السورة التي يذكر فيها والنجم إذا هوى، فقال المشركون: لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أقرناه وأصحابه، فإنه لا يذكر أحداً ممن خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل الذي يذكر به آلهتنا من الشتم والشر. فلما أنزل الله السورة التي يذكر فيها والنجم وقرأ: أَفْرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى، ألقى الشيطان فيها عند ذلك ذكر الطواغيت، فقال: وإنهم من الغرائق العلى وإن شفاعتهم لترتجى، وذلك من سجع الشيطان وفتنته فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك، وذلقت بها ألسنتهم واستبشروا بها، وقالوا: إن محمداً قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه، فلما بلغ رسول الله (ص) آخر السورة التي فيها النجم سجد وسجد معه كل من حضره من مسلم ومشرك، غير أن الوليد بن المغيرة كان كبيراً فرفع ملء كفه تراب فسجد عليه، فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم في السجود لسجود رسول الله (ص)، فأما المسلمون فعجبوا من سجود المشركين من غير إيمان ولا يقين، ولم يكن المسلمون

سمعوا الذي ألقى الشيطان على ألسنة المشركين. وأما المشركون فاطمأنت أنفسهم إلى النبي (ص) وحدثهم الشيطان أن النبي (ص) قد قرأها في السجدة فسجدوا لتعظيم آلهتهم، ففشت تلك الكلمة في الناس وأظهرها الشيطان حتى بلغت الحبشة! فلما سمع عثمان بن مظعون وعبدالله بن مسعود ومن كان معهم من أهل مكة أن الناس أسلموا وصاروا مع رسول الله (ص)، وبلغهم سجد الوليد بن المغيرة على التراب على كفه، أقبلوا سراعاً فكبر ذلك على رسول الله (ص) فلما أمسى أتاه جبريل عليه السلام فشكا إليه، فأمره فقرأ له، فلما بلغها تبرأ منها جبريل! وقال: معاذ الله من هاتين ما أنزلهما ربي ولا أمرني بهما ربك! فلما رأى ذلك رسول الله (ص) شق عليه وقال: أطعت الشيطان وتكلمت بكلامه وشركني في أمر الله! ففسخ الله ما يلقي الشيطان وأنزل عليه: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ). الحج: ٥٢-٥٣ فلما برأه الله عز وجل من سجع الشيطان وفتنته، انقلب المشركون بضلالهم وعداوتهم. فذكر الحديث وقد تقدم في الهجرة إلى الحبشة. رواه الطبراني مرسلًا وفيه ابن لهيعة، ولا يحتمل هذا من ابن لهيعة).

وقد أورد السيوطي قصة الغرائق بعدة طرق بعضها صحيح في الدر المنثور: ٤/١٩٤ وقال في ص ٣٦٦: (وأخرج البزار، والطبراني، وابن مردويه، والضياء في المختارة بسند رجاله ثقات، من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: إن رسول الله (ص) قرأ: أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى! ففرح المشركون بذلك وقالوا: قد ذكر آلهتنا. فجاء جبريل فقال: إقرأ على ما جئتك به، فقرأ: أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى! فقال: ما أتيتك بهذا! هذا من الشيطان فأنزل الله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى.. إلى آخر الآية. وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه، بسند صحيح عن سعيد بن جبير...!!). انتهى.

بهذا يتبين لك أن حديث الغرائق أو الآيات الشيطانية رواها البخاري ومسلم وغيرهما بأسانيد صحيحة، فكل هؤلاء يتحملون وزرها! ويتبين لك بطلان دعوى من قال إن الواقدي تفرد بها وأن الصحاح لم تروها!! ويتبين لك مصيبة أن بعض الحفاظ يكذبون ليغطوا على البخاري!!

قال ابن كثير في تفسيره: قد ذكر كثير من المفسرين هنا قصة الغرائق وما كان من رجوع كثير من مهاجرة الحبشة ظناً منهم أن مشركي قريش قد أسلموا، ولكنها من طرق كلها مرسله، ولم أرها من وجه صحيح.

وقال القسطلاني في شرح البخاري: وقد طعن في هذه القصة وسندها غير واحد من الأئمة حتى قال ابن إسحاق وقد سئل عنها: هي من وضع الزنادقة. وقال القاضي عياض: إن هذا حديث لم يخرج أحد من أهل الصحة ولا رواه أحد بسند متصل، وإنما أوع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون عن الصحف كل صحيح وسقيم!

ونقل عن أبي بكر بن العربي الإمام المالكي: إن جميع ما ورد في هذه القصة لا أصل له!! (هامش عصمة الأنبياء للرازي ص ٩٤). وذكر عبد الله النعيم في كتابه الإستشراق في السيرة النبوية - نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٤١٧، أن المصادر التي روت حديث الغرائق هي: طبقات ابن سعد: ١/٢٠٥، وتاريخ الطبري: ٢/٢٢٦، وتاريخ ابن الأثير: ٢/٧٧، وسيرة ابن سيد الناس: ١/١٥٧. وقال في ص ٩٧: (يعتبر الواقدي أول من روج لهذه الفرية، ثم أخذها عنه ابن سعد والطبري وغيرهم).

ونقل في ص ٩٣ نقد القرضاوي في كتابه كيف نتعامل مع السنة النبوية، وجاء فيه: (ومعنى هذا أن تفهم السنة في ضوء القرآن، ولهذا كان حديث الغرائق مردوداً بلا ريب، لأنه منافٍ للقرآن). انتهى.

وقال في ص ٩٨: (ولم يرو ابن إسحاق وابن هشام هذه الواقعة إطلاقاً. ومهما يكن من أمر فالواقدي هو أصلها. إن ما يدعو للتساؤل هو: كيف أمكن تمرير هذه الواقعة مع علم أصحابها بعصمة الرسل؟!). انتهى. ثم نقل نقد القاضي عياض في كتابه الشفا لحديث الغرائق سنداً وممتناً.

وكلامهم يشبه بعضه في تبرئة البخارى من الغرائق!! ولكن عدداً منهم يعرفون أن البخارى روى فريه الغرائق بأكثر من روايه، ورويتها صحاحهم بطرق متعددة، يكثر فيها الإسناد الصحيح!

غايه الأمر أن البخارى ومن شاكلة حذفوا منها إسم الغرائق وأبقوا سجود النبي صلى الله عليه وآله المزعزم بعد مدحه لأصنام قريش وسجود المشركين معه، وقد سموا من زعماء المشركين الذين سجدوا أمية بن خلف، وأبا أحيحة وهو سعيد بن العاص! وهم يعرفون أن سجود المشركين بعد سماع القرآن لم ينقله مصدر على الإطلاق، فى أى قصة على الإطلاق، إلا قصة الغرائق! لذلك من حقنا أن نشك فى أمانة الناقلين لرواية البخارى والصحاح لها، كالذين تقدم كلامهم، وكالفخر الرازى عندما قال فى تفسيره: ٢٣/٤٩:

(وأيضاً فقد روى البخارى فى صحيحه أن النبي (ص) قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون والإنس والجن، وليس فيه حديث الغرائق! وروى هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها البتة حديث الغرائق!!)

تناقض الفخر الرازى فى حديث الغرائق

وقد بحث الفخر الرازى هذه الفريه فى كتابه عصمة الأنبياء عليهم السلام وفى تفسيره: ٢٣/٤٩، فدافع عن النبي صلى الله عليه وآله ونفاها عنه، ودافع عن البخارى وغيره من صحاحهم! ثم عاد فى أواخر تفسيره واتهم بها النبي صلى الله عليه وآله!! قال فى عصمة الأنبياء عليهم السلام ص ٩٣:

(الشبهة الثانية: تمسكوا بقوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. قالوا إن ظاهر الآية يدل على أن الشيطان ملق فى قراءة الأنبياء عليه السلام ما يؤدى إلى الشبهة، فإذا جوزنا ذلك ارتفع الوثوق!

روى أنه (ص) شق عليه ما رأى من مباحثهم عما جاءهم به، فتمنى فى نفسه أن يأتيه من الله تعالى ما يقارب بينه وبين قومه، وذلك لحرصه على إيمانهم، فجلس ذات يوم فى ناد من أنديه قريش كثير أهله، وأحب يومئذ أن لا يأتيه شىء من الله فينفروا عنه، وتمنى ذلك فأنزل الله تعالى: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، فقرأ رسول الله (ص): أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى، ألقى الشيطان على لسانه ما كان يحدث به نفسه ويتمناه: تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى! فلما سمعت قريش ذلك فرحوا ومضى رسول الله (ص) فى قراءته فقرأ السورة كلها وسجد فى آخرها، فسجد المسلمون وسجد جميع من فى المسجد من المشركين، فلم يبق فى المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد، إلا الوليد بن المغيرة، وأبو أحيحة سعيد بن العاص، فإنهما أخذتا حفنة من البطحاء ورفعها إلى جبهتهما وسجدا عليها، لأنهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود!

وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا وقالوا: قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر! فلما أمسى رسول الله (ص) أتاه جبريل عليه السلام وقال: ما ذا صنعت؟ تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله، وقلت ما لم أقل لك؟! فحزن رسول الله (ص) حزناً شديداً وخاف من الله خوفاً كثيراً، فأنزل الله هذه الآية!!

الجواب الذى يدل على أنه عليه السلام ما غير وما بدل وجوه خمسة:

الأول: قوله تعالى: وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ. الثانى: وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنْتَ بَقْرَانٌ غَيْرٌ هَذَا أَوْ يَدْبُكُ قُلُوبٌ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَدْبُكُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَى إِلَيَّ. الثالث: وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرَى عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخْذُوكَ خَلِيلاً. ولولا أن تبنتناك لقد كدت تركزن إليهم شيئاً قليلاً. الرابع: كَذَلِكَ لِنُبَيِّنَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً. الخامس: قوله: سُنُقِرُكَ فَلَا تَنْسَى.

وإذا ثبت ما ذكرناه فلنشرع فى الجواب عن الشبهة فنقول:

التمنى، جاء في اللغة لأمرين: أحدهما تمنى القلب، والثاني التلاوة، قال الله تعالى: وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّا، أى إلا قراءة...

إذا عرف ذلك فنقول: من المفسرين من حمل الآية على تمنى القلب، والمعنى أن النبي متى تمنى بقلبه بعض ما يتمناه من الأمور يوسوس الشيطان إليه بالباطل ويدعوه إلى ما لا ينبغي، ثم إن الله تعالى ينسخ ذلك ويبطله، ويأتيه بما يرشده إلى ترك الالتفات إلى وسوسته.

وهذا ضعيف، لأنه لو كان كذلك لم يكن ما يخطر بباله فتنه للكفار، وذلك يبطله قوله تعالى: لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةُ قُلُوبَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ.. الآية: فثبت أن المراد بالتمنى القراءة، ثم اختلف الذاهبون إلى هذا التأويل على وجوه....

فإن قلت: لعله قد ذكر ذلك استفهاماً على سبيل الإنكار؟

قلت: هب أنه كذلك لكن قراءته في أثناء قراءة القرآن مع كونه على ذلك الوزن توهم كونه منه، فيعود المحذور المذكور. أما السهو فغير جائز أيضاً، لأنه لو جاز وقوع السهو هاهنا لجاز في غيره وحينئذ ترتفع الثقة بالشرع! ولأن الساهى لا يجوز أن يقع منه مثل هذه الألفاظ مطابقة لوزن هذه السورة وطريقتها ومعناها، فإننا نعلم بالضرورة أن واحداً لو أنشد قصيدة لما جاز أن يسهو حتى يتفق فيه بيت شعر في وزنها ومعناها وطريقتها.

الثالث، أن يكون الشيطان أجبر النبي (ص) على التكلم، وهذا أيضاً فاسدٌ لوجوه ثلاثة.....

الخامس، أن المتكلم بذلك بعض الكفرة، فإنه عليه الصلاة والسلام لما انتهى من قراءة هذه السورة إلى هذا الموضع وذكر أسماء آلهتهم وقد علموا من عاداته أنه يعيها، فقال بعض من حضر من الكفار: تلك الغرائق العلاء، فاشتبه على القوم، لأنهم كانوا يغطون عند قراءته ويكثرون من الكلام طلباً لتغليظه وإخفاء قراءته. وممكن أن يكون أيضاً في الصلاة لأنهم كانوا يقربون منه في حال الصلاة ويسمعون قراءته ويلغون فيها، وقيل: إنه عليه الصلاة والسلام كان إذا تلا القرآن على قريش توقف في فصول الآيات، فألقى بعض الحاضرين ذلك الكلام في تلك الوقعات فتوهم القوم أنه من قراءته عليه الصلاة والسلام، ثم أضاف الله ذلك إلى الشيطان لأنه بوسوسته حصل، أو لأنه جعل ذلك المتكلم شيطاناً.....

ولقائل أن يقول: إذا جوزتم أن يتكلم الشيطان في أثناء كلام الرسول عليه الصلاة والسلام بما يشبهه على كل السامعين حتى يظنوه كلاماً لرسول الله (ص) بقى هذا الإحتمال في كل ما يتكلم به الرسول (ص) فنفضى إلى ارتفاع الوثوق عن كل الشرع!

الجواب: أن ذلك الإحتمال قائم، ولكنه لو وقع لوجب في حكمه الله تعالى أن يشرح الحال فيه كما في هذه الواقعة إزالةً للتلبس..... السادس، أن المراد بالغرائق الملائكة، وقد كان ذلك قرآناً منزلاً في وصف الملائكة، فلما توهم المشركون أنه يريد آلهتهم نسخ الله تلاوته!! انتهى.

والتهافت في دفاع الرازي واضح، فقد نفى أولاً أن يكون النبي صلى الله عليه وآله غير أو بدل في قراءته فقال: (الجواب الذي يدل على أنه عليه السلام ما غير وما بدل...)، لكنه عاد وفسر آية: أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ، بذلك! وضعف الإحتمالات التي تنزه النبي صلى الله عليه وآله أو سكت عنها، كالوجه الخامس الذي استفاده من الشريف المرتضى!

أما في تفسيره الكبير، فقد بدأ قوياً في استدلاله، لكنه ضعف في ختام كلامه، وعاد إلى تبني اتهام قومه القرشيين للنبي صلى الله عليه وآله، وينبغي أن تعرف أن الفخر الرازي قرشي تيمى، من عشيرة أبي بكر وقيل من ذريته!

قال في الجزء ٢٣/٤٩: (المسألة الثانية: ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية أن الرسول (ص) لما رأى إعراض قومه عنه وشق عليه ما رأى من مبادئهم عما جاءهم به تمنى.... إلى آخر ما ذكره في كتاب العصمة، ثم قال:

هذا رواية عامة المفسرين الظاهريين، أما أهل التحقيق فقد قالوا هذه الرواية باطلة موضوعه واحتجوا عليه بالقرآن والسنة والمعقول.

أما القرآن فوجوه...وأورد الآيات المتقدمة وغيرها، ثم قال:

وأما السنّة فهي ما روى عن محمد بن إسحاق بن خزيمة أنه سئل عن هذه القصّة فقال: هذا وضع من الزنادقة، وصنف فيه كتاباً. وقال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: هذه القصّة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم في أن رواة هذه القصّة مطعون فيهم.

وأيضاً فقد روى البخارى في صحيحه أن النبي(ص)قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون والإنس والجن، وليس فيه حديث الغرائيق. وروى هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها البتة حديث الغرائيق. وأما المعقول فمن وجوه:

أحدها: أن من جوز على الرسول(ص)تعظيم الأوثان فقد كفر لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفي الأوثان. وثانيها: أنه عليه السلام ما كان يمكنه في أول الأمر أن يصلى ويقرأ القرآن عند الكعبة آمناً أذى المشركين له حتى كانوا ربما مدوا أيديهم إليه وإنما كان يصلى إذا لم يحضروها ليلاً أو في أوقات خلوة وذلك يبطل قولهم

وثالثها: أن معاداتهم للرسول كانت أعظم من أن يقرؤا بهذا القدر من القراءة دون أن يقفوا على حقيقة الأمر فكيف أجمعوا على أنه عظم آلهتهم حتى خروا سجداً مع أنه لم يظهر عندهم موافقته لهم.

ورابعها: قوله: **فَيَنْسِخُ اللَّهُ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ**، وذلك لأن إحكام الآيات بإزالة ما يلقيه الشيطان عن الرسول أقوى من نسخه بهذه الآيات التي تبقى الشبهة معها، فإذا أراد الله إحكام الآيات لئلا يلتبس ما ليس بقرآن قرآناً، فبأن يمنع الشيطان من ذلك أصلاً، أولى.

وخامسها: وهو أقوى الوجوه أنا لو جوزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعه وجوزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك ويبطل قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**، فإنه لا فرق في العقل بين النقصان عن الوحي وبين الزيادة فيه. فبهذه الوجوه عرفنا على سبيل الإجمال أن هذه القصّة موضوعة. أكثر ما في الباب أن جمعاً من المفسرين ذكروها، لكنهم ما بلغوا حد التواتر، وخبر الواحد لا يعارض الدلائل النقلية والعقلية المتواترة...). انتهى.

أقول: إلى هنا يبدو الرازي منسجماً، فقد وافق محمد بن إسحاق صاحب السيرة على أن القصّة فريئة من وضع الزنادقة القرشيين على النبي صلى الله عليه وآله بأنه مدح أصنامهم وسجد لها، وسجد معه القرشيون، وكل من في المسجد!

لكن الرازي دخل مدخلاً صعباً في الدفاع عن البخارى وبقية مصادرهم التي روتها بطرق متعددة وصححتها! وادعى أن البخارى لم يرو حديث الغرائيق، مع أنه رواه وحذف منها إسم الغرائيق، كما رأيت!

ثم دخل الرازي مدخلاً أصعب في تفسير قوله تعالى: **(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسِخُ اللَّهُ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)**، لأنه اقتفى أثر مفسرى السلطنة القرشيه وحبس نفسه بتفسير أُمْنِيَّتِهِ بذهن النبي صلى الله عليه وآله وقراءته للقرآن!

بينما التمني أمر ذهني، لكن الأُمْنِيَّة قد تكون ذهنية، وقد تكون خارجية، وهي في الآية خارجية، وإلقاء الشيطان إنما هو في الأُمْنِيَّة الخارجية، وليس في ذهن النبي صلى الله عليه وآله:

ونلاحظ أن كلام الرازي الطويل بلا طائل، فقد قال:

(ولنشرع الآن في التفصيل فنقول التمني جاء في اللغة لأمرين: أحدهما: تمنى القلب والثاني: القراءة)...

ثم أخذ في تعداد الاحتمالات على تفسير الأُمْنِيَّة بالقراءة، وردها جميعاً فقال: (فهذه الوجوه المذكورة في قوله تلك الغرائيق العلاء قد ظهر على القطع كذبها، فهذا كله إذا فسرنا التمني بالتلاوة. وأما إذا فسرناها بالخاطر وتمنى القلب فالمعنى أن النبي(ص)تمنى بعض ما يتمناه من الأمور يوسوس الشيطان إليه بالباطل ويدعوه إلى ما لا ينبغي، ثم إن الله تعالى ينسخ ذلك ويبطله ويهديه إلى ترك الالتفات إلى وسوسته، ثم اختلفوا في كيفية تلك الوسوسة على وجوه.... واختار منها الرابع، وختم بقوله:

(ورابعها: معنى الآية إذا تمنى إذا أراد فعلاً مقرباً إلى الله تعالى ألقى الشيطان في فكره ما يخالفه فيرجع إلى الله تعالى في ذلك وهو كقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ. وكقوله: وأما يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ.

ومن الناس من قال لا يجوز حمل الأمانة على تمنى القلب لأنه لو كان كذلك لم يكن ما يخطر ببال رسول الله (ص) فتنه للكفار وذلك يبطله قوله تعالى: لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةُ قُلُوبَهُمْ. والجواب: لا يبعد أنه إذا قوى التمنى اشتغل الخاطر به فحصل السهو في الأفعال الظاهرة بسببه فيصير ذلك فتنه للكفار. فهذا آخر القول في هذه المسألة). انتهى.

وبذلك ختم الرازي بتبني الفرية على النبي صلى الله عليه وآله بأنه يتمنى فيلقى الشيطان في ذهنه فيشتغل به خاطره، فيحصل له السهو في أفعاله، فيكون ذلك فتنه!!

فأين صار استنكاره لفرية الغرائق، وأنها من وضع الزندقه؟!

بل صرح في تفسيره: ٣٢/١٤١، بنسبة الكفر إلى النبي صلى الله عليه وآله وهو يعدد الفوائد لكلمة "قل" في (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) قال: (الحادي والثلاثون: كأنه تعالى يقول: يا محمد ألسنت أنت الذي قلت: من كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فلا يوقفن مواقف التهم، وحتى أن بعض المشايخ قال لمريده الذي يريد أن يفارقه: لا تخاف السلطان قال: ولم؟ قال: لأنه يوقع الناس في أحد الخطأين، وأما أن يعتقدوا أن السلطان متدين، لأنه يخالطه العالم الزاهد، أو يعتقدوا أنك فاسق مثله، وكلاهما خطأ، فإذا ثبت أنه يجب البراءة عن موقف التهم فسكوتك يا محمد عن هذا الكلام يجر إليك تهمة الرضا بذلك، لاسيما وقد سبق أن الشيطان ألقى فيما بين قراءتك: تلك الغرائق العلى منها الشفاعة ترتجى، فأزل عن نفسك هذه التهمة و: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ! انتهى.

فأين حملة الفخر الرازي على الزنادقة واضعي فرية الغرائق، ونصه على أن النبي صلى الله عليه وآله لم يغيّر في سورة النجم ولم يبدل؟!!

نعوذ بالله من هذه الفرية على سيد الموحدين صلى الله عليه وآله، التي بلغ من تأكيد مصادرهم عليها أنها أوقعت الفخر الرازي وهو العالم المتبحر والفيلسوف المتضلع في هذا التهافت المشين، فنقض ما كتبه يمينه في الجزء الثالث والعشرين، وعمى عن أن سورة الكافرون نزلت بالإتفاق قبل سورة النجم!

قال الزركشي في البرهان: ١/١٩٣: (أول ما نزل من القرآن بمكة إقرأ باسم ربك، ثم والقلم، ثم يأيتها المزمل، ثم المدثر، ثم تبت يدا أبي لهب، ثم إذا الشمس كورت، ثم سبح اسم ربك الأعلى، ثم والليل إذا يغشى، ثم والفجر، ثم والضحى، ثم ألم نشرح، ثم والعصر، ثم والعاديات، ثم إنا أعطيناك الكوثر، ثم ألهاكم التكاثر، ثم رأيت الذي، ثم قل يأيتها الكافرون، ثم سورة الفيل، ثم الفلق، ثم الناس، ثم قل هو الله أحد، ثم والنجم إذا هوى، ثم عبس وتولى...). انتهى. (راجع فهرست ابن النديم/ ٢٨، وتفسير الميزان للطباطبائي: ١٣/٢٣٣)

هذا، وسوف نلقى مزيداً من الضوء على تفسير آية: أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ، في فصل العصمة في القرآن، إن شاء الله تعالى.

القاضي عياض أكثر علماء السنة اعتدالا في عصمة نبينا

قال في الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ٢/١٢٣:

(فصل: وأما أقواله (ص) فقد قامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيها من الأخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به. لا قصداً ولا عمداً، ولا سهواً ولا غلطاً.

أما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله صدق فيما قال، اتفاقاً، وبإتفاق أهل الملة إجماعاً.

وأما وقوعه على جهة الغلط في ذلك، فهذه السبيل عند الأستاذ أبي إسحاق الإسفرائيني ومن قال بقوله.

ومن جهة الإجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبي لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي أبي بكر الباقلاني ومن وافقه، لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة، لا نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب.

فلنعتمد على ما وقع عليه إجماع المسلمين أنه لا يجوز عليه خلف في القول بإبلاغ الشريعة والإعلام بما أخبر به عن ربه وما أوحاه إليه من وحيه، لا على وجه العمد ولا على غير عمد، ولا في حالي الرضا والسخط والصحة والمرض، وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت: يا رسول الله أأكتب كل ما أسمع منك؟ قال: نعم، قلت: في الرضى والغضب؟ قال: نعم فإنى لا أقول في ذلك كله إلا حقاً.

ولنزد ما أشرنا إليه من دليل المعجزة عليه بياناً: فنقول إذا قامت المعجزة على صدقه وأنه لا يقول إلا حقاً ولا يبلغ عن الله إلا صدقاً وأن المعجزة قائمة مقام قول الله له صدقت فيما تذكره عنى، وهو يقول إنى رسول الله إليكم لأبلغكم ما أرسلت به إليكم، وأبين لكم ما نزل عليكم: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا- وَحْيٌ يُوحَىٰ. وَقَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ. وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا. فلا يصح أن يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على أى وجه كان، فلو جوزنا عليه الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولاختلط الحق بالباطل!

فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص، فتبرئ النبي (ص) عن ذلك كله واجب، برهاناً وإجماعاً، كما قاله أبو اسحاق.

فصل: وقد توجهت ههنا لبعض الطاعنين سؤالات:

منها ما روى من أن النبي (ص) لما قرأ سورة والنجم: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى، قال: تلك الغرائق العلى، وإن شفاعتها لترتجى. ويروى ترتضى، وفي رواية إن شفاعتها لترتجى وإنها لمع الغرائق العلى. وفي أخرى والغرائقة العلى تلك الشفاعة ترتجى، فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه أثنى على آلهتهم!

وما وقع في بعض الروايات أن الشيطان ألقاها على لسانه وأن النبي (ص) كان يتمنى أن لو نزل عليه شئ يقارب بينه وبين قومه. وفي رواية أخرى أن لا ينزل عليه شئ ينفرهم عنه، وذكر هذه القصة، وأن جبريل عليه السلام جاءه فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له: ماجتتك بهاتين! فحزن لذلك النبي (ص) فأنزل الله تعالى تسلياً له: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ.. الآية وقوله: وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ.. الآية.

فاعلم أكرمك الله أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين: أحدهما في توهين أصله، والثاني على تسليمه.

أما المأخذ الأول، فيكيفيك أن هذا حديث لم يخرج أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل! وإنما أوع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم، وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال: لقد بلى الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون، مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده واختلاف كلماته، فقائل يقول إنه في الصلاة، وآخر يقول قالها في نادى قومه حين أنزلت عليه السورة، وآخر يقول قالها وقد أصابته سنه، وآخر يقول بل حدث نفسه فيها، وآخر يقول إن الشيطان قالها على لسانه وأن النبي (ص) لما عرضها على جبريل قال ما هكذا أقرأتكم، وآخر يقول بل أعلمهم الشيطان أن النبي (ص) قرأها، فلما بلغ النبي (ص) ذلك قال: والله ما هكذا نزلت.. إلى غير ذلك من اختلاف الرواة.

ومن حُكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين، لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب! وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية، والمرفوع فيه حديث شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: فيما أحسب الشك في الحديث أن النبي (ص) كان بمكة وذكر القصة.

قال أبو بكر البزار: هذا الحديث لانعلمه يروى عن النبي (ص) باسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا، ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد، وغيره يرسله عن سعيد بن جبير، وإنما يعرف عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس. فقد بين لك أبو بكر رحمه الله أنه لا يعرف

من طريق يجوز ذكره سوى هذا، وفيه من الضعف ما نبه عليه، مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه، الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه.

وأما حديث الكلبي فمما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره، لقوة ضعفه وكذبه كما أشار إليه البزار رحمه الله.

والذي منه في الصحيح أن النبي (ص) قرأ والنجم وهو بمكة، فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس). انتهى.

وينبغي أن نحسن الظن بالقاضي عياض بأنه لم يطلع على الطرق والأسانيد الكثيرة لحديث الغرائق، لكن العجب أنه أورد ما رواه البخاري في الصحيح، وهرب منه ولم يعلق عليه بشيء! فهل غاب عليه أن ما رواه البخاري هو حديث الغرائق بعينه وذاته، وأنه لم يُرَوَّ

سجود المشركين مع المسلمين في غيره أبداً؟!!

ثم تابع القاضي عياض توهين حديث الغرائق من جهة دلالة فقال:

(هذا توهينه من طريق النقل، فأما من جهة المعنى فقد قامت الحجة وأجمعت الأمة على عصمته (ص) ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة، إما من تمني أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله، وهو كفر! أو أن يتصور عليه الشيطان ويشبهه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي (ص) أن من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه جبريل عليه السلام وذلك كله ممتنع في حقه (ص)! أو يقول ذلك النبي (ص) من قبل نفسه عمداً وذلك كفر! أو سهواً وهو معصوم من هذا كله! وقد قررنا بالبراهين والإجماع عصمته (ص) من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمداً ولا سهواً، أو أن يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان، أو يكون للشيطان عليه سبيل أو أن يتقول على الله لا عمداً ولا سهواً ما لم ينزل عليه، وقد قال الله تعالى: **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ، الْآيَةُ.** وقال تعالى: **إِذَا لَأَذْقَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ.** الآية.

ووجه ثان، وهو استحالة هذه القصة نظراً وعرفاً، وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روى لكان بعيد الإلتزام متناقض الأقسام، ممتزج المدح بالضم، متخاذل التأليف والنظم، ولما كان النبي (ص) ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك! وهذا لا يخفى على أدنى متأمل، فكيف بمن رجع حلمه، واتسع في باب البيان فصيح الكلام علمه.

ووجه ثالث، أنه قد علم من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لأول وهلة، وتخليط العدو على النبي (ص) لأقل فتنة، وتغييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة، وارتداد من في قلبه مرض ممن أظهر الإسلام لأدنى شبهة، ولم يحك أحد في هذه القصة شيئاً سوى هذه الرواية الضعيفة الأصل، ولو كان ذلك لو جدت قريش بها على المسلمين الصولة، ولأقامت بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة الإسراء، حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة، وكذلك ما روى في قصة القضية (صلح الحديبية)، ولافتنة أعظم من هذه البلية لو وجدت، ولا تشغيب للمعادى حينئذ أشد من هذه الحادثة لو أمكنت.

فما روى عن معاند فيها كلمة، ولا عن مسلم بسببها بنت شفه، فدل على بطلها واجتثاث أصلها، ولا شك في إدخال بعض شياطين الإنس أو الجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به على ضعفاء المسلمين!

ووجه رابع، ذكر الرواة لهذه القضية أن فيها نزلت: **وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ..** الآيتين وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي رووه، لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه حتى يفترى، وأنه لولا- أن ثبته لكاد يركن إليهم، فمضمون هذا ومفهومه أن الله تعالى عصمه من أن يفترى وثبتته حتى لم يركن إليهم قليلاً فكيف كثيراً! وهم يروون في أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون والإفتراء بمدح آلهتهم وأنه قال (ص): (افتريت على الله وقلت ما لم يقل) وهذا ضد مفهوم الآية، وهي تضعف الحديث لو صح، فكيف ولا صحة له؟!). انتهى.

ثم ذكر عياض الوجوه التي ذكرها علماءهم لتوجيه حديث الغرائق، وضعف أكثرها، وبذلك تنزل وفتح الباب لاحتمال صحته، وهو أضعف الإيمان!

انتقد الباحث السوداني عبد الله النعيم في كتابه: الإستشراق في السيرة النبوية- (نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٤١٧) استغلال المستشرقين لرواية الغرائق، ونقل في ص ٥١ افتراء المستشرق بروكلمان وقوله عن النبي صلى الله عليه وآله: (ولكنه على ما يظهر اعترف في السنوات الأولى من بعثته بالهة الكعبة الثلاث اللواتي كان مواطنوه يعتبرونهن بنات الله، وقد أشار إليهن في إحدى الآيات الموحاة إليه بقوله: تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترجى... ثم ما لبث أن أنكر ذلك وتبرأ منه في اليوم التالي)!!

ونقل في ص ٩٦ عن المستشرق مونتغمري وات قوله: (تلا محمد الآيات الشيطانية باعتبارها جزءاً من القرآن، إذ ليس من المتصور أن تكون القصة من تأليف المسلمين أو غير المسلمين، وإن انزعاج محمد حينما علم بأن الآيات الشيطانية ليست جزءاً من القرآن، يدل على أنه تلاها، وأن عبادة محمد بمكة لا تختلف عن عبادة العرب في نخلة والطائف (محلثان لأصنام قريش) ولقد كان توحيد محمد غامضاً، ولاشك أنه يعد اللات والعزى ومناة كائنات سماوية أقل من الله). انتهى.

ومع أن المستشرقين لا يحتاجون إلى الروايات الموضوعية ليمسكوا بها، فهم يكذبون على نبينا صلى الله عليه وآله وعلى مصادرنا جهاراً نهاراً، لكن المؤسف أن تحفل مصادر السنين وفي طليعتها البخاري بالافتراءات على النبي صلى الله عليه وآله كقصة الغرائق، وقصة ورقة بن نوفل، وغيرهما من القرشيات المخالفة للعقل، فتقدم للمستشرقين مادةً ومستمسكاً للطعن في النبي صلى الله عليه وآله والقرآن والإسلام!

ملاحظات على قصة الغرائق

١- لعل فرية الغرائق أعظم فرية تضمنتها مصادر الحديث السنية على رسول الله صلى الله عليه وآله من بين أكثر من ثلاثين فرية عليه بأنه شك في نبوته، وأنه خالف أوامر ربه، وتحيز لأقربائه، وأنه كان يهتم بالأغنياء ويعبس في وجه الفقراء، أو اتهمته بسلوك مشين! وقد تعرضنا لأكثرها في المجلد الرابع من كتاب الانتصار.

٢- من المفارقات الواضحة في رواياتهم أن سورة النجم التي اتهموا النبي صلى الله عليه وآله بأنه تعمد في قراءتها الكفر ومدح الأصنام وسجد لها، أو أن الشيطان قالها على لسانه، أو أنه نسي وأثر عليه الشيطان ففعل ذلك! هي السورة التي نص الله تعالى في مطلعها على عصمة نبيه صلى الله عليه وآله عصمة مطلقه بمستوى لم يبلغه نبي ولا رسول آخر عليهم السلام! قال تعالى: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ. وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ.

فكانهم تعمدوا وضع فرية الغرائق في سورة نصت على العصمة الشاملة للنبي صلى الله عليه وآله تكذيباً صريحاً للقرآن ليقولوا: بل نطق عن الهوى وكفر، وسجد للأصنام تقرباً لقريش! فوبخه الله وتسامح معه وتاب عليه!!

٣- لا بد على زعمهم أن يكون جبرئيل قد تأخر في توبيخ النبي صلى الله عليه وآله أياماً عديدة حتى انتشر خبر كفر النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله وسجوده للأصنام في مكة، ووصل الخبر إلى الحبشة ففرح المسلمون المهاجرون بالحل السلمي مع قريش! وعاد قسم منهم إلى مكة، فوجدوا نبيهم صلى الله عليه وآله عاد إلى التوحيد وكفر بالأصنام بعد أن وبخه جبرئيل عليه السلام، وأن قريشاً عادت إلى عدائها له، فرجعوا أدراجهم إلى الحبشة!

وقد تندر الأخ الباحث السيد جعفر مرتضى على ذلك فقال في الصحيح من السيرة: ٣/١٤٦: (وقولهم إن هذه القضية قد كانت بعد شهرين من الهجرة إلى الحبشة نقول فيه: إنهم يقولون إن عودة مهاجري الحبشة قد كانت بعد شهرين أيضاً، فهل وصل إليهم الخبر بالتلكس، أو بالتلفون، وهل جاؤوا بالطائرة، أم بالصواريخ؟! إلا أن يكون المراد أنهم بدأوا بالتوجه نحو مكة بعد شهرين من هجرتهم، وإن كان هذا بعيداً عن ظاهر اللفظ.

وكذا قولهم إنه لما عرض صلى الله عليه وآله السورة على جبرئيل وقرأ الفقرتين أنكرهما جبرئيل فقال صلى الله عليه وآله: قلت على الله ما لم يقل! فأنزل الله: وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ، نقول فيه إن الخطاب في الآية للنبي صلى الله عليه وآله أن الناس كادوا يفتنونه مع أن

الرواية تنص على أن الشيطان هو الذي كاد أن يفتنه.. إلى غير ذلك من موارد الضعف والوهن والتناقض التي يمكن تلمسها في هذا المجال). انتهى.

٤- ليت الفخر الرازي وعياضاً وابن كثير والقرضاوى، وغيرهم من الذين ردوا حديث الغرائق لمخالفته للقرآن والعقل، يتمسكون بهذا الدليل لرد غيره من المكذوبات المخالفة للقرآن مما وضعه منافقوا قريش وروجه الخلافة القرشية ورواتها، ولم يعدوها من الأحاديث الصحيحة أو الموثقة!!

قال الطباطبائي في تفسير الميزان: ١٤/٣٩٦، عن رواية الغرائق:

(الرواية مروية بطرق عديدة عن ابن عباس وجمع من التابعين، وقد صححها جماعة منهم الحافظ ابن حجر، لكن الأدلة القطعية على عصمته صلى الله عليه وآله تكذب متنها وإن فرضت صحة سندها فمن الواجب تنزيه ساحته المقدسة عن مثل هذه الخطيئة، مضافاً إلى أن الرواية تنسب إليه صلى الله عليه وآله أشنع الجهل وأقبحه فقد تلى: تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى، وجهل أنه ليس من كلام الله ولا نزل به جبريل، وجهل أنه كفر صريح يوجب الإرتداد وداوم على جهله حتى سجد وسجدوا في آخر السورة، ولم يتنبه ثم داوم على جهله حتى نزل عليه جبريل وأمره أن يعرض عليه السورة فقرأها عليه وأعاد الجملتين، وهو مصر على جهله حتى أنكروه عليه جبريل، ثم أنزل عليه آية تثبت نظير هذا الجهل الشنيع والخطيئة الفضيحة لجميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام وهي قوله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا- إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانَ فِي أُمَّتَيْهِ، وبذلك يظهر بطلان ما ربما يعتذر دفاعاً عن الحديث بأن ذلك كان سبقاً من لسان دفعاً بتصرف من الشيطان سهواً منه وغلطاً من غير تفتن! فلا متن الحديث على ما فيه من تفصيل الواقعة ينطبق على هذه المعذرة، ولا دليل العصمة يجوز مثل هذا السهو والغلط.

على أنه لو جاز مثل هذا التصرف من الشيطان في لسانه صلى الله عليه وآله بإلقاء آية أو آيتين في القرآن الكريم، لارتفع الأمن عن الكلام الإلهي فكان من الجائر حينئذ أن يكون بعض الآيات القرآنية من إلقاء الشيطان، ثم يلقي نفس هذه الآية وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ، الآية، فيضعه في لسان النبي وذكره فيحسبها من كلام الله الذي نزل به جبريل كما حسب حديث الغرائق كذلك، فيكشف بهذا عن بعض ما ألقاه وهو حديث الغرائق سترأ على سائر ما ألقاه. أو يكون حديث الغرائق من كلام الله وآية وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ، الخ، وجميع ما ينافي الوثنية من كلام الشيطان، ويستتر بما ألقاه من الآية وأبطل من حديث الغرائق على كثير من إلقاءاته في خلال الآيات القرآنية، وبذلك يرتفع الاعتماد والوثوق بكتاب الله من كل جهة، وتلغو الرسالة والدعوة النبوية بالكلية، جلت ساحة الحق من ذلك). انتهى.

٥- من الحيل اللفظية التي استعملها رواة قريش، أنهم حاولوا تغطية طعنهم بالنبي صلى الله عليه وآله، فقالوا إنه صلى الله عليه وآله سجد بعد أن أكمل قراءة سورة النجم، وكأنه سجد لله وللأصنام معاً!! وهذه بعض نصوصهم:

(فقال: وإنهن لهن الغرائق العلى، وإن شفاعتهن لهنى التي ترتجى، فكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته، فوعدت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة وذلفت بها ألسنتهم وتباشروا بها. وقالوا: إن محمداً قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه. فلما بلغ رسول الله (ص) آخر النجم، سجد وسجد كل من حضر من مسلم ومشرك، ففشت تلك الكلمة في الناس، وأظهرها الشيطان حتى بلغت أرض الحبشة، فأنزل الله: وما أرسلنا من قبلك...).

وفى بعضها: (ألقى الشيطان على لسانه: وهي الغرائق العلى، شفاعتهن ترتجى، فلما فرغ من السورة سجد، وسجد المسلمون والمشركون إلا أبا أحيحة سعيد بن العاص، فإنه أخذ كفاً من تراب فسجد عليه، وقال: قد آن لابن أبي كبشة أن يذكر آلهتنا بخير، فبلغ ذلك المسلمين الذين كانوا بالحبشة أن قريشاً قد أسلمت فأرادوا أن يقبلوا، واشتد على رسول الله (ص) وعلى أصحابه ما ألقى الشيطان على لسانه، فأنزل الله: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي.. الآية). انتهى. (راجع أيضاً مجمع الزوائد: ٦/٣٢ و: ٧/٧٠).

لكن غاب عنهم أن المشركين كانوا يرفضون السجود لله تعالى كما قال عنهم: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ

لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا. فلا بد أن يكون سجودهم على أثر مدحه لآلهتهم، وهو في الثلث الأول للسورة بعد الآية العشرين منها. وبما أن السورة اثنتان وستون آية، وسياقها متتابع، فلا يمكن أن نجتمع بين سجود النبي صلى الله عليه وآله والمشركين معاً، وبين قولهم إنه صبر حتى أكمل السورة فسجد لله تعالى وحده، أو لله وللأصنام معاً!!

٦- بناءً على قصتهم المزعومة، لا بد أن يكون النبي صلى الله عليه وآله ترك آيات ذم اللات والعزى ومناة في سورة النجم ولم يقرأها يومئذ، وهي قبل آيات الغرائق المزعومة وبعدها، فكانت جريمته حذف آيات كثيرة واستبدالها بآيات الغرائق الشيطانية! فلا يعقل أن يكون زعماء قريش فرحوا وسجدوا عند مدح أصنامهم، ثم سمعوه يقرأ ببقية السورة، وكلها هجوم كاسح عليهم؟!
٧- ينبغي الإلفات هنا إلى أن اللات والعزى ومناة أسماء مؤنثة، زعمت قريش أنها ملائكة وأن الملائكة إناث! وقد ردهم الله تعالى في نفس الآيات:

(أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْاٰخَرَىٰ. اَلْكُفْرُ وَلَهُ اَلْاٰنثَىٰ. تِلْكَ اِذَا قَسِمَةُ ضِيٰزَىٰ. اِنْ هِيَ اِلَّا اَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا اَنْتُمْ وَاٰبَاؤُكُمْ مِمَّا اَنْزَلَ اللّٰهُ بِهَا مِنْ سُلْطٰنٍ اِنْ يَتَّبِعُونَ اِلَّا- الظنَّ وَمِمَّا تَهْوٰى اَلْاَنْفُسُ وَاَلْقَدَّ جِءَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدٰى. اَمْ لِلْاِنْسٰنِ اِنْ مٰرَا تَمَنّٰى. فَلِلّٰهِ الْاٰخِرَةُ وَاَلْاُولٰى. وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِى السَّمٰوٰتِ لَا تَعْنٰى شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا اِلَّا مِنْ بَعْدِ اَنْ يٰذُنَّ اللّٰهُ لِمَنْ يَشَآءُ وَيَرْضٰى. اِنَّ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْاٰخِرَةِ لَيْسِيْمُونَ الْمَلٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةً الْاٰنثَىٰ. وَمَا لَهُمْ بِهٖ مِنْ عِلْمٍ اِنْ يَتَّبِعُونَ اِلَّا الظنَّ وَاِنَّ الظنَّ لَا يَغْنٰى مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا. فَاَعْرَضْ عَمَّنْ تَوَلٰى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ اِلَّا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا. ذٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ اِنَّ رَبَّكَ هُوَ اَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَن سَبِيْلِهِ وَهُوَ اَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدٰى) (النجم: ١٩-٢٩)
أما مكان هذه الأصنام الثلاثة، فقد جاء في لسان العرب: ٢/١١٢: (تقول العرب: اللات والعزى وأشباهاها من الآلهة المؤنثة)، وفي: ٥/٣٧٨: (اللات صنم كان لثقيف، والعزى صنم كان لقريش وبنى كنانة).

وفي مجمع البحرين: ٤/١٥١: (اللات والعزى ومناة، إسم أصنام من حجارة، كانت في جوف الكعبة يعبدونها، فاللات لثقيف وقيل لقريش، والعزى لغطفان ومناة لهذيل وخزاعة).

وفي التبيان: ٩/٤٢٧: (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْاٰخَرَىٰ، أسماء أصنام كانت العرب تعبدها، والعزى كانت تعبدها غطفان، وهي شجرة سمره عظيمة، واللات صنم كانت ثقيف تعبدها، ومنات كانت صخرة عظيمة لهذيل وخزاعة كانوا يعبدونها). انتهى.
ويظهر أن هذه الثلاثة كانت مفضلة عند قريش ومعها غيرها من قبائل العرب، وأن بعض هذه الأصنام كان خارج مكة، لكن لها ثلاثة تماثيل عند الكعبة أو داخلها، وروى أن الأصنام حول الكعبة وعلى سطحها كانت أكثر من ثلاث مئة، وكانت قريش أكثر تمسكاً بالعزى من بينها! ففي أمالي الطوسي: ١/٣١٦، عن ابن عباس قال: وقف رسول الله صلى الله عليه وآله على قتلى بدر فقال: جزاكم الله من عصابة شراً! لقد كذبتمونى صادقاً، وخونتمونى أميناً. ثم التفت إلى أبي جهل بن هشام فقال: إن هذا أعتى على الله من فرعون! إن فرعون لما أيقن بالهلاك وحَدَّ الله، وهذا لما أيقن بالهلاك دعا باللات والعزى!! (ومثله في مجمع الزوائد: ٦/٩١).

وفي مجمع الزوائد: ٦/٢١: (وعن رجل من بنى مالك بن كنانة قال: رأيت رسول الله (ص) بسوق ذي المجاز يتخللها يقول: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، قال وأبو جهل يحثى عليه التراب ويقول: لا- لا يغوينكم هذا عن دينكم فإنما يريد لتتركوا آلهتكم وتتركوا اللات والعزى، وما يلتفت إليه رسول الله! قلت: إنعت لنا رسول الله (ص)، قال: بين بردين أحمرين، مربع، كثير اللحم، حسن الوجه شديد سواد الشعر، أبيض شديد البياض، سابغ الشعر. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح). انتهى.

٨- نزلت سورة الإسراء في مكة، ودلت على أن النبي صلى الله عليه وآله كان يتعرض لضغط المشركين، وأن الله تعالى ثبته وعصمه من الوقوع تحت تأثيرهم، ولم تشر إلى أنه كان يتعرض لضغط الشيطان وتأثيره، قال تعالى: (وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا. وَلَوْلَا أَنْ جَبْتْنَاكَ لَقَدْ كُنْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا. إِذَا لَادَفْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا). (الإسراء: ٧٣-٧٥)

كما أنها تضمنت تهديداً للنبي صلى الله عليه وآله إن هو غيّر في القرآن وتقول على ربه.

وفى المقابل، تقول قصة الغرائق إن الله لم يثبت نبيه صلى الله عليه وآله وإنه خضع لضغوط قريش ولتأثير الشيطان، فكفر بعد إيمانه، ومدح الأصنام، وافتري على ربه! فالسؤال: لماذا لم يعاقبه ربه، ولا أذقه ضعف الحياة وضعف الممات؟! وهل هذا إلا نقض لمصداقية القرآن واتهام الله تعالى بأنه تراجع عن تهديده؟!

٩- نزلت سورة الحاقة في المدينة المنورة، وفيها قوله تعالى: (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ. وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا- مِا تَدَّكَّرُونَ. تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ. لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ. فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ). (الحاقة: ٤٠-٤٧)

فمن حق المسلم في المدينة أن يسأل أين مصداقية هذا الكلام وقد كفر النبي صلى الله عليه وآله وتقول على ربه وافتري عليه أعظم فريه، وغير في القرآن ومدح الأصنام، فلم يأخذ منه باليمين ولا قطع منه الوتين، بل اكتفى بتوبيخه وسامحه وتاب عليه! بل أعطاه الأجر العظيم الذي يستحقه الأنبياء عليهم السلام لتوبتهم من كفرهم ومعاصيهم كما يزعم ابن تيمية!! وهكذا تستوجب قصة الغرائق مضافاً إلى طعنها بالنبي صلى الله عليه وآله الطعن بالله تعالى وتكذيب العديد من الآيات، وليس ما ذكرناه إلا نموذجين منها.

١٠- في السيرة والتاريخ عدة مفردات حول اللات والعزى تضى لنا خلفية الفريه القرشيه على النبي صلى الله عليه وآله، وتكشف أن قبائل قريش تبنت عبادة اللات والعزى في مقابل خط الأحناف من بنى إسماعيل، وحتى في مقابل الكعبة! وأن عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وآله كان متشدداً في رفض أصنامهم والتمسك بحنيفيه إبراهيم عليه السلام. ففي معجم البلدان: ٣/٢٢٦: (وقال أبو المنذر: وكانت قريش قد حمت للعزى شعباً من وادي حراض يقال له سقام يضاهاون به حرم الكعبة!!

وفي: ٤/١٨٥: (وقيل: الغنَّب: هو الموضع الذي كان يُنحر فيه للات والعزى بالطائف، وخزانة ما يهدى إليهما بها.... قال أبو المنذر: وكان للعزى منحر ينحرون فيه هداياهم، يقال له الغنَّب).

وفي تاريخ دمشق: ١٦/٢٣٢: من حديث خالد بن سعيد بن العاص، عن أبيه الذي هو من كبار زعماء قريش، قالت رواية الغرائق إنه أخذ كفاً من حصى وسجد عليه، قال خالد للنبي صلى الله عليه وآله: (أى رسول الله، الحمد لله الذى أكرمنا بك وأنقذنا من الهلكه، ولقد كنت أرى أبى يأتى إلى العزى بحتره مائه من الإبل والغنم فيذبحها للعزى، ويقم عندها ثلاثاً ثم ينصرف إلينا مسروراً! فنظرت إلى ما مات عليه أبى، وذلك الرأى الذى كان يعاش فى فضله كيف خدع حتى صار يذبح لحجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع! فقال رسول الله(ص): إن هذا الأمر إلى الله، فمن يسره للهدى تيسر، ومن يسر للضلاله كان فيها).

وذكر الدكتور شوقى ضيف فى تاريخ الأدب العربى ص ٤١ (دارالمعارف المصريه) أن المنذر بن ماء السماء ملك المناذره المعاصر لعبد المطلب، وهو أعظم ملك وثنى فى العرب، أسير ابن الحارث بن شمر ملك الغساسنه النصرانى فى حرب ضروس بين المناذره والغساسنه، فذبحه قرباناً للعزى!!

وهو يعطينا ضوءاً على نذر عبد المطلب(رض) إن رزقه الله عشره أولاد أن يذبح أحدهم قرباناً للكعبة، أى لرب الكعبة عز وجل، تعزيراً لدين جده إبراهيم صلى الله عليه وآله، ورداً على قريش وعلى عمل المنذر فى تعزيرهم مكانه صنم العزى!

ومما يدل على مكانه اللات والعزى عند القرشيين غير بنى هاشم، أن شعارهم فى الحرب، وتعاقدهم، وقسمهم الرسمى، كان باسمها: ففي طبقات ابن سعد: ٢/٤٢: (ونادى المشركون بشعارهم يا للعزى يا لهبل! وأوجعوا فى المسلمين قتلاً ذريعاً، وولى من ولى منهم يومئذ وثبت رسول الله(ص) ما يزول، يرمى عن قوسه حتى صارت شظايا). انتهى.

كما تعاقدت قريش على قتل النبي صلى الله عليه وآله باسم اللات والعزى، ففي مستدرک الحاكم: ١: ١٦٣، وصححه: (عن ابن عباس قال دخلت فاطمه على رسول الله صلى الله عليه وآله وهى تبكى فقال: يابنيه ما يبكيك قالت: يا أبت مالى لا أبكى وهؤلاء الملاء من قريش فى الحجر يتعاقدون باللات والعزى ومناه الثالثه الأخرى، لو قد رأوك لقاموا إليك فيقتلونك، وليس منهم رجل إلا وقد عرف

نصبيه من دمك... الخ). (ورواه أحمد وصححه الهيثمي في الزوائد: ٨/ ٢٢٨)

وقد بقيت عادة القسم باللالات والعزى على السنة القرشيين حتى بعد إسلامهم! فقد روى ابن ماجه: ١/٦٧٨، أن سعد بن أبي وقاص قال للنبي صلى الله عليه وآله: حلفت باللالات والعزى فقال رسول الله (ص) قل: لا-إله إلا الله وحده لا شريك له، ثم انفث عن يسارك ثلاثاً، وتعوذ ولا تعيد). انتهى. (ورواه أبو داود في: ٢/٩٠، والترمذي: ٣/٤٦، وص: ٥١، والنسائي: ٧/٧، وأحمد: ١/١٨٣ و ١٨٦ و ٣٠٩/٢، والبيهقي: ١/١٤٩ و ١٠/٣٠، ومالك في الدونة: ٢/١٠٨ ونحوه البخاري: ٦/٥١ و ٧/٩٧ و ١٤٤ و ٢٢٢ و ٢٢٣ و مسلم: ٥/٨١ و ٨٢). وبهذا نفهم كُزّة النبي صلى الله عليه وآله وللالات والعزى بأنه مضافاً إلى كونه عصمة إلهية، فهو موروث من أسرته الحنيفية، وقد انفردت مصادرنا برواية بغض النبي صلى الله عليه وآله لأصنام قريش، دون مصادرهم! ففي كمال الدين وتمام النعمة: ١/١٨٤، في خبر بحيرى الراهب: (قال بحيرى: يا غلام أسألك عن ثلاث خصال بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتنيها. فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله عند ذكر اللات والعزى وقال: لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئاً كبغضهما، وإنما هما صنمان من حجارة لقمى! فقال بحيرى: هذه واحدة، ثم قال: فبالله إلا ما أخبرتني، فقال: سل عما بدا لك فإنك قد سألتني بإلهي وإلهك الذي ليس كمثلته شيء، فقال: أسألك عن نومك ويقظتك، فأخبره عن نومه ويقظته وأموره وجميع شأنه، فوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته التي عنده، فانكب عليه بحيرى فقبل رجله وقال: يا بنى ما أطيبك وأطيب ريحك، يا أكثر النبيين أتباعاً...). انتهى.

عمر عندهم معصوم وأفضل من جميع الأنبياء

النبي معصوم نظرياً، وأبو بكر و عمر معصومان عملياً

يقول أتباع المذاهب السنية إن النبي صلى الله عليه وآله معصوم في تبليغ الرسالة فقط، دون بقية سلوكه العام، وسلوكه الشخصي! لكن هذا الكلام نظري فقط! لأن مصادرهم الصحيحة تزعم أن النبي صلى الله عليه وآله ارتكب أخطاء عديدة في سلوكه الشخصي والعام، وحتى في تبليغ الرسالة! وأن بعض أخطائه كان يصححها له جبرئيل عليه السلام، وبعضها كان يصححها له عمر بن الخطاب فيؤيده الوحي!

أما أهل بيت النبي وعترته صلى الله عليه وآله، عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فهم لا يروون عصمتهم، ويقولون إن لهم فضائل كما لهم أخطاء، ولا يعترفون بأنهم معيّنون من الله تعالى أوصياء للنبي صلى الله عليه وآله وأئمة للأمم، بل يؤولون الآيات والأحاديث التي تدل على عصمتهم وإمامتهم عليهم السلام، ويجعلون درجة على عليه السلام رابع الصحابة، لأنه كان الخليفة الرابع! وأكثرهم يفضل عليه أبا بكر وعمر وعثمان، وقد يفضلون عائشة على فاطمة الزهراء عليها السلام... الخ.

فالصحابة عندهم هم الأصل بعد النبي صلى الله عليه وآله والأفضل من جميع أجيال الأمم، وعنهم يتلقون دينهم، ولا يهتمون بالرأى المخالف لهم، بل يعتبرونه خطأً أو انحرافاً عن الإسلام، حتى لو كان صادراً من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله!

وقد وصل بهم الأمر إلى أنهم يقرنون الصحابة بالنبي في الصلاة عليه صلى الله عليه وآله، وقد يحذفون منها الصلاة على آل النبي صلى الله عليه وآله، مع أنهم رووا في أصح صحاحهم أن النبي صلى الله عليه وآله علمهم الصلاة عليه، وأمرهم أن يقرنوا به آله عليهم السلام فقط!

مقولة عدالة الصحابة سباج لعصمة أبي بكر وعمر

وعندما تراهم أو تسمعهم يقولون (الصحابة)، فلا تتصور أنهم يقصدون المئة ألف شخص وأكثر، الذين رأوا النبي صلى الله عليه وآله وأطلقوا عليهم اسم (الصحابة)!

بل عليك أن تعرف باطن كلامهم وأنهم لا يقصدون إلا أربعة رجال منهم فقط: أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية، ومن وافقهم، ومعهم امرأتان: عائشة وحفصة، ومن وافقهما! ولا يدخلون معهم حتى أهل بيت النبوة علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، مع أنهم أهل بيت وصحابة!

فباقي الصحابة إنما يقبلونهم بشرط أن يوافقوا هؤلاء الستة، ولا عبرة بقولهم جميعاً إن خالفوا الستة، بل لا عبرة بقولهم جميعاً إن خالفوا عمر وحده!

ولا يقول السنيون نظرياً بعصمة هؤلاء الصحابة الستة. لكن ما قيمة الكلام النظري وهم عملياً يقولون بعصمتهم كمجموع، بل بعصمة عمر وأبي بكر خاصة، والدليل البسيط على ذلك أنهم لا يقبلون أن يوجه اليهما أي نقداً! ويصححون أفعالهما وأقوالهما بكل وسيلة حتى في مقابل النبي صلى الله عليه وآله!

بل يغالون فيحكمون بضلال من ينتقدهما، أو بكفره!

يشعر أتباع الخلافة القرشية بأنهم مجبورون على القول بعصمة الشيخين! لأن عدالة الصحابة لا تكفيهم لإثبات قداستهما، لأنها سيف ذو حدين!

كما أن حديث (أصحابي كالنجوم) الذي يحتج به علماءهم في علومهم المختلفة، رغم تضعيفهم له، سيف ذو حدين! إذ يكفي بموجه أن يقتدى المسلم بأي صحابي ويأخذ منه دينه وخطه السياسي، لأنه نجم رباني جعله الله دليلاً لعباده! فيحق للمسلم أن يرفض خلافة قريش وخلفائها، ويقتدى بالذين رفضوا سقيفتها واتهموا أبا بكر وعمر بالخيانة، ولم يباعدوا إلا مجبرين، كسعد بن عباد، فهو صحابي وزعيم أنصار الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله فهم صحابة وعتره! لكن هذا نقض لغرضهم في تربية الناس على تقديس الشيخين أبي بكر وعمر!

إنهم لا يريدون عدالة الصحابة من أجل ذاتها، ولا من أجل الصحابة، بل من أجل عصمة أبي بكر وعمر بالخصوص، ولا كرامة لمن خالفهما!

فكل ما تراه من تأكيدهم على عدالة الصحابة، إنما هو تمهيد وسياج لعقيدة عصمة عمر وأبي بكر ليس إلا!

اضطراهم لتضييق سياج الصحابة بأهل بدر وبيعة الرضوان

بعد أن أعطوا كل الصحابة صفة العدالة، وهم أكثر من مئة ألف، وهو أمر غير معقول، قاموا بخطوة في تحديد السياج الذي أرادوه لأبي بكر وعمر، فضيقوا الدائرة وقالوا إن مقصودنا بالصحابة العدول المشهود لهم بالجنة، وهم أهل بدر وأهل بيعة الشجرة، وعددهم ألف وأربع مئة كما في البخاري!

قال البخاري في: ٥/٦٢: (عن البراء... كنا مع النبي (ص) أربع عشرة مئة، والحديبية بئر فترحناها فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبي (ص) فأتاها فجلس على شفيرها، ثم دعا ياناء من ماء فتوضأ، ثم مضمض ودعا، ثم صبه فيها، فتركانها غير بعيد ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا). انتهى.

وروى في: ٥/٦٣، عن ابن أبي أوفى أنهم ألف وثلاث مئة. وروى في: ٤/١٩، أن النبي صلى الله عليه وآله قال في قصة حاطب بن بلتعنة، الذي خان المسلمين وكتب إلى المشركين بأنهم ينون غزو مكة: (إنه شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)! وكرره في: ٤/٣٨، و٣٩، وفي: ٥/٨٩، وفي: ٦/٦٠، و٧/١٣٤، و٨/٥٥.

وروى في: ٥/١٠: (فقال أليس من أهل بدر؟ فقال: لعل الله اطلع على أهل بدر فقال إعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم)، ونحوه في: ٧/٩٧.

وصححو حديث مسلم: ٧/١٦٩، في قصة حاطب أن النبي صلى الله عليه وآله قال: (لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد،

الذين بايعوا تحتها). وروى مسلم أن حفصة اعترضت فنهرا النبي صلى الله عليه وآله، و(أن عبداً لحاطب جاء رسول الله (ص) يشكو حاطباً فقال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار! فقال رسول الله (ص): كذبت لا يدخلها، فإنه شهد بداراً والحديبية). انتهى.
وبهذا ضيقوا دائرة الصحابة إلى نحو ألف وخمس مئة، لأن أهل بدر ضمن أهل الحديبية، ورفعوا علماً لذلك آية: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) (الفتح: ١٨) وجعلوها شعاراً ودثاراً في الدفاع عنهم، لكنه دفاع بالمحال، لأن هذه الآية كغيرها من الآيات متحفظة جداً، ولا إطلاق فيها، لا في الأشخاص، ولا في الزمان! فلو كان مقصوده عز وجل الإطلاق لما قيدها بقيدين فاستعمل كلمة (المؤمنين) وكلمة (إذ) ولقال: لقد رضى الله عن الذين يبايعونك تحت الشجرة!

فلما لم يقل ذلك وقال: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ.. فمعناه وجود غير مؤمنين فيهم، وأن رضاه عن المؤمنين منهم محدود بظرف (إذ) وهو زمن البيعة!

لكنهم اتخذوا قراراً بالدفاع عن هذا السياج، لأن النيل من أهل بدر والحديبية يعنى انهيار آخر خطوط الدفاع عن أبى بكر وعمر وعثمان!

كما تراهم عندما يحتاج الأمر يوسعون السياج، كما فعلوا في مواجهة حملة المسلمين على يزيد بن معاوية: قال التفتازانى فى شرح المقاصد: ٥/٣١٠:

(فإن قيل: فمن علماء المذهب من لا يجوز اللعن على يزيد، مع علمهم بأنه يستحق ما يربو على ذلك ويزيد.

قلنا: تحامياً على أن يرتقى إلى الأعلى فالأعلى، كما هو شعار الروافض، على ما يروى فى أدعيتهم، ويجرى فى أنديتهم، فرأى المعتنون بأمر الدين إلجام العوام بالكلية، طريقاً إلى الإقتصاد فى الاعتقاد). انتهى.

فهذا التوسيع قانون من السلطة وعلماؤها له قوة الدين! (فرأى المعتنون بأمر الدين إلجام العوام بالكلية)!

عصمة عمر عندهم أعلى من عصمة جميع الأنبياء

قال البخارى فى صحيحه: ٤/٩٦: (استأذن عمر على رسول الله (ص) وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه، عاليه أصواتهن، فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب، فأذن له رسول الله (ص) ورسول الله يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله؟ قال: عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندى فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب! قال عمر: فأنت يا رسول الله كنت أحق أن يهجن، ثم قال: أى عدوات أنفسهن، أتهبنى ولا تهبن رسول الله؟ قلن: نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله (ص)! قال رسول الله (ص): والذى نفسى بيده مالقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك). (وكرره البخارى فى: ٧/٩٣ و٤/١٩٩).

وما دام النبي صلى الله عليه وآله أخبر عن ربه بفرار الشيطان من عمر وعدم تأثيره عليه، فهو معصوم من كل أنواع الذنوب! بل هو أفضل من النبي صلى الله عليه وآله! لأنهم رووا أن شيطان النبي صلى الله عليه وآله معه لا يهرب منه، وأنه خاض معه صراعاً فأعانه الله عليه!!

قال النووى فى شرح مسلم: ١٥/١٦٥: (الفتح الطريق الواسع، ويطلق أيضاً على المكان المنخرق بين الجبلين. وهذا الحديث محمول على ظاهره أن الشيطان متى رأى عمر سالكاً فجاً هرب هيبه من عمر، وفارق ذلك الفج وذهب فى فج آخر لشدة خوفه من بأس عمر أن يفعل فيه شيئاً! قال القاضى: ويحتمل أنه ضرب مثلاً لبعث الشيطان وإغوائه منه، وأن عمر فى جميع أموره سالك طريق السداد، خلاف ما يأمر به الشيطان. والصحيح الأول). (والديباج: ٥/٣٨٠).

وقال ابن حجر فى فتح البارى: ٧/٣٨: (قوله: إلا سلك فجاً غير فجك. فيه فضيلة عظيمة لعمر، تقتضى أن الشيطان لاسيل له عليه، لا أن ذلك يقتضى وجود العصمة، إذ ليس فيه إلا فرار الشيطان منه أن يشاركه فى طريق يسلكها، ولا يمنع ذلك من وسوسته له بحسب ما

تصل إليه قدرته.

فإن قيل: عدم تسليطه عليه بالوسوسة يؤخذ بطريق مفهوم الموافقة، لأنه إذا منع من السلوك في طريق فأولى أن لا يلابسه بحيث يتمكن من وسوسته له، فيمكن أن يكون حَفِظَ من الشيطان، ولا يلزم من ذلك ثبوت العصمة له، لأنها في حق النبي واجبة، وفي حق غيره ممكنة.

ووقع في حديث حفصة عند الطبراني في الأوسط بلفظ أن الشيطان لا يلقي عمر منذ أسلم إلا خَرَّ لوجهه، وهذا دل على صلابته في الدين، واستمرار حاله على الجد الصرف والحق المحض). ثم نقل كلام النووي، وفي آخره: (والأول أولى، بدل: والصحيح الأول!) انتهى. وهو تحريف من أجل التخفيف!

لقد رأى ابن حجر أن حديث البخاري يجعل عمر معصوماً بدرجته فوق درجة عصمة النبي صلى الله عليه وآله! فأراد أن يخفف من وقعه فزعم أن ذلك لا يستلزم العصمة، وأن فرار الشيطان منه لا يمنع أنه يحاول الوسوسة له من بعيد بعيد وهو هارب منه! ثم اعترف بأن فراره منه ينفي إمكانية وسوسته أصلاً، وقد روى هو وقبله أن الشيطان يخَرُّ لوجهه إذا لقي عمر! ومع ذلك تحايل في التأويل وقال هي عصمة جائزة وعصمة النبي صلى الله عليه وآله واجبة!

وليس ذلك إلا- تلاعباً بالألفاظ من أجل عمر، فالعصمة الجائزة أو المستحبة التي اخترعوها عصمة أكمل وأفضل من عصمة النبي صلى الله عليه وآله لأن الشيطان يفر من صاحبها ويخر لوجهه من رؤيته، بينما لا يفر من النبي صلى الله عليه وآله ولا يخر على وجهه!! فهل رأيت كيف عَصِرَ علماء الخلافة القرشية أدمغتهم من أجل عمر، فجعلوا النبوة قسمين: نبوة واجبة على الله تعالى للنبي صلى الله عليه وآله، ونبوة ممكنة قررها الله تعالى لعمر فوصل اليه مضمونها، وكادت تصل رسمياً: (لو كان بعدى نبي لكان عمر)!

وجعلوا العصمة قسمين: عصمة واجبة على الله للنبي صلى الله عليه وآله، وعصمة ممكنة أو مستحبة لله لعمر، وقالوا إن الله تعالى أتقن عمله المستحب أكثر من عمله الواجب فتدخل لمصلحة عمر وخصه بأن الشيطان يهرب منه ويخرُّ لوجهه إذا لقيه، ولم يتدخل لمصلحة خاتم انبيائه وسيد رسله صلى الله عليه وآله بل تركه يغالب شيطان وسلطه عليه حتى في صلاته!

قال ابن القيم في زاد المعاد: ١/٢٤٨: (والصحيح عن النبي (ص) أنه كان يشير في صلاته، رواه أنس وجابر وغيرهما. وكان (ص) يصلي وعائشه معترضة بينه وبين القبلة فإذا سجد غمزها بيده فقبضت رجليها وإذا قام بسطتهما. وكان (ص) يصلي فجاءه الشيطان ليقطع عليه صلاته، فأخذه فخنقه حتى سال لعابه على يده). انتهى.

وأفتى به سيد سابق في فقه السنة وهو كتاب موجه لأهل المذاهب الأربعة: ١/٢٤٥: وصححه محمد ناصر الألباني في تمام المنه ص ٣٠٤، فقال: (وقد صح أن الشيطان أراد أن يفسد على النبي (ص) صلاته، فمكته الله منه وخنقه، حتى وجد برد لعابه بين إصبعيه، وقال: والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به أهل المدينة. والقصة في مسلم: ٢/٧٣، وعبد الرزاق: ٢/٢٤/٢٣٣٨)، وأحمد: ١/٤١٣ و ٣/٨٢ و ٥/١٠٤ و ١٠٥، والطبراني في الكبير: ٢/٢٢٤ و ٢٢٧ و ٢٥١، عن غير واحد من الصحابة بالألفاظ متقاربة. أنظر صفة الصلاة (٧٤). انتهى.

وفي هذه الأحاديث المزعومة فضيلة لسليمان عليه السلام وأن الله تعالى جعل الشيطان طليقاً بدعوته، فمنع نبيه صلى الله عليه وآله من القبض عليه وتحويله إلى لعبة لصبيان المدينة! ولعل هذه الكرامة لسليمان عليه السلام لأنه نبي اليهود!

ومن محاولاتهم في تهدئة خواطر المسلمين لتفضيل عمر على النبي صلى الله عليه وآله، ما نقله الصالحى وارتضاه، قال في سبل الهدى: ١١/٢٧٥: (قال الكرمانى: إن قلت: يلزم أن يكون أفضل من أيوب ونحوه، إذ قال: مَسْنَى الشَّيْطَانِ بِنُصْبٍ وَعَيْدَابٍ؟ قلت: لا، إذ التركيب لا يدل إلا على الزمن الماضى، وذلك أيضاً مخصوص بحال الإسلام فليس على ظاهره، وأيضاً هو مقيد بحال سلوكك الطريق، فجاز أن يلقاه على غير تلك الحالة. وقال القاضى عياض: ويحتمل أنه ضرب مثلاً لبعث الشيطان وأعوانه من عمر، وأنه لا سبيل له عليه، أى إنك إذا سلكت فى أمر بمعروف أو نهى عن منكر تنفذ فيه ولا تتركه، فليس للشيطان أن يوسوس فيه فيتركه، ويسلك غيره، وليس المراد بالطريق على الحقيقة، لأنه تعالى قال: إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ فلا يخافه إذا لقيه فى فج، لأنه لا يراه).

انتهى.

يقصد الكرمانى و عياض أن حديث فرار الشيطان من عمر لا- يجعله أفضل من نبي الله أيوب عليه السلام الذى مسه الشيطان! لأن الحديث لا يشمل مرحلة عبادة عمر للأصنام وهى أكثر من أربعين سنة! ولا يشمل عمر إذا لم يسلك طريقاً، ففرار الشيطان منه محدود فى الزمان وفى الحالة! ففيه فتحة لأن يكون أيوب أفضل منه! وهو جواب هزيل كما ترى، لأن عصمة عمر قبل الإسلام ليست محل بحث، وحديثهم المدعى ليس فيه حيز فرار الشيطان منه فى حالة سلوكه فجاً، بل فيه إطلاق لكل حالات عمر، بل هو يختر على وجهه بزعمهم بمجرد رؤيته!

وهذا كله لعب بالألفاظ، فلو قلنا لمن يريد حصر فرار الشيطان منهم بسلوك عمر فجاً: هل تقبل بأن الشيطان يمس عمر إذا لم يسلك فجاً؟ لقامت قيامته!

من ناحية أخرى فإن عياضاً أو غيره عندما يقولون إن فرار الشيطان من عمر محصور بما إذا سلك فجاً بأمر بمعروف أو نهى عن منكر، فماذا يقولون من سلوكه لم تشمله العصمة؟! بل ماذا يقولون للأنبياء عليهم السلام من سلوكك يتميزون به على عمر، وجل سلوكهم أو كنه عبارة عن أمر بمعروف ونهى عن منكر، وفى كله لا يهرب منهم الشيطان كما يهرب من عمر!

إنها محاولات تهدئة وتغطية، عن عمد، وأحياناً عن سذاجة وبلاهة، حتى لا يصرخ المسلم: ماذا فعلتم بهذا الحديث؟! لقد طعتم فى أنبياء الله جميعاً عليهم السلام وصادرتم نبوتهم، ورفعتهم درجة عمر فوق درجاتهم عليهم السلام!!

المشكلة أنهم اخترعوا حديثاً يفضل عمر على نبينا صلى الله عليه وآله وجميع الأنبياء عليهم السلام ورأوا أنهم تورطوا فيه! فأخذوا يتكلمون لغرض تحديده وتقليصه بقدر يريدونه باللعب بالألفاظ، ليجعلوا عمر بعد الأنبياء عليهم السلام مباشرة!

وكيف يمكنهم ذلك وقد فسروا قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ). (الحج: ٥٢) فسروه بالأمنية فى القلب لا فى تحققها فى الخارج كما نفسره نحن؟! قالوا إن الشيطان يمس جميع الأنبياء عليهم السلام ويتسلط عليهم جزئياً حتى فى تبليغهم لرسالة ربهم! ولا شك أن الذى يهرب منه الشيطان ويختر على وجهه إذا شاهده، أفضل من جميع الأنبياء عليهم السلام الذين يمسهم ويلقى فى قلوبهم الكفر والمعصية!

أما نحن فنقول حاشا لله أن يسلم الشيطان على قلوب أنبيائه وأذهانهم عليهم السلام، وليس معنى (إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ) أنه يلقي فى قلب النبى وتفكيره، بل يلقي فى أذهان الناس فى الأمر الذى تتحقق به أمانة النبى عليه السلام! فالأمنية هنا بمعناها الخارجى العملى وليس ذهنى!

النبى عندهم أضعف من عمر أمام شيطانه

روى القرشيون عن النبى المصطفى المظلوم صلى الله عليه وآله أن شيطانه قوى لا يهرب منه إذا رآه، بل يرافقه دائماً ولا يخاف منه، بل يأتيه بصورة جبرئيل ويؤثر عليه!

وقد رأيت اختراعهم فريه الغرائيق عليه صلى الله عليه وآله وأن الشيطان تسلط عليه حتى كفر معاذ الله، وغَيَّرَ نَصَّ الْقُرْآنِ الْمَنْزَلِ عَلَيْهِ، ومدح أصنام قريش بأنها الغرائيق العلى أى الطيور المحلقة فى السماء، وسجد لها!

قال العلامة مرتضى فى الصحيح من السيرة: ٢/٣٠٥: (ومن الطعن فى النبوة أيضاً.... قولهم: إنه قد كان للنبى (ص) عدو من شياطين الجن يسمى الأبيض، كان يأتيه فى صورة جبرئيل، ولعله هو الشيطان الذى أعانه الله عليه فأسلم كما يقولون. (السيرة الحلبية: ١/٢٥٣، راجع: إحياء علوم الدين: ٣/١٧١) وفى هامشه عن مسلم، والغدير: ١١/٩١ عنه، والمواهب اللدنية: ١/٢٠٢، ومشكل الآثار: ١/٣٠، وحياء الصحابة: ٢/٧١٢ عن مسلم وعن المشكاة ص ٢٨٠ والمحجّة البيضاء: ٥/٣٠٢/٣٠٣).

وشيطانه هذا الذى أسلم، كان يجرى منه مجرى الدم. (مشكل الآثار: ١/٣٠).

وكان يدعو الله بأن يُخسئ شيطانه، فلما أسلم ذلك الشيطان ترك ذلك!

وروا أنه عرض للنبي صلى الله عليه وآله في صلاته قال: فأخذتُ بحلقه فخنقته، فإنى لأجد بَرْدَ لسانه على ظهر كفى! (مسند أبي يعلى: ١/٥٠٦ و ٣٦٠ و مسند أبي عوانة: ٢/١٤٣ والسنة الكبرى: ٢/٢٦٤ و مسند أحمد: ٢/٢٩٨ وأخرجه البخارى فى مواضع من صحيحه، وثمة مصادر كثيرة أخرى وراجع الغدير: ٨/٩٥).

ويروون أيضاً أنه صلى الله عليه وآله قد صلى بهم الفجر فجعل يهوى بيديه قدامه، وهو فى الصلاة، وذلك لأن الشيطان كان يلقي عليه النار ليفتنه عن الصلاة! (المصنف: ٢/٢٤، وراجع: البخارى ط. سنة ١/١٣٧: ١٣٠٩، و: ٢/١٤٣).

ونقول: ونحن لانشك فى أن هذا كله من وضع أعداء الدين، بهدف فسح المجال أمام التشكيك فى النبوة وفى الدين الحق... وقد أخذ بعض المسلمين لربما بسلامة نية وحسن طوية، وبلا تدبر أو تأمل، سامحهم الله وعفا عنهم. والغريب فى الأمر أننا نجدهم فى مقابل ذلك يروون عنه صلى الله عليه وآله قوله لعمر: والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك!...!). انتهى. وقد تقدم تصحيح ابن القيم والألبانى لذلك!

ومن تخبط علمائهم فى ترقيع تفضيلهم عمر على النبي صلى الله عليه وآله! ما قاله الصالحى فى سبيل الهدى والرشاد: ١/٥٠٧: (المحفوظ: إسم مفعول من الحفظ، وسمى به لأنه محفوظ من الشيطان. روى البخارى عن أبي هريرة أن النبي صلى صلاة فقال: إن الشيطان عرض لى فشد على ليقطع الصلاة على فأمكننى الله منه. وفيه دليل على حفظه منه.

فإن قيل: لم شَبَطَ عليه الشيطان أولاً، وهلاً كان إذا سلك طريقاً هرب الشيطان منه كما وقع لعمر بن الخطاب، فقد روى الشيخان عن سعد بن أبى وقاص أن النبي قال لعمر: مالقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غيره.

الجواب: أنه لما كان رسول الله (ص) معصوماً من الشيطان ومكره، ومحفوظاً من كيد و غدره، آمناً من وسواسه وشره، كان اجتماعه به وهربه منه سيان فى حقه (ص). ولما لم يبلغ عمر هذه الرتبة العلية والمنزلة السنية، كان هرب الشيطان منه أولى فى حقه، وأيقن لزيادة حفظه، وأمكن لدفع شره!

على أنه يجوز أن يحمل الشيطان الذى كان يهرب من عمر غير قرينه، أما قرينه فكان لا يهرب منه، بل لا يفارقه لأنه وكل به). انتهى. وقد وصفناه بالتخبط، لأن النبي صلى الله عليه وآله عندهم غير محفوظ من الشيطان، ويكفى أن تقرأ تفسيرهم لقوله تعالى: (إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانَ فِي أُمَّمَّتِهِ) وإصرارهم على أن الأمانة هى قلب النبي صلى الله عليه وآله، وليست ما تحقق فى الخارج كما نفسرها نحن! ثانياً، إنهم بهذا اللعب بالألفاظ لم يفعلوا شيئاً، فما داموا يقبلون أن الشيطان يهرب من عمر دون النبي صلى الله عليه وآله فلن يستطيعوا أن يرتقوا ما فتقوه! بل هم بذلك ينفون الحكمة والعصمة عن الله تعالى، حيث عصم عمر التابع، بأفضل وأقوى مما عصم به النبي المتبوع صلى الله عليه وآله!

ثالثاً، لعل الصالحى رأى أنه لا يستطيع أن يجعل مقام النبي صلى الله عليه وآله أعلى قليلاً من مقام عمر أو مساوياً له، فطرح احتمال أن يكون الشيطان الذى يهرب من عمر غير الشيطان العام الذى هو القرين! وهو احتمال هوائى كثيراً ما يلجأ اليه علماء الحكومة القرشية فى ورطاتهم، فإن لفظ الشيطان المستعمل فى حديثهم المزعوم، والذى يهرب من عمر، هو نفس لفظه المستعمل فى أنه تسلط على النبي صلى الله عليه وآله، فالمتبادر منهما واحد! ولا قرينه ولا دليل على أن الشيطان الذى يهرب منه شيطان فرعى! وأن الأصل لا يهرب منه بل يمسه!

والنتيجة: أنه لا -طريق لهم إلا- أن يعترفوا بكذب (حديثهم) المزعوم ويفروا ويفروا منه كفرار الشيطان المزعوم من عمر! ولكنهم لا يفعلون لأنه منقبة لعمر، رواها الشيخان، ومن أوجب الواجبات على الأمة أن تعتقد بمناقب عمر العظيمة حتى لو كانت تفضله على أنبياء الله تعالى جميعاً عليهم السلام!

ولك الله يا رسول الله! فقد بخلوا عليك حتى بأن يساووك بعمر!

و زعموا أن الله تعالى يتكلم بلسان عمر

ولم يكتفوا بمقولة إن الشيطان يهرب من عمر ويخر لوجهه خوفاً منه!
بل وضعوا حديث إن (الحق) ينطق على لسان عمر، أى إن الله تعالى ينطق على لسانه! وذلك فى مقابل قوله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وآله: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ!
(قال فى فتح البارى: ٩/٣٩٧: ولقد كان الحق ينطق على لسان عمر!)
ولما رأوا ذلك غلواً واضحاً خففوه فقالوا: إن الله جعل الحق على لسانه! ولكنه بنفس المعنى، لأن قصدهم منه ومن الذى قبله: الإستمرار والشمول!

ومن سوء توفيقهم أنهم عندما يتحدثون عن النبى صلى الله عليه وآله يميّعون الآية الصريحة فى عصمته صلى الله عليه وآله وهى قوله تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) فيكافرون أمام صراحتها فى عصمته منطقته الشاملة، واستلزامها عصمة فعله الشاملة صلى الله عليه وآله، ويردونها بادعاء عشرات الأخطاء للنبى صلى الله عليه وآله فى سلوكه الشخصى والعام، وحتى فى التبليغ! فإذا وصل الحديث إلى عمر وضعوا له مقابل آية عصمة النبى صلى الله عليه وآله حديثاً فزعموا أن الحق ينطق على لسانه! وتفاخروا به ولم يثبتوا له أخطاء ومعاصى، بل تراهم يهاجمون من يذكر له أخطاء ومعاصى، وقد يكفرونه!
واعجب إن شئت من حجتهم فى ذلك بأن عمر والصحابة أئمة النبى صلى الله عليه وآله على تبليغ الدين للأجيال، فالطعن فيهم طعن فى الدين! فيجعلون حصانة الوكيل أعظم من حصانة الأصيل صلى الله عليه وآله؟ هذا لو صحت وكالة الصحابة التى زعموها! ويجعلون القول بخطأ المبلغ حراماً وطعناً فى الدين، بينما القول بخطأ الأصيل صلى الله عليه وآله حلالاً وليس طعناً فى الدين!؟

و زعموا أن الملائكة تحدث عمر

كما وضعوا فى مقابل تحديث الملائكة للنبى وآله صلى الله عليه وآله الأظهار، أن الملائكة تحدث عمر! وقد تقدم ذلك فى كلام الغزالي، ورواه البخارى وغيره!
قال السيوطى فى الخصائص: ٢/٢١٩: (باب إخباره بأن عمر من المحدثين. أخرج الشيخان عن عائشة قالت قال رسول الله: كان فى الأمم محدثون فإن يكن فى أمتى أحد فعمر. وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله: إنه لم يبعث الله نبياً إلا كان فى أمة محدثون، وإن يكن فى أمتى أحد فهو عمر قالوا: يا رسول الله كيف محدث؟ قال: تتكلم الملائكة على لسانه).
وقال ابن حجر فى شرحه للبخارى: ٧/٤٠: (قوله: محدثون، بفتح الدال جمع محدث، واختلف فى تأويله فقيل: ملهم، قاله الأكثر، قالوا: المحدث بالفتح هو الرجل الصادق الظن وهو من ألقى فى روعه شئ من قبل الملائكة الأعلى، فىكون كالأذى حدثه غيره به، وبهذا جزم أبو أحمد العسكرى).

وقيل: من يجرى الصواب على لسانه من غير قصد. وقيل مكلم أى تكلمه الملائكة بغير نبوة. وهذا ورد من حديث أبى سعيد الخدرى مرفوعاً ولفظه: قيل يا رسول الله وكيف يحدث قال تتكلم الملائكة على لسانه. رويناه فى فوائد الجوهرى، وحكاها القابسى وآخرون. ويؤيده ما ثبت فى الرواية المعلقة ويحتمل رده إلى المعنى الأول أى تكلمه فى نفسه وإن لم ير مكلماً فى الحقيقة فيرجع إلى الإلهام).
وقال ابن تيمية فى الرد على المنطقيين ص ٥١٣: (فأما درجة السابقين الأولين كأبى بكر وعمر فتلك لا يبلغها أحد! وقد ثبت فى الصحيحين عن النبى (ص) أنه قال: قد كان فى الأمم قبلكم محدثون فإن يكن فى أمتى فعمر، وفى حديث آخر: إن الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه. وقال على: كنا نتحدث أن السكينة تنطق على لسان عمر. وفى الترمذى وغيره: لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر، ولو كان بعدى نبى ينتظر لكان عمر).

وقال في منهاجه: ٦/٧٥) وكلام عمر رضى الله عنه من أجمع الكلام وأكمله، فإنه ملهم محدث! كل كلمة من كلامه تجمع علماً كثيراً!! انتهى.

فقد وصلوا في كلام عمر إلى درجة كلام النبي صلى الله عليه وآله، وصار عمر لا ينطق عن الهوى إن هو إلا حديث الملائكة! والفرق بينهما أن النبي صلى الله عليه وآله مع ذلك قد يخطئ فيصح له عمر، أما عمر فلا يخطئ!

و الفوا مؤلفات فى الأخطاء النبوية والتصحيحات العمريه

افتروا على النبي صلى الله عليه وآله أنه كان يخطئ وكان عمر يصحح له أخطأه ويسدده وأنه كان يختلف مع النبي صلى الله عليه وآله في الأمر فيوافقه الله تعالى وينزل الوحي طبق رأى عمر! وسموا ذلك موافقات عمر، وقد بحثناها فى المجلد الثانى من كتاب (ألف سؤال وإشكال: ٢/مسألة ١٤٤)، وقلنا هناك ما مضمونه: إن الوضع الطبيعى للعلاقة بين النبي صلى الله عليه وآله وعمر أن تكون علاقة مسلم تابع بنبى متبوع مُطاع، لكن الثابت أن عمر كان كثير الإعتراض على النبي صلى الله عليه وآله! والتفسير الصحيح لذلك أنه خطأ من عمر، وأن الإعتراض على رسول الله صلى الله عليه وآله معصية أو رد عليه وكلاهما أمر كبير لأنه صلى الله عليه وآله كما قال الله تعالى: وَمَا يُنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا، وَاتَّقُوا اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ.

لكن عمر ومجيبه خرجوا عن المألوف، وفسروا اعتراضات عمر بأنه كان دائماً مصيباً، بينما كان النبي صلى الله عليه وآله يقع فى الخطأ! وأن الوحي كان ينزل مؤيداً لرأى عمر منتقداً لرأى النبي صلى الله عليه وآله، بل كان أحياناً يوبخ النبي صلى الله عليه وآله، معاذ الله!! فكأن النبي صلى الله عليه وآله عندهم رجلٌ ساذج، يقع فى أخطاء فيصححها له عمر! وكان المطلوب أن يثبتوا لعمر فضائل، ولو بالطعن فى شخصيه النبي صلى الله عليه وآله! وقد ألفوا فى هذا الطعن المغطى به صلى الله عليه وآله كتباً ونظموا أراجيز وسموه (موافقات عمر) ومعناها: موافقات الله تعالى لرأى عمر، ولو بتخطئه رأى النبي صلى الله عليه وآله!!

فى الأعلام: ٢/٦٣: (أبو بكر بن زيد بن أبى بكر الحسنى الجراعى الدمشقى... (٨٢٥-٨٨٣) له.... نفايس الدرر فى موافقات عمر).

وفى: ٣/٣٠١: (الجلال السيوطى (٨٤٩-٩١١)، وعدد من مؤلفاته: قطف الثمر فى موافقات عمر). وكذا فى كشف الظنون: ٢/١٣٥٣.

وفى: ٥/٣٠٢: (٩٣٧هـ) محمد بن إبراهيم بن محمد بن مقبل البليسى... صنف: شرح نظم الدرر فى موافقات عمر للبدر الغزى).

وفى: ٧/٤٤: (محمد بن جمال الدين عبد الله بن أبى حفص سراج الدين عمر، من علماء حلب، ولى قضاءها مرات، واستقضى بدمشق والقاهرة. له كتب منها... الموافقات العمريه للقرآن الشريف).

وفى معجم المؤلفين: ٢/٢٢: (أحمد بن النقيب (٧٧١-٨١٦هـ) أحمد بن على بن محمد المقدسى... له الموافقات التى وقعت فى القرآن لعمر بن الخطاب).

وفى إيضاح المكنون: ١/٤٤٧: (الدر المستطاب فى موافقات عمر بن الخطاب، لحامد بن على بن إبراهيم بن عبد الرحيم العمادى، المفتى الدمشقى الحنفى المتوفى سنة ١١٧١).

وفى: ٢/٦٥٨: (نظم الدرر فى موافقات عمر، أعنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه لبدر الدين محمد بن محمد الغزى).

وفى هدية العارفين: ١/٤٩٧: (ابن البدر الخطيب عبد الباقي بن عبدا لباقي بن عبد القادر بن عبدا لباقي بن إبراهيم بن عمر البعلبلى الدمشقى.... ولد سنة ١٠٠٥ وتوفى فى ذى الحجة من سنة ١٠٧١. من تصانيفه شرح الجامع الصحيح للبخارى لم يكمل. اقتطاف الثمر فى موافقات عمر).

وفى: ٢/٢٣٣: (محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن بدر بن مفرج بن بدر بن عثمان الغزى... توفى سنة ٩٣٥.... من

تصنيفه... شرح نظم الدرر في موافقات عمر... نظم الدرر في موافقات عمر). انتهى.

قال ابن حجر في فتح الباري: ١/٢٠٠: (وروى البزار باسناد حسن، من حديث أبي سعيد الخدري في هذه القصة أن النبي (ص) أذن لمعاذ في التبشير، فلقبه عمر فقال: لاتعجل، ثم دخل فقال: يا نبي الله أنت أفضل رأياً، إن الناس إذا سمعوا ذلك اتكلوا عليها! قال: فَرَدُّهُ! وهذا معدودٌ من موافقات عمر، وفيه جواز الإجتهد بحضرته (ص)!!

وقال في فتح الباري: ٧/٤٢: (عن عمرو بن دينار قال: كان ابن عباس يقرأ: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ، ولا محدث. والسبب في تخصيص عمر بالذكر لكثرة ما وقع له في زمن النبي (ص) من موافقات التي نزل القرآن مطابقاً لها!!) وفي تحفة الأحوذى: ١٠/١٢٥: (فإن يك في أمتي أحد) أي من المحدثين (فعمر بن الخطاب) وفي بعض النسخ: يكون عمر بن الخطاب، والسبب في تخصيص عمر بالذكر لكثرة ما وقع له في زمن النبي (ص) من موافقات التي نزل القرآن مطابقاً لها، ووقع له بعد النبي (ص) عدة إصابات). انتهى.

وقال الصالحى في سبل الهدى والرشاد: ٣/١٩٧: (عن عبادة بن الصامت قال: (بايعنا رسول الله (ص) ببيعة النساء وذلك قبل أن تفترض علينا الحرب، على ألا نشارك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزنى، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتى ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف...)

وقوله: على بيعة النساء، يعنى على وفق ما نزلت عليه ببيعة النساء بعد ذلك عام الحديبية، وكان هذا مما نزل على وفق ما بايع عليه أصحابه ليلة العقبة، وليس هذا بعجيب، فإن القرآن نزل بموافقات عمر بن الخطاب). انتهى.

وفي تاريخ المدينة لابن شبة: ٣/٨٥٩: (موافقاته رضى الله عنه... قال ابن عمر: ما أنزل الله أمراً قط فقالوا فيه وقال فيه عمر، إلا نزل القرآن على نحو ما قال عمر!) (ورواه أحمد: ٢/٩٥، والترمذى: ٥/٢٨٠، وروى عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله قال: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه!)

ثم ذكر ابن شبة عدداً من موافقات الله تعالى لعمر، بعضها واضح الكذب، وبعضها محرّف، وفي بعضها تخطئه صريحه للنبي صلى الله عليه وآله!

الى آخر إفراطهم وغلوهم في عمر، الذى هو طعن في النبي صلى الله عليه وآله لامحالة! فى مأساة حقيقية للإسلام، صنعتها قريش من أجل عمر، وربت عليها الأجيال!

و اخترع الذهبى قاعدة خاصة لعصمة عمر و أبى بكر

شمس الدين الذهبى (محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الشركسى) من كبار أئمتهم، معروف بكثرة مؤلفاته، وبتشده فى النقد الرجالى والحديثى، لكنه لم يملك نفسه فى حب عمر وأبى بكر، فأفتى صراحةً بأن العصمة لا تختص بالأنبياء عليهم السلام بل تشمل معهم نوعين من الناس هما: أبو بكر الصديق لتصديقه بالنبي صلى الله عليه وآله وعمر الفاروق، لأنه حاكم عادل!

شمس الدين الذهبى (محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الشركسى) من كبار أئمتهم، معروف بكثرة مؤلفاته، وبتشده فى النقد الرجالى والحديثى، لكنه لم يملك نفسه فى حب عمر وأبى بكر، فأفتى صراحةً بأن العصمة لا تختص بالأنبياء عليهم السلام بل تشمل معهم نوعين من الناس هما: أبو بكر الصديق لتصديقه بالنبي صلى الله عليه وآله وعمر الفاروق، لأنه حاكم عادل!

قال فى كتابه (الموقف فى علم مصطلح الحديث) ص ٨٤، بعد أن قسم طبقات أئمة الجرح والتعديل إلى: الحاد، والمعتدل، والمتساهل، قال ما نصه: (والعصمة للأنبياء عليهم السلام، والصديقين، وحكام القسط)!! انتهى.

وبذلك أضاف الذهبى من جيبه إلى الأنبياء عليهم السلام نوعين: الأول، الصديقين ليثبت العصمة لأبى بكر. والثانى، حكام القسط ليثبتها لعمر لأنه حاكم عادل!

وإنما قلنا إنه وضع القاعدة من أجلهما خاصة، لأنهم لا يقولون بعصمة كل صديق، ولا كل حاكم عادل، وإلا لزم أن يقولوا بعصمة كسرى الذى روى أن النبى صلى الله عليه وآله قال فيه (ولدت فى زمن الملك العادل)! والذهبي نفسه أعطى وصف الملك العادل لمجموعة سلاطين تراكمه وشراكسه مع أنه لا يثبت لهم العصمة، وفيهم رافضى قوى الرفض على حد قوله، هو رزيك بن طلائع بن رزيك سلطان مصر! قال فى أعلام النبلاء: ١٥/٢٠٨: (وولى مكانه (طلائع) ولده الملك العادل رزيك وكان مليح النظم، قوى الرفض، جواداً شجاعاً، يناظر على الإمامة والقدر)!

كما وصف: تفاق بن سلجوق التركمانى بأنه الملك العادل (أعلام النبلاء: ١٨/٢٤٣) وكذلك وصف ألب أرسلان (١٨/٤١٤)، ونور الدين حاكم الموصل (٢٠/١٩٠)، وعلى بن السلال الكردى (٢٠/٢٨١)، وأبا بكر بن أيوب الأيوبى (٢٣/١٨٤)، وطومباى الأول (تذكرة الحفاظ ص ٧)، وغيرهم ممن لا يراهم معصومين! فهو إذن يقصد بحكام القسط والعدل عمر وحده!

و غيروا اسم العصمة لإثباتها لعمر و أبى بكر

اخترعوا للعصمة اسم (الحفظ من الذنوب) ليخففوا على المسلمين تنقيصهم لمقام نبيهم صلى الله عليه وآله ويستعملوها لأبى بكر وعمر، كما رأيت أنهم اخترعوا تقسيمها إلى عصمة واجبة للأنبياء عليهم السلام وجائزة مستحبة لأبى بكر وعمر!

قال ابن نجيم المصرى فى البحر الرائق: ١/٨٠: (ثبت عن رسول الله (ص) مرسلاً ومسنداً: بينما رسول الله (ص) يصلى بالناس إذ دخل رجل فتردى فى حفرة وكان فى بصره ضرر، فضحك كثير من القوم وهو فى الصلاة، فأمر رسول الله (ص) من ضحك أن يعيد الوضوء والصلاة. وتماهه فى فتح القدير. وما قيل بأنه لا يظن الضحك بالصحابة خلفه قهقهة، أجيب عنه بأنه كان يصلى خلفه الصحابيون والمنافقون والأعراب الجهال، فالضحك لعله كان بعض الأحداث أو المنافقين، أو بعض الأعراب لغلبة الجهل عليهم، كما بال أعرابى فى مسجد النبى (ص). وهو نظير قوله تعالى: (وتركوك قائماً) فإنه لم يتركه كبار الصحابة باللهو. قال فى العناية: وهذا من باب حسن الظن بهم رضى الله عنهم، وإلا فليس الضحك كبيراً، وهم ليسوا من الصغائر بمعصومين ولا عن الكبائر، على تقدير كونه كبيراً. اهـ والمنقول فى الأصول أن الصحابة عدول فهم محفوظون من المعاصى)!! انتهى.

وقال ابن حجر فى فتح البارى: ١/٢٤٤: (قال ابن بن المنذر... وتمسكوا بحديث لا يصح، وحاشا أصحاب رسول الله (ص) الذين هم خير القرون أن يضحكوا بين يدي الله تعالى خلف رسول الله (ص)). انتهى.

فاعجب لهم كيف تجاهلوا قوله تعالى: وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ، وتجاهلوا الأحاديث المستفيضة التى تقول إن الصحابة قطعوا صلاتهم وتركوا الصلاة وأبا الصلاة، ولم يبق مع النبى صلى الله عليه وآله فى المسجد إلا بضع عشرة، أو بضعه نفر!

ومع ذلك تراهم يقولون: حاشا أصحاب رسول الله (ص) خير القرون أن يضحكوا بين يدي الله تعالى، فهم محفوظون من المعاصى!!

و من لعبهم بالألفاظ و ادعائهم الأدب مع النبى

قولهم فى تحفة الأحوذى فى شرح الترمذى: ٢/٤٨١، فى شرح دعاء النبى صلى الله عليه وآله بالسلامة من كل إثم: (قال العراقى: فيه جواز سؤال العصمة من كل الذنوب، وقد أنكر بعضهم جواز ذلك، إذ العصمة إنما هى للأنبياء والملائكة عليهم السلام).

قال والجواب: أنها فى حق الأنبياء والملائكة واجبة، وفى حق غيرهم جائزة، وسؤال الجائز جائز، إلا أن الأدب سؤال الحفظ فى حقنا لا العصمة، وقد يكون هذا هو المراد هنا). انتهى.

يقصد بذلك أنه ينبغى للمسلم لزوم الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وحفظ مقام العصمة الخاص به صلى الله عليه وآله، فلا يدعو لنفسه بالعصمة من الذنوب بل بالحفظ منها.

وظاهره حسن أدب مع النبي صلى الله عليه وآله، لكنهم يتنازلون عنه إذا جاء الحديث عن عمر ويطلقون لهواهم العنان في عصمته فيجعلونه معصوماً بدرجة أعلى من عصمة النبي صلى الله عليه وآله! فإذا ناقشتهم قالوا لا بأس بذلك فنحن نراعى الأدب مع النبي صلى الله عليه وآله ونحفظ حرمة ومقامه، ونقول إن عمر محفوظ من الذنوب والمعاصي، وإن الشيطان كلما رآه صرخ وهرب!!

و منهم أخذ الصوفيون عصمة الأقطاب و حفظ الأولياء

قال الشعراني في العهود المحمدية ص ٨: (ولذلك لم يقع الإحتلام إلا من المريدين والعوام دون الأكابر! فإن الأكابر إما معصومون كالأنبياء، أو محفوظون كأولياء! ثم إن وقع أن أحداً من أكابر الأولياء احتلام، فإنما يكون ذلك في حليلته من زوجة أو جارية لا فيما لا يحل له، وسببه غفلته عن تدبير جسده، لما هو عليه من الإشتغال بالله عز وجل، أو أمر المسلمين، كما بلغنا أن عمر بن الخطاب (رض) احتلم في جاريته، وقال: قد ابتلينا بهذا الأمر منذ اشتغلنا بأمر المسلمين!) انتهى.

يقصد الشعراني بذلك أن الأكابر مثل عمر وأبي بكر والأقطاب، يصح أن نستعمل فيهم لفظ العصمة، لأنهم معصومون كالأنبياء عليهم السلام، أما الأولياء فنقول عنهم إنهم محفوظون من الذنوب، ولا نقول إنهم معصومون.

ويقول الشعراني إن أكابر الأولياء لا يرون أحلاماً جنسية لأنهم مستغرقون في الله تعالى، أو في التفكير أمر المسلمين وقضاياهم! وإذا حدث ذلك فإنهم يحتلمون بزوجاتهم، كما حدث لعمر فقد كان كل عمره مستغرقاً في الله تعالى لا يحتلم، ثم استغرق بأمر المسلمين السياسية، فحدث أن احتلم ذات مرة، لكن بجاريته وليس بامرأة أجنبية!

وقال المقرئ في فضل آل البيت ص ٩٢: (وما تجد في القرآن عبادة مضافين إليه سبحانه إلا السعداء خاصة، وجاء اللفظ في غيرهم بالعباد، فما ظنك بالمعصومين المحفوظين منهم، القائمين بحقوق سيدهم، الواقفين عند مراسمه وحدوده، فشر فهم أعلى، وهؤلاء هم أقطاب هذا المقام.) انتهى.

وقال البيهقي في كتابه السيدة فاطمة الزهراء ص ٨٢: (وقد ذهب البعض إلى أن آل البيت (يقصد كل ذرية علي وفاطمة عليهما السلام) محفوظون من الكبائر بعناية الله، فقد فطرهم على حبه وحب طاعته، والناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام. وذهب قوم إلى أن القطب في كل عصر، لابد وأن يكون من أهل البيت النبوي الشريف، وإن رأى أبو العباس كما نقل عنه تلميذه ابن عطاء، أن القطب قد يكون من غيرهم، ولكن قطب الأقطاب لا يكون إلا- منهم، لأنهم أركى الناس أصلاً وأوفرهم فضلاً، غير أن القطب من شأنه غالباً الخفاء وعدم الظهور، فإذا لم يوجد في الظاهر من أهل البيت من يصلح للإتصاف بالقطبية، حمل على أنه قام بذلك رجل منهم في الباطن، وأما القائم بتجديد الدين فلا بد أن يكون ظاهراً حتى يسير علمه في الأفاق، وينتشر في الأقطار.) انتهى.

رأى التفتازاني: في عصمة أبي بكر و عمر و عدالة باقي الصحابة

سعد الدين التفتازاني من كبار العلماء المنظرين لمذهب الحكومات القرشية،

جاء في معجم المطبوعات العربية: ١/٦٣٥: (التفتازاني، سعد الدين (٧٢٢-٧٩٣هـ) مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين التفتازاني الهروي الشافعي الخراساني التفتازاني، نسبة إلى تفتازان بلدة بخراسان ولد فيها، كان من محاسن الزمان، لم تر العيون مثله في الأعلام والأعيان. وهو الأستاذ على الإطلاق، والمشار إليه بالإتفاق. اشتهرت تصانيفه في الأرض وأتت بالطول والعرض.) انتهى.

وكتابه شرح المقاصد من أهم كتبهم الكلامية المعتمدة، وقد سجل فيه رأيه في الصحابة فقال في: ٥/٣١٠: (ما وقع بين الصحابة من المحاربات والمشاجرات على الوجه المسطور في كتب التواريخ، والمذكور على ألسنة الثقات، يدل بظاهره على أن بعضهم قد حاد عن طريق الحق، وبلغ حد الظلم والفسق، وكان الباعث عليه الحقد والعناد، والحسد واللداد، وطلب الملك والرياسات والميل إلى اللذات والشهوات، إذ ليس كل صحابي معصوماً، ولا كل من لقي النبي (ص) بالخير موسوماً. إلا أن العلماء لحسن ظنهم بأصحاب

رسول الله (ص) ذكروا لها محامل وتأويلات بها تليق، وذهبوا إلى أنهم محفوظون عما يوجب التضليل والتفسيق، صوناً لعقائد المسلمين من الزيف والضلالة في حق كبار الصحابة، سيما المهاجرين منهم والأنصار، المبشرين بالثواب في دار القرار. وأما ما جرى بعدهم من الظلم على أهل بيت النبي (ص)، فمن الظهور بحيث لا مجال للإخفاء، ومن الشناعة بحيث لا اشتباه على الآراء، ويكاد تشهد به الجماد والعجماء، ويبكى له من في الأرض والسماء، وتنهد منه الجبال، وتنشق منه الصخور، ويبقى سوء عمله على كر الشهور ومر الدهور، فلعنة الله على من باشر، أو رضى، أو سعى، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.

فإن قيل: فمن علماء المذهب من لا يجوز اللعن على يزيد، مع علمهم بأنه يستحق ما يربو على ذلك ويزيد. قلنا: تحامياً على أن يرتقى إلى الأعلى فالأعلى، كما هو شعار الروافض، على ما يروى في أدعيتهم، ويجرى في أنديتهم، فرأى المعتنون بأمر الدين إجماع العوام بالكلية، طريقاً إلى الإقتصاد في الاعتقاد، بحيث لا تزل الأقدام عن السواء، ولا تضل الأفهام بالأهواء!! وإلا فمن خفى عليه الجواز والإستحقاق، وكيف لا يقع عليهما الإتفاق؟! وهذا هو السر فيما نقل عن السلف من المبالغة في مجانبه أهل الضلال، وسد طريق لا يؤمن أن يجر إلى الغواية في المآل، مع علمهم بحقيقته الحال وجليه المقال!! انتهى.

وفي هامش الإصابة: ١/٢٥: (وقال السعد التفتازاني: يجب تعظيم الصحابة والكف عن مطاعنهم، وحمل ما يوجب بظاهرة الطعن فيهم على محامل وتأويلات، سيما المهاجرين والأنصار، وأهل بيعة الرضوان، ومن شهد بداراً وأحداً والحديبية، فقد انعقد على علو شأنهم الإجماع، وشهد بذلك الآيات الصراح، والأخبار الصراح. وللروافض سيما الغلاة منهم مبالغات في بغض البعض من الصحابة رضى الله عنهم والطعن فيهم، بناء على حكايات وافتراءات لم تكن في القرن الثاني والثالث! فإياك والإصغاء إليها فإنها تضل الأحداث، وتحير الأوساط وإن كانت لا تؤثر فيمن له استقامة على الصراط المستقيم، وكفاك شاهداً على ما ذكرنا أنها لم تكن في القرون السالفة ولا فيما بين العترة الطاهرة، بل ثناؤهم على عظماء الصحابة وعلماء السنة والجماعة، والمهدين من خلفاء الدين، مشهور في خطبهم ورسائلهم وأشعارهم). انتهى.

نقد منطق التفتازاني في العصمة في مسائل

المسألة ١٠

اعترف التفتازاني بأن بعض الصحابة قد انحرف بعد النبي صلى الله عليه وآله عالمياً عامداً وكان دافعه إلى ذلك على حد تعبيره: (الحقد والعناد، والحسد واللداد، وطلب الملك والرياسات، والميل إلى اللذات والشهوات)! وأن صحبة النبي صلى الله عليه وآله لا توجب العصمة ولا العدالة، فقد صدرت منهم المعاصي والظلم والفسق!

وما داموا لا يعرفون من هم المنحرفون من الصحابة، ولا مقياس عندهم مثلنا حيث نقول بأن العترة هم المقياس لجميع الصحابة، فوجب عليهم أن يجرؤوا فيهم حكم الشبهة المحصورة، ويحرّموا على المسلمين أن يتلقوا منهم دينهم بعد النبي صلى الله عليه وآله! فقد أفتى فقهاؤهم وفقهاؤنا بأنه إذا اشتبه إناء نجس بآنية طاهرة ولم يتميز، وجب اجتناب الجميع ولا يصح الوضوء بأى منها!

قال العلامة الحلي في نهاية الأحكام: ١/٢٥٣: (فلو اشتبه إناء طاهر بماء الغالب في مثله النجاسة كان كما لو اشتبه بمتيقن النجاسة، فيحتاج إلى الإجتهد). انتهى.

فإن قلت: أفتى بعضهم في هذه الحالة بجواز العمل بما غلب الظن على أنه طاهر فيصح الوضوء به، قال النووي في المجموع: ١/١٨٠: (إذا اشتبه ماء ان طاهر ونجس، ففيه ثلاثة أوجه: الصحيح المنصوص الذي قطع به الجمهور وتظاهرت عليه نصوص الشافعي أنه لا تجوز الطهارة بواحد منهما إلا إذا اجتهد وغلب على ظنه طهارته بعلامة تظهر، فإن ظنه بغير علامة تظهر لم تجز الطهارة به... وسواء عندنا كان عدد الطاهر أكثر أو أقل حتى لو اشتبه إناء طاهر بمائة إناء نجسة تحرى فيها، وكذلك الأظعمة والثياب، هذا

مذهبن، ومثله قال بعض أصحاب مالك. كذا قال بمثله أبو حنيفة في القبلة والطعمة والثياب، وأما الماء فقال لا يتحرى إلا بشرط أن يكون عدد الطاهر أكثر من عدد النجس. وقال أحمد وأبو ثور والمزني: لا يجوز التحرى في المياه بل يتيمم، وهذا هو الصحيح عند أصحاب مالك). (راجع أيضاً إعانة الطالبين: ١/٤٥).

فالجواب: أولاً، أن الأصل في الظن عدم الحجية كما قال الله تعالى: وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً. (يونس: ٣٦) فلا حجية للظن إلا بدليل شرعي من كتاب أو سنة، ولو سلمنا أن الله تعالى أجاز الاعتماد على غلبة الظن في الأواني والأطعمة المشتبهة كعدد الركعات تسهياً على العباد، فلا يدل ذلك على جواز الاعتماد على الظن في تلقي الدين بعد النبي صلى الله عليه وآله من صحابته، ونحن نعلم كما اعترف التفتازاني بأن فيهم أهل دنيا كذايين!

إن مجرد وجود هؤلاء فيهم مع عدم إمكانية تمييزهم، يرفع الإطمئنان بأن ما رواه هذا الصحابي من الدين فيجب التوقف! ثم لو سلمنا أن وثاقة الصحابي وعدالته تابعة لغلبة ظن المسلم، فمعناه فتح باب الاجتهاد فيهم، وهذا ما يقفون ضده بشدة. وثانياً، إن دليلهم على حجية الظن في الإناء المشتبه هو عمل الصحابة واتفاقهم عليه، فلو أردنا أن نثبت به حجية قول الصحابة، لزم الدور!

قال الغزالي في المستصفى ص ٢٥٣: (لو اشتبه إناء نجس بعشر أوان طاهرة فلا ترجيح للأكثر، بل لا بد من الاجتهاد والدليل، ولا يجوز أن يأخذ واحداً ويقدر حله أو طهارته، لأن جنسه أكثر.

لكننا نقول: الظن عبارة عن أغلب الاحتمالين، ولكن لا يجوز اتباعه إلا بدليل، فخير الواحد لا يورث إلا غلبة الظن من حيث أن صدق العدل أكثر وأغلب من كذبه، وصيغة العموم تتبع، لأن إرادة ما يدل عليه الظاهر أغلب وأكثر من وقوع غيره. والفرق بين الفرع والأصل ممكن غير مقطوع بطلانه في الأقيسة الظنية، لكن الجمع أغلب على الظن، واتباع الظن في هذه الأصول لا- لكونه ظناً، لكن لعمل الصحابة به واتفاقهم عليه). انتهى.

فقد تشدد الغزالي حتى في الظن الحاصل من خبر الواحد الثقة، وحكم بأنه ليس حجة في ذاته، بل لعمل الصحابة به واتفاقهم عليه! فهو يرجع بالحقيقة إلى حجية إجماع الصحابة، وستعرف ما فيه.

وثالثاً، إن إجماع الصحابة بدون القول بعصمة بعضهم لا يفيد العلم. ولو سلمنا حجته نظرياً، فكيف نطبقه عملياً ونحن لا- نكاد نجد مسألة عقيدية أو فقهية أو سياسية، إلا وقد روى فيها عنهم الرأي وخلافه!

فبيعه أبي بكر التي يضربونها مثلاً لإجماعهم، يعترفون بأن الإجماع فيها انتقض بمخالفة سعد بن عباد وفاطمة الزهراء عليها السلام وأهل البيت عليهم السلام وعديدين من المهاجرين والأنصار!

المسألة ٢٠

لا يغرُّك أن التفتازاني بدأ كلامه بالإعتراف بأن ما وقع بين الصحابة كان صراعاً على السلطة، حسداً وطمعاً في الدنيا والرئاسة والشهوات، فقد عاد وبرَّر كل ذلك بقوله إنه: (يدل بظاهره على أن بعضهم قد حاد عن طريق الحق) فظاهر قولهم وفعلهم عنده الظلم والفسق، أما باطنه فهو الحق والعدالة من بعضهم، والعدل والعصمة من كبارهم! وبذلك تعرف كيف أتقن هذا الإيراني أسلوب المحامين المعاصرين في صياغة كلامه، للدفاع عن نظرية الصحابة القرشية!

وتعرف أن أتباع الحكومات القرشية يقعون في التناقض الذي يعيونه على الإسماعيلية الباطنية، فقد قلنا لبعض أتباع الإسماعيلية إن إمامهم يشرب الخمر علناً، فأجاب إن عمله في الظاهر شرب خمر، أما في الباطن فإنه بمجرد أن يلمس زجاجة الويسكي بيده الشريفة تتحول إلى شراب طهور من الجنة!

فما الفرق بين مقولتهم ومقولة التفتازانى فى ظاهر عمل الصحابة وباطنه؟!

وقد بلغت براعة التفتازانى ذروتها فى قراءته التعزية على ظلم أهل البيت النبوى صلوات الله عليهم، لكنه برأ الصحابة من ذلك بمن فيهم معاوية، وهاجم يزيد بن معاوية وأدانه بجريمة قتل الإمام الحسين عليه السلام، ثم تراجع وأثبت له حق الحصانة، حتى لاتصعد الإدانة إلى من فوقه من الصحابة!

فهل رأيت محامياً محترفاً أبرع منه فى الدفاع عن جرائم أئمة؟!

المسألة ٣

يظهر أن التفتازانى يقول بعصمة أبى بكر وعمر من بين الصحابة! فقد قال: (إذ ليس كل صحابى معصوماً، ولا كل من لقي النبى (ص) بالخير موسوماً. إلا أن العلماء لحسن ظنهم بأصحاب رسول الله (ص) ذكروا لها محامل وتأويلات بها تليق، وذهبوا إلى أنهم محفوظون عما يوجب التضليل والتفسيق، صوناً لعقائد المسلمين من الزيغ والضلالة فى حق كبار الصحابة!)
فقوله: (إذ ليس كل صحابى معصوماً) يشعر بأن بعضهم قد يكون معصوماً! وكلامه بعده يدل على أنه ارتضى قول (العلماء) أى علماء مذاهب السلطة القرشية فى تبرير جميع أقوالهما وأفعالهما وإنهما محفوظان من الضلال والمعصية! وهذه هى العصمة بعينها! فهو يقول بها لمن سماهم (كبار الصحابة) ويقصد بهم أبابكر وعمر فقط، وربما قصد معهما عثمان وعلياً عليه السلام

المسألة ٤

إن دليل (العلماء) الذى ارتضاه التفتازانى على مقام العصمة لأبى بكر وعمر، ومقام العدالة لبقية الصحابة، مع الإقرار بجرائم بعضهم، أجمله فى قوله: (إلا أن العلماء لحسن ظنهم بأصحاب رسول الله (ص) ذكروا لها محامل وتأويلات بها تليق، وذهبوا إلى أنهم محفوظون عما يوجب التضليل والتفسيق، صوناً لعقائد المسلمين من الزيغ والضلالة فى حق كبار الصحابة، سيما المهاجرين منهم والأنصار المبشرين بالثواب فى دار القرار).

وترجمته بالعربية: أن عقيدة المسلمين فيهم يجب أن تحفظ، لأنهم مبشرون بالجنة!

وهو مصادرة واضحة، لأن البحث فيما يجب أن تكون عقيدة المسلمين فيهم، هل هى العدالة أو العصمة، أو أن الأصل عدم أى منهما حتى تثبت قطعياً؟

وكان ينبغى للتفتازانى المنطقى أن يقول: يجب التوقف فى الصحابة، لأن الله مدح بعضهم وبشرهم بالجنة، وذم بعضهم وأخبر أنهم سينقلون بعد النبى صلى الله عليه وآله فقال: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ). (آل عمران: ١٤٤). ولأن النبى صلى الله عليه وآله مدح بعضهم ووعدهم الجنة، وذم أكثرهم وأخبر أنهم فى النار كما فى صحيح البخارى: ٧/٢٠٩، عن أبى هريرة عن النبى (ص) قال: بينا أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال هلم! فقلت أين! قال إلى النار والله! قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال هلم! قلت أين؟ قال إلى النار والله! قلت: ما شأنهم؟ قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم!!

وهمل النعم كما فى مقدمة فتح البارى: ص ١٩٧: الإبل بغير راع وكذا غيرها، أى الصحابة الخارجون على السلطة، وهم الشاكرون فى الآية.

كان ينبغى للتفتازانى أن يقول مادامت النتيجة المنطقية تتبع أحسن المقدمات، فليس بوسعنا إلا التوقف فى أمر الصحابى حتى تثبت عدالته أو عصمته!

لكنه كرر دليله الواهي بقوله: (يجب تعظيم الصحابة والكف عن مطاعنهم، وحمل ما يوجب بظاھر الطعن فيهم على محامل وتأويلات، سيما المهاجرين والأنصار وأهل بيعة الرضوان، ومن شهد بداراً وأحداً والحديبية، فقد انعقد على علو شأنهم الإجماع، وشهد بذلك الآيات الصراح، والأخبار الصراح).

وكلامه هذا دعوة إلى تعطيل العقل والشرع، وإلغاء ما قرره عامة عقلاء المجتمعات البشرية، وعلماء البيان والفقہ والأصول، من حجیة ظواهر الكتاب والسنة، وظواهر أقوال الناس وأفعالهم! فإن فتواه بوجوب (حمل ما يوجب بظاھر الطعن فيهم على محامل وتأويلات) دعوة صريحة إلى القول بعصمة الصحابة، وإلغاء الظاهر، واتباع المذهب الباطني بأسوأ أنواع الباطنية!

أما قوله إن الآيات الصريحة تدل على علو شأنهم فهو كلام تعمد إبهامه، فإن قصد أنها تدل على عصمتهم جميعاً، ووجوب تأويل ظاھر معاصيهم وانحرافهم فهو ممنوع. وإن قصد أنها تدل على أن بعضهم من أهل الجنة، فهو صحيح، لكن لما لم يدل دليل عندهم على تمييزهم، كان حكمهم حكم الشبهة المحصورة وهو وجوب اجتناب كل أطرافها حتى يتميز الطاهر فيها من النجس، والحلال من الحرام، والمتهم من البرئ، وأهل الجنة من أهل النار!

وأما دعواه إجماع المسلمين على علو شأنهم، ونسبته إلى أهل البيت عليهم السلام مديحهم، فهو ممنوع، بل الثابت بشهادة علمائهم نقض هذا الإجماع، وطعن أهل البيت عليهم السلام وغيرهم في أهل السقيفة، ومن ذلك اعتراف عمر بأن علياً والعباس شهدا عليه وعلى أبي بكر بأنهم غادران خائنان آثمان! (صحيح مسلم: ٥/١٥٢)

ولو لم يكن إلا خطية على عليه السلام الشقشقية لكفت، ولا يتسع المجال للإفاضة! فظهر أن التفتازاني يقول بعصمة الصحابة بعضاً أو كلاً، ويقول بعدالتهم كلاً، لكنه لم يقدم دليلاً واحداً على ذلك، إلا التقليد للسلطة وعلمائها!

ابوبكر و عمر معصومان عند الغزالي، لكن لا يجب تقليدهما

عندما يبحث علماء وهم حجیة قول الصحابي، يصرّحون بعدم عصمة الصحابة، لكنهم عملياً يعصمون الشيخين! قال الغزالي في المستصفى: ص ١٧٠:

(إن قال قائل: إن لم يجب تقليدهم، فهل يجوز تقليدهم؟

قلنا: أما العامي فيقلدهم، وأما العالم فإنه إن جاز له تقليد العالم جاز له تقليدهم وإن حرمننا تقليد العالم للعالم فقد اختلف قول الشافعي رحمه الله في تقليد الصحابة، فقال في القديم: يجوز تقليد الصحابي إذا قال قولاً وانتشر قوله ولم يخالف. وقال في موضع آخر: يقلد وإن لم ينتشر، ورجع في الجديد إلى أنه لا يقلد العالم صحابياً، كما لا يقلد عالماً آخر.

ونقل المزني عنه ذلك وأن العمل على الأدلة التي بها يجوز للصحابة الفتوى، وهو الصحيح المختار عندنا إذ كل ما دل على تحريم تقليد العالم للعالم كما سيأتي في كتاب الإجتهد لا يفرق فيه بين الصحابي وغيره.

فإن قيل: كيف لا يفرق بينهم مع ثناء الله تعالى وثناء رسول الله (ص) قال تعالى: أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ... وقال تعالى: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ... وقال رسول الله (ص): خير الناس قرني. وقال (ص): أصحابي كالنجوم إلى غير ذلك؟

قلنا: هذا كله ثناء يوجب حسن الاعتقاد في علمهم ودينهم ومحلهم عند الله تعالى، ولا يوجب تقليدهم لا جوازاً ولا - وجوباً، فإنه (ص) أثنى أيضاً على آحاد الصحابة، ولا يميزون عن بقية الصحابة بجواز التقليد أو وجوبه، كقوله (ص): لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح. وقال (ص): إن الله قد ضرب بالحق على لسان عمر وقلبه، يقول الحق وإن كان مرأاً. وقال لعمر: والله ما سلكت فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غير فجك. وقال (ص) في قصة أسارى بدر حيث نزلت الآية على وفق رأى عمر: لو نزل بلاء من السماء ما نجا منه إلا عمر. وقال صلوات الله عليه: إن منكم لمحدثين وإن عمر لمنهم. وكان على (رض) وغيره من الصحابة يقولون: ما كنا نظن

إلا- أن ملكاً بين عينيه يسدده وأن ملكاً ينطق على لسانه! وقال (ص) في حق علي: اللهم أدر الحق مع علي حيث دار، وقال (ص): أقضاكم علي، وأفضكم زيد، وأعرفكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل). انتهى.
وقد ناقض الغزالي نفسه، فقد شهد بعصمة أبي بكر وعمر وعلي، ثم قال: (ولا يميزون عن بقية الصحابة بجواز التقليد أو وجوبه)! وقال: (إذ كل ما دل على تحريم تقليد العالم للعالم... لا يفرق فيه بين الصحابي وغيره). انتهى.
فإن الدرجة التي أثبتها لهم هي درجة العصمة، وهي توجب على الأمة اتباعهم، وهي فوق درجة التقليد ورجوع الجاهل إلى العالم، أو إلى أهل الخبرة.

بل ما دام الغزالي يعتقد بأن النبي صلى الله عليه وآله شهد بأن إيمان أبي بكر يَزُجُّ علي إيمان العالمين بمن فيهم الأنبياء أو باستثناء الأنبياء عليهم السلام، فالواجب على العالمين أن يقتدوا به في قوله وفعله، وإلا لم يؤمن عليهم الضلال!
وما دام عمر كالنبي صلى الله عليه وآله لا ينطق عن الهوى، بل ينطق على لسانه ملك معصوم، وتحدثه الملائكة، ويهرب منه الشيطان الذي لا يهرب من الأنبياء عليهم السلام! فالواجب على المسلمين أن يقتدوا به في قوله وفعله، وإلا لم يؤمن عليهم الضلال!
وما دام النبي صلى الله عليه وآله دعا لعل عليه السلام أن يجعل الله معه الحق أينما دار، ودعاؤه صلى الله عليه وآله مستجاب، فالواجب على المسلمين أن يقتدوا به في قوله وفعله، وإلا لم يؤمن عليهم أن يتركوا الحق ويتبعوا الباطل!
لكن لا يفرق قول الغزالي وغيره بعدم وجوب إطاعة أبي بكر وعمر وعدم عصمتهم، وإنما يقولونه بألسنتهم، ووسترى أنهم عندما يصلون إلى عملهم وسيرتهم، يتبنون عصمتهم بالكامل، ويدافعون عن أفعالهم ليثبتوا أنها كلها صحيحة، وأنهم لم يرتكبوا معصية أبداً، لاصغيرة ولا- كبيرة، حتى فيما خالفوا فيه النبي صلى الله عليه وآله! أما إذا وصلوا إلى حكم من يرفض شرعية خلافتهم، فيحكمون بكفره ويهدرون دمه، ويوجبون قتله! فيثبتون لهما درجة فوق العصمة، ويجعلون ولايتهما ركناً قام عليه الإسلام، إلى صف التوحيد والنبوة أو قبلهما!!

بل يصل بهم الأمر أنهم يجعلون ولايتهما أعظم من ولاية الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله لأنهم لا يحكمون دائماً بالكفر والقتل على من عصى الله ورسوله صلى الله عليه وآله!!
ليس من المبالغة أن نقول إن غيرتهم على أبي بكر وعمر، وشدَّتْهم على من رفضهم، أعظم من غيرتهم على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله! وبعضهم يضيف اليهم عائشة وحفصة وعثمان ومعاوية.
وهذا التاريخ يشهد بأنه لم تضطهد أمه من الأمم من أجل شخصين، كما اضطهد ملايين المسلمين من أجل عمر وأبي بكر، ولم تُرق دماءً بذنب رفض ولاية أحد، كما أريقت بذنب رفض ولاية أبي بكر وعمر!
لقد أقاموا كل عقيدتهم وفقههم ودولهم وتاريخهم وتربية أبنائهم وبناتهم، على تقديسهما واضطهاد من لا يقبلهما، حتى كان أجيال الشيعة في زمن الأمويين والعباسيين والعثمانيين، يتمنون أن تعاملهم دولة الخلافة القرشية معاملة المنكرين لله ورسوله صلى الله عليه وآله، ليخفف جرمهم، واضطهادهم، وتقتيلهم!!

هل تشيع الغزالي في آخر عمره؟

للغزالي كتاب اسمه (سر العالمين وكشف مافي الدارين) نقل الدكتور الخليلي في كتابه (السقيفة أم الفتن) ص ١١٤، عن مخطوطته في دار الكتب المصرية رقم: ١/٣١٦.
وقد طبع الكتاب في الهند ومصر والعراق وبيروت وإيران، وهو مرتب على مقالات، وقد أظهر فيه تشييعه بصراحة، ولذا شكك بعضهم في نسبه إليه!

قال المرحوم الطهراني في الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٢/١٦٨:

(١٢٠:سر العالمين) المنسوب إلى الغزالي. كتاب شيعي نسبة إليه في تذكرة خواص الأمة، وتاج العروس، والإتحاف في شرح الإحياء. (فراجعه).

وتابعه إليان سر كيس في معجم المطبوعات العربية: ٢/١٤١٢، فقال: (سر العالمين وكشف ما في الدارين، وهو منسوب للغزالي والصواب أنه لأحد الباطنية- هند ١٣١٤ مصر ١٣٢٤). كما وافقه الباحث السيد جعفر مرتضى فشكك بنسبة الكتاب إلى الغزالي. (مجلة تراثنا: ٢/٩٧ و ٤/١٧٣)

بينما خالفهم عديدون ونسبوا الكتاب إلى الغزالي كالبغدادي في إيضاح المكنون: ٢/١١، قال: (سر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالي محمد بن محمد). ونحوه في هدية العارفين: ٢/٨٠، وكذا القاضي نورالله التستري في كتابه مجالس المؤمنين، والفيض الكاشاني في الوافي، والطريحي في مجمع البحرين، والأميني في الغدير: ١/٣٩١، والمرعشي في شرح إحقاق الحق: ٣٣/٢٤٤، كما نقلوا ذلك عن المحقق الكركي.

وقال الماحوزي في الأربعين ص ١٥١: (ذكر مولانا محسن الكاشي في المحجة البيضاء أن ابن الجوزي الحنبلي ذكر في بعض تصانيفه أن الغزالي ترفض في آخر عمره، وأظهر رفضه في كتاب سر العالمين).

ووافقهم السيد الميلاني في نفحات الأزهار: ١/١٠٢ و ١/٩، ١٨٤، مؤيداً ما استدلووا به من نسبة ابن الجوزي الكتاب إلى الغزالي في تذكرة الخواص ص ٦٢، والذهبي في ميزان الإعتدال: ١/٥٠٠، وفي طبعتنا: ٢/٢١٥، حيث اعتمد عليه فقال: (قال أبو حامد الغزالي في كتاب (سر العالمين): شاهدت قصة الحسن بن الصباح لما ترهّد تحت حصن ألموت فكان أهل الحصن يتمنون صعوده إليهم، ويمتنع ويقول: أما ترون المنكر قد فشا وفسد الناس! فتبعه خلق، ثم خرج أمير الحصن يتصيد فنهض أصحابه وملكوا الحصن!) انتهى.

أقول: وهذا هو الصحيح، والعبارة موجودة في سر العالمين، ولا توجد في غيره. وقد نقل عنه الذهبي أيضاً في: ١٩/٤٠٣، نفس عبارته في ميزان الإعتدال وقال قبلها في ترجمة الغزالي: ١٩/٣٢٧: (ومن معجم أبي علي الصدفي، تأليف القاضي عياض له، قال: والشيخ أبو حامد، ذو الأنباء الشنيعة، والتصانيف العظيمة، غلا في طريقة التصوف، وتجرد لنصر مذهبهم وصار داعية في ذلك، وألف فيه تواليفه المشهورة، أخذ عليه فيها مواضع، وساءت به ظنون أمة! والله أعلم بسره، ونفذ أمر السلطان عندنا بالمغرب وفتوى الفقهاء بإحراقها والبعد عنها فامتثل ذلك. مولده سنة خمسين وأربع مئة).

قلتُ (الذهبي): ما زال العلماء يختلفون ويتكلم العالم في العالم باجتهاده، وكل منهم معذور مأجور، ومن عاند أو خرق الإجماع فهو مأزور، وإلى الله ترجع الأمور. ولأبي المظفر يوسف سبط ابن الجوزي في كتاب رياض الأفهام في مناقب أهل البيت قال: ذكر أبو حامد في كتابه سر العالمين وكشف ما في الدارين فقال في حديث: من كنت مولاه فعلى مولاه، إن عمر قال لعلي: بخ بخ أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة. قال أبو حامد: وهذا تسليم ورضى، ثم بعد هذا غلب عليه الهوى، حباً للرياسة وعقد البنود، وأمر الخلافة ونهيتها، فحملهم على الخلاف فبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشتررون! وسرد كثيراً من هذا الكلام الفسل الذي تزعمه الإمامية، وما أدري ما عذره في هذا! والظاهر أنه رجع عنه وتبع الحق فإن الرجل من بحور العلم، والله أعلم.

هذا إن لم يكن هذا وضع هذا وما ذاك ببعيد، ففي هذا التأليف بلايا لاتتطب! وقال في أوله: إنه قرأه عليه محمد بن تومرت المغربي سراً بالنظامية، قال: وتوسمت فيه الملك. انتهى.

أقول: لم يعين الذهبي من اتهمه باحتمال وضع الكتاب، بقوله (هذا إن لم يكن هذا وضع هذا وما ذاك ببعيد)! فهل يقصد الصدفي، أم القاضي عياضاً! مع أنه ترجم لهما ووصف كلاهما بالإمام ومدحهما كثيراً، قال في سير أعلام النبلاء: ٢٠/٢١٢: (القاضي عياض: الإمام العلامة الحافظ الأوحدي، شيخ الإسلام القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي، ثم السبتي المالكي. ولد في سنة ست وسبعين وأربع مئة... الخ).

وقال في تذكرة الحفاظ: ٤/١٢٥٣: (الإمام الحافظ البارع أبو علي الحسين بن محمد بن فيرة بن حيون الصدفي السرقسطي

الأندلسي... الخ). انتهى.

فتشكيك الذهبي في الكتاب بدون حجة بعد ما اعتمد عليه كبار علمائهم!

أما البلية التي لا تتطب عند الذهبي فهي قول الغزالي في سر العالمين ص ٢١:

(المقالة الرابعة في ترتيب الخلافة والمملكة: اختلف العلماء في ترتيب الخلافة وتحصيلها لمن آل أمرها إليه، منهم من زعم أنها بالنص ودليلهم قوله تعالى: قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَيْدٌ وَعُونَ إِلَى قَوْمِ أُولَى بِأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) (الفتح: ١٦) وقد دعاهم أبو بكر إلى الطاعة بعد رسول الله (ص) فأجابوا. وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: وَإِذْ أَسْرَى النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ تَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْحَبِيرُ. (التحریم: ٣)، قال في الحديث: إن أبا بكر هو الخليفة من بعدى يا حميراء، وقالت امرأة: إذا فقدناك فإلى من نرجع؟ فأشار إلى أبي بكر، ولأنه أمّ بالمسلمين على بقاء رسول الله (ص) والإمامة عماد الخلافة. هذه جملة ما يتعلق به القائلون بالنصوص.

ثم تأولوا وقالوا: إذ لو كان عليّ أول الخلفاء لانسحب عليهم ذيل الفناء، ولم يأتوا بفتوح ولا مناقب، ولا يقدح في كونه رابعاً للخلفاء، كما لا يقدح في نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله إذ كان آخرًا.

والذين عدلوا عن هذه الطريقة زعموا أن هذا تعلق فاسد جاء على زعمكم وأهويتكم، وقد وقع الميراث في الأحكام والخلافة، مثل داود وسليمان وزكريا ويحيى، قالوا: كان لأزواجه ثمن الخلافة فهذا تعلقوا. وهذا باطل، إذ لو كان ميراثاً لكان العباس أولى.

لكن أسفرت الحجة وجهها، وأجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته في يوم غدیر خم باتفاق الجميع وهو يقول: من كنت مولاه فعلى مولاه، فقال عمر: بخ بخ يا أبا الحسن لقد أصبحت م ولأى ومولى كل مولى، فهذا تسليمٌ ورضاً وتحكيم. ثم بعد هذا غلب الهوى بحب الرئاسة، وحمّل عمود الخلافة، وعقود البنود، وخفقان الهوى، في قعقعة الرايات، واشتباك ازدحام الخيول، وفتح الأمصار، سقاهم كأس الهوى، فعادوا إلى الخلاف الأول، فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون.

ولما مات رسول الله صلى الله عليه وآله قال وقت وفاته: إبتوني بدواة وبياض لا زيل عنكم إشكال لأمر، وأذكر لكم من المستحق لها بعدى! قال عمر: دعوا الرجل فإنه ليهجر وقيل ليهذر. فإذا بطل تعلقكم بتأويل النصوص، فعدتم إلى الإجماع، وهذا منقوض أيضاً فإن العباس وأولاده وعلياً عليه السلام وزوجته لم يحضروا حلقة البيعة وخالفكم أصحاب السقيفة في مبايعة الخزرجى... الخ). انتهى.

والظاهر أن استتصار الغزالي كان في آخر أيامه في طوس، ولم يمهل العمر حتى ينشر ذلك، ويبرئ ذمته بإعلان رجوعه عن كتبه ومؤلفاته العديدة، وما غصت به من عدائه لأهل البيت الطاهرين عليهم السلام وتأصيله لمذاهب مخالفيهم! وقد رأيت قبره قرب بيته أو مسجده في بلدة طوس، حيث أمضى آخر حياته، وهي في ضاحية مشهد الإمام الرضا عليه السلام، وقد اهتمت به الحكومة الإيرانية.

النقد الذاتي قليل نادر في علمائهم

مضافاً إلى كتاب سر العالمين للغزالي، فقد أعجبنى هذا النقد الذاتي للحافظ محمد بن عقييل في كتابه القيم: النصائح الكافية لمن يتولى معاوية/١٧٤، قال:

(إننا أهل السنة قد أنكرنا على الشيعة دعواهم العصمة للأئمة الإثني عشر، وجاهرناهم بصيحات النكير، وسفهننا بذلك أحلامهم، ورددنا أدلتهم بما رددنا، أبعث ذلك يجعل بنا أن ندعى أن مائة وعشرين ألفاً حاضرهم وباديهم وعللهم وجاهلهم وذكرهم وأنثاهم، كلهم معصومون أو كما نقول محفوظون من الكذب والفسق، ونجزم بعدلتهم أجمعين فنأخذ رواية كل فرد منهم قضية مسلمة نضلل من نازع في صحتها ونفسقه، ونتصامم عن كل ما ثبت وصح عندنا، بل وما تواتر من ارتكاب بعضهم ما يخرم العدالة وينافيها، من

البغى، والكذب، والقتل بغير حق، وشرب الخمر، وغير ذلك مع الإصرار عليه؟! لا أدري كيف تحل هذه المعضلة ولا أعرف تفسير هذه المشكلة.

إليك فإني لست ممن إذا اتقى عِضاضُ الأفاعى نام فوق العقارب

أما الأمر بحسن الظن فحسن، ولكنه ليس فى مقام بيان الحق وإبطال الباطل، والكلام على جرح أو تعديل، ولو سوغنا هذا لتعطلت الأحكام، وبطلت الحدود والشهادات، وكُتبك الشرع على أم رأسه، إذ لا وجه لتخصيص أشخاص دون آخرين بحسن الظن بهم فى كل ما يفعلونه، إذا ترتب على فعله حكم شرعى إلا بمخصص شرعى، وأنى بذلك.

ولو عممنا القول بذلك لكان حسن الظن حسناً بكل فرد من أفراد المسلمين فى كل ما يفعله كما يقول به بعض الصوفية، فيتأول حينئذ لكل منهم ما ارتكبه من القبائح والبدع المضلة والكبائر، ويحمل كل ذلك على محمل حسن وقصد صالح، ويدخل فى ذلك الخوارج وغلاة الرافضة فيما يرتكبونه من البدع والتفكير والسب، وهلم جراً.

اللهم غفرانك، إنه بهذا يتعطل الشرع وتلتبس الأمور ويختلط الحابل بالنابل، بل الواجب إجراء كل شئ فى مجراه عند إرادة إيضاح الحقائق وبيان المشروعات. وبهذا عمل الصحابة رضى الله عنهم فيما بينهم، وهكذا عمل جهابذة أصحاب الحديث فى الجرح والتعديل، فى رواية الحديث إلا- فيمن له صحبة على حسب اصطلاحهم فى تعريف صاحب، وهى نقطة الإنتقاد عليهم ومحل الإشكال، إذ كيف يمكن طالب الحق أن يعتمد ما قالوه ويجرى على ما جروا عليه من التسوية، صحة واحتجاجاً، بين روايات الحكم والوليد ومعاوية

وعمرو وأشباههم؟! سبحان الله أفمن اتبع رضوان الله كمن يبأء بسخط من الله؟! لا- والله، ثم لا والله إن الإذعان للحق شأن المنصفين، وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ).

السلطة القرشية تتبع اليهود حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل

تقليد اليهود.. من مصادرة الخلافة الى.. ترك الصلاة

شهدت عامة المصادر كالبخارى ومسلم أن النبى صلى الله عليه وآله حذر المسلمين من الإنحراف بعده، وفى نفس الوقت أخبرهم بأن ذلك سيكون، فقال: لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ تبعتموهم! قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟!.

وفى مناسبة أخرى قال لهم: والذى نفسى بيده لتتبعن سنن الذين من قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، وباعاً فباعاً، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتموه! قالوا ومن هم يا رسول الله، أهل الكتاب؟ قال: فمه؟!.

وفى مناسبة أخرى قال لهم: لاتقوم الساعة حتى تأخذ أمتى مأخذ الأمم والقرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع، قالوا: يا رسول الله كما فعلت فارس والروم؟ قال: وهل الناس إلا أولئك؟!.

(روت ذلك عامة المصادر كالبخارى: ٩/ ١٢٦ و: ٨/١٥١، ومسلم: ٤/ ٢٠٥٤ ح ٢٦٦٩ عن أبى سعيد الخدرى، ونحوه/ ٢٠٥٥، وأحمد: ٣٢٧/٢ و٣٢٥ و٤٥٠، ونحوه ص ٣٣٦ و٣٦٧ و٥٢٧ و: ٣/٨٤ و٨٩ و٩٤ و: ٤/١٢٥، والرويانى: ح ١٠٨٥ عن سهل بن سعد، والبغوى فى المصاييح: ٣/ ٤٥٨، من صحاحه، عن أبى سعيد، كما فى رواية البخارى الثانية، وجامع الأصول: ١٠/ ٤٠٩ ح ٧٤٧٢، و٧٤٧٣، وجمع الجوامع: ١/ ٩٠٢، والجامع الصغير: ٢/ ٤٠١ ح ٧٢٢٤، وجمع الزوائد: ٧/ ٢٤١، وفيض القدير: ٥/ ٢٤١، ومسند ابن الجعد ص ٤٩١، والديباج على مسلم: ٦/ ٣٣ و٣٤، ومصنف عبد الرزاق: ١١/ ٣٦٩، وكنز العمال: ١٤/ ٢٠٧، والكنى والأسماء: ٢/ ٣٠، عن ابن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ولتركن سنن من كان قبلكم شبراً حتى لو أن أحدهم دخل حجر ضب دخلتم، وحتى لو أن أحدهم

ضاجع أمه بالطريق لفلعلم. والحاكم: ١/٣٧ و ٤/٤٥٥ وصححه وفيه: "حتى لو أن أحدهم جامع إمرأته بالطريق لفلعلموه. ومصنف ابن أبي شيبة: ٨/٦٣٤، وفيه:

(أنتم أشبه الناس سمتاً وهدياً بنبي إسرائيل لتسلكن طريقهم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل).، قال عبد الله: إن من البيان سحراً. وقال في هامشه: القذة ريش السهم، وللسهم ثلاث قذذ متقاربة الواحدة بجانب الأخرى، ويقال حذو القذة بالقذة للشيين يستويان ولا يتفاوتان).

وفي شرح مسلم للنووي: ١٦/٢١٩: (السَّنَن بفتح السين والنون هو الطريق، والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب كل التمثيل بشدة الموافقة لهم).

وفي فتح الباري: ١٣/٢٥٥: (في رواية الكشميهني شبراً بشبر وذراعاً بذراع، عكس الذي قبله. قال عياض: الشبر والذراع والطريق ودخول الجحر، تمثيلٌ للإقتداء بهم في كل شئ مما نهى الشرع عنه وذمه.....

وقد أخرج الطبراني من حديث المستورد بن شداد رفعه: لا تترك هذه الأمة شيئاً من سنن الأولين حتى تأتيه..... وحيث قيل اليهود والنصارى كان هناك قرينة تتعلق بأمور الديانات أصولها وفروعها.....

عن أنس قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: إذا ظهر فيكم ما ظهر في بني إسرائيل، إذا ظهر الإدهان في خياركم، والفحش في شراركم، والملك في صغاركم، والفقه في رذالكم). انتهى.

وفي مناسبة أخرى قال النبي صلى الله عليه وآله: (لتنقض عرى الإسلام عروة عروة، كلما نقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضاً الحكم، وآخرهن الصلاة).

(رواه من مصادرنا: الطوسي وغيره، قال في الأمالي ص ١٨٦: أخبرنا محمد بن محمد قال: أخبرني أبو محمد الحسن بن محمد العطشي قال: حدثنا أبو علي محمد بن همام الإسكافي قال: حدثنا حمزة بن أبي جمعة الجرجاني الكاتب قال: حدثنا أبو الحارث شريح قال:

حدثنا الوليد بن مسلم، عن عبد العزيز بن سليمان، عن سليمان بن حبيب، عن أبي أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وآله. ورواه من مصادرهم: أحمد: ٥/٢٥١، والبخاري في تاريخه: ٨/٣٣٣ ح ٣٢١٤، وابن حبان: ٨/٢٥٣ ح ٦٦٨٠، عن أبي أمامة. والطبراني

الكبير: ٨/١١٦ ح ٧٤٨٦، والجامع الصغير: ٢/٤٠٣ ح ٧٢٣٢، وص ٤٧٣، والحاكم: ٤/٩٢، وقال: والإسناد كله صحيح ولم يخرجاه. ومجمع الزوائد: ٧/٢٨١، وقال: رواه أحمد، والطبراني، ورجالهما رجال الصحيح). انتهى.

أمام هذه الأحاديث النبوية تواجهنا عدة أسئلة:

السؤال الأول، معنى هذه الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وآله قد نعى الأمة إلى نفسها، وأنها من بعده ستتحرف، فهل هذا حقيقة قطعية؟!

والجواب: نعم إنها حقيقة قطعية وإن كانت مرّة، بدليل أن هذه الأحاديث صحيحة مجمع عليها عند كافة الأمة، والمجمع عليه من الأمة لا شك فيه.

والسؤال الثاني، هل المقصود بهذا الكلام النبوي انحراف غالبية الأمة، أو انحراف فئة صغيرة منها؟

والجواب: أن الخطاب في هذه الأحاديث موجه إلى جميع الأمة، فلا بد أن يشمل الانحراف غالبيتها حتى يصح نسبة الانحراف إلى الأمة، فقد قال صلى الله عليه وآله: لتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً... والذي نفسى بيده لتبعن سنن الذين من قبلكم... ولتركن سنن من كان قبلكم... ولو كان الانحراف محصوراً بفئة قليلة من الأمة لقال: لتبعن فئة من أمتي، أو مارقة من أمتي سنن من كان قبلهم.

والسؤال الثالث، هل أن الانحراف الموعود يشمل العقائد والشرائع والسياسة، كما حدث في بني إسرائيل؟!

والجواب: نعم لا بد من القول بشمول الانحراف لكل معالم الإسلام، بدليل الإطلاقات في ألفاظ اتباع سنن اليهود والنصارى، وبدليل

السعة في انحراف اليهود بعد أنبيائهم عليهم السلام، حيث شمل انحرافهم أصول عقيدتهم بالله تعالى، وطعنهم بأنبيائهم ومخالفتهم لأوصيائهم عليهم السلام، واتباعهم غيرهم!

وقد نصت صيغ الأحاديث على الشمول كقوله صلى الله عليه وآله: لتنقض عرى الإسلام عروة عروة، كلما نقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضاً الحكم، وآخرهن الصلاة. وسواء أراد بالحكم الخلافة، أو القضاء، فهو يدل على انحراف السلطة الحاكمة. والسؤال الرابع، ما علاقته هذه الأحاديث النبوية بآية الانقلاب على الأعداء؟: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) (آل عمران: ١٤٤) والجواب: هذه الأحاديث النبوية المتفق عليها تفسر الانقلاب المقصود في الآية، وتدلل على أن الله تعالى لم يتحدث فيها وفي أمثالها عن فرضية لن تحدث وأن الشرطية والاستفهام فيها إخبار إلهي، قبل أن يكون إنذاراً واستنكاراً!

والسؤال الخامس، أين هذا الانحراف في الأمة، إن لم يكن ما تقوله الشيعة؟

والجواب: نعم هذه هي الحقيقة، ولذلك يدور أمر الذين ينكرون وقوع الانحراف في جمهور الأمة، بين أن يكذبوا إخبارات النبي صلى الله عليه وآله عن وقوعه، ويكذبوا آية الانقلاب.. وبين أن يعترفوا بعدم شرعية السلطة القرشية التي بدأت في السقيفة يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله من غير مشورة المسلمين، ولا استناد على نص من النبي صلى الله عليه وآله، وأجبرت الناس على بيعتها، ثم تواصلت سياسة الإجماع في بني أمية وبني العباس بنفس طريقة الغلبة والجبر، التي أسستها السقيفة! فلو سألت عالماً سنياً: هل تحقق ما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله فاتبعت الأمة سنن اليهود والنصارى أم لا؟! لحاول أن ينفي ذلك، ويثبت لك أن الأمة بعد نبينا صلى الله عليه وآله مشت على طريق الهدى، واتبعت خير أصحابه أبا بكر وعمر، وأن الذين انحرفوا فئة قليلة هم أهل الأهواء والبدع، وهم الرافضة الذين رفضوا خلافة أبي بكر وعمر، وزعموا أن النبي صلى الله عليه وآله أوصى الأمة باتباع علي والعترة عليهم السلام!

ولو قلت له: لو كانت أغلبية الأمة مهتدية لما صح هذه الإطلاق والتعميم في كلام النبي صلى الله عليه وآله، ولكان اللازم أن يقول مثلاً: لتبعن فئة من أمتي أو مارقة من أمتي سنن من كان قبلها.. لما استطاع أن يجيب!

والسؤال السادس، من أين يبدأ هذا الانحراف الخطير في الأمة؟

الجواب: صحت الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وآله حدد مصدر الانحراف في أمة وأساس فتنها، بالحكام والأئمة القرشيين المضلين!

ففي مجمع الزوائد: ٥/٢٣٩: (وعن ثوبان قال قال رسول الله (ص): إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين. رواه أحمد ورجاله ثقات...

وعن سداد بن أوس قال قال رسول الله (ص): إني لا أخاف على أمتي إلا الأئمة المضلين، وإذا وضع السيف في أمتي لا يرفع عنهم إلى يوم القيامة. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

وعن عمير بن سعد وكان عمر وولاه حمص قال قال عمر لكعب: إني سائلك عن أمر فلا تكتمني. قال: والله ما أكتمك شيئاً أعلمه، قال: ما أخوف ما تخاف على أمة محمد (ص)؟ قال: أئمة مضلين، قال عمر: صدقت قد أسررت لي وأعلمني رسول الله (ص). رواه أحمد ورجاله ثقات).

وروى أحمد: ٥/١٤٥، عن أبي ذر قال: كنت أمشي مع رسول الله (ص) فقال: لغير الدجال أخوفني على أمتي قالها ثلاثاً! قال قلت يا رسول الله، ما هذا الذي غير الدجال أخوفك على أمتك قال: أئمة مضلون!! (ورواه أبو يعلى: ١/٣٥٩ ح ٤٦٦، والفردوس: ٣/١٣١ ح ٤١٦٣ عن علي).

وفي سنن الترمذي: ٣/٣٤٢: (٢٣٣٠- عن ثوبان قال قال رسول الله (ص): إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين.

قال وقال رسول الله (ص): لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله. هذا حديث صحيح).

انتهى.

وفى تحفة الأحوذى: ١/٤٠٦: (باب ما جاء فى الأئمة المضلين: قوله: إنما أخاف على أمتى أئمة مضلين، أى داعين إلى البيع والفسق والفجور....

قوله (هذا حديث صحيح)، وأخرجه مسلم وابن ماجه بدون ذكر إنما أخاف على أمتى أئمة مضلين. وأخرجه أبو داود مطولاً. وروى ابن أبى شيبه فى المصنف: ١٥/١٤٢ ح ١٩٣٣٢: (عن على قال: كنا عند النبى (ص) جلوساً وهو نائم، فذكرنا الدجال، فاستيقظ محمراً وجهه فقال: غير الدجال أخوف عليكم عندى من الدجال: أئمة مضلون).

وفى الطبرانى الكبير: ٨/١٧٦ عن أبى أمامه يحدث أنه سمع رسول الله (ص) يقول: لست أخاف على أمتى جوعاً يقتلهم ولا عدواً يجتاحهم، ولكنى أخاف على أمتى أئمة مضلين، إن أطاعوهم فتنوهم، وإن عصوهم قتلوهم).

أما من طرق أهل البيت عليهم السلام فقد روى الطوسى فى أماليه: ٢/١٢٦: (عن عبد الله بن يحيى الحضرمى قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: كنا جلوساً عند النبى صلى الله عليه وآله وهو نائم ورأسه فى حجرى، فتذاكرنا الدجال، فاستيقظ النبى محمراً وجهه فقال: غير الدجال أخوف عليكم من الدجال، الأئمة المضلون، وسفك دماء عترتى من بعدى، أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم). انتهى.

والسؤال السابع: ما دام الإنحراف وقع قطعاً بحكم أن الصادق الأمين صلى الله عليه وآله أخبر به عن ربه، فلا بد أن يكون له ثقافة تحريفية واسعة فى العقائد والتفسير والأحاديث والأحكام والسيرة والمذاهب والمشارب! فأين هذه الآثار الثقافية فى مصادر المسلمين، إن لم تكن ما يقوله الشيعة؟!

والسؤال الثامن: كتبنا فى كتاب تدوين القرآن: الفصل العاشر موقف إخواننا السنة من الثقافة اليهودية، تحت عنوان:

مذهب أهل البيت أبعد المذاهب عن الثقافة اليهودية

إذا كان عند الباحث معرفة بالثقافة اليهودية وحساسيه منها، ومشى بهذا النور فى مصادر الإسلام متتبعاً احتمالات التسرب والتأثير، فلن يجد معيناً صافياً لا شائبة فيه إلا الثروة المروية عن أهل البيت عليهم السلام.

ولا يهمننا أن يستكثر الآخرون هذه الدعوى، ولكن يهمننا أن يبحثوا فى مفردات ما أنزل الله تعالى على رسوله برواية أهل بيته صلى الله عليه وآله ثم يقارنوا بينها وبين مثيلاتها من رواية غير أهل البيت، من زاوية القرب والبعد عن الثقافة اليهودية، ومن زاوية احتمال التسرب والتأثير، وزاوية التعبير عن استقلال الشخصية الفكرية للوحي المنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله.. ثم يحكموا!...

حدثنى الأستاذ الشيخ مصطفى الزرقا، وهو من كبار فقهاء السنة فى عصرنا، ومن أبرز عقولهم العلمية المحترمة، عن جلسة من جلسات مؤتمر البحوث الإسلامية فى القاهرة فى أواخر الستينات فقال: تحدث أحد المحاضرين عن مشكلة الإسرائيليات فى مصادر المسلمين فحمل على الشيعة الذين جلبوا على المسلمين هذا البلاء، وأطال فى ذلك. فطلبت الكلام بعده وقلت: لا يصح أن نظلم الشيعة، لأنهم طائفة إسلامية لها عراقها وأصالتها العلمية، وقد اطلعت على مصادر من فقههم فرأيتهم فقهاً قوى المنطق والحجة مستنداً إلى القرآن والسنة.. والإسرائيليات بلاء عام ابتليت به مصادرنا كما ابتليت به مصادر الشيعة، فلا يصح أن نقول إنه جاءنا منهم..

إن هذا الموقف شبه المنصف لهذا الفقيه يدل على اطلاعه على مصادر السنة وشئ من مصادر الشيعة.. ولكنى مطمئن بأنه لو اطلع أكثر لقال: إن بلاء الإسرائيليات فى مصادر المسلمين وإن كان مشتركاً بين السنة والشيعة، إلا أن منبعه عند السنة وبعض ترشحاته عند الشيعة، والسبب فى ذلك أن السلطة كانت بيد خلفاء السنة وأئمتهم، وكان علماء اليهود وحملته ثقافتهم يتقربون إليهم فقبوهم وأجازوا لهم بث ثقافتهم فى المسلمين! أما الشيعة فكانوا أقلية محكومين، وكان اليهود يتعدون عنهم خوفاً من غضب السلطة.

ولو اطلع أكثر لقال: أما على والأئمة من أهل بيت النبى فلم يكونوا بحاجة لأن تكون لهم علاقات ثقافية مع اليهود والنصارى، بل كانوا يأنفون من الإستماع إلى علومهم المحرفة.. ولم يعهد عنهم أنهم مدحوا شخصيات أهل الكتاب أو ثقافتهم بكلمة واحدة، بل

كانوا أقوى المناظرين لهم، وكان المسلمون إذا أخرجوا في مسألة من أهل الكتاب هرعوا إلى أهل بيت نبيهم صلى الله عليه وآله ليأخذوا جوابها..

ومن المعروف عن علي عليه السلام أن حاخاماً يهودياً قال له: سرعان ما اختلفتم في نبيكم. يقصد في أمر الخلافة. فأجابه عليه السلام: نحن لم نختلف في نبينا بل اختلفنا عنه، وأما أنتم فما جفت أقدامكم من البحر حتى قلت: يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهؤلاء!!
إننا على يقين بأن الباحثين المنصفين في سلوك أهل البيت وفقههم والعلوم التي أثرت عنهم، سوف يصلون إلى نتيجة تقول: إن أصفى المذاهب وأبعدها عن التأثير بثقافة أهل الكتاب: هو مذهب أهل البيت عليهم السلام.

أعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر و أبي بكر

بدأ نشاطهم بعد النبي واستمر إلى يومنا هذا

رأى أتباع الخلافة القرشية أن كل أمرهم يتوقف على تصحيح عمل السقيفة، فأشاعوا نشر تقديس شخصية عمر وأبي بكر، وبقية زعماء قريش، مقابل قداسة عتره النبي الطاهرين عليهم السلام الذين تعلم المسلمون الآيات والأحاديث فيهم، وشاهدوا فيهم مناقبية الأوصياء في القول والعمل!

ولا نتكلم هنا عن أعمال أتباع الخلافة في تبرير عزل زعماء قريش لأهل البيت واضطهادهم وتقيص مقامهم! ولا عن أعمالهم في آيات القرآن وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله في عترته أهل بيته عليهم السلام. وإنما عن أعمالهم لرفع مقام الصحابة من أجل عمر وأبي بكر، فقد جعلوا العمر مقام النبي بلا نبوة، ومقام العصمة بدرجة أعلى من عصمة النبي صلى الله عليه وآله، وقد أوردنا عدداً من مسائل هذا الموضوع في المجلد الثاني من كتاب (ألف سؤال وإشكال على المخالفين لأهل البيت الطاهرين) في الفصل ٢١ و٢٢، ونكتفي هنا ببضعة أعمال يتسع لها هذا الكتاب:

حملوا آيات مدح الصحابة أكثر مما تحتمل

في القرآن عدد من الآيات في مدح الصحابة، وأضعافها في انتقادهم! وهذا طبعي لأن القرآن تنزل في ثلاث وعشرين سنة، ليثبت الله به قلب نبيه صلى الله عليه وآله في تبليغه الرسالة وبناء الأمة، قال تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً. وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا. (الفرقان: ٣٢-٣٣).

وليوجه أمة النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه، فيمدحهم عندما يحسنون، ويشجعهم عندما يضعفون، ويؤنبهم عندما يقصرون! واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم. (البقرة: ٢٣١).

وكيف تكفروا وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم. (آل عمران: ١).

وقد ضخمت السلطة بعد النبي صلى الله عليه وآله آيات مدح الصحابة، وتناست آيات نقدهم وذمهم! وبالغت في ذلك حتى جعلت صحابته معصومين عملياً، لتثبت أنهم الورثة الشرعيون للنبي صلى الله عليه وآله مع أن أهل البيت النبوي عليهم السلام أهل بيت وصحابة!

ومن الحقائق الملفتة أن احتجاج أتباع الخلافة بهذه الآيات، ظهرت في عهد معاوية ولم يكن لهما وجود في زمن أبي بكر وعمر وعثمان! فغاية ما تجده عن عمر أنه فضل أهل بدر بالعطاء على غيرهم، وحكم بأن الخلافة يجب أن تكون فيهم وأنها حرام على الطلقاء! قال: (هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحد، ثم في أهل أحد ما بقي منهم أحد، ثم في كذا وكذا وليس فيها لطلق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شيء. أخرجه الثلاثة). (أسد الغابة: ٤/٣٨٧، وفتح الباري: ١٣/١٧٨، والطبقات: ٣/٣٤٢، وابن عساكر: ٥٩/١٤٥، وكنز

العمال: (١٢/٦٨١).

بل إن شهادتهم لأهل بدر بالجنة، التي رواها بخارى في: ٤/ ١٩، وعدة مواضع أخرى، والتي تقول إن النبي صلى الله عليه وآله قال: (وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم). لم يروها أحد عن أبي بكر ولا عمر! مع أنها لو كانت صحيحةً لاحتجَّ بها فيما احتجَّ!

إن هذا يدل على أن أتباع الخلافة اتخذوا فيما بعد قرارهم بتعظيم الصحابة بآيات وأحاديث، وإشاعتها في المسلمين، فملأوا بها مصادرهم، وربوا عليها أولادهم، وأنسوهم آيات توبيخ الصحابة، وأحاديث دخول أكثرهم النار! وحرمو على المسلمين انتقادهم، بل أفتوا بكفر من ارتكب ذلك وقتله!

قال الخطيب البغدادي الكفاية في علم الرواية ص ٦٣: (باب ما جاء في تعديل الله ورسوله للصحابة، وأنه لا يحتاج إلى سؤال عنهم، وإنما يجب فيمن دونهم).

كل حديث اتصل إسناده بين من رواه وبين النبي (ص) لم يلزم العمل به إلا بعد ثبوت عدالة رجاله، ويجب النظر في أحوالهم، سوى الصحابي الذي رفعه إلى رسول الله (ص) لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نص القرآن.

فمن ذلك قوله تعالى: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.

وقوله: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسِيًّا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وهذا اللفظ وإن كان عاما فالمراد به الخاص وقيل وهو وارد في الصحابة دون غيرهم.

وقوله: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا

وقوله تعالى: وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ.

وقوله تعالى: وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ. فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

وقوله: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

وقوله تعالى: لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ. وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ في آيات يكثر إيرادها ويطول تعدادها... انتهى.

ولو سألتهم أولاً: أين الآيات الأخرى في الصحابة، لنقارنها بآيات مدحهم ونجم بينها وبينها، كقوله تعالى عن النبي صلى الله عليه وآله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ. وَمَنْ يُؤَلِّهْمْ يَوْمئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَاهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. (الأنفال: ١٥-١٦)

لما كان عندهم جواب، لأن الصحابة جميعاً، ما عدا بني هاشم، فروا في أحد وخيبر وحنين، وغيرها، واستحقوا بنص الآية نار جهنم، إلا من ثبتت توبته!

وثانياً، لو قلنا لهم: ما هي أقوى آية عندكم في مدح الصحابة؟ لقالوا: إنها قوله تعالى: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا، فقد نصت على رضا الله عن أهل بيعة الرضوان، وكانوا ألفاً وأربع مئة، ولذا حكمنا بأنهم من أهل الجنة.

نقول لهم: إن أهل بيعة الرضوان أو الشجرة، فيهم مؤمنون وفيهم دون ذلك، والرضا ورد في الآية عن المؤمنين فقط، واستمراره عن هؤلاء المؤمنين مشروط بأن لا يحدثوا ما يغضب الله عليهم ويحبط عملهم!

فلو كان كل المبايعين مؤمنين والرضا عنهم مطلق، لقال عز وجل: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ، وما قيده بالمؤمنين، وبظرف

(إِذِ يُبَايِعُونَكَ!) فاخياره لهذين القيدين، تحفظ إلهي كبير، يدل على أن رضاه محدود في الأشخاص، وفي الظرف! وثالثاً، لماذا نسيت العقد الذي بايعوا عليه النبي صلى الله عليه وآله، فكان سبب رضا الله عنهم، والذي جعلتموه رضاً مستمراً وعصمة شاملة؟ فقد صرحتم بأنهم بايعوه على أن يقاتلوا معه ولا يفروا! قال بخارى: ٤/٨: (باب البيعة في الحرب أن لا يفروا، وقال بعضهم على الموت، لقوله تعالى: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ... فسألت نافعاً على أى شئ بايعهم على الموت؟ قال: لا بايعهم على الصبر). انتهى.

فكيف يستمر رضا الله عليهم وقد نكثوا بيعتهم وفروا في خيبر وحين، وكاننا بعد بيعه الشجرة؟ والله تعالى يقول: إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ! (الفتح: ١٠).

قال ابن طاوس في الطرائف ص ٥٨: (رواه علماء التاريخ مثل محمد بن يحيى الأزدي، وابن جرير الطبري [١] والواقدي، ومحمد بن إسحاق، وأبي بكر البيهقي في دلائل النبوة [٢] وأبي نعيم في كتاب حلية الأولياء [٣] والأبشهي في الاعتقاد، عن عبد الله بن عمر، وسهل بن سعد، وسلمة بن الأكوخ، وأبي سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله الأنصاري، أن النبي صلى الله عليه وآله بعث أبا بكر برأيه مع المهاجرين وهي راية بيضاء، فعاد يؤنب قومه ويؤنبونه، ثم بعث عمر بعده فرجع يجن أصحابه ويجنبونه، حتى ساء ذلك النبي صلى الله عليه وآله فقال: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كراراً غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه فأعطاهما علياً ففتح على يديه [٤].

وقال تعالى: وَيَوْمَ حُتَيْنٍ إِذْ أُعْجِبْتُمْ كَثْرَتَكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ. (التوبة: ٢٥). وفي صحيح بخارى: ٥/١٠١: (عن أبي قتادة قال: وانهمز المسلمون يوم حنين وانهمزت معهم فإذا عمر بن الخطاب في الناس فقلت له: ما شأن الناس؟ قال: أمر الله!! ونحوه: ٤/٥٨).

فكيف يجوز التمسك بآية: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ، وترك قوله عن الفار: فَقَدْ بَاءَ بِعَصَبٍ مِنَ اللَّهِ، وقوله عن الناكث: فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ!؟

ورابعاً، سواء كان المدح في الآية لكل من بايع كما تقولون، أو لبعضهم كما نقول، فإن أهل البيت عليهم السلام في طليعتهم، فهم شركاء للصحابة فيها، مضافاً إلى ما اختصوا به من آيات وأحاديث، فكيف يصح رفع الصحابة إلى مرتبتهم لأنهم شاركوهم في مدحهم؟!؟

وخامساً، ما ذا يعنى عندكم نص القرآن على رضا الله عز وجل عن أناس؟

هل يعنى عصمتهم، وأنهم حجة على المسلمين يجب عليهم الإقتداء بهم؟ فتكون سنتهم وقولهم وفعلهم وتقريرهم حجة شرعية كالنبي صلى الله عليه وآله؟

وإذا اختلفوا واقتتلوا، فهل يكون إجماعهم فقط هو الحجة؟ أم يجوز للمسلم أن يقتدى بأى واحد منهم كما رويتم: أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم؟!؟

فيصح الإقتداء بسعد بن عباد وأهل البيت عليهم السلام في رفضهم لخلافة السقيفة؟

وسادساً، كيف تقولون إن الرضا الإلهي شمل كل أهل بيعة الشجرة فكلهم في الجنة، وفيهم رأس المنافقين ابن سلول، وفيهم ابن عديس البلوى قاتل عثمان، وفيهم أبو الغادية قاتل عمار الذي شهد النبي صلى الله عليه وآله بأنه من أهل النار؟!؟

هذه مناقشة عابرة في أهم آية عندهم في مدح الصحابة، التي حاولوا بها رفعهم إلى صف أهل البيت عليهم السلام. ولا يتسع المجال لبسط القول فيها وفي غيرها.

[١] تاريخ الطبري: ٣/٩٣ ط بيروت.

[٢] رواه البيهقي في السنن الكبرى: ٩/١٠٦، وكذا في الاعتقاد: ١٥١.

ولم ينته امتحانهم بوفاء النبي صلى الله عليه وآله: وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُواْ أَخْبَارَكُمْ. محمد: ٣١
ومنهم من سيرتد وينقلب على عقبيه بعد النبي صلى الله عليه وآله: وَمِمَّا مَحَمَّدُ إِلا رَسُوْلٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ). (آل عمران: ١٤٤)
ومنهم الخائن العميل للكافرين: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ. التوبة: ١٦

ومنهم من هو من اليهود أو النصارى: وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. المائدة: ٥١ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْحِكُوا عَلَى مَا اسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ. المائدة: ٥٢

وهم مثل أتباع الأنبياء السابقين منهم الصالح ومنهم الطالح: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. البقرة: ٦٢
ولا- نريد بذلك أن ننقص من حق صحابه النبي صلى الله عليه وآله، ففيهم أبرار أخيار ومجاهدون أئمة، نزلت فيهم آيات مديح
فريدة، وصدرت بحقهم شهادات نبوية خالدة، لكنها تخص الصالحين منهم، دون المنافقين، ومرضى القلوب وضعفاء العقيدة. فلا بد
من ميزان لمعرفةهم.

لابد من ميزان لتقييم الصحابة

كان الميزان رسول الله صلى الله عليه وآله، أما بعده فالميزان عترته الطاهرون عليهم السلام الذين قال فيهم في حديثه المتواتر عند
الجميع: إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما.
وقال فى أولهم على عليه السلام: (على باب علمى، ومبين لأمتى ما أرسلت به من بعدى. حبه إيمان وبغضه نفاق، والنظر إليه رافة
ومودة وعبادة). (فردوس الأخبار: ٣/٦٤)

وروى الحاكم: ٣/١٢٩: عن أبى ذر قال: ما كنا نعرف المنافقين إلا بتكذيبهم الله ورسوله، والتخلف عن الصلوات، والبغض لعلى بن
أبى طالب. هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. (ورواه أحمد فى فضائل الصحابة: ٢/٦٣٩).

وفى صحيح مسلم: ١/٦٠، تحت عنوان: باب حب على من الإيمان: عن زر بن حبيش قال: قال على عليه السلام: والذى فلق الحبة وبرأ
النسمة، إنه لعهد النبى (ص) إلى: أن لا- يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق). (ورواه ابن ماجه: ١/٤٢، والنسائي فى سننه: ٨/١١٥
و ١١٧ وفى خصائص على: ١٣٧٥، وأحمد: ١/٨٤ و ٩٥ و ١٢٨ و فضائل الصحابة: ٢/٢٦٤، وابن أبى شيبه فى مصنفه: ١٢/٥٦، وعبد الرزاق
فى مصنفه: ١١/٥٥، وابن أبى عاصم فى السنة: ٥٨٤٢، وابن حبان فى صحيحه: ٩/٤٠، والخطيب فى تاريخ بغداد: ٢/٢٥٥ و ١٤/٤٢٦، وابن
عبد البر فى الاستيعاب: ٣/٣٧، وأبو نعيم فى حلية الأولياء: ٨/١٨٥، وابن حجر فى الإصابة: ٢/٥٠٣، والحاكم فى المستدرک: ٣/١٣٩،
والبيهقى فى سننه: ٥/٤٧، وابن حجر فى فتح البارى: ٧/٥٧).

وفى فتح البارى: ٧/٧٢: وفى كلام أمير المؤمنين كرم الله وجهه يقول: لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفى هذا على أن يبغضنى ما
أبغضنى، ولو صببت الدنيا بجمانها على المنافق على أن يحبني ما أحبني! وذلك أنه قضى فانقضى على لسان النبى الأمى صلى الله
عليه وآله وسلم أنه قال: يا على لا يبغضك مؤمن، ولا يحبك منافق). انتهى.

ويطول الكلام لو أردنا استعراض ما دل على أن علياً والعتره الطاهرة عليهم السلام ميزان الإسلام والكفر والإيمان والنفاق، فيهم فقط
نستطيع أن نعرف المرضيين وغير المرضيين من الصحابة، من أهل السقيفة وغيرهم.

وضعوا أحاديث في مدح الصحابة و عصمتهم

ليقابلوا بها أحاديث عصمة العترة

قال الخطيب البغدادي في الكفاية ص ٦٤: (ووصف رسول الله (ص) الصحابة مثل ذلك (مثل الآيات) وأظن في تعظيمهم وأحسن الثناء عليهم. فمن الأخبار المستفيضة عنه في هذا المعنى: ما أخبرنا أبو نعيم الحافظ ثنا عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس... عن عبد الله بن مسعود أن النبي (ص) قال: خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق إيمانهم شهادتهم ويشهدون قبل ان يستشهدوا... ثم رواه الخطيب عن أبي هريرة وعمران بن حصين، وروى بعده:

عن أبي سعيد قال قال رسول الله (ص): لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه...

عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به لا عذر لأحدكم في تركه، فإن لم يكن في كتاب الله فسنة مني ماضية، فإن لم تكن سنة مني ماضية فما قال أصحابي، إن أصحابي بمنزلة النجوم في السماء فأبها أخذتم به اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة...

عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله (ص): سألت ربي فيما اختلف فيه أصحابي من بعدى، فأوحى الله إليّ يا محمد إن أصحابك عندي بمنزلة النجوم في السماء، بعضها أضوأ من بعض، فمن أخذ بشئ مما هم عليه من اختلافهم فهم عندي على هدى....

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص): إن الله اختارني واختار أصحابي فجعلهم أصهارى وجعلهم أنصارى، وإنه سيجيء في آخر الزمان قوم ينتقصونهم ألا فلا تناكحوهم، ألا فلا تنكحوا إليهم، ألا فلا تصلوا معهم، ألا فلا تصلوا عليهم، عليهم حلت اللعنة. وتابع الخطيب: الأخبار في هذا المعنى تتسع، وكلها مطابقة لما ورد في نص القرآن! وجميع ذلك يقتضى طهارة الصحابة والقطع على تعديلهم ونزاهتهم، فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم المطلع على بواطنهم، إلى تعديل أحد من الخلق له، فهو على هذه الصفة، إلا أن يثبت على أحد ارتكاب ما لا يحتمل إلا قصد المعصية والخروج من باب التأويل، فيحكم بسقوط العدالة، وقد برأهم الله من ذلك ورفع أقدارهم عنه.

على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شئ مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين، القطع على عدالتهم والإعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين، الذين يجيئون من بعدهم أبد الأبدين! هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء.

وذهبت طائفة من أهل البدع إلى أن حال الصحابة كانت مرضية إلى وقت الحروب التي ظهرت بينهم وسفك بعضهم دماء بعض، فصار أهل تلك الحروب ساقطى العدالة، ولما اختلطوا بأهل النزاهة، وجب البحث عن أمور الرواة منهم.

وليس في أهل الدين والمتحقيقين بالعلم من يصرف إليهم خبر ما لا- يحتمل نوعاً من التأويل، وضرباً من الإجتهد، فهم بمشابهة المخالفين من الفقهاء، المجتهدين في تأويل الأحكام لإشكال الأمر والتباسه.

ويجب ان يكونوا على الأصل الذى قدمناه من حال العدالة والرضا، إذ لم يثبت ما يزيل ذلك عنهم.

أخبرنا أبو منصور محمد بن عيسى الهمداني، ثنا صالح بن أحمد الحافظ قال: سمعت أبا جعفر أحمد بن عبدل يقول: سمعت أحمد بن محمد بن سليمان التستري يقول: سمعت أبا زرعة يقول: إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله (ص) فاعلم أنه زنديق! وذلك أن الرسول (ص) عندنا حق والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله (ص)، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة). انتهى.

وكلام أبي زرعة الذي رواه الخطيب البغدادي في سياق الأحاديث كأنه حديث شريف! يدل على تصعيد محاولتهم في الدفاع عن أبي بكر وعمر وأتباعهما، بحصر سند الإسلام والقرآن بهم، وجعل التشكيك فيهم تشكيكاً في سند الإسلام! وكأن كل أمّة الإسلام ماتت بعد النبي صلى الله عليه وآله وضاع الإسلام، ولا يوجد سند لإثباته إلا رواية هؤلاء!!

أما الأحاديث التي ذكرها الخطيب في فضلهم، فكلها ضعيفة أو موضوعة، بدون استثناء، بشهادة النقاد من علمائهم! ولا يتسع المجال لبيان ذلك.

وقال القاضي الجرجاني في شرح المواقيت: ٨/٣٧٣، وهو من كبار متكلمي المذاهب السنية: (المقصد السابع: إنه يجب تعظيم الصحابة كلهم، والكف عن القدح فيهم لأن الله سبحانه وتعالى عظمهم وأثنى عليهم، في غير موضع من كتابه، كقوله: والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار. وقوله: يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه، نورهم يسعى بين أيديهم. وقوله: والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً. وقوله: لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عظم قدرهم وكرامتهم عند الله.

والرسول قد أحبهم وأثنى عليهم في أحاديث كثيرة، منها قوله عليه السلام: خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم. ومنها قوله: لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه. ومنها قوله: الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدى، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله فيوشك أن يأخذه. إلى غير ذلك من الأحاديث المشهورة في الكتب الصحاح.

ثم إن من تأمل سيرتهم، ووقف على ما أثرهم، وجدهم في الدين وبذلهم أموالهم وأنفسهم في نصره الله ورسوله، لم يتخالجه شك في عظم شأنهم، وبراءتهم عما ينسب إليهم المبطلون من المطاعن، ومنعه ذلك أي تيقنه بحالهم عن الطعن فيهم، فرأى ذلك مجاناً للإيمان.

ونحن لا نلوث كتابنا بأمثال ذلك، وهي مذكورة في المطولات مع التفصلي عنها، فارجع إليها إن أردت الوقوف عليها.

وأما الفتن والحروب الواقعة بين الصحابة، فالهشامية من المعتزلة أنكروا وقوعها! ولا شك أنه مكابرة للتواتر في قتل عثمان ووقعة الجمل وصفين.

والمعتزلة بوقوعها، منهم من سكت عن الكلام فيها بتخطئه أو تصويب، وهم طائفة من أهل السنة. فإن أرادوا إنه اشتغال بما لا يعنى فلا بأس به، إذ قال الشافعي وغيره من السلف: تلك دماء طهر الله عنها أيدينا فلنظهر عنها ألسنتنا. وإن أرادوا إنا لا نعلم أوقعت أم لا؟ فباطل، لوقوعها قطعاً، وأنت خير بأن الشق الثاني من التريديد ينافي الإعراف بوقوعها.

واتفق العمريّة أصحاب عمرو بن عبيد، والواصلية أصحاب واصل بن عطاء على رد شهادة الفريقين، قالوا لو شهد الجميع بباقة بقله لم نقبلها، أما العمريّة فلأنهم يرون فسق الجميع من الفريقين.

وأما الواصلية فلأنهم يفسقون أحد الفريقين لا بعينه، فلا يعلم عدالة شيء منهما.

والذي عليه الجمهور من الأمّة هو: أن المخطئ قتل عثمان ومحاربوا على لأنهما إمامان فيحرم القتل والمخالفة قطعاً، إلا أن بعضهم كالقاضي أبي بكر ذهب إلى أن هذه التخطئة لا تبلغ إلى حد التفسيق. ومنهم ذهب إلى التفسيق كالشيعة وكثير من أصحابنا). انتهى.

وقد كشف الجرجاني وجود آراء مختلفة تدين أكثر الصحابة ومنهم أبو بكر وعمر، لكنه مرّ عليها مروراً ورکز على بضعة أحاديثهم الموضوعّة المتقدمة! ونكتفي هنا بمناقشة واحد منها:

نقد حديث: خير القرون قرني

روى البخاري: ٧/١٧٣، عن عبدالله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله قال: خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم

يجئ من بعدهم قوم تسبق شهادتهم أيمانهم، وأيمانهم شهادتهم. ورواه أيضاً بصيغة: خيركم قرني، ثم الذين يلونهم - قال عمران فما أدري قال النبي بعد قوله مرتين أو ثلاثاً - ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن). انتهى. ومعنى السمن: البدنة من الترف وكثرة الأكل. (وكرر روايته في: ٧/٢٢٤، و٢٣٣)

ومعناه أن التاريخ الإسلامي يسير إلى الإنحدار، والأمة إلى الزوال

وأصل الحديث هو تصور عمر لمستقبل الإسلام وأمته، وأنه كالبعير سيهرم ويموت! ففي مسند أحمد: ٣/٤٦٣: (قال كنت في مجلس فيه عمر بن الخطاب بالمدينة فقال لرجل من القوم: يا فلان كيف سمعت رسول الله (ص) ينعت الإسلام؟ قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: إن الإسلام بدأ حذعاً ثم ثنياً ثم رُباعياً ثم سُديسياً ثم بازلاً! قال فقال عمر بن الخطاب: فما بعد البزول إلا النقصان!! (ورواه في: ٥/٥٢، وقال في لسان العرب إن الذي سأله عمر هو العلاء بن الحضرمي).

وقال الزبيدي في تاج العروس: ٩/٢٤٥: (وأدنى الأسنان الإثناء، وهو أن تنبت ثنيتها، وأقصاها في الإبل البزول، وفي البقر والغنم السلوغ).

وأصل الفكرة من كعب الأخبار الذي أفنع عمر بأن الإسلام سوف ينتهي، وأن الكعبة سوف تهدم، ومكة ستخرب! فقد عقد البخاري باباً في: ٢/١٥٩، بعنوان: (باب هدم الكعبة!) روى فيه (عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال: يُخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة!) (ورواه مسلم: ٨/١٨٣) ثم روى البخاري حديثين آخرين، أحدهما عن ابن عباس عن النبي (ص) قال: كأني به أسود أفحج يقلعها حجراً حجراً!

ومن الثابت أن أبا هريرة كان يروي عن كعب ويسنده إلى النبي صلى الله عليه وآله مع أن كعباً لم ير النبي صلى الله عليه وآله! ويبدو أن عمر يفعل ذلك أيضاً لشدة ثقته بكعب!

ففي مسند أحمد: ١/٢٣: عن عمر أنه سمع رسول الله (ص) يقول: سيخرج أهل مكة ثم لا يعبر بها أولاً يعبر بها إلا قليل، ثم تمتلئ وتبنى، ثم يخرجون منها فلا يعودون فيها أبداً! (وقال عنه في مجمع الزوائد: ٣/٢٩٨: رواه أحمد وأبو يعلى وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح).

وفي مسند أحمد: ٢/٢٢٠: (عن عبدالله بن عمرو قال سمعت رسول الله (ص) يقول: يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ويسلبها حليتها ويجردها من كسوتها! ولكأني أنظر إليه أصيلع أفيدع، يضرب عليها بمسحاته ومعوله)! انتهى.

الخط البياني للأمة.. نزول ثم صعود

كل من قرأ القرآن يعرف أن الله تعالى وعد أن يظهر دينه على الدين كله: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ).

وكل من قرأ الحديث يعرف أن النبي صلى الله عليه وآله أخبر أمته عن مستقبلها ومسارها وأنها ستصاب بالإنحراف والضعف، ثم يبعث الله فيها المهدي من عترته عليه السلام فيظهر به دينه على الدين كله، وينزل فيها عيسى عليه السلام من السماء ليساعده.

فهى أحاديث متواترة روتها مصادر السنيين ومصادر أهل البيت عليهم السلام، منها ما رواه الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه، عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أبشروا ثم أبشروا - ثلاث مرات - إنما مثل أمتي كمثل غيث لا يدرى أوله خير أم آخره، إنما مثل أمتي كمثل حديقه أطعم منها فوج عاماً، ثم أطعم منها فوج عاماً، لعل آخرها فوجاً يكون أعرضها بحراً وأعماقها طولاً وفرعاً، وأحسنها جنئ! وكيف تهلك أمة أنا أولها واثنا عشر من بعدى من السعداء وأولى الألباب، والمسيح عيسى بن مريم آخرها؟! ولكن يهلك بين ذلك نتج الهرج، ليسوا مني ولست منهم). (الخصال ص ٤٧٥، وكمال الدين ص ٢٦٩، وعيون

أخبار الرضا عليه السلام: ٢/٥٦).

لكنك ترى علماء السلطنة القرشية يتعمدون الإعراض عن هذه الأحاديث ويرجحون عليها حديث خير القرون المزعوم، لأنه بتصورهم يُفضّل الصحابة الذين يحبونهم، أي أبا بكر وعمر، على كل البشر، وهذا مطلوبهم حتى لو خربت الدنيا، وهدمت الكعبة، وانتهى الإسلام!!

وقد تمحلوا في تأويل الأحاديث الصريحة الصحيحة التي تفضل جيلاً أو أشخاصاً آتين من الأمة على جيل الصحابة، مثل حديث: (تأتى أيام للعامل فيهن أجر خمسين، قيل: منهم أو منا يارسول الله؟ قال: بل منكم).

فهاجموا كل نوع من هذه الأحاديث تأويلاً وتضعيفاً، لتسلم لهم مقوله أن الصحابة أفضل من الجميع! (راجع الفصل السادس عشر من المجلد الأول، لترى تأثير اليهود في نشر عقيدة أن الأمة الإسلامية تسير في خط نزول مستمر إلى فنائها! وأن القرآن سيرفع من الأرض، والكعبة ستهدم، ومكة ستخرب فلا تسكن بعدها أبداً).

تخط الشراح في حديث خير القرون قرني

قال النووي في مقدمته شرح مسلم: ١/٣: (المكرم بتفضيل أمته زادها الله شرفاً على الأمم السابقين، ويكون أصحابه خير القرون الكائنين، وبأنهم كلهم مقطوع بعد التهم عند من يعتد به من علماء المسلمين). وقال في: ١٦/٨٤: (اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه (ص)، والمراد أصحابه، وقد قدمنا أن الصحيح الذي عليه الجمهور أن كل مسلم رأى النبي (ص) ولو ساعة فهو من أصحابه. ورواية خير الناس على عمومها والمراد منه جملة القرن، ولا يلزم منه تفضيل الصحابي على الأنبياء (ص) ولا أفراد النساء على مريم وآسية وغيرهما، بل المراد جملة القرن بالنسبة إلى كل قرن بجملته... الخ). ثم ذكر النووي اختلافهم في القرن، من عشر سنوات إلى مئة وعشرين سنة! فانظر كيف فسر القرن بالمجموع الكلي للأصحاب، وفضلهم على المجموع الكلي لأناس كل قرن! وهذا معنى قوله (جملة القرن بالنسبة إلى كل قرن بجملته) ولكنه يقول لا يلزم منه ذلك!

ولو أنصف لقال: يلزم منه أنهم أفضل من المجموع الكلي لأناس القرون الماضية والآتية مجتمعين، لأن تفضيلهم جاء مطلقاً! ويبدو أن البخاري لم يرو: خير القرون قرني، فراراً من التعميم الذي فيه، ولكنه روى: خير الناس قرني، فوقع فيما فر منه! قال الشوكاني في نيل الأوطار: ٩/٢٢٨: (وحديث أبي هريرة أن خير القرون قرنه (ص)، وفي ذلك دليل على أنهم الخيار من هذه الأمة، وأنه لا أكثر خيراً منهم. وقد ذهب الجمهور إلى أن ذلك باعتبار كل فرد فرد. وقال ابن عبد البر: إن التفضيل إنما هو بالنسبة إلى مجموع الصحابة، فإنهم أفضل ممن بعدهم، لا كل فرد منهم. وقد أخرج الترمذي باسناد قوى، من حديث أنس مرفوعاً: مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ، لَا يَدْرِي أَوْلَهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ.....

وأخرج ابن أبي شيبة من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير باسناد حسن قال رسول الله (ص): ليدركن المسيح أقواماً إنهم لمثلكم أو خير ثلاثاً.....

وأخرج أحمد، والدارمي، والطبراني باسناد حسن، من حديث أبي جمعة قال: قال أبو عبيدة: يارسول الله أحد خير منا، أسلمنا معك وجاهدنا معك؟ قال: قوم يكونون من بعدكم، يؤمنون بي ولم يروني. وقد صححه الحاكم.

وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة رفعه: بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء.

وأخرج أبو داود والترمذي من حديث ثعلبة رفعه: تأتي أيام للعامل فيهن أجر خمسين، قيل: منهم أو منا يا رسول الله؟ قال: بل منكم وجمع الجمهور، بأن الصحابة لها فضيلة ومزية لا يوازيها شيء من الأعمال، فلمن صحب النبي (ص) فضيلة الصحبة وإن قصر في الأعمال، وفضيلة من بعد الصحابة باعتبار كثرة الأعمال المستلزمة لكثرة الأجور، فحاصل هذا الجمع أن التنصيب على فضيلة الصحابة باعتبار فضيلة الصحبة، وأما باعتبار أعمال الخير فهم كغيرهم... فتقرر بما ذكرناه عدم صحة ما جمع به الجمهور...

والذى يستفاد من مجموع الأحاديث أن للصحابة مزية لا يشاركهم فيها من بعدهم، وهى صحبته (ص) ومشاهدته والجهاد بين يديه وإنفاذ أوامره ونواهيه، ولمن بعدهم مزية لا يشاركهم الصحابة فيها وهى إيمانهم بالغيب فى زمان لا يرون فيه الذات الشريفة، التى جمعت من المحاسن ما يقود بزمام كل مشاهد إلى الإيمان، إلا من حقت عليه الشقاوة....). انتهى.

فتكون النتيجة عند الشوكانى قريبه من التساوى!!

ثم تابع الشوكانى: (فإن قلت: ظاهر الحديث المتقدم عن أبى عبيدة قال: يارسول الله أحد خير منا أسلمنا معك وجاهدنا معك؟ فقال: قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بى ولا يرونى، يقتضى تفضيل مجموع قرن هؤلاء على مجموع قرن الصحابة.

قلت: ليس فى هذا الحديث ما يفيد تفضيل المجموع على المجموع، وإن سلم ذلك وجب المصير إلى الترجيح لتعذر الجمع، ولاشك أن حديث خير القرون قرنى أرجح من هذا الحديث بمسافات، لو لم يكن إلا كونه فى الصحيحين وكونه ثابتاً من طرق، وكونه متلقى بالقبول.... فلم يبق ههنا إشكال والله أعلم!)

أما ابن حجر فقد بحث فى أول المجلد السابع من فتح البارى حديث خير القرون وأفضليته الصحابة، بحثاً مطولاً كغيره، فقوى رأى البخارى فى أن الصحابي من رأى النبى صلى الله عليه وآله! وأفتى بأن من قاتل منهم أو أنفق فهم خير البشر على الإطلاق! ثم قال: (لكن هل هذه الأفضلية بالنسبة إلى المجموع أو الأفراد، محل بحث، والى الثانى نحا الجمهور، والأول قول ابن عبد البر. والذى يظهر أن من قاتل مع النبى (ص) أو فى زمانه بأمره، أو أنفق شيئاً من ماله بسببه، لا يعدله فى الفضل أحد بعده كائناً من كان! وأما من لم يقع له ذلك فهو محل البحث، والأصل فى ذلك قوله تعالى: لا يَشْتَرِي تَوَى مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا.. الآية

واحتج بن عبد البر بحديث: مثل أمتى مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره، وهو حديث حسن، له طرق قد يرتقى بها إلى الصحة.

وقد روى بن أبى شيبه من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير أحد التابعين باسناد حسن قال قال رسول الله (ص): ليدركن المسيح أقواماً، إنهم لمثلكم أو خير. ثلاثاً، ولن يخزى الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها.

وروى أبو داود والترمذى من حديث أبى ثعلبة رفعه: تأتى أيام للعامل فيهن أجر خمسين. قيل: منهم أو منا يا رسول الله؟ قال: بل منكم، وهو شاهد لحديث مثل أمتى مثل المطر.

واحتج بن عبد البر أيضاً بحديث عمر رفعه: أفضل الخلق إيماناً قوم فى أصلاب الرجال يؤمنون بى ولم يرونى.. الحديث، أخرجه الطيالسى وغيره لكن إسناده ضعيف فلا حجة فيه.

وروى أحمد والدارمى والطبرانى من حديث أبى جمعة قال قال أبو عبيدة: يارسول الله أحد خير منا، أسلمنا معك وجاهدنا معك؟ قال: قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بى ولم يرونى، وإسناده حسن وقد صححه الحاكم.

واحتج أيضاً بأن السبب فى كون القرن الأول خير القرون أنهم كانوا غرباء فى إيمانهم لكثرة الكفار حينئذ، وصبرهم على أذاهم، وتمسكهم بدينهم، قال: فكذلك أواخرهم إذا أقاموا الدين وتمسكوا به وصبروا على الطاعة حين ظهور المعاصى والفتن، كانوا أيضاً عند ذلك غرباء، وزكت أعمالهم فى ذلك الزمان كما زكت أعمال أولئك. ويشهد له ما رواه مسلم عن أبى هريرة رفعه: بدأ الإسلام غربياً وسيعود غربياً كما بدأ، فطوبى للغرباء.

وقد تعقب كلام بن عبد البر بأن مقتضى كلامه أن يكون فيمن يأتى بعد الصحابة من يكون أفضل من بعض الصحابة، وبذلك صرح القرطبي، لكن كلام بن عبد البر ليس على الإطلاق فى حق جميع الصحابة، فإنه صرح فى كلامه باستثناء أهل بدر والحديبية، نعم، والذى ذهب إليه الجمهور أن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله (ص). انتهى.

ثم واصل ابن حجر محاولته لترجيح هذا حديث خير القرون على ما يعارضه بكلام طويل، ومما قاله: (وأما حديث أبى جمعة فلم تتفق الرواة على لفظه، فقد رواه بعضهم بلفظ الخيرية كما تقدم، ورواه بعضهم بلفظ: قلنا يا رسول الله هل من قوم أعظم منا أجراً..

الحديث...). انتهى.

وتلاحظ أنه أسقط حديث أبي جمعة عن الصلاحية لمعارضة حديث القرون لتفاوت ألفاظه، وهو يعرف أن ألفاظ حديث القرون متفاوتة ومتعارضة، وأن صيغته تزيد على العشرة، وقد تضمن بعضها شتماً لكل أجيال المسلمين الآتية! كالذي في فيض القدير: ٣/٦٣٨: (خير الناس قرني الذين أنا فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، والآخرون أراذل!) انتهى. يقصد الذين من بعدهم!! ثم ختم ابن حجر بقوله: (واستدل بهذا الحديث على تعديل أهل القرون الثلاثة وإن تفاوتت منازلهم في الفضل، وهذا محمول على الغالب والأكثرية!) انتهى.

وبذلك حصر أمر التفضيل على العالمين في أبي بكر وعمر ومن تبعهما! وهو بيت قصيدهم، في هذه المسألة وغيرها! قال المناوي في فيض القدير: ٢/٢٣٣: (وأما خبر خير الناس قرني فخاص بقوم منهم، والمراد في قرني كالعشرة وأضرابهم، وأما سواهم فيجوز أن يساويهم أفاضل أواخر هذه الأمة). انتهى.

فاتجاههم إلى تضيق المقصود بالحديث، ثابتٌ مستمر، حتى يصل الأمر إلى العشرة المبشرة، ثم يصل منهم إلى عمر وأبي بكر خاصة!

ردهم شهادات النبي في انحراف الصحابة بعده

يحمد الله الشوكاني على أنه لم يبق إشكال على حديث القرون (خير القرون قرني) وأنه ثبت به تفضيل أبي بكر وعمر، على أهل القرون!

أما ابن حجر فتخيل أنه عثر على علل في الأحاديث المعارضة لحديث القرون في سند بعضها، ونقاط ضعف في تفاوت ألفاظ بعضها! ومن العجيب أن هؤلاء الباحثين يرجحون حديث القرون وهو حديث واحد لراويين أو ثلاثة، على أحاديث الحوض وهي عشرات الأحاديث الصحيحة الصريحة، المتعددة الطرق والرواة إلى حد التواتر، بل تراهم يذكرونها على مضض كأنهم مجبرون! والسبب أنها نصت على أن أكثر الصحابة في النار! وأنه لا ينجو منهم إلا مثل هَمَلِ النَّعْمِ، أي القلة الذين لاراعى لهم!

قال البخاري: ٧/٢٠٨: (عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال: (بيننا أنا قائمٌ فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، فقلت أين؟ قال إلى النار والله! قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري! ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم! قلت: أين؟ قال: إلى النار والله! قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري! فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هَمَلِ النَّعْمِ!! انتهى.

وقد قتل شراح البخاري أنفسهم لإبعاد هذه الأحاديث عن الصحابة وإصاقها بغيرهم، وقالوا إن النبي صلى الله عليه وآله يقصد الذين ارتدوا في اليمن ونجد!

لكن رواية البخاري التالية صرحت بأن هؤلاء المطرودين عن الحوض الصحابة لا البدو المرتدين! قال في: ٢/٩٧٥: (عن ابن المسيب أن النبي (ص) قال: يَرِدُ عَلَيَّ الحَوْضَ رجالٌ من أصحابي فيحلثون عنه، فأقول يارب أصحابي! فيقول: فإنه لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أعقابهم القهقري!)

(وروى شيبهاً به في: ٨/٨٦، وشبههاً بالأول في: ٧/١٩٥ و ٢٠٧-٢١٠ و ص ٨٤ و ٨٧ و ٨/٨٦ و ٨٧، ونحوه مسلم: ١/١٥٠ و ٧/٦٦ وابن ماجه: ٢/١٤٤٠ وأحمد: ٢/٢٥ و ٤٠٨ و ٣/٢٨ و ٥/٢١ و ٢٤ و ٥٠ و ٦/١٦، والبيهقي في سننه: ٤/١٤، ونقل رواياته المتعددة في كنز العمال: ١٣/١٥٧ و ١٤/٤٨ و ١٥/٦٤٧ وقال رواه (مالك) والشافعي حم م ن- عن أبي هريرة. وأورد ابن حجر في فتح الباري: ١١/٣٣٣، قرابة عشرين حديثاً في الحوض والصحابة المطرودين عنه).

وفي مسلم: ١/١٥٠، (عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص): ترد عليّ أمتي الحوض وأنا أذود الناس عنه، قالوا يا نبي الله أتعرفنا؟ قال: نعم تردون عليّ غراً محجلين من آثار الوضوء. وليصيّد عن طائفة منكم فلا يصلون فأقول يارب هؤلاء من أصحابي! فيجيبني ملكٌ

فيقول: وهل تدري ما أحدثوا بعدك؟!.

وفى مسلم: ٧/٧٠: (عن أبي هريره أن النبي (ص) قال: لأذودن عن حوضى رجالاً كما تزداد الغريبة من الإبل). (ورواه أحمد: ٢/٢٩٨، المسند الجامع تحقيق د. عواد: ٣/٣٤٣ و ٥/١٣٥ و ١٨ و ٤٧١/١، والبيهقى فى البعث والنشور ص ١٢٥ ومجمع الزوائد: ١٠/٦٦٥).
فهل يعقل من الذى أخبر بوحي رب العالمين عن مستقبل الصحابة الرهيب فى جهنم، أن يقول عنهم إنهم خير القرون، وأفضل من جميع العالمين؟!.

وهل يعقل من الذى لم يرض أن يسميهم إخوانى صلى الله عليه وآله، لأنهم سينقلبون من بعده، أن يقول عنهم إنهم خير القرون! ففى صحيح مسلم: ١/١٥٠: (وددت أنا قد رأينا إخواننا. قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال أنتم أصحابى، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد. فقالوا كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: رأيت لو أن رجلاً له خيل غر محجلة بين ظهرى خيل دهم بهم، ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض، ألا- ليذادن رجال عن حوضى كما يذاد البعير الضال! أناديهم ألا هلم، فيقال إنهم قد بدلوا بعدك! فأقول سحقاً سحقاً!). ورواه أحمد فى مسنده: ٢/٣٠٠ و ص ٤٠٨، والبيهقى فى سننه: ١/٨٣ و ٤/٧٨، وابن حبان: ٣/٣٢١، ومجمع الزوائد: ١٠/٦٦٤، وغيرهم بدون نقيصة، لكن رواه النسائى فى سننه: ١/٩٣، وحذف آخره لأن فيه ذم الصحابة!

وهل يعقل أن يكون الصحابة خير أهل القرون، ثم يكون قطيعهم وأكثريتهم من أهل النار، ولا ينجو منهم ولا يدخل الجنة إلا قلة قليلة، يكونون منفردين عن قطيعهم مثل (همل النعم) كالأنعام المنفردة البعيدة عن القطيع!
قال ابن حجر فى مقدمته ص ١٩٧: (والخليفة راعى الصحابة بلا شك). انتهى. فمن هم الهمل الناجون، البعيدون عن قطع الصحابة الذى راعياه أبو بكر وعمر؟!.

الإمام مالك يعض يديه ندما لروايته أحاديث الحوض

تحالف الحسينيون والعباسيون فى جبهة واحدة للثورة على الأمويين، وكانت القيادة للحسينيين، وما أن اشتعلت الثورة فى خراسان بقيادة أبى مسلم الخراسانى حتى بادر العباسيون فى الكوفة إلى سرقتها وأقنوه بالبيعة للسفاح فبايعوا له فى الكوفة وأزاحوا الحسينيين، فغضب الحسينيون وسيطروا على اليمن والحجاز والبصرة، وزحفوا فى سبعين ألف مقاتل نحو الكوفة ووصلوا إليها وشارفوا على النصر، وتهايا أبو جعفر المنصور للهرب، لكن قائداهم إبراهيم بن عبد الله بن الحسن أصابه سهم طائش فقتل وتفرق جنده، فاستتب الأمر للعباسيين.
كان مالك بن أنس أفتى بالثورة مع الحسينيين! فعاقبه العباسيون بعد ذلك بالسجن والجلد، ثم استرضاهم فرضى عنه السفاح والمنصور.

وقد ساء المنصور أن يرى المرجعية الفكرية للأمة متمركزة فى الأئمة من ذرية الحسين عليه السلام فاتخذ قراراته غيظاً من كل أبناء على عليه السلام بتغيير الخط الفكرى لثورة العباسيين، وإعادة الإعتبار للخلفاء القرشيين، بعد أن قامت الثورة الهاشمية على البراءة منهم، ورفعت فى مقابل الأمويين شعار: يالشارت الحسين عليه السلام، وفى مقابل قريش: الدعوة إلى الرضا من آل محمد، فقرر المنصور تأسيس مذهب فى مقابلهم، وأمر مالك بن أنس أن يكتب له كتاباً موطأً ليلزم به المسلمين، وحصر الفتوى بمالك، ومنع أئمة أهل البيت عليهم السلام وفقهاء المدينة أن يفتوا مادام مالك موجوداً فصار قراره مثلاً: (لا يفتين أحد ومالك فى المدينة)، وقام باضطهاد الإمام جعفر الصادق عليه السلام وقتله.

وقد استغرق هذا العمل بضع عشرة سنة، كتب مالك كتابه الموطأ فى أولها،

وتبنته السلطة ونشرته، وبعد نشره أصدر المنصور أمراً للمحدثين والفقهاء والولاة أن لا يرووا شيئاً فى فضائل على عليه السلام، ولا طعناً بأبى بكر وعمر، وأن يفضلوهما على على عليه السلام! ثم أمر بمدح أبى بكر وعمر فى خطبة الجمعة وقال: (والله لأرغمن أنفى

وأَنوفهم، وأرفع عليهم بنى تيم وعدى). (منهاج الكرامة ص ٦٩).

لكن الموطأ كان قد انتشر وفيه أحاديث الحوض وما أدراك ما أحاديث الحوض! فكان مالك يعض أصابعه ندماً على وجودها فيه! قال الحافظ ابن الصديق المغربى فى فتح الملك العلى ص ١٥١: (وخرج مالك والبخارى ومسلم حديث الحوض، الذى حكى عن مالك أنه قال: ما ندمت على حديث أدخلته فى الموطأ إلا هذا الحديث (الموطأ: ١/٤٠ ط مصر ١٣٦٩)!

وعن الشافعى أنه قال: ما علمنا فى كتاب مالك حديثاً فيه إزاء على الصحابة إلا حديث الحوض ووددنا انه لم يذكره). انتهى.
هذا واقع الصحابة فى النص الصحيح عندهم! لكن السلطة القرشية تريد إخفاءه ورفع الصحابة فى مقابل عتره النبى صلى الله عليه وآله وكأنهم ليسوا صحابة! وكان النبى صلى الله عليه وآله لم يقل فيهم: (إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتي)! على أنهم ليسوا حريصين على مدح جميع الصحابة، بل يريدون مدحاً مجملاً للصحابة، يمكنهم تفسيره بأبى بكر وعمر ومن تبعهما فقط، من بين مئة ألف صحابى رأوا النبى صلى الله عليه وآله!

وحديث: خير الناس قرنى، برأيهم حديث جميل يصلح لهذه الوظيفة!

على أننا لو سلمنا صحة هذا الحديث وقلنا إن النبى صلى الله عليه وآله قال عن مسلمى عصره إنهم خير البشر! فهل ينفع هذا المدح المجمل فى إثبات عدالة أبى بكر وعمر، أو إثبات عصمتهم؟ فقد يكون سبب الخير وجود العتره النبويه فيهم عليهم السلام كما تقول خير العصور عصر رسول الله بسبب وجوده الشريف صلى الله عليه وآله ووجود أهل بيته الأطهار عليهم السلام الذين هم معدن الخير، وبهم كانت الأمة خير أمة أخرجت للناس!

لكن القوم لا يريدونهم، ولا يريدون عدالة الصحابة، وإنما اتخذوا حديث خير القرون جسراً لإثبات عصمة عمر وأبى بكر! فهى بيت قصيدهم!

بل، حتى لو قلنا إن سبب هذه الخيرية والأفضلية وجود خمس مئة من الصحابة الأبرار، فلا ينفعهم ذلك، إذا لم يوجد نصٌ يُعينهم، ومقياسٌ يميزهم، فتكون القضية بالنسبة إلى غير أهل البيت عليهم السلام المنصوصين بالمدح النبوى، من نوع الشبهة المحصورة والأوانى المشبهة بين الحلال والحرام، أو الطاهر والنجس، وفتوى مذهبهم فيها وجوب اجتنابها جميعاً إلا ما ثبت طهارته!

قرنوا الصحابة بالنبى فى الصلاة عليه من أجل عمر

اتفقت مصادرهم على أن المسلمين سألو النبى صلى الله عليه وآله كيف نصلى عليك؟ فأمرهم بالصلاة عليه وآله معاً، وعلمهم صيغتها! وهذا نصها من البخارى:

(قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَا السَّلَامُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَرَفْنَا فَكَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ). (راجع أيضاً: الأحاديث: ٣٣٦٩، ٣٣٧٠، ٦٣٥٧، ٦٣٥٨، ٤٧٩٨، ٦٣٦٠).

فهو نصٌ صريح فى أن الله تعالى لا يقبل الصلاة على نبيه إلا مقرونه بآله صلى الله عليه وآله. وهو صيغة توقيفية يجب اتباعها فى الصلاة وغير الصلاة، لأن السؤال مطلق: فكيف الصلاة عليك؟ فعلمهم، ولم يسأله كيف نصلى عليك فى صلاتنا؟ حتى يتفلسف متفلسف فيقول نحن نتقيد بهذه الصيغة فى الصلاة، ونحذف منها ونزيد عليها فى غير الصلاة!

من الذى حذف الصلاة على آل النبى؟! ومن أين جاء قولهم، أو عليه وآله صحبه وسلم؟

اعترف الحافظ الحنبلى ابن حجر بأن العلماء والرواة ارتكبوا تحريف أحاديث النبى صلى الله عليه وآله وحذفوا منها الصلاة على آل النبى (تقيّة) من حكام بنى أمية وجنودهم!

قال في سبل السلام بشرح الكحلاني: ١/١٩٢: (ودعوى النوى وغيره الإجماع على أن الصلاة على الآل مندوبة، غير مسلمة! بل نقول: الصلاة عليه (ص) لا تتم ولا يكون العبد ممتثلاً بها حتى يأتي بهذا اللفظ النبوي الذي فيه ذكر الآل، لأنه قال السائل: كيف نصلى عليك؟ فأجابه بالكيفية أنها الصلاة عليه وعلى آله، فمن لم يأت بالآل فما صلى عليه بالكيفية التي أمر بها، فلا يكون ممتثلاً للأمر، فلا يكون مصلياً عليه (ص). وكذلك بقية الحديث من قوله: كما صليت إلى آخره، يجب، إذ هو من الكيفية المأمور بها، ومن فرق بين ألفاظ هذه الكيفية بإيجاب بعضها وندب بعضها، فلا دليل له على ذلك.

وأما استدلال المهدي في البحر على أن الصلاة على الآل سنة، بالقياس على الأذان، فإنهم لم يذكروا معه (ص) فيه، فكلاماً باطل، فإنه كما قيل لا قياس مع النص، لأنه لا يذكر الآل في تشهد الأذان لا ندباً ولا وجوباً، ولأنه ليس في الأذان دعاء له (ص) بل شهادة بأنه رسول الله، والآل لم يأت تعبد بالشهادة بأنهم آله. ومن هنا تعلم أن حذف لفظ الآل من الصلاة كما يقع في كتب الحديث، ليس على ما ينبغي! وكنت سئلت عنه قديماً فأجبت إنه قد صح عند أهل الحديث بلا ريب كيفية الصلاة على النبي (ص) وهم روايتها، وكأنهم حذفوها خطأ تقيئاً لما كان في الدولة الأموية من يكره ذكرهم، ثم استمر عليه عمل الناس متابعاً من الآخر للأول فلا وجه له. وبسطت هذا الجواب في حواشي شرح العمدة بسطاً شافياً). انتهى.

ولم يسبق بنى أمية إلا عبد الله بن الزبير، الذي كان في خلافته يصلي الجمعة فلا يذكر النبي صلى الله عليه وآله أصلاً! وإذا ذكره لا يصلى عليه صلى الله عليه وآله! فسئل عن ذلك فقال: (إن هذا الحى من بنى هاشم إذا سمعوا ذكره أشرأبت أعناقهم، وأبغض الأشياء إليه ما يسرهم! لا يمتنعى ذكره إلا أن تشمخ رجال بأنفها! وفي رواية أنه قال مرة: إن له أهيل سوء ينغصون رؤوسهم عند ذكره!). (راجع الصحيح من السيرة: ٢/١٥٣، عن العقد الفريد: ٤/٤١٣ ط دار الكتاب العربي، وشرح النهج: ٢٠/١٢٧، وأنساب الأشراف: ٢٨/٤ وقاموس الرجال: ٥/٤٥٢، ومقاتل الطالبين ص ٤٧٤).

من الذى وضع الصلاة على الصحابة بدل الآل أو معها؟

الذين حذفوا الآل من الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله هم الذين وضعوا صحابته بدلهم! فهل عندهم حديث جَوَزَ لَهُمْ قَوْلَ الصحابة بالنبي صلى الله عليه وآله في الصلاة عليه، سواء في صلاة الفريضة أو خارجها؟ أم هو استدراك على النبي صلى الله عليه وآله وبدعة! وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار!؟

قال الحافظ الصديق المغربي في رسالته (القول المقنع في الرد على الألباني المبتدع) طبع طنجة بالمغرب ١٩٨٦، ص ١٢: (ونبه هنا على خطأ وقع من جماهير المسلمين، قلده فيه بعضهم بعضاً ولم يتفطن له إلا الشيعة، ذلك أن الناس حين يصلون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم يذكرون معه أصحابه مع أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين سأله الصحابة فقالوا: كيف نصلى عليك؟ أجابهم بقوله: قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد. وفي رواية: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته، ولم يأت في شئ من طرق الحديث ذكر أصحابه مع كثرة الطرق وبلوغها حد التواتر.

فذكر الصحابة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم زيادة على ما علمه الشارع، واستدراك عليه، وهو لا يجوز. وأيضاً فإن الصلاة حق للنبي وآله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا دخل للصحابة فيها، لكن يترضى عنهم). انتهى. وهو كلام قوى من عالم سنى منصف.

وقد رد الألباني عليه في مقدمته كتابه: سلسلة الأحاديث الضعيفة: ٨/٣، رداً مطولاً جداً، ومما قاله: (قلت: ليس في هذا الكلام من الحق إلا قولك الأخير: إنه لا تجوز الزيادة على ما علمه الشارع.. إلخ، فهذا حق نقول به ونلتزمه ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً. ولكن ما بالك أنت وأخوك خالفتم ذلك، واستحبيت زيادة كلمة (سيدنا) في الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم، ولم ترد في شئ من طرق الحديث؟! أليس في ذلك استدراك صريح عليه صلى الله عليه وآله وسلم، يامن يدعى تعظيمه بالتقدم بين يديه؟! أما سائر كلامك

فباطل لوجه:

الأول: أنك أثبتت على الشيعة بالفطنة ونزهرتهم عن البدعة، وهم فيها من الغارقين الهالكين. واتهمت أهل السنة بها وبالبلادة والغباوة، وهم والحمد لله مبرؤون منها، فحسبك قوله (ص) في أمثالك: إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم. رواه مسلم.....
وتابع الألباني قائلاً: (هذا العموم المزعوم، أنت أول مخالف له! لأنه يستلزم الصلاة عليه(ص) بهذه الصلوات الابراهيمية كلما ذكر عليه الصلاة والسلام، وما رأيتك فعلت ذلك ولو مرة واحدة في خطبة كتاب أو في حديث ذكر فيه النبي(ص)! ولا علمنا أحداً من السلف فعل ذلك والخير كله في الإتيان (!).

والسر في ذلك أن هذا العموم المدعى إنما هو خاص بالتشهد في الصلاة كما أفادته بعض الأحاديث الصحيحة، ونبه عليه الإمام البيهقي فيما ذكره الحافظ في فتح الباري: ١١/١٥٤، الطبعة السلفية فليراجعه من شاء، والإمام الشافعي في رسالته على ما ذكره الحافظ السخاوي في القول البديع، والرافعي، والشيرازي، والنووي، وابن تيمية، وابن القيم، وابن حجر، وغيرهم كثير وكثير جداً، لا يمكن حصرهم، ما زال كل واحد منهم يصل على النبي(ص) في خطبة كتبه ويصلى على أصحابه معه، كما أفعل أنا أحياناً اقتداءً بهم، وبخاصة أن الحافظ ابن كثير نقل في تفسيره الإجماع على جوازه (!)، ومع ذلك كله رمتني بسبب ذلك بدائكك وبدعتي! أفهؤلاء الأئمة مبتدعة عندك ويحك! أم أنت تزن بميزانين وتكيل بكيلين؟!).

ثم قال الألباني: (وهو يعلم أن النبي(ص) كان يصل على أصحابه بمناسبة مختلفة، ومن ذلك حديث: كان إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: اللهم صل عليهم فأثاه أبو أوفى بصدقته فقال: اللهم صل على آل أبي أوفى. رواه الشيخان وغيرهما، وهو مخرج في الإرواء، ٨٥٣، وغيره..... ولا دليل على أن ذلك من خصوصياته (ص) بل قد صح عن ابن عمر أنه كان يقول في الجنازة: اللهم بارك فيه وصل عليه واغفر له وأورده حوض رسولك. رواه ابن أبي شيبة في المصنف: ١٠/٤١٤، وسنده صحيح على شرط الشيخين. وبعد هذا كله فإني أرجو أن يكون ظهر للقراء جميعاً من هو المبتدع!). انتهى.

هذا لب ما ذكره الألباني من كلامه الطويل الذي لم يأت فيه بدليل على جواز قرن الصحابة بالنبي في الصلاة عليه صلى الله عليه وآله، وغايته ما ذكره ثلاثة أدلة:

الأول: قوله: (والسر في ذلك أن هذا العموم المدعى إنما هو خاص بالتشهد في الصلاة، كما أفادته بعض الأحاديث الصحيحة، ونبه عليه الإمام البيهقي، فيما ذكره الحافظ في فتح الباري.. الخ). انتهى.

وقصده أنه لا عموم لصيغة الصلاة التي علمها النبي صلى الله عليه وآله للمسلمين للصلاة عليه في كل حال، بل هو تعليم نبوي خاص بتشهد الصلاة، ففي غير الصلاة يجوز لك أن تحذف الصلاة على الآل، وتضع مكانهم الصحابة، ولا حرج!

لكن ما هو دليل الألباني على تخصيصها بتشهد الصلاة، وحديثها في البخاري وغيره عامٌ مطلقٌ ليس فيه حصرٌ في التشهد، قالوا: (فَكَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ...؟!)

يقول الألباني أن دليله على تخصيصها: (أفادته بعض الأحاديث الصحيحة، ونبه عليه الإمام البيهقي فيما ذكره الحافظ في فتح الباري). انتهى.

فقد ادعى وجود أحاديث صحيحة تحصر صيغة الصلاة النبوية التعليمية للمسلمين في تشهد الصلاة، فأين هي هذه الأحاديث الصحيحة؟!)

الجواب: لا توجد أحاديث لاصحيتها ولاضعيفها! وإلا-لأتى بها الألباني في رده الطويل الذي أخذ أكثر من عشر صفحات، وهو متخصص في الحديث! لكنه

كما يبدو يستحل الكذب للدفاع عن الصحابة!

ثم قال الألباني: (ونبه عليه الإمام البيهقي فيما ذكره الحافظ في فتح الباري...)

يقصد أن هؤلاء العلماء الذين ليس فيهم واحد قبل القرن السادس! نبهوا على تخصيص صيغة الصلاة التعليمية النبوية بالتشهد دون غيره!

ويبدو أنها كذبة أخرى! ولو صدقناه لقلنا لهؤلاء: ما هو دليلكم على التخصيص؟ وهل هو الأحاديث الصحيحة التي وعد بها الألباني!!
الدليل الثاني: قال الألباني: (وهو يعلم أن النبي (ص) كان يصلى على أصحابه بمناسبات مختلفة، ومن ذلك حديث: كان إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: اللهم صلّ عليهم، فأتاه أبو أوفى بصدقته فقال: اللهم صل على آل أبي أوفى. رواه الشيخان وغيرهما، وهو مخرج في الإرواء، ٨٥٣، وغيره....). انتهى.

والجواب: إن هذا تدليس في الإستدلال مع الأسف! لأن موضوعنا كيف يجب أن نصلى نحن على النبي صلى الله عليه وآله؟ فكيف يستدل عليه بصلاة النبي صلى الله عليه وآله على المسلمين؟! فالتبني صلى الله عليه وآله يعرف تكليفه كيف يصلى علينا وعلى غيرنا، وقد بين لنا تكليفنا نحن كيف نصلى عليه، وحدده بصيغة تعليمية توقيفية صحيحة.

فهل يجوز لنا أن نقول له: كلا، نريد أن نصلى عليك كما نحب، ونضم في الصلاة عليك من نحب، ونحذف منها لا نحب! لأنك أنت تفعل ذلك؟!!

الدليل الثالث: قال الألباني: (ولا دليل على أن ذلك من خصوصياته (ص) بل قد صح عن ابن عمر أنه كان يقول في الجنازة: اللهم بارك فيه وصل عليه واغفر له وأورده حوض رسولك. رواه ابن أبي شيبة في المصنف: ١٠/٤١٤، وسنده صحيح على شرط الشيخين). انتهى.

يقول الألباني بذلك لقد ثبت بأثر صحيح عن ابن عمر أنه قال لميت (اللهم بارك فيه وصل عليه) فالصلاة على المسلمين ليست من مختصات النبي صلى الله عليه وآله، بل يجوز لأي مسلم أن يقول لمسلم آخر (اللهم صل عليه)، ونحن نقول: اللهم صل على الصحابة، فما المانع؟

والجواب: أن الألباني يعرف أن المسألة ليست جواز الصلاة على مسلم بقولنا: (اللهم صل عليه)، بل هي قَرْنُ الصحابة بالنبي صلى الله عليه وآله، وهل يجوز أن نتعدى تعليمه بالصلاة عليه، ونحذف آله من صلاتنا عليه، ونضع بدلهم الصحابة؟!!

فانظر كيف غَيَّرَ الموضوع أيضاً، وشَطَّ عنه بعيداً، وكذلك يفعلون!

قرنهم الصحابة بالنبي صلى الله عليه وآله معضلة لاحتل لها!

إن حذف أتباع الخلافة لآل النبي من الصلاة عليه صلى الله عليه وآله، ووضعهم الصحابة بدلهم أو معهم وقرنهم بالنبي صلى الله عليه وآله معضلة لم ولن يستطيعوا حلها! بل هي ست معضلات فقهية كاملة:

١- هل يجوز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وآله، ومن أمر النبي بالصلاة عليه؟

٢- هل يوجد دليل يخصص صيغة الصلاة النبوية بتشهد الصلاة؟

٣- هل يجوز حذف آل النبي صلى الله عليه وآله من الصلاة عليه؟

٤- هل يجوز وضع الصحابة مكانهم وقرنهم بالنبي صلى الله عليه وآله؟

٥- هل يجوز أن ننوي بصلاتنا على آل النبي صلى الله عليه وآله جميع ذريته من فاطمة وعلى عليهما السلام وكل ذرية بنى هاشم إلى

يوم القيامة، وقرنهم بالنبي صلى الله عليه وآله وفيهم من ثبت أنهم أعداء الله ورسوله، وفيهم اليوم نصارى وملحدون وقتلة وأشرار؟!!

فهل يمكن أن يأمرنا الله تعالى أن نصلى على هؤلاء الكفار والفجار وقرنهم بسيد المرسلين صلى الله عليه وآله؟! وهل يجب عليهم أن يقولوا (وآله المؤمنين)؟!!

٦- إذا حلينا أصل مشكلة ضم الصحابة وقرنهم بالصلاة مع النبي صلى الله عليه وآله فهل يجوز لنا أن نعمم الصلاة عليهم جميعاً بدون تخصيص أو تقييد، لأننا بقولنا (وعلى أصحابه أجمعين) نقرن أكثر من مئة ألف شخص بالنبي صلى الله عليه وآله وهؤلاء فيهم من

شاركوا في محاولة اغتيال النبي صلى الله عليه وآله ليلة العقبة، وفيهم من ثبت نفاقهم بنص القرآن ونص النبي صلى الله عليه وآله، وفيهم جماعة شهد النبي صلى الله عليه وآله بأنهم لن يروه بعد وفاته، وأنهم سوف ينقلبون من بعده، ويمنعون من ورود حوضه يوم القيامة ويؤمر بهم إلى النار! فهل يجب التخلص من هذا الإشكال بأن نقول: (عليه وعلى أصحابه المؤمنين، أو المرضيين)؟! لقد أوقعوا أنفسهم في كل هذه المشكلات، لأنهم استدركوا على النبي صلى الله عليه وآله ولم يتبعوا! أما نحن فلا مشكلة عندنا، لأننا لانستحل أن نقرن نبينا في الصلاة عليه صلى الله عليه وآله إلا آله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام الذين أمرنا بقرنهم به، وهم عندنا مصطلح نبوي خاص حدده النبي صلى الله عليه وآله بعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، وتسعة من ذرية الحسين، آخريهم المهدي، صلوات الله عليهم.

عصموا البخارى من أجل عصمة عمر

صحيح البخارى كتاب في الحديث، ألفه محمد بن إسماعيل بن برد زبه، المعروف بالبخارى الخرتنكي، نسبة إلى بلده بخارى في شرق إيران، وخرتنك قرية قرب بخارى فيها مولده وقبره، وقد ولد سنة ١٩٦ وتوفي سنة ٢٥٦. وكانت كتب الحديث قبله بالمئات، وبعده بالألوف، لكن المتوكل العباسي تنبى كتابه بتوثيق أحمد بن حنبل، وأعرض عن كتاب الموطأ الذي ألفه مالك بن أنس لجد جده المنصور! فقد ولد مالك سنة ٩٣ وتوفي سنة ١٧٩. (مقدمة كتاب الموطأ والأعلام: ٥/٢٥٧). قال ابن فرحون في الديباج المذهب ص ٢٥: (باب في ذكر الموطأ وتأليفه إياه: روى أبو مصعب أن أبا جعفر المنصور قال لمالك: ضع للناس كتابا أحملهم عليه فكلمه مالك في ذلك فقال: ضعه فما أحد اليوم أعلم منك، فوضع الموطأ فلم يفرغ منه حتى مات أبو جعفر، وفي رواية أن المنصور قال له: يا أبا عبد الله ضع هذا العلم ودون كتابا وجنب فيه شذائد عبد الله بن عمر ورخص عبد الله بن عباس وشواذ ابن مسعود، واقصد أواسط الأمور وما أجمع عليه الصحابة والأئمة وفي رواية أنه قال له: اجعل هذا العلم علما واحدا، فقال له: إن أصحاب رسول الله (ص) تفرقوا في البلاد فأفتى كل في مصره بما رأى فلأهل المدينة قول، ولأهل العراق قول تعدوا فيه طورهم. فقال: أما أهل العراق فليست أقبل منهم صرفا ولا عدلا، وإنما العلم علم أهل المدينة فضع للناس العلم. وفي رواية عن مالك فقلت له: إن أهل العراق لا يرضون علمنا، فقال أبو جعفر: نضرب عليه عامتهم بالسيف ونقطع عليه ظهورهم بالسياط!

وروى أن المهدي قال له: ضع كتابا أحمل الأمة عليه، فقال له مالك: أما هذا الصقع فقد كفيته يعني المغرب، وأما الشام ففيه الأوزاعي، وأما أهل العراق ففيهم أهل العراق، قال عتيق الزبيدي: وضع مالك الموطأ على نحو من عشرة آلاف حديث، فلم يزل ينظر فيه كل سنة ويسقط منه حتى بقي هذا، ولو بقي قليلا لأسقطه كله). انتهى.

وبقي الموطأ المرجع الرسمي للدولة وعلماؤها، وكان أئمة المذاهب يمدحونه بأنه أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى، حتى تركه المتوكل واستعاض عنه بمسودة كتاب البخارى فصار أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى!

قال ابن عبد البر في التمهيد: ١/٧٩: (سمعت الشافعي يقول: ما رأيت كتابا ألف في العلم أكثر صواباً من موطأ مالك).

وقال الذهبي سير أعلام النبلاء: ٩/٢٠٥: (قال بندار: سمعت عبد الرحمن يقول: ما نعرف كتابا في الإسلام بعد كتاب الله أصح من موطأ مالك).

وقال السيد الميلاني في الأحاديث المقلوبة في مناقب الصحابة ص ٣٨:

(ولما أراد الرشيد الشخوص إلى العراق قال لمالك: ينبغي أن تخرج معي فإني عزمتم أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان الناس على القرآن! (مفتاح السعادة: ٢/٦٨٧). ثم أراد هارون أن يعلق الموطأ على الكعبة! (٧ كشف الظنون: ٢/١٩٠٨). ونادى منادى

الحكومة: ألا لا يفتى الناس إلا مالك بن أنس) (وفيات الأعيان ٣/٢٨٤، مفتاح السعادة: ٢/٨٧، مرآة الجنان: ١/٣٧٥).

أما المتوكل الذي فقد كان صاحب مشروع جديد في التجسيم والنصب، يختلف عن مشروع أجداده، فقد أسس ميليشا (أصحاب الحديث) واختار لهم إماماً هو أحمد بن حنبل، ودعا إلى سامراء وأكرمه وعقد له مجالس، وكان لا يعين قاضى القضاء إلا بموافقة، ففي تاريخ بغداد ٣/١٤٧: (أمر المتوكل بمسائلة أحمد بن حنبل عمن يتقلد القضاء).
وفي تاريخ بغداد: ٢/٤٢٦: (بعث المتوكل إلى أحمد بن حنبل يسأله عن ابن الثلجى ويحيى بن أكرم فى ولاية القضاء، فقال أما بن الثلجى فلا). انتهى.

وكان البخارى على صلة دائمة بأحمد، وقد ألف كتابه بتوجيهه، وعرضه عليه فارتضاه، ففي مقدمه فتح البارى ص ٤٩١: (لما صنف البخارى كتاب الصحيح عرض مسودته على ابن المدينى وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهم فاستحسنوه، وشهدوا له بالصحة إلا أربعة أحاديث. قال العقيلى: والقول فيها قول البخارى وهى صحيحة). انتهى.

وطلب ابن حنبل من البخارى أن يسكن فى بغداد فاعتذر له، لكنه ندم بعد ذلك! ففي تاريخ بغداد: ٢/٢٢: (سمعت محمد بن إسماعيل البخارى يقول: دخلت بغداد آخر ثمان مرات، كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل فقال لى فى آخر ما ودعته: يا أبا عبد الله تترك العلم والناس وتصير إلى خراسان؟! قال أبو عبد الله: فأنا الآن أذكر قوله). انتهى.

مات البخارى قبل أن يكمل كتابه، فأكملة جماعة المتوكل

وقد اعترف بذلك ابن حجر فى مقدمه الفتح ص ٦، قال: (حدثنا الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المستملى قال: انتسخت كتاب البخارى من أصله الذى كان عند صاحبه محمد بن يوسف الفربرى، فرأيت فيه أشياء لم تتم، وأشياء مبيضة منها تراجم (عناوين) لم يثبت بعدها شيئاً، ومنها أحاديث (أى عناوين أحاديث) لم يترجم لها، فأضفنا بعض ذلك إلى بعض!
قال أبو الوليد الباجى: ومما يدل على صحة هذا القول أن رواية أبى إسحاق المستملى ورواية أبى محمد السرخسى ورواية أبى الهيثم الكشمهينى ورواية أبى زيد المروزى، مختلفه بالتقديم والتأخير، مع أنهم انتسخوا من أصل واحد! وإنما ذلك بحسب ما قدر كل واحد منهم فيما كان فى طره أو رقعه مضافة، أنه من موضع ما، فأضفه إليه! ويبين ذلك أنك تجد ترجمتين (عناوين) وأكثر من ذلك متصله ليس بينها أحاديث). انتهى.

ومع ذلك فقد تبنته السلطة وألزمت به الطلبة والناس، وأنستهم موطأ مالك!

السر فى تبنيهم كتاب البخارى

كتاب البخارى واحدٌ من مئات الكتب المشابهة التى ألفت قبله، وألوف الكتب التى ألفت بعده، وليس فيه سر سوى أنه مفصل على مزاج المتوكل! فمن أراد أن يعرف البخارى فيعرف المتوكل، فى نصبه لأهل البيت عليهم السلام وكرهه لعلى عليه السلام خاصة، وقتله أئمة أهل البيت عليهم السلام واضطهاده لشيعتهم، ومنعه الناس من زيارة قبر الحسين عليه السلام ثم هدمه القبر الشريف! (راجع كتابنا: جواهر التاريخ).

يوازى ذلك تقديسه لأبى بكر وعمر إلى حد العصمة! وقد رأيت أن أهم أحاديث عصمة عمر رواها البخارى، ومنها: (والذى نفسى بيده مالميك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك). (البخارى: ٤/٩٦، و ١٩٩ و ٧/٩٣)!

هل أن تبني البخارى عمل علمى أم ضد العلم؟

يسأل بعضهم: لماذا لا يقوم مجموعة من العلماء المشهورين بجمع الأحاديث الصحيحة فى مدرسة أهل البيت ويصححونها، وتخرج فى كتب ونقول للعامه هذا صحيحنا وبه حاجونا؟

وقد أجبنا عليه: بأن هذا سؤال يسأله أهل البساطة العلمية، فإن من مشاكل المذاهب السنية أنها أفلتت على نفسها باب الإجتهد في الحديث، واعتمدت على اجتهد البخارى قبل ألف ومئتي سنة، وفرضته على الناس في كل العصور! أما نحن، فمنهجنا علمي منطقي، نعتبر كل ما روى عن النبي وآله صلوات الله عليهم، مواد يجب أن تخضع للبحث العلمي، والإجتهد فيها مفتوح في كل العصور، والذي يصحح ويضعف هو المرجع بالنسبة إلى مقلديه وأهل الإختصاص الموثوق بهم. فأى النهجين أصح؟

وهل إذا قام عالم في عصرنا فألف كتاباً جمع فيه الصحيح برأيه، يجب عليك وعلى كل الناس تقليده، وعلى الأجيال الآتية؟! كلا، فتصحيحه حجة على نفسه وعلى من يقلده فقط، ولا بد أن يكون في المسلمين في كل عصر مجتهدون وخبراء، يبحثون كل الثروة العلمية التي رويت عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، ويجتهدون في التصحيح والتضعيف، ويفتون المسلمين بنتيجة آرائهم فيقلدهم المسلمون بصفتهم أهل خبرة في الشريعة وأحاديث السنة الشريفة. وبذلك فقط نضمن براءة ذمة المسلمين، وعدم جمودهم على تصحيح عالم من مئات السنين، لم يطلع على ما اطلع عليه العلماء المتأخرون.

نظريه إجماع العوام بيد السلطه و رجال الدين

قال التفتازاني في شرح المقاصد: ٥/٣١٠: (فإن قيل: فمن علماء المذهب من لا يجوز اللعن على يزيد، مع علمهم بأنه يستحق ما يروى على ذلك ويزيد. قلنا: تحامياً على أن يرتقى إلى الأعلى فالأعلى، كما هو شعار الروافض، على ما يروى في أدعيتهم، ويجرى في أنديتهم، فرأى المعتنون بأمر الدين إجماع العوام بالكلية، طريقاً إلى الإقتصاد في الاعتقاد). انتهى. فقد أجموهم على حد تعبير التفتازاني عن الكلام على يزيد! لكنهم لم يقفوا في شد لجامهم عند قصور بنى أمية فقط، بل عن أمور كثيرة، نذكر منها هنا:

الجماع العوام عن قبول شهادة الصحابة بحق أنفسهم

فقد شهد أهل بدر وبيعة الرضوان بأن رضا الله تعالى عنهم ليس مطلقاً، بل هو مشروطٌ بشروط، منها أن لا يحدثوا بعد النبي صلى الله عليه وآله وينحرفوا! فقد روى البخارى: ٥/٦٦، عن المسيب أنه قال للبراء بن عازب: (طوبى لك، صحبت النبي (ص) وبابعت تحت الشجرة. فقال: يا ابن أخي إنك لا تدري ما أحدثنا بعده!) لكنهم لم يقبلوا هذه الشهادة، وقالوا لهم: كلا، إن رضا الله عنكم مطلق وشامل، وأنتم من أهل الجنة، فاعملوا ماشئتم!!

الجماع العوام عن قبول إقرار بعض الصحابة بالمعصية

ففى مسند أبى يعلى: ٩/١٧٦: (عن عبد الله بن مسعود أنه تعمد الكذب من أجل أن يأخذ ناقة! قال: ما كذبت مذ أسلمت إلا كذبة! كنت أرحل رسول الله (ص) فأتى رجل من الطائف فقال: أى راحلة أعجب إلى رسول الله (ص) فقلت الطائفية المنكبة، قال ورسول الله (ص) يكرهها! قال: فلما رَحَلها فأتى بها قال: من رَحَل لنا هذه؟ قالوا رَحَل لك الذى أتيت به من الطائف، قال: ردوا الراحلة إلى ابن مسعود). (ورواه ابن أبى الدنيا فى آداب اللسان: ٢٥٣، والطبرانى فى المعجم الكبير: ١٠/١٧٤، وأبو نعيم الأصفهاني فى مسند أبى حنيفة: ٢٣٥ و ٢٥٨، وابن عساكر فى تاريخ دمشق: ٢٤/٣١١)

الجماع العوام عن قبول شهادة النبي لقاتل عمار بالنار

فقد رووا بأسانيد صحيحة أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعمار بن ياسر: تقتلك الفئة الباغية، وقال: قاتل عمار وسالبه في النار! وقد قتله في صفين (الصحابي) أبو الغادية يسار بن سبع، وهو ممن بايع بيعه الشجرة أو الرضوان! ففي مجمع الزوائد: ٩/٢٩٧: عن النبي صلى الله عليه وآله (قاتل عمار وسالبه في النار. رواه الطبراني... ورجاله رجال الصحيح).

وفي مستدرک الحاكم: ٣/٣٨٧: (أن رجلين أتيا عمرو بن العاص يختصمان في دم عمار بن ياسر وسلبه، فقال عمرو خليا عنه، فإني سمعت رسول الله (ص) يقول: اللهم أولعت قريش بعمار، إن قاتل عمار وسالبه في النار). انتهى.

وفي طبقات ابن سعد: ٣/٢٦٠، عن كلثوم بن جبر قال: (كنت بواسط القصب، عند عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر، فقلت الإذن هذا أبو غادية الجهني، فقال عبد الأعلى: أدخلوه، فدخل عليه مقطعات له، فإذا رجل طوال ضرب من الرجال كأنه ليس من هذه الأمة، فلما أن قعد قال بايعت رسول الله (ص) يوم العقبة فقال: يا أيها الناس ألا إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟ فقلنا: نعم، فقال: اللهم اشهد، ثم قال ألا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض!

قال: ثم أتبع ذا فقال: إنا كنا نعد عمار بن ياسر فينا حناناً، فينا أنا في مسجد قباء إذ هو يقول ألا إن نعثلاً هذا لعثمان، فألتفت فلو أجد عليه أعواناً لو طأته حتى أقتله، قال: قلت اللهم إنك إن تشأ تمكني من عمار، فلما كان يوم صفين أقبل يستن أول الكتيبة رجلاً، حتى إذا كان بين الصفين فأبصر رجل عورة فطعنه في ركبته بالرمح، فعرش فانكشف المغفر عنه فضربته، فإذا رأس عمار ندر!

قال: فلم أر رجلاً أبين ضلالةً عندي منه! إنه سمع من النبي عليه السلام ما سمع ثم قتل عماراً!!

قال: واستسقى أبو غادية فأتى بماء في زجاج فأبى أن يشرب فيها، فأتى بماء في قدح فشرب، فقال رجل على رأس الأمير قائم بالنبطية: أوى يد كفتا! يتورع عن الشراب في زجاج (إناء مفضض)، ولم يتورع عن قتل عمار!! (قال عنه في مجمع الزوائد: ٧/٢٤٣، رجاله رجال الصحيح).

وفي تاريخ دمشق: ٤٣/٤٧٦: (وقال عليّ حين قتل عمار: إن امرءاً من المسلمين لم يعظم عليه قتل ابن ياسر ويدخل عليه المصيبة الموجهة، لغير رشيد! رحم الله عماراً يوم أسلم، ورحم الله عماراً يوم قتل، ورحم الله عماراً يوم بيعت حياً، لقد رأيت عماراً وما يذكر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أربعة إلا كان رابعاً، ولا خمسة إلا كان خامساً، وما كان أحد من قدماء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يشك أن عماراً قد وجبت له الجنة في غير موطن، ولا اثنين، فهنيئاً لعمار بالجنة). انتهى.

ابن حنبل يقول: صحابي في النار

تقدم حديث (قاتل عمار وسالبه في النار)، وأن رجاله رجال الصحيح، وفي مقابله تجد في مسند أحمد: ٤/٧٦ عنواناً: (بقية حديث أبي الغادية رضى الله تعالى عنه)!!

لكن أحمد احتاط فرجح أن يروى عنه ولا يسمى! (العلل لأحمد: ٢/٦٠٢)

أما ابن حبان فعده في الثقات! (٣/٣٨١ ونحوه في: ٣/٤٤٨). لكن الذهبي تعجب في ميزان الإعتدال: ١/٤٨٨، فقال: (عن أبي الغادية: سمعت رسول الله (ص) يقول: قاتل عمار في النار. وهذا شيء عجيب، فإن عماراً قتله أبو الغادية)! انتهى.

ونحوه في لسان الميزان لابن حجر: ٢/٢٠٤.

ونقل عنه في تعجيل المنفعة ص ٥٠٩ أنه كان يتبجح بقتله عماراً، قال: (كان إذا استأذن على معاوية وغيره يقول قاتل عمار بالباب، يتبجح)!!

أما ابن تيمية فحاول أن يشكك في قتله لعمار، قال في منهاجه: ٧/٥٦: (وذكر ابن حزم أن عمار بن ياسر قتله أبو الغادية، وأن أبا الغادية هذا من السابقين ممن بايع تحت الشجرة، وأولئك جميعهم قد ثبت في الصحيحين أنه لا يدخل النار منهم أحد! ففي صحيح مسلم

وغيره عن جابر عن النبي (ص) أنه قال: لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة!!
 لكنه شهد في نفس منهاجه: ٦/٢٠٤، بأنه قاتل عمار، لكن شكك في أنه من أهل بيعة الرضوان! قال: (بل نشهد أن العشرة في الجنة، وأن أهل بيعة الرضوان في الجنة، وأن أهل بدر في الجنة، كما ثبت الخبر بذلك عن الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى. وقد دخل في الفتنة خلق من هؤلاء المشهود لهم بالجنة، والذي قتل عمار بن ياسر هو أبو الغادية وقد قيل إنه من أهل بيعة الرضوان ذكر ذلك ابن حزم، فحن نشهد لعمار بالجنة، ولقاتله إن كان من أهل بيعة الرضوان بالجنة!! راجع أيضاً: ٦/٣٣٤.
 ثم عاد في كتابه رأس الحسين عليه السلام ص ٢٠٤ وشكك في قتله لعثمان، قال: ولهذا كان الكلام في السابقين الأولين ومن شهد له بالجنة، كعثمان وعلي وطلحة والزبير ونحوهم: له حكم آخر، بل ومن هو دون هؤلاء، مثل أكابر أهل الحديبية الذين بايعوا تحت الشجرة. وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة، وقد ثبت في الصحيح عن النبي (ص) أنه قال: (لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة). فهؤلاء ونحوهم فيما شجر بينهم: إما أن يكون عمل أحدهم سعيًا مشكوراً، أو ذنباً مغفوراً، أو اجتهاداً قد عفى لصاحبه عن الخطأ فيه، فلهذا كان من أصول أهل العلم أنه لا يمكن أحد من الكلام في هؤلاء بكلام يقدر في عدالتهم وديانتهم، بل يُعلم أنهم عدول مرضيون، رضى الله عنهم وأرضاهم، لا سيما والمنقول عنهم من العظائم كذبٌ مفترى). انتهى.

ولا بد أن يكون من هذه العظائم المفترأة أن أبا لغادية قتل عماراً!

أما عبد الرحمن بن عديس البلوى الذي قتل عثمان، وهو من أهل بيعة الشجرة، فالأمر فيه يختلف! وهم يتمنون أن يحكموا عليه بأنه من أهل النار، لكن بشرط أن لا ينكسر سياج أهل الشجرة لأبي بكر وعمر! فهل من طريق؟!

الجم العوام عن قبول شهادة ثقة و أمين أسراه

إذا اختلف شخصان فيما بينهما، أو اختلفنا في قبول شهادتهما، ترانا نبحت عن شخص متفق عليه من الطرفين أو من الأطراف، يرضى به الجميع ويشهدون بصدقه ووثاقته، فنعتبره حكماً عادلاً، ونقبل شهادته أو حكمه.

والصحابة فيهم مجمع عليه وفيهم مختلف فيه. ومن المجمع عليهم حذيفة بن اليمان ثقة رسول الله صلى الله عليه وآله وموضع سره. فلماذا لا يقبلون شهادته القاصعة التي رواها البخارى؟! ولماذا لا يقارنونها بحديثهم (خير الناس قرني)؟!

قال حذيفة، كما في البخارى: ٨/١٠٠: (إن المنافقين اليوم شرُّ منهم على عهد النبي (ص)! كانوا يومئذ يسرون واليوم يجهرون! إنما كان النفاق على عهد النبي (ص) فأما اليوم فإنما هو الكفر بعد الإيمان!!). انتهى.

فمن هم الذين كانوا يجهرون بالنفاق في عهد أبي بكر وعمر وعثمان، إلا - طلقاء قريش؟ وما هو النفاق الذي كانوا يجهرون به إلا التشكيك برسول الله صلى الله عليه وآله والكذب عليه والطعن بعترته؟ ومن كان يحميهم إلا السلطة؟!

قال الذهبي في السير: ٢/٣٦١: (حذيفة بن اليمان. من نجباء أصحاب محمد (ص)، وهو صاحب السر... حليف الأنصار، من أعيان المهاجرين...)

ولى حذيفة إمرة المدائن لعمر، فبقى عليها إلى بعد مقتل عثمان، وتوفى بعد عثمان بأربعين ليلة... وحذيفة هو الذي ندبه رسول الله (ص) ليلة الأحزاب ليجس له خبر العدو، وعلى يده فتح الدينور عنوة. ومناقبه تطول، رضى الله عنه... خالد عن أبي قلابه عن حذيفة قال: إني لأشترى ديني ببعضه ببعض مخافة أن يذهب كله.... ما أدرك هذا الأمر أحد من الصحابة إلا قد اشترى بعض دينه ببعض. قالوا: وأنت؟ قال: وأنا والله!). انتهى.

فمن الذى كان يستعمل سياسة الإرهاب والقمع والإضطهاد مع المسلمين إلا السلطة القرشية المعادية لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله؟

ومن كان يحمى المنافقين المجاهرين بنفاقهم ضد الإسلام ونبية إلا السلطة ومسلحوها، وجمهورها من طلقاء قريش، الذين ملؤوا

المدينة وسيطروا على الدولة؟ وهل يعقل أن يقول النبي صلى الله عليه وآله عن هؤلاء إنهم خير القرون؟! روى مسلم: ١/٧١: (كنا جلوساً مع حذيفة في المسجد فجاء رجل حتى جلس الينا، فقيل لحذيفة إن هذا يرفع إلى السلطان أشياء، فقال حذيفة: إرادة أن يسمعه: سمعت رسول الله (ص) يقول: لا يدخل الجنة قتات)، وفي رواية أخرى (ينقل الحديث إلى الأمير) وفي البخاري: ٧/٨٦: (يرفع الحديث إلى عثمان)!

فهل يكون هؤلاء خير القرون بإرهابهم واضطهادهم أبرار الصحابة؟!

وفي الطبراني الكبير: ٣/٢٨٠: (عن أبي مالك الأشعري أنه قال لقومه: اجتمعوا أصلي بكم صلاة رسول الله (ص) فاجتمعوا فقال: هل فيكم أحد؟ فقالوا لا، إلا بن أخت لنا! قال فذلك من القوم، فدعا بجفنه فيها ماء فتوضأ وهم شهود، فمضمض واستنشق ثلاثاً، وغسل وجهه ثلاثاً، وذراعيه ثلاثاً ومسح برأسه وظهر قدميه، ثم صلى بنا الظهر فكبر فيها ثنتين وعشرين تكبيرة، يكبر إذا سجد وإذا رفع رأسه... الخ). انتهى.

وفي البخاري: ١/١٣٤، عن الزهري قال: (دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي! فقلت له ما يبكيك؟ فقال لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيعت!!). انتهى.

فهل يكون هؤلاء خير القرون، وقد انقلبوا على أعقابهم بعد الرسول صلى الله عليه وآله وغيروا كل شيء، حتى الوضوء والصلاة؟! قال المفيد في الإفصاح ص ٥٣: (وفي قول أنس بن مالك: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة فأضاء منها كل شيء، فلما مات عليه السلام أظلم منها كل شيء، وما نفضنا عن النبي صلى الله عليه وآله الأيدي ونحن في دفنه حتى أنكرنا قلوبنا شاهد عدل على القوم بما بيناه). انتهى.

وفي فتح الباري: ٨/١١٤: (قال أبو سعيد فيما أخرجه البزار بسند جيد: وما نفضنا أيدينا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا). وفي تحفة الأحوذى: ١٠/٦٢: (قال التوربشتي يريد أنهم لم يجدوا قلوبهم على ما كانت عليه من الصفاء والألفة!!)

الجمام لتغطية مؤامرة خير القرون لقتل النبي

في صحيح مسلم: ٨/١٢٣: قال رجل لحذيفة (أنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة؟ قال فقال له القوم أخبره إذ سألك! قال: كنا نخبر أنهم أربعة عشر فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر! وأشهد بالله ان اثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد). انتهى.

فمن هؤلاء الذين كانوا مستعجلين على الخلافة واستطالوا عمر النبي صلى الله عليه وآله فتآمروا لقتله في عودته من تبوك، وصعدوا إلى أعلى العقبة ليلاً وألقوا الصخور على ناقته ليقتلوه، فنجاه الله منهم، ولم يستطع النبي صلى الله عليه وآله أن يعلن أسماءهم ويعاقبهم خوفاً من حدوث حركة ردة عن الإسلام! فهل هؤلاء خير القرون؟!

الجمام لتغطية اضطهاد خير القرون لأهل بيت نبيهم

وهل خير القرون أولئك الذين عرض عليهم نبيهم صلى الله عليه وآله وهو على فراش مرضه ما لم يعرضه نبي على أمته قط، أن يكتب لهم عهداً إن عملوا به لا يضلوا إلى يوم القيامة، ويكونوا سادة العالم إلى يوم القيامة! فرفضوه بقله أدب وقالوا إن نبيكم يهجر! وهددوه بالردة، فسكت صلى الله عليه وآله على ألم وطردهم من بيته؟!

وهل خير القرون أولئك الذين تركوا جنازة نبيهم صلى الله عليه وآله بين يدي أهل بيته، وعدوا إلى السقيفة ليبيعوا أحدهم خلسة، ثم عادوا مسلحين لا يعزوا أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله بل ليهددوهم بأن يبيعوا لصاحبهم، أو يحرقوا عليهم دارهم؟!

الجم العوام عن تصديق القرآن بأن أكثرية خير القرون لن يؤمنوا

وكيف يكون أهل عصر النبوة أو قريش خاصة خير القرون وقد صدر حكم الله تعالى على أكثرهم بأنهم حق عليهم القول، وبأنهم لن يؤمنوا وإن أظهروا الإيمان، فقال عنهم: لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ. لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. وقال: لَتُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ. (يس: ٧ و ٧٠) فهل نقض الله تعالى في المدينة ما أنزله في مكة؟! فقله تعالى: لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ، يشمل أهل مكة، وأهل الجزيرة الذين بلغتهم دعوة النبي صلى الله عليه وآله وإنذاره في حياته.

وقوله تعالى: لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. إخبار منه وهو العليم بهم بأن أكثريتهم من أهل جهنم، وأنهم لن يؤمنوا واقعاً، وإن آمنوا ظاهراً، طمعاً أو خوفاً. وقد فسر المقصود بالقول الذى حق عليهم بقوله تعالى: قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ. لِأَمْلَانِ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (صَاد ٨٤-٨٥)

وهل يستطيع المسلم الذى يؤمن بالقرآن ويقول صدق الله العظيم إلا أن يعتقد بأن أكثر أهل مكة وقريش كانوا كفاراً عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله ولم يؤمنوا!

قال ابن الجوزى فى زاد المسير: ٦/٢٤٣: (لقد حق القول، فيه قولان: أحدهما وجب العذاب، والثانى سبق القول بكفرهم.

قوله تعالى: "أكثرهم، يعنى أهل مكة، وهذه إشارة إلى إرادة الله تعالى السابقة لكفرهم. لا يؤمنون، لما سبق من القدر بذلك). انتهى. وأخيراً، كيف يكونون خير القرون وقد حكم عليهم الله تعالى بأنهم فراعنة و جنود للفراعنة فقال لنبىه صلى الله عليه وآله: وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا. إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا. وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا. يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيًّا مَهِيلاً. إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا. فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً. (المزمل ١٠-١٦).

وقد تحقق إخباره سبحانه، فلم يكن مع النبي صلى الله عليه وآله من قريش فى مهجره إلا قلة قليلة جداً! وفى بعضهم كلام! وعندما فتح النبي صلى الله عليه وآله مكة ملكهم عبيداً، ولم يعتقدهم بل أطلقهم إطلاقاً، وسماهم الطلقاء! فكيف صاروا بمجرد وفاته صحابة عدولاً، وكيف يجعل الله فيهم خلافة نبيه صلى الله عليه وآله ويأمر المسلمين أن يطيعوا قريشاً مدى الدهر، لأنهم خير القرون؟ حاشا لله!

من أساليبهم فى إجماع العوام

تبيع الحقائق و حلف الإيمان

قال ابن حزم فى الأحكام: ٢/٢٠٣: (وأما قدامه بن مظعون، وسمره بن جندب والمغيرة بن شعبة، وأبو بكره، رضوان الله عليهم، فأفاضل أئمة عدول.

أما قدامه فبدرى مغفور له بيقين، مرضى عنه، وكل من تيقنا أن الله عز وجل رضى عنه وأسقط عنه الملامه ففرض علينا أن نرضى عنه وأن لا نعدد عليه شيئاً، فهو عدل بضرورة البرهان القائم على عدالته من عند الله عز وجل وعندنا، وبقوله عليه السلام إن الله اطلع على أهل بدر فقال لهم إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.

وأما المغيرة بن شعبة، فمن أهل بيعة الرضوان، وقد أخبر عليه السلام ألا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة، فالقول فيه كالقول فى قدامه.

وأما سمره بن جندب فأحدى، وشهد المشاهد بعد أحد وهلم جراً، والأمر فيه كالأمر فى المغيرة بن شعبة.

وأما أبو بكره، فيحتمل أن يكون شبه عليه، وقد قال ذلك المغيرة، فلا يأتى هو ولا المغيرة، وبهذا نقول: وكل ما احتمل ولم يكن ظاهره يقيناً فغير منقول عن متيقن حاله بالامس، فهما على ما ثبت من عدالتهما، ولا يسقط اليقين بالشك وهذا هو استصحاب الحال

الذى أباه خصومنا، وهم راجعون إليه فى هذا المكان بالصغر منهم! فما منهم أحد امتنع من الرواية عن المغيرة وأبى بكره معاً، وأبو بكره وهو متأول، وأما سمرة فمتأول أيضاً، والمتأول مأجور وإن كان مخطئاً، وكذلك قدامة تأول أن لا جناح عليه وصدق لا جناح عليه عند الله تعالى فى الآخرة بلا شك، وأما فى أحكام الدنيا فلا، ولنا فى الدنيا أحكام غير أحكام الآخرة. وكذلك كل من قاتل علياً رضوان الله عليه يوم صفين.

وأما أهل الجمل فما قصدوا قط قتال على رضوان الله عليه، ولا قصد على رضوان الله عليه قتالهم، وإنما اجتمعوا بالبصرة للنظر فى قتله عثمان رضوان الله عليه، وإقامه حق الله تعالى فيهم، فأسرع الخائفون على أنفسهم أخذ حد الله تعالى منهم - وكانوا أعداداً عظيمة يقربون من الألوف - فأثاروا القتال خفية حتى اضطر كل واحد من الفريقين إلى الدفاع عن أنفسهم، إذ رأوا السيف قد خالطهم وقد جاء ذلك نصاً مروياً....

وليس عندنا من أمرهم إلا أنهم فيما بدا لنا مسلمون فاضلون، يلزمننا توقيهم والاستغفار لهم، إلا أننا لا نقطع لهم بالجنة ولا بمغيب عقودهم، ولا برضى الله عز وجل عنهم، لكن نرجو لهم ذلك ونخاف عليهم كسائر أفاضل المسلمين ولا فرق. ثم لا نجيز ذلك لعلى وأم المؤمنين وطلحة والزبير وعمار وهشام بن حكيم ومعاوية وعمرو والنعمان وسمرة وأبى الغادية وغيرهم، وهم أئمة الإسلام حقاً والمقطوع على فضلهم وعلى أكثرهم بأنهم فى الجنة، وهذا لا يخيل إلا على مخذول. وكل من ذكرنا من مصيب أو مخطئ فمأجور على اجتهاده، إما أجرين، وإما أجراً، وكل ذلك غير مسقط عدالتهم. وبالله تعالى التوفيق).

وقال فى المحلى: ٩/٤٩: (إن من البرهان الواضح على كذب هذا الخبر ووضعه وانه لا يمكن أن يكون حقاً أصلاً ما فيه مما نسب إلى أم المؤمنين من أنها قالت: أبلغى زيد بن أرقم أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله (ص) إن لم يتب. وزيد لم يفته مع رسول الله (ص) إلا غزوتان فقط بدر وأحد فقط، وشهد معه عليه السلام سائر غزواته، وأنفق قبل الفتح وقاتل وشهد ببيعة الرضوان تحت الشجرة بالحديبية ونزل فيه القرآن وشهد الله تعالى له بالصدق وبالجنة على لسان رسوله عليه السلام انه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة، ونص القرآن بأن الله تعالى قد رضى عنه وعن أصحابه الذين بايعوا تحت الشجرة. فوالله ما يبطل هذا كله ذنب من الذنوب غير الردة عن الإسلام فقط وقد أعاده الله تعالى منها برضاه عنه وأعاد أم المؤمنين من أن تقول هذا الباطل)

تعليم العوام إنكار الحقائق نهاراً جهاراً

قال ابن كثير فى النهاية: ٦/٢١١: (ثبت أيضاً الأخبار عنه صلوات الله وسلامه عليه بأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة، وكانوا ألفاً وأربعمائة، وقيل وخمسائة، ولم ينقل أن أحداً من هؤلاء رضى الله عنه عاش إلا حميداً، ولا مات إلا على السداد والاستقامة والتوفيق، والله الحمد والمنة. وهذا من أعلام النبوات، ودلالات الرسالة). انتهى.

الجم أطفال المسلمين بتريتهم على عصمة عمر

قال ابن حبان فى صحيحه: ١٥/٣١٧: (ذكر الخبر الدال على أن عمر بن الخطاب (رض) كان من المحدثين فى هذه الأمة.... عن عائشة قالت قال رسول الله (ص) قد كان يكون فى الأمم محدثون فإن يكن فى أمتى أحد فهو عمر بن الخطاب!

ذكر إجراء الله الحق على قلب عمر بن الخطاب (رض) ولسانه:

عن ابن عمر أن النبى (ص) قال: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه.

وقال ابن عمر ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه وقال عمر بن الخطاب، إلا نزل القرآن على نحو مما قال عمر!

ذكر بعض ما أنزل الله جل وعلا من الآي وفاقاً لما يقوله عمر بن الخطاب (رض):

عن حميد عن أنس قال قال عمر بن الخطاب: وافقت ربي في ثلاث أو وافقني ربي في ثلاث....

ذكر الخبر الدال على أن ناحية بعد أبي بكر كان عمر...

ذكر البيان بأن عمر بن الخطاب أول ما تنشق عنه الأرض بعد أبي بكر الصديق...

ذكر البيان بأن عمر بن الخطاب كان أحب الناس إلى رسول الله بعد أبي بكر...

ذكر إثبات الرشد للمسلمين في طاعة أبي بكر وعمر...

ذكر أمر المصطفى المسلمين بالاعتداء بأبي بكر وعمر بعده...

ذكر شهادة المصطفى للصديق والفاروق بكل شيء كان يقوله (ص)...

ذكر البيان بأن الصديق والفاروق يكونان في الجنة سيدي كهول الأمم فيها...

ذكر رضا المصطفى عن عمر بن الخطاب في صحبته إياه... انتهى.

وليس ابن حبان إلا نموذجاً لجميع مصادرهم في الحديث! فقد عقدوا لهذه الأحاديث أبواباً متعددة متنوعه، في الصحاح، والسنن،

والمسانيد! وعلموا الناس حفظها ونشرها، وترديدها في زيارة قبر عمر، كما في إعانة الطالبين: ٢/٣٥٧: (فيسلم على سيدنا

عمر(رض) ويقول: السلام عليك يا أمير المؤمنين ياسيدنا عمر بن الخطاب، يا ناطقاً بالحق والصواب، السلام عليك يا حليف المحراب.

السلام عليك يا من بدين الله أمر، يا من قال في حقك سيد البشر(ص): لو كان بعدى نبياً لكان عمر.

السلام عليك يا شديد المحاماة في دين الله والغيرة، يا من قال في حقك هذا النبي الكريم(ص): ما سلك عمر فجاً إلا سلك الشيطان

فجاً غيره... إلخ.

قال السيد المرتضى قدس سره في كتابه الشافي في الإمامة: ٣/١٢٩، وهو يفند الأحاديث القرشية الموضوعه في فضائل أبي بكر وعمر:

(وأما ما رواه من قوله صلى الله عليه وآله: إن الحق ينطق على لسان عمر، فهو مقتض إن كان صحيحاً عصمه عمر والقطع على أن

أقواله كلها حجة! وليس هذا مذهب أحد في عمر، لأنه لا خلاف في أنه ليس بمعصوم وأن خلافه سائغ!

وكيف يكون الحق ناطقاً على لسان من يرجع في الأحكام من قول إلى قول، ويشهد على نفسه بالخطأ، ويخالف في الشيء ثم يعود

إلى قول من خالفه، فيوافقه عليه، ويقول (لولا على لهلك عمر) و (لولا معاذ لهلك عمر)؟!!

وكيف لم يحتج بهذا الخبر هو لنفسه في بعض المقامات التي احتاج إلى الإحتجاج فيها؟! وكيف لم يقل أبو بكر لطلحة لما قال له: ما

تقول لربك إذ ولت علينا فظاً غليظاً! أقول له: ولئيت من شهد الرسول بأن الحق ينطق على لسانه!

وليس لأحد أن يدعى في الإمتناع من الإحتجاج بذلك سبباً مانعاً كما ندعيه في ترك أمير المؤمنين عليه السلام الإحتجاج بذلك

بالنص، لأننا قد بينا فيما تقدم أن لتركه عليه السلام ذلك سبباً ظاهراً، وهو تأمر القوم عليه وانسباط أيديهم، وأن الخوف والتقية واجبان

ممن له السلطان، ولا تقية على عمر وأبي بكر من أحد، لأن السلطان كان فيهما ولهما، والتقية منهما لا عليهما!

على أن هذا الخبر لو كان صحيحاً في سنده ومعناه، لوجب على من ادعى أنه يوجب الإمامة (يقصد القاضي عبد الجبار الهمداني

صاحب المغنى، وقد ألف الشافي رداً عليه)، أن يبين كيفية إيجابه لذلك، ولا يقتصر على الدعوى المحضه، وعلى أن يقول: إذا جاز

أن يدعى في كذا وكذا أنه يوجب الإمامة، جاز في هذا الخبر، لأننا لما ادعينا في الأخبار التي ذكرناها ذلك، لم نقتصر على محض

الدعوى، بل بينا كيفية دلالة ما تعلقنا به على الإمامة، وقد كان يجب عليه إذا عارضنا بأخباره أن يفعل مثل ذلك). انتهى.

وقال الأميني في الغدير: ٦/٣٣١: (هناك أحاديث موضوعه تذكر في فضائل عمر لاتلتئم مع شيء مما ذكرناه بأسانيده الوثيقه(في علم

عمر) وكل من ذلك يفندها منها ما يعزى إليه صلى الله عليه وآله من قوله: لو لم أبعث فيكم لبعث عمر.

ورواية: لو لم أبعث لبعثت يا عمر.

ورواية: لو كان نبي بعدى لكان عمر بن الخطاب.

ورواية: قد كان في الأمم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فهو عمر.

ورواية: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه.

وراية: أن الله ضرب بالحق على لسان عمر وقلبه.

ومنها ما رووه عن علي أمير المؤمنين عليه السلام من قول: كنا نتحدث إن ملكاً ينطق على لسان عمر. وقوله: ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر.

ومنها ما يروى عن أعظم الصحابة مثل ما يعزى إلى ابن مسعود من قوله: لو وضع علم عمر في كفه وعلم أهل الأرض في كفه لرجح علم عمر.

وأمثال هذه من الأكاذيب، فإن من يكون بتلك المثابة حتى يكاد أن يبعث نبياً لا يفقد علم واضحات المسائل عند ابتلائه، أو ابتلاء من يرجع أمره إليه من أمته بها، ولا يتعلم مثله سورة من القرآن في اثنتي عشرة سنة!

وأين كان الحق والملك والسكينة، يوم كان لايهتدى إلى أمهات المسائل سبيلاً فلا تسدده، ولا تفرغ الجواب على لسانه، ولا تضع الحق في قلبه!

وكيف يسع المسدّد بذلك كله أن يحسب كل الناس أفضه منه حتى ربات الحجال؟! وكيف كان يأخذ علم الكتاب والسنة من نساء الأمة وغوغاء الناس فضلاً عن رجالها وأعلامها؟

وكيف كان يرى عرفان لفظه مفسرة بالقرآن تكلفاً ويقول: هذا لعمر الله هو التكلف، ما عليك يا بن أم عمر أن لا تدري ما الأب؟! وكيف كان يأخذ عن أولئك الجم الغفير من الصحابة ويستفتيهم في الأحكام.

وكيف كان يعتذر عن جهله أوضح ما يكون من السنة بقوله: ألهانى عنه الصفق بالأسواق.

وكيف كان لم يسعه أن يعلم الكلالة وقيمتها، ولم يتمكن من تعلم صور ميراث الجد، وكان النبي صلى الله عليه وآله يقول: ما أراه يعلمها، وما أراه يقيمتها. ويقول: إنى أظنك تموت قبل أن تعلم ذلك؟! وكيف كان مثل أبي بن كعب يغلظ له في القول ويراه لاهياً عن علم الكتاب بالصفق بالأسواق وبيع الخيط والقرظة؟

وكيف كان يراه أمير المؤمنين عليه السلام جاهلاً بتأويل القرآن الكريم.

وكيف وكيف، إلى مائة كيف؟! نعم راق القوم أن ينحتوا له فضائل ويغالوا فيها ولم يترووا في لوازمها). انتهى.

وقال المفيد رحمه الله في الإفصاح في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام ص ٤٠: (فلو سلمنا لك دعواك لمن ادعت الفضل لهم على ما تمنيت لم يمنع مما ذكرناه، لأنه لا يوجب لهم العصمة من الضلال، ولا يرفع عنهم جواز الغلط والسهو والنسيان، ولا يحيل منهم تعمد العناد. وقد رأيت ما صنع شركاؤهم في الصحبة والهجرة والسبق إلى الإسلام حين رجع الأمر إلى أمير المؤمنين عليه السلام باختيار الجمهور منهم والاجتماع، فنكث بيعته طلحة والزبير، وقد كانا بايعاه على الطوع والإيثار وطلحة نظير أبي بكر، والزبير أجل منهما على كل حال، وفارقه سعد بن أبي وقاص وهو أقدم إسلاماً من أبي بكر، وأشرف منه في النسب، وأكرم منه في الحسب، وأحسن آثاراً من الثلاثة في الجهاد! وتبعه على فراقه وخذلانه محمد بن مسلمة، وهو من رؤساء الأنصار، واقتفى آثارهم في ذلك وزاد عليها بإظهار سبه والبراءة منه حسان!! فلو كانت الصحبة مانعة من الضلال لمنعت من ذكرناه ومعاوية ابن أبي سفيان وأبا موسى الأشعري، وله من الصحبة والسبق ما لا يجهل وقد علمتم عداوتهم لأمر المؤمنين عليه السلام وإظهارهم البراءة منه، والقنوت عليه، وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وأميره على أبي بكر وعمر وعثمان.

ولو كانت الصحبة أيضاً مانعة من الخطأ في الدين والآثام.....ولكانت صحبة السامري لموسى بن عمران عليهما السلام وعظم محله منه ومنزلته، تمنعه من الضلال باتخاذ العجل والشرك بالله عز وجل، ولاستحال أيضاً على أصحاب موسى نبي الله عليه السلام وهم ستمائة

ألف إنسان وقد شاهدوا الآيات والمعجزات وعرفوا الحجج والبيّنات أن يجتمعوا على خلاف نبيهم وهو حي بين أظهرهم، وبيّنوا خليفته وهو يدعوهم ويعظّمهم ويحذّرهم من الخلاف وينذّرهم، فلا يصغون إلى شيء من قوله، ويعكفون على عبادة العجل من دون الله عز وجل.

ولكان أيضاً أصحاب عيسى عليه السلام معصومين من الردة، ولم يكونوا كذلك، بل فارقوا أمره وغيروا شرعه، وادعوا عليه أنه كان يأمرهم بعبادته، واتخاذهم إلهاً مع الله تعالى تعمداً للكفر والضلال، وإقداماً على العناد من غير شبهة ولا سهو ولا نسيان. انتهى.

الجمام العوام باستخدام وسائل الإعلام

لو نظرنا في حجم ما يقوم به في عصرنا الذين يسميهم ابن حبان (المعتنين بأمر الدين)، لتركيز قداسة أبي بكر وعمر في نفوس المسلمين، لرأينا العجب!!

من مناهج التربية المدرسية والجامعية، إلى برامج الراديو والتلفزيون، إلى خطب المساجد ودروسها، إلى الكتب والكتيبات والأشرطة، إلى صفحات النت ومواقعها المتنوعة.. ومنها بإسم الصحابة لكن المقصود به أبو بكر وعمر! والمطلوب فيها كلها غرس الاعتقاد بفضائل أبي بكر وعمر إلى حد العصمة والغلو، وغرس الاعتقاد بأن من لم يعتقد بذلك فهو عدو للإسلام ونبيه وقرآنه!

وفي مقابله لاتكاد تجد شيئاً عن أهل البيت، وحتى عن بقية الصحابة!

والمطلوب أن يكبر الطفل المسلم وعنده تقديس خاص لعمر وأبي بكر لا يصل إليه تقديس آخر، وحساسية خاصة تجاههما بحيث تستنفر وسائل دفاعه لأقل ما يحتمل أنه يمس بهما، أكثر مما يستنفر لرسول الله صلى الله عليه وآله! وبهذا يتجاوز المعتنون بأمر (الدين) قضية إجمام العوام عن المساس بأبي بكر وعمر، إلى تعبتهم للحرب من أجلهما، ومن أجل كل ما يتعلق بهما!

وليس في كلامنا هذا مبالغه، إذ يكفي أن تجرب مع هؤلاء المعبين أن تبحث في عصمة النبي صلى الله عليه وآله وأخطائه الكثيرة، فتراهم يشاركونك في البحث! حتى إذا طرحت ما يحتمل أنه خطأ لعمر، انصب عليك جام غضبهم بلا هوادة!

العصمة والمعصومون في القرآن

المعصومون ثمرة الوجود البشري

يتصور البعض أن القرآن لا يري عصمة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، لأنه يتحدث عن (معصية) آدم عليه السلام ويذكر (مؤاخذات) على بعض الأنبياء عليهم السلام كطلب نوح عليه السلام من ربه أن ينجى ابنه مع أنه كان كافراً، وما يبدو من تحيير إبراهيم عليه السلام في ربه هل هو النجوم أو القمر أو الشمس، ومن قتل موسى للقبطي، وغضبه على أخيه هارون عليهما السلام. ونحو ذلك من (ذنوب الأنبياء) التي أكثر اليهود فيها الكلام والإتهام وتمسك بها المخالفون لمذهب أهل البيت عليهم السلام، فحصرُوا عصمة الأنبياء عليهم السلام في التبليغ فقط، ونفوها في الأمور الشخصية والعامة، بل نسبوا اليهم أخطاء ومعاصي فظيعة حتى في التبليغ كما تقدم!

لكنّ النظرة الفاحصة ترينا أن العصمة والمعصومين في القرآن ظاهرة بارزة من أول مشروع خلق آدم عليهم السلام وذريته، وقد وردت في القرآن ببضعة عشر عنواناً:

فالمعصومون هم النخبة الذين من أجلهم كان مشروع إسكان آدم في الأرض، وبهم ستصل الحياة الاجتماعية إلى هدفها الرباني

الحكيم الذى لم يعرفه الملائكة: قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. وهم الذين تحدى الله تعالى عدوه إبليس أن يؤثر عليهم فقال له: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ.

وهم العباد المكرمون عنده الذين: لَا يَشْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ.

وهم الذين يخصهم بالإطلاع على غيبه، ويحيطهم برصد لحفظ الغيب ضمن خطه المقرر، كما قال تعالى: عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا.

وهم الذين يورثهم الكتاب عبر الأجيال: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا.

وهم الذين وعد أن يغلب بهم: كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ.

ووعد أن تتجلى هذه الغلبة بعد خاتم رسله وأنبيائه صلى الله عليه وآله: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ. وهم الذين سيورثهم الأرض بعد عهود الجابرة: وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ.

وهم عباد الرحمن الخاصون الذين خصهم بصفات وافيه من سورة الفرقان.

وهم الذين أعطاهم عنده عهداً فلن يخلفه: قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ... إلى آخر الآيات التى تتحدث بيقين عن نجاح المشروع الإلهي فى آدم وذريته. وليس نجاحه إلا بهؤلاء المعصومين عليهم السلام، الذين هم لب هذا المشروع وضمانه، وهدفه الأسمى!

آيات العصمة فى القرآن

فى القرآن الكريم طوائف من الآيات تتحدث عن نخبة من البشرية، وتصفهم بصفات تدل على عصمتهم، وهذه أهمها:

آيات الإستخلاف

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً. قَالُوا: أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ؟ قَالَ: إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا: سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ: يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ! فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ). (البقرة: ٣٠-٣٣)

لا يكون خليفة الله فى الأرض إلا معصوما

قالت أحاديث أهل البيت عليهم السلام إن المستخلف فى الآية هو بعض المعصومين وهم آدم عليه السلام وبعض الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وليس كل نوع الإنسان.

وذهب أغلب المفسرين السنة المتأخرين وتبعهم بعض مفسرى الشيعة، إلى أن المستخلف فى الآية نوع الإنسان، وأكثرها فى توجيه ذلك بلا طائل.

والصحيح أن هذا الجعل الإلهي مختص بآدم والمعصومين من ذريته عليهم السلام، لأنه جعل تشريعي لولاية من الله على الأرض وأناسها، وإعطاؤها لغير المعصوم يستوجب نفى الحكمة عن الله ونسبة الظلم اليه، سبحانه وتعالى!

ذلك أن قوله تعالى للملائكة: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً، ليس إخباراً عن مجرد إسكان آدم وذريته فى الأرض، بل عن جعل خلفاء لله منهم.

وعندما تساءل الملائكة كيف تصلح ذرية آدم للخلافه مع أنهم سيفسدون ويسفكون الدماء؟ خطأهم الله تعالى لأنهم حكموا على جميع ذرية آدم، وجميع مدتهم على الأرض! وأخبرهم سبحانه أن مشروع استخلافهم لا يضر به ما تفعله ذرية آدم من إفساد وسفك الدماء أي حين! وأن آدم والمستخلفين من ذريته عليهم السلام أفضل من الملائكة فهم يصلحون ولا يفسدون، وأثبت الله لهم ذلك فعلم آدم عليه السلام ما لا يعلمونه، وأراهم سيرة خلفائه من ذرية آدم عليهم السلام، فاعترف الملائكة واستغفروا!

نعم، يصح القول إن الإنسان خليفة الله في الأرض، باعتبار أن خلفاء الله الشرعيين من نوعه، لكنه لا يعنى شمول الخلافه لغير المعصومين عليهم السلام بحال. وذلك كقوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا) (المائدة: ٢٠) فعبر يجعلهم ملوكاً بالعموم، لأنهم منهم.

ولا نظيل في ذكر أقوال المفسرين في المسألة ومناقشتها، فإن أحداً منهم لم يأت بدليل من الآية أو خارجها على أن هذه الخلافه تشمل كل ذرية آدم عليه السلام، اللهم إلا الإستحسانات والظنون، وهي لا تنهض دليلاً!

ولعل القائمين بعموم الخلافه لكل بنى آدم غفلوا عن أن الجاعل لها هو العالم الحكيم المطلق عز وجل، وأن أحدنا لا يعطى هذا المقام الخطير للمفسدين ولا للعاديين فكيف بالله تعالى! وإذا انتفت خلافه المفسدين بالفعل أو بالقوة، لم يبق إلا المعصومون عليهم السلام، وهذا مذهب أهل البيت عليهم السلام.

ولعله اختلط عليهم هذا الإستخلاف التشريعي بالإستخلاف التكويني بمعنى أن الله جعل الإنسان أجيالاً يخلف بعضها بعضاً، كما قال نبي الله هود عليه السلام لقومه: وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنِّي بَعِيدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضِئَةً فَمَا ذَكَّرْتُمُ إِلَّا أَنَّ لَكُمْ تُفْلِحُونَ. (الأعراف: ٦٩)، فهذا استخلاف لكن ليس فيه ولاية ولا مقام، بل امتن الله عليهم بخلقهم بعد قوم نوح وتوريثهم حضارتهم، رغم كفرهم.

لأجل ما تقدم فإن مقام خليفة الله لم يثبت في القرآن إلا لآدم وداود عليهما السلام: يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ. (سورة ص: ٢٦).

أما قوله تعالى: أَمْ مَنْ يُحِبُّ الْمُسْتَطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ، (النمل: ٦٢) وقوله تعالى: وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ (النور: ٥٥)، فهو وعد إلهي باستخلاف المعصومين وختامهم الإمام المهدي عليه السلام، خليفة الله الموعود، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً!

في الكافي: ١/١٩٣، عن الإمام الرضا عليه السلام قال: (الأئمة خلفاء الله عز وجل في أرضه). وعن الإمام الصادق عليه السلام، في قوله تعالى: وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، قال: هم الأئمة).

أما في السنة فثبت إسم خليفة الله لنبينا وآله صلى الله عليه وآله، وربما لكبار الأنبياء عليهم السلام. ففي من لا يحضره الفقيه: ٢/٦١١، في رواية الزيارة الجامعة: (ورضيتكم خلفاء في أرضه، وحججاً على بريته).

وفي خصائص الأئمة للشيخ الرضا رحمه الله ص ١٠٥: في حديث كميل بن زياد رحمه الله في وصف الأئمة عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (اللهم بلى، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، إما ظاهراً مشهوراً، أو خافياً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيئاته.... أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه). انتهى.

أما الزيدية فقد توسعوا في إعطاء لقب خليفة الله لكل من اجتمعت فيه شروط الإمامة عندهم فكان فقيهاً من ذرية علي وفاطمة عليهما السلام وقام بالسيف. (الأحكام: ٢/٥٠٥)

تكريم بنى آدم لا يعنى استخلافهم لأنه تكريم تكويني واقتضائي

استدل بعضهم على عموم الاستخلاف في الأرض بآية تكريم بنى آدم، وهى قوله تعالى: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً. يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظَلَمُونَ فَتِيلاً. (الإسراء: ٧٠-٧١).

لكن لا علاقة لهذا التكريم بالاستخلاف، لأنه أعم منه محمولاً وموضوعاً، فهو يشمل المؤمن والكافر، كما قال الله تعالى: فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَيَّا ابْتِلَاءَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ. وَأَمَّا إِذَا مَيَّا ابْتِلَاءَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْيَأَنِي كَلالاً- يَلْ لاء- تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ. (الفجر: ١٥-١٧). فالإكرام هنا دنيوى يشمل حتى الكفار والفجار والطغاة، ولا يصح القول إنهم مكرمون، فهم خلفاء الله فى أرضه! والمقصود بالتكريم التكويني خلق الإنسان فى أحسن تقويم، ومنحه قدرات وظروفاً تمكنه من التكامل ونيل التكريم الحقيقى إن أراد، كما قال تعالى عن مؤمن آل ياسين: قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ. بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ. (يس: ٢٦-٢٧). فوصل بتكريمه التكويني إلى تكريمه الحقيقى.

وأخيراً، فإن جعل التقوى ميزاناً للكرامة والتكريم، فى قوله تعالى: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ. (الحجرات: ١٣) يؤكد أن ماتحقق لكل بنى آدم فى قوله: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ، تكريمٌ عامٌ بنعم الله التى وسعت الكافر والمؤمن، أما الإستخلاف فهو تكريمٌ خاص ومنصبٌ لعباد خاصين لا يثبت إلا- بدليل، قال تعالى: وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلِداً سُبْحانَهُ يَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ. (الأنبياء: ٢٦-٢٧).

خلفاء الله فى الأرض ليس بالضرورة أن يكونوا حكاما

من الواضح أن خليفة الله فى أرضه وحجته على عباده، ليس بالضرورة أن يكون حاكماً، فأكثر أنبياء الله وأوصيائهم عليهم السلام كانوا محكومين مضطهدين، ولم ينقص ذلك من مقامهم العظيم وخلافتهم عن الله تعالى فى أرضه. وهذا معنى ما روه ورويناه من أن الخلفاء الذين بشر بهم النبى صلى الله عليه وآله لا يضرهم تكذيب من كذبهم. فقد روى الكافى: ١/٥٢٩، وكمال الدين ص ٢٩٩، واللفظ له: (عن أبى الطفيل قال: شهدت جنازة أبى بكر يوم مات، و شهدت عمر حين بوعى وعلئى جالس ناحية، إذ أقبل عليه غلام يهودى عليه ثياب حسان وهو من ولد هارون، حتى قام على رأس عمر فقال: يا أمير المؤمنين أنت أعلم هذه الأمة بكتابهم وأمر نبيهم؟ قال: فطأ عمر رأسه، فقال: إياك أعنى وأعاد عليه القول! فقال له عمر: ما شأنك؟ فقال: إنى جنتك مرتاداً لنفسى شاكاً فى دينى، فقال: دونك هذا الشاب قال: ومن هذا الشاب؟ قال: هذا على بن أبى طالب ابن عم رسول الله، وهو أبو الحسن والحسين ابنى رسول الله، وهذا زوج فاطمة ابنة رسول الله. فأقبل اليهودى على على فقال: أكذاك أنت؟ قال: نعم، فقال اليهودى: إنى أريد أن أسألك عن ثلاث وثلاث وواحدة..... إلى أن قال: أخبرنى عن محمد كم بعده من إمام عدل وفى أى جنة يكون، ومن الساكن معه فى جنته؟ فقال: يا هارونى إن لمحمد صلى الله عليه وآله من الخلفاء اثنا عشر إماماً عدلاً، لا يضرهم خذلان من خذلهم، ولا- يستوحشون بخلاف من خالفهم، وإنهم أرسب فى الدين من الجبال الرواسى فى الأرض. ومسكن محمد صلى الله عليه وآله فى جنة عدن معه أولئك الإثنا عشر الأئمة العدل. فقال: صدقت والله الذى لا إله إلا هو إنى لأجدها فى كتاب أبى هارون كتبه بيده). انتهى.

وفى معجم الطبرانى الكبير: ٢/١٩٦، و٢١٣ و٢١٤، و٢٥٦، والأوسط: ٣/ ٢٠١، ومجمع الزوائد: ٥/١٩١: (عن جابر بن سمرة عن النبى (ص) قال: يكون لهذه الأمة اثنا عشر قيماً، لا يضرهم من خذلهم). انتهى.

وقد روى بعضهم زيادة فى حديث الأئمة الإثنى عشر (كلهم تجتمع عليه الأمة) وأراد حصر تطبيقه بالحكام، وأنه لا يشمل من أهل البيت إلا علياً عليه السلام، لكن الألبانى رد هذه الزيادة فى سلسلته برقم ٣٧٦، وقال عنها إنها منكرة!

وقد بحثنا فى المجلد الثانى من كتاب (ألف سؤال وإشكال- مسألة ١٦٢) لقب خليفة الله تعالى وخليفة النبى صلى الله عليه وآله،

واستغلال القرشيين له وأعطاه لحكامهم! وأن أبا بكر استكثر على نفسه لقب خليفة الله فهاهم عنه (ابن أبي شيبة في المصنف: ٨/٥٧٢، وصححه في الزوائد: ٥/١٨٤ عن أحمد. وكذلك عمر: شرح النهج: ١٢/٩٤)

بينما سمي معاوية نفسه (خليفة الله) فاعترض عليه صعصعة بن صوحان رحمه الله!

(مروج الذهب للمسعودي: ٣/٥٢) ثم تهادى حكام بني أمية في استغلال لقب خليفة الله لأنفسهم، ففضلوا الحاكم الأموي بذلك على نبينا صلى الله عليه وآله بحجة أن خليفة المرأ خير من رسوله في حاجته! (الصحيح السيرة: ١/٢٩)

ونقل النووي في الأذكار ص ٣٦٠، عن البغوي أنه قال: (ولا يسمى أحد خليفة الله تعالى بعد آدم وداود عليهما الصلاة والسلام).

ونقل عنه الشريبي في مغني المحتاج: ٤/١٣٢، قوله: (ولا يجوز تسميته بخليفة الله تعالى، لأنه إنما يستخلف من يغيب ويموت، والله تعالى منزّه عن ذلك). انتهى.

ودليل البغوي ضعيف، والدليل الصحيح: أن خليفة الله وخليفة الرسول منصب يحتاج إلى نص من الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وآله، وإلا كان ادعاءً وافتراءً.

والنتيجة: أن نظام الإستخلاف في الأرض ومقام الخلافة الذي نصّت عليه الآية يدل على أن من ثبت له هذا المنصب، فقد ثبت له العصمة.

وقد اتضح أن توسيع إسم (خليفة الله) لكل بني آدم، إنما قال به بعض المتأخرين تأثراً بفكر بعض المتصوفة، أو بفكر الغربيين الذي يؤكد على أصالة الإنسان إلى حد تأليهه! فجعلوا التكريم بمعنى الإستخلاف وعمومه لكل إنسان! وأن معاوية أول من ابتدع تسميته للحاكم أي حاكم! بحجة أن الله أعطاه الحكم فيكون استخلفه في أرضه!

تعليم آدم الأسماء دليل على عصمة خلفاء الله تعالى

في آية استخلاف آدم عليه السلام بحوث مهمة تتعلق بموضوعنا، فقد أوضحت أن ملائكة خلافة الله تعالى والأفضلية على الملائكة هو العلم الإلهي الذي يعطيه لخليفته، ودرجة العبودية التي يوفقه لها.

فالإنسان رغم أن فيه قابلية الإفساد وسفك الدماء، فيه إيجابيات وقابليات عظيمة لم يعرفها الملائكة، هي التي أوجبت جعله خليفة في الأرض، وهي تغلب في مصلحتها على إفساد المفسدين منه! وأنها ستتحقق في المعصومين عليهم السلام ويتحقق على يدهم إقامة دولة العدل الإلهي في الأرض، التي لا إفساد فيها ولا سفك دماء، والتي تمتد حتى يرث الله الأرض ومن عليها!

وقد أثبت عز وجل للملائكة أن آدم عليه السلام يستطيع أن يتلقى من العلم الإلهي فيصل إلى درجة أعلى من الملائكة، وأن خلفاء الله من ذريته سيكونون أهلاً للتلقى والطاعة بأفضل من الملائكة!

لقد علم الله آدم أسماء خلفائه من ذريته وبين له مقامهم، ثم عرض سيرتهم على الملائكة، وامتنحهم في معرفة (أسماء هؤلاء) العظماء فلم يعرفوهم، وعرفهم آدم عليه السلام فأخبرهم بهم، فاقتنع الملائكة وقالوا: (سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ).

وقد أكثر المفسرون في بحث الأسماء التي علمها الله لآدم عليه السلام، ثم في معنى (عرضهم) على الملائكة، لكنهم ذهبوا بها بعيداً مع أنها لا بد أن تكون معلومات عن مستقبل أبناء آدم عليه السلام في الأرض، لتكون جواباً مقنعاً للملائكة الذين تصوروا أن كل حياة الإنسان على الأرض إفساد وسفك للدماء!

لذلك لانجد تفسيراً معقولاً لها، إلا أن الله علم آدم عليه السلام علماً استطاع به أن يرى مستقبل ذريته في الأرض، ويرى أن مرحلة السماح بالإفساد وسفك الدماء في الأرض ستنتهي، ثم تبدأ مرحلة دولة العدل الإلهي على يد خلفاء الله من عترته خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وآله، وتمتد إلى آخر حياة الإنسان!

فهذا هو الجواب الوحيد الذى يقنع الملائكة بجدارة آدم للخلافة، وجدارة الخلفاء من أبنائه، وانهم لا- يُفسدون فى الأرض ولا يفسدون الدماء، بل سيصلحونها ويعمرونها، صلوات الله عليهم!
 فيكون معنى قوله تعالى: ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ.. أنه عرض عليهم شريطاً لسيرة شخصيات ربانية أعظم مقاماً من الملائكة، فتعجبوا لهم ولم يعرفوهم، فأخبرهم آدم عليه السلام بأنهم من ذريته، وأنهم ديرون بخلافة الله فى الأرض!
 وبهذا المعنى فقط تصح الشرطية فى قوله تعالى: فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ أَنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. أى إن كنتم مصييين فى قولك إنهم سيفسدون!

وقد يسأل: هل إن صور ما يكون محفوظة عند الله تعالى، ليعلمها لمخلوق قبل أن تكون؟
 والجواب: أن هذا من بدائه عقيدتنا فى الغيب والنبي وآله صلى الله عليه وآله، وأحاديثه عندنا صحيحة مستفيضة بل متواترة، وأن الله تعالى علم نبيه صلى الله عليه وآله علم ما يكون إلى يوم القيامة، فعلمه لعلى والأئمة من عترته عليهم السلام.
 قد يقال: روى أن الله تعالى علم آدم أسماء الأشياء، مما تحتاجه حياته على الأرض مثل إسم الماء والهواء والشجر والحيوان والجبال؟
 والجواب: أن هذا لو صح لا يكون جواباً على إشكال الملائكة، إذ لا تلازم بين معرفة أسماء الأشياء، وعدم الإفساد وسفك الدماء!
 ثم لو صح أن يكون جواباً لاستخلاف آدم عليه السلام، فلا- يصح جواباً لاستخلاف ذريته، فإن الملائكة أخبروا عن إفساد ذريته وليس عن إفساده هو! فهم بحاجة إلى جواب يثبت عدم إفساد الذرية، أو وجود مصلحة فى استخلافهم تغلب ما يقع من إفساد بعضهم، وليس ذلك إلا مرحلة حكم خلفاء الله فى أرضه عليهم السلام.

وبذلك يتضح قوة ما ورد فى مصادرنا فى تفسير الآية الكريمة، كالذى فى تفسير فرات الكوفى ص ٥٦ بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (إن الله تبارك وتعالى كان ولا شئ، فخلق خمسة من نور جلاله، وجعل لكل واحد منهم إسماً من أسمائه المنزلة، فهو الحميد وسمى النبي محمداً، وهو الأعلى وسمى أمير المؤمنين علياً، وله الأسماء الحسنى فاشتق منها حسناً وحسيناً، وهو فاطر فاشتق لفاطمه من أسمائه إسماً، فلما خلقهم جعلهم فى الميثاق فإنهم عن يمين العرش، وخلق الملائكة من نور، فلما أن نظروا إليهم عظموا أمرهم وشأنهم ولقنوا التسييح فذلك قوله: وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون فلما خلق الله تعالى آدم نظر إليهم عن يمين العرش فقال: يا رب من هؤلاء؟ قال: يا آدم هؤلاء صفوتى وخاصتى، خلقتهم من نور جلالى وشققت لهم إسماً من أسمائى، قال: يا رب فبحقك عليهم علمنى أسماءهم، قال: يا آدم فهم عندك أمانة سر من سرى، لا يطلع عليه غيرك إلا بإذنى، قال: نعم يا رب، قال: يا آدم أعطنى على ذلك العهد فأخذ عليه العهد، ثم علمه أسماءهم، ثم عرضهم على الملائكة ولم يكن علمهم بأسمائهم فقال: أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قالوا: سبحانك لا- علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم. قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم.. علمت الملائكة أنه مستودع وأنه مفضل بالعلم، وأمروا بالسجود إذ كانت سجدتهم لآدم تفضيلاً له وعبادة لله). انتهى. (والبحار: ٣٧/٦٢)

آيات الإصطفاء الإلهي

الإصطفاء الإلهي، والإستخلاص، والإجتباء، والإختيار، أو صاف قرآنية، وصف الله تعالى بها نخبة عباده.
 والمتحصل من كلمات اللغويين أن أعلاها درجة الإصطفاء، لأنه اختيار الصفو بذاته من البشرية، ويليه الإستخلاص وهو تخلص الشئ من الشوائب واختياره، ويليه الإختيار وهو انتخاب الشئ الأفضل من غيره.

قال الراغب فى المفردات ص ١٥٤: (الخالص كالصافى إلا أن الخالص هو ما زال عنه شوبه بعد أن كان فيه، والصافى قد يقال لما لا شوب فيه، ويقال خلصته فخلص... وقوله تعالى: فَلَمَّا اسْتِيسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا، أى انفردوا خالصين عن غيرهم.... فأخلاص المسلمين أنهم قد تبرؤوا مما يدعيه اليهود من التشبيه والنصارى من التثليث، قال تعالى: مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ... فحقيقة الإخلاص التبرى عن كل ما

دون الله تعالى). انتهى.

وقال في ص ٢٨٣: (أصل الصفاء خلوص الشيء من الشوب، ومنه وذلك إسم لموضع مخصوص، والأصطفاء تناول صفو الشيء كما أن الإختيار تناول خيره والإجتباء تناول جبايته. واصطفاء الله بعض عباده قد يكون بإيجاده تعالى إياه صافياً عن الشوب الموجود في غيره، وقد يكون باختياره وبحكمه وإن لم يتعر ذلك من الأول، قال تعالى: الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس - إن الله اصطفى آدم ونوحاً - اصطفاك وطهرك واصطفاك - اصطفيتك على الناس - وإنهم عندنا لمن المصطفين الإختيار).

واصطفيت كذا على كذا أى اخترت (أصطفى البنات على البنين - وسلام على عباده الذين اصطفى. ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا. والصفى والصفية ما يصطفيه الرئيس لنفسه....

والصفوان كالصفا الواحدة صفوانة، قال: صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ، ويقال يوم صفوان، صافى الشمس، شديد البرد). انتهى.

وقال في ص ١٦٠: (الخير ما يرغب فيه الكل، كالعقل مثلاً والعدل والفضل والشيء النافع، وضده الشر.... فالخير يقابل به الشر مرة والضر مرة نحو قوله تعالى: وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.... وقوله: وَلَقَدْ اخْتَرْنَاَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ، يصح أن يكون إشارة إلى إيجاده تعالى إياهم خياراً، وأن يكون إشارة إلى تقديمهم على غيرهم). انتهى.

أقول: لاشك أن الإستخلاف الإلهي درجة أعلى من الإصطفاء والإستخلاص والإختيار، لكن التفاضل بين هذه الثلاثة لا دليل عليه من اللغة أو استعمال القرآن والسنة، بل المصطفون هم المستخلصون وهم المختارون.

واستعمالات القرآن ليست لبيان درجاتها، بل لبيان أنواع فاعلياته تعالى في الإصطفاء والإستخلاص والإختيار، المتناسبة مع أبعاد شخصية الإنسان ومجتمعه.

فالإصطفاء، وهو أخذ الصفو، يتناسب مع جوهر نفوسهم الصافية، ويشير إلى كدورة أنفس البشر الإخرين.

والإستخلاص، يتناسب مع جهادهم لتصفية نياتهم وأعمالهم وتخليصها مما هو لغير الله تعالى، حتى صاروا مخلصين، فاستخلصهم الله وجعلهم مخلصين بالفتح. بينما بقى غيرهم فى شوائب الشرك العقدى، وشوائبه العملية.

والإختيار، يتناسب مع انتخاب الله تعالى لخير البشر وصفوتهم ومخلصيهم، فى مقابل من اختاره البشر، أو مقابل من لم يستحق اختيار الله تعالى.

ولهذا ورد تفسير آيات هذه الصفات بالنبي وآله الأطهار صلى الله عليه وآله، كما ورد وصفهم بها فى أحاديث عديدة.

فقد ورد وصفهم بخلفاء الله تعالى، وبالمصطفين، كما فى الزيادة الجامعة:

(ورضيتكم خلفاء فى أرضه، وحججاً على بريته....

وأشهد أنكم الأئمة الراشدون، المهديون المعصومون، المكرمون المقربون المتقون الصادقون المصطفون.... اصطفاكم بعلمه، وارتضاكم لدينه، واختاركم لسره، واجتباكم بقدرته).

وفى المقنعة ص ٣٢: (وأن الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله حجج الله تعالى وأوليائه، وخاصة أصفياء الله...). وفى فقه الرضا/١٢٨: (اللهم صل على محمد وآل محمد المصطفين، بأفضل صلواتك..)

وفى علل الشرائع: ١/١٨: (عن زرارة قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن بدء النسل من آدم كيف كان وعن بدء النسل عن ذرية آدم فإن أناساً عندنا يقولون إن الله عز وجل أوحى إلى آدم يزوج بناته بنيه، وإن هذا الخلق كله أصله من الإخوة والإخوات! فقال أبو عبد الله عليه السلام: تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، يقول من قال هذا بأن الله عز وجل خلق صفوة خلقه وأحبائه وأنبيائه ورسله والمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، من حرام؟! ولم يكن له من القدرة ما يخلقهم من حلال، وقد أخذ ميثاقهم على الحلال الطهر الطاهر الطيب!!!). (ورواه فى الفقيه: ٣/٣٨١).

كما ورد وصفهم بالمخلصين بفتح اللام وكسره، ففي الزيارة الجامعة: (السلام على الدعاء إلى الله، والأدلاء على مرضات الله، والمستقرين في أمر الله، والتأمين في محبة الله، والمخلصين في توحيد الله). (من لا يحضره الفقيه: ٢/٦١٠).

وفي من لا يحضره الفقيه: ١/٥١٣: (وأعوذ بك من شر ما عاذ منه عبادة المخلصون).

وورد وصفهم بالمختارين: ففي الزيارة الجامعة: (اصطفاكم بعلمه، وارتضاكم لدينه، واختاركم لسره، واجتباكم بقدرته....

السلام على الأئمة الدعاء، والقادة الهداء، والسادة الولاء، والذادة الحماة، وأهل الذكر وأولى الأمر، وبقية الله وخيرته...).

وفي الكافي: ١/١٩٩، في حديث الإمام الرضا عليه السلام عن الإمامة: (إن الإمامة أجل قدراً وأعظم شأنًا وأعلى مكانًا وأمنع جانبًا وأبعد غورًا من أن يبلغها الناس بقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إمامًا باختيارهم، إن الإمامة خص الله عز وجل بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة، وفضيلة شرفه بها وأشاد بها ذكره، فقال: إني جاعلك للناس إمامًا فقال الخليل عليه السلام سرورا بها: "ومن ذريتي؟ قال الله تبارك وتعالى: لا ينال عهدي الظالمين. " فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفوة ثم أكرمهم الله تعالى بأن جعلها في ذريته أهل الصفوة والطهارة فقال: ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافله وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين لم تنزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرنا فقرنا حتى ورثها الله تعالى النبي صلى الله عليه وآله فقال جل وتعالى: إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين فكانت له خاصة فقلدها عليًا).

وليس غرضنا هنا شرح هذه الصفات العظيمة وبيان الفروق بينها، وفيها بحوث مفصلة، بل الغرض أن كلاً من الإصطفاء والإستخلاص والإختيار، يستلزم العصمة كالإستخلاف، لأن أياً منها لا يتم إلا لخيرة البشر المطيعين لربهم عز وجل، الورعين عن محارمه ومعاصيه. ولأن من اصطفاه الله واستخلصه واختاره، يمدّه بالحماية والعناية والألطف، التي تعني عصمته عن المعاصي، بل وما فوق العصمة العادية.

لذلك نكتفي بإيراد آيات هذه الصفات، وبعض الأحاديث الموضحة المؤكدة لدلالاتها على العصمة.

آيات الإصطفاء الإلهي

نص القرآن على أن الله تعالى اصطفي عدداً من عباده من الأمم الماضية، ومن هذه الأمة، منهم أشخاص ومنهم أسر، وهو كالإستخلاف يدل على عصمة المصطفين صلوات الله عليهم. وهذه عناوين آيات الإصطفاء:

قانون الإصطفاء الإلهي لمهمات وأدوار

اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ. يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ. (الحج: ٧٥-٧٦)

ابتداء الإصطفاء الإلهي من آدم عليه السلام

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ. ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. (آل عمران: ٣٣-٣٤)

وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ. (آل عمران: ٤٢)

وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ. (البقرة: ١٣٠)

وَإِذْ ذُكِرْنَا بِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ. إِنَّا أَخْلَصَيْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذُكِرَى الدَّارِ. وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ

الْإِخْتَارِ. وَإِذْ كُنَّا نَسْمَعُ وَذَا الْكُفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْإِخْتَارِ. (ص: ٤٥-٤٨)

اصطفاء موسى عليه السلام مشروع مستقل

قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ. (الأعراف: ١٤٤).

اصطفاء طالوت ملكاً

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا إِنِّي كُنَّا لَهُ الْمَلِكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمَلِكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَةً لِّكُمُ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ. (البقرة: ٢٤٧-٢٤٨)

المصطفون عليهم السلام أهل السلام والأمن الإلهي

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَا يُشْرِكُونَ. (النمل: ٥٩)

اصطفاء الإسلام ديناً

إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ. (البقرة: ١٣١-١٣٢)

معنى الإصطفاء وأنواعه

غرض الإصطفاء: نصَّ قوله تعالى: (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ) على أن الإصطفاء يكون لمهمته عظيمه كحمل الرسالة الإلهية، فهو عمل إلهي يكشف عن مقام لغرض اجتماعي في الدنيا: (وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا).

وقد يكون هدفه أن يكون أصحابه قدوة للأجيال فيتبعوا ملتهم وسيرتهم، كما في إبراهيم عليه السلام وذريته: (وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ). (البقرة: ١٣٠)

أنواع الإصطفاء: فمنه اصطفاء عام على العالمين كاصطفاء آدم ونوح، والأسر المصطفاه من آل إبراهيم عليهم السلام: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ). (آل عمران: ٣٣)

ومنه اصطفاء لموجودين أو لآتين، علم الله ما سيعملون فاصطفاهم قبل ولادتهم: (ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ). (آل عمران: ٣٣-٣٤)

ومنه اصطفاء على أناس معينين كاصطفاء طالوت للملك على بني إسرائيل: (قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ).
ومنه اصطفاء بمنصب أو ميزة: (يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي)، أو بالتطهير المناسب للشخص: (يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ)

ومنه اصطفاء لشخص على أهل عصره: (وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ).

والإصطفاء لا يكون إلا باستحقاق:

ففي علل الشرائع: ١/٥٦، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام: أتدري لما اصطفيتك لكلامي دون خلقي؟ فقال موسى: لا، يا رب، فقال: يا موسى إنني قلبت عبادي ظهراً لبطن فلم أجدهم أحداً أذل لي منك نفساً. يا موسى انك إذا صليت وضعت خديك على التراب).

وعن الصادق عليه السلام قال: (وكان موسى عليه السلام إذا صلى لم يفتل حتى يلصق خده الأيمن بالأرض والأيسر). انتهى.

أما الذين اصطفاهم الله تعالى قبل أن يولدوا (ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ)، فقد علم الله ما هم عاملون فاصطفاهم قبل ولادتهم. على أنه قد امتحن جميع الخلق في نشأة سابقة قبل نشأتهم في الدنيا، ففي الكافي: ٢/١٠: (عن أبي عبد الله عليه السلام أن بعض قريش قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: بأي شيء سبقت الأنبياء وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ فقال: إنني كنت أول من آمن بربي وأول من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم؟ فكنتم أنا أول نبي قال: بلى، فسبقتهم بالإقرار بالله عز وجل). انتهى.

تفسير آية: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفين

قال الله تعالى: وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ. ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ. جَنَّاتٌ عِدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ. وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ أَنْ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ. الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ. (فاطر: ٣١-٣٦).

الآية من مشابهات القرآن

فما معنى توريث القرآن للمصطفين؟ ومن هم؟ وما معنى التقسيم بعدها إلى ظالم ومقتصد وسابق بالخيرات، فهل يمكن أن يكون الظالم من المصطفين الذين أورشهم الله الكتاب؟ وهل يدخل الجميع الجنة بمن فيهم الظالمون؟!

والموقف الشرعي والعلمي عندما يواجه الباحث المتشابه، أن يرده إلى المحكم، وأن يرد الجميع إلى أهل البيت عليهم السلام الذين قرنهم النبي صلى الله عليه وآله بالقرآن فقال: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي)، فأوجب بذلك أخذ القرآن وتفسيره منهم. لكن هل يفعل ذلك مفسرو قريش؟ كلا! بل يتبعون ما تشابه منه، ويهيمنون في كل واد! فقد كثرت احتمالاتهم واتسع تحيرهم وتخطبهم في هذه الآيات، حتى وصل إلى بعض مفسري الشيعة!

وأصل الموضوع عندهم أن عمر وكعب الأبحار قالا: إن الله ورث القرآن للأمة كلها بمن فيها الظالمون، وكلهم في الجنة! فتبعهما أكثر المفسرين، وحاولوا جعل تفسيرهما مسنداً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله! وقارب آخرون وابعادوا، وحاولوا ترقيع ما يستلزمه هذا التفسير من مشكلات عقديّة!

قال السيوطي في الدر المنثور: ٥/٢٥١: (وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، والبيهقي في البعث، عن عمر بن الخطاب أنه كان إذا نزع بهذه الآية: ثم أورشنا الكتاب... قال: ألا إن سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له!!

وفي تفسير النحاس: ٥/٤٥٨: (وقال كعب: هذه الأمة على ثلاث فرق، كلها في الجنة، ثم تلا: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا.. إلى قوله: جَنَّاتٌ عِدْنٍ يَدْخُلُونَهَا، فقال: دخلوها ورب الكعبة!) انتهى. (ونحوه تفسير ابن كثير: ٣/٥٦٤)

وفي تفسير الطبري: ٢٢/١٦٠، عن كعب: (قال: كلهم في الجنة، وتلا هذه الآية: جنات عدن يدخلونها). انتهى.

وفي تفسير عبد الرزاق: ٣/١٣٦: (عن عبد الله بن الحارث عن كعب قال: قرأ هذه الآية: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ حَتَّىٰ بَلَغَ: جَنَّاتٌ عِدْنٍ يَدْخُلُونَهَا... فقال كعب: دخلوها ورب الكعبة!) (ورواه في تفسير الثوري ص ٢٤٦)

وروا ذلك عن عمر وكعب بطرق عديدة، وعن عثمان وعائشة أيضاً، كما في تفسير ابن كثير: ٣/٥٦٤، عن عثمان قال: (هي لأهل بدونا ومقتصدنا أهل حضرنا وسابقنا أهل الجهاد). وقال ابن كثير في تفسيره: ٢/٧٩: (والصحيح أن الأقسام الثلاثة من هذه الأمة كلهم يدخلون الجنة).

وفي المعجم الأوسط للطبراني: ٦/١٦٧: (عن عقبه بن صهبان قال قلت لعائشة: أرأيت قول الله جل ذكره: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا... الآية؟ قالت: أما السابق فقد مضى في حياة رسول الله (ص) وشهد له بالجنة، وأما المقتصد فمن اتبع آثارهم فعمل بمثل أعمالهم حتى يلحق بهم، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلك ومن اتبعنا. قالت وكلهم في الجنة). (والحاكم: ٢/٤٢٦، وصححه)

وقال القرطبي في تفسيره: ١٤/٣٤٦: (هذه الآية مشكلة، لأنه قال جل وعز: اصطفينا من عبادنا ثم قال: فمنهم ظالم لنفسه! وقد تكلم العلماء فيها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم!! قال النحاس: فمن أصح ما روى في ذلك ما روى عن ابن عباس: فمنهم ظالم لنفسه، قال: الكافر، رواه ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس أيضاً. وعن ابن عباس أيضاً: فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال: نجت فرقتان، ويكون التقدير في العربية: فمنهم من عبادنا ظالم لنفسه، أي كافر. وقال الحسن: أي فاسق. ويكون الضمير الذي في يدخلونها، يعود على المقتصد والسابق، لا على الظالم....

وقيل: الضمير في يدخلونها يعود على الثلاثة الأصناف لى ألا يكون الظالم ها هنا كافراً ولا فاسقاً. وممن روى عنه هذا القول عمر، وعثمان، وأبو الدرداء، وابن مسعود، وعقبة بن عمرو، وعائشة، والتقدير على هذا القول: أن يكون الظالم لنفسه الذي عمل الصغائر.... قال النحاس: وقول ثالث يكون الظالم صاحب الكبائر، والمقتصد الذي لم يستحق الجنة بزيادة حسناته على سيئاته، فيكون: جنات عدن يدخلونها للذين سبقوا بالخيرات لا غير. وهذا قول جماعة من أهل النظر، لأن الضمير في حقيقة النظر لما يليه أولى.

قلت: القول الوسط (أنه يعود على المقتصد والسابق) أولها وأصحها إن شاء الله، لأن الكافر والمنافق لم يصفوا بحمد الله، ولا اصطفى دينهم. وهذا قول ستة من الصحابة، وحسبك. وسنزيده بياناً وإيضاحاً في باقى الآية). انتهى.

وأهم ما عمله القرطبي أنه ذكر التفسير الرسمي بصيغة: (قيل) وحاول تخفيف وقعه بتضييق دخول الظالمين الجنة! فهو من المفسرين القلائل الذين لم يدخل في قلبهم تفسير عمر وكعب، بل اختار أن آية: جنات عدن يدخلونها... تختص بالسابقين والمقتصدين ولا تشمل الظالمين!

لكنك تجد قول عمر وكعب صار عندهم حديثاً نبوياً! فقالوا إن عمر قال: (سمعت رسول الله (ص) يقول: سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له، وقرأ عمر: فمنهم ظالم لنفسه... الآية) انتهى. (الدر المنثور: ٥/٢٥١، عن العجلي وابن لآل وابن مردويه والبيهقي، وأضاف كثر العمال: ٢/٤٨٥ عن الديلمي).

وقال الرازي في تفسيره: ٢٦/٢٤: (اتفق أكثر المفسرين على أن المراد من الكتاب القرآن، وعلى هذا فالذين اصطفينا هم الذين أخذوا بالكتاب وهم المؤمنون، والظالم والمقتصد والسابق، كلهم منهم. ويدل عليه قوله تعالى: جنات عدن يدخلونها، أخبر بدخولهم الجنة، وكلمة: ثم أورثنا، أيضاً تدل عليه لأن الأيراث إذا كان بعد الإيحاء ولا كتاب بعد القرآن فهو الموروث. والأيراث المراد منه الأعتاء بعد ذهاب من كان بيده المعطى..... ويصحح هذا قول عمر عن النبي (ص): ظالمنا مغفور له). انتهى.

وهكذا صار التفسير الذي وضع أساسه عمر وكعب الأحبار، الرأي الرسمي لأجيال مفسري الدولة، اتبعه أكثرهم على تحيّر، ومال عنه بعضهم على وجل! ولكنه كان سداً إمام تفسير أهل البيت عليه السلام!

تفسير أهل البيت

نورد فيما يلي نماذج من أحاديثنا المتواترة في أن أهل البيت عليهم السلام هم ورثة القرآن، وأنهم الذين عندهم علم الكتاب، دون غيرهم!

ففي شرح الأخبار: ٣/٤٧٢: (قال أبو جعفر محمد بن علي صلى الله عليه وآله: ما يقول من قبلكم في هذه الآية: ثُمَّ أَوْزَنَّا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُذْنِ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ. جَنَاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا...؟ قال قلت: يقولون نزلت في أهل القبلة. قال: كلهم؟ قلت: كلهم. قال: فينبغي أن يكونوا قد غفر لهم كلهم. قلت: يا ابن رسول الله في من نزلت؟ قال: فينا. قلت: فما لشيعتكم؟ قال: لمن اتقى وأصلح منهم الجنة، بنا يغفر الله ذنوبهم وبننا يقضى ديونهم، ونحن باب حطتهم كحطه بنى إسرائيل).

وفي الثاقب في المناقب ص ٥٦٦، عن أبي هاشم الجعفرى رحمه الله قال: (كنت عند أبي محمد عليه السلام فسألته عن قول الله تعالى:

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْذِنُ اللَّهُ؟ فقال عليه السلام: كلهم من آل محمد عليهم السلام، الظالم لنفسه الذي لا يقر بالإمام، والمقتصد العارف بالإمام، والسابق بالخيرات يأذن الله الإمام. قال: فدمعت عيناي وجعلت أفكر في نفسي عظم ما أعطى الله آل محمد عليهم السلام، فنظر إليّ وقال: الأمر أعظم مما حدثتك به نفسك من عظم شأن آل محمد عليهم السلام فاحمد الله فقد جعلك متمسكاً بحبلهم، تدعى يوم القيامة بهم إذا دعى كل أناس بإمامهم، فأبشر يا أبا هاشم فإنك على خير). انتهى.

وفي بصائر الدرجات ص ١٣٥: (حدثنا العباس بن معروف عن حماد بن عيسى عن حريز عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام إن العلم الذي نزل مع آدم لم يرفع، والعلم يتوارث، وكان على عليه السلام عالم هذه الأمة، وإنه لن يهلك منا عالم إلا خلفه من أهله من يعلم مثل علمه، أو ما شاء الله).

وفي بصائر الدرجات ص ١٣٤: (حدثنا محمد بن الحسن عن حماد عن إبراهيم بن عبد الحميد عن أبيه عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال قلت له: جعلت فداك النبي صلى الله عليه وآله ورث علم النبيين كلهم؟ قال لي: نعم، قلت: من لدن آدم إلى أن انتهى إلى نفسه؟ قال: نعم، قلت: ورثهم النبوة وما كان في آبائهم من النبوة والعلم؟ قال: ما بعث الله نبياً إلا وقد كان محمد صلى الله عليه وآله أعلم منه، قال قلت: إن عيسى بن مريم كان يحيى الموتى بإذن الله؟ قال: صدقت، وسليمان بن داود كان يفهم كلام الطير، قال وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقدر على هذه المنازل، فقال إن سليمان بن داود قال للهدد حين فقده وشك في أمره: مَا لِي لَا أَرَى الْهُدَيْدَ أَمْ كَذَانَ مِنَ الْعَائِيْنَ، وكانت المردة والريح والنمل والإنس والجن والشياطين له طائعين، وغضب عليه فقال: لِأَعْدَبْتَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لِأَذْبَحْتَهُ أَوْ لِأَيَّتَيْنِ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ، وإنما غضب عليه لأنه كان يدلله على الماء، فهذا وهو طير قد أعطى ما لم يعط سليمان! وإنما أراد له على الماء، فهذا لم يعط سليمان، وكانت المردة له طائعين ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء وكانت الطير تعرفه! إن الله وتعالى يقول في كتابه: وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لَلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا، وقد ورثنا هذا القرآن، ففيه ما تقطع به الجبال وتقطع المداين به ويحيا به الموتى، ونحن نعرف الماء تحت الهواء، وإن في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر إلى أن يأذن الله به، مع ما فيه أذن الله، فما كتبه للماضين جعله الله في أم الكتاب، إن الله يقول في كتابه: وَمَا مِنْ غَائِيَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ. ثم قال: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا، فنحن الذين اصطفانا الله فورثنا هذا الذي فيه تبيان كل شيء). انتهى.

وروى في كتاب بصائر الدرجات ص ٦٥، أكثر من خمسة عشر حديثاً في هذا الموضوع، وفيها صحيح السند بدرجة عالية، منها: (عن أبي جعفر عليه السلام قال في هذه الآية: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا.. الآية، قال: السابق بالخيرات الإمام، فهي في ولد علي وفاطمة عليهم السلام).

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/٢٠٧: (عن الريان بن الصلت قال: حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو، وقد اجتمع في مجلسه جماعه من علماء أهل العراق وخراسان فقال المأمون: أخبروني عن معنى هذه الآية: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا؟ فقالت العلماء: أراد الله عز وجل بذلك الأمة كلها، فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟ فقال الرضا عليه السلام: لا أقول كما قالوا ولكني أقول: أراد الله عز وجل بذلك العتره الطاهرة فقال المأمون: وكيف عنى العتره من دون الأمة؟ فقال له الرضا عليه السلام: إنه لو أراد الأمة لكانت أجمعها في الجنة لقول الله عز وجل: فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات يأذن الله ذلك هو الفضل الكبير، ثم جمعهم كلهم في الجنة فقال عز وجل: جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب، الآية. فصارت الوراثة للعتره الطاهرة لا لغيرهم فقال المأمون: من العتره الطاهرة؟ فقال الرضا عليه السلام: الذين وصفهم الله في كتابه فقال عز وجل: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا، وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنى مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتي إلا- وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفون فيهما أيها الناس لا تعلموهم فإنهم

أعلم منكم.

قالت العلماء: أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة أهم الآل أم غير الآل؟

فقال الرضا عليه السلام: هم الآل، فقالت العلماء: فهذا رسول الله (ص) يؤثر عنه أنه قال: أمتي آلى وهؤلاء أصحابه يقولون بالخبر المستفاض الذى لا يمكن دفعه آل محمد أمته! فقال أبو الحسن عليه السلام: أخبرونى فهل تحرم الصدقة على الآل؟ فقالوا: نعم، قال: فتحرم على الأمة؟ قالوا: لا، قال: هذا فرق بين الآل والأمة! ويحكم أين يذهب بكم؟ أضربتم عن الذكر صفحاً أم أنتم قوم مسرفون! أما علمتم أنه وقعت الوراثة والطهارة على المصطفين المهتدين دون سائرهم؟ قالوا: ومن أين يا أبا الحسن؟ فقال من قول الله عز وجل: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمُ النَّبِيَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ، فصارت وراثته النبوة والكتاب للمهتدين دون الفاسقين). انتهى.

وفى معانى الأخبار للصدوق ص ١٠٤: (عن جابر بن يزيد الجعفى، عن أبى جعفر محمد بن على الباقر عليهما السلام قال: سألت عن قول الله عز وجل: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْذِنُ اللَّهُ؟ فقال: الظالم منا من لا يعرف حق الإمام، والمقتصد العارف بحق الإمام والسابق بالخيرات يا ذن الله هو الإمام. جنات عدن يدخلونها، يعنى السابق والمقتصد). انتهى.

اختصاص أهل البيت بعلم الكتاب لا يلغى حجته

قال السيد الخوئى رحمه الله فى البيان ص ٢٦٨: (فإن معنى ذلك أن الله قد خص أوصياء نبيه صلى الله عليه وآله بإرث الكتاب، وهو معنى قوله تعالى: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا (٣٥:٣٢) فهم المخصوصون بعلم القرآن على واقعه وحقيقته، وليس لغيرهم فى ذلك نصيب. هذا هو معنى المرسله، وإلا فكيف يعقل أن أبا حنيفة لا يعرف شيئاً من كتاب الله حتى مثل قوله تعالى: قل هو الله أحد، وأمثال هذه الآيه مما يكون صريحاً فى معناه. والأخبار الداله على الإختصاص المتقدم كثيرة جداً). انتهى.

ابناء فاطمة و أبناء أهل البيت ورثة مجازيون للكتاب

فى تفسير العياشى: ١/٧٠: (عن عاصم بن حميد عن أبى عبد الله عليه السلام: إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ، يقول لا حرج عليه أن يطوف بهما، فنزلت هذه الآيه، فقلت: هى خاصة أو عامه قال: هى بمنزلة قوله: مَ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا، فمن دخل فيهم من الناس كان بمنزلتهم يقول الله: وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا). انتهى.

الظالم لنفسه درجات متفاوتة

(الظالم لنفسه) مفهوم واسع فى القرآن، يشمل الكافر والفاسق والظالم لغيره، لأن الجميع ظلم للنفس، وقد نص القرآن على أن بعض أنواع الظالمين لأنفسهم يدخلون جهنم، قال تعالى: الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ. فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فليس مثنوى المتكبرين. (النحل: ٢٨-٢٩).

وبعضهم يدخل الجنة، قال تعالى: وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَوَافِرِينَ وَالْعِافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ. وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ فَمَا يَصْرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ. أُولَئِكَ جَزَاءُهم مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهم وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ. (آل عمران: ١٣٣-١٣٦).

وبعضهم ظالمون لأنفسهم فكريباً وعملياً بترك عقيدته التوحيد واتخاذ عقيدة الكفر، كقوله تعالى: وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْسِيبُ. (هود: ١٠١).

وبعضهم ظالم لنفسه عملياً فقط بتعدى حدود الله تعالى: وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُخْدِتُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا. (الطلاق: ١).

أو بعمل سوء يتبعه بالإستغفار: وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا. (النساء: ١١٠).

وعلى هذا، فحتى لو جعلنا الظالم لنفسه من أبناء فاطمة عليها السلام قسماً ملحقاً بالمصطفين ورثة الكتاب عليهم السلام فالمقصود به ليس الظالم للناس بل لنفسه بسلوكة الشخصى المحض يتبعه بالإستغفار، كما تقدم.

على أنك عرفت رواية الصدوق فى معانى الأخبار ص ١٠٤ عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (جنات عدن يدخلونها، يعنى السابق والمقتصد). انتهى.

رأى علماء الشيعة

قال المفيد رحمه الله فى المسائل العكبرية ص ١١١: (وقوله تعالى: فمنهم ظالم لنفسه بعد وصفه الوارثين للكتاب بالصفوة، فإنه غير ما ظنه السائل أنه لم يرد بقوله: فمنهم من أعيانهم، وإنما أراد من ذوى أنسابهم وذرائعهم. فأما المصطفون فقد حرصوا بالاصطفاء من الظلم ووقفوا به للعدل. وكذلك قوله: ومنهم مقتصد، يريد به من نسلهم وأهلهم وذوى أنسابهم. وقوله: ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله كذلك. ولم يرد بالأصناف الثلاثة أعيان من خير اصطفائه وتوريثه الكتاب).

وقال السيد المرتضى رحمه الله فى رسائله: ٣/١٠٢: (والذى أعتمده وأعوّل عليه أن يكون: فمنهم ظالم لنفسه، من صفة عبادنا، أى أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، ومن عبادنا ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات، أى فليس كل عبادنا ظالماً لنفسه، ولا كلهم مقتصداً ولا كلهم سابقاً بالخيرات، فكان الذين أورثوا الكتاب السابقون بالخيرات دونهما).

وقال الشيخ الطوسى رحمه الله فى التبيان: ٨/٤٣٠: (إن الله تعالى أورث علم الكتاب الذى هو القرآن، الذين اصطفاهم واجتباهم واختارهم على جميع الخلق من الأنبياء المعصومين والأئمة المنتجبين، الذين لا يجوز عليهم الخطأ ولا فعل القبيح لا صغيراً ولا كبيراً. ويكون قوله: فمنهم ظالم لنفسه، راجعاً إلى عبادنا وتقديره فمن عبادنا ظالم لنفسه ومن عبادنا مقتصد ومن عبادنا سابق بالخيرات، لأن من اصطفاه الله لا يكون ظالماً لنفسه، فلا يجوز أن ترجع الكناية إلى الذين اصطفينا).

وقال الطبرسى رحمه الله فى مجمع البيان: ٨/٢٤٥: (اختُلف فى أن الضمير فى منهم إلى من يعود على قولين، أحدهما: إنه يعود إلى العباد، وتقدير الكلام: فمن العباد ظالم. وروى نحو ذلك عن ابن عباس، والحسن، وقائدة، واختاره المرتضى قدس الله روحه من أصحابنا، قال: والوجه فيه أنه لما علق توريث الكتاب بمن اصطفاه من عباده، بين عقبيه أنه إنما علق وراثته الكتاب ببعض العباد دون بعض لأن فيهم من هو ظالم لنفسه، ومن هو مقتصد، ومن هو سابق بالخيرات.

والقول الثانى: إن الضمير يعود إلى المصطفين من العباد، عن أكثر المفسرين).

بعض مفسرى الشيعة وافق على تفسير عمر و كعب

قال فى تفسير الميزان: ١٧/٤٥: (واختلفوا فى هؤلاء المصطفين من عباده من هم؟ فقيل هم الأنبياء، وقيل هم بنو إسرائيل الداخلون فى قوله: إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين. وقيل هم أمه محمد صلى الله عليه وآله فقد أورثوا القرآن من نبيهم. وقيل وهو المأثور عن الصادقين صلى الله عليه وآله فى روايات كثيرة مستفيضة، إن المراد بهم ذرية النبى صلى الله عليه وآله من أولاد فاطمة عليها السلام).

وقال في: ١٧/٥٠: (واعلم أن الروايات من طرق الشيعة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في كون الآية خاصة بولد فاطمة عليها السلام، كثيرة جداً). انتهى.

أقول: بل وصلت هذه الروايات إلى حد التواتر، وفيها عدد صحيح السند قطعي الحجية بنفسه، فقد قال السيد ابن كاوس في سعد السعود ص ١٠٨: (أقول: وروى تأويل هذه الآية من عشرين طريقاً). انتهى.

لكن صاحب الميزان رحمه الله أعرض عنها مع الأسف، ولم يصل حتى إلى مستوى تفسير القرطبي، بل أخذ بالتفسير القرشي الرسمي تبعاً لكثرة المفسرين القائلين به! فخفف معنى وراثته الكتاب، وأدخل الظالمين الجنة!

قال في الميزان: ١٧/٤٥: (وقوله: فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات "يحتمل أن يكون ضمير منهم راجعاً إلى الذين اصطفينا، فيكون الطوائف الثلاث الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات شركاء في الوراثة وإن كان الوارث الحقيقي العالم بالكتاب والحافظ له هو السابق بالخيرات).

ويحتمل أن يكون راجعاً إلى عبادنا - من غير إفادة الإضافة للتشريف - فيكون قوله: فمنهم مفيداً للتعليل والمعنى إنما أورثنا الكتاب بعض عبادنا وهم المصطفون لا جميع العباد، لأن من عبادنا من هو ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق ولا يصلح الكل للوراثة.

ويمكن تأييد أول الإحتمالين بأن لا مانع من نسبة الوراثة إلى الكل مع قيام البعض بها حقيقة كما نجد نظيره في قوله تعالى: وأورثنا بني إسرائيل الكتاب (المؤمن: ٥٤)، وما في الآية من المقابلة بين الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات، يعطى أن المراد بالظالم لنفسه من عليه شئ من السيئات وهو مسلم من أهل القرآن لكونه مصطفى ووارثاً! والمراد بالمقتصد المتوسط الذي هو في قصد السبيل وسواء الطريق. والمراد بالسابق بالخيرات بإذن الله من سبق الظالم والمقتصد إلى درجات القرب، فهو إمام غيره بإذن الله بسبب فعل الخيرات، قال تعالى: والسابقون السابقون أولئك المقربون. (الواقعة: ١١).

وقوله تعالى: ذلك هو الفضل الكبير، أي ما تقدم من الإيراث هو الفضل الكبير من الله، لا دخل للكسب فيه. هذا ما يعطيه السياق وتفيدة الأخبار من معنى الآية! وفيها للقوم اختلاف عجب! انتهى.

وتبعه صاحب تفسير الأمل فقال: ١٤/٨٧: (ثم تنتقل الآية إلى تقسيم مهم بهذا الخصوص فتقول: فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير. ظاهر الآية هو أن هذه المجاميع الثلاثة هي من بين الذين اصطفينا أي ورثة وحمله الكتاب السماوي. وتعبير أوضح إن الله سبحانه وتعالى قد أوكل مهمة حفظ هذا الكتاب السماوي بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله إلى هذه الأمة، الأمة التي اصطفاه الله سبحانه...)

وقد ورد في روايات كثيرة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام في تفسير: سابق بالخيرات بالمعصوم، وظالم لنفسه: بمن لا يعرف الإمام، والمقتصد: العارف بالإمام. وهذه التفسيرات شاهد واضح على ما اخترناه لتفسير الآية، وهو أنه لا مانع من كون هذه المجاميع الثلاثة ضمن ورثة الكتاب الإلهي! ولا نحتاج إلى التذكير بأن تفسير الروايات أعلاه هو من قبيل بيان المصاديق الأوضح للآية، وهم الأمة المعصومون، إذ هم الصف الأول، بينما العلماء والمفكرون وحماء الدين الآخرون في صفوف أخرى). انتهى.

أهم الإشكالات على التفسير الحكومي

أهم الإشكالات عليه: أنه يخرب معنى توريث القرآن للمصطفين، فيجعل كل الأمة مصطفاه بمن فيها الظلمة والقتلة والجبابرة والمنافقون الذين هم في الدرك الأسفل من النار! فهو يخرب معنى الإصطفاء الإلهي ويطعن في حكمة الله تعالى!

وعندما يحكم بأن الظالم يدخل الجنة يصل تخريبه إلى قانون استحقاق الثواب والعقاب، لا يبقى لطاعة الله معنى لأنها تتساوى في النتيجة مع الظلم والمعصية!

١- معنى توريث الكتاب الإلهي:

قال الراغب الأصفهاني، وهو من أفضل علماء العربية في تجذير الكلمات، قال في المفردات ص ٥١٨: (الوراثَةُ والإرثُ: انتقالُ قُتِيَّةٍ إليك عن غيرك، من غير عقد ولا ما يجري مجرى العقد. وسمى بذلك المنتقل عن الميت، فيقال للقنية الموروثة: ميراث وإرث، وتراث. أصله وراث، فقلبت الواو ألفاً وتاء، قال: وتأكلون التراث... ويقال: ورثت مالا عن زيد وورثت زيدا، قال: وورث سليمان داود.. وورثه أبواه.. وعلى الوارث مثل ذلك.... ويقال لكل من حصل له شيء من غير تعب: قد ورث كذا. ويقال لمن حوّل شيئاً مهنتاً: أوّرت، قال تعالى: وتلك الجنة التي أورتموها.. أولئك هم الوارثون الذين يرثون.... وقال لعلي رضي الله عنه: أنت أخي ووارثي، قال: وما أرتك؟ قال: ما ورّثت الأنبياء قبلي، كتاب الله وسنتي).

وموضوعنا: وراثَةُ الكتاب الإلهي، وقد وردت في القرآن بثلاث صيغ:

الصيغة الأولى: الذين ورثوا الكتاب، وأورثوا الكتاب.

ومعناها مطلق الوراثة للأمة، كقوله تعالى عن اليهود: (وَقَطَعْنَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ... فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا. وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِعُ مِثْلَ أَجْرٍ الْمُصْلِحِينَ.. (الأعراف: ١٦٨-١٧٠).

وقوله تعالى عن النصارى: وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ. (الشورى: ١٤). فلم ينسب فيها التورث إلى الله تعالى، وجاءت في سياق ذم وراثته الكتاب لأنهم لم يعملوا به، ومدح الذين عملوا به.

وشبهه بها صيغة: (الذين أوتوا الكتاب، وأوتوا نصيباً من الكتاب) بالمبنى للمجهول، بدون نسبة الإيتاء صريحاً إلى الله تعالى. وسياقها

أيضاً الذم، كقوله تعالى: نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ. البقرة: ١٠١

وقوله تعالى: وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ. البقرة: ١٤٤

وقوله تعالى: وَلَئِنْ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ. البقرة: ١٤٥

وقوله تعالى: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ. آل عمران: ١٩

وقوله تعالى: وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ؟ آل عمران: ٢٠

وقوله تعالى: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبَسَّ مَا يَشْتَرُونَ. آل عمران: ١٨٧

وقوله تعالى: كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ. (الحديد: ١٦)

وقوله تعالى: وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ. (البينة: ٤)

وينبغي أن نسجل ثلاث ملاحظات على هذا الآيات:

الأولى، أن تعبير (ورثوا الكتاب، وأورثوا الكتاب، وأوتوا الكتاب)، وإن كان فيه مدح بأن الله تعالى آتاهم الكتاب، لكنه مدح بنعمة أنعمها الله عليهم فلم يحفظوها، فهو في جوهره ذم لهم، مضافاً إلى صفاتهم الأخرى التي نصت عليها الآيات، كالكفر والفسق، ولذا قلنا إن سياق الآيات هو الذم.

والثانية، أن الذين (أوتوا نصيباً من الكتاب) هم نفس (أوتوا الكتاب) أو بعضهم وهذا التعبير يدل على أنهم استوعبوا شيئاً من الكتاب، أو طبقوه، بينما ضيعوا الباقي! فهو أيضاً ذم لهم وليس مدحاً.

قال الله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ. آل عمران: ٢٣

وقال تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا. النساء: ٥١-٥٢

والثالثة، أن إيتاء الكتاب فى هذه الآيات عام لكل الأمة، ومجمل لم يحدد فيه الأنبياء أو الأوصياء عليهم السلام أو العلماء الذين آتاهم الكتاب، ولا مستواهم العلمى لكن يوجد آية أخرى كشفت أن وصف هؤلاء المذمومين بأنهم ورثوا أو أورتوا أو أوتوا الكتاب، كان بسبب وجود الصالحين المصطفين منهم الذين أورتهم الله الكتاب، وإنما وصف به المذمومون لأنهم أمهم وقومهم!

قال تعالى: **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِيلِيَّاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ. وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مَن عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ).** (الأنعام: ٨٣-٨٩)

وتعبير: **أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ**، يكشف عن أن هؤلاء هم أهل الكتاب وأصحابه وورثته الحقيقيين، وأن وصف غيرهم به مجازاً بسبب وجودهم فيهم.

الصيغة الثانية: أورتنا الكتاب. وقد وردت فى آيتين فقط:

إحداهما، توريث الكتاب لبنى إسرائيل، وهى قوله تعالى: **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ. هُدًى وَذِكْرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ.** (غافر: ٥٣-٥٤)، فذكرت أن إيتاء الكتاب وتنزيله كان لموسى عليه السلام، بينما توريثه لبنى إسرائيل.

والثانية، توريث القرآن للمصطفين من هذه الأمة، وهى الآيه موضوع البحث:

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مَن عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ. (فاطر: ٣٢).

وهذه الصيغة شبيهة بصيغة: آتيناهم الكتاب فى قوله تعالى: **وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ.** (الجاثية: ١٦)

وقوله تعالى: **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ.** (البقرة: ١٤٦).

ومن الملاحظات فى الصيغتين:

الأولى، أن المورث فى الآيتين هو الله تعالى، لكن المورث مختلف، فتوريث التوراة والإنجيل كان لبنى إسرائيل عامة، أما توريث القرآن فكان للمصطفين فقط! فقد تحدث سبحانه فى سورة فاطر من آية ٢٧، فى سياق متصل عن العلم والعلماء، ثم عن التالين لكتاب الله، ثم عن تنزيل هذا الكتاب على رسوله صلى الله عليه وآله مصداقاً لما بين يديه، ثم قال: **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مَن عِبَادِنَا**، ولم يقل: ثم أورتناكم الكتاب، أو ثم أورتنا الأميين الكتاب، كما قال: **وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ. هُدًى وَذِكْرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ!**

فما هو السر فى هذا العموم والخصوص فى التوريث الإلهي؟

الثانية، أن توريث الكتاب الإلهي يختلف معناه حسب المورثين، فتوريثه للأمة يعنى توريثه لأشخاص معينين منها مجازى للأمة وحقيقى لأفراد منها، أما توريثه لأشخاص فهو توريث حقيقى يعنى تعليمهم تفسيره وعلومه ليكونوا معلمين له. كما تقول إن فلاناً ورث علم الطب للشعب الفلانى، أو ورثه للأطباء الفلانيين، فلا بد من فى تفسيره من مراعاة التناسب بين التوريث والمورث!

والفرق الذى يبدو صغيراً هو كبير جداً، فتوريث الكتاب لبنى إسرائيل يعنى توريث علومه لأنبياء وأوصياء منهم وجعله فى متناول كل الأمة.

أما توريث الكتاب للمصطفين من أمة النبى صلى الله عليه وآله فيعنى توريث علومه لأئمة معينين، وجعله فى متناول من تبعهم.

الثالثة، لا يمكن تفسير المصطفين ورثة الكتاب الإلهي، إلا بملاحظة الصفات المشابهة التى وصف بها القرآن حملة العلم الإلهي فى

هذه الأمة، كالذين عندهم علم الكتاب، والراسخين في العلم، وأهل الذكر، في قوله تعالى عن وصي سليمان عليهما السلام: قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقْبِرًا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) (النمل: ٤٠) وقوله تعالى عن وصي النبي صلى الله عليه وآله: وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (الرعد: ٤٣) وقوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ. (آل عمران: ٧) وقوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (النحل: ٤٣). وقوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا - نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (الأنبياء: ٧) وهي نفس الآية المتقدمة بدون كلمة: (من)!

وآية الشهود التاليين للنبي صلى الله عليه وآله في قوله تعالى: أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (هود: ١٧) فهذه الآيات وغيرها، تعرفنا من هم المصطفون الذي خصهم الله في هذه الأمة بوراثه القرآن. وكذلك أحاديث النبي صلى الله عليه وآله، ومثلها أحاديث أهل بيته الطاهرين عليهم السلام، لأن النبي صلى الله عليه وآله أرجع أمته إليهم وجعلهم عدل القرآن في مثل قوله المتواتر صلى الله عليه وآله: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فقولهم قوله وحديثهم حديثه، ومنهم يجب أن تأخذ الأمة كتاب الله وتفسيره.

٢- الظالم مطلقاً يستحيل أن يكون من المصطفين!

القاعدة العامة في التفسير وكل بحث علمي، بل في كل الحياة، أن لا نبيع اليقين بالشك، ولا المحكم بالمشابه. ومن اليقين المحكم أن المصطفين من الله أشخاص اختارهم الله لأدوار في الشعوب والأمم والعالم، لأنهم أهل لذلك، وأعطاهم ما يحتاجونه في عملهم من علم وتأيد.

وهذا يقتضى طهارتهم وعصمتهم ووجوب اتباعهم.

وعندما نجد نصاً ظاهره أن المصطفين فيهم ظالمون عاصون لربهم، فيجب أن نتوقف فيه، لأن قبول ظاهره يعنى تخريب قانون الإصطفاء الإلهي، والطعن في حكمه الله تعالى!

لهذا لا بد في آية توريث الكتاب للمصطفين من أحد أمرين:

إما أن نجعل الظالم لنفسه قسماً من عبادنا وليس من المصطفين كما اختاره الشريف المرتضى رحمه الله، وغيره. قال في مجمع البيان: ٨/٢٤٥: (اختلف في أن الضمير في منهم إلى من يعود، على قولين، أحدهما: إنه يعود إلى العباد، وتقدير الكلام: فمن العباد ظالم. وروى نحو ذلك عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، واختاره المرتضى قدس الله روحه، من أصحابنا). انتهى.

وإما أن نجعل دخول الظالم لنفسه في المصطفين مجازاً، لأنه منهم نسباً أو اتباعاً، كما فسره الإمام الرضا عليه السلام وهذا الذي أرجحه لأنه روى عن المعصوم عليه السلام، ولعل المرتضى لم يطلع عليه، وقد استدلل له الإمام الرضا عليه السلام بقوله تعالى: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ. (الحديد: ٢٦) فكما أن جعل النبوة والكتاب في بعض ذرية نوح وإبراهيم، لم يمنع أن يكون بعضهم الآخر فاسقين، فكذلك توريث الكتاب لعتره محمد صلى الله عليه وآله لم يمنع أن يكون بعض آخر منهم ظالم لنفسه.

وقد تقدمت روايته من عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/٢٠٧ وفيها: (فقالت العلماء: أراد الله عز وجل بذلك الأمة كلها، فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟ فقال الرضا عليه السلام: لا أقول كما قالوا ولكني أقول: أراد الله عز وجل بذلك العتره الطاهرة. فقال المأمون:

وكيف عنى العترة من دون الأمة؟ فقال له الرضا عليه السلام: إنه لو أراد الأمة لكانت أجمعها في الجنة لقول الله عز وجل: فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير، ثم جمعهم كلهم في الجنة فقال عز وجل: جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب، الآية. فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم فقال المأمون: من العترة الطاهرة؟ فقال الرضا عليه السلام: الذين وصفهم الله في كتابه فقال عز وجل: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا، وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي إلا وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفون فيهما. أيها الناس لا- تعلموهم فإنهم أعلم منكم. إلى أن قال: أما علمتم أنه وقعت الوراثة والطهارة على المصطفين المهتدين دون سائرهم؟ قالوا: ومن أين يا أبا الحسن؟ فقال من قول الله عز وجل: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ، فصارت وراثته النبوة والكتاب للمهتدين دون الفاسقين). انتهى.

٣- تعميمهم للمفردات الخاصة، وتمييعهم للقوانين الحاسمة!

ليست محاولة علماء السلطة في التعميم والتميع في تفسير الآية، إلا واحدة من منهج ابتدعوه في التفسير، كشفنا جانباً منه في المجلد الثاني من كتاب (ألف سؤال وإشكال- المسألة ١٦٣)، وقد ارتكبوا هنا تعميمين للكتاب والمصطفين، وتمييعين لتوريث الكتاب، وقانون الثواب والعقاب:

فقد عمموا الكتاب في قوله تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا، فجعلوه كل كتاب إلهي، مع أن السياق يتحدث عن القرآن، فالآية التي قبلها: وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ. ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا.. الآية. فعدلوا عن السياق بلاحجة!

وكان هدف كعب الأخبار من توسيع المصطفين وتوسيع الكتاب، أن يعطى الشرعية للتوراة والثقافة اليهودية وأنها مورثة لهذه الأمة، ويعطى لنفسه مقام مستشار الخلافة في علم الكتاب كله التوراة والإنجيل والقرآن! وإلا فأين التوراة والإنجيل اللذين ورثتهما الأمة، وعند من يوجدان؟!!

أما لو اعترف كعب بأن القرآن هو المورث لفئة من هذه الأمة، فلا بد أن تكون عترة النبي صلى الله عليه وآله، فيكون أخرج نفسه وعلمه من الساحة، وأوجب على الأمة أن ترجع إلى العترة ورثة القرآن ومعادله، كما أمرها نبيها صلى الله عليه وآله!

وقد استطاع كعب أن يقنع عمر بذلك وبأشياء كثيرة، لا يتسع لها هذا الكتاب!

ولا نطيل الكلام في وقوف كعب وراء هذه التعميمات والتميعات ودوافعه، ونكتفي بالقول إن المقصود بالكتاب في الآية هو القرآن بحكم السياق، ولا دليل إلا التحكم لمن ادعى تعميمه لكل كتاب إلهي.

وأما جعله الظالمين من المصطفين وأهل الجنة، فهو جزء من خطته في فتح أبواب الجنة لجميع الناس، وهو أمر عمل له كعب وأطاعه فيه عمر حتى قال بشمول الشفاعة لجميع الخلق، ثم قال إن النار تفتنى وينقل أهلها إلى الجنة! (راجع المسألة ١٥٥ من كتابنا (ألف سؤال وإشكال)، والمجلد الثالث من العقائد الإسلامية).

وأما معنى المصطفين الذين أورثهم الله الكتاب، فلا يصح أن يكونوا إلا جماعة خاصين بحكم الظهور المستحكم للكلمة، وهم عترة النبي صلى الله عليه وآله الذين قرنهم بالقرآن وجعلهم عدلاً له، وسماهما الثقلين! وتؤيد ذلك الأدلة الكثيرة لاصطفاء العترة النبوية، التي رواها المؤلف والمخالف.

ولا دليل من عقل ولا نقل على زعم كعب أنهم كل الأمة، ولا زعم غيره أنهم الصحابة، إلا الإستحسان الظني، أو التحكم، لمصادرة ما خص الله به عترة نبيه صلى الله عليه وآله وأعطأوها لغيرهم!

فلو كان الصحابة هم المصطفون ورثة الكتاب، لَمَا أوجب النبي صلى الله عليه وآله على أمته التمسك بالثقلين الكتاب والعترة في حديث الثقلين المتواتر عند الجميع، ولَمَا أمر الأمة أن يقرنوا العترة بالنبي صلى الله عليه وآله والصلاة عليهم معه في صلواتهم!

ثم لو سلمنا أن المقصود بهم الصحابة، لكان أهل البيت أولى بوراثة الكتاب أيضاً، لأنهم صحابة وعتره! وخامساً، كيف يكون الصحابة مصطفين، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله في أصح كتب أتباعهم بأن أكثرهم يدخلون جهنم، ولا ينجو منهم إلا مثل هَمَلِ النعم!

قال البخارى: ٧/٢٠٨: (عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال: بينا أنا قائمٌ فإذا زمرةٌ حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال: هلمّ، فقلت أين؟ قال إلى النار والله! قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى! ثم إذا زمرةٌ حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال: هلمّ! قلت: أين؟ قال: إلى النار والله! قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى! فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هَمَلِ النعم!) انتهى.

ولم تصرح رواية البخارى هذه بإسمهم، لكن صرحت روايته الأخرى بالصحابة وفسرها شراحه بهم! قال فى صحيحه: ٢/٩٧٥: (يرد على الحوض رجالٌ من أصحابى فيحلّون عنه فأقول يارب أصحابى! فيقول: فإنه لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أعقابهم القهقرى!) (وشبههاً به فى: ٨/٨٦ و ٢١٠-٢٠٧ و ٧/١٩٥ و ٨/٨٦ و ٨٧ و ٨/٨٦ و ٨٧ ونحوه مسلم: ١/١٥٠ و ٧/٦٦ وابن ماجه: ٢/١٤٤ وأحمد: ٢/٢٥ و ٢/٢٥ و ٤٠٨ و ٣/٢٨ و ٥/٢١ و ٢٤ و ٥٠ و ٦/١٦، والبيهقى فى سننه: ٤/١٤، وغيرهم).

أما دعوى كعب وعمر ومن وافقهما بأن المصطفين كل الأمة، فيرد عليها:
أولاً، أنه لا دليل عليها من عقل ولا نقل، فإن الله تعالى قال: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا، وظاهره أنه انتخب عبداً خاصين فأورثهم الكتاب، ولا دليل لهم على أنهم كل الأمة إلا التحكم المحض، أو الإستحسان والتخرص!
وثانياً، كيف يتجرأ مسلم أو عاقل على القول إن كل المسلمين مصطفون يدخلون الجنة بمن فيهم الظالم والمنافق! ويرفع يده عن آيات القرآن التى تنص على دخول أصناف من هذه الأمة جهنم!؟

فأين قول الله تعالى: وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ. (المؤمنون: ١٠٣) وعشرات الآيات التى تدفع هذا الزعم وترد هذه الأمانى، ومنها قوله تعالى: لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا. (النساء: ١٢٣)

وأين قول رسول الله صلى الله عليه وآله الذى تقدم فى أكثر أصحابه: (قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى! فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هَمَلِ النعم)!

إنه لا مناص لمن جعل المصطفين ورثة الكتاب كل الأمة، من تخريب قانون الجزاء والعقاب الإلهى! كما لا مناص له من تمييع معنى التورث، وجعله تورثاً شكلياً لا يتعدى تورث أوراق القرآن، لأنه لا يعترف بمركز لهذا التورث، وإن سألته عن علم القرآن الذى ورثه الله للأمة أين هو؟ لقال عند جميع الأمة! وهو يعرف أن كبير الصحابة عمر لا يعرف معنى مفردات القرآن مثل (وفاكهةً وأباً)؟! وثالثاً، إن روايات أهل البيت عليهم السلام

التورث الإلهى للكتاب مقام عظيم

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أين الذين زعموا أنهم الراسخون فى العلم دوننا، كذباً وبغياً علينا أن رفعنا الله ووضعهم وأعطانا وحرّمهم، وأدخلنا وأخرجهم! بنا يستعطى الهدى، ويستجلى العمى إن الأئمة من قريش، غرسوا فى هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاية من غيرهم). (نهج البلاغة: ٢/٢٧).

وقال عليه السلام: (والله ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم، فأدخلناهم فى حيزنا، فكانوا كما قال الأول:

أدمت لعمرى شُرْبَكَ المَحْضَ صابِحاً وأكلك بالزبد المقشرة البُجْر

ونحن وهبناك العلاء ولم تكن علينا وحطنا حولك الجُودَ والسُّمرا).

(نهج البلاغة: ١/٨٢)

وقال الإمام الباقر عليه السلام: في قوله تعالى: أَمْ يَحْسِبُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا: نحن الناس المحسودون على ما آتانا الله من الإمامة دون خلق الله أجمعين! فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا، يقول: جعلنا منهم الرسل والأنبياء والأئمة، فكيف يقرون به في آل إبراهيم عليه السلام وينكرونه في آل محمد صلى الله عليه وآله؟!

قال الراوى بريد العجلي: قلت: وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا؟ قال: الملك العظيم أن جعل فيهم أئمة من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله، فهو الملك العظيم). (الكافي: ١/٢٠٥)

آيات الإستخلاص والإجتباء الإلهي

إخلاص الدين لله تعالى

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ. (الزمر: ٢-٣).

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ. وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ. قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ. قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي. فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ. (الزمر: ١١-١٥).

قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ. (البقرة: ١٣٩).

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا. (النساء: ١٤٦)

وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ. وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ. (البينة: ٤-٥).

دعاء الله بانقطاع وإخلاص

وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ. (الأعراف: ٢٩).

فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. (غافر: ١٤).

هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. (غافر: ٦٥).

وَحِجَابُهُمْ الْمُوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. (يونس: ٢٢).

فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلِكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ. (العنكبوت: ٦٥).

وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلْمِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا- كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ. (لقمان: ٣٢).

المخلصون المستخلصون

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ. (يوسف: ٢٤).

وَقَالَ الْمَلِكُ اتُّونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ. (يوسف: ٥٤).
فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنْ آيَاتِكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ
الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ. (يوسف: ٨٠).

ابراهيم وموسى وغيرهما من المخلصين عليهم السلام
وَأذْكَرُ عِبَادَنَا إِبرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ. إِنَّا أَخْلَصَيْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ. وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ
الْإِخْيَارِ. (صاد: ٤٥-٤٧).
وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا. (مريم: ٥١).

المخلصون ناجون من الضلال والهلاك

وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ. وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ. فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ. إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ. (الصفات: ٧١-٧٤).
أَتَدْعُونَ بَعْلًا- وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ. اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آيَاتِكُمْ الْأُولِينَ. فَكَذَّبُوهُ فَأَيْنَهُمْ لِمُحْضِرُونَ. إِلَّا- عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ.
(الصفات: ١٢٥-١٢٨).

المخلصون مقربون من الله و ليسوا أبناءه

وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ. سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ. إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ. (الصفات: ١٥٨-١٦٠).

المخلصون ناجون من العذاب مكرمون في الجنة

إِنَّكُمْ لَمَدَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ. وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا- مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ. أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ. فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ.
(الصفات: ٣٨-٤٢).

يتمنى غير المخلصين أن يكونوا منهم

وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ. لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ. لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ. (الصفات: ١٦٧-١٦٩).

معنى الإخلاص والمخلص

قال الراغب في المفردات ص ١٥٤: (الإخلاص كالصافي، إلا أن الخالص هو ما زال عنه شوبه بعد أن كان فيه، والصافي قد يقال لما لا شوب فيه، ويقال خلصته فخلص.... وقوله: ونحن له مخلصون. إنه من عبادنا المخلصين، فإخلاص المسلمين أنهم قد تبرؤوا مما يدعيه اليهود من التشبيه والنصارى من التثليث، قال تعالى: مخلصين له الدين، وقال: لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة، وقال: وأخلصوا دينهم لله، وهو كالأول، وقال: إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً. فحقيقة الإخلاص: التبرى عن كل ما دون الله تعالى). انتهى.
والظاهر أن تسمية الشئ خالصاً ليس بسبب تخليصه من الشوب، بل بسبب أنه في معرض الشوب، وإن كان من أصله خالصاً لم يمسّه شوب في وقت ما.

ومعنى إخلاص الدين لله تعالى: توحيد توحيداً كاملاً، قال أمير المؤمنين عليه السلام:

(وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيد، وكمال توحيد الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة). (نهج البلاغة: ١/١٤)

هذا هو الإخلاص النظري العقدي، أما الإخلاص العملي فهو الطاعة الكاملة لله تعالى بالقيام بما أوجبه وترك ما نهى عنه، وإخلاص النية له في كل ذلك.

في تحف العقول لابن شعبة الحراني ص ٨٦، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (رأس الدين صحة اليقين، وتمام الإخلاص تجنبك المعاصي).

وفي معاني الأخبار للصدوق ص ٢٦٠: (أن جبرئيل عليه السلام جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى أرسلني إليك بهدياً لم يعطها أحداً قبلك، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قلت: وما هي؟ قال: الصبر وأحسن منه، قلت: وما هو؟ قال: الرضا وأحسن منه، قلت: وما هو؟ قال قال: الإخلاص وأحسن منه، قلت: وما هو؟ قال: اليقين... إلى أن قال:

قلت: يا جبرئيل فما تفسير الإخلاص؟ قال: المخلص الذي لا يسأل الناس شيئاً حتى يجد، وإذا وجد رضى، وإذا بقى عنده شيء أعطاه في الله، فإن من لم يسأل المخلوق فقد أقر الله عز وجل بالعبودية، وإذا وجد فرضى فهو عن الله راض والله تبارك وتعالى عنه راض، وإذا أعطى الله عز وجل فهو على حد الثقة بربه عز وجل. قلت: فما تفسير اليقين؟ قال: الموقن يعمل لله كأنه يراه فإن لم يكن يرى الله فإن الله يراه، وأن يعلم يقيناً أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وهذا كله أغصان التوكل ومدرجة الزهد). انتهى.

وفي الكافي: ١/١٨١: (عن الإمام الصادق عليه السلام قال: إنكم لا تكونون صالحين حتى تعرفوا، ولا تعرفوا حتى تصدقوا، ولا تصدقوا حتى تسلموا. أبواباً أربعة لا يصلح أولها إلا بآخرها، ضل أصحاب الثلاثة وتاهوا تيهاً بعيداً. إن الله تبارك وتعالى لا يقبل إلا العمل الصالح ولا يقبل الله إلا الوفاء بالشروط والعهود، فمن وفى الله عز وجل بشرطه واستعمل ما وصف في عهده نال ما عنده، واستكمل ما وعده، إن الله تبارك وتعالى أخبر العباد بطرق الهدى وشرع لهم فيها المنار وأخبرهم كيف يسلكون، فقال: وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى، وقال: إنما يتقبل الله من المتقين، فمن اتقى الله فيما أمره لقي الله مؤمناً بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله، هيهات هيهات فات قوم وماتوا قبل أن يهتدوا وظنوا أنهم آمنوا، وأشركوا من حيث لا يعلمون.

إنه من أتى البيوت من أبوابها اهتدى، ومن أخذ في غيرها سلك طريق الردى، وصل الله طاعة ولى أمره بطاعة رسوله، وطاعة رسوله بطاعته، فمن ترك طاعة ولاة الأمر لم يطع الله ولا رسوله، وهو الإقرار بما انزل من عند الله عز وجل، خذوا زينتكم عند كل مسجد، والتمسوا البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فإنه أخبركم أنهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار.

إن الله قد استخلص الرسل لأمره، ثم استخلصهم مصدقين بذلك في نذره، فقال: وإن من أمة إلا خلا فيها نذير. تاه من جهل، واهتدى من أبصر وعقل، إن الله عز وجل يقول: فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، وكيف يهتدى من لم يبصر؟ وكيف يبصر من لم يتدبر؟

إتبعوا رسول الله وأهل بيته صلى الله عليه وآله، وأقروا بما نزل من عند الله، واتبعوا آثار الهدى، فإنهم علامات الأمانة والتقوى). انتهى.

دلالة الإستخلاص الإلهي على العصمة

يدل لقب المُخْلِص بالفتح، على عصمة صاحبه، لأن الله تعالى استخلصه، أى أنه استحق بعمله وتخليصه لفكره ونياته من الشوائب، أن يتقبله الله تعالى لنفسه فيجعله من المخلصين له، وذلك يقتضى أن يحميه حماية تامة من شوائب نية المعصية فضلاً عن فعلها.

وهذا معنى المعصوم فقد قال الإمام الصادق عليه السلام في تعريفه: (المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله، وقال الله تبارك وتعالى: وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ). انتهى. (معاني الأخبار للصدوق: ص ١٣٢).

وقد بين الله تعالى أن عباده المخلصين لهم علاقة خاصة معه، لكن ليست علاقة نسب ومصاهرة كما يتصورها بعض الناس! قال تعالى:

وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ. سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ. إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ. (الصافات: ١٥٨-١٦٠).
وقال تعالى عن موسى عليه السلام: وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا. (مريم: ٥١).
وقال عن يوسف عليه السلام: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا- أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ، كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ. (يوسف: ٢٤).

فقوله: إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ، تعليلٌ لصرف السوء والفحشاء عنه، ومعناه أن يوسف عليه السلام لما كان عبداً مخلصاً مستخلصاً لنا، فقد صرفنا عنه الضرر والمعصية، فمقام الإستخلاص يستوجب هذه الدرجة العالية من العصمة والرعاية!
ومع هذا النص الإلهي، فلا قيمة لكل ما رووه من أن يوسف عليه السلام قد همَّ بالمعصية وفكر بالزنا، وجلس منها مجلس الرجل من المرأة! معاذ الله!

فكل ذلك إسرائيليّات اليهود وطعنهم بيوسف عليه السلام، تلقفها عنهم رواة السلطنة!

بل همّت به لنفسها، وهمَّ بها أن يضربها، فرأى برهان ربه يقول له: أهرب ولا تضربها! فلو ضربها لآه زوجها الذي كان لدى الباب، ولا دعت عليه بأنه أرادها فلم تقبل فضربها! وللحق به السوء أى القتل! فدفع الله عنه بإخلاصه واستخلاصه السوء والضرر من زوجها، كما دفع عنه الفحشاء من أول ما راودته عن نفسه، وبقيت نيته خالصة لله تعالى، لم يشبها عمل ولا تفكير ولا نية بالفحشاء والزنا.
وقد تقدم قول الإمام الرضا عليه السلام من العيون: ٢/١٧٠: (وأما قوله عز وجل في يوسف: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا، فَإِنهَا هَمَّتْ بِالْمَعْصِيَةِ وَهَمَّ يُوْسُفُ بِقَتْلِهَا إِنْ أَجْبَرْتَهُ لِعَظْمِ مَا تَدَاخَلَهُ فَصَرَفَ اللَّهُ عَنْهُ قَتْلَهَا وَالْفَاحِشَةَ، وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ. (يوسف: ٢٤) يعنى القتل والزنا).

أما جواب من تخيل أن معنى (همَّ بها) فكر بالمعصية، فهو:

أن معنى فعل (همَّ به) فى اللغة: أراد به الضرر، فإن وجدت قرينه صيرف عن معناه بحسبها، وإلا بقى عليه. ومرادة زليخا ليوسف عليه السلام قرينه على أن معنى (همَّ به) أرادته لنفسها، لكن لاقريته توجب صرف (همَّ بها) فى يوسف عليه السلام عن معناها الأصلي، فيبقى معناه: هم أن يضربها كما ورد به الحديث.

وينبغى الغلفات إلى أن نوع الضرر المقصود بـ(همَّ به) قد يُصَيَّرَحُّ به كقوله تعالى: وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ، (التوبة: ١٣)، وقد يعرف بالقرينه كقوله تعالى: يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا. (التوبة: ٧٤) أى بقتل النبى صلى الله عليه وآله كما دل الحديث.

وفى مسند أحمد: ٢/٤١٦ والبخارى ٣/٤١: (أن رجلاً- أتى رسول الله يتقاضاه فأغلظ له قال فهمَّ به أصحابه، فقال: دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً). انتهى.

أى همَّ المسلمون بطرده أو ضربه أو إيذائه، حيث لم يرد أن المسلمين هموا بقتل أحد فى حضور النبى صلى الله عليه وآله بدون أمره. وفى البحار: ٣٠/٨٥، فى قصة يهودى مع أبى بكر: (فوقف عليه وقال: إنى أريد أن أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبى أو وصى نبى. فقال أبو بكر: سل عما بدا لك؟ فقال اليهودى: أخبرنى عما ليس لله وعما ليس عند الله وعما لا يعلمه الله؟ فقال أبو بكر: هذه مسائل الزنادقة! يا يهودى أو فى السماء شئ لا يعلمه الله؟ وهمَّ به المسلمون، وكان فى القوم ابن عباس فقال: ما أنصفتم الرجل! قال أبو بكر: أو ما سمعت ما تكلم به؟! فقال ابن عباس: إن كان عندكم جواب، وإلا فاذهبوا به إلى من يجيبه، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلى بن أبى طالب: اللهم اهد قلبه وثبت لسانه...). انتهى.

فقوله (وهم به المسلمون) أى هموا بضربه، أو إيذائه.

على أن قوله تعالى: لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ، كافٍ لتفسير معنى همَّ بها، فمن استخلصه الله تعالى لا يمكن أن يهَمَّ بالفحشاء!

وهنا يأتي دور فهم الفعل الإلهي في الإستخلاص وغيره، وأنه فعلٌ من عالم حكيم رحيم، بالعلم المطلق والحكمة المطلقة والرحمة الشاملة، فلا يصح أن نتصوره كأفعالنا القاصرة المحدودة!

وقد كشف لنا عز وجل أن استخلاصه عز وجل ليوسف عليه السلام يستوجب صرف السوء عنه، أي منع الغير من الإضرار به، وصرف الفحشاء عنه، أي جعل عقله وتقواه عليه السلام هما المسيطرين الحاكمين على نوازع الجسدية.

ولئن صح الإستثناء في صرف الله للسوء عن الأنبياء والأوصياء عليهم السلام أو السماح به تجاههم لحكم يعلمها سبحانه، فإن الإستثناء في صرف الفحشاء لا يمكن، لأنه أمر يتعلق بفعل المستخلص فهو من لوازم الإستخلاص دائماً.

أما كيف تتم عصمة المستخلص، فقد يكون من وسائلها (رصد الملائكة)، وقد يكون البرهان الذي أراه الله ليوسف عليه السلام أن الملك هتف به كما في الرواية.

وقد بين الله تعالى أنه يستعمل رصد الملائكة لحفظ معلومه عن الغيب يخبر بها رسوله، فقال: قُلْ إِنْ أَدْرَى أَقْرَبُ مَا تُوعِدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمِيرًا. عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسِيلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ رَصَدًا. لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا. (الجن: ٢٥-٢٨)

والإستخلاص مقام أعظم من حفظ ما يخبر به الله رسوله من الغيب، فلا بد أن تكون وسائل حفظ المستخلص أكثر تفصيلاً من حفظ الغيب المخبر به.

هذا، وفي هذه الآيات أبحاث أخرى لا يتسع المجال لاستيفائها.

آيات الإجتباء تشبه آيات الإستخلاص

اجتبي الله آدم عليه السلام وعصمه

قال تعالى: وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى. ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى. (طه: ١٢١-١٢٢).

إبراهيم صلى الله عليه وآله أبو المجتبيين وأبو الأنبياء

قال تعالى: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. (النحل: ١٢٠-١٢١).

المجتبون الهداه عليهم السلام شخصيات وأسرهم قدوات البشرية

قال تعالى: وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَإِسْرَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ. وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. (الأنعام: ٨٣-٩٠).

وقال تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا. (مريم: ٥٨).

إجتباء يوسف عليه السلام وتعليمه من علم الغيب

وقال تعالى: قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ. وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُنمِّئُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَنْتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ

حَكِيمٌ. (يوسف: ٥-٦)

اجتباء بعض الأنبياء عليه السلام يعنى رفع درجاتهم

وقال تعالى: لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِدَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ. فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ. (القلم: ٤٩-٥٠).

اجتباء المؤمنين مستمر في هذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله

قال الله تعالى: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ. (الشورى: ١٣).

وقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ. (الحج: ٧٧-٧٨).

وقال تعالى: مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ. (آل عمران: ١٧٩).

في مفردات الراغب ص ٨٧: (واجتباء الله العبد تخصيصه إياه بفيض إلهي يتحصل له منه أنواع من النعم بلا سعي من العبد وذلك للأنبياء وبعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء كما قال تعالى: وكذلك يجتبيك ربك. فاجتباؤه ربه فجعله من الصالحين. واجتبيانهم وهديانهم إلى صراط مستقيم. وقوله تعالى: ثم اجتباؤه ربه فتاب عليه وهدى. وقال عز وجل: يجتبي إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب. وذلك نحو قوله تعالى: إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار).

وفي أساس البلاغة لمخشرى ص ١٧٢: (واجتباؤه: اختاره. مستعار منه لأن من جمع شيئاً لنفسه فقد اختصه واصطفاه، وهو من جبوء الله وصفوته). انتهى.

والإجتباء على مقام عظيم لكنه أعم من الإستخلاص في موضوعه، لأنه يشمل غير الأنبياء والأوصياء عليهم السلام كالمؤمنين من هذه الأمة، قال تعالى: وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ.

ولا بد أنه أعم من الإستخلاص في وسائله أيضاً، ولذلك لا يدل على العصمة إلا بقربنه، كما في آدم وغيره من الأنبياء عليهم السلام. ونكتفي بغيراد بعض الأحاديث في الإجتباء والمجتبين:

ففي الكافي: ١/٤٤٤: من خطبة للإمام الصادق عليه السلام: (فلم يمنح ربنا لحلمه وأناته وعطفه ما كان من عظيم جرمهم وقبيح أفعالهم، أن انتجب لهم أحب أنبيائه إليه وأكرمهم عليه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله في حومة العز مولده، وفي دومة الكرم محتده، غير مشوب حسبه ولا- ممزوج نسبه، ولا- مجهول عند أهل العلم صفته، بشرت به الأنبياء في كتبها، ونطقت به العلماء بنعتها، وتأملتة الحكماء بوصفها... الخ).

وفي الكافي: ٨/٣٧٠: (عن إبراهيم بن أبي زياد الكرخي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن إبراهيم عليه السلام كان مولده بكوثي ربا وكان أبوه من أهلها وكانت أم إبراهيم وأم لوط سارة وورقة أختين وهما ابنتان للاحج وكان للاحج نبياً م نذراً ولم يكن رسولاً وكان إبراهيم في شببته على الفطرة التي فطر الله عز وجل الخلق عليها، حتى هداه الله تبارك وتعالى إلى دينه واجتباؤه، وإنه تزوج سارة ابنة للاحج وهي ابنة خالته، وكانت سارة صاحبة ماشية كثيرة وأرض واسعة وحال حسنة، وكانت قد ملكت إبراهيم عليه السلام جميع ما كانت تملكه، فقام فيه وأصلحه وكثرت الماشية والزرع حتى لم يكن بأرض كوثي ربا رجل أحسن حالاً منه).

وفي الإحتجاج: ١/١٣٣، من خطبة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام قالت:

(وأشهد أن أبي محمداً عبده ورسوله اختاره قبل أن أرسله، وسماه قبل أن اجتباؤه، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيث مكنونه، وبستر الأهاويل مصونه، وبنهاية العدم مقرونه، علماً من الله تعالى بما يلي الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بموقع الأمور. ابتعثه

الله إتماماً لأمره، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذاً لمقادير حتمه).

وفى تفسير الثعالبي: ١/٢٢١: (قوله تعالى: وعصى آدم ربه فغوى، ثم اجتبه ربه فتاب عليه وهدى. فذكر أن الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان، وقيل بل أكلها، وهو متأول، وهو لا يعلم أنها الشجرة التي نهى عنها، لأنه تأول نهى الله تعالى عن شجرة مخصوصة لأعلى الجنس، ولهذا قيل: إنما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة، وقيل: تأول أن الله تعالى لم ينهه عنها نهى تحريم).
وفى تفسير الثعالبي: ٣/١٠٢: (وينزه آدم وحواء عن طاعتهما لإبليس، ولم أقف بعد على صحة ما روى في هذه القصص، ولو صح لوجب تأويله، نعم روى الترمذى عن سمرة بن جندب، عن النبي (ص) قال: لما حملت حواء، طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد، فقال لها سميه عبد الحارث، فسمته عبد الحارث فعاش ذلك، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره! قال الترمذى: هذا حديث حسن غريب انفرد به عمر بن إبراهيم عن قتادة، وعمر شيخ بصري. انتهى. وهذا الحديث ليس فيه أنهما أطاعاه، وعلى كل حال: الواجب التوقف والتنزيه لمن اجتبه الله وحسن التأويل ما أمكن، وقد قال ابن العربي فى توهين هذا القول وتزييفه: وهذا القول ونحوه مذكور فى ضعيف الحديث فى الترمذى وغيره، وفى الإسرائيليات التى ليس لها ثبات، ولا يعول عليها من له قلب، فإن آدم وحواء وإن كانا غرهما بالله الغرور فلا يلدغ المؤمن من حجر مرتين، وما كانا بعد ذلك ليقبلا له نصحاً ولا يسمعا له قولاً، والقول الأشبه بالحق: أن المراد بهذا جنس الآدميين). انتهى.

آيات نفي سلطان الشيطان على المخلصين

قال الله تعالى: قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ. قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ. إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ. (الحجر: ٣٩-٤٢).
وقال تعالى: قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ. (ص: ٨٢-٨٣).
وقال تعالى: قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا. وَاسْتَغْفِرْ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْتَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا. إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا. (الإسراء: ٦٣-٦٥).
وقال تعالى: فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ. (النحل: ٩٨-١٠٠).
وقال تعالى: إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا. لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا. (النساء: ١١٧-١١٨).

وجه دلالتها على العصمة

نصت الآيات الكريمة على أن عباد الله المخلصين لاسبيل للشيطان عليهم، وهذا يعنى عصمتهم. أما الإشكالات التى قد تورد على هذا الإستدلال فهى مردودة، وهذه خلاصة لها ولأجوبتها:

الأول: أن مصادر الشر ثلاثة: الشيطان والنفس والناس، فنفى تأثير الشيطان عن إنسان لا يعنى نفي تأثير مصادر الشر الأخرى، فيبقى فى معرض المعصية.

وجوابه: أن المفهوم من آيات نفي تأثير الشيطان وأحاديتها، أن هذه الدرجة لا تعطى لإنسان إلا بعد أن يكون غالباً لهواه قوياً إمام تأثير الناس، فيها تكتمل نعمة الله على الإنسان المخلص بالعصمة. وسنورد طرفاً من أحاديثها.

والإشكال الثانى: أن نفي سلطان الشيطان فى قوله تعالى: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ، وقوله تعالى: إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ،

يعنى نفى سلطنته الكاملة على سلوك الإنسان ولا ينفى بقاء تأثيره إلى حد، وهذا ينافى العصمة.

وجوابه: أن الله تعالى نفى سلطان الشيطان عن جميع الناس فى قوله تعالى: وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْمُونِي وَلَوْلُمُوا أَنْفُسَكُمْ، (ابراهيم: ٢٢) وقوله تعالى: فَاتَّبِعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ.. (سبأ: ٢٠-٢١). ثم نفاه فى الآية عن عباد الله الخاصين المستخلصين، فدل ذلك على أنه معناه نفى مطلق التأثير، وإلا لكان تخصيصه بعباده الخاصين لغواً. والإشكال الثالث: أن عبادى فى قوله تعالى: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ (الحجر: ٤٢ والإسراء: ٦٥)، لا تعنى عباد الله الخاصين بل كل العباد، فلا تبقى ميزة للمخلصين فى نفيها عنهم لتدل على امتيازهم بها، فضلاً عن عصمتهم.

قال صاحب الميزان: ١٢/١٦٦: (فإذا أمنت فى الآية وجدتها ترد على إبليس قوله لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين، من ثلاث جهات أصلية:

إحداها، أنه حصر عباده فى المخلصين منهم ونفى عنهم سلطان نفسه وعم سلطانة على الباقين. والله سبحانه عمم عباده على الجميع، وقصر سلطان إبليس على طائفة منهم، وهم الذين اتبعوه من الغاوين، ونفى سلطانه على الباقين.

والثانية، أنه لعنه الله ادعى لنفسه الإستقلال فى إغوائهم كما يظهر من قوله لأغوينهم فى سياق المخاصمة والتقريع بالانتقام. والله سبحانه يرد عليه بأنه منه مزعمه باطله وإنما هو عن قضاء من الله وسلطان بتسليطه، وإنما ملكه إغواء من اتبعه وكان غاوياً فى نفسه وبسوء اختياره، فلم يأت إبليس بشئ من نفسه، ولم يفسد أمراً على ربه، لا فى إغوائه أهل الغواية فإنه بقضاء من الله سبحانه أن يستقر لأهل الغواية غيرهم بسببه.

وقد اعترف لعنه الله بذلك بعض الإعراف بقوله رب بما أغويتنى ولا فى استثنائه المخلصين فإنه أيضاً بقضاء من الله نافذ فلا حكم الا لله. وهذا الذى تفيده الآية الكريمة أعنى تسليط إبليس على إغواء الغاوين الذين هم فى أنفسهم غاوون وتخليص المخلصين وهم مخلصون فى أنفسهم من كيد، كل ذلك بقضاء من الله مبنى على أصل عظيم يفيد التوحيد القرآنى المفاد بأمثال قوله تعالى: إن الحكم إلا لله، (يوسف: ٦٧) وقوله: وهو الله لا إله إلا هو له الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم، (القصص: ٧٠) وقوله: الحق من ربك (آل عمران: ٦٠) وقوله: ويحق الله الحق بكلماته، (يونس: ٨٢)، وغير ذلك من الآيات الدالة على أن كل حكم إيجابى أو سلبى فهو مملوك لله نافذ بقضائه.

ومن هنا يظهر ما فى تفسيرهم قوله: إلا من اتبعك من الغاوين، من المسامحة فإنهم قالوا إنه إذا قبل من إبليس واتبعه صار له سلطان عليه بعدوله عن الهدى إلى ما يدعوه إليه من الغى، وظاهره أنه سلطان قهرى يحصل لإبليس عن سوء اختيارهم ليس من عند نفسه، ولا بجعل من الله سبحانه.

وجه الفساد: أن فيه أخذ الإستقلال والحوال الذاتى من إبليس وإعطاؤه ذوات الأشياء، ولو كان إبليس لا يملك شيئاً من عند نفسه وبغير إذن ربه، فالأشياء والأموار أيضاً لا تملك لنفسها شيئاً ولا حكماً حتى الضروريات ولوازم الذوات، إلا بإذن من الله وتمليك فافهمه.

والثالثة، إن سلطانه على إغواء من يغويه وإن كان بجعل وتسليط من الله سبحانه، إلا أنه ليس بتسليط على الإغواء والإضلال الإبتدائى غير الجائر إسناده إلى ساحة سبحانه، بل تسليط على الإغواء بنحو المجازاة المسبوق بغوايتهم من عندهم وفى أنفسهم. والدليل على ذلك قوله تعالى: إلا- من اتبعك من الغاوين فإبليس إنما يغوى من اتبعه بغوايته، أى أن الإنسان يتبعه بغوايته أولاً فيغويه هو ثانياً، فهناك غوايه بعدها إغواء والغواية إجرام من الإنسان والإغواء بسبب إبليس مجازاة من الله سبحانه. ولو كان هذا الإغواء إغواء ابتدائياً من إبليس لمن لا يستحق ذلك لكان هو الأليق باللوم دون الإنسان، كما يذكره يوم القيامة على ما يحكيه سبحانه بقوله: وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلمونى ولوموا أنفسكم. إبراهيم: ٢٢، فاللوم على الإنسان المجرم وهو مسؤول عن معصيته دون إبليس. نعم إبليس ملوم على ما يتلبس به من الفعل بسوء اختياره وهو الإغواء الذى سلطه الله عليه، مجازاة لما امتنع من

السجود لآدم لما أمر به. فالإغواء هو الذى استقرت ولايته عليه كما يشير سبحانه إليه فى موضع آخر من كلامه إذ يقول: إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون، الأعراف: ٢٧، وقال تعالى وهو أوضح ما يؤيد جميع ما قدمناه: كتب عليه انه من تولاه فإنه يضلّه ويهديه إلى عذاب السعير. (الحج: ٤). انتهى.

وجوابه: أن كلمة عبادى فى الآية وأمثالها كقوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي. (الفجر: ٢٧-٣٠) تعنى عباد الله الخاصين، وإضافة العباد اليه تعالى إضافة تشريف من قبيل (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي) (الحجر: ٢٩) فهى روح مخلوقة نسبها الله سبحانه إلى نفسه. كما نسب البيت الحرام والمسجد اليه.

وقد أجمع المفسرون واللغويون وأحاديث النبى وآله صلى الله عليه وآله على ذلك، لكن الأمر اشتبه على صاحب الميزان رحمه الله فعمم كلمة عبادى! لأنه تصور أن تخصيصها يعطى لإبليس سلطاناً على الباقين، وهذا ينافى توحيد الله تعالى بالفاعلية، وينافى قانون حرية الإنسان ومسؤوليته عن عمله.

والصحيح أنه لا يلزم شئ من ذلك. أما السلطان الذى أعطى لإبليس ونصّ عليه الله تعالى بقوله: إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ. (النحل: ١٠٠) وقوله: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكُم عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا- مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ. (الحجر: ٤٢). فلم يقل أحد إنه سلطان ابتدائى بلا أرضية من نياتهم وعملهم تجعلهم مستحقين لتسلطه عليهم، فيزدادون غوايةً إلى غوايتهم، ومعنى نفى سلطانه عن عباد الله الخاصين أنهم بلطف ربهم لا توجد فيهم أرضية استعمار للشيطان.

فقوله رحمه الله: (وجه الفساد: أن فيه أخذ الإستقلال والحوال الذاتى من إبليس وإعطاؤه ذوات الأشياء، ولو كان إبليس لا يملك شيئاً من عند نفسه وبغير إذن ربه، فالأشياء والأمور أيضاً لا تملك لنفسها شيئاً ولا حكماً حتى الضروريات ولوازم الذوات، إلا بإذن من الله وتمليك) انتهى.

هذا القول، يصلح رداً على الثنوية القائلين بشراكة إبليس مع الله تعالى، أو على الماديين القائلين بألوهية الأسباب والأشياء أو شراكتها مع الله تعالى!

أما الأحاديث وعامة المفسرين الذين فسروا الآية بوجود سلطان ما للشيطان على قسم من الناس، وعدم وجوده على عباد الله الخاصين، فإنما قصدوا سلطانه الذى نص عليه الله تعالى، وهو سلطان مترتب على غواية الإنسان نفسه وليس فى عرضها، وسلطان تحت سيطرة الله تعالى وليس فى عرضها.

والإشكال الرابع: أن تفسير الآية بعصمة المخلصين، ونفى سلطان الشيطان وكل أنواع تأثيره عليهم، يستوجب نفي نزغه ووسوسته ومسه لهم، مع أن القرآن نص على وسوسة الشيطان لآدم وزوجه فقال: فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى. (طه: ٢٠).

وقال: فَازَلَّهِمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ. (البقرة: ٣٦).

ووصف آدم وحواء بأنهما تأثرا بوسوسة الشيطان: فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِمَا عَلَىٰهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى. (طه: ١٢١). ونص على مسّ الشيطان لأيوب عليه السلام فقال: وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ إِنَّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصِيبٍ وَعَذَابٍ أَلِيمٍ. (ص: ٤١-٤٢).

ووصف يوسف بأنه أنساه الشيطان فقال: وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ. (يوسف: ٤٢).

ووصف إنسائه لموسى عليه السلام فقال: قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَّيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْكُوفَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا. (الكهف: ٦٣). ووصف قتل موسى عليه السلام لعدوه بأنه من عمل الشيطان، فقال: وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةً

مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتِغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ أَنَّهُ عَدُوٌّ مُمْتَلِئٌ مُبِينٌ. قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ أَنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. (القصص: ١٥-١٦).

وأخبر أن النبي صلى الله عليه وآله قد يصيبه نزع من الشيطان، وطائف منه فقال له: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نِزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ أَنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. (فُصِّلَتْ: ٣٦).

وقال له: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نِزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ. (الأعراف: ٢٠١).

وقال له: وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. (الأنعام: ٦٨).

وجوابه: مع ما سنذكره من تفسير الآيات، أنا لو سلمنا أن الشيطان يمكنه أن يوسوس أو ينزع أو يمس المعصوم عليه السلام، فلا يدل ذلك على تأثيره عليه وتسيبه وقوعه في المعصية، فلا يقدر في عصمته.

فالنزع هو محاولة تخريب الأمر، قال الراغب ص ٤٨٨: (النزع دخول في أمر لإفساده، قال: مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَنِيَّ وَيَبْنَ إِخْوَتِي). انتهى. فالسماح له بالنزع لا يعنى تأثيره على المعصوم عليه السلام إلى حد إيقاعه في المعصية.

ومس الشيطان يعنى أذاه أو محاولته الأذى، ولا يدل أيضاً على تسيبه وقوع المعصوم في المعصية، قال الراغب ص ٤٦٧: (المس كاللمس لكن اللمس قد يقال لطلب الشيء، وإن لم يوجد كما قال الشاعر: وألمسه فلا أجده. والمس يقال فيما يكون معه إدراك بحاسة اللمس. وكنى به عن النكاح فقيل: مسها وماسها.... وكنى بالمس عن الجنون قال: كالذى يتخبطه الشيطان من المس. والمس يقال فى كل ما ينال الإنسان من أذى نحو قوله: وقالوا لن تمسنا النار. مستهم البأساء والضراء. ذوقوا مس سقر. مسنى الضر. مسنى الشيطان. مستهم إذا لهم مكر فى آياتنا. وإذا مسكم الضر). انتهى.

وكذلك الوسوسة، فهى تعنى أن الشيطان يحدث فى ذهن الإنسان خطورات رديئة، ولو سلمنا إمكان ذلك فى ذهن المعصوم فلا نسلم أن المعصوم عليه السلام يخضع لها بل يطردها. قال الراغب ص ٥٢٢: (الوسوسة: الخطرة الرديئة، وأصله من الوسواس وهو صوت الحلى والهمس الخفى، قال: فوسوس إليه الشيطان. وقال: من شر الوسواس. ويقال لهمس الصائد: وسواس). انتهى.

على أن التفسير الذى افترضه الإشكال للآيات غير دقيق، وقد تقدم جواب الإمام الرضا عليه السلام عن وسوسة الشيطان لآدم وحواء عليهما السلام ومعصيتهما وأنها كانت فى الجنة وليست فى الأرض، قال عليه السلام: (فإن الله عز وجل خلق آدم حجة فى أرضه وخليفه فى بلاده لم يخلقه للجنة، وكانت المعصية من آدم فى الجنة لا فى الأرض، وعصمته يجب أن تكون فى الأرض لتتم مقادير أمر الله، فلما أهبطه إلى الأرض وجعله حجة وخليفه عصمه بقوله عز وجل: إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين. (آل عمران: ٣٣) انتهى.

وفى مسند الإمام الرضا عليه السلام: ٢/١٢٥: (وإنما كان من الصغائر الموهوبة التى تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم، فلما اجتباه الله تعالى وجعله نبياً كان معصوماً، لا يذنب صغيرة ولا كبيرة، قال الله عز وجل: وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه، فتاب عليه فهدى). انتهى.

أقول: إن صح الحديث بأن الأنبياء عليهم السلام غير معصومين عن الصغائر قبل البعثه فهو يصح فى بعضهم كآدم عليه السلام، ولا يصح فى كبارهم كنبينا وأوصيائه صلى الله عليه وآله، لأنه ثبت أن عصمتهم اعلى درجة من عصمة جميع الأنبياء عليهم السلام.

وأما قول أيوب عليه السلام: وَأَذْكَرُ عَبْدَنَا أَيُوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ إِنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ، فلا يدل على تأثيره عليه فى معصية، بل هو كقوله تعالى: وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. (الأنبياء: ٨٣).

قال في مجمع البيان: ٨/٣٦٤: (أى بتعب ومكروه ومشقة. وقيل: بوسوسة فيقول له: طال مرضك ولا يرحمك ربك، عن مقاتل. وقيل: بأن يذكره ما كان فيه من نعم الله تعالى من الأهل والولد والمال، وكيف زال ذلك كله، وحصل فيما هو فيه من البلية، طمعاً أن يزله بذلك، ويجد طريقاً إلى تضجره وتبرمه فوجده صابراً مسلماً لأمر الله). انتهى.

وأما قوله تعالى: أَذْكَرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَاتَّسِأَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ، فمعناه أن يوسف عليه السلام قال للناجي من السجن: أذكرني عند سيدك، أى عزيز مصر، ففسى الناجى أن يذكره عنده، فلا علاقة له بإنساء الشيطان ليوسف عليه السلام.

وأما قوله تعالى: وَمَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكَرَهُ، فالذى أنساه الشيطان أن يذكر قصة الحوت لموسى عليه السلام، هو فتاه المرافق له، وليس موسى عليه السلام.

وقال في الميزان: ١٣/٣١: (ولاضير فى نسبة الفتى نسيانه إلى تصرف من الشيطان بناء على أنه كان يوشع بن نون النبى والأنبياء فى عصمه إلهية من الشيطان، لأنهم معصومون مما يرجع إلى المعصية، وأما مطلق إيذاء الشيطان فيما لا يرجع إلى معصية فلا دليل يمنعه قال تعالى: وَأَذْكَرْ عَبْدَنَا أَيُوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ). انتهى.

وأما قوله تعالى عن موسى عليه السلام: قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، فقد تقدم جواب الإمام الرضا عليه السلام للمأمون: (إن موسى دخل مدينه من مدائن فرعون على حين غفلة من أهلها، وذلك بين المغرب والعشاء، فوجد فيها رجلين يقتتلان هَذَا مِنْ شَيْعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَيْدُوهُ فَاسْتَبَغَاهُ الَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَيْدُوهُ، ففضى موسى على العدو، وبحكم الله تعالى ذكره فوكزه، فمات! قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، يعنى الإقتال الذى كان وقع بين الرجلين، لا ما فعله موسى عليه السلام من قتله. أنه عَيْدُوهُ مُضِلُّ مُبِينٌ، يعنى الشيطان. فقال المأمون: فما معنى قول موسى: رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي؟ قال: يقول: إني وضعت نفسى غير موضعها بدخولى هذه المدينة، فَاغْفِرْ لِي، أى أسترني من أعدائك لئلا يظفروا بى فيقتلونى، فَعَفَرَ لَهُ أَنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ، قال موسى عليه السلام: قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ، من القوة حتى قتلت رجلاً بوكزه، فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ، بل أجاهد سبيلك بهذه القوة حتى ترضى. فَأَصْبَحَ موسى عليه السلام فى الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ عَلَى آخِرٍ، قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ، قاتلت رجلاً بالأمس وتقاتل هذا اليوم، لأوذيتك، وأراد أن يبطش به فلما أن أراد أن يبطش بالذى هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا وهو من شيعته قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ أَنْ تُرِيدَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فى الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُضْلِحِينَ.

قال المأمون: جزاك الله عن أنبيائه خيراً يا أبا الحسن، فما معنى قول موسى لفرعون: فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ؟ قال الرضا عليه السلام: إن فرعون قال لموسى لما أتاه: وَقَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ، بى! قال موسى: فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ، عن الطريق بوقوعى إلى مدينه من مدائنك، فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ، وقد قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وآله: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى، يقول: ألم يجدك وحيداً فآوى إليك الناس. وَوَجَدَكَ ضَالًّا، يعنى عند قومك، فَهَدَى، أى هداهم إلى معرفتك. وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى، يقول: أغناك بأن جعل دعاءك مستجاباً). (العيون: ١٧٧/٢ والإحتجاج: ٢/٢١٨).

وأما مجرد خطاب الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله فى الآيتين: وَإِذَا يَنْزِعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعًا فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ، وقوله له: وَإِذَا نَسِيَ نَسْيَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، فهو من باب مخاطبة المسلمين من خلال النبى صلى الله عليه وآله، ولا يدل على أن النبى صلى الله عليه وآله فى معرض النزغ والإنساء من الشيطان.

فتبين بذلك، أن كل ما يتصور أنه تسليط للشيطان على المعصومين صلوات الله عليهم، لا يصح، وإن صح فهو محدود لا يؤدى إلى وقوعهم فى المعصية، فتبقى آية: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ (الحجر: ٤٢ والإسراء: ٦٥)، على ظهورها فى تحقق عصمتهم، ومنع تأثيره عليهم عليهم السلام.

سؤال يرد في الذهن: لماذا جعل الله تعالى بعض الآيات المتعلقة بعصمة أنبيائه عليهم السلام من المتشابهات التي توهم وقوعهم في المعاصي؟

والجواب: نعم، لقد تضمنت الآيات المتعلقة بسلوك الأنبياء عليهم السلام آيات محكمة كقوله تعالى عن نبينا صلى الله عليه وآله: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ، والذي يعصم الله منطقه فلا يفتح فمه عن كلمة إلا بوحي وعصمة إلهية، لا يمكن أن يصدر منه فعلٌ ولا حركةٌ ولا سكونٌ إلا بعصمة إلهية!

وفي نفس الوقت توجد آيات توهم وقوعه في الذنب والمعصية كقوله تعالى: لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُمِمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا. (الفتح: ٢). والحكمة المتصورة من ذلك:

أولاً، لعله سبحانه أراد أن يؤكد بشريتهم حتى لا يعبدوا من دونه، وأن يبين أن عصمتهم الكاملة محاطة بغلاف وحجاب. ويؤيد ذلك ما رواه الطوسي في كتاب الغيبة ص ٣٢٤، قال رحمه الله (وأخبرني جماعة، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين قال: حدثني محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني رحمه الله قال: كنت عند الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح رضى الله عنه مع جماعة منهم علي بن عيسى القصرى، فقام إليه رجل فقال: إني أريد أن أسألك عن شيء؟ فقال له: سل عما بدا لك، فقال الرجل: أخبرني عن الحسين عليه السلام أهو وليُّ الله؟ قال: نعم، قال: أخبرني عن قاتله لعنه الله أهو عدو الله؟ قال: نعم، قال الرجل: فهل يجوز أن يسلم الله عز وجل عدوه على وليه؟

فقال له أبو القاسم قدس سره: إفهم عنى ما أقول لك، أعلم أن الله تعالى لا يخاطب الناس بمشاهدة العيان، ولا يشافههم بالكلام، ولكنه جلت عظمته يبعث إليهم رسلاً من أجناسهم وأصنافهم بشرا مثلهم، ولو بعث إليه رسلاً من غير صفتهم وصورهم لنفروا عنهم ولم يقبلوا منهم، فلما جاؤوهم وكانوا من جنسهم يأكلون ويمشون فى الأسواق قالوا لهم: أنتم مثلنا لا نقبل منكم حتى تأتوا بشئ نعجز عن أن نأتى بمثله فنعلم أنكم مخصوصون دوننا بما لا نقدر عليه، فجعل الله عز وجل لهم المعجزات التى يعجز الخلق عنها.

فمنهم من جاء بالطوفان بعد الإعدار والإنذار، ففرق جميع من طغى وتمرد.

ومنهم: من ألقى فى النار فكانت عليه برداً وسلاماً.

ومنهم: من أخرج من الحجر الصلد الناقه وأجرى من ضرعها لبناً.

ومنهم: من فلق له البحر، وفجر له من الحجر العيون، وجعل له العصا اليابسه ثعباناً تلقف ما يأفكون.

ومنهم: من أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى بإذن الله، وأنبأهم بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم.

ومنهم: من انشق له القمر وكلمته البهائم مثل البعير والذئب وغير ذلك.

فلما أتوا بمثل ذلك وعجز الخلق من أممهم أن يأتوا بمثله، كان من تقدير الله جل جلاله ولطفه بعباده وحكمته، أن جعل أنبياءه مع هذه المعجزات فى حال غالبيين وأخرى مغلوبين، وفى حال قاهرين وأخرى مقهورين، ولو جعلهم عز وجل فى جميع أحوالهم غالبيين وقاهرين، ولم يبتلهم ولم يمتحنهم، لاتخذهم الناس آلهة من دون الله عز وجل! ولما عُرف فضل صبرهم على البلاء والمحن والإختبار! ولكنه جعل أحوالهم فى ذلك كأحوال غيرهم، ليكونوا فى حال المحنة والبلوى صابرين، وفى حال العافية والظهور على الأعداء شاكرين، ويكونوا فى جميع أحوالهم متواضعين غير شامخين ولا- متجبرين، وليعلم العباد أن لهم عليهم السلام إلهاً هو خالقهم ومدبرهم، فيعبدوه ويطيعوا رسله، ويكونوا حجة الله ثابتة على من تجاوز الحد فيهم وادعى لهم الربوبية، أو عاند وخالف وعصى وجحد بما أتت به الأنبياء والرسول، لِيُهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ! قال محمد بن إبراهيم بن إسحاق رضى الله عنه: فعدت إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح قدس سره من الغد، وأنا أقول فى نفسى: أترأه ذكر لنا يوم أمس من عند نفسه؟! فابتدأنى فقال: يا محمد بن إبراهيم لئن أخرج من السماء فتخطفنى الطير أو تهوى بى الريح من مكان سحيق، أحبب إلى

من أن أقول في دين الله برأى ومن عند نفسى! بل ذلك من الأصل ومسموع من الحجّة صلوات الله وسلامه عليه). (ورواه في الاحتجاج: ٢/٢٨٤).

ثانياً، ابتلاء المسلمين لكي يتوقع بعضهم فينفذ من حجاب المتشابه ويصل إلى نور المحكم، ويبقى المتخلف يعيش في خطأ تصوره عن مقام النبي صلى الله عليه وآله.

معجزة الجغرافية القرآنية

لماذا تكلم القرآن في هذا الموضوع، ولم يتكلم في ذاك؟

ولماذا تكلم في هذا مرتين، وفي ذاك مرة واحدة؟

وأطال في هذا، واختصر في ذاك؟

وأجمل في هذا، وبين في ذاك؟

وذكر هؤلاء بأسمائهم، ولم يذكر أولئك؟

واستعمل التصريح هنا، والكناية هنا؟

وقال هنا كذا، وهناك كذا؟

وهذا الأسلوب، وذاك الأسلوب، وهذا التعبير وذاك، وهذه الكلمة وتلك؟

ولماذا أقيم بناؤه على المحكم والمتشابه، والعام والخاص، والمجمل والمبين والمطلق والمقيد، والناسخ والمنسوخ؟
الجواب على ذلك: أن القرآن بناءً ربانيّ يحير عنده الذهن، ويخشع له العقل! وكما يتميز عن كل ما قرأت وسمعت ببلاغته، فكذلك بمقاصده وأهدافه!

لقد أتقن الله تعالى بناء القرآن بدقته متناهية وإعجاز كبناء السماء! (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ. إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ). (سورة الواقعة: ٧٥-٧٧)

والتناسب القرآني بين عناصر القسم يدل على التشابه في دقة بناء السماء ومواقع نجومها، ودقة سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه! وإلى اليوم لم يكتشف العلماء من بناء الكون إلا القليل، وكلما اكتشفوا جديداً خضعت أعناقهم لبانيه عز وجل! ولم يكتشفوا من بناء القرآن إلا القليل، وكلما اكتشفوا منه جديداً خضعت أعناقهم لمعماره عز وجل!!

والحديث التالي يكشف لنا عجائب في البناء القرآني، ففي دعائم الإسلام: ١٤٦/٢:

(عن علي عليه السلام قال: اعتلّ الحسين فاشتد وجعه، فاحتملته فاطمة فأنت به النبي صلى الله عليه وآله مستغيثة مستجيرة فقالت: يا رسول الله أَدع الله لابنك أن يشفيه، ووضعته بين يديه، فقام صلى الله عليه وآله حتى جلس عند رأسه، ثم قال: يا فاطمة يا بني، إن الله هو الذي وهبه لك، هو قادر على أن يشفيه. فهبط على جبرئيل فقال: يا محمد، إن الله لم ينزل عليك سورة من القرآن إلا فيها فاء وكل فاء من آفة، ما خلا (الحمد لله) فإنه ليس فيها فاء، فادع بقدرح من ماء فاقرأ فيه الحمد أربعين مرة ثم صبه عليه فإن الله يشفيه، ففعل ذلك فكانما أنشط من عقال!) (وجامع أحاديث الشيعة: ١٥/٨٣).

يعنى ذلك: أن ما يبدو لنا من القرآن عادياً بسبب سذاجتنا، كله تابعٌ لحساب بل حسابات، إلهية لا بشرية، وأن هذه الحروف الثمانية والعشرين في القرآن عوالم من الرياضيات والعلوم والحقائق، وليست حروف كتاب بشرى!

فوجود الحرف له دلالة بل دلالات، وعدم وجوده، وعدده، وتوزيعه في الآية، وفي السورة، وفي كل القرآن!

الله أكبر.. فحيثما كانت الفاء في سورة أو موضوع، فهي تدل على وجود آفة! وحيثما وجدت الباء، والسين، وكل الحروف، تدل على حقائق أخرى!

ثم ما معنى الآفة؟ وما معنى خلو سورة الحمد منها؟ وما معنى قراءة كلام الله الذي ليس فيه آفة على قدح ماء؟ وماذا يؤثر تكرار القراءة؟ وهل يتغير تركيب الماء بذلك؟ ثم هل تؤثر فيزياءه المطورة في بدن المريض وتذهب منه الآفة؟! من المؤكد أنه يوجد ارتباط بين النظام الفيزيائي والروحي للكون، وبين نظام القرآن، وأن للقرآن إمكانات تأثير متنوعة على عالمي الروح والمادة، هي لون أو ألوان من فاعليات الله تعالى في الكون، لأن القرآن كلامه سبحانه! ومن المؤكد أن النبي صلى الله عليه وآله أعطى من معرفته ذلك أقصى ما يمكن أن يعطاه إنسان ويحتمله، لأنه صلى الله عليه وآله أفضل بنى الإنسان، بل أفضل المخلوقات والمصطفى منها جميعاً، ولقد أجاد الشاعر الأزرى بقوله:

قَلْبَ الْعَالَمِينَ ظَهراً لِبَطْنِ أَرَى ذَاتَ أَحْمَدِ فَاصْطَفَاهُ

ولكن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن يستعمل ذلك إلا بأمر الله تعالى أو إجازته، وهذه قضية مهمة في شخصيته وسلوكه صلى الله عليه وآله، حيث أعطى وسائل العمل الإعجازي، ومع ذلك كان يعمل في كل أموره بالأسباب والقوانين الطبيعية العادية، ولا يستعمل الإعجاز إلا عندما يؤمر، أو عند (الضرورة).

إن الفرق بينه وبين موسى والخضر أن الخضر أعطى العلم اللدني أو علم الباطن فهو يعمل بموجبه، وموسى أعطى الشريعة أو علم الظاهر فهو يعمل بموجبه. أما نبينا صلى الله عليه وآله فقد أعطى العلمين معاً، ولكنه يعمل بالظاهر إلا عندما يؤمر أو عند الضرورة! وهذه هي سنة الله تعالى، فهو لا يطلع على غيبه أحداً إلا من ارتضاه، ولا يرتضيه حتى يستوعب مسألة العمل بالقوانين الطبيعية والغيبية ويسلم لإرادة الله فيها! ثم يسلك من بين يديه ومن خلفه رسدا!

والقرآن أكبر، أو من أكبر، تلك الوسائل التي أعطها الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله، وقد كان له ترتيب نزل به منجماً في بضع وعشرين سنة، وكان يؤدي فيه إدارة أحداث النبوة وصناعة الأمة وتوجيه النبي والأمة، وتسجيل كل ذلك للأجيال. ثم صار له ترتيب ككتاب تقرأه الأجيال، كتاب له مقدمة وفصول و فقرات. أحدث من كل ما أنتجه وينتجه المؤلفون في منهج التأليف والأسلوب! فما المانع أن يكون للقرآن ترتيب ثالث، ورابع، وخامس، أملاه النبي صلى الله عليه وآله على علي عليه السلام وادخره عنده مع وصيته المحفوظة وعهده المعهود إلى ولده المهدي الذي بشر به الأمة والعالم؟ والذي يظهر الله على يديه صدق دين جده على الدين كله، فتخضع لبراهينه العقول والأعناق! أرواحنا فداء وعجل الله ظهوره.

وإذا كان نظام حروف القرآن كذلك، فما قولك في جغرافيته العلمية، وما ذكره الله فيه وما لم يذكره، ومحكمه ومتشابهه، ومجمله ومبينه...؟!

العصمة وقاعدة اللطف

معنى العصمة في القرآن واللغة والحديث

وردت العصمة في القرآن بمعنى المنع من عذاب الله في الدنيا: (قَالَ سَأُوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِيٰ لِي أَمْرًا مِّنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِيَةَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجِمَ) (هود: ٤٣).

والمنع من عذابه في الآخرة: قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيٰكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً. (الأحزاب: ١٧). وَتَوَهَّقْتُمْ ذَلَّةً مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ (يونس: ٢٧). والأعم منهما: يَوْمَ تُولُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ. (غافر: ٣٣).

وفي الإمتناع عن الحرام: وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ. (يوسف: ٣٢).

أما قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِيٰكُمْ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي

الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ. (المائدة: ٦٧)، فقد بينا في كتاب (آيات الغدير) أن العصمة فيها ليست بمعنى عصمة الأنبياء المصطلحة، فهي عصمة من الناس وليست عصمة عن المعاصي، وقد نزلت في آخر سورة قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله بنحو ثمانين يوماً، و كان صلى الله عليه وآله قبلها معصوماً عن المعاصي.

فلا بد أن يكون المقصود فيها عصمته صلى الله عليه وآله من أن يطعن الناس بنبوته أو يرتدوا عن الإسلام، إن بلغ ما أنزل اليه في على عليه السلام.

وقال الراغب في مفرداته: (العَصْمُ: الإمساك، والإعتصام: الإستمسك... والعصام ما يعصم به أى يشد. وعصمة الأنبياء عليهم السلام حفظه إياهم أولاً بما خصهم به من صفاء الجوهر، ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمية والنفسية، ثم بالنصرة وبثبوت أقدامهم، ثم بإنزال السكينة عليهم، وبحفظ قلوبهم وبالتوفيق، قال تعالى: وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ.

قال الخليل في كتاب العين: العصمة أن يعصمك الله من الشر، أى يدفع عنك. واعتصمت بالله أى امتنعت به من الشر، واستعصمت أى أبيت، وأعصمت أى لجأت إلى شئ اعتصمت به... وأعصمت فلاناً: هيأت له ما يعتصم به. والغريق يعتصم بما تناله يده، أى: يلجأ إليه... والعصمة: المنع. يقال عصمه الطعام، أى منعه من الجوع. والعصمة: الحفظ. يقال: عصمته فانهصم. واعتصمت بالله، إذا امتنعت بلطفه من المعصية). انتهى

وفى الفروق اللغوية ص ٤٦٤: الفرق بين اللطف والتوفيق: أن اللطف هو فعل تسهل به الطاعة على العبد، ولا يكون لطفاً إلا مع قصد فاعله وقوع ما هو لطف فيه من الخير خاصة، فأما إذا كان ما يفعل عنده قبيحاً وكان الفاعل له قد أراد ذلك، فهو انتقاد وليس بلطف. والتوفيق فعل ما تتفق معه الطاعة، وإذا لم تتفق معه الطاعة لم يسم توفيقاً ولهذا قالوا إنه لا يحسن الفعل...

واللطف قد يتقدم الفعل بأوقات يسيرة يكون له معها تأثير فى نفس الملطوف له، ولا يجوز أن يتقدمه بأوقات كثيرة حتى لا يكون له معها فى نفسه تأثير، فكل توفيق لطف وليس كل لطف توفيقاً....

والعصمة هى اللطيفة التى يمتنع بها عن المعصية إختياراً، والصفة بمعصوم إذا أطلقت فهى صفة مدح وكذلك الموفق، فإذا أجرى على التقييد فلا مدح فيه، ولا يجوز أن يوصف غير الله بأنه يعصم.

ويقال عصمه من كذا ووقفه لكذا ولطف له فى كذا، فكل واحد من هذه الأفعال يعدى بحرف، وهاهنا يوجب أيضاً أن يكون بينهما فروق من غير هذا الوجه الذى ذكرناه، وشرح هذا يطول فتركته كراهة الإكثار. وأصولهما فى اللغة واشتقاقتهما أيضاً توجب فروقا من وجوه أخر فاعلم ذلك).

وفى مجمع البحرين: ١/٢٤١: (روى أن إبليس لعنه الله تمثل ليحى عليه السلام فقال له: أنصحك. قال: لا أريد ذلك ولكن أخبرنى عن بنى آدم. قال: هم عندنا على ثلاثة أصناف: صنف منهم وهم أشد الأصناف عندنا نقبل على أحد منهم نفتنه عن دينه ونتمكن منه ثم يفزع إلى الإستغفار والتوبة فلا نحن نأس منه ولا نحن ندرك حاجتنا فنحن معه فى عناء. وأما الصنف الآخر منهم فهم فى أيدينا كالكرة فى أيدي صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا، قد كفونا مؤنة أنفسهم! وأما الصنف الثالث فهم معصومون لا نقدر منهم على شئ).

وفى مجمع البحرين: ٣/٣٩٣: (وفى الحديث: ما اعتصم عبداً من عبادى بأحد من خلقى إلا قطعت أسباب السماوات من يديه وأسخت الأرض من تحته. قال بعض الشارحين: هاتان الفقرتان كناية عن الخيبة والخسران. وفيه: أعوذ بك من الذنوب التى تهتك العصم، وهى كما روى عن الصادق عليه السلام: شرب الخمر، واللعب بالقمار، وفعل ما يضحك الناس من المزاح واللهو، وذكر عيوب الناس، ومجالسة أهل الريب.

والمعصوم: الممتنع من جميع محارم الله، كما جاءت به الرواية.

وعن على بن الحسين عليه السلام الإمام منا لا يكون إلا معصوماً، وليست العصمة فى ظاهر الخلق فتعرف، قيل: فما معنى المعصوم؟

قال: المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن، لا يفترقان إلى يوم القيامة، والإمام يهدي إلى القرآن والقرآن يهدي إلى الإمام، وذلك قوله تعالى: (أن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم). وفي الدعاء إن عصمة أمرى كذا، أى وقايتى وحافظى من الشقاء المخلد. واعتصمت بالله: امتنعت به. وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: أربع من كن فيه كان فى نور الله الأعظم وعد، منها: من كان عصمة أمره شهادة أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله " أى ما يعصم من المهلك يوم القيامة. والمعنى: من كانت الشهادتان ويعنى بهما الإيمان، عصمة ووقاية له من المعاصى تحجزه وتمنعه من اقتراف سخط الله وسخط رسوله. ومنه قول أبى طالب: ثمال اليتامى عصمة للأرامل، أى حفظ لهم ووقاية يمنعهم من الضياع والحاجة).

وفى نهج البلاغة: ٢/٤٩: (وعليكم بكتاب الله، فإنه الحبل المتين والنور المبين، والشفاء النافع، والرى الناقع والعصمة للمتمسك والنجاة للمتعلق، لا يعوج فيقام، ولا يزيغ فيستعجب، ولا تخلقه كثرة الرد، وولوج السمع).

وفى نهج البلاغة: ٢/٢٣: (وإنما ينبغى لأهل العصمة والمصنوع إليهم فى السلامة أن يرحموا أهل الذنوب والمعصية، ويكون الشكر هو الغالب عليهم والحاجز لهم عنهم، فكيف بالعائب الذى عاب أحاً وغيره بلواه...).

وفى الصحيفة السجادية ص ٩٠: (اللهم صل على محمد وآله، وقنى من المعاصى، واستعملنى بالطاعة، وارزقنى حسن الانابة، وطهرنى بالتوبة، وأيدنى بالعصمة، واستصلحنى بالعافية، وأذقنى حلاوة المغفرة). انتهى.

وقد تقدم قول الإمام الصادق عليه السلام فى تعريف المعصوم: (المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله، وقال الله تبارك وتعالى: وَمَنْ يَعْصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ). (معانى الأخبار: ص ١٣٢).

وفى الصراط المستقيم: ١/١١٦: قالوا: معصوم إسم مفعول، فيكون مجبوراً على ترك العصيان فى كل آن ولا فخر فى ذلك على إنسان. قلنا: العصمة الملجئة من الله إنما هى من الغلط والنسيان وأما العصمة التى لا يقع منها عصيان فهى لطف يفعله الله، لا يوجب الإجمار، بل يجامع الإختيار، والإنسان يعلم أنه يترك ذنباً بحسب اختياره فالمعصوم يترك الجميع كذلك).

من تعريفات المتكلمين للعصمة

قال المفيد رحمه الله فى النكت الإعتقادية ص ٤٥: (فإن قيل: ما حدُّ العصمة؟

الجواب: العصمة لطف يفعله الله بالمكلف، بحيث يمنع منه وقوع المعصية وترك الطاعة، مع قدرته عليهما).

وقال فى تصحيح الإعتقاد ص ١٢٨: (العصمة من الله تعالى لحججه هى التوفيق واللطف، واعتصام من الحجج بها عن الذنوب، والغلط فى دين الله تعالى).

وقال فى أوائل المقالات ص ١٦٤: (العصمة فى موضوع اللغة هى: المنع، وقد نُصت فى اصطلاح المتكلمين بمن يمتنع باختياره عن فعل الذنوب والقبايح عند اللطف الذى يحصل من الله تعالى فى حقه).

وعرفه صاحب كتاب (الياقوت) من قدماء الإمامية بأنه: لطف يمتنع به عن فعل المعصية، ولا يمنعه على وجه القهر، أى إنه لا يكون له حينئذ داع إلى فعل المعصية وترك الطاعة، مع قدرته عليهما). انتهى.

وقال الشريف المرتضى رحمه الله فى رسائله: ٣/٣٢٦: (إعلم أن العصمة هى اللطف الذى يفعله تعالى، فيختار العبد عنده الإمتناع من فعل القبيح، فيقال على هذا إن الله عصمه بأن فعل له ما اختار عنده العدول عن القبيح، ويقال إن العبد معتصم، لأنه أختار عند هذا الداعى الذى فعل الإمتناع عن القبيح). انتهى.

قاعدة اللطف الإلهى التى استدل بها علماؤنا على العصمة

قاعدة اللطف عقلياً و شرعية

معنى قاعدة اللطف: أن العقل يحكم بأن الله تعالى لم ولن يترك عباده سدى، فلا بد أن يُلطف بهم فيبعث فيهم أنبياء ويجعل لهم أوصياء، ويكون له على الأرض حجة في كل عصر، وأن يكون هذا الحجة هادياً مهدياً معصوماً.

وقد ورد هذا المعنى صريحاً وضمناً، في آيات وروايات عديدة، منها قوله تعالى: **أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى**. (القيامة: ٣٦). وقوله تعالى: **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**. (المؤمنون: ١١٥).

وفى الكافي: ١/١٦٩: (على بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن إبراهيم، عن يونس بن يعقوب قال: كان عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة من أصحابه منهم حمران بن أعين، ومحمد بن النعمان، وهشام ابن سالم، والطيار، وجماعة فيهم هشام بن الحكم وهو شاب فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا هشام ألا تخبرني كيف صنعت بعمر بن عبيد وكيف سألته؟ فقال هشام: يا ابن رسول الله إنى اجلك وأستحييك ولا- يعمل لسانى بين يديك، فقال أبو عبد الله: إذا أمرتكم بشئ فافعلوا. قال هشام: بلغنى ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه فى مسجد البصرة فعظم ذلك على فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة فأتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد وعليه شملة سوداء مترر بها من صوف، وشملة مرتد بها والناس يسألونه، فاستفرجت الناس فأفرجوا لى، ثم قعدت فى آخر القوم على ركبتي ثم قلت: أيها العالم إنى رجل غريب تأذن لى فى مسألة؟ فقال لى: نعم، فقلت له: ألك عين؟ فقال يا بنى أئى شئ هذا من السؤال؟ وشئ تراه كيف تسأل عنه؟ فقلت هكذا مسألتى فقال يا بنى سل وإن كانت مسألتك حمقاء! قلت: أجبني فيه قال لى سل: قلت ألك عين؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أرى بها الألوان والأشخاص، قلت: فلك أنف؟ قال: نعم قلت: فما تصنع به؟ قال: أشم به الرائحة قلت: ألك فم؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أذوق به الطعم، قلت: فلك إذن؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الصوت، قلت: ألك قلب؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أميز به كلما ورد على هذه الجوارح والحواس. قلت: أوليس فى هذه الجوارح غنى عن القلب؟ فقال: لا، قلت: وكيف ذلك وهى صحيحة سليمة، قال: يا بنى إن الجوارح إذا شكت فى شئ شمته أو رأته أو ذاقته أو سمعته، ردتة إلى القلب فيستيقن اليقين ويبطل الشك.

قال هشام: فقلت له: فإنما أقام الله القلب لشك الجوارح؟ قال: نعم، قلت: لا بد من القلب وإلا لم تستيقن الجوارح؟ قال: نعم. فقلت له: يا أبا مروان فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماماً يصحح لها الصحيح ويتيقن به ما شك فيه ويترك هذا الخلق كلهم فى حيرتهم وشكهم واختلافهم، لا يقيم لهم إماماً يردون إليه شكهم وحيرتهم، ويقيم لك إماماً لجوارحك ترد إليه حيرتك وشكك؟! قال: فسكت ولم يقل لى شيئاً! ثم التفت إلى فقال لى: أنت هشام بن الحكم؟ فقلت: لا، قال: أمن جلسائه؟ قلت: لا، قال: فمن أين أنت؟ قال: قلت: من أهل الكوفة قال: فأنت إذا هو، ثم ضمنى إليه، وأقعدنى فى مجلسه وزال عن مجلسه وما نطق حتى قمت.

قال: فضحك أبو عبد الله عليه السلام وقال: يا هشام من علمك هذا؟ قلت: شئ أخذته منك وألفته، فقال: هذا والله مكتوب فى صحف إبراهيم وموسى). انتهى.

ومعنى كون اللطف قاعدة عقلية: أن العقل يدرك بقطع النظر عن نصوص الدين أنه يستحيل على العليم الحكيم القدير عز وجل، أن يترك مخلوقاته بدون هداية بل إن من أفعال الله الثابتة، بمقتضى صفاته، أنه يُلطف بعباده فيبعث الأنبياء والأوصياء لهدايتهم، وهذا معنى قولهم: يجب اللطف على الله تعالى. وتعبيرهم وإن كان ثقیلاً وكأنه يفرض شيئاً على الله تعالى، لكنه يعنى أن ذلك مما يدركه العقل من قوانين فعله تعالى.

ومعنى كونها قاعدة شرعية: أن القرآن والسنة يدلان على أن الله لطيف بعباده، فلا يتركهم بدون أنبياء وهداية، كما نبهت إلى ذلك آيات القرآن، وأحاديث النبى وأهل بيته صلى الله عليه وآله، وبينت حدودها وتفصيلها التى لا يدرکها العقل وحده.

وينبغى الإلفات إلى أن الشرع قد ينه العقل البشرى إلى بعض الأمور المركوزة فيه فيصل إليها، فتكون من المدركات العقلية ولا يضر بذلك أن الشرع ألفتها إليها وأثار فيه كامنها. وقد قلنا فى العقائد الإسلامية: ١/٢٦: (سمى الله عز وجل القرآن الكريم: الذكر، ووصف

عمل النبي صلى الله عليه وآله بأنه تذكير، واستعمل مادة التذكير في القرآن للتذكير بالله تعالى، والتذكير باليوم الآخر، والتذكير بالفطرة والميثاق.

ووصف أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله عمل الأنبياء عليهم السلام بأنه مطالبه الناس بالإنسجام مع ميثاق الفطرة، فقال عليه السلام في خطبة طويلة في نهج البلاغة: ١/٢٣، يذكر فيها خلق آدم عليه السلام وصفته: (فأهبته إلى دار البلية، وتنازل الذرية. اصطفى سبحانه من ولده أنبياء، أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم، لما بدل أكثر خلقه عهد الله إليهم فجهلوا حقه واتخذوا الأنداد معه، واجتالتهم الشياطين عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته، فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسى نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويشيروا لهم دفائن العقول، ويروهم آيات المقدره من سقف فوقهم مرفوع...). انتهى.

وعلى هذا يمكن أن نعتبر قاعدة اللطف عقلية، لأن العقل البشري يدرك بقطع النظر عن الدين، أن هذا الخالق العظيم سبحانه لا يمكن أن يترك خلقه سدى، بل يجب بمقتضى حكمته أن يعرفهم ما يريد منهم لتحقيق هدفه السامى فيهم. وقد ذكر أبو الفتح الكراچكى رحمه الله فى كثر الفوائد ص ١٩٥ أن لأفلاطون كتاباً إسمه (كتاب اللطف) ونقل عنه قوله: (نقل الطبع عسير الإنتراع)، وقد يكون موضوع الكتاب اللطف الإنسانى، ولكنه على أى حال من جو اللطف الإلهى.

اللطف الإلهى فى القرآن

ورد هذا الإسم المقدس فى القرآن فى سبعة مواضع، تشمل لطف ذاته المقدسه، وأنواع أطفاه بمخلوقاته:

١- لطف الذات الإلهية

قال الله تعالى: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ. (الأنعام: ١٠٣).

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أن الله تعالى لطيف لكن لا يوصف باللطف، ومعناه أن ذاته تعالى من غير نوع المادة والمخلوقات، لكن لا يوصف باللطف حتى لاستصور أن ذاته المقدسه مادة شفافة!

ففى التوحيد للصدوق ٣٠٥، من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام: (ثم قال: سلونى قبل أن تفقدونى، فوالله الذى فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتمونى عن آية آية فى ليل أنزلت أو فى نهار أنزلت، مكيبها ومدنيها، سفيها وحضريها، ناسخها ومنسوخها، محكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها لأخبرتكم!

فقام إليه رجل يقال له ذعلب وكان ذرب اللسان بليغاً فى الخطب، شجاع القلب فقال: لقد ارتقى ابن أبى طالب مرقة صعبة، لأخجلنه اليوم لكم فى مسألتى إياه فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك؟

قال: ويلك يا ذعلب لم أكن بالذى أعبد ربه لم أره، قال: فكيف رأيت صفه لنا؟ قال: ويلك لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، ويلك يا ذعلب إن ربي لا يوصف بالبعد، ولا بالحركة، ولا بالسكون، ولا بالقيام قيام انتصاب، ولا بجيئه ولا بذهاب، لطيف اللطافة لا يوصف باللطف، عظيم العظمة لا يوصف بالعظم، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ، رؤوف الرحمة لا يوصف بالرقه، مؤمن لا بعبادة، مدرك لا بمجسه، قائل لا باللفظ، هو فى الأشياء على غير ممازجه، خارج منها على غير مبيئه، فوق كل شىء فلا يقال شىء فوقه، وإمام كل شىء فلا يقال له إمام، داخل فى الأشياء لا كشىء فى شىء داخل، وخارج منها لا كشىء من شىء خارج! فخر ذعلب مغشياً عليه، ثم قال: تالله ما سمعت بمثل هذا الجواب، والله لا عدت إلى مثلها). انتهى.

٢- لطفه فى إدارة الطبيعه

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ. (الحج: ٦٣)

٣- لطفه فى التخطيط لأنبيائه عليهم السلام وعباده المؤمنين

وَرَفَعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنْ

- السَّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. (يوسف: ١٠٠)
- ٤- لطفه في إدارة أرزاق عباده
اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ. (الشورى: ١٩).
- ٥- لطفه في مراقبة عمل نساء النبي صلى الله عليه وآله والناس
وَإِذْ كُذِّبَتْ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا. (الأحزاب: ٣٤).
- ٦- لطفه في الإطلاع على خفايا خلقه
وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ. أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ. (الملك: ١٣-١٤).
- ٧- لطفه في الحساب يوم القيامة
يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ. (لقمان: ١٦).
- وفي التوحيد للصدوق ص ٢١٧: (اللطيف معناه أنه لطيف بعباده، فهو لطيف بهم بار بهم، منعم عليهم. واللفظ البر والتكرمة يقال: فلأن لطيف بالناس بار بهم يبرهم ويلطفهم إطفافاً. ومعنى ثان: أنه لطيف في تدبيره وفعله يقال: فلأن لطيف العمل، وقد روى في الخبر أن معنى اللطيف هو أنه الخالق للخلق اللطيف كما أنه سمي العظيم لأنه الخالق للخلق العظيم). انتهى.
- وفي كل واحدة من هذه الآيات بحث مفصل لا يتسع له المجال.

اللفظ في أحاديث النبي وآله

في الكافي: ١/١٥٩: أن رجلاً سأل الإمام الصادق عليه السلام (أجبر الله العباد على المعاصي؟ قال: لا، قلت: ففوض إليهم الأمر؟ قال: لا، قال: قلت فماذا؟ قال: لطف من ربك بين ذلك).

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/١١٣: (عن عبد العظيم بن عبد الله الحسن بن عبد الله الحسني رضي الله عنه عن إبراهيم بن أبي محمود قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله تعالى: وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ. (البقرة: ١٧) فقال: إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بالترك كما يوصف خلقه، ولكنه متى علم أنهم لا يرجعون عن الكفر والضلال منعهم المعاونة واللفظ، وخلي بينهم وبين اختيارهم). انتهى.

وفي المقنع ٣٣٩، من دعاء كل يوم من شهر رمضان: (وكذلك نسبت نفسك يا سيدي باللفظ، بلى إنك لطيف فصل على محمد وآله، والطف لما تشاء). انتهى.

وفي الكافي: ١/١٢٠، عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: (إعلم علمك الله الخير أن الله تبارك وتعالى قديم، والقدم صفته التي دلت العاقل على أنه لا شيء قبله ولا شيء معه في ديموميته، فقد بان لنا بإقرار العامة معجزة الصفه أنه لا شيء قبل الله، ولا شيء مع الله في بقائه، وبطل قول من زعم أنه كان قبله أو كان معه شيء، وذلك أنه لو كان معه شيء في بقائه لم يجوز أن يكون خالقاً له، لأنه لم يزل معه، فكيف يكون خالقاً لمن لم يزل معه! ولو كان قبله شيء كان الأول ذلك الشيء لا هذا، وكان الأول أولى بأن يكون خالقاً للأول.

ثم وصف نفسه تبارك وتعالى بأسماء دعا الخلق إذ خلقهم وتعبدتهم وابتلاهم إلى أن يدعوه بها فسمى نفسه سميعاً، بصيراً، قادراً، قائماً، ناطقاً، ظاهراً، باطناً، لطيفاً خبيراً، قوياً، عزيزاً، حكيماً، عليمماً، وما أشبه هذه الأسماء. فلما رأى ذلك من أسمائه القالون المكذبون، وقد سمعونا نحدث عن الله أنه لا شيء مثله ولا شيء من الخلق في حاله، قالوا: أخبرونا إذا زعمتم أنه لا مثل لله ولا شبه له، كيف شاركتموه في أسمائه الحسنى فتسميتهم بجمعها! فإن في ذلك دليلاً على أنكم مثله في حالاته كلها أو في بعضها دون بعض، إذ جمعتم الأسماء الطيبة!

قيل لهم: إن الله تبارك وتعالى ألزم العباد أسماء من أسمائه على اختلاف المعاني وذلك كما يجمع الاسم الواحد معنيين مختلفين.

والدليل على ذلك قول الناس الجائر عندهم الشائع، وهو الذى خاطب الله به الخلق فكلمهم بما يعقلون، ليكون عليهم حجة فى تضييع ما ضيعوا، فقد يقال للرجل: كلب وحمار وثور وسكرة وعلقمه وأسد! كل ذلك على خلافه وحالاته. لم تقع الأسمى على معانيها التى كانت بنيت عليها، لأن الإنسان ليس بأسد ولا كلب، فافهم ذلك رحمك الله.

وإنما سمي الله تعالى بالعلم، بغير علم حادث علم به الأشياء استعان به على حفظ ما يستقبل من أمره، والروية فيما يخلق من خلقه، ويفسد ما مضى مما أفنى من خلقه، مما لو لم يحضره ذلك العلم ويغييه كان جاهلاً ضعيفاً، كما أنا لو رأينا علماء الخلق إنما سموا بالعلم لعلم حادث إذ كانوا فيه جهلة، وربما فارقهم العلم بالأشياء فعادوا إلى الجهل. وإنما سمي الله عالماً لأنه لا يجهل شيئاً، فقد جمع الخالق والخلق إسم العالم واختلف المعنى على ما رأيت.

وسمي ربنا سميعاً لا- بخرت فيه يسمع به الصوت ولا- يبصر به، (الخزت: ثقب الإبرة والأذن والعين ونحوها وجمعه خروت العين: ١/٢٣٦) كما أن خرتنا الذى به نسمع لا نقوى سبه على البصر، ولكنه أخبر أنه لا يخفى عليه شئ من الأصوات، ليس على حد ما سمينا نحن، فقد جمعنا الإسم بالسمع واختلف المعنى.

وهكذا البصر لا بخرت منه أبصر، كما أنا نبصر بخرت منا لا نتفخ به فى غيره ولكن الله بصير لا يحتمل شخصاً منظوراً إليه، فقد جمعنا الإسم واختلف المعنى. وهو قائم ليس على معنى انتصاب وقيام على ساق فى كبد كما قامت الأشياء ولكن قائم يخبر أنه حافظ كقول الرجل: القائم بأمرنا فلان، والله هو القائم على كل نفس بما كسبت، والقائم أيضاً فى كلام الناس: الباقي والقائم أيضاً يخبر عن الكفاية كقولك للرجل: قم بأمر بنى فلان، أى أكفهم، والقائم منا قائم على ساق، فقد جمعنا الإسم ولم نجتمع المعنى.

وأما اللطيف فليس على قلبه وضالته وصغره، ولكن ذلك على النفاذ فى الأشياء والامتناع من أن يدرك، كقولك للرجل: لطف عنى هذا الأمر ولطف فلان فى مذهبه وقوله: يخبرك أنه غمض فيه العقل وفات الطلب وعاد متعمقا متلطفاً لا يدركه الوهم فكذلك لطف الله تبارك وتعالى عن أن يدرك بحد أو يحد بوصف. واللطافة منا الصغر والقله، فقد جمعنا الإسم واختلف المعنى). انتهى.

من كلمات علمائنا فى قاعدة اللطف

قال المفيد عليهم السلام فى النكت الإعتقادية ص ٣٥: (فإن قيل: ما الدليل على أن نصب الأنبياء والرسول واجب فى الحكمة؟ فالجواب: الدليل على ذلك أنه لطف واللفظ واجب فى الحكمة فنصب الأنبياء والرسول واجب فى الحكمة. فإن قيل: ما حد اللطف؟ فالجواب: اللطف هو ما يقرب المكلف معه من الطاعة ويبعد عن المعصية ولا حظ له فى التمكين ولم يبلغ الإلجاء.

فإن قيل: ما الدليل على أن اللطف واجب فى الحكمة؟ فالجواب: الدليل على وجوبه توقف غرض المكلف عليه فىكون واجباً فى الحكمة وهو المطلوب.

فإن قيل: من نبي هذه الأمة؟ فالجواب: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف صلى الله عليه وآله. فإن قيل: ما الدليل على نبوته؟

فالجواب: الدليل على ذلك أنه ادعى النبوة وظهر المعجز على يده وكل من ادعى النبوة وظهر المعجز على يده فهو نبي حقاً. انتهى.

وقال فى ص ٣٩: فإن قيل: ما الدليل على أن الإمامة واجبة فى الحكمة؟

فالجواب: الدليل على ذلك أنها لطف واللفظ واجب فى الحكمة على الله تعالى فالإمامة واجبة فى الحكمة.

وقال فى ص ١٦١: (عرف المتكلمون اللطف بما أفاد هيئته مقربة إلى الطاعة ومبعدة عن المعصية بحيث لم يكن له حظ فى التمكين ولا يبلغ حد الإلجاء.....

والقول بوجوب اللطف يختص به العدلية من المعتزلة والإمامية والزيدية ويخالفهم فيه الأشعرية، وقد نسب الخلاف فيه أيضاً إلى بشر

بن المعتمر من قدماء المعتزلة وإن حكى رجوعه عن ذلك أخيراً بعد مناظرة سائر المعتزلة إياه، لكن تعليل المعتزلة بوجوبه من جهة أنهم أوجبوه من جهة العدل وأن الله تعالى لو فعل خلافه لكان ظالماً، والإمامية إنما أوجبوه من جهة الجود والكرم وأنه تعالى لما كان متصفاً بهاتين الصفتين اقتضى ذلك أن يجعل للمكلفين ما دام هم على ذلك الحال أصلح الأشياء لهم، وأن لا يمنعهم صلاحاً ولا نفعاً). انتهى.

لكن يبدو أن المحقق الحلي رحمه الله يقول به من باب العدل وليس من باب الكرم، فقد قال في المسلك في أصول الدين ص ٣٠١: (ومن الواجب في الحكمة اللطف للمكلفين، وهو أن يفعل معهم كل ما يعلم أنه محرك لدواعيهم إلى الطاعة، لأنه لو لم يفعل ذلك لكان ناقضاً لغرضه، إذ لا مشقة عليه في فعله، وهو مفضل إلى غرضه). انتهى.

وقال الشريف المرتضى رحمه الله في الشافي: ١/٣٩: (والنبوة طريق وجوبها أيضاً اللطف لم يجب عندهم أن تكون المعرفة نبوة، ولا النبوة معرفة لاستبداد كل واحدة منهما بصفة لا يشرکہا فيها الأخرى، والنبى لم يكن عندنا نبياً لاختصاصه بالصفات التي يشرك فيها الإمام بل لاختصاصه بالأداء عن الله تعالى بغير واسطة، أو بواسطة هو الملك، وهذه مزية بينة).

وقال الشيخ الطوسي رحمه الله في الإقتصاد ص ٧٧: (وأما الكلام في اللطف فيحتاج أن نبين أولاً ما اللطف وما حقيقته. واللطف في عرف المتكلمين: عبارة عما يدعو إلى فعل واجب أو يصرف عن قبيح، وهو على ضربين: أحدهما أن يقع عنده الواجب ولولاه لم يقع فيسمى توفيقاً، والآخر ما يكون عنده أقرب إلى فعل الواجب أو ترك القبيح.....

واللطف على ثلاثة أقسام: أحدها من فعل الله تعالى، والثاني من فعل من هو لطف له، والثالث من فعل غيرهما. فما هو من فعل الله تعالى على ضربين: أحدهما يقع بعد التكليف للفعل الذي هو لطف له فيوصف بأنه واجب، والثاني ما يقع مع التكليف للفعل الذي هو لطف فيه فلا- يوصف بأنه واجب، لأن التكليف ما أوجبه ولم يتقدم له سبب وجوب، لكن لا بد أن يفعل به لأنه كالوجه في حسن التكليف.

وأما ما كان من فعل المكلف فهو تابع لما هو لطف فيه، فإن كان واجباً فاللطف واجب وإن كان لطفاً في فعل نفل فهو نفل. وإذا كان اللطف من فعل غيرهما فلا- بد من أن يكون المعلوم من حاله أنه يفعل ذلك الفعل على الوجه الذي هو لطف في الوقت الذي هو لطف فيه، ومتى لم يعلم ذلك لم يحسن التكليف الذي هذا الفعل لطف فيه.

هذا إذا لم يكن له بدل من فعل الله يقوم مقامه، فإن كان له بدل من فعل الله تعالى جاز التكليف لذلك الفعل إذا فعل الله تعالى ما يقوم مقامه).

وقال ابن البراج الطرابلسي رحمه الله في جواهر الفقه ص ٢٤٧: (اللطف على الله واجب، لأنه خلق الخلق، وجعل فيهم الشهوة، فلو لم يفعل اللطف لزم الإغراء، وذلك قبيح، والله لا يفعل القبيح، فاللطف هو نصب الأدلة، وإكمال العقل، وإرسال الرسل في زمانهم، وبعد انقطاعهم إبقاء الإمام، لئلا ينقطع خيط غرضه).

وقال المحقق الحلي رحمه الله في المسلك: ص ١٠١: (وهل يجب على البارئ سبحانه فعل اللطف أم لا؟ الأكثرون يقولون بوجوبه، واحتجوا على ذلك بوجوه:

أحدها: أن اللطف مفضل إلى غرض المكلف، وليس فيه وجه من وجوه القبح ولا يؤدي إلى ما لا نهاية له، وكل ما كان كذلك فهو واجب في الحكمة.

أما أنه مفضل إلى غرض المكلف، فلأننا نتكلم على هذا التقدير، وأما أنه ليس فيه وجه من وجوه القبح، فلأن وجوه القبح مضبوطة، وليس فيه شيء منها.

وأما أن كل ما كان كذلك كان واجباً في الحكمة، فلأن داعي الحكمة متعلق به، والصوارف منتفية عنها، وكل ما تعلق به الداعي وانتفى الصارف عنه، فإنه يجب أن يفعل.

الوجه الثاني: لو لم يفعل البارئ سبحانه وتعالى اللطف على هذا التقدير، لكان ناقضاً لغرضه، ونقض الغرض قبيح. بيان أنه يكون ناقضاً لغرضه، أن من دعا غيره إلى طعام له وعلم أنه يحضر إن أرسل رسولاً إليه لا غضاضة عليه في إرساله، ولم يرسل رسوله، فإنه يكون غير مرید لحضوره، والعلم بذلك ظاهر.

الوجه الثالث: لو لم يجب فعل اللطف، لكان البارئ مخللاً بما يجب عليه في الحكمة، إذ لا فرق بين منع اللطف وعدم التمكين. احتج المخالف بأنه: لو وجب اللطف لوجب أن يفعل بالكافر.

والجواب: لا نسلم أن للكافر لطفاً. وتحقيق ذلك أن اللطف هو ما يعلم المكلف أن المكلف يطيع عنده، أو يكون أقرب إلى الطاعة، مع تمكنه في الحالين، والكافر قد لا يكون له لطف يحركه إلى فعل الطاعة. ويجرى هذا مجرى رجل له ثلاثة أولاد، أحدهم يطيعه بالإكرام، والآخر بالإهانة، والثالث لا يؤثر فيه أحد الأمرين، فلا يكون لذلك لطف، فالكافر الذي لا يطيع يجرى مجرى الثالث). انتهى.

رد الفقهاء للإستدلال بقاعدة اللطف في الفقه

رأينا أن أصل قاعدة اللطف الإلهي ثابتٌ بحكم العقل والكتاب والسنة، وأن موردها بعثة الأنبياء ونصب الأوصياء عليهم السلام وعصمتهم.

وقد توسع فيها بعض علمائنا فاستعملوها في حجية خبر الواحد (رسائل المرتضى: ١/٧٤). وفي حجية الإجماع (فرائد الأصول: ١/١٨٨، ومنية الطالب: ٢/٣٣٧ ومصباح الفقاهة للخوئي: ٢/١٧٠، و: ٥/٦٤٥).

وفي نفى الحرج في الأحكام: (هداية المسترشدين: ٢/٧٣٧، وعوائد: ١٩٦).

وفي وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: (جواهر الكلام: ٢١/٣٥٨ ومصباح الفقاهة للسيد الخوئي: ١/٢٩٨).

وفي وجوب القضاء بين الناس (جواهر الكلام: ٤٠/١٠، والقضاء للسيد الكلبيكاني: ١/١٤)، وغيرها.

وفي كل هذه الموارد رد العلماء الإستدلال بها إلا نادراً، مثل أصل القضاء كما هو عند السيد الكلبيكاني، وعدم خلو الواقعة من حكم كما عند الشهيد الصدر (دروس في علم الأصول: ١/١٤٨).

وقد توسع بعضهم في ردها حتى لحق الحيف بأصل قاعدة اللطف، وتحامل بعضهم عليها وكأنها من مبتدعات الشيخ الطوسي رحمه الله، مع أن أستاذه المرتضى استدلل بها، وأستاذهما المفيد، وغيرهم، رحمهم الله.

نعم يصح القول إن الشيخ الطوسي أكثر فقهاءنا استدلالاً بقاعدة اللطف في الفقه والتفسير، كما نلاحظ ذلك في مبسوطه وتبيانه رحمه الله.

وقد نبه السيد الخوئي رحمه الله الى ضرورة أن لا يسبب الهجوم على موارد القاعدة في الفقه مساساً بها في العقائد، فقال في أجود التقريرات: ٢/٣٧:

(الجهة الثانية في بيان أن العقل هل يدرك الحسن والقبح بعد الفراغ عن إثبات أنفسهما أم لا؟ والتحقيق أن يقال إن العقل وإن لم يكن له إدراك جميع المصالح والمفاسد، إلا أن إنكار إدراكه لهما في الجملة وبنحو الموجبة الجزئية منافي للضرورة أيضاً، ولولا ذلك لما ثبت أصل الديانة، ولزم إفحام الأنبياء عليهم السلام! إذ إثبات النبوة العامة فرع إدراك العقل لقاعدة وجوب اللطف، كما أن إثبات النبوة الخاصة بظهور المعجزة على يد مدعيها فرع إدراك العقل قبح إظهار المعجزة على يد الكاذب، ومع إنكار إدراك العقل للحسن والقبح بنحو السالبة الكلية، كيف يمكن إثبات أصل الشريعة فضلاً عن فروعه). انتهى.

وكلامه رحمه الله واضح في أنه لا يقبل قاعدة اللطف في الفقه، ولكنه يقبلها في العقائد، غير أن موقفهم العام منها في الفقه يبقى أكثر تأثيراً على الفقيه، ولذا قال السيد الخوئي رحمه الله في جواب سؤال كما في صراط النجاة: ٢/٤٤٥:

(سؤال ١٤٠٣: قاعدة اللطف التي ناقشتموها في الأصول صغرى وكبرى، على ما في مصباح الأصول، في مناقشتكم لشيخ الطائفة التي

استدل بها جمع من أصحابنا على وجوب الإمامة، لأنها من صغرياتنا، هل يمكن الاستدلال على هذه الكبرى، بما دل من القرآن الكريم على أنه لطيف بعباده، فتكون الإمامة من صغريات ما دلت على الكبرى المستفادة من الكتاب العزيز، أم أن اللطف المشار إليه في القرآن الكريم غير اللطف المصطلح الذي تكون مسألة وجوب الإمامة من صغرياتنا؟
الخوئي: نعم هو كما كتب، لا يدل على صحة الاستدلال بالقاعدة إن تمت القاعدة، ولا دلالة للآية الشريفة في أدلة الأحكام كما زعم). انتهى.

ولعل أهم إشكالاتهم على تطبيقات قاعدة اللطف في الفقه أن اللطف الواجب على الله تعالى، إنما هو اللطف الواقعي وليس ما نتصوره لطفًا!
ثم إن اللطف الواجب هو اللطف التي تمت مقتضياته وفقدت موانعه، ولا- علم لنا بتحقيق ذلك، بعكس الأمر في أصل النبوة والإمامة والعصمة. (راجع هداية المسترشدين للشيخ محمد تقي الرازي: ٢/٣٣٧).

ضرر الإغراق في التأصيل بقاعدة اللطف

كان الطابع العام لخطاب علماء المسلمين سنة وشيعة الاستدلال (بالنقل)، أي بنصوص الكتاب والسنة، إلى أن ظهر في مطلع القرن الثالث الأسلوب الكلامي الفلسفي، بسبب اتساع ترجمة الكتب اليونانية، خاصة في عهد الرشيد والمأمون، فأخذ علماء السنة يستعملونه في خطابهم، ويكتبون فيه مؤلفاتهم، في الكلام والفقه والتفسير!
وقد بقي علماء الشيعة متمسكين في تأليفهم وخطابهم بالأسلوب التقليدي فحفظوا مؤلفاتهم وخطابهم لقرنين بعيدة عن التأثر بالأسلوب الفلسفي اليوناني.

لكن بحلول القرن الخامس حدثت ثلاثة تطورات على أسلوب علماء الشيعة:
الأول، ظهر على يد المفيد رحمه الله الذي كان يعيش في العاصمة بغداد، حيث رأى أن اللازم أن يكتب علماء الشيعة بأسلوب العصر، ويردوا الشبهات عن المذهب بنفس أسلوبها الذي كتبها فيه علماء السنة في عصره وقبلهم!
من هنا اتجه هو وتلاميذه الكبار كالسيد المرتضى والشيخ الطوسي رحمهم الله إلى التأصيل بلغة عصرهم، وكان رحمه الله ينتقد من قبله بأنهم اقتصروا على النقل فقلدوا ولم يتعمقوا ولم يجهدوا!

قال عن الشيخ الصدوق رحمه الله في مسألة الإرادة والمشية: (قال الشيخ أبو جعفر رحمه الله: نقول: شاء الله وأراد، ولم يحب ولم يرض، و شاء عز اسمه ألا يكون شيء إلا بعلمه، وأراد مثل ذلك).

فعلق عليه المفيد رحمه الله بقوله: الذي ذكره الشيخ أبو جعفر رحمه الله في هذا الباب لا يتحصل، ومعانيه تختلف وتتناقض، والسبب في ذلك أنه عمل على ظواهر الأحاديث المختلفة ولم يكن ممن يرى النظر فيميز بين الحق منها والباطل، ويعمل على ما يوجب الحجج، ومن عول في مذهبه على الأقاويل المختلفة وتقليد الرواة كانت حاله في الضعف ما وصفناه. والحق في ذلك: أن الله تعالى لا يريد) (تصحيح اعتقادات الإمامية ص ٤٨).

وقد اشتبه الأمر على المفيد رحمه الله فإن الصدوق رحمه الله لم يقل ذلك تقليدًا، بل عمل بأحاديث غفل عنها المفيد، وهي تجعل الإرادة الإلهية أنواعاً منها الإرادة بمعنى السماح التكويني، وهذا معنى أنه لا يكون شيء في الكون إلا بإرادة.

ففي الكافي: ١/١٥٠: (عن أبي بصير قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: شاء وأراد وقدر وقضى؟ قال: نعم، قلت: وأحب؟ قال: لا، قلت: وكيف شاء وأراد وقدر وقضى ولم يحب؟ قال: هكذا خرج إلينا). (راجع: تعليق الطباطبائي على الحديث، والكافي: ١/١٥٧، والمحاسن للبرقي: ١/٢٤٤، والحدائق الناضرة: ١٣/٤٥٢، وتفسير الميزان: ١٣/٧٤ و: ١٩/٩٠).

فالملاحظة الأولى على المتجددين، أن التقليديين أكثر إحاطة منهم بأحاديث النبي وأهل البيت عليهم السلام، وهذا ما ينبغي ملاحظته

عند إشكالاتهم عليهم.

والملاحظة الثانية، أن المتجددين مع جهدهم المشكور في التأصيل، واستعمالهم لغة الخطاب العصرية، إلا أنهم قد يبالغون في الإتماد على ما أصلوه، ثم يكررونه حتى يتخيل المخالف أن هذا كل دليلهم في المسألة!

وهذا ما حدث في قاعدة اللطف حيث تراها في مؤلفات المفيد وتلاميذه رحمه الله،

أبرز ما استدلووا به على بعثة الأنبياء والأوصياء وعصمتهم عليهم السلام، حتى جاء بعدهم الفخر الرازي فتخيل أنه إن رد قاعدة اللطف فقد رد مذهب الشيعة بكامله!

قال في المحصول ص ١٢٤: (فهذا ما على هذه الطريقة من الاعتراضات ومن أحاط بها تمكن من القدح في جميع مذاهب الشيعة أصولاً وفروعاً، لأن أصولهم في الإمامة مبنية على هذه القاعدة، ومذاهبهم في فروع الشريعة مبنية على التمسك بهذا الإجماع. والله أعلم) انتهى.

طبعاً نحن لانصدق ما زعمه الفخر الرازي، وقد ظهر شكه هو في تعميمه بقوله (والله أعلم)، لكنه قرأ للسيد المرتضى والشيخ المفيد فوجد قاعدة اللطف محور استدلالهم على الإمامة والعصمة، فدبج صفحات في مناقشتها دون أن يسميها، وطمع في أن يصدق القارئ كلامه هذا.

ولو وجد أن المحور في استدلالهم الآيات والأحاديث كآية التطهير وحديث الثقلين وحديث علي مع القرآن والقرآن مع علي، والعشرات من أمثالها، وأن قاعدة اللطف ليست إلا تأصيلاً عقلياً مكماً للدليل، لما طمع بذلك!

والنتيجة: أن قاعدة اللطف قاعدة عقلية، يدرك أصلها العقل ويقطع به، لكنه لا يدرك تفاصيلها، ولذلك لا بد من الإقتصار في الإستدلال على القدر المتيقن منها، وعدم تجاوزه إلى الإستحسانات والإحتمالات.

أما ما دل عليه القرآن والسنة من أصلها أو تفاصيلها، فيرتقى عن كونه استحساناً واحتمالاً عقلياً، ويكون حياً من خالق العقل سبحانه. أما التطور الثاني، على أسلوب علماء الشيعة، فهو تأثير احتكاكهم بثقافة الروم عن طريق علماء حلب، والذي ورثه علماء جبل عامل بشكل خاص.

والتطور الثالث، تأثير الفلسفة اليونانية بعد أن اجتهد فيها المسلمون وحاولوا إخضاعها لثقافة الإسلام، واستعملوا أسلوبها في خطابهم ومؤلفاتهم، واتجاهاتهم العقديّة والعرفانية.

ولا يتسع المجال لبسط الكلام في صفات وإيجابيات وسلبيات هذه الإتجاهات في أسلوب الفهم والخطاب، وتأثيرها أحياناً على المضمون.

كيف يلطف الله تعالى بالمعصوم

اتفق علماؤنا على أن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام معصومون، عن كل معصية وكل ما يشين شخصيتهم الربانية السامية.

وبحثوا في حدود العصمة، وأدلتها، والموارد التي فيها إشكال أو سؤال.

ثم بحثوا في ماهية العصمة فاتفقوا على أنها من فعل الله تعالى، وبما يحفظ حرية اختياره ومسؤوليته عن عمله.

وعندما تأملوا في كيفية حصولها للمعصوم عليه السلام، والوسائل التي يستعملها الله تعالى لتحقيقها، وجدوها متعددة وأكثرها مجهولاً لنا، فقالوا إنها ألطف إلهية من الله تعالى لعبادة المكرمين، وعرفوا العصمة بأنها لطف إلهي بالمعصوم يمنعه من الوقوع في المعصية وما يشين.

وهذا موقف علمي صحيح من كيفية عصمة الله تعالى لخاصة عباده عليهم السلام، لكننا لانعدم نصوصاً تعطينا أضواءً مهمة على

الوسائل الربانية في العصمة، منها:

١- ينبغي أن تذكر السلطة الإلهية والهيمنة الكاملة على كل الوجود، وهي سلطة أعمق، وأكثر تنوعاً، من كل ما نعرف من سلطات. قال الله تعالى: وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا زَبَابٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ. وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ. وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ. ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ. (الأنعام: ٥٩-٦٢).

وقال تعالى: سَيَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ. لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ. (العدد: ١٠-١١).

وقال تعالى: أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. (التوبة: ٧٨).

وفي حديث النبي وأهل بيته صلى الله عليه وآله من تفصيل هذه الآيات وتفسيرها ما يخشع له العقل القلب. قال الشريف المرتضى في الأمالي: ٢/٢: (إن سأل سائل عن الخبر المروي عن عبد الله بن عمر أنه قال سمعت النبي (ص) يقول: إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن يصرفها كيف شاء ثم يقول قال رسول الله (ص) عند ذلك اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك. وعماً يرويه أنس قال قال رسول الله (ص) ما من قلب آدمي إلا وهو بين إصبعين من أصابع الله تعالى فإذا شاء أن يثبتته ثبته وإن شاء أن يقلبه قلبه.

وعما يرويه ابن حوشب قال قلت لأبي سلمة زوج النبي (ص): ما كان أكثر دعاء النبي (ص)؟ قالت: كان أكثر دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، فقالت قلت: يا رسول الله ما أكثر دعائك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك؟ فقال: يا أم سلمة ما من آدمي إلا - وقلبه بين إصبعين من أصابع الله عز وجل، ما شاء أقام، وما شاء أزاغ. فقال ما تأويل هذه الأخبار على ما يطابق التوحيد وينفي التشبيه؟ أوليس من مذهبكم أن الأخبار التي يخالف ظاهرها الأصول ولا تطابق العقول، لا يجب ردها والقطع على كذب راويها، إلا بعد أن لا يكون لها في اللغة مخرج ولا تأويل....

ثم استعرض معنى الإصبع وأنها تستعمل بمعان مجازية في لغة العرب وشعرهم، وقال: (فكانه صلى الله عليه وآله لما أراد المبالغة في وصفه بالقدرة على قلب القلوب وتصريفها بغير مشقة ولا كلفة، وإن كان غيره تعالى يعجز عن ذلك ولا يتمكن منه، فقال إنها بين إصبعين من أصابعه، كناية عن هذا المعنى واختصاراً للفظ الطويل، وجرياً على مذهب العرب في إخبارهم عن مثل هذا المعنى). انتهى. وفي قصص الأنبياء للجزائري ص ٤٧١: (بينما عيسى بن مريم جالس وشيخ يعمل بمسحاة ويشير الأرض، فقال عيسى عليه السلام: اللهم انزع منه الأمل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع، فلبث ساعة فقال عيسى عليه السلام: اللهم أردد إليه الأمل، فقام يعمل بمسحاته، فسأله عيسى عن ذلك فقال: بينما أنا اعلم إذ قالت لي نفسي: إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير! فألقيت المسحاة واضطجعت، ثم قالت لي نفسي: والله لا بد لك من عيش ما بقيت، فقامت إلى مسحاتي). (وتاريخ دمشق: ٤٧/٤٦٨، ومستدرک سفينة البحار: ١/١٨٥، عن مجموعة ورام).

٢- إن كل شخص منا يحيط به بضعة ملائكة يعملون بأمر الله تعالى، فكيف بالمعصوم؟ قال الله تعالى: إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ. (هود: ٥٧) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ. (الإنفطار: ١٠-١٢). إِنَّ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ. (الطارق: ٤). لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ (العدد: ١١).

٣- وسائل الفعل الإلهي كثيرة، وهي أوسع وأعمق مما نتصور! قال الله تعالى:

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيُذْذَبُوا بِإِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا. (الفتح: ٤)،

وقد ذكر في الآية إنزال روح السكينة على قلوب المؤمنين، وهي كما في الأحاديث روح خاصة ترافق المؤمن وتوجب اليقين في فكره والطمأنينة في نفسه، وهي نوع من أنواع جنود السماوات والأرض، التي تشمل أنواعاً كثيرة من المخلوقات، والقوى المنظورة وغير المنظورة، المتصورة لنا وغير المتصورة!

٤- من وسائل العصمة أن الله يعث ملكاً يرافق المعصوم ويكلمه ويرشده، قال علي عليه السلام يصف رسول الله صلى الله عليه وآله: (ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره). (نهج البلاغة: ٢/١٥٧).

وفي حلية الأبرار للسيد البحراني: ١/٣٤: (قرن جبرائيل بنبيه محمد صلى الله عليه وآله ثلاث سنين، يسمع حسه ولا يرى شخصه، ويعلمه الشيء بعد الشيء، ولا ينزل عليه القرآن فكان في هذه المدة مبشراً بالنبوة غير مبعوث إلى الأمة). (عن المناقب: ١/٤٣).

٥- ومن وسائل العصمة أن الله تعالى يلقي حالة خاصة على شخصية المعصوم من الخشوع والإحساس بوجود الله تعالى، فيعيش كل حياته حالة استحضار لربه عز وجل وحضور بين يديه، وكفى بذلك عاصماً له عن معصيته. وتحدث هذه الحالة له في آخر دقيقة من حياة المعصوم السابق عليهم السلام.

ففي بصائر الدرجات ص ٤٩٧: (باب الوقت الذي يعرف الإمام الأخير ما عند الأول. حدثنا محمد بن الحسين، عن علي بن أسباط، عن الحكم بن مسكين، عن عبيد بن زرارة وجماعة معه قالوا: سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: يعرف الإمام الذي بعده علم من كان قبله في آخر دقيقة تبقى من روحه). (وروى حديثين آخرين مثله. وروى الكليني في الكافي: ١/٢٧٤، ثلاثة أحاديث):

وفي بصائر الدرجات ص ٤٨٦: (باب في الإمام متى يعلم أنه إمام. حدثنا محمد بن الحسين عن صفوان بن يحيى قال قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: أخبرني عن الإمام متى يعلم أنه إمام حين يبلغه أن صاحبه قد مضى أو حين يمضي؟ مثل أبي الحسن عليه السلام قبض ببغداد وأنت هاهنا؟ قال: يعلم ذلك حين يمضي صاحبه. قلت: بأي شيء؟ قال: يلهمه الله ذلك....

حدثنا محمد بن عيسى... قال: بينا أبو الحسن عليه السلام جالس مع مؤدب له يكنى أبا زكريا وأبو جعفر عليه السلام عندنا أنه ببغداد وأبو الحسن يقرأ من اللوح إلى مؤدبه، إذ بكى بكاء شديداً، سأله المؤدب ما بكاؤك؟ فلم يجبه، فقال: إنذن لي بالدخول فأذن له، فارتفع الصياح والبكاء من منزله، ثم خرج إلينا، فسألناه عن البكاء فقال: إن أبي قد توفي الساعة. فقلنا: بما علمت؟ قال: دخلني من إجلال الله ما لم أكن أعرفه قبل ذلك، فعلمت أنه قد مضى! فتعرفنا ذلك الوقت من اليوم والشهر، فإذا هو قد مضى في ذلك الوقت....

عن هارون بن الفضل قال: رأيت أبا الحسن عليه السلام في اليوم الذي توفي فيه أبو جعفر عليه السلام فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، مضى أبو جعفر! فقيل له: وكيف عرفت ذلك؟ قال: تداخلني ذلة الله لم أكن أعرفها). انتهى.

٦- أن المعصوم تحدثه الملائكة وتوجهه عند اللزوم، ففي الكافي: ١/٢٧١:

(عن محمد بن إسماعيل قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: الأئمة علماء صادقون مفهمون محدثون.... عن محمد بن مسلم قال: ذكر المحدث عند أبي عبد الله عليه السلام فقال: إنه يسمع الصوت ولا يرى الشخص. فقلت له: جعلت فداك كيف يعلم أنه كلام الملك؟ قال: إنه يعطى السكينة والوقار حتى يعلم أنه كلام ملك....

ثم روى عن الإمام الباقر عليه السلام أن علياً عليه السلام كان محدثاً فسأله حمزان: من يحدثه؟ فقال: يحدثه ملك، قلت: تقول: إنه نبي؟ قال: فحرك يده هكذا: أو كصاحب سليمان أو كصاحب موسى أو كذي القرنين، أو ما بلغكم أنه صلى الله عليه وآله قال: وفيكم مثله).

٧- أن الله يؤيد المعصوم بملك خاص. والأحاديث في ذلك عديدة، منها ما رواه في الكافي: ١/٢٧٣: (عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ؟ قال: خلق

من خلق الله عز وجل أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده... عن أسباط بن سالم قال: سأله رجل من أهل هيت وأنا حاضر عن قول الله عز وجل: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا؟ فقال: منذ أنزل الله عز وجل ذلك الروح على محمد، صلى الله عليه وآله ما صعد إلى السماء وإنه لفينا....

عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي؟ قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة وهو من الملكوت.

عن أبي حمزة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العلم، أهو علم يتعلمه العالم من أفواه الرجال، أم في الكتاب عندكم تقرؤنه فتعلمون منه؟ قال: الأمر أعظم من ذلك وأوجب، أما سمعت قول الله عز وجل: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ؟ ثم قال: أي شيء يقول أصحابكم في هذه الآية، أيقرون أنه كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان؟ فقلت: لا أدري جعلت فداك ما يقولون، فقال: بلى قد كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان حتى بعث الله تعالى الروح التي ذكر في الكتاب، فلما أوحاها إليه علم بها العلم والفهم، وهي الروح التي يعطيها الله تعالى من شاء، فإذا أعطاها عبداً علمه الفهم....

عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي، قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، لم يكن مع أحد ممن مضى، غير محمد صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة يسددهم، وليس كل ما طلب وجد). انتهى.

وفي الكافي: ١/٢٧٤: (عن سعد الإسكاف قال أتى رجل أمير المؤمنين عليه السلام يسأله عن الروح أليس هو جبرئيل؟ فقال له أمير المؤمنين: جبرئيل من الملائكة والروح غير جبرئيل، فكرر ذلك على الرجل فقال له: لقد قلت عظيماً من القول ما أحد يزعم أن الروح غير جبرئيل فقال له: أمير المؤمنين: إنك ضال تروى عن أهل الضلال، يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله: أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ، يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ، والروح غير الملائكة صلوات الله عليهم). انتهى.

وفي الكافي: ١/٢٧١: (عن جابر الجعفي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا جابر إن الله تبارك وتعالى خلق الخلق ثلاثة أصناف وهو قول الله عز وجل: وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً. فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ. وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ. وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ. (الواقعة: ٧-١١) فالسابقون هم رسل الله عليهم السلام وخاصة الله من خلقه، جعل فيهم خمسة أرواح: أيدهم بروح القدس فبه عرفوا الأشياء، وأيدهم بروح الإيمان فبه خافوا الله عز وجل، وأيدهم بروح القوة فبه قدروا على طاعة الله، وأيدهم بروح الشهوة فبه اشتهوا طاعة الله عز وجل وكرهوا معصيته، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويجيئون. وجعل في المؤمنين وأصحاب الميمنة روح الإيمان فبه خافوا الله، وجعل فيهم روح القوة فبه قدروا على طاعة الله، وجعل فيهم روح الشهوة فبه اشتهوا طاعة الله، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويجيئون....

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن علم العالم فقال لي: يا جابر إن في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس وروح الإيمان وروح الحياة وروح القوة وروح الشهوة، فبروح القدس يا جابر عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى، ثم قال: يا جابر إن هذه الأربعة أرواح يصيبها الحدتان إلا روح القدس فإنها لا تلهو ولا تلعب...

عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن علم الإمام بما في أقطار الأرض وهو في بيته مرخي عليه ستره؟ فقال: يا مفضل إن الله تبارك وتعالى جعل في النبي صلى الله عليه وآله خمسة أرواح: روح الحياة فبه دب ودرج، وروح القوة فبه نهض وجاهد، وروح الشهوة فبه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال، وروح الإيمان فبه آمن وعدل، وروح القدس فبه حمل النبوة فإذا قبض النبي صلى الله عليه وآله انتقل روح القدس فصار إلى الإمام. وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو. والأربعة الأرواح تنام وتغفل وتزهو وتلهو، وروح القدس كان يرى به). انتهى.

٨- قلنا في دلالة الإستخلاص الإلهي على العصمة: وقد بين الله تعالى أنه يستعمل رصد الملائكة لحفظ معلومة عن الغيب يخبر بها رسوله، فقال: قُلْ إِنْ أَدْرَى أَقْرَبُ مَا تُوَعَّدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمْرًا. عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ

فإنه يسئلك من بين يديه ومن خلفه رصداً. ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأخصى كل شئ عدداً. (الجن: ٢٥-٢٨)

والإستخلاص مقام أعظم من حفظ ما يخبر به الله رسوله من الغيب، فلا بد أن تكون وسائل حفظ المستخلص أكثر تفصيلاً من حفظ الغيب المخبر به.

٩- وردت أحاديث عديدة في صفات ومقامات للنبي والأئمة صلى الله عليه وآله، تُعتبر كل واحدة منها من وسائل الله تعالى في عصمتهم، صلوات الله عليهم، ويطول الكلام لو أردنا عرضها ولو إجمالاً، لذا نكتفي بالإشارة إلى بعضها:

فمنها: عرض الأعمال على النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، فقد روى الكليني في الكافي تحت هذا العنوان: ١/٢١٩، عدة أحاديث، منها: (عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: تعرض الأعمال على رسول الله صلى الله عليه وآله أعمال العباد كل صباح أبرارها وفجارها فاحذروها، وهو قول الله تعالى: إِعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ. وسكت.... عن يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: إِعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ؟ قال: هم الأئمة....

عن عبد الله بن أبان الزيات وكان مكيئاً عند الرضا عليه السلام قال: قلت للرضا عليه السلام: أدع الله لي ولأهل بيتي، فقال: أو لست أفعل؟ والله إن أعمالكم لتعرض علي في كل يوم وليلة! قال: فاستعظمت ذلك فقال لي: أما تقرأ كتاب الله عز وجل: إِعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ؟ قال: هو والله على بن أبي طالب عليه السلام). انتهى.

وفي الكافي: ١/٣٨٧: (عن محمد بن مروان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الإمام ليسمع في بطن أمه، فإذا ولد خط بين كتفيه: وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، فإذا صار الأمر إليه جعل الله له عموداً من نور، يبصر به ما يعمل أهل كل بلدة). انتهى.

ومنها: أن الله تعالى أعطاهم من إسمه الأعظم أضعاف ما أعطى غيرهم، ففي الكافي: ١/ ٢٣٠: (عن علي بن محمد النوفلي، عن أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام قال: سمعته يقول: إسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، كان عند آصف حرف فتكلم به فانخرقت له الأرض فيما بينه وبين سبأ فتناول عرش بلقيس حتى صيره إلى سليمان، ثم انبسطت الأرض في أقل من طرفه عين! وعندنا منه اثنان وسبعون حرفاً. وحرف عند الله مستأثر به في علم الغيب). انتهى.

ومنها: أن قوة نفس المعصوم عليه السلام وقربه من الله تعالى، يجعل رغبته وتوجهه النفسى إلى الشئ كافياً لأن يكشفه الله له: ففي الكافي: ١/٢٥٨: (عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا أراد الإمام أن يعلم شيئاً أعلمه الله ذلك).

ومنها: أنهم أصحاب ليلة القدر الذين تنزل عليهم الملائكة بأمر الله فيها. ففي الكافي: ١/٢٤٧، عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث: (إن ليلة القدر في كل سنة، وإنه ينزل في تلك الليلة أمر السنة، وإن لذلك الأمر ولأه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: من هم؟ فقال: أنا وأحد عشر من صلبى أئمة محدثون). انتهى.

أقول: وهذا باب واسع، يفهم منه الكثير من عطاءات الله وأفعاله عز وجل في عصمة أنبيائه وأوصيائهم عليهم السلام، وإن كان الكثير منه مختصاً بالنبي وآله صلى الله عليه وآله لا يشر كهم فيه غيرهم، فالمعصومون درجات.

درجات العصمة واللفظ بالمعصومين

نص القرآن الكريم على أن الله تعالى جعل مخلوقاته درجات، وفضل بعضها على بعض، لأسباب وحكم وأسرار يعلمها عز وجل. وهذه أهم آيات التفضيل:

تفضيل بنى آدم على كثير من المخلوقات

قال الله تعالى: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْجَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً. (الإسراء: ٧٠).

تفضيل بعض الناس على بعضهم في الرزق والتكوين

(وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعَدْوِهِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ).
(النحل: ٧١).

(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ).
(الأنعام: ١٦٥).

(أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُهُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ. وَلَوْلَا- أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوبِتَهُمْ سُقُفًا مِنْ فضةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ. وَلِيُوبِتَهُمْ أَجْنَابًا وَسِيرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ. وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ). (الزخرف: ٣٢-٣٥).

تفضيل الرجال على النساء

(الرِّجَالُ قَوَامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَاتِنَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ). (النساء: ٣٤).
(وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا). (النساء: ٣٢).

تفضيل المجاهدين على القاعدين

(فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا.
النساء: ٩٥ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا. النساء: ٩٦
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. المائدة: ٥٤)

تفضيل العلماء على غيرهم

(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ). (المجادلة: ١١).

التفضيل في الآخرة أكبر منه في الدنيا

وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا. كُلًّا نَمُدُّهُؤَلَاءِ وَهُؤَلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا. انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا. (الإسراء: ١٩-٢١).
(وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا. ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا. (النساء: ٦٩-٧٠).

(فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَتِهِ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا. (النساء: ١٧٥).

تَرَى الظَّالِمِينَ مُسْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ. (الشورى: ٢٢).

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ. فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ. كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ. يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ. لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ. فَضلاً مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. (الدخان: ٥١-٥٧).

(سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ. الحديد: ٢١)

تفضيل بعض الأنبياء عليهم السلام على بعض

(وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا). (الإسراء: ٥٥)

تفضيل بعض الرسل عليهم السلام على بعض

(تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ). (البقرة: ٢٥٣).

تفضيل إبراهيم وآل إبراهيم ومن معهم عليهم السلام

(وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ). (الأنعام: ٨٣-٨٤)

تفضيل آل إبراهيم عامة

(أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا. فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا). (النساء: ٥٤-٥٥).

تفضيل داود وسليمان عليهما السلام خاصة

(وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ. وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ). (النمل: ١٥-١٦).

(وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِمَّا فَضَّلْنَا يَا جِبَالُ أَوْبَى مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ الْهَادِيَةُ. سبأ: ١٠)

أَنْ أَعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. سبأ: ١١)

وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوًّا شَهْرًا وَرَوَّاحَهَا شَهْرًا وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ. (سبأ: ١٠-١٢).

تفضيل نبينا صلى الله عليه وآله

(أَلَمْ تَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ. وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ. الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ. وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ). (الشرح: ١-٤) (إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا). (الإسراء: ٨٧).

(وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَصُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا). (النساء: ١١٣).

تفضيل آل محمد صلى الله عليه وآله

(ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ). (الشورى: ٢٣).

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا). (الأحزاب: ٣٣).

(سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ). (الصافات: ١٣٠).

(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ). (فاطر: ٣٢).

تفضيل اليهود على الأمم المعاصرة لأنبيائهم

(يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ). (البقرة: ٤٧ و ١٢٢) (قَالَ أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْنِيَكُمْ إِلَهِا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ). (الأعراف: ١٤٠).

تفضيل أمة رسول الله صلى الله عليه وآله

(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ. مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ). (الجمعة: ٢-٥).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ). (الحديد: ٢٨-٢٩). (قُلْ إِنْ أُلْهِدِي هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى مَا أُوحِيَ لَمْ يَكُنْ مِنْ رَحْمَتِهِ مِنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ). (آل عمران: ٧٣-٧٤)

عصمة نبينا وآله أرقى أنواع العصمة

أجمع المسلمون على أن نبينا محمداً صلى الله عليه وآله أفضل الخلق عند الله تعالى، وأنه صاحب لواء رئاسة المحشر يوم القيامة، وقد روى ذلك جميعهم.

لكن رواة السلطة وقعوا في التناقض، فرووا ذلك ورووا ضده أيضاً! وفضلوا بعض الأنبياء على نبينا صلى الله عليه وآله كما في البخاري! وقد بحثنا ذلك في كتاب (ألف سؤال وإشكال على المخالفين لأهل البيت الطاهرين عليهم السلام)، مسألة ١٣٧.

فقد امتاز الشيعة بالقول إنه صلى الله عليه وآله أفضل الخلق على الإطلاق، وإن درجة عصمته أعلى من درجة عصمة جميع الأنبياء عليهم السلام، فالأفضلية استحقاق بالعمل وبعمق الوعي والعبودية، والعصمة استحقاق يتناسب مع مستوى العمل.

ويكفي دليلاً عليه قوله تعالى: وَمَا يُنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ، فهذه رتبة عظيمة لم تثبت لأحد من الأنبياء عليهم السلام، ومن عصم الله منطقته عن الهوى فجعله وحياً يوحى، فقد عصم فعله أيضاً، أو بطريق أولى! حيث لا يمكن تصور عصمة لسان أحد عن المعصية والخطأ بدون عصمة بقیة جوارحه!

هذا مضافاً إلى الآيات الأخرى، والأحاديث الصحيحة المتواترة، التي نصت على مقامه الفريد صلى الله عليه وآله ودرجة عصمته الخاصة، ودلت على أن درجة عترته الطاهرين عليهم السلام تلي درجته صلى الله عليه وآله مباشرة.

وقد رواها معنا رواة الخلافة أيضاً، ولكنهم عملوا على تأويلها أو تضعيفها، ومنها الحديث الصحيح المعروف: (نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة، أنا، وعلى أخى، وحمزة عمى، وجعفر بن عمى، والحسن، والحسين، والمهدى). وقد استوفينا مصادره وتصحيحه عند

الطرفين في معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ١/١٩٨، ومن ذلك تصحيح الحاكم له على شرط مسلم: ٣/٢١١.

وينبغي الإلفات إلى أن مقام حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب، يلي مقام المعصومين من العتره عليهم السلام ولا يتقدم على أحد منهم، كما قد يتوهم من ظاهر الحديث، فهما مرضيان غير معصومين رضى الله عنهما، والعصمة عندنا مختصة بمن دل عليهم

النص النبوي فقط، وهم العتره، أو أهل البيت بالمعنى الأخص: على وفاطمة والحسن والحسين وتسعة من ذرية الحسين آخرهم المهدي عليهم السلام. وهم المعنى النبوي المصطلح لأهل البيت، وآل محمد، والعتره، في مقابل المعنى اللغوي الأوسع منهم.

ومنها، حديث النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة الزهراء عليها السلام، الذي رواه الصدوق في كمال الدين ص ٦٦٢، عن سلمان قال: (كنت جالساً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضته التي قبض فيها فدخلت فاطمة عليها السلام فلما رأت ما بأبيها من

الضعف بكت حتى جرت دموعها على خديها، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: ما يبكيك يا فاطمة؟ قالت: يارسول الله أخشى

على نفسى وولدى الضيعة بعدك! فاغرورقت عينا رسول الله بالبكاء ثم قال: يا فاطمة أما علمت أنا أهل بيت اختار الله عز وجل لنا الآخرة على الدنيا، وأنه حتم الفناء على جميع خلقه، وأن الله تبارك وتعالى أطلع إلى الأرض إطلاعةً فاختراني من خلقه فجعلنى نبياً، ثم اطلع إلى الأرض إطلاعةً ثانيةً فاختر منها زوجك، وأوحى إليّ أن أزوجك إياه، وأتخذته ولياً ووزيراً، وأن أجعله خليفتي فى أمتي. فأبوك خير أنبياء الله ورسله، وبعلك خير الأوصياء، وأنت أول من يلحق بى من أهلى.

ثم أطلع إلى الأرض إطلاعةً ثالثةً فاخترارك وولديك، فأنت سيده نساء أهل الجنة وابناك حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبناء بعلك أوصيائي إلى يوم القيامة كلهم هادون مهديون، وأول الأوصياء بعدى أخى على، ثم حسن، ثم حسين، ثم تسعة من ولد الحسين فى درجتى، وليس فى الجنة درجة أقرب إلى الله من درجتى ودرجة أبى إبراهيم! أما تعلمين يا بنية أن من كرامة الله إياك أن زوجك خير أمتى، وخير أهل بيتى، أقدمهم سلماً وأعظمهم حلماً، وأكثرهم علماً. فاستبشرت فاطمة عليها السلام وفرحت بما قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله... الحديث). (ورواه فى شرح الأخبار: ١/١٢٢، عن أبى سعيد الخدرى، والطبرى فى المسترشد ص ٤١٣، بتفصيلات أخرى.. الخ).

وروت منه مصادر الخلافة فقرات مهمة بسند صحيح، كالطبرانى فى الكبير: ٣/٥٧ والصغير: ١/٦٧، وابن عساكر: ٤٢/١٣٠، والطبرى فى ذخائر العقبى ص ١٣٥، وابن الأثير فى أسد الغابة: ٤/٤٢، والهيثمى فى مجمع الزوائد: ٨/٢٥٣، ولم يضعفه أحد منهم غير الذهبى فى القرن الثامن! بحجة ضعف أحد رواته (الهيثم بن حبيب) الذى قال عنه الهيثمى فى الزوائد: ٣/١٩٠. وأما الهيثم بن حبيب فلم أر من تكلم فيه غير الذهبى اتهمه بخبر رواه، وقد وثقه ابن حبان). انتهى.

بل وثق الهيثم هذا كبار أئمة الجرح والتعديل عندهم كأحمد وأبى عوانة وشعبة وأبى حاتم وأبى زرعة وغيرهم، كما بيناه فى (جواهر التاريخ: ١/١١٥) ووقع الهيثمى والذهبى فيه فى التناقض أو الكذب! ونكتفى بهذا القدر فى تفصيل نبينا صلى الله عليه وآله على بقية الأنبياء عليهم السلام، وقد تعرضنا له فى مؤلفاتنا الأخرى، وبيننا أن مقام عترته وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام يلى مقامه مباشرة، بل هو ملحق به، وجزء لا يتجزأ منه.

النبي و عترته المعصومون منظومة خاصة لا يقاس بهم أحد

العصمة هى الإمتناع بالله تعالى عن جميع معاصى الله، على حد تعبير الإمام الصادق عليه السلام، وهى مقام ربانئى عظيم دون شك، غير أن مقام النبى وآله صلى الله عليه وآله أعلى منها بكثير! ويكفى لذلك قوله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وآله: وَمَا يَنْطَلِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ، وهى أعلى مرتبة يمكن أن يصل إليها إنسان.

وقول النبى صلى الله عليه وآله فى الحديث المتواتر عن أهل بيته عليهم السلام: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض. فقد جعلهم عدلاً للقرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهم مثله لا يأتيهم الباطل، وهم ورثة القرآن، وحجة الله فى بيانه وهداية الأمة به.

وقد روت مصادر الخلافة قليلاً، وروت مصادرنا كثيراً، من الأحاديث التى تكشف عن مقامهم العظيم، وأنهم مشروع ربانى مميز، منذ تكوين الكون، وفى مسيرة وجوده، إلى ختامها بالحياة الآخرة.

ولا يتسع المجال لبحث مفرداتها ولا لعرضها، فنكتفى بالإشارة إلى أهمها:

١- صحت الأحاديث بأن الله تعالى أول ما خلق أنوارهم عليهم السلام من نور عظمتة قبل خلق الخلق.

٢- وأن وجود المعصوم على الأرض ضرورة، ظاهراً مشهوراً أو غائباً مستوراً، وإلا لساخت الأرض بأهلها.

٣- وأن الله تعالى جعلهم واسطة فى فيض عطائه على الوجود.

٤- وأعطاهم ما شاء من الولاية التكوينية والتشريعية.

- ٥- وفرض ولايتهم على الأنبياء والأوصياء السابقين عليهم السلام.
٦- وفرض ولايتهم على هذه الأمة، فلا يقبل من أحد عملاً إلا بها.
٧- وأن دولة العدل الإلهي ستقوم على يدهم، وتستمر إلى يوم القيامة.

درجة شيعه النبي وآله في أحاديث الطرفين

بل دلت الأحاديث الصحيحة على أن شيعه أهل البيت ومحبيهم عليهم السلام ملحقون بدرجةهم يوم القيامة، ومن ذلك الحديث المشهور الذي رواه أبو داود والترمذي، وأحمد، والطبراني وغيرهم، وهو حديث صحيح لا يمكن لأحد أن يطعن في أحد من رواه. وقد روينا نحن بنفس السند كما في كامل الزيارات ص ١١٧: (عن أبي سعيد قال: حدثنا نصر بن علي قال: حدثنا علي بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد الحسن والحسين فقال: من أحب هذين الغلامين وأباهما وأمهما فهو معي في درجتي يوم القيامة). (ورواه الصدوق في الأمالي ص ٢٩٩، وغيره).

ورواه منهم كثيرون كالترمذي: ٥/٣٠٥، قال: (حدثنا نصر بن علي الجهضمي أخبرنا علي بن جعفر بن محمد بن علي قال أخبرني أخي موسى بن جعفر بن محمد عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب أن النبي (ص) أخذ بيد حسن وحسين وقال: من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة. هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث جعفر بن محمد إلا من هذا الوجه).

ورواه الطبري في الكبير: ٣/٥٠، والصغير: ٢/٧٠، وابن عساكر: ١٣/١٩٥ و١٩٦، وفي هامشه: مسند أحمد: ١/٧٧، وأسد الغابة: ٤/٢٩. ورواه الخطيب في تاريخ بغداد: ١٣/٢٨٩ وقال: قال أبو عبد الرحمن عبد الله: لما حدث بهذا الحديث نصر بن علي أمر المتوكل بضربه ألف سوط، وكلمه جعفر بن عبد الواحد وجعل يقول له: هذا الرجل من أهل السنة، ولم يزل به حتى تركه، وكان له أرزاق فوفرها عليه موسى). انتهى.

ورواه المزي في تهذيب الكمال: ٢٠/٣٥٤، وقال: (رواه عن نصر بن علي، فوافقناه فيه بعلو، وقال: غريب لا نعرفه من حديث جعفر إلا من هذا الوجه. وقد كتبناه من وجه آخر عن نصر بن علي في ترجمة الحسين بن علي). انتهى.

(ورواه المزي في: ٢٩/٣٦٠، وذكر قصة المتوكل. وأسنده القاضي عياض في الشفا: ٢/٤٩، بنحو القطع إلى النبي صلى الله عليه وآله، ورواه كتر العمال: ١٢/١٠٣، و١٣/٦٣٩، عن مصادر أخرى. وأسنده البيهقي في لباب الأنساب: ١/٢٦ بنحو القطع إلى النبي صلى الله عليه وآله).

ورواه الهيثمي في الصواعق: ٢/٤٠٦، وقال: (وليس المراد بالمعیه هنا المعية من حيث المقام بل من جهة رفع الحجاب نظير ما في قوله تعالى: فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا).

ورواه الذهبي في سيره: ١٢/١٣٥، وشهد بوثاقه رواه، لكنه رده بخلاً بدرجة النبي صلى الله عليه وآله على الذين يحبون عترته! قال: (قلت: هذا حديث منكر جداً.... ثم ذكر قصة المتوكل عن عبد الله بن أحمد بن حنبل وقال: قلت: والمتوكل سني، لكن فيه نصب. وما في رواه الخبر إلا- ثقة! وما كان النبي (ص) من حبه وبث فضيلة الحسنين ليجعل كل من أحبهما في درجته في الجنة، فلعله قال: فهو معي في الجنة. وقد تواتر قوله عليه السلام: المرء مع من أحب. ونصر بن علي، فمن أئمة السنة الأثبات). انتهى.

والعجيب أن الذهبي قَبِلَ أن يكون محب العتره مع النبي صلى الله عليه وآله، ولم يقبل أن يكون في درجته! وكان عليه كما وسع معنى المعية، أن يقبل توسيع الدرجة!

ولم يطعن الذهبي في علي بن جعفر الصادق عليه السلام، لكنه شكك في حفظه بدون دليل! إلا أنه لم يعجبه حديثه فشكك في حفظه!

كما ارتكب الذهبي تضعيف هذا الحديث في سيره: ٣/٢٥٤، فقال: (إسناده ضعيف والتمن منكر). انتهى. ولم يبين سبب حكمه بضعفه، لأنه لا يستطيع أن يضعف أياً من رواته! فهل هذا إلا هوى!

وتبعه الألباني فضعه في ضعيف الترمذى ص ٥٠٤، والضعيفة ٣١٢٢، وتخريج المختارة ٣٩٢، تقليداً بإسم الإجتهد، وتعصباً بإسم البحث العلمي!

ومن عسى أن يضعف الألباني والذهبي من رجال رواته، التي تبدأ بنصر الذي اتفقوا على وثاقته وأنه من أئمة السنة، عن علي بن جعفر الصادق عليه السلام الذي هو من رجال الترمذى، ولم يجرحه أحد من علماء الجرح، ثم يصل إلى سلسلة الذهب الأئمة المعصومين عليهم السلام الذين قال أحمد بن حنبل عن إسنادهم: (لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق من جنونه)!!

قال في هامش مسند زيد بن علي ص ٤٤٠: (أورد صاحب كتاب تاريخ نيسابور أن علياً الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، لما دخل نيسابور كان في قبة مستورة على بغلة شهباء وقد شق بها السوق، فعرض له الإمامان الحافظان أبو زرعة وأبو مسلم الطوسي ومعهما من أهل العلم والحديث ما لا يحصى فقالا: يا أيها السيد الجليل ابن السادة الأئمة، بحق آبائك الأطهرين وأسلافك الأكرمين إلا- ما أريتنا وجهك الميمون ورويت لنا حديثاً عن آبائك عن جدك أن نذكرك به. فاستوقف غلماناً وأمر بكشف المظلة وأقر عيون الخلايق برؤية طلعت، وإذا له ذؤابتان معلقتان على عاتقه، والناس قيام على طبقاتهم ينظرون ما بين باك وصارخ، وتمرغ في التراب، ومقبل حافر بغلته وعلا الضجيج، فصاحت الأئمة الأعلام: معاشر الناس، أنصتوا واسمعوا ما ينفعكم ولا تؤذونا بصراخكم، وكان المستملي أبا زرعة ومحمد بن أسلم الطوسي، فقال علي الرضا رضي الله عنه: حدثني أبي موسى الكاظم، عن أبيه جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر، عن أبيه زين العابدين، عن أبيه شهيد كربلاء، عن أبيه علي المرتضى، قال حدثني حبيبي وقره عيني رسول الله صلى الله عليه وآله قال حدثني جبريل عليه السلام قال حدثني رب العزة سبحانه وتعالى قال: لا إله إلا الله حصني، فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي. ثم أرخى الستر على المظلة وسار، قال فعد أهل المحابر وأهل الدواوين الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفاً. قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق من جنونه! انتهى.

وقال أبو نعيم في الحلية: ٣/١٩١، بعد أن رواه بتفاوت يسير: (هذا حديث ثابت مشهور بهذا الإسناد من رواية الطاهرين عن آبائهم الطيبين، وكان بعض سلفنا من المحدثين إذا روى هذا الإسناد قال: لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق).

وقال ابن الشجري في الأمالي ص ٢٥، والقزويني في التدوين: ٣/٤٨١، بعد حديث بسند مشابه: (قال علي بن مهرويه: قال أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي: قال أبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروي: لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق). وقال الزمخشري في ربيع الأبرار ص ٦٧٣: (كان يقول يحيى بن الحسين الحسنى في إسناد صحيفة الرضا: لو قرئ هذا الإسناد في أذن مجنون لأفاق).

وقال الإربلي في كشف الغمة: ١/١٣٤: (هذا الحديث نقله أحمد في مواضع من مسنده، وهو حديث خطره عظيم، ومجده كريم، ووجده وسيم، وشرفه قديم فإنه جعل درجة محبيهم مع درجته، وهذا محل يقف دونه الخليل والكليم، وههنا ينقاد المنقول والمعقول، وهو صلى الله عليه وآله أعلم بما يقول). انتهى.

وأغرب من الألباني والذهبي: ابن تيمية الذي قال في منهاجه: ٧/٣٩٧: (فصل. قال الرافضي: الحادي عشر، ما رواه الجمهور من وجوب محبته وموالاته. روى أحمد بن حنبل في مسنده أن رسول الله (ص) أخذ بيد حسن وحسين فقال: من أحبني وأحب هذين وأبهما وأمهما فهو معي في درجتي يوم القيامة... وأورد عدة أحاديث أوردها العلامة الحلبي رحمه الله في كتابه منهاج الكرامة الذي ألف ابن تيمية كتابه للرد عليه، ثم قال:

(والجواب من وجوه: أحدها، المطالبة بتصحيح النقل وهيئات له بذلك!

وأما قوله رواه أحمد فيقال: أولاً، أحمد له المسند المشهور وله كتاب مشهور في فضائل الصحابة روى فيه أحاديث لا يروها في المسند لما فيها من الضعف، لكونها لا تصلح أن تروى في المسند لكونها مراسيل أو ضعافاً بغير الإرسال.

ثم إن هذا الكتاب زاد فيه ابنه عبد الله زيادات، ثم إن القطيعي الذي رواه عن ابنه عبد الله زاد عن شيوخه زيادات، وفيها أحاديث موضوعة باتفاق أهل المعرفة. وهذا الرفض وأمثاله من شيوخ الرفض جهال، فهم ينقلون من هذا المصنف فيظنون أن كل ما رواه القطيعي أو عبد الله قد رواه أحمد نفسه، ولا يميزون بين شيوخ أحمد وشيوخ القطيعي، ثم يظنون أن أحمد إذا رواه فقد رواه في المسند، فقد رأيتهم في كتبهم يعزون إلى مسند أحمد أحاديث ما سمعها أحمد قط، كما فعل ابن البطريق وصاحب الطرائف منهم وغيرهما، بسبب هذا الجهل منهم! وهذا غير ما يفترونه من الكذب فإن الكذب كثير منهم.

وبتقدير أن يكون أحمد روى الحديث، فمجرد روايته أحمد لا- توجب أن يكون صحيحاً يجب العمل به، بل الإمام أحمد روى أحاديث كثيرة ليُعرف ويبين للناس ضعفها، وهذا في كلامه وأجوبته أظهر وأكبر من أن يحتاج إلى بسط، لاسيما في مثل هذا الأصل العظيم.

مع أن هذا الحديث الأول من زيادات القطيعي، رواه عن نصر بن علي الجهضمي، عن علي بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر الخ. انتهى.

وأول سؤال يرد في الذهن: لماذا افترض ابن تيمية أن راوى الحديث ابن حنبل وحده؟ ألا يعرف أن له رواة آخرين عديدين؟! والجواب: أن هذه عادة ابن تيمية! فهو يعرف أن للحديث مصادر عديدة غير مسند أحمد، وأنه لا يمكنه تضعيف سنده! لكنه تصور أن نقل العلامة الحلبي له عن مسند أحمد نقطة ضعف، لأن الحديث من زيادات عبد الله بن أحمد وتلميذه القطيعي على مسند أحمد تحت نظره، فركز هجومه عليها! وصور الأمر كأنه: هل كتب أحمد هذا الحديث بيده؟ أو أضافه ولده أو تلميذه؟ فلو قلنا لابن تيمية: حسناً، اعتبره من روايته ابن أحمد أو القطيعي، فما رأيك فيه؟ هل تطعن في واحد منهما، وهل تستطيع تضعيف رواة الحديث؟!

ثم نلاحظ أن ابن تيمية قال: (فقد رأيتهم في كتبهم يعزون إلى مسند أحمد أحاديث ما سمعها أحمد قط! كما فعل ابن البطريق وصاحب الطرائف منهم وغيرهما، بسبب هذا الجهل منهم). انتهى.

وهذا يعني أنه قرأ الطرائف لابن طاوس رحمه الله، وقرأ العمدة لابن البطريق رحمه الله ورأى أنهما نقلتا الحديث عن مسند أحمد! أما في الطرائف ص ١١ فقال: (ومن ذلك ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده) انتهى، فقد اقتصر في روايته على أحمد، ونسبها إليه كغيره من علماء السنة!

لكن ابن البطريق رواه في العمدة في ص ٢٧٤ عن عبد الله بن أحمد عن الجهضمي.. الخ. ورواه بعده في ص ٢٨٣، فقال: (ومن الجمع بين الصحاح الستة لرزين العبدري في الجزء الثالث في باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام، وبالإسناد المقدم من سنن أبي داود قال: عن علي عليه السلام قال: كنت إذا سألت رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاني وإذا سكت ابتدأني وأخذ بيد الحسن والحسين يوماً وقال: من أحب هذين وأباهما وأمهما ومات، كان متبعاً لستى كان معي في الجنة). انتهى.

فقد قرأ ابن تيمية روايته عن الجمع بين الصحاح أيضاً، فلماذا أهملها؟!

إنه لا يريد أن يبحث بحثاً علمياً، لافي سند الحديث ولا في متنه! بل همه أن يفتش عن شيء يتصوره نقطة ضعف ليهرج به ويترك كل ما سواه!

وهو حاضر لذلك أن يطعن في أحمد ومسنده وعبد الله بن أحمد والقطيعي، من أجل أن يردّ فضيلة للنبي وعترته صلى الله عليه وآله، لمجرد أن عالماً شيعياً استدل بها!

زيادة رزين العبدري عن أبي داود

قال ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة: ٢/٥٠٠: (من أحبني وأحب هذين يعني حسناً وحسيناً، وأباهما وأمهما، كان معي في الجنة

في درجتي. زاد أبو داود (ومات متبعاً لستى). وبها يعلم أن مجرد محبتهم من غير اتباع للسنة كما يزعمه الشيعة والرافضة من محبتهم مع مجانبتهم للسنة، لا يفيد مدعيها شيئاً من الخير بل تكون عليه وبالاً وعذاباً أليماً في الدنيا والآخرة). انتهى.

أقول: بقطع النظر عن تفسير ابن حجر المتوتر لهذه الزيادة، فقد أخذها هو وغيره من رزين العبدري، صاحب كتاب الجمع بين الصحاح، حيث نسبها هو إلى سنن أبي داود، ولا وجود للحديث في سنن أبي داود!

قال السيد البحراني في غايه المرام: ٦/٤٨: (الخامس عشر: الجمع بين الصحاح الستة لرزين العبدري في الجزء الثالث، في باب مناقب الحسن والحسين من سنن أبي داود عن علي، قال: كنت إذا سألت رسول الله أعطاني وإذا سكت ابتداني، وأخذ بيد حسن وحسين يوماً وقال: من أحب هذين وأباهما وأمهما ومات متبعاً لستى كان معي في الجنة). انتهى.

ونص صاحب البحار: ٣٧/٧٦، على أن الزيادة من رزين نفسه، فقد نقل الحديث عن ابن الأثير عن الترمذي، ثم قال: (وذكر رزين بعد قوله: وأمهما: ومات متبعاً لستى غير مبتدع). انتهى.

وكذا السيد المرعشي في شرح إحقاق الحق: ٩/١٧٨، قال: (رزين العبدري في الجمع بين الصحاح (مخطوط) قال: إن النبي أخذ بيد حسن وحسين يوماً وقال: من أحب هذين وأباهما وأمهما ومات متبعاً لستى كان معي في الجنة). انتهى.

وأدق ما وجدناه قول الأذري في بشاره المحبوب بتكفير الذنوب ص ٦٦، بعد نقل الحديث: (رواه الترمذي. زاد رزين: ومات متبعاً لستى غير مبتدع). انتهى.

فكيف يصح نسبة الزيادة إلى أبي داود والحديث لا يوجد في سننه أصلاً! وحتى لو قلنا بنقص نسخه أبي داود الموجودة فلا يمكننا نسبة الزيادة إليه، فيتعين أن تكون لرزين تعليقا منه على رواية الترمذي، كما ذكر الأذري.

على أن هذه الزيادة لو ثبتت لا تغير من الأمر شيئاً، ولا تحتل ما حملها إياه ابن حجر فجعل اتباع سنة النبي صلى الله عليه وآله بمعنى اتباع أبي بكر وعمر! لأن اتباع سنة النبي صلى الله عليه وآله لا يتحقق إلا بحب أهل بيته عليهم السلام ولا يتحقق حبهم إلا بطاعتهم دون من خالفهم، وأخذ سنة النبي صلى الله عليه وآله منهم دون ما خالفهم.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهدوا بأموركم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١).

قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرِ الْبِحَار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عُيُونُ أَخْبَارِ الرُّضَا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - "رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحداً من جهايزه هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة كم ينطفي مصباحها، بل تتبع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمة" للتحرى الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامى - دام عزه - ومع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالات شتى: دينيه، ثقافيه و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافه الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرى الأذق للمسائل الدينيه، تخليف المطالب النافعه - مكان البلايتي المبتدله أو الرديئه - فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعة جامع ثقافيه على أساس معارف القرآن و أهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءه و إغناء أوقات فراغه هواه برامج العلوم الإسلاميه، إناله منابع اللازمه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة فى الجامعه، و...

- منها العداة الاجتماعيه: التى يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - فى آكناف البلد - و نشر الثقافه الإسلاميه و الإيرانيه - فى أنحاء العالم - من جهه أخرى.
- من الأنشطة الواسعه للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءه

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركه و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتى "القائمة" www.Ghaemiyeh.com و عدده مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض فى القنوات القمرية

(و) الإطلاع و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كاشك، و الرسائل القصيره SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسه" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين فى الجلسه

(ى) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه

المكتب الرئيسى: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / "ما بين شارع" پنج رمضان " ومفترق "وفائى" / "بنايه" القائمية "

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهويه الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجاريه و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزاتية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكومية، و غير ربحية، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافي الحجم المتزايد و المتسع للامور الديتية و العلمية الحالية و مشاريع التوسعة الثقافية؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيه الله الاعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حد التمكن لكل احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولي التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
الغمامة اصححان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

